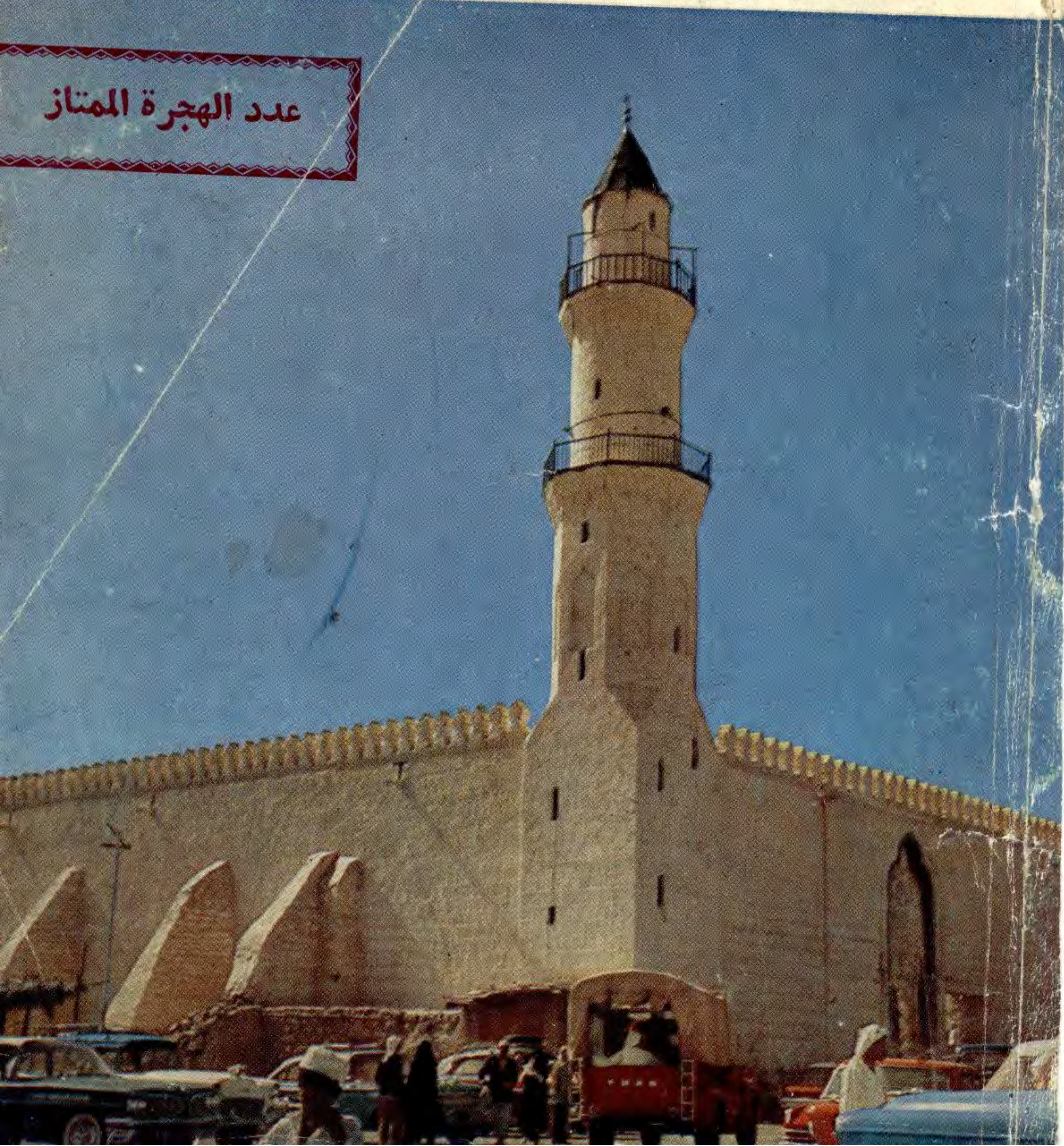
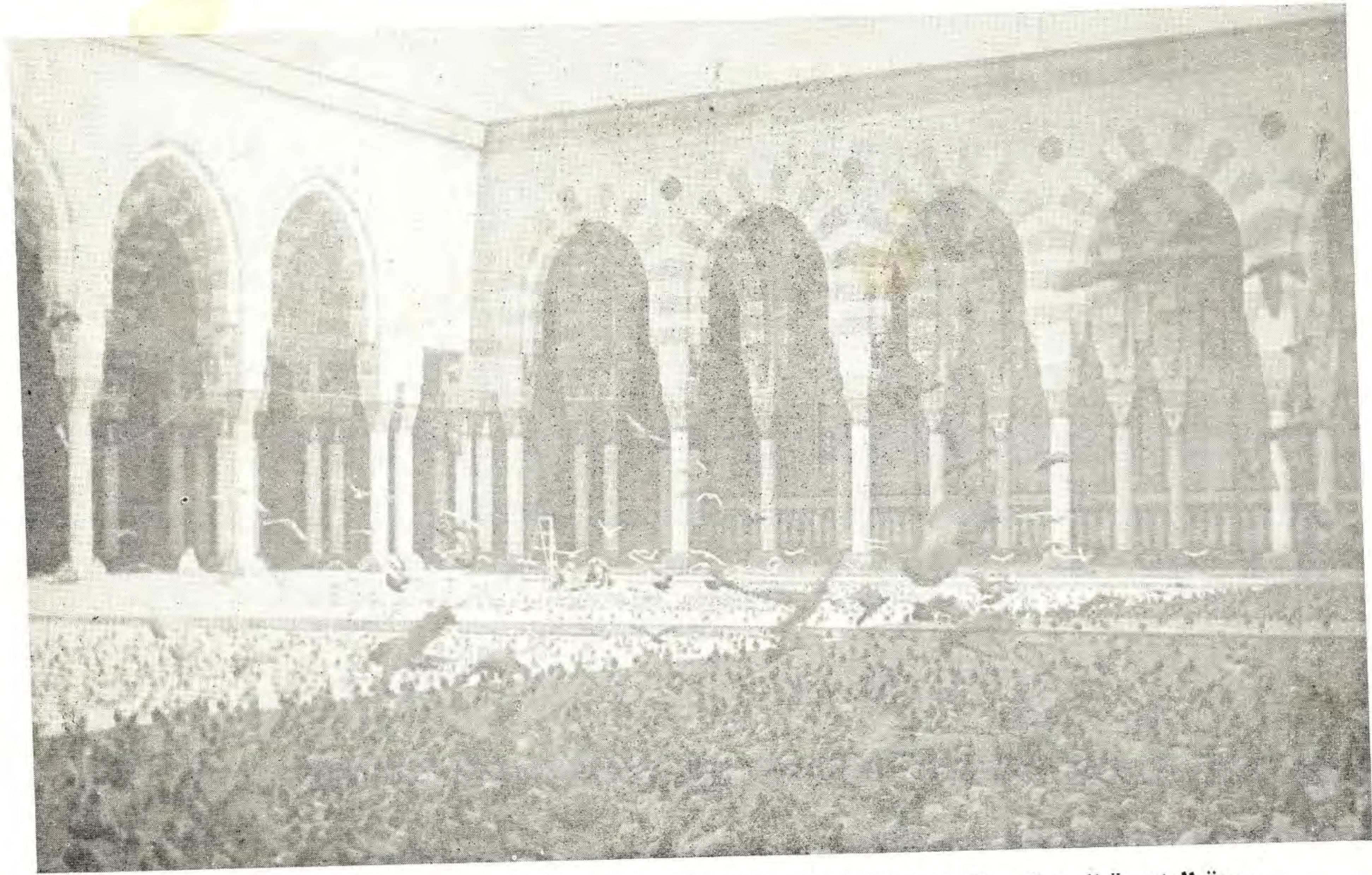
الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

السنة الثالثة * العدد الخامس والعشرون * غرة المحرم ١٣٨٧هـ - ١١ ابريل ١٩٦٧م

عدد الهجرة الممتاز





روعة الهندسة العربية تتمثل فى هذا المنظر للحرم النبوي من الداخل ، واسراب الحمام تغطي ساحة الحرم

صورة الغلاف



مسجد قباء

أول مسجد أسس على التقوى . بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قباء عند وصوله الى مشارف المدينة المنورة واستراحته هناك وقد جدد على مر الايام حتى أصبح كما تراه .

يقـول الله سبحانه عنه (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه . فيه رجال يحبـون أن يتطهروا والـلـه يحب المتطهرين) .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس والعشرون ــ السنة الثالثة
غرة المحرم سنة ١٣٨٧ هـ
١١ من ابريل (نيسان) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

اقرأ فى هذا العدد



مَعالي وَزيـر الأوقاف وَالشؤون الإسْـلاميّة يتحَدّث عَن

جُـهود الوزارة فى نشر الدعوة الاسْلاميّة

بمناسبة بدء العام الهجرى الجـديدتوجهت المجلة الى معالى الوزير عبد الله المشارى الروضان ليحدث القراء فى بدءعامها الثالث عما تضطلع به الوزارة من أعباء ، وخاصة فى نشر الدعوة الاسلاميةعلى المستوى المحلى والعالمى ، فأفضى سيادته مشكورا بالحديث التالى :

يطيب لى فى هذا العدد الذى تبدأ به المجلة سنتها الثالثة أن أتوجه بخالص الحمد والثناء لله سبحانه وتعالى الذى شرح صدورنا لحمل أمانة الدعوة للاسلام العظيم ، ونشر الوعى الاسلامى على كل صعيد. . يدفعنا الى ذلك ايماننا العميق الواعى بعظمة الاسلام ، وكونه السبيل الوحيد لانقاذ البشرية من التخبط فى دياجير المادية المعاصرة التى حملت فى طياتها من ألوان الشقاء والاضطراب والقلق ، ما لا يمكن كشفه والتخلص منه الا بالعودة الى الاسلام عقيدة ونظام حياة وسلوك. ليعيد البشرية الى الجادة القويمة المثلى ، ويبدلها أمنا بعد خوف ، واستقرارا بعد اضطراب ، وسلاما بعد قلق، وسعادة بعد شقاء ..

وانطلاقا من هذا الايمان العميق ، والشعور بالمسئولية خطت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية خطوات ايجابية فعالة نحو تحقيق رسالتها الاسلامية

على كل صعيد .. مستعينة بالله جلت قدرته ، ومسترشدة بتوجيهات صاحب السمو أميرنا المفدى ، أيده الله وحماه .

فعلى صعيد الدعوة والتوجيه الروحي والخلقي تبذل الوزارة جهداً كبيراً لبناء المساجد في كل مكان وتعميمها خاصة في المناطق الجديدة والقاصية . واتماما لرسالة المساجد أنشأت الوزارة معهد الامامة والخطابة ، ولا تدخر وسعا في تدعيمه وتطويره، ليتمكن من تخريج عدد كاف من الخطباء والائمة والموجهين على مستوى لائق يمكنهم من أداء رسالتهم على أكمل وجه .

ويأتي في مقدمة المشاريع التي تعمل الوزارة لانجازها من حيث أهميتها للمواطن الكويتي، مشروع مدينة الحجيج الكويتية ، والقصد من اقامة هذه المدينة في الديار المقدسة هو توفير جميع أسباب الراحة للحجاج خلال اقامتهم فيها وتأمين سلامتهم وراحتهم ان شاء الله .

وتيسيرا على اخواننا المواطنين الذين يتعرضون في أمور حياتهم الى مشاكل يلتبس عليهم فيها الحلال من الحرام ، فقد شكلنا لجنة للفتوى في الوزارة مهمتها اصدار الفتاوى لمن يطلبها .

وأما شؤون الوقف فان الوزارة تهتم بأمره بما يكفل حسن الاشراف عليه وحسن استثماره وسلامة توزيع عائداته على مستحقيها ..

وفي مجال الدعوة وايقاظ الروح الاسلامية خارج الكويت فان الوزارة تعنى بنشر الدعوة الاسلامية في جميع أنحاء العالم وخاصة في قارتي افريقيا وآسيا اللتين تتعرضان للحملات المعادية للاسلام التي تنظمها المؤسسات الصهيونية والصليبية ، بالاضافة الى ما تتعرض له من موجات الاباحية والالحاد .. فمن أجل مقاومة هذه الحملات وصد هجماتهم وحماية المسلمين في كل مكان من اخطارها، تعمل الوزارة بشكل دائم للاتصال بسائر الجمعيات والمراكز الاسلامية في أنحاء العالم لدعم نشاطها والتعاون معها ، والتعرف منها على أحوال المسلمين وحاجاتهم في كل مكان وتزويدها بكل ما تحتاجه من دعم مادي ومعنوي ، كتزويدها بالكتب الاسلامية المتنوعة بمختلف اللغات من عربية وأجنبية ، وتوزيع كميات كبيرة من المصاحف الشريفة بعضها مترجم الى أهم اللغات الحية .. والى جانب هذا تهتم الوزارة بالمؤتمرات الاسلامية وتساهم فيها وتعمل لتدعيمها وتشجيعها لتكون أكثر جدية وايجابية لتحقيق نفع أعم وأكمل .

وأما على الصعيد الفكري والثقافي فتعمل الوزارة على نشر الثقافة الاسلامية النيرة الاصيلة ، وزيادة الوعي الاسلامي تلبية لحاجة المثقفين من أبنائنا وشبابنا المتعطش لفهم الاسلام ، والتزود بثقافته وعلومه من منابعه الصافية ، ولهذا أصدرت مجلة ((الوعي الاسلامي)) التي تعرض الاسلام بأقلام رصينة متمكنة، وأسلوب مشوق جذاب، وتعالج المشكلات على ضوء الدين والعقل ، وتقدم ذلك كله للقراء في ثوب أنيق لم يعهد من قبل في المجلات الاسلامية .

واننا لنحمد الله على أن ذلك قد أثمر ثمرته في النجاح الكبير الذي حققته المجلة في زمن وجيز من عمرها ، لمسنا ذلك في زياراتنا لبعض البلاد الاسلامية الشقيقة، وفيما نتلقاه من رسائل القراء ، ومن الطلب المتزايد عليها ، مما حدا بنا الى أن نرفع كمية المطبوع منها في سنتها الثانية ثلاثة أضعاف الكمية التي بدأنا بها في عددها الاول . وان شاء الله سنحقق للقراء الكرام رغباتهم ، ونزيد كمية المطبوع منها في سنتها الثالثة .

وان هذا النجاح سيحملنا بلا شك على مضاعفة الجهد والعناية بها لتظل جديرة بثقة القراء فيها ، وتحقق في كل عدد تقدما جديدا في مستواها من حيث الشكل والموضوع . لتؤدي رسالتها الفكرية والروحية على خير وجه .

كما تقوم الوزارة بترجمة عدد من أهم الكتب الاسلامية وطبعها وتوزيعها على جميع المراكز الاسلامية فى العالم .. وقد تم ترجمة كتاب ((شبهات حول الاسلام)) الى اللغة الانجليزية ، وسيتم عما قريب ترجمته الى الفرنسية .

وفى مجال نشر الثقافة والوعى تقيم الوزارة كل عام موسما ثقافيا تستقدم للمشاركة فيه نخبة من قادة الفكر والرأى والعلم فى العالم الاسلامى . وقد كان لهذه المواسم أثرها المحمود الذى لمسناه من اقبال جمهور المثقفين على سماع محاضرات هذه المواسم بشكل يؤكد التجاوب الكبير الدال على الحاجة القائمة لمثل هذه المواسم النافعة .

وعلى ذكر المثقفين فان الوزارة تهتم برعاية أبنائنا الذين يدرسون فى ديار الغرب وتزويدهم بالكتب والمجلات والنشرات الاسلامية التى تحفظ عليهم عقيدتهم ، وتغنيهم برصيد طيب من الثقافة الاصيلة كما تجيب على كل ما يرد منهم من استفسارات تتعلق بشؤون دينهم الحنيف .

وعلى صعيد العلوم الفقهية والشرعية، فقد أخذت الوزارة على عاتقها تحقيق مشروع هام جدا كان ولا يزال أملا وحلما يراود الغيورين من فقهاء الاسلام وعلمائه ، ألا وهو مشروع موسوعة الفقه الاسلامي الذي بدأ العمل فيه بعون الله. والوزارة بهذا العمل العظيم الجليل تسدى للفقه الاسلامى أجل خدمة من نوعها فى التاريخ الاسلامى .. اذ تهدف الموسوعة الى جمع الفقه من أشهر مذاهبه ومن آراء الصحابة والتابعين والفقهاء .. وعرضه عرضا جديدا على نسق أشهر الموسوعات القانونية والعلمية العالمية الحديثة ، مما يسهل على الباحثين في الفقه من رجاله ومن علماء القانون والتشريع أمر الرجوع الى هذا الكنز العظيم الخالد الذى نفاخر به الدنيا فى كل زمان ومكان .. ومن حقنا أن نفخر بهذا المشروع الجليل الذى سيفتح للكويت أوسع ابواب المجد والخلود على مدى الزمن ، كما سيسجل التاريخ لها هذه المكرمة بأحرف من نور .. وانا لنشكر الله تعالى أن شرح صدورنا لهذا العمل العظيم ، ونسأله سبحانه أن يباركه ويعين على انجازه فى أقرب وقت ..

والى جانب هذا العمل العظيم تقوم الوزارة باحياء التراث الاسلامى عن طريق تحقيق وطبع أهم المخطوطات الاسلامية ونشرها اتماما للفائدة وخدمة للشريعة الاسلامية الخالدة .

هذه هى أهم المشروعات التى تضطلع وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بعبء تحقيقها والسير بها ، وهى لن تألو جهدا بعون الله من أجل عمل كل ما من شأنه اعلاء كلمة الله ورفع لواء الاسلام عاليا شامخا عزيزا .

ولا يفوتنى في ختام كلمتى أن أشكر جميع الذين أسهموا بالعمل الجدى في سائر هذه الجوانب. منتهزا هذه المناسبة الكريمة . مناسبة العام الهجرى الجديد لارفع الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح وسمو ولي العهد الشيخ جابر الاحمد وجميع اخوانى المسلمين في أنحاء العالم أصدق التهاني بالعام الهجرى الجديد مبتهلا الى الله العلى القدير أن يلهمنا جميعا الرشد والتوفيق للانتفاع بدروس الهجرة فى توحيد صفوفنا وجمع شملنا، لنستعيد أمجادنا ونحقق العزة التى كتبها الله لنا .

والله ولى التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

هذه باقات من زهور اقتطفتها من مئات الرسائل التى وافانا بها القراء من كل مكان لتكون بدلا من حديثي معك عن المجلة ، وقد أتمت من حياتها الحافلة عامين ، وبدأت بهذا العدد عامها الثالث .

باقات أعتز بها ، ويعتز كل سائر معنا على هذا الدرب الذى نسير فيه ، وينشرح لها صدور المؤمنين فى كل مكان .. اننى لاعتز بباقة الطالب الصغير أعتزازى بباقة العالم الكبير .. بل أصارحك بأن احتفالى بالباقة التى يقدمها الطالب أو الشاب ، أو القارىء العادى أكثر وأعمق .. ذلكلاحساسى بأن رسالة المجلة تتجه الى هؤلاء أكثر من أن تتجه الى غيرهم .. وأن هؤلاء هم موضع العناية والرعاية منا ومن العالم وغيره على سواء ..

وما أصدق رسالة تأتينا من بعيد ، لم يحمل صاحبها على كتابتها الا فيض من الشعور الصادق الذى لا يخالطه تزويق ولا ملق .

انها الرسائل أو الباقات التى أعتز بها حقا .. تلك التى أضع أمامك نماذج منها لتعيش معى قليلا فى روضة من روضات الاخلاص : ـ

***

من هنا على شواطىء الخليج العربى انطلقت مجلتكم الى جميع الاقطار العربية والاسلامية ، فأثلج ذلك صدور المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، وأصبح الجميع يتطلعون نحو هذا المكان الذى صدرت منه مجلتكم الغراء ، لتنير الطريق أمام السائرين في طريق الخير ، ولتضيف الى ما في أفكارنا أفكارا جديدة علينا ، عزيزة على نفوسنا .

انني فى الوقت الذي أتمنى لمجلتكم فيه اضطراد التقدم والانطلاق آمل أن تستمر فى سيرها على طريق الاصلاح والعمل المثمر .

محمد أحمد ـ الكويت

***

أبعث اليكم بتحياتى وبتقديرى العميق على جهودكم الموفقة فى مجلة « الوعى الاسلامى » ، أنه ليهمنى كثيرا نجاح المجلة ، بل يهمنى كثيرا امتيازها بالنجاح ، لانها مجلة تحمل صبغة اسلامية ، وقد تعثرت المجلات الاسلامية من قبل ، فقضى على أكثرها فى المهد . وبقى قسم منها يعانى الضعف والهزال مادة وروحا .

حوربت تلك المجلات بشتى الوسائل ، وحاربها قادة الفكر الاسلامى أيضا من حيث لا يشعرون بالسكوت عن معاونتها بالمادة اللائقة بها .

واليوم تبرز هذه المجلة قوية أمينة ، وستعيش طويلا بما يتوفر لها من عون قوى من قادة الفكر الاسلامي وجنوده .

اللواء الركن : محمود شيت خطاب ـ بغداد

***

والحق أن مجلتكم هذه تحفة التحف من حيث الطبع والاخراج والروح التى تضفونها عليها ، ان هذه المجلة كان يمكن ألا تزيد عن عشرات من المجلات (النصف ميتة)

ولكـن هــذه الروح المتوثبــة ، وهــذا الافق الواســع ، والعلـم الغزير هـو الذى يضفى على المجلة هذا الشمول ..

سأظل أكتب لك عن مدى نجاح المجلة الذى يتجلى فى اختفائها من الاسواق بمجرد صدورها. ان الباعة يعتبرونها سلعة يؤثرون بها من يحبون ويعتزون، وأصحابى يحدثوننى : اما عن العناء الذى يلاقونه للعثور على نسخة ، واما عن وسائل الاعزاز التى هم محل لها ، حيث يحتفظ لهم البائع بنسخة يخفيها عن الانظار ، وهى لا تباع بأربعة قروش الا فى النادر جدا ..

ان مجلتكم فى طريقها الى أن تصبح مجلة العالم الاسلامى الاولى .. فيجب أن ينظر لها بهذا المنظار ، وأن توضع الخطط لتضطلع برسالتها على هذا الوجه الشامل.

أحمد حسين ـ المحامى ـ القاهرة

***

اطلعت على مجلة ((الوعي الاسلامي)) . وما كان أعظم شوقي الى نبع المعرفـة الدينية من خلالها . وما أشد أعجابى بموضوعاتها الاسلامية الحية التى تسهم بقدر كبير في ابراز معالم ديننا الحنيف وتصد كيد أعداء الدين الاسلامى الى نحورهم ، وتعمل على دحض الشبهات التى يثيرها حوله المغرضون الذين لا هم لهم الا تشويه قيمه . ان مجلة ((الوعى الاسلامى)) شمعة مضيئة فى ظلام عصر تتصدى فيه المادة القيم الروحية ، وتعمل جاهدة على بلبلة الافكار وابعادها عن القيم الروحية .

رزق جاد همام ـ المانيا الغربية

***

باطلاعى على محتويات هذه المجلة ادركت الجهد الكبير الطيب المبذول فى اعدادها للمشاركة البناءة فى خدمة الفكرة الاسلامية ، وبعث التراث العربي ، الامر الذي يجعلها فى مقدمة الركب الداعى الى طريق الحق ، والسائر نحو الهدف الامثل .

انني أبارك جهودكم وأرجو لكم ـ من كل قلبي ـ توفيقا مطردا وتقدما متواصلا.

مصطفى عبد السلام التريكي

عميد كلية أصول الدين ـ الجامعة الاسلامية ـ ليبيا

***

يسرني أن أخبرك أن مجلة « الوعي الاسلامي » تصل الى أقاصي المعمورة وتؤدي عرضها الجليل . أنا طالب سعودى فى جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وقـد تعرفت على المجلة صدفة عند صديق مسلم هنا لا يتكلم العربية ، ولكنه مشترك فى المجلة . ناسبتنى فيها المقالات التحليلية والموضوعات التعليمية ، وأعجبت خاصـة بروحها . أعانكم الله على خدمة دينه ونشر الاسلام على الطريقة السليمة البعيدة عن مصطلحات السجع والقافية التى سئمها الناس .

عادل أحمد بشناق ـ كاليفورنيا

***

بارك الله جهودكم وأيدكم بروح من عنده .. والحق يقال ان مجلة الوعى قد سدت ثغرة فى مجال الصراع الفكرى لم تسدها غيرها حتى اليوم ، وذلك من فضل

الله تعالى وبتوفيق العاملين فيها والمشرفين عليها .. سدد الله خطاكم وقواكم لنصرة دينه واعزاز شرعته وقرآنه ـ والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

فتحي يكن ـ طرابلس ـ لبنان

***

لقد سنحت لى الفرصة وأطلعت على مجلتكم الغراء ، وقد احتلت مكانا عاليا فى نفسي لما فيها من موضوعات اسلامية ، ولحسن تبويبهـا ، وانهـا ان دلت عـلى شيء فانها تدل على جهود قيمة مخلصة .

بياض الدروبى ـ لندن

* * *

لا داعى هنا أن أسطر اعجابى الشديد بمجلتكم الغراء ، فرسالتى هذه تؤكد ذلك ، كما أن حرصي الشديد على قراءتها ومطالعتها يثبت ذلك .. وقد سرني تأكيدكم المستمر بأن المجلة لن تكون نسخة مكررة من المجلات الاسلامية الاخرى ، بل ستحاول أن تتفاعل مع مشاكل الحياة المتجددة والتطور الدائم ، وتقيس لك الامور بمقاييس الاسلام .

أبو عبد الله ـ كريتر ـ عـدن

* * *

يسرنى أن أهنئكم بهذا المجهود الكبير ، وهذا العمل الشامخ الذى تقومون به خدمة للاسلام والمسلمين على صفحات ((الوعى الاسلامى)) التى قرأتها هنا ، فقرت عينى وسر قلبى ، وقمت بتسطير هذه الرسالة اليكم داعيا لكم بالتوفيق والســداد والعون على أداء هذه الرسالة العظمى .

سليمان محمود عطا ـ سيراليون

* * *

مجلتنا ـ الوعى الاسلامى ـ خطوة فى طريق نير طويل ، وشمعة متقدة تضيء الطريق لاولى الالباب والابصار .

فالله أكبر .. وضح الحق ، وانبلج الصبح ، وبدأ الظلام وأنصاره يلملمون مؤخرتهم الى غير ما عودة .

فحمدا لله على نعمائه أن قيض لنا هذه المجلة ، نافذتنا على الحياة الاســلامية الصحيحة ، ومستندها فى بيان الحق عندما يعز المستند .

محمد سعيد ـ جامعة دمشق

* * *

من بلاد الامير عبد القادر الجزائري العربية المسلمة ، ومـن عاصمتـه بالذات ((معسكر)) يسرنى أن أكاتبكم مهنئا اياكم بصدور مجلتنا ((الوعى الاسلامى)) التى أضفتم بها الى جيش الاسلام والعروبة ، كتيبة أخرى لتساهم بدورها في ايضــاح وجه الحقيقة الذى طالما عملت على طمسه أغراض مسمومة ..

فباسمى وباسم جماعة ((معسكر)) المثقفين أهنيء العروبة والاسلام بهذه المجلة، وبهذا الكوكب الوضاء الذى طلع من بلاد عربية اسلامية عريقة ، لها مواقف حميدة

في مجالات العلم والمعرفة ، فتحياتنا الى الكويت الشقيقة أميرا وحكومة وشعبا ، من الجزائر العربية المسلمة المجاهدة .

محمد عبد الوهاب ــ الجزائر

***

لقد كان لبروز مجلــة الوعي الاسلامي الى حيز الوجود أعظــم الاثر فى نفسي ونفس كل شاب مسلم يتطلع الى الغد الاسلامى ويعمل لمستقبل الاسلام .

ان اشراقة هذه المجلة الاسلامية الواعية سيكون لها ولا شك أثر كبير فى تبديد الظلام . وستكون كذلك ولا شك مصباحا يستضىء به الداعية الاسلامى فى دروب الحياة وفى دروب الدعوة.

نرجو من الله أن يوفق مجلتكم لما تصبو اليه ، وأن ييسر لها شرف الاخذ بيد أمتنا الاسلامية التائهة في حاضرها . وأن تكون صوتا للاسلام ينبعث من الكويت الى كل الآفاق ليملأها شذا وعطرا . ونرجو من الله أن يجد فيها الشباب المسلم بغيتــه ومنفعته .

قارىء من قطر

***

مرحى لهذه المجلة وبالقائمين عليها والمساهمين على نشرها بين الامة الاسلامية .

ولا يسعنا فى هذه المناسبة الا أن نرفع أكف الضراعة الى الله جل وعلا أن يجعل لهذه المجلة مستقبلا باسما ونجاحا دائما . آمين

محمد بلى الفوتى المشرف على شئون المسلمين
توجو غرب أفريقيا

***

أكرر لكم التهنئة على مجلة الوعى الاسلامى موضوعا واخراجا ، فان ما يلف اطارها كله ــ من سماحة الاسلام والتجديد فيه ــ فى اتزان ، وتوفيق حكيم بين المحافظة ومجاراة التقدم لما يؤكد البشرى دائما فى نجاح دعوتها واتساع رسالتها .

وبهذه المناسبة أرجو زيادة ما يرسل منها الى مصر كل شهر ، فلا تزال أعدادها قليلة مع باعة الصحف ، وما يرد من النسخ شهريا يتخطفه السابقون من المشترين ، على حين لا يحظى المتخلفون يوما واحدا بما يريدون .. وقد عاينت هذه الظاهــرة وعانيتها بنفسي ، وسمعتها من اخواني الحريصين على اقتنائها ، فلا يجدونها الا بشق الانفس ، وقد تفوتهم بعض أعدادها .

محمد عبد الغنى حسن ــ القاهرة

***

لقد كان لظهور مجلتكم القيمة أثر فعال فى كل مجتمع كان ولا يزال يتخبط فى مشاكل دينية ، والكل يؤمن بانها هي الوحيدة القادرة على اخماد هذه التيارات ، وعلى تمزيق الحجب عن مشاكل غمضت على أي واحد ، ولم يجد السبيل الى حلها حــلا صحيحا ، ولذا فاني كقارىء عربي ، أرفع الى أسرة المجلة التهاني الحــارة . وأملي الوحيد هو أن يطول عمرها لتخدم الشريعة الاسلامية وتعمل على توطيد ركائزها .

وانني آسف كثيرا لعدم وجود مجلة ((الوعي الاسلامي)) ، بكثرة هنا ، فمدينة الدار البيضاء أهم المدن المغربية قاطبة ، فمجلتكم ليست موجودة فى جميع المكتبات

ك ((العربي)) مثلا ، فيتعذر علينا اقتناء المجلة . ويرجع السبب الى قلة اعـدادها المرسلة من الكويت على ما أظن .

مصطفى قبال ــ الدار البيضاء

***

ومن متعهدي التوزيع .

الخرطوم . لامرتجع . نرجو زيادة كمياتنا . برقية
بورسودان . زيدوا الكمية المرسلة لنا . كتاب
القاهرة . نفد عدد رمضان من الاسواق فى الساعات الاولى ، نرجو زيادة كمياتنا.
(برقية) شركة توزيع الاخبار .
وكان قد نزل السوق بعد ٢٠ من رمضان .
نرجو مضاعفة الكمية المرسلة لنا (كتاب) شركة توزيع الاخبار .

***

وهكذا يفرض العمل الجاد المتقن وجوده ، ويثمر الاخلاص ثمرته ، ويتجاوب معه المخلصون من كل مكان وتشرئب اليه أرواح عطشى وجدت فيه ريا طال انتظاره ، وأملا كان يراود نفوسهم ويتمنون تحقيقه ولقاءه . وغرسا نما وأثمر قبل أوانه ، ومولودا تكلم في مهده ، فأحاطوه برعايتهم ، وتعهدوه بعنايتهم ، وأمدونا بطاقة قوية من روحهم ، فضاعفنا الجهد ، واستعذبنا الجهد، وحاولنا أن يكون كل عدد جديد خطوة الى الامام، وحمل معنا هذا العبء ، زملاء القلم والفكرة من كل مكان ، فقدموا ثمار أفكارهـم ، وخلاصة تجاربهم ، وعصارة بحوثهم ، مشكورين .

وها نحن أولاء نقف على عتبة العام الثالث مغتبطين بمـا حققنا ، متطلعين الى أفق أوسع ، وغد أرحب نستزيد من عزمك عزما ، ومن تقديرك قوة وحزما ، ومـن اخلاصك حماسا وتفانيا ، ومن اقبالك دأبا ومثابرة ، سائلين الله العلي الكريم ــ بقدر اخلاصنا له وتفانينا في كسب رضاه ــ أن يسدد خطانا ، ويمنحنا الجلد والصبر على مشاق الطريق ، ويلهمنا بفضله الرشد والتوفيق ، ويعفو عن العثرات ، ويتجاوز عن الهفوات ، فما قصدنا الا وجهه ، وما هدفنا الا الى رضاه .

أخـــي :

لا زلت أقول وأرجو ــ ونحن فى ذكرى الهجرة وبدء العـام الثالث ــ أن تكون مجلتكم هذه هي مجلة الشباب المسلم ، الذي تخطفته الاقوال المعسولة والاغراءات المجنونة والبهارج الزائفة ، والاغاليط المحبوكة ، واستغلت فيه أحيانا غريزته ، وأحيانا قلة بضاعته ، وأحيانا نزوعه للانطلاق والتحرر ، بل وللتمرد على موروثاته وتقاليده لتفصله عن دينه ، وتعزله عن أمته ، وتصنع منه انسانا بلا أصول ولا جذور ، ولا روح، ليسهل عليها بعد ذلك أن تقطعه عن ماضيه . وتلقى به في ظلمات التيه .

هذا الشباب الذي تتساقط عليه هذه المعاول ، نريد أن نخاطبه بلغته ، ونعيش معه فى مشاكله ، وننظر ، اليه على أنه فى حاجة الى رعاية وعناية وحماية . هو ابننا تريد الذئاب أن تتخطفه . ولا نحتمل أن نتركه لهؤلاء الذئاب ..

ان جانبا كبيرا من حمايته يتوقف علينا نحن الذين ندعوه ليحتمي بدينه ، ويدرع

بعقيدته . انه في المدرسة لا يأخذ المصل الواقى الكافي ، وهو في قراءته الحـرة أكثر أقبالا منه على قراءته المقررة .. فماذا علينا أن نفعله ؟ ..

انه يجابه مشاكل ، وتتوارد على أفكاره تيارات وشبهات ، ولا بد لنا كأطبـاء الكلمة والروح أن نطب له ، ونختار أحسن الدواء وأنجحه ، ونقدم له ما يحل مشاكله، ويقضي على ((التلبك)) النفسي والفكري الذي يصاب به ونحصنه ضد النزلات التي يصاب بها من التيارات العاصفة ..

ومن أجل ذلك ، وشعورا بالمسئولية أكرر ندائي لارباب القلم ، وأطباء النفس والروح ، أن يؤثروا الاتجاه الى هذا الميدان بالاسلحة الحديثة التي ينازلنا بها أعداؤنا ، والا يجعلوا كل همهم أن يكتبوا مقالا ، بل يجعلوا هدفهم أن يصيبوا مرمى الاعداء ، أو يبددوا ظلاما يحيط بأبنائهم ، ليتضح لهم الطريق، أو يقتلوا جرثومة تلعب بافكارهم، وتصيبها ((بالانيميا)) وتفقدهم التوازن .

كم أحس الخطر .. اذا تركنا شبابنا بدون حصانة روحية حتى يشبوا ويتسلموا مقاليد الامور فى بلادهم . وكم أحس المسئولية .. مسئوليتنا نحن حكاما ومحكومين تجاه مستقبل هذا الدين وهذه الامة .

ان كل تهاون منا الآن ـ مهما يكن صغيرا ـ ربما يحول مجرى المعركة ، ويحول بالتالي مجرى التاريخ ، تاريخ هذه الامة .. ومن هنا أقول : ((خذوا حذركم)) .

أقولها لكل من يستطيع أن يتحدث بكلمة الله . كلمة الخير والدين والحق ..

أقولها لكل من يستطيع أن يخط سطرا يرسم به طريق الهداية ..

أقولها لكل من يضع أو ينفذ منهجا يربي على أساسه الجيل الناشىء الجديد .

أقولها لكل من يستطيع أن يضع توقيعـه على أمر فتسخر قوى الدولـة كلها لتنفيذه ..

أقولها لهؤلاء جميعا ونحن نحتفل بذكرى الهجرة ونردد دروسها وعبرها،ونسجل مواقف البطولة والتضحية والاخلاص فيها .

أقولها ونحن نذكر اسلافا كراما ضحوا بكل ما يملكون من مادةوجاه،واسترخصوا فى سبيل العقيدة الحياة ..

أقولها وأمامنا تجربة . نعم كانت مريرة وقاسية ، ولكنها كانت ناجحةومظفرة..

واذا كان هؤلاء الكرام على الله وعلى الناس قد تركوا أوطانهم ، وعرضوا حياتهم للاخطار نجاة بعقيدتهم وكرامتهم فلقد أصبحت الهجرة معنى يرتبط بهجر الانسان لشهواته وأهوائه حين تقف فى سبيل اعزازه لدينه وأمته ..

وما أشد حاجتنا الآن الى هذا المعنى من الهجرة نحققه فى نفوسنا ونجعله سلاحنا للنصر فى هذه الحياة وفى كل مجال ...

وتهنئة مخلصة لاخواننا المسلمين بذكرى الهجرة ورجاء من الاعماق أن يسدد الله الخطى ، ويجمع الصفوف ، ويوحد القلوب ، حتى نرى فى هذا العام الجديد الصورة الكريمة التي نبتغيها لامتنا الاسلامية ..

عبد المنعم النمر

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

رسالة رسل الله رحمة وحجة

« عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ليس أحد أحب اليه المدح من الله عز وجل، من أجل ذلك مدح نفسه ، وليس أحد أغير من الله ؛ من أجل ذلك حرم الفواحش ، وليس أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل » .

رواه مسلم

اقتضت حكمة الله العلى الكبير ألا يعذب أحدا بأى نوع من العذاب الدنيوى أو الاخروى مجازاة له على فعل شيء أو تركه الا اذا أرسل رسولا يهدى الى الحق ، ويردع عن الضلال ، ويقيم الحجج ، ويمهد الشرائع ، ويبلغ الدعوة ، قال سبحانه . (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى . (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا فى ضلال كبير . وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير) وقال عز من قائل (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) ...

فقد أرسل الله المبشرين والمنذرين الى العباد منذ بدء الخليقة ، فما من بقعة عمرت على ظهر الارض الا وجاء أهلها رسول من عند الله داعيا الى الحق باذنه وسراجا منيرا .

قال تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير) . وما ذهب اليه بعض أهل التأويل من أن هذه الآية الكريمة لا تدل

على أن الله سبحانه أرسل رسله الى جميع الاقوام والامم ، اذ المراد أن الله عز وجل لم يستأصل أمة بالعذاب الا بعد ان قطع أعذارها بارسال رسول اليها يحذرها عاقبة كفرها وانحرافها . هذا التأويل يأباه قوله تعالى . (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .

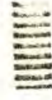
وهؤلاء المرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين منهم من ورد ذكره وذكر أمته فى الكتاب الكريم ، ومنهم من لم يرد فيه خبره ولا خبر قومه . قال سبحانهوتعالى. (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) كالذين أرسلوا الى الامم المجهول تاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك .

جاء فى تفسير المنار فى الجزء السادس منه ص « ٧٠ » عند تفسير قول الله تعالى (ورسلا قد قصصنا هم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) الآية ١٦٣ من سورة النساء ـ ما نصه . « ورسلا لم نقصصهم عليك » أى كالمرسلين الى الامم المجهول علمها وتاريخها عند قومك وعند أهل الكتاب المجاورين لبلادك ، كأمم الشرق . الصين واليابان والهند ، وأمم بلاد الشمال ، أوربة ، وأمم القسم الآخر من الارض (أمريكا) .

وانما لم يقص الله تعالى عليه خبر الرسل الذين أرسلهم الى أولئك الاقوام لان حكمة ذكر الرسل وفوائد بيان قصصهم له صلى الله عليه وسلم لاتتحقق بقصص أولئك المجهول حالهم وحال أممهم عند قومه وجيران بلاده من أهل الكتاب ، وهذه الحكم والفوائد هى المشار اليهافى مثل قوله تعالى (لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب) سورة يوسف : ١١١ وقوله وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبتبهفؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى لمؤمنين) سورة هود : ١٢٠ وقوله (وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) سورة القصص. ٤٤ ـ ٤٦ .

فالعبرة والتثبيت والذكرى والاحتجاج على نبوته صلى الله عليه وسلم كل ذلك يظهر فى قصص من ذكرهم من الرسل دون حاجة الى من لم يذكرهم ، وحسبنا العلم بأن الله تعالى أرسل الرسل فى كل الامم ، فكانت رحمته بهم عامة لا محصورة فى شعب معين احتكرها لنفسه كما كان يزعم أهل الكتاب . غير مبالين بكونه لا يليق بحكمة الله ، ولا ينطبق على سعة رحمته قال تعالى . (سورة النحل ٣٦ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيهانذير) سورة فاطر : ٢٥ .

وهذه حقيقة من حقائق العلم الالهى والدين السماوى لم يكن يعلمها أهل الكتاب الذين يزعم مشاغبوهم ان القرآن مقتبس من كتبهم ، وكم فيه من هذه الحقائق ولكن طبع على قلوبهم فهم لا يعقلون . ولا نخوض فى احصاء



الانبياء والرسل فانه لا يعلم الا بوحى من الله تعالى ، ولم يبين الله ذلك فى كتابه ، ولا رسوله فيما صح من الخبر عنه .

وكل هذا الكلام واضح بيّن صريح فان الله تبارك وتعالى لم يحرم أمة نصيبها فى هداية الرسل فأرسل رسله تترى ليعلموا الناس ما يجب عليهم فعله ، وما يجب عليهم تركه ، حتى يثابوا أو يعاقبوا (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . .) (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فالدين تشريع الهى لا يستقل العقل بالوصول اليه ، ولا يعرف الا بالوحى ، وهو موافق لسنة الفطرةفى تزكيته للنفوس واعدادها للحياة الأبدية فى الدار الباقية ، ويترتب على العمل به أو تركه جزاء حدده الله فى الدنيا والآخرة . .

ولن يكون هذا الجزاء الا لمن بلغته الدعوة على الوجه الأكمل الصحيح الذى يريده الله ، ويبلغه رسله عليهم السلام، والله تبارك وتعالى لم يقصص علينا سير جميع الرسل عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام ، والحكمة فى هذا جد واضحة كل الوضوح ، فان عدد الذين بعثوا منذ أن استقر الانسان على الأرض من الكثرة بحيث لا تتسع عدة أسفار حتى لمجرد سرد أسمائهم عليهم السلام ، وقد ورد الكلام عنهم مجملا فى كثير من آيات الذكر الحكيم قال تعالى . (ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون) . . وهذا يفيد كثرة المرسلين وان من أرسلوا اليهم كذبوهم واتبعوا أهواءهم .

ولئن كانت معظم الأخبار المنقولة عن الأمم السابقة تدل على أن تلك الجماعات عولت فى عقائدها على الأوهام فلا يصح بناء على ما قرره القرآن الكريم . . . أن يقال انها لم تنل حظها من الرسل فضلت هذا الضلال البعيد وانما المقطوع به والذى لا يتسرب اليه الشك لدى المؤمن أنها حادت عن جادة المبعوثين ، فهوت فيما تردت فيه من البعد عن الحق واتباع الهوى (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين . وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزئون) وقد اقتصر القرآن العظيم فى حديثه عن الرسل عليهم السلام على المعروفين لاتباع موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، لأن فى ذكر غيرهم اطالة لا مبرر لها يغني عنها الاجمال الذى أورد فى هذه الآية الكريمة التي سبقت الاشارة اليها ، وهذا من معجزات القرآن الكريم ، فالله سبحانه عالم بأنه سيأتى زمان تترابط فيه الأمم ترابطا قويا باكتشاف وسائل الانتقال السريعة ، وحينئذ يتساءل الناس هل أرسل الله رسلا الى الأمم التي لم يكن بيننا وبينها اتصال قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ واذا لم يكن فلماذا حرموا ذلك ؟

وربما بدت شبهة أخرى على القرآن المعجز وقد جاء فيه . (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) فالالمام بالقضية على

هــذا الوجه المجمل الكافى يعد آية تثير الاعجاب لدى المفكرين الذين يعلمون أن من عاصروا نزول القرآن كانوا يظنون أن حدود العالم لا تمتد الى أكثر مما وصل الى علمهم حينذاك .

ولقد قرر القرآن العظيم أن الله تبارك وتعالى كان يرسل الرسل الى تلك الأمم، فلا يرفعون بهدايتهم رأسا ، ولا يقبلون هدى اللــه الذى أرسلوا به ، بل كانوا يسخــرون منهم ، ويسـفهونهم قــال تعالى . (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون . قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون) . وقال سبحانه . (يا حسرة على العباد ما يأتيهــم مــن رســول الا كانــوا به يستهزئون) وصــدق اللــه القائل . (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون) والقائل سبحانه . (.. وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون. فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ..).

فتلكم الآيات الكريمة وكثير غيرها مما اشتمل عليه الكتاب العزيز تدفع ما قد يقال . ان الديانات التي عمت الجماعات البشرية فى جميع أطوارها التاريخية انما كانت مجموعة من الأباطيل والأضاليل . فلو أنهم حظوا برسل يهدونهم سـواء السبيل لكانوا أفضل مما وجدوا عليه ، فلهذا كان فى تأكيد القرآن أن الله سوى بين البشر جميعا فى ارسال رسله بهداية السماء اليهم ، ولكنهم آثروا أن يقيموا على أساطيرهم وان يطرحوا ما جـاء به الوحى من عند العلى الكبير دافع قوى لهذا الالتباس .

ويؤيد ذلك تأييدا لا يقبل النقض ما هو مشاهد من أحوال الأمم التي دخلها الفاتحون من أوروبا وأمريكا ، ولا يزال معظمها على حاله يوم دخلوها رغم محاولة تغيير عقائدهم التي ورثوها بأســاليب شتى لكنهم لم يظفروا الا بالنجاح القليل رغم الجهود الجبارة التي لا حدود لها .

ولقد حدثنى سيد فاضل منذ أيام جاب كثيرا من البلاد المتأخرة فى عقائدها ، وأقام بين أهلها طويلا قال . ان المثقفين مــن بعض الطوائف التي تعج بها تلــك البلاد يعودون بعد أن نهلوا مــن أرقى جامعات أوروبا فيرتدون رداء العقيــدة التي شبوا فى نطاقها ، مع أنه لا يمكن لها أن تنسجم مع العقل ، ولا تتفاعــل مع الواقع وكأن لســان حالهم يردد الآية الكريمة . (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) .

أعتقد أنه بعد هــذه الآيات الكريمة ، وبعد هذا البيان الواضح لا يصح بحال أن يقال . ان الله لم يرسل رسلا الا فى رقعة ضيقة من الأرض هى ما بين الفرات والراين ، وما بين قزوين والنيل وانما الواقع أن الله أرسل رسله لكل البشر ولكن من أقوامهم من آمن ومنهم من كفر .

- اسوأ حاكم من لم يستطع أن يحكم نفسه .
- عير شريف رجلا بأنه ليس ذا نسـب عـريق فقـال الثاني : ان اسرتي ابتدأت بي واسرتك انتهت بك .
- العبيد يحكمون بسادتهم ، وضعاف النــاس يحكمون بأهوائهم .

من ملامح النبوّة

الارهاص قبل الوحى

لم تكن نبوة الانبياء ، ولا رسالات الرسل ـ عليهم جميعا صلاة اللهوسلامه ـ من قبيل الوحى المفاجيء كما يتوهم البعض .

بل كانت بعد مقدمات من جانب الله ـ تعالى ـ تتعلق بالانسان الذى سيختاره الله لنبوته ، أو لرسالته .

فتكون هذه المقدمات امارات سابقة ، تدل الناس ـ فى حينها ـ على ما سيكون لهذا الانسان من شأن خاص .. ثم يحقق الله تلك الامارات بالوحى من عنده ، الى عبده الذى اختاره وأرهص له .

وليكن حديثنا ـ أولا ـ عن الارهاص حتى نفرغ منه ـ بعد ـ ثم يكون الحديث عن الوحى .

(أ) الارهاص

١ ـ قال فى القاموس المحيط : أرهص الله عبده : جعله معدنا للخير .. وقد اصطلح العلماء قديما على تسمية الملامح التى تبدو فى جانب هذا العبد ـ ارهاصات ـ .

والمعنى المقصود : أنها أمارات من الله على أن هذا الانسان معدن الخير ، كما هو المدلول اللغوى ..

وقد حدثنا القرآن الكريم ، والسنة النبوية والتاريخ عن جملة ـ من الارهاصات بالنسبة لفريق من الانبياء والرسل ، من غير استيعاب للجميع .

ولم يتوسع القرآن الكريم ، ولا السنة فى هذا الشأن عن الجميع لانه شىء يطول .. والله ـ تعالى ـ يريد أن يبين لنا فى تخفيف عنا : دون ان يشق علينا ما لا نطيقه « يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » .

« ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » .

وأما التاريخ فلم نجعله عمد تنافى هذا، لما عسى أن يقال فيه .

هذا وقد ذكر الامام القرطبي ـ فى تفسيره ـ ما روى عن أبى ذر الغفارى ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : « قلت يا رسول الله .. كم كانت الانبياء .. وكم كان المرسلون ؟؟ قال صلى الله عليه وسلم ـ كانت الانبياء مائة ألف ، وأربعة وعشرين ألف نبي .. وكان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا » .

ثم قال القرطبي : هذا أصح ما روى فى ذلك .. وهذا كلام بين ، وفيه الكفاية لان ما روى فى ذلك كثير ، وليس كله راجحا ، كما صرح الامام القرطبي .

والقرآن الكريم لم يتعرض لهذا العدد كله ، كما نوهنا : تخفيفا ، وتيسيرا .

والرسالة

للشيخ محمد عبد اللطيف السبكى

وحينما نستعرض ما ورد موجزا فى القرآن الكـريم ، والسنة مـن تلـك الارهاصات ، او الملامح : سنراها تأخذ فى القلب نصيبها من الروعة ، وتثير فى النفس مباهج الاعجاب ، وتنبه الانسان : رويدا ، رويدا من غفلة الى يقظة .. ومن جهالة الى معرفة .. ومن انكار الـى ايمان يوم كانت تلـك الارهاصـات فى عصرها ، او بعد عصـرها لمن لا يزالون فى شقاق عن بعض الانبياء ، والرسل .

وحينما يفقه الانسان ، ويصيب الحق يتأكد أن تلك الارهاصات كانت وسيلة رحيمة بالانسان الذى تعلقت به اذ جعله الله معدنا للخير لانها تمهيد له ، وتوجيه للانظار نحوه .. فلا يكون ظهوره بالوحي فيهم بعد ذلك : بعيدا كل البعد عـن مألوفهم ، وما عهدوا فيه من الخير ولا يستوحشون منه كما يستوحشون من غـريب دخيل عليهـم ، فيتجهمـون له جميعا ، أو يتهجمون عليه .

وكذلك يتأكد من يفقه ، ويصيب الحق: أن تلك الارهاصات كانت وسيلة رحيمة بالقوم .. لانها تخلق فيهم وعيا سابقا وتثير بينهم تفكيرا فى شأنه، ومناجاة فيما عهدوا من ملامحه التي لم تكن لغيره من جمهرة الناس فى محيطهم .

وذلك التمهيد يقرب الساعة العقلية بينهم وبينه ، ويدنيهم أو يدنى فريقا منهم الى الاستئناس به ، ويكون هذا التمهيد سبيل التجاوب بين الداعى ، والمدعوين ، وأيسر على الجانبين كثيرا مما لو فاجأهم بالوحى من الله ، دون ارهاصات تتقدمه، توقظهم من غفلاتهم .

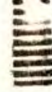
ويوضح قولنا هذا أن الله ــ تعالى ــ جرت سنته على أن يختار نبيه أو رسوله من بين قومـه ، ليكونـوا على معرفـة بشخصيته ، وعلى علم بسيرته ، وعلى خبرة بأصـوله ، وبكل ما يدور حولـه فيهم .

فلا يكون مريبا .. ولا مسترابا فيه .. ولا يكون مغمـورا فى نفسـه ، ولا مغموزا فيه .

واذا سفهوا فى شأنه كانمردودا عليهم بالواقع الذى يعلمونه حقا دون أن ينزل قدره عن مكانتـه التي هيأها له ربه ، ولا عن كرامته التي أقامه الله عليها ..

وان تناولوه من ناحية تمسه من هذا القبيل أو من قبيل دعوته : فالله كفيل بحمايته ، ويظل بتكريم الله من المصطفين الأخيار ، لم يمسسه سوء القالة .

وان ازهقوا روحه وسفكوا دمه : فانما هو الاستشهاد فى سـبيل الله : يذهب



ضحيته الأخيار من عباد الرحمن .. ويبوء باثمهم الأشرار منجنود الشيطان.

وكان المفروض بعد أن تحصل الارهاصات لمن جعلهم الله معدن الخير أن يكون للعقول رشاد ، وللقلوب تبصر ، فلا تتخلف الاستجابة المرموقة عن المقدمات المشهودة بما أرهص الله به لعبده ..

ولكن الناس يختلفون فى فطرتهم ، وفى ميولهم .. فمن حسنت فطرتهم واستقامت ميولهم كانوا مهتدين ، وقليل ما هم ، ومن عميت بصائرهم وانحرفت ميولهم ضلوا عن الرشد ، واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ، الا من رحم ربك .. » .

الارهاص لآدم ((عليه السلام))

١ ـ كان الارهاص من فجر الحياة الدنيا .. فحينما أراد الله أن يلقى الأضواء حول عبده آدم قبل أن يكون له شأن معروف أخبر الملائكة بقوله ـ سبحانه ـ « انى جاعل فى الأرض خليفة » فأدرك الملائكة من هذا ، أو من امارات بجانب هذا النبأ : أن ذلك تنويه بما سيكون لآدم فى هذا العالم من قدر خطير .. لأن آدم هو الوافد عليهم ، فليس لديهم من مخلوق يتجه اليه الفكر سوى هذا الانسان الأرضي الذى كرمه ربه ، فذلك ارهاص مبكر ، تنبه له الملائكة ، وعلقوا عليه بالاستفهامات ، والتعاجب ، وسبق الى ذهنهم أنهم خير وأولى بالخلافة فى الأرض من هذاالانسان الذى لم يكن مستخلصا مثلهم من عالم النور ، ولا مطبوعا مثلهم على تسبيح الله ، والتقديس .. ولكن الله رجع بهم الى حكمته ، وعلمه الرباني فقال لهم « انى أعلم ما لا تعلمون » .

٢ ـ ثم كان ارهاص آخر : بما أفاض الله على آدم من علم لم تتهيأ له طبيعة الملائكة « وعلم آدم الأسماء كلها » اسماء المخلوقات من بحار ، وأشجار ، وجبال ، ونجوم ، وكائنات أخرى .. مما له ارتباط بحياة آدم فى الأرض ، التي سيكون خليفة فيها .. هو وذريته الى يوم القيامة ، يعبدون الله فيها ، ويستثمرونها بجهودهم .

٣ ـ وكان ارهاص ثالث : بتلك المناظرة التي امتحن الله فيها الملائكة اذ عرض عليهم أن يجيبوا عن تلك المسميات ، فلم يكن لهم الأمداد الذى ظفر به آدم . وهذا لعدم الأهلية لذلك العلم .. ولكن كان بطبيعته متأهلا ، وكان بامداد الله له عالما ، ومجيبا عما سئل ..

٤ ـ ثم كان ارهاص رابع : بتكليف الله للملائكة أن يعظموا آدم تعظيما يناسب مقامه بعد أن تبين لهم ما كان خافيا عليهم من حكمة الله فى صنعه ، واختياره للانسان دون الملائكة ...

٥ ـ ويكون الارهاص الخامس بتوبيخ الله لابليس على امتناعه من تعظيم آدم تعظيما أشاد الله به، حتى سماهسجودا ، وان لم يكن سجودا على الجبهة كما نعهد .. فان هذا النوع لم يشرع لغير الله .

٦ ـ وينتهى ذلك الارهاص فى هذه القضية بطرد ابليس من الجنة ، رجيما مسخوطا بلعنة الله الى يوم الدين بسبب عصيانه لله فيما أمره من تعظيم آدم ، ويلعنه الناس على وجه الأرض دائما .

لم يكن آدم أثناءهذا نبيا ، ولا رسولا، وانما هى تمهيدات لما يصادفه بعد ذلك من الوحى .. فأى ارهاص يكون أبلغ من هذا فى مطلع التاريخ البشرى ؟ .

ثم يقال : هل كان هذا الارهاص تمهيدا لنبوة آدم ، أو لرسالته كذلك ؟ .

ويختلف العلماء فى تحقيق هذا .. ففريق يقرر أنه نبى فقط ، لعدم وجود قوم يحتاجون الى رسول فيهم .. وآخرون يعتبرونه رسولا الى ذريته الذين عاش فيهم أزمانا وعلمهم مما أوحى اليه ربه .. وكيفما كان الرأى الأرجح .. فآدم نبى على أقرب الوجوه ، ورسول على قول راجح .

وتلك ارهاصات له - عليه السلام - وهذا ما أثبتناه من نصوص القرآن الكريم - وكفى .

الارهاص لاسماعيل عليه السلام

١ - قدم ابراهيم - عليه السلام - على مكة وهى خلاء من السكان ، ومعه زوجته هاجر المصرية وولده اسماعيل ، ثم تركها فى رعاية الله حيث لا أنيس ، ولا جليس ، ولا زرع ، ولا ضرع ، وانما هو تنفيذه لأمر الله ، واستئناس منه برعاية الله وقال « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (٣٧ - سورة ابراهيم) .

فهذه الدعوات التي جرت على لسان ابراهيم حين مبارحته لتلك البقعة الجرداء التي اختارها الله مقاما لزوجته ، ولولده الوحيد الذى رزق به على كبر من السن ، وبعد تشوق ورجاء - تعتبر ارهاصة لاسماعيل ، وفى طيها أسرار علوية ستبدو على الأيام .

ثم يخلق الله الماء - بعد ذلك - بجانب اسماعيل ، ويجمع حوله السكان ، ويعمر الوادى بأهله الذين استوطنوه من العرب ، ويشب اسماعيل فيهم ، ويترعرع جسمه على خير ما كان يرجو أبوه ، وعلى خير ما كان يطمع ابراهيم فى تأهيل المكان بأفئدة من الناس تهوى اليه .

٢ - وبعد ذلك أذن الله بارهاصة ثانية لاسماعيل ، وهي موقفه من أبيه حينما أخبره ابراهيم بما أوحى اليه من ذبحه قربانا الى الله « فلما بلغ معه السعى (يعنى شب ، وتهيأت قدرته لمزاولة الاعمال) قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » .

وكان ابراهيم لا بد منفذا لرؤياه ، لأنها وحى كما هو الشأن فى منامات الأنبياء .

وهذا موقف ليس هينا على والد مع ولده : وخاصة ابراهيم فى شيخوخته مع وحيده اسماعيل الفتى .. ولكنها عزيمة الرسالة ، وصدق العهد مع الله من أنبيائه فوق عاطفة الأبوة والرفق بالبنوة .

بل كانت عاطفة ابراهيم برؤياه الى ولده ، حتى لا يكون التنفيذ على غرة من اسماعيل . مع التصميم على التنفيذ فان الغرة ليست من صنائع المؤمنين فضلا عن النبيين ثم كان بالاستفهام ، ولم يكن بالأسلوب الخبرى ، لأن ابراهيم كما يشهد الله له رقيق القلب ، كثير الضراعة والاسترحام ، « ان ابراهيم لحليم أواه منيب » فهو يترفق بولده فيما يسوق اليه من تنفيذ ذبحه : طاعة لربه ، ويكل الأمر ظاهرا الى رأيه بهذه الاستشارة .

وكان اسماعيل يدرك أن أباه فاعل ولا محالة ، فماذا أجاب فى طاعة أبيه ؟ ؟ قال : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » وكان هذا وعدا صادقا حقا ، واستسلاما طيعا .

ثم ما كاد ابراهيم يتناول سكينه ، ويلقى ولده على وجهه ليذبحه من الخلف ، ويتفادى النظر الى وجهه ، لتخفيف



الهول عن نفسه : حتى كانت رعاية الله أرفق من أبوة ابراهيم ، وأسرع من وضع السكين على مقتل اسماعيل .. اذ هتف هاتف السماء برحمة الله : « يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم » – أى كبش كان ضحية اسماعيل – فهذه ارهاصة ثانية غير هينة الشأن ، وقعت لاسماعيل وكانت مقرونة بالثناء من الله على ابراهيم وولده بما أثنى من الخير حتى كرر وصفهما بالمحسنين فى القصة بسورة الصافات (آية ١٠٢ – ١١٠) كما تحدث القرآن بعد ذلك عن صدق اسماعيل فى قوله تعالى : « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » . (آية ٥٥ سورة مريم) .

٣ – ثم كانت ارهاصة ثالثة مذكورة فى قوله تعالى « .. وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » (١٢٥ – سورة البقرة) .

فتطهير مكان الكعبة داخل المسجد الحرام مما يكون به من أقذار وآثار تراكمت على طول الزمن ، واعداده لما تهيأ له من طواف الطائفين ، وعبادة العاكفين والقائمين والركع السجود لا يعتبر هذا كله شأنا عاديا يعهد الله به الى مطلق انسان ، وانما هو قضاء رباني يعهد الله به الى رسوله ابراهيم ليقوم بتنفيذه مع ولده اسماعيل .

وقد كان ذلك التعاون، وتحقق العهد ، وأقيم بناء البيت فى البقعة المطهرة على يد رسول الله ابراهيم، وولده اسماعيل، وهما يجأران الى الله بأطيب الدعوات « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » (١٢٧ – ١٢٨) سورة البقرة .

وعلى ذلك تم البناء ، وتحقق الدعاء ، وشرع الحج ، وصار البيت ملتقى جامعا للمسلمين من كل فج ، ومناطا لهديهم ، وجمعا بين قلوبهم على توحيد الله ، وعصمة لهم بدين الله وتنظيما لصفوفهم حول من يصطفيه الله لدعوته « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » تقويما لهم آية (٩٧ – المائدة) .

فان يكن تطهير مكان البيت الحرام ، واقامة بنائه عهدا من الله تعالى الى ابراهيم ، وهو نبى مبعوث : فان هذا بالنسبة لاسماعيل ارهاص واضح من جانب الله بما سيكون له من شأن بعد ذلك .. وقد كان ، وتحققت رسالته بعد تلك الملامح السالفة .

وهى باكورة الرسالات فى العرب ، من نسل اسماعيل بصفة أخص .. ثم لم تعقبها رسالة فيهم : الا أخيرا ، برسالة خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام .

وانما تحولت الرسالة من بعد اسماعيل الى اسحاق أخيه لأبيه ثم استرسلت فى يعقوب وبنيه من أنبياء بنى اسرائيل – يعقوب – وعلى أى حال فقد ظلت فى ذرية ابراهيم : مبدأ ، ونهاية « وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب » .

رأي للمناقشة

ما هي السماء

للأستاذ : على الطنطاوى

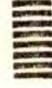
(الوعى الاسلامى) يكتب فيها بحمد الله فريق من جلة العلماء ـ ويقرأها جمهرة من خيرة القراء .. لذلك رأيت أن أعرض فيها رأيا فى السماء ، لتقيم من أوده تعليقات العلماء .
ولقد ذكرته فى بعض ما كتبت استطرادا أو تلميحا . وأذكره اليوم تفصيلا وتصريحا بعد أن كثر الكلام عن وصول الانسان الى القمر . وكثر السؤال عن القمر ، وكيف يمكن الوصول اليه وهو فى السماء ؟

وموضوع المقال (ما هى السماء) ؟

عندنا نصوص ثابتة فى الدين ، وعندنا أقوال مقررة فى العلم .

أما الثابت فى الدين فهو أن السماء ليست حدودا وهمية ، ولا مدارات كواكب ، كما ذهب الى ذلك بعض العصريين من المفسرين ، ولكن السماء (جرم) حقيقي ، لان الله سماها (بناء)، وقال (بنيناها) ، (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) (والسماء وما بناها) ووصفها بأنها سقف لهذا العالم ، فقال (وجعلنا السماء سقفا) وقال (والسقف المرفوع) وجعل لها أبوابا تفتح وتغلق ، فقال (ففتحنا أبواب السماء) (لا تفتح لهم أبواب السماء) ونفى أن يكون فيها منافذ غير هذه الابواب ، فقال (ومالها من خروج) . وأن السماء تفتح يوم القيامة (وفتحت السماء) وانها (تشقق) (فاذا انشقت السماء) ، وتنفطر وتكشط ،ولها بروج (والسماء ذات البروج) (جعل فى السماء بروجا) .

وأما المقرر فى العلم فهو أن الشمس والقمر ، يسبحان فى الفضاء (وهذا شىء صرح به القرآن فقال : « وكل فى فلك يسبحون » ، وان الشمس على بعدها عنا ، وكبرها بالنسبة الى أرضنا يصل نورها الينا فى نحو ثمان دقائق ، لان



النور يقطع فى مسيره ثلاثمئة ألف كيلومتر فى الثانية ، أى أنها تبعد عنا بالزمن الضوئي (٨ دقائق) .

وان من هذه الكواكب التى تظهر لنا نقطة فى الفضاء ، فى الليلة السوداء ، وقد لا تظهر لنا أبدا ، منها ما يبعد عنا ألف ألف (أى مليونا) من السنين بالزمن الضوئي ، ومنها ما يبعد عنا ألف مليون سنة وأكثر ...

فاحسبوا كم (ثمان دقائق) فى هذه المدة التى تبلغ (ألف مليون سنة) لتتصوروا كم هى أبعد من الشمس !

أما كبرها . فنحن نعلم أن القمر أصغر من أرضنا ، والارض لا تعد شيئا الى جنب الشمس . والشمس وما يتبعها من سيارات ، لو ألقيت هى وسياراتها فى كوكب من هذه الكواكب ، لكانت بالنسبة اليه كحبة رمل ألقيت فى وادى نجد ، أو كقطرة ماء قطرت فى البحر المحيط .

وهذه الكواكب ، على ضخامتها ، كثيرة لا تحصى ، يزيد عددها على ملايين الملايين ، وتسير بسرعة مهولة ، ومع ذلك لا تصطدم الا اذا اصطدمت ست نحلات تطير وحدها حول الارض ، لان هذا الفضاء واسع واسع كسعة جو الارض بالنسبة الى النحلات .

هذا ما يقوله علماء الفلك .

فأين مكان السماء من هذا الفضاء ؟

ان الله عز وجل بعد أن وصف السماء بأنها بناء ، وأنها سقف مرفوع ، أكمل الصورة فجعل لهذا السقف مصابيح ، فقال : (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وصرح بأن هذه المصابيح هى الكواكب ، فقال (بزينة الكواكب)، فدل ذلك على أن الكواكب تحت السماء الدنيا ، لان المصابيح لا تكون الا تحت السقف .

أما آية (وجعل القمر فيهن — أى فى السموات — نورا) فلا يدل على غير ما قلت ، لأن القمر اذا كان فى السماء الدنيا ، فهو فى السماوات كما لو كانت جوهرة فى علبة ، وهذه العلبة فى علبة أخرى ، والثانية فى ثالثة ، فقلت ان فى هذه العلب جوهرة . والآيتان الاوليان أصرح . ولا يترك الدليل القطعى لدليل (محتمل) (١) .



والذى تبين لى من هذا كله ، من نصوص الدين .. ومن مقررات علماء الفلك .

أن الشمس وتوابعها (وهن الأرض وأخواتها) وهذه الكواكب التى لا يحصى عددها تسبح فى فضاء عظيم ، وهذا الفضاء تحيط به كله (كرة) هائلة . وهذه الكرة هى (السماء الدنيا) وهذا العالم بأرضه وشمسه وكواكبه فى وسطها .

ولهذه الكرة سمك الله أعلم بمقداره ، قال تعالى (رفع سمكها) وهى فى فضاء لعله مثل هذا الفضاء ، أو أصغر أو أكبر ، وحوله كرة أخرى — لها سمك — هى السماء الثانية) ثم فضاء ثم كرة — وهكذا الى السماء السابعة .

---

(١) قالوا : الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال امتنع به الاستدلال .

وبغير هذه الصورة لا تكون السماوات (طباقا) .

وخارج الكرة الكبرى التى هى السماء السابعة ، أجرام أكبر ، أجرام لا يستطيع العقل مهما جهد وكد ، أن يتصور مدى كبرها ، هى (الكرسى والعرش) و (سدرة المنتهى) .

هذه كلها عظمة المخلوق . فما بالك بعظمة الخالق !



واذا نحن وصلنا الى القمر والمريخ بل والشمس فأين القمر والمشترى والشمس من السماء ؟

اذا كان بعد الشمس عنا ، كبعد ابهامك عن خنصرك ، تكون السماء أبعد عنك من أمريكا ، بملايين الملايين من المرات .

واذا كان علماء الفلك يقولون ، بأن من الكواكب ما يسير ضوؤه فى الفضاء من أول الزمان ولم يصل الينا الى الان . فمعنى ذلك ، أننا لو اخترعنا مركبة فضائية ، تسير بسرعة الضوء ، أى أنها تقطع ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية الواحدة ، وأننا لو ركبنا فيها يوم ولد نوح ، وسرنا من ذلك الوقت الى اليوم لا نكون قد قطعنا من طريق السماء (الدنيا ..) الا كما تقطع النملة التى تمشى دقيقة واحدة ، من طريق (الكويت ـ أميركا) !

وأنا حين انتهى الى هذه الصورة ، وأرى أن عالمنا كله ، بكواكبه وفضائه ، (محبوس) فى وسط الكرة الصغرى التى هى (السماء الدنيا) ، أجد ذهنى ينتقل الى الجنين (المحبوس) فى بطن أمه .

هذا الجنين ، لو استطعت أن تسأله ، واستطاع أن يجيبك ، وقلت له ، ما هى الدنيا ؟

لقال لك : الدنيا هى هذا البطن ، وهذه الأغشية .

فلو خبرته ، ان ها هنا (دنيا) أكبر. عالما فيه بر وبحر ، وسهل وجبل ، ومدن كبار ، وان دارا واحدا من دور هذه المدن ، أكبر من دنياه هو بملايين المرات ،

لم يستطع أن يفهم ما تقول أو أن يتصوره ، وكذلك نحن حين نسمع أن الجنة عرضها السماوات والأرض ، وأن قصرا واحدا من قصورها ، أكبر من هذه الارض كلها .

ان نسبة ملك الله ، الى هذا (الفضاء) الذى فيه الكواكب والنجوم ، كنسبة هذا الفضاء الى بطن الام .

وهذا العالم البالغ الضخامة ، موجود مثله على صورة بالغة الصفر . موجود فى (الذرة) ، الذرة التى لا تراها عين الانسان ولا بالمجهر (الالكترونى) فيها فضاء كهذا الفضاء ، وكواكب مثل هذى الكواكب ، تسبح فيه ، ويدور بعضها على بعض ، بنظام مقرر وقدر معلوم .

فسبحان الله ، لا اله الا هو .

وما أحمق من لا يؤمن بالله !

- كل عقلاء الناس على دين واحد .
- قد يصح للانسان أن يغير رايه ولكن لا يصح له أن يغير مبدأه .
- انما يعتذر عما لا يمكن تغييره .

الحلقة الرابعة

مدى سلطة الإسلام

الاقتصاد الاسلامى والاقتصاد المعاصر

للدكتور محمد عبد الله العربى
عميد معهد الدراسات الاسلامية ـ بالقاهرة

رأينا كيف جرت سنة الاسلام فى تنظيم المجتمع فى كل جانب من جوانبه على البدء بفرض تعاليمه الخلقية على أفراد المجتمع ، لكى يذعن الافراد لهذه التعاليم عن اقتناع ، وعن طواعية واختيار ، فاذا صدع بها الافراد خفت مؤونة الدولة ، واذا أحجموا عن تنفيذها بدأ تدخل الدولة .

ذلك لأن الاسلام هو دين الفطرة ، والله سبحانه هو العليم بفطرة الانسان الذى خلقه ، وهداه النجدين ، وترك له حرية الاختيار بين الفجور والتقوى ، وبين الخير والشر ، فكان لا بد لضمان نفاذ تعاليمه الهادية من أن تقوم فى كل مجتمع دولة تسهر على نفاذ هذه التعاليم .

فاذا سار أفراد المجتمع فى سلوكهم الفردى على ضوء هذه التعاليم قلت حاجة ولى الامر الى التدخل لالزامهم بتنفيذها ، وبالعكس اذا هبط مستوى التمسك بالتعاليم الخلقية التى فرضها الاسلام كبر دور ولى الامر فى التدخل لحمل الافراد على تنفيذها .

الدولة فى تنفيذ تعاليم فى ملكية المال

ذلك مقياس تدخل ولى الامر ،ينقبض وينبسط تبعا لمستوى السلوك الخلقى السائد فى المجتمع، بالاضافة الى الظروف الاستثنائية التى قد تعرض للمجتمع وتهدد كيانه .

واذن لا توجد قاعدة جامدة يتقيد بها ولى الامر فى تحديد مدى تدخله لتنفيذ تعاليم الاسلام الخلقية فى تنظيم المجتمع ، بما فى ذلك ملكية المال .

فمثلا اذا كان أفراد المجتمع يؤدون فريضة الزكاة ، ويزيدون عليها بانفاق العفو فى سبيل الله ، فقد لا يحتاج ولى الامر الى اتخاذ اجراءات الجباية القهرية للزكاة ، ولا الى فرض ضرائب اضافية لتكملة الوفاء بنفقات المجتمع ، بل يقتصر دوره على توجيه هذه الحصيلة كلها الى الوفاء بحاجات المجتمع ، وفاء يحقق مشيئة الاسلام فى أن يكون مجتمعه كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وبالعكس اذا ضعف الوازع الايمانى، وهبط المستوى الأخلاقى لدى بعض قطاعات المجتمع ، فأحجموا عن أداء فريضة الزكاة ، وعن الانفاق الاختيارى فى سبيل الله للوفاء بحاجات المجتمع ، لم يكن مناص من أن يتدخل ولى الامر ، وأن يتخذ الاجراءات القهرية التى تكفل نفاذ هذه الفريضة ، ولو باعلان الحرب على هؤلاء المحجمين كما فعل أبوبكر رضى الله عنه .

هذه سنة الاسلام فى تنظيمه للمجتمع الاسلامى ، وقد رأينا التكاليف التى فرضها الاسلام على ملكية المال ، وصاغها فى البداية فى صيغة تعاليم خلقية ، فلننظر الآن فى مدى حق ولى الامر فى التدخل لضمان نفاذ هذه التكاليف من ايجابية وسلبية ، تكاليف ترد على ملكية المال ، بعد أن عرفنا أن المال كله مال الله، وأنه وديعة بين يدى حائزه من البشر يؤدى عنها الحساب يوم الحساب .

قلنا أن أول تكليف ايجابى على مالك المال هو شكر الله على نعمائه ، اذ أتاح له الانتفاع بهذا المال ، وأودعه بين يديه ليستثمره ويتصرف فيه . والشكر انما يكون بأن يوجه نشاطه وكفايته الى استثمار هذا المال — مهما كانت طبيعته — فى نطاق الوجوه المشروعة للاستثمار ، على نحو يفى بحاجاته وحاجات من يعولهم وفاء طيبا ، وبغير عدوان على مصلحة المجتمع .

فاذا أبقى مالك المال ماله عاطلا بغير استثمار يعود بالنفع على ذاته وعلى المجتمع ، وكان هذا التعطيل متعمدا



من المالك وطال أمده ، واذا كان تعطيل استثمار المال يؤدى الى فقر المجتمع ألا يجوز لولى الامر أن يتدخل ليحمل مالك المال على مداومة استثماره استنادا الى أن الاسلام يبغض الفقر ويكافحه ، لا سيما اذا كان المجتمع الاسلامى فى عصر معين ينوء كاهله تحت أعباء الفقر وأوزاره ؟

نعتقد أن هذا التكليف أجازه الصدر الاول من الاسلام لولى الامر . فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام . « ليس لمتحجر حق بعد ثلاث سنين » والاحتجار كما هو معلوم هو وضع اليد على الارض الموات لمحاولة احيائها وتعميرها ،والارض الموات هى التى لم تربط ملكيتها لأحد من الناس ، فهى كما قال الرسول . « لله وللرسول ثم لكم من بعد » أى للمجتمع كله . وقد ثبت أن عمر رضى الله عنه قد طبق هذا التكليف عندما قال على المنبر . « من أحيا أرضا ميتة فهى له ،وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين » ثم عمم تطبيقه عندما قال . « من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطى بلال بن الحارث جميع أرض العقيق ، فلما كان زمن عمر قال لبلال . « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجرها عن الناس ، انما أقطعك لتعمل ، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى » .

وحكمة هذا التطبيق ظاهرة فى كل عصر ، لا سيما فى عصرنا هذا الذى عطلنا فيه استثمار أكثر مواردنا الطبيعية ، تلك الموارد التى أغدقها الله على العالم الاسلامى ، فأهملنا استثمارها حتى جاء الاستعمار ، فأطبق على أراضينا ، ومضى يحاربنا بما يستخرجه منها .

فالشارع الاسلامى يحرص كل الحرص على مداومة استثمار المالك للمال الذى بين يديه ، لأنه أصلا مال الله ومال الجماعة . ومداومة استثمار المالك له تعود بالنفع على ذاته أولا ، وعلى المجتمع ثانيا ، باعتبار هذه الثمار زيادة فى الدخل القومى وفى الثروة القومية ، وباعتبار ما يخرجه المالك من ماله فى أداء الفرائض الاسلامية الموجهة الى خدمة المجتمع .

ولما كان ولى الامر هو المسئول عن تنفيذ التكاليف الاسلامية ، فيكون له اذن حق التدخل بكل ما يكفل نفاذ هذا التكليف .

أما كيف يكون تنفيذ ولى الامر هذا التكليف ، فهذا أمر تعالجه السياسة الشرعية فى كل بلد اسلامى على ضوء ظروف هذا البلد ، وطبيعة الموارد المعطلة ، وتحديد مدة التعطيل التى تجيز تدخل ولى الامر اذ لا بد أن تتفاوت هذه المدة بحسب طبيعة المورد من أرض قابلة للزراعة ، أو منجم أو مصنع أو متجر ، وعلى ضوء الاسباب التى أدت الى التعطيل . هل كانت مجرد عناد واستكبار من المالك ، أو كانت لاسباب قهرية لا قبل له وحده بالتغلب عليها .

واذا سلمنا بشرعية التكليف الاول ، بالاضافة الى ضرورته الحتمية فى ظروف العالم الاسلامى المعاصر ، ألا يجوز لنا أن نبنى عليه — قياسا — تكليفا آخر بحكم اشتراك العلة فيهما ؟

العلة فى مداومة استثمار المالك لماله هى السعى الى رفع أوزار الفقر عن المجتمع بالامتناع عن تعطيل تدفق الخيرات التى تنبع من استثمار المال الذى سخره الله لنا . وهى ذات العلة الملحوظة فى وجوب اتباع أرشد السبل فى الاستثمار .

لقد كشف العلم الحديث عن أساليب جديدة فى استثمار المال ، سواء كان فى ميدان الزراعة أو الصناعة أو التعدين

أو التجارة ، وواجب المسلم أن يتزود بهذا العلم فى كل ما يباشره من عمل وسعى وراء الرزق الكريم الذى أنعم الله به عليه . بذلك أمره الله ، وفضل الذين يعلمون على الذين لا يعلمون درجات (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وهذه الأساليب ليست الا نتيجة استنباط أسرار الكون الذى سخره الله للانسان ، وأمره بالكشف عنها ، والتدبر فيها ، حتى يحقق معنى استخلافه فى عمارة الارض . ومن الاصول الشرعية المقررة أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

وكلنا نعلم كيف عنى الاسلام أكبر عناية بالحث على التدبر فى معالم الكون ، والتدبر فى آيات قدرة الخالق . والتدبر معناه الدرس والتمحيص، وهما السبيل الى المعرفة والكشف والابتكار ، واستغلال مكنون القوى التى أودعها الخالق العظيم فى هذا الكون الذى سخر لنا كل ما فيه . وعندما كنا نهتدى بهذه التعاليم كانت الاكتشافات العلمية ، والابتكارات الفنية التى زخرت بها حضارة الاندلس وسائر الحضارات الاسلامية ، وتناقلتها الجامعات الاوربية يومئذ ، وأسست عليها العلم الحديث والحضارة المادية التى أذهلنا بريقها .

هذا من وجه ، ومن وجه آخر نرى ان تعاليم الاسلام كما تكررت فى الآيات والاحاديث تفرض على المسلم عندما يباشر عملا ان يتقنه ويحسنه ، فهذا سبيله الى ابتغاء رضاء الله وحب الله . واستثمار مالك المال لماله لم يخرج عن كونه عملا له وزنه فى سجل العمل الصالح ، ومن هنا كان عليه واجب مباشر فى اقتباس كل أسلوب فى الاستثمار يفضل الاسلوب الذى درج عليه ، ويؤدى به الى اتقان هذا الاستثمار واحسانه وتنمية ثماره ومضاعفة انتاجه .

واذن فاذا عمد مالك المال الى أسلوب فى استثمار ماله يؤدى ،الى ضآلة الانتاج أو يؤدى الى تلف رأس المال ، كان لولى الامر فى كل مجتمع اسلامى ان يرده عن الاسلوب العقيم الذى درج عليه الى الاسلوب الرشيد طالما كانت ظروف المجتمع ومستويات المعيشة فيه تقتضى اتباع أرشد الاساليب فى الاستثمار .

واذا تضخمت الثروة فى أيدى فئة قليلة من الرعية ، وكانت هذه الثروة من مصادر الانتاج التى عليها قوام المجتمع ، ثم ثبت عجز هذه الفئة عن استثمارها استثمارا رشيدا ، وأدى هذا العجز الى حرمان المجتمع من منافع هذا الاستثمار الرشيد ، كان لولى الامر أن يتدخل بما يدرأ عن المجتمع هذا الضرر العام . تطبيقا للقواعد الشرعية التى تقرر أن « التصرف على الرعية منوط بالمصلحة » و « يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام » و « يتحمل الضرر الادنى لدفع الاعلى » .

أما كيف يكون تدخل ولى الامر فى دفع هذه المفسدة ، فهذا تتولاه السياسة الشرعية فى كل بلد اسلامى على ضوء الواقع فيه . بحيث لا يؤدى الى ضرر أكبر من الضرر الذى تعالجه .

فقد يكون هذا التدخل اما بالزام هؤلاء الملاك باتباع الاساليب الرشيدة فى استثمار مصادر الانتاج التى بين أيديهم، أو بابقاء بعضها بين أيديهم على قدر طاقتهم فى الاستثمار ، والاستيلاء على باقيها على النحو الذى يفى بمطالب الجماعة وفاء طيبا ، بعد تعويضهم عنها نقدا بما يعادل قيمة رأس المال .

وانى لأرى من أسباب السياسة الاقتصادية التى انتهجها الفاروق عمر رضى الله عنه فى شأن أرض السواد ، وامتناعه عن تمليكها للجند الفاتحين ، أنه فطن الى عجزهم عن استثمارها استثمارا طيبا يعادل استثمار زراعها المحترفين ، بالاضافة الى الاسباب الاخرى المعروفة .

وأخيرا المجتمع الاسلامى يجب أن يكون مجتمعا متوازنا فى كيانه الاقتصادى كما هو متوازن فى جميع مقوماته وخصائصه .

واذن يجب أن يتوازن فى كيانه الاقتصادى بقدر ما تتيح له موارده وامكانياته اقامة هذا التوازن . وما أكثر هذه الموارد والامكانيات ، فقد تجمعت فى أرجاء العالم الاسلامى من خيرات الله فى ظاهر الارض وباطنها ما لم يتوافر على هذا النحو من التجمع فى أية أمة فى الارض .

هذه الموارد وهذه الامكانيات يجب أن تتوزع بينها القوى الاستثمارية فى توازن قويم ، فلا تقتصر مثلا على توظيف الاموال فى زرع الارض ورعى الاغنام ، وتترك الصناعة والتجارة والتعدين وغيرها من مصادر الانتاج المختلفة !!

ان مباشرة كل منها يدخل فى فروض الكفاية التى يأثم ولى الامر — ويأثم معه المجتمع — اذا لم يقم بين الناس من ينهض بها ، ويتوافر عليها . فاذا عمد الناس الى تركيز استثمار أموالهم فى تملك الارض الزراعية وفلاحتها دون المصادر الاخرى لتوظيف المال كالصناعة والتجارة ، كان لولى الامر ان يتدخل بالاجراءات التى تكفل توزيع القوى الاستثمارية بين هذه المصادر جميعا ؛ لأن ولى الامر هو المسئول عن صلاح أحوال رعيته ، ودرء المفاسد عنهم وجلب المصالح لهم .

والآيات القرآنية وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام صريحة وحاسمة فى توجيه المجتمع الاسلامى فى هذا الاتجاه المتوازن .

يقول المرحوم الاستاذ الشيخ محمود شلتوت فى هذا المعنى .

« الاسلام حينما طلب تحصيل الاموال بالزراعة ، والصناعة والتجارة نظر الى أن حاجة المجتمع المادية تتوقف عليها كلها ، فانه كما يحتاج الى الزراعة فى الحصول على المواد الغذائية التى تنبتها الارض ، يحتاج الى الصناعات المختلفة فى شئونه المتعددة . فى ملابسه ومساكنه ، فى آلات الزراعة وتنظيم الطرق ، فى حفر الانهار ومد السكك الحديدية ، فى حفظ الكيان والدولة ، وما الى ذلك مما لا سبيل اليه الا بالصناعات » .

« ويحتاج ايضا الى تبادل الاعيان والمواد الغذائية والمصنوعات مع الاقاليم التى ليست فيها زراعة ولا صناعة . ولا تسعد أمة لا تسد حاجتها بنفسها ، واذن لابد من الاحتفاظ بالزراعة والتجارة والصناعة » .

« ومن هنا قرر علماء الاسلام ان كل ما لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا ، فتعلمه ووجوده من فروض الكفاية قالوا . « ومن ذلك ، أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة والخياطة وما اليها مما هو ضرورى ، أو كالضرورى فى المعاملات ويسر الحياة ودفع الحرج عن الناس » ومعنى أنه من فروض الكفاية ، أنه اذا لم يتحقق فى الامة أثمت الامة كلها ، وأن الاثم لا يرتفع عنها الا اذا

قامت كل طائفة بنوع من هذه الانواع .
وليس من ريب فى ان أساس هذه الفرضية ، هو العمل على تحقيق المبدأ الاسلامى الذى يوجبه الاسلام على أهله ، وهو مبدأ استقلال الجماعة الاسلامية فى تحقيق ما تحتاج اليه من الضروريات والحاجات ، فيما بينها ، وبيد أبنائها دون أن تمد يدها الى غيرها من الامم » .

« وبذلك لا تجد الامم الاخرى ذات الصناعات والتجارات ، سبيلا الى التدخل فى شئونها ، فتظل محتفظة بكيانها وعزتها ونظمها وتقاليدها ، وخيرات بلادها . وكثيرا ما اتخذ هذا التدخل سبيلا لاشتراك الدول الاجنبية فى ادارة البلاد وتنظيمها واستعمارها استغلالا لحاجتها فى الصناعات والتجارات » .

« ولا ريب أن هذه الطرق الثلاثة . الزراعة والتجارة والصناعة ، وهى الطرق الطبيعية لتحصيل الاموال — عمد الاقتصاد القومى لكل أمة تريد ان تحيا حياة استقلالية ، رشيدة عزيزة . ومن الضرورى عملا على تركيزها فى البلاد ، حتميةالعمل على تنسيقها تنسيقا يحقق للامة هدفها الذى يوجبه الاسلام عليها ، والذى يجب أن تحصل عليه وتحتفظ به وتنميه ، صونا لكيانها واستقلالها فى سلطانها وادارتها . وقد أرشدنا تاريخ الاستعمار أن أهم أسبابه وأول نافذة ينبعث منها الى الامة تياره الكريه ، وريحه الثقيل ، هو نقص الاجهزة التى تحقق للامة كفايتها من هذه العمد الثلاثة » .

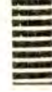
« واذا كان من قضايا العقل والدين ، أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وكانت عزة الجماعة الاسلامية ، أول ما يوجبه الاسلام على أهله ، وكانت متوقفة على هذه العمد الثلاثة ، كانت هذه العمد الثلاثة واجبة ، وكان تنسيقها على الوجه الذى يحقق خيرها واجبا » .

« ومن هنا كان على ولى الامر فى الجماعة الاسلامية ، المهيمن على مصالحها وتوجيهها أن يعمل جهده بما يحقق للامه الانتفاع بها كلها . وأن يعمل على تنسيقها بحيث لا يترك الاموال تتكدس فى تركيز عنصر واحد منها دون سواه . فلا عليه أن يحول بعضا من الاراضى الزراعية الى رؤوس أموال تجارية أو شركات صناعية على حسب حاجة البلاد المبنية على تقدير مصالحها ، ويتم بذلك تنسيقها على الوجه الذى يجعلها غنية بنفسها عن غيرها » .

« فلا يجد الاجنبى بابا للتدخل فى شئونها الا بقدر ما يحتاج اليه من طرق التبادل العام الذى يقع بين الناس بعضهم مع بعض . وهذا نوع من التنظيم فيما ينفع البلاد ، ويقيها شر تدخل الاجنبى بما يركز فيها قدمه ، ويكون سيدا عليها ومستعمرا لها » .

« وليس هذا التنسيق من باب تقييد حرية الملكية ، وانما هو توجيه تستدعيه حالة البلاد ، ويمكنها من حريتها الحقة الكاملة » .

« وهو بهذه الاعتبارات واجب على ولى الامر اذا قصر فيه أو أهمله كان آثما ، وكانت أمته معه آثمة . واذا ما قام به ووفر به مصالح البلاد واستقلالها، وعاونته الامة عليه ، كان سائرا بها فى



طريق الخير والسعادة ، وكانت معه فى مكانة الامن والاطمئنان » (١) .

التخطيط نظام الاسلام

اذن نخلص من هذا الى وجوب تحقيق التوازن بين القوى الاستثمارية في مجتمع اسلامى . وهذا التوازن لا سبيل اليه الا بتخطيط شامل لمصادر الانتاج فى كل مجتمع اسلامى . والاسلام كما رأينا ينوط بالدولة هذه المهمة ، مهمة تخطيط الاقتصاد القومى ، ويكلف ولى الامر وذوى الرأى فى المجتمع أن يتشاوروا ويتناصحوا فى توجيه نشاط الامة فى اتجاه اقتصادى معين ، يرون فيه خيرا أعظم من اتجاه آخر قلت الحاجة اليه ، ونضب الخير منه . فهذا التخطيط من قبيل (اعداد العدة) الذى أمرنا به ، ومن قبيل (الامر بالمعروف) الذى ندب له خيار الامة .

وأول ما يجب أن يتجه اليه التخطيط فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة هو التصنيع، بالعمل على توفير الاستثمارات المالية اللازمة له . ذلك لان الصناعة — الخفيفة والثقيلة على السواء — أصبحت فى عصرنا هذا ضرورة حتمية لكل مجتمع ليس فقط لمالها من نصيب كبير فى تنمية الاقتصاد القومى ، ورفع مستوى المعيشة بين المواطنين ، بل أيضا لأنها أصبحت خير سند للاستعداد الحربى الحديث . والاستعداد الحربى هو أقوى ضمان لاستقلال الاوطان الاسلامية ، وصد أى عدوان عليها .

ان الحرب الحديثة لم تعد صراعا بدنيا أو نضالا يدويا بين طائفتين بل أصبحت حربا ميكانيكية يعتمد التفوق فيها على أمرين . توافر المواد الخام اللازمة لهذه الاجهزة الآلية ، والكفاية الصناعية التى تستطيع تحويل هذه المواد الخام الى أسلحة الحرب الحديثة. وليس من المصادفات أن أقوى دولتين اليوم — الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى — هما الدولتان اللتان تتمتعان بما يقارب الاكتفاء الذاتى فى المواد الخام اللازمة للانتاج الصناعى الحديث ، وما ليس لديهما منها تسيطران على مصادره ، وتتمتعان فى الوقت نفسه بالكفاية الصناعية العالية .

وبغير الكفاية الصناعية لا يكون للمواد الخام من قيمة فى قوة أية دولة الا أن تكون سلعة فى السوق تشتريها الدول الصناعية بأبخس الاثمان وتتحكم فى الدول المنتجة لها . وأمامنا المثل المعاصر . روسيا حطمتها ألمانيا فى الحرب العالمية الاولى ، عندما كانت أمة بدائية فى اقتصادها الزراعى المتخلف ، ثم عجزت عن قهرها فى الحرب العالمية الثانية بعد أن كان التخطيط قد أدى رسالته ، والتصنيع قد آتى ثماره .

ومثل آخر سابق على المثل الروسى . أمة اليابان كانت أمة هاجعة فى غياهب الزمن فقزتها السفن الحربية الامريكية ، فأذهلها هذا الصنيع، وأيقظها من سباتها

---

(١) منهج القرآن فى بناء المجتمع ص : ٩٣ — ٩٦

فأرسلت البعثات ، لا لاستيعاب فلسفة الغرب وآدابه ، بل على الاخص لدراسة العلوم الطبيعية ، واقتباس الاساليب الصناعيةالتى بهرتها ثم دأبت علىتصنيع بلادها ، وتوجيه استثمارها المالى الى هذا الميدان حتى بلغت تلك المكانة الرفيعة فى الصناعة الحديثة ، وحتى غزت سلعها ، أسواق الارض ، واكتسحت فى طريقها مصنوعات أوروبا وأمريكا ، وحتى بلغت من القوة الحربية ما مكنها من أن تطاول أمريكا وروسيا وبريطانيا مجتمعة ، حتى قهرتها القنبلة الذرية ، ولكن الاجماع الآن عند ساسة الغرب أنها بفضل ما كسبته من كفاية صناعية ستعود سيرتها الاولى .

ونحن شعوب العالم الاسلامى قد وهبنا الخالق فى أراضينا من الموارد الطبيعية والمواد الخام ما ميزنا به على أمم كثيرة ، ولكننا عكفنا فى القرون الاخيرة ـ فى جمود بليد ـ على استثمار جزئى للظاهر منها على سطح الارض ، وقصرت همتنا عن استغلال ما فى باطنها من معادن مخبوءة ومن قوى كامنة ، وعن استثمار هذه الموارد وهذه القوى فى مجالات التصنيع الحديث .

يتضح مما تقدم أن اضطلاع كل مجتمع اسلامى بهذا التكليف الثالث فيما يقضى به من توجيه استثمار المال الى جميع المسالك التى تقتضيها ضروريات المجتمع ، واجبحتمى تفرضه ضرورة البقاء فى هذا العصر ازاء القوى العدوانية التى تحدق بالعالم الاسلامى من كل جانب .

والتصنيع أهم هذه المسالك ، والصناعة عمل صالح ينعكس نفعه على المجتمع برمته ، والاسلام يعتبر كل عمل صالح عبادة وقربى الى الله ، والله يحب المؤمن المحترف ، ويحب العبد اذا عمل عملا ان يتقنه .

والكفاية الصناعية تفتح مغاليق الرزق ، وتحارب الفقر ، والفقر ألد عدو يكافحه الاسلام ، ويعمل دائما على ابراء المجتمع من آثامه .

والكفاية الصناعية تغنينا عن أن نكون عالة على خصومنا فى استيراد أو استجداء ما نفتقر اليه من سلع مصنوعة ، وتعصمنا من أذى موالاتهم فى الحق وفى الباطل ، وتعصمنا من اضطرار البعض الى اتخاذهم أولياء .

وأخيرا الكفاية الصناعية أصبحت أشد وجوبا على كل مسلم فى عصرنا هذا، بعد ان اصبحت ضرورية للاستعداد الحربى ، فدخلت بذلك فى نطاق التكليف الموجه الى الكافة . « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

ولا أرى علاجا عمليا للنقص الذى تعانيه الشعوب الاسلامية فى الكفاية الصناعية الا أن تتكاتف وتتعاون جميعا ـ بمواردها الفنية والمالية والطبيعية المتباينة ـ على وضع برنامج شامل للتصنيع ، يخططون مراحله ويتعاونون فى اعداد وسائله ، واقتباس أساليبه من مراكز الصناعة العالمية فى كل مكان يتيح لنا هذا الاقتباس بغير تقيد بشرق أو غرب .

وبعد فهذا تفصيل التكليف الاول من التكاليف المفروضة على ملكية المال واستثماره وفى المقال القادم نعالج سائر التكاليف .. وأولها الزكاة .

وَجدتُها وَجدتُها

حجة الشريعة على العقل

ع ا

فى حديث عابر مع أحد الاصدقاء من الشباب المؤمن الواعى ، وهو شاب طلعة يحب أن يزداد علما كل يوم ، وأن يتفهم وأن يسأل عما لا يعلم ، وأن يعلم عن دليل ، وأن يناقش ليفهم ، ونحن زمرة من الاصدقاء فى بيته منذ ثلاث ليالي نودعه ليلة سفره الى الحج ، ولم يترك السؤال والبحث والنقاش فى شئون من الشريعة وأحكامها — استطرد الى الحديث عن صاحب له زميل فى الوظيفة من رواد الحقيقة المتطلعين الى المعرفة ، مولع بالجدل صعب الانقياد ، فيه شيء من العناد ، ولكنه ليس من الذين يحبون الجدل للجدل ، بل يريد أن يعرف الحقيقة وأن يقع عليها .

فى غمرة تلك الأحاديث ونحن مع صديقنا فى وداع الحجة الى موطن حجة الوداع ، عندما وصل به الحديث الى صاحبه هذا الزميل فى الوظيفة ، ووصفه بما ذكرنا قال لنا . انه على جدله الذى يجاوز به أحيانا حدود الاعتدال قد سمعت منه بالأمس جملة عبر بها عن ملاحظة من ملاحظاته ملكت على اعجابي كله ، وحضرت فى ذهني فنزلت منه فى مستقر ومستودع وأصبحت عندى احدى ذخائر الفكر التي اختزنها .

قلنا فما هى تلك الجملة الحكيمة التي نزلت من اعجابك هذه المنزلة الرفيعة ، أشركنا معك فيها يا رعاك الله، وهذا ثمنها نقدمه اليك سلفا . دعوات صالحات نرفعها الى رب البيت المعمور الذى أنت اليه قاصد ، أن يكتبك فى المقبولين الأبرار ، ويجعل حجك مثمرا

للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا
خبير موسوعة الفقه الاسلامي بوزارة الأوقاف
والشئون الاسلامية

لديه ، وفى نفسك ثمرته التي شرع لأجلها ، ويجعل متعتك الروحية فيه أعظم مما تؤمل .

تهللت أسارير صديقنا لهذه الدعوات، وانبرى يتابع حديثه ويروى لنا تلك الجملة التي سمعها من صاحبه الجدل .

فقال :

قال لي صاحبى هذا الذى حدثتكم عنه . ان من أعجب ما هو جدير بالملاحظة والاعتبار من غرائب الواقع فى حياة الانسان أن كل جزء فى جسمه من الأجزاء التي لا تفهم ولا تعقل ، يعمل بانتظام واتقان **دون خطأ** . فالمعدة مثلا لا تخطىء فى عملها وافرازها وسائر نواحى وظائفها ، ومثل ذلك الأمعاء ، والكبد ، والغدد المختلفة ، والكلى ، والعروق ، والأعصاب بمختلف شعبها ومناطق نفوذها ، الى غير ذلك من آلاف أو ملايين الأجهزة وأجزائها وجزيئاتها فى اداء وظائفها الحيوية التي تقوم بها حياة الانسان ، والتي تحير عقول علماء الطب والتشريح وعلم الغريزة (الفيزيولوجيا) ، وان كان كثير من هذه الأجهزة والأجزاء قد يعجز ، وقد يصاب بآفة مرضية فيختل عمله أو يقصر فيه . فهذا ليس بخطأ فى عمله ، فالمهم أنه لا يخطىء أبدا ، وأن كان قد يعجز أو يمرض أو يصاب بآفة .

أما العقل وهو الجانب المدرك ، أو مجموع القوى المدركة فى الانسان، والتي يمتاز بها عن سائر الحيوان ، ويمثل الفكر والذكاء وقدرة الابتكار التي لا حدود لها، والتدبير والتخطيط للمقاصد المستقبلة ، والحيلة البارعة للتغلب على جميع العقبات والصعوبات التي تواجهها حياة الانسان ، الى غير ذلك من المواهب التي تضافرت على تزويد الانسان بالعلم فى كل مجال وميدان بكل ما فى كلمة العلم من معنى وما تشمله من آفاق وأعماق ، هذا العقل الذى هو الجانب المدرك الواعى ، أو هو أداة الفهم والتعقل والبصيرة لا يعمل دون خطأ ، وخطؤه أكثر من صوابه !! أليس ذلك مثار عجب ، ومدار اعتبار ؟ .

قال صديقى الذى كنا فى زيارته . فأنا لا أزال أتدبر هذه الجملة من صاحبى هذا ، فقد نزلت فى قرارة نفسي ، وأصبحت لدى فى جملة الملاحظات الهامة التي اكتسبتها فى حياتي .

قلت له . حقا انها ملاحظة قيمة ، وقد وجدت بها أنا أيضا ضالتي المنشودة ، كما وجد الحكيم اليوناني أرخميدس ضالته عندما لحظ ، وهو فى حوض الحمام أن وزن الأجسام وهى فى الماء ينقص عن وزنها وهى خارجه ، فصاح وجدتها وجدتها Eureka Eureka واستنبط القانون الطبيعي فى نسبة نقصان الوزن فى هذه الحال ، ذلك القانون الذى استخدم بعد ذلك فى مجالات علمية وصناعية ذات شأن كبير .

ذلك انني تعهدت لمجلة الوعى الاسلامي بكتابة كلمة للعدد الممتاز منها ، وقد قرب موعد تسليم الكلمة ، وأنا لا أزال محتارا فى اختيار موضوع مناسب



جديد . فقد وجدتــه الآن ملاحظـــة صاحبك جزاه الله تعالى خيرا .

قال صديقى : فما هو الموضوع الصالح الذى وجدته فى ملاحظة صاحبي هذه ؟ قلت انه حجة الشريعــة على العقــل ، هذا الموضوع الخطير فى ميزان الايمان ، حيث يقوم به الدليل على أن العقل مهما سما شأنه ، وعظمت قدرته على المعرفة والاكتشـــاف والفهـــم ، فان صـــاحبه الانسان هو فى حاجة دائمة مع عقله هذا الى النور الســـماوى الذى يهدى الى الصواب وينير له سبيل الرشاد ، ويجنبه كثيرا من الوقوع فى المآزق ، والتردى فى الهاويات . أفتدرى أيها الأخ لماذا كان كل جزء غير ذى فهم فى الانسان يعمل بانتظام دون خطأ ، وكان العقــل الذى هو أداة الفهم والادراك يخطىء أكثر مما يصيب ؟ قال : لماذا كان ذلك ؟ قلت : اليك التعليل والبيان .

ان كل جهاز من أجهزة جسم الانسان أو جسم أى حيوان ، وكل جزء أو غدة أو خلية حية من خلاياه انما يعمل بحكم الغريزة ، وانما يعمل عملا نمطيا رتيبا فى وقت ثابت أو عند منبه معين ، وانما يعمل عمله هذا فى طريق معبدة ووسيلة وظرف مهيأين ، ففى هذه الشرائط يقوم الجزء الحى بعمله النمطى بحكم الغريزة فيصبح عمله ووظيفته أشبه بانحدار الماء الذى صب فى طـــريق محصـــورة منحدرة . فالماء فى هذه الحال لا يخطىء فى الانحدار ، ولا فى سلوك المجرى الذى يراد انحداره فيه حتى يصل الى مقره بحكم الجاذبيـــة الأرضـــية فيحجز فيه ويستقر .

فالمعدة اذا نزلها الطعام قامت بعملها فيه بانتظام من الحركة والافراز ، وكذلك اذا رأت عين الجائع طعاما شهيا أو شم رائحته ، أو ذكر اسمه له كان ذلك منبها عصبيا يشبه نزول الطعام الى المعدة ، فتبدأ أيضا بالافراز اللازم . وهذا منها عمل نمطى رتيب فى ظروف وشرائـــط متماثلة ، فكلما توافرت وتكـــررت هذه الشرائط والظروف نبهت المعدة فعاودت عملها نفسه ، وكررت قيامهـــا بوظيفتها ذاتها بصورة لا تختلف عما عملته فى مرة سابقة وعما ستعمله فى مرة لاحقـــة . وهذا ما نعنيه بنمطية العمل .

ومثل ذلك يقال فى الكليـــة أو الكبد أو العين الخ ... بل فى الكريات الحمراء أو البيضاء ، وكل خلية من خلايا الجسم الحى ، مما هو معروف فى علم الغريزة (الفيزيولوجيا) .

واذا رأيت فارقا فى التمثيـــل لهذا النـــوع من العمـــل الوظيفي الغريزي النمطى بين عمل أجزاء الجســـم الحى وانحدار الماء فى المجرى المحصور المنحدر من حيث أن الماء مادة غير حية ، فينحدر كما يسقط الحجر بحكم قانون الجاذبية فى اتجاه معين نحـــو مـــركز الأرض اذا قطع الخيـــط الذى يحمله فى حـــين أن الجزء العامل فى الجسم الحى هو جزء حى يعمل عن احساس وتنبه هو مظنة للخطأ ، ولكنـــه لا يخطىء فانى عندئذ أنقلك الى مثال آخر أقرب الى مطاوبك وأوضح . مثال العامل الواقف أمام آلة واحدة فى معمل كبير عظيـــم فيه آلات كثيرة لكل واحدة منها وظيفة ، وأمامها عامل يقدم لها المـــادة أو القطعـــة التي تعمل فيها . فلا أشبه لك الجزء الحى العامل فى الجسم بالآلة التي تعمـــل فى هذا المعمل ، بل أشـــبهه لك بالعامـــل الواقف أمامها ، ووظيفته كلما وصلت اليه القطعة محمولة على حاملة آلية أن يتناولها ويقدمها الى الآلة التي أمامـــه لتعمل فيها عملها وتدفعها الى حاملـــة آلية أخرى بجانبها فتحملها الى عامل آخر ، وهكذا ...... ولا بد أن تكون قد رأيت طريقة صناعة الأجزاء فى المعامل فهذا الشخص العامل الواقف أمام الآلة ليتلقى القطعـــة القادمـــة اليـــه ،

ويقدمها الى الآلة التي أمامه هو انسان حى كامل مفكر فاهم واع ، ولكنه فى عمله هذا النمطى الرتيب بتقديم القطعة الى الآلة كلما وصلت اليه قد أصبح أشبه بالآلة يقوم بهذا العمل الواحد بصورة تلقائية عفوية تعتمد على الاحساس الغريزى دون اعمال الفكر وتجميع المعلومات واستنباط النتائج منها . وهو فى عمله هذا لا يخطىء أو قلما يخطىء كما لا يخطىء العضو أو الجزء من الأجهزة العاملة فى جسم الانسان الحى .

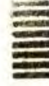
وكلما خرجت المهمة فى العمل عن النطاق الضيق المحصور والنمطية الرتيبة ، فاتسع النطاق ، وتنوعت الوظيفة ، وأصبحت عرضة لمواجهات جديدة ومفاجآت فانها عندئذ تحتاج الى تفكير وتدبير ومعالجات مختلفة باختلاف نوعية الطوارىء وما يصحبها من ملابسات معقدة ، فتجعل المهمة معقدة وتستوجب من الفكر عملا يعتمد على التشخيص والتمحيص والتحليل والتركيب ، فان الخطأ عندئذ يتسع مجاله فيقوى احتماله ، ويكثر وقوعه .

ولنأخذ مثالا على ذلك عمل الطبيب الذى عليه تشخيص الداء ووصف الدواء النوعى له ، فانه كثيرا ما يواجه فى المرضى بمرض واحد لدى كل مريض حالة جديدة تحتاج الى ترتيب مختلف ، فانه ان لم يختلف عليه المرض فقد اختلف المريض ، وما يحمله مع المرض الرئيسي من ملابسات ومضاعفات وحساسية المريض واختلاف درجة المريض وحدته أو أزمانه ، مما يستدعى ترتيبا وتدبيرا خاصا بهذا المريض دون آخر ، فان العلاج النوعى الواحد قد يفيد مريضا ولكنه يؤذى مريضا آخر بالمرض نفسه . ومن ثم يكثر خطأ الطبيب ، لأنه يجب أن يكشف حالة غامضة مبهمة ، وأن يعرف الطريق الصحيح الموصل فى وسط متاهة مظلمة . وهذا بخلاف الصيدلي ، فانه قلما يخطىء فى تقديم العلاج أو تركيبه وفقا لوصفة الطبيب .

بعد هذا أيها الأخ أصل بك الى الناحية المقصودة كثرة خطأ العقل ، وسببها وعلاجها .

نعم ان العقل كما لاحظ صاحبك وقال هو ذلك الجزء المدرك فى تكوين الانسان ، هو الجانب المختص بالفهم والفكر ومعرفة الحقائق والوعى فى السلوك ، هو ذلك المصباح الكهربائي العظيم القوة البعيد المدى فى الانارة ، ينير للانسان ما حوله فيستطيع بذلك أن يبصر وأن يتبصر ، ولكن مهمة العقل ليست نمطية رتيبة كعمل جزء من جهاز فى جسم الانسان أو خلية من خلاياه . ان مهمة العقل متنوعة معقدة ، بل هى أكثر ما فى الحياة تنوعا وأشدها تعقدا . انها أصعب بملايين المرات من مهمة الطبيب الصعبة فى تشخيص الأمراض الباطنة ومعالجتها فى كل مريض .

ان العقل لكى لا يخطىء يجب أن يستطيع معرفة كل ما يحيط به من الأشياء المادية والاعتبارات المعنوية فى كل ما هو حاضر أو غائب ، قريب منه أو بعيد عنه وأن يعرف الملابسات التي تتصل بكل شيء من ذلك ، ويبقى بعد كل هذه المعرفة لو استطاعها عرضة للخطأ بما يطرأ من تحولات ومفاجآت على الأوضاع والحالات فى الظروف والأشياء التي تغير منها ما كان يعهده ويبنى عليه . وأنى للعقل الانساني كل هذه المعارف ، وهو انما يعيش فى متاهات ، فى وسط مجاهل من هذا الكون العظيم الرهيب وموجوداته ونواميسه . ومهما ملك الانسان وعقله الجبار من معارف وبصائر ، فانه لن يبلغ علمه وبصيرته أكثر مما يصل اليه نظر واقف على ساحل البحر المحيط الهادى مثلا بالنسبة الى ما وراء الحدود التي يقف عندها امتداد بصره ، وما فى أعماق ذلك المحيط ، وغيره من البحار



الكبرى ، وما فى أجواز الفضاء وأغوار الكون كله ، مما يقف عقل الانسان تجاهه وتجاه ما يسمع عن بعضه فى موقف حقارة وصغار ، كحقارة الترابة الواحدة بالنسبة الى الكرة الأرضية كلها ، ولا سيما اذا تصورنا مدى ما يعنيه قول العلماء اليوم . ان بين الكرة الأرضية وبعض النجوم التي تراها أعيننا مسافة مائة سنة ضوئية أو أكثر (وأنت تعلم معنى السنة الضوئية فى تقدير مسافات الفضاء الكونى) (١) .

فما مبلغ علم الانسان وقدرة عقله بالنسبة الى ما فى الحياة البشرية ونواميس الكون من حقائق وخفايا وملابسات وتعقيدات ، بالنسبة الى الفرد والى الجماعة والى الحاضر والمستقبل اذا أراد أن يعرف كيف يبنى حياته وسلوكه فى طريق قويمة حكيمة رشيدة بين أمواج هذا الخضم العظيم الهائل ؟ .

صدق الله العظيم بقوله فى قرآنه الكريم (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

فعقل الانسان فى هذه المتاهة الهائلة والمجاهل المذهلة أشبه ما يكون بالطفل الصغير الذى كان يحبو فقويت رجلاه بعض الشيء فنهض يمشي وفرح بما وصل اليه من قدرة ، وهو لا يعرف شيئا عما يعرض له من مزالق ونواتىء يتعثر بها ، ولا يعرف ضعف ساقيه وعدم مرونته ، فهو تارة تخونه قدرته فيهوى على شيء يؤذيه ، وتارة يصطدم فيشج ويقع ، وتارة يتعثر بذيله ، انه يقع ويقوم ويصل الى الجدار مرة ويسقط دونه أخرى ، وهكذا . ولكن الفرق بين عقل الانسان وبين الطفل الذى بدأ يتعلم المشى هو أن الطفل سوف يتغلب على صعوبة المشى ، بما يزداد من قوة ومن خبرة ومن مرونة ، فيستطيع بعد مدة أن يمشى فلا يقع وأن يركض ويقفز . أما عقل الانسان فيبقى ما بقيت الحياة طفلا يترعرع فى بداية تعلم المشى ، يقع ويقوم ويتعثر وينزلق فى مجالات سلوكه فى مسالك الحياة ، مهما بلغ من علم ومعرفة ، ومهما انكشف له من آفاق ، لأن مدى علمه لا يعد شيئا يذكر بالنسبة الى مدى جهله بما وراءه وأمامه من أمور مغلقة ومخاطر محجبة .

ذلك أن وظيفة العقل البشرى هى أعظم شيء تنوعا وتعقدا . فهى ليست مهمة بسيطة نمطيةفيمجال محدود ممهد معبد يستطيع أداءها غريزيا بصورة آلية ، أن وظيفته كوظيفة الطبيب المكلف بتشخيص داء باطن مستخف فى الجسم بين مئات العلل التي لها أعراض مشابهة وعليه وصف الدواء الصحيح . وهذا تشبيه تصغير وتقريب . فمهمة العقل البشرى فى الواقع أعظم تعقيدا من مهمة هذا الطبيب بما لا يمكن معه قياس . ان مهمته هى اختيار السلوك الصحيح المستقيم الموصل الى أحسن النتائج فى حياة الأفراد والجماعات ، والمتنكب للمزالق المتوقى من العثرات والهاويات المغطاة بالأعشاب الغشاشة كمزارع الألغام فى أرض العدو . بل ان التشبيه الادق الاقرب لمهمةالعقل البشري، وموقفه بين مصاعبها التي لا تغلب ، هو أنه كشخص ملقى فى مفازات ومتاهات غير متناهية الأبعاد ، وهى مليئة بالحيوانات المفترسة ، والحشرات القتالة ، والمزالق المردية ، وتغمره فيها ظلمة حالكة دائمة لا تنجلى ، ومعه مصباح يضيء له ما حوله الى مسافة أمتار محدودة ، وعليه

(١) سرعة الشعاع الضوئي يقدرها علماءالفيزياء بأكثر من ثلثمائة ألف كيلو متر فى الثانية الواحدة . ومسافة السنة الضوئية هي المسافةالتي يحتاج الشعاع الضوئي أن يستمر سائرا بهذه السرعة مدة سنة كاملة حتى يقطعها !!! المجلة .

أن يسلك طريقا آمنة الى رزقه وقوام حياته ، يصل فيها الى مطلوبه ويتوقى المخاطر المهلكة .

ذلك لأن مدى العلم الذى يمكن أن يبلغه الانسان بعقله بالنسبة الى ما فى هذا الكون الشاسع الزاخر بالعجائب والمتاهات والمجاهل هو أقل كثيرا كثيرا من مدى نور هذا المصباح فى هذه المفازات المظلمة . هذا اذا اقتصرنا فى التصوير والتشبيه على مدى كل من أفق العلم وآفاق الجهل بما فى الكون من حقائق وواقع ، وأسقطنا من الحساب ما يحول بين العقل والتقدير الصحيح وحسن الاختيار من شهوات الانسان وعوامله النفسية والمغريات التي تجذبه وتطغى على علمه وعقله ، والمطامع المتسلطة على العقول والنفوس البشرية ، وحب الأثرة والحظوظ ، مما يدعو الانسان الى ايثار اللذائذ على الواجبات المتعبة ، وما ينشأ عن كل ذلك من تغشية على الأبصار والبصائر ، ودفع للأفراد والجماعات الى أرض الألغام المكسوة بالأعشاب الغشاشة بدلا من طريق الأمان .

ففى هذا الواقع من طريق الانسان ووعورتها وظلمتها ومن مهمة عقله ذلك المصباح المنير المحدود المدى ، كان لا بد لهذا الانسان من قائد ودليل بصير خبير الى جانب المصباح الذى بيده ، والا كان أمام مفاجآت حتمية من المخاطر وضلال الطريق ، ان هذا القائد هو الشريعة الالهية (والشريعة فى أصل اللغة هى الطريق) ، وأن الدليل هو أحكامها وتوجيهاتها وأوامرها ونواهيها . انها ترسم له طريق الهدى البعيد المدى الذى يجهله ولا يعلم منه الا القليل ، بمقدار ما يمتد اليه نور مصباحه القاصر من أمتار يرسم له هذه الطريق الأقوم الأسلم ، خالق الكون العالم بخوافيه وبكل ما فيه من مسالك ومهالك ، والخبير بما ركبه هو فى الانسان من طبائع وغرائز ودوافع خير ونوازع شر ، وما حف طريقه من مخاوف ومخاطر . فخالق الكون أعلم بما فيه ، جعل للانسان شريعته تعبيدا لطريق العقل . نعم ان الانسان لا يستغني عن هذا المصباح مع الشريعة . ولكنه لا ينبغي له أن يغتر بمسافة النور القصيرة التي يبلغها ضوء هذا المصباح ، فيظن فى نفسه القدرة على الاستقلال عن الشريعة والانفصال عن الطريق الذي خططه له خالقه ومهده كى يجنبه المفاجآت الخطرة والمهالك . بل عليه أن يتلمس بمصباحه المتواضع معالم هذه الطريق فى حدود الشريعة الالهية ، لأن خالقه أدرى بما يصلحه وبما يفسده ، لأنه أدرى بما يحيط به من مجاهل لا يستطيع هو معرفة ما فيها من آفات . فما حسنته له الشريعة بنصوصها الثابتة فهو حسن ، ولو لم يستطع عقله ادراك حسنه ، وما قبحته له فهو قبيح خطر وخيم العواقب على الفرد أو على الجماعة عاجلا أو آجلا .

هذه حجة الشريعة على العقل تقوم على أساس هذا الواقع لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فليس للانسان المؤمن أن يناقش الشريعة بعقله القاصر مناقشة الند للند ، فيقول : ما قبله عقلى قبلته ، وما لم يقبله رفضته !! فما هو عقله ؟ وما مدى الثقة به ؟ ! .

انما عليه أن يتفحص بعقله أوامر الشريعة ونصوصها ، ويناقشها مناقشة المتفهم المطيع المستسلم الذى يريد أن يعرف ماذا يريد الشارع ليعرف كيف يطيع ، هذا هو شأن العالم البصير وما سواه فشأن الجاهل المغرور .

نعم ان هذه الحجة تقنع المؤمن . أما الملحد المادى الذى لا يؤمن بالخالق ورسالاته الهادية بل يجحد الحقائق ويكابر فى المحسوس مغرورا بعقله القاصر ، فذلك لا ينفع معه الاحتجاج ، بل يجب التأسيس معه أولا ، والبدء بمناقشته من مبدأ آخر .

الهجرة بين التفسير

١ ـ لماذا هاجروا ؟

يستقبل المسلمون هذه الايام غرة عام هجرى جديد ، هو العام السابع والثمانون بعد الثلاثمائة والألف من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه من مكة الى المدينة .... ويحتفل المسلمون فى مطلع كل عام بذكرى تلك الهجرة ، فيذكرون ما يذكرون من آثارها ، ويفيضون فى تفصيل حوادثها ، كأنك ترى أصحابها ، وتنتقل معهم من مكة ، حيث الجو المخنوق الموبوء ، الى مدينة الانصار ، حيث ترى من سماحة الاستقبال ، وفرحة اللقاء ، وكرم الايثار ما لم يسجل التاريخ مثله لجيل من الاجيال ، أو لامة من الامم .

وتسأل نفسك . لماذا هاجر هؤلاء المهاجرون هجرتهم تلك العجيبة الرائعة ؟ .. هل كانت الشقة يسيرة فأغراهم قرب المسافة برحلة لا يمسهم فيها نصب ، ولا يمسهم فيها لغوب ؟

لم تكن تلك الرحلة يومئذ بالامر الهين فى عصر كانت الاسفار فيه تقاس بالايام والليالى .. وكان المسافر من مكة الى المدينة يستغرق فى سفره عشرة أيام وعشر ليال ، وهى مدة اذا مثلت لخيال البدوى من أهل تلك الحقبة ، وثب له معها بعد الشقة ووعورة الطريق ، ووحشة الغربة السحيقة النائية .

وتسأل سؤالا ، أو أسئلة أخرى .

هل كانوا من ذلك الطراز الذى يهون لديهم مفارقة الاوطان ، وما فيها من أهل وأصدقاء وذكريات عزيزة حبيبة ؟

ويجيبك واقع هؤلاء أنهم هاجروا من بلدتهم العزيزة الحبيبة ، وهى أحب أرض الله اليهم ، وقلوبهم تتلفت اليها ، ولما استقروا بدار هجرتهم الكريمة لم تستقر مشاعرهم ، فكان الحنين لا يفتأ ينازعهم اليها . الى ربوعها ، وبطاحها ، وهضابها

« والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

سورة الحشر

المادي والروحي

للاستاذ البهى الخولى

وشجرها ونبتها ، وكان بلال رضى الله عنه كثيرا ما يرفع عقيرته متنهدا أسيفا بقوله .

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بوج (١) ، وحولى أذخر (٢) وجليل (٣)
وهل أردن يوما مياه مجنة (٤)
وهل يبدون لى شامة (٥) وطفيل (٦)

فليست الشقة — اذا — يسيرة ، وليس القوم ممن يهون لديهم مفارقة الاهل والوطن .. فماذا نزع بهم الى تلك الهجرة النائية الشاقة على النفس والبدن ؟

هل كانت لهم هناك مغانم منظورة أو كنوز مذخورة ، أو أموال موعودة ، أو أرض طيبة مأنوسة بما شاءوا من الدور والاهل والاصدقاء ؟ ... ويجيبك التاريخ على سبيل اليقين . انه لم يكن لهم بدار هجرتهم أى عرض منظور أو مذخور ، ولا أى غرض مما يثير الناس ، ويبعث هممهم اليه فى كل أفق .

واذا لم يكن هذا ولا ذاك ، فهل كانوا يقيمون بمكة على هوان وضيم ، أو على عيش جاف خشن ، فحملهم ذلك على أن يفتجعوا على عادة البدو — منازل ذات رفاهة وسعة ؟ ... وهذا السؤال أبعد الاحتمالات عن أن يكون سببا لتلك الرحلة الفذة المعنة فى الغرابة والاغتراب ، فقد كان المهاجرون أغلبهم من ذؤابة قريش شرفا ومنعة ، ورفعة بيت ، ورخاء حال ، وكل قارىء للسيرة وتاريخ العرب يعرف شرف البيت الذى ينتمى اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، والبيوت التى ينتمى اليها أمثال أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وغيرهم ... ولم يكونوا على عيش خشن جاف ، فكان بواديهم بيت مبارك تهوى اليه أفئدة من الناس ، وتجبى اليه ثمرات كل

(١) وج . واد بالطائف لا يبعد كثيرا عن مكة
(٤) مجنة . موضع باسفل مكة على أميال
(٢ ، ٣) الادخر والجليل . نوعان من النبات .
(٥ ، ٦) شامة وطفيل . جبلان بمكة ...

شـــىء .. وكانت لهم رحلتـــا الشتاء والصيف ، فآمنهم الله بذلك كله مـــن خوف ، وأطعمهم من جوع .. ولم يكن المهاجرون أقل أهل هذا الوادى مالا ، بل كانوا من أوسطهم حالا ، وأيسرهم غنى وسعة ، وتذكر كتب السيرة أن أبا بكر رضى الله عنه ـ أخذ معه يوم هاجر خمسة آلاف ، هى بقية عشرات ألوف كان يملكها فأنفقها كلها على الدعوة ، ولا سيما فى شـــراء العبيد الذين كـــان سادتهم يعذبونهم على ايمانهم .

٢ ـ بين المادة والروح ..

هذه أسئلة أوردناها وأجبنا عليها من واقع التاريخ ، ولا يستطيع أشد الناس جدلا أو مكابرة أن يزعم أن الهجرة تمت تحت اغراء أو ضغط أى ظرف مـــن الظـــروف التى جعلناهـــا موضـــوعـــا لأ سئلتنا .

وبيننا الآن فلسفة تفسر أحـــداث التاريخ على ضـــوء العوامـــل المادية أو الاقتصادية وحدها ، فكل أحداث التاريخ وتطورات البشر ونظم الحضـــارة التي تنقل فيها الناس الى اليوم ،انما صنعتها ـ فى رأيهم ـ عوامل اقتصادية حسية، وكان الانسان فيها مستجيبا أو متأثرا بأملاء الاقتصاد ، ونداء حاجاته ، وتوجيه ضروراته .. وهى فلسفة مستفيضـــة ينتهون منها الى مقررات معينة ، منها : الايمان بالمادة المحسة وحدها ، وفعل العوامل الاقتصادية فى تطوير الانسان ومنحه ما يكون له من مقومات الضمير من الآداب والمثل ونحوها ... مع انكار ما عدا ذلك مـــن العوامل الروحيـــة وآثارها ، وادعاء أنها خرافة .

ونحن نسلم بأثر المادة وفعل العوامل الاقتصادية فى حياة الانسان ، وليس من كرامة العقل أن نجادل فى واقع يلابسنا ونلابســـه ، ونلمس آثاره فى أنفسنـــا ومجتمعنا .. ولكنا مع ذلك نسأل باسم كرامة العقـــل أيضا . هـــل العوامـــل الاقتصادية وحدها هى التى تصنـــع للانسان تاريخـــه ، وترسم له طـــريق تطوره ، وتملى على أفراده وجماعاته ما يجب أن يكون ؟

ان حادث الهجرة يتولى الاجابة عـــن ذلك ، فقد سقناه وحاولنا أن نجد لـــه تفسيرا على ضوء أوضاع المادة وعوامل الاقتصاد ، فلم نجد فيما عرفنا من كتب السيرة ومراجع التاريخ سببا واحـــدا يرده الى منطق هذا المذهب ومقرراته .

ومن المسلم به أن الهجرة من حوادث التاريخ التى لا حيلة فى انكـــارها ، أو التشكيك فى حدوثها ، فليس لها مـــــن تعليل ـ اذاً ـ سوى عوامل أخرى غير حسية ، هى العوامل التـــى اقتـــرنت بظروف الهجرة وملابساتها بدءا وختاما، وكانت هى الباعث وهى الغايـــة ... ولسنا نجد شيئا اقترن بتلك الظروف ولابسها ســـوى المبادىء التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وآمن بها هؤلاء فغـــيرت ما بأنفسهـــم وعقولهـــم وقلوبهم ، ونقلتهم من حال الى حال .

كان التفكير الحسى يطغى على وجود أهـــل البيئة كلـــه ، فأفســـد عقولهـــم وأذواقهم ، وعطل ما لهم مـــن مواهب وملكات روحية ... كان هذا التفكير هو الذى يتولى لهم تصوير الحقائـــق الروحية ، والكائنات الغيبية ، فالملائكة اناث .. والآلهة حجارة .. ولله شريك أو شركاء ... وتعدد المعبودات هـــو الامر الذى لا تسيـــغ العقـــول ســـواه « أجعل الآلهة الها واحدا ؟ ... ان هذا لشى عجاب .. » ... واذ تعطل فى الناس وعيهم الروحى ، فقد أسرع ذلك التفكير الحسى الجاهل ، فملأ فى النفوس فراغها الروحى ، حتى سادت الخرافات والاوهام ، واتخذت فيهم مكان التقاليد والعقائد .

فللجن أثر فى حياة الانسان يجب أن يحسب حسابه .. وللطير اذا أيمنت أو أشملت علاقة بما سيكون من أحداث تسر أو تسوء .. وللأزلام اذا استقسموا بها حكمها الذى تعنو العقول لفصله ، وتتقرر مصائر الارواح والاموال بأمره ونهيه .. وللكهان والعرافين حكومتهم التي تشد اليها الرحال ، فينتهى بها الاشكال ، وينزل المتخاصمون على حكمها .. ولا شيء وراء ذلك الكون الحسى ، وليس للانسان من حياة أخرى يحياها فى عالم غيبى على نمط تسمو فيه أذواق الروح على أذواق البدن وأحكام المادة . (ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين) « وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد .. » ... واذ كان الموت هو الخاتمة التى تنهى حياة كل منهم الى غير رجعة ـ على زعمهم ـ فقد أقبلوا على شهوات الحس يبادرونها بما ملكت أيديهم ، وكانت المادة هى وسيلتهم الى ذلك ، أو هدفهم الوحيد اليه .

جاء الاسلام وتلك حالهم من مادية الفكر ، والعقيدة ، والذوق ، والاهداف فعالج ذلك كله ، وأزال عن العقل والقلب ما يغشيهما منه ، وبدل الناس وجودا بوجود .

حرر العقل وجعله عماد الاستدلال فيما يؤيد العقيدة ، وجعل له الهيمنة على الحياة كلها ، وتنقيتها من شوائب الوهم والخرافة ... وأيقظ كرامة الانسان اذ لفته الى ما له من ملكات باطنة هى معقد انسانيته ، وأنه لم يوهب تلك المواهب عبثا أو جزافا ، انما وهبها على قدر ليؤدى بها لنفسه وللحياة رسالة فى عمل الخير ، وتحقيق الحق ، واقامة سلطان الله فى الارض ، وبأنه مسئول عن رعاية تلك الملكات واقامة منطقها فيما يأخذ أو يدع « **ان السمع** والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

ولقد نبهه أنه ـ بتلك الملكات الباطنية ـ حقيقة روحية انسانية باقية ، وليس مجرد هيكل فان مصنوع من المادة ، وأن الموت بالنسبة لتلك الحقيقة انما هو انتقال بها من طور الى طور ... وأن من رسالة الانسان أن يعد نفسه لطورها المقبل ، فمن رعى لها حظها من التفكير فى آيات الله ، وغمر آفاقها بوجدان ذلك التفكر ، وزكى ذلك وأيده بالعمل الصالح ، فقد أعدها لسعادة علوية رافهة ... ومن جعل حظها شهوة الحس ، وعماية الهوى ، وحرص الانانية ، فقد طمس على مواهبه ، وأعد نفسه اعدادا ممسوخا يذوق به الخزى فى طوره المنتظر ..

بهذه المعارف السليمة ، والتوجيهات النفسية الدقيقة تحرر العقل ، وتنبهت الملكات الروحية الباطنة ، وأبصرت فى الكون نفائس ودقائق غير المادة ، وبدأ الادراك الروحى يقدر زاده من الخير والتقوى ، ويفاضل بينه وبين ما هنالك من أزواد حسية ، ويحدد بهذه المقارنة القيم الجديرة بأن يجعلها معقد همته ومناط كرامته .

وبدأ العمل لصلاح النفس يدخل عنصرا جديدا ، بل عنصرا أصيلا فى اقامة حياته على سمتها الحق الى جانب اهتمامه لصلاح بدنه ودنياه .. وبدأ للانسان تعامل مع أفق غير أفق المادة ... بدأت له أشواق الى ما يلوح للبصيرة من اهداف قدسية فى أفق المعنويات .. وبدأت تلك الاشواق تهب له عزائم منهضة نحو تلك الاهداف ، وبدأ الاهتمام بأعراض الدنيا يفقد حدته، أو تنكسر ثورته فى نفوسهم .. وبعبارة أخرى دخلت العوامل الروحية فى حياة هؤلاء المؤمنين ، لتفعل ما تفعله العوامل الاقتصادية فى نفوس الاخرين . ترسم وجهتهم ، وتقرر مناهجهم ، وتبعث عزائمهم وتثير وجدانهم ... وتصنع لهم تاريخهم واخلاقهم ومعاملاتهم ، وسائر روابطهم الاجتماعية ..

البقية على ص ٤٦

في ذكرى هجرة المختار

محمد مؤذن

سيدنا محمد

هل غير هديك للمؤمل باب ... ياخير من تسمو به الألقاب ؟

شعت بنورك في البرية آية ... هي في الخلائق سنة ، وكتاب

الكوكب الدري في أفق الورى ... هذا النبي ، تبارك الوهاب

نزل الأمين عليه يحمل معجزا ... للمرتجين به هدى ، وثواب

آي من الكلم الجوامع لم يزل ... للعقل فيها منطق ، وخطاب

بعث النبي ، وقومه في غمرة ... وحديثهم في المرسلين كذاب

قد كذبوه ، وناهضوه ، وأنه ... فيهم لينبوع جرى ، وسحاب

يدعو الى التوحيد ، وهو جبلة ... دانت بها ، وبنورها الألباب

برهانه نور الكتاب مفصلا ... ولهم حجاج خاسر ، وسباب

نفث الغوى ضلالهم في روعهم ... فغدوا وهم ظفر يصول ، وناب

يتوثبون ، ودون ما قد دبروا ... لقتال أحمد حاصب ، وشهاب

داروا ببيت المصطفى ، وحيالهم ... دون النبي مسالك ، وشعاب

واستمكنوا كي يقتلوه ، وما غفا ... في البيت إلا الفارس الوثاب

يتنظرون مع الصباح غدوه ... وصباح ليل المشركين ضباب

يا نائما ، والروح حارس مهده ... وسيوف مكة من فراشك قاب

حفوا إليك يناوشونك بالأذى ... يا بئس ما خفقت له الأعراب

بكروا على ما بيتوا من أمرهم ... وبهم هدير صاخب ، ووثاب

ويتمتمون بحسرة ، وفجيعة ... هذا على دثرته ثياب

للاستاذ محمد هارون الحلو

صلى الله عليه وسلم

وافَوْا على أملٍ يُقرّ عيونَهم ... وغدَوْا بخِزْى الخاسرين، وآبوا
ومضى رسولُ الله يطلبُ غايةً ... يَرعاه من ظلِّ الإله جنابُ
وطوى الرسولُ البيدَ، وهو على خطا ... من غار ثَوْرٍ، والطريقُ يبابُ
قِفْ بي حيالَ الغار، وَقْفَةَ خاشعٍ ... فالغار في بطحائه محرابُ
حُشِدَ الملائكُ حَوْله مستلئمين ... وهُمْ لدين المصطفَين غضابُ
هذا هو الغارُ المحجَّبُ سرُّه ... رفَّ الظلامُ به، فما ينْجابُ
فَعشاشُهُ فيها الحمائمُ فرَّختْ ... وعليه من نسْج العناكب بابُ
اللهَ أكبر ذاكَ نَصْرُ محمدٍ ... ما فيه شكٌ أو به مُرْتابُ
منعته كفُّ الله من أعدائه ... فمضى على التوفيق، وهو مهابُ
لله درُّك يا أبا بكرٍ، فقد ... شُدَّتْ بك الأوتادُ، والأطنابُ
في الغار كنت المفتدى خير الورى ... والقلبُ ظامٍ، والنفوس جدابُ
هذى مشارفُ يثربَ ائتلقت وأشرق ... بينها للصاحبين رحابُ
وغدا النبيُّ ووجْهُهُ متهللٌ ... جذلٌ، فغمرةُ ليلِه تنجابُ
ومواكبُ البُشْرى تحفُّ ركابَهُ ... وبها قلوبٌ بالنشيد طِرابُ
وترى الكتائبَ والجحافل بالسيوف ... تشابكتْ منها عليه قبابُ
ويرف حوْل المصطفى نسمٌ وظلٌّ ... فيه من مِسْك الرُّبى أطيابُ
عُرْسٌ به غدت المدينة مشهداً ... عجباً تهيمُ بسحره الألبابُ
يا قدسَ هذا اليوم يوم محمدٍ ... فيه تجلّى الواحدُ التوّابُ
هي هجرةٌ ميمونةٌ بجلالها ... ذلّتْ جباهٌ في الورى، ورقابُ

٣ ـ لا مجال للتفسيرات الاقتصادية

ذلك هو التطور الخطير أو التغير الرائع الذى أحدثه محمد صلى الله عليه وسلم بمبادئه فى نفوس هؤلاء .. ولسنا بذلك نجحد أنهم يتأثرون كسائر البشر بالعوامل الاقتصادية ، ولكنا نقرر ما يجحده أنصار المادية الجدلية ، اذ وصفوا العوامل الروحية بأنها وهم لا وجود لها ، ورتبوا على ذلك ما رتبوا من نتائج ومقررات ، فان أيسر ما يفهم من تصرفات هؤلاء المؤمنين ، ومن واقع تاريخ الحقبة النبوية عامة ، أن العوامل الروحية كانت أهم عنصر له أثره البارز فى توجيههم الى جانب العوامل الاقتصادية ، بل كانت هى العنصر الوحيد ذا الهيمنةعلى ما عداه لاستيلائها على مشاعرهم وأفكارهم وانطباع تصرفاتهم بطابعها .

واذا ذهبت تفسر حوادث الهجرة على ضوء مقررات المذهب الاقتصادى أعياك أن توجه حادثا واحدا هذا التوجيه فى نسق مؤتلف مقبول (١) ، وأحسست أن كل شىء يأخذ بزمام ذهنك الى اتجاه روحى صرف ، وأن تلك الاحداث انما تأتلف متناسقة تمام التناسق مع مبادئها التى أوحت بها ومهدت سبيلها الى دنيا الناس وواقع التاريخ ..

لقد عرض خصوم محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يعطوه المال الوفير ، وأن يقيموه ملكا عليهم ، وأن يزوجوه من أجمل فتياتهم من أراد ، على أن يدع أويكف عن مبادئه التى يذيعها ، وهو عرض ينبثق من أذهان قوم آمنوا بالحس وحده ، ولا يعجزنا أن نرى فى صبغتها المادية الصارخة تفسيرها الاقتصادى الذى تتناسق به مع مالهم فى ذلك من توجيه .

ولكن ماذا كان رد محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك العرض ؟

لو أنه كان منبعثا الى دعوته بمؤثرات حسية ، أو اهداف مادية لوجد فيما يعرضون عليه ما يختصر له الزمن ويوفر عليه الجهد ، ويرضى رغبته فيما يريد ، ولكنه أجابهم تلك الاجابة الرائعة الحاسمة « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .. ولا يعجز له أن تتبين فى تلك الاجابة الخالدة أنها تنبثق من ذهن غير أذهانهم ، وتقدير غير تقديراتهم ، وانها تتجه الى اتجاه غير اتجاههم .. وأن نرى فيها الاعتزاز بملكوت القيم الروحية الى الحد الذى يزرى بملك الشمس والقمر ... وانك لو وكلت الى أشد المتعصبين للمادية الجدلية أن يفسر لك الاجابة على ضوء ما له من أصول التفسير الاقتصادى لكان من أعجز العاجزين عن ذلك .

لعله كان يقول . ان محمدا كان يبغى مالا أوفر يأتيه من اتساع دعوته ، فرفض ما عرضوا عليه انتظارا لما سيأتى به نجاح الدعوة من الحظوظ المرموقة .. فهل ذلك من الحق ؟

هل من الحق ان نسند اليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذلك الفرض الجدلى ، وهو الذىأتته الاموال فيما بعد،وانصبت بين يديه على حصير المسجد فكان يفرقها لساعتها حَثْوا بيديه فى حجور الناس

(١) واقع الحوادث والظروف التى أحاطت بالهجرة تهدم فكرة العامل الاقتصادى التى يقول بها الماديون رأسا على عقب . فقد ضحى الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون معه بكل النواحى المادية والمؤثرات الاقتصادية فى سبيل الفكرة الروحية « الوعى »

ثم يقوم والحجر مربوط على بطنه ؟ . . . وكلنا يعلم انه لحق بالرفيق الاعلى ودرعه مرهونة عند يهودى على حفنات من شعير !!

ولعله يقول ان محمدا رفض ما عرضوا عليه من الملك ، لانه كان يبغى أن تأتيه دعوته بملك لا منة فيه لاحد عليه .. فهل ذلك من الحق وهو الذى صار فيما بعد سيد الجزيرة غير منازع فرفض أن يقوم له أتباعه وأن يعظموه تعظيم الملوك ، وكان حظه من تلك الرياسة أن قال . انما أنا عبد ، أجلس كما يجلس العبد ، وآكل كما يأكل العبد ؟

ولندع صاحب الرسالة — عليه الصلاة والسلام — لنقرأ فى سير اتباعه أن أهليهم كانوا يلينون لهم القول ، ويبذلون لهم الرجاء ، ويعرضون عليهم العروض لكى يدعوا ما دعاهم اليه محمد صلى عليه وسلم والسلطان فى أيديهم ولا سلطان معه ... والعافية فيما يدعونهم ولا عافية معه .. فلماذا رفضوا ، ولماذا هاجروا ؟ ... لماذا رفض الاشراف ، وأبناء الاشراف أن يبقوا على العافية فى أهليهم ودورهم وأموالهم ، وآثروا الخروج من ذلك كله الى نقيضه ؟

أيقال انهم فروا من العذاب ؟ .. انهم انما كانوا يعذبون ليعودوا عن مبادئهم الجديدة الى ما كان عليه الآباء الاولون ولو أنهم فعلوا لما كان عذاب ، ولما كان الا العافية والسعة .. على أنه ما كان يعذب — غالبا — الا من لا عشيرة له كالعبيد والغرباء ، فقد عذب بلال العبد ، وعمار العبد ، ومن على شاكلتهما من المستضعفين ، عذبوا لا بغضا لهم ولا ضيقا بهم بل ليعودوا الى دين السادة الاعلين ، ولهم على ذلك ما شاءوا من سعة وعافية ، ولكن العبيد كانوا يحيون من مبادئهم سيادة اخرى تنبذ كل ما عرف القوم من عرض وجاه .

ولندع هؤلاء المهاجرين لما يشغلهم من أمر هجرتهم لنسأل دعاة الجدل والاقتصاد . ما بال أنصار المدينة يبذلون أموالهم ، وأمتهم ، ويهدفون نحورهم لرماح أعدائهم فى سبيل تلك الدعوة ؟ .. هل وعدهم النبى على ذلك ملكا أو عرضا كثيرا أو قليلا من عرض الدنيا ؟ .

لقد التقى به فريق منهم فى موسم الحج على موعد عند العقبة ، ودعوه الى أن يتحول الى مدينتهم فماذا وعدهم ، أو بماذا مناهم ؟ .. لقد شرط عليهم أن يحموا دعوته مما يحمون منه نساءهم وأبناءهم ، فقالوا له . « وماذا لنا يا رسول الله اذا نحن وفينا لك بما شرطت » ... فلم يقل لهم . لكم ملك العرب ، أو أموال الجزيرة ، أو لكم من المناصب كيت وكيت ، بل قال لهم . « لكم الجنة » . فقالوا فى فرح وبشر . « ربح البيع يا رسول الله ، والله لا نقيل ولا نستقيل » ... وهى اجابة تصور ما كان يحيا فيه القوم من أهداف وغايات ، وتحتمل كل تفسير وتأويل الا أن تفسر ببواعث المادة ورغبات الاقتصاد .

ولقد صدرنا هذه الكلمة بقوله تعالى . « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » « الآية » . فهل يستطيع أحد أن يدلنا على سر ذلك الحب فى قوله تعالى « يحبون من هاجر اليهم » .. ان الانصارى لم يرتبط بأخيه المهاجر بأى رباط حسى سابق من نسب ، أو معاملة ، أو نحوها مما يظن به انه سبب ذلك الحب ... ومن المسلم به أن المهاجر هاجر تاركا وراءه ماله وولده وداره ، وأقبل على المدينة معدما ليس معه من عرض الدنيا ما يفرح به أنصارها ، أو يفتح له قلوبهم ببسمة واحدة .

٤ ـ بين الوهم والحقيقة

هذه أحداث معروفة ، وكائنات تاريخية مقررة لا يسيغ الذهن اطلاقا أن يكون المرء فيها مستجيبا لضغط حاجاته المادية ، ولا يقر المنطق الا أنها من فعل عوامل روحية خالصة .. **وليس لذلك من معنى سوى أن العوامل الروحية حقيقة واقعة ذات أثر فى توجيه المرء ، وبناء المجتمع ، وتطور البشر ، وصنع حوادث التاريخ** ، وان كانت شيئا لا يدركه الحس ، ولا يصل اليه تصور الاذهان .

فهل يمكن ـ ارضاء لدعاة المادية الجدلية ـ أن يكون هؤلاء المهاجرون قد تركوا أوطانهم ، ودورهم ، وأموالهم ، وأهليهم ، الى بلد غريب ـ بلا شىء ؟ وهل يمكن أن يكون هؤلاء الأنصار أحبوا هؤلاء المهاجرين وآثروهم على أنفسهم ، بلا شىء .. ! .

.. أى بدون سبب ما ؟ .. فكيف يتأثر الانسان بلاشىء .. وكيف يصنع اللاشىء تاريخا وتطورا فى حياة البشر ؟ .. وما هذا « اللاشىء » الذى يدخل حياة المرء فيغير آراءه ، ويبدل أفكاره ووجدانه ، وينتزعه انتزاعا من جوانبه الحسية والاقتصادية ويدفعه الى اتجاه آخر يغير به مجرى حياته ؟

اذاً ، فلسنا بازاء وهم غير موجود ، بل بأزاء عوامل عتيدة، ذات آثار واضحة مقررة فى التاريخ... ولولا هذه العوامل ما جاءت تلك الآثار والاحداث على مثالها الفريد الذى تميزت به بين عبر الماضى وكائناته ... ولا مفر من التسليم بهذه العوامل الروحية ، فهى عوامل لها أصالتها فى ضمير الوجود ، كما للعوامل الحسية أصالتها فى ظاهر المادة .

وحين يهتدى المرء الى حقيقة انسانيته ، ولب وجوده ، تنبثق تلك العوامل فى ضميره ، وتنشأ له أهداف غير أهدافه السابقة ، ويتخلص من تحكم العوامل المادية فى مصيره ، فاذا هو يأخذ ويدع ، ويقول ويفعل ، وينظر الى الحياة على مثال غير الذى كان له بالامس ، وبهذا المثال الجديد يجب أن يفسر تاريخه ، وما عرض له من تطور ، وما تقلب فيه من أحوال .. ولن يستقيم فى الذهن تفسير الهجرة ، وتأويل أحداثها الا على ضوء هذه النظرة الصافية والمثل الجديدة .. واذ تقرر ذلك فلا حيلة للعقل بازائه الا أن يرى بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم ، وجهلا بأسرار الحياة ، وأقدار الانسان .. والحمد لله رب العالمين .

- من العسير أن تجعل المعدة تصغى الى العقل .
- الشر حلو أوله ، مر آخره .
- احرص على الموت توهب لك الحياة .
- أناة فى عواقبها فوت خير من عجلة فى عواقبها درك .
- كن كالتاجر الكيس ان وجد ربحا تجر ، والا تحفظ برأس المال .
- ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت ، فأف للجبناء .

مؤرخو الفتوح الاسلامية في القديم والحديث

للاستاذ : محمد عبد الغنى حسن

لم تجىء حركة التأليف فى الفتوح الاسلامية فى أعقاب هذه الحـركات الكبرى مباشرة ، ولكنها ظلت بعض الوقت حتى استقرت حركة التدويـن التاريخى ، وخاصة فى المغازى الاولى التى صنف فيها جماعة من أمثـال وهب بن منبـه ، وعروة بن الزبير ، والزهرى ، وابن اسحاق، ومعمر بن راشد ، والواقدى وغيرهم .

الواقدى

ولعل الواقدى المؤرخ القديم فى المغازى هو أقدم من وصلت الينا كتبهم فى الفتوح الاسلامية ، التى جـاءت عقب غزوات الرسول فى عصر الخلفاء الراشدين ، وما جاء بعده من عصور . وقد عاش الرجل فى عصر الخليفة العباسى هارون الرشيد وعصر المأمون ، حيث توفى فى العقـد الاول من القرن الثالث الهجرى .

وقد اعانت الرجـل على التصنيف التاريخى ثقافة واسعة ومكتبة حافلة بالكتب التى كانت معروفة فى عصره ، والتى استطاع أن يحصل على نسخ منها ، حتى ليروى ابن النديم صاحب «الفهرست» أنه خلف بعد وفاتـه سـتمائة قمطر من الكتب ، نسخها له غلامان مملوكان كان يستأجرهما لهذا الغرض ، ويكتبان له الليل والنهار .. وذلك قدر كبير مـن الكتب بالنسبة الى ذلك العصر البعيـد الذى كان قريبا جدا من عصر التدوين فى الفكر الاسلامى .

واذا تركنا جانبـا كتب الواقـدى التاريخية الكثيرة لانها ليست من سبيل بحثنا ، فانه لا يجوز أن نغفل هنا الاشارة



الى كتابيه فى « فتوح الشام »و« فتوح العراق » . بل لقد نسبت اليه كتب أخرى فى الفتوح مثل كتاب « فتح منف والاسكندرية »المطبوع بليدن سنة ١٨٢٥م و « فتوح العجم » المطبوع بالهند سنة ١٢٩٧هـ ، و « فتوح الجزيرة » الذى نشر مرتين احداهمابعناية الاستاذ أيوالد سنة ١٨٢٧م ، وثانيتهما باشراف الاستاذ نيبوهر فى هامبرج سنة ١٨٤٧م و« فتح افريقية » الذى طبع فى تونس سنة ١٣١٥هـ .

وعلى الرغم مما فى مؤلفات الواقدى فى الفتح الاسلامى من مبالغات وحشو وقصص كثير ، فان لها قيمة تاريخية لان بها من الاخبار والتواريخ مالا يوجد بغيرها ، ويستطيع المؤرخ البصير الناقد اليوم أن يخرج منها مادة تاريخية جيدة تتصل باخبار الفتوح الاسلامية فى الشرق ، ومصر وافريقية بعد غربلتها ونخلها نخلا دقيقا ، ومقابلته رواياتها بعضها ببعض وتصحيح ما فيها من تناقضات ...

البلاذرى

وهذه النظرة الواسعة الى حركات الفتوح الاسلامية فى رسائل ومصنفات مستقلة بكل قطر مفتوح تقابلها نظرة جامعة شاملة عند مؤرخ اسلامى آخر متأخر بضعة عقود من السنين عن « الواقدى » وهو الامام ابو العباس أحمد بن يحيى البلاذرى البغدادى المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، والذى صنف فى حركات الفتح الاسلامى كتابه المشهور « فتوح البلدان »وقد تحدث فيه عن الفتوح الاولى فى أيام النبى عليه الصلاة والسلام فى اطار شبه جزيرة العرب ، كفتح مكة، واليمن ، وعمان ، والبحرين واليمامة . ثم انتقل بعد ذلك الى فتوحات ما بعد عهد النبى ، كفتوح الشام ، والجزيرة وارمينية ، ومصر ، والمغرب ، والمدئن ، والعراق ، وفارس ، وخراسان ، وكابل، والسند من بلاد الهند التى فتحها البطل العربى الشاب محمد بن القاسم الثقفى وهو لم يبلغ العشرين من عمره ، حتى لقد قال فيه الشاعر حمزة بن بيض الحنفى يمدحه :

ان المروءة والسماحة والندى
لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لبضع عشرة حجة
يا قرب ذلك سؤددا من مولد !

مميزاته

ويمتاز « فتوح البلدان » للبلاذرى بالدقة العلمية على الرغم من وجازته ، وتجنب التفصيل فيه . كما يمتاز بذكر سلوك المسلمين فى الفتوح ، ومعاملتهم لاهل البلاد ، وتشريعاتهم وأنظمتهم التى استنوها فى كل قطر تبعا لظروفه ، مما أتاح لمؤرخى التشريع الاسلامى بعدذلك أن يجدوا فى هذا الكتاب ـ على الخصوص ، مستندات مهمة فى معاملة أهل الذمة ، وفى تحديد الخراج والجزية.

وحين يذكر البلاذرى فى الحادثة الواحدة روايات مختلفة فانه لا يقف منها موقف العارض ، بل يعلق عليها برأيه ، ويرجح بعضها على بعض بما يؤكده له وجه الصواب . وقد يروى الروايتين

فيصف احداهما «بأنها أثبت» من أختها ، ويميل دائما الى ذكر الاسناد فى روايته التاريخية ، كما كان يفعل أهل الحديث فاذا عز عليه ان يحفظ سلسلة السندلم يجد غضاضة فى ذلك قائلا مثلا : « وحدثنى هشام بن عمار فى اسناد له لم أحفظه ... » وحين تجتمع له روايتان احداهما أقوى من أختها — فى نظره — فانه يذكر الاولى بصيغة الفعل المبنى للمعلوم ، ويذكر الثانية بصيغة المبنى للمجهول ، فيقول مثلا : « قالوا » فى الموضع القوى و « يقال » فى الموطن الضعيف ...

ولم يفت مؤرخنا البلاذرى وهو يتحدث عن الفتوح الاسلامية أن يحدثنا عن أحكام الارض الخراجية ، والعطاء فى خلافة عمر ابن الخطاب ، وتدوين الدواوين ، وأمر الخاتم الذى كانت تختم به الكتب والرسائل الى الملوك ، وأولها الخاتم الذى اتخذه محمد عليه الصلاة والسلام من فضة وختم به رسالته الى ملك الروم ، وقد ذكره أنس بن مالك رضى الله عنه قائلا : (فكأنى أنظر الى بياضه فى يده .) وكان فصه حبشيا ، كما لم يفته أن يحدثنا عن أمر النقود الاسلامية وبدايتها بعد الدراهم التي كانت من ضرب الأعاجم وعن أمر الخط العربى فى الجاهلية والكتاب الذين كانوا يكتبون للنبى عليه الصلاة والسلام .

وعلى الرغم من وجازة الاخبار والاحداث فى فتوح البلدان للبلاذرى فان فيه من الحقائق التاريخية ما يعد ذا قيمة كبيرة ، فمنه نعرف أن « حفصة » زوج النبى كانت تكتب ، وأن زوجه « أم سلمة » كانت تقرأ ولا تكتب .. وكذلك كانت عائشة تقرأ المصحف ولا تكتب ..

ابن عبد الحكم

واذا كان البلاذرى قد تناول فتوح مصر والمغرب بالايجاز الذى تقتضيه طبيعة كتابه الجامع فى الفتوح عامة ، فان مؤرخا عربيا مصريا فى القرن الثالث الهجرى ايضا قد خص « فتوح مصر والمغرب » بكتاب مستقل يحمل هذا العنوان . وهذا المؤرخ هو ابن عبدالحكم المتوفى سنة ٢٥٧هـ . وهو أقدم من وصلت الينا مؤلفاته من تاريخ مصر الاسلامية ومن هنا جاءت قيمة الكتاب ، وقد جمع مؤرخنا المصرى مادة كتابه من بعض ما كتبه مؤرخو المغازى والفتوح والطبقات قبله ، ومن الروايات الشفوية التى كان الرواة يتناقلونها على طريقة الأسناد الكامل .

ميزته

ومزية كتاب ابن عبد الحكم فى فتوح مصر والمغرب أنه نقل لنا نصوصا عن كتب ضاعت ، ولا نعرف الا أسماء أصحابها مثل عبد الله بن المبارك ، وسعيد ابن مريم ، وابن عفير ، وعبدالله بن وهيب من رجال القرنين الثانى والثالث .

وقد ظل كتاب « فتوح مصر والمغرب » لابن عبد الحكم المصدر القديم الوثيق فى تاريخ مصر الاسلامية ، الذى اعتمد عليه كل من جاء بعده من المؤرخين ، من أمثال الكندى صاحب « القضاة والولاة » و « ابن زولاق » و « القضاعى » و « ابن دقماق » و « المقريزى » و « ابن تغرى بردى » و « السيوطى » و « ابن اياس » مؤرخ مصر فى الفتح العثمانى .

ولا ينسى ابن عبد الحكم وهو يؤرخ لفتح العرب لمصر أن يتحدث فى اول الكتاب



عن فضائلها ، ووصية رسول الله بأهلها القبط ، وتاريخها القديم . وهو تاريخ كان يعتمد بالطبع على كثير مما جاء فى الاسرائيليات والاساطير ، لان الكشوف التاريخية الهامة — وخاصة الكتابة الهيروغليفية — كانت لا تزال فى بطون الغيب السحيق .

وفى « فتوح مصر » لابن عبد الحكم كثير من الاخبار التي لم تأت فى كتاب غيره ،وهو أقدم كتاب فى الفتوح الاسلامية يذكر عادة القاء عروس فى النيل حتى يفيض ماؤه كل عام . وقد ذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص قد أبطل هذه العادة قائلا : « ان هذا لا يكون فى الاسلام ، وان الاسلام يهدم ما قبله » ، وقد أقر الخليفة عمر بن الخطاب الفاتح عمرو بن العاص على هذه الخطوة الحكيمة . وقد نقل كثير من المؤرخين المسلمين حكاية عروس النيل عن «ابن عبد الحكم » ومنهم المقريزى ، وابن كثير ، والمقدسى ، والقلقشندى ، والسيوطى ، والسبكى . وان كان يميل بعض المؤرخين والادباء المحدثين الى تكذيبها ، ومنهم الاثرى المؤرخ سليم حسن ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور أحمد بدوى المؤرخ ، والدكتورة نعمات أحمد فؤاد . ولعلهم يتابعون فى ذلك « بتلر » المؤرخ الانجليزى المعروف ، وصاحب كتاب « فتح العرب لمصر » .

ابن القوطية فى الاندلس

وقد كانت بلاد الاندلس مجالا جديدا اتجه اليه مؤرخو الفتوح الاسلامية . فيصادفنا من أقدم المؤلفين فى هذا — المؤرخ « ابن القوطية » القرطبى من رجال القرن الرابع الهجرى . وأهمية كتابه فى الغرب تعادل أهمية كتب الواقدى والبلاذرى وابن عبد الحكم فى الشرق . فقد حفظ لنا كثيرا من أخبار الفتح الاسلامي للاندلس ، ومن عجب أن مؤلفه العربى المسلم هو من احفاد سارة القوطية حفيدة « غيطشة » المشهور فى خلال الفتح العربى للاندلس ..

واذا كانت قد وجهت بعض الملاحظات والمؤخذات على المنهج التاريخي الذى اتبعه ابن القوطية فى تاريخه لفتح الاندلس ، فانه بلاشك مجموعة من الاخبار التى قد لا ترتفع لتعطينا فكرة واضحة عن المجتمع الاندلسى فى سنوات الفتح وما أعقبها . وقد لاحظ المستشرق الاسبانى المعاصر « يوليان ريفيرا » أن أخبار هذا الكتاب متناقضة ، وأنه ليس ببعيد أن يكون جمعا غير دقيق ولا منظم ، من عمل أحد تلاميذ ابن القوطية ..

وقد نشر كتاب ابن القوطية لاول مرة فى مدريد سنة ١٨٦٨ باعتناء « جابانجوس » الذى لم يفهم النص العربى ولم يخرجه على أقرب الوجوه الى أصله . وبلغ من أهمية هذا الكتاب أن ترجمه المستشرق الاسبانى ريفيرا سنة ١٩٢٦ الى الاسبانية وأن علق عليه تعليقات تاريخية قيمة . وقد أتيح له أن ينشر أخيرا فى احدى دور النشر ببيروت .

الاصفهاني

وقد كان فتح بيت المقدس — او استرداده — من يد الصليبيين على يد البطل صلاح الدين الايوبى موضوعا لكتاب هام فى تاريخ الفتوح الاسلامية ، كتبه الاديب المنشىء المؤرخ عماد الدين الاصبهانى بعنوان « الفتح القسّى » فى

البقية على ص ٧٣



يكتبها : عبد المنعم النمـر

عبـرة :

من أخبار حيدر أباد بالهند أن نظام حيدر أبادالسابق قد توفي عن (٨١) عاما فى أواخر فبراير،واشترك أكثر من نصف مليون شخص فى تشييع جنازته .. فأثار هذا الخبر فى نفسي كثيرا من الخواطر والعبر .. وقد كتبت عن قيام هذه الاسرة المالكة فى حيدر أباد فى كتاب « تاريخ الاسلام فى الهند » ثم كتبت عن نهاية حكم هذه الاسرة والقضاء نهائيا على سلطتها عندما دخلها الجيش الهندى عند استقلال الهند سنة ١٩٤٧ م ، وذلك فى كتابي « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » .

ومن خلال ذلك عرفت كيف تأسست هذه الاسرة،وكيف حكمت هذه الولاية قرونا..وكانت نموذجاطيبا فى التعليم والتقدمالعمراني والعنايةبالثقافة الاسلامية منبين ولايات الهند كلها .. وحين زرتها فى ٧ ديسمبر ١٩٥٧ م .. شاهدت بنفسي الآثار الطيبة التى خلفتها هذه الاسرة ممثلة فى الجامعة العثمانية والمدرسة النظامية الدينية التى كانت تحتضر حين زرتها .. وفى دائرة المعارف العثمانية التى تعنى بطبع أمهات الكتب العربية والمكتبات الضخمة الاخرى التى تضم عشرات الآلاف من الكتب الاسلامية باللغات المختلفة ومنها مخطوطات نادرة .. وكنت وانا اسير بين هذا التراث الذى خلفه حكام حيدر أباد المسلمون أشعر كاننى أعيش فى تاريخ مضى وأمشي فى جنازة صانعيه .. حتى الحاكم الاخير الذى نتحدث عن وفاته كان يعيش فى قصره وكانه يعيش فى قبره ..

لقد رثيته فى نفسي حينذاك ورثيت أسرته معه .. كان أغنى رجل فى العالم يملك من المال والمتاع ما لا يملكه انسان ، وما كان أى واحد بنظرته القصيرةللحياة يعتقد أن كل ذلكسيتخلى عنه ، وأنه سيعيش حتى يحتاج الى من يساعده ، وتنشر الصحف قبل وفاته أن نظام حيدر أباد السابق يحتاج الى من يمد له يد المعونة ليعيش ..

يا سبحان الله .. ولد والدنيا كلها تحت قدمه ، وتحيط بسريره ، وعاش حتى حكم ورأى الدنيا ومتاعها وبهجتها ، وعرف وقرأ عن نفسه أنه اغنى رجل فى العالم ، ثم يمتد به العمر حتى يرى حكمه يزول عنه ، وماله يؤخذ منه ، حتى يحتاج فى أواخر حياته الى تبرعات المحسنين ، وتكون الفصول الاخيرة من حياته مأساة .

وما أظن مئات الالوف الذين أحاطوا بنعشه يودعونه الوداع الاخير بقلوبهم الدامية ، وعيونهم الباكية الا انهم كانوا مأخوذين بهول الفصل الاخير من المأساة حين أسدلت الستارة على بطلها .. وبكى المسلمون فيه آخر رمز لايامهم المجيدة فى هذه الامارة . بعد أن بكوا الحقيقة التى زالت وضاعت يوم أن زال ملكه ، وملكهم معه فيها

فى سنـة ١٩٥٧ وبعـد عشر سنـوات من القضـاء على سلطانـه ، كنت بينهـم أرى المأسـاة مرتسمة فى كل وجه ، ناطقة على كل لسان ، وهالني أن أرى هذا الخور وأسمع هذه النغمة بعدما مضى من سنين ،وخفت عليهم أن يعيشوا طويلا فيها ، وتقضى على تطلعاتهم ، وتسدل ستارا من الظلام واليأس على مستقبلهم ، فوقفت على منبر مسجد مكة الكبير ، أفتح لهم طاقات الامل على طريق المستقبل الطويل .. واذكر أننى قلت لهم يومها ان المسلمين فى اى مكان ليسوا بملوكهم ولا رؤسائهم ، ولكن بعملهم وخلقهم وتعاونهم ومشاركتهم القويـة في بناء المجتمع الذي يعيشون فيه .. وبقدر تضامنهم تكون قوتهم ، بقدر ما يبذلون من جهد يكون وضعهم فى مجتمعهم .. ولكنى مع ذلك لم أستطع أن أغالب تيار عاطفتى التي انحنت هى الاخرى أمام التاريخ الذى مضى ..

وبعد ذلك كله نجد العبرة ماثلة امامنا فى حياة هذا الرجل .. وكم من عبر مرت ، عاصرناها ، أو

قرأناها فى بطون الكتب .. ما أحوجنا الى الاستفادة منها .. حتى لا يغتر انسان بجاهه أو بماله .. ويكرس حياته ليكون انسانا نافعا لنفسه ولمن يعيشون معه ، ويعمل على أن يخلف ثروة من الذكرى والاعمال الحسنة يذكرها الناس ، ويجزى عليها علام الغيوب « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا » .

مشاكل التبنى أيضا :

لعل القراء يذكرون ما كتبته فى افتتاحية العدد الاسبق « ذي القعدة » عن مشكلة تزايد اللقطاء كأثر من آثار الحرية المشوهة التى جرفت مجتمعاتنا فى تيارها ، والانحلال الخلقي الذى كان أحد آثارها ، وما نراه من ارتفاع بعض الاصوات باباحة التبنى ، كحل من حلول هذه المشكلة دون التفات الى تعاليم القرآن القاطعة فى تحريم التبنى .. متذرعين بالعاطفة ومتأثرين بما يجرى فى الامم الغربية ، ونحن ـ مع الاسف الشديد ـ نجد الكثيرين منا مشدودين بأفكارهم الى ما يجرى عند غيرنا ، مستحسنين كل ما عنده ، داعين الى السير على طريقه مهما يكن فى دعوتهم من مجافاة لتعاليم دينهم ، وانكار لتشريع شرعه ربهم العليم الخبير .. المهم عندهم أن ينقلوا الى أممهم ما فى الغرب مهما يكن ..

والى هؤلاء بالذات أسوق لهم هذا الحديث الذى سمعته من الاخ الدكتور عثمان خليل عثمـان الخبير الدستورى لمجلس الامة الكويتى ، وعميد حقوق جامعة عين شمس سابقا ..

لقد قال لي الدكتور الفاضل عند لقائنا بعـد أن قرأ ما كتبته عن اللقطاء : لقـد ذكرني ما قرأته ببحث استمعت اليهفى‌انجلترا ، ألقته أستاذة متخصصةفى‌شئون الأسرة ومشكلة التبني .. وكانت تستعرض المشاكل التى تلاقيها بعض الاسر التى تتبنى بعض الاطفال حين يكبرون ذكورا أم اناثا ، والحوادث الخلقية التى تحدث فى الاسرة بسبب هذا التبنى ... وانتهت من عرض هذه المشاكل الى طريقة واحدة للتخلص منها ، والقضاء عليها ، وهو منع التبنى الذى يأخذ فيه الطفل لقب الاسرة التى تتبناه ، حتى يكون هناك حاجز يمنع التصاقه بالاسرة .

ويقول الدكتور : وهنا تذكرت قوله تعالى : « ادعوهـم لآبائهم هو أقســط عنـد اللـه .. » .

وأقول : نعم .. وسيبقى العالم تائها فيما يضعه لنفسه من تقنين وعلاج لمشاكله ، وهو يداوى بالتى كانت هى الداء .. ولو أراد اختصار الطريق لرجع الى المختص بحل المشاكل وعلاجها الى تقنين الحكيم الخبير ، كما يرجع فى أمراضه ومشاكلـه الاخرى الى المختصين فى دراستها ويأخذ بآرائهم ..

ومن أمريكـا :

ومن نيويورك جاءنى تعليق من الصديق الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المركز الاسلامى هناك يقول فيه : لقد أحسنت اذ علقت على مشكلة اللقطاء بأن الافضل علاج الداء لا الانشغال بالدواء ، ثم وصف الحالة هناك نتيجة الانحلال الخلقي وانصراف الناس عن علاج المشكلة الى اتخاذ أساليب تزيد من تفاقمها ، حتى أنهم يدفعون مرتبا شهريا للام عن كل طفل غير شرعى من ميزانية الاعمال الخيرية ، وهنا لا نعجب حين نجد نسبة المواليد غير الشرعيين بين الزنوج ٧٠٪ سبعين فى المائة ، وبين بعض الطبقات الاخرى أربعين فى المائة !!

وهذه معلومات أقدمها للمفتونين بالنظم الغربية والحرية الشوهاء التى تولد مثل هذه المشكلات وأقول لهم : ماذا تريدون بعد هذا ؟ .. فالى شرع الله اذن « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » .

المركز الاسلامي :

وبمناسبة حديث الدكتور عبد الرءوف والمركز الاسلامى فى نيويورك ، أحب أن أسجل هنا ما جعله فى خطاب بيني وبينه خاصا بالاخ السيد راشد عبد العزيز الراشد مندوب الكويت الدائم لدى الامم المتحدة ، والخدمات التي كان يقدمها بحماس للمركز الاسلامي واغراضه ، وذلك بمناسبة نقله وكيلا للخارجية .

وأسف الدكتور عبد الرءوف لحرمان المركز من خدماته المباشرة ، وأمله الكبير فى خلفه ، وانه ليسرنا أن نسجل هنا مثل هذا النشاط ، وهذا التحمس تقديرا للعاملين فى هذا المجال الذى يحتاج حقا الى كثير من العناية والاهتمام .

كما يسرنا كذلك أن نشيد بما تحدث الدكتور به من نشاط السفراء المسلمين ، وكبار المسلمين فى نيويورك ، من أجل اقامة بنيان لائق بالمركز الاسلامي هناك ، يضم مسجدا ، ومدرسة ، وقاعة للمحاضرات وغير ذلك من المرافق اللازمة .. بحيث يكون مركزا عاملا ومنتجا ، فى الوقت الذى يكون فيه مظهرا لائقا للاسلام والمسلمين فى وسط يعج بالمظاهر والامكانيات .. واذا كان هذا هو الذى حمل المعنيين بشئون المركز هناك الى تأليف وفد من السفراء يطوف بالدول الاسلامية فى هذه الايام لجمع التبرعات اللازمة لانشاء هذا المركز . فاننا من هنا نحيي هؤلاء العاملين ونرجو أن يجدوا ما يحقق أملهم وأملنا فى الدول الاسلامية ورجال الاسلام الاثرياء فى كل مكان ..

أريتريا :

من أخبار السودان الشقيق أن اللاجئين تدفقوا بالآلاف من أريتريا الى مديرية (كسلا) نتيجة صدام عنيف بين الاريتريين والجنود الاثيوبيين تدخلت فيه الطائرات الاثيوبية بقصف المنطقة ..

ونحن لا نريد هنا أن ندخل غمار السياسة او نضع أنفسنا بين فكيها المزعجين أو فى مهب تياراتها الوبائية .. ولكن بقدر ما نحمل من رسالة الاخوة الاسلامية ، والواجب الاسلامي والانساني معا نتحدث ..

فكثير من البلاد تطالب بحريتها وتجد من يساعدها او يتدخل وديا مع الدولة المعنية لايجاد الحلول المنصفة التي يمكن ان تحد من تفاقم المشكلة ، وتضع حدا للدماء المراقة والارواح المزهقة .. وفى هذا النطاق يجب ان تحمل الدول الاسلامية عبئها ، وتقوم بواجبها نحو اخوان لهم مستضعفين يعانون ألوانا من الاضطهاد والاعنات . كل دولة على قدر طاقتها ، وحسب أساليبها التى ترتضيها . المهم أن يشعر الملايين من اخواننا هؤلاء بأن الاخوة الاسلامية لا تزال حية نابضة فى قلوب المسلمين ، وأنهم لا يزالون كما تحدث عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكما يجب أن يكونوا : كالجسد الواحد اذا اشتكى بعضه اشتكى كلـه ..

ان اللاجئين الى السودان الذين قدرتهم الاخبار المذاعة بسبعة آلاف ، ومن المقطوع به أنهم سيزيدون بعد كتابة هذه الكلمة .. هؤلاء لم يتدفقوا على السودان هذا التدفق الا بسبب الجحيم الذى يعيشون فيه ، والا لما تركوا أوطانهم ، كما أن رفضهم العودة الى وطنهم بعد أن طلبت حكومة أثيوبيا من السودان اعادتهم دليل قاطع على ما يتوقعون اذا عادوا من مصير رهيب .. وهذا وحده كاف لان تتيقظ الحكومات والهيئات الاسلامية لتعمل فى حدود طاقتها وبأساليبها المتنوعة لضمان عيشة كريمة وأمن وانصـاف لهؤلاء المستضعفين ..

ان الذى حدث لا يجوز أن يمر بسهولة أو أن نتغاضى عنه كأنه لم يحدث لاخوان لنا كرام علينا ، واذا كانت هناك اعتبارات لدى هذه الدولة أو تلك ربما تحد من انطلاقتها التامة للعمل ، فان للاخوة الاسلامية اعتبارا يجب ألا يتناسى أو يهمل .

فى الفلبـين :

فلقد كان لهذه الاخوة أثرها الذى أشادت به صحفنا جميعا واذاعاتنا ، وذلك فى المقابلة السيئة التى قوبل بها وزير خارجية الافاكين السفاكين حين وصوله الى المطار فى الفلبين ، فلقد ألفت جمعيـة الطلاب المسلمين التى تضم أربعة آلاف عضو مظاهرة عنيفة ضد هذا الوزير حين وصوله للمطار ، حتى اضطر البوليس لاخراجه من باب جانبي للمطار ، ووجه بعض أعضاء البرلمان من المسلمين انتقادات عنيفة للحكومة لاستقبالها هذا الوزير .

وهذا الذى حدث فى الفلبين على بعد ما بيننا وبينها من مسافات ، لم يكن الا أثرا من آثار الاخوة الاسلامية التى قربت ما بيننا وجعلتهم هناك يشعرون بآلامنا هنا ..

نعم : ان هذه الاخوة كنز فلا تهملوه حتى تفقدوه ...

فضل القرآن على اللغة

لغتنا سجل لمفاخرنا

بين كل أمة روابط وصلات ، وعرى وأسباب،ومن أهم هذه الصلات وآكدها، وأقواها وأوثقها ، لغتهم التى هى سمة لهم وخاصية فيهم ، يعبرون بها عن خواطرهم وآمالهم وآلامهم ، وتسجل لهم أصول دينهم وأحكام شريعتهم .

واللغة العربية رابطة قوية بين العرب، بها يلتقون ، وعليها يجتمعون ، فهى مثار الحس ، ومناط الالف ، بها يحن الغريب ، ويهفو العربى الى أخيه ولو بعدت الديار ، وشط المزار .

ولغتنا التي حملت ديننا ومكارم العرب وآثارهم ، ووسعت كتاب الله لفظا وغاية، أصلب اللغات عودا ،وأكثرها مع أعتى الخصوم عنادا ،صمدت لطغيان التتار ، وقهرت محاولات الفرس ، وطفت على حكم الترك ، وأفسح علماؤها صدورهم لكل وافد من الحضارة ، ولكل طارىء من المعرفة ، فما ضاق لها أفق ، وما كل لها جهد ، ونهضت بالتعريب والقياس والاشتقاق وما سوى ذلك من عوامل النمو والتطويع بكل مقتضيات الحياة .

فما كان للغة عيب الا من انقباض أهلها عن الحرص عليها والضن بها ، ولو أنهم غاروا – عليها ، ونحوا عن أنفسهم وصمة التقليد ، وعار المحاكاة ، لظلت نقية الصفحة ، بريئة من كل ما شابها بالمداخلة المسرفةمن تحريف أو تصحيف، أو عجمة أو دخيل .

واذا كانت اللغة العربية قد صمدت للفتن والأحداث ، وصبرت على الكيد من خصوم وعتاة ، وخرجت من هذه المكاره ، دون أن يمسها سوء الا من تفريط العرب أنفسهم ، فان هذا الذى مسها من مكروه ، دون ما تعانيه اليوم من عامية مسخت جميع الالسنة، وغزت العام والخاص ، وتسللت الى المعاهد والجامعات ، ولقيت أنصارا – من العرب أنفسهم – يتحمسون لها ، ويحرصون أشد الحرص عليها ، كأنهم أعداؤها وخصومها ، ولولا كتاب الله لا نمحت معالمها وطمست آثارها ،وكان بينها وبين العرب أضعف الاسباب وأوهى الصلات،

ليس من شك فى أن الأغيار على لغة العرب يفزعهم ويقض مضاجعهم ما آل اليه أمر التخاطب الذى يرتضخ عجمة، ويفيض لكنة ، ويغرق فى العامية ، واذا كانت العربية ابان الأحداث الجسام التى كابدها المسلمون هى لغة العرب بدا الفساد فى وجهها كلفا ، فان لغتنا اليوم فى كثير من الأمصار عامية قلما تمت الى الفصحى بسبب ، واذا جاز للدهماء أن يتفاهموا بالعامية وأن – يعبروا بأساليبها عن خوالجهم ، ومظاهر معايشهم، فلا يجوز فى عرف عربى مسلم

العربية

للدكتور محمد كامل الفقى
الاستاذ بكلية اللغة العربية جامعة الازهر

مسئولية المثقفين عن انتشار العامية

غيور على لغته ودينه أن يجعل هذه العامية النكراء ظاهر أمره وسمة لسانه.

ان الاسى كل الاسى أن تجد المثقفين فى بعض الاقطار العربية لا يكاد لسانهم يستقيم بالفصحى — ولو قصدوا فى مجال علمى عربى — الاعلى جهد وتمام اعياء، حتى كأنهم أعاجم يقلدون العربية فتتعثر بها شفاههم.

ولقد سرى داء العامية فى كل فم، وتدسس الى مظاهر مختلفة من حياة الناس، حتى وجدنا من بعض خطباء المنابر من يضيف الى سقم الاعراب والجهل بالنحو كلمات يبين بهاعن مراده، وقد عيى عن الافصاح بالفصحى.

وفى كثير من كلام كثير من الاساتذه والمعلمين حديث بالعامية، رغم أن لغة العلم والتأليف عربية، وحينما يخلو التلامذة اليها سيجدونها بالعربية، فشرحها بالعامية يوهن الأسباب بينها وبين الطلاب، ويجرىء الطلاب على أن يقلدوا أساتذتهم فى التعبير بالعامية. وما يزيدهم ذلك الا عجزا عن معالجتها فى كل مقام.

ووسائل الاعلام يدور أكثرها على الحديث بالعامية، ويتحرى الذى يناط به هذا الامر ألا يخطىء الىالعامية فيضع موضع كلمة منها كلمة واحدة فصيحة.

حتى الندوات الادبية التى يتولاها فى وسائل الاعلام دكتور أو شيخ أو أستاذ تجدها تقرر مبادىء وأهدافا فى الآداب بلغة عامية نازلة.

واذا كنا استهنا بلغتنا الى هذا الحد وفرطنا فى صيانتها ذلك التفريط، فنحن المسئولون عن بعد الشقة بين حالها الدامية التى انتهت اليه، وعما صار بينها وبين اللغة الفصحى من بعد وتضاد. مسئولون عن تضارب الألسنة فى الامصار العربية، وتباعد اللجهات بين أبناء الوطن العربى، بل بين أبناء الوطن الواحد، فى الوقت الذى تلح فيه الحاجة الى تعاون العرب واتحاد كلمتهم لينقى الجو العربى من المستعمر البغيض الذى يمتص دماءنا، وينتهك حرماتها ويعبث بمقدساتنا، وينفث سموم الفرقة بيننا.

ونحن مسئولون عن هذه الدولة التي تأثل مجدها للعامية، حتى أصبحت لغة كتابة وتأليف وشعر يصفع أسماعنا، ويقذى عيوننا، فى مصبحنا وممسانا ..

ان عمل المستعمر، وسفه الجاهل، حول بعض التافهين من العرب الى ساخر ممن يتكلم بالعربية ومستهتر به، حتى لتقرن صورة الذين يتحدثون بها فى بعض المقامات بتهكم وأضحاك ومجون، ولو جرى على لسانك بعض معالم العربية



واتصل بها ألفاظ من كتاب الله لرأيت هؤلاء المجان يفتحون أشداقهم عجبا لك وهوانا بك ، وما يطربون الا لعامية نازلة تتمثل فى أغنية أو زجل أو نكتة أو قصة أو مسرحية ، والعزاء فى بعض الامصار التى لا تزال متأبية على هذا الاسفاف ،

وقصة التقليد الجاهل أعانت على تفاقم هذا الداء ، ففى بعض البيئات من بعض بلاد العرب من يترك لفظ الأب والأم والجدة والجد وتحية الصبح والمساء ، وكلمة الشكر والوداع ، وغير ذلك من وسائل التعبير الى كلمات أجنبية يظن أن فيها معالم حضارة ، وسمات مدنية ، وما رأينا أجنبيا واحدا يهجر لغته الى تقليد العرب ، حتى ـ بعدت الشقة بين الناس وبين لغتهم ، وصارت كل كلمة غريبة عليهم يظنونها محتاجة الى قاموس يشرح معناها . وبدت كلمات الله وكلمات نبيه والشعر الجاهلى بوجه أخص كأنها ألغاز ومعميات .

ان اللغة العربية تخنق أنفاسها ، وتعانى ما تعانيه من مظاهر الذبول ، وتتكاثر عليها العلل بيد أبنائها قبل أيدى أعدائها ، وهى أس أمجادنا ، وأسمى مقوماتنا ، ولا يطمع أولو الالباب فى أن نطب لها دفعة ، أو أن تذهب أدواؤها فجأة ، وقد خف كيد المستعمر لها ـ ، وكيده لأهلها بتحرر الكثير من أوطانها ، وانتفاضة من لم يتحرر منها بالعمل على الحرية والاستقلال وان ذلك لآت ان شاء الله .

لكن الذى يقلق العقلاء والايقاظ هو هذه الجراح التى تثخنها بجسم اللغة أيدى العرب ـ أنفسهم ، وهذا التفلت من اسارها بل من مجدها الذى يفعله الشعب العربى ذاته . وقد يرى الدارس أن أسباب هذه المحنة متعددة ، ومظاهر التخاذل متكاثرة . وهو حين يطب لها يضع لكل داء دواء ولكل علة علاجا ، والامر بهذه المثابة يطول شرحه ويقتضى البحث والصبر عليه ، وما يتسع له صدر مقالات ولو كثرت : انما الذى يغنى فيه كتب وأسفار ، لجلالة شأن ، وعظم الجدوى الناشئة منه .

والذى أريد أن أركز بحثى فيه ، وأدير دراستى عليه ، وأخصه بالشرح والبيان ، هو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ذلك الكتاب الذى كان المعجزة الباهرة الخالدة ، الذى تنزلت آياته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتن أرباب البلاغة والفصاحة ، وخروا له ساجدين وتحداهم رسول الله كافة أن يأتوا بأقصر سورة منه فتقاصرت دونها أعناقهم ، ذلك الكتاب ، صاحب اليد الطولى على لغة الضاد ، بل هو النعمة الكبرى عليها ، وهو الحارس لها من غير الزمان ، بل هو الذى كفل لها البقاء مهما ارتصد لها من كيد ، أو دبرلها من سوء ، ومهما فرط أهلها فى الاعتزاز بها ، ونأوا مهملين أو متجاهلين عن جلال شأنها . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

انه كلما قويت صلتنا بالقرآن . فحفظنا نصه الكريم ، واكتنهناه من سره العظيم ، وملأنا عيوننا من اشراقه ، وقلوبنا من شفائه ، وروحنا من سموه ، ورطبنا بمائه شفاهنا ، وبددنا بنوره غياهب حياتنا وفرقنا به حجب غفلاتنا ، ووصلنا بأسباب سعادته ما بيننا وبين الله . كلما قويت صلتنا بالقرآن كذلك كان لنا نشيدا سحريا ، ونغما علويا . فأدمنا تلاوته ، واستحلينا التعبد به . ورأيناه مع انتظام المبادىء الكريمة والمعانى القيمة ضبطا لأصول اللغة وقواعدها ، وسجلا لذروة البلاغة وقمتها ، فأمدنا أو أمد أساليبنا بروائع ، وأهدى الى كل كاتب أو أديب أو شاعر

ما يسمو به الى سماوات وآفاق . وانما يؤخذ الشيء من مصادره .

لقد تفتحت عيوننا وعقولنا ونحن أيفاع على نصح الأساتذة لنا ، وتوجيههم لمداركنا ، اذ رأوا فينا تعلقا بالآداب العربية ، ورغبة فى أن نكون أزهارا فى رياضها ، وقطرات فى عيونها ، أن نقرأ أمهات الكتب ، وأن نتخرج فى مدارس دواوين الفحول، وأن نعكف على المقامات، ونعيش شبابنا مع الأمالى لأبى على القالى ، والأغانى لأبى الفرج الاصفهاني ، والكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وزهر الآداب لأبى اسحاق الحصرى ، ويتيمة الدهر للثعالبى وغيرهذه الروافد التى تمد الناشيء بالرى والنماء ، وقد احسنوا صنعا بهذا الذى أسدوه الينا من نصح ، وبذلوه لنا من توجيه ، فهم بذلك يؤكدون الصلات بين شباب العرب وبين آداب العرب ، ويمرسونهم بأساليب لها من البيان حظ مرموق ، وكانت هذه الأمهات قد دبجتها يراعات لم توهنها عجمة ، ولم يفسدها دخل ، ولم تدرك أعصر انحلال اللغة وغزو الأجنبى .

ثم نمت فينا بممارسة هذه الاساليب ومتابعة منابع البلاغة فى شتى مظاهرها، وادمان الاطلاع على كل طارف وتليد ، وشرقى وغربى ،وعربى ومترجم ، موهبة النقد وتمييز الخبيث من الطيب ، واستقامت لنا أوكادت أن تستقيم ملكة التفطن لما هو شحم أو ورم ، فاذا عصارة ذلك كله فتون بالقرآن وبلاغته ، ونهم فى رياضه ننشق من أريجها ما ننشق ، وصبابةلا تفيق بهذه الروائع التى نسجد لها أشد ما نكون اغراقا وتأملا .

فأول فضل لهذه البلاغة العلوية التى يشف عنها كتاب الله أنها دائمة الاشراق فى لغة العرب ، دائمة اللألاء والوضاءة فى تراكيبها وأساليبها . ولو أن الذين عكفوا على دراسة البلاغة العربية ، من الفحول الأولين خف ثقلهم عن الخلافات اللفظية ، والتحاسد العلمى ، وحلوا ألغاز تعبيرهم ، وفضوا الاصداف عن مرادهم ، وجلوا مقصودهم فى أساليب تؤلف ، وتراكيب لا تعيى ولا تستغلق لكان درس ما توفروا عليه أكثر نفعا وأتم فائدة ، ولأقبل كل متقدم ومتأخر على هذه المناهل ينهل منها ويعل .

وطبيعي أن نمرق هذه البلاغات القرآنية ، وملء النفس والعين من ريحانها واشراقها ، لا يتأتى لمن يهمل حفظه ، وينأى عن استظهاره ، ومن لا يجيد قراءته الا فى بضع آيات .

ذلك الداء الوبيل الذى استشرى فى البيئات العلمية ، حتى لتجد المثقفين المدنيين لا عهد للكثرة الكثيرة فيهم بالقرآن الا ما يسمعونه مجرد سماع ، فهم معذورون بمناهجهم المدنية التى تعرض وتطول، ولا تبقى لهم فرصة لوصل ما بينهم وبين كتاب الله الا آيات يؤدون بها الفرائض وحسبنا أن تستقيم فى لهواتهم .

وأكاد أذوى خجلا اذا نوهت بالبيئات الدينية التي تفلتت من قلائد القرآن فاعتبرتها أو ظننتها أغلالا ، فما الأغلبية المطلقة فيها استظهار الا لقصار السور ، وربما يزعجك أن تسمع الامام والخطيب يخطىء ويتعثر فيما يصلى ، أو يعظ الناس به ، ولا أكاد أرد التبعة أشد التبعة فى ذلك الا على المفرطين ممن يملكون أمر الالزام ، وبيدهم تشريع يجبر النش ء على سعادته بالقرآن لو أنه أكره على حفظه ، يوم أن كان الحفظ منه كالنقش على الحجر ، يثبت ولا يعفى الزمان على آثاره .

ان يوما نعود فيه الى كتاب الله فنجد المثقفين على صلة به ، واهل المعاهد والجامعات الدينية لا يفرطون فيه لهو يوم يبشر بأن نظل موصولى الحياة بالكتاب الذى كفل مجد العربية ، بل كفل لها البقاء والخلود .

الشورى في الإسلام

للشيخ عبد الحميد السائح
رئيس محكمة الاستئناف ــ الاردن

هل للأخذ برأى الأكثرية أساس فى الاسلام ؟

من المعروف ان الشورى من القواعد التى بنى عليها نظام الحكم فى الاسلام ، وتقررت هذه القواعد بآيات قرآنية منها قوله تعالى « وشاورهم فى الأمر » (آية ١٥٩ من سورة آل عمران) ، وقوله تعالى فى وصف المؤمنين «وأمرهم شورى بينهم » (آية ٣٨ من سورة الشورى .

وقد شاور النبي أصحابه يوم أحد فى أن يقيم بالمدينة او يخرج الى المشركين ، وشاور عليا وأسامة فيما رمى به أهل الافك عائشة رضى الله عنها .

وكانت الائمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الامور المباحة ليأخذوا بأسهلها ، فاذا وضح الكتاب او السنة لم يتعدوه الى غيره اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم (١) .

وكان الرسول يستشير السواد الاعظم ، ويخص أهل الرأى والمكانة من الراسخين بالامور التي يضر افشاؤها ، وكان يستشيرهم فى كل امر الا ما ينزل عليه الوحي بيانه فيتبع . وكان أصحاب الرسول والائمة يجمعون من حضر من أهل العلم والرأى ورؤوس الناس فيأخذون رأيهم فيما لا نص فيه (٢) .

ولكن الاسلام مع ذلك لم يضع للشورى نظاما معينا ولا كيفية محددة ،

(١) البخارى مع فتح البارى ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة جزء ١٣ صفحة ٢٤٠ .
(٢)تفسير القرآن الحكيم جزء ٢ صفحة ٢٠٢ وجزء ٥ صفحة ١٩٥ .

لانالشريعة الاسلامية هي خاتمة الشرائع وصالحة لكل زمان ومكان .

فترك الرسول لكل أمة أن تضع لها الطريق الانسب والكيفية التي تحقق اغراض الشورى وأهدافها .

ولو وضع الرسول قواعد معينة لاعتبرها المسلمون دينا لا تجوز مخالفته، ولذلك فان ما فعله الرسول هو الأحكم والأعدل .

والاندلسيون اول من كونوا مجلسا للشورى يعين اعضاؤه من قبل الخليفة (١) .

وموضع الشورى هو الامور الدنيوية التي يتولاها الحكام ، لتأمين مصالح الناس ، ولا يدخل فى ذلك عقائد المسلمين وعباداتهم ، ولا الحلال والحرام المنصوص عليهما ، لان ذلك انما يعتمد على الوحي والتشريع الالهى .

وطريق الانتخاب التي تسير عليها كثير من الامم فى العصر الحاضر لا يعارض الاسلام فيها ، اذا عرفت الامة حقها فى الانتخاب والغرض منه ، وكان لها حرية الاختيار ، بدون ضغط ، ولا اكراه من أية جهة (٢) .

ويجب عليهم ان ينتخبوا من يكون ذا خبرة وأمانة وجرأة فى الحق ، وقدرة على تحمل المسئولية . ومن هذا يتبين ان الاسلام فى عصوره الزاهرة جعل الشورى قاعدة هامة يستند اليها .

العمل برأى الاكثرية

أما العمل برأى الاكثرية فانه يحتاج الى استقصاء وتتبع ، وانى أوضح فيما يلي بعض الحوادث والقواعد التي يعتمد عليها فى ذلك :

١ — كان الرسول يرى الاقامة فى المدينة يوم أحد ، حتى يرد المشركين اذا قدموا عليها ، ولكنه عمل برأى الاكثرية فى الخروج منها ، اقامة لقاعدة الشورى ، وكان عبد الله بن ابى يرى الاقامة فى المدينة أيضا فلما خرج الرسول غضب عبد الله ، وقال : اطاعهم وعصانى، فرجع بمن اطاعه ، وكانوا ثلث الناس .

وكانت خطة الرسول فى الحرب ارتكاب أخف الضررين ، ولم يخالف هذه القاعدة حين خروجه ، بل جرى عليها ، لان مخالفة رأى الجمهور ولو الى خير الامرين هضم لحق الجماعة ، واخلال بأمر الشورى (٣) .

٢ — لما توفى الرسول صلى الله عليه وسلم ، اختلف الانصار والمهاجرون فيمن يتولى الامر بعده ، وألقى كل فريق بيانه وحججه ، حتى سلم الانصار بحق المهاجرين تسليما أيدته الاكثرية ، وبايعوا ابا بكر .

وتخلف عن البيعة بعض كبار الصحابة ، قال الزهرى : بقي على وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا ابا بكر ، حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها فبايعوه (٤) .

(١) فجر الاسلام لاحمد أمين صفحة ٢٤٠ .
(٢) تفسير القرآن الحكيم جزء ٥ صفحة ١٩٩ ، والمودودى فى نظرية الاسلام وهدية فى السياسة والقانون صفحة ٥٨ .
(٣) فتح البارى جزء ١٢ صفحة ٢٦٢ وتفسير القرآن الحكيم جزء ٤ صفحة ٩٨ .
(٤) تاريخ ابن الأثير جزء ٢ صفحة ١٢٣ وما بعدها ، والمسلمون سنة ٥ صفحة ٦٩٢ — ٦٩٩ .



ومع هذا فقد كانت البيعة صحيحة ، ومارس ابو بكر مسئولياته ، منذ بايعته الاكثرية .

٣ ـ استشـار ابو بـكر رؤوس المسلمين فيمن يخلف الامر بعده ، فكان رأى الاكثر ان عمر أمثلهم فعهد اليـه وتولى الخلافة بعده .

٤ ـ لما أصيب أمير المؤمنين عمر الح الناس عليه ان يستخلف فقال : عليكم هؤلاء الرهط الذين قال الرسول صلى الله عليه وسلم انهم من أهل الجنة ، وهم علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد والزبير بن العوام وطلحة بـن عبد الله ، فليختاروا واحدا منهم .

وقال اذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ، وليصل بالناس صهيب ، ولا يأتين اليوم الرابع الا وعليكم أمير منكم ، ويحضر عبد الله بن عمر مشيرا ولا شيء له من الامر .

وأوصى عددا من الصحابة بمراقبـة اجتماع أهل الشورى ، والنتيجة التي يسفر عنها اجتماعهم .

وقال لصهيب ادخل هؤلاء الرهط بيتا ، وقم على رؤوسهم ، فان اجتمع خمسة وأبى واحـد فاشـدخ رأسـه بالسيف ، وان اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما ، وان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فان لم يرضوا بحكم عبد اللـه بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف (١) .

٥ ـ كانت خطة الائمة بعد الرسول أنهم اذا لم يجدوا فى كتاب الله افرغوا جهدهم فى تتبع عمل الرسول وأحاديثه ، فان لم يجدوا أخذوا بقـول جماعـة الصحابة والتابعين ، وان اتفق جمهورهم على شيء فهو المقنع (٢) .

٦ ـ عن علي رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله : الامر ينزل بنا لـم ينزل فيه القرآن ، ولم تمض فيه منك سنة ، قال : اجمعوا له العالمين او قال العابدين من المؤمنين ، فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد (٣) .

٧ ـ عندما خرج عمر الى الشام ، لقيه فى الطريق بعض اصحابه ، وأخبروه أن الوباء حل فى الشام ، واسـتشار المهاجرين والانصار فاختلفوا ، ثم دعـا من كان هناك من شيوخ قريش مـن مهاجرى الفتح ، فلم يختلف عليه رجلان، وقالوا نرى أن ترجـع بالنـاس ، ولا تقدمهم على هذا الوباء .

فأخذ عمر برأيهم وكان هذا سبيلا لترجيح رأى على رأى ، ثم جاء عبـد الرحمن بن عوف وكان متغيبا وقال : اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سمعتم بالوباء بأرض

---

(١) ابن الاثير جزء ٣ صفحة ٢٥ .
(٢) حجة الله البالغة جزء ١ صفحة ١١٩ .
(٣) فجر الاسلام صفحة ٢٤٠ .

فلا تقدموا عليه ، واذا وقع بأرض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » (١) .

٨ ـ الاكثرية مدار الحكم عند فقدان دليل آخر (٢) .

٩ ـ يؤمر عليهم من كان بصيرا فى أمور الحرب وتدبيرها ، وعليهم طاعته لان مخالفة الامير حرام ، الا اذا اتفق الاكثر فيتبع (٣) .

١٠ ـ اذا اختلط موتى المسلمين بموتى الكفار ، وأريد الدفن والصلاة ، اعتبر الاكثر (٤) .

يتضح من البنود العشرة السابقة ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وكبار الصحابة رضى الله عنهم وفقهاء المسلمين أخذوا بقول الاكثرية، واعتبروه طريقا للترجيح .

ومع أنى أعتقد انه ليس من الضرورى ان يكون رأى الاكثرية هو الصواب ، بل قد يكون رأى الاقلية هو الصواب ، الا أن العمل برأى الأكثرية هو الطريق الأسلم تجنبا للفتن ، وحسما لبعض الخلافات التي قد تنشأ .

واذا حدث فى المسلمين أمر لا نص فيه ، ينبغى ان يجتهد العلماء ذوو الدراية والخبرة به ، ويستخرجوا له الحكم الشرعي الأقرب الى النظائر والأشباه .

ومنذ سنتين حينما انعقد مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة ، وبحث موضوع الاجتهاد ، واستقر الراى على أن باب الاجتهاد مفتوح لمن تتوفر فيه الشروط ، وأن يكون اجتهادا جماعيا ، يضم خبرة علماء المسلمين ، ولا سبيل فى مثل هذه الحال بعد النقاش واستعراض الحجج الا الجنوح لراى الأكثر .

ولا يعتمد على رأى فرد واحد مهما كانت شهرته وخبرته ، ولذلك فانالعمل سار فى جميع التشكيلات النيابية والقضائية والادارية على أن يؤخذ برأى الأكثر وهو ما تقتضيه قواعد الاسلام وأصوله .

واذا ساغ للعالم ان يخالف ما يراه الأكثر فى بعض الشؤون سيرا وراء قوة الدليل ، او تورعا واحتياطا ، فلا سبيل الى ذلك فى الشؤون العامة وفى التشريعات ، التي تقترن بأمر ولى الامر، لان ذلك يكسبها صفة الالزام .

وقبل أن أختم هذا البحث لا بد لى من الاشارة الى أن اعطاء الرأى فى المجالس النيابية او التشكيلاتالقضائية او فى البحوث العلمية وغيرها هو من الامانة ، التى لا يجوز التساهل فيها ، ولا الاقلال من شانها ، ولا يسوغ تكوين الرأى قبل البحث والتمحيص ، وتبين وجه الحق ، وتوفر المصلحة بما يتفق وقواعد الاسلام وأصوله .

والله هو الهادى لاقوم سبيل .

---

(١) انظر الصحيحين .

(٢) رد المختار جزء ٢ صفحة ١٦٢ وفهرس ابن عابدين صفحة ٢٥٦ .

(٣) رد المختار جزء ٣ صفحة ٢٣٤ .

(٤) رد المختار جزء ١ صفحة .

مذهب الرازى فى إعجاز القرآن

كان ايمان من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم فى مبدأ الدعوة اقرارا بأن القرآن الكريم من عند الله تعالى ، وأنه حجة صادقة حاسمة على صدق رسالته ، وأنه غير مقدور على الآتيان بمثله ، ولا على أقصر سورة من سوره لأحد من البشر ، وكذلك اعتقد من جاء بعدهم ممن آمنوا بالرسالة المحمدية .

وكان من أقوى الأدلة على أن العرب ـ وهم أرباب الفصاحة ، وذوو اللسن ـ عجزوا عن معارضة القرآن هو لجوءهم الى السيف فى مناضلة الدعوة الجديدة ، وقد كان يقيهم ويلات هذه الحرب التي لا يدرون على من تدور الدائرة فيها أن يجيبوا النبى الى ما تحداهم به ، فيعارضوا القرآن ، ولو بالاتيان بمثل أقصر سورة ، وهذا ـ لو كان ممكنا لهم ـ أيسر عليهم ، وأخف على نفوسهم ، ولو فعلوا لفقدت دعوة النبى أقوى دعامة ترتكز عليها ، ولتضاءلت قدسيتها وجلالها فى أعين المؤمنين بها .

ولما لم يعارضوا ثبت أنهم عجزوا . . . وبذلك تفتحت القلوب للدعوة الجديدة .

ومع أن عجزهم أصبح حقيقة ثابتة لا خلاف عليها الا أن العلماء ـ بعد ذلك ـ اختلفوا فى الوجه الذى أعجز العرب من القرآن ، وذهبوا فى تحديده مذاهب شتى ، وطال النقاش والجدل ، وألفت الكتب حول الاجابة على هذا السؤال :

ما وجه اعجاز القرآن

أهو اخباره بالغيوب الماضية التي ثبت أنها وقعت ، وبالغيوب المستقبلة التي تحقق بعد الاخبار وقوعها ؟ .

أهو تفرده بأسلوب جديد مغاير لأساليب العرب فى شعرها ونثرها ؟ .

أهو الفصاحة والبلاغة اللذان بلغا حدا لا يقدر على مثله العباد ؟ .

أهو صرف العرب عن معارضته ، وقد كانت المعارضة فى مقدورهم لولا الصرف ؟ .

بكل وجه من هذه الوجوه قيل ، كما قيل بابطال كل وجه من هذه الوجوه .

وقد طال الجدل قديما وحديثا حول المذهبين الأخيرين . الفصاحة، والصرفة، وجاوز العلماء النقاش العلمى المتزن الى الكلمات الخطابية ، فقال ابن حزم الظاهرى : ان القرآن ليس فى أعلى درج البلاغة ومعاذ الله أن يكون ذلك ،، وقال مصطفى صادق الرافعى عن مذهب الصرفة الذى قال به النظام ، وابن سنان

هل تناقض الرازي في بيان الوجه المعجز

وهل يمكن أن نقول إنه اختار رأياً ودافع عنه

للأستاذ علي محمد حسن

المدرس بكلية البنات الاسلامية ـ جامعة الأزهر

الخفاجى ، وابن حزم وغيرهم من كبار العلماء : « وهو مذهب لو قال به صبية المكاتب لكان نوعا من تخاليطهم » .

هل الرازى متناقض ؟

وقد قرأت أخيرا فى بعض المجلات الدينية أن الامام فخر الدين الرازى صاحب التفسير المشهور من القائلين بمذهب (الصرفة) ، وأنه ناقض نفسه ، فقال فى بعض كتبه بأن فصاحة القرآن هى الوجه فى اعجازه .

ولما كان الرازى اماما من أئمة المسلمين ، بل من أكبر أئمتهم ، رأيت أن أنشر على الناس رأيه فى الاعجاز .

وأول ما يتجه اليه نظر الباحث هو كتاب الرازى فى اعجاز القرآن المسمى : (نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز) .

يبطل القول بالصرفة

وقد عرض الرازى فى صفحاته الأولى لمذاهب الاعجاز ، وأبطلها جميعا ما عدا مذهبا واحدا ، فهو يذكر مذهب (الصرفة) وينسبه الى النظام ، ثم يبطله من ثلاثة وجوه .

الأول : ـ أن عجز العرب عن المعارضة لو كان لأن الله أعجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحة القرآن ، بل كان يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم ، بعد أن كان مقدورا عليه لهم .

الثاني : ـ لو كان كلامهم مقاربا فى الفصاحة ـ قبل التحدى ـ لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك .

الثالث : ـ أن نسيان الصيغ المعلومة فى مدة يسيرة يدل على زوال العقل ، ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدى . فبطل ما قاله النظام .

ويذكر مذهب القائلين « بابتداء الأسلوب » ، ويبطله من خمسة أوجه ، وكذلك يبطل مذهب من جعل الاعجاز فى أن القرآن ليس فيه اختلاف وتناقض ، ثم يقول : « ولما بطلت هذه المذاهب ، ولا بد من أمر معقول حتى يصح التحدى به ، ويعجز الغير عنه ، ولم يبق وجه معقول



فى الاعجاز سوى الفصاحة علمنا أن الوجه فى كون القرآن معجزا هو الفصاحة) .

وهذا كلام واضح لا لبس فيه ولا غموض ، وهو يثبت بما لا يحتمل شكا ولا تأويلا أن الرازى كان يرى أن وجه اعجاز القرآن هو فصاحته التي عجز عنها العرب ، ويرى كذلك أن ما عدا هذا الرأى باطل .

غير أن الرازى ذكر فى تفسيره ما يعد رجوعا عن هذا الرأى ، وكتاب نهاية الايجاز سابق لكتاب التفسير ، يدلنا على ذلك ما جاء فى تفسيره لقوله تعالى (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) فقد قال **(ومن تأمل كتابنا فى دلائل الاعجاز علم أن القرآن قد بلغ فى جميع وجوه الفصاحة الى النهاية القصوى)** .

وقد تتبعت الرازى فى أكثر من موضع من تفسيره ، وهأنذا أفصل القول فيما أرجح أنه انتهى اليه رأى الرازى فى وجه اعجاز القرآن .

جاء فى تفسيره لقوله تعالى : (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون) قوله : « ومن تأمل لطائف نظم هذه السورة ، وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه ، فهو ــ أيضا ــ معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته) ، وهو يجعل ــ هنا ــ النظم غير الفصاحة ، بل يقول عن هذا النظم . « ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك) .

والحقيقة أن الذين قالوا بأن القرآن معجز لابتدائه بأسلوب جديد ، لم يريدوا مجرد التناسب بين ألفاظ القرآن ، وبين آياته ، بعضها مع بعض ، هذه الامور التي يراها الرازى « لطائف وأسرارا)

وانما أرادوا الصورة العامة التي جاء عليها نظم القرآن مما لا نظير له فى نظم العرب ونثرها ، ولا يعتبر قول الرازى هذا اعترافا بالأسلوب وجها من وجوه الاعجاز ، فانه انما أراد به الترتيب والنظم ، وهما أهم أركان الفصاحة التي يقول بها .

وربما كان هذا الموضع هو متعلق الشيخ السيوطي فى قوله الذى أورده فى الاتقان فى فصل اعجاز القرآن . « وقال الامام فخر الدين . وجه الاعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع العيوب) ، فاذا كان الأمر كذلك ــ أعنى أن السيوطى اعتمد على هذا الموضع ــ كان لنا أن نقول ان الوجه الذى اعتمده الرازى لا يزال هو (الفصاحة) لأن غرابة الأسلوب ما هى الا النظم الذى ذكر فى هذا الموضع ، أما السلامة من جميع العيوب فهى لازمة من لوازم الفصاحة .

ويؤيد ذلك ما ذكره الرازى عند تفسيره لقوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) من سورة هود . فقد قال بعد أن ذكر اختلاف الناس فى الوجه الذى كان القرآن به معجزا ، وهل هو الفصاحة أو الأسلوب أو عدم التناقض ، أو اشتماله على العلوم الكثيرة ، او الصرف ، أو اشتماله على الاخبار عن الغيوب ، قال : « والمختار عندى وعند الأكثرين أنه معجز بسبب الفصاحة ، واحتجوا على صحة قولهم بهذه الآية ، لأنه لو كان وجه الاعجاز هو كثرة العلوم أو الاخبار عن الغيوب أو عدم التناقض لم يكن لقوله « مفتريات) معنى ، أما اذا كان وجه الاعجاز هو الفصاحة صح ذلك ، لأن فصاحة الفصيح تظهر بالكلام سواء كان الكلام صدقا أو كذبا ، وأيضا لو كان الوجه فى كونه معجزا هو الصرف لكان دلالة الكلام الركيك النازل فى الفصاحة على هذا المطلوب أوكد من دلالة الكلام العالى فى الفصاحة) .

وفى هذا الموضع زاد ذكر وجه من وجوه الاعجاز وهو ((العلوم الكثيرة) كما زاد دليلا على بطلان مذهب الصرفة .

وهو هنا يرد القول بالعلوم الكثيرة لكنه فى تفسيره لقوله تعالى : ((وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه) من سورة يونس . يقول : ((واعلم أن الناس اختلفوا فى أن القرآن معجز من أى الوجوه ؟) .

فقال بعضهم انه معجز لاشتماله على الاخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلة ، وهذا هو المراد من قوله ((وتصديق الذى بين يديه) .

ومنهم من قال : انه معجز لاشتماله على العلوم الكثيرة، واليه الاشارة بقوله : (وتفصيل كل شىء) .

قال : وتحقيق الكلام فى هذا الباب — ثم قسم العلوم الى دينية ، وغير دينية ، وقال ان الأولى أرفع شأنا ، ثم قسم الدينية الى علم عقائد ، وعلم أديان ، وعلى أعمال ، وذكر أن القرآن اشتمل على كل ذلك — ثم قال : ((فثبت أن القرآن مشتمل على تفاصيل جميع العلوم الشريفة ، عقليها ونقليها اشتمالا يمتنع حصوله فى سائر الكتب ، فكان ذلك معجزا ، واليه الاشارة بقوله : وتفصيل الكتاب) .

فيعتد اشتمال القرآن على ((العلوم الكثيرة) وجها من وجوه الاعجاز ، وكل ما يمكن أن يعتذر به عن هذا التناقض أن آية هود لا دلالة لها على هذا الوجه (العلوم الكثيرة) بل هى نافية له (١) !! .

ثم يقول بالصرفة

ثم تأتى شبهة قول الرازى ((بالصرفة) ، وذلك فى مواضع من تفسيره .

١ — جاء فى تفسيره لآية الاعجاز من سورة البقرة . ((وان كنتم فى ريب ... الآية) أن اعجاز القرآن يمكن بيانه من طريقين .

الأول : — أن القرآن مساو لكلام الفصحاء ، أو زائد زيادة لا تنقض العادة ، أو زيادة تنقضها ، والأولان باطلان لأنه لو كان كذلك لوجب أن يأتوا بمثله ، ولما لم يأتوا بالمعارضة علمنا أن القرآن لا يماثل كلامهم ، وأن التفاوت بينه وبين قولهم ليس معتادا ، بل هو ناقض للعادة ، فوجب أن يكون معجزا .

الطريق الثانى : — القرآن لا يخلو اما أن يكون بالغا فى الفصاحة الى حد الاعجاز ، أو لم يكن كذلك ، فان كان الأول ثبت أنه معجز ، وان كان الثانى **كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة ، فعدم اتيانهم بالمعارضة — مع كون المعارضة ممكنة ، ومع توفر دواعيهم على الاتيان بها — أمر خارق للعادة ، فكان ذلك معجزا ، فثبت أن القرآن معجز من جميع الوجوه .**

قال الرازى — بعد أن أوضح الطريقين عن الطريق الثانى . (وهذا الطريق عندنا أقرب الى الصواب) .

وهذا كلام ظاهره أن الرازى يميل الى القول بأن الله صرف العرب عن معارضة القرآن ، وأن هذا هو الوجه الذى من أجله كان الاعجاز ، وهو الذى غر من ادعى على الرازى ذلك .

ثم هو يؤكد هذا بعد أسطر ، فيورد اعتراضا،ثم يجيب عليه . (فان قيل . قوله تعالى . (فأتوا بسورة من مثله) يتناول سورة الكوثر ، وسورة العصر ، وسورة . قل يأيها الكافرون. **ونحن نعلم بالضرورة أن الاتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن .** فان قلتم : ان الاتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر كان ذلك مكابرة ،

---

(١) وكان هناك يفسر الآية ملتزما بالفرض الذى فرضته « مفتريات » الذى يتنافى مع العلوم فالمفترى لا يكون علما ، ومع ذلك فالاعتذار ضعيف . « الوعى »



والاقدام على أمثال هذه المكابرات مما يطرق التهمة الى الدين . قلنا . **فلهذا السبب اخترنا الطريق الثانى ، وقلنا ان بلغت هذه السورة فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود ، وان لم يكن الأمر كذلك كان امتناعهم عن المعارضة مع شدة دواعيهم الىتوهين أمره معجزا .**

ثم يعيد هذا المعنى فى هذا الموضع مرة ثالثة .

وخلاصة هذا الكلام ـ على ما يبدو فى بديهة الرأى ـ أن الرازى لا يرفض القول بالصرفة ، ولا يرفض جواز أن يكون فى بعض سور القرآن ما لم يبلغ حد الاعجاز فى الفصاحة ، وكان فى مقدور العرب أن يجيئوا بمثله .

٢ : ـ ولا يفتأ الرازىيكرر هذا القول، فيشير عند تفسيره لقوله تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) الى ما نقلناه آنفا من قوله فى تفسير سورة البقرة ، ويقول انه بالغ هناك فى بيان اعجاز القرآن ، وأن للناس فيه مذهبين . أن القرآن معجز فى نفسه ، وأنه ليس معجزا فى نفسه الا أنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته ، مع أن تلك الدواعى كانت قوية كانت هذه الصرفة معجزة .

ثم قال : **(والمختار عندنا فى هذا الباب أن نقول : القرآن فى نفسه اما أن يكون معجزا أو لا يكون ، فان كان معجزا فقد حصل المطلوب ، وان لم يكن معجزا بل كانوا قادرين بمعارضته ، وكانت الدواعى متوفرة على الاتيان بهذه المعارضة ، وما كان لهم عنها صارف ومانع . وعلى هذا التقدير كان الاتيان بمعارضته واجبا لازما ، فعدم الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون نقضا للعادة فيكون معجزا ، فهذا هو الطريق الذى نختاره فى هذا الباب) .**

وهو هنا يكرر ما قاله فى تفسير سورة البقرة، غير أنه ـ هنا ـ يصرح بالصرفة ، ولم يذكر هناك لفظها ، وهو فى الوقت الذى يحكى فيه أن الصرفة سبب من أسباب الاعجاز يثبت هذه العبارة . (وما كان لهم صارف ولا مانع) أى ليس صارف عن دواعى المعارضة كان للعرب ، مع أنه فى الفقرة السابقة : يقول: (الا أنه تعالى لما صرفدواعيهم) . فلعله يريد . ما كان لهم صارف ظاهر .

بعد هذا نقول : ربما كان الباحث الذى نسب الى الرازى التناقض فى رأيه ، ونسب اليه القول بالصرفة معذورا ، ولكن كيف نقر هذا والرازى يرد مذهب الصرفة ، ولا يفتأ يتحدث عن فصاحة القرآن .

فيقول مرة عن القرآن انه (بلغ فى جميع وجوه الفصاحة الى النهاية القصوى) ويقول فى أخرى . (انه فى الفصاحة بلغ النهاية التي لا غاية لها) ومرة ثالثة يقول : (انه جاء فصيحا فى كل الفنون على غاية الفصاحة) .

وقد كان يمكن أن نحمل رأى الرازى فى الصرفة على أن الصرف كان مع عجز العرب عن معارضة القرآن لفصاحته ، وأنه لا تنافى بين القول بهذا المذهب ، والقول بأن القرآن بلغ النهاية فى الفصاحة ، لولا أن الرازى يكاد يسلم فى بعض ما نقلنا عنه أن بعض السور لم تكن بالغة حد الاعجاز ، وأنه فى كل موضع أشار فيه الى هذا المذهب قرنه بأن القرآن كان فى مقدور العرب .

ولما يكن ذلك عندنا ممكنا ، وكان ادعاء التناقض فى رأى الرازى فى أمر كهذا تنقصا من قدر هذا الامام ، كان من الانصاف أن نمعن النظر فى كلام الرازى لعلنا نجد وجها مقبولا نحمله عليه .

دفاع عن الرازى !

وأقرب ما يمكن حمل كلام الرازى عليه أن ((اختياره) ليس اختيارا لمذهب ، ولكنه اختيار لطريقة فى الاستدلال ، فهو فى كل مرة يردد القول بين الاعتراف بأن القرآن بلغ الغاية فى الفصاحة ، وبين عدم الاعتراف بذلك ، ثم يقول اننا مع الخصم نقول له : ان كان القرآن معجزا فى ذاته فقد ثبت المطلوب ، وان لم يكن فهو معجز أيضا ، لأن العجز عن المعارضة مع امكانها أمر ناقض للعادة ، وكأن الرازى يريد أن يلزم الخصم بثبوت اعجاز القرآن . فهذا هو الاهم عند الرازى ، ومجاراة الخصم تنتهي الى هذه النتيجة على كل حال .

والرازى عالم متفلسف ، دارس للمنطق ، وقد ذكر أنه فسر سورة البقرة على الوجه العقلى ، لا النقلى ، فهو يختار من طرق الاستدلال ما يرى أنه أقوى الزاما للخصم ، وقد رأى ذلك فى ((الطريق الثانى) الذى ذكره فى تفسير سورة البقرة .

نعم ان الرازى ربما تخلى عن رأيه فى بعض المواضع ، ولكن ذلك حين يكون الأمر أشد احتفالا باعجاز القرآن .

فقد رأيناه ينكر أن يكون الأسلوب وجها من وجوه الاعجاز ، كما ينكر أن يكون الاخبار عن المغيبات وجها كذلك .

لكنه فى تفسيره لقوله تعالى : ((شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) يعلل تسمية كتاب الله (قرآنا) فيقول : (أو لأن ما فيه من الدلائل الدالة على كونه من عند الله مقترن بعضها ببعض ، أعنى اشتماله على جهات الفصاحة ، وعلى الأسلوب الغريب ، وعلى الاخبار عن المغيبات ، وعلى العلوم الكثيرة) .

وقد يقال أن الرازى يفرق بين دلالة الأمر على كون القرآن من عند الله ، وبين دلالته على أنه معجز .

فمثلا (الاخبار عن المغيبات) يدل على أن القرآن من عند الله ، ولكنه لا يقع به التحدى ، وذلك لأنه أمر غريب ما دام المدلول عليه مجهولا ، فاذا علم زالت غرابته ، وأصبح أمرا مألوفا ، وليس كذلك شأن المعجز ، الذى أيدت به خاتمة الرسالات ، لأنه ينبغي أن يكون دائم الاعجاز .

وبذلك نفسر هذا الكلام الأخير للرازى .

وأيا ما كان فانه من المستبعد أن يتسامح الرازى فى القول (بالصرفة) ، كما يتسامح فى سرد هذه الأمور ، التي وردت فى عبارته الأخيرة .

وربما كان من القريب للصواب أن يفهم فاهم أن الرازى يقول بفصاحة القرآن فى السور التي تثبت فصاحتها وبذلك يكون عجز العرب ، أما السور التي يكون من المكابرة القول بفصاحتها مثل سورة الكوثر فان الاعجاز فيها بصرف العرب عن معارضتها وأمثالها .

ولكن يرد ذلك أن الرازى عقد فصلا فى كتابه (نهاية الايجاز) عنوانه (اعجاز سورة الكوثر) كما أنه فى كتابه ((التفسير)) يطيل اطالة ملحوظة فى بيان الفوائد التي تؤخذ من هذه السورة ، وهذا الصنيع يشعر بأنه يحاول الرد على من يتوهم أن هذه السورة غير معجزة (١) .

والله أعلم بالصواب

---

(١) حاول الكاتب الفاضل جهده أن يدافع عن الرازى وما بدا فى كلامه من تأرجح – فى بيان وجه الاعجاز – بين القول بالفصاحة والقول بالصرفة . وقد كان موقفه الدفاعي صعبا – كما ترى – أمام صراحة الرازى فيما ذهب اليه من هذا الرأى حينا أو ذاك الرأى حينا آخر .. فاذا كان يعتمد القول – وقد قال – بالفصاحة المعجزة فى كل آيات القرآن فلا يصح حينئذ القول بالصرفة . فكيف يقول بعد ذلك عنها أنها الرأى الذى يختاره ويكرر ذلك فالواقع أن الدفاع عن الرازى حمل ثقيل أمام هذا التناقض الظاهر .. ولا يزال الأمر فى حاجة الى تمحيص ممن يريدون أن يدفعوا عنه هذا التناقض .. ونحن نرحب بكل من يريد أن يدلى بدلوه حول هذا الموضوع .

« الوعى الاسلامى »

إنها هجرة إلى الله زلفى

محمد مؤذن

روّعَ الأرض ما ارتوت من دماء ... واستُذِلتْ من أنفس عصماء
واستبيحت في العالمين هَوانًا ... من معان كريمة زهراء
فهفت للسماء تدعو الها ... راحما بالعباد جم السخاء
رب . ان الشرور عمت وأربت ... وتدجت غوائل الظلماء
وتبدى الانسان أغلظ قلبا ... من وحوش الفلاة والصحراء
عاث في الكون مفسدا همجيا ... يزدهيه الطغيان شر ازدهاء

***

ها همو عصبة الهوى من قريش ... اجمعوا أمرهم على نكراء
والرسول الأمين يدعو البرايا ... للسبيل القويمة الغراء
نقموا منه أنه لا يولى ... وجهه للحجارة الصماء
ليس يثنيه مصلت من حسام ... جردته البغاة للايذاء
عن كفاح لكل طاغ عصى ... محرق قلبَه لظى البغضاء
انه الحق ساطعا مستنيرا ... ليس يخفيه باطل الادعياء

***

قيل . يأيها النبى اطّرِحْهم ... أنهم أمة أولو شحناء
اثخنوا المسلمين جُرحا وبَرْحا ... ثم ساموهمو هوان الشقاء
وبلال يشفى أمية منه ... حقده باطراحه في العراء
والفتى المؤمن الكريم صبور ... رغم سوء العذاب في الرمضاء

***

للاستاذ حسن فتح الباب

قيل . يأيها النــــبي ترحـــــــل
عـــن ديـــار تـُغـَـــص بالأدواء

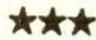
عـــن ديــار لمفســدين غـُـــواةٍ
ظلمهـــم بالغ عنـــان السمـــاء

كم تــداعوا لينصـروا مستبـــداً
وأصاخـــوا الى نذير العَـــــداء

ومضـــوا يضرمون نــار الخطـــايا
وتنــادوا بالشر شــر نــــــداء

نَاوَءوا الهـادى الأمــــينَ وراحـــوا
يمـــلئون الطـريــق بالأقـــذاء

وعمـــــوا عن ضيائـــه لم يـــروه
وهو منهـــم دان كضوء ذُكـــاء



هاجـــــر المرســل العظـيم بليــــل
ليس يرعـــاه غير رب السمـــاء

يشتري دينـــه بأهــل وجـــــاه
تلك عليـــا مراتب الأنبيـــــاء

وأبو بكـــر صفوة الصحب طـــرا
انه المرتجـى لدى البأســـــاء

يفتديــــه بنفســـه وبنيـــــــه
وبمـــال لــه عــلى الســــراء



تلك أسمـــاء بنته وهـــــي غـــر
طفلة لا تـَضيـــع حق الوفـــاء

تحمـــــل الزاد للرســـــول المفــدى
وأبيها الصديـــق في البيـــــداء

تزدرى بالعنـــاء ليس تبـــالى
شِـــرة منه أو نذيـــر بـــــلاء

خضب الشــوك في الســـرى قدميها
بجـــراح زكيـــة ودمـــــاء

وعلى الغــار للحمــائم شـــــدو
وعشاش ظليلـــة الأفيــــاء

معجزات أعمــت عيون بغـــاة
ورمتهـــم صرعى بـــلا إرداء



بلغ الصاحبـان بعد عنـاء في ليـال شديـدة الاسـراء
يشـرب الحرة الكريمـةَ أهـلا فزهـت في المـدائن الزهـراء
وتلقاهمـا من الأوس وفـد بالثنيـات والربى والفضـاء
ومـن الخزرج الكمـاة رجـال صدقوا العهـد في دجى الضـراء



انها هجـرة الى الله زلفـى في سبيـل العقيـدة السمحـاء
فيصـل بين ضلـة ويقـين ومنـار لعـزة قعسـاء
اليتـيم الفقـير أنقـذ كونـا سادرا في ظـلالة عميـاء
اليتـيم الفقير أرسى صروحـا من معـانى الاعظـام والاعلاء



أشرق العـام أنعُمـا وسُعـودا عبقـرى السنـا أغـرّ الـرداء
عيد حريـة وعدل وهـدى وسلام على الثـرى والسمـاء
عيد خير عـلى الأنام تجـلى وصلاح ونهضـة وعـلاء
هلْ في غيهـب الحياة شعاعـا ألمعيـا من قوة ومضـاء



أمـة الصالحـين دمت منـارا وأظلتك وارفـات الرجـاء
في أمـان من الهـوان وعيـش قدسى الأفيـاء والأضـواء

الفتح القدسى » . ونحن نعلم أن بيت المقدس قدأخذها الصليبيون من المسلمين فى العصر الفاطمى فى سنة ٤٩٢هـ ،وكان الجيش المصرى المدافع عنها تحت قيادة الافضل بن بدر الدين الجمالى . وقد قتل من المسلمين فى هذه الموقعة نحو سبعين الف مسلم ، وارتكب المعتدون من المنكرات مالا ينساه التاريخ . وظلت بيت المقدس فى أيدى الصليبيين ما يزيد على تسعين عاما ، الى أن جاء صلاح الدين فاستنقذها من يد الصليبيين ، وضرب من الامثلة فى السماحة والعفو وحسن الخلق ما يعد نموذجا للخلق الاسلامى الكريم .

وقد عد المؤرخ العماد الاصفهانى فتح صلاح الدين لبيت المقدس سنة ٥٨٣هـ فتحا ثانيا جديدا للاسلام ، فألف كتابه هذا فى وصف معركة فتح القدس ، ووازن فى المقدمة بين فتح الشام فى عهد عمر بن الخطاب ، وفتحه فى عهد صلاح الدين قائلا : « وهذه الهجرة أبقى الهجرتين ، وهذه الكرة بقوة الله أبقى الكرتين . فان العرب كانت اذا تناهت فى وصف الرجل بالقوة قالت : كأنه كسر ثم جبر ، والحق أن نقول : ان أطول الحياتين حياة المرء اذا مات ثم نشر . والعيان يشهد ان أمنع السورين ما عمر بعد أن ثغر ... ».

وقد جرى العماد الاصبهانى فى كتابه عن فتح القدس على طريقة عصره وطريقته هو بالذات من التزام السجع ، وحلية اللفظ . ويمثل لنا كتاب « الفتح القدس » الكتابة المسجوعة فى تدوين التاريخ ، وهى الطريقة التي كتب بها أبو النصر العتبى سيرة السلطان المسلم الفاتح محمود الغزنوى ، وكتبها ابن عربشاه فى كتابه « عجائب المقدور فى نوائب تيمور » وهو فى سيرة السلطان التترى المسلم تيمورلنك . وقد تأثر بعض كتاب السير والتراجم بطريقة السجع هذه ، كما فعل الثعالبى فى « يتيمة الدهر » وابن خاقان فى كتابه « مطمح الانفس » .

اهمية الفتح القدسى

ولم يكن العماد الاصبهانى فى تدوينه لفتح القدس واستردادها من أيدى الصليبيين ناقلا من كتب ، ولا راويا عن رواة ، ولكنه كان شاهد عيان ، حضر خطوات المعارك من أولها الى آخرها ، ودونها مشهدا مشهدا ، وكان على مقربة من البطل صلاح الدين يسجل الوقائع ويدون الحوادث . فحديثه عن فتح بيت المقدس حديث الكاشفة والبيان ، والمشاهدة والعيان . ومن هنا كان كتاب « الفتح القدسى » مما لا يليق بعربى أن يغفله ، لانه يصور اروع صفحة من صفحات النضال ، كما لا يجوز لمؤرخ شرقى أو غربى أن يهمله ، لانه ألم من اطراف المعركة بما قد لا يجده الباحث فى كتاب آخر .

دحلان

ولا نظن أيها القارىء الكريم أن كتب الفتوح الاسلامية الجامعة قد انتهت بعد كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، فقد وجد على مسار التاريخ أكثر من مؤلف فى مثل هذا النوع من الكتب . وأقربهم من زماننا العالم الفقيه المؤرخ أحمد زيني

دحلان المكى المولد ، والمدنى الوفاة والمتوفى سنة ١٨٨٦م . وقد اشتهر الرجل بكتابه « الفتوحات الاسلامية ، بعد مضي الفتوحات النبوية » الذى طبع بالقاهرة فى جزءين كبيرين . وعلى الرغم من ان هذا الكتاب الضخم يغطى مدى متطاولا من تاريخ الفتح الاسلامى حتى العصور المتأخرة ، فقد استطاع مؤلفه فى دقة وايجاز ، وحسن اهتداء للمصادر ، وتنظيم للحوادث ، وعبارة مرسلة دالة على المعنى المراد بأوضح أسلوب أن يجمع لنا أخبار الفتوحات الاسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين فمن بعدهم ، دولة فدولة ، وجيلا فجيلا . كما استطاع أن يحدثنا فى وعى تام عن دخول الاسلام فى البلاد حتى عهده فى القرن الماضى . ثم رأى أن يستطرد بذكر دخول النصرانية فى أكثر بلاد آسيا واوربا . ومن استطراداته المفيدة ما ذكره عن استيلاء الفرنسيس على مصر وترتيب ديوانهم واضطرارهم الى الخروج منها ، وذكر احتلال فرنسا للجزائر وتألب الدول الاوروبية على الدولة العثمانية التى كانت تمثل الاسلام بضعة قرون .

بتلر

واذا كان الفتح الاسلامى لمصر قد ظفر من المؤرخ العربى القديم ابن عبد الحكم بكتاب مستقل، فان العصر الحديث قد حظى بتاريخ لهذا الفتح كتبه مؤرخ انجليزى بالانجليزية ، وترجمه مؤرخ عربى مصرى الى العربية ، أما الكتاب فهو « فتح العرب لمصر » ، وأما مؤلفه فهو الدكتور الفرد بتلر ، وأما معربه فهو الاستاذ محمد فريد أبو حديد . ويمتاز هذا الكتاب بدقته وتحريه للحقائق وحيدة مؤلفه وحسن استغلاله للمصادر وانصافه الذى اقتضاه الدفاع عن بعض مفتريات شائعة ، كاتهام العرب المسلمين بأنهم احرقوا مكتبة الاسكندرية مما يتنافى مع ما عرف عن العرب والمسلمين من اتساع الافق والترحيب بالعلم وحرية الفكر . فابان الرجل المؤرخ المنصف أن العرب عندما دخلوا الاسكندرية بعد الفسطاط فاتحين ، لم يجدوا فيها مكتبة جامعة ، لانها كانت قد أحرقت على يد غيرهم من برابرة الفكر بزمن طويل ..

شكرى فيصل

وهناك كتاب جامع عن « حركة الفتح الاسلامى » فى القرن الاول كتبه الدكتور شكرى فيصل . وهو يعالج قضايا المجتمع الاسلامى الناشىء فى ذلك العهد البعيد معالجة واعية، فيكشف عن موقف أهل البلاد المفتوحة وموقف الطبقات فيها من الامة الفاتحة الجديدة . كموقف أهل السواد عن موقف العرب اوالفرس فى فتح العراق . ويتفطن الى مسائل دقيقة فى حركة مقاومة المسلمين الفاتحين تبعا لاعتبارات خاصة .. ففى فارس وما وراء النهر والسند لم تكن هناك لغة عربية تعطف أهل البلاد على الحركة الاسلامية وتقربهم منها ..على حين كان فى العراق وسورية ومصر احيانا هذا التشابك والتواصل بين الدماء .

حسين مؤنس

أما كتاب « فتح العرب للمغرب » الذى كتبه الدكتور حسين مؤنس فهو تنظيم لطائفة من المعارف المبعثرة فى كتب التاريخ والفتوح ، على منهج علمى سليم ، حيث التقى العرب الفاتحون بأهل الشمال الافريقى التقاء الفاتح ضد المكافح ، فانقاد الاثنان ــ بعد أن فتح الله على المغاربة بالاسلام ــ الى اجتياز البحر الى الاندلس حيث قام للاسلام هناك ملك كبير ، لم يدم الا بضعة عصور ، حيث ألوت به الصبا والدبور .

ولله عاقبة الامور ..

في غار حراء

للأستاذ : عمر بهاء الدين

ـ يا أم المؤمنين ، حدثينا عن طلائع الوحي ؟ .

ـ قالت عائشة رضى الله عنها : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى ، الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، يتحنث فيه الليالى ذوات العدد ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ..

غار حراء ، فى أعالى الجبل ، على مشارف أم القرى ...

جبل النور ، صاعد ، مقطوع الانحدار ، كأنه جدار مائل ، تلفه صخور نهداء جرداء ، يدور بمرتقيه نحو « قمة » ذات بسطة ...

كان رفيقي اليه ، صديق من كرام أبناء مكة ... وكادت أنفاسنا تتقطع اعياء ... أول صعودنا ... وكنا ، مرة بعد مرة ، نبحث عن سطح صخرة ملساء ، تتسع لنا متجاورين أو متقاربين ، نسترد أناة صدرنا ، ونتنفس الصعداء ، وقد ننادى بالدليل الذى يتقدمنا ، فيعود الينا بحافظة الماء البارد نتروى جرعا ، قبل أن نتابع الصعود ..

... واصفرت الشمس ، وامتدت المشارف ... وسمونا عن الأرض ، أكثر مما علونا .. وبدل أن يزداد اعياؤنا ، كان يتناقص !! قلت لصاحبي وكان يشكو الربو : أما زلت فى ضيق ؟ قال : بل ذهب عنى كل ما كان ، يضر بى !! وجلسنا جلسة المستريح ، هذه

المرة ، نتأمل غروب الشمس فى صمت بليغ ، زاخر بالمشاعر والأحاسيس ، وفى جوانحنا قوة دافعة تحلق بنا فوق ذرى التاريخ ...

كان الصمت يذوب ، وتتسامع خفقات القلوب .. وارتقينا حتى بلغنا القمة ، مع آخر ذرة من شعاع ذكاء .. وأخذنا بهر ، فلم نملك أنفسنا أن نؤذن بأعلى الصوت ، مشبوبين مجذوبين والأصداء تتجاوب وتعيد : الله أكبر الله أكبر ، أشهد ألا اله الا الله ... أشهد أن محمدا رسول الله .

غار حراء ، تجويف تعلوه الصخور ، يرتفع عن قامة الرجل الطويل ولا يكاد ، ويتسع لتمدده ولا يزيد ، ينحدر اليه تدرجا ،اعتمادا على جوانب مدخله ، أرضه تراب ناعم ، وعرضه صلاة اثنين متلاصقين ...

وكانت فريضة المغرب ، وكأنما أقمناها فى السماء فى الملأ الأعلى : تجرد وخشوع ، واشراق ودموع :

هنا سجد المصطفى والدموع
تخط أخاديد فوق الخدود
سجود تجلى على الاله
باشراقة ، يا له من سجود
سجود تلبس من روحه
شذى ملؤه نفحات وجود
يدور مع الدهر فى كل قلب
تقى ، وفى كل عود يعود

***

وهام الهوى بجنانى بعيدا
بعيدا ، وراء الرؤى والحدود
فطالعت ، والوجد يحدو خيالى
صحائف من سفر مجد الجدود
وقد كتب « الدهر » عنوانه ،
بنور الجهاد : « صراط الخلود »
فأومض فى نور عيني بريق
الفتوح ، وخفق القنا والبنود
وقام المكان ، وغاب الزمان
وعشت بروحى تلك العهود

ــ يا خديجة ، انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء !! فقد والله خشيت أن يكون هذا امرا ؟ ! ! .

ــ معاذ الله ، ما كان الله ليفعل بك ، فوالله انك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث ...

« جاءنى وأنا نائم ، بنمط من ديباج ، فيه كتاب ، فقال : اقرأ ! فقلت: ما اقرأ ، فغتنى حتى ظننت أنه الموت ،ثم أرسلنى فقال : اقرأ ! فقلت : ماذا اقرأ ؟ ! وما أقول ذلك الا افتداء من أن يعود الى بمثل ما صنع بى . فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ... فقرأته ، ثم انتهى ، ثم انصرف عنى ، وهببت من نومى ، وكأنما كتب فى قلبى كتابا .. » .

« رواية عبد الله بن الزبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم » .

يا لروعة الرؤيا ، ورهبة الموقف ! ! تحار الحلوم وتضعف الجسوم ..

وعمد محمد الى حالق ، وجعل يعلو الشواهق ..

« يا خديجة ، حتى اذا كنت فى وسط الجبل ، سمعت صوتا من السماء يقول :

ــ يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، فرفعت رأسي الى السماء فاذا جبريل .. فوقفت أنظر اليه .. فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته ! ! » .

وتابعت عائشة رضى الله عنها روايتها ... حتى جاء الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ! قال : ما أنا بقارىء ــ قال فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ! فقلت : ما أنا بقارىء ! فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلني ! فقال : اقرأ ! فقلت ما أنا بقارىء ! فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ الجهد ثم أرسلني فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

ورجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ترتجف بوادره .

ـ يا خديجـة ! ! زملـوني زملوني ، دثروني وصـــبوا علي ماء باردا ، يا خديجة ! ! مالي ؟ ! لقد خشيت على نفسي ؟ وتقبل خديجة الرءوم ، تحنو عليه ، وتشد أزره :

ـ كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك اللـه أبدا انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ! ! .

وانطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وقد شاخ وعمى ، وكان نصرانيا عنده علم من الكتاب .

قال : ابن اخى ، ما ترى ؟ ! ـ فأخبره محمد صلى الله عليه وسلم ما رأى ـ فأردف :

ـ هذا ، الناموس ، (جبريل صاحب خبر الخير) الذى أنزل على موسى .. ان ادركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ..

اقرأ باسم ربـك .. خمس آيات ، طليعة القرآن ، ولكنها بركة العمر حتى آخر الدهر ... وفتر بعدهـا الوحى حتى حزن الرسول حزنا شديدا وتطلع .. وتضرع ...

ولنتأمل معا : أول القرآن : « اقرأ » .. و « بالقلـم » القراءة والكتابـة والأساس : « الله » ، باسم ربك ، خلق ، وعلم .

والحكمة والنور كل الحدث وأجواؤه، من قبل ومن بعد ، آيات بينات لأولى الأبصار فيتحنث ، يقاطع لغو الحياة ، يتوحد ، ويتعبد .

وفى النوم غتنى : غمنى وخنقنى ، وفى اليقظة غطنى شـدنى اليه ، كبسـنى وعصرنى ... ! ! ففي النوم تحريـك لحياة اللاشعور ، مكرور ، ليتفاعـل فى أعماق النفس وذراتها الخفية ، وبعدها للأمر الجلل ! ! وفى اليقظة كبس وعصر ، أولا وثانيا وثالثا ، استحواذ على الشعور، تركيز للانتباه ، تعميق للأثر ، صرف عن أى شيء آخـر ، حصر للكيان كله ، فى يقظة وترقب ، وانقطاع للأمر الجلل .

وجنان محمد ثابت ، لا يغمى عليه ، ولا يبدل قوله الانساني ما أنا بقارىء ، حتى يأتى الأمر الالهى (اقـرأ باسـم ربـك) .

والتوافق ، صـدق الـرؤيا كفلـق الصبح : ارهاصات للنبوة ...

شده جبريل اليه ، شد للعضـد ، وتثبيت .. ملك يضم انسـانا . عناق مرموز بين السـماء والأرض ، لقاء بين السفيرين الالهيين سفيرى رب العالمين : عالم الغيب وعالم الشهادة ، لتنفيذ أمر الله الحكيم العليم ! .

وعلى مراحل ، رؤيا ، ثم هاتف ، ثم مواجهة ... : تدرج ، واعداد ، حكمة الله وارادته ، أن يجرى كونه الذى خلقه، وفق قوانين رسـمها له ، ودعا عباده اليها ، فهو لا يخالفها بنفسه ، مع قدرته على كل شيء ، ولو شاء لجعل ما أنزل على رسوله دفعة واحدة ، وحباه العزم الكافى للتحمل ، **ولكن : من الفطرة ترك** الطفرة ! « قل سبحان ربى هـل كنت الا بشرا رسولا » ! .

وان يفتر **الوحى** ، ثم يعود ، ولـو أحزن النبى ـ وهوحبيب الى ربه ، وهو بأعينـه ـ فذلـك تأكيد بالـغ فى لفت **الرسول الى الرسـالة ، ليتطلع اليهـا** ويقبل عليها ، فى تعبد وتوجد ، وتأله وتوله ، وليس البر دائمـا فيما يسر ، ولكن الأمور بخواتيمها .

وتقول خديجـة رضى الله عنها : لا تخف مكروها يا محمد ، وأنت على مـا أنت من حميد الفعال ، وخصال الخير ، فان مكارم الأخـلاق تقى مصـارع السوء ..

اقرأ باسم ربك ، بقدرته ـ وان كنت لا تعلم القـراءة ـ فاللـه الذى خلـق الانسان كله من علق ، والله الذى علم ، قد جعل من طرائق التعليم والتوصـل الى المعرفة ، الفتح من لدنه ، فمن **قرأ** باسم الله ، قرأ وان لم يكن بقارىء فهو

يخلق فى سجية عبده الجديرة ، القدرة على القراءة ، وعلى كل شيء فهو الأكرم ، وما من كرم كريم يخطر على قلب بشر ، الا وربك ، الذى رباك وتعهدك برسالته يا محمد ، هو الأكرم .

علم بالقلم ، والعلم بيان ، يكون فى الأذهان ، ويكون فى اللسان ويكون بالبنان ، فكرا ، ولفظا ، وكتابة ...

ومن بديع خلق الله ، وعظيم سره ، انه علم بالقلم ، وليس القلم بذى روح ، فاما شجر واما حجر ! أما أنت ، يا محمد البشر ، فباسم الله تقرأ ، وبقدرته وسره ، وهذا أولى وأجلى ، لأنك خلقت من علقة ، والعلقة مادة الدم ، والدم تسنغ (١) الحياة .

قال ابن عمر : يا رسول الله ، أكتب ما أسمع منك من الحديث ؟ ! قال : نعم فاكتب فان الله علم بالقلم .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : أول ما خلق الله القلم ، فقال : أكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة ...

قال العلماء : الأقلام فى الأصل ثلاثة : القلم الأول الذى خلقه الله بيده وأمره أن يكتب . وأقلام الملائكة : (ان عليكم لحافظين . كراما كاتبين) . وأقلام الناس ، يسجلون بها كلامهم ، ويصلون مآربهم .

والكتابة ، عين من العيون ، يبصر بها الشاهد الغائب ، والخط ، آثار يده ، وفيه تعبير عن الضمير ، بما لا ينطق به اللسان ، فهو أبلغ .

قال بعضهم : الكلام ريح لا تبقى ، وقيده الكتابة قلت : بل هى أنفاس مرددة ، والبيان للانسان ، كيانه المرسل ، والكتابة جنانه المسجل .

علم الانسان ما لم يعلم ، خلقه من علق ... وجعله فى الأرض خليفة .. واستعمره فيها .. وعلم آدم الأسماء كلها .. وفى الأثر « اذا عمل الانسان بما يعلم ، ورثه الله علم ما لم يكن يعلم » .

فى « غار حراء » ، تم الحدث الأعظم ، الحدث الأعظم فى الأرض ، منذ كانت الأرض ، وفى تاريخ الانسان ، منذ كان الانسان . فرقان فى حياة البشرية كلها ، لا فى حياة أمة ولا جيل تحول فى خط الضمير الانساني ، لم يكن من قبل ولا من بعد قامت المعالم واضحة عالية ، لا يطمسها الزمان ولا الحدثان ، تخطيط الهى ، ومنهج رباني .. قل ان هدى الله هو الهدى ..

يتراءى لى ، أننا لو درسنا بعمق ، وضع العرب فى تلك الحقبة ، وانعزالهم فى الجزيرة الجافية ، والطبيعة الصافية ، بعيدا عن المدنية المترفة الهلوك ، فى امبراطوريتى الأكاسرة والقياصرة ، ودرسنا توحد محمد فى الغار ، لوجدنا توحده ذاك تألقا فى جو تلك البيئة ، ولساغ أن تشبه عزلة العرب عن محيط العالم الفاسد . بعزلة محمد عن انحرافات قومه ، وانقطاعه فى شظف وزهد ، الى التفكر والتدبر ، وهو فى غار حراء بين الأرض والسماء ! قاعدة ، وذورة ، فكما كانت عزلته المعطاء ، تصفى روحه ، وتعد نفسه للحدث الالهى الانسانى الهائل ، كانت تلك العزلة الصحراوية للعرب فى جزيرتهم ، حفاظ خصائصهم ، وادخار معدن رجولتهم ، ليكونوا بعد ـ بالاسلام ـ شعلة الهداية ، وطليعة الفتح ، والكاهل القوى ، الذى سيحمل العبء العظيم ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ...

صلى الله عليك وسلم ، وصلينا وسلمنا تسليما ، أيها النبي العربى ، يا رسول الله بالاسلام يا رحمة للعالمين ..

وتحية غار حراء ، فبمحمد من الغار ، أضاء المنار ...

« انا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر » ....

---

(١) النشغ : ماء يخرج من الشجرة اذا قطعت ، والنسيغ : العرق « المعجم الوسيط » مادة تسغ

كارليل

محمد مؤذن

يرد أكاذيب المستشرقين

للاستاذ / احمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى – بمكة

بعثني الى كتابة هذا الفصل من كتاب أعده للطبع – أمران .

الاول : البحث القيم الذى نشرته (الوعى) بقلم الدكتور عرفان عبدالحميد تحت عنوان « المستشرقون والاسلام »

الثاني : اشارة خاطفة جاءت فى الدراسة القيمة التي نشرتها (الوعى) ايضا للاستاذ احمد حسين عن (الرسل) الى راى الكاتب الانجليزي توماس كارليل فى الاسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام .

فقد رايت أن اورد فى هذا الفصل بعض افتراءات المستشرقين على الاسلام دينا ورسولا ، وادع كارليل يدحضها برأيه وحجته.. فهو واحد منهم جنسا ، وشاهد من اهلهم ملة . ويستحيل أن يتهم بالتعصب للاسلام ، أو بالعاطفة الدينية التي تعطف المتدين نحو دينه . فدفاعه – اذن – ابلغ تأثيرا من دفاع المسلمين عن الاسلام ، وحجته – كذلك أقوى .

اربعة افتراءات على الاسلام ونبيه

ان مؤلفات المستشرقين – من الغربيين – تفيض بالحقد على الاسلام ، وبالافتراء المفضوح على نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام . وبين ايدينا – فى هذا الفصل – أربعة افتراءات .. نعرضها ثم ندحضها .

فمن المستشرقين من يزعم ان دين الاسلام اكذوبة ، وان محمدا –وحاشاه– خداع مزور .

ومنهم من يقول مفتريا أى ان ما اقام



محمدا وأثاره لنشر دعوته المسماة (الاسلام) هو حبه للشهرة الشخصية ، وطمعه فى الجاه والسلطان .

وزعم بعضهم . ان محمدا انما استطاع نشر دينه وبسط سلطانه بقوة السلاح ، وبالحروب والغزوات التي شنها على معارضيه .

ومنهم من يزعم . أن الاسلام دين الشهوات والملاذ ، وان محمدا ـ وخلاه ذم ـ كان أخا شهوة جامحة .

ونكتفى بهذه الاتهامات الاربعة الرخيصة ، التي أملاها الحقد والحسد فى صدور المستشرقين .. على الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم . ثم ندع واحدا منهم ـ كما اسلفنا ـ ولكنه منصف دونهم .. يتولى تأنيبهم وتكذيبهم وفضح أباطيلهم ومفترياتهم .

يقول توماس كارليل ـ فى كتابه الابطال ـ : ((اصبح من أكبر العار على أى فرد متمدن من ابناء هذا العصر أن يصغى الى الدعوى بأن دين الاسلام كذب .. وان محمدا خداع مزور .. وقد آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة المخجلة . فان الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير ، مدة اثنى عشر قرنا لنحو مئتى مليون من الناس)) (١) .

ثم يضيف كارليل ((واأسفاه . ما أسوأ مثل هذا الزعم . وما أضعف أهله ، وما أحقهم بالرثاء والمرحمة)) .

ولا يكتفى بالأسف لهذه الفرية على الاسلام ونبيه ، وبالرثاء لمن أطلقها . وانما يرميه بالسفه والخبث فيقول بعد ذلك : ((وعلينا الا نصدق أقوال هؤلاء السفهاء فانها نتائج جيل من الالحاد والكفر ، وهى دليل على خبث قلوبهم وفساد ضمائرهم)) .

وبعد تأسف كارليل لتلك الفرية المنكرة على الاسلام ونبيه ، واتهامه لقائليها بالضعف والسخف .. يأتى دور تعجبه واستنكاره ، ويضرب مثلا ، ويقدم حجته على بطلانها حين يقول :

((عجبا والله . كيف يستطيع رجل كاذب ان يوجد دينا وينشره ؟ ان الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب . فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وبقية ادوات البناء ومواده .. فما هذا الذى يبنيه ببيت . وانما هو تل من الانقاض ، وكثيب من اخلاط المواد . وليس جديرا ان يبقى اثنى عشر قرنا يسكنه مئتا مليون من الأنفس . ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم كأن لم يكن)) .

ولو عاش كارليل الى اليوم لرأى أن الكيان الاسلامي يعيش الآن أربعة عشر قرنا ، وان هذا الكيان الكبير يضم خمسمائة مليون مسلم .

ثم يحمل كارليل على أولئك المفترين والحاقدين حملة شعواء ، ويصفهم بأنهم ((كفار)) مهما زخرفوا ((كذبهم)) وصوروه حقا . ومهما زوروا ((باطلهم)) حتى أوهموه صدقا . ويعد انخداع الناس فى أوروبا بهذه الأباطيل المفتراة على الاسلام . محنة كبرى ..

الرجل الكبير لا يكون كاذبا

ويبنى كارليل اعتقاده فى صدق محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ على نظرية

(١) نحمد لكارليل كلمة الحق التى قالها ولا يعنى ذلك أننا أو الكاتب الفاضل يوافقه فى كل ما كتبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم (الوعى) .

« ان الرجل الكبير من المحال أن يكون كاذبا ، وأن الصدق هو أساس كل ما لديه من فضل ومحمدة » فيقول :

« .. وعلى ذلك فلن نعد محمدا هذا رجلا كاذبا ، متصنعا يتذرع بالوسائل والحيل الى بغية له .. من ملك او سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر . وليست الرسالة التي أداها الا حقا صراحا ، ولا كلامه الا صوتا صادرا من العالم المجهول » .

ويؤكد اعتقاده بصدق الرسول ، بما عرف من سيرته عليه الصلاة والسلام منذ صباه ونشأته ، فيشير الى . « ما لوحظ عليه منذ فتائه .. انه كان شابا مفكرا . وقد سماه رفقاؤه (الأمين) أى رجل الصدق والوفاء فى أقواله وافعاله وافكاره . فما من كلمة تخرج من فمه الا وفيها حكمة بليغة » .

حب الشهرة والسلطان

اما الفرية الثانية التي اطلقها المستشرقون وزعموا فيها . ان نبى الاسلام انما قام بدعوته ابتغاء الشهرة والجاه والسلطان فان كارليل يصف قائليها بأنهم (كاذبون) ثم يضيف :

« لقد كان فى فؤاد محمد الرسول ، العظيم النفس، المملوء رحمة وبرا وخيرا، وحنانا وحكمة وحجى . كان فى فؤاده افكار غير الطمع الدنيوى ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه . لقد كان منفردا بنفسه العظيمة يتأمل فى حقائق الكائنات » .

ويزيد كارليل اصحاب هذه الفرية على ما رماهم به من الكذب ــ فيصفهم بالحماقة والسخافة والهوس ، ويضاعف لهم تأنيبه ونكيره متسائلا . « أى فائدة لهذا الرجل فى جميع بلاد العرب وفى تاج كسرى وصولجان قيصر وجميع ما فى الأرض من تيجان وصولجانات ؟ .. أفى مشيخة مكة ؟ أم فى ملك كسرى منجاة ومظفرة ؟ كلا . اذن فلنضرب صفحا عن زعم الجائرين القائلين بأن محمدا كاذب ، وأن الطمع وحب الدنيا هو الذى أقام محمدا وأثاره .

نشر الاسلام بالسيف

يرد كارليل هذه الفرية .. ردا تاريخيا واقعيا ، ومنطقيا عقليا أيضا فيقول :

ان نية محمد كانت فى البداية ان ينشر دينه بالحكمة والموعظة الحسنة فقط . فلما رأى ان القوم الظالمين لم يكتفوا برفض رسالته السماوية ، وعدم الاصغاء الى صوت ضميره وصيحة لبه .. حتى أرادوا أن يسكتوه لئلا ينطق برسالته ، عندئذ عزم على أن يدافع عن نفسه دفاع رجل ، دفاع عربى رأى القوم قد أغلقوا آذانهم دون كلمة الحق ، وشريعة الصواب ، وأبوا الا تماديا فى ضلالهم ، يستبيحون الحرمات ، ويقتلون النفس التي حرم الله قتلها ، ويأتون كل اثم ومنكر . وقد جاءهم محمد عن طريق الرفق والأناة فأبوا الا عتوا وطغيانا » .

فماذا بعد هذا ؟ ــ فى نظر كارليل انه يرى أن « يجعل محمد الأمر اذن الى الحسام المهند ، الى حرب لنشر تعاليم الاسلام ورد كيد المعتدين » .

وبعد ان يتهم كارليل الذين يزعمون ان الاسلام انما انتشر بقوة السلاح ــ بالخطأ والجور .. يفلسف لنا ضرورة انتشار الحق وانتصار الخير .. بالوسائل السلمية أو بالحديد والنار ــ اذا لزم الأمر ــ لأن الحق والخير يجب أن يسودا البشرية جمعاء ..

البقية على ص ١٠٠

(١) وقد عرضوا عليه المال والملك فأبى وقال قولته المشهورة «والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى .. الخ .. « الوعى » .

جمال الدين الأفغاني

سبعون عاماً على وفاته

للأستاذ محمد صبيح

فى شهر مارس سنة ١٩٦٧ تكون قد مضت سبعون سنة على وفاة جمال الدين الأفغاني . ومن حق هذا الحكيم العظيم ، والثائر الفذ فى تاريخ الدعوة الاسلامية ، أن تنتهز الأمم التي تعرفه وتقدره ، هذه الذكرى ، لتحتفل به احتفالا يذكر الأجيال الحاضرة ، بكفاح الجيل الماضى ، والذى قبله ، حتى نستطيع أن نربط أيامنا بعضها ببعض ، ونرسم لمستقبلنا خط سيره مهتديا بهدى الجهاد الفذ الصادق الذى جاهده الأفغانى ومدرسته .

***

وعلى الرغم من الدراسات الكثيرة التي ظهرت عن الأفغانى وأيامه وأفكاره ، فما تزال سيرته فى حاجة الى جهد متصل من علمائنا . ولا سيما أن جديدا يظهر عنه كل فترة ، يغير النظر الى أعماله .

ويمد أبعاد هذا الجهاد الى جهات عديدة . .

وقد ظهر أخيرا فى ايران كتاب ضمنه ناشروه مجموعة ضخمة من الرسائل والوثائق ، كانت موجودة لدى الأسرة التي وصل اليها صندوق « السيد » . . وهو الصندوق الشهير الذى خلفه وراءه فى مصر عندما نفاه منها توفيق ، ثم سافر وراءه ، فلم يدركه فى الهند ، ولا فى ايران ، فاستقر ثلاثة أرباع قرن ، أمانة لدى صديق للأفغانى ، حتى وجد ورثته ان ما فى الصندوق لم يصبح أمانة شخصية ولكنه أصبح ملكا عاما للتاريخ ، وللعلم والعلماء ، فنشروا الأوراق مصورة ، ومعلقا عليها باللغة الايرانية . .

وقد ظهرت من الدراسات السريعة لهذه الوثائق مسائل فى حياة الأفغانى جديرة بالنظرة . فمثلا ، كانت جوازات سفر جمال كلها ايرانية ، وتشير هذه الجوازات الى أن مولده كان فى ايران . وأنه عاش فيها فجر حياته وشبابه .



السيد جمال الدين الافغانى
موقظ الشرق

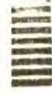
وقد فضل حمل لقب « الأفغانى » حتى لا يظن انه من شيعة ايران ، فى حين انه التزم مذهب السنة .

ولقد حرصت الأفغان على أن تسترد جثمانه من الآستانة ، فى نهاية الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٤) ، فسار اليها فى موكب عظيم ، خصصت له القطارات ، وسار فى ركابه الفكر الاسلامي كله فى تركيا والعراق وايران والأفغان ، والحق ان حفاوة العراق بجثمان « الحكيم » اثناء مروره بها ، كانت آية فى الجلال ، وسجلت كلمات الشعراء والأدباء بهذه المناسبة فى كتاب ، يعد مرجعا من مراجع تاريخه .

★★★

وقد روى لنا المرحوم الأستاذ / أحمد أمين ، كيف زار مع صديقه الدكتور عبد الحميد العبادى ، الآستانة عام ١٩٢٨ وكيف تعذر عليهما الاهتداء الى مثوى الرجل الذى أطلق شرارة التحرر فى أمم كثيرة ، وأوقد نيران بعثها ... فلما بلغ منهما الجهد فى البحث مبلغه ، وصلا الى قبر متهدم وعر المسلك ... وجدا أن مستشرقا أمريكيا سبقهما الى هذا المكان أسمه شارل كرين ، وأنفق من ماله مبلغا ، لكى يضع على القبر شواهد من الرخام تدل على صاحبه .

ولم يكن غريبا على السلطان عبدالحميد أن يهمل تكريم حكيم الشرق فى مثواه الأخير ، وقد عاش سنوات ، لا يقلقه شىء قدر ما يقلقه دأب الأفغانى على ايقاظ النائمين الغافلين من أبناء الأمة المحمدية ... فلما استدرجه السلطان أواخر حياته الى الآستانة ، عاش فيها ، وكأنه أسد فى قفص . ولما هم الأفغانى بمغادرة القفص الحميدى ، تنبه له السلطان ، وحال دون خروجه من بلاده .. ولما مرض الأفغانى — وكان فى التاسعة والخمسين من عمره بمرض مفاجىء فى فمه ، أضطر الأطباء الى اجراء جراحة له



انتزعت جزءا من فكه ولسانه ، فصمت الفم الذى كان يطلق شواظا من نار على الخمود والخمول أينما وجده ... وظل على صمته ثلاثة أيام لا يعبر الا بعينيه ، ولا يزوره الا صاحبه جورج كوتجى ، وأطباء السلطان . فلما أذنت رحلة الحياة بانتهاء ، أبلغ جورج قصر السلطان (المابين) وكل من أدركه من أصدقائه ، فلم يهتم غير شخص واحد بالسير فى جنازته من هؤلاء الكبراء اسمه سهل باشا .. ولعل خواطر كثيرة طافت بذهنه قبل هذه الرحلة بوقت قصير ، عندما سار هو وحده تقريبا ، يودع تلميذه عبد الله النديم فى رحلته الى لقاء ربه ، متخذا نفس الطريق ، متجها نفس الجهة ... وماذا يهم موكب المودعين ، ولا رثاء الراثين ، فكما قال شوقي ، فى رثاء المنفلوطى « ليس الغرور لميت بمتاع » .

واذا كان قد فات عبد الحميد ــ خليفة المسلمين وأمير المؤمنين وسلطان البرين والبحرين وخاقانهما ــ أن يحسن وداع الأفغانى ، يوم الثلاثاء ٩ من مارس سنة ١٨٩٧ ، فانه حرص على أن يبعث شرطته ، كى يفتشوا بيته ، وأوراقه ، ويحملوا الى عبد الحميد كل ما يريب فيها . وبذا ضاعت أوراق خمسة أعوام قضاها الحكيم فى الآستانة ... وربما عوضنا عنها صندوق أوراقه الذى أشرنا اليه ، والذى يسجل فكره ونشاطه مدة مقامه بمصر ، وقد استمرت ثمانية أعوام .

ومما يستحق التأمل فى موضوع ضياع الأوراق التاريخية ، أن جورج كوتجى ، الذى كان وثيق الصلة به فى أواخر أيام حياته ، كتب بالفرنسية رسالة من عشرين أو ثلاثين ورقة ، طبعت منها نسخ محدودة ، ودون فيها خواطره ومشاهداته أثناء الصحبة .

وقد وقعت نسخة من هذه الرسالة فى يد المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق ، وقدر أهميتها ، فترجمها الى العربية .. وقد بحثنا فى مخلفات الشيخ مصطفى عن أصل الرسالة أو ترجمتها ، فلم نعثر عليها ، مع أنها تلقى ضوءا كاشفا ، من قريب ، على فترة هامة من حياة رجل الشرق الكبير .



والحقيقة ان فضلا كبيرا فى تسجيل آراء الأفغانى وكفاحه ، يرجع الى تلميذه الشيخ محمد عبده ، وفضلا لا يقل قيمة فى نقل هذه الآراء لنا يرجع الى دأب ونشاط السيد رشيد رضا .

وعلى الرغم من الجفوة التي حدثت بين السيد مدة مقامه فى الآستانة ، ومريده الأول الشيخ محمد عبده ، فانه لم يقصر فى املاء ما يعرفه عنه ، فخلف لنا ذخيرة ممتازة ... الا أن الأستاذ الامام حرص على أن يجنب سيرة صاحبه ما قد يكون موضوع تساؤل أو بحث ، مثل علاقة الأفغانى بالمجامع الماسونية فى مصر ، فقد ذكر أنه قطع صلاته بها ، فى حين أن كتاب الوثائق الايرانى يدل على أن هذه الصلة ظلت مستمرة فى أثناء وجوده فى باريس بعد نفيه من أرض النيل .

والواقع أن شخصية قوية مثل الأفغانى ، ما كان هو الذى تستغله الماسونية ، ولكنه هو الذى يسيرها فى سياسته ، ويوجهها حيث شاء ... فهى عنده أداة ، وهو عندها موجه ومحرك .. ولهذا فالأمر لم يكن بحاجة الى الاعتذار بذكر أشياء لم تصح .



واذا كان نضال الأفغانى للحكم الاستبدادى أينما وجد المسلمون ، قد بغضه لدى الرؤوس المتوجة ، فان تيجان القرن الماضى لم تدخر وسعا فى ابداء رأيها فيه .

من ذلـك ما أذاعته ادارة المطبوعات « البهيــة » فى عهد خديو مصر توفيق تبرر به نفى الانفانى من مصر قالت أن حكومة الخديو « استشعرت بأن هناك جمعية سرية من الشبان ذوى البطش ، مجتمعة على افســاد الدين والدنيا ، المضرة بالبرية، رئيسها يدعىجمال الدين الأفغانى ، مطـرود من بــلاده ، ثم من الآستانة العلية ، لما ارتكبه من أمثال هذه المفسدة ، فى ديارنا المصرية .. » .

وعندما لفت كبير من حاشية السلطان عبد الحميد ، نظــر الأفغانى ، الى أنه لا يجوز له أن يحرك مسبحته وهو جالس مع السلطان ، قال له فى سخرية مرة أن السلطان يلعب بمستقبل الملايين من الأمة أفلا يحق لجمال أن يلعب بمسبحته كما يشاء » .

ولم يمــض الا أقــل الوقت حــتى اقتنع جمال بأنه لا فائدة من اصــلاح تركيا العثمانية ، وفيها كل هذا القدر من الاســـتبداد الحميدى . فقال عن السلطان . « عيب الكبير كبير .. والجبن من أكبر عيوبه » ووصفه بأنه سرطان فى جسم هذه الأمة .

وكذلك دارت مناقشات طويلــة بينه وبين قيصر روسيا فى بطرسبرج ، وقد أقام هناك ثلاث سنوات ، اقتنع القيصر بعدهــا أنه لا مكان لجمال فى بــلاده ، فتلطف فى اخراجه منها ، بعد أن ســمع منه أن الحكم النيابى ، واشراك الشعب فى ادارة أموره هو الضمانالوحيد لصلاح الحكم . وفى هذه الفترة درس الأفغانى أحوال المسلمين فى أمبراطورية القيصر ، وأذاع فيهم قرآنا وتفسيرا طبعه هناك ، وكان عددهــم يزيد عن ســتين مليون نسمة .

وكان حلم الأفغانى ، أن يسعى الثوار من حوله ، الى تحرير شــعب اسلامي واحد ، من الاســتعمار الخارجى ، والتخلف الداخلى فى شتى صــوره . وهذا الشعب يمكن أن يكون منارة هادية لبقية الشعوب الاســلامية عن طريق القدوة والأسوة الحسنة .

وقد عمل فى مصـــر لكى تكون هى التجربة الرائدة الأولى ، فلما انتكست الثــورة العرابية ، وقامت الى جنوبهــا الثورة المهدية ، ســارع الأفغانى الى محاولة تبنى حركة السودان التحررية وأوفد الشــيخ محمد عبده الذى كان منفيا خارج مصر ، لمحاولة الاتصـــال بالمهدى ، وتنظيم طاقته الثورية ، وقد وصل الشيخ متنكرا حتى أسوان ، ولكن وفاة المهدىالمبكرة لم تحققهذاالمشروع .

ولم تغب مشروعات ولا دفعات جمال عن ذهن المهدى ، فقد حــاول أن يأخذ الانجليزى « غــردون » أسيرا ، لكــى يفادى به عرابى المنفى فى سيلان ، ويوجد التلاحم الواجب بين ثوار الشمال وثوار الجنوب . ولكن الزمام أفلت منه ، فقتل جنوده غردون ، وبهذا ــ أيضا ــ أخفق ما رتبه المهدى فى هذا الشأن ...

***

هذه خواطر سريعة ، عن الأفغــانى ، الثائــر الحكيم الذى جمع فى فكره بين طاقة عظماء الفقهاء من أمثال أبى حنيفة والشافعى ، وطاقة كبار فلاســفتنا من امثال الغزالى وابن رشــــد ، وطاقة المناضلين المشهورين من أمثال ابن تيمية واقبال .

وأملنا كبـــير أن نهيـــب بمجامعنا الاسلامية فى كافة حواضر المســلمين أن تنظم فى شــهر مارس القادم احتفالات فكرية كبيرة مليئة بالدراســـة والعلم والتوجيه ، تحية وتكريما لحكيم الشرق ومحرك نهضته ، وباعث أمله . بعد أن أثمرت دعوته هذا الثمــر المبــارك من التحرر الســياسي والفكرى الذى نرى آياته فى كثير من البلاد الاسلامية .

في عيد الهجرة

من هــداهــا علمت سر وجــودى والطــريق الســوى عــبر السدود
ذكريات الإســلام والحــق يجتــاح ظلاما طغــى كليــل العبيــد
ذكريات الفــداء والمثــل الخــالــد يوم انتفــاضــة التوحيــد
إيه يا هجــرة النــبى أعيــدى كل عام رياحنــا من جــديد..
علمتنى الأحــداث فيك دروسا خالــدات خلــود كــل مجيــد
علمتنى والليــل يعتــصر الكــون صمــودا إلى الصبــاح الســعيد
كلمــا تغمــز النوائب عزمــى جددته رواســيا من حــديد
وأرتنى بــلال يعصره الظــلــم أبيــا يغيظــه بالصعــود...
وتريني إيــاه في يــوم بــدر جــن في قلبــه انتصــار العبيــد
وعلى الكعبــة المجيــدة يختــال مضيئــا أذانــه في الوجــود..
شــهدته ربــوع مــكة عبــدا أثخنتــه الجــراح بــين القيــود
وهو اليــوم قــاهر أيــدتــه حكمة الصبر في الزمان الجحــود

***

علمتنى والنــار تلتهــم النــاس فــداء لا يرتضــى بالقعــود
وتريني الحيــاة فيهــا عليــا وهو مــا زال في نضارة عــود
وإذا جنت النــوازل والليــل أراه ملفلفــا في الــبرود..
مطمئــن الجنــان يغمــره الحــق ضياء من الرضــاء الحميــد
يفتــدى بالحيــاة خير نبــى ويبيــع الشــباب للمعبــود
فاهبطى يا جنــود من ظلل العــرش وذودى عــن الفــتى المجيــد
وامنعــى البغــى أن يطوف بعبــد باع لله روحــه بالخلــود

***

وأرى الغــار والســيوف عليــه كســوار مدمــر معقــود

للاستاذ محمد بدر الدين

ودموع الصديق يذرفها الحب ... حنانا على النبي الشريد
وابتسامات أحمد عزمات ... وأمان يرف رغم الحشود
ونداء من اليقين يناجى ... صاحب الغار في ابتسام الوليد
انما الله ثالث الركب يحمى ... راية الحق من لئيم حقود
أيه يا نفس فاهدئى ان قلبا ... ينصر الله في أمان وطيد



كلما ثارت الجراح بقلبى ... طاف بى الفكر في الزمان البعيد
فأرى أحمدًا على الشعاب مطلا ... دامع الروح في حنين شريد
رغم هذا القتار في كل شِعب ... لم يزل حبه لتلك النجود
ويناجى مع الدموع ديارا ... طاردته سنانها في جحود
أنت أغلى البلاد مكةُ مهما ... طاردونى وأمعنوا في صدودى
حن للبيت قِبلة وتمنى ... وأطال السجود تلو السجود . .
ويفيض الحنين في النوم رؤيا ... لطواف وعمرة ونشيد . .
فاذا ذلت الرقاب وأنتْ ... مكة من شبابها المحصود
أطلق الغالب الرحيم رقابا ... قاتلته وأفحشت في الوعيد
ان للأهل والبلاد مكانا ... فوق كيد الوغى وحقد الحقود



علمتنى والحب يخفق في الروح ... ويدعو إلى الرضا بالقيود
كلما أرهق الزمان جنانى ... رغم حبى كرهت ذل العبيد
ولئن كان في لقا الأهل عيد ... فلقاء الأحرار أكرم عيد
كل حر يرى التحرر أهلا ... وبلادا تضم كل شريد

مائدة القارئ

اعدها ابو نزار

في الجنة نور

قال رجل . يا رسول الله . هل فى الجنة من ليل) قال : ((وما هيجك على هذا))) قال : سمعت الله تعالى يذكر فى الكتاب ((ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)) والليل بين البكرة والعشى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ليس هناك ليل . انما هو ضوء ونور . يرد الغدو على الرواح ، والرواح على الغدو ، وتاتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلونها فى الدنيا ، وتسلم عليهم الملائكة)) .

بزر كل شيء

يروى ان قيصر الروم كتب الى معاوية بن أبى سفيان رسالة مع سفير يقول فيها :

اخبرني عما لا قبلة له ، وعمن لا اب له ، وعمن لا عشيرة له ، وعمن سار به قبره ، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق فى الرحم ، وعن شيء ، وعن نصف شيء ، وعن لا شيء .. وابعث الى فىهذه القارورة ببزر كل شيء ؟ ؟ .

فبعث معاوية بالكتاب والقارورة الى ابن عباس أعظم الفقهاء المسلمين فى ذلك الوقت ، ليجيب على الاسئلة .

ورد ابن عباس قائلا :

أما ما لا قبلة له فالكعبة ، وأما من لا أب له فعيسى ، وأما من لا عشيرة له فآدم ، وأما من سار به قبره فيونس (النبى الذى ابتلعه الحوت) وأما ثلاثة أشياء لم تخلق فىالرحم . فكبشابراهيم وناقة صالح ، وحية موسى ، وأما ((شيء)) فالرجل له عقل يعمل به ، وأما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ، ويعمل برأى ذوى العقول ، وأما لا شيء فالذى ليس له عقل يعمل به ، ولا يستعين بعقل غيره .

ثم ملأ ابن عباس القاروة ماء ، وقال : هذا بزر كل شيء .

وبعث معاوية بتلك القارورة الى قيصر الروم فاعجب بها اعجابا شديدا .

يحتال فى الاجابة

لما نزل خالد بن الوليد على الحيرة مثل بين يديه عبد المسيح بن بقيلة فقال له : أنعم صباحا ، فقال خالد : قد أغنانا الله عن تحيتك هذه بـ (سلام عليكم) ثم قال له : من أين أقصى أثرك (مبدؤك) قال : من ظهر أبى . قال : فمن أين خرجت ؟ قال : من بطن أمى . قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض . قال : ففيم أنت ؟ قال : فى ثيابى . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال خالد : ما رأيت كاليوم قط . أنا أسأله عن الشيء ، وهو ينحو فى غيره .

منافذ الفتنة

روى فى الأثر . أن الله عز وجل قال : يا ابن آدم . ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك ، فقد أعنتك بطبقين (فكين) فاطبق عليه ، وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين (جفنين) فاطبق عليه ، وان نازعك فرجك الى ما حرمت عليك ، فقد أعنتك عليه بطبقين (فخذين) فاطبق .

المؤمن قوى

رأى عمر بن الخطاب رجلا مطأطئا رأسه ، فقال له : ارفع رأسك ، فان الاسلام ليس بمريض .

ونظر يوما الى رجل مظهر للنسك متماوت ، فخفقه بالدرة ، وقال : لا تمت علينا ديننا أماتك الله .

ونظرت السيدة عائشة الى رجل كاد يموت تخافتا ، فقالت : ما لهذا ؟ فقالوا : أحد القراء فقالت : قد كان عمر بن الخطاب سيد القراء ، فكان اذا قال أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع .

وقال صلى الله عليه وسلم . ان الله بعثنى بالحنيفية السمحة ، ولم يبعثني بالرهبانية فمن رغب عن سنتي فليس منى .

اللســان

فى اللسان تسع خصال . أداة يظهر بها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وحاكم يفصل بين الخطاب،وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الأشياء ، وواعظ يعرف به القبيح، ومغرد ترد به الأحزان ، وملهى يونق الاسماع .

عنوان نعم الله

وفد على معاوية سفير بيزنطة ، وكان السفير وسيما جسيما يملأ العين، فأحب معاوية أن يداعب السفير الضخم الهيئة ، فقال له : ما هذه الفدامة فيكم ؟ (الغلظة والجفاء) فأجاب السفير : انها عنوان نعم الله عندنا . فاستحسن معاوية هذا القول الذى جاء غاية فى السداد والادب لأن السفير اعتد بنفسه ، واعتبر بسطة الجسم عنوانا على نعم الله على الانسان.

بين القاضى شريح وعدى

دخل عدى بن أرطاة على شريح قاضى الكوفة ، وجرى بينهما الحديث الآتى :

ع ـ أين أنت أصلحك الله ؟
ش ـ بينك وبين الحائط .
ع ـ استمع منى
ش ـ قل أسمع
ع ـ انى رجل من أهل الشام
ش ـ من مكان سحيق
ع ـ تزوجت عندكم
ش ـ بالرفاء والبنين
ع ـ وأردت أن أرحلها
ش ـ الرجل أحق بأهله
ع ـ وشرطت لها دارها
ش ـ الشرط أملك
ع ـ فاحكم الآن بيننا
ش ـ قد فعلت
ع ـ على من حكمت ؟
ش ـ على ابن امك
ع ـ بشهادة من
ش ـ بشهادة ابن أخت خالتك .

انا لعائدون

قال عبد الله بن الزبير : ليس الناس بشىء من أقسامهم (حظوظهم) أقنع منهم بأوطانهم .

وقال معاوية فى قوم من اليمن رجعوا الى بلادهم بعد أن أنزلهم من الشام منزلا خصبا ، وفرض لهم فى شئون العطاء ـ يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم ..

وقال الله ـ عز وجل ـ « ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » فقرن سبحانه الضن بالأوطان الى الضن بمهج النفوس .

صورة من "الدبلوماسية"

حديث الدبلوماسية فى الأندلس ـ خاصة فى الفترة الأموية ـ شيق ممتع فى مطالعته وتدبره ، غير سهل فى تجميع مادته أو الكتابة فيه ، وذلك لأسباب منها :

أ ـ فقدان كثير من المصادر الأصلية القيمة التي لا نعرف غير أسمائها أو بعض المنقولات عنها .

ب ـ جدته على البحث المنهجي ، وتشتت مادته التي تحتاج ـ مما تحتاج اليه ـ الى الالمام بلغات عدة .

ولقد ظهرت عنه مؤخرا بعض الأبحاث ، كما تعرض له البعض بصورة جزئية . لكنه لا يزال بحاجة الى أبحاث تكرس له ، لتسلط عليه الأضواء الكافية لتجلية الجوانب المجهولة منه .

ولا بد لدارس الدبلوماسية ـ عموما والأندلسية على وجه الخصوص ـ أن يتناول هذا الموضوع من الناحية التاريخية والفنية بالاضافة الى العلاقات العلمية (الفكرية) ، والتبادل الثقافي أو الدبلوماسية الثقافية التي تتأثر الى حد كبير بالوضع السياسي .

فالتاريخية . تقوم على ما وصلنا من النصوص ـ وكثير منها عام ، مبهم أحيانا ـ لمحاولة فهمها على ضوء الاحداث التاريخية ، وما دونه مؤرخو الأمم المعاصرون لها ، من جانبهم ، والاطلاع على ما كتبه الباحثون منهم فيما بعد ، وتمحيص كل ذلك ، ثم ايجاد العلاقة فيما بين هذه النصوص من ناحية ، وبين الأحداث التاريخية التي ترتبط بها من ناحية أخرى ، للوصول الى استنتاج معقول جهد الامكان . ولا بد من الأخذ بعين الاعتبار والدوافع التي دعت الى هذه المناشط الدبلوماسية لكلا الطرفين ، والمبادىء التى قامت عليها وأثرت فيها ، والأهداف التي عملت لها ، والخط الخلقى الذى واكبها وتحكم فيها ، ومقدار الالتزام بقيمها وعهودها ثم النتائج التي أثمرتها .

أما الناحية الفنية فتتناول :

١ ـ الطريقة التي كانت تتم فيها هذه الدبلوماسية ، والتقاليد التي تبنتها وحافظت عليها مراسيم استقبال السفراء الوافدين الى بلاط قرطبة ، من مختلف الأقطار ، طريقة استقبال الأمير أو الخليفة لهذه السفارات ، الأبهاء التي كانت هذه الاستقبالات تتم فيها .

٢ ـ طريقة اختيار السلطات الأندلسية لسفرائها ، دراسة شخصية السفير ومرافقيه .

٣ ـ لغة الدبلوماسية ، وطريقة التفاهم من والى الحاكم ، بالنسبة لسفراء الأندلس الى الأقطار الأخرى ـ اسلامية أو غير اسلامية ـ أو العكس .

وهذه النقاط الثلاث ترسم لنا صورة عن التقاليد الدبلوماسية لذلك العصر .

٤ ـ محاولة المقارنة بين هذه التقاليد ،

ـسية الأندلـسية

للدكتور
عبد الرحمن علي الحجى
مدرس التاريخ الأندلسى
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

وبين بعض مظاهر الدبلوماسية الحديثة من ناحية وجود « الفنية » فى قواعد الدبلوماسية الأندلسية « البرتوكول Protocol » والحصانة الدبلوماسية والتمثيل الدائم (١) ، وكم أثرت فى الدبلوماسية الحديثة .

٥ ـ تأثر الدبلوماسية وتأثيرها بالوضع الحضارى ، ومستوى التقدم العلمي الذى تعيشه الدولة ، مع التركيز على ما يتعلق بالاندلس .

وقد يقود هذا الموضوع الى دراسة البعثات « السفارات » العلمية التي وفدت الى الأندلس ، لتنهل من منابع المعرفة فيه ، والتزود من حضارته .

ان الدبلوماسية تزدهر بازدهار الحضارة ، وتمكن الاستقرار والتقدم مما يجعل ذلك البلد خاصة فى تلك القرون ـ مقصدا للسفارات القادمة اليه من الأقطار الأخرى ، طالبة صداقته ، والاستفادة مما عنده ، يتلو ذلك توجه السفراء منه الى تلك الأقطار أو بعضها .

ولقد ازدهرت الدبلوماسية فى الأندلس ، وماج بلاط قرطبة ـ فى فترات كثيرة ـ بالسفراء من الشرق والغرب ، خاصة فى عصر قرطبة الذهبى فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى (٢) ، خلال حكم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر .

ويوجز لنا ابن حيان القرطبى ، مؤرخ الأندلس ، ذلك ـ حين الحديث عن الناصر ـ بقوله : « ان ملك الناصر بالأندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشأن ، وهادنته الروم وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر . ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية (٣) » .

ومن الأمثلة التي تصور لنا بعض جوانب الدبلوماسية الأندلسية هى حضور السفارة الألمانية التي أرسلها الأمبراطور أوتو الأول (العظيم) ، Otto I The Great الذى تسميه الرواية الاسلامية « هوتو » ـ الى بلاط الخليفة الناصر .

ولا تمدنا المصادر الاسلامية عن هذه السفارة الا بمعلومات موجزة ، وهى تسمى الألمان ب « الصقالبة (٤) » لكن المصادر الأوروبية تقدم ـ بهذا الصدد ـ تفصيلات أكثر ، وان كانت تنظر الى الموضوع من وجهة خاصة قد تقودها أحيانا الى بعض الأحكام غير الدقيقة القائمة على توهمات ليس من الصعب تعرف بعدها عن الواقع . وأغنى مصدر

(١) نلفت النظر الى أن كل الهوامش مذكورة فيآخر المقال .



عن هذه السفارة هو تاريخ حياة السفير الألماني ، الذى كتبه أحد تلامذة السفير باللاتينية (٥) .

والسبب المباشر – وربما الوحيد – لهذه السفارة ، هو محاولة رجاء قرطبة فى استعمال سلطتها لايقاف خطر أندلسي نشأ فيما وراء جبال البرنات Pirenees

ففى حوالى ٨٩٠ م رست سفينة صغيرة الى الشاطىء الجنوبي الشرقي من فرنسا قرب مرسيليا تحمل حفنة من المغامرين الأندلسيين ، الذين ازداد عددهم فيما بعد واستطاعوا أن يؤسسوا هناك دويلة فى منطقة البروفانس Provence ، شمال طولون Toulon متخذين من قلعة فراكسنيتوم Fraxinetum الحصينة عاصمة لهم – والراجح أن قرية كارد فرينيه Garde-Frainete الحالية تمثل مكان هذه القلعة (٦) والتي يسميها الجغرافيون المسلمون بـ « جبل القلال (٧) » .

واستمرت هذه الدويلة قائمة حوالي ٩٠ سنة ، لا نعرف عنها الا اليسير ، بل من العجب أننا لا نعرف اسم أحد من قادتها أو أفرادها ، ولا تفصيلات عن نظام الحياة فيها ، وهل استعمل سكانها لغات أخرى الى جانب العربية ، ان كانت بقيت العربية لغة لهم ؟ ولعل حياتهم الحربية لم تسمح للآخرين بالتعرف عليها ، وبالتالي لم يكن من بينهم مؤرخ يسجل لنا مجريات الأمور فيها .

ولقد اتسعت رقعة الأرض التي سيطروا عليها حتى أمتدت الى أكى Acqui شمال جنوة فى ايطاليا وسنت غالن St. Gallen وخور Chur فى شمال شرق سويسرا (٨) . واعتقد الأمبراطور الألماني ، أوتو الأول ، تبعيتهم للخلافة القرطبية ، فأراد التوسط لدى الخليفة الناصر بايقاف هجماتهم على تلك المناطق ، فبعث بسفرائه الى قرطبة لهذا الغرض .

تركت رسل الأمبراطور أوتو ألمانيا برا عبر فرنسا حتى مرسيليا ، حيث ركبوا البحر الى برشلونة ، ومنها كتبوا الى والى طرطوشة – أقرب مدينة أندلسية اليهم – يخبرونه بقدومهم ، فأجابهم الوالى مرحبا بهم ، وأكرم وفادتهم لدى وصولهم ، وأخبر الخليفة بذلك فأصدر الخليفة عبد الرحمن الناصر (المتوفي ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) أوامره بتسهيل سفرهم ، وأن يستقبلوا أحسن استقبال فى كافة المدن التي فى طريقهم الى قرطبة. ووصلت السفارة الألمانية العاصمة الألمانية الأندلسية – للتفاوض فى أمر الدويلة فى جبل القلال – حوالى ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م برئاسة الحبر المتبحر « يوحنا الغورزيني John de Gorze يحمل رسالة الأمبراطور وهداياه الى الخليفة ، واستقبلهم الناصر كريم الاستقبال ، وأنزلهم قصرا مجهزا بكل أسباب الراحة، أعد خصيصا لهم وهو « منية الناعورة » فى جنوب غربى قرطبة (٩) .

مشكلة دبلوماسية

وبعد أن أخذ الوفد الضيف راحته من عناء تلك الرحلة الطويلة الشاقة بدأت الترتيبات اللازمة والمراسيم التقليدية لتعيين يوم مقابلة الوفد الألماني للخليفة الناصر ، وعرف المكلفون باعداد التمهيدات الخاصة بالمقابلة فحوى رسالة الامبراطور وهدف سفارته ، التي ترمى كما قلنا – الى استعمال سلطة الخلافة الأندلسية لايقاف هجمات المغامرين فى فراكسنيتوم.

ونظرا لشدة لهجة رسالة الامبراطور الألماني ، وانتقادها لبعض الآراء السياسية للخلافة القرطبية (١٠) ، قرر الناصر بأن مقابلة السفارة الألمانية له يمكن أن تتم فقط بدون تلك الرسالة ، لكن رئيس السفارة – يوحنا – رفض ، باصرار مقابلة الخليفة دون الرسالة . ولم

يستطيع المكلفون بهذا الامر اقناع السفير الألماني بالتخلي عن رأيه . فما هي يا ترى الخطوة التالية ؟ .

سفارة الى المانيا

استقر رأي الخليفة ــ بعد المشاورات، ومع السفير الألماني أيضا ــ على ارسال سفارة أندلسية الى الامبراطور الألماني لشرح الموقف واقناعه بتبديل الرسالة بأخرى مناسبة . وكان لا بد من اختيار سفير يقوم بهذه المهمة خير قيام، ويتحمل تبعات الرحلة الطويلة . وفي ربيع سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م رحل الوفد الأندلسي من قرطبة لهذا الغرض قاصدا المانيا ، برئاسة الأسقف القرطبي ريثموندو Recemundo ، الذي تسميه الرواية الأندلسية « ربيع بن زيد (١١) » . وكان ربيع هذا أحد المستعربين Mozarabes الذين يجيدون العربية واللاتينية على السواء ، وكان ممن عملوا في بلاط الناصر وابنه الحكم المستنصر (١٢) ، وعينه الناصر اسقفا لمدينة البيرة Eluira ، مكافأة على قيامه بهذه السفارة .

سافر الوفد الأندلسي ، عبر الشمال الأسباني وبلاد الغال (فرنسا) ، الى فرانكفورت ، حيث كان يقيم الامبراطور الألماني . فاستقبل أوتو العظيم السفارة الأندلسية بجميل الاستقبال وكريم الوفادة ، ووافق على كتابة رسالة جديدة رقيقة اللهجة تحل محل الأولى .

مقابلة الخليفة

نجحت مهمة السفارة الأندلسية ، وعاد ريثموندو وصحبه الى قرطبة ، بعد غيبة استمرت حوالي خمسة عشر شهرا . ثم جرت التمهيدات ليوم استقبال الخليفة للسفارة الألمانية . وتعين يوم ٢١ حزيران (يونيو) ٩٥٦ م موعدا لذلك ، واتخذت الاستعدادات اللازمة وأقيمت الزينات وأصطف الجند بمراتبهم المختلفة وأسلحتهم المتنوعة على جوانب الطريق . وبينما يسير الوفد الألماني كانت فرق من الجند تعرض الأفانين من ألعاب الفروسية الرشيقة ، احتفالا بهذه المناسبة .

وخرج الناس ليشهدوا ــ الاحتفال بهذا اليوم ، وسار الموكب من مدينة قرطبة الى القصر الخليفي بمدينة الزهراء، التي كانت ــ ولا تزال بقايا آثارها ــ تقوم عند أقدام « جبل العروس (١٣) » ، على بعد خمسة أميال تقريبا شمال غربي قرطبة . ولدى وصول الوفد الألماني مدينة الزهراء كان كبار رجال الدولة في استقباله .

وتقدم الموكب الى القصر الذي كانت مداخله مفروشة بالسجاد الجميل ، فوصلوا الى حيث كان يجلس الخليفة الناصر ــ متربعا على سريره ، ومتكأ على الوساد ــ في الجناح الشرقي من القصر ، في بهفو السفراء المسمى ب « المجلس المؤنس » ، الذي تم العثور عليه خلال التنقيبات في ١٩٤٤ (١٤) . فرحب الخليفة بالوفد أجمل الترحيب ، وبدأ الحديث بعبارات المجاملة والثناء على الامبراطور الألماني .

ولم يتناول الحديث في هذه المقابلة الهدف الرئيسي بالتفصيل ، فكان أشبه بلقاء التعارف ، ثم تلت لقاءات أخرى بين الخليفة والوفد الألماني ، اقتنع الوفد خلالها بوجهة نظر قرطبة ، وانها لا سلطة لها على أولئك المغامرين في فراكسنيتوم (جبل القلال) ولا هم تابعون لها ، وبذلك أعطيت للسلطات الألمانية مطلق الحرية في اختيار طريقها لعلاج هذه المشكلة .

وفي أواسط صيف ٩٥٦ م ترك الوفد الألماني قرطبة ، بعد توديع الخليفة له شخصيا ــ عائدا الى بلده ، بعد ثلاث سنوات أقامها في قرطبة ، قيل ان يوحنا رئيس الوفد ــ تعلم خلالها العربية وحمل معه الى المانيا بعض المخطوطات العربية (١٥) .

ان هذه السفارة وأمثالها تلقى الضوء على التقاليد الدبلوماسية التي كانت في ذلك العصر ، وليس في الأندلس وحده

البقية على ص ١١٣

نشرنا للأستاذ أحمد حسين فى سلسلة بحثه (الاسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر) مقالا عن « الجنة والنار أو الثواب والعقاب » وذلك فى العدد الثانى والعشرين (شوال ١٣٨٦ هـ) .

وقد ورد لنا تعقيب عليه من الأستاذ محمود سليم دوعر بوزارة العدل فى الكويت .

والتزاما منا بالخطة التي وضعناها للمجلة وهى فسح المجال لأصحاب الآراء فى ابداء وجهات نظرهم حول ما ينشر ، وكذلك اتاحة الفرصة لصاحب المقال فى الرد عليهم ، أرسلنا تعقيب الأستاذ دوعر للأستاذ أحمد حسين ليرسل لنا بوجهة نظره فيه .. وفى خلال ذلك جاءنا تعقيب آخر من الأستاذ صلاح الدين مجيد من الموصل بالعراق ، فيه نقد لبعض ما جاء فى المقال يكاد يتفق مع الأول ، ثم جاءنا من الأستاذ خلف محمد الحسيني مدير التعليم الثانوى السابق بأسيوط تعليق ثالث يدور حول اثبات الجزاء المادى من آيات القرآن الكريم ومن السنة المطهرة . وقد كنا نود أن ننشره لولا ان الأستاذ أحمد حسين انتهى فى رده وتوضيحه الى النتيجة التي نؤمن بها جميعا وهى الجزاء المادى فى الجنة والنار فاصبحت قضية لا خلاف عليها .

وننشر فيما يلي التعقيبين والرد الذى جاءنا من الاستاذ احمد حسين .

مناقشة حول

يقول الاستاذ محمود دوعر : ــ

استغربت وأنا أطالع عنوان مقال السيد المحامى ، بل استغربت موضوعه ، مما جعلنى أمعن فى قراءة الموضوع ، فزادت دهشتى لهذه الأسباب : ــ

١ ــ بدأ السيد الكاتب / احمد حسين المحامى ، سطوره (وماذا عن الجنة والنار ؟ أيقربنا العلم الحديث التجريبي من تصورهما وفهمهما ؟) .

وانى لا أفهم لماذا هذا الاتجاه العكسى الذى يصر بعض المسلمين على السير به ؟ ان طريق الايمان بالله الخالق المدبر ، والايمان بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وبأن محمدا رسول الله وخاتم الرسل .. لا يحتاج الى علم تجريبي حديث ولا قديم ، لأن الايمان مسألة تفكير عميق لدى الانسان يعمل به عقله بصفاء وروية ..

وليس الايمان مادة محسوسة كالماء والحديد والنحاس .. نخضعها للتجربة ونضعها تحت المجهر لتتفاعل ثم نستنتج من ذلك مواد جديدة أو اكتشافات أخرى .. فكيف يريد الكاتب أن يخضع فكرة معينة جاءت بالكتاب العظيم متواترة لفظا ومعنى .. الى تجربتها بالمختبر .. أليس هذا خروجا عن طريق التفكير السليم ؟ .

٢ ــ ان أخطر ما قاله الكاتب : « وليس أيسر لاستيعاب فكرة الجنة والنار فى المرحلة من حديثنا أن **نستبدل** بهذين اللفظين مترادفين لهما وهما : العقاب والثواب) .

لعمرى أن الكاتب ــ فى سبيل الاستيعاب المراد ــ قد خرج عن الحق خروجا لا حق فيه ولا صواب ، فان فكرة **الجنة والنار** تدل على أن الله سبحانه وتعالى أعدهما كشيئين **ماديين يدلان على انشغال حيز ، لا مجرد ثواب وعقاب .** بل ان الثواب والعقاب هما ما يحكم بهما

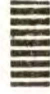
الجنة والنار

مقال

على العمل أو هما المكافأة والعقوبة .. ولكن ذلك طريق يوصل الى الجنة أو الى النـار ، فعندما يستبدل الكاتب معنيين بمعنيين آخرين لا يدلان عليهما مباشرة أو بالتطابق يكون قد أخرج معنى الجنة والنار لدى أذهان المسلمين .

وأما مسألة الاستيعاب ، فليس هذا ذنب المعنى الذى يدل عليه « الجنة والنار » بل ذنب الكاتب وأمثاله ممن يعجزون عن الاستيعاب ...

٣ ــ ثم يسترسل الكاتب فى الخروج عن الحق (وتحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة والنار .. التي يجب أن تفهم على ضوء أساليب اللغة من بلاغة .. وغيرها) . فكان واجبا على الكاتب أن يعمل عقله بالايمان العقلى بفكر مستنير يضىء له الطريق الصحيح فيكون ايمانه بالله وبالرسول وبالقرآن عقليا يقينيا .. فتكون فكرة الجنة والنار أمرا ميسورا يستوعبه كل مفكر فطين .. وأما أساليب اللغة .. فلا أظن أن محمدا عليه الصلاة والسلام أرسل للناس « نحويا أو لغويا » يعلم البشرية فنون اللغة العربية .. وانما أرسل رسولا يحمل رسالة وتشريعا للبشر .. ولكن هذه الرسالة أنزلت باللغة العربية التي لا يجوز فصلها عن الاسلام حيث لا يفهم الانسان دقائق القرآن المعجز الا بها . ولكن اللغة لها ألفاظ تدل على معان معينة وجاء الاسلام وأعطاها معانى غيرها .. لهذا أوجب الفقهاء أنه اذا وجدنا كلمة لها معنى شرعى وآخر لغوى أن نأخذ المعنى الشرعى ونهمل المعنى اللغوى واذا لم يكن لها معنى شرعى خاص يؤخذ المعنى اللغوى على أنه شرعى . كما أن علماء الأحاديث حينما كانوا ينظرون فى قوة الدليل .. كانوا يأخذون بالحديث الذى يدل على المعنى صراحة ويهملون الحديث الذى يدل على معنى بطريق التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو غيرها .. وذلك عندما يتعارض الحديثان .



٤ ـ ثم يقول الكاتب : (ان العقل يعرف الخطأ من الصواب ويعرف الخير من الشر ويعرف بالتالى الثواب والعقاب) ... صحيح أن الله ميز الانسان بعقله ، وصحيح أن الشرع الاسلامي جعل العقل مناط التكليف ، وان هذا العقل ان أحسن استعماله يعرف وجود الخالق من آثار خلقه .. ولكن هل عقول البشر واحدة ؟ . كلا . اذن من الحكم ؟ هو الشرع وليس غيره .. فكان واجبا أن نسلم بما جاء به الشرع وأن الخير والشر ما يدل عليهما من أدلة شرعية لا ما يدل عليهما عقلا .. لأن الشر الذى يحسبه المسلم شرا قد يحسبه الشيوعى وغيره خيرا .. وهلم جرا ..

٥ ـ نقطة أخرى لا أرى كيف أصفها .. وهي حين (جمع) الكاتب جميع الأمم والشعوب وجميع الأقطار والأمصار بل جميع العصور والأزمنة ... ووحد رأيهم (**كلهم**) !!! على معنى الجنة والنار ، كلام غريب مستهجن لا يقبله العقل . كيف نرى الهنود الحمر والبوذيين والهندوس واليهود والنصارى والمجوس وكل البشر يتساوون بمعنى الجنة والنار مع المسلمين ؟ .. بل كيف وحد آراء هؤلاء منذ العصر الحجرى حتى القرن العشرين ؟ .

لهذا كان لزاما على الكاتب المحترم وهو يتكلم عن فكرة من أفكار الاسلام أن يجعل طريق الايمان الى ذلك هو الطريق العقلي اليقيني لا طريق العلم التجريبي .

وهذا هو تعقيب الأستاذ صلاح الدين مجيد :

قرأت مقالا للأستاذ أحمد حسين المحامي بعنوان : (الجنة والنار أو الثواب والعقاب) ، وبالرغم من اعجابي بأسلوب الأستاذ وبطريقته فى الاعتماد على العلم التجريبي الحديث فى تأصيل وتأكيد عقائد الاسلام ، وهو جهد مشكور ومبرور ان شاء الله تعالى ، الا أنى أريد أن ابدى ملاحظة جديرة بالاهتمام . ان الاستفادة من العلم الحديث لدعم وتأييد قضايا الايمان كتفسير آية مثلا تفسيرا علميا اذا تم فى حدود ومع التحفظ فانى أراه أمرا حسنا .

أما ان نسترسل مع اعجابنا بالعلم التجريبي الحديث ، وحماس الشباب المثقف ، فنجعل من هذا العلم (قيما) و (حكما) تعرض عليه عقائد الاسلام ومبادؤه فما وافقه منها أخذناه وما خالفه تركناه ـ أو على الأقل ترددنا فى قبوله ـ فهذا يخالف أبسط معانى الاسلام الذى يعنى الاستسلام . والانقياد لأمر البارى عز وجل بلا اعتراض !! حتى ولو لم نجد لذلك سندا من العلم الحديث، بل وحتى لو خالفت العلم الحديث ـ وان كنا نعتقد أنه فى حكم المتعذر أن يتعارض نص قطعى مع حقيقة علمية قطعية .

ان الذى دفعنى الى كتابة هذا التعقيب فقرة وردت فى المقال المذكور وهى : (وعندنا انه يجب النظر الى الجنة والنار دائما على ضوء هذا المعنى الأوسع والأعم ، وتحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة أو النار ، والتي يجب أن تفهم على ضوء أساليب اللغة وما تنطوى عليه البلاغة من كناية واستعارة وتشبيه) .

أن وصف الثواب **المادى** لأهل الجنة ، والعقاب **المادى** لأهل النار قد ورد فى القرآن الكريم ، وكذلك السنة المطهرة ـ لا ورودا عابرا بل ان سور القرآن

الكريم وخاصة السور المكية مليئة بهذه (الصور المادية) ، ولا أدرى كيف يطلب الكاتب المحترم مع علمه بكل هذا انتحرر أذهاننا من هذه الصور المادية ؟ .

وهذا هو رد الأستاذ أحمد حسين

تفضل الاخ الكريم الاستاذ محمود سليم دوعر فعقب على مقالنا « الجنة والنار » المنشور فى عدد شوال سنة ١٣٨٦ هـ . وانى أذ أشكره على عنايته واهتمامه ، أبادر فأطمئنه الى أننا لسنا مختلفين فيما قاله من أن طريق **« الايمان بالله الخالق المدبر ، والايمان بالقرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبأن محمدا رسول الله وخاتم الرسل ، لا يحتاج الى علم تجريبى حديث ولا قديم ، فالايمان ليس مادة محسوسة كالماء والحديد والنحاس، بحيث يمكن ان يخضع للتجربة ويوضع تحت المجهر » ويدهشنى كيف لم يلحظ الاستاذ اننا قلنا فى أول المقال « أيقربنا العلم الحديث من تصورهما » ولم نقل هل يقرهما العلم الحديث . وكيف لم يلحظ اتفاقنا مما جاء فى خاتمة مقالنا ، حيث لخصنا أغراضنا من هذه السلسلة من المقالات فى العبارات التالية :**

١ ـ أن هذا الكون لا يمكن الا أن يكون من خلق اله قديم حكيم مدبر حى قيوم .

٢ ـ أنه أوحى لنفر من عباده ليشهدوا بوجوده ، ويدلوا على طريقه ، ويعرفوا الناس طريق الخير والشر ، والخطأ والصواب .

٣ ـ ان هؤلاء الرسل الصادقين الأمناء ، قد قالوا لنا أن سيكون بعث ، وستكون جنة ونار فأصبح لا مناص من تصديقهم ، والايمان بهذه الحقائق الغيبية ، التى لا يتوصل اليها عن طريق الحواس .

ولعل هذا الذى قلناه هو عين ما يقول به الاستاذ الفاضل .

لبس

بقى أن حضرته قد تصور فيما يبدو أننا نتحدث عن الجنة والنار كما يصورهما القرآن الكريم والاسلام ، مع أننا فى سلسلة هذه المقالات التى نشر منها حتى الآن سبع فى مجلة « الوعى الاسلامى » ، لم نشرع بعد فى التحدث عن الاسلام كدين ، ولم نخصه بحديث ، وانما قصرنا كلامنا على الافكار المشتركة فى الاديان والمعتقدات الانسانية كلها ، وذلك تمهيدا لاثبات أن الاسلام هو الحاكم والمهيمن على هذه الاديان ، وهو الاولى بالاتباع .

ولعل هذا المنهاج هو الذى لا يعجب الكاتب الفاضل ، فهو لا يريد منا (فيما يبدو) أن نصل عن طريق البحث والتحليل بالاساليب العلمية الحديثة الى هذه النتيجة التى يراها قضية مسلما بها ، لا تحتمل جدلا أو نقاشا ، وربما يرى التحدث فيها تحصيل حاصل ، او جهدا يبذل فى غير نفع .

وهنا ينسى الكاتب الفاضل أن ما يتمتع به وقليل من أمثاله من نعمة الايمان الصادق الذى لا يحتاج الى دليل او برهان ، هو نعمة اختصوا بها ، ولم تعد تتوفر للكثير من أبناء الجيل الجديد فى طول العالم الاسلامى وعرضه، حيث يتلقى ملايين الطلاب فى المدارس والجامعات ، الدارونية والماركسية والوضعية ، وغيرها من المذاهب المادية ، التى ترى أن هذا الكون قد وجد بمحض الصدفة ، وأن الاديان هى أفيون الشعوب ، ومن جهالات الانسان البدائى، الامر الذى يجعل من أوجب واجبات مفكرى الاديان بعامة ، والاسلام بخاصة، أن يتحدثوا عن اثبات وجود الله ، وعن



حقيقة الدين بأسلوب علمى لا يقوم على التقرير ، والامر والنهى ، بقدر ما يقوم على الاقناع ، مستخدما آخر معطيات العلم ، ومستعينا بالمنطق والادلة التى يتقبلها العقل .

الاسلام دين العقل والمنطق

والسؤال الذى يصح أن يطرح فى هذه المناسبة ، أينكر الاسلام هذا الاسلوب والمنهاج ، أسلوب البحث العقلى ، والاخذ بالاساليب العلمية لاثبات وجود الله الحى ، والبعث والحساب والجنة والنار ، أم أن ذلك هو الاسلوب الذى جاء فى القرآن الكريم ومنهاجه لاقناع المخالفين ، ان الكاتب الفاضل يعرف أنه ما من رسول من الرسل الا وقد أرسل الى قومه مزودا بمعجزة خارقة تصدع عقولهم ، وتحملهم بالتجربة والمشاهدة والعيان على الايمان والتصديق ، الا سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام ، فقد جاء ومعجزته الكبرى ، معجزة عقلية ، تخاطب العقول بالدليل والبرهان ، ولذلك نرى أنه بينما أصبحت معجزات باقى الرسل تروى وتحكي ، نرى أن معجزة الاسلام باقية خالدة ، خلود العقل الانسانى .

وآيات القرآن حافلة بالتوجه الى العقل والاهابة به ان يتأمل ، وان يتفكر وأن يتدبر « أفلا تعقلون ــ لعلكم تتفكرون ــ أفلا يتدبرون » .

ونص القرآن الكريم على وجوب تقديم الدليل على كل قضية « قل هاتوا برهانكم أن كنتم صادقين » « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » .

والقرآن يقدم الدليل العقلى على وجود الله ووحدانيته « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

« وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » .

بل ان القرآن ليذهب الى أبعد من ذلك كله فى تعليمنا التماس الدليل والبرهان الحسى اذا أتيحت الفرصة للحصول عليه ، وذلك فى حكاية سيدنا ابراهيم عندما قال لله عز وجل « رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى » فدل ذلك على أن التماس الدليل الحسى فيه زيادة لاطمئنان القلب . فلا لوم علينا أو تثريب ، اذا انتهجنا نهج القرآن ، خصوصا ونحن ننتهى الى النتائج ذاتها التى جاء بها القرآن ونؤمن ويؤمن بها الاستاذ الفاضل .

اشتمال القرآن على المجاز والتشبيه والكناية

وقد تعقب الكاتب الفاضل بعض عبارات وردت فى مقالنا كطلبنا تحرير الذهن من الصور المادية لوصف الجنة والنار التى يجب أن تفهم على ضوء أساليب اللغة من بلاغة وبيان وتشبيه ، ونحن كما قدمنا انما نتكلم بصفة عامة عن حديث الجنة والنار فى تصورات مختلف الشعوب ، ولكن الكاتب الفاضل زج بالقرآن الكريم وأنه لم ينزل لتعليم

اللغة العربية . ونحن لم نقل شيئا من ذلك ، ولا بأس من أن نذكر الاستاذ الفاضل بما يعرفه جيدا من غير شك من أن الشرط الاساسى قبل الاقدام على فهم ألفاظ القرآن فضلا عن محاولة تفسيره واستنباط الاحكام منه ، هو معرفة قواعد اللغة العربية معرفة تامة على سبيل الاحاطة ومعرفة أساليبها ومناهجها ، وما اعتاد العرب استعماله من المجاز والتشبيه والكناية .

وانما كان الذى يمكن أن يؤخذ علينا بحق ، لو أننا أنكرنا أن يكون للجنة أو النار وجود مادى متحيز كما تصور حضرة الكاتب الفاضل ، مع أن المقال كله قد كتب لاثبات هذا الوجود المادى المتحيز على ضوء العلم الحديث .

الثواب والعقاب فى كل دين من الاديان

بقى أن الكاتب الفاضل لم يعجبه قولنا « أن جميع الشعوب فى جميع العصور والازمنة ، قد اتفقوا على فكرة العقاب والثواب والجنة والنار وان اختلفوا فى تصورهم الجنة والنار » .
وقد أدهشنا أن يصف الكاتب الفاضل هذا القول بأنه مستهجن وليس مما يقبله العقل البشرى وقد لا يستغرب أن يكون الكاتب الفاضل لم يطلع على ديانات ومعتقدات مختلف الشعوب ، ولكن الذى استوقف النظر أنه حشر اليهود والنصارى بين من يستبعد العقل معرفتهم شيئا عن الجنة والنار .

ويظهر أن الكاتب الفاضل قد نسى أن جوهر الدين اليهودى والمسيحى هو جوهر الدين الاسلامى الذى هو دين ابراهيم ... دين الفطرة .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

فاليهود والنصارى من المفروض أن يعرفوا عن الثواب والعقاب والجنة والنار مثل ما يعرف المسلمون .

وبالنسبة لاى دين من الاديان وثنيا كان او سماويا ، لا يمكن أن يقوم أساسا الا على فكرة من العقاب والثواب ، وبالتالى جنة للمحسنين ، ونار للمذنبين .

وقد فات الاستاذ الفاضل أن الله سبحانه وتعالى لم يدع البشر مذ كانوا على هذه الارض بدون نبى أو رسول .

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ؟ ان اعبدوا الله » .

« وان من أمة الا خلا فيها نذير » .

فما الذى يجعل وجود فكرة الجنة والنار عند مختلف الشعوب مما يستهجن ولا يقبله العقل .

ونلفت نظر الاستاذ الفاضل أننا نقول « فكرة » ولا نقول صورة محددة .

« وبعد » فانى أؤكد للاستاذ الفاضل أننى استمتعت بمقاله ، وأننى أشكره عليه لانه أتاح لي فرصة توضيح بعض المفاهيم ، ورفع كل لبس .

ولعله قد وجد الآن أننا متفقان فى الجوهر والهدف ، وان اختلفنا حول بعض التفاصيل والجزئيات ، وهو خلاف لا يفسد للود قضية .

يعلن كارليل فلسفته هذه عن نشر الحقائق والفضائل بأية طريقة ، وفى أى اسلوب ـ بقوله : « انا لا احفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان ام بأية آلة اخرى .. فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار . لندعها تكافح وتجاهد بايديها وأرجلها واظافرها أيضا » .

وكأنى به يؤمن بالنظرية الاسلامية التى تقول : « ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . وذلك لاختلاف النفوس والطبائع الانسانية بين القبول واللين ، والاستجابة بالشدة ، كما أكدت ذلك تجارب علم النفس وعلم الاخلاق .

شهوانية الدين الاسلامي

أما ما قيل عن شهوانية الاسلام فان توماس كارليل يراه جورا وظلما .. لأن ما اباحه محمد مما حرمته المسيحية لم يكن من تلقاء نفسه ، وانما كان جاريا متبعا عند العرب من قديم الازل (١) (!!!) وقد قلل محمد هذه الأشياء جهده ، وجعل عليها قيودا وحدودا .

ثم يقول كارليل : « ان الدين الاسلامي ـ بعد ذلك ـ ليس سهلا ولا هينا . وكيف ؟ ومعه ـ كما تعلم ـ الصوم ، والوضوء ، والصلاة خمس مرات فى اليوم ، والحرمان من الخمر » .

وهنا يفلسف كارليل اعتناق الناس لدين ما . فهو يرى أنهم لا يعتنقون دينا من الأديان ، رجاء ما فيه من لذة ومتعة ، بل لما يثيره فى نفوسهم من بواعث الشرف والعظمة .

ويأتى دور دفاعه عن نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام فيقول فى صراحة وقوة حجة . « ما كان محمد اخا شهوات ، كما اتهم ظلما وعدوانا . وشد ما نجور ونخطىء اذا حسبناه رجلا شهويا لا هم له الا قضاء مآربه من الملاذ .. كلا . فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت . لقد كان زاهدا متقشفا فى مسكنه ومأكله وملبسه ، وسائر احواله وأموره. وكان طعامه الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ، ولم توقد فى بيته نار . كما كان يصلح نعله ، ويرفو ثوبه بيده . وهل بعد ذلك من مكرمة ومفخرة ؟ الا حبذا محمد من انسان خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد فى الله ، قائم نهارا ، ساهر ليلا ، واثب فى نشر دينه .. غير طامع فى دولة او سلطان أو ذكر أو شهرة » .

وبعد . فهكذا قيض الله توماس كارليل ـ من المفكرين الغربيين المنصفين ـ مدافعا عن دين الاسلام ونبيه ... دفاعا مجيدا حميدا قال عنه (رينشارد جازيت) : « انه كان بعيد الاثر كبير التأثير فيما كتبه المستشرقون الغربيون قبله من أباطيل وافتراءات عن الاسلام ، فسكت الهجاءون الفحاشون الذين كانوا يطلقون السنتهم وأقلامهم القذرة فى محمد عليه الصلاة والسلام بالأكاذيب والاضاليل ، وانتشرت الحقائق والوثائق والأنوار الكاشفة عن عبقرية الاسلام وعظمة نبيه الكريم » .

(١) هذا التعليل يحتاج الى نظر وضبط . فصحيح أن الرسول لم يبح شيئا من تلقاء نفسه كما أنه لم يكن تابعا لما كان يجرى عليه العرب منذ قديم الازل .. فكل ما حرمه أو اباحه هو من عند الله . ثم ما هذه الاشياء التي يشير اليها ؟ تعدد الزواج والطلاق ؟ ان كان الامر كذلك فالذى نعرفه أن حكم الشارع الاسلامي فى هذا هى التي يمكن على هديها علاج امراض البشرية وحالاتها الاجتماعية ، على ان المعروف أن منع التعدد والطلاق انما حصلا مؤخرا فى المسيحية .

« الوعى »

> **« من سره أن ينظر الى عتيق من النار ، فلينظر الىأبى بكر »**
>
> ـ حديث شريف ـ

الصحابي الأول

«تحية إليه في عيد الهجرة»

للاستاذ / عبد الحميد محمد المشهدى

حلقات متتابعة من البخور ، وموجات متصلة من العطور ، ومعبد شامخ البناء ، مهيب الرواء ، وشيخ (١) يجر نصف عباءته ، ويأخذ بمعصم فلذته . يجتاز به عتبة المعبد فى بطء وخشوع ، وتأمل وخضوع ، يطوف بفتاه على الانصاب وأماكن الأزلام ، والهياكل والاصنام ، يتنقل بينها بأصبعه لأنه حرم قدرة الكلام ، ويقرأ على وجه وليده ما ينتظره من تفاعل أو الهام ، ثم يشتد حنينه ووجده ، وتذوب شجاعته وجلده ، فيطلق ولده من عقاله ، ويتركه فى المعبد بين مخاوفه وآماله ، ويلقى فى روعه بما يريده عليه ويقول .

هذه يا بنى آلهتك الشم العوالى .

وتلفت أبو بكر حوله ، فلم يجد الا أضواء مربدة ، ووجوها جامدة ، وكأن صوتا من داخل نفسه يناديه : أمثل هذه الاحجار تحيى وتصرع ، وتعطى وتمنع ، وتضر وتنفع ؟ . انه للعجب العاجب ، والبلاء الواصب ، ثم راح يتحسس معالمها بأصابعه ، ويزرع أبعادها بناظره ، ثم يسخر من عجزها العميق ، وجهلها العريق ، ثم دنا من كبيرها وسأله ساخرا .

انى جائع يا هذا فأطعمنى !!

انى عار يا هذا فاكسنى !!

انى ضعيف يا هذا فقونى !!

ولكن كان صدى الصمت ـ هو الجواب المنتظر .

فثار أبو بكر تحديا لهذا الصمت ، ورفع بين يديه حجرا ، وهوى به على أحدهم ، فانكفأ على وجهه .. ثم ساد المعبد صمت رهيب لم يكن يسمع فيه الا دقات قلبه السريعة ، ترددها أنفاس مبهورة ، ولم يقطع عليه صمته الا صوت خفى شجى يقول .

---

(١) عثمان بن عامر الشهير بأبى قحافة والد الصديق رضى الله عنه



أربا واحدا أم ألف رب
أدين اذا تعقدت الامور
هجرت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير

فتلفت أبو بكر حوله فلم يجد حيا ولا ديارا ، فعجب لهاتف يتحدى تعدد الآلهة فى مستودع الآلهة . ثم راح يفتل **ذؤابته** (١) **النحيلة** مستغرقا فى مدى ما وصل اليه عقل الانسان ، يسوى حجارة ثم **يعبدها** ، ولم يفقه من تفكيره الا صخب يزحف حوله ، وضوضاء وقهقهة ، وعربدة وضجيج ، فأرسل بصره ليتبين الامر ، فاذا هو بالقرب من مخمور مهلهل الثياب يتمايل ويترنح ، ويبكى ويفرح ، وينكمش ويمرح ، والاطفال حوله بالضحك يضجون ، والشبان يتمازحون ويسخرون ، والشيوخ يضجرون ويعبثون ، وكلما وقعت عين المخمور على **روث أو عذرة** (٢) **حمل منها وأدناها من** أنفه ، ثم ألقى بهما فى وجه من حوله ، فيفرون ثم يعودون . فيهدر عليهم غاضبا لاعنا دين الاولين والآخرين .

خرج أبوبكر من المعبد مستغرقا بذهنه فى مدى ما وصل اليه الحال فى البلد الحرام ، من تفشى الظلم والظلام والجهل والعداء ، وانتشار الخمور **والفسوق ، بين السادة والدهماء** (٣) وسيطرة الربا والاستبداد والكبرياء .. وكان السائر بالقرب من أبى بكر يسمعه وهو يردد قول زيد بن عمر وابن نفيل (٤) .

كل دين يوم القيامة الا
ما قضى اللـه والحنيفة بور

« ٢ »

« ان صدق الله رؤياك يابنى فانه يبعث نبى من بنى قومك تكون وزيره فى حياته . وخليفته بعد وفاته » .
ـ بحيرا الراهب ـ

رجل أبيض الوجه كث الشعر ، أجنأ الظهر (٥) **خفيف العارضين** ، غائر العينين ، دقيق الحدقتين . نحيل الجسم ، بارز الجبهة ، ضامر الحقويين (٦) يسير فى شوارع بصرى (٧) الواسعة تفيض بالسكارى ، وتفص بالسيدات **والعذارى** ، وتمتلىء بحانات الخمر **والمرابين** وتحتشد بالشطار (٨) والمقامرين ، وتسبح بمواكب عيد الميلاد والمهرجين ، تتشابك فيها الزهور والاغصان ، وتتناثر فيها أحواض **الغثيان** (٩) **فلا يكاد يطالع التماثيل** الفارعة ، والاشجار اليانعة ، حتى تقع عينه على الكنائس الفخمة والنواقيس الضخمة ، ولايكاد يشهد المبانى الشارعة ، والملاعب الواسعة ، حتى يقف شاردا أمام القمم السامية ، والمروج الزاهية ، والجداول الصافية ، والاسواق المترامية ، والنزل العالية ، ولا يكاد يرى صريعا للثيران ، أو ضحية كبوة بين الفرسان ، أو مغمى عليه بين السقاة والندمان ، أو لصا يدعثه رجال القوة والصولجان ـ حتى يتحسس دراهمه ودنانيره ، وينطوى على نفسه ، متجعدة أساريره ، ثم راح يقلب وجهه فى السماء . ويضرب كفا بأخرى ... وكان السائر بالقرب منه يسمعه يتمتم ويقول : تزاحم الاصنام ، وانتشار الفسق والخمر والميسر ، واستشراء

---

(١) ما ينبت من شعر فى أسفل الذقن . (٢) فضلات الانسان (٣) عامة الناس
(٤) زيد بن عمر وابن نفيل العزى القرشى **العدوى** كان يتعبد على دين ابراهيم **ولا يأكل الدم والميتة** ولحم الخنزير **ولا يذبح** للاصنام . (٥) منحن قليلا . (٦) مفرده حقو .
(٧) هى غير **البصرة بالعراق وهى مدينة** من مدن الشام (٨) الفتوات .
(٩) كان من عادة الرومان أن يأكلوا ليتقيأوا ثم **يأكلوا** ليتقيأوا استمتاعا بمضغ الطعام ولذائذه . لهذا كانت المنازل والشوارع مزودة **بأحواض الغثيان** .

الجحود والظلم والربا ، وتفشى الصلف والاستعباد والجهل والظلام ، والحمق والحروب والضلال . انه فى الشام كما هو فى البلد الحرام .. ولكن .. لا بد لهذا الليل من آخر .

ثم سار نحـو مخيمـه مهموما يجر قدميه ، ويرفع ازاره الى ما فوق حقويه، ثم آوى الى مضجعه لا يحدث أحدا بما يجول بخاطره .

وما انتصف الليل حتى استيقظ على صوت هاتف يقول :

يا عبد الله ... ياعتيق ... يا أبابكر الرحيل . . الرحيل . فقام من نومه يمر بيده على جفونه ، ثم يفرك يدا بأخرى . ثم يضغط على صدره بذراعيه ، وقد تبدل صمتـه ابتساما ، وخـوفه اطمئنانا ، وهواجسه ثقة وايمانا ، ولم يكن هذا التبدل فرحا بنفاذ بضاعته ، أو نجاح تجارته ، أو حنينا الى الاهل والوطن ، أو فرارا ممـا يرى مـن تفشى التحلل والاستهتار والوهن . بل لرؤيا رآهـا بين النوم والوسن .

صحـراء خرساء ، ناعسـة لعساء ، تلفعت بأفواف السماء ، وقامت عـلى حراستها جبـال شمـاء . وتعهـدتها بالسقى سحب الشمال بصافى المـاء . وقبة عالية تنبض بدقات النواقيس ، وتزفر كواتها بأنفاس الفراديس ويتحدث سكانها بلغـة النواميس ، وتحتـل فى الصحراء مكان الثدى من صدر العذراء ، وتسترد ابل القوافل أنفاسها فى ظلها ، وتطفىء ظمأها من مائها ، ويداعب النوم جفـون المسافرين فى أمنهـا ، وراهب شاحب الوجه فاره البناء ، ناصـع الشعر ، طويل اللحيـة وضىء الرداء ينصت الى محدثه مغمض الجفـون ، جياش الشجون ... ثم شخص الـى محدثه وقال له .

ما اسمك يا بنى .

ابو بكر ــ عبد الله بن عثمان الشهير بأبى بكر .

الراهب بحيرا ــ من أى القبائل ؟

أبوبكر ــ من قريش .

الراهب بحيرا ــ من أيها ؟

أبوبكر ــ من تيم بن مرة (١) .

الراهب بحيرا ــ ماذا تزاول مـــن أعمال ؟

أبو بكر ــ التجارة بين مكة والشام وبين مكة واليمن .

بحيرا الراهب ــ اسمـع يا بنى ان صدق الله رؤياك . فانه يبعث نبى من قومك تكون وزيره فى حياته ، وخليفته بعد وفاته .

أبوبكر ــ ينحنى على نفسه فرحا ــ ويقول لبحيرا لقد حدثنى بمثل ذلـك شيخ بنى أزد وعالم اليمن الكبير .

بحيرا الراهب ــ يابنى احفظ عنى ما سمعت ، واكتم عن الناس ما علمت،حتى يحين هذا الزمان ، ويبعث هذا النبى فى الارض الحرام ، وسيلقى من قومه شدة وعنتا . وسيبتلى أصحابه فى أموالهـم وأنفسهم . وسيهاجرون الى بلد آخر . وهناك يبسم لهم النصر . وسيكون لك فى كل هذا دور خطير .

(٣)

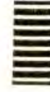
« ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت منه عنده كبوة وتردد . الا ما كان مـن أبى بكر ، ما عكم (٢) عنه حين ذكرته له وما تردد فيه » . حديث شريف .

شاب وسيم مسجى فى شبه غيبوبة فوق ثوب تسير بأطرافه الرجال الى حى بنى جمح (٣) ووجوه الرجال على جانبى الطريق بين جازعة وشامتة ، وعيـون النساء بين باكية وصامتة ، وأصـداء الولولة والنحيب ، تستقبل المشهـد الاليم ، وسيوف غاضبة تسارع الـى بيت أبى بكر فى بيد بنى تيم ، وهمهمة وغضبات ، وتمتمة وتهديدات ، وغبار

---

(١) بفتح وسكون ــ بطن من قريش (٢) تباطأ

(٣) حيث نزل أبو بكر رغم أنه من تيم



يسبح فى الدروب والطرقات . وأم (١) تنكفىء بوجهها على ولدها ناشجة وهى تقول :

بأبى أنت وأمى يا بنياه . ما الذى دهاك يا فلذتاه ؟ .

زيد بن قيس — ان أبابكر — يا عمتاه — قد عرض أمر الجهر بالدعوة الاسلامية على رسول الله . فقال له الرسول . ان عدد المسلمين لا يزيد اليوم عن تسعة وثلاثين . ومثل هذا العدد لا يقع موقع القوة من قريش . فلنصبر قليلا حتى يؤيد الله الاسلام بأحد العمرين . ولكن أبابكر ما زال برسول الله يرجو ويلح حتى استجاب له ، فثار المشركون عليه وعلى من فى المسجد من المسلمين ، وضربوهم ضربا موجعا ، ودنا عتبة بن ربيعة من أبى بكر وجعل يضربه بنعلين مخصوفين ، حتى لم يعد يعرف مكان أنفه من وجهه .

فنحيناهم عنه ، وحملنا أبابكر الى فراشه كما ترين .

أم جميل (٢) تنكب عليه باكية — وهى تقول .

— ان قوما نالوا منك . لأهل فسق . وانى لأرجو أن ينتقم الله لك .

لؤى بن زيد — والله لئن مات أبوبكر لنقتلن به عتبة بن ربيعة ، وسنعلنها على الناس فى المسجد ودار الندوة ، وفى كل مكان حتى يعلم الكل اننا نحن الناس .

زيد بن قيس — لم تحتمل قريش أن يفجعها أبو بكر باسلامه. حتى فاجأها بشراء الموالى واعتاقهم . فأصيبت أعمال قريش بالبوار . ثم باغتهم وتحداهم بعلانية الدعوة فى المسجد ، فكان الذى حدث .

لؤى بن زيد — لقد ظنت قريش أن الدعوة الجديدة ستظل محصورة بين الاحداث ، (٣) مثل على بن أبى طالب (٤) والزبير بن العوام ، (٥) أو بين من لا عصبية لهم ولا مال ، كياسر وعمار وسمية وصهيب وزنيرة وأم عيسى ولكن اسلام أبى بكر ، ثم اسلام عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن أبى أبى وقاص ، وطلحة بن عبيد الله وعامر بن عبد الله بن الجراح(٦)، وعثمان ابن مظعون ، والارقم بن أبى الارقم . . . اسلام هؤلاء جميعا على يد أبى بكر وهم فى مكان الذروة من قريش — قد أحنقهم على أبى بكر فبيتوا له بليل .

فهر بن صفوان — ان قريشا لم يحنقها شىء بقدر ما أحنقها أن محمدا يسوى بدعوته بين العرب والعجم . وبين العبيد والسادة ، وبين السوقة والاشراف ، ويدنى حقوق النساء من حقوق الرجال حتى كادت تتم التسوية بينهما ، ويكره الميسر ويعافه ، وهو ملهاة قريش وسلوتها . وقد يحرم الخمر غدا وهو مرحها ونشوتها . ويعلن أن عباد الاصنام منها فى النار وفيهم آباؤها وأمهاتها .

— لم يقطع حبل الحديث — الا تأوهات موجعة من سرير المصاب تلتها غمغمة . فتبعتها صحوة وتساؤل من أبى بكر .

— مافعل رسول الله ؟

سلمى — سالم . . . صالح .

أبو بكر — أنى هو الآن ؟

فاطمة بنت الخطاب — فى دار الارقم ابن أبى الارقم .

سلمى — وفى يدها قعب فيه لبن — بنفسى أنت يابنى . أرفع هذا الى فمك شرابا خالصا سائغا يبل أوامك ، ويطفى ظمأك .

---

(١) هى سلمى بنت صخر أم أبى بكر

(٢) كنية فاطمة بنت الخطاب

(٣) صغار السن

(٤) أسلم وسنه ٩ سنين

(٥) أسلم وسنه ١٢ سنة

(٦) الشهير بأبى عبيدة بن الجراح

أبو بكر : ان لله على آلية ألا اذوق طعاما ولا شرابا أو آتى رسول الله .

أبو قحافة : بنفسى أنت يا بنى — غير أنى اراك تعتق رقابا ضعافا . فلو أنك اذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك .

أبو بكر : يا أبت انى أريد مـا عند الله (١) .

أبو قحافة — ولماذا رغبت عن ديـن الاولين يابنى (٢) .

أبو بكر : بينا أنـا جالس — يا أبت — فى فىء شجرة فى الجاهلية ، اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسى . فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا . فسمعت صوتا من الشجـرة ، يقول : هذا النبى يخرج . فقم وآوه . تكن من أسعد الناس . فقلت ما أسم هذا النبى ؟ قال محمد بن عبد الله بن عـبد المطلـب بن هاشـم . فطار قلبى فـرحا بالنبـأ ، ثم سـمعت بعد ذلك من ينادى : يا بن أبى قحافة . . جد وشمر . . قد جاء الوحى ورب موسى . لا يسبقك الى الاسلام أحد ، ثم رأيت رؤيا فى بصرى بالشام ، وأولها الراهب بحيرا بما يطابق ما سمعت من داخـل الشجرة ثم رأيت مثلها فى رحلة اليمن . ثم سكت أبو بكر ليسترد أنفاسه ثم عاد يقول :

ولما علمت بدعوة رسول الله طرقت عليه بابه ، فلما ظهر لى ، قلت له : ما الذى بلغنى عنك فقال (ان ربى جعلنى بشيرا ونذيرا ، وجعلنى دعوة ابراهيم ، وأرسلنى الى الناس أجمعين ، فقلت له : والله ما جربت عليك كذبا . وانك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك، وحسن فعالك . ولكن هل أطمع فى مزيد من دليل جديد) . فقال : (الرؤيا التى رأيت فى الشام) فعانقته وقبلته بـين عينيه . وأعلنت شهادتى بين يديه ثم بهرت أنفاسه وسكت عن الكلام .

فاطمة بنت الخطاب — دعوه حـتى يستعيد راحته وهدوءه ، حتى اذا هجع الليل ذهبنا به الى رسول اللـه حيث يكون .

ابتلعت الضوضاء أجـواف المنازل ، ولاذ الليل بأستار الصمت ، وأطل القمر على صفحـة الكـون يضىء ظلمتـه ، ويؤنس وحشته ، وأخذت النجوم أماكن القيادة فى السـماء ، لهداية الناس فى مسالك الارض ، وفوق أمواج المـاء . وطافت بمكة نسمات ندية وئيدة تمسح العرق عن المتعبين ، وتبعث الانتعاش فى نفوس المحـرورين ، وتوقـظ الاوراق الناعسة فوق الفصـون ، وتحسست الانامل الرقيقة باب الارقم بن أبى الارقم، ثم دقت عليه برفق فأز ثم انفرج . وكان اللقاء الحار بـين الحبيبين : محمد بن عبد الله ، وأبى بكر الصديق . فيهوى عـلى رسول الله تقبيـلا ، ويتحسس جسده اطمئنانا عليه ، والتف المسلمون حولهما مهنئين .

وكان السائر بالقرب من باب الارقم يسمع أبا بكر وهو يقول :

بأبى أنت وأمى يارسول اللـه . . . ليس بى الا ما نال الفاسق من وجهى . . وهذه أمى برة بوالديها وأنت مبارك فادعها الى اللـه ، وأدع لهـا عسى أن يستنقذها بكمن النار،فرفعرسول الله وجهه الى السماء ودعالها ، ثم ناداهـا ودعاها الى الله ورسوله ، فابتسمت ومدت يدها اليه فبايعته ، وأسلمت بين يديه . . . فانحنى أبو بكر عليها يقبل يدها ، ويبكى من شدة الفرح ، ثم اعتدل رافعا يده فى الفضاء وأقسم : ليبنين فى فناء بيته مسجدا يعلن فيه بالدعـوة ، ويجهر بالقرآن ، والقرآن كفيل بتخضيد شوكـة المعانـدين ، وتقويـة ظهـر المستضعفين ، ولتفعلن قريش ما تشاء .

---

(١) وقد نزلت فيه « فأما من أعطى وأتقى . وصدقبالحسنى . فسنيسره لليسرى » .

(٢) كان اسلام أبى قحافة والد الصديق أبى بكر يومالفتـح .

صور

نظرات تحليلية في القصة القرآنية

ترد قصة هذا البطل فى سورة واحدة من القرآن العظيم ، وقد خلدت ذكره مرتين ، مرة فىعنوانها الذي حمل وصفه الجامع المانع : (المؤمن) وأخرى فى عرض موضوعه الذي استوعب ما بين الآيتين السابعة والعشرين والخامسةوالاربعين .

وقصة هذا المؤمن تنزل فى سياق السورة منزل الرئتين من الجسد ، ذلك لان السورة باجمعها معرض مدهش للمعركة الخالدة بين الحق والباطل ، ودعاة كل من الفريقين وجنودهما ... تشتد وتعنف على المفسدين المكذبين ، وتلطف وترق على المؤمنين المصدقين ، وفيما بين هذا وذاك تفتح الجوارح كلها على مصاير هؤلاء وهؤلاء ... فهنا الفئة المؤمنة تنعم بالقربى التي ربط الله بها بينهم وبين حملة عرشه (يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) .

وهناك الذين كذبوا برسالات الله وردوا دعوة أنبيائه ، بارزين تكاد العين تقتحمهم (اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون . فى الحميم ثم فى النار يسجرون ..) سورة غافر .

وقبل أن ننتهي الى موقف البطل المؤمن نجتاز بعض المشاهد المهدة المثيرة ، تقرعنا قرعا بذكريات العواقب التي لقيها المكذبون بآيات الله ، وتدفعنا دفعا الى مشاهدة آثارهم التي لا تزال تتحدث بفواجعهم .. ثم تواجهنا ببعض مواقف نبي الله موسى عليه السلام ، اذ يعرض بينات رسالته على فرعون وكبار المجرمين من أعوانه .. فيجمعون على القول بانه (ساحر كذاب) .. ثم لا يجدون وسيلة لمواجهة الحق سوى البطش والفتك ، فنسمعهم يصدرون أوامرهم الرهيبة بتصفية الجماعة التي استجابت لدعوة الله ((اقتلوا أبناء الذين آمنوامعه واستحيوا نساءهم ..)) وينفرد فرعون باقتراحه قتل موسى ، الذين يرى فيه وحدهذريعة الخلاص من تلك الدعوة ، التي جاء بها فأوشكت أن

من بطولة الإيمان

للاستاذ محمد المجـذوب
المدرس في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

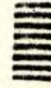
تزلزل الارض تحت عرشـه ، وتهـدد بالاخطار مصالح هؤلاء الطغاة ، اذا ترك لها سبيل الاتصال بعقول الناس ! .. وهو لا يكتم غرضه من وراء ذلك ،فيذكر حاشيته الباغية : انه انما يدعوهم الى قتل موسى لوأد دعوتهالمحررة ، ولحماية النظام الذي يمهد لهـم سبيل التسلط على رقاب الملايين ، وبذلك يأمنون على منافعهم المشتركة ، فلا يفلت من أيديهم الزمام ، ولا يفاجئهم ما يعتبرونه افسادا لهذهالمنافع : (اني أخاف أن يبدل دينكم، أو أن يظهر فى الارض الفساد ..) ! .

ومن هنا نخلص الىقصة البطل ...

لقد كان ــ كما نتصور ــ فى حاشية فرعون الذين اجتمعوا للتداول فى شأن موسى ، وسمع ما أفضى به المتآمرون من اقتراحات مجرمة . . ويظهر أنه استطاع ضبط أعصابه حتى ذكر فرعون اعتزامه قتل رسول الله عليه الصلاة والسـلام فخشي أن تحصل الموافقـة على رأيه ، فتفوت فرصة الاعتراض والمناقشـة ، لذلك رأيناه ينطلق فى خطابـه البليـغ مجادلا محاجا محذرا :

(أتقتلون رجـلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينـات من ربكـم وان يك كاذبا فعليه كذبـه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ! ..) .

وكانت الحجة صريحة صراحة الحق، وقوية الى حد الاخراس ، فهو يذكرهم بموقف موسى ــ كما هو ــ بريئا من كل سوء ، وفوق كل تهمـة ، بل ذنبـه فى فى نظرهم رفضه العبودية لغير الله ربه وربهم ورب كل شيء .. وهو لم يسلك سبيله هذه جريا معالهوى ،بل استجابة للحق الذي جاءكم ببراهينه من ربكم .. فأبيتم الا تكذيبها عنادا ، واستكبارا ، مخالفين بذلك قلوبكـم التي استيقنت ما أنكرتم .. ومع ذلك فتعالوا نتحاكم الىالعقل .. انكم تتهمونموسى بالكذب، والكذب أعجز من أن يواجه الحقيقة ، فدعوا له حرية القول ، واقرعوا دعواه بالحجة الصادقة ، فذلك أسرع الوسائل فى هزيمة الكاذبين .. أما اذا كان صادق الدعـوة بخلاف ما زعمتـم ، فتذكروا ما وراء تكذيب الحق من المثلات التي طالما ضرب الله بهما مكذبي أنبيائه ! .. ومهما يكن من أمر فالكاذب من الفريقين: أنتم وموسى ، منته حتما الى السقوط



والفضيحة على مشهد الملأ ، لان سنة الله فى هـذا الكون ألا تستمر شعوذة المسرفين الكذابين ! ..

ويحاول أن يحرك ضمائرهم فيذكرهم بقدرة الله التي لا يعجزها شيء ، والتي هي القانون الذي لا يفلت مـن عدالته شيء : يا قوم ! .. انكم مخدوعون اليوم بقوتكم التي تدفعكم الى هذا الاستخفاف بالحق وأهلـه ! .. فتذكروا أننا لسنا أحرار فى تصرفاتنا ، فالملك لله وحده ، ونحن جميعا مستعملون فيه لتحقيق أمر مالكه ، فاذا ما زغنا عن الطريق الذي يريد كنا جديرين بانتقامه الذي لا يدفع ، وليس منه محيد ! .

وكأن فرعون قد خاف أن يعمل هذا المنطق عملـه فى ضمـائر المستمعين ، فيتهيبوا الاقدام على تنفيذ مقترحـه ، فيكون ذلك سببـا لاضعاف هيبتـه ، وانتقاص سلطته ، لذلك لم يدع للبطل أن يواصل خطابـه ، فقاطعه بقولـه لأولئك المؤتمرين :

ان هذا الذي تسمعونه كلام يقبل النقد والنقض ، فلا يصرفكم عن كلامي الذي لا يحمل الا الواقع الذي أحسـه وأوقن به .. وليس لي من أرب فيـه سوى الحفاظ على مصالحكم ، وحياطة مناصبكم .. وهما لكم منفعة محققـة لا يشك عاقل فى صحتها أبدا ! . : « قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد » .

ولكن الرجل المؤمن لـم يدع كذلك للقوم مجالا للانصراف عن ملاحظة حججه ، فتابع بيانه دون أن يعير كلمة فرعون أي اهتمام مباشر : « .. يا قـوم .. اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب . مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم .. وما الله يريد ظلما للعباد .. ويا قوم .. اني أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين مالكم من اللـه من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد . ولقد جاءكم يوسف مـن قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسـرف مرتاب » .

يناديهم بشعار المودة والقربى (يا قوم ..) ليشعرهم بتخوفه عليهم .. وما هذا الذي يخافه ؟ .. انه العبر الماضية التي تجلت فى عواقب المتآمرين مثلهم على أهل الحق ، من أقـوام نوح وهود وصالح وأشياعهم ، ممن استحقوا نكال الله ، ولا تزال أخبارهم ملء الاسماع والصدور .. ثم ماذا ؟ .. ثـم أهوال (يوم التناد) الذي يساق فيه الناس الى ساحة الحشر ، ليتلقوا جزاء أعمالهم ، فترتفع النداءات من كل صوب ، نداء باسماء المـذنبين والابرياء ، ونـداء الاستغاثة من هول ذلك البلاء ، ونداء الخصوم بعضهم على بعض فى جـدال لا جدوى منه ولا شفاء .. الى آخـر ما توحى به كلمة (التناد) من أهـوال ذلك اليوم ! .. ولا ينسى أن يصور لهم مصيرهم أثناء ذلك ، وهم يحاولون الفرار فلا يجدون اليه سبيلا .

ثم يعود الى تذكيرهم باقرب الاحداث اليهم ، أيام جاء يوسف آباءهم بدعـوة الحق ، مؤيدة بالبينات القاطعة لكـل شك ، فاستكبروا عن تصديقه ، حتى استوفى أجله ، وانتزعه الموت من بين ظهرانيهم ، فاذا هم يستيقظون بعـد فوات الفرصة ، ولكنهم بدلا من أن يثوبوا الى الرشد ، وطنوا أنفسهم على رفض الحـق ، بانكار الرسالات المستقبلـة جميعا ! .. وليس لهم من حجة فى ذلك سوى العناد الاحمـق .. وطبيعي أن من كان هذا شأنه مـع الله ورسولـه لا يستطيع أن يفتح قلبه للحق ، وأعدل عقوبة له فى الدنيا أن يكافأ على كبريائه بحرمانه نعمة الهداية الى نور الحق ! ..

ومرة أخرى يتهيب فرعون مغبة هذا المنطق العجيب ، فيحاول صرف الاذهان عن متابعته .. ولكنه بدلا من مواجهة الخطيب بالاعتراض المباشر عمد الى أسلوب الشعوذة ، فوجه الكلام الى مساعده الاكبر هامان يقول له : ان هذه الدعوى التي يطلع علينا بها موسى غريبة، لا يجوز الاهتمام بها الا بعد التحقيق المناسب فيها ، فعليك أن تكلف المهندسين وضع تصميم لبناء شامخ ، يمكنني من رصد ما يدعيه ، واستطلاع أمر هذا الاله الذي يتكلم باسمه .. وان كنت أقرب الى اليقين بانه لا وجود له البتة ! ..

ومع أن فرعون على يقين من أن مثل هذا التهويل لا مكان لقبوله فى العقول السليمة ، فهو لم يستح من الاستعانة به ، لانه معتاد ألا يجد لكلامه ، مهما بلغ من السخف والتفاهة ، معارضا بين هؤلاء الذين ألغوا عقولهم وعودوا أنفسم الانحناء لكل بادرة منه .. حتى أصبح لا يشعر بأية مسئولية على قوله أو عمله ! .

ومن أجل ذلك رأينا الرجل يسلك بأفكاره طريقا آخر ، طريق المجابهة لاضاليل فرعون ، اذيكشف الستار عن ايمانه المكتوم ، فيفاتحهم بكلمة الحق صريحة دامغة مدوية : (.. يا قوم .. اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم .. انما هذه الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار . من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب . ويا قوم .. مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار . تدعونني لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ! . لا جرم أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وان مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد ...) .

ويبدأ موعظته الحارة بالشعارالرقيق نفسه : (يا قوم ! ..) ثم يعلن المجابهة فيؤكد لهم رغبته فى انقاذهم من الشر الذي يجرهم فرعون اليه ، فلقد وقفوا بين دعوتين : احداهما للضلال المتلف — اذا استجابوا لهذا المضل المتكبر،والثانية الى الهدى والرشاد ، وهي التي يمثلها الرجل المؤمن فى هذا المجلس ! ... ولا جرم أن كلا من الاتجاهين منته بصاحبه الى غاية معاكسة لغاية الآخر تماما ، فالاتجاهالفرعوني شهواني محض، هدفه المتاع الزائل من جاه مزيف ، ونعيم مزور لا بقاء له الا ببقاء هذهالحياة القصيرة الزائلة ، أما طريقه هو فهو الجادة الموصلة الى دار المقامة ، التي هي وحدها دار القرار .. ولكن سلوك هذا الطريق يقتضي الاستعداد لتحمل المسئولية أمام مالك الملك ، فلا مثوبة الا بعمل ، ولا عقوبة الا بذنب ، والناس كلهم،أبيضهم وأحمرهم وأنثاهم وذكرهم، سواء فى هذه المسئولية ، لا نصيب لهم من الجنة الا بقدر مجهودهم فى نطاق العمل الصالح ..

وهنا يلتفت لمناقشة مقترح فرعون القاضي بقتل موسى ، والذي ينتظر موافقة المؤتمر عليه ، فيطلق عليه هذه الحزمة من سهام السخرية : يا قوم !.. ان أمري وأمركم لعجيب ! . أنا أدعوكم الى العدالة والانصاف فى معاملة هذا الرجل الذي يدعوكم الى ربكم ، بينما أنتم تدعونني الى قتله ! .. ولو فكرتم قليلا لادركتم أن قتله حرب لله الذي أرسله ، وأن توقيره وتكريم دعوته انما هما تعظيم لذى العزة التي لا تسلب ، والمغفرة التي لا سعادة الا بها .. انكم تدعونني لتسخير عقلي ومشاعري الى شيء وهمي لا قوة له ولا حجة ، بل هو كأي مخلوق مسئول مثلي عن كل ما يدع وما يذر .. ولا شك أن أسوأ المخلوقات مصيرا يوم الحساب هم أولئك



الذين أسرفوا فى ادعائهم ما ليس لهم من حق ، حتى فرضو ضلالهم على عباد الله ، وأحلوا قومهم ببغيهم دار البوار ..

وكأن البطل قد استشعر هول الخطر الذى عرض نفسه له بهذه المكاشفة البالغة ، فختم موعظته الآسرة بهذه التذكرة الباهرة :

لقد أبلغتكم الحق الذى أومن به ، تبرئة للذمة وأداء للأمانة ، والحق سر من الحق لا بد تارك آثاره فى أعماق الفطر الانسانية ، فلئن تنكرتم له الآن ، وتجاهلتموه تحت ضغط المنافع والمصالح ، ليأتينكم يوم تستعيدونه وتندمون على مخالفته ..

أما ما وراء ذلك من ردود الفعل التي قد ينزلها الحمق بدعاة الحق ، فأقل ما يتوقعه المؤمنون ، ويستعد لتحمله المجاهدون ، الذين يعلمون أن أمرهم الى الله ، الذى لا مرد لقضائه .. والذى لا يخفى عليه شيء من أسرار عباده وعلانيتهم ..

والى هنا تنتهى صولة البطل المؤمن .. فينقطع عن الحديث ، وقد تركنا نتطلع فى قلق الى مصيره ! ..

ولكن الله تبارك وتعالى لا يسمح لهذا القلق بالاستمرار الى غير نهاية، فيطالعنا بهذه البشرى التي يسكن بها كل اضطراب : لقد جزى الله عبده المؤمن على موقفه العظيم ، بأن منحه الوقاية ضد كل مكروه كان متوقعا أن يتعرض له ! .

ولم تقف البشرى عند هذا الحد المطمئن ، فاذا هى تنقلنا بلمحة خاطفة الى منظر أعدائه وقد انتهوا الى عذاب مستمر .. يحتضنهم منذ فراقهم الدنيا ، ثم لا يفلتهم حتى تقوم الساعة ، فيحتلوا منازلهم من جهنم فى أشد العذاب ! ... « فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب .. » .

دروس وعبر :

فى قصة هذا المؤمن آيات من البيان المعجز .. ودروس من العبر البالغة ، ان تعذر استيفاؤها كلها ، فلا ينبغي أن يفوتنا الكلام على بعضها ..

ففي الناحية البيانية نلاحظ دقة العبارة فى تصوير الحالات النفسية المختلفة ، التي عاشها هذا الرجل ، أثناء ذلك المؤتمر الرهيب ..

فهناك الفكر المنطقي الذى يعرف كيف يعالج مغاليق القلوب بمفاتيح الفطرة ، فلا يزال بها حتى يشعرها جلال الحق ومهابة الفضيلة ، حتى اذا أعجزها الخوف عن الصدع بهما ، لجأت الى الصمت ، تستتر به صراعها الداخلي ، فينمى فى جوانحها شيئا فشيئا بذور الحقد ضد الطغيان وأهله ، لتكون معدة للانفجار عند أول فرصة ! .

ثم هناك الثورة الوجدانية تغلي فى أعماقه شفقة على نبى الله موسى ، وغيرة على دعوة الحق التي يحملها من ناحية ، ونقمة على فرعون الذى يبارز الله بجهله وبطره ، فيجرؤ على التفكير بقتل أولياء الله وحملة هدايته الى عباده من ناحية أخرى ! . ثم احتقارا لاذعا لأولئك الأذناب الذين باعوا آخرتهم بدنياهم ودنياه ، فهم يتسابقون الى مرضاته باختراع الحيل لمحاربة الحق ، وبالانحناء لكل اشارة يصدرها ، مهما أسرفت فى السوء ، وبالغت فى التفاهة ! .

والنقاط التي تلفت نظر الباحث البياني فى اسلوب كلامه ، وأشكال عباراتها كثيرة ، سيفوتنا كثير من الخير اذا لم ننتفع باستجلائها والوقوف عند بعضها .

فنحن نستغرب جد الاستغراب تماسك فرعون وعدم ثورته ، وهو الأخرق الأحمق على ذلك البطل المؤمن الجرىء يعلن كلمة التوحيد ، ويصدع بحكم الحق على مسمع منه ، وعلى مشهد من كبار أعوانه ! ....

فهناك أكثر من تأويل لهذه الجرأة ، ولذلك التماسك .. من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير

فى تفسيره ، اذ قال فى تعـريف هذا المؤمن : (انه كان قبطيا من آل فرعـون) .. بل يقول : (كان ابن عم فرعون) اذ لو كان اسرائيليا لأسكت وعوجل بالعقوبة ..

ومثل هذا التعليل مقبول الى حد ، لأن الفرد من الأسرة المالكة لا يعدم أنصارا يجعلون لكلمته وزنا ، ويكسـبونه حماية .. ولكن هذا وحده لا يسوغ للأمير مثل هذا التحدى ، الذى يشكل هجوما على النظام الاجتماعي ، الذى تتحصن به الأسرة المالكة كلها ! .

ولكن التعليل المعقول والأقوى هو أن اللـه سبحانه قد أحاط الرجل بمهابة ألجمت أفواه الطغاة ، وزلزلت قلوبهم ، فنسوا ما يملكون من القوة ، ووجدوا لكلمة الحق سلطانا يطغى على كل سلطان ! . ثم يأتينا موضوع النكتة البلاغية فى توجيه البطل المؤمن سـؤاله التعجبى الى مجموع المؤتمرين (يا قوم .. ما لى أدعوكم .. وتدعونني .. ! ..) بدلا من أن يخص به فرعون صاحب الاقتراح وحده ! ..

وفى ظني أن هناك تعليلين ، أما الأول فيرجع الى حكمة المؤمن فى تجنب الاصطدام المباشر مـع فرعون ، لما قد يجره ذلك من فتنة من شـأنها أن تزيد فى محنة المؤمنين ، ومن يدرى فقد يكون بين أنصاره أفراد آخـرون يكتمون مثله ايمانهـم ، فيتعرضون بذلك الى ما لا تحمد عقباه العاجلة ..

وأما الثاني فهو اعتبـاره جميـع المؤتمرين مشتركين فى التحضير لهذه الجريمة ، اما بالاتفاق المسبق ، واما بالتأييد المطلـق ، الذى عـودوه الطاغية ! .. ولعله كان يرجو أن يؤثر فىضمائرهم فيدفع بعضهم على الأقل الى الوقوف فى صفه !..

وهنا نصل الى التذييلات العجيبة الكثيرة فى هذه الآيات ، لنستبين الحقائق الخالدة التي تشير اليها وتعالجها من قريب ومن بعيد . اقرأ معي مرة أخرى :

(وما كيد الكافرين الا فى ضلال ..)
(ان اللـه لا يهدى من هـو مسرف كذاب ..)

(وما الله يريد ظلما للعباد ..)

(ومن يضلل الله فما له من هاد ..)

(كذلك يضل الله من هـو مسرف مرتاب ..)

(كذلك يطبع اللـه على كـل قلب متكبر جبار ..)

(ان الله بصير بالعباد ..)

انا هنا تلقاء قوانين اجتماعية، لا تقل دقة وواقعية عن القوانـين الكونيـة فى الكهرباء والمغنـاطيس ، والتفاعـلات الكيماوية .. فالكافـرون يكيدون أبدا للمؤمنين ، ولكن كيدهم وتدبيرهـم وتصرفاتهـم فى مقاومـة النظم الالهية الثابتة منتهية الى الاخفـاق الحتمى ، لأنها مخالفة للفطرة ومجافيـة للأسس الكونية العامة .

وهؤلاء المسرفون فى الظلـم والادعاء ومحاولة تغيير الحقائق ، كأولئـك الكافرين صائرون حتما الى الاخفـاق الفاضح ، بقـوة الحـق الذى لا يهادن الباطل أبدا .

وهذه المثلات التي يضرب بها القدر رؤوس الظالمين والمتعاونين معهـم على نصرة الباطل ، وخذلان الحق ، لا موضع فيها لظلم أو غبن ، بل هى أحكام عادلة ، صدرت عن الحكم العدل ، الذى لا يظلم الناس شـيئا ، ولكن الناس أنفسـهم يظلمون .

والانسان ـ فردا أو جماعة ـ لكي يستقيم لهم طريق الخير ، لا بد لهم من التزام التوجيهات الالهية ، فاذا أبوا الا الانحراف عن الجادة فقد أسلموا أنفسهم الى مهاوى الضلال ، وبذلـك يحرمون أنفسهم نعمة الهداية ، لأنهـم عرضـوا انفسهم باختيارهم الى غضب الله .

وكما اسـتحق هؤلاء السـقوط فى ظلمات الضلال ، استحق المسرفون فى عداء الحـق المستسلمون للارتياب فى حقائق الوحي، مثل ذلكالمصير الخطير .

والتكبر نفخة من الشيطان تحجب عن صاحبها ضـياء الهداية ، وبالتالي



تؤدى به الى التجبر والبغى على عباد الله ، فيستبيح الدماء البريئة ، وينتهك الحرمات المصونة .. ومن كان كذلك فقد أغلق قلبه دون نفحات السماء ، وبذلك يستحق الحرمان الأبدى من نور الله ..

وعندما نمعن نحن البشر الفكر فى هذه القوانين الالهية نستشعر الاطمئنان الأتم الى عدالتها ، لأن الذى قدرها وقضى بها هو الذى لا يعزب عن علمه شيء من أحوال عباده ، فاذا أشقى بعضهم فبعدله ، واذا أسعد بعضهم فبفضله ... فله الحمد على كل حال ، وفى كل مآل ..

أسلوب معجز ، يأتلف فيه اللفظ والمعنى ، والشكل والمضمون ، ائتلاف العطر والماء فى عنقود الفاغية ، فلا تدرى من أين يطالعك الجمال ، ومن أين يغمرك بالجلال ! .. ولكنك تحس بكل جوارحك أنك مندمج فى جو العرض ، تشهد وتسمع وتلمس ، فتستغرب كيف يظل بين هؤلاء المخاطبين من يستهويه العناد ، فيؤثر الضلالة على الرشاد ! .

ولعل أروع ما يهزنا نحن مسلمي اليوم ، ونحن نمعن الفكر بهذه الآيات المعجزات ، عمق تصويرها لنماذج من البشر لا نزال نشهد مثلهم فى غدونا ورواحنا .. ولا عجب فى شيء من ذلك كله ..

انه القرآن العظيم ، الذي يتغير كل شيء من حوله وهو ثابت فى قمة الحياة ، منارا يهدى الى شاطىء السلامة ، كما تفعل الابرة المغناطيسية ، حين تثبت باتجاه القطب ، وقد اضطرب فى رؤوس الناس كل مقياس ..

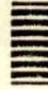
انه المعجزة الخالدة ، التي أنزلت لتحكم تصرفات الانسان ، فتنقذه من شر نفسه وتنقذ من شره بني جنسه ، لتتجه بالحياة البشرية دائما الى الأعلى ..

فما أحوج الجيل المسلم، وقد أحاطت به الظلمات ، وتنازعته من كل صوب مخالب المفسدين والمفسدات ، أن يفتح قلبه لهذه الأشعة الربانية ، التي لامست من قبل صدور المجهولين ، فجعلت منهم خير أمة أخرجت للناس ، ولا تزال صالحة لاحداث المعجزة ، التي تجعل من هذا الجيل المضلل الحائر هادى البشرية ومنقذ الانسانية ..

(وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم) .

شكر وتهنئة

هيئة تحرير المجلة ـ وقد غمرها القراء الكرام بفيض من رسائل التهنئة والتمنيات الكريمة بعيد الاضحى المبارك ، وبدخول المجلة فى عامها الثالث ـ تقف أمام هذا الوفاء وهذا التقدير عاجزة عن شكرهم ، وتتقدم اليهم باصدق التهاني ببدء العام الهجري الجديد ، راجية من الله تعالى أن يشد أزرنا ، ويأخذ بيد المسلمين جميعا الى ما فيه عزهم ومجدهم .



ولكن فى تلك الدول التي تبادلت واياه النشاط الدبلوماسي ، الأمر الذى يحتاج الى جهود كبيرة من الدارسين لهذا الحقل الذى لا يزال بكرا . والأمل الآن أن تظهر عنه ــ قريبا ــ الى عالم التأليف من البحوث ما تتناسب وأهميته وجماله البالغين .

المصادر والتعليقات

١ ــ عثرت على مثال للتمثيل الدبلوماسى الدائم بين الأندلس والشمال الأسبانى . فقد ذكر ابن حيان القرطبى أن الخليفة الحكم المستنصر عين كلا من أحمد بن عمروس العريف وسعيد سفيرين دائمين لدى مملكة ليون Léon (جليقية Galicia) .

انظر ابن حيان ، المقتبس ، مخطوط الأكاديمية التاريخية بمدريد ، مجموعة كوديرا Codera رقم ٢ ، الأوراق ٤٢ أ ــ ب ، ٨٨ أ . وقد نشر هذا الجزء من المقتبس أخيرا ، فى بيروت ، ١٩٦٥ . وقصة التمثيل الدائم المذكورة آنفا تقع فى ص . ٧٦ ، ١٤٧ .

٢ ــ وصفت الشاعرة الألمانية Hroswitha (القرن العاشر الميلادى) قرطبة بأنها « جوهرة العالم » أنظر E. Léui - Prouencal La civilisation Arabe en Espagne,Paris,1945,p.114

٣ ــ المقرى . نفح الطيب (طبعة محمد محيى الدين عبدالحميد ، القاهرة، ١٩٤٩) ، ١/٣٤٣ .

٤ ــ ابن خلدون ، العبر (بيروت ، ١٩٥٨) ، ٤/٢/٣١٠ ، ابن عذارى ، البيان المغرب (طبعة كولان وليفى بروفنسال ، ليدن ، ١٩٥١) ، ٢/٢١٨ .

٥ ــ أنظر P.h. Hitti, History of the Arabs. ondon,1960,p.590.

٦ ــ شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب (القاهرة ، ١٣٥٢ هـ) ، ص ١٦١ ــ ١٦٢ . ويحتوى هذا الكتاب على تعليقات كثيرة قيمة ، وأكثره مترجم عن الأصل الفرنسى لكتاب رينو الذى ترجم الى الانجليزية .

J. Reinaud. Muslim Colonies in ꟻrance, Northern: Italy and Switzerland (E.N.G, 7 R. H.K. Sherwani) Lahore,1964.

وقد نشر تقريظا لكتاب رينو هذا بقلم محمود السمرة فى مجلة « العربى » « العدد ٢٤ » (١٩٦٠) ، ص ١٤١ ــ ١٤٤ ــ كما اعتمد أرسلان فى كتابه على كتاب آخر ألمانى .

٧ ــ ابن حوقل ، كتاب صورة الأرض طبعة J.H. Kramers ، ليدن ، ١٩٣٨) ، ١/٢٠٤ ، شكيب أرسلان ، نفس المصدر ، ص ١٦٢ ــ ١٦٥ .

٨ ــ Liudprand (BP, of Cremona) The Work of liudprand of Cremona G.M,TR.

٩ ــ عن هذه المنية راجع . ابن حيان، المقتبس (طبعة Melchor M. Ant una, Paris,1937 ص. ٣٨ .

١٠ ــ قارن شكيب أرسلان ، نفس المصدر ، ص. ١٧٧ ، عنان (محمد عبد الله) دولة الاسلام فى الاندلس (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ٢/٤١٥ .

١١ ــ ابن خلدون ، نفس المصدر والصفحة .

١٢ ــ انظر . عنان ، نفس المصدر ، ص ٤١٦ .

١٣ ــ المقرى ، النفح ، ٢/٦٥ .

١٤ ــ عنان، نفس المصدر ، ٢/٤٠٣ .

١٥ ــ حتى ، نفس المصدر والصفحة .

قصة العدد



الأس

للأستاذ علي أحمد باكثير

- ١ -

(فى بيت من بيوت سراة مكة) .

(الصبى عامر يقبل مسرعا الى أمه الجالسة فى الحجرة) .

عامر : (صوته قبل ظهوره فى الحجرة) يا أمه . يا أمه .

جليلة : عامر . ما خطبك ؟ .

عامر : (يدخل لاهثا) ان خالى عقبة قد جاء بأسير معه .

جليلة : اين يا عامر ؟ .

عامر : ادخله المربد فحبسه فيه . يقولون انه من أصحاب محمد .

جليلة : من أصحاب محمد ! ما الذى جاء به الى خالك ؟ .

عامر : لا أدرى . (ينظر الى جهة الباب) ها هو ذا خالي عقبة فاسأليه .

(يدخل عقبة بن الحارث) .

جليلة : من هذا الذى جئت به يا عقبة ؟ .

عقبة : هذا قاتل ابينا يا جليلة . قاتل الحارث ببدر .

جليلة : خبيب بن عدى ؟ .

عقبة : أجل . . انك لتعرفين اسمه يا أخية .

جليلة : كيف لا وما من امرأة فى قريش أصيب لها أحد فى بدر الا اجتهدت أن تعرف أسم قاتله فحفظته عسى أن تنتقم يوما منه .

عقبة : فها هو ذا قد جئت به اليك فانتقمى منه وعذبيه .

جليلة : أى والله لاشفين صدرى منه . أمكنى منه يا عقبة فلاقطعنه بهذا المشقص فِلذة فِلذة .

عقبة : كلا يا أختاه لا يحل لنا قتله الآن حتى تنقضي الأشهر الحرم . ولكن عذبيه عذابا لا يقضي عليه .

جليلة : كأنك جئت به لتحبسه عندنا حتى ينقضى هذا الشهر المحرم ؟ .

عقبة : هو ذاك .

جليلة : خيرا سيتاح لنا بذلك أن نفتن فى تعذيبه .

عقبة : أجل . . افتنى فى تعذيبه ما شئت . أرينى براعتك يا جليلة ووفاءك لأبيك .

جليلة : ثق يا أخى اننى سأريه الويل أفانين . ولكن كيف تمكنت منه يا عقبة ؟ .

يرالكريم



عقبة : كان محمد قد بعثه فيمن بعث الى بنى هذيل ، ليعلموهم الاسلام فوثب بهم الهذليون وباعوهم الينا .

جليلة : واشتريته انت منهم ؟ .

عقبة : بخمسين من الابل .

جليلة : خمسين من الابل ؟ .

عقبة : استكثرتيها ؟ والله لو طلبوا به مائة بعير لأعطيت . انه دم أبينا الحارث يا جليلة .

جليلة : صدقت ، كل مال يشترى به دم أبينا فهو قليل .

عقبة : هاتى له شيئا من الطعام يا جليلة .

جليلة : تريد أن تطعمه ؟ أتطعم قاتل أبينا يا عقبة ؟ .

عقبة : لا بد من اطعامه حتى لا يموت قبل أن ننزل به العقاب الأشد . قد اتفقت أنا وصفوان بن أمية على ذلك .

جليلة : وما شأن صفوان بن أمية ؟ .

عقبة : انه هو أيضا اشترىمنهم قاتل أبيه لينتقم منه .

جليلة : قاتل أمية بن خلف ؟ .

عقبة : نعم .

جليلة : وما اسم هذا القاتل ؟ .

عقبة : زيد بن الدثنة .

جليلة : ودفع فيه صفوان خمسين من الابل ؟ .

عقبة : نعم .

جليلة : اذن والله ليثرين الهذليون من ذلك .

عقبة : (يضحك أجل . ليتركن تجارة الانعام ، ويتجرُنَّ فى اتباع محمد ! .

جليلة : (لابنها الصبى) انزل بنا يا عامر الى هذا الأسير لنضربه ونعذبه . خذ تلك العصا معك .

عامر : لكن يا امه . .

جليلة : أليس برجليه القيد ؟ .

عامر : بلى يا أمه .

جليلة : فأى شىء تخشى منه ؟ .

عامر : لست أخشى شيئا منه ولكنه لا يستحق الضرب . انه رجل طيب .

جليلة : ويلك هذا قاتل جدك الحارث يا لكع .

عامر : ماأحسب مثل هذا الرجل يقتل أحدا يا أماه . لقد نظرت اليه من الباب فلما رآنى حيانى وابتسم .

جليلة : اسكت . لو سمعك خالك عقبة تقول هذا لأدبك فأوجعك .

هيا خذ تلك العصا وانزل معى الى المربد .

(يأخذ عامر العصا وهو كاره ويخرج خلف والدته) .

— ٣ —

((فى المربد .. مكان ضيق مظلم له باب محكم . خبيب جالس على الأرض وفى رجليه القيد الثقيل وجليلة وابنها عامر يضربانه بالعصى)) .

خبيب : (يردد كلما ضرب ضربة) الحمد لله . الحمد لله .

جليلة : (فى غيظ) . ويلك . تضرب وتقول الحمد لله ؟ أهكذا أمركم صاحبكم محمد ؟ .

خبيب : أجل يا أخت بنى الحارث . ان نبينا صلى الله عليه وسلم أوصانا بالصبر على ما نلقى فى ديننا من مكروه .

جليلة : فدعه الآن ينفعك ! .

خبيب : انه قد نفعنا وسينفعنا دائما يا أخت بنى الحارث .

جليلة : كيف ويلك ؟ .

خبيب : لقد وعدنا أن من يقتل منا فى سبيل الله فله الجنة .

جليلة : هيهات ما وعدكم الا غرورا .

خبيب : يا أخت بنى الحارث لو قد سمعت من محمد كما سمعنا ما قلت هذا . أتحبين أن أسمعك شيئا مما جاء به من عند الله ؟ .

جليلة : (تضربه) كلا لا أريد أن أسمع شيئا .

خبيب : اذن يفوتك خير كثير .

جليلة : اسكت والله لأضربنك حتى تكفر بصاحبك .

خبيب : هيهات . انك لن تجنى من ضربى غير أن تكل يدك .

جليلة : (تضربه بقوة) اضرب يا عامر .

خبيب : .. وتكل يد صبيك هذا .

جليلة : لا شأن لك . اضرب يا عامر .

عامر : هأنذا أضربه يا أمه (يضربه على كره) .

جليلة : اضربه بشدة .. بكل قوتك .. (تمضى فى ضربه) .

خبيب : الحمد لله . الحمد لله . الحمد لله .

جليلة : امسك عن هذا القول ويلك .

خبيب : لو أمسكت عنه لأوجعنى ضربك . انه هو الذى يدرأ عنى الوجع . ما بالك وقفت عن الضرب ؟ أو قد كلت يدك ؟ أريحيها قليلا ثم عاودى ما أنت فيه .

جليلة : (فى غيظ) الساعة يأتى عقبة أخى فيضربك ويوجعك .

خبيب : أجل يا أم عامر .. دعى أخاك يفعل ذلك فهو أقوى منك ومن هذا الصبى الذى دفعته الى ضربى فأرهقتيه .

— ٤ —

عامر : (يجىء الى المربد متلصصا ويدخل رأسه من الباب) . هل لى أن أدخل عندك أيها الأسير ؟ .

خبيب : (فى حنان) عامر . ادخل يا بنى .

عامر : ولا تؤذيني أو تبطش بى ؟ .

خبيب : معاذ الله يا بنى . انى لأعلم أن أمك هى التي دفعتك الى ضربى وأنت كاره .

عامر : أجل انها هى التى أكرهتني . وقد قلت لها انك رجل طيب فلم تصدقنى . خبرنى أحقا قتلت أنت جدى الحارث بن عامر ؟ .

خبيب : نعم يا بنى . جدك أراد قتلى فقتلته .

عامر : وكنت تعرف أنه جدى ؟

خبيب : لا يا بنى . ما كنت أعرف أنه جدك .

(يدخل عامر حتى يقف قريبا من خبيب) .

عامر : ما دمت لا تعرف أنه جدى فليس بينى وبينك شىء .

خبيب : أجل ليس بينى وبينك غير المودة والمعروف .

عامر : أنت تحبنى ؟ .

خبيب: اى والله يا عامر .

عامر : ان كنت تحبنى حقا فاحك لى قصة الرجل الذى حمته الزنابير .

خبيب : أو قد سمعت أنت عنها ؟ .

عامر : سمعت طرفا منها وأريدها كاملة منك . ألست كنت معه ؟ .

خبيب : بلى يا بنى . ذاك رئيسنا عاصم بن ثابت الأنصارى ما زال يقاتل بنى هذيل الذين غدروا بنا حتى قتل ، فأرادوا أن يجتزوا رأسه، ليقدموه لامرأة فى مكة كان قد قتل لها ابنين فى بدر ، فجعلت لمن يأتيها برأسه مائة ناقة .

عامر : أنا أعرفها يا عم . اعرف تلك المرأة . هى سلافة من آل عبد الدار التي نذرت ان قدرت على رأسه لتشربن فى قحفه الخمر . لكن ما قصة الزنابير ؟ أحقا كانت كبيرة جدا كل واحد منها فى حجم الحدأة ؟ .

خبيب : لا تصدقهم . انها زنابير فى الحجم المعتاد . طفقت تذب عن جسد عاصم وتلسع كل من يقترب منه الى أن



جاء السيل فاحتمله ، وذهب به حيث أراد الله .

عامر : يقولون انه ساحر .

خبيب : لا تصدقهم يا عامر . بل هو رجل مؤمن شجاع دعا ربه دعوة فاستجابها له .

عامر : ماذا دعا ؟ .

خبيب : كان قد قاتلهم طول النهار فلما أيقن بالموت وخشي أن يمثلوا بجثته دعا ربه فقال : اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم جسدى آخره .

عامر : ما دام ربه يستجيب له فلماذا لم يدعه أن ينقذه من القتل ؟ .

خبيب : انه آثر أن يموت شهيدا فى سبيل الله ليدخله الله الجنة .

عامر : خبرنى ماذا فى الجنة يا عم ؟ .

خبيب : فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

عامر : هل أستطيع أنا أن أدخلها ؟ .

خبيب : نعم اذا آمنت بالله وبرسوله وعملت عملا صالحا .

عامر : (بعد صمت يسير) اسمع يا عم .. ليس فى البيت أحد فهل لك فى شيء أحضره لك ؟ .

خبيب : نعم احضر لي شفرة يابنى .

عامر : شفرة .. ماذا تصنع بها ؟ .

خبيب : انهم سيقتلوننى غدا فأريد ان استحد بها وأتطهر حتى ألقى ربى وأنا فى هيئة حسنة .

عامر : وأين تلقى ربك ؟ .

خبيب : فى الجنة ان شاء الله .

عامر : انتظر قليلا .. سأحضرها لك (يخرج) .

— ٥ —

((نفس المنظر السابق . خبيب يسوى شعر لحيته وشاربه بشفرة فى يده ، وبجانبه عامر يصغى الى قصة يقصها عليه)) .

عامر : أجميل هو ؟ .

خبيب : جميل جدا وطيب جدا وشجاع جدا . آه لو رأيته صلى الله عليه وسلم لاحببته يا عامر ولو رآك هو لأحبك .

(يسمع صوت جارية من الخارج وهى تصيح فى رعب) .

الصوت : سيدتى . سيدتى . ابنك عامر قاعد عند الأسير وفى يده شفرة ماضية .

جليلة : (صوتها) فى يد من ؟ .

الجارية : (صوتها) فى يد الرجل .

جليلة : (صوتها) يا ويلتا سيثكلنى الولد كما اثكلنى الوالد . انطلقى الى سيدك عقبة فادعيه (تدخل جليلة وهى مرعوبة) .

جليلة : ويلك ماذا تصنع بولدى ؟ .

خبيب : (يجذب عامرا اليه) قد أمكننى الله منكم مرة أخرى يا أخت بنى الحارث .

جليلة : كلا لا تفعل . حنانك انه صبى صغير وليس لى غيره . أليس فى قلبك رحمة ؟ .

عامر : لا تخافى يا أمه . انه انما يمزح معك .

جليلة : أيمزح وفى يده الحديدة ؟ .

خبيب : لا تراعى يا أم عامر . انما أردت أن أريك أننى قادر عليه لو شئت . ولكن دينى ينهانى عن ذلك ، وما كنت لأفعله ، ولو لم ينهنى دينى . اذهب يا بنى الى أمك .

عامر : لا . . حتى أسمع بقية القصة .

جليلة : ويلك تعال يا شقى .

خبيب : اذهب اليها يا بنى وسأتم لك قصتى فيما بعد .

(يدنو الصبى من أمه فتحتضنه فى فرح وهى لا تكاد تصدق أنه حى بعد) .

ـ ٦ ـ

« فى العراء خارج مكة وقد نصبت خشبة من جذوع النخل ليصلبوا خبيبا عليها فى نشز مرتفع من الأرض . خبيب يسوقه عقبة واثنان آخران . خلفهم جليلة وعامر الصبى . ومن خارج المشهد تسمع أصوات الجمهور من الخلق الذين خرجوا ليشهدوا صلب خبيب وقتله » .

خبيب : ان كنتم تريدون قتلى الساعة ، فدعونى أصلى ركعتين قبل أن تقتلونى .

أصوات : كلا لا تجيبوه الى طلبه ! اقتله يا عقبة ! اقتله يا عقبة ! .

جليلة : مهلا يا عقبة . أجب هذا الرجل الى طلبه . فمن حقه أن يجاب

(همهمة استنكار من الجميع) .

عقبة : ما خطبك يا أم عامر .

جليلة : ان له يدا عندى يا عقبة . كان فى وسعه أن يقتل عامرا ابنى فلم يفعل .

عامر : أجل يا خالى أجبه الى طلبه .

عقبة : صل يا هذا ما شئت وأسرع .

خبيب : (يكبر للصلاة) الله أكبر .

ـ ٧ ـ

خبيب : (يسلم من صلاته) السلام عليكم ورحمة الله . السلام عليكم ورحمة الله . (ينهض قائما) .

عقبة : هلم ارق هذه الخشبة .

خبيب : ويلكم أتريدون أن تصلبونى ؟

عقبة : نعم . هل جزعت ؟ .

خبيب : يا هذا ان المسلم لا يجزع من الشهادة .

(عقبة وصاحباه يشدونه الى الخشبة بالحبال) .

خبيب : الحمد لله . الحمد لله .

(يهم عقبة بقتله) .

أصوات : مهلا يا عقبة . دعنا نسأله أولا . أتحب يا هذا أن محمدا يكون مكانك ؟ .

خبيب : لا والله ما أحب أن يؤذى محمد بشوكة فى قدمه .

أصوات : ارجع عن الاسلام لنخلى سبيلك ولا نقتلك .

خبيب : ساء ما قلتم يا جند الباطل . (يدعو) اللهم احصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحدا .

عقبة : سمعتم ما يقول كيف يدعو عليكم ؟ انى لن أقتله وحدى . . هلموا كل من بيده رمح فليطعنه معى .

أصوات : أجل دعونا نتعاوره برماحنا من كل جانب .

خبيب : اللهم انه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عنى السلام فبلغه انت عنى السلام ! .

عامر : ذبى عنه يا امه ! لا تتركيهم يقتلونه ! .

جليلة : ليتنى أستطيع يا عامر ! .

خبيب : (يعلو صوته من خلال الضوضاء والرماح تتعاوره) بلغه أنت يا ربى عنى السلام .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

نقل الدم لا يحرم الزواج

السؤال :

هل تثبت بنقل الدم من رجل الى امرأة ، أو من امرأة الى رجل حرمة الزواج بينهما ـ كما هو الشأن فى الرضاع .

(عبد الكريم محمد ـ كميلة شاكر)

الاجابة :

من المقرر شرعا : أن الأصل فى الأشياء الحل ما لم يرد دليل بالتحريم . فكل مسكوت عنه حلال . وكل ما ورد دليل بمنعه فهو حرام ، ويجب اجتنابه وهذا من فضل الله ورحمته بعباده وهو من يسر الشريعة الاسلامية وسماحتها .

وقد نص الكتاب الكريم على أن الرضاع (بشروطه) سبب من الأسباب المحرمة للزواج .

أما نقل الدم من انسان لآخر فهو مسكوت عنه ولم يرد دليل على أنه سبب من الأسباب المحرمة للزواج .

فضلا عن انه عمل انساني جليل يدعو اليه ديننا الحنيف لما فيه من انقاذ حياة المريض ، فلا يترتب عليه تحريم كما يترتب على الرضاع المنصوص عليه ، وعلى ذلك يحل لكل من المنقول اليه والمنقول منه الزواج من الآخر . فلا تحريم الا بنص ولا يجوز قياسه على الرضاع .

★ ★ ★

فى الميراث

السؤال :

توفي أخوان لأب فى حادث سيارة ، ولم يعرف أيهما توفي أولا ، ومات أحدهما عن : زوجة وبنت وأم .

ومات الآخر عن : زوجتين وبنتين وأخ لأم وأم وأخت لأب .

(حسين علي ـ العراق)

الاجابة :

بوفاة الأخوين لأب فى حادث سيارة وعدم معرفة أيهما توفي أولا يكون لا ارث لأحدهما من الآخر ـ لأنه يشترط لاستحقاق الارث تحقق حياة الوارث وقت موت الموروث .

وبوفاة احدهما عن زوجة وبنت وأم يكون تقسيم التركة على الوجه التالي :

للزوجة الثمن فرضا ، وللبنت النصف فرضا ، وللأم السدس فرضا ، والباقي

يرد على البنت والأم بنسبة سهام كل واحدة منهما ، ولا يرد على الزوجة شيء ، بل تأخذ فرضها فقط .

وبوفاة الآخر عن : زوجتين ، وبنتين ، وأخ لأم ، وأم وأخت لأب يكون توزيع التركة على الوجه التالي :

الثلثان للبنتين فرضا مناصفة . والثمن للزوجتين فرضا مناصفة ، والسدس للأم فرضا والباقي للأخت لأب تعصيبا لصيرورتها عصبة مع البنين ، ولا شيء للأخ لأم لحجبه بالفرع الوارث وهو البنتان .

السؤال :

توفيت امرأة عن : زوج وأم وخنثى شقيق . فما نصيب كل وارث ؟ .

(محمد علي ـ البصرة)

الاجابة :

الخنثى المشكل هو انسان لا يعرف أذكر هو أم أنثى أى لا توجد فيه علامة تدل على الذكورة الكاملة أو الأنوثة الكاملة فينظر فى نصيبه على أنه مذكر وعلى أنه مؤنث ويعطى أقلهما ، وعلى ذلك يكون توزيع تركة المتوفاة على ورثتها المذكورين على الوجه التالي :

للزوج النصف فرضا  $\frac{٣}{٦}$ لعدم وجود الفرع الوارث ، وللأم الثلث $\frac{٢}{٦}$ لعدم وجود الفرع الوارث أو جمع من الأخوة ، وللخنثى الباقى وهو السدس $\frac{١}{٦}$ على اعتبار انه عصبة (أخ شقيق) اذ لو فرض انثى لورثت النصف ، والمقرر شرعا أن الخنثى يعطى أقل النصيبين وهو هنا السدس .

★ ★ ★

فى الرضاع

السؤال :

أرضعت زوجة جارى بنتا لي لم تبلغ الحولين رضعات كثيرة ، ولهذه السيدة ولد كبير لم يرضع مع ابنتي ، فهل يحل شرعا أن يتزوج هذا الولد ابنتي .

(عبد الكريم أسعد ـ الكويت)

الاجابة :

كل من أرضعت طفلا ذكرا أو أنثى فى مدة الارضاع وهى حولان خمس رضعات متفرقات مشبعات كما عليه الفتوى من مذهب الشافعى تثبت امومتها لمن أرضعته ، وبالتالي تثبت أخوة الراضع لأولاد المرأة المرضعة الذين ولدتهم جميعا سواء كانوا أولاد الرجل الذى كان سببا فى ادرار اللبن أم من رجل آخر قبله أو بعده ـ ومن ثم فلا يحل للولد كما لا يحل لأى ذكر من أولاد المرضعة أن يتزوج هذه البنت قال تعالى : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتى أرضعنكم واخواتكم من الرضاعة » .

لذلك نفتيك انه برضاع هذه البنت من المرأة المذكورة يكون أولادها جميعا ذكورا واناثا تقدمت ولادتهم على الرضيع أو تأخرت اخوات لها من الرضاعة ولا يحل للولد الأكبر الزواج منها .



اشراف رضوان البيلي

الصخرة المشرفة مكانها لم تتحرك .

آثار أقدام الأنبياء على الأحجار لم تثبت

تلقينا من الأخ فرحان القاعي بالخبر الرسالة التالية .

هل صحيح ما يقال من أن الصخرة المقدسة فى بيت المقدس قد لحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم عندما عرج الى السماء ، فقال لها . اهدئى فهدأت ، وبقيت معلقة بين السماء والأرض ، وأن قدم رسول الله الشريفة لها أثر فى أعلى الصخرة .

الصخرة المشرفة ـ يا سيدى ـ من الآثار المعروفة المشهورة لدى المسلمين وغير المسلمين من قديم الزمان ، ومكانها معلوم مشهود ، والطريق اليها سهل معبد ، وقد زارها الملايين من الناس ، ورأوها وعاينوها ، فوجدوها ثابتة فى مكانها . لم تتحرك ، ولم ترتفع بين السماء والأرض . كما يزعم الدجالون ، ويتخرص المتخرصون ، وأى دجل وتخرص أقبح وأجرأ من التجنى على الحقيقة ، وانكار الواقع المحسوس ، ولم يرد فى الكتاب الكريم ، ولا فى السنة الصحيحة ما يشير تصريحا أو تلميحا الى أن هذه الصخرة تحركت ، أو ارتفعت لحظة واحدة ليلة الاسراء والمعراج . . . وانا لا نقول ذلك استعظاما لهذا على قدرة الله عز وجل ، فالله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها ، قادر على كل شيء ، ولا نقول ذلك ضنا بالرسول الكريم عن أن يؤيده ربه بالمعجزات الحسية ، كما أيد من سبقه من اخوانه النبيين والمرسلين ، فقد أيده ربه بالكثير منها ، كما أيده بما هو أعظم وأنفع ، وأبقى وأخلد على الزمن من المعجزات الحسية وهو القرآن الكريم معجزة المعجزات ، وآية الآيات .

وانما نقرر هذا انصافا للحقيقة ، وتطبيقا لتعاليم ديننا الذى قام على المنطق والصدق واتباعا لهدى الرسول الكريم فى محاربة الظنون ورد الشائعات والأوهام ، فقد صحح رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سبق الى ذهن بعض أصحابه حين انكسفت الشمس ، وصادف ذلك موت ابنه ابراهيم عليه السلام ، فظن بعض أصحابه أن ذلك مشاركة من السماء للرسول فى حزنه وفى فجيعته فى ولده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم » .

فهذا الافتراء على الله ورسوله والتاريخ والواقع ما أظنه الا من أساليب الدس الرخيص الذى حاول أعداء الاسلام أن يشوهوا به جمال هذا الدين ، ولم يفت كبار

الصحابة أن يفطنوا لهذا ، وأن يسدوا منافذ الفتنة على المفترين ، فقد روى الامام احمد ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية ، فذكر فتح بيت المقدس قال . قال أبو سلمة . فحدثنى أبو سنان عن عبيد بن آدم قال . سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب . أين ترى ان أصلى ، فقال . ان أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر . ضاهيت اليهودية ، ولكنى أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم الى القبلة . فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسةفى ردائه ، وكنس الناس ، فلم يعظم عمر الصخرة بالصلاة وراءها وهى بين يديه كما أشار عليه كعب الاحبار لانه من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم .

هذا يا سيد فرحان هو الرد على ما جاء فى رسالتك عن الصخرة المشرفة ... أما ما يقال عن أثر القدم الشريفة فى أعلى الصخرة فهو أيضا لم يثبت ولم يصح ، وقد كان للآثار النبوية نصيب كبير مـن جهود العلماء المسلمين ــ كدأبهم فى كل ما يتصل بالرسول الكريم ، فقد عكف المؤرخون منهم على دراسة هذه الآثار وتتبعها على ممر العصور ، وفى مختلف الاقطار ، وأفردوها برسائل ومؤلفات تكلموا فيها على عددها ووصفها والاماكن التى توجد فيها ، وانبرى المحققون منهم ببيان ما صحت نسبته للرسول منها وما لم يصح ، واستأثر بعنايتهم البالغة ما يقال عن آثار القدم النبوية على الاحجار ، فقد أحصوا هذه الاحجار ، والمعروف منها سبعة : أربعة فى مصر . الاول فى مسجد أثر النبى المطل على النيل فى مصر القديمة ، والثانى بجوار قبر السلطان الاشرف قايتباى بقرافة المجاورين ، والثالث فى ركن من أركان القبة المقامة على ضريح السيد البدوى بطنطا ، والرابع بجوار قبر أويس القرنى بقرية البرنبل بمحافظة الجيزة ، أما الخامس فهو محفوظ بالقسطنطينية فى قصر « طوبقبو » والسادس فى الطائف والسابع حجر قبة الصرة المشرفة ، وكل هذه الاحجار سوداء تضرب الى الزرقة . عليها آثار أقدام متباينة فى الصورة والقدر لا يشبه الواحد منها الآخر ، ولهذا قطع المحققون بعدم صحة ما يقال عن هذه الاحجار وأنه لا سند لما يروى عنها ، ونقل عن الامام ابن تيمية أنها من اختراع الجهال ، وأن ما يروى من تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم اذا وطىء عليه من الكذب المختلق .

وعلى الرغم من وضوح هذا الاختلاق والكذب ، فقد خدع كثير من المسلمين ولا يزالون يخدعون بما ينشره ويروجه الجهلة والمغرضون ، فأقاموا القباب على هذه الاحجار ، وأحكموا لها الابواب وصفحوها بصفائح الذهب والفضة ، وأطلقوا عندها البخور والعطور ، وازدحم عليها العامة معظمين متبركين ، ولم يفت الشعراء والقصاصين ان ينظموا فيها القصائد ، وينسجو احولها من خيالهم ما يستهوي السذج من الناس .

وهذا الافتعال من الروائيين والقصاصين فيما يتصل برسل الله وأنبيائه داء قديم استثاروا به عواطف الدهماء على اختلاف عصورهم وبلادهم وأديانهم .

فقد زعم هؤلاء المتزيدون أنه توجد فى بعض البلاد آثار أقدام منسوبة الى الرسل الكرام . كأثر آدم عليه السلام فى جزيرة سرنديب ، وأثر قدم الخليل عليه السلام بالحرم المكى ، وأثر قدم موسى عليه السلام بظاهر دمشق ، وأثر قدم عيسى عليه السلام بطور زيتا فى بيت المقدس ، وأثر قدم ادريس عليه السلام ببيت المقدس ، وأثر قدم أيوب عليه السلام بقرية قرب « نوى » بالشام .

وكم وددنا ان يستيقظ وعى المسلمين الدينى ، وأن يعرضوا عليه ما يسمعون وما يقرأون ويميزوا به بين الصحيح والزائف والحق والباطل . هذا ــ وحده ــ هو الكفيل برد افتراء المفترين والحائل دون رواج الاباطيل والخرافات .

قالت صحف العالم

عيدنا الوطنى .. منطلق جديد للسير

وسط مظاهر الفرح والبهجة التي عمت البلاد فى عيدها الوطني السادس كتبت مجلة الكويت تقول :

تحتفل الكويت يوم ٢٥ فبراير بعيدها الوطني السادس الذى كان وما يزال مجمع انجازاتنا الوطنية ومنطلق سيرها نحو غد أفضل ورمز الألفة والوفاء بين أفراد الأسرة الواحدة التي تجمع الأمير وشعبه للسير قدما نحو بناء البلاد والوصول بها الى أوج التقدم والمجد .

وفى هذا اليوم الخالد ـ يوم العيد الوطني ـ يسعد كل مواطن أن يتوجه الى الله العلي القدير بالدعاء الخالص أن يحفظ للكويت أميره ورائد نهضته ، ليبلغ بهذه البلاد الخيرة ما يصبو اليه شعبها من ازدهار وسؤدد . وأن يمد العاملين المخلصين بقوة متجددة من عنده ، ليواصلوا قيادة المسيرة الهادفة الى ارساء قواعد النهضة الصاعدة على أسس ثابتة من الايمان بحق الوطن ومصلحة الشعب ، وعلى رأس هؤلاء جميعا حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المفدى وقائدها الأعلى الى كل ما فيه خيرها وازدهارها وسعادتها .

نماذج من التفسير النبوى

وطالعتنا مجلة رابطة العالم الاسلامي المكية بمقال تحت هذا العنوان : نقتطف منه ما يلي : ـ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا الى تصحيح ما يتوهمه المسلمون من الخطأ فى تفسير بعض آيات الله ، وان كان فى صيغة سؤال ؟ فما يكاد يصل الى سمعه بعض ما جاء فى غير موضعه من القول ، حتى يبادر الى احقاق الحق ، فقد قرأت عائشة رضى الله عنها ذات مرة قول الله عز وجل « والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون » فسألت رسول الله . أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون فقال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون الا يقبل منهم ! فكأن عائشة قد ظنت الوجل لدى هؤلاء من حدوث الذنب ! وغفلت عن سياق الآيات ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم لا يبتر قطعة من نص ليستشهد بها دون النظر الى جميع الكلام فهو يعلم أن الآية سيقت فى مجال الحديث عن المؤمنين التقاة اذ يقول الله عنهم فى سورة (المؤمنون) « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون .والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون » .

وواضح أن الذين يسرقون ويشربون الخمر ليسوا هم الذين من خشية ربهم يشفقون ، وليسوا ممن يسارعون فى الخيرات ، ولو تدبرت عائشة النص الكامل للآية ما سألت سؤالها البعيد ، أما الخوف والوجل مع هذه الأعمال الصالحة فخشية الا يتقبلها الله ! وهذا ما عبر عنه القرآن بالاشفاق فى مجال آخر حيث قال عن المؤمنين فى الجنة « وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون . يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون . واقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين .فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم . انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم » .

الاسلام فى تايوان

وتتحدث مجلة نداء الاسلام العراقية عن النشاط الاسلامي فى جزيرة فرموزا ، فتقول :

على طريق سن شنغ الجنوبية فى مدينة تايبى ، ترتفع المآذن الرشيقة للمسجد الجديد الذى تم بناؤه عام ١٩٦٠ ليشهد على الجهد المخلص وروح التضحية عند المسلمين الذين قدموا الى تايوان منذ عشر سنوات خلت لكى يحتفظوا بحريتهم فى عبادة الله .

ولقد كانت (جمعية المسلمين الصينية) هى القوة الموجهة لهم فى هذا السبيل،وقد دأبت هذه الجمعية وتابعت أوجه نشاطها فى تايوان ولقد انجزت هذه الجمعية عملا آخر مرموقا وهاما . ألا وهو ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة الصينية . ولقد انكبت على انجاز هذا المشروع هيئة خاصة للترجمة كرست لها الجهود مدة سبع سنوات وتم بعدها طبعه ونشره فى سفر يشتمل على ٤٠٠،٠٠٠ كلمة .

وتقوم الجمعية أيضا بتحرير مجلة باللغة الصينية واسمها (مجلة الجمعية الاسلامية الصينية الشهرية) ولقد حصرت هذه المجلة نطاق رسالتها فى تكريس الجهود على المقالات المتعلقة بالدين والعقيدة وتقصى الأخبار من الأقطار الاسلامية وكذلك المعلومات حول نشاط الجمعيات الخاصة .

وبالاضافة الى ذلك فالجمعية تشرف على برنامج اذاعى اسبوعي توجيهى ديني لشرح مبادىء الاسلام وأخلاقه .

وهناك مدارس صينية لأبناء المسلمين الذين يتجاوزون الثانية عشرة من العمر تشرف عليها دائرة رعاية الشباب التابعة للجمعية . وتقوم هذه الدوائر بتزويد الكتب والمجلات للمسلمين العاملين .

ولقد قام المسلمون بارسال خمس ارساليات للحج الى مكة المكرمة فى السنوات الستة الماضية وبعد الزيارة يقوم الحجاج بزيارة الأمم الاسلامية الأخرى التي يمرون فيها فى طريق عودتهم الى تايبى ... وهناك مجموعات عديدة من حجاج تايوان زاروا مثل هذه الأمم الاسلامية فى ليبيا . والسودان . وتركيا . والأردن ولبنان . والباكستان . وسنغافورة . والملايو .

الزكاة على الأموال المدخرة

وجه الى الملحق الدينى الذى تصدره صحيفة الجمهورية القاهرية هذا السؤال :
(اذا وفرت فى بنك الادخار جنيها واحدا فى الشهر لمدة سنة فسيصبح المجموع (١٢) جنيها ، فهل ينطبق على هذا المبلغ فريضة الزكاة ؟) .

وقد أجاب فضيلة الشيخ زكريا البرديسي أستاذ الشريعة بكلية الحقوق جامعة القاهرة فقال :

ان النبى صلى الله عليه وسلم قدر النصاب الذى تجب فيه الزكاة بمائتى درهم على أساس قيمتها فى عصره صلى الله عليه وسلم وقد بين الصحابة رضوان الله عليهم هذه القيمة بعشرين مثقالا من الذهب فينبغي جعل هذه القيمة أساس التقدير فى كل العصور ، وبذلك يتوحد النصاب فى كل الأقطار الاسلامية ، ولا يعد هذا تركا لتقدير النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو اعمال له فى أوسع مدى ، وجعلنا الذهب هو الاساس فى نصاب الزكاة لانه العملة التى بها تقاس قيم الاشياء ومنها الفضة .

والأوراق النقدية الآن تعد نقودا حالة محل الذهب ، وقيمتها فيما تدل عليه من قيمة ذهبية فى أسواق الذهب العامة .

فالعبرة فى وجوب الزكاة بالنسبة للأوراق النقدية قيمتها بالنسبة للذهب ، وبما أن العشرين مثقالا من الذهب تساوى ٣٠ درهما من الذهب ، لان المثقال درهم ونصف فلا تجب الزكاة فى الاوراق النقدية الا اذا وصلت قيمتها الى ما يساوى ثلاثين درهما من الذهب ، والدرهم الآن يساوى ثلاثة جنيهات وكسور ، فلا تجب الزكاة الا فيما يزيد على ٩٥ جنيها مصريا ويجب فى هذا القدر ربع العشر أى ٢،٥٪ اذا مضت سنة كاملة على هذا القدر دون أن ينقص ، ويكفى فى ذلك النماء التقديرى ، فالنقود المدخرة فى المصارف والخزائن تجب فيها الزكاة اذا بلغت نصابا وحال عليها الحول اذ هي معتبرة نامية بقوتها النقدية .

وعلى ذلك فهذا السائل الذى تجمع لديه فى بنك الادخار بعد مضي سنة مبلغ (١٢) جنيها لا تطبق عليه شروط فريضة الزكاة لأن هذا المبلغ لم يصل الى النصاب ولم تمض على جميعه سنة كاملة .

يعبرون فيه عن أفكارهم
دون أن تلتزم المجلة بآرائهم



يوم الهجرة

تحت هذا العنوان كتب الاستاذ احمد عبد اللطيف حسب الله المدرس بمدرسة كفر الدوار الصناعية ـ ج ٠ع٠م يقول :

ان يوم الهجرة ليوم مشهود ، وذكر باق على وجه الخلود ، لا ينطمس أبدا ، ولا تضيع معالمه ، هو دائما جديد فى ثوب أربعة عشر قرنا ، وما أدركه البلى ، وما أثرت فيه المحن ، وما أخافته النوازل، بل كان القوى الشامخ ، العزيز الكامل .

كان يوما فاصلا بين الحق والباطل ، يشعر فيه الانسان بظلال الرهبة تجرى فى أوصاله ، ويحس فيه خطر الموقف يسرى فى أعضائه ، حيث تقابلت فيه قوتان . قوة الايمان الذى يبغى الانطلاق ، وقوة الشرك الذى يأبى الا العناد .

وحيث تلاقت فيه ليلة لها ما بعدها ، وأمر الوجود متوقف عليها ، فالبدر يرنو بعين القلق ، والانجم حيرى من الخوف والوجل ، والتلال الشوامخ أصابها الهول فارتعدت ، والسكون شامل فلا ذئاب تعوى ، ولا ريح تصرصر ، فاليوم يكتب التاريخ فاما حياة ليس بعدها موت ، واما ممات ليس بعده حياة ...

هى ليلة أمر فيها الله ولله جنده ، وكاد فيها الشيطان وللشيطان كيده . اجتمع فيها النور والهداية ، واجتمع فيها الظلام والغواية ، فاما أن ينفذ النور من خلال الظلمات فيعم الحياة باشعاعه ، ويملأ الدنيا بأضوائه ، وتسرى الهداية من جنبات الغواية تحث الخطا صوب من غفل فنام ، وتدعو الى الله ، وترغب فى الآمان ، وتنشر السلام ، وتنشر لواء الحب ، وترفع علم الاخاء ، واما أن يقضى على هذا النور فى مهده ، ويحين عليه الحين قبل نفاذه ، وتكشف الهداية للغواية فتنال منها منالا ، فلا يعبد الله فى الارض ولا يرفع له فى الكون ذكر . ولكن مكروا ومكر الله ، ودبروا ودبر الله وقدروا وقدر الله (ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

أهل الواجب

ويتحدث السيد محمد صالح بربندى بالادارة القانونية بوزارة المعارف السعودية عن حاجة الامة الماسة الى طراز خاص من الرجال يجددون شبابها ، ويردون عليها امجادها فيقول :

هم البررة المخلصون لامتهم وأوطانهم ، وعليهم يرتكز عماد الوطن وتقدمه وازدهاره ، ولاغرو فهم الصفوة المختارة من الناس التى تقوم بواجبها دون كلل أو ملل ، أو تذمر أو استياء فالاخلاص يبدو فى أفعالهم ، والصدق يظهر فى أقوالهم ، انهم يحاسبون انفسهم أمام الله ، فى كل خطوة يخطونها وفى كل عمل يقومـون بـه .

قلوبهم كبيرة ونفوسهم عظيمة ، لانهم يضعون الواجب أسمى هدف مقدس لهم فى أعمالهم ، فاذا سول هاجس السوء لهم فعلا منكرا قال ضميرهم الحى فى قرارة نفسه (انى اخاف الله رب العالمين) ، واذا توانوا عن القيام بفعل الواجب نبههم وازع الخير المتيقظ فى أعماق نفوسهم الى وجوب بذل المزيد من الاعمال النبيلة لاوطانهم ، انهم يفخرون بجراحهم لا بأوسمتهم ، وبجهودهم لا بألقابهم ، وبايثارهم لا بزينتهم والبستهم ، هم جنود مجهولون تلمس أعمالهم دون بروز شخصياتهم .

ولم تتقدم أمة من الامم ، ولم يعل شانها فى مضمار المجد والرقى الا باعمال هؤلاء الذين دأبوا على حب الواجب فى كل أفعالهم ، والتاريخ يسجل آثار هؤلاء المخلصين بفخر واعتزاز ويعطى أبلغ مثال على ايثارهم وتضحيتهم وتفانيهم فى خدمة أمتهم وبلادهم .

ان تاريخنا الاسلامى العربى حافل بأمثلة من هؤلاء الذين هم عاملون دائبون ، يضحون بانفسهم وأبنائهم ، ويبذلون ما يملكون فى سبيل القيام بواجبهم المتمثل بنصرة دينهم واعلاء شأن أمتهم .

ان كل انسان اذا أخلص فى عمله وجعل دأبه خدمة الصالح العام قبل مصالحه الخاصة ، وحاسب نفسه فى كل كبيرة وصغيرة يخطوها فى حياته فهو من أهل الواجب الذين هم نبلاء فى أفعالهم ، كرماء فى أقوالهم ، والذين لا يهتمون بما ياكلون من الطعام ، ولا بما يلبسون من الثياب ، ولكنهم يهتمون بما يقدمونه لامتهم من خدمات وتضحيات عامة خالدة .

هؤلاء هم المؤمنون حقا برسالتهم فى الحياة الدنيا يصفهم الله تعالى فيقول . (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) ويقول تعالى . (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، لأن نفوسـهم قد ملئت تقوى واخلاقا وعلما وتضحية ، وهم يعنون بعظائم الامور وجلائلها ، ويقضون حياتهم جميعها فى الكفاح والنضال . ولم تخل أمة من الامم من هؤلاء ولكن تقدمها وازدهارها فى بناء المعالم والمكارم ، يقاس بكثرتهم وازدياد عددهم .

مآسي الإنسان المعاصر

ويستعرض الاخ عماد الدين خليل بجامعة الموصل بالعراق الآراء العلمانية والالحادية التى شقى بها الانسان فى العصر الحاضر ويخلص من ذلك كله الى أن سعادة الانسانية فى اتباع المنهج الذى ارتضاه الله لعباده فيقول .

تفتح الوعى المفكر فى القرن العشرين فجاة ، وبعد حربين طاحنتين ، وأخرى تدق لها الاجراس ، تفتح على حقيقة صارخة وهى ان البشرية فقدت جوهرها ... فقدت مثلها ومبادئها وأهدافها العليا ، وتاهت فى غمرة الصراع الذى أوقدته الانانية ، لقد ردمت قنبلة (هيروشيما) منابع الخير الانسانى أخيرا ... فلم يعد هنالك خير ، بل سحقته الشهوة ، شهوة الانتصار المادى والتحكم العرقى .. قنبلة (هيروشيما) هى الرمز الاكبر لبشاعة الحقد البشرى ، ... لقد طغت أصوات الرصاص على نداءات الروح ، حتى لقد انكمشت هذه ، تضاءلت ، وجرفها التيار ، وغدت تماثيل وأنصاب ... كل المبادىء التى تذكر البشرية (بانسانيتها) ، والاصوات التى تنادى بالعودة الى طريق الله ، أرغمت على ان تسكت

والا اسكتتها القوة الطاغية . الخير .. الايمان .. الحب .. العدالة ... المساواة ... وحدة الاصل ... دفقات الروح ... صعدات الفكر .. انسانية الفن ... كلها تاهت .

ما معنى هذا ؟ ما معنى ضياع المثل الانسانية ؟ وما نتيجته ؟ ضياع المثل الانسانية يعنى ان البشرية بابتعادها عن منهج الله انحرفت عن الطريق ، وانحدرت من القمة لتتخطفها الطير أو تهوى بها الريح الى قرار سحيق .. ومن ثم فقدت جوهرها وهدمت كيانها الانسانى .

ونتيجة هذا هو هذا الانسان المشتت المبعثر الذى حطمه القلق انسان القرن العشرين .

دعـــوات

ويجيش صدر الاستاذ حسن التل بوزارة الاعلام الاردنية — عمان — بهـــذه الدعوات الحارة فيقول :

يا رب كما تهزم عتمة الليل باشراقة الفجر بدد من صدورنا حب الدنيا والنزوع اليها واغســـل قلوبنا بفيض نورك الذى أشرقت به الظلمات ، واجعلها دائما تنزع الى أعلى مترفعة عن الدنايا مترفعة عمن سواك متفانية فى ذاتـــك .

يا رب : اننا نستشعر الغربة ونحن بين ذوينا وأهلينا ، فلقد ضجت المادية من حولنا واستحوذت حتى على أزواجنا وبنينا ، فافتح اللهم بيننا وبين قومنا بالحق ، واجمعنا على أمرك واهدنا سبيلك ..

يا رب : لقد همز الناس ولمزوا ، وتقاطعوا وتنابذوا ، وعضوا على الدنايا بالنواجذ ، ونسوا العدو الرابض على كلاكلهم ، وتركوا أسباب الوحدة الى دواعى الفرقة ، وارتدوا عن طريق المجد الى دروب الهوان فاكشف اللهم عن قلوبهم وأبصارهم وخذ بأيديهم الى المعالى ، وألهمهم أن العمل الصالح أخلد من المال وأنفع ، وأن الذى يفـــنى عمره فى جمع المال لا يسأل عن مصدره حلالا كان أو حراما سيمضي الى عالم غير هذا العالم ، وسيبقى ماله هنا يبدده من لم يتعب بجمعه بينمـــا ينتظر الكانزون مكاوى مـــن نـــار تكوى بها جباههم وجنوبهم « هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

يا رب : أذقهم حلاوة البذل ولذة العطاء ومتعة الكرم كما جرعهم الشيطان غصة البخل وغلظة السحت .

وهذه المواكب من الشباب والشابات تقذف بها الحياة كل يوم فى هذا التيه الذى لا يرون فيــه معالم توحي الى الدرب ولا شموعا تبدد غياب الظلام ، الى متى يبقون سائرين فى هذا الظلام وهم عيالك خلقتهم ليعبدوك فاختلطت عليهم السبل فضاعوا فى التيه وراء سراب حتى اذا جاءوه لم يجدوه شيئا انك تراهم وقد وصلوا الى هذه النهاية المؤسفة يقلب كل منهم كفيه أسفا على الايام التى أهدرها فى سبيل طواغيت منوه بحياة أفضل فانحرفوا بقدمه عن الجادة وسلموه الى هذا اليأس القاتل واستحالت أحلامه عدما مريعـــا .

يا رب : ان فى كل نفس خلقتها نزوعا اليك لو أحسن توجيهها لأعطت عطاء خيرا فاصفح اللهم عن سقطاتهم ، ويسر لهم الرجال الذين يحسنون توجيههم ليعودوا الى الجادة التى أردتها لهـــم عبـــادا لك يسبحون بحمدك ، ويفنون فى سبيلك ، وأنت القائل « يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا » .

اخبار العالم الإسلامي

الكويت

* قضى صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبى أربعة أيام في زيارة الكويت بدعوة من أخيه صاحب السمو أمير البلاد .

* أجرى وفد الكويت برئاسة الشيخ عبد الله الجابر الصباح وزير التجارة والصناعة مباحثات هامة فى العراق لتوثيق الروابط الاقتصادية بين الكويت والعراق .

* وافق مجلس الوزراء على انشـاء كليتين جديدتين فى جامعة الكويت كلية الحقوق وكلية التجارة . وبذلك يصبح فى جامعة الكويت أربع كليات .

* تلقى معالى وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية كتاب شكر من رئيس جمعية النجاة الأهلية بالزبير – العراق على تبرع لجنة المعونات الاسلامية بمبلغ عشرة آلاف دينار للجمعية ..

* عقد فى مارس ١٩٦٧ مؤتمر منظمـة المدن العربية فى الكويت وقد اتخذت لجانه التوصيات والقرارات اللازمة لمعالجة مشاكل المدن العربية ..

* تلقت الجهات المختصة من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مذكرة تطلب فيها اعلامها بما تم تنفيذه من توصيات مؤتمر التعريب الذى عقد فى المغرب خلال ابريل ١٩٦١ لتنسيق التعريب فى الدول العربية .

* القى فضيلة الشيخ علي الخفيف محاضرتين موضوعهما (الاسلام عقيدة وشريعة) ، (المجتمع الاسلامي وروابطه) وذلك بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، ومن قبل ألقى الأستاذ يوسف العظم محاضرتين موضوعهما : (الاسلام عقيدة أمة ونظام حياة) ، (وأين محاضن الجيل المسلم) .

* بعثت جامعة الدول العربية مذكرة تتضمن قرار الجامعة فى دورته السادسة عشرة بشأن تعليم المكفوفين كما تطلب موافاتها بقبولهم فى الدراسات الثانوية والعالية .

* طلبت الجامعة العربية من الكويت تزويدها بالمطبوعات والافلام والاسطوانات الثقافية والدينية والاسلامية بناء على طلب مكتب الجامعة فى داكار – السنغال – .

* مر وفد السفراء المسلمين لجمع التبرعات لبناء مسجد ومركز اسلامي فى الولايات المتحدة الامريكية وقابل المسئولين لهذه المهمة .

* أفادت سفارة الكويت فى الهند أن رئيسة وزراء الهند قد أمرت بحذف الفقرات الماسة بالدين الاسلامي من كتاب الأبطال لتوماس كارليل اسـتجابة لطلب الحكومات والهيئات الاسلامية العالمية .

الجمهورية العربية المتحدة

* زار رئيس جمهورية موريتانيا مختار ولد داده القاهرة بدعوة من السيد الرئيس جمال عبد الناصر . وموريتانيا دولة اسلامية ١٠٠ ٪ .

* يجرى الآن اعداد تنظيم جديد لنشر الدعوة الاسلامية وتقويتها في الداخل والخارج وتزويد العالم الاسلامى باحتياجاته من العلماء والمدرسين لنشر الاسـلام واللغة العربية ..

* منحت جامعة الأزهر فضيلة الشيخ حسن خالد مفتى لبنان الدكتوراه الفخرية تقديرا لخدماته للمسلمين فى لبنان . فضيلته متخرج من كلية أصول الدين بالازهر .. كما منحت الدكتوراه الفخرية لرئيس جمهورية موريتانيا في حفل حضره الرئيس جمال عبد الناصر .

تلقت مشيخة الازهر اخطارا من رئيس الاوقاف الهندية أنه بدىء فعلا فى وقف العقارات والاراضي اللازمة لتمويل معهد دينى ومركز اسلامي يتولى التدريس فيه علماء أزهريون .

* صادرت مشيخة الأزهر ثلاث طبعات من مصحف محرف من خارج العربية المتحدة .

* فرغ الامام الأكبر شيخ الأزهر من دراسة تقرير لمجمع البحوث الاسلامية ، يتضمن قيام الأزهر بتصدير واهداء عدد كبير من المصاحف والكتب الاسلامية الى مختلف أنحاء العالم الاسلامي .

* طلبت مشيخة الأزهر مصادرة قصتين سينمائيتين ووافقت على (١٢) سيناريو وموضوع اسلامي .

المملكة العربية السعودية

* تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ ١٠.٠٠٠ جنيه استرليني لبناء مدارس اسلامية في توجو .

افتتح جلالة الملك فيصل الطريق الجديد (المسلفت) من الدمام الى مكة مارا بالرياض .

* اقترح السفير السعودى بنيجيريا اقامة مراكز اسلامية قدر المستطاع فى شرق أفريقيا وغربها ووسطها .

* زار الرياض معالي وزير الاشغال الكويتي ومعالي وزير المالية للمباحثات فى كل ما يهم الدولتين الشقيقتين .

بغداد : قام الرئيس العراقى عبد الرحمن محمد عارف بزيارة لايران استغرقت عدة أيام بحث أثناءها كل ما يهم البلدين .

* علم أن الرئيس اللبنانى شارل حلو سيزور العراق في أواخر ابريل القادل تلبية لدعوة من الرئيس عارف .

عمان : تجرى الاتصالات الآن لدمج لجنة شئون الحج الاردنية بدائرة القضاة .

* أصدرت الهيئة العلمية الاسلامية بيانا تذكر الأمة فيه بواجباتها الدينية وتدعوهم الى المواظبة على صلاة الجمعة .

بيروت : استقبل الشيخ حسن خالد مفتى لبنان عند عودته من القاهرة استقبالا رسميا وشعبيا ..

* اشترك فى أواخر مارس الماضي حوالي (٧٠) دولة فى المؤتمر الثالث للكتاب الآسيويين والافريقيين . الذى افتتحه دولة رئيس الوزراء .

*يبحث المسئولون زيادة عائدات مرور النفط مع شركة النفط العراقية على غرار سوريا .

الجزائر : قرر مجلس تضامن الشعوب الآسيوية والافريقية عقد مؤتمره الخامس فى مدينة الجزائر في وقت لاحق من هذا العام بدلا من بكين كما كان مقررا في الاصل .

صنعاء : تقرر انشاء جامعة سبأ وهى أول جامعة تقام فى تاريخ اليمن وستوزع كلياتها وهى الطب والهندسة والزراعة وكليات أخرى على مدن اليمن .

الفلبين : قامت مظاهرة عنيفة فى مطار مانيلا بمناسبة مرور أبا ايبان وزير خارجية (اسرائيل) مما اضطره للفرار من باب جانبى للمطار .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســـا مع متعهد التوزيع عنـــدهم ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ــ ٧ شارع الصحافــة

مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـــاض : مكتبة المدينة ــ ص.ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص.ب ٢٢

جــــــده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص.ب ٦٣٥

بغـــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المـــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـــدودة

دبـــى : ساحل عمان ــ ص.ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ــ السيد رجا العيســـى

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الســـودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنـــان . مكتبة كررى ص.ب : ٣٠٣

مراكـــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد أحمد عيسى

ليبـــيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

مطبعة حكومة الكويت

صَدرَ بالإنكليزيّة عن
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة في الكويت

ISLAM THE MISUNDERSTOOD RELIGION

- أوّل ترجمة أمينة إلى اللّغة الإنكليزيّة لكتاب شبهات حول الإسلام
- طبع باللّغة العربيّة ستّ طبعات في القاهرة، وثلاث طبعات في بيروت
- ترجم إلى أكثر من أربع لغات أجنبيّة بعد أن ذاع صيته في العالم كلّه ولقي إقبالاً عظيماً من قرّاء العربيّة في كل مكان ...
- ... لأنّه كتابٌ يغني عن كثيرٍ من الكتب والمؤلّفات ولا يغني عنه غيره ...
- كتابٌ لابدّ من قراءته لكلّ متطلّع إلى الحقيقة الناصعة والحجّة القاطعة ..
- وهو الكتابُ الذي لابدّ لكلّ مثقف عربيّ أو غير عربيّ، مسلم أو غير مسلم أن يقرأه ويحبّه ويكرّر قراءته مرّاتٍ. لأنّه واجدٌ فيه ضالّته المنشودة ...
- من قرأه بوعي وإنصافٍ وقف على طريق النّور والهداية ثم لا يضلّ أبداً بإذن الله ...

PUBLISHED BY MINISTRY OF AWQAF & ISLAMIC AFFAIRS
STATE OF KUWAIT

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

ملحق
مع هذا العدد
فهرس السنتين
الأولى والثانية

السنة الثالثة * العدد السادس والعشرون * غرة صفر ١٣٨٧ هـ - ١٠ مايو ١٩٦٧ م





السيد محمد على تشاغلا وزير خارجية الهند لدى وصوله الى مطار الكويت ويرى فى استقباله
سعادة الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية

صورة الغلاف



مسجد ثانوية الشويخ

من أكبر مساجد الكويت . أنشىء سنة ١٣٧٣ هـ ، ١٩٥٣ م بجانب مدرسة الشويخ الثانوية ويمتاز بجمال الموقع وروعة البناء وهو مزود بمكيفات الهواء ومزود بالسجاد الفاخر .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السادس والعشرون ـ السنة الثالثة

غرة صفر سنة ١٣٨٧ هـ
١٠ مايو (أيار) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

كلمة معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

في

عيد الهجرة النبوية

احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية كعادتها كل عام بذكرى رأس السنة الهجرية وذلك فى مسجد السوق الكبير مساء يوم الأثنين ٣٠ من ذى الحجة ١٣٨٦ هـ الموافق ١٠ ابريل ١٩٦٧ م ، وقد ألقيت عدة كلمات مناسبة فى هذا الحفل الديني الكبير كان فى مقدمتها هذه الكلمة التي ألقاها معالي عبد الله المشارى الروضـان وزير الأوقاف والشـئون الاسلامية : ـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد .

ان وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ليسعدها أن تحتفل بهذه الذكـرى الطيبة قياما بواجبها فى تذكير المسلمين بأمجادهم حتى يصلوا حاضرهم بماضيهم فان تاريخنا الاسلامي مزدحم بالمناسبات السعيدة والأيام الخالدة والأمجاد الكبرى ، وأجل هذه المناسبات قدرا وأبقاها على الزمن يوم هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، فليس يوما من أيام التاريخ فحسب ، ولكنه أبو التاريخ وأساس قاعدة انطلاقه ، ونقطة تحوله ، وأصل تقدمه وامتداده عبر القرون والأجيال .

والا فمن كان يصدق أن هذه الدعوة الجديدة التى حاول المشركون كتم أنفاسها فى مكة ، تملأ الدنيا نورا وعلما ، وهداية وفهما .

من كان يصدق أن حامل هذه الدعوة ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الذى ضيقوا عليه الخناق ، وأحكموا حوله الحصار ، وحاولوا أن يظهروه أمام القبائل الوافدة بصورة الرجل المنحرف المخرب . من كان يصدق أن هذا الرجل يستطيع أن يبطل كيدهم وينتصر عليهم ، ويصنع أكبر حضارة عرفها التاريخ ، وينشىء خير أمة أخرجت للناس .



لولا الهجـرة

من كان يصدق أن أصحاب رسول الله الذين تجرعوا العذاب وصبروا للمحنة بلا ذنب ولا خطيئة ، من كان يصدق أن هؤلاء الفقراء والمستضعفين يصبحون بعـد الهجرة سادة الدنيا ، وقادة العالم ، وحملة المشاعل ، وأساتذة البشر .

قوة الايمـان

لقد حاول المشركون فى مكة بشتى أنواع الطرق أن يطفئوا نور الله بأفواههم ((ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)) . حاولوا القضاء على هذا الدين وأهله مرة بالقطيعة ، وأخرى بالتآمر . فما لانت للمسلمين قناة ، ولا هانت لهم نفوس ، ولكنهم زادوا ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فاذا بجبار السموات والأرض يحميهم وينصرهم ويكون معهم ، واذا برسوله الأمين ينطلق بهم من أرض غير ذى زرع ، ومن بين الجبال الجرداء ، الى أرض ذات نخيل متجردين لله ، مجردين من الأهل والمال والولد ، مهاجرين فى سبيل الله لا من أجل دنيا ، ولا من أجل جاه، ولكن لله وفى سبيله ولا عزاز دينه ، وينصرون الله ورسوله .

ان الهجرة من بلد الى بلد ، ـ مهما كان سببها ـ أمر شاق وصعب ، وليست بالأمر الهين .

أما الهجرة فى سبيل الله دون أمل فى العودة ، ودون غرض مادى فهذا أمـر لا يقدر عليه الا الصادقون ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وختاما أسأل الله تعالى أن يرد المسلمين الى دينهم . وأن ينفعهم بذكريات رسولهم وأمجاد آبائهم . وأن يحفظ لبلادنا العزيزة نعمة الامن والحب والصفاء . فى ظل حضرة صاحب السمو أميرنا المعظم الشيخ صباح السالم الصباح وولى عهده والشعب الكويتى الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »»

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

أتدرى ماذا كنا ـ ولا زلنا ـ نفعل عندما تطل علينا ذكرى وعد بلفور الغادر فى الثانى من نوفمبر كل عام ؟

كنا نخطب ونسير المظاهرات ، وتخرج علينا الصحف بسيل من المقالات ، للتنديد بهذا الوعد ، وكيل السباب والشتائم لمن أعطوه .. ونفرغ فى ذلك طاقاتنا . وربما كنا نظن أننا قمنا بواجباتنا ! ! !

بينما كان غيرنا يعمل ليجعل من هذا الوعد حقيقة واقعة على أرضنا وفى قلبنا !. هل تذكر ذلك ؟

ان عملنا هذا قد أسلمنا الى واقع أشد فتكا وضراوة وأورثنا ذكرى أخرى أشد قسوة ومرارة ، فأصبحنا كلما هب علينا شهر مايو بذكرياته اللافحة نكرر الظاهرة نفسها التى كنا نصنعها مع ذكرى وعد بلفور .. بل ان هذه الذكرى وهذا الواقع قد أتاحا فرصة أكبر للمزايدات والادعاءات طول العام ، وفى كل المناسبات ، حين يحلو لبعض الناس أن ينتزعوا الاعجاب ، ويستدروا التصفيق على حساب المشردين والجياع والمنكوبين ! .. لقد ترددت طويلا فى أن أكتب اليك فى هذه الذكرى لا لشىء الا لأنى سئمت الكلام ، وسئمت كذلك الاستماع للمزايدات بعد هذه السنين التــي مرت على فجيعتنا ، أو بالأحرى على ((خيبتنا)) .. وكأن شيئا لم يكن ..

أرجع بذاكرتى الى أيام المخاض ((الأغبر)) لهذه الدولة اللقيطة .. يوم دفعتنى ثورة الشباب وحماسه وآماله الى أن أتطوع مع المجاهدين .. ثم لم يتم لي ما أردت لأن الجيوش السبعة قد تحملت عبء الانقاذ ! !

وأرجع بذاكرتى كذلك الى أيام كنت مع الكثيرين نحسن الظن بما يلقى من خطب ، وما يعْلَنُ من تصريحات ، وأنتظر ـ كما كان الكثيرون أيضا ينتظرون ـ أن هذه الخطب والتصريحات ستتحول سريعا الى الواقع الذى نأمله ونبتغيه ! !

ولا زلت أذكر يوما امتلأ فيه الجامع الأزهر من كل طبقات الشعب ، وعلى اختلاف مراكزهم وأديانهم ، وصعدت الى منبره أتحدث بقوة الشباب وآماله ثم أقدم المتحدثين .. اللواء صالح حرب ، وبعض الزعماء وكبار القساوسة ليتحدثوا عن الجهاد المقدس ، ويعبئوا النفوس للزحف .. وكأنى أرى الان ((صالح حرب)) يمسك بمسدسه وهو يخطب ، وأنا آخذ بيده لأرفعها أكثر ، حتى يراه هذا الحشد ، فيلتهب الحماس ، ولكن مع الاسف كان ينطفىء فى حمرة الاكف بالتصفيق ، ويتلاشى فى بحة الحناجر بالهتاف !!

صدقني اذا قلت انني أتذكر الآن هذا وأمثاله ، مما كان يجرى حينذاك ، وكنت أعتقد أنه جد لا هزل فيه ، أتذكره بعد ما مر من سنين وأحداث وكأنني أتذكر ملاعب صباى .. يوم كنت مع رفاقى نلهو بما يلهو به الصبيان .. ولكنها ذكرى مع الفارق . فانى أذكر ملاعب الصبا بالحنان والراحة النفسية .. أما هذه فأذكرها بكل مرارة وسخرية ! .

هكذا مرت أيام المخاض ، وولد الولد الشقى ، وشب ومضى عليه نحو عشرين عاما ، ولا زال المسرح هو المسرح .

سنون ولد فيهــا على أرضنا السليبة ونشــأ شبــاب لا يعرفــون الا أن هذه

الارض أرضهم ، وطنهم ، ملاعب صباهم .. مهد ذكرياتهم .. ليسوا فى حاجة الى من يقول لهم : الوطن الموعود لاثارتهم ، لأن الذى يعيشون فيه وطنهم .. لم يعد موعودا ، ولكنه حقيقة واقعة ارتبطت بحواسهم ، بأفكارهم بكل شيء فيهم ..

هذه السنون .. ولد فيها كذلك للمهاجرين واللاجئين جيل صار اليوم شبابا وشابات ، قد لا يذكر كثير منهم الا البلد التى نشأوا وعاشوا فيها .. وان ذكروا أرض آبائهم . بيتهم . مصنعهم . محل تجارتهم هناك فى الارض السليبة ، فكما يذكرون ما يمر عليهم من تاريخ مضى وانقضى ! !

قد يحن الواحد منهم اليه ، ولكن ليس كحنين الآباء الذين صنعوه ، وعاشـوا فيه ، وقاسوا مرارة الرحيل عنه ، والحرمان منه .

قد يتحمس له ، ولكن ليس كحماس الذى أصيب فيه بالرزء ، وبات الليالى مسهدا ينتظر الاخذ بالثأر ..

جيل عندنا هنا قد يتخيل وطنه القديم الذى يصفه له آباؤه وهم يسيرون نحو الفناء ! .

وجيل هناك يرتبط بأرضه ووطنه ! .

جيل هنا يعيش على الخيال .. وقد يضيع هذا الخيال فى استقرار الحياة التى ربما عثر عليها فى فجاج الأرض ، أو يعيش على الامل الذى طال الزمان به ، وقد ينقلب هذا الأمل الى يأس وسخط مدمر .

وجيل هناك يعيش على الواقع .. ويشتد يوما بعد يوم ارتباطه بواقعه ، بوطنه الذى شب فى أحضانه .

فالى متى نترك الزمان يفعل فعله فينا ، ويهيىء الفرص لعدونا ؟

كانت تجلس ولربما كانت سارحة فى بيتها هناك ، ذلك الذى قضت فيه شبابها ، أو نَشَّأَتْ فى رحابه بعض أولادها ، ثم تركته هاربة مذعورة .. وقطع عليها تفكيرها صوت ابنتها الكبيرة تقول : متى أعود مع طفلي الى بلدنا ؟

وأهاج فيها هذا القول كل شجونها ، ففاضت الدموع من عينيها .. وهى تقول بصوت مختنق : متى يا بنتى نعود .. ونرى بلدنا .. ويضمنا بيتنا الحبيب الذى غادرناه لنعود اليه بعد ساعات ، فاذا بها سنوات طوال ، وتنطلق فى البكاء ..

ونظرت اليها بنتها فى ذهول واستغراب وهى تقول لها بصوت متلجلج يبدو فيه عدم المبالاة : لا يا أمي أريد .. بلدنا .. فى .. الاردن .

ودقت الام صدرها ، وهى تكاد تتمزق من الغيظ وكأنما أفاقت من حلمها .. بلدنا .. فى .. الأردن ؟ ! نسيت ـ يا بنتى ـ بلدنا الأصلى ؟ ! يا للضـياع !! .. ليس فى الأردن بلدنا يا بنيتي .. انما بلدنا هناك .. يافا .. يافا الحبيبة . بلدنا .. ألا تعرفينها ؟ ! وتعود للبكاء وصوتها المختنق يردد بعض ذكرياتها .. ثم تسكت لتقول :

نعم .. فقد خرجنا منها فى الظلام وأنت طفلة أحملك وبعض الامتعة على كتفى ، لم تحسي آلام نكبتنا ، ولذلك لا يشغلك شيء مما يؤرق جفوننا ، وينغص علينا حياتنا ؟! يا رب رحماك .. وماذا يكون حال أطفالها اذا كبروا ؟ هل يمكن أن يتصوروا فجيعتنا ؟ ، أو يشغلهم أمر عودتنا ؟ .. كارثة .. والله كارثة .. تزداد كل يوم هولا ..

يجرى هذا وتفعل الأيام فعلها .. ونحن العرب ماذا أقول عنا ؟ .. وهل أنت فى حاجة لأن أحدثك عن واقعنا ؟ . وهل تجهله ؟

يكفينا بعد هذه السنين التى مرت بنا أن تعلن اسرائيل ـ كلما هاجمتنا واعتدت علينا ـ أنها أرادت أن تؤدبنا ! ! أى والله ، كما يفعل الكبير بالصغير ، والقوى بالضعيف ، والعزيز بالذليل ! ! فهل بعد ذلك من هوان ؟ ! .

ومع ذلك فنحن نحن .. واقعنا كما ترى . لا عظة ، ولا عبرة ، ولا نخوة ! ! .

وأهل النكبة الذين أصابتهم الجراح ؟ انهم يعيشون ـ كأن لم تصبهم جراح ـ مختلفين ، وأكثر بضاعتهم كلام ، ونهش فى فلان وفلان ..

الكثير منهم استمرأ الراحة حيث طابت له الحياة ، وضن حتى بالمال من أجل استرداد شرفه ، وغسل العار الذى لحق به ! ! .

ماذا قدموا من تضحيات بالأموال والأنفس للأخذ بثأرهم ـ ثأرهم هم أولا ـ قبل أن يدعوا غيرهم للأخذ به ؟ ! .

وماذا فعلت الكثرة منهم لهؤلاء البواسـل الشـجعان الذين باعوا أنفسـهم ، وأقتحموا على العدو داره ينسفون ويدمرون ويَقتُلون ويُقتَلون ؟ .

لا أريد أن أذكر بتاريخ اسلاف كرام لنا باعوا أنفسهم ، وضحوا بها ، وحطموا بقوة ايمانهم أقوى الدول التي عاصروها . فلربما كانت العظة من الماضى أقل تأثيرا على النفوس ..

ولكنى أقول : هؤلاء هم ثوار فيتنام ، يدوخون أقوى دولة فى العالم ، ويجعلونها تركع أمام شجاعتهم ، وبسالتهم ، وتلتمس الحلول بعد الحلول لتنجو من شر وطأتهم .. أليس هذا مثلا حيا أمامنا نقرأ عنه .. ونرى صوره .. أناس آمنوا بحقهم .. فكانت لهم وقفة للدفاع عنه .. وقفة فيها تضحية .. ليست كلاما ولا تجارة ولا مزايدة ..

فهل أنتم مؤمنون بحقكم ؟ .

وهل لكم عبرة من ماضيكم أو حاضركم ؟ .

ألستم رجالا وهم رجال ؟ .

ماذا أقول لكم وأنتم أصحاب الحق الاصيل الذين مستهم النار واكتووا بها ، وعاشوا يجترون الآلام ، ويتجرعون الغصص ؟

هل تظنون أن غيركم يحس ما تحسونه ؟ .

اذن فالى متى تنتظرون ؟ .

أليس الاستشهاد هناك على أرضكم خير لكم من الحياة التى تحيونها ؟ .

أليس تطاير رءوسكم هناك على أرضكم أشرف لكم من أن تعيشوا منكسي الرءوس ، تحملون عاركم معكم الى قبوركم ؟ .

فعلام الانتظار ؟ والى متى ؟ .

لا .. يا أصحاب الارض ، ويا أهل الثأر .. أرضكم .. ثأركم .. والجنة ..

فخوضوها بأنفسكم لأنفسكم ، واكتسحوا كل من يقف أمامكم ، ودعوا الدنيا كلها تتحدث عن بطولاتكم ، بدلا من أن تتحدث عن هوانكم ، وتشريدكم .

دعوا التاريخ يكتب عنكم بالخط العريض :

كانوا رجالا .. ولم يصبروا طويلا على الهوان .

والله معكم

عبد المنعم النمر

بين القول والعمل

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

روى مسلم فى صحيحه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى فى النار فتندلق (١) أقتاب بطنه ، (٢) فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون يافلان ، مالك . ألم تكن تامر بالمعروف (٣) وتنهى عن المنكر ؟ فيقول . بلى . قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه (٤) وأنهى عن المنكر وآتيه » . (٥)

الدار الآخرة أمر لا ريب فيه « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » . والدنيا تحمل فى حوادثها دلائل فنائها ، وبراهين زوالها . وقد أجمع العقلاء منذ القدم على أنه لا بد من حياة تتلو هذه الحياة ، فيها يجد المرء جزاء ما قدم من خير ، وما اكتسب من اثم . « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . وما أنكر ذلك الا من كانت أفكاره فجة ، ومعلوماته بدائية ، ما رقت فى سلم المعرفة الحقة درجة واحدة . والقرآن الكريم يهزأ من العقول المظلمة ويحكى لنا انكارهم للحقيقة الناصعة ، فيقول الله سبحانه على لسانهم «هيهات هيهات لما توعدون . ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين » .

والله سبحانه وتعالى هو الخبير بخلقه ، العالم بالجزئيات والتفصيلات ، اذا وصف العلة فقد أوفى على القصد ،

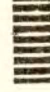
---

(١) اندلق الشيء . خرج من مكانه ، والسيل . اندفع ، والسيف . انسل بلاسل أو شق جفنه فخرج منه . والمراد هنا . أن أمعاءه تخرج بسرعة .

(٢) (الأقتاب) . الأمعاء واحدها قتب (بكسر القاف) ويطلق أيضا على ما استدار من البطن .

(٣) المعروف . كل ما أمر الشارع باتباعه ورغب فيه ،والمنكر . كل ما نهى الشارع عنه وحذر منه .

(٤) أى لا أفعله (٥) أى أفعله .



واذا دل على الدواء فهو العليم الحكيم . جعل ذلك الرب البصير ، الحياة التى نحياها على ظهر البسيطة مجازا ومسلكا الى الدار الباقية ، كما جعلها مزرعة ، ووكل الى كل صنف من الناس نوعا من المزروعات يقومون عليه ، ويعملون جاهدين على تنميته ، والمحافظة عليه وأخبر أن لكل عامل أجرا يقل ويجل حسب العمل وكفاءة العامل ، واختار قوما يتولون مراقبة التنفيذ لاوامره ، ومعهم موازين دقيقة يعرفون بها المجيد ذا الهمة الوثابة ، من المهمل المتكاسل المتوانى ، وأمرهم بتوجيه الزراع على اختلافهم ، كما أمرهم بمراقبتهم .

هؤلاء الهداة هم الرسل والانبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، وأتباع الرسل والأنبياء . فالاولون يؤدون مهمة التأسيس ، مهمة البناة القادة ، وأتباعهم المتلاحقون يتولون حراسة الفكرة ، ويتعهدونها حتى تنمو وتزدهر ، وتؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، فلو أن وارثى مجد الاسلام حافظوا على ما ورثوا ، وحفظوا وصايا قائدهم الاول صلى الله عليه وسلم ، ونشروا راية الهداية خفاقة عالية على ربوع الكون وفى جميع أصقاعه لسموا وعزوا ، وأراحوا العالم من حروبه المتلاحقة ، وبغضائه المستمرة ، ولأناروا دياجيره ، وأضاءوا حنادسه .

وكأنى بالرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه كان يعرف ما سيصير اليه أمر المسلمين بعد أن يفتح الله عليهم الدنيا ، وبعد أن تفرغ لهم الارض كنوزها ، من اهمال وتقصير فى أمر الدعوة ، واخماد الشعلة المضيئة فى أيديهم ، كأنه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذلك ، فحذر عاقبته وأنذر خلفاءه على خلق الله بالعذاب الشديد والعقاب الاليم ان اهملوا أو توانوا ، وأوصى بمطابقة العمل للقول ، وموافقة فعل الناصح لنصحه ، ووضع أسس ذلك فى سيرته بين أصحابه المعاصرين له . فقد كان يقول لهم دائما . « اعملوا كما ترونى أعمل » . وأخذ عنه ذلك صحابته ، فكانوا يحاسبون أمراءهم اذا رأوا منهم حيدة فى عملهم عن قولهم ولو ظاهرا ، حتى ان رجلا فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال له . لا نسمع لك . وقد وقف يخطبهم ، فقال عمر . لماذا لا تسمع ؟ فأجاب الرجل . لانك ميزت نفسك عنا ولبست قميصين، وقد أعطيت كل واحد منا قميصا واحدا مما أفاء الله عليك من الخراج فقال عمر رضوان الله عليه . قم يا عبد الله بن عمر ، فقام فسأله . لمن هذا القميص الذى أرتدى ؟ فأجابه عبد الله . هو لى يا أمير المؤمنين ، وقد سمحت لك بارتدائه لخروق أصابت قميصك . فقال عمر لصاحبه . أسمعت مقالة عبد الله ؟ قال نعم . الان قل نسمع لك .

وفى احتكام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، واليهودى الى القاضى شريح ، مثل أعلى لنزاهة الحاكم وقوة ايمانه بقوانين العدالة ، وشدة يقينه بمراقبة أحكم الحاكمين ، فهو لا يخشى الا الله ، ويخشى أن يقال له اذا جار . أين أنت يا شريح من قول الله تبارك وتعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .

مضى هؤلاء وخلف من بعدهم خلق انفصل سلوكهم عن علمهم ، وعملهم عن فعلهم فهم كالمريض بعلة خاصة يصف دواءها لمريض آخر بها ، ولا يداوى نفسه منها ، فغيره سينجو ، وهو سيهلك لا محالة ، هذا ان صدق الاخر قوله ، أما لو كذبه بشاهد من عمله فقد قضى على نفسه ، وعلى غيره ، فهو

جان جنايتين ، ومرتكب اثمين، ولا عجب أن يجىء يوم القيامة عالم لم يعمل بعلمه ويطرح فى النار ، وتفعل به الافاعيل ،ولا عجب أن يتساءل أهل النار ويسألونه عن سوء منقلبه وقبح مصيره ، وهو الداعى الى الخير فى الدنيا والحاث على الفضيلة فى الدار العاجلة ، واذا عرف أهل النار علة قدومه اليهم ووفوده عليهم ، ومشاركته لهم فى جحيمهم — وهو اهماله العمل بما علم — حينئذ يزول عجبهم ، وينقطع تساؤلهم ، وينقضي استنكارهم لمآله وسوء منقلبه .

هذا ، ونظرة فيما نحن فيه الان من احن ومحن ، وبلاء وعذاب ، وتقهقر وتدهور ، مع كثرة المرشدين الى طريق الاصلاح ، ووفرة الداعين الى الرشاد — ترينا صدق ما كان يخافه الرسول العظيم على أمته من ترك العمل والاكتفاء بالقول ...

فما نراه ونشاهده من تأخر فى أحوال المسلمين خاصة والشرق عامة ، ناشىء من أنهم منوا بقوم يقولون ما لا يفعلون ، يرشدون الىالنافع ويتجنبونه، ويهدون الى الصالح ويتركونه كثر علمهم . وخبث عملهم .

وهذا — لا شك — يربى الابناء أبناء الامة الاسلامية على روح الاستهتار بما يسمعون ، ويجعلهم كلما رأوا ناصحا أو سمعوا وعدا ولم يجدوا تنفيذا قالوا. تلك شنشنة نعرفها من أخزم . ورددوا قول القائل .

وغير ذى تقي يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوى والطبيب مريض

وقالوا مع أبى العتاهية .

وصفت التقى كأنك ذو تقى
وريح الخطايا من ثيابك تسطع

وقد قلنا ان السابقين كانوا يحافظون على أن تكون أفعالهم طبق أقوالهم ، ويرون فى مخالفة ذلك الفساد الظاهر ، والخطر الداهم على كيان الامة ، خلقيا واجتماعيا وعمرانيا ، .

فأما خلقيا فبانتشار الكذب بين الناس ، وتعودهم على النفاق ومخالفة ما يفعلون لما يقولون ، وهذا يودى بالمجتمع العام ، حيث لا يثق شخص بآخر ، بل ويستريب فى كل حديثه ، ولا يصدق مقاله أبدا ، وبذلك تتعطل مصالح العباد ، ويعم الفساد .

من أجل ذلك شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم النكير غاية التشديد على الذين تخالف أفعالهم أقوالهم ، وأوعدهم بعذاب الله لهم فى الدار الاخرة ، فقال عليه افضل الصلاة وأزكى السلام « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » . وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ليلة أسرى بى مررت على ناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت . يا جبريل من هؤلاء ؟ . قال . هؤلاء الخطباء من أهل الدنيا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » .

فاللهم اجعلنا ممن اذا قالوا فعلوا ، واذا علموا عملوا ، واذا سمعوا القول اتبعوا أحسنه ، وألق اللهم الهداية فى قلوب ولاة الامة الاسلامية ، وحب العمل لما يرفع عن المسلمين اصرهم ، ويزيل احنهم وبلاءهم ، ويوائم بين مختلف طبقاتهم وهيآتهم ، فقد قلت وقولك الحق « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

٢ لماذا اختلف الأئمة

هل عمل صلى الله عليه وسلم كل هذه الأمور التي اختلف

ولماذا يكون الشئ فرضاً عند إمام مكروهاً مثلاً عند إمام آ

وما الحكم فيما لو قلد إماماً في نقطة وقلد غ

وهل يمكن تقليد غير الأربعة أو الاعتماد على الكتاب والس

سبق أن بينا فى مقال شهر شوال أن الخلاف الذى وقع بين علماء المسلمين نوعان : خلاف محرم قطعا باتفاق الجميع ، وخلاف غير ذلك . وبينا ما هو الخلاف المحرم ، وذكرنا أدلة تحريمه من الكتاب والسنة . ثم ذكرنا فى المقال السابق أيضا أنواع الخلاف الثانى ، وأن من أسبابه ما تقتضيه طبيعة البشر ، كما يحصل فى القوانين الوضعية ، ما دام لفظ الدليل غير قطعى الدلالة ، وأن منه ما حصل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما سمعه أقر بعضه دون بعض ، الى غير ذلك كما تقدم . وقلنا ان هناك اختلافا حصل بين العلماء بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وهو كثير جدا .

والآن ، نقول ان هذا الخلاف نوعان : اختلاف حصل فى العقائد ، وهذا أشدها خطرا ، كما حصل بين أهل السنة والشيعة ، وغيرهما ، وليس المجال هنا محلا للخوض فيه ، نسأل الله سبحانه أن يقى المسلمين شر هذا الخلاف ، وأن يجمع بينهم على كلمة سواء ، حتى يغلقوا أبواب تلك الفرقة التي مزقتهم ، وجعلتهم طعمة سائغة لأعدائهم ، ينفذون من خلالها ، ليقطعوا ما بينهم من وشائج .

وما الحكم فى تقليدهم ؟

للشيخ عبد الجليل عيسى
عميد كليتى اصول الدين واللغة العربية سابقا
جامعة الازهر

فيها الفقهاء ؟

في أمور العبادات ؟

في غيرها ؟

دون التقيد بمذهب الآن ؟

والذى يهمنا الآن لأنه موضع السؤال هو هذا الخلاف الواسع الذى حصل بين أئمة الفقه من علماء المسلمين بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، وأنه اذا سلك فيه مسلك سلفنا الصالح من علماء الصدر الأول فانه ان لم يكن رحمة كما قيل ، فانه لا يتسبب فى ايغار الصدور كما هو حاصل الآن من قصار النظر .

ونظرا لأن الاجابة عن هذا السؤال قد تطول لاختلاف أسبابها ، وتشعب أدلتها ، وكل هذا يعوق تلهف المستفتى للاجابة على السؤالين : الثالث والرابع ليخرج من حيرته ، رأينا أنه يحسن الاجابة اجمالا على هذين السؤالين قبل كل شىء ، ليطمئن المسلم فى عبادته لربه أنها على وجه يعتقد أنه صحيح ، ثم نتفرغ بعد ذلك للاجابة على أسباب هذا الخلاف الواسع وبواعثه ، فنقول :

الجواب عن السؤال الثالث أنه يجوز للمسلم غير المجتهد المطلق أن يقلد اماما فى مسألة ، ويقلد غيره فى غيرها على ما سيأتى بيانه بأدلته .

وعن السؤال الرابع أنه يجوز على ما اختاره محققو العلماء أن يقلد المسلم غير الأئمة الأربعة كما سيأتى بيانه أيضا .

وأما الاعتماد على الكتاب والسنة فانه لا يجوز الا للعالم باللغة وقواعد الاجتهاد ، وهذا طبعا فى غير الأحكام التي جاءت فيهما بصريح النص ، لا تحتمل تأويلا ، كحرمة قتل النفس بغير حق ، وكحرمة الزنا والكذب والغيبة ... الخ مما سيأتى بيانه أيضا ، فان هذا النوع من الأحكام يجوز للمسلم أن يأخذه من الكتاب والسنة مباشرة ، كما كان الحال فى الصدر الأول ، حيث كان يدخل الرجل الأمى الاسلام ، فيفهم من القرآن والسنة ما جاء نصا ، ولا يحتاج الى غيره ، وانما



يحتاج الى غيره فى الأمور التي أدلتهــا محتملة لأوجه متعددة ، فانه كان يرجع فيها الى أولى الأمر الذين رزقهم اللــه الفقه فى الدين ، حتى علموا من القرآن والســنة دقائق اشــاراتهما ، وأسرار أحكامهما ، فأصبحت عندهم القدرة على ارجاع مطلقهما الى مقيدهما ، وعامهما الى ما يخصصه ، الى غير ذلك مما هو معروف فى كتب أصول الفقه .

ولنبدأ الآن فى بيــان هذا الخــلاف الواسع الذى حصل بعد الصدر الأول من السلف الصالح فنقول : هذا الخلاف نشأ من ثلاثة عوامل : ــ

العامل الأول : (ومــا كان ينبغى أن يحصل) ما كان منشؤه اهمال محاربة ما دخل على الدين من مبتدعات ليست منه فى شىء ، فصــارت كل بدعة تتركز وتثبت ثم تتلوها أخرى ، وهكذا تتابعت البدع ، وكثرت حتى أثرت على صــفاء تعاليم الاســلام الصحيحة ، كما تؤثر الحشائش الضارة اذا اهمــل اقتلاعها على الزرع المقصود سلامته لصــاحبه ، فتتلفــه ، وتفقده آثاره المرجــوة منه . حصــل كل هذا الاهمال رغــم تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من مغبة عواقبه ، كما سيأتى بيانه بأوضــح من ذلك .

والعامل الثانى : (وما كان ينبغى أن يحصل أيضا) وهو التشدد والتزمت فى الدين مما أخرجه عن طبيعته الســمحة غافلين عن شدة تحذيره صلى الله عليه وسلم من التشدد فى الدين ، وعن الظرف الذى قال فيه صلى الله عليه وســلم الحديث ، الذى اعتمدوا عليه فى أخذهم الأحكام .

والعامل الثالث : أسباب كثيرة سنبين منها جملة صالحة فيما بعد .

ونقف قليــلا عند **العامل الثانى** وهو التشدد والتزمت وعدم اليقظة لتحذيره صلوات الله عليه من التشدد فى الدين ، فنبين كيف أن الاسلام سمح سهل وأن القــرآن والحديث جاءا بالتيســير على الناس فالله سبحانه يقول (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) آية (١٨٥) من سورة البقرة ، ويقول (لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملتــه على الذين من قبلنا ، ربنــا **ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** آية (٢٨٦) من سورة البقرة ، ويقول (ما جعل عليكم فى الدين من حــرج) الآيــة (٧٨) من سورة الحج .

وقال صلى الله عليه وسلم فى ذلك « بعثت بالحنيفية السمحة » ، وجاء فى البخارى فى باب قول النبي صلى اللــه عليه وسلم (يسروا ولا تعسروا) (وكان يحب التخفيف واليسر على الناس) عن أبى موسى الأشعرى قال : لما بعثني النبى صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذ بن جبل الى اليمن قال : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا » ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ان أعرابيا بال فى المسجد ، فثار عليه الناس ليضربوه ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم « دعوه وصبوا على بوله دلوا من ماء ، فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » واذا نظرنا الى ما فعله النبى صلى الله عليــه وســلم مع هذا الاعرابى الغريب عن آداب الاسلام ، نرى انه فضلا عما فيه من الرفق برجل لا زالت تغلب عليه البداوة ، فانه أيضا احفــظ للمســجد من أن تنتشر فيــه النجاسة لو أزعجوه وهو لا يزال يبول .

وروى البخــارى أيضــا فى (باب الاســتعانة فى الصــلاة) عن ابى بــرزة الأسلمى رضى الله عنه انه صلى يوما وكان

مع أصحابه فى غزوة ، وكان لجام فرسه فى يده ، فجعلت الفرس تجذبه الى الأمام، وجعل هو يتبعها ، فلما فرغ من صلاته سألوه عن عمله هذا فقال : انى غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، **وشهدت تيسيره ،** وانى ان كنت أن أرجع مع دابتى أحب الى من أن أتركها ترجع الى مكانها الذى ألفته ، فيشق علي رجوعى بدونها .

ومعنى قول أبى بـرزة . « وانى ان كنت أن أرجـع ... الـخ » أى وان رجوعى الى منزلى مع دابتى أحب الي من أن أتركها ترجـع وحدها ، وأرجـع أنا بدونها فيشق علي ذلك . قال الحافظ ابن حجر فى شرحه لهذا الحديث ان أبا برزة كان وهو يصلى ممسكا بزمام فرسه فنازعته متجهة الى جهة القبلة ببطء ، فكان يلاحقها ، فمشيه معها لم يكن كثيرا ، بل عمل يسير ليس فيه استدبار للقبلة ، فلا يضر .

ويوضح هذا أن الحسن بن علي رضى الله عنهما سئل عن رجل يصلى ودابته بجواره ، فرآها بدأت تتحرك ، فخاف أن تذهب ، فقال الحسـن : يتوجـه اليها ليحفظها ، فقيل له : أفيتم صـلاته ولا يعيد ما مضى ؟ فقال : اذا ولى ظهـره للقبلة استأنف صلاة جديدة ، أى واذا لم يستدبر القبلة فانه يتم صـلاته على ما مضى منها . قال قتادة : اذا كان رجل يصلى ، ورأى رجلا يأخذ ثوبه ، فانه يترك الصلاة ، ويتبع السارق .

يريد قتادة أنه يقطع الصلاة ويستأنفها ابتداء ، اذا لم يستطع استرجاع حاجته ، وهو متجه الى القبلة كقول الحسـن السـابق .

فماذا كانت نتيجة الغفلـة عن هذا الهدى النبوى ؟ .

لقد كانت النتيجـة أن بعض العلماء ذهب بعيدا عن هذه الروح فأفتى بأقوال فى الشريعة تنفر الناس عن دينهم فضلا عن أنها تبعد عن اطار الهدى السـمح الذى أرشد اليه القرآن الكريم والحديث الشريف والمقام قد لا يتسع هنا لضرب الامثلة .. ولكن يمكن أن نأخذ هـذه الحادثة مثالا يبين عاقبة التشدد .

اذا أرسل الامـام عالما الى بلد تريد الدخول فى الاسلام ، وكان شعبها متأصلة فيـه عـادات تحمله على تنـاول بعض المحرمات ، كادمانه الخمر ، أو الاتجار فيها ، فانه اذا كلفهم بشرائع الاسلام كلها دفعة واحدة باسم الغيرة على الاسـلام فقد يكون فى ذلك تنفير لهم ، وصد عن هذا الدين الذى فيه انقاذهم من جميع الشرور ، فمن يفعل ذلك الفعل الأخير يكن غير بصير بسياسة الاسلام فى الدعوة اليـه .

ترى مثلا من هذه السياسة عندما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بمعاذ الى اليمن، ففى البخارى . عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسـلم بعث معاذا الى اليمن وقال له : ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك ، وفى رواية ان أقروا بوجوبها وفعلوها ، وفى رواية **فاذا صلوا** فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من اغنيائهـم وتـرد على فقرائهم ، فاذا فعلوا فأعلمهم أن اللـه فرض عليهم صوم رمضان .

ومن ذلك ما رواه البخارى أن أعرابيا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : دلنى على عمل اذا عملته دخلت الجنة ، قال : تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان . قال : والذى نفسي بيده لا ازيد على هذا ، فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا . اى أن داوم على ما أمرته . قال الحافظ ابن حجر : ولم يذكر الحج مع أنه ركن



لأن الرجل كان حاجا . قال الحافظ : ولم يذكر صلى الله عليه وسلم صلاة التطوع مع أن تركها نقص فى الدين لأن هذا الرجل وأمثاله **كانوا حديثى عهد بالاسلام ، فاكتفى منهم بفعل ما وجب عليهم فى هذه الحالة لئلا يثقل عليهم فيملوا ،** فاذا انشرحت صدورهم للحرص على ثواب المندوبات ، سهلت عليهم ، ورغبوا فيها .

ومما هو على طرفى نقيض من هذا ما فعله بعض المتزمتين عندما سأله رجل من رجال الشرطة فى أول يوم من رمضان عن الصلاة المطلوبة منه فى اليوم والليلة مع العلم بأن عمله يستغرق منه وقتا طويلا يقضيه وهو خارج بيته ، فكان جوابه : المطلوب منك أن تصلى قبل الصبح ركعتين ، وتجلس فى مجلسك تذكر الله حتى ترتفع الشمس قدر رمح ، ثم تصلى صلاة الضحى ، ست ركعات ، ثم تصلى قبل الظهر أربع ركعات ، ثم تصلى الظهر أربعا ، وتصلى بعدها أربعا ، ثم تصلى قبل العصر أربعا ، ثم تصلى العصر أربعا ، وبعد صلاة المغرب عشرين ركعة ، ثم تصلى قبل صلاة العشاء أربع ركعات ، ثم تصلى بعدها احدى عشرة ركعة (١) فلما يئس الرجل من ذلك كاد ان يترك العبادة ولكنه لجأ الى عالم آخر يسأله فقال له انما فرض عليك ربك خمس صلوات اذا أديتهن على وجههن أجزأتك وهى ركعتا الصبح ، وأربع ركعات فى كل من الظهر ، والعصر ، والعشاء ، وثلاث ركعات فى المغرب .

وفى النهاية نسوق لك مثالا على ما ينبغى ان يراعيه العالم من الظرف الذى قيل فيه الحديث . روى البخارى فى كتاب الصلاة (باب لا يبزق الرجل عن يمينه وهو فى الصلاة) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى نخامة فى القبلة ، فشق ذلك عليه حتى رئى فى وجهه ، وفى رواية النسائي فغضب حتى أحمر وجهه ، وفى رواية أخرى للبخارى (فى كتاب الأدب) فتغيظ على أهل المسجد فقام صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة فحك البصاق بحصاة وقال : **« أيها الناس ان أحدكم اذا قام فى صلاته فانه انما يناجى ربه ، فلا يبزقن أحدكم جهة قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدمه ،** ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض وقال أو يفعل هكذا » . وسبب قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا أنهم ما كانوا يحملون (المناديل) ، وكانت أرض المسجد متربة ، أما الآن بعد أن أصبحت المساجد مفروشة فهل يمكن أن نأخذ بلفظ الحديث ونبيح البصق فى المسجد تحت الاقدام الشمال . أم نقول بوجوب استعمال « المناديل » أو أى شيء نخرجه من جيوبنا حال الصلاة ، اذا اضطر المصلى لشيء من ذلك ، أو يستعمل طرف ثوبه ، ولا يضره ذلك شيئا فى صلاته ، ولهذا البحث بعينه بقية نذكرها عند مناسبتها فى محاربة المتزمتين الذين أوقعوا كثيرا من المسلمين فى الحرج وهم يقرأون قوله تعالى (ما جعل عليكم فى الدين من حرج) .

« للبحث بقية »

---

(١) مفترا بقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) آية ٥٦ من سورة الذاريات ، وغفل عن قوله تعالى (فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) سورة الجمعة .

موسوعة الفقه الإسلامي

فكرتها . الغاية منها . كيف يمضي العمل فيها

((أخذت فكرة وضع موسوعة للفقه الاسلامى تشغل منذ سنين بال المهتمين بدراسة الشريعة والقانون ، وكل من له غيرة على هذا التراث الضخم ، ورغبة صادقة فى الاستفادة منه بسهولة ، ولا أدل على هذا من تعدد العاملين لاخراج هذه الفكرة الى حيز العمل فى سوريا ثم فى مصر ، وأخيرا فى الكـويت ، حيث احتضنت وزارة الاوقاف هذا المشروع . وبدأت أولى الخطوات فيه باستقدام الاستاذ الكبير مصطفى الزرقا خبيرا لهذه الموسوعة ، لينظم ـ بما له من خبرة ودراية سابقة ـ العمل فى هذا المشروع العظيم ..

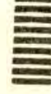
واذا كان لنا من أمل يحدو هذا المشروع الجديد بالعناية حقا فهو أن تتوحد الجهود وتتجمع الامكانيات فى كل أقطار العالم الاسلامى فى سبيل اتمامه ، ويد الله مع الجماعـة .

ونترك الاستاذ مصطفى الزرقا خبير الموسوعة يعطى القارىء صـورة عـن هذا المشروع : أصل فكرته وغايته وطريقة العمل فيه)) .

((الوعي الاسلامي))

منشأ فكرة الموسوعة

لما عقـد مؤتمـر ((أسـبوع الفقـه الاسلامى)) فى باريس فى بهو كلية الحقوق من جامعة السوربون أول شهر تمـوز ١٩٥١م ، بدعوة من لجنـة الحقـوق الشرقية فى المجمـع الـدولي للقانـون المقارن ، وظهر ـ من المحاضرات التـى ألقيت فى موضوعات شتى من مختلف شعب الحقـوق والقـانون فى الفقـه الاسلامى ـ ما فى هذا الفقه الأصيل المؤثل من ثروة حقوقية ونظـريات قانونيـة خالدة القيمة ، اتخذ المؤتمـر قـراره التاريخى الذى من جملة ما جاء فيـه ما ترجمته الحرفية كما يلي : ـ



أ ـ ان مبادىء الفقه الاسلامى لهـا قيمة « حقوقية تشريعية » لا يمارى فيهـا .

ب ـ وان اختلاف المذاهب الفقهية فى هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوى على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، وان الاصول الحقوقية هى مناط الاعجاب ، وبها يستطيـع الفقـه الاسـلامى ان يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها .

ويأمل المؤتمرون فى أسبوع الفقـــه الاسلامى أن تؤلف لجنة لوضع معجـم للفقه الاسلامى يسهل الرجـوع الـى مؤلفات هذا الفقه . فيكون موسوعـة فقهية تعرض فيها المعلومات الحقوقيـة الاسلامية وفقا للاساليب الحديثة (١) . فهذا الامل الذى دعا الى تحقيقه مؤتمر « أسبوع الفقـه الاسـلامى » الاول فى باريس كان هو النواة الاولى لفكـــرة « موسوعـة الفقه الاسـلامى » التـى أنشئت لها لاول مرة لجنة خاصة فـى كلية الشريعة بجامعـة دمشـق سنة ١٩٥٥ .

غاية الموسـوعـة :

ان دراسة الحقوق وعلم القانون اليوم تتجه الى المقارنة بين الشرائع والنظـم ليستفيد الاتجاه التشريعي والاجتهـاد القضائي من أحسن النظريات الحقوقية وأقربها الى العدل .

ولا شك ان الفقه الاسلامى الذى هو أغنى فقه عرفه التاريخ البشرى فى أمة من الامم هو أولى بالاطلاع عليه والمقارنة به ، ولا سيما فى البيئات العربية التـى تربطها به وشيجة النسب ، لانه تراثها الاصيل المجيد ، العربى الاصول والمنابع، فضلا عن غناه الواسع ، وذلك لكي يمكن اتخـاذه أساسا للتشـريع والاجتهـاد القضائي فى البلاد العربية والاسلامية .

ولكن باختلاف الزمن وتطور الاساليب والحاجات الثقافية أصبح فقهنا هـذا وما فيه من جوهر نفيس ، ونظـريات حقوقية محكمـة ، ومبـادىء قانونيـة سامية ذات قيمة خالدة ، كل ذلك فيه أصبح محجوبا عـن أنظـار الحقوقيين والمشرعين بغلاف من أسلوبه وترتيبـه القديم ، وعباراته المعقدة فى كثير مـن كتبه ، وبمراجعه الصعبة المسالك على غير المختصين ، ولكن تطـور الحيـاة وحاجاتها وتشعب الثقافة العامة جعلت الزمن أضيق من أن يسمح للباحث ببذل الجزء الكبير منه فى المراجعة ، وهذا ما يوجب على أبناء العربية اليوم تعبيـد الطريق الى هذا الفقه العالمي الضخـم الذى أقام نظام العدل فى مشارق الارض ومغاربها نحو أربعة عشر قرنا ، وواجه ألوان الحضارات ، وحل جميع مشكلات الحياة بأحسن الحلول ، وأعدل الاحكام ، وأمرن القواعد فى معالجـة مشكـلات اختلاف الزمـان والمكـان والاعـراف والحاجـات ، بمذاهبـه الاجتهـاديـة المتعـددة .

فغاية الموسوعة صياغة الفقه الاسلامى كما هو فى مراجعه الاصلية بأسـلوب

---

(١) انظر المجلة الدولية للحقوق المقارنة ـ العدد ٤ من السنة (٣) الصادر فى تشرين الاول سنة ١٩٥١م.

سهل ، وتبسيط العبارات المعقدة التى تصادف فيه ، دون ان يدخل الكتاب شيئا من اجتهاداتهم الشخصية ، مع الاشارة الى اختلاف المذاهب والاجتهادات فى كل موطن يكون فيه ذلك هاما ومفيدا ، ثم ترتيب هذه الاحكام الفقهية الشرعية فى الموسوعة ترتيبا أبجديا على حروف المعجم بحسب الحرف الاول ، وما يليه من الكلمة العنوانية الدالة على الموضوع الفقهي .

فأحكام التقادم مثلا تذكر تحت كلمة (تقادم) التى تأتى فى حرف التاء المثناة مع القاف ، وأحكام عدة المراة المطلقة أو المتوفى عنها زوجها تذكر تحت كلمة (عدة) التى تأتى فى حرف العين المهملة مع الدال وما يليها .

والاحكام المتعلقة بالاجير العام والاجير الخاص مثلا تذكر تحت كلمة (أجير) التى تأتى فى حرف الهمزة مع الجيم وما يليهما .. وهكذا فى كل موضوع فقهي .. فكل باحث ولو غير فقيه مختص يستطيع أن يراجع فى الموسوعة عن حكم الشريعة وآراء الفقهاء فى كل موضوع بالنظر الى ترتيب حروف كلمته ، كما يراجع عن أى كلمة شاء فى قاموس لغوى ، لكنه فى القاموس يراجع عن الكلمة ليرى معناها فى اللغة ، أما فى الموسوعة الفقهية فيراجع عنها ليرى ما تحتها من أحكام الشريعة وفقهها فى الموضوع ، واختلاف المذاهب والآراء الفقهية فى ذلك ، مع الاحالة على مواطن البحث فى مراجعه الفقهية الاصلية من كتب المذاهب بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة واسم المطبعة وتاريخ الطبع ليرجع اليها من يشاء .

وهذه الموسوعة يقدر لها لتكون وافية كافية ان تبلغ ثلاثين مجلدا فأكثر ، ولا سيما أنها ستشتمل على جميع أقسام الفقه من عبادات ومعاملات وجنايات وعقوبات وقضاء وبينات وسياسة شرعية وأحكام الاسرة المعروفة اليوم باسم « الاحوال الشخصية » من النكاح الى الميراث ومابينهما .

من هذا التعريف الموجز يتضح ما لفكرة الموسوعة الفقهية من شأن عظيم وما سيكون لتنفيذها من أثر عالمي فى عالم التشريع والقانون يجعلها من الاعمال المخلدة .

وان دولة الكويت التى تبنى اليوم نهضتها بجد وسرعة ونشاط هي الجديرة بأن تجعل من هذا المشروع العلمى الجليل عنوانا مشرقا ومشرفا لنهضتها المباركة .

لذلك رأت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ان تتبنى هذا المشروع ، وتجند له الكفاءات ، وهى تأمل بفضل معونة فقهاء العالم الاسلامى الذين سيطلب اليهم ان يكتبوا فيما سيوزع عليهم من بحوث الموسوعة ، وبفضل ادراكهم لهذا الواجب الاسلامى العام ، أن تبرز هذه الموسوعة كاملة فى أقصر زمن ممكن بالنسبة الى طبيعة هذا المشروع العظيم .

● قال رجل لبعض الحكماء عظني .

قال : لا يراك الله بحيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

الإسلام
ورسوله
وتعاليمه
بلغة
العصر

لماذا الإسلام؟

للاستاذ احمد حسين المحامى

٩

كيف يصور العهد القديم ، أخلاق زعماء اليهود وأنبيائهم ؟

* * *

معروف ومشهور أن عناصر أى عقيدة من العقائد تستمد من حياة قادة هذه العقيدة ، وحملة أماناتها ، ولا نحسب أن فى الدنيا كتابا يتعبد به قد امتلأ بمثل هذه الصور من السلوك والتصرفات التى تنسب الى قادة بني اسرائيل وأنبيائهم، ولسنا نريد أن نبادر بوصف هذه التصرفات ، لنترك للقارىء الكريم أن يصدر حكمه بنفسه .

ولكنا من ناحية أخرى ننبه القارىء المسلم الذى اعتاد ألا يذكر أسماء لوط واسحق ويعقوب وموسى وهارون وداود وسليمان الا بكل تبجيل وتكريم ، أن يهيىء نفسه لقراءة ما سوف يجرح شعوره ويؤذى نفسه ، وهو يطالع هذه المنكرات المنسوبة الى أنبياء الله ، ألا يجعل صورتهم الكريمة تهتز فى نفسه ، فقد براهم القرآن الكريم من كل هذا اللغو والافتراء ، ونزههم عن أن يكونوا بهذا الذى يزعمه اليهود ، ولا مناص لنا — فى معرض المقارنة بين سمو تعاليم الاسلام وعلوه على اليهودية كما يتعبد بها — أن ننقل هذه العبارات من كتب القوم ، ليكون الطريق واضحا أمام الشباب والقراء والباحثين ، متبعين فى ذلك أسلوب القرآن نفسه ، والذى طالما سجل افك المشركين والمعارضين وبهتانهم ثم رد عليهم وأفحمهم .

لوط وبنتاه :

« وصعد لوط من صوغر وأقام فى الجبل هو وابنتاه معه ، اذ خاف أن يقيم فى صوغر فأقام فى المغارة هو وابنتاه — فقالت الكبرى للصغرى ان أبانا قد شاخ، وليس فى الارض رجل يدخل علينا على عادة الارض كلها ، تعالي نسقى أبانا خمرا ونصاحبه ، ونقيم من أبينا نسلا — فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة وجاءت الكبرى فضاجعت أباها ، ولم يعلم بقيامها ولا منامها ، فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى ها أنذا ضاجعت أمس أبى ، فلنسقه خمرا أيضا الليلة ، وتعالى انت فضاجعيه لنقيم من أبينا نسلا ، فسقتا أباهما خمرا تلك الليلة أيضا . وقامت الصغرى فضاجعته ، ولم يعلم بمنامها ولا قيامها — فحملت ابنتا لوط من أبيهما ، وولدت الكبرى ابنا وسمته مؤاب وهو أبو المؤابيين الى اليوم — والصغرى أيضا ولدت ابنا وسمته بنعمى وهو أبو بنى عمون الى اليوم (!!!) .

(سفر التكوين — الاصحاح التاسع عشر)

واذا كان هذا ما يقوله بنو اسرائيل على نبى الله لوط — فحاشا لله أن يكون هذا هو مسلك عبد من عباد الله الصالحين .

يعقوب وعيسو :

ويعقوب هو من أطلق اله اسرائيل عليه اسم اسرائيل ، وبنو اسرائيل هم المنحدرون مباشرة من أولاده الاثنى عشر، ولامر ما يصوره العهد القديم ، متآمرا على أخيه عيسو محتالا عليه ، كاذبا على أبيه (اسحق) ليأخذ منه البركة التى وعد بها اسحق عيسو .

(سفر التكوين — الاصحاح السابع والعشرون)

وتجرى فى بيت يعقوب هذا حوادث شائنة فابنته دبنا بنت لبة تخرج لتنظر بنات البلد (فرآها شكيم بن حمور الحوى رئيس البلد فأخذها وضاجعها وأذلها) .

(تكوين الاصحاح الرابع والثلاثين)

وراءوبين بن يعقوب البكر يضاجع بلهة زوجة أبيه أو سريته ، والمحقق أنها أم أخويه دان وثفتالى .

(التكوين — الاصحاح الخامس والثلاثون)

ونمر على حادث تآمر أبناء يعقوب على قتل أخيهم يوسف فهي معروفة ومشهورة .

هارون

ولنصل الى ما يسجله العهد القديم على هارون من أنه كان هو صانع عجل الذهب حيث طلب من اليهود حليهم من الذهب ثم صنعها عجلا مسبوكا ، فقالوا : هذه آلهتك يا اسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر — فلما رأى ذلك هارون بنى أمامه مذبحا ونادى هارون وقال غدا عيد للرب .

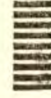
(خروج . الاصحاح الثاني والثلاثون)

ومرة أخرى حاشا لهارون أن يفعل ذلك ، على ما سوف يقص علينا القرآن .

لندع ذلك كله ، فقد يكون ذلك يرجع الى تاريخ بنى اسرائيل القديم الذى ضاعت معالمه واختلطت عليهم فيه الامور — ولنسرع الى العهد الذى وصل فيه اليهود الى ذروة مجدهم وحضارتهم وأصبح لهم دولة وأعلنوا أنفسهم شعبا لله فماذا نرى . . . ؟ ومرة أخرى لندع النصوص تتكلم ، نصوص العهد القديم الذى به يتعبدون .

داود

بلغ مجد اليهود ذروته فى عهد داود وابنه سليمان من بعده وقد كان داود ملكا لبني اسرائيل وكان هو الذى بنى



مدينة أورشليم ، ويروى لنا عنه العهد القديم هذه القصة .

« وكان عند المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة جدا ـ فأرسل داود وسأل عنها فقيل له هذه بتشابع بنت أليعام امرأة أوربا الحثى ـ فأرسل داود رسلا اليها وأخذها ودخل بها . وتطهرت من نجاستها ورجعت الى بيتها ـ وعندما جاء موعد الطمث لم تحض ، فأدركت أنها حملت من داود ، اذ كان زوجها بعيدا فى المعركة فأرسلت الى داود وقالت اني حامل .

فكيف تتصــور تصرف داود ؟ لقــد أحضر زوج المرأة من ميدان المعركــة ، وراح يطعمه بين يديه ويسقيه ويسكره ، ثم بعثه بخطاب فى اليوم التالي الى بوّاب قائد الجيش وطلب من القائد أن يرسل أوربا الى مواضع القتال الشديد ليهلك ويموت .

واليك نص ما جاء فى الكتاب .

« وجهوا أوربا الى حيث يكون القتال الشديد وارجعوا من ورائه حتى يضرب ويموت » !!

(الملوك الثاني ـ الاصحاح الحادى عشر)

ونفذ أمر داود وقتــل أوربا الحثى واستولى داود على زوجة الرجل . !

ابن داود

ويمضي العهد القديم فى قصصه فيقول لنا عن ابن لداود يسمى آمنون .

« وكان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها تامارا ، فكان بعد ذلك أن آمنون بن داود كلف بها وتدله آمنون حتى سقم فى تامارا أخته ، لانهـا كانت عذراء فكان يعسر عليه أن يصنع بها شيئا ».

واستشار صديقا له فاقترح عليه أن يتمارض ويطلب من أبيه أخته لتمرضه ، ونفذ آمنــون النصيحة وجاءت أخته تمرضه وتحمل له كعكا . ولندع الآن العهد القديم يحدثنا :

« فأخذت تامارا الكعك الذى عملته ، وأتت به آمنون ـ أخاها ـ الى المخدع ـ وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالى اضطجعي معي يا أخته ـ فقالت له لا تذلني يا أخي لانه لا يفعل هكذا فى اسرائيل فلا تفعل هذه الفاحشة ـ فأما أنا فأين أذهب بعارى ، وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء فى اسرائيل .والآن فكلم الملك فانه لا يمنعنى منك ـ فأبى أن يسمع لكلامها ولكن تمكن منها وغصبهـا وضاجعها » !!

ويقول لنا بعــد ذلك هــذا الكتاب العجيب (وناقل الكفر ليس بكافر) .

« وسمع داود الملك بجميع هذه الامور فاغتاظ جدا ، ولكنه لم يحزن نفس آمنون ابنه لأنه كان يحبه اذ كان بكره » !! ـ (سفر الملوك الثاني ـ الاصحاح الثالث عشر) .

سليمان وعبادة الاصنام

وما عليك أيها القارىء المسلم الا أن تستحضر هذه الصورة العلوية الكريمة التى صور بها القرآن سليمان بن داود ، وما عرف به من حكمة وايمان بالله رب العالمين ، لترى الى أى حد يأبى اليهود الا أن يشوهوا كل قادتهم وكل زعمائهم وأنبيائهم . ففى سفر الملوك الثالث فى الاصحاح الحادى عشر ، نجد الحديث المنكر التالي .

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع ابنــه فرعون ، من المؤابيين والعمونيــين والادوبيين والصيدونيــين والحيثيين ، ومن الامم التى قال الرب لبنى اسرائيل لا تختلطوا بهم وهــم لا يختلطوا بكم لئلا يميلون (هكذا) بقلوبكم الى اتباع آلهتكم . فتعلق بهن سليمان حبا لهن ، وكان له سبعمائة زوجــة وثلثمائة سرية . فأزاغت نساؤه قلبه ـ وكان فى زمن شيخوخة سليمان أن ازواجه ملن بقلبه الى اتباع آلهة غريبة ، فلم

يكن قلبه مخلصا للرب الهه كما كان قلب داود أبيه . وتبع سليمان عشتاروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين وصنع سليمان الشر فى عيني الرب ، وبنى مرتفعا لكموش رجس المؤابيين على الجبل المواجه لاورشليم ، وكذلك مرتفعا لملكوم رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان » !! .

لعن الأنبياء بالجملة

وأخيرا يصل كتاب العهد القديم فيلعن الانبياء بالجملة، وبدون تمييز بين الصادق منهم والكاذب . « لان النبي والكاهن كافران ، وفى بيتى وجدت شرهما يقول الرب ــ فى أنبياء السامرة رأيت حماقة . قد تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي اسرائيل ــ وفى أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه الفسق والسلوك فى الكذب » ــ (أرميا ــ الاصحاح الثالث والعشرون)

ويمضي هذا الفصل وهو يعدد آثام انبياء بنى اسرائيل وكفرهم .

وحسبنا الآن هذا القدر من الاقتباس من كتاب العهد القديم واحسب أن الصورة الآن قد اكتملت أمام أى قارىء .... من أنه لا يوجد كتاب دين آخر فى العالم يضم هذه الصور من المخازى والآثام والرجس والدنس ، وأن يكون ذلك منسوبا الى القادة والزعماء والملوك والانبياء .

ولعل هذا العرض ضرورى لكل من يريد ان يعرف السر فى ترخص اليهود ــ من دون البشر ــ فى مسائل الاخلاق والسلوك والمعاملات ، ما دام هذا هو سلوك قادتهم فى نظرهم .

خلو عقيدة اليهود من الايمان بالبعث والحساب والجنة

نتتقل بعد ذلك الى عنصر ثالث لا يقل أهمية فى تحديد مكان العقيدة اليهودية ، بين العقائد البشرية ، فالمطالع لنصوص العهد القديم من الجلدة للجلدة كما يقولون ، لا يجد حديثا عن خلود الروح بعد الموت فضلا عن القول بالبعث والحساب والعقاب فاما الى الجنة أو النار ، وهو ما تراه فى كافة الاديان ــ والعقائد الانسانية وان اختلفت صورها . .

والقول كله يدور حول المكافأة فى هذه الدنيا أو العقاب ، فاذا عبد بنو اسرائيل الرب ونفذوا وصاياه وحفظوا سبوته التى هي مظهر العهد بينه وبينهم فهو يجعل الارض تدر عليهم لبنا وعسلا ، ويمكنهم من بقية الشعوب المجاورة يذلونهم ويسخرونهم ، أو يبيدونهم ، أو حسب مشيئتهم ، أما عندما يعصى بنو اسرائيل الرب آلهتهم فهو يسلط عليهم الشعوب المجاورة تقتلهم وتستعبدهم ، وتهدم مدنهم ، فاذا عادوا للرب أعادهم وهكذا دواليك . وأمل اليهود والجنة التى يحلمون بها ستكون على هذه الارض ، وفى بيت المقدس بالذات ، مما سنعود الى تفصيله عند الكلام على المسيح المنتظر .

وحقا قد نجد اشارة هنا أو هناك من مثل القول بأن الذى ينزل الى الهاوية لا يصعد ــ وحديث عن وجود حب فى الارض السفلية ونار يهوى اليها العصاة ولا يرجعون منها ، ولكن هذه اشارات عابرة تسربت الى الكتابات اليهودية من المعتقدات البابلية ، ولكنا لن نجد حديثا عن البعث وعن الحساب والثواب والعقاب مفصلا كهذا الذى نجده فى الاديان قديمها وحديثها ، بل انه ليصادفنا فى سفر الجامعة «١» ، هذه العبارة التى تقطع

(١) لا يعد بعض اليهود هذا السفر من كتابهم المقدس ، ولكن الذى لا شك فيه انه لا يحوى شيئا لا نجده فى بقية الاسفار .



بأن اليهود لا يعرفون جنة أو ناراً ولا خلودا بعد الموت .

« لان ما يحدث لبنى البشر يحــدث للبهيمة ، وحادثة واحدة لهم ، موت هذا كموت ذاك ، ونسمة واحدة للكل ، فليس للانسان مزية على البهيمة لان كليهما باطل . يذهب كلاهما الى مكان واحد .

كان كلاهما من التراب والى التراب يعود كلاهما ، فرأيت أن لا شيء خير من أن يفرح الانسان بأعماله لان ذلك نصيبه ، لانه من يأتي به ليرى ما سيكون بعده ؟

كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لانه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاويــة التى أنت ذاهــب اليها »

واذا كان اليهود لا يؤمنون ببعث وعقاب فان هذا يفسر لنا لماذا كانوا على الصورة التى يصفهم بها كتابهم المقدس ، مــن عصيانهم الدائم لله ، وانكبابهم دائما أبدا على الشهوات ، واحتفالهم الذى فاقوا فيه جميع الامم والشعوب بجمع المال .

ولنصل الآن الى التعاليم اليهودية التى قدر للبشرية كلها أن تعمل بها الا اليهود أنفسهم .

الوصايا العشر

تشتهر الديانة اليهودية بما يســمى الوصايا العشر ، وهي الوصايا التى جاء بها موسى عليه السلام الى بني اسرائيل والتى تؤلف جوهر التوراة المنزلة من رب العالمين ، فلا عجب اذا رأينا فيهــا الجوهر السليم لكل الاديان وهي :

١ ــ انا الرب الهك الذى أخرجك من أرض مصر من دار العبودية فلا يكن لك آلهة أخرى تجاهي .

٢ ــ لا تصنع لك منحوتا ولا صــورة شيء مما فى السماء من فوق ولا مما فى الارض من أسفل ولا مما فى المياه من تحت الارض .

٣ ــ لا تحلف باسم الرب الهك باطلا ، لان الرب لا يزكى من يحلف باسمــه باطلا .

٤ ــ اذكر يوم السبت لتقدسه .

٥ ــ أكرم أباك وأمك لكي يطول عمرك فى الارض التى يعطيك الرب الهك .

٦ ــ لا تقتل .

٧ ــ لا تزن .

٨ ــ لا تسرق .

٩ ــ لا تشهد على قريبك شهــادة الزور .

١٠ ــ لا تشته بنت قريبك ولا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك .

ولا جدال أن هذه الوصايا العشر تلخص الفضائل الانسانية التى مجدها البشر دائما ، وهي قبل ذلك تحارب الاصنام فى الوصية الثانية ، وهي تدعو الى الاستقامة وكف الاذى عن الناس ، وقد أخذت بها البشرية على مر العصور ، وخاصة من خلال المسيحية والاسلام وبقية أديان الارض ، وليس سوى اليهود ــ الذين أنزلت أول ما أنزلت عليهم ــ الذين لم يتبعوها وضربوا بها عرض الحائط كأفراد من ناحية ، وكجماعة من ناحية أخرى .

واذا وجد فى اليهود من يلتزمها فى معاملاته مع أبناء جنسه من اليهود ، فهو يتحلل منهــا فى

معاملاته مع غير اليهود ، على أساس أن الشريعة انما هي خاصة لهم ، والههم لا يحاسبهم على ما يفعلون فى غيرهم من الشعوب ، وليس أدل على ذلك من أن التوراة تنهاهم عن الربا ، ومع ذلك فقد أحتكر اليهود الاقراض بالربا فى العالم . وقد حوى التلمود كتاب اليهود الثاني ، على ما نقله الاستاذ الفاضل الدكتور أحمد شلبي فى كتابه عن اليهودية ما تعففنا عن نقله ، وحسبنا القدر الذى قدمناه ، حتى لا نؤذى مشاعر القراء ، بأكثر مما فعلناه . ولما كانت الفضيلة لا تتجزأ ، والاستقامة لا تتجزأ ، والخير لا يتجزأ ، فقد كان محالا على اليهود ، أن يتعاملوا بغير استقامة مع غير اليهود ويلزموا الاستقامة مع اليهود فكان هذا الذى نقلناه من صور المجتمع اليهودى على مر العصور كما وصفه أنبياؤهم ، وكما يسجله كتابهم .

الاستغراق فى الطقوس

ومن يطالع العهد القديم يشم رائحة الوثنية التي أبى اليهود الا أن يحرفوا اليها دينهم الكريم ... فجعلوا محور عبادتهم تابوتا يطلقون عليه تابوت العهد ، ويخصصون فصولا طوالا فى وصف هذا التابوت ، ومن الذى يقترب منه ،وكيف أن من يلمسه يموت . وهيئة المذبح ، وخيمة الاجتماع ، ويخصصون قبيلة معينة من قبائلهم وهم اللاويون ليكونوا هم الكهنة حراس التابوت والعهد والمتحدثون باسم الله .

وأحاديث كثيرة عن تقديم الذبائح للرب ، وكيف يتصرف فى دمائها ، وما يؤكل منها ، وما لا يؤكل ، ومن الذى يأكل ومن لا يأكل .

وما من حركة الا والهيكل هدفها وتقديم الذبائح والقرابين أسلوبها .

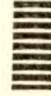
واحتفالات بعد ذلك تلو احتفالات ، تفيض بالطقوس والاجراءات ، وعلى رأسها عيد الفصح وهو ذكرى خروج بنى اسرائيل من مصر ، حيث قادهم رب الجنود بنفسه ليخلصهم من فرعون ، وكان يسير أمامهم على هيئة عمود من الدخان بالنهار ، وعمود من النار بالليل ... ويخصص اليهود أسبوعا لهذه الاحتفالات يأكلون فيه خبزا غير مختمر ، وذلك لأنهم عندما خرجوا كانوا فى عجلة من أمرهم ، فأكلوا عجينهم ولما يختمر !!.

تقديس يوم السبت

ويحتل تقديس يوم السبت حجر الزاوية فى العقيدة اليهودية ، حيث يقول اليهود ان الله قد بنى الدنيا فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع وكان هو يوم السبت ــ ولذلك فقد جعل اله بنى اسرائيل هذا اليوم وعدم العمل فيه مظهر العهد بينه وبين شعبه ، فليس عند اليهود خطيئة تعلو خطيئة عدم حفظ يوم السبت ، حتى لتصل فيه العقوبة الى حد الاعدام ، ومع ذلك فقد تحلل اليهود من هذا العهد كسائر العهود ، وتغص ديانة اليهود بعشرات من الاحتفالات التي تتصل كلها بتاريخهم الخاص والتي لو دخل أى انسان غير يهودى فى دينهم ، لما كان لهذه الاحتفالات أى معنى بالنسبة اليه .

الجنة على الأرض والمسيح المنتظر

ولا تكتمل صورة الديانة اليهودية ، كما يؤمن بها اليهود ويمارسونها ، الا اذا تحدثنا عن مسيحهم المنتظر ، فاليهود كما قدمنا لا يؤمنون ببعث بعد الموت ، وحساب وثواب فى الحياة الآخرة ، ولا يرون ميدانا لمكافأة الانسان الا فى هذه الدنيا ، فلما أن توالت عليهم المحن والمصائب ، ودالت دولتهم ، وضرب



هيكلهم ، وأزيلت مدينتهم ، وتفرقوا فى الأرض أيدى سبأ ، بدأوا يحلمون بمسيح ، أى ملك ممسوح بالزيت ، يعيد اليهم مجدهم ، ويجمع شتاتهم ، وينصرهم على باقى الأمم والشعوب ، ويحمل كل من فى الأرض بالايمان والسجود لاله اسرائيل .

فيقول لنا العهد القديم فى الفصل الحادى عشر من سفر أشعيا .

« ويخرج قضيب من جذر يسّى وينمى فرع من أصله، ويستقر عليه روح الرب وروح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة ، روح العلم وتقوى الرب — ويتنعم بمخافة الرب ولا يقضي بحسب رؤية عينيه ، ولا يحكم بحسب سماع اذنيه — بل يقضي للمساكين بعدل ، ويحكم لبائس الأرض بانصاف . فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدى ، ويكون العجل والشبل المعلوف معا وصبى صغير يسوقهما — ترعى البقرة والدب معا ، ويربض أولافهما معا ، والأسد يأكل التبن كالثور — ويلعب المرضع على جحر الأفعى ويضع الفطيم يده فى فم الأرقم — لا يسيئون ولا يفسدون فى كل جبل قدسي لأن الارض تمتلىء من معرفة الرب كما تغمر المياه البحر .

وكما هو شأن بنى اسرائيل دائما ، فان هذه الجنة الارضية خاصة بهم من دون شعوب الأرض وأورشليم هى مركزها — حيث ستعيد جميع الأمم والشعوب بناءها وترضى بالعبودية لبنى اسرائيل .

« وبنو الغرباء يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك ، لأنى فى غضبى ضربتك ، وفى رضاى رحمتك ، وتنفتح أبوابك دائما لا تغلق نهارا ولا ليلا ، ليؤتى اليك بغنى الأمم وتحضر اليك ملوكهم — لأن الأمة والمملكة التي لا تتعبد لك (تستعبد) تهلك ، والأمم تخرب خرابا — آتى بالذهب بدل النحاس وآتى بالفضة بدل الحديد وبالحديد بدل الحجارة » .

وتصل قمة الصورة فى الفصل الخامس والستين من هذه الرؤيا الطويلة لأشعيا حيث يقول لنا : « وابتهج بأورشليم وأسر بشعبي ، ولا يسمع فيها من بعد صوت بكاء ولا صوت صراخ — لا يكون هناك من بعد طفل أيام ولا شيخ لم يستكمل أيامه ، لأن الصبى يموت وهو ابن مائة سنة ، والخاطىء يلعن وهو ابن مائة سنة — قبل أن يدعو أجيب ، وفيما هم يتكلمون أستجب — الذئب والحمل يرعيان معا والأسد كبقر يأكل التبن — أما الحية فالتراب يكون طعامها . لا يضرون ولا يفسدون فى جبل قدسى كله للرب .

لا يزالون ينتظرون

ويهود العالم فى انتظار هذا المسيح الذى يخضع الدنيا لحكمهم ، ويجعل الصبى يعيش مائة سنة والخاطىء يلعن وهو ابن مائة سنة .

وسوف نرى أن الديانة المسيحية تقوم على فكرة أن هذا المسيح المنتظر قد جاء بالفعل وانه أقام مملكة الروح على هذه الأرض ، ولكن اليهود لا يرون فى المسيح عيسى بن مريم ، الا انه دعى ، ويقولون على امه قولا كبيرا ، وما زالوا فى انتظار مسيحهم ،

وقد وجد على مر عصورهم دجالون زعموا أنهم هذا المسيح ثم اتضح كذبهم وافكهم ــ والدنيا تشهد اليوم آخر صور هذا الافك ، فقادة دولة اسرائيل هذه الأيام يصورون أنفسهم أنهم هم هذا المسيح ولذلــك فهم يعلنون أن من لا يأتى الى اسرائيل لا يكون يهوديا وانما يكون كافرا ، وهو ما يعارضهم فيه فريق من يهود العالم ، الذين ينعمون بالحياة حيث هم .

وعندما احتلت اسرائيــل فى عدوانها الغادر بمساعدة دول الاستعمار شبه جزيرة سينا راح كبيرهم يتلو عبارات من هذا العهد القديم تثبيتا لادعاء حلول الرب وسطهم وانتصاره لهم .

ونحن نعلم اليــوم ، كيف اندحـر العدوان الصهيوني عن مصر ، وكيف خزى كبيرهم ، وكانوا شؤما على معاونيهم من كبار الدول فدالت دولتهم وزالت امبراطورياتهم جزاء على مناصرة البغى والعدوان .

عقيدة وثنية وشريعة منسوخة

هذا هو الدين اليهودى فى ماضــيه وحاضره ، كما يصوره كتابه المقدس ، وكما تشهد عليه أعمال اليهود المعاصرين ــ عدوان كله ، ووثنية كله ، واجتراء على الله وافتراء عليه ، ورميه بمحاباة فئة مسحوقة من البشر ، لم تشــتهر باستقامة أو طهـارة أو حســن عبادة ، بشـــهادتهم علــى أنفســهم فى كتابهــم المقدس .

وسنرى كيف وصف القرآن اليهود بما لا يخرج عن الصورة التي صوروها لأنفسهم ، وكيف سجل عليهــم الزيغ والانحراف وتشويه العقيدة . وأحصى عليهم جرائمهم ضد البشريةوالانسانية . وكيف نقى قبل ذلك وبعد ذلك العقيدة والشريعة من افكهم وضـــلالهم ، وأعاد لأنبياء بنى اسرائيل الصادقين منهــم ، وكل عبد صـــالح من عباد الله الطهارة والاستقامة والأمانة . فلا محل للمقارنة بين الاسلام واليهودية كما يدعو اليهــا ويطبقها اليهود ، فحيث يهوى اليهود بصورة الألوهية الى حضيض الوثنية ، يرتفع بها الاسلام الى ذروة التوحيد الصافى المنــزه عن الشبيه والحلــول والتجسيد .

« ليس كمثله شىء وهــو الســميع البصير ــ هو الأول والآخر والظاهــر والباطن ــ الرحمن الرحيم » .

وحيث يهوى اليهود بالنبوة والرسالة الى حضيض التمرغفىالرذائلوالفواحش والاشراك بالله ، يؤكد الاسلام أن النبى والرسول لا يمكن الا أن يكون معصوما وهو يبلغ رسالته ويؤدى أمانته .

وحيث لا تحمل اليهودية لمن لم يكن يهوديا من سلالة اسرائيل الا الســيف والعبودية والنقمة ، لا يحمل الاســلام سوىالمحبة والاخوة البشرية والرحمة . فيقول لرسوله « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، مما ســنذكره بالتفصــيل عندما نعرض لتعاليم الاسلام ، فالاسلام يعلو على اليهوديــة علوه على أى دين آخر ، ولكن لا نستعجل بهذا الحكــم حتى نختــم مقارنتنا ببقيــة الأديان ــ مبتدئين بالمسيحية ، باعتبارها الفــرع الذى تفرع من اليهودية ، فقضى عليها وتحول الى دين عالمى ، واذا كان يهوه اله بنى اسرائيــل كما يصــورونه الها دمويا متعطشا للدمــاء يحقد على بنى الانســان ، فقد جــاءت المسيحية على النقيض تجعل من اللــه رب العالمين ، حبا كله ورحمة كله ، مما سنفصله فى مقالنا التالى ان شاء الله .

ماتم إنجازه من موسوعة الفقه

رأي الدين في : فوائد البنوك . فوائد السلف الصناعية . التأمين على

مشروع جمع الأحاديث الصحيحة

حديث مع فضيلة الشيخ علي الخفيف

فضيلة الشيخ علي الخفيف من كبار العلماء وأحد أفراد قلائل حملوا لواء الفقه الاسلامي أكثر من نصف قرن فى مدرسة القضاء الشرعي وكلية الحقوق والمؤتمرات الفقهية والمجلات والكتب والندوات الاسلامية ..

دعته وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ليشارك فى موسمها الثقافى الثانى ، وألقى محاضرتين قيمتين : الاسلام عقيدة ومعاملة ، والمجتمع الاسلامي روابطه وأهدافه . وذلك فى أواخر مارس وأوائل ابريل سنة ١٩٦٧ .

وقد تخرج فضيلته من مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة ، سنة ١٩١٥ ، ثم عين مدرسا بها لتفوقه ، وظل مدرسا فيها حتى سنة ١٩٢١ ، حيث عين قاضيا فى المحاكم الشرعية حتى سنة١٩٢٩ ، ثم مديرا للمساجد الى سنة ١٩٣٩ ثم انتقل الى كلية الحقوق بالجامعة ، فعمل بها أستاذا للشريعة الاسلامية ورئيسا لقسم الشريعة ، وما يزال يلقى محاضراته بها فى قسم الدكتوراه ، وهو رئيس وعضو فى لجان اسلامية عديدة . فهو عضو مجمع البحوث بالازهر ورئيس رواق التفسير والحديث به . وعضو لجنة الأحوال الشخصية ، وعضو لجنة الموسوعة الفقهية برئاسة شيخ الأزهر ، وأستاذ بمعهد البحوث والدراسات العربية ـ الجامعة العربية .

وقد انتهزت المجلة فرصة زيارته للكويت فأوفدت اليه مندوبها ليستطلع رأيه فيما يشغل المسلمين فى وقتنا المعاصر من مشاكل ، وما يجد من تطورات . فكتب مندوبنا يقول : ـ

نهض من مقعده عندما سلمت عليه وكأنما رأيت وراءه ـ وهو ينهض ـ اثنين وخمسين عاما طويلة خصبة منذ اعتلى مقعد الاستاذية بمدرسة القضاء حتى هذه الأيام .



فضلية الشيخ علي الخفيف أثناء القائه محاضرته بدار الثقافة والتوجيه بالشامية ـ كويت .

الإسلامى بالقاهرة .

العقارات والمنقولات . التأمين على الحياة

(موسوعة الحديث)

موسوعة الفقه الاسلامى

قلت لفضيلته :
باسم المجلة وباسم المسلمين عامة والكويت خاصة أرحب بكم ، وأحيى جهادكم المثمر فى خدمة الاسلام ، ويسر المجلة أن تحدثوا قراءها عن بعض جهودكم وآرائكم ، ولنبدأ بالحديث عما تم انجازه من موسوعة الفقه الاسلامي التيتشتركون فى اصدارها ؟

قال : ما تم انجازه من الموسوعة هو الجزء الأول ويتكون من ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير وقد صدر فى يوليو ١٩٦٦ وهو يشتمل على مقدمة طويلة شرح فيها أطوار الفقه الاسلامي منذ نشأته الى أن تبلور وأغلق باب الاجتهاد ثم ما تلا ذلك من محاولات أريد بها التجديد عن طريق التلفيق بين المذاهب الأربعة قصدا الى بيان ما فيه المصلحة واشتمل بعد ذلك الكلام عن عشرين مصطلحا تقريبا من حرف الألف ولم تتجاوز المصطلحات التي ذكرت فيه حرف الألف مع الباء . وسيصدر الجزء الثاني ـ الذى يعد للطبع الآن ـ فى يوليو القادم فى نحو ٣٥٠ صحيفة من القطع الكبير أيضا ولن يتجاوز الكلام فيه حرف الألف حيث وصلنا الى حرف الألف مع الجيم دون تجاوزها .

قلت : وما هى المذاهب الممثلة فى الموسوعة ؟ .

أجاب سيادته : انها تتضمن تفصيل أحكام المذاهب الأربعة فى كل مصطلح الى جانب مذاهب الزيدية ، والظاهرية ، والشيعة الامامية ، والاباضية .

سألت : كم من الزمن ـ فى تقديركم ـ يكفى لهذا العمل ؟ .

أجاب : ظنى أن اتمامه يحتاج الى عمل مستمر خمس عشرة سنة على الأقل من الآن .

قلت : كيف تتكون لجان الموسوعة ؟ وما خطة سير العمل فيها ؟ .

قال : انها تتكون من لجنتين : اللجنة العامة وهى تتكون من أربعة عشر عضوا من أفاضل العلماء ورجال الفقه والقانون ويتفرع من هذه اللجنة لجنة فنية أخرى مكونة من سبعة أعضاء لمراجعة جميع ما يقوم الكاتبون بكتابته من موضوعات وتنسيقه، وتعديل ما يظهر فيه من خطأ ، واتمام ما يظهر فيه من نقص وحذف ما ترى اللجنة أنه زيادة لا يحتاج اليها .

الاحوال الشخصية

سألت أستاذنا الجليل : اشتركتم فضيلتكم فى وضع مشروع قانون الأحوال الشخصية بالجمهورية العربية المتحدة فماذا تم فى هذا المشروع وما هى الأسس التي أقمتموه عليها ؟ .

قال : أتمت لجنة قانون الأحوال الشخصية وضع مشروع هذا القانون ومراجعته وقدمته للجهة المختصة به،وقدوضعهذا المشروع على أساسمن أقوال الفقهاء فىالمذاهب الأربعة دون أن تخرج عنها ، ودون أن يكون لاجتهادنا أثر فيه ، غير أننا لم نتقيد بالرأى الذى يعد رأى المذهب بل كنا أحيانا نستحسن الأخذ ببعض الآراء فى المذهب ما دمنا نرى فى الأخذ بغير الرأى الراجح مصلحة للمجتمع .

قلت : وهل جاء فى المشروع شىء بصدد تقييد الطلاق أو تعدد الزوجات ؟ .

قال : لم يقيد مشروع القانون اصدار الطلاق من الزوج بأى قيد من القيود ، سوى أنه اشترط أن يصدر الطلاق أمام شاهدين حتى يكون فى ذلك حيلولة دون نزوات النفوس الوقتية ، وذلك أخذا برأى بعض الفقهاء كما لم يتعرض مشروع القانون بتقييد تعدد الزوجات بأى قيد مطلقا .

سألت : اذن ماذا جاء فيه بخصوص بيت الطاعة ؟ .

أجاب : أما بيت الطاعة فالمشروع يقر حكم الطاعة ، ولكنه فقط يمنع تنفيذه بواسطة رجال الشرطة لما فى ذلك من عنف يحول دون قيام بيت الزوجية كما يراد منه كما أن المشروع يجعل للزوج عند ثبوت امتناع الزوجة عن التنفيذ حق طلب الفسخ الذى يؤدى الى تعيين القاضي لحكمين يفصلان فى الموضوع .

فوائد البنوك

وهناك انتقل بنا الحديث الى تلك المشاكل الاقتصادية التي تثقل كاهل المسلمين فى هذه الأيام .

فسألت فضيلته : ما الرأى عند فضيلتكم فى فوائد الأموال المودعة فى البنك وفوائد السلف الصناعية .

أجاب : أما عن فوائد الأموال المودعة فى البنك فقد قرر المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية أن أخذها حرام ، أما فوائد السلف الصناعية فلم يتعرض لها المجمع لعدم عرضها عليه والأمر فيها واضح وهو الحرمة ما دامت قرضا .

قلت لفضيلته : قلتم سيادتكم ان أخذ فوائد الأموال المودعة فى البنك حرام فهل يتركها المودع للبنك اذن ؟ .

قال : رأيى أنه اذا كان ترك هذه الفوائد سيؤدى الى أن تتخذ وسيلة لزيادة قوة أعداء المسلمين واستغلالهم والضغط عليهم فانه فى هذه الحالة يجوز أخذها من البنك لا ليستملكها الآخذ ، بل ليصرفها فى وجوه الخير لأن ذلك يعتبر حيلولة دون الاضرار بالمسلمين . والا فلا يجوز .

التأمين

سألت : وما رأى الدين فى التأمين ؟ .

أجاب : قرر المجمع فى مؤتمره الثانى أن التأمين الاجتماعي ـ الذى تقوم به الحكومات والتأمين التضامنى ـ الذى يقوم به المستأمنون أنفسهم لأنفسهم ـ حلال لا شبهة فيه أما ما عدا ذلك من أنواع التأمينات ـ ومنها التأمين على الحياة ـ فتحت النظر الى الآن .

قلت : وهل لكم رأى خاص فى أنواع التأمين المختلفة ؟ .

قال : لقد أبديت للمؤتمر رأيى فى أنواع التأمين المختلفة فى بحث قدمته الى المجمع ، وهو يقضى بجواز التأمين شرعا ما عدا التأمين على الحياة المصحوب بالادخار القائم على الفوائد ، وأعتقد أن مجال الحديث الآن ضيق لا يتسع لاستيعاب البحث فى هذا الموضوع وذكر الحكم فى صوره المختلفة .

جمع السنة

قلت : (وقد شعرت أن الحديث قد طال) سيدى نعرف أن فضيلتكم تتولون رئاسة رواق الحديث والتفسير بمجمع البحوث . **فما رأيكم فى شبهات بعض المغرضين** حول مكانة السنة .

قال فضيلته : أثير هذا الموضوع أمام المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية وقد قدمت فيه بحثا بينت فيه أن السنة الصحيحة واجبة التطبيق وانها ضرورية لفهم القرآن والعمل به وأن العمل بالقرآن دون السنة لا يعد عملا بالقرآن .

سألت أستاذنا الجليل : هل هناك جديد من المشروعات فى مجال السنة .

قال : نعم . قرر مؤتمر مجمع البحوث اصدار موسوعة مفهرسة للسنة تكون جامعة لما صح من السنة كما قرر جمع الأحاديث التي يرى أن ظاهرها غير مراد لبحثها سندا ومتنا وتأويلا وشرحا مع ابداء الرأى فيها بعد هذه البحوث . والمجمع جاد فى اعداد العدة لاصدار الموسوعة والكتاب المذكورين .

قلت : (وفى نفسى أشياء كثيرة تنتظر الجواب القاطع من عالم ثقة كالأستاذ الجليل ولكن حبسها فى نفسى طول ما أخذنا من حديث) .

مؤلفات

سيدى سؤال أخير .. ما مؤلفاتكم التي طبعت حتى الآن .

على الفور لمحت على وجهه سحابة من خجل الشيخوخة الوقور . وابتسم ابتسامة طيبة وهو يقول . لا داعى .

قلت : لست أعتبر ذلك حديثا عن النفس بقدر ما هو بيان وثيق وأمين لثمرات عمر حافل هى فى نفس الوقت مصادر فياضة من مصادر التشريع الخالد يمكن أن ندل المتعطشين للشريعة عليها حتى ينتفعوا بها .

قال : فى الحقيقة أنا فى هذه اللحظة لا أذكرها جميعها انما أذكر منها (أحكام المعاملات الشرعية) ثم (مختصر لهذا الكتاب) و (أحكام البيع فى الكتاب والسنة) و (أثر الموت فى حقوق الانسان والتزاماته) و (تعلق الديون بالتركات) و (نظرية النيابة عن الغير) و (الوصية) و (أسباب اختلاف الفقهاء) و (فرق الزواج) و (الشركات فى الفقه الاسلامي) و (الملكية فى الفقه الاسلامي) على أن كثيرا من هذه الكتب قد نفدت طبعاتها .

قلت : (وأنا أطوى أوراقى) شكرا أستاذنا الجليل . وودعته وأنا أرجو له مزيدا من العمر مع الصحة والعافية حتى يتابع رسالته فى خدمة الشريعة الاسلامية .

عبد المعطى محمد بيومى

من أجل

قل للذى عن ظلال الأهل يبتعـــد ... باب العروبة مفتوح لمن يَفِـــدُ
ومنهلُ الحُبِّ في أعتابه عَجَـــبٌ ... سل عنه ، سل عن محياه الألــى وردوا
تَلَقَّ العروبةَ روحا مسهم جسـدا ... فأشرقت بالحياة الروحُ والجسـد
وصاح بالحب فيهم صوتُ مُنقذهم ... فأوقظوا فأحسوا الحب فاتحـدوا



هذى العروبة فينا سر وحدتنـا ... ورايةُ العُرْب منا أينما وُجِـدوا
لو هزها في أقاصى الغرب مغترب ... فالشرق من شوقه المشبوب يرتعـد
أقدارنا هذه ، لو رام من جحـدوا ... منها فرارا لما اسطاعوا ، وان جهـدوا
بنو العروبة ما طال الزمان بهـم ... فغايةُ الدهر أنَّ الشمل ينعقـد
وفي غدٍ تَذْكر الأجيال مَن صدقوا ... ومن تَنَادَوْا بها دهرا ، ومَن صمدوا



لو يشعرون بما جَرَّته فُرقتهـم ... لو يشعرون ، لما قَرت لهم كبـد...
لو يَذْكرون « فلسطين » التى ذهبت ... لو يذكرون ، لَوَلَّى الصبر والجلَدُ.

فلسطين

الاستاذ محمد التهامى

الأهلُ في دارِهم باتوا على دَعَةٍ   وأصبح الصبح لا أهل ولا بلد
الموت والذل والحرمان طارَدَهم   سيّانَ من مات منهم والألى طُردوا
السادة الكُثْر ذاقوا في مهاجرهم   ذلّ الحياة ، وودوا أنهم فُقدوا
بعد النعيم وعز العيش قد طلبوا   مُرّ الكفاف ، وحتى ذاك ما وَجدوا
عاشوا على أملٍ فينا لنجدتهم   ومَن سوى الأهل يُرْجَى للألى قصدوا
والشر يزحف مجنونا ، ويطعمه   أنّا فرادى وأن البعض قد شَردوا
قال اليهود ، ويا بئس الذى زعموا   أن اليهود بأرض العُرْب قد وُعِدوا
شلّ اللسان الذى يهذى بباطلهم   شل اللسان ، وشلت لِلِئام يد
إن كان أغراهُمُ ما كان ، ويلهُمُ   عند النفير إذا ما استيقظ الأسد
أقدامه في « الخليج » الحر راسخة   وفي ذُرا « النيل » منه النابُ واللبد
وفي الزئير حُداء الزحف مكتسح   زيفَ اليهود فلا حبل ولا وتد
في يومها لانفوذ الغرب ينقذهم   منا ولاعُدد تجدى ولاعَدَد
في الحق والوحدة الشماء تدفعه   يأتى اليقين ويمضى الزيف والزَّبَد

من قادة فتح المغرب

رويفع بن ثابت الأنصاري

محمد يوذن

فاتح جزيرة جربة (١) من تونس الخضراء .

بقلم اللواء : محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي

الصحابي :

كان رويفع بن ثابت بن سكن بن عدى ابن حارثة الأنصارى من بنى مالك بن النجار صحابيا (٢) روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من التابعين (٣) ، ولكننا لا نعرف متى أسلم ولا عن جهاده تحت لواء الرسول القائد .

لقد نال رويفع شرف الصحبة ، ولكنه لم ينل شرف الجهاد تحت لواء النبى صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

كانت أرض الشام ميدان جهاد رويفع ، فلما أنجز المسلمون فتحها سار رويفع تحت لواء عمرو بن العاص لفتح مصر وليبيا والنوبة ، كما شهد معارك الفتح التي خاضها عبد الله بن سعد ابن أبى السرح لفتح افريقية ومعاوية ابن حُدَيج السكونى لفتح المغرب .

وفى سنة خمس وأربعين الهجرية (٤) غزا معاوية بن حديج السكونى المغرب فاستعاد فتح طرابلس الغرب وترك فيها رويفع بن ثابت واليا عليها سنة ست وأربعين من الهجرة (٥) فغزا منها افريقية

---

(١) جربة : جزيرة بالمغرب من ناحية افريقية (تونس) قرب قابس ، كان يسكنها البربر . أنظر التفاصيل فى معجم البلدان (٣/٧٣ – ٧٤) .

(٢) أسد الغابة (٢/١٩١) والاصابة (٢/٢١٤) والاستيعاب (٢/٥٠٤) وفى تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٢) : انه رويفع بن ثابت بن سكن بن حارثة بن عمرو بن زيد مناه بن عدى بن عمرو بن مالك ابن النجار الأنصارى النجارى .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٢) والاصابة (٢/٢١٤) وأسد الغابة (٢/١٩١) .

(٤) رياض النفوس (١/١٧) والبيان المغرب (١/١٧) والاستقصا (١/٦٩) والخلاصة النقية (٤) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٢) والاصابة (٢/٢١٤) وأسد الغابة (٢/١٩١) .

(تونس) ودخلها سنة سبع وأربعين من الهجرة (١) وفتح جزيرة (جربة) التي كان يسكنها البربر (٢) ثم انصرف من عامه (٣) الى طرابلس مقر عمله .

الانسان :

كان رويفع صحابيا جليلا ، لا يعلم أنه شارك فى الفتنة الكبرى بين علي بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان بقلبه أو بلسانه أو بسيفه ، بل بقى مستقرا فى مصر حتى انكشفت الغمة وعادت الوحدة الشاملة الى المسلمين .

سكن مصر واختط بها دارا ، وقد ولاه معاوية بن حديج فى أيام معاوية بن أبى سفيان طرابلس الغرب سنة ست وأربعين من الهجرة ، وتولى (برقة) (٤) لمسلمة بن مخلد حتى مات بها وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد سنة ست وخمسين هجرية (٥) (٦٧٦ م) وقبره بها (٦) وقبره مشهور فى الجبل الأخضر بـ (برقة) (٧) فى مدينة (البيضاء) (٨) . وهو آخر من توفي من الصحابة هناك (٩) .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية أحاديث (١٠) وكان فقيها من أصحاب الفتيا من الصحابة (١١) ، وكان خطيبا مفوها . لقد كان رويفع اداريا حازما ، قويا أمينا ، تقيا نقيا ، صادقا وفيا ، كريما سخيا .

ولا نعرف أنه أثرى من الغنائم أو من منصبه ، فعاش فقيرا ومات فقيرا دون أن يخلف دينارا أو دارا . لقد كان رويفع رجلا .

القائد :

بذل رويفع قصارى جهده مجاهدا فى سبيل الله فى ميادين أرض الشام ومصر والمغرب العربي .

وقد شهد معارك كثيرة برية وبحرية ، فقد سار بجيشه بحرا الى جزيرة (جربة) وفتحها (١٢) وقضى على فساد أهلها الذين كانوا يفسدون فى البر والبحر (١٣) فنشر فيهم الدين الحنيف وضمهم الى البربر المسلمين (١٤) .

---

(١) الاستيعاب (٢/٥٠٤) وأسد الغابة (٢/١٩١) والعبر (١/٥٤) وشذرات الذهب (١/٥٥) .
(٢) معجم البلدان (٣/٧٣ ـ ٧٤) وانظر الاصابة (٢/٢١٤) وتاريخ المغرب الكبير (٢/٢٢) .
(٣) الاستيعاب (٢/٥٠٤) .
(٤) برقة : اسم صقيع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية (تونس) ، واسم مدينتها انطابلس . انظر معجم البلدان (٢/١٣٣ ـ ١٣٥) وهذا الصقع باسم مدينة برقة تقع فى مرج واسع انظر الاعلاق النفيسة (٣٤٣) والمسالك والممالك للاصطخرى (٣٣) والمشترك وضعا (٥٢) تقويم البلدان (١٤٨) .
(٥) الاصابة (٢/٢١٤) .
(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١١/١٩٢) وأسد الغابة (٢/١٩١) .
(٧) الاعلام للزركلي (٣/٦٥) الطبعة الثانية .
(٨) البيضاء : مدينة فى ليبيا تقع بين بنغازى ودرنة ، المسافة بينها وبين بنغازى (٢٠٠) كلم ، والمسافة بينها وبين درنة (١٠٠) كلم اتخذتها المملكة الليبية عاصمة جديدة لها فدبت فيها الحياة والنشاط واتسع فيها العمران وفيها الجامعة الاسلامية التي انشئت حديثا وتنتسب الى السيد محمد علي السنوسي تخليدا لذكراه .
(٩) تهذيب الأسماء واللغات (١/١٩٢) .
(١٠) أسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ـ (٢٨٦) .
(١١) أصحاب الفتيا من الصحابة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ـ (٣٢١) .
(١٢) تاريخ المغرب الكبير (٢/٢٢) .
(١٣) معجم البلدان (٣/٧٤) .
(١٤) تاريخ المغرب الكبير (٢/٢٢) .



لقد كان رأس سلاح رويفع فى حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره والاستعانة به والتوكل عليه والفزع اليه ومسألته النصر والتأييد والسلامة والظفر .

وكان يسوس رجاله سياسة حكيمة قوامها المحبة المتبادلة والهيبة منهم له والمحبة من بعضهم لبعض : يتفقد من أمور أصحابه جميع ما يعود نفعه عليهم ، ويستزيد محسنهم بالتكرمة ، ويجعل عامة أصحابه فى لين الكلمة بمنزلة الخاصة من غير أن ينقص أحدا من ذوى البلاء حقه وثوابه .

وكان شجاعا مقداما كامل العقل طويل التجربة ، بعيد الصوت مأمون النقيبة، بصيرا بتدبير الحرب ومواضعها، حسن التعبئة لأصحابه فى أحوال التعبئة، يدخل الأمن عليهم والخوف على عدوهم مع طلب السلامة لنفسه وأصحابه من العدو ، حسن السيرة عفيفا صارما حذرا متيقظا سخيا .. (لقد كان قائدا ممتازا) .

رويفع فى التاريخ :

يذكر التاريخ لرويفع أنه قضى حياته كلها مجاهدا واداريا ، ورافق أعلام الفتح الاسلامي من مبدأ سيرها الى أرض الشام ، من المدينة المنورة الى نهاية مستقرها فى المغرب العربي .

ويذكر له أنه من الدعاة الأوائل الذين نشروا الاسلام فى أرض الشام ومصر والمغرب عامة وفى البربر خاصة .

ويذكر له أنه فتح جزيرة (جربة) ومات بعيدا عن أهله ، فاستقرت نفسه مطمئنة فى سفوح الجبل الأخضر الأشم من أرض ليبيا العربية فى (برقة) حيث لا يزال أهلها يذكرونه بالتقدير والاكبار .

انه نسي نفسه من أجل عقيدته والمصلحة العامة العليا ، فذكره الناس فى أيامه ولا يزالون .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الادارى الحازم ، التقي النقي ، الفارس البطل ، القائد الفاتح رويفع بن ثابت الأنصارى النجارى .

الى الشباب

((من قصيدة لحافظ ابراهيم))

يا ابن العروبة أنت حر فاستعد مجد الجدود ولا تعد لمراح
شمر وكافح فى الحياة فهذه دنياك دار تناحر وكفاح
وانهل مع النهال من عذب الحيا فاذا رقا فامتح مع المتاح
واذا الح عليك خطب لا تهن واضرب على الالحاح بالالحاح
وخض الحياة وان تلاطم موجها خوض البحار رياضة السباح

بين الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه

٢

للاستاذ انور الجندي

فى الحلقة الاولى من هذا البحث قدم الكاتب عشر حقائق فيما يتعلق بالدعوة الى الاسلام والدفاع عنه هى :

١ ـ الاسلام دين ومدنية (٢) وثيقة الاسلام الخالدة (القرآن) قد حفظت من التحريف (٣) الاسلام لم يتوقف عن الانتشار (٤) أكد الاسلام أهمية العقل والعلم وجمع بين الاتجاهين المادى والروحى .

وهذه هى التى تناولها البحث فى الحلقة الاولى ، أما الحقائق الباقية موضع هذا البحث فهى (٥) التفسير التاريخى للاسلام يعطى مفهوما مختلفا كل الاختلاف مع مقاييس الاديان الاخرى (٦) أبرز طوابع الاسلام بعد التوحيد (طابع الشمول) (٧) قدرة الاسلام الدائمة على البقاء والاستمرار (٨) اللغة العربية لغة الاسلام والعرب (٩) دور العرب والمسلمين فى الحضارة لاسبيل الى تجاوزه أو انكاره (١٠) الشريعة الاسلامية حية صالحة لكل زمان ومكان .

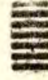
خامسا : التفسير التاريخى للاسلام

وفى مجال التفسير التاريخى للاسلام يبدو مدى الفرق بين فهم المسلم للتاريخ واحساسه وتأثره به وبين غيره .

فالمسلم (١) يحس احساسا جادا بالتاريخ ، لانه يؤمن بتحقيق ملكوت الله فى الارض ، يؤمن بأن الله قد وضع نظاما عمليا واقعا يسير البشر فى الارض على مقتضاه ، ويحاولون أن يصوغوا واقع

(١) ولفرد كانتول سميث « الاسلام فى العصر الحديث »

※ يهم «الوعى الاسلامى» أن توجه نظر القراء الى ماجاء فى هذا البحث ولا سيما الشباب منهم والذين يولون ظهورهم للاسلام من المسلمين



الارض فى اطاره ، ومن ثم فالمسلم يعيش دائما كل عمل فردى أو اجتماعى وكل شعور فردى واجتماعى بمقدار قربه أو بعده من ذلك النظام الذى وضعه الله. والذى ينبغى تحقيقه فى واقع الارض لأنه قابل للتحقيق ، والتاريخ فى نظر المسلم سجل المحاولة الدائمة لتحقيق ملكوت الله فى الارض ، ومن ثم فكل عمل وكل شعور فرديا كان أو اجتماعيا ذو أهمية بالغة ، لأن الحاضر هو نتيجة الماضى ، والمستقبل متوقف على الحاضر.

اما الماركسى فيؤمن بحتمية التاريخ بمعنى أن كل خطوة تؤدى الى الخطوة التالية بطريقة حتمية ، ولكنه لايؤمن الا بهذا العالم المحسوس ، بل لايؤمن فى هذا العالم الا بالمذهب الماركسى وحده ، وكل شىء عداه باطل ، والماركسى يتبع عجلة التاريخ ، ولكنه لا يوجهها ، ولا يعيشها بأية مقاييس خارجة عنها .

وما من دين استطاع أن يوحى الى المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع وان اعتزاز المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة وان الغربى لا يفهم الاسلام حق فهمه الا اذا ادرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا أو باطنا .

٢ ــ فاذا أردنا أن نطبق نظرية التفسير المادى للتاريخ على الاسلام لم نستطع ان نحصل على نتائج واضحة ، يقول العلامة تريتون : اذا صح فى العقول أن التفسير المادى للتاريخ يمكن أن يكون صالحا فى تعليل بعض أو معظم الظواهر التاريخية الكبرى ، وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها ، فان هذا التفسير المادى يفشل فشلا ذريعا حين يرغب فى أن يعلل وحدة العرب ، وغلبتهم على غيرهم ، وقيام حضارتهم ، واتساع رقعتهم ، وثبات أقدامهم ، فلم يبق امام المؤرخين الا أن ينظروا فى العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة ، انها تقع فى هذا الشىء الجديد الا وهو « الاسلام » .

رأوا أن الاسلام قوة هائلة فيه حقيقة واقعة ، وديناميكية حية ، وهو يحث على العمران سبيل الحضارة ، وهو الطريق الى جمع الكلمة ونشر السلام ، وتحقيق العدل بما يؤلف بين القلوب ، ويربط بين الشعوب ، وقد انشأ المسلمون مذهبا فى الفقه جديرا بالموازنة مع القانون الرومانى ، وأقاموا حضارة لا تقل عن اى حضارة معاصرة فى أوربا ، والدين عند المسلمين حقيقة واقعة ، وجزء متمم لحياتهم اليومية ، وهو ليس رداء يرتديه الاحبار والعلماء ، ومن ثم فهو يجعل المسلمين اذا وقعت الواقعة وادلهم ليل الخطوب ثابتى الايمان لا تزعزعهم العواصف والانواء ، والاسلام يكبر من شأن العلم اكبارا لا شائبة فيه فهو فريضة على كل مسلم وينظر الى أتباع الاديان الاخرى نظرة تسامح ورفق .

* * *

سادسا : طابع الشمول

وأبرز ما يتسم به الاسلام فى نظر الدعاة الى الاسلام والمدافعين عنه على السواء طابع « الشمول » : يقول ليوبولد فايس « أن أهم مآتى الاسلام ، تلك المآتى التى تميزه عن سائر النظم ، هى التوفيق العام بين الناحية الخلقية والناحية المادية من الناحية الانسانية وهذا سبب من الاسباب التى عملت على ظفر الاسلام فى ابان قوته اينما حل ، لقد أتى الاسلام بالرسالة الجديدة التى لا **تجعل احتقار الدنيا شرطا للنجاة فى الآخرة** ، هذه الخاصة الظاهرة فى الاسلام تجلو الحقيقة الدالة على أن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم كان شديد الاهتمام بالحياة الانسانية فى كلا اتجاهيها : فى المظهر الروحى والمظهر المادى. ونحن نعد

الاسلام أسمى من سائر النظم المدنية لانه يشمل الحياة بأسرها ، انه يهتم اهتماما واحدا بالدنيا والآخرة ، والنفس والجسد ، والفرد والمجتمع ، ونجد الاسلام وحده من بين سائر الاديان ، يتيح للانسان ان يتمتع بحياته الدنيا الى أقصى حد من غير تضييع اتجاهه الروحي دقيقة واحدة ، فليس فى الاسلام خطيئة أصلية موروثة ، وليس من أجل ذلك ثمة غفران شامل للانسانية ، ان كل مسلم رهين بما كسب ، والاسلام ينظر الى الحياة بهدوء واحترام . ولكنه لايعبدها ، ان النجاح المادى مرغوب فيه ولكن ليس غاية فى نفسه ، بل يقود الانسان نحو الشعور بالتبعية الادبية فى كل ما يعمل ، والغاية من جميع نشاطنا العملى يجب ان تكون خلقية .

ويرى الدكتور جرمانوس : ان الاسلام يبسط امام معتنقيه طريقا وسطا لا يتجرد فيه الروح من البدن ، ولا البدن من الروح ، بل يكون وسطا بين الروح والمادة .

ويقول أميل درمنجم : لقد وفق الاسلام بين الاتجاهين المتقابلين : المادى والروحى ، وقال الرسول : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا (١) ، وفى القرآن (وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) .

ويرى العلامة « هورتن » الحقيقة حين يقول : فى الاسلام وحده تجد (اتحاد الدين والعلم) فهو الدين الوحيد الذى يوحد بينهما ، فتجد فيه الدين ماثلا متمكنا فى دائرة العلم ، وترى وجهة الفلسفة ووجهة الفقه متعانقتين فهما واحدة لااثنتان .

ويقول رينيه ميليه : ان مبدأ التفريق بين عالم المادة وما وراء المادة قد تنبه له المسلمون فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح ، وانه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الاديان على النفوس .

* * *

سابعا : قدرة الاسلام على الاستمرار

١ ــ وفى مجال الدعوة الى الاسلام نجد أن الباحثين المنصفين من الغربيين قد توصلوا منذ وقت بعيد الى أهمية الاسلام بالنسبة للبشرية والحضارة الانسانية . فالاسلام (٢) سيشكل نفسه حسب حاجات العصر الحديث ولكنه لن يدع الحضارة الغربية تغلبه وتسلبه أبناءه الذين كسبهم منذ مئات الاجيال ، بعد أن طبعوا بطابعه وصاروا جزءا منه ، وهم يمثلونه فى سائر بقاع الارض ، والمسلمون يستمرون فى دينهم مهما اتخذوا من الثقافة والمدنية الغربيتين ، وفى الجامعات الكبرى نجد كثيرا من المسلمين ، ولا يزال مجرى عقولهم اسلاميا ، وفيهم ميل قوى الى التمسك بدين آبائهم وتطبيقه على الحاجات الحديثة .

٢ ــ والاسلام يتفق مع مدنية زماننا الحاضر تمام الاتفاق ، والتقدم الذى نشاهده منذ قرن دليل على ان الاسلام يسير مع المدنية جنبا الى جنب ، والاسلام سيظل موجودا دائما .

ويعترف ليون روش (٣) انه وجد فى الاسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم : الاولى قول القرآن « انما المؤمنون اخوة » فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية ، والثاني : فرض الزكاة على كل ذى مال وأخذها غصبا اذا امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا .

ويرى « هاملتون جيب » ان الاسلام ما يزال فى قدرته أن يقدم للانسانية

---

(١) ليس هذا حديثا ، ومع ذلك فهو يمثل توجيها اسلاميا حقيقيا . (الوعى)

(٢) كريستيان ستوك هير حرونجه (٣) ثلاثون عاما فى الاسلاك : ليون روش .



خدمة سامية جليلة ، فليس هناك أية هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحا باهرا فى تأليف الاجناس المتنافرة فى جبهة واحدة أساسها ((المساواة)) . فاذا وضعت منازعات دول الشرق والغرب العظمى موضع الدرس فلا بد من الالتجاء الى الاسلام لحسم النزاع .

وما يزال الاسلام يسلك سبيلا وسطا بين المتناقضات الشديدة فهو يقف فى مكان وسط بين الرأسمالية والبلشفية .

ويرى الدكتور جرمانوس : « ان مستقبل العالم وخلاصه من خطر الاصطدام الاجتماعى الذى يهدده ، لن يكون الا فى المزاوجة بين الحضارة الاوروبية بدرسها وعلمها ، وبين الروح السامية التى تنطوى عليها عقائد الدين الاسلامى وانى أؤمل ان يكون الاسلام قادرا مرة أخرى على تحقيق هذه المعجزة فى سبيل وحدة الجماعة الانسانية » .

ويقول العلامة رينيه ميليه : يهمنى هنا أن أقول اننا لا نستطيع أن نحكم على تلك الامة بالسقوط ، لان الامة التي أمكنها أن تنهض فى وقت ما ، يمكنها أن تعيد نهضتها فى المستقبل ، لقد أفل نجم المدنية الاسلامية بعدما أثمرت وأينعت فترة طويلة من الزمن ، ويكفى هذه المدنية نفحة من نسيم الحياة الجديدة لتسترجع جمالها وعظمتها وجدتها . ان تلك الصبغة العامة اللينة التى اتصفت بها مبادىء الاسلام هى التى جعلته يقبل بضروب المدنية ولا ينافيها ، بل يقابلها بصدر رحب .

ويقول بعضهم : اذا كنا نفرض ان المسلمين يسيرون فى طريق المدنية الغربية سيرا حثيثا فلماذا نعتبر ان هناك مدنيتين ، ولماذا لا تفنى المدنية الاسلامية العربية فى جسم المدنية الغربية ما دام المسلمون يأخذون العلوم والعلوم أساس كل مدنية ؟

على أنى لا أشارك أصحاب هذا الرأى فى رأيهم ، لان العلم له دائرة محدودة لا يتعداها وما وراء هذه الدائرة توجد أفكار ومعتقدات ، ومثل عليا وقيم لها تأثير كبير ، ان العلم مهما اتسعت آفاقه فلا يزال أمامه عالم غامض ، وانه لا يمكن للعلم أن يمحو سلطان الاديان على النفوس ، وعلى ذلك فلا أرى حدا لبقاء الاسلام ، ذلك الدين الذى أتى بأحسن العقائد ملاءمة للفطرة ، والذى سعد حظه بأن امتد ظله على ضفاف البحر الابيض المتوسط تحت سماء صافية الاديم لم تتلبد بالغيوم ، فظل نوره متلألئا فى تلك البلاد الواسعة الاطراف ، ولم تستطع الاحداث ان تطفىء ذلك النور الربانى الساطع . ان مبدأ التفريق بين عالم المادة وما وراء المادة قد تنبه المسلمون اليه فجعلهم يقبلون على علومنا ولا يرون فيها ما يناقض دينهم المشهور بالتسامح .



ثامنا : اللغة العربية لغة الاسلام والعرب

لقد كانت اللغة العربية لغة الاسلام ثقافة والامة العربية قومية ، وقد وصفها جورج سارطون بالعبقرية فقال : اتحدث عن عبقرية اللغة العربية ، ففى المرتبة الاولى لم يكن الرسول يعرف لغة سوى لغته ، ثم ان الاسلام نزل على الرسول باللغة العربية ، وهكذا كانت « العربية » لغة القرآن ، ولغة الوحى ، ولغة أهل الجنة ، ومن ثم أصبحت اللغة العربية من اللغات البارزة فى العالم ، واحدى الوسائل الاساسية للثقافة فى العصور الوسطى ، وهى الى اليوم لم تزل لغة أمة موزعة فى جميع بقاع الارض .

وان اللغة الوحيدة التى عرفها رسول

الله كانت من أجمل اللغات فى الوجود ، وان خزائن المفردات فى اللغة العربيـة غنية جدا ، ويمكـن لتلك المفردات ان تزاد بلا نهايـة ، ذلـك لان الاشتقـاق المتشابك والانيق ، يسهل ايجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة .

ولغة القرآن على اعتبار أنها لغة العرب، كانت بهذا التحديد كاملة، وها نحن أيضا هنا امام اتفاق عجيب ، فان الرسول مع أنه أمى كان يملك ناصية اللغة ، اذ آتاه الله بيانا، ووهب اللغة العربية مرونة جعلتها **قادرة على أن تدون الوحى** الالهى أحسن تدوين ، وهكذا يساعد القرآن على رفع اللغة العربية الى مقام المثـل الاعلى فى التعبير عن المقاصد ، وقد جعل القرآن الكريم « من اللغة العربية وسيلة دولية للتعبير عن أسمـى مقتضيـات الحياة » .

ويقول هنرى لاوس : ان اللغة العربية عندى من أهم دواعى وحدة الثقافة بين المسلمين ، وأهم أسباب تفوق هذه اللغة انهـا اللغـة الرسـمية ، ولغـة الديـن ، ولا بـد لأجـل فهـم القرآن والحديث النبوى من معرفة اللغة معرفة دقيقة ، وقد قام اللغويون والنحـاة بمجهود عظيم فى البصرة والكوفة لخدمة هذه اللغة مع ما بين علماء هاتين المدينتين من التباين .

تاسعا : دور العرب والمسلمين فى العلم والحضـارة

وهذا دور قد أنكره الغربيون طويلا ، ثم عادوا فاعترفوا بـه تحت ضغـط المنصفين من الباحثين الغربيين المتقدمين أمثـال : توماس كارليـل وجوستاف لوبون ، وأقربها الينا (كتاب شمس الله تسطع على الغرب) للكاتبة الدكتـورة سجريد هونكه التى تقول : لقد نـادى النبى العربى بالطموح الى المعرفة فى كل مكان وزمان ، لان المعرفة تيسر سبيـل الايمـان ، وهكـذا لم ينصـرم القـرن الاسلامى الاول حتى ازدهر العالم العربى فى مثل محيط من الزهور ، وحين كانت أوربا غارقة فى ظلمات العصور الوسطى وجهالتها وقف العـرب عـلى أبوابها يرفعون مشعل الحضارة طوال سبعـة قرون ، لشد ما يغبن حقهم من يكتفى بالقول انهم نقلوا التراث القديم الـى العالم الغربى بعد ما حفظوه من الدمار ، فذلك يعنى فى الواقع التقليل من قيمتهم، والسكوت عن الامور الجوهرية فى عملهم الحضارى وجعلهم مجرد وسطاء لا غير ، والحقيقـة ان سائـر مناحى الحيـاة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فـي الغرب مدموغـة بآثارهم ، ان قواميس اللغات الاوربية تنضح بالكلمات العربية سواء ما يتعلق منها بالحاجات اليومية أو الاطعمة او الالبسـة او العقاقـير ، وكذلك الامر فيما يتعلق بالملاحة، وفنونها، واصطلاحاتها ، وقد أخذ الغرب عن العرب فكرة البريد ، كما نقلوا كثيرا من فنون الزراعة ، وقد أخذ العرب الارقام الهندية فى أواخر القرن الحادى عشر ، ويعـود الفضل الاكبر فى تعريف الغرب عـلى الارقام العربية الى الخوارزمى الـذى نقلت كتبه جميعا الى اللغة اللاتينيـة وكانت مرجعا هاما للعلماء الغربيين .

ويقول جورج سارطون : لقد بلـغ المسلمون ما يجوز تسميته معجزة العلم العربى ، وقد أوردت كلمة « معجزة » لترمز الى تفسير ما يبلغ اليه المسلمون والعرب من الثقافة والعلم ، مما يخرج تقريبا عـن نطاق التصـديق ، وليس لذلك شبه فى تاريخ العالم كله ، ويجب أن ندرك أن ذلك التطور الذى لا يكـاد يصدق فى العالم العربى ، لم يبدأ الا منذ القرن الثانى للهجرة ، ويحاول نفر مـن المؤرخين أن يبخسوا قدر هذا الانتاج العظيم بادعائهم انه لم يكن فيه ابتكار ما ، وبأن العرب لم يكونوا سوى مقلدين، ان هذا الحكم يكشف عن خطأ فادح ، فمن بعض الوجوه ليس ثمة شىء يمكن



أن يعد ابتكارا صحيحا أكثر من ذلك الظمأ الذى تملك على القادة العرب حواسهم فى سبيل المعرفة ، على أننا لا نشك أن قسما من هذه المعرفة احتاج اليه الغرب حاجة مباشرة للادارة والحكم . وأعظم الابتكارات العربية فى الرياضيات والفلك شيئان : علم الحساب الجديد وعلم المثلث الجديد .

* * *

عاشرا : الشريعة الاسلامية



أما الشريعة الاسلامية فقد استطاعت أن تحصل على اعترافات بتقدير العلماء لها فيقول سانتيلانا فى كتابه عن الاسلام الصادر فى سنة ١٨٩٩ : ان فى الفقه الاسلامى ما يكفى المسلمين فى تشريعهم المدنى ان لم نقل ان فيه ما يكفى الانسانية كلها .

ويرى العلامة « فمبرى » ان فقه الاسلام واسع الى درجة أننى أعجب كل العجب كل ما فكرت فى أنكم لم تستنبطوا منه الانظمة والاحكام الموافقة لزمانكم وبلادكم .

ويقول العلامة الالمانى : « كهلر » على أثر ظهور رسالة الدكتور محمود فتحى فى مذهب « الاعتساف » فى استعمال الحق والخروج عن حدود الحق فى غير ما شرع له الحق قال : ان الالمان كانوا يتيهون عجبا على غيرهم فى ابتكار نظرية « الاعتساف » والتشريع لها فى القانون المدنى الالمانى الذى وضع ١٧٨٧ ، أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحى وأفاض فى شرح هذا المبدأ عند رجال التشريع الاسلامى وأبان لها أن رجال الفقه الاسلامى تكلموا فيه طويلا ابتداء من القرن الثامن للميلاد فانه يجدر بالعلم القانونى الالمانى أن يترك مجد العمل بهذا المبدأ لاهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الالمان بعدة قرون ، وأهله هم حملة الشريعة الاسلامية . ويقول العلامة ليفى أولمان فى مقدمة رسالة الاثبات للدكتور محمد صادق فهمى : ان فى هذه الرسالة ما يكفى للاعتقاد بأن التشريع الاسلامى كاف (وحده) لان يكون تشريعا عاما ، وعلى ضوء كتاب الدكتور صادق فهمى يجب اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا حيا للقانون العصرى ومناطا للحق فى أدواره المختلفة .

ويقول الدكتور هوكنج أستاذ الفلسفة فى جامعة هارفارد فى كتابه روح السياسة العالمية : ان سبيل تقدم الممالك الاسلامية ليس فى اتخاذ الاساليب الغربية التى تدعى ان الدين ليس له أن يقول شيئا فى حياة الفرد اليومية ، وانما يجب أن يجد المرء فى الدين مصدرا للنمو والتقدم وأحيانا يتساءل البعض عما اذا كان نظام الاسلام يستطيع توليد أفكار جديدة ، واصدار احكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية ، فالجواب عن هذه المسألة هو أن فى نظام الاسلام كل استعداد داخلى للنمو،لا ، بل انه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة ،والصعوبة لم تكن فى انعدام وسائل النمو والنهضة فى الشرع الاسلامى ، وانما فى انعدام الميل الى استخدامها ، وانى أشعر بكونى على حق حين أقرر ان الشريعة الاسلامية تحتوى بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض .

ويقول العلامة هوتنر ندرون وريفى : انه يوجد فى الفقه الاسلامى جميع

القواعد الجوهرية التى تتعلق بشريعة الحرب ، ولم تقتصر على الفتح والغنيمة، بل تجاوزتها الى فرض الضرائب ، وذكر المواد المحرمة على التجارة ونظائرها مما لايختلف الا فى اسماء تستعمل فى يوم الناس هذا .

ويقول العلامة الكاثوليكى شبرل عميد كلية الحقوق فى فينا : ان محمدا الذى تفخر البشرية بانتسابه اليها استطاع ان يأتى قبل بضعة عشر قرنا بتشريع سنكون نحن الاوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا الى قمته بعد ألفى عام .

* * *

بعد هذا الاستعراض السريع للحقائق العشر نقول :

لقد حرص النفوذ الغربى ان يحول دون الدعوة الى الاسلام بأمرين :

الاول : عزل اللغة العربية فى مختلف الاقطار التى احتلها وتجميدها واحلال لغته بدلا منها ، واعطاؤها فرصة النمو .

الثاني : اثارة عديد من الشبهات والشكوك حول الاسلام حتى يظل الاسلام دائما فى قفص الاتهام وفى موضع الابهام ، وحتى يظل كتابه ومفكروه مشغولين دائما بالذود عنه ، والرد على ما يثار حوله ، وفى موقف الدفاع لا موقف المبادأة ، وبذلك لا تتاح الفرصة له لأن يشق طريق الدعوة والتعريف وكسب مناطق جديدة وعقول جديدة ، ولا يصدر ذلك عن تعصب، ولكنه يصدر عن ايمان أكيد بأن الانسانية لو عرفت الاسلام حق المعرفة لما اختارت لها سبيلا غير سبيله .

ولكن هذا العمل من أجل الدفاع عن الاسلام ، أتاح فرصا لا حد لها للكشف عن جوهر الاسلام ، ولابراز خصائصه ، ولاتاحة الفرصة للذين قرأوا ما وجه اليه اليه من شبهات أن يجدوا ردودا حاسمة عن كل ما عرض لهم ، وقد اتاحت هذه الفرصة تحقق أمرين :

الأول : ان الاسلام قد كشف عن منهج فى البحث غاية فى الدقة والسماحة، بعيدا عن الغموض وبعيدا عن التعصب وخاليا من عبارات القدح ، أو كلمات الهجاء مع السماحة والأخوة الانسانية .

الثاني : انه هز عقول المفكرين المسلمين فأزال عنهم طابع الجمود ، وحثهم على البحث والتقصى وابراز جوهر الاسلام فى أسلوب جديد ومنهج عصرى ، وكشف فى نفس الوقت عن طابع الاجتهاد والتجديد والحركة وقدرة الاسلام التي لا تختلف عن الالتقاء بالحضارات والثقافات ، والامتزاج بها ، وامتصاص خير ما تقدمه . ومن هنا استطاع « جوهر الفكر الاسلامي العربى » أن يبرز على حقيقته ، بعد أن أزيحت عنه أغشية الجمود والتقليد التي فرضتها ظروف مرحلة « الضعف » التي مر بها الاسلام خلال القرون الأخيرة . وقد كان ابراز هذه القيم على وجهها الصحيح ، قادرا أن يرد بعض خصوم الاسلام عن خطئهم ، وان يكسب الى صفه كثيرا من طلاب المعرفة الخالصة لوجه الحق، ومن هنا التقت الدعوة الى الاسلام مع الدفاع عنه ، وما زال سبيل الدفاع عن الاسلام فى حاجة الى مزيد من الجهد ، بوصفه أحد سبل التعريف بالاسلام والدعوة اليه . ذلك أن النفوذ الأجنبي وحركات التغريب والشعوبية النابعة من هذا

البقية على ص ٦٦



يكتبها : عبد المنعم النمـر

سبحانك ربى

ماذا لو أعطى الله كل انسان قـوة الكشف عما فىنفوس الآخرين، واستطاع الواحد منا التعرف على ما فى صدور الناس حينما يلقاهم كأنما يقرأ مـن كتاب ؟

حقيقة كـان يختفي من دنيانا الملق والنفاق والمكر والخداع ... ويقضى على المؤامرات والدسـائس ويسـتريح الناس من كثير مما يعانون فى حياتهم ..

ولكن هل تظن أنهم يكونون سعداء بذلك ؟ لا أعتقد .

ان البسمة الكاذبة التى تراها على الشفـاه وتريح الكثيرين ستختفـي . وكثيرا ما تكون البسمة الكاذبة .

ان الترحيب الذى تلقاه عند المقابلة فى الطريق أو المجالس سيزول ..

ان الكلمة الحلوة التى تسمعها كثيراً ـ وكثيرا ما تكون ملقا ـ ستموت ..

ان زوجتك التى تقول لـك اننـى أحبك ـ وهى تخادعك ـ وتجد انت سعادة فى هذه النغمة سوف لا تستطيع ذلك ..

ان مدرسـك الذى يقابلك بالثنـاء سيلقاك عابس الوجه كل صباح ..

رئيسك الذى يتعطف أحيانا فيثني عليـك تشجيعـا ستجـده يصفعـك ولو بالكلمات القاسية ، كلمات الذكاء والعبقرية التي يضـفيها عليـك بعض المتملقين ـ وكثير ما هم ـ ستسمع بدلها كلمات الغباء او البلادة !! سيختفى الكثير من الكلمات الحلوة المشجعة . ستصطدم بالصخور دائما ..

ستكون الحيـاة باطنها كظاهرها . نرى فيها المآسى والجيف باستمرار .

سيختفى كثـير مـن الاصـدقاء المصطنعين . سـوف لا يجد كثير من الرؤساء كلمات الملق والانحناءات التـى ينتفشون لها ويتعاظمون .

ستتحول الحياة الى خريف دائم لا ربيع فيه ، وستفوح منك وممن حولك الروائح الكريهة الخانقـة .. سـتكون الحياة بلا ربيع ولا أزهار ، ولا ضحكات ولا بسمات . ستكون عبوسا مستمرا .

ستفر من الناس .. ويفـر الناس منـك . ستصرخ مما تلاقيه وستجد الناس مثلك يصرخون . وتتحول الحياة كلها الى صراخ وعويل وكراهية ونفور .

وتصبح الحياة جحيما لا يطاق .

أليست الحياة على ما فيها وعلى كثرة ما نشتكى منها وكما جعلها الله وبكل ما فيها من خداع . حلوة ؟

أليس من رحمة الله بنا ان حجب الغيب وجعله له وحده لنتمتع فى هـذه الحياة ولو بالخداع . ونحن مهما كنـا كبارا أطفال نفرح بالخداع فى هذه الحياة ونعيش عليه . وعلى الخيـال .. تلك طبيعةالانسانوالحياة .وسبحانكربى..

الخير والشر .. أيهما أصل في هذه الحياة وأيهما الشاذ فيها ؟

لا أريد أن أدخل بهذا في بحث علمي ولكنها خاطرة تمر بي من تأملاتي في الحياة وفي التاريخ .. فلا تقرأه على أنه بحث ولكن اقرأه على أنه نفثة تسجل بعض مظاهر الحياة المؤلمة .

كم في التاريخ وفي حياتنا من أصحاب المثل والقيم والدين الصحيح السليم ؟

وكم من هؤلاء سلموا في حياتهم ووجدوا الاعزاز والتكريم ممن عاصروهم؟

على مر التاريخ ـ ولا يسجل التاريخ الا حياة أشخاص قليلين جدا ـ ستقرأ عن رجال بارزين .. فكم من هؤلاء . سجل التاريخ أنهم كانوا أصحاب مثل وقيم واستقامة ؟

واذا وجدت منهم ((عينات)) أو نماذج نادرة بين هؤلاء الذين عنى التاريخ بهم .. فهل تجد أنهم عاشوا بعيدين عن الايذاء والدسائس والتعذيب؟

واذا كنت تعرف رجلا يلتزم في حياته آداب السلوك ، ويتعلق بالقيم الخلقية ، ويحرص على الواجب يؤديه .. فهل تعرف أن المجتمع يتحمله ويتجاوب معه ويقدر سلوكه ومبادئه أو أنه يعتبره رجلا شاذا وربما مجنونا ... وينبذه من الحياة ويضع في طريقه العراقيل ، ويحول بينه وبين الحياة الكريمة وربما مجرد الحياة نفسها ؟ .

أليس هذا هو واقع التاريخ .. وواقع الحياة التي نحياها ؟ . نعم هذا هو الواقع الذى لا فرار منه أو لا سبيل للمجادلة فيه ..

خذ رجلا ترى أنه نموذج للأخلاق والدين والتمسك بالواجب من الماضي أو من الحاضر .. واستعرض بعد ذلك حياته .. وما حدث له من مجتمعه .. وقل لى : هل تجاوب المجتمع معه . هل أكرمه أو حتى تسامح معه لتمسكه بواجبه وخلقه ؟ أو أنه عزله ، وعذبه وطارده وشرده ؟ قد يقال عنه بعد موته انه كان وانه كان .. وقد يذكره بعض الناس في حياته بأنه كذا .. وكذا .. ولكن ما قيمة هذا كله .. وقد طارده مجتمعه وعاش غريبا فيه .. وماذا يفيده ولسان حاله يقول .

لا ألفينك بعد الموت تندبني
وفي حياتي ما زودتني زادا

الشريرون والمفسدون يجدون الطريق مفتوحا أمامهم ، والمتملقون والمائعون والماجنون يركبون أكتاف المجتمع بسرعة ، وينيخ لهم ظهره ، ويحنى لهم هامته !!

وأهل الحق .. أصحاب المثل .. يسيرون في طريق مسدود ، ويرمون بالحجارة !!

صاحب المال قوله حق ، ونطقه حكمة ولو كان هراء ، واشارته نافذة ولو كانت جائرة !!

وصاحب الحق عيى لا يبين . ولو كان فصيحا مبينا ، وكلامه جنون ولو كان عين الصواب !!

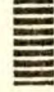
وقديما قال فرعون لقومه عن موسى عليه السلام . ((أن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون))

وصاحب الجاه والمنصب مكرم ولو كان ماجنا فاسدا ..

صورة مريرة من الواقع .. قاساها الأنبياء والمرسلون وقاساها من سار على طريقتهم ، وكل من دعا الى تطهير المجتمع من الشر والفساد الذى يحيق به ..

هل يعنى ذلك كله أن الشر والنزوع اليه هو الاصل في هذه الحياة ، وأن الخير والتمسك به هو الطارىء الشاذ الخارج على الاصل ؟ ! !

ان الشر انطلاق طبيعي من الغرائز المركبة في الانسان ، والشريرون لا يجدون صعوبة في السير مع هذه الغرائز ..



والخير . حد لهذه الغرائز وكبت لها وحرب معها ، والخيرون دائما فى حالة حرب مع هواهم وغرائزهم ، ويتحملون ما يتحمله المجاهد من عناء وأهوال ، ولذلك كان لهم أجر المجاهدين وكان قوله صلى الله عليه وسلم ((رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الأكبر)) .

وقوله ، ((حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات)) .

فهل ذلك كله يؤكد أن الشر أصــل فى هذه الحياة وفى الأحياء والخير طارىء يحتاج فى اقراره الى جهاد وعناء ؟

ولكن مهما يكن فلا قيمة للذين يستسلمون للتيار كأنهم جيفة محمولة . وانما لذة الحياة وقيمتها فى تحويــل التيار . فى تبديد الظلام ، فى تحطيم قوى الشر والطغيان لا حلال الخير مكان الشر ، فى أن يعرف الانسان نفســه ، ويشــعر بكيانه ، ويذوق لذة نضاله .

لذة الحياة وقيمتها ألا يكون الانسان امعة . ألا يكون مسبحة تنتقل من يد الى يد أو خفا ينتقل من رجل الــى رجل .. أو سيارة ((تاكسى)) يركبها كل من يدفع الاجر ، ألا يكون الانسان عبدا للمال أو للمنصب والجاه .

لذة الحياة .. فى أن يكون الانسان سيد نفسه عبدا لمولاه لا لأحد ولا لشىء سواه .. جرب .. وكن واحدا من كتائب الخير والحق .. ولــو عشت فقيراً معذباً فما عند الله خير وأبقى ..

باب جديد

يتيح لى بعض الفراغ الذى أجده أن أطلع على بعض المجــلات النســائية وغــيرها وقد خصصــت بابا للرد على المشكلات العاطفية والأسرية التى يبعث بهــا اليها بعض القــراء والقارئات ..

ويفزعنى أحيانا أن أجد الــرد على هذه المشــكلات لا يلقــى بالا للناحية الدينية التي أعتقد أن انســانا ما لــه مشكلة لا يمكنه أن يغفلها ، فهى مستقرة فى نفسه ولا يجد راحة ـ مهما يفتنــه المفتون ـ اذا كان حل مشكلته على أنقاض هذه العاطفة الدينية .. ومــع ذلك فان هذه الردود التي تغفل الجانب الروحى الدينى فى حل المشاكل انمــا تهيىء الشــباب والشــابات وبالتالــى الأسر والمجتمع الصغير ثم الكبير الــى التخلى نهائيا عن رأى الدين فى الحياة..

وكثير ممن يتولون الرد لا أظن أنه يعنيهم هذا الجانب ، فالمهم عندهم أن يردوا . كل حسب مزاجــه ونظرتــه للحياة . والدين قد يكون فى نظرهم عامل تعويق لأنهم لا يفهمونه فهما صــحيحا وليس عندهــم خبــرة بتعاليمه ولا بأهدافه ولذلك يحلو لهم الانطلاق منــه والــرد على المشكلة..حسب رأيهم الشخصي.. منســاقين وراء بعض الافكــار التــي اعتنقوها وقد تكون دخيلة على مجتمعنا .. غريبة على تقاليدنا ..

وصاحب المشكلة قد يتأثر بهذه الردود والحلول المعروضة عليه ويأخذ بها وهو فى غمرة الحيرة التى يتلمس مخرجا منهــا والمجلات الاسلامية تركت هذا الفراغ دون أن تملأه وتحاول فتح الباب لمعالجة مشكلات القراء العاطفية والأسريــة وامدادهــم بالرأى الصائب الذى يتفق مــع وجهة نظر الدين ...

لهذا أجد من الضرورى أن تقــوم ((الوعى الاسلامى)) بواجبها فى هــذه الناحية وأن ترتاد هذا الطريق وتفتح صدرها لمشكلات القراء وتبدى رأيهــا فى علاجها بما يتفق ومنهجها مستعينة بالله مســتمدة منه ســبحانه الهــدى والتوفيق .

والموعد العدد القادم ان شاء الله .

والا .. فاسمحوا لى ! !

الضجة التى أثارها فى الصحف والمجلات المصرية بعض الكتاب والكاتبات حول مشروع قانون الاحوال الشخصية أصبحت مجال الحديث فى كل مكان تصل اليه هذه الصحف والمجلات .. ونحن هنا من بعيد لا نستطيع أن ندعى الصمت وعدم المبالاة بما يكتب ويقال .. لا سيما والبلاد الاسلامية عامة شديدة التأثر بكل ما يجرى ويقرر فى مصر بلد الأزهر ،وخاصة فى مشروع كمشروع الاحوال الشخصية.

ان أى مشروع تضعه لجنة من اللجان من المفروض فيه أن يكون مجالا للاخذ والرد لا سيما اذا كانت فيه نواح للرأى والاجتهاد فيها مجال . فمن المؤكد حينئذ أن وجهات النظر اليه تتعدد وتختلف .

واختلاف وجهات النظر أمر طبيعى ، ونهوض كل انسان للدفاع عن وجهة نظره أمر طبيعى كذلك ، ولكن فى حدود لا تخرج بالمناقشة والدفاع الى مهاترة ورمى بالتهم ، والاعتداء على كرامة المخالفين ، حتى يمكن للمناقشة أن تكون مجدية ومؤدية الى النتيجة السليمة والمصلحة العامة التى ينشدها الجميع .

هذه قضايا بدهية لا أعتقد أن أحدا يعارض فيها ، وعلى ضوئها يمكن أن نقول شيئا فى هدوء وسط هذا الصراخ الذى ملأت به الجو بعض الكاتبات و .. الكاتبين .. وكادت تضيع فى ضجته الحقائق ..

بعض المجلات ذكرت أن مشروع القانون لم تطلع عليه ومع ذلك كتبت بالخط الأسود والبنط الكبير تهاجم المشروع ، وتتهم واضعيه بشتى التهم . فهل يعقل هذا أو يقبل ؟

أكثر الذين هاجموا المشروع لم يتجهوا الى الموضوع ، وانما أخذوا يهاجمون الأشخاص بأنهم جيل السبعين وأنهم رجعيون تعاونوا مع عهد ما قبل الثورة الخ ..

وانى لأسأل هؤلاء جميعا . ومن منكم لم يكن موجودا ومشاركا بجهوده أيا كانت هذه الجهود فى عهد ما قبل الثورة . ولعلكم تعرفون قول سيدنا عيسى « من لم يكن منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » .

بل ان بعضهم أو بعضهن كتب يقول ان القضية أصبحت قضية سياسية ! ! نعم ؟ .

وما دخل السياسة فى هذا ؟ ولماذا تجرون الموضوع الى السياسة ولا تناقشون مناقشة موضوعية ان كانت لكم قدرة على المناقشة ؟

ولم هذا الاستعداء الرخيص الذى لا يلجأ اليه انسان الا اذا أفلس وانفلتت منه أعصابه ؟ .

اننا أمام مشروع أتفق الجميع على أنه مستمد من الشريعة الاسلامية فالمناقشة التى يمكن أن تدور حول هذا المشروع وتكون مقبولة انما هى التى تقوم على أساس الشريعة لا على أساس التشبع بأفكار وتقاليد غريبة قد يكون أصحابها قد تخلوا عنها ، أو يعيشون متبرمين بها . وقد تكون هناك أقوال أو وجهات نظر لأئمة الشريعة والعلماء المتخصصين فى موضوع من هذه الموضوعات التى يتناولها المشروع . ومن الممكن أن نأخذ برأى ونترك آخر .. أما أن نخرج على الشريعة وروحها وتعاليمها بحجة أو بأخرى فهذا يخرج بالمشروع عن استمداده من الشريعة الاسلامية الى رأى فلانة أو فلان ممن لا يعتمد عليهم فى مثل هذا التقنين .

والشريعة نعم لا تنافى التطور ولا التقدم ولكن على أساس ألا يخرجنا هذا التطور وهذا التقدم عن روح الاسلام وتعاليمه وتقاليده الى تقاليد أمم غريبة لها ثقافتها الخاصة ونظرتها للحياة التى تخالف نظرة الاسلام ..

ان الشطط فى الكلام الذى يلازم الأقلام الثائرة ، والنفوس المحنقة لا يسىء الى أصحابها بقدر ما يسىء الى المجتمع الذى ينتسبون اليه ، ويدعون الغيرة والحرص عليه .

فلتقتصد الأقلام – اذن – فيما تكتب ، فان الصراخ والتهريج لا يجديان .

واذا كانت تهدف الى المصلحة حقيقة فعليها أن تأتى بمواد المشروع ، وتبدى رأيها موضوعيا وعلميا فى كل مادة ، وتبين مدى موافقتها للشريعة أو خروجها عليها ومدى ما يترتب على ذلك من أضرار بالمجتمع وتقترح ما تراه بديلا عن هذا النص أو ذاك ..

حينئذ تكون المناقشة مجدية وذات هدف ، ويمكن أن نقول اننا جميعا نخدم ديننا ومجتمعنا والا .. فاسمحوا لى ! ! ،،،،

تراثنا

بين الأصالة والتبعية

للشيخ أبو بكر ذكرى
الاستاذ بالجامعة الاسلامية ـ ليبيا

اقـرأ باسم ربك الذى خلق .. خلق الانسان من علق .. اقرأ وربك الاكرم .. الذى علم بالقلم .. علم الانسان مالم يعلم ، وكذلـك أوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشـاء من عبادنا وانك لتهدى الـى صراط مستقيم . صراط الله الذى لـه ما فى السموات وما فى الارض الا الى الله تصير الامور .

كانت رسالته العظمى عليه الصـلاة والسلام خاتمة الرسالات ، وماحيـة الظلمات ، وكاشفة الضلالات ، ومنقذة الانسانية من هلاك الابد ، ومسـددة خطاها على واضح الرشد .

وانا لنشعر بابلغ الاسـى اذ نـرى الانسانية مع ما آتاها الله سبحانه من انوار الهدى وأقام فى طريقها من علائـم الرشد وأبان لها عن مسالك الحق ، لا تزال حتى اليوم ، بوحى من عمايـات الغرائز وما ابتليت به من دوافع البهيمية تحاول بين آن وآن أن تتقصى عـن أواصر الحق ، وتتخذ هـذا القـرآن مهجورا ، وتدع سنة خير المرسـلين نسيا منسيا ، كأنما طال عليها الامـد فقسـت منها قلـوب وعميت افئـدة وطمست بصائر واضلها الله على علم وشارفت حافة الهاوية ، وقاربت خطر القاضية ، انخداعا بما يزيفه اعـداء الحق ويذيعه شياطين الفتنة وانصار العاجلة ودعاة المنفعة من دعايات يحاولون بها تزويق الباطل وتزيين الضلال وقهـر الحق ومحو آياته البينات ، فى كل مـا يقولون ويكتبون وينشرون عن مبـادىء الاسلام وتعاليمها السمحة الخالـدة . يوغلون فيها تجريحا وتنقيصا وغمـطا وظلما اما ليبلغوا غاية ما كان يرمى اليه الاستعمار من قهر العالم الاسـلامـى واستغلاله والثأر منه واعادته الى الربقة التى كان اسلافهم الظالمون قد غلوا بها الايدى والاعناق فى أعظم اقاليم الجزيرة

العربية ، وأغناها وأوفرها ثروة، وأكثرها سكانا عصر ما قبل الاسلام ، أو ليهدروا كل ما حققه هدى الاسلام لهذه الاقطار وللانسانية كلها من حرية وعدالة واخاء ومساواة وسعادة للمجتمعات الانسانية لم يسمع بمثلها التاريخ .

ولقد نسى أو تناسى أولئك الغواة الضالون عن سبيل الحق ما كان لتعاليم الاسلام من قيم حققت للعالم بالفعل ما حاولت الثورة الفرنسية الكبرى أن تحققه بصياغة الالفاظ والكلمات فذهبت وذهب نورها قبل أن تحول مفاهيمها المثالية الى الروح الانسانى ، وقبل أن تحققها بالفعل حتى فى نفس الوطن الاصلى للثورة .

ولقد انحسر مدها عن رأسمالية طاغية لا تحترم سوى النجاح المادى والقوة المستمدة من سلطانه، ولا تستطيع التجرد من الميول العنصرية المسرفة . ثم لم يكن لها فى عالم الغرب سوى ما نراه اليوم فى أوربا وامريكا من مادية جارفة تعبد ثالوثا من ثلاثة لا رابع لها : الدولار والمرأة والخمر . صراع بلا غاية وحرب بلا نهاية ، ومع كل ذلك نرى المفتونين بحضارة الغرب السامة الوبيلة لا يزالون يعقدون المقارنات الصارخة بين تعاليم الاسلام وبين ما ورثوه عن اسلافهم الاغريق . يرمون الاسلام فيها بالجهل والتأخر والقصور عن الاستفادة من الفرص التى سنحت للمسلمين عصورا طويلة لم يفيدوا فيها من حضارة الاغريق سوى قشور ضررها اكبر من نفعها .

بل يمتد همزهم ولمزهم الى حد الادعاء بأن تعاليم الاسلام لم تستغن حتى منذ نشأتها الاولى عن الاستمداد من ديانة المجوس ، وذلك هو بلا حياء ولا خجل رأى المستشرق اليهودى (جولد سيهر) . الذى لا ندرى أكان دافعه الجهل أم الحقد ؟ أما الجهل فما نظن أن يبلغ بجاهل الى هذا الحد ، مهما تكن عراقته فيه . واذن فهو الحقد والحقد المجنون بعينه .

وفيم — اذن — هذه الدعوى الطويلة العريضة التي يدعيها اولئك المستشرقون، اذ يزعمون ويزعم لهم ضعاف الايمان من شبابنا المولع بكل جديد ، ولو كان كفرا صريحا ، انهم ابطال الفلسفة والعلم والتحقيق والتدقيق والحرص على صميم الحق بلا هوى ولا تحيز . انهم يكادون يجمعون على أن حضارة الاسلام ما هى الا ظل باهت لحضارة اليونان . (وكم وكم غير هذا الفيلسوف اليهودى من الطاعنين والحاقدين) . . من أجل ذلك عزمت بعونه تعالى أن اسجل هنا على صفحات (الوعى الاسلامى) الغراء كلما نستطيع الوصول الى صميم الحق فيه ، طوال عصور الفكر الاسلامى ، من المشكلات الهامة غير متعصب ولا متحيز .

وأوثر ان تكون مراحل البحث كما يلى : —

١ — العرب قبل الاسلام .

٢ — ظهور الاسلام والصدر الاول .

٣ — العصر الاموى فى الشرق (دمشق) وما اليها .

٤ — العصر العباسى فى الشرق (بغداد) وما اليها .

٥ — العصر الاموى فى الغرب : (الاندلس) وما اليها .

ولن نحاول ان شاء الله ستر الحق أو تعمية طرقه جريا وراء الهوى كما يفعل المشغوفون بفلسفة اليونان وعلم اليونان فيخلقون من اشباه الاساطير



والخيالات البدائية فلسفة وعلما يستحقان التهليل والتمجيد،لا اعتقادا فى سمو التراث اليوناني على تراث الاسلام بحق ، ولكن لحاجة فى نفس يعقوب : لانهم رأوا تيار الحضارة الاسلامية قد بدأ يستعيد امجادا كان حماتها قد غفلوا عنها وتهاونوا فى حراستها وحياطتها وتنميتها فلما دهمهم الاستعمار الغربى وجدهم عزلا أو أشباه عزل فجاس خلال ديارهم فانتبهوا من رقدة كادت تنقلب موتا حقيقيا لا بعث بعده .

نعم رأى (أذناب اليونان واشباه اذنابهم) كما يقول الدكتور محمد غلاب فى كتابه (الفلسفة الشرقية) أن زجرة البعث العربى الاسلامى قد دوت صرختها فى انحاء العالم الاسلامى التى نمت فيها تعاليم الازهر تحت عوامل خفية ما كانت فى حساب أحد الا أن تكون حفظا من الله للاسلام وللازهر قلعة الاسلام الخالدة .

رأوا ضيغم الاسلام جمال الدين الافغانى الذى نبت عوده تحت أضواء الاسلام المرسلة يقبل من أبعد الاقطار ليأرز الى قلعة الازهر ، ويتخذ من مناراتها اجهزة ارسال لتعاليمه وابواق بعث لصوت رسالته . ورأوا عباقرة من الازهر غرًا ميامين يهرعون اليه وكلهم آذان واعية وقلوب صاغية تؤثر الفداء وتبذل الدماء وتستعد للقاء كأنما لقنت نفوسهم جميعا قول عمرو بن معد بكرب بطل العروبة والاسلام .

كل امرى يجرى الى
يوم اللقاء بما استعدا

رأوا كل ذلك وتلفتوا من حولهم مذعورين من بعث الاسلام وذكرى قوة الاسلام الغامرة التى غيرت وجه التاريخ فى أقل من قرن من الزمان ، ولم يجدوا ملجأ ولا مدخلا سوى قوة الاستعمار ونفوذ الاستعمار وأموال الاستعمار فخالوا انهم ظفروا بالحظ الاوفر ولكى يساندوا هم أيضا الاستعمار الذى بدأ يرتجف من خوف الراجفة راحوا يحاولون الاستناد الى مبدأ اخترعوه وسموه : (التجديد) وسرعان ما رأينا حربا شديدة القتام طويلة الايام يشب لظاها بين (القديم والجديد) تؤسس لها الصحف والمجلات ودور النشر ، لبعث كل ما هو فى صالح التجديد ، وكل مافيه تدمير القديم ، ومسح ذكراه من صفحة الوجود .

ولقد كان لنا عجبا ان نرى حضارة الاسلام التي بدأت وازدهرت فى القرن السابع الميلادى تعتبر فى نظرهم من القديم الذى بليت جدته ولم يعد لها فى مجال الحياة من مكان ولا مكانة . . اما التراث اليوناني الذى بدأ تباشيره فى القرن السابع قبل الميلاد فهو عندهم الطريف الجديد والاشتغال به هو التجديد .

لن نكون بحمد الله هنا من مطايا الاغراض ولا من هواة التعصب والعنصرية سنقول ان الاسلام بحكم الواقع التاريخي جاء بعد اليونان وبعد أن قامت حضارة اليونان فليس لنا حق الادعاء بأن حضارة الاسلام قد أصمت آذانها واغلقت عيونها عن حضارة اليونان وعن فلسفاتهم ولم تعبأ بها ولم تفد منها .

كيف ندعى ذلك وسنة الحياة وواقع التاريخ يقرران انه ما من أمة تم وعيها على الارض الا اقتبست من ثقافات الامم التي سبقتها .

كما يحق لنا أن ننبه الى أن هذا السبق الذى هو من واقع القدر وخارج

عن نطاق الارادة الانسانية ليس جديرا بأن يعد من مفاخر اليونان على من تلاهم من الامم .. ولو كان فى ذلك فخر لكان الاجدر به قدماء المصريين الذين سبقوا بحضارتهم على أمة اليونان بمئات السنين، واليهم لجأ كثير من فلاسفة اليونان واستمدوا من علمهم وفلسفتهم وتجاربهم .

لقد شاء القدر ان تقوم حضارة الاسلام فى الزمان المناسب والمكان المناسب وان تستقل بمبادئها وبنائها الاول باعتبار تعاليمها الاساسية تعاليم المعلم الاعظم سبحانه (الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) . وبعد اكثر من قرنين من الزمان ومن بلوغها حد الرشد لم تر بأسا فى أن تستزيد علما بالحياة وواقع الحياة . ونظرت الى الانسانية كوحدة حسب القواعد الاساسية لها فلم تر بأسا بعلوم الاوائل هنودهم وفرسهم ويونانهم وسريانهم وكلدانهم .

وكما كانت الانسانية فى نظرها وحدة كان الخير وحدة ولو صدر من غير مسلم والشر وحدة فى جميع صوره ولو صدر من مسلم . سأل عبد الله بن جدعان يوما رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اعمال من الخير قدمها وهو لا يزال على شركه اتكتب له عند الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : (أسلمت على ما أسلفت من خير) . هذا حديث صحيح .

ولكن كأنى بعمى البصائر أذناب اليونان وأذناب أذنابهم لو مروا به وتلوه وسمعوه لشمخوا بأنوفهم واستكبروا وعلوا علوا كبيرا وقالوا : مجرد مناقشة بين طالب فتوى وآخر يفتيه فى مسألة شخصية لا أثر فيها لفكر ولا لفلسفة .

ولو كانوا بحيث يفقهون تمام حد الفكر والفلسفة لوجدوا فى الحديث على قصره أعمق وأوسع قاعدة فى تعاليم الخير والاخلاق تقرران الخير فى ذاته وحدة لا يخرجها عن طبيعتها ان يكون صاحبها من يكون . وأن الشر كذلك وحده لا يخرجها عن طبيعتها أن يكون صاحبها من يكون . ولعل ايضاح ذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم : (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) .

ولعل الفلاسفة كانوا يرقصون طربا لو انكشف لهم بوضوح مثل هذه القاعدة . فكم نجد لهم خلافات وتخبطات وعمايات حول تحديد الخير والشر . وكان من فلاسفة اليونان من انكر نفس حقيقة الخير والشر وجعلها حسب رأى الرائى . ومن أسف ان هؤلاء المجانين قد دخلت اسماؤهم الخلود لانهم مفكرون وفلاسفة ومن صانعى التراث اليوناني ولهم اذناب واذناب أذناب والامر لله من قبل ومن بعد .

الا فليعلم القاصى والدانى وكل من لم يرن على قلبه رين الهوى وعبادة المنافع والشهوات أن فى تراث الاسلام وحضارته أعمق فلسفة وأخصب فكر يمكن ان يلقنهما العالم لو تفرغ لذلك الاساطين من علماء الاسلام ووجدوا الفرص السانحة والتشجيع الكافى . وان فى كتاب الله وسنة رسوله ما يصغر أمامه أعظم الفلاسفة لو كانوا يعقلون ومن الهوى يخلصون .. غير أنا نضن بهذا التراث القيم ان نقرنه الى تخليطات الفلاسفة وتلزيقاتها ونسميه فلسفة . انه اكبر من كل فكر ارضى ومن كل فلسفة .

((وللبحث بقية ان شاء الله)) .

٢

صَقلّيّة الإسلاميّة

أسباب الفتح الإسلامي لصقليّة

للدكتور زكي محمد غيث
استاذ التاريخ الاسلامي - جامعة بغداد

نرى من المستحسن قبل الحديث عن « الفتح الاسلامي لصقلية » أن نقدم عرضا سريعا نوضح فيه الظروف التى أدت الى قيام دولة الأغالبة التى فتحت الجزيرة على عهدها ، وبقواتها ، ثم نذكر الاسباب التى أدت الى فتح الجزيرة .

ظلت الحملات البحرية الاسلامية تفد على جزيرة صقلية للغزو منذ عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وخلفاء بنى أمية من بعد ، فلما شبت الثورات فى افريقية وسائر بلاد المغرب ، وانتفض الخوارج فى كل مكان فى أوائل أيام الدولة العباسية ، وقفت الحملات ريثما يلم المسلمون شعثهم ، ويستتب الأمر للدولة الجديدة فى افريقية وسائر بلاد المغرب التي تعتبر مفتاح الفتح الحقيقي لصقلية .

وفى أيام الخليفة الرشيد العباسى (١٧٠ - ١٩٣ هـ) كانت ريح الثورة لا تزال تعصف بالبلاد ، وغدت افريقية مصدر اضطراب من الوجهتين السياسية والاقتصادية لدولة الخلافة العباسية ، اذ كانت تكلفها سنويا مائة ألف دينار تدفع لسد نفقاتها من ايرادات الديار المصرية ، (١) وعجز الولاة عن ضبطها حتى استعفى «هَرْثَمة بن أعْيَن» الخليفة الرشيد ، فأعفاه سنة ١٨١هـ

(١) العبر ، لابن خلدون ج ٤ ص ١٩٦ .



(٧٩٧م) . (١) وولى مكانه « محمد ابن مقاتل العكى » فأساء السيرة ، واختلف عليه الجند (٢) ، وآل أمره الى فساد ، وعجز عن حكم البلاد وكرهه أهلها ، فداخل الناس « ابراهيم بن الاغلب » (٣) على أن يطلب الأمر لنفسه ، فعرض على الرشيد أن يوليه أمرها ، وتعهد باعادة الامن الى نصابه ، والقضاء على الثورات والفتن ، وأن يدفع الى بيت مال المسلمين ببغداد أربعين ألف دينار سنويا ، معلنا فى الوقت نفسه استغناءه عن المائة ألف دينار التى كانت تدفعها الدولة العباسية اعانة لحكومة افريقية من مصر ، فاستشار الرشيد أصحابه فأشار عليه « هرثمة » بولايته وذكر له ما يعرفه عن كفايته ، فبعث اليه الرشيد بعهده سنة ١٨٤ هـ (٨٠٠م) (٤) .

أصبح ابراهيم بن الأغلب حاكما على افريقية منذ ذلك التاريخ على أن يظل

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ج ٥ ص ٩٦ ، والبيان المغرب ، لابن عذارى ج ١ ص ٨٠ والعبر ، لابن خلدون ج ٤ ص ١٩٥ .

(٢) الكامل ج ٥ ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٨٠ – ٨٣ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٥ .

(٣) ينتسب الأغالبة الى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمى الذى دخل افريقية مع محمد بن الأشعث سنة ١٤٤ هـ .

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٨٣ وما بعدها ، والعبر ج ٤ ص ١٩٥ ، ١٩٦ .



الحكم له مدة حياته ، ويبقى وراثيا فى أسرته من بعد علـى شرط أن يعتمد الخليفة ببغداد ولاية كل متول بصفة رسـمية عند بدء توليته . وبذلـك استـقلت افريقية استـقلالا ذاتيا ، وخضعت لحكم الاغالبة ، (١) وصـار أمرها جميعه اليهم ، يصرفون شئونها ، ويدبرون أمورها حسبما يريدون .

وبعد وفاة ابراهيم سـنة ١٩٦ هـ (٨١١م) انتقل الحكم الى ابنه ابـى العباس عبد الله ، ولما توفى سنة ٢٠١ هـ (٨١٦م) خلفه أخوه « زيادة الله » فى الحكم ، (٢) وقد كان من يمن طالعه أن وفق الله أسـاطيله المظفرة الى فتح « جزيرة صقلية » ، حيث أسـتأنف حملات أسلافه التى بدأت منذ قـرن ونصف قرن ، ووقفت جنوده المظفرة على أبواب صقلية تقرعها قرعا عنيفا ، ولم يطـل قرعها حتـى اقتحمتها على أصحابها ، وأزالت سلطان امبراطوريتهم العتيقة عنها ، وأقامت على أنقاضـها أساس دولة اسلامية فتية ، ازدهرت حينا من الدهر ، وساهمت بقسط وافر فى بنـاء الحضـارة الأوربية الحديثة بغراسها الأول الذى نما وأثمر حتى أظل ربوع ايطاليا ، فأوربة الوسطى ، والذى لا تزال ثماره الشهية غذاء العالم حتى اليوم .

أما أسباب الفتح فيكاد ينعقد الاجماع بين المؤرخين من عرب وأوربيين على أن السبب الحقيقى الذى دفع بزيادة الله الأول الأغلبى الى غزو صقلية ما وصله من دعوة ثائر أو خائن سرقوسى يلتمس المعونة ضد الحاكم البيزنطى فى الجزيرة سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧م) ، فأتاح ذلـك فرصة صالحة للغزو انتهزها زيادة الله فسـير حملته البحرية بقيادة وزيره القاضى « أبى عبد الله أسد بن الفرات ابن سنان » فى تلك السنة ، وبذلك بدأ الفتح الحقيقي .

وتختلف الروايات النصرانية والاسلامية فى سبب تلك الدعوة ، أو الخيانة ، ففي الرواية النصرانية . أن شابا بيزنطيا اسمه (يوفميلوس) غرر باحدى الراهبات وأخرجها من الدير فحكم عليه الامبراطور بقطع لسانه (أو جدع أنفه) ، وفى الحال التجأ الى المسلمين فى افريقية وحرضهم على غزو الجزيرة . (٣)

ولكن الرواية الاسلامية لم تذكـر شيئا عن الراهبة بل تقول . أن سبب انفـاذ الجيش هو أن ملـك الـروم بالقسطنطينية اسـتعمل على جزيـرة صقلية بطريقا اسمه (قسطنطين) سنة ٢١١هـ(٨٢٦م)،فلما وصل اليها عين روميا اسمه (فيمى) قائدا على الاسطول ، وكان فيمى مغامرا ، وحازما شجاعا ، ففزا افريقية وأعمل فيها يـد النهب والتخريب ، ولكن ملك الروم لم يرضـه ذلك ، فما لبث حتى كتب الى قسطنطين حاكم الجزيرة يأمره بالقبض على فيمـى وتعذيبه ، فلما انتهى هذا الخبر الـى مسامعه شق عصا الطاعة ، وفى الحـال سار اليه قسطنطين واقتتل الفريقان حتى حلت الهزيمة بقسطنطين الذى فر الى مدينة (قسطانية) ، (٤) وعندئذ

(١) مختصر تاريخ العرب ، والتمدن الاسلامي لسيد امير علي (معرب) ص ٢٠٦ .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٨٤ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) تاريخ المسلمين بصقلية لأمارى (الكتاب الثاني ـ الفصل الأول) ص ٢٣٩ ـ ٢٥٠ ، وجبون ، ف ٥٢ ص ٩٥٨ ، وصقلية لجاكسون ، ف ٣ ، والبحر الزاخر ج ٣ ص ٣٦ .

(٤) قسطانية . بتخفيف الياء ، ويقال . قسطانة ، وقسطالية ، وهى ثغر على السـاحل الشرقي ، نزهة المشتاق للادريسي ص ٢٨ ، ومعجم ياقوت ج ٧ ص ١٢٠ ، والمكتبة الصقلية ـ (المراصد)ـ ج ١ ص ١٣١ ، ومعجم الخريطـة لأمين واصف ص ٦٧ .

زحف نحوه فيمى بجيش كبير وطفق يقاتله حتى هزمه ، وقبض عليه وفتك به ، ثم نادى بنفسه ملكا على الجزيرة ، واستعمل على أحد اقسامها رجلا اسمه (بلاطة) لم يلبث هو الاخر أن طمع فى الملك وشق عصا الطاعة مع ابن عم له اسمه (ميخائيل) حاكم مدينة (بلرم) . (١) وجمع الأثنان جيشا لجبا وقاتلا فيمى وألحقا به هزيمة منكرة ، واستولى بلاطة على مدينة (سرقوسة) . (٢) غير أنه لم تمض مدة وجيزة حتى أرسل (فيمى) الى الأمير . زيادة الله الأول يستنجده ويعده بملك جزيرة صقلية ، فسير معه جيشا فى منتصف شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ (١٥ يونيو سنة ٨٢٧م) فوصل الى مدينة (مازر) (٣) حيث نشب قتال مع جمع حاشد من الروم ، ودارت بين الفريقين معركة هائلة اسفرت عن هزيمة الروم ، واستيلاء المسلمين على أموالهم ودوابهم . (٤)

وفى رأينا أن هذه الروايات كثيرة الشبه بما يذكره المؤرخون الأجانب للحط من قيمة الفتوح الاسلامية ونسبة نجاحها الى خيانة من جانب أحد ابناء الدولة المفتوحة ، على حين أن المؤرخين العرب كانوا يوردون هذه القصص بما فيها من خيال خصب كأسباب للفتوح الاسلامية حينما يعوزهم تعرف الأسباب الحقيقية من سياسية واقتصادية ، محلية ودولية مما أدى الى ذلك الفتح ، أو عبد طريقه .

ومهما يكن من أمر فانا لا نريد التعرض هنا لنفى هذه القصة أو اثباتها ، لأنا نعتقد أننا لو أسقطناها من حسابنا لانتحلت لهذا الفتح أتفه الاسباب ، واذا أقررناها فانها لا تعدو أن تكون سببا مباشرا للغزو فحسب ، ذلك لأنه كانت هناك أسباب أعمق وأبعد غورا لهذا الغزو ، فلقد كانت الدولة البيزنطية تعاني يومئذ نوعا من الانحلال والضعف ، وذلك أن الامبراطور ميخائيل الثاني (التمتام) الذى بدأ فى عهده الفتح لم يصل الى العرش الا على جثة سلفه ،

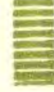
---

(١) بلرم . بفتح أوله وثانيه ، وسكون الراء ، وميم ، ويقال . **بلزم** (بالراء المعجمة) ، وبالرم ، وبالرمة ، وبالرمو ، وهى من الثغور الهامة على الساحل الشمالى الغربى وقد فتحها المسلمون سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) واتخذوها عاصمة للجزيرة . (الادريسي ص ٢١ ، وياقوت ج ٢ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والقلقشندى - صبح الاعشى - ج ٥ ص ٣٧٤ وامين واصف - معجم الخريطة - ص ٦٧ ومجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ .

(٢) سرقوسة . بفتح أوله وثانيه ، ثم قاف ، وبعد الواو سين أخرى ، كما ضبطت ايضا بالضم ثم السكون ، وهى من أشهر مدن صقلية على الساحل الشرقي ، وثغر مهم ، وكانت عاصمة الجزيرة قبل الفتح الاسلامي (المراجع السابقة ، مادة سرقوسة) .

(٣) مازر ، ماذر بالزاى ، والذال . بفتح المعجمة ، وآخره راء ، ثغر جليل يقع الى الغرب من الجزيرة ، وهو أقرب الثغور الى افريقية ، وأول بلد نزلت به الحملة الاسلامية سنة ٢١٢ هـ بقيادة أسد ابن الفرات ، وقد امتلكه المسلمون يومئذ . (الادريسي ص ٣٢ ، ياقوت ج ٢ ص ٢٨١ والمكتبة الصقلية الصقلية - (المراصد) - ج ١ ص ١٢٨ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦ ، ١٣٨ ، ولويجي رينالدى - (المدنية العربية) ص ٦ .

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، والمكتبة الصقلية - (نهاية الأرب) - ج ١ ص ٤٧٧ ومعجم ياقوت ج ٥ ص ٣٧٤ والعبر ج ٤ ص ١٩٨ ، ١٩٩ .



ليو الخامس (٨١٣ – ٨٢٠م) ، اذ ذبحه أنصار ميخائيل بأسفل منبر الكنيسة فى يوم عيد الميلاد سنة ٨٢٠ م وأتوا بصاحبهم من محبسه وأجلسوه على العرش بقيوده الحديدية . (٥)

يدل ذلك على ما كانت تعانيه الامبراطورية فى شئونها الداخلية من فوضى واضطراب مما صرفها عن العناية بالشئون الخارجية بما فى ذلك ادارة أملاكها البعيدة عن مركز حكومتها ، فلم تكن لتعنى بها الا بالقدر الذى تسمح به مشاغلها الداخلية ، وحروبها مع جيرانها ، فأصبحت تعالج شئون هذه الاملاك البعيدة فى ايطاليا ، وجزيرة صقلية كما لو كانت فى مرتبة ثانوية ، فلم تحطها بقوات ثابتة ، ولم ترسم خطة معلومة للمحافظة عليها ، والدفاع عنها تاركة أمرها للنواب المقيمين فيها .

وكانت دولة الأغالبة اذ ذاك فى عنفوان الشباب ، وميعة الصبا قد استكملت قوتها ، وسيطرت على المياه الوسطى والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط ، وكانت المياه الايطالية والبيزنطية بخاصة مقصد حملاتهم ، وكانت واقفة على ما يدور فى العالم حولها ، وعالمة بحالة الانحلال والضعف فى الامبراطورية البيزنطية ، فبدا لهذه الدولة القوية الفتية أن (صقلية) ضرورية لها ، لعلها تنفذ منها الى قلب أوربة فتحقق أملا طالما جاهد المسلمون الاول فى سبيله من قبل ، ولكنهم ردوا عنه يوم انتصر (شارل مارتل) على الامير (عبد الرحمن الغافقى) فى موقعة بلاط الشهداء سنة ١١٤ هـ (٧٣٢م) ، وهى موقعة (بواتييه تور) التى جرت على أرض فرنسا .

هذا الأمل كان يبدو ممكنا اذ ذاك ، ذكر (المقرى ، وابن خلدون) (١) فى صدد الكلام عن الفتوحات الاسلامية فى الأندلس وفرنسا . « أنه قد كان مقصد موسى بن نصير المعاد الى دمشق حاضرة الخلافة الأموية – عن طريق ألمانيا ، مارا بالقسطنطينية ، وبآسيا الصغرى بحيث يصبح البحر الأبيض المتوسط كله عبارة عن بحر متوسط للمملكة الاسلامية يربط مواصلات بعضها مع بعض ، ويجعل مخترقه لتلك الأرض طريقا يسلكه أهل الأندلس فى مسيرهم ومجيئهم من الشرق واليه على البر لا يركبون بحرا ، وقد ثنى الخليفة الوليد – ٨٦ هـ – ٩٦ هـ – موسى عن مقصده فلم يتم مشروعه الخطير بسبب خوفه على المسلمين الهلكة والضياع فى هذه الديار البعيدة المنقطعة ، « فلعل الأغالبة قد جال بأذهانهم فكرة احياء هذا المشروع من جديد فيتحقق على أيديهم اليوم ما فات أسلافهم بالأمس .

هذا احتمال فرضى ، لكن يبدو لنا أن أهم الأسباب هو الرغبة فى القضاء على قوة الامبراطورية البيزنطية فى هذه النواحي من مياه البحر الأبيض المتوسط

---

(١) تاريخ المسلمين بصقلية ، لأمارى ، ف ١ ، الكتاب الثاني ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، والبحر الزاخر ج ٢ ص ٣٧٠ .

(٢) نفح الطيب للمقرى ج ١ ص ١٢٩ – ١٣١ ، والعبر لابن خلدون ج ٤ ص ١١٧ ، ١١٨ .

حتى تأمن الدولة الناشـئة من غارات الاسـاطيل الصـقلية البيزنطيـة على سواحلها وثغورها بافريقيـة ، وحتى تتفرغ لتنظيم شئون اماراتها الداخلية ، وتستخدم جهود قواتها فى تأمين بلادها الأصلية .

وهناك سبب يأتى كذلـك فى المرتبة الأولى وهو : أن دولة الأغالبة كانت فى حاجة الى موارد جديدة تسد بها بعض النقص فى انتاجهـا المحلي ، وفى حاجة أيضا الى تبادل المتاجر والسلع ، وانشاء علاقات تجارية مع بلد آخر لتحسـين حالة التجارة والانتاج فى البلاد ، وانعاش الحالة الاقتصادية بوجه عام ، فلم يجدوا فى نظرهم ــ وهو طبيعي ــ غير صقلية لتحقيق هذا الأمل ، تلك الجزيرة الكبيرة الغنية بمواردهـا وغلاتهـا ، والممتازة بموقعها القريب من أوربة وافريقية مما يسـهل معه تبادل التجارة مع أوربـة الوسـطى وثغورها الجنوبيـة ، فكانوا ينتظرون هذا اليـوم الموعـود للوثوب نحوها ، وكانوا قد بدأوا يتحرشون بها منذ عهد أمـيرهم الأول (ابراهيـم بن الأغلب) ، وقد شعر حاكـم الجزيرة اذ ذاك بالخطـر الذى يهدد جزيرته مـن ناحية الدولة الجديدة الطموحة فعقد معاهدة مع الأمير ابراهيم سنة ١٩٠ هـ (٨٠٥ م) لمدة عشر سنوات ، وتجددت هذه المعاهدة على عهد ابنه أبى العباس عبد الله سنة ١٩٨ هـ (٨١٣ م) لمدة عشر سنوات أيضا ، ولكن زيادة اللـه الأول الذى تولى سنة ٢٠٤ هـ ٨١٩ لم يقرها وغزاها ابن عمه الأمـير محمد ، ثم تجدد السلم مرة أخرى (١) .

ومهما يكـن مـن شىء فقد وقعـت الحرب الأهلية فى الجزيرة ووثب الثوار حوالي سنة ٢١٠ (٨٢٥ م) على حاكم الجزيرة ((جريجوراس)) وهزموه ثـم قتلوه (٢) ، وفى سنة ٢١١ هـ (٨٢٦ م) جاء الحاكم الجديد (قسطنطين) على رأس قوة جديدة ، وكان مصيره كسلفه حيث أسر وقتل ، ومع ذلك فقد نجحت حركة مقاومة كان زعيمها رجل أرمنى يدعى (بلاطـة) كانت نتيجتها هـرب قائد الاسطول الثائر (فيمى) الى افريقية لا ليجد ملجأ هناك ، ولكن ليطلب العون من أميرها العربى (٣) .

وموعدنا المقال القادم للحـديث عن ((الحملة الاسلامية على صقلية)) باذن الله تعالى .

- كـل شـىء الى زوال الا الشرف .
- يجب أن يأخذ العدل مجراه ولو هلك العالم .
- السـكينة أول واجبـات المواطن .
- معنى أن لنا أذنين ولسـانا واحدا أن نسمع أكثر مما نتكلم .

---

(١) المعارف البريطانيـة م ٢٠ ص ٦٠٩ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٨٢ .

(٢) مجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٤ .

(٣) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الارب) ج ١ ص ٤٢٦ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ومجموعة كمبردج ، ج ٤ فمجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٤ ، ودائرة ا ٥ ص ١٣٥ .

نظام الولاة في الإسلام

كيف يُختارون وكيف يُحاسبون

صور من التطبيق العُمري

للاستاذ صلاح عزام

لم تكن ولاية الحكم فى عهد عمر بن الخطاب نظاما أوجده هو فى المجتمع الاسلامي وأدخله على نظم الحكم .. وانما كل شيء فعله عمر .. قد وجد له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سببا .. أو كان من فهمه لروح التشريع الذى تعلمه من المدرسة المحمدية .. ولذلك كان نظام الولاة فى الاسلام نموذجا وحده ، لم يعرفه التاريخ من قبل ولن يصلح لتطبيقه غير عمريين تشربوا المنهج المحمدى فى صدق وايمان واخلاص .

وأول مرحلة فى نظام الولاة .. كانت تبدأ من الاختيار الرئيسى .. واختيار الوالي الصالح للولاية ليس بالامر السهل .. لأن مهمته ليست هينة .. وكان الشرط الرئيسي .. ألا يختار للولاية الا الكفء لها الذى لا يطلبها حرصا على هالتها وجاهها .. فرسول الله يقسم « انا والله لا نولى هذا الأمر أحدا يسأله أو يحرص عليه » .

لذلك فكر عمر ذات يوم فى تولية أحد المسلمين المشهود لهم بالتقوى والعدل وقبل أن يستدعيه ليعلنه بقراره أتاه هذا الصحابى يسأله أن يوليه امارة كانت هى ذاتها التى فكر فيها عمر فابتسم وقال له : « قد كنا أردناك لذلك ولكن من يطلب هذا الأمر لا يعان عليه ولا يجاب اليه » .

وكان رضى الله عنه لايقتصر على رأيه فيمن يريد أن يوليه ، بل يسأل فيه الصحابة وأهل المعرفة ، ويشترط فيه أن يكون « رجلا اذا كان فى القوم وليس أميرا لهم بدا كأنه أميرهم ، واذا كان فيهم وهو أميرهم بدا كأنه واحد منهم » . وأن يكون ممن يرضى الله عنهم ، ويحرصون على مصلحة المسلمين أولا وقبل كل شيء .. وأن تكون مهمتهم الاولى الدعوة الى الاسلام وتعليمه وبذلك يسود الضمير الاسلامى فى الجميع فيشيع الامن ويسود العدل ، ويختفى كل مظهر للظلم .. (وما أرسلتكم جباة ... بل دعاة الى دين الله) .

والا يكون سبب الاختيار المودة أو القرابة فقط فان « من استعمل رجلا لمودة او قرابة لا يحمله على استعماله الا ذلك فقد خان اللـه ورسوله والمؤمنين » .

ثم تأتى بعد ذلك المرحلة الثانية ،وهى النصائح والتوجيهات الاولية اى القواعد التى يسير عليها التى نسميها فى المصطلح الحديث برنامج الحكم ، حتى يكون بعد ذلك الحساب .. ولكل وال نصائح حتمها ظروف ولايته .. وان كان لجميع الولاة عند عمر توجيهات عامة .. يلتزمون بها جميعا .. منها « انى لم أستعملك على دماء المسلمين ، ولا على أعراضهم ، ولكنى أستعملك لتقيم فيهم الصلاة ، وتقسم بينهم وتحكم بالعدل » .

ومنها « ألا تركب دابة مطهمة ، ولا تلبس ثوبا رقيقا ، ولا تأكل طعاما رافها ، ولا تغلق بابك دون حوائج الناس » اعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس .. افتح لهم بابك ، وباشر أمورهم ، فانما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك أثقلهم حملا .

مراقبة الولاة

ولم تكن مهمة عمر الحاكم تنتهى عند حد اختيار الوالى ، وتبيان العمل له .. بل كان يتابعهم ويراقبهم فقد قال يوما لاصحابه « أرأيتم اذا استعملت عليكم خير من أعلم ، ثم أمرته بالعدل أيبرىء ذلك ذمتى » ؟ .

فقال أصحابه : نعم .

فيقول لهم « كلا حتى أنظر فى عمله . أعمل بما أمرته أم لا .. » .

ومن أجل هذا كان يقول . « ايما عامل لى ظلم أحدا ، وبلغتنى مظلمته ، فلم أغيرها ، فأنا الذى ظلمته » .

ومن أجل هذا كان عمر يرسل الى الولاة دائما بنصائحه . حتى لا تشغلهم الدنيا فيذكرهم بأمر الله ... لكيلا يدعوا عند الحساب أنهم لم يكونوا يعرفون ، أو أنهم فعلوا ذلك مظنة ارضاء عمر أو بحسن نية .. من ذلك أنه كتب يوما لعامل له أن يعطى الناس أعطياتهم فرد عليه يقول « أنا قد أعطيناهم وبقى شىء كثير » فكتب اليه عمر يقول « ان هذا الفضل الذى بقى عندك انما هو فيئهم الذى أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر فاقسمه بينهم » .

أما المرحلة الثالثة .. فانه كان يعلم جماهير المسلمين حق مناقشة ولاتهم .. ... ومحاسبتهم ، ونصحهم ، ولم يكن أمامه من وسيلة للاتصال بجماهير المسلمين غير مواسم الحج ، والالتقاء بكل وفد يزور المدينة ، أو يمر بها فى طريق سفره .. فلم يكن يسألهم عن الولاة وأفعالهم معهم فحسب .. بل يخطب فيهم كما حدث فى حجاج أحد المواسم « أيها الناس انى والله لا أبعث عمالى اليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أبعثهم اليكم ليعلموكم دينكم ، وسنة نبيكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده لامكننه من القصاص » .

وكان كثيرا ما يردد على مسمع جماهير المسلمين (أيما رجل مسه عامله بأذى فيرفع ذلك الى أقصصه من واليه) .

ولم يكتف بذلك بل كان يرسل من ينوب عنه الى مناطق الولاة ، ليروا ما يفعلون ، ويقفوا على رأى الناس فيهم ، حتى يكون على بينة من أمرهم دائما . وكان يختار هؤلاء الرسل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليضمن ولاءهم المطلق للحق والعدل كما علمهم النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان عمر صادقا فيما يقول .. اذ كانت المرحلة الرابعة فى نظم الولاة .. ان يحاسبهم فى أعمالهم .. ويمكن للمسلمين القصاص ممن ظلم . أو من استغل صلته بالوالى .... والتاريخ ملىء بالأمثلة الواضحة الصريحة فى هذا المجال ..



والى حمص

فيسأل عمر وفدا زاره من أهل حمص عن عبد الله بن قرط واليهم ، فيقولون : خير أمير يا أمير المؤمنين ، لولا أنه قد بنى لنفسه دارا فارهة .. فيتمتم عمر « دارا فارهة .. يتشامخ بها على الناس؟ بخ . بخ . لابن قرط » .. ويرسل اليه رسولا على عجل ، ويأمره أمر أمير المؤمنين : « ابدأ بالدار فاحرق بابها .. ثم ائت به الى » .

وينفذ رسول عمر أمره .. ويعود مع والى حمص فيمتنع عمر عن لقائه ثلاثة أيام ثم يأذن له باللقاء فى اليوم الرابع ، فى الحرة ، حيث تعيش ابل الصدقة .. وقبل أن يتبادلا الحديث يأمر عمر - الحاكم - عبد الله بن قرط - الوالى - أن يخلع حلته ، ويرتدى لباس الرعاة ، ويقول له « هذا خير مما كان يلبس أبوك » ، ويناوله عصا ، ويقول له : « هذه خير من العصا التى كان أبوك يهش بها على غنمه ، » ثم يشير عمر الى الابل ويقول : « اتبعها وارعها يا عبد الله » ... وبعد أن ينفذ عبد الله أمر عمر ، ويعود من الرعى .. يبدأ الحساب ، فيقول له عمر « هل أرسلتك لتشيد وتبنى ؟ ارجع الى عملك ، ولا تعد لما فعلت أبدا » .

مع سعد بن أبى وقاص

وكذلك فعل مع سعد بن أبى وقاص عندما علم أنه اتخذ لدار الامارة بابا يريحه من ضوضاء السوق ، فأرسل اليه محمد بن مسلمة ليتأكد من الامر فان تحقق منه حرق هذا الباب قبل أن يتكلم سعد أو يسمع منه ، وفعل ذلك ابن مسلمة (١) .

مع سعيد الجمحى

وكان عمر فى مناقشته الولاة لا يستمع فيهم .. وانما يواجههم مع الذين يشكونهم .. فذات يوم شكى اليه بعض نفر من المسلمين واليا يحبه ويثق فيه ، ويؤمن أنه يتبع سنة رسول الله فى عمله ... وهو سعيد بن عامر الجمحى وقالوا انه « لا يخرج الى الناس - حتى يتعالى النهار - وأنه لا يجيب أحدا بليل - وأنه يغيب عن الناس كل شهر يوما لا يرى أحدا ولا يراه أحد » .

فاستدعاه عمر وواجهه بالشكاة .. وطلب منه أن يجيب فقال « والله يا أمير المؤمنين ان كنت لاكره ذكر السبب . أما عن الاولى . فليس لاهلى خادم ، فأنا أعجن معهم عجينى ، ثم أجلس حتى يختمر ، ثم أخبز خبزى ، ثم أتوضأ وأخرج اليهم .

وعن الثانية : انى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل .

وعن الثالثة : ليس لى خادم يغسل ثيابى ففى هذا اليوم أغسلها ، وأنتظرها حتى تجف ، ثم أخرج اليهم آخر النهار » .

وفرح عمر ، وأثنى على واليه ودعا له وشكره .. وقال « الحمد لله الذى لم يخيب فراستي »

القصاص من الولاة

ورواية أخرى وليست أخيرة .. عن القصاص من الولاة التي يرويها انس بن مالك والتي صارت بين الناس مثالا عن المصري الذي ضربه ابن عمرو بن العاص محمدا .. فيقول انس رضى الله عنه : « .. فوالله أنا لجلوس عند عمر ،

« ١ » وكان ذلك من الخليفة رضى الله عنه مراعاة لزمنه وخوفا من ترف الولاة وترفعهم على الرعية .

واذا عمرو بن العاص يقبل فى أزرأ رداء ، فجعل عمر يلتفت باحثا عن ابنه محمد فاذا هو خلف أبيه فقال : أين المصرى ؟ . قال ها أنذا يا أمير المؤمنين قال عمر : خذ الدرة واضرب بها ابن الاكرمين . فضربه حتى أثخنه ، ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول له اضرب ابن الاكرمين . ثم قال عمر : أجلها على صلعة عمرو . فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه . فقال الرجل . يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت ، وضربت من ضربنى . قال عمر . « أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه ، حتى تكون أنت الذى تدعه ، ثم التفت الى عمرو وقال : « يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

والتفت الى المصري وقال له «انصرف راشدا فان رابك ريب فاكتب الى » .

وخامسة قواعد الولاة الاسلامية التى أتبعها عمر هي .

ان يمكن للولادة كل الظروف التي تهيء لهم العمل دون حاجة الى الناس ، من غير اسراف ، تطبيقا لتعاليم رسول الله « من ولى عملا ولم يكن له بيت فليتخذ لنفسه بيتا . . . الخ » لذا كان يفرض للولاة دون تقتير ومن غير اسراف . . فقدر لعمار بن ياسر حين ولاه للكوفة ستمائة درهم فى الشهر له ولمساعديه يزاد عليه عطاؤه الذي يوزع عليه ، كما توزع الاعطية على أمثاله . . وكان يحاسبهم أيضا على كل ثراء يحصلون عليه . . ومن أجل هذا . . كان يحصى أموال الولاة قبل أن يذهبوا الى عملهم . . . ويحصيها بعد أن يعودوا ، ولا يقبل فى أسباب الزيادة الغير المقبولة أية حجة ، حتى ولو كان قيامهم بالتجارة لانه كما يقول لبعضهم « انما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا » فان كان فى ثروة الولاة زيادة غير مقبولة ردها الى بيت المسلمين .

وأخيرا فان سادسة القواعد . . ألا يطيل لهم مدة الولاية ليحفظ على الولاة أصالتهم . . وكما يقول لهم « انما عزلتكم لكيلا أحمل على الناس فضل عقولكم ، ولكيلا تفتتنوا بالناس كما افتتن الناس بكم » .

وبين هذا المنهج الطويل للولاة فى عهد عمر . . كان اللقاء المستمر بين الحاكم وولاته . . وكان الحساب المستمر . . وكان النصح الدائم . . وكان الحكم الصالح . وبذلك كان حكم الولاة .

وبهذا النظام يروى التاريخ أن خالد ابن عرفطة من العراق قدم على عمر في المدينة فسأله عمن وراءه فقال « يا أمير المؤمنين تركت من ورائى يسألون الله أن يزيد فى عمرك من أعمارهم ما وطىء أحد القادسية الا عطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة ، وما من مولود يولد الا ألحق على مائة وجريبين كل شهر . ذكرا كان أم انثى ، وما يبلغ لنا ذكر الا ألحق على خمسمائة أو ستمائة ، فاذا خرج هذا لاهل بيت منهم من يأكل الطعام ومنهم من لا يأكل الطعام فما ظنك به فانه لينفقه فيما ينبغى وفيما لا ينبغى » .

قال عمر « فالله المستعان انما هو حقهم أعطوه ، وأنا أسعد بأدائه اليهم منهم بأخذه ، فلا تحمدنى عليه ، فانه لو كان من مال الخطاب ما أعطوه ، ولكنى قد علمت أن فيه فضلا ، فلا ينبغى أن أحبسه عنهم ، فلو أنه اذا خرج عطاء أحد هؤلاء العرب ابتاع منه غنما فجعلها لسوادهم ، ثم اذا خرج العطاء الثانى ابتاع الرأس ، فجعله فيها ، فانى ويحك يا خالد بن عرفطة أخاف عليكم أن يليكم بعدى ولاة لا يعد العطاء في زمانهم مالا فان بقى أحد منهم أو أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه ، فيتكئون عليه ، فان نصيحتى لك وأنت عندى جالس كنصيحتى لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين ، وذلك لما طوقنى الله من أمرهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة) .

مائدة القارئ

أعدها أبو نزار

كل الحروف الهجائية
فى هذه الآية الكريمة

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » . آية ٣٠ / الفتح

قرآنيات

* أطول سورة فى القرآن الكريم سورة البقرة ، وعدد آياتها ٢٨٦ .
* وأقصر سورة فيه سورة الكوثر وعدد آياتها ثلاث .
* وأطول آية فيه آية الدين ٢٨٢ من سورة البقرة .
* وأقصر آية فيه طه .
* وأطول كلمة فيه لفظا وكتابة « فأسقيناكموه » من الآية ٢٢ من سورة الحجر .
* السورة التي ذكر اسم الله تعالى فى كل آية من آياتها سورة المجادلة .

من أدب النساء
فى القرآن الكريم

فى الحديث . قال تعالى « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض » . آية ٣٢ / الاحزاب

فى النظر . قال تعالى . « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ... » آية ٣١ / النور

فى الاختلاط . قال تعالى . « واذا سألتموهن متاعا فأسألوهن من وراء حجاب » . آية ٥٣ / الأحزاب

فى الملبس . قال تعالى . (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) . آية ٥٩ / الأحزاب

فى الزينة . قال تعالى . « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن » آية ٣١ / الأحزاب

الأمـة

تطلق كلمة « أمة » ويراد بها معنى من المعانى الآتية :

الجماعة . قال تعالى (وجد عليه أمة من الناس يسقون) آية ٢٣/ القصص .

الدين . قال تعالى (انا وجدنا آباءنا على أمة) آية ٢٣/ الزخرف .

الـزمان . قال تعالى . (وادكر بعد أمة) آية ٤٥ / يوسف .

الرجل القدوة . قال تعالى . . (ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا) آية ١٢٠ / النحل

أمجادنا العلمية

الثابت أن علماء المسلمين أحدثوا ثورة علمية عظمى ، واكتشفوا « الكحول » و « حامض النتريك » و « البوتاس » و « ملح الطعام » وهم أول من استخدموا الطرق الجديدة فى عمليات الكيمياء كالتقطير والترسيب والتصعيد والتذويب والبلورة والتحويل .

وقد صنعوا أول مكبر وأول بوصلة وأول ساعة دقاقة .

الجاذبية

الفكرة الشائعة أن أول من تكلم على الجاذبية ، واكتشفها هو « اسحاق نيوتن » حين علل سقوط التفاحة من الشجرة بجاذبية الأرض لها .

ولكن سبقه الى هذا « الرازى » بمئات السنين ، فقد عاش فى القرن السادس الهجرى ، وعلل « المدرة » التي رماها وسقطت بعد ارتفاعها ، وانتهى تفكيره الى القول بأن فى الأرض قوة قاهرة تحكم على الأشياء بالانجذاب اليها .

دوران الأرض حول الشمس

المعروف أن أول من تكلم على دوران الأرض حول الشمس هم (غاليليو) و (برنو) و (كوبرنيكوس) لكن الواقع أن السابق لهم جميعا فى الكلام حول دوران الأرض هو (عضد الدولة عبد الرحمن بن أحمد) الذى عاش قبل هؤلاء بمائتى سنة .

الرخـــاء
فى عهد أبى جعفر المنصور

روى الخطيب البغدادى فى تاريخه عن رجل عاش فى عهد المنصور قال : رأيت فى زمن أبى جعفر كبشا بدرهم ، وحملا بأربعة دوانق والتمر ستين رطلا بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم والسمن ثمانية أرطال بدرهم .

احفظوا القرآن

مر عمر بن الخطاب بقوم يتناضلون ، فقال لهم : انتسئوا ـ تأخروا ـ عن البيوت ، فان للنضال كلاما لا يصلح أن يسمعه النساء . ورمى أحدهم فأخطأ ، فقال له عمر أخطأت فقال يا أمير المؤمنين (نحن متعلمين) ! فقال : والله لخطؤك فى كلامك أشد علي من خطئك فى نضالك . احفظوا القرآن وتفقهوا فى الدين ، وتعلموا اللحن ـ النحو ـ .

حيلة زاهد

دخل بعض الزهاد على ملك جبار ، فأحضر له اللهو والمغنين ، فجعل الزاهد يقول للمغنى كلما فـرغ من غنائه أحسنت ، ليدفع عنه جبروت الملك ، فلما خرج الزاهد عاتبه أصحابه فى ثنائـه على المغنـى واستحسانه لغنائه ، فقال لهم . انما كنت أقول له أحسنت اذا سكت .

حيلة مظلوم

أراد رجل الوصول الى المأمون فى ظلامة ، فلم يصل اليه ، فقال للحاجب . قل للخليفة . أنا أحمد النبى المبعوث ، فدخل الحاجب وقال للمأمون أن بالباب رجلا يدعي النبوة ، فادخل عليه ، فقال له : ما تقول . فذكر ظلامته ، فقال له انك تزعم أنك نبى . قال . معاذ الله . انما قلت أنا أحمد النبى المبعوث . أفلست يا أمير المؤمنين ممن يحمده ، قال . نعم فاستظرفه المأمون ، ونظر فى ظلامته .

« زه »

لزم بعض الحكماء باب ملك من ملوك العجم دهرا ، فلم يصل اليه ، فتلطف للحاجب فى ايصال رقعة كتب فيها أربعة أسطر .

السطر الأول : الأمل والضرورة أقدمانى عليك .

السطر الثاني : والعدم لا يكون معه صبر على المطالبة .

السطر الثالث : والانصراف بلا فائدة شماتة للأعداء .

السطر الرابع : فأما نعم مثمرة ، واما لا مريحة .

فلما قرأها وقع فى كل سطر « زه » فأعطى ستة عشر ألف مثقال فضة ، وزه معناها فى لغة الفرس أحسنت .

الاقــراد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اياكم والاقراد . قالوا . يا رسول الله . وما الاقــراد ؟ قال . الرجل يكون منكم أميرا أو عاملا فيأتيه المسكين والأرملة ، فيقول لهم . مكانكم ، ويأتيه الشريف والغنى ، فيدنيه ، ويقول . عجلوا قضاء حاجته ، ويترك الآخرين مقردين ـ ساكنين أذلاء ـ .

طغيان

ضقت ذرعا بالزور والبهتان ... وظهور الفساد والطغيان
(كلما أنبت الزمان قناة) ... رودّ المرء رمحها بالسنان
وإذا العلم نال كسبا ونصرا ... جره المرء للردى والطعان
فكأن الانسان يحيا لشر ... لا لخير وبهجة وحنان
باسم الثغر والجنان ظلام ... كتداعى البناء خلف الدهان
فتيممت عالم الروض علّى ... أتلقى النبات كالاخوان
فاذا الجو بهجة وابتسام ... من وداد وألفة وافتنان
رفت الأرض في بدائعها الخضـ ... ـر وغنت الاغصان للافنان
وشدت كل زهرة بنشيد ... ونسيم الانفاس كالزعفران
كل أخت تميس تيها بأخت ... وتشيع الوفاء في كل آن
يتعاونّ بينهن فتلقى ... دوحة الغاب بينها غصن بان
وترى الطير راقصات عليها ... بانيات أعشاشها بأمان
شاقها صدقها وأمن حماها ... وجوار الأزهار والاغصان

وئام

للاستاذ احمد مظهر العظمة
رئيس مكتب تفتيش الدولة ـ دمشق

أين سود الوجوه من نضرة الرو ... ض وأين القلاع من بستان

★★★

أيها الناس خففوا من عناء ... وعناد ومطمع وتفاني
أنتمُ أخوة فكونوا سلاما ... ووئاما يطيب كالريحان
وعصىُّ الآمال بالرفق يُعطَى ... حين يصفو الانسان للانسان

★★★

ليت شعرى أغفوة من خيالى ... في ليالى الالآم والاحزان
آفة المرء مطمع يتنزى ... خلف اهوائه وهوج الامانى
وقديما دعا (الكتاب) لسلم ... وتجافٍ عن خطة الشيطان (١)
ودعاهم إلى القتال اذا ما ... كان بغى من جانب العدوان
فاذا فاء معتد لصواب ... فالى الصلح مقسط الميزان (٢)
ولَوَ أن القرآن حُكِّم دوما ... لغدونا ملائك الرحمن
وغدا مجدنا رفيعا منيعا ... بجنود السلام والفرقان

---

(١) قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » البقرة : ٢٠٨ .

(٢) قال تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » الحجرات : ٩ .



النفوذ ، ما زالت تواصل عملها فى اثارة الشبهات واعادة ترديدها على نحو أو آخر .

ولا يكفي أن نواجه هذه الشبهات بالرد عليها ودحضها على أسلوبنا ومنهجنا العربي الاسلامى فحسب ، بل انه كلما وجدت اجابات كتبها مفكرون منصفون من غير المسلمين كان ذلك أبعد اثرا فى النفوس وذلك لعدة أسباب :

أولا : ان يكون قد شهد بالحق شاهد من أهل أولئك الخصوم .

ثانيا : ان كلمة الباحث المسلم قد تكون كلمة « الضرورة » بينما كلمة الباحث غير المسلم هى كلمة «الانصاف» .

ثالثا : تتميز كلمة الباحث الأجنبي عن الاسلام بأنه خروج من النفس والعقائد الأصلية ، اذ لا يمكن أن يدافع أحد عن غير دينه الا بعد أن يكون قد قطع مرحلة طويلة فى الدرس والتأمل حتى يبلغ مرحلة اليقين بما يقول .

رابعا : ان الكاتب الأجنبي الذى ولد فى غير بيئة الاسلام ، وارتبطت مفاهيمه بدين آخر وبيئة غير بيئة العرب ، مع ما هو معروف من ارتضاع لبان كراهية الاسلام فى أغلب ثقافات الأمم الغربية ، يجعل للكلمة أهميتها .

خامسا : من أهم ميزات كلمة الكاتب الغربي أنه عاش حياة دينه ومجتمعه ، ولذلك فان مقارنته انما تصدر عن تجربة أصيلة ، وعن مقارنة أكيدة ، وعن تطلع صادق الى مفهوم الاسلام وما وراءه .

سادسا : ان الاسلام لم يكن بالقدرة التي تجعله قادرا على شراء أقلام كتاب الغرب ، حتى يمكن أن يكون ذلك دافعا من دوافع كتاباتهم ، وبذلك يمكن القول بأن الكتابات المنصفة عن الاسلام انما جاءت تلقائية وبغير دافع مادى على الاطلاق .

سابعا : ومن أجل هذا نجد كثيرا من الباحثين يطمئنون الى كلمة الكاتب الغربي ، ويرونها حجة فى البحث، ودليلا أكيدا على الحقيقة ، وقد جر هؤلاء المنصفون بعض كتابنا العرب الى اكتشاف الحقيقة التي كانت بين أيديهم أصلا .

ثامنا : ان وجهة النظر الأخرى اذا كانت منصفة ربما تكون أكثر جرأة وحيوية من كلمة صاحب القضية ، وفى الكلمات المعروضة تقدير لا حد له لجوانب من الفكر العربي الاسلامي ما نزال نحن نتحاماها ، ولا يكاد البعض يؤمن بها كل الايمان ، بينما يؤمن بها هؤلاء الكتاب .

هذا ، ولا يمنع ذلك من الاشارة الى أن هذا التيار الجديد فى الفكر الغربي لانصاف الاسلام ما زال ضعيفا ازاء كتابات خصوم الاسلام من المبشرين وبعض المستشرقين وكتاب الاستعمار والتغريب ، ولكن من المعتقد أن يصبح يوما ما مصدرا للضوء فى مجال الحيرة التي تمر بها الانسانية اليوم وتتطلع الى نور جديد .

ولا يستبعد أن يصل الفكر الغربى عن طريق هذا التيار الى تحول فى طريقه .

وعلى المسلمين أن يهبوا لخدمة دينهم .

من تأثير القرآن في اللغة العربية

للدكتور طه عبد الحميد طه
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

المقصورة الشعرية

لقد ظل القرآن الكريم منذ نزوله ، المصدر الأول للثقافة العربية بكافة أشكالها وأنواعها ، فهو قطب الرحى الذى تدور حوله الدراسات العربية جميعا ، وأثره واضح جلى ، أحاول أن أتتبعه فى هذا المقال وفى غيره من المقالات ، بل كان أثره خالدا فى توجيه أساليب الكتاب والشعراء ، فان المتتبع للأسلوب العربى ، سيجد المحاولة الجادة فى انتهاج أساليبه ، والسير فى طريق بلاغته ، والكلام فى هذا الموضوع يطول ، ولكنى أود أن احصر كلامى هنا عن نظرية الاستاذ الدكتور مهدى علام ، وأتناول الخيط منه ، لأقدمه الى قراء العربية جميعا فى مجلة سيارة فى جميع البلدان العربية.

هذه النظرية هى خلق المقصورة الشعرية ، ولهذا أجد أنه من الواجب أن أتتبع نشأة هذا النوع من الشعر العربى.

فمن المعلوم أنه فى الأدب العربى عدة مجموعات من القصائد ، تنتمى كل مجموعة منها الى ما يمكن أن يسميه أسرة أو عشيرة ، واصطلح العلماء على جمعها تحت اسم واحد ، واثباتها فى كتاب واحد ، وقد راعوا فى ذلك تشابهها فى ناحية أو نواح خاصة ، اما من حيث أغراضها التى تعالجها ، واما من حيث أسلوبها ، واما من حيث الأمرين جميعا .

من هذا النوع (المعلقات) التى مهما تعددت الآراء فى سبب تسميتها فانها من غير شك تنتمى الى طائفة من الشعر ذات خصائص تجعلها متشابهة بعضها مع بعض ، مختلفة عن غيرها من القصائد.

ومن هذا النوع أيضا (الأراجيز) ، وقد جمعت منها عدة مجموعات ، وهى تمتاز بتشابهها فى بحرها وفى ديباجتها البدوية ، وألفاظها التى تجنح فى الغالب نحو الغريب ، وأحيانا نحو المهجور .

ثم هناك (اللاميات) التى اكتسبت اسمها من حرف رويها مع تحقق مميزات أخرى ، أهمها اشتمالها على قدر من الحكم والامثال السائرة ، وهذه الطائفة لم تلق عناية كافية من الباحثين من حيث دراستها بصفتها مجموعة متشاكلة،

(١) يراد بها ما كانت القافية فيها مقصورة .

فليس معروفا منها سوى (لامية العرب) للشنفرى و (لامية العجم) للطغرائي .

أما النـوع الـذى يعنينا ، وهـى (المقصورات) التى تمثل مجموعة من هذه المجموعات ، ولكنها بقيت مشتتة الأفراد لا يعترف أحد بوجودها من حيث هى أسرة متشاكلة . وكل ما حدث هو أنأحد أفراد هذه الاسرة نالنصيبا وافرا من العناية على أيدى الشراح والناشرين، تلك هى مقصـورة ابن دريد المحظوظة ، لأن علماء الادب قد أشبعوا رغبتهم فى البحث بالكتابة عن هذه المقصورة ، ولـم يخطر ببالهم أن يربطوها بمقصورة أخرى سابقة أو لاحقة لها ، فبقى بذلك معظم المقصورات مخطوطا مجهولا ، ولم يهتم أحد قبل الدكتور مهدى علام بنشـأة (القافيـة المقصـــورة) فقد تعقـب فى خلال مدة طويلة من الاستقصاء خمس عشرة مقصورة منذ نشأتها فى الشعر العربى ، مع ملاحظة أنها ليست مجرد روى ، وانما لها خصائص أخـرى فى الأغراض التى تعالجها ، والاسلوب الذى يعالج هذه الاغراض .

ولسنا بصدد تبيان هذه الخصائص العامة للمقصورة ، وانما يعنينا فى هـذا البحث أولى خصائص المقصورات مـن حيث أنها تأتى على القافية المقصـورة ، ونريد أن نتتبع هنا أصل هذه القافيـة لربطها بالمنبع الاصلى وهـو القـرآن الكريم .

لقد كان الرأى السائد أن ابن دريد هو أول من دبج فى فـن المقصـورة ، بقصيدته التى تربو على الخمسين بعد المائة من الأبيات ، ومطلعها :

يا ظبيـة اشـبه شـىء بالمهـا
ترعـى الخزامى بين أشجار النقا

ولكن المسعودى فى مروج الذهـب يصحح هذه الفكرة الشائعة ، ويرشدنا الى بعض أصحاب المقصورات ممـن اندثرت مقصوراتهم ، فبعد كلام له عن ابن دريد ، وأن من جيد شعره قصيدته المقصورة التى يمدح بها ابـن مكيال يقول : « وقد عارضه فى هذه القصيدة المقصورة جماعة من الشعراء ، منهـم أبو القاسم على بن محمد بن داود بـن فهم التنوخى الأنطاكى وهو فى وقتنـا هذا (وذلك سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة) بالبصرة ، وأول قصيدته المقصورة التى يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة :

لولا انتهائـي لم أطع نهى النهى
أى مدى يطلب من جاز المـدى
ان كنت أقصرت فمـا أقصر قلـ
ـب داميا تدميه ألحاظ الدمى
ومقلة ان مقلت أهـل الغضـا
أغضت وفى أجفانها جمر الغضا

وفيها يقول :

وكـم ظبـاء رعـتها ألحاظهـا
أسرع فى النفس من حـد الظبى
أسرع من خـوف الى جوف ومن
حب الـى حبة قلب وحشـى
قضاعة بن ملك بـن حمـير
ما بعد ذا للمرتقـين مرتقـا

ثم يقول المسعودى : « وقد سبق الى المقصورة ، أبو المقاتل نصر بن نصير الحلوانى فى محمد بن زيدالداعىالحسنى بطبرستان بقوله :

قفـا خليلـى على تلـك الربـى
وسائلاها أين هاتيك الدمـى
أين اللواتـى ربعت ربوعهـا
عليك باستخبارها تشفى الجوى

وعبارة المسـعودى صريحـة فى أن الحلوانى سابق لابن دريد المتوفى سـنة ٣٢١هـ ، وبذلك نعرف أن ابن دريـد ليس المبتكر لفن المقصورة وانما هو مقلد فيه . وذكر المسعودى مقصوريا آخر ، ولكنه لم يوضح لنا على سبيل القطع ، زمنه بالنسبة الى ابن دريد ، فقد قال (عقب كلامه عن الحلوانى المذكور) : « وقد سبق الى المقصورة أبو المقاتل . .

الحلوانى .. ولابن ورقاء فى المقصورة أيضا :

ما شئت قل هى المها هى القنى
جواهر بكين أعطاف الدمى

ولكن يفهم من السياق أن المسعودى يريد أن يذكره مع من سبقوا الى المقصورة. ويفهم أيضا أن هذا الفن عرف فى العصر الاسلامى . غير أنه وجدت بعض المقطوعات الشعرية التى تنسب الى العصر الجاهلى ، فأبو الفرج الأصفهانى يذكر البيتين التاليين :

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه
يوما فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثنى عليك وان من
أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

ثم يقول : « الشعر لغريض اليهودى ، وهو السموءل بن عادياء ، وقيل انه لابنه سعية بن غريض ، وقيل انه لزيد بن عمرو بن نفيل ، وقيل انه لورقة بن نوفل ، وقيل انه لزهير بن جناب ، وقيل انه لعامر بن المجنون الجرمى ، الذى يقال له : مدرج الريح ، والصحيح أنه لغريض أو لابنه » الأغانى ج٣ ص١١٤ ، ثم يعود أبو الفرج ، فيروى عشرة أبيات من قافية المقصور ، وتنتهى هذه الأبيات بالبيتين السابقين وينسب القطعة كلها الى ورقة بن نوفل ، ومطلع القطعة :

رحلت قتيلة وعيرها قبل الضحى
وأخال ان شحطت بجارتك النوى

وسواء أكان الشعر لغريض أو لابنه أو لورقة بن نوفل ، فانه على أى حال شعر جاهلى . كذلك نجد القطعة الآتية :

لحنظلة بن أبى عفراء

ومهما يكن ديب الزمان فاننى
أرى قمر الليل المغرب كالفتى
تقارب يخبو ضوءه وشعاعه
ويمصح (١) حتى يستسر فلا يرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه
وتكراره فى دهره بعد ما مضى
تصبح أهل الدار والدار زينة
وتأتى الجبال من شماريخها (٢) العلا
فلا ذا غنى يرجئن عن فضل ماله
وان قال أخرنى وخذ رشوة أبى
ولا عن فقير يأتخرن لفقره
فتنفعه الشكوى اليهن ان شكا

ثم نضيف القصيدة التى رواها الأب شيخو فى (شعراء النصرانية) وهى تروى لليلى العفيفة المتوفاة ٤٨٣ م :

ليت للبراق عينا فترى
ما ألاقى من بلاء وعنا

من هذا كله نستطيع أن نفترض أن (القافية المقصورة) كانت مستعملة فى الشعر العربى قبل الاسلام ، غير أنه يبدو من العدد القليل الذى وصلنا من القطع الشعرية التى على هذا الروى ، ومن قلة الأبيات فى كل مقطوعة أن هذا النوع من القافية لم يكن كثير الذيوع بين شعراء الجاهلية ، فما الذى حدث بعد ظهور الاسلام ، فجعل هذا الطراز من القافية ذائعا ذيوعا كبيرا تألفه الآذان ؟ . وأنها فى جملتها من المطولات فى الشعر العربى ، فمعظمها أطول من معظم القصائد العربية ، وواحدة منها (هى مقصورة القرطاجنى) تبلغ ألف بيت وبيتين ومطلعها :

لله ما قد هجت يا يوم النوى
على فؤادى من تباريح الجوى

تأثير القرآن

ان موسيقى الروى المقصور تتردد فى أذهان قراء القرآن الكريم ، لأنها متوفرة فى فواصله ، وعلينا أن نرجع

البقية على ص ٨٣

(١) يمصح : يقل ويضعف حتى يتلاشى وهى قريبة مبنى ومعنى من مسح حيث يمكن أن يبدل حرف بآخر.
(٢) شماريخ الجبال : رؤوسها .

الإسلام والمسلمون في أمريكا

صور من

للدكتور محمد عبد الرءوف
مدير المركز الاسلامي فى نيويورك

لما سمعت أوربا عن نصف العالم الغربي عام ١٤٩٢م بادرت أسبانيا باستعمار أمريكا الجنوبية ، وشجعت مواطنيها على الهجرة ، وذلك لاستغلال ما بها من ذهب ومعادن غنية . ولكن حكومة أسبانيا فى نفس الوقت سنت تشريعات مشددة ضد هجرة رعاياها من سلالة العرب والمسلمين ، رغم قبولهم دين المسيحية الكاثوليكية نتيجة للاضطهاد والتعذيب ، وذلك خشية أن يتنفسوا عبيق الحرية بالعالم الجديد ، فيعودوا الى دين أسلافهم ، ويطرحوا دين الكاثوليكية الذى أكرهوا عليه .

أما أمريكا الشمالية فلم يبدأ استعمار الأوربيين لها من هولندا وانجلترا وغيرهما الا حوالي عام ١٦٢٠م ، ومع ذلك فقد وصل هؤلاء الى أمريكا يحملون معهم دين المسيحية ، وفى طياتها معلومات خاطئة وظالمة عن الاسلام ونبى الاسلام لذلك مضت القرون الأولى من استعمار العالم الجديد دون أن يكون للاسلام به شأن يذكر (١) .

---

(١) لا يعنى ذلك عدم وجود عدد من المسلمين متفرقين هنا وهناك أثناء هذه الحقبة ، فقد تمكن عدد من أحفاد العرب بأسبانيا أن يفلتوا من الاحتياطات المشددة وهاجروا الى أمريكا الجنوبية واستمتعوا بشىء من الحرية فى العالم الجديد ، كما أنبأنا فى مقال سابق وجود أفراد متفرقين من المسلمين فى أمريكا الشمالية خلال هذه الفترة المبكرة ، بل أنه ليقال ان التجار والبحارة من العرب والمسلمين وصلوا الى سواحل أمريكا قبل أن يصلها الاوربيون بعدد من القرون ، ويثبت بعض الباحثين وجود صلات قديمة بين العرب وسكان أمريكا الاصليين المعروفين باسم « الهنود الحمر » ، حتى يقال ان اسم « أمريكا » ذو صلة بكلمة « أمير » العربية وأن أسم ولاية « كلفورنيا » فى غرب الولايات المتحدة مأخوذ من وصف العرب لها لما وصلوا اليها بأنها « كالفنارة » .



بحث واف ، وعرض شامل لحركة الاسلام فى أمريكا يسرنا تقديمه للقراء ، مقدرين للكاتب الفاضل عنايته بهذا الموضوع . وسننشر الجزء الثانى من البحث فى العدد القادم

« الوعي »

النشاط الإسلامى هناك

وأول أمريكى نسمع أن الله شرح صدره للاسلام هو السيد « الكسندر رسل ويب Alexander Russel Webb » وكان شخصية دبلوماسية صحافية عين فى عام ١٨٨٧م قنصلا عاما لبلاده فى « مانيلا » عاصمة « الفلبين » ، وهناك تيسر له الاتصال بالمسلمين من أهل البلاد ، فأعجبه دينهم وسلامته وبساطته ، وفى العام التالى (١٨٨٨م) أصدر كتيبا أعلن فيه اسلامه ، وذكر فيه أسباب اختياره لهذا الدين ، كما أعلن أنه سمى نفسه « محمد هربرت رسل » ومما ورد فى هذا الكتاب قوله . « اننى أقرر صادقا وغير متردد أننى قد أخترت هذا الدين بعد دراسة طويلة وعميقة ، فوجدته النظام الوحيد الذى لا يعدله نظام آخر فى صلاحيته وتحقيقه لحاجات الانسان الروحية . . . وما كان اعتناقي للاسلام نتيجة لعاطفة ضالة أو تصديق أعمى أو أفكار شاردة ، أو مشاعر خاطفة ، وانما كان ذلك نتيجة دراسة طويلة أمينة وصادقة ، وثمرة رغبة عميقة فى الوصول الى الحقيقة « ثم يقول . « ان دين الاسلام قائم على أساس الحقيقة الخالدة التى بعثالله بها أنبياءه حتى ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذى يتلاءم مع المنطق ويتمشى مع العلم والعقل من بين سائر الأنظمة التي عرفها الانسان » . ولما استقال من وظيفته عام ١٨٩٢م عاد الى بلاده عن طريق الهند ، حيث ألقى عدة محاضرات عن الاسلام لقيت تقديرا عظيما وجعلت المسلمين هناك يتحدثون عنه بأنه « جاء الى الشرق ممثلا لدولة عظيمة ، ثم عاد الى بلاده ليبشر بدين عظيم » . وفى عام ١٨٩٣م بدأ دارا للنشر بمدينة نيويورك سماها «شركة النشر الشرقية » وأصدر مجلة سماها « العالم الاسلامي » صدر العدد الاول منها فى شهر مايو من نفس السنة ، وعاش يكتب عن الاسلام ويدعو له حتى مات فى اكتوبر عام ١٩١٦ م ، وقد ترك خلفه عددا من الكتب فى موضوعات اسلامية .

وممن أعجب بدين الاسلام من المفكرين الأمريكيين فاهتدى بهديه الكلونيل دونالد روكويل col-Donald Rockwell » وكان شاعرا ومؤلفا بارعا، ومنهم السيد « نورمان لويس Norman Lewis » الكاتب الاسلامي المعاصر



المعروف ، ومنهم الدكتور « توم ارفنج tom Irvnig » المحاضر باحدى الجامعات فى كندا ، وصاحب ترجمة للقرآن الكريم بالانجليزية تحت الطبع ، ثم غير هؤلاء وهؤلاء ممن أداهم سعيهم واطلاعهم أو اختلاطهم بالمسلمين خارج بلادهم الى معرفة مزايا هذا الدين وترجيح اعتناقه فى شجاعة وحزم ، ولكل من هؤلاء قصص خلابة يرويها عن أسباب اسلامه ، وكلها تشهد بما اختص الله به هذا الدين الكريم من فضل ومزايا عظيمة .

والى جانب هؤلاء الافراد من المثقفين من ذوى النظر الثاقب ، قامت حركات ترمى الى جمع الجهود وتنظيمها للدعوة للاسلام والدفاع عنه ، واقامة المنشآت لتيسير أداء الشعائر أو القيام بأنواع النشاط الاسلامي المختلفة .

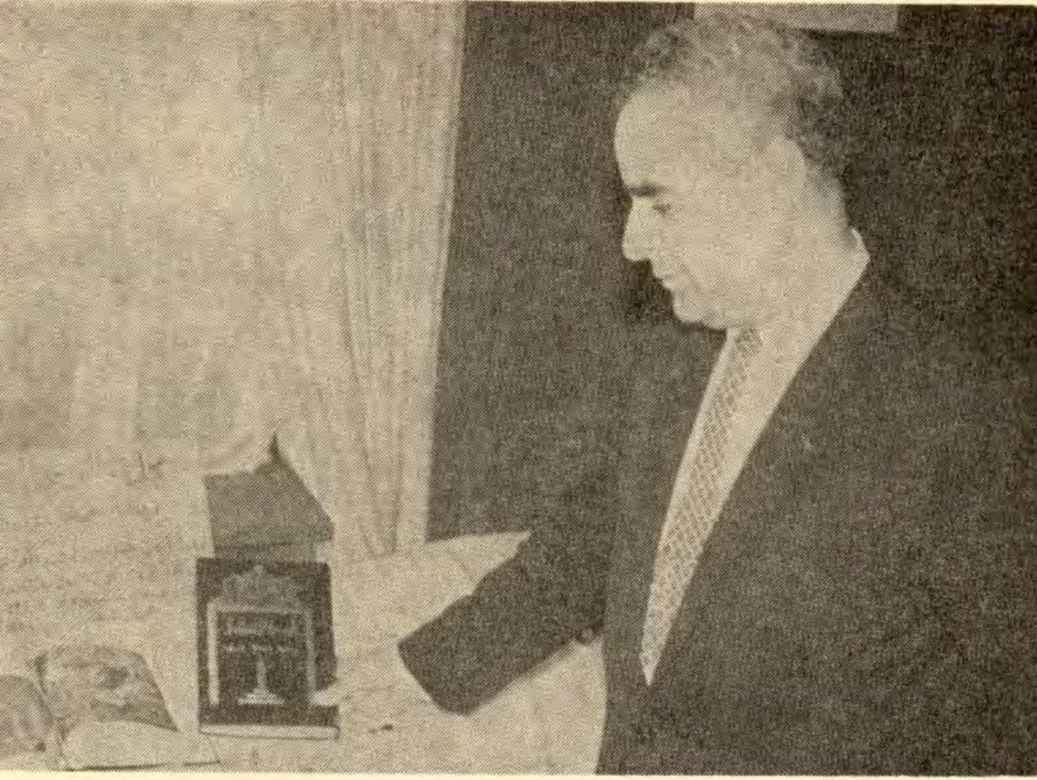
وسوف نتوخى فى شرح هذه الحركات سبيل الاختصار والايجاز مع الاشارة عند الحاجة الى آراء بعض هذه الحركات وأفكار أصحابها ، ولكننا لاسباب خاصة سوف لا نتعرض للحكم على هذه الآراء بالخطأ أو الصواب ، لذلك نستميح القارىء الكريم العذر اذا وجد بين هذه الحركات التى قامت بأمريكا باسم الاسلام ما قد يرى فيها انحرافا عن الدين الصحيح ، أو أن بعضها فى رأيه لا يستحق أن يسمى حركة اسلامية ، وانما يهمنا هنا بيان الواقع دون الحكم له أو عليه .

جمعيات اسلامية

وقد بدأت الحركات الاسلامية فى بداية القرن الحالي بقيام منظمات وجمعيات ونواد أسسها المهاجرون من البلدان الاسلامية لاغراض اجتماعية أو ترفيهية أو سياسية على أسس جغرافية أو قومية أو عنصرية ، فأنشأ التتار جمعيتهم ، وأسس الالبانيون ناديهم ، وأقام العرب جمعياتهم ، وصنع مثل ذلك الاندونيسيون والملايويون ثم اليوغسلافيون والباكستانيون وغيرهم ، فتنظم هذه النوادى نشاط مواطنيها وتعاونهم فيما بينهم ، وتقيم الأفراح وتحتفل بالمناسبات والمواسم الوطنية ، وتتبع أبناء البلاد التى وفدوا منها ، وتؤيد حركاتها السياسية ، وتقوم بجمع التبرعات اذا دعت الحاجة وهكذا .

ولم يكن لهذه النوادى أول الأمر أهداف دينية واضحة ، ولكن بمضى الزمن شعرت هذه الهيئات بالحاجة الى تنظيم خاص للخدمات الدينية الهامة كتجهيز موتاهم ، واجراء عقود نكاحهم بمقتضى الشريعة الاسلامية ، كما فكروا فى الحاجة الى وجود دار يجتمعون بها لاقامة الصلاة ، وخاصة أيام الجمع والاعياد .

بدأ هذا النشاط ونهضت هذه الجمعيات فى المدن الكبرى مثل نيويورك وديترويت وفيلاديلفيا وشيكاغو وسان فرانسيسكو وتليدو وغيرها ،حيث توجد التجمعات ، ويكثر عدد الأسرات الاسلامية . ولكن كان نجاح هذه المنظمات محدودا وذلك لما يسودها من عجز مالى ، ولاشتغال الجميع بمطالب الحياة والسعى فى الرزق ، ثم الخصومات التى كانت تنشأ حول الرئاسة والمناصب .



الدكتور عبدالرءوف في قاعة الدرس والمكتبة بالمركز الاسلامي فى نيويورك .

الحركة البهائية

ومن الحركات التى وصلت الى أمريكا مبكرة باسم الاسلام « الحركة البهائية »، ويبدو أنها كانت قوية فى بدايتها حيث بلغ عدد أتباعها عام ١٩١٦ نحو ثلاثة آلاف ، ولكن عددهم أخذ يتضاءل بسرعة فهبط فى عشر سنوات الى ثلث هذا العدد ، ويقال انهم الان أقل من ذلك بكثير .

القاديانية

وقد شهدت الفترة ما بين الحربين العالميتين قيام حركات اسلامية عدة كان لها أهميتها وخطرها ، وقد كان لجماعة القديانيين نصيب ملحوظ فى هذا الميدان ، لقد بدأ هؤلاء نشاطهم بمدينة « شيكاغو » على يد « الدكتور مفتى صادق » الذى قدم من الهند ، وأصدر مجلة بالانجليزية عنوانها « شمس الاسلام الطالعة » بدأ صدورها عام ١٩٢١ . ويقال انها كانت ذات أثر فى التعريف بالاسلام بأمريكا ، ثم خلفه السيد « صوفى بنغالى » عام ١٩٢٩ الذى قضى عشرين عاما بذل فيها جهودا خالصة ، ثم جاء بعده « الدكتور خليل ناصر » الذى نقل المقر الرئيسى للحركة الى مدينة « واشنطون » مقر حكومة الولايات المتحدة . ويقال ان أكثر أتباع هذه الحركة مهاجرون من الهند والباكستان . ويقدرون ببضع مئات ، ولكن الحركة اكتسبت بضع مئات أخرى من الامريكيين ، أكثرهم من الملونين .

الملونون وحركتهم

وأهم ما يلفت النظر تلك الحركات التى قامت للتبليغ ونشر الدعوة الاسلامية على يد مواطنين أمريكيين من الملونين ، وقد ارتبطت هذه الحركات فى الغالب بما يسمى بحركة المطالبة « بالحقوق



المدنية » . ولا يخفى على القارىء صلة هذه الحركة بوضع الملونين فى أمريكا وماضيهم . فقد جلب أسلاف هؤلاء كعبيد مغتصبين من بلاد غرب أفريقيا بطريقة وحشية غاشمة ، وقد وصلت أولى هذه الشحنات البشرية الى أمريكا للخدمة بالزراعة كعبيد للارض عام ١٦١٩م ثم أعقبتها شحنات أخرى كثيرة أكسبت تجارة الرقيق رواجا كبيرا ، وأصبح الرقيق أهمية اقتصادية عظيمة لم يكن حظه منها الا التعاسة والذل ، وأقسى أنواع التعذيب اذا هو ارتكب أدنى خطأ .

ولقد عمل الرجل الابيض على الاكثار من الانتاج والتناسل بين العبيد عن طريق الاختلاط الجنسى ، دون مراعاة للقيود الخلقية بحال ، كما عمل على أن ينسى الرقيق ماضيه ، ولا يعلق بذهنه أدنى شعور بالكرامة أو القيم التى تتدخل فى طاعته العمياء لسيده ، فكان صغار الرقيق المولدون يبعدون عن الكبار قبل أن يدركوا ، بل كان يتخلص من الكبار أحيانا بذبحهم ، وذلك حتى لا يسمع الصغار من الكبار شيئا عن أصلهم أو لغتهم .

فلما ألغى نظام الرق فى وسط القرن التاسع عشر لم يكن باستطاعة هؤلاء الذين عتقوا بالجملة أن يألفوا حياة الحرية والتعويل على النفس بسهولة ، فلا غرو أن نجد الكثير منهم حتى اليوم يعانون من طباع الكسل والقذارة وحب البطالة وارتكاب الجرائم وتعاطى المسكر والمخدرات ، مما جعل الكثير من البيض ــ رغم التساوى فى الحقوق الدستورية ــ يحتقرونهم ويأنفون الاختلاط بهم ، مما أثر على فرصهم فى العمل والخدمات العامة ، فنهض زعماؤهم يطالبون بتشريعات تعمل على التساوى التام فى الحقوق المدنية والزام المسئولين بمراعاتها ، وقد اختلفت مشارب هؤلاء الزعماء وقامت بينهم أحزاب مختلفة ، ويقدر عدد الملونين بالولايات المتحدة بعشرين مليونا .

نقول ان بعض الحركات الاسلامية التى قامت بين الملونين ــ ويطلق عليهم « الزنوج » رغم كراهية الكثيرين منهم لهذه التسمية ــ كانت ذات صلة بحركة المطالبة بالحقوق المدنية والعمل على جمع كلمتهم نحو تحقيق أهدافهم السياسية .

وكان أول من استخدم اسم الاسلام فى ضم الملونين العمل على صالحهم شخصية أسمت نفسها « النبيل درو على » يقال أنه قضى ردحا من الزمن فى بعض البلاد الاسلامية ، ثم عاد يدعو لاتباع أفكاره بين الزنوج تلك الافكار التى زعم أنها دين الاسلام ، وادعى لنفسه النبوة وأخرج كتابا سماه « القرآن » فى شكل آيات مرقمة تختلط فيها المفاهيم الاسلامية بأفكار غريبة عن الاسلام ، ولا حاجة لاطالة البحث فى شرح ما كان يقوله ، فقد انتهت هذه الحركة تقريبا بموته حيث تفرق أتباعه وأقاموا على أنقاض مذهبه جمعيات اسلامية تهدف الى اتباع مبادىء الاسلام الصحيحة .

أعلام الطب في الإسلام

ابن النفيس

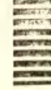
للدكتور محمد أبو شوك
رئيس الوحدة الباطنية ـ المستشفى الاميري
الكويت

من قرابة عامين قام أحد الاساتذة الانجليز فى محاضرة عامة يمجد فيها « هارفى » قائلا بأنه أول مكتشف للدورة الدموية ، فاذا بأحد الحاضرين ينبرى له قائلا . يجب علينا ألا ـ ننسى أن العالم العربى « ابن النفيس » هو الذى اكتشف الدورة الدموية الصغرى وأن اكتشافه كان حدثا فى تاريخ الطب .

وكأنى بهذا الناقد قد اطلع على ما سطره الطبيب المصرى محيى الدين القطاوى فى رسالته التى قدمها لنيل الدكتوراه من جامعة « فرايبورج ـ بألمانيا » ، حينما عثر على مخطوط قديم فى مكتبة برلين يحوى بين طياته أن أول من تعرض لاخطاء « جالينوس » ونقدها ، وأظهر الى الوجود الدورة الدموية الصغرى هو ابن النفيس . فليس سارفيتوس الاسبانى ، ولا هارفى الانجليزى اذن هما اللذان اكتشافاها . وقد عاش ابن النفيس قبل هارفى بأربعمائة عام ، وقبل سارفيتوس بثلثمائة عام .

مولده ونشأته

ولد ابن النفيس حوالى سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م) وذلك فى دمشق ابان حكم الأيوبيين لها ، وكانت كعبة للعلم والعلماء آنذاك بها بيمارستان أى مستشفى يضم أعظم الأطباء ، وعلى رأسهم مهذب الدين عبد الرحيم على المسمى « بالدخوار » أستاذ ابن النفيس ونظرة الى ما وصف به « الدخوار » ، وما كتب عنه تعطينا ضوءا عن نشأة ابن النفيس وثقافته .



« ففى كتاب » مسالك الابصار فى أخبار ملوك الامصار« كتب صاحبه عن » « الدخوار » يقول : كان فى الحكماء علما، وفى اثبات الحكم قلما،وكان لفروع الطب شجرة يكاد زيتها يضىء . وكأنه جالس أرسطاطاليس .

وقال عنه ابن أبى أصيبعه . كان رحمه الله أوحد عصره ، وفريد دهره ، وعلامة زمانه ، فاق أهل زمانه فى صناعة الطب ، وحظى عند الملوك ، ونال من جهتهم من المال والجاه مالم ينله غيره من الأطباء ، وولاه السلطان الكبير رئاسة أطباء ديار مصر بأسرها وأطباء الشام .

وقد أوصى الدخوار بأن يحول بيته ومكتبته بعد مماته الى مدرسة للطب لقبت بالدخوارية .

وتتلمذ ابن النفيس كذلك على عمران الاسرائيلى ، وكان طبيبا ذائع الشهرة ، زامل الدخوار فى البيمارستان الكبير .

وكانت طريقة تعليم الطب تمتاز بالتدقيق فى فحص المرضى ، وبمتابعة مظاهر المرض فى تطورها ، واستجابتها للعلاج ، وابداء الرأى سواء من الاساتذة أو الطلبة ، كل حسب ما يرى ، وما يمليه عليه فكره وعقله . وتلك هى الطريقة ((الاكلينيكية)) الصحيحة التى ابتدعها العرب لفترة طويلة قبل أن يأخذها عنهم الغرب .

وفى هذا الجو العلمى الصحيح المبنى على الخبرة ، والاصالةفىالتفكير والبحث والتنقيب ، وابداء الرأى بحرية تامة ، نشأ ابن النفيس .

ابن النفيس فى مصر

عمل ابن النفيس فى المستشفى الذى أقام صرحه الناصر صلاح الدين الايوبي، والمسمى « بالناصرى » ، وتدرج فى مناصبه الى أن أصبح رئيسا لاطبائة ، وفتح باب داره على مصراعيه لطلاب العلم والعلماء ، وكان يحضر مجلسه الخيرة من أهل العلم .

ولقد درس ابن النفيس كتب جالينوس وابن سينا ، ولكنه كان يمحصها ،ويحكم فيها عقله ، ويبعد عن تلاميذه الاقوال التى يشك فى صحتها ، ولا ادل على ذلك من قوله « وأما منافع الاعضاء فانما يعتمد فى تعريفها على ما يقتضيه النظر المحقق ، والبحث المستقيم ، ولا علينا أوافق ذلك الرأى من تقدمنا أو خالفه » .

كلمات رائعة ، وتوصيات نابعة من عقل مجرب حكيم ، وما أجدرنا لو اهتدينا بها نحن الاطباء ، فليس كل ما قيل صحيحا ، وما زال كل باحث فى علم الطب يجد أن ما توصل اليه الآخرون فى زمن مضى ليس من الجائز أن يكون كله صحيحا ، بل يحتاج الى تمحيص واستقصاء وعلى هذا الاساس المتين كان ابن النفيس دائم الدرس والتجربة ، لا يقتنع برأى الا بعد التأكد منه . فأوصى بدرس التشريح المقارن ، تشريح الحيوانات المختلفة ، لكي يكون هناك المام بالاختلافات والتباين بين هذه الحيوانات . وكان من نتائج هذا البحث والتنقيب أن توصل الى الاكتشافات الآتية :

١ ــ كان ابن النفيس أول من اكتشف أن القلب يتغذى بواسطة شرايين منتشرة فى أجزاء القلب المختلفة . وبذلك يكون أول من اكتشف الدورة الدموية فى الشرايين التاجية أو الاكليلية للقلب .

٢ ــ أن هناك اتصالا بين أوردة الرئتين وشرايينها يتمم الدورة الدموية ضمن الرئة . وقد ادعى كولومبو الايطالي انه أول من توصل الى هذا ، علما بأنه نشر هذا البحث بعد وفاة ابن النفيس بما يقرب من ٢٧٢ عاما .

٣ ـ اكتشف قبل « سارفيتوس » الذى نسب اليه هذا الاكتشاف ، أن جدران أوردة الرئة أسمك بكثير من جدران شرايينها .

٤ ـ وبكل تأدب واحترام لجالينوس نقد نظريته ، وقال لعلها تكون منقولة خطأ ، وقال فى أدب العالم الجايل : « ليس بين البطينين منفذ ، فان جرم القلب هناك سميك ليس به منفذ ظاهر ـ كما ظنه جماعة ـ ، ولا منفذغير ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم ـ كما ظنه جالينوس ـ فان مسام القلب هناك مستحصنة وجرمه غليظ .

٥ ـ بعد أن توصل لهذا الكشف هداه ذلك الى الكشف الخالد للدورة الرئوية « بعد أن يلطف الدم فى التجويف الايمن من القلب ينفذ الى الرئة ، وهناك يخالط الهواء ، ويرشح ألطف ما فيه ، وينفذ الى الشريان الرئوى (كما سماه) والمسمى الآن بالوريد الرئوى ، ليوصله الى التجويف الايسر ، وقد خالط الهواء، وصلح لأن يتولد منه الروح ، وما بقى منه أقل لطافة تستعمله الرئة فى غذائها .

وقد اكد كشفه هذا فى مواضع أخرى من كتابه « شرح تشريح القانون » حين قال « ان نفوذ الدم الى البطين الايسر انما هو من الرئة بعد تسخنه وتصعده من البطين الأيمن » .

مؤلفات ابن النفيس

الف ابن النفيس مؤلفات عدة . انتقد فيها جالينوس ، وشرح كتب ابقراط ، وشرح كتاب « القانون » لابن سينا ، وكان سريع التأليف ـ يروى أنه كان ذات مرة يستحم فى حمام ، وبينما هو كذلك اذ واتته حماسة التأليف فأمر بقلم وورق وأخذ يسطر ما جادت به قريحته ووضع مقاله المشهور عن « النبض » .

وهذه بعض مؤلفاته فى الطب

١ ـ كتاب الشامل فى الطب يقال أنه كان فى ٣٠٠ سفر بيض منها ثمانين سفرا وهى الآن بالبيمارستان المنصورى بالقاهرة ، وهو موسوعة كبيرة تضاهى كتاب الحاوى للرازى .

٢ ـ كتاب المهذب فى الكحل موجود فى مكتبة الفاتيكان .

٣ ـ كتاب المختار من الاغذية موجود فى مكتبة برلين ، يعنى بأنواع الفذاء فى الامراض الحادة .

٤ ـ شرح فصول أبقراط موجود فى مكتبات برلين ، واكسفورد ، وباريس ، وأياصوفيا .

٥ ـ تعليق على كتاب لأبقراط موجود فى أياصوفيا .

٦ ـ شرح تشريح جالينوس .

٧ ـ شرح كتاب القانون ، لابن سينا .

٨ ـ شرح مفردات « القانون » .

٩ ـ كتاب موجز القانون موجود منه نسخ فى باريس واكسفورد وفلورنسا وميونخ وكثرت ترجمته الى اللغات الأجنبية منها الهندية والتركية والعبرية والانجليزية .

١٠ ـ تفاسير العلل وأسباب الامراض .

١١ ـ شرح الهداية فى الطب .

١٢ ـ شرح تشريح القانون ، جمع ابن النفيس فيه الاجزاء الخاصة بالتشريح فى الكتابين الاول والثالث من القانون وعلق عليها من علمه وبحثه وما مارسه من تشريح ، وخلص من ذلك الى خمسة أبحاث فياضة بالعلم والمعرفة .

١ ـ البحث الاول . فى اختلاف الحيوانات فى الاعضاء .

٢ ـ البحث الثاني . فى فوائد علم التشريح .

٣ ـ البحث الثالث . فى اثبات منافع علم التشريح .

البقية على ص ٨٤

عبد الله

(يسمع عن بعد صوت حوافر حصان قادم ثم يقترب الصوت شيئا فشيئا)
صوت جندى : قف من أنت ؟
ـ رسول أريد مقابلة الملك .
ـ رسول من أيها الاعرابي حتى تقابل الملك ؟
ـ اخبر قائد الحرس أنني أحمل رسالة من يثرب الى هرقل عظيم الروم .
انتظر اذن حتى أعود اليك .
(يمضي عنه ويسمع صوته وهو ذاهب ثم يسمع صوت عودته)
جندى آخر : أين صاحب الرسالة ؟
الجندى الاول : ها هو ذا ينتظر .
الجندي الثاني : أقبل أيها الرجل وامض معي .
(يبتعدان)
(ثم يسمع قرع خفيف على باب) .
صوت من الداخل : أدخل
(يفتح الباب ويدخلان)
هل جئت بحامل الرسالة يا أريوس .
الجندى : ها هو يا سيدى .
الرسول : السلام عليك أيها القائد .

قصـــة العـــدد للاستاذ / عزت العزيزى

ـ لست القائد وانما أنا حاجبه ، فاجلس ها هنا ريثما يفرغ قائد الحرس للقائك (ينصرف الرجل وينفرد الرسول بنفسه) .

الرسول هامسا لنفسه : بالله ما أعظم بناءهم ، وما أمنع أسوارهم ، وما أعجب رياشهم ، وتماثيل الاسود التى تخرج المياه من أفواهها .

الحاجب : (يدخل) هيا قم معي لتقابل القائد .

الرسول : هيا بنا .

(يسيران على فرش وثير ، ثم يفتح باب يدخلان منه ثم يتوقف مشيهما ويقرع الحاجب الارض بقدميه)

الحاجب : ها هو ذا الرجل الذى يزعم أنه يحمل رسالة من جزيرة العرب .

الرسول : السلام عليك ايها القائد .

ـ السلام عليك

(ينصرف الحاجب بعد أن يقرع الارض بقدميه)

القائد : من أنت وما هي هذه الرسالة ؟

الرسول : انني . . . وقد جئتبرسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد ابن عبد الله الى هرقل عظيم الروم .

القائد : وهل صاحبك هذا ملك حتى يراسل الملوك ؟

الرسول : بل انه مرسل من عند الله بالدين الحق فهو يدعو كل انسان كبر أو صغر ليؤمن بهذا الدين .

القائد : لقد فهمنا أنه يطلب مساعدتنا كما يفعل الكثير من رجالاتكم ورؤسائكم . ولكن لم لا يأتي بنفسه كما فعل الكثيرون غـيره ليطلب العون من ملكنا العظيـم ؟ ان هرقل العظيم لا يرد من يأتيه أبدا . .

الرسول : أيها القائد الشجاع انني لا ألومك على ما قلت ، فقد اعتدتم معشر الروم أن تروا رجال العرب وزعماءهم جاثين عند أقدامكم يطلبون منكم العون أو النصر على بعضهم بعضا ، ولكنني ما جئت اليوم لمثل هذا ؟

القائد : اذن ما الذى تريد اذا لم تكن طالبا العون لصاحبك .

الرسول : أريد أن أقابل الملك العظيم هرقل .

القائد : أما زلت مصرا على أن تلقاه بنفسك ؟

الرسول : هكذا أمرني رسول الله عليه الصلاة والسلام ولن أخالف أمره . ومن أجل ذلك جئت الى ايلياء عندما لم أجده فى دمشق .

القائد : اذن سأعرض عليه أمرك فلعله يراك وما أظنه يفعل : اذ أنه ما قدم ايلياء الا طلبا لراحة نفسه من عناء العمل . فانتظر ريثما اعود .

الرسول : (متحدثا الى نفسه) أتراه يسلمنى الى حاجب جديد قبل أن أصل الى الملك ؟ . أين هذه الابواب والاسوار والحراس والحجاب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم نلقاه فيه أنى نريد ، فلا أسوار ولا حجاب . ما أعظم شوقي لأرضه المفروشة بالحصى فهي أحب الى من هذه الرياش وناعم البسط .

(يعود القائد)

القائد : من حسن حظك أن مليكنا العظيم قد أهتم لأمر رسالتك ، وقبل أن يراك اليوم بل وفى هذه الساعة ، ولعلك لا تجهل أصول مقابلة الملوك ؟

الرسول : انني لا أجهل ذلك فقد علمنا رسولنا صلى الله عليه وسلم كيف نقابل الملوك وكيف نقابل السوقة كذلك .

القائد : اذن هلم معي ولا تنس أنك ستكون فى حضرة ملك عظيم تنحني له الملوك فافعل كما ترانى أفعل .

(يسمع صوت مسيرهما ثم يفتح باب ويدخلان منه)

القائد : سيدى ومولاى هذا هو الرجل الذى يحمل الرسـالة ــ ثم هامسـا للرسول ــ انحن ويحك . .

الرسول : السلام عليك أيها الملك العظيم ورحمة الله

الملك : وعليك السلام . أذن يا أخا العرب واجلس ههنا (صمت) وأين الرسالة ؟

الرسول : ها هي

(يأخذ هرقل الرسالة ويفتحها ويقرأ)

الملك : من«١» محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الروم ، يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ، والسلام .

ملتفتا للرسول .

وما هو الاسلام الذى يدعو اليه صاحبك فى هذه الرسالة أيها الرجل ؟ وانى لي أن أعرفه ؟

الرسول : لذلك أرسلني اليك أيها الملك .

---

(١) هذا نص الرسالة كما رواه الامام البخارى فى صحيحه

أفتأذن لي ؟

الملك : نعم أخبرني ما هو الدين الذى يدعو اليه ؟

الرسول : انه الاسلام وأول مبادئه الايمان بالله وحده خالقا ومبدعا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وأن محمدا عبد الله ورسوله أرسله الله بالدين الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

الملك : ماذا أمركم غير هذا ؟

الرسول : أمرنا أن نصلي لله خمس صلوات فى اليوم ، وأن نصوم لله شهرا فى السنة . وأمرنا أن نحج لبيته الحرام بمكة . كما أمرنا بأن نخرج من أموال أغنيائنا ما نسد به عوز فقرائنا وحاجتهم وأمرنا بالصدق والبر ومكارم الاخلاق ، ونهانا عن الكذب والاثم والظلم وقطيعة الرحم وسوء الاخلاق .

الملك : وماذا قال لكم عن عيسى ابن مريم وأمه ؟ .

الرسول : قال انه عبد الله ورسوله وان جميع الانبياء والرسل اخوة لا نفرق بين أحد منهم .

الملك : أخبرنى كيف يكون محمد فيكم ؟

الرسول : انه كواحد منا لا يميز نفســه عنا بشيء مع انه لا يستطيع احدنا أن يمد البصر اليه من هيبته .

الملك : انني فى عجب من أمرك أنت فاني لا أراك مبهورا ولا خائفا وعهدى بقومك غير ذلك فان أحدهم يقف أياما على باب تابع من اتباعي كملوك غسان لينال منحة من ابل أو عرضا من ذهب وفضة .

الرسول : صدقت ايها الملك فقد كنا لكم ولغيركم تبعا ، وكنا نقف على ابوابكم وأبواب سواكم ، وكنا متفرقين مختلفين نقطع الطريق ونظلم الضعيف ، ويقتل بعضنا بعضا ، ثم جاءنا هذا الرسول الكريم بكتاب من عند الله فأخرجنا من الظلمات الى النور ، وأبدلنا بالفرقة وحدة ، وبالذل عزا فما عاد العرب اتباعا لاحد ، بل هم بالاسلام هداة للبشر .

الملك : أبلغ صاحبك ورسولك خيرا فاني سائل عنه ، ومتحر أمره ، وعسى الله أن يأتي بالخير .

صوت نسائي : انك لست كعادتك اليوم يا مليكي أفلا تحدثني بما أشغلك ؟ كأنك لا تسمعني هل ساءك مني شيء ؟ أنسيت أن الليلة ليلة العيد ؟

الملك : العيد ؟ أى عيد .. نعم انه العيد .

المرأة : أنسيت كذلك أننا سنخرج غدا بالموكب الكبير ، وأن الناس وفدوا الى ايلياء من كل صوب ليشهدوا العيد والموكب ؟ وأنت تتقدم الجموع حتى الكنيسة الكبرى ؟

الملك : مارتينا . أصدقيني ولا تخفي على هل تشكين بايماني وديني ؟

مارتينا : ما هذا الذى تقول ؟ ومن ذا يشك بايمانك ودينك وأنت حامي الكنيسة وراعي الدين .

الملك : اني لأعلم يا مارتينا صدق حبك لي واخلاصك .

مارتينا : أو تشك فى ذلك أيضا ؟

الملك : مهلا ولا تتعجلى يا مارتينا . أن أمرا خطيرا هو الذى يهزنى ويقلقنى ، ويثير فى نفسي شكوكا ظننتها زالت وتلاشت ، فاذا رسالة تحرك ما كان ساكنا وتبعث ما كان راقدا .

مارتينا : أهي من القسطنطينية ؟ هل حدث فى غيبتنا عنها شيء ؟

الملك : لا . انها أبعد من ذلك انها من جزيرة العرب ، من رجل يزعم أنه رسول من عند الله جاء بدين جديد وهو يدعوني وسائر شعوب مملكتي لدينه .

مارتينا : أهذا ما أقلقك ؟ ومتى بلغت الجرأة بعربي مثل هذا المبلغ ؟ ومتى كان لهؤلاء العرب دين وأنبياء ؟ مر ملك الفساسنة يؤدب لك هذا النبي فجميع العرب تدين له وهو تابع لك لا يخالف لك أمرا .

الملك : ألم أقل تمهلي ولا تتسرعي فما جئت أنشدك الرأى فى السياسة أو المشورة فى الحرب فما انا بالعاجز أو الجبان لو كان الامر للسيف أو الحيلة السياسية .

مارتينا : معاذ الله أن أشك أو يشك أحد فى جرأتك وحكمتك وانت الذى اعاد للامبراطورية وحدتها وهيبتها ، ولكني لم اتمالك نفسي وأنا أراك مهموما حائرا وأنت الذى لم تبال بأعظم الاخطار .

الملك : ألا تذكرين يا مارتينا حديث أبيك قبل عشرين سنة فى مجمع القسطنطينية .

مارتينا : اني لأذكر أنه قال قولا غضب له أكثر المجتمعين ، وطالبوا بخلعه عن رئاسة الكنيسة فى القسطنطينة ، ولكني لا أذكر تفصيل قوله ، فأنت تعلم أني ما كنت معنية كثيرا بأمور الدين رغم منزلة أبي فى الكنيسة .

الملك : لقد قال انه يوشك أن يبعث رسول ان لم يكن قد بعث فعلا ، وان ما يبعث به سيفض كل نزاع ، ويحسم كل خلاف .

مارتينا : آه لقد فهمت ، أو تظن أن هذا العربي هو من عناه أبي ؟ أولا يجد الله غير رعاة الابل والغنم يبعث بهم ؟

الملك : لو غيرك قال هذا يا مارتينا كأنك لم تكوني بنت قديس القسطنطينية وحبر الكنيسة العظيم . ومن هم رسل الله فى كل عصر ؟ ألم يرع موسى الغنم أجيرا لشعيب ، أو لم يرب عيسى فى بيت نجار فقير .

مارتينا : اني لأذكر حقا أن أبي حدثني يوما بحديث النبي المنتظر فلو كان حيا رحمه الله لانبأنا اليقين .

الملك : ولكننا لن نعدم رأيه حتى بعد موته ، فأنت تعلمين كم كنت أجله وأقدر علمه . ولقد أعطاني رحمه الله كتابا فيه تفصيل هذا الامر ، ووصف للنبي المنتظر ، كما أخبر عنه الانبياء والرسل من قبل .

مارتينا : ترى هل كان هذا العربي كما وصف النبى فى ذلك الكتاب .

الملك : هذا ما أريد أن أعرفه ولا أدرى كيف أصل اليه ؟ أأرسل من يأتيني بحقيقة أمره ؟ ومن يصلح لمثل هذا الامر من الرجال ؟

مارتينا : أليس فى الاعراب والتجار الذين يفدون من جزيرة العرب من يمكنك أن تركن اليه وتعرف منه الحقيقة .

الملك : لعمرى ان هذا هو الرأى ، فعلنا نجد من هؤلاء من ليس على دينه فلا يزيد فى أمره ، ولا يصفه بما ليس فيه تعصبا . سآمر منذ اليوم أن يأتوني بكل من يقدم من بلد هذا الرجل .

(ومرت أيام)

زخرياس : مولاى الملك عمت صباحا .

الملك : ما وراءك يا زخرياس

زخرياس : لقد نفذت أمر مولاى وأحضرت عددا من عرب مكة قدموا فى قافلة كبيرة من جزيرة العرب ، كما أرسلت لجميع أنحاء ولاية ايلياء بأن يرسلوا كل قادم من جزيرة العرب يمر بهم .

الملك : لعلنا لا نحتاج لغير هؤلاء ، فهل سألتهم ان كانوا يعرفون ذلك الذى يدعى النبـوة ؟

« البقية فى العدد القادم »

الى جميع الموضوعات التى استعمل فيها القرآن الكريم هذا الطراز من النهايات المقصورة ، لندرك تلك الوفرة الغزيرة التى تعج بها سور القرآن الكريم ، وهنا اطمأن الدكتور مهدى علام على نظريته ، وارتحنا معه لصحة هذه النظرية ، وأصبح الاعتقاد جازما من أن هذه الوفرة هى التى مهدت للقافية المقصورة ذيوعها بين شعراء المسلمين . اذا قرأت معى هذا الروى ، لا بد أن تقتنع بتأثيره فى القرآن الكريم على الشعر العربى . استمع الى قوله تعالى فى سورة الأعلى « سبح اسم ربك الأعلى . الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى . والذى أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى . سنقرئك فلا تنسى . الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى . ونيسرك لليسرى . فذكر ان نفعت الذكرى . سيذكر من يخشى . ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى . ثم لا يموت فيها ولا يحيى . قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى . ان هذا لفى الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى » .

وردد معى قوله تعالى فى سورة الليل : « والليل اذا يغشى . والنهار اذا تجلى . وما خلق الذكر والأنثى . ان سعيكم لشتى . فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله اذا تردى . ان علينا للهدى . وان لنا للآخرة والأولى . فأنذرتكم نارا تلظى . لا يصلاها الا الأشقى . الذى كذب وتولى . وسيجنبها الأتقى . الذى يؤتى ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى » .

ثم نستطيع بعد ذلك تتبع هذا الروى فى القرآن الكريم ، وهاك ثبت بأرقام جميع الآيات القرآنية التي جاءت مسجوعة بروى المقصور :

(١) سورة طه : الآيات ١ ــ ٢٤ ، ٣٦ـ ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ــ ٧٧ ، ٧٩ ــ ٨٤ ، ١١٦ ــ ١٢٤ ، ١٢٦ ــ ١٣٥ .

(٢) سورة النجم : الآيات ١ ــ ٢٧ ، ٢٩ ــ ٥٦ .

(٣) سورة المعارج : الآيات ١٥ــ ١٨ .

(٤) سورة القيامة : الآيات ٣١ــ٤٠ .

(٥) سورة النازعات : الآيات ١٥ ــ ٢٦ ، ٣٤ ــ ٤١ .

(٦) سورة عبس : الآيات ١ ــ ١٠ .

(٧) سورة الاعلى : الآيات ١ ــ ١٩ (جميع السورة) .

(٨) سورة الليل : الآيات ١ ــ ٢١ (جميع السورة)

(٩) سورة الضحى : الآيات ١ ــ ٨ .

(١٠) سورة العلق : الآيات ٦ ــ ١٤ .

ويمكننا أن نخرج اخيرا من هذا البحث فيما يأتى : ــ

عرفت القافية المقصورة فى العصر الجاهلى ، فى صورة أقرب الى التجربة ، فقد ظهر منها القليل ، وفى أبيات قليلة ثم جاء القرآن بوفرة ما فيه من هذا الروى الذى على نسق القافية ، وأثار هذا انتباه الشعراء ، ثم جاء أحدهم مثل (الحلوانى) فاتخذ هذه القافية لقصيدة طويلة ، سماها هو أو معاصروه (المقصورة) . وجاء ابن دريد وهو الأستاذ المتعمق فى اللغة والشاعر البارع، فحاكى شعراء المقصورة المتقدمين عليه ، وانشأ مقصورته التي أصبحت النموذج المعروف للمقصورات ، واسترعى هذا الفن نظر الشعراء ، فحاكوا ابن دريد ، وقد بلغوا فيه درجات مختلفة من الاجادة ، ثم كانت مقصورة القرطاجنى التي تعد من أروع المقصورات وأطولها . والفضل بعد هذا كله فى نشأة هذا الفن يرجع الى ترديد هذا الروى بكثرة ووفرة فى القرآن الكريم ، وهذا واحد من تأثير القرآن الكريم فى الشعر العربى .

٤ ـ البحث الرابع . فى المبادىء التى بها يستخرج العلم لمنافع الاعضاء بطريقة التشريح .

٥ ـ البحث الخامس . فى ماهية التشريح وآلامه .

مؤلفاته الدينية

ولم يقتصر ابن النفيس على تأليفه فى الطب بل تعداها الى علوم كثيرة شأنه فى ذلك شأن غيره من علماء عصره ومن سبقه أمثال الرازى وابن سيناء ، فنراه وقد ألف كتبا دينية منها .

١ ـ الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية .

٢ ـ مختصر فى علم أصول الحديث .

٣ ـ فاضل بن ناطق ، وهو جدال فقهى يرد فيه على مؤلف ابن سينا « حى بن يقظان » .

من هذه المؤلفات تظهر شخصية ابن النفيس جلية واضحة ، ولا غرو فقد لقب بابن سينا الثاني . فلقد كان العالم الفذ الذى جادت به الامة العربية الاسلامية على عالمنا ، فشع نور معرفته، ومهد الطريق لمن سلكه من بعده من العلماء أمثال سرفيتوس الايطالى وهارفى الانجليزى الى أن توصلنا الى ما وصلنا اليه من معرفة فى الدورة الدموية .

ومما يلحظه الباحث لابن النفيس ثقته التامة بنفسه ، واعتداده بعلمه وخبرته وبما قدمه للانسانية فى هذا المجال وتلك احدى مميزات العالم الخبير ،ولعل ذلك يظهر جليا من قوله . « لو لم أكن واثقا يوما من أن كتبى ستعيش بعدى مدة عشرة آلاف سنة لما كتبتها » .

وفى « مسالك الابصار لأخبار ملوك الامصار » كتب على بن أبى الحزم عن ابن النفيس « هو الامام الفاضل الحكيم العلامة علاء الدين بن النفيس القرشي الدمشقي فرد الدهر وواحده ، وأخو كل علم ووالده ، امام الفضائل ، وتمام الاوائل ، والجبل الذى لا يرقى علاه بالسلالم ، لم يبق الا من اغترف منه غرفة بيده ،وأخذ منه حلية لمقلده ، حل مصر فى محل ملكها ، ونسخت لياليها باشراقه صبغة حلكها ، ولم يكن على علم واحد بمقتصر ، ولا شبهه بالبحر الا مختصر »

وفاته

مرض ابن النفيس ستة أيام أولها يوم الاحد ، وتوفى فى سحر يوم الجمعة الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) . ولقد أشير عليه قبل موته بأن يتناول شيئا من الخمر فقال . « لا ألقى الله تعالى وفى باطنى شىء من الخمر » فكان يجمع مع علمه تقاه وخشيته من خالقه .

ولم يفته قبل وفاته أن يوقف داره الفخمة ، وكتبه ومؤلفاته العديدة على البيمارستان المنصورى فخدم العلم فى حياته وبعد مماته .

هذه صورة رائعة لعالم عاش فى كنف الاسلام ، نبغ فى علمه ، وكرس حياته فى خدمته .. ولا غرو فى ذلك ، فهذا شأن العلماء العرب الذين خدموا الانسانية ، وقدموا لها من دمهم وعرقهم وجهدهم أجل الاعمال ، ورفعوا من شأن العلم صرحا باقيا على مر الاجيال . وسبقوا غيرهم فى كل مضمار ، وعلى مائدتهم تعلمت أوربا ، ونهضت نهضتها التى منها نأخذ الآن .

فالى جيلنا الحاضر أقدم ابن النفيس احد بناة هذا الصرح ليبنى شبابنا كما بنى الاوائل ، وينهضوا كما نهضوا ، ويعيدوا لامتهم مجدا كان لها فى سالف العصور .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

زوجة المفقود

السؤال : ـ

زوجة ذهب زوجها الى الحرب ثم أشيع أنه قتل ومضت فترة طويلة لم يعد فيها وانقطعت أخباره مما جعل أهله وزوجه يقطعون بوفاته ، ولهذا عقدوا لزوجته على أخيه ودخل بها وانجبت منه ولدا ثم عاد زوجها الأول . وتبين أنه كان أسيرا لدى الأعداء .

فما حكم زواجها من أخيه وما حكم الولد الذى جاء نتيجة لهذا الزواج ؟ .

آدم سوار الذهب ـ الأبيض / السودان

الاجابة : ـ

هذا الزوج الذى ظهر أنه حى بعد اشاعة قتله يعتبر فى المدة التي غابفيها مفقودا ، اذ المفقود هو غائب لا يدرى مكانه ولا يعلم موته أو حياته وللزوجة ان غلب على ظنها وفاته أن تلجأ الى القضاء للحكم بموته بناء على قرائن أو بينة ، فاذا حكم القضاء كان عليها أن تعتد ثم تتزوج بمن تشاء بعد انقضاء العدة فاذا ما ظهر أن الغائب على قيد الحياة اعتبر عقد الزواج باطلا لذلك ويفسخ عقد زواجها الثانى ، اذ الحقيقة لا يغيرها الحكم لكن الحكم يسقط الحد .

وبما أن هذه الزوجة نعى اليها زوجها بناء على اشاعة وغلبة ظن ، ولم تتوجه الى القضاء لاجراء تحقيق حتى يحكم بوفاته ، بل تزوجت بأخيه بناء على الاشاعة ، وقد تحقق فيما بعد خلافها بوجود زوجها **فعلا على قيد الحياة فيكون زواجها بالثاني باطلا ، اذ المقرر شرعا عند جميع الفقهاء أن من شروط عقد** الزواج أن تكون الزوجة محلا للعقد وهى هنا ليست كذلك .

أما بالنسبة لنسب الولد فانه ينسب الى الثاني اذا علم يقينا أنه منه ولا يجوز ان ينسب الى الأول ، اذ المقرر شرعا أن الولد يثبت نسبه من نكاح فاسد أو وطء بشبهة اذا جاءت به لتمام ستة أشهر من حين الوقاع .

وبما أن الثاني تزوجها بناء على غلبة الظن لوفاة زوجها (أخيه) فيكون وطؤه لها بشبهة ومن ثم فيسقط عنه الحد ويفسخ العقد وتعود لزوجها الاول ويكون نسب الولد للثاني بالشروط السابقة .

عدة المتوفى عنها زوجها واحدادها

السؤال : ـ

امرأة توفى عنها زوجها ولم تعلم وفاته الا بعد أيام فمن أى تاريخ تبدأ عدتها وماذا يحرم عليها اثناء العدة ؟ وهل يحرم عليها الخروج ، ونظر الأجانب اليها .

(س . ك . ع)

الاجابة : ـ

المقرر شرعا أن عدة المتوفى عنها زوجها تبدأ من تاريخ وفاته ـ لأن سبب العدة هو الوفاة فيكون ابتداؤها عقب وفاته مباشرة ولو لم تعلم الزوجة بوفاته الا بعد مدة فلو كان الزوج غائبا مثلا أو هى غائبة

وتوفى ولم تعلم بوفاته وكانت المدة بين الوفاة وعلمها كافية لانقضاء العدة فتعتبر العدة منقضية ، وعدة المتوفى عنها زوجها وضع حملها أن كانت حاملا أو أربعة أشهر وعشرا ان لم تكن حاملا .

ويحرم عليها اثناء العدة الزينة المعتادة ولبس كل ما يلفت النظر اليها ، والخروج بدون عذر ، ويجوز لها الخروج لقضاء مصالحها أثناء العدة مطلقة أو متوفى عنها زوجها لما روى عن جابر قال : طُلّقت خالتى ثلاثا فخرجت تجذ نخلها فلقيها رجل فنهاها فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : أخرجى فجذى نخلك لعلك أن تتصدقى أو تفعلى خيرا . رواه النسائي وأبو داود (ص ٥٢٤ المغنى لابن قدامه) . وهو رأى الحنابلة .

وناخذ من قوله تعالى بعد أن ذكر عدة المتوفى عنها زوجها . « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خِطْبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » (الآية ٢٣٦ من سورة البقرة) .
ناخذ من هذه الآية ان للأجانب النظر الى المعتدة عدة الوفاة والتحدث معها الى حد التعريض لها بالرغبة فى خطبتها لا التصريح ..

كما أن الحديث السابق يفيد ذلك بالنسبة للمطلقة اذ لم ينكر الرسول صلى الله عليه وسلم عليها محادثة الرجل لها ولا خروجها لجذ نخلها . لذلك نفتيك .

١ ـ بأن عدة المتوفى عنها زوجها تبدأ من تاريخ الوفاة ولو لم تعلم الزوجة بوفاته .
٢ ـ وأنه يحرم على المعتدة التزين ولبس كل ما يلفت النظر اليها .
٣ ـ وأنه لا يحرم عليها الخروج لقضاء مصالحها .
٤ ـ ولا مانع من نظر الأجانب اليها والتحدث معها ما دام ذلك يتم فى الحدود المشروعة من حيث الملبس والنظر بدون قصد سيء ، لا فرق فى ذلك بين معتدة وغير معتدة .

فى الوصية

السؤال : ـ

أوصى شخص حال صحته من ثلث ماله الى من تجوز لهم الوصية ثم أصيب بجنون قبل الوفاة .
فما حكم الشريعة فى هذه الوصية .

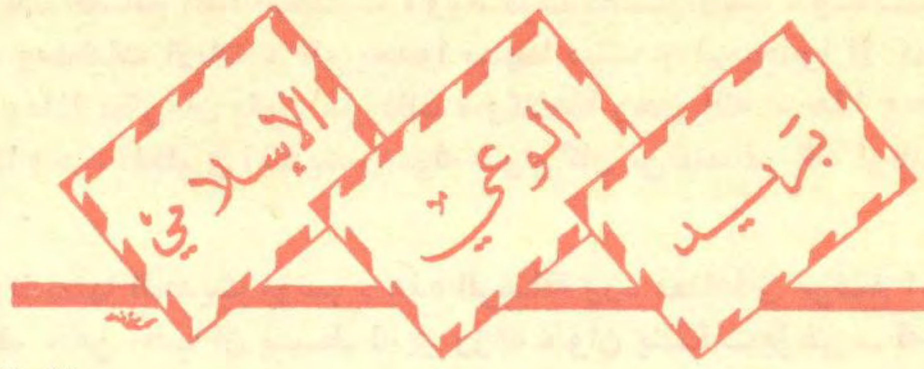
ع ـ خ / الكويت

الاجابة : ـ

الوصية شرعا تصرف فى التركة مضاف الى ما بعد الموت بطـريق التبرع ـ والمـراد بالتركة ما يخلف فيه الوارث المورث مالا كان أو منفعة أو حقا من الحقوق الأخرى المتعلقة بالمال التي تنتقل من المورث الى الوارث كحقوق الارتفاق ونحوها .

ويشترط فى الموصى أن يكون أهلا للتبرع حرا بالغا عاقلا مختارا ـ فلا تصح وصية المجنون حال جنونه حتى لو أفاق ومات بعد افاقته لانعدام الأهلية وقت الوصية ، واذا أوصى حال افاقته ثم جن فقد ذهب بعض الفقهاء الى بطلان وصيته أن كان جنونه مطبقا اتصل بالموت اذ الأصل فى صحة الوصية أن يبقى الموصى أهلا حتى الوفاة،ويمكنه الرجوع عنها أو المضى فيها لانها شرعت لتكون وسيلة الى القربة بعد الموت وليصل الانسان بها من يحب فاذا طرأ على الموصى ما يلغى أهليته للوصية وما يمنعه من استعمال حقه فى الرجوع عنها كالجنون مثلا ـ كانت باطلة كما تبطل الوصية أيضا اذا مات الموصى له قبل موت الموصى .

وذهب البعض الآخر من الفقهاء الى أن الشخص اذا أوصى وهو كامل الأهلية صحت وصيته ، ولو اصابه جنون بعدها استمر الى وفاته ـ لأن الوصية متى نشأت والموصى كامل الأهلية لا تبطل بزوال الأهلية حتى لو اتصل زوالها بالموت استنادا الى أن الجنون الطارىء لا يبطل التصرفات السابقة عليه .
والذى نراه أن الوصية متى نشأت . والموصى كامل الأهلية لا تبطل بزوالها حتى لو اتصل زوالها بالموت .



اشراف رضوان البيلي

السنّة النبويّة مبينة للكتاب الكريم .
البرّ خط الدفاع الأوّل عن الإنسانيّة .

أرسل الشاب أحمد المختار محمد حسين الطالب بمدرسة أبو كبير الثانوية — ج.ع.م — رسالة جاء فيها .

أتوقف أثناء مطالعاتى فى السنة النبوية عند أحاديث لا أستطيع التوفيق بينها وبين بعض الآيات . من ذلك قول الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — : لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر . فكيف يستقيم معنى هذا الحديث الصحيح مع معنى الآية الكريمة « ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها » فالحديث يفيد أن البر يطيل العمر ، ويزيد فى الأجل ، والآية الكريمة صريحة كل الصراحة فى أن الأجل اذا حان حينه لن يمتد ، أو يزيد .

السنة النبوية — يا سيدى — وهى مجموع ما صح اسناده للرسول صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وتقرير — مصدقة للقرآن الكريم ، مبينة له ، مفصلة لمجمله ، موضحة لمقاصده ، كاشفة عن حلاله وحرامه هادية الى أخلاقه وآدابه ، ومحال أن يوجد فيها ما يخالفه ، أو يعارضه « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » .

وهذا الحديث الذى وقفت عنده ، وبدا لك أنه يتعارض مع الآية الكريمة واحد من عدة أحاديث يبدو عند النظرة العابرة أنها لا تتسق فى المعنى مع بعض الآيات . نذكر منها الحديث الشريف « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » مع قوله تعالى « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وقوله عليه الصلاة والسلام « انا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » مع قوله عز وجل حكاية عن زكريا عليه السلام « وانى خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب » . وقوله سبحانه « وورث سليمان داود » . وكذلك ما جاء فى الحديث من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه مع قوله عز من قائل « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وقد تتبع السلف الصالح هذه الأحاديث ، ووضعوها بجانب الآيات ، وناقشوا معطيات الأحاديث ومعطيات الآيات ، فلم يجدوا بينهما بينية . لم يجدوا الا كمال التوافق والتأييد ، وماذا يمكن أن يكون غير ذلك ، وكلاهما وحى الله . هذا وحيه المنزل فى آياته ، وهذا وحيه المجلو فى أحاديث رسوله « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

والزيادة التى تضمنها الحديث موضوع هذه الرسالة ورد معناها فى موضع آخر من كتب السنة بلفظ . من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ ـ يؤخر ـ له فى أجله فليصل رحمه » .

والزيادة فى الروايتين لا تمت بصلة الى الزيادة الزمنية التى تقدر بالدقائق والساعات ـ كما يسبق الى الفهم ـ لأن القرآن الكريم قد حسم الأمر فى هذا « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » ومن أجل هذا تعين أن يكون للزيادة فى الحديث معنى آخر أبقى وأخلد غير الاعتبار الزمنى الذى يفقد قيمته الحقيقية ـ مهما امتد وتطاول ـ اذا تجرد من النفع ، وعرا من الثمر ، ومما يشير الى هذه الحقيقة ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من أن من علامات الساعة أن يتقاصر الزمان حتى تصبح السنة كالشهر والشهر كأسبوع والأسبوع كيوم .

واذا كانت القيمة الجوهرية للزمن أو للعمر تقوم بحصيلة المبرات والصالحات التي تكتسب فيه تعين أن يكون المراد بالزيادة ضخامة هذه الحصيلة وكثرة المبرات والاعمال الباقيات ، فتعمر حياة الانسان البار بجلائل المحامد وخوالد المآثر حتى تكون الليلة الواحدة من عمره خيرا من ألف شهر .

والرسول الكريم حين يقول . « ولا يزيد فى العمر الا البر لا يحبسه فى حدود اللقمة واللقيمات والفلس والدرهم ، ولا فى نطاق الجنس واللون والعصبية والمذهبية ، وانما يعنى البر الذى يتسع ويمتد ، فيشمل جميع صور العون الذى يسد حاجة البشرية حسبما تقتضيه ظروفها المتطورة عبر القرون والأجيال . العون المادى . نقدا كان أو عينا . بالمال بالكساء بالمواد الغذائية ، والعون العلمى . بالخبرات والمهارات . بالأطباء بالمهندسين بالمعلمين باقامة الجسور ، بانشاء السدود . باستصلاح الأراضي . باكتشاف ينابيع الثروة لتحرير الشعوب المتخلفة من الجوع والجهل والمرض .

وما من شك فى أن البر الفردى والجماعى ـ هو خط الدفاع الأول الذى يهىء للانسانية حياة عريضة هادئة مطمئنة ، ويقيها شرور موجات السخط الناجمة عن الحرمان ويحميها من الأوبئة الخطرة المجتاحة التى تنمو وتتكاثر فى محاض الفاقة وسوء التغذية .

ومن هذا يتبين أن الزيادة الحقيقية فى العمر هى الزيادة فى الأعمال المثمرة المنتجة . الزيادة فى الكيف لا فى الكم . اذ ليس الانسان أثرا من الآثار يقدر عمره بما مر عليه من القرون والأجيال ، والذاهلون عن وجودهم هم الذين يحسبون حياتهم بدءا بلحظة ميلادهم ونهاية بلحظة وفاتهم ، ويقومونها عرضا بما أفادوه فى هذه الفترة من متع لا تتجاوز ذواتهم وكيانهم المادى ، وأنانيتهم المسعورة ، وما عليهم بعد ذلك

أن يشيعوا الى مقرهم الأخير باللعنات ، أو يصبحوا نسيا منسيا ، ليس لهم ذكر باق ولا أثر خالد ، ولا عمل مبرور ((فما بكت عليهم السماء والارض)) وأمثال هؤلاء لا يفرح المجتمع بحياتهم ، ولا يأسى على فقدهم . يستوى عنده وجودهم وعدمهم ، وطول أعمارهم وقصرها ، لأنهم عاشوا لأنفسهم لا يحسون للمعروف طعما ، ولا يجدون للبر لذة .

بقى أن نشير الى سر التعبير فى الحديث بالزيادة فى العمر دون البركة فيه مثلا ذلك أن الانسان مطبوع على الحرص على المال والحرص على العمر كما جاء فى الحديث ((يشب ابن آدم وتشب فيه خصلتان . الحرص على المال والحرص على العمر)) والمال أبرز وسائل البر ، ولن يسخو به الانسان الا اذا وجد عوضا ومكافأة تعد له أو تفوقه ، وأعز أمانى الانسان أن تمتد حياته ، ويطول عمره .

لعلك ـ يا سيدى ـ بعد هذا البيان قد وضح لك أنه ليس فى السنة النبوية ما يتعارض مع الكتاب الكريم ، وأن المقصود بالزيادة فى العمر أن تحفل حياة البار بالباقيات الصالحات وأن الناس لا تطيب حياتهم الا اذا بر غنيهم فقيرهم ، وأعان قويهم ضعيفهم ، وثقف عالمهم جاهلهم ، وتعاونوا على البر والتقوى .

الحديث المتواتر وحكم منكره

ما هو الحديث المتواتر ، وما حكم المسلم اذا أنكره

سعيد ماجو ـ موريتانيا

الحديث المتواتر حديث صحيح رواه جمع يحيل العقل والعادة اتفاقهم على الكذب عن جمع مماثل لهم فى هذه الصفة من ابتداء الرواية الى من أخبروا بقول النبى صلى الله عليه وسلم أوفعله، أو حال من أحواله .

واذا كان الحديث الذى يرويه كل واحد من هذا الجمع طبقة عن طبقة مطابقا لما يرويه الآخر فى لفظه سمى هذا الحديث متواترا لفظا ، ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم ((من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)) فقد رواه العدد الجم من الصحابة رضوان الله عليهم وحكى النووى فى شرح مسلم أنه ورد عن مائتى صحابى منهم العشرة .

أما اذا كان الحديث المروى عن هذا الجمع مختلفا فى اللفظ فقط دون المعنى بأن اتفقت الروايات كلها على معنى مشترك بينها مع اختلافها فى الألفاظ الدالة على هذا المعنى ـ سمى متواترا معنويا ، ومن أمثلته حديث رفع اليدين فى الدعاء ، فقد ورد فيه مائة حديث ، ولكنها فى مناسبات ووقائع مختلفة ، وكل مناسبة منها لم تتواتر الا أن القدر المشترك بينها وهو الرفع متواتر بالنظر الى مجموع الروايات .

ومنكر الحديث الذى انعقد الاجماع على تواتره كافر ، وهذا هو الحكم فى انكار كل ما أجمع المسلمون على اسناده للرسول صلوات الله وسلامه عليه كعدد الصلوات الخمس وركعاتها ، ومناسك الحج من طواف ووقوف بعرفة .

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

لتاريخ الهجري

يتحدث الشيخ أحمد حمدى الطاهر من جبل عمان بالأردن عن الهجرة النبوية أسبابها ونتائجها . ويتناول بالتفصيل سبب اعتبار الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامي فيقول :

أما سبب وضع التاريخ الهجرى ما رواه الحاكم من طريق الشعبي أن أبا موسى الأشعرى كتب الى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ـ انه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ . فجمع عمر الناس يستشيرهم فقال بعضهم : ارخ ببعثة الرسول الأعظم . وقال بعضهم : أرخ بمولده الشريف . وقال البعض الآخر : أرخ بالهجرة .

فاستصوب عمر هذا الرأى وقال مقالته المشهورة : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها .

وكان ذلك سنة سبع عشرة من الهجرة . فلما اتفقوا . قال بعضهم ابدأوا برمضان فقال عمر بل بالمحرم فانه بعد منصرف الناس من حجهم ، ولأنه يتفق مع أول السنة القمرية فاتفقوا عليه .

وبذلك اختار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه المحرم ليكون مبدأ التاريخ الاسلامي لأنه كان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة . وقال كلمته الخالدة : الهجرة فرقت بين الحق والباطل . فقد ورد عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال ـ ما عدوا من مبعث النبى ولا من وفاته ، ما عدوا الا من مقدمه المدينة ـ رواه البخارى .

اختار عمر الفاروق بثاقب رأيه وبالغ حكمته الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامي ليذكر المسلمون فى مفتتح كل عام هجرة البطولة والمجد والتضحية والفداء والايمان والايثار . ليذكر المسلمون أسباب الهجرة ونتائجها وآثارها وعبرها . فيمسكوا بأسباب العزة والقوة من منابعها الاصلية .

وما أحرانا أن نحيى التاريخ الهجرى فى تأريخنا ومعاملاتنا وأحكامنا ومراسلاتنا وبذلك نحيى تراثنا ونستشعر كرامتنا . وكم من المؤسف أن كثيرا من البلاد الاسلامية والعربية التي ابتليت بالاستعمار الغربي ردحا من الزمن ، وقد من الله عليها بالاستقلال والحرية ما زالت تابعة للاستعمار فى كثير من أشكاله ومفاهيمه ومنها التاريخ الغربي .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ومن كلية الفقه بالنجف الأشرف أرسل الينا الشيخ فاضل الحسيني الميلانى كلمة يتحدث فيها عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وصلة الحسبة بهما ، وينبه المسلمين الى ضرورة تطبيق وتنفيذ هذا المبدأ الذى صلح به أمر المجتمع الاسلامي فى عصوره الزهرة فيقول :

ان ايقاظ الوعى الاسلامي الذى يتلخص فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان عند المسلمين السابقين بمكان ، فاحتل جانبا مهما من الكتب الاسلامية . فبينما نجد الفقهاء يبحثون عنه فى الكتب الفقهية بصورة مفصلة ، نجد علماء الكلام يبحثون ويطيلون الحديث عنه ، ولم يقف الأمر عند هؤلاء ، بل اننا نجد علماء الأخلاق يدرجونه ضمن المسائل الأخلاقية الأساسية . فلقد تطرق الغزالي فى الجزء الثاني من كتابه (احياء العلوم) الى مسألة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى ٥٠ صفحة من القطع الحجرى الكبير ، وتناولها باسهاب .

ونستنتج مما تقدم أن هذا الموضوع الحساس هو من أهم مسائلنا الاجتماعية . وهو بحاجة الى توعية شاملة للأخذ به وتطبيقه من قبل المسلمين .

ويشير التاريخ الاسلامي الى وجود دائرة مستقلة عن جهاز الخلافة والقضاء باسم (دائرة الحسبة) .

وكانت قائمة على أساس الأمر بالمعروف والنهر عن المنكر . ويرجح أن نشوء هذه الدائرة كان فى القرن الرابع الهجرى .

وقد أدرج الفقهاء أحكام الحسبة تحت عنوان باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، واذا راجعنا التاريخ نجد أن الحسبة كانت تفعل ما لا يفعله القضاء أحيانا . فهي مضافا الى أعمال البلديات كانت تقوم بأعمال الشرطة ، والرقابة على التوجيهات الدينية كالرقابة على المنابر لئلا يروى الخطيب حديثا كاذبا ، أو يموه على الناس أحكاما ما أنزل الله بها من سلطان .

ومن هنا نعرف أن نشاط دائرة الحسبة كان واسعا الى درجة كبيرة ، مما يمكننا من أن نعدها وجها للتنظيم الادارى فى أبسط صوره عند المسلمين .

ان المجتمع الاسلامي ما قام الا على أساس تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. ولن تصلح المفاسد المنتشرة فى مجتمعنا الحاضر الا بالأخذ بنفس المبدأ عملا بقوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

السلطان المظلوم

وهذه كلمة حق يسطرها الأستاذ عبد الرحمن صديق المدرس بمدرسة وهران بكركوك ـ ينصف بها السلطان عبد الحميد من أعدائه أعداء الاسلام فيقول :

كثيرون مظلومون فى تاريخنا الاسلامي نتيجة انحياز المؤرخين الأجانب والمستشرقين ، ومن بين الذين كتب تاريخهم بدافع من حقدهم الدفين وأنصب عليه افكهم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني الذى شوه تاريخه الشخصي وتاريخ الدولة العثمانية أيام حكمه ليظهروه بمظهر المفرط فى حق امبراطوريته ، كتبوا عنه أنه كان رجلا شهوانيا يتخذ الجوارى والنساء العديدات ، ويقتل الأبرياء بغير حق الى آخر الافتراءات التي ما أنزل الله بها من سلطان .

بينما يشهد كل مؤرخ ذى ضمير حى بأن السلطان عبد الحميد كان رجلا تقيا ورعا بذل كل ما يملك من جهود لتثبيت أركان امبراطوريته المنهارة ، والعمل على تقويتها وأنه لما جاء الى السلطنة كانت الامبراطورية منهارة القوى مفككة الاطراف وخزينتها خاوية على عروشها ، والدول الأوربية متربصة بها يحيكون المؤامرات لتقسيم تركة (الرجل المريض) كما كانوا يسمونها .

أجل جاء السلطان عبد الحميد وهذه حقيقة الأمبراطورية العثمانية فجاهد جهاد الأبطال للم شملها وتثبيت أركانها ورد كيد أعدائها فى الخارج وصنائعهم فى الداخل .

ويكفى أن نذكر قضية واحدة على سبيل المثال لا الحصر تدل على مدى تمسكه بأجزاء امبراطوريته وهى رد قاطع على المفترين عليه .

دخل عليه الثرى الماسوني الكبير (قره صو) بواسطة مرافق السلطان عارف بك ، وقال له بالحرف الواحد (انى قادم مندوبا عن الجمعية الماسونية رجاء جلالتكم بأن تقبلوا خمسة ملايين ليرة ذهبية هدية لخزينتكم الخاصة ومئة مليون كقرض لخزينة الدولة بلا فائدة على أن تسمحوا لنا ببعض الامتيازات فى فلسطين) .

فما هو الا أن اربد وجه السلطان والتفت الى مرافقه قائلا له (أفما كنت تعلم ماذا يريد هذا الخنزير). ثم نظر الى (قره صو) وصاح فى وجهه أغرب عني يا سافل .

فقصد قره صو ايطاليا ومن هناك كتب اليه هذه البرقية التي لا تزال صورها الزنكوغرافية محفوظة فى كثير من كتب التاريخ التركية .

(أنت رفضت عرضنا ، ولكن هذا الرفض سيكلفك أنت شخصيا ويكلف مملكتك كثيرا) .

وفى هذه الأثناء قابله زعيم صهيوني آخر هو (هرتزل) برفقة الحاخام (موسى ليفي) وراح يرجوه فى تزلف أن يبيع أراضي فلسطين بالثمن الذى يريد فقال له السلطان رحمه الله بالنص .

(ان هذه الأراضى قد امتلكها المسلمون بالدماء وهى لا تباع الا بنفس الثمن) .

ومن هنا نعلم سبب حقد اليهود عليه وسعيهم للاطاحة به حتى خلعوه بواسطة بعض المخدوعين والمغرر بهم .

قالت صحف العالم

فلسطين والامة العربية

طالعتنا نشرة « فلسطين » التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء الكويتية بالمقال التالى .

هل يمكن سلخ قضية فلسطين عن قضية الوطن العربى ؟ وفصل شعب فلسطين العربى عن شعب الأمة العربية ؟

من خلال هذا الاستفهام ، يبرز السؤال العربى . هل فى بقاء دولة العصابات الصهيونية خطر على الوطن العربى .. والصهيونية تتبجح بمطالبها .. وأطماعها التوسعية ؟

ومن هنا نتساءل . هل يتم تصحيح الوضع فى فلسطين العربية بمعزل عن الأمة العربية فيكون شعب فلسطين وحده فى الميدان ؟

ونجيب على كل هذه التساؤلات بكلمة . لا .. فمن المستحيل عزل أقطار الدول العربية عن معركة التحرير ، لأننا نشكل قوة واحدة لاعادة تعربة الجزء السليب من جهة ، ثم هناك وحدة الهدف والايمان .. والمصير الذى يجمع بين الدول العربية .

ونتساءل مرة ثانية . ما هى (التكتيكات) العسكرية والخطوات السياسية التى ستتخذ لتصبح خططا مدروسة نسير على هداها بحكمة وتعاون ليوم الانطلاق .. ومتى نطبق ما نتحدث عنه من خطط ، وكيف يبدأ الفلسطيني العربى مسيرته المصيرية ؟ ثم متى تنطلق الشرارة الأولى تعلن معركة الشعب الفلسطيني ليكون فى طليعة الجهاد ؟

قد يقال . ان الاستعمار الغربى يقف للعرب بالمرصاد .. وانه يراقب تحركات العرب العسكرية بحذر وترقب .. بل انه لن يسمح لأى قوة عربية أن تنفرد باتخاذ اجراءات عسكرية ضد العدو المغتصب ؟

لقد فقدنا الأمل فى قوانين مجلس الأمن ، ولم يعد لنا بارقة رجاء فى ديمقراطية الامم المتحدة .. والقرارات العديدة التى اتخذت فى مجلس الامن لا تزال مجمدة تمر عليها السنوات فيضحك القدر ساخرا .. والصهيونية تتمادى فى انتهاك القوانين الدولية ، دون رادع يوقف هذه الفئة المعتدية عند حدها ... بل ليس هناك أى قرار يضع الحق فى نصابه .

ما يسمعه الشعب الفلسطيني .. (الادانة) ومجلس الأمن يوجه لوما شديدا ضد الفئة المعتدية الصهيونية .. ولا شىء غير ذلك .. بل ليس لنا الحق فى مناقشة هذه القرارات السلبية .. لقد جاء اليوم الذى أصبح من حقنا أن نتساءل فيه .

ما هو دور شعب فلسطين العربى فى معركة التحرير ؟ وما هى الالتزامات الايجابية فى الدور النضالى لاعادة الكيان الفلسطيني فوق الأرض الطيبة ؟ وما هى الوسيلة التى يحقق فيها الشعب كيانه ووجوده فى وطنه السليب ؟ ومتى نوقف الطوابير فى نهاية كل شهر ، أمام مخازن وكالة الاغاثة والتشغيل التموينية ، لتتسلم مخصصات الاعاشة .. متى ؟

لقد آن الأوان بعد انبثاق وحدة الشعب الفلسطيني فى جبهته الجديدة أن يثبت وجوده بالانطلاق النضالى لاستعادة مقومات الحياة .. وتحرير الوطن .. وايجاد الكيان الحقيقي .

ان الدور الطلائعي للتحرير يقع على عاتق شعب فلسطين وهو اليوم أعاد تنظيم صفوفه في جيش تحرير من الفدائيين .

ان هذا اليوم غير يوم الأمس ، والتضامن العربي سيدفعنا للانطلاق في زحف عربي مقدس ، فقد مرت سنوات عشنا فيها خلف أسوار في قوقعة تخرج منها الخطب رنانة ، والأحاديث منمقة ، والوعود براقة ، والتهديدات كلامية ..

أما اليوم .. فقد بدأ العربي يتطلع الى العمل الايجابي .. الى التنظيم الجماعي .. الى الجهاد المقدس ..

لقد أصبح التضامن الجماعي نضالا يشكل قوة حقيقية لخوض معركة الحرية ، لنزيل عار سنوات عشنا فيها نتسول من اعانات دولية ، حيث نقف في طوابير منتظمة لنتسلم مخصصات تضمن لنا البقاء أحياء خارج الأسوار ..

والأيام تمر ... ونحن في ترقب ثائر لوثبة فلسطينية جماعية ليوم النصر ...
واننالعائدون »،

الى الاسلام .. دين الحياة

نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

ان العقل البشري في أرشد حالاته لا يعرف الى آخر الزمان دينا كالاسلام يأتلف مع الحياة ولا يختلف ، ويفي بحاجات الانسان المنطلق الى ما أراد الله له من السيطرة على ما خلق في طهر وشرف وكرامة اختصه بها منذ قال سبحانه . « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (١) .

والتفاعل الأصيل بين الاسلام وطبيعة الكون وموافقته لسنن الحياة تكشف لنا ضرورة وساطته بين الأحياء وبين الحياة التي بين حقيقتها حتى لا نفتتن بها متجاوزين دور السيادة الرشيدة التي تتأدى بنا الى سيادة أرفع وأمنع وأبقى وأخلد في جوار الله « وان الدار الآخرة لهي الحيوان لوكانوا يعلمون » (٢) .

ان التفاعل الاصيل بين الاسلام وطبيعة الكون وائتلافه مع الحياة الحقة ليس دعوى ينقصها البرهان ولا هو قضية يعوزها الدليل ، وخذ ان شئت أي شيء مما حولك من قريب أو بعيد انسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا ، أي شيء مادي أو معنوي منذ كانت الدنيا والى أن يرث الله الارض ومن عليها فستجد الاسلام وكتابه وسنة رسوله وعمل صحابته وآثارهم — وهم بعد رسول الله صلوات الله عليه أهل قدوة واتباع .

والاسلام يسد بذلك منافذ الهوى ويوصد دوننا مآرب الشهوات وهو يجعل لكل شيء حكما ، ويحدد لكل أمر من أمور الحياة اتجاها لا يخالف عنه الا باغ متجاوز حدود الله « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » .

ولهذا كانت مسئولية المسلم بعد أن فصل الله الاحكام وبين الحلال والحرام ، وميز الخبيث والطيب مسئولية كاملة امتاز بها عما سواه من مخلوقات الله ، فهو مسئول عن عقيدته وعبادته . مسئول عن صحته وأسرته ، مسئول الى حد كبير عن المجتمع المحدود الذي يشكل فيه عنصرا بارزا ، مسئول عن الانسانية التي هو أحد أفرادها ، مسئول عن كل ما يقول ويعمل في ليل أو نهار وفي سر أو جهار منذ قال المعصوم صلوات الله عليه . « أنت على ثغر من ثغور الاسلام فلا يؤتين من قبلك » .

هكذا يفعلون بالاسلام والمسلمين !!

ونشرت صحيفة « تن بات باو » في هونغ كونغ في عددها الصادر في ١١ أكتوبر الماضي منشورا وجهه الحرس الاحمر في الصين للمسلمين جاء فيه ...

(١) سورة الاسراء — ٧٠ (٢) العنكبوت — ٦٤

يا رجال الحرس الاحمر المقاتلون انكم تقومون بعمل حسن . واصلوا عملكم . أنتم تكافحون ضد البرجوازية والاقطاعيين الذين مصوا دماءنا وأكلوا لحمنا وعظمنا ، والآن جاء دورنا لامتصاص دمهم وأكل لحمهم ، يا رجال الحرس الاحمر لا يمكن أن ندع عدوا من أعدائنا يهرب ، وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الاعداء تخفيا ـ المسلمين ـ الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم ويختبىء أولئك المسلمون فى الجوامع وبتوجيه من الاستعماريين كما تسيطر عليهم الدول الاجنبية ضد بلادنا وشعبنا العظيم وزعيمنا الجزيل الاحترام الرئيس ماو .

استمعوا أيها المسلمون .

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الديني على وجوهكم ، سنطردكم وندمركم ومن اليوم فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الابقار لان الابقار تخدم الشعب يجب أن تأكلوا لحم خنازير .. ولا يمكنكم من الآن فصاعدا أن تضيعوا وقتكم فى الصلاة يجب الا تتكلموا اللغة العربية التى هي ضد اللغة الصينية ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس « القرآن » اسمعوا أيها المسلمون . دمروا جوامعكم !! حلوا المنظمات الاسلامية ، احرقوا القرآن ... ! الغوا الحظر الذى وضعتموه على الزواج المشترك .. كفوا عن الصلاة . الغوا الختان ، ادرسوا أفكار ماو .. اذا لم تندموا سنطردكم وندمركم . يجب أن نسحق جحور الجرذان الدينية ، وندمرها معكم فلتحى الثورة الثقافية الكبرى . فليحى طويلا طويلا طويلا الرئيس ماو .

شعب ارتريا الشقيق

تناولت مجلة الرسالة الكويتية ما يتعرض له شعب ارتريا المسلم من وسائل القمع والتعذيب والتشريد على يد السلطات الحبشية وتحدثت عن حالة اللاجئين الارتريين عند اطراف كسلا ، فهي أفظع من ان يحتملها ضمير الانسانية ، كما تحدثت عن التعاون الوثيق بين الحبشة واسرائيل وعما يلاقيه المسلمون فى اريتريا على أيدى الصهاينة كذلك ثم استعرضت فى مقالها بيان جبهة التحرير الاريترية الذى يقول .

أثناء الحكم البريطاني تحولت مطامع الحبشة نحو ارتيريا بحجة السيطرة على موانىء أرتيريا فى البحر الاحمر . ومن أجل الوصول الى أطماعها التوسعية بعثت بعصابات مسلحة تنشر الذعر والارهاب تساعدها فى ذلك الادارة البريطانية الاستعمارية . وفى عام ١٩٤٨ أحيلت قضية أرتيريا الى هيئة الامم المتحدة ضمن قضايا المستعمرات الايطالية السابقة (ليبيا والصومال وأرتيريا) . وبعد ثلاثة أعوام من المداولات والمناورات الاستعمارية فى أروقة الامم المتحدة تمكنت الحبشة من غايتها باستصدار قرار من الجمعية العامة للامم المتحدة يقضي بربط أرتيريا فى اتحاد فدرالي مع الحبشة . وكان هذا القرار ينص على اعتبار أرتيريا وحدة مستقلة استقلالا ذاتيا واسع النطاق وأن تتمتع أرتيريا بنظام حكم ديمقراطي وأن تكون اللغة العربية لغتها الرسمية وأن ترتبط بالحبشة فى الشئون الخارجية والدفاع .

غير أن الحبشة تجاهلت قرار الامم المتحدة وأقامت بالتواطؤ مع الادارة الاستعمارية البريطانية حكومة صورية من عملائها . وأخيرا أنهت الاتحاد الفدرالي من جانب واحد واحتلت أرتيريا عسكريا فى ١٩٦٢/١١/١٤ وعاملت الارتيريين معاملة قاسية ، فملأت السجون بآلاف المعتقلين ولجأت الى أساليب بربرية كالتعذيب الوحشي ، وصادرت الصحف العربية وكممت الافواه ، مما دفع الشعب الارتيرى الى اللجوء للعنف ، وخاصة أن جبهة التحرير الارتيرية كانت قد بدأت فى ١٩٦١/٩/١ بثورة مسلحة دعت الشعب للانضمام اليها لحماية البلاد من الغزو الحبشي الاستعمارى .

وناشدت العرب والمسلمين أن يتبينوا عدوهم من صديقهم فى أفريقيا . ومقياس ذلك هو الالتزام الصادق بمبادىء حق تقرير المصير والحرية للشعوب الطامحة الى الاستقلال ، ثم الموقف من قضيتنا الكبرى . قضية فلسطين .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت

* من أجل توثيق الروابط الأخوية زار البلاد فى الشهر الماضي أصحاب السمو أمراء الشارقة ودبى وعجمان وأم القيوين ردا على الزيارة التي قام بها صاحب السمو أمير البلاد المعظم لهذه الامارات فى العام الماضي .

* اجتمعت لجنة المعونات الاسلامية برئاسة معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية ، وبحثت الطلبات المقدمة اليها من مختلف الهيئات الاسلامية ، وأكدت اللجنة اهتمامها بنشر الاسلام فى دول افريقيا خاصة .

* احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بمناسبة ذكرى الهجرة ، وقد تحدث فى الاحتفال معالي وزير الأوقاف وأصحاب الفضيلة العلماء .

* توجه الى السعودية السيد عبد الرحمن المجحم وكيل وزارة الأوقاف والشؤون لاسلامية للاشراف على تصاميم المنشآت التي ستقام على أرض مدينتي الحجاج الكويتيين فى كل من مكة والمدينة .

* بعثت الكويت بمعونة من المواد الغذائية والطبية الى اللاجئين الأريتريين الذين بلغوا عشرين ألفا بعد أن انتشرت بينهم عدة أوبئة .

* زار الكويت وفد من القيادة القومية لنشر الدعوة الاسلامية فى أندونيسيا .

* زار البلاد السيد محمد علي تشاجلا وزير خارجية الهند حيث أجرى عدة مباحثات هامة مع المسؤولين .

الجمهورية العربية المتحدة

* استقبل فضيلة شيخ الأزهر السيد أحمد هاشم كبير وزراء ولاية بيرليس بماليزيا الذى حضر الى المتحدة من أجل تزويد الكلية العربية الاسلامية بالكتب والأساتذة الأزهريين ، وقد وجه دعوة الى كبار رجال الأزهر لحضور حفل الافتتاح .

* تقرر أن يكون لجمعيات الشبان المسلمين فروع فى كافة المصانع والمؤسسات العمالية والمعاهد التعليمية حتى ينشأ من فيها على تحمل مسئولياتهم وهم مدعمون بالروح الدينية والمثل العليا للاسلام .

* وافق مجلس الأمة على تعميم قراءة القرآن المرتل فى جميع المساجد عدا يوم الجمعة .

* أذاعت محطة البرنامج العام برنامجا طويلا يكشف الجوانب المختلفة لعبقرية الشاعر المسلم محمد اقبال ، وقد أذيع البرنامج فى وقت واحد من القاهرة وكراتشي وذلك بمناسبة ذكرى وفاته .

* بدأ تسجيل المصحف المعلم حيث يقرأ القارىء ويردد من ورائه سبعة مقرئين كأحسن وسيلة لتحفيظ القرآن الكريم وتعلم نطقه الصحيح تستغرق اذاعته ٩٠ ساعة ويتكون من ١٢٠ اسطوانة .

* وافقت وزارة الأوقاف على انشاء مسجد كبير على الطراز الاسلامي فى مطار القاهرة بحيث يكون أول مبنى يشاهده القادم الى القاهرة . كما تعد وزارة الاوقاف مشروعا يقضى بانشاء مساجد فخمة فى الموانى وعلى ضفاف القناة لتكون أول ما يشاهده الزائر للبلاد .

* وزع فضيلة شيخ الأزهر جوائز المتفوقين من طلبة الأزهر فى حفظ القرآن والثقافة والاجتماع .

* أقام المجلس الأعلى للفنون والآداب احتفالا بذكرى مرور ٥٧٨ سنة على وفاة الفيلسوف المسلم السهروردى .

السعودية

* زار البلاد سمو الشيخ زايد بن سلطان حاكم أبى ظبى بدعوة من جلالة الملك فيصل .

* ستفتح هذا الشهر كلية التربية التي أنشأتها المملكة بالتعاون مع منظمة اليونسكو .

* زار البلاد وفد ثقافي ايراني لتدعيم الروابط الثقافية بين البلدين ، وقد ألقى جلالة الملك فيصل كلمة فى الوفد ، وقد عقدت بين البلدين اتفاقية ثقافية .

العــراق

* احتفل فى يوم ١٧ ابريل الماضي بذكرى وفاة الزعيم العربي المغفور له عبد السلام عارف ، وقد أقيمت حفلات التأبين فى بغداد ومختلف ألوية العراق .

* صدرت موسوعة عراقية تشمل جميع المصطلحات العسكرية فى القرآن من اعداد اللواء محمود شيت خطاب .

لبنــان

* استجابت الدولة لرغبة سماحة مفتى الجمهورية الشيخ حسن خالد بتعطيل جميع أعمال الدولة فى يوم عاشوراء كعيد عام للمسلمين فى سبيل ضم الشمل وتوحيد المشاعر .

السودان

* زار الهند السيد اسماعيل الأزهرى رئيس مجلس السيادة ، وقد زار مدينتى حيدر آباد وبومبى.

* أعلن رئيس وزراء السودان أنه سيعمل بكل ما فى وسعه لاقرار الدستور الاســلامي متجاوبا مع الأحزاب السودانية كما صرح بأنه سيتخذ الاجراءات اللازمة لحماية البلاد من النشاط الشيوعي .

* صرح وزير الداخلية السوداني أنه سيعاد اسكان اللاجئين الاريتريين فى منطقة تبعد قليلا عن ارتيريا، ومما يذكر أن عددهم زاد عن عشرين ألفا .

* صرح مسئول فى السودان بأن الحبشة قطعت كل طرقها البرية المتصلة بالسودان .

الجزائر

* بدأ وزراء التعليم فى المغرب العربي اجتماعهم فى الجزائر ، وسيدرس المؤتمر تدريب المعلمين وتنسيق تعليم اللغة العربية فى المغرب العربي .

* بدأت الاتصالات لعقد المؤتمر الخامس لتضامن شعوب القارتين فى العاصمة الجزائرية ، والمنتظر أن يعقد المؤتمر الخامس لتضامن شعوب القارتين فى العاصمة الجزائرية ، فى أواخر هذا العام .

* اعرب الرئيس الجزائرى هوارى بومدين للسيد أحمد الشقيري عن تأييد ودعم المنظمة والشعب الفلسطيني رغم كل الظروف ، وقد دفعت الجزائر حصتها فى ميزانية المنظمة .

المغــرب

* قررت حكومة المغرب الاستيلاء على مناجم الحديد فى المغرب والتى تشرف عليها أسبانيا .

باكستان

* نفت وزارة الخارجية الباكستانية أن تكون بين باكستان والعصابات الصهيونية أية علاقة تجارية أو سياسية ، وأكدت أن موقف الباكستان من اسرائيل معروف .

* أعلنت الحكومة عن عزمها على تأسيس جامعة اسلامية فى اسلام آباد .

* بدأ العمل فى كتابة القرآن الكريم بخيوط من الذهب الخالص وسوف يستغرق هذا المشروع الفني الرائع سنة كاملة .

آخر خبر من أمريكا : نحيى فيه موقف محمد علي كلاى بطل العالم لموقفه من أمر التجنيد واعلانه أنه يضحي بكل شيء فى سبيل مبدئه ومن أجل دينه . وقد أرسلت احتجاجات من الأزهر والمجلس الأعلى للشئون الاسلامية على موقف امريكا من البطل المسلم . والبقية تأتي من البلاد الاسلامية .

مكتبة المجلة

الاسلام والمسلمون فى ألمانيا بين الأمس واليوم

عرض سريع لتطور الاستشراق فى ألمانيا مع صورة عامة للنشاط الاسلامي الراهن فيها بقلم الشيخ طه الولى أمين سر جمعية المكتبات اللبنانية . وقد طبعت الكتاب ونشرته دار الفتح للطباعة والنشر ص ب (٤٢٩٥) بيروت ـ لبنان ويحتوى على مائتي صفحة، وهو يشتمل على أبحاث تتناول تطور الدراسات الاسلامية فى ألمانيا بما يكفي لاعطاء القارىء فكرة عن الاستشراق الألماني .

وفى الكتاب فكرة واضحة عن الأطوار التي مرت بها ترجمات القرآن الكريم الى جانب دراسة واقعية موضوعية للنشاط الاسلامي الراهن فى ألمانيا ، وكذلك يقدم الكتاب فكرة كاملة عن المساجد الموجودة فى المدن الألمانية .

النظم القانونية الافريقية وتطورها

للدكتور محمد سلام زناتى الأستاذ بكلية الحقوق ـ جامعة عين شمس ، وهو كتاب يهتم بدراسة النظم الخاصة بالزواج والأسرة وما يتصل بهما والقانون الافريقي الخاص بأهلية الزواج وتعدد الزوجات والمهر وآثار الزواج والطلاق والخلافة على الأرامل والميراث ، وقد أفرد المؤلف لكل منها فصلا مستقلا .

والكتاب يقع فى « ٥٠٠ » صفحة وقامت بطبعه المطبعة العالمية ونشرته دار النهضة العربية (٣٢ ـ شارع عبدالخالق ثروت ـ القاهرة) .

بحوث فى تفسير القرآن الكريم

دراسة جديدة فى تفسير القرآن الكريم أعدها الأستاذ جمال الدين عياد رئيس قسم آسيا بمصلحة الاستعلامات بالقاهرة وقد اتبع فيها البحوث والرسالات الجامعية ، والى جانب التفسير العلمي سوف يجد القارىء فى هذه البحوث دراسة أدبية تصور ألوانا من البلاغة والجمال الفني فى القرآن ، وأخرى لغوية تبحث المدلول اللغوى لبعض الكلمات ، وتاريخية تتجاوب مع الأحداث والمناسبات التي نزلت فيها الآيات بالاضافة الى الدراسات التشريعية والفلسفية ، وزود التفسير بالرسوم التي تعين على الفهم .

والكتاب الأول الذى يفسر لنا سورة العلق يقع فى (١٦٧) صفحة ، والثاني الذى يفسر لنا سورة المدثر يقع فى (١٧٥) صفحة ، وثمن كل منهما (٢٥) قرشا مصريا .

من القصص الاسلامي

كتاب يحتوى على مجموعة من القصص التاريخية الاسلامية كتبها الأستاذ حسين الطوخى وتوقى فيها رسم كثير من الصور المشرفة المشرقة لنواح من تاريخنا العربى الاسلامي العريق فى أسلوب جاذب وتصوير شائق ، وعناية بأحداث وقعت وأهملها التاريخ .

ومن اليسير على قارىء هذا الكتاب أن يستخلص من كل قصة عدة صور وعدة مفاخر وعدة عبر ، فهى أمتاع وتسلية ونفع للناس ، ويقع الكتاب فى ١٤٥ صفحة مزود باللوحات الجميلة وقامت بطبعه دار التحرير للطبع والنشر بالقاهرة .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ـ ٧ شارع الصحافة
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الرياض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢
جده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥
بغداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحدودة
دبى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ـ السيد رجا العيسى
دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : **السيد عطا المنان** . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣
مراكش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد أحمد عيسى
ليبيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الطبيب العربي المشهور ((ابن النفيس))

اقرأ بحثا عنه فى هذا العدد

مطبعة حكومة الكو

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

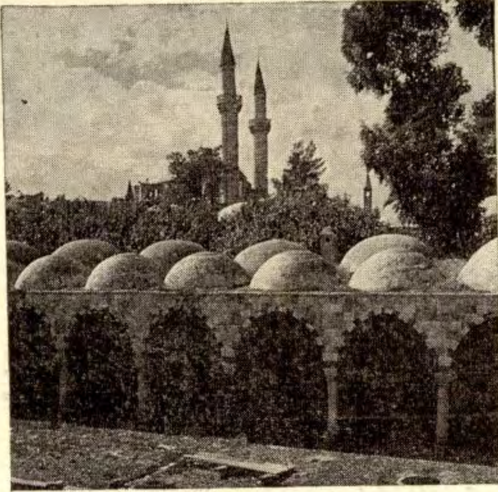
السنة الثالثة ■ العدد السابع والعشرون ■ غرة ربيع الاول ١٣٨٧هـ – ٩ يونيو ١٩٦٧م





الدكتور زاكر حسين يؤدى صلاة الجمعة في مسجد الاحمدى بالكويت وذلك عند زيارته لها في مايو ١٩٦٥.
وقد انتخب في الشهر الماضي رئيسا لجمهورية الهند .

صورة الغلاف



واجهة التكية السليمانية
فى دمشق

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السابع والعشرون ـ السنة الثالثة

غرة ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ
٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

في سبيل الله والعزة

قال الله تعالى

* « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً » (سورة النساء)

* « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (سورة الانفال)

* « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » (سورة الانفال)

* « انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون » (سورة التوبة)

* « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » . (سورة التوبة)

* « لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ، لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى . ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » . (سورة الحشر)

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

مرحى بيقظة الامة العربية العملاقة . مرحى بهدير المدافع ودمدمة القنابل ، وزمجرة الطائرات . مرحى بباب الجنة يستقبل كل مؤمن شهيد فى سبيل حقه وكرامته .. مرحى بالفرصة المتاحة لطلاب المجد والخلود .

ما كنت أظن أن حديث المنى التى كنا نعيش نحلم بها ونرقبها ستصبح واقعا نلمسه ونعيش فيه هكذا سريعا ، فمنذ أن أصدر القائد العربى المظفر جمال عبد الناصر أمره بالاستعداد لردع اسرائيل ، وزحف الجيش العربي ليأخذ مكانه على الحدود ، وما تبع ذلك من رحيل القوات الدولية ، واسترداد السيطرة على « خليج العقبة » منذ ذلك الوقت وأنفاس العالم مبهورة تلاحق الحوادث فلا تلحقها ، والدنيا كلها تركز اهتمامها على هذه المنطقة على المارد العربي الذي انطلق من القمقم ، وعلى الابطال الذين قرروا ، وكانوا فى قراراتهم حازمين وحاسمين ..

ما كنا نظن أن ساعة المجد قريبة جدا الى هذا الحد ، وما كنا نظن أن ساحة الخلود التى فتحها عبد الناصر للعرب لكل العرب في كل مكان قد اقتربنا منها ، وفتحت مصاريعها لطلاب الخلود ، ما كنا نظن أن التاريخ الذى طوى صفحات المجد لهذه المنطقة منذ انطوت صفحة صلاح الدين وبيبرس سيصحو فجأة ، ويفتح سجلا جديدا للابطال والبطولة ، فى أرض البطولات والامجاد .

لكن ذلك كله قد حدث ، وسرى ماء الحياة فى جسم العملاق العربي ، وغلت فيه دماء المجد والحقد معا : دماء المجد المتوارثة التى تسرى فيه من قديم ، دماء العزة التى طال تعطشه لها .. ودماء الحقد على ظالميه ومستغليه وقاهريه ، وعلى هؤلاء الذين سلبوه أرضه ، والذين عاونوهم على السلب ، ولا زالوا يعاونونهم .

وويل لأعدائنا من دماء المجد فينا اذا غلت ، ودماء الحقد اذا فارت وثارت .. ويل للذى غلب وتحكم واستبد يوما من الايام ، ويل له من المغلوب اذا دار الزمان دورته ، واسترد أنفاسه وقوته ..

ان كل عربي الآن كتلة لهب تتحرك ، قذيفة ضاربة تصب النار والدمار على اعدائهم وعلى كل مكان يأوون اليه ، ودنسوه بظلمهم وتجبرهم .

ان العربى الذى كانت « برنيطة » الجندى الاجنبى ترهبه فينكمش ، أصبحت هذه « البرنيطة » تغريه بالانقضاض عليه ليمحو أثره ، ويطهر أرضه منه ..

طالما نادينا بحقنا ، ورفعنا شكوانا ، وشرحنا ، وتحدثنا ، ولكن ذهب كل ذلك مع الريح ، فما كان للمستبد الظالم ضمير يردعه فى يوم من الايام ..

طالما بكينا ولم نكن نجد حتى من يرثى لحالنا .. لأننا كنا ضعفاء ، وليس للضعيف مكان على هذه الارض الا حيث يشاء القوى ، ولأننا كنا جبناء ، وليس للجبان حياة كالتى يحياها الانسان العزيز !

ومن قال ان للضعيف مكانا مـع القوى ؟ وللجبان حياة مـع الشجاع ؟ وهل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنـور ؟

كلا لا يمكن .. انها الحياة لا تدين الا للاقوياء ، ولا تخضع الا للبواسل .. انه الحديد لا يفله الا الحديد .. انه المجد لا ينال الا بالقوة ، انها العـزة لا تتوفر الا بالدم والتضحية ..

يا مسلمون .. يا عرب ..

انها ساعة الجد . ولا هزل فيها .. انه يوم الفصل ، وما أدراكم ما يوم الفصل ؟ يوم تكسبون فيه مجدكم بأيديكم ، بدمائكم .. يوم تبعثون فيه أحياء أعزاء كرماء ، بعد أن تدفعوا الثمن غاليا من الارواح والدماء ..

طالما تعطشتم للعزة ، وهذه هي تناديكم

طالما تشوقتم للمجد ، وهذا هو يدق عليكم أبوابكم

طالما تناديتم بالثأر ، وهـذه هي ساحاته ، وغريمكـم أمامكـم لا يـزال يقبض على أرضكم ودياركم ، وأيديه ملطخة بدماء آبائكم وأبنائكم وأهليكم ..

ألا تذكرون يا أهل الارض السليبة ما فعل هؤلاء الاوغاد بكم ؟

ألا تنتفضون من الغيظ والحقد عليهم ؟

ألا تنتهزون الفرصة ؟

ها هم أولاء أصبحوا قريبين من الشرك ، ها هم أولاء يستعدون لملاقاتكم ، فأين أنتم الآن ؟ فى دوركم ؟ على فراشكم ؟ فى نواديكم ؟ فى متعكم ؟

فأين الثأر ــ اذن ــ يا طلاب الثأر ؟ وأين الذكريات المرة يا من اكتويتم بها ؟

ان مكانكم ــ حيث توجدون ــ فى المقدمة بذلا للاموال والارواح .. واياكم ان تكونوا كمن قال الله فى شأنهم ودعا للتعجب من حالهم : « ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشيةالله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الىأجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا.أينما تكونوا يدرككم المـوت ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

أو تكونوا كهؤلاء الذين نعىالله عليهمموقفهم وتخاذلهمحين قال « الم تر الىالملأمن بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكـم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل اللـه وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالـين » .

يا مسلمون يا عرب :

جزى الله الشدائد كل خير — عرفت بها عدوى من صديقي

وعرفنا بها المغاوير الامجاد من قومنا وكشف عن أصالة معدننا .

ان جسمي لينتفض ، وان عيني لتدمع كلما هزني نبأ سار فى هذه المعمعة فى هذه المعركة الحاسمة ..

هذه الدول والشعوب العربية التي أحست مسئوليتها ، وسارعت لتضطلع بها ، وهذه الدول والشعوب الصديقة للعرب التي وقفت معها تشد أزرها ، وتقف معها ساعة العسرة فى وجه الطغيان ، كل ذلك لن ينسى حين تأتي ساعة الحساب ، أو يحين الوقت لرد الجميل ..

يا مسلمون يا عرب .

هل عرفتم أعداءكم وأصدقاءكم ؟ هل عرفتم المتقدمين منكم والمتخلفين ؟ لا تزال هناك فرصة لمعرفة المزيد ..

وماذا عن أعدائكم الذين يضعون كل ثقلهم ضدكم ، ولا يبالون بكم . ولا بمصالحهم التى فى أيديكم ؟

هل يظنون أنكم تهزلون ؟ أو يظنون أنكم ستغفرون للهازلين ؟ !

لم يعد فينا مكان للهزل أو للهازلين ، ولم نعد نعرف ـ نحن العرب ـ مكانا وسطا اما فى صفنا بالميدان ، واما هناك تحت الاقدام .. اننا نعرف قول الله العلي الحكيم : ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)) ونعرف قوله ((ومن يتولهم منكم فانه منهم)) . فأروهم من الآن آثار غضبتكم .

أخى .. ألم أقل لك من قبل ان الاحداث تتتابع ، والتاريخ يلهث هنا وهناك على الارض العربية ليسجل أمجادك ؟

الآن وأنا أكتب اليك هذا أستمع الى أخبار الكويت فيهزنى النبأ ، وأضع القلم لأصفق وحدى وتفيض عيناى بالدمع فرحا بما يفعله رجال الكويت الدولة الصغيرة حجما الكبيرة عملا وفعلا .. فباسم الحكومة يجمع وزير الخارجية سفراء الدول الكبرى ويبلغهم أن الكويت ستوقف لديها مصالح أية دولة تمد اسرائيل بأية معونة .. ويبلغ السفير الروسي شكر حكومته لموقف الاتحاد السوفيتى ومؤازرته للعرب .. فى الوقت الذى يتحرك فيه الجيش الكويتي ليأخذ مكانه هناك على الجبهة مع جيش الجمهورية العربية المتحدة ويتحرك الشعب المسلم العربي الاصيل ليضيف الى صفحته الكريمة فى حرب السويس صفحة أكرم وأعز .

مرحى بالرجال الاحرار ، ومرحى بالحوادث والازمات .

ودقى يا طبول الحرب لينطلق فجر الصباح المشرق الجديد على أمة العرب ..

عبد المنعم النمر

منهج الحياة المثالي

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي
لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

« اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » . رواه الترمذي

١ ـ الاسلام دين عام للبشرية جمعاء ، أبيضها وأسودها وأحمرها ، عربها وعجمها ، شرقيها وغربيها ، ختم الله به رسالات السماء ، واختار لتبليغه وبثه خير الرسل والأنبياء ، خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، لا يختص به زمان ولا مكان ، فيه التشريع لكل حوادث الحياة الانسانية جلت أو قلت ، عظمت أو حقرت ، له مجال فى كل مجال ، فى السلم والحرب ، فى القوة والضعف ، فى الأخلاق والأعراف ، فى التجارة والزراعة ، فى الحكومات والشعوب ، قيادة عامة ، وقوامة كاملة ، تعم ولا تخص تجمع لتسعد ، تحث على السلم وتمنع الحرب ، تبعث على القوة ، وتمنع الخور ، لا تعرف اليأس ، لأن بارئها ومشرعها بيده مقاليد كل شيء وهو بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، عالم بما جل وما دق ، مدرك للماضي والحاضر ، خبير بالمستقبل القريب والبعيد ، لأنه لا زمان معه ولا مكان ، فالزمان والمكان للناس فقط ليعلموا عدد السنين والحساب ، والسماء والأرض والشرق والغرب والشمال والجنوب ، كل هذا فى تقدير المخلوقين ، ولا مدلول له عند الخالق بالمعنى الذى يفهمه البشر .

٢ ـ ولو أقام المرء فى مكان واحد ، يقضي حياته فيه ما يبرحه ، ما فقه الا قليلا من مرامي وحي السماء الذى لا يدرك تماما الا بالتفرس فى وجوه الأشياء والانتقال من مكان الى مكان ، ومن فكر الى فكر ، ومن واد الى آخر ، ومن جاب الدنيا علم الكثير ومن خالط الناس ودرس أحوالهم ووقف على أعمالهم ، ووعى حوادثهم ، وأدرك مقاصدهم ، ورام شئونهم ، استبان له كثير من أسرار كلام خير خلق الله ، وأدرك المزيد من مغزاه ومرماه ، وثبت لديه عموم التعاليم ،

وشمول التوجيهات ووضحله أمر الحياة ونفذ الى لب الوجود بالقدر الذى يدخل تحت مقـدور البشر ، وحينئذ يقـف مشدوها أمام كلمة صغيرة تجمعها أحرف قليلـة ، تضـيق بمدلولها الدنيـا على اتساعها ، فاللفظ له معنى لا تحده أقطار دائما ، لأنه قد يستوعب حكمة الموجود وما سيوجد ، ويقضي فى أمـر المدلـج الحائر ومن ستطلع عليه شمس الحقيقة، ويسلك مع الدارجفىعمياء مجهل ليقوده ببصيرة ، ويعين السـارى على ضـوء الحقيقـة فى كـل الحقـب والأعصر ، ويصـاحب العائش فى قنن النيـق ، والدارج فى سهول الحياة ووديانها .

٣ ـ فى بلد نزل فيه كتاب الله تعالى ، ومجتمع تولى قيادتـه رسـول الله ، وانتشرت فيه تعاليم السماء وطبقت بين أبنائه أحكامها . قد يختفي الداعى الى البحث العميق والدرس الدقيق ، وقد يعيى الفكر الثاقب باكتناه السر المصون الموجه ، ولكن اخرج الى الوجود الواسع العريض ، واحمل هذه الجملة النقيـة الطاهـرة الصـادرة ممـن لا يكذب ولا يمين ، ولا يخدع ولا يداجى ، ولا يهن أمام القوة ، احمل قوله صلى الله عليه وسلم (اتق الله حيثما كنت) واعكس على ضوئها معاملة الاسرة وسير المجتمع ، وحـوادث التاريـخ وعبر الليالي تجد الحصن الذى تلوذ به ، والسلاح الذى يدافع عنك ، والقـوة التي تعصـمك ، والوسيلة التي تشق لك الطريق ، وتذلل لك الصعاب ، وتدفعك الى السير قدما فى كل سبيل مهما غاب نجمـه ، وطال ليله ، وادلهمت خطوبـه ، وعـز فيـه الصديق ، وانقطـع أثر الحبيب ، تجد العياذ واللياذ فى تقوى الله ، حين يتملك من قلبك سر وجوده تعالى فى كل مكان وحين تدرك أنه سـبحانه يعلم خفيات الأمور ، وأنه يحرسك ان حرست دينه ويحفظك ان حافظت علىتعاليمه (احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك) .

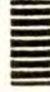
وقد وجهك الراعى الأمين الى الاستعانة بمن لا يضل ولا ينسى ، بمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصـدور . بمن برأك وبرأ غيرك . بمن حـاك قلبـك وقلب سواك . بمن أعربك وأعجم من دونك ، فعون العباد يعز ويختفي ويتلاشيويضيع اما مع القدرة أو فى حال انعدامها ، ولكن عون الله باق دائم ، فاذا سألته وأنت محتاج الى سـؤاله دائما فاتجه اليـه وحده واذا طلبت العون وأنت طالبه ولا شك فاطلبه منه وحده ، وما وراء ذلك فكله اليه واثقا به متوكلا عليه ، واعلم أن اليه مرجع كل شيء ، فالمخلوقات فى مختلف أشـكالها ومتفـرق أجناسـها ومتباين أنواعها بيد الرحمن القادر ، فلا تجديك نفعا الا بتقديره هو ، ولا تدفع عنك ضرا الا بتيسيره هو ، ولا تؤذيك الا اذا صدرت أوامره هو ، فقد سـبق السيف العزل ، وقر فى الازل ما هو قار وانتفى ما هو منتـف ، فحيثما كنت فأنت فى رعاية الله ، فى ملكه وكونه ، هو معك دائما (ما يكون من نجوى ثلاثـة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهـم بما عملوا يـوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) (١) .

٤ ـ (حيثماكنت) . ستجدمنالبشر ألوانا ، ومن أخلاقهـم أشـجانا ، ومن قلوبهم صنوفا رحيمة وأخرى قاسـية ، ولكن لا عليك فتقوى الله ستعصمك من الناس ، فمن استقام استقامت له أمور الحياة (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينهحياة طيبةولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (٢) .

الناس فى بيداء الوجود يظنون الظنون لأنهم يجهلون ، يحددون أعمال غيرهـم وهم عن أعمالهم غافلون ، ولكـن تقوى الله ستذلل الصعاب ، وسـتخفى من

(١) المجادلة / آية ٧ .

(٢) النحل / ٩٧ .



طريقك العقبات ، وتهدم كل الحواجز المعوقة ، واعلم . انك مهما فعلت من الخير فلن يرضى عنك الناس ، ولكل موجود أشجان ، وقلما يتبلور الجميع فى بوتقة واحدة ، اللهم الا اذا اعتمدوا الاسلام طريقا ، وشرعة محمد منهاجا ، وهداية الله نبراسا وضياء ، ولكن هيهات ! ويردنا عن هيهات نداء السماء (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (١) .

٥ ــ يعلم من أرسل سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن البشر سيلاقون الأمرين من البشر ، وأن السماء لا تستمر جلواء ، وأن الأرض لا تقيم صلعاء ، وأن الماء يأسن ، وأن الصحارى تعمر وأن الوجود ما دام مخلوقا فهو فى تغير دائم وأن مدلول الصيرورة لا بد وأن يتحقق ، والعجيب أن لها فى كل لغة فعل يرسم طريقها ويعفى غيره ، فاتبع السيئة الحسنة تمحها ، وقد لا تمحها فى نظرك أو فى مسالك غيرك ، ولا تعجب فأنت تعلم أن البعض قد يتذوق الشراب المختلف الألوان وهو شفاء مهما كذبت البطون ، ويصدر حكما بأنه مر المذاق ، وذلك لمرض أصيل أو عارض .

ومن يك ذا فم مر مريض
يجد مرا به الماء الزلالا

ودع ذا ــ وتأمل الذى يرى الشيء شيئين أو أشياء لمرض فى عينه حوله عن الحقيقة الواقعة ، ولكن هل يضير الشمس ان أنكرها من به رمد فلا تلق لهؤلاء بالا وادفع السيئة بالحسنة فهذا طب رب السماء ، ارسم لغيرك طريق الخير فى سلوكك أنت معه ، واصبر وما صبرك الا بالله ، وستأتى النتيجة أو ستنتج القضية المستوفية المقدمات حسبما وصفها العليم الخبير ، ويثبت فعل الصيرورة والتحول (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (٢) ولكن والاستدراك دائما أو ليس دائما متعب منهك فاسأل الله التوفيق والسداد حتى يتحقق لك ما تحقق لغيرك من الأزل . صبروا وجاهدوا لتجد أنت الانتصار الذى وجدوا فالاقامة موقوتة : والاحوال قلب حول ، وكن من القليل ولا تهتم كثيرا بالكثير (وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) (٣) .

٦ ــ خرجت ــ يا أخي ــ الى الساحة الواسعة ووقفت على نهر الوجود ، وانغمست أو غمست برغمى فى مياه عذبة وأخرى أجاج ولبثت طويلا او قصيرا فى الطقس المعتدل الناعم الهادىء فالريح رخاء والهواء منعش والأرج العطر يفوح ، والهوج نائمة والأعاصير فى غيبوبة ، ورأيت وما أدراك ما رأيت ، رأيت أجناسا من كل الأجناس ، وأنواعا فاقت أنواع المعلم الاول ، وتعيى المعلم الثاني لو عاد ، وتذهل السائر على دربهما ، اذا لا بد أن تتبع السيئة الحسنة مع بنى جلدتك وأبناء جنسك وأنسال أبويك البعيدين ، ونم بعد ذلك خاليا من التفكير فى شرهم واحمل مصباح ديوجين ــ لا ــ واستغفر الله العظيم بل احمل مصباح السماء فتنعم بالهدوء وتقر نفسك ، فالمحو سيعفى آثار السيئة ، آثار خطوات الشر ، خطوات الشيطان ، شيطان الهوى والنفس .

٧ ــ التقيت به لأول مرة وعرفته عن كثب ويشهد الله أنى فتحت له قلبي وبثثته ذات نفسي ، وماذا بعد تكرار الحديث وطول اللقاء ، كنت أؤمل الخير وأرجوه ، واذا باذا الفجائية تبدو على صفحة وجهه ، وتجثم على لسانه ، وتحرك جوارحه فيثب دون مقدمات ،

---

(١) يوسف / ٨٧ . (٢) فصلت / ٣٥ . (٣) فصلت / ٣٤ .

ويثور ، ويا ليته لحق يثــور ويخور ، ولكنه ثور جريح ماتت فيه النفس الكريمة لأنه بعيد عن ماء الحياة ، قلت : قــل وافعل ، وزد أو أقلل ، فالبقاء قليــل ، وأطنب أو أوجز فالأمر عندى سيان ــ وتأمل معي قايــلا أليس ماء (اللوار) وصنوه (شير) كماء النيل وشــقيقه دجلة ، وهل ماء التايمز غير ماء سيحون وبردى ، لا واللــه وانما الخــلاف على الضفاف ، يتقاتلون على الحياة ، وهم فى الواقع يقتلون الحياة ، يقولون نريد أن نعيش وهم يحفرون قبورهم بأيديهم ، يطلبون الحرية لكن فى الصــورة التــي يفهمونها ، وهي معكوسة لا عكسا منطقيا وانما عكسا واقعيا ، يرون أنهم يحملون الفضائل ويدافعون عنها ، فكيف تلتقى بمن تلتقى بهم فى هذا الجو الصاخب اللجب . لا تفر وانما حاول أن تردهم الى الوجود الذى يريده بارىء الوجــود . لا تخش مخالبهــم البادية فى نعومــة الحرير ، والمنطوية على ما يملك الأسود ، ودافعهم بسلاح هين بسيط ولكنه فعول نافذ اسمه فى قول الحبيب (وخالــق الناس بخلق حسن) اجلس الى رعاة الآداب وأساتذة الأخلاق ، واســتمع لنصائح أولئك ومحاضرات هــؤلاء فلن تجد كنا تأوى اليه فى زوايا أحاديثهم يقيك مطر السوء ، وانمــا تجد الهدوء والطمأنينة فى ظل هذا الأمــر الكريــم (خالــق النــاس) عاشر النــاس ــ عاملهم ــ اسلك سبيل الحياة الكريمة معهم ــ ادرج فى مسالكهم ولكن (بخلق حسن) وأى خلق وكيف تجده وتعثر عليه هو بين يديك فلا تعجل ، وقريب منك فــلا ترحل فى طلبــه ــ استمــع بقلبك ، بفطرتك الطيبــة الى قــول أم المؤمنين عائشة تصف ســيد الخلــق (... كان خلقه القرآن) ، ويا عجبا هل كــان خلق محمد لمحمد عليــه افضل الصلاة وأزكى الســلام ، وما محمد الا رسول، هو نور الدنيا ورائد الخير فيها ، نور يقشع الظلام ويبدد الغيوم ، ويجلو الصفحة الكريمة للأفئدة المستعدة التي وان ران عليها ما فعلت فهي على استعداد للجلاء ان وجد الحكيم الهادى فيا ليتنا نتلاقى هنا فى ظل الخلق الحسن .

٨ ــ قلت لصاحبي لقد عصبت عيناى وأغمضت برغمى فلم أعد أر شــيئا ، فأجاب قيل قديما ولا قديم ولا حديث بل هى تقلبات جو . مرة حر وأخرى برد . سكون واضــطراب ، قيــل له ، عميت فقال حسنا لعلى لا أرى ما يضيرني وما يعكر صفو قلبي ، ولكن غمضتي الى أجل ، وقد مضى الأجل ، وعادت الحياة الى انسانيهما ليريا الوجود لا فى المادة وحدها ، بل فى الضياء الروحي المشرق العجيب الذى يحمله الخلق الحســن خلق القرآن فيأوى اليك النافر الأسود والضال الابيض والمعادى الآخر ، ويعود الجميع أحبة متشاكلين كما تشــابهت امور الحياة وموادها يجمعهم دم آدم وحواء ، وهدايــة الأنبيــاء وتشريعات الرسل ...

٩ ــ فى هذا المكان تذكرت وما كنت ناسيا الرجل الذى هزمه أحبابه، وخذله أعوانه (عبد الرحمن) (١) فقتل فجر ليل كان منتصرا فى أمسه ، وما قتلته الا خيانة أتباعه لواجبهم فياليته يعود ولكن فى عزم خالد وأمانة أبى عبيدة وحزم عمر وسماحة أبى بكر وفقه على وسماحة عثمان وغيرة صلاح الدين رضى الله عنهم جميعا وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) وعبد الرحمن ذاك ــ هو الذى قال فيه زعيم معاصرمات حديثا . آه لو انتصر عبد الرحمن اذا لتغير وجه الدنيا ولكن هيهات .. ولعل القارىء الكريم وعى الآن من هو القائد الذى تخلى عنه أعوانه فهزمت الانسانية يوم قتل . رحم الله القائد البطل عبد الرحمن الغافقي .

القرآن

محمد مؤذن

منذ أن أشرقت على الانسانية شمس الهداية الاسلامية ببعثة خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . تدفقت ينابيع الارشاد بيانا عربيا ممثلة فى ثلاثة أنواع من الوحى : القرآن ، والأحاديث القدسـية ، والاحاديث النبوية .

ولكل من القرآن والحديث عامة القدسى والنبوى سمات مشرقة مميزة من حيث كيفية نزول الوحى به ومن حيث الخصائص الذاتية ، ومن حيث الاسناد ، كما أن لكل من الحديث القدسى والنبوى سمات مميزة له عن الآخر .

كلام الله قسمان

وفى الفرق بين نزول الوحى بالقرآن ونزوله بالسنة عامة يقول الامام الجوينى امام الحرمين : كلام الله قسمان : قسم قال الله لجبريل : قل للنبى الذى أنت مرسل اليه ان الله يقول لك افعل كذا وأمر بكذا ، ففهم جبريل ما قاله ربه ، ثم نزل على ذلك النبى ، وقال له ما قاله ربه ، ولم تكن العبارة تلك العبارة . كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد فى الخدمة واجمع جندك للقتال ، فان قال الرسول يقول الملك لا تتهاون فى خدمتى ولا تترك الجند تتفرق وحدتهم وحثهم على القتال ، لا ينسب الى كذب ولا تقصير فى آداء الرسالة » .

وقسم آخر قال الله لجبريل عليه السلام اقرأ على النبى هذا الكتاب ، فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير ، كما يكتب الملك كتابا يسلمه الى أمين ، ويقول : اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا »

ويعلق الامام السيوطى فى الاتقان على كلام الجوينى بقوله . قلت القرآن هو القسم الثاني بالنسبة لكلام الجويني ، والقسم الأول هو السنة . كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما كان ينزل بالقرآن . ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى ، لأن جبريل اداه بالمعنى ، ولم تجز قراءة القرآن بالمعنى لأن جبريل أداه باللفظ ولم يبح ايحاءه بالمعنى .

والسر فى ذلك أن المقصود منه التعبد بلفظه ، والاعجاز به ، فلا يقدر أحد أن يأتى بلفظ يقوم مقامه . وأن تحت كل حرف منه معانى لا يحاط بها كثرة .

والأحاديث القدسية والنبوية

للدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم
الجامعة الاسلامية ـ أم درمان

فلا يقدر أحد أن يأتى بدله بما يشتمل عليه . والتخفيف على الامة حيث جعل المنزل اليهم على قسمين : قسم يروونه بلفظ الموحى به ، وقسم يروونه بالمعنى، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق . أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف ، وقد رأيت عن السلف ما يعضد كلام الجوينى (١) .

رأى ابن حجر

ويزيدنا بيانا وتفصيلا العلامةالشهاب ابن حجر الهيثمي فقد فصل القول فى الفرق بين القرآن والأحاديث القدسية . فذكر أن الكلام المضاف اليه تعالى أول قسم منه وأشرفه (القرآن الكريم) لتميزه عن البقية باعجازه من أوجه كثيرة ، وكونه معجزة باقية على ممر الدهر محفوظة من التغيير والتبديل . وبحرمة مسه لمحدث ، وتلاوته لنحو جنب وروايته بالمعنى . وبتعيينه فى الصلاة ، وبتسميته قرآنا ، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات . وبتسمية الجملة منه آية وسورة ، وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شىء من ذلك ، فيجوز مسه وتلاوته لمن ذكر وروايته بالمعنى ، ولا يجزىء فى الصلاة بل يبطلها ، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشر حسنات ولا يسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقا » .

« وأما الأحاديث القدسية وهى ما نقل الينا آحادا عنه صلى الله عليه وسلم مع اسناده لها عن ربه ، فهى من كلامه تعالى ، فتضاف اليه وهو الأغلب ، ونسبتها اليه حينئذ نسبة انشاء لأنه المتكلم بها أولا ، وقد تضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم لأنه المخبر بها عن الله بخلاف القرآن فانه لا يضاف الا اليه تعالى ، فيقال فيه قال الله تعالى . وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى » .

« أما بقية السنة وهى الأحاديث النبوية فاختلف فيها هل هى كلها بوحى أم لا ؟ وآية « وما ينطق عن الهوى » تؤيد الأول ، أى أنها بوحى ؛ لأنه سواء أكانت بوحى ابتداء أو باجتهاد النبى عليه الصلاة والسلام ثم أقره الله لأن الله لا يقره على خطأ فتصبح فى حكم الوحى على كل حال ، ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم « ألا انى أوتيت الكتاب

(١) الاتقان للسيوطي جـ ١ ص ٤٤

ومثله معه » من رواية أبى داود فى سننه وفى رواية الترمذى . « وان ما حرم رسول الله كما حرم الله » .

« ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية فى كيفية من كيفيات الوحى ، بل يجوز أن تنزل بأى كيفية من كيفياته كرؤيا النوم . والالقاء فى الروع . وعلى لسان الملك » .

« ولروايتها صيغتان : احداهما أن يقول « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه » وهى عبارة السلف ومن ثم آثرها النووى . » . وثانيتهما أن يقول قال الله تعالى . فيما رواه عنه صلى الله عليه وسلم والمعنى واحد » (١) .

ورأى الدباغ

وفى كتاب الذهب الابريز يقول السيد عبد العزيز الدباغ :

« لو لم يكن عند النبى صلى الله عليه وسلم الا ما يشبه الأحاديث القدسية لما آمن الناس » ثم يبين أن السيطرة على النفوس انما كانت بسلطان عظمة القرآن . يقول رضى الله عنه : « كل من استمع القرآن ، وأجرى معانيه على قلبه علم علما ضروريا أنه كلام الرب سبحانه ، فان العظمة التى فيه والسيطرة التى عليه ليست الا عظمة الربوبية وسطوة الألوهية ، والعاقل الكيس اذا استمع لكلام السلطان الحادث ثم استمع لكلام رعيته وجد لكلام السلطان نفسا به يعرف . حتى لو فرضناه أعمى ، وجاء الى جماعة يتكلمون والسلطان مغمور فيهم . وهم يتناوبون الكلام لميز كلام السلطان من غيره ، بحيث لا تدخله فى ذلك ريبة . هذا فى الحادث مع الحادث فكيف بالكلام القديم ، وقد عرف الصحابة رضى الله عنهم من القرآن ربهم ، وعرفوا صفته وما يستحقه من ربوبية ، وكان لهم سماع القرآن فى افادة العلم القطعى مقام المعاينة والمشاهدة حتى صار الحق سبحانه وتعالى عندهم بمنزلة الجليس معهم ، ولا يخفى على أحد جليسه .

خصائص الاحاديث القدسية

ثم يفرق الدباغ بين الأحاديث القدسية والنبوية من حيث الهدف العام لكل منهما بصفة عامة فيقول : ترى الأحاديث القدسية تتعلق بالحق سبحانه وتعالى، وتبيين عظمته أو اظهار رحمته أو بالتنبيه على سعة ملكه وكثرة عطائه .

ويمثل بما جاء لتبيين العظمة بالحديث القدسى « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا » الحديث رواية أبي ذر رواه مسلم .

ويمثل لاظهار الرحمة بالحديث القدسى المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى . « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، واقرأوا ان شئتم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » رواه الشيخان .

ويمثل بالتنبيه على كثرة عطائه بالحديث القدسى المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يد الله ملأى سحاء لا يغيضها شىء الليل والنهار » رواه الشيخان .

وغير القدسية

أما الأحاديث التى ليست بقدسية فهدفها العام أنها تتكلم على ما يصلح البلاد والعباد بذكر الحلال والحرام ، والحث على الامتثال بذكر الوعد والوعيد .

---

(١) قواعد التحديث للقاسمى . وشرح الاربعين النووية .

عدد القدسية

ويقول الأستاذ القاسمي صاحب قواعد التحديث فى مصطلح الحديث « والأحاديث القدسية أكثر من مائة ، وقد جمعها بعضهم فى جزء كبير . لعله يقصد بذلك الكتاب المشهور . « الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية » .

ونرى أن كلام الدباغ المتقدم يمكن أن يقبل على اجماله بأن المقصد الأول أو الصفة السائدة لكل منهما تتسم بذلك المجال الذى بينه .

رأى الدكتور عبد الله دراز

وقد فصل استاذنا الكبير المرحوم الدكتور عبد الله دراز فى كتابه القيم « النبأ العظيم » القول فى الفرق بين القرآن والحديث القدسى . ووضح الأمر بالنسبة للفرق بين الحديث النبوى والقدسى وبينه بيانا شافيا .

فذكر أن العلماء فرقوا بين القرآن وما عداه . فقالوا (القرآن كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته . و أفاد وصفه المتعبد بتلاوته أى المأمور بقراءته فى الصلاة وغيرها على وجه العبادة . اخراج ما لم نؤمر بتلاوته من ذلك كالأحاديث القدسية وهى المسندة الى الله عز وجل ، ان قلنا انها منزلة من عند الله بلفظها .

الحديث النبوى توفيقى وتوقيفى

ثم قسم الدكتور دراز الأحاديث النبوية بحسب ما حوته من المعانى الى قسمين : قسم توفيقى استنبطه النبى عليه السلام بفهمه من كلام الله . وبتأمله فى حقائق الكون ، وهذا القسم ليس كلام الله مطلقا .

والقسم الثانى توقيفى نطق الرسول مضمونه من الوحى فبينه للناس بكلامه ، وهذا القسم وان كان ما فيه من العلوم منسوبا الى معلمه وملهمه سبحانه وتعالى . ولكنه من حيث هو كلام جرى أن ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن الكلام انما ينسب الى واضعه وقائله الذى ألفه على نحو خاص ، ولو كان ما فيه من المعنى قد تواردت عليه عليه الخواطر ، وتلقاه الآخر عن الأول .

فالحديث النبوى اذا خارج بقسميه (التوفيقى والتوقيفى) عن كونه كلام الله . وكذا الحديث القدسى ان قلنا انه نزل بمعناه فقط . وهذا أظهر القولين فيه عندنا لأنه لو كان منزلا بلفظه لكان له من الحرمة والقدسية فى نظر الشارع ما للنظم القرآنى ، اذ لا وجه للتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله . فكان من لوازم ذلك وجوب المحافظة على نصوصه، وعدم جواز روايته بالمعنى اجماعا ، وحرمة مس المحدث لصحيفته ولا قائل بذلك كله . وأيضا فان القرآن لما كان مقصودا منه مع العمل بمضمونه شىء آخر وهو التحدى بأسلوبه والتعبد بتلاوته احتيج لانزاله بلفظه والحديث القدسى لم ينزل للتحدى ولا للتعبد بل لمجرد العمل بما فيه ، وهذه الفائدة تحصل بانزال معناه ، فالقول بانزال لفظه قول شىء لا داعى للنظر اليه ، ولا دليل فى الشرع عليه اللهم الا ما قد يلوح من اسناد الحديث القدسى الى الله بصيغة « يقول الله تبارك وتعالى كذا » .

لكن يمكن على ضوء القرائن التى ذكرناها افساح المجال لتأويله . بأن المقصود نسبة مضمونه لا نسبة ألفاظه . وهذا تأويل شائع فى العربية فأنك تقول حينما تنثر بيتا من الشعر « يقول الشاعر كذا » وعلى هذه القاعدة حكى الله تعالى عن موسى وفرعون وغيرهما مضمون كلامهم بألفاظ غير الفاظهم وأسلوب غير أسلوبهم ، ونسب ذلك اليهم .

فاذا زعمت أنه لو لم يكن فى الحديث القدسى شىء آخر مقدس وراء المعنى لصح أن تسمى بعض الحديث النبوى قدسيا أيضا لوجود ذلك المعنى فيه .

البقية على ص ٦٦

من أسس قضيّة المرأة

٢

للاستاذ البهى الخولى

تقدير الاسلام لانسانية المرأة

قدمنا أن « انسانية » المرأة لم يكن لها اعتبار فى المجتمعات القديمة المتحضرة ، متدينة وغير متدينة ... وقد رأينا أنه كان من موضوعات بعضهم التى يتدارسونها . هل للمرأة ان تعبد الله كما يعبده الرجل ؟ .. وهل تدخل الجنة وملكوت الآخرة ؟ .. وهل هى انسان له روح يسرى عليه الخلود ، او هى حيوان نجس أعد للخدمة ؟ .. وبينما كانت هذه المجتمعات تعانى ذلك ظهر الاسلام فى جزيرة العرب يقرر لها من الحقوق والواجبات ، والخصائص النفسية ، والاستعدادات العليا ما كان مثار عجب ودهشة بين بعض أتباع النبى أنفسهم ، فضلا عن غيرهم ، لانه كان يقتضى تغييرا أساسيا فى أوضاعهم الراسية ، وتقاليد فروسيتهم التى درجوا عليها منذ قرون كثيرة .. فقد قررلها اهليتها الاقتصادية وجعلها فيها صنو الرجل ، وقرر لها أهليتها الاجتماعية .. كما قرر أهليتها للعبادة والتكاليف الشرعية .. وأبرز لها وجودا اجتماعيا عاما اذ جعل لها دورا فى اصلاح المجتمع ، يقوم على حراسة قيمه ، وتقويم انحرافاته وتزكية عقائده ومبادئه للسمو بها الى أفضل ما يستطاع ، لا تتخلف فى ذلك عن الرجل ، ولا تقل عنه مسؤولية فيه ، وهو سبحانه يقول . « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » .. (١)

وقد جعل الاسلام اساس ذلك كله تقرير حقيقة « الوصف العام » للمرأة .. وهو الوصف الذى تشترك فيه مع الرجل ، ويتألف من عنصرين أساسيين يمتزج كل منهما بالآخر حتى يكونا حقيقة واحدة هى ما سميناه « الوصف العام » وهما . اخوة النسب البشرى .. ووحدة المعنى الانسانى ، وهى تتساوى فى كل منهما مع الرجل كل المساواة ، وقد جاء تقريرهما فى الاسلام على النحو الآتى .

أ ــ فهى أخت الرجل ، اذ تنسب واياه الى أب واحد وأم واحدة ، وذلك قوله تعالى . « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » (٢) .. فهو ينادى

(١) التوبة / ٧١

(٢) الحجرات / ١٣

الجميع بكلمة « الناس » معلنا أنه خلقهم من أب واحد وأم واحدة « انا خلقناكم من ذكر وأنثى » .. ولفظ « الناس » فى اللغة يشمل أفراد الانسان كافة رجالا ونساء ، فهو على هذا يقرر الاخوة ـ أخوة النسب ـ بين الرجل والمرأة اذ خلقهما من « ذكر وأنثى » ، فكل منهما شقيق الآخر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقرر هذه الحقيقة بقوله . « انما النساء شقائق الرجال » (١) .. وأخوة النسب على هذا النحو تقتضى المساواة فيه ، اذ لا يكون احد الشقيقين اوفر حظا فى النسبة الى أبويه من الآخر ، فالمرأة على هذا مساوية للرجل فى النسبة الى الابوين ، لا تزيد فيها عنه ولا تنقص ..

ب ـ وهى انسان مثله ، مساوية له فى الانسانية ، وذلك قوله تعالى « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » (١) .. وشاهدنا يتعلق من هذه الآية الكريمة بثلاث جمل .

الاولى . قوله تعالى . « يأيها الناس اتقوا ربكم » ، فهو اذ ينادى الجميع بكلمة « الناس » يختلف عن سابقه فى المراد بالنداء ، فهو هنا يطلب اليهم ان يتقوا ربهم ، وهناك يخبرهم انه خلقهم من ذكر وأنثى .. وتقوى الله تعالى انما تتعلق بخصائص روحية فى النفس ولا صلة لها بتة بما بين الافراد من روابط النسب وعلائق اللحم والدم .. فاذا نودى « الناس » ان يتقوا ربهم ، فالنداء متوجه اليهم باعتبار خصوصية الانسانية فيهم . تلك الخصوصية التى تجعلهم نوعا قائما بذاته بين « أنواع » كائنات هذه الارض .. وبما ان المرأة داخلة مع الرجل فى مفهوم كلمة الناس ـ على ما قدمنا ـ فهى مخاطبة معه بتكاليف التقوى ، أى ان الخطاب متوجه اليها باعتبار « خصوصية الانسانية فيها » . فهى ـ اذا ـ انسان ، كما هو انسان .

والجملة الثانية مما يتعلق به مرادنا . قوله تعالى . « خلقكم من نفس واحدة » فان دلالة هذا القول على النسبة الروحية أوضح وأوكد من دلالتها على أخوة النسب الحسى الذى لابد فيه من نفسين اثنتين ، لا « نفس واحدة » ولا سيما ان النفس فى اللغة تدل على الروح وعلى الصفات المعنوية للمرء ، ولا تقتصر دلالتها على شخص الانسان الظاهر للحس ..

والجملة الثالثة . قوله تعالى . « وخلق منها زوجها » فانها مع سابقتيها تسهم فى توكيد الدلالة على وحدة المعنى الانسانى ، ذلك ان الجملة السابقة ترد الجميع الى « نفس واحدة » هى نفس آدم عليه السلام اما هذه الجملة فتنفرد بتقرير نسبة الزوجة ـ أم الجميع ـ حواء عليها السلام الى نفس المصدر الروحى الذى نسب اليه بنوها .. فالأبناء ـ اذا ـ وأمهم معهم داخلون فى التقويم الانسانى المستمد من خصائص تلك النفس الواحدة .

ونعتقد ان ليس ثمة نص فى قديم او حديث عالج ـ فى ايجاز واعجاز ـ تقرير انسانية المرأة من جميع النواحي ، وبأبعد الاعماق اصالة ، وبمختلف طرق التقرير والتعبير ، على مثل ما نجد فى ذلك النظم القدسى الكريم « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها » ..

ولما كان التقويم الانسانى الذى قدر لآدم عليه السلام معنى علويا من أمر الله، وليس مادة قابلة للتجزئة والتبعيض ، فان ما استمد منه لانسانية زوجه ، وانسانية أولاده جميعا رجالا ونساء لا يمتاز بعضه من بعض ، ولا أعتبار فيه لذكورة أو أنوثة ، وذلك أمر له دلالة على

---

(١) رواه الامام احمد وأبو داود والترمدى

(٢) النساء / ١



وحدة المعنى الانسانى لدى الرجل والمرأة ، ومساواة المرأة للرجل فيه ، هذا فى الوقت الذى كانت تنعقد فيه مؤتمرات بعض الاديان لتبحث فى أمر المرأة . هل هى انسان أو غير انسان !!

بتقرير هذين العنصرين ، وامتزاج أحدهما بالآخر ، يتألف الوصف العام الذى يشترك فيه كل من الرجل والمرأة على نحو من المماثلة التامة لا يفترق فيه أحدهما من الآخر .. وعلى أساس هذا الوصف وتلك المماثلة قرر الاسلام للمرأة نفس ما قرر للرجل من أهلية دينية « واقتصادية .. واجتماعية .. ونحوها .. على ما سنورده فيما يأتى . »

أ ـ ففى أهليتها للتدين وتلقى التكاليف الشرعية قدمنا أنها اذ نوديت بتكاليف تقوى الله كان الخطاب متوجها اليها باعتبار « خصوصية الانسانية » فيها ، أى ان انسانيتها هى التأهيل الروحى والعقلى لهذا التكليف .. وهى فى ذلك مثل الرجل على ما قدمنا .

ومما له مغزاه فى هذا المقام ان الله تعالى أشرك حواء مع آدم ـ عليهما السلام ـ فيما خاطبه به وأمره ونهاه .. فحين أمره ان يسكن الجنة ، ونهاه ان يأكل من الشجرة ، وجه اليهما الخطاب معا . « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما . ولا تقربا هذه الشجرة .. الآية (١) .. وحين أنكر سبحانه ما كان من مخالفة أمره ، وجه الانكار اليهما معا . « ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ؟ ... » الخ (٢)

وتأكيدا لمساواتها للرجل فى تلك الاهلية جعلت مستقلة عنه فيها كل الاستقلال ، لكل منهما مسؤوليته الخاصة عن نفسه عند الله ، حيث لا تغنى نفس عن نفس شيئا ، ولامر ما كان للنساء بيعة خاصة بهن فى الاسلام دون بيعة الرجال ، لتدخل كل منهن الاسلام من باب غير بابزوجها أو أبيها . « يأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على الا يشركن بالله شيئا » الى ان قال : « فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم » (٣) ، قال فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت ـ رحمه الله ـ فى رسالة القرآن والمرأة « ولعلك تأخذ من مبايعة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للنساء مبايعة مستقلة عن الرجال ان الاسلام يعتبرهن مسئولات عن أنفسهن مسئولية خاصة مستقلة عن مسئولية الرجل » .

وتأسيسا على تلك المسئولية كانت مع الرجل فى ميزان الثواب والعقاب الاخروى على درجة سواء ، على حسب ما قدم كل منهما لنفسه من احسان او سوء . « ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلموت نقيرا » (٤) .. « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم » الآية (٥) .

ب ـ وأما أهليتها الاقتصادية ، فنعنى بها أهليتها لتملك القيم الاقتصادية والتصرف فيها .. وقد قدمنا أن ما أهلت به المرأة من عقل ومواهب روحية جعلها أهلا لتلقى شرف التكليف الالهى بعبادة الله تعالى وفعل الخير ، فأولى ان تكون أهلا لما دون ذلك من القيم الاقتصادية على اختلاف أنواعها .. وقد كانت الانوثة لدىالرومان ـ على ما سبق فى المقال الاول ـ من أسباب انعدام أهلية المرأة ، وأنها لم تكن لدى العرب وغيرهم بأحسن حالا من حيث التملك والتصرف، فجاء الاسلام وجعل لها كالرجل حق

---

(١) سورة البقرة ٣٤ (٢) سورة الاعراف ٢٠ (٣) المتحنة ١١
(٤) سورة النساء ١٢٤ (٥) سورة التوبة ٦٨

مباشرة عقود التصرفات بجميع انواعها ، وجعلها صاحبة الحق المطلق على ملكها ، ولم يجعل للرجل أيا كانت صفتــه أو قرابته منها ــ اى سلطان عليها ..

فقد قرر لها حق التملك بالميراث بعد ان كانت محرومة منه فى الجاهلية ، ونزل بذلك المبدأ قوله تعالــى . « للرجــال نصيب مما تــرك الوالدان والاقــربون وللنســاء نصيب مما تــرك الوالــدان والاقربون مما قل منه او كثــر نصيبا مفروضا » (١) .. وغدت بذلك تــرث أباها ، وأخاها وابنها ، وزوجها وغــير هؤلاء من أقاربها .

ولم يكن لها فى الجاهلية حق فى المهر الذى يدفعه زوجها ، بل هو حق لابيها ، او أخيها ، أو نحوه مــن الاوليــاء .. وقدمنا ان الدوطة لدى الرومان كانت تصير حقا للزوج بمجرد تحول الزوجــة الى بيته .. وكان ذلك منطق الوضع الذى لا يعترف لها بتملك او مــيراث ، فقرر الاسلام ان المهر حقها وحدها ، ولها تملكه ، ولم يجعل لزوجها أو وليها أى سلطان عليه ، أو أى حق فيه يقول الله تعالى . « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » (٢) قال ابن حزم . « لا يجوز ان تجبر المرأة على ان تتجهــز الى الزوج بشىء أصلا ، لا مــن ما لها ، ولا مــن صداقها ، والصداق كله لها تفعل فيه ما شاءت ، لا اذن للزوج فى ذلــك ولا اعتراض .. الى ان يقول . ولا يحل لابى البكر صغيرة كانت أم كبيرة ، او الثيب ، ولا لغيره من سائرة القرابة أو غيرهــم حكم فى شىء مــن صداق الابنــة او القريبة ، ولا لاحد ممن ذكرنا أن يهبه ولا شيئا منه لا للزوج ، ولا لغيره ، فان فعلوا شيئا من ذلك فهو منسوخ باطل مردود أبدا ، ولها ان تهب صداقها او بعضه لمن شاءت ، ولا اعتراض لاب ولا لزوج فى ذلك » (٣) .

ولها ان تملك الضيــاع ، والدور ، وسائر أصنــاف المــال بكافــة أسباب التملك ، ولها ان تمارس التجارة، وسائر تصرفات الكسب المباح ، ولها ان تضمن غيرها وان يضمنها غــيرها ، وأن تهب الهبات ، وأن توصى لمن تشاء مــن غــير ورثتها ، وان تخاصم غيرها الى القضاء .. لها ان تفعل ذلك ونحوه بنفسها ، او بمن توكله عنها باختيارها .. ويعلق الامام محمد عبــده على ذلــك بقوله : « هذه الدرجة التى رفع الله النساء اليها لم يرفعهن اليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل اليها أمة مــن الامم قبل الاسلام ولا بعده .. وهــذه الامم الأوربية التى كان من تقدمها فــى الحضارة ان بالغت فى احترام النســاء وتكريمهــن وعنيت بتربيتهن وتعليمهــن الفنون والعلــوم ، لا تزال دون هــذه الدرجة التى رفع الاسلام النساء اليها ، ولا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة منحق التصرف فى مالها بدون اذن زوجهــا ، وغير ذلك من الحقوق التى منحتها اياها الشريعة الاسلامية من نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن ، وقد كان النساء فى أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الارقاء فى كل شىء ، كما كن فى عهد الجاهلية عند العرب بل أسوا حالا ... الى أن قال : وقد صار هؤلاء الافرنج الذين قصرت مدنيتهــم عــن شــريعتنا فى اعــلاء شــأن النســاء يفخــرون علينــا بــل يرموننا بالجهل فى معاملة النساء ، ويزعم الجاهلون منهم ان ما نحن عليه هو أثر ديننا » (٤) .

ولعل شبابنا ونساءنا بما قدمنا من بيان ، وما جاء بقلم الاستاذ الامام ــ يدركون فضل دينهم على كافة الشرائع فى تقرير معالم الحضارة ، فيعتزون بــه ويجعلونه مناط هممهم فيما ينشــدون لمجتمعنا الجديد من أقوم الاسسوأفضل الدعامــات .

---

(١) النســاء / ٧
(٢) النساء ٣
(٣) المحلى جـ ٩ ص ٥٠٧ ، ٥١١
(٤) تفسير المنار جـ ٢ ص ٣٧٥ ، ٣٧٦

١٤٠٠ سنة مضت على البعثة المحمدية

ان رحلة الانسان فوق كوكب الارض مرت بمراحل عديدة ، ما تزال الكشوف والدراسات العلمية تجد فيها جديدا ينسخ ما قبله ، حتى وصلت أخيرا الى مليون سنة أو تزيد .

ونمو الوعى الانساني ، ويقظة ضميره، وخضوعه لقواعد تجعل الحياة أكثر أمنا واستقرارا هو البحث الذى تعد كتب السماء أهم مراجعه ، وأوثقها .

ولعل ظهور سيدنا ابراهيم برسالة التوحيد ، كان علامة كبرى فى البناء الحضارى للبشرية كلها .. فوجود الاله الخالق للأحياء والأشياء ، المسيطر على الكون ونواميسه ، المعبود وحده من كل الكائنات ، كان نقطة الابتداء ، التي ترتكز عليها كل فضيلة ، وبها يصبح الانسان انسانا مميزا عاقلا مدركا قادرا على الصعود فى درجات الرقى .

ومن خلال أسرة واحدة ، جربت رسالات السماء ، ايجاد شعب ، اذا استمع لكلمات الله ، وسار سيرة الصالحين ، أمكن لشعوب أخرى أن تحذو حذوه وتمضي فى طريقه .

وكان صاحب التكليف فى هداية هذا الشعب المختار ، شاب اسمه موسى ، عاش فى مصر ، فى عصر منأزهى عصورها الحضارية ، تعلم الرياضيات والفلك والطب وشتى الفنون .. وحتى يتم تدريبه على تبليغ رسالة السماء ، أوحى اليه ، أن يصحب رجلا صالحا هو الخضر ، لكى يضرب له الأمثال ، على أن العقل الانساني ، بمنطقه العادى ، مهما تعلم ، فهناك ما هو أعلم منه ، وأزكى .. هناك الحكمة .. هناك الرشد الذى لا تقاس به علوم الدنيا مهما ارتقت ... وقد فصلت لنا سورة الكهف ، فى عرضها الرائع ، هذا التدريب الروحي الذى تلقاه موسى من الرجل الصالح ..

ومضى موسى عليه السلام ، يقود شعبه من مصر ، ويحمل لهم كلمات ربه .. فبدأوا بسرقة حلىالمصريين وأموالهم وهم راحلون .. ثم أمعنوا فى الكفر وعبادة الأوثان والتمرد ، فى برية سيناء ، فمنعوا من الخروج منها أربعين سنة ، حتى يبيد منهم جيل ، ويظهر جيل آخر ، لعله يكون أكثر استجابة وأهدى سبيلا .

وتوالى من بعد موسى رسل وأنبياء ، عسى أن تتحقق فكرة الشعب المختار ، ولكن هذا الشعب كان بيئة فساد مكتملة يقتل أنبياءه ، ويعصى كلمات ربه ، ولا يثوب الى رشده مهما حلت به من نكبات ..

ونزول سورة اقرأ

للأستاذ / محمد صبيح

وجاءهم عيسى عليه السلام بعد ذلك، نبيا ورسولا ، وفى ثلاث سنوات وجه لهم أعنف الملام ، وأشد التخويف ، فقوبل بالعقوق والانكار الشديد ، ولم يسمع له الا القليل من فقراء الصيادين.

لقد كثر سكان الكرة الأرضية ، وظهرت فيهم فلسفات وآراء،وحضارات فكانت حكمة الله ، أن يكون أهل الأرض جميعا ، هم شعب الله المختار ، وأن تبلغ لهم كلمة الله أينما كانوا فى مشارق الأرض ومغاربها .

وما كان يمكن ، أن يظهر الرسول المنتظر من بين اليهود ، أهل الكتاب ــ التوراة ــ بعد ما سلف من تجربتهم ، والصبر على كفرهم وعنادهم .. فكان الرسول الجديد من الأميين ، أى الأمم الأخرى غير اليهود ، وعن طريقه تبلغ كلمات الله ..

ورحمة من الله بالناس ، وقع اختيار السماء ووحيها على واحد من نسل ابراهيم .. ومن هذا الفرع الذى سكن الحجاز منذ قدمه ابنه اسماعيل .

وهكذا خرجت دعوة التوحيد ، الى الأفق الرحب الفسيح ، فضلا من الله على الناس ..

ولسنا ندرى هل كان اليهود وحدهم هم الذين جرت بينهم تجربة الشعب المختار واختصوا لفترة برسل الله ، بل ربما كانت هناك فئات أخرى من البشر ، حدثت فيها هذه المحاولات ، مصداقا لقوله تعالى فى سورة غافر . « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » .

وزادت الفترة بين رسالة المسيح عليه السلام ورسالة الختام أكثر من خمسة قرون .. وفى هذه الفترة شهد العالم نهاية الحضارة المصرية ، باستسلام مصر لحكم الرومان ، ثم هذه المعاناة الهائلة التي تكبدها دعاة المسيحية الأول فى نشر دعوتهم ، والتي وجدت صداها بين شعوب البحر المتوسط ، بعد أن عجزت آلهة المصريين واليونان والرومان عن أن تقدم للناس طاقة روحية تقنعهم وترضيهم .. وما لبثت روما أن انهارت وهوت كعاصمة للعالم ، لتخلفها القسطنطينية التي اشتبكت فى صراع رهيب مع أكاسرة فارس ، أغرق مده وجزره منطقة الشرق الأوسط فى بحار من الدماء .

وفى هذه الفترة أيضا ــ القرون الخمسة التالية لقيام المسيحية ــ انتشر فى الشرق الأقصى ــ الهند والصين ــ ديانة بوذا وكونفشيوس ، ووسط هذه الجموع الآسيوية سرت دعوتان ، أولاهما رهبانية وزهد ، والثانية فكر وتأمل .

والنظرة الشاملة فى نهاية القرن



الخامس وبداية السادس الميلادى ، تعطينا صورة للتمزق الشديد ، الروحى والمادى ، الذى كانت تعانيه البشرية فى ذلك الوقت . فعلى الرغم من أن الرومان دانوا بالمسيحية ، الا أنه ظهر أن المذاهب التي انقسمت اليها هذه الديانة ، عادت بألوان من الاضطهاد يصبه فريق على فريق . أصحاب السلطة على الشعوب المحكومة . وقد شهدت مصر وبلاد الشام فظائع هائلة أذاقها الرومان للناس ، حتى خربت المدن ، وأقفرت الدور ، وهجرت المزارع والمتاجر ، ونسى الجميع أن كلمة المسيحية الأولى هي المحبة والرحمة .

ولم يكن الحجاز ، قطعة منعزلة فى الصحراء عما يحيط بها من صراع ، فقد سكنتها قبائل قريش ، وهم قوم يعيشون على التجارة ، يرحلون من أجلها الى بلاد كثيرة ، منها الشام ومصر والحبشة وبلاد الفرس والهند .. والى بلادهم كان يفد أيضا التجار ، والرقيق من كل لون ونوع ، يقصون أنباء ما يحدث فى الدنيا من حولهم . وكان الحجاز أحد الطرق الرئيسية لتجارة الشرق الأقصى ، مع البلاد الأوروبية ، يحرسون قوافلها مقابل أجر أو يشترون حمولة هذه القوافل ويسافرون بها الى أماكن تسويقها .

وقد حدثنا القرآن الكريم عن رحلات الشتاء والصيف شمالا وجنوبا ، وحدثتنا السير عن رحلات لعمرو بن العاص وغيره الى الاسكندرية ، وروت لنا أيضا عن قافلة أبى سفيان وصفوان ابن أمية ، بعد بدر بأسابيع ، تحمل الفضة الى أسواق العراق من طرق تجتاز نجد الى الشمال .

وكان أهم ما تعيش عليه مكة، وتعيش به ، هو « الأمن » تقدمه للناس جميعا من كل ملة وجنس .. فمهما تكن عداوات الناس وخصوماتهم ، فانهم ما ان يدخلوا حدود المنطقة الحرام ، حتى يضعوا سلاحهم ، ويتناسوا العنف بكل أنواعه ..

وما كان أحوج الناس الى واحة آمنة، ينسون فيها مآسيهم ، سواء فى ذلك القبائل العربية بعصبياتها ، أو الديانات المسيحية واليهودية بقتالها ومذابحها ، أو حروب السيادة والعنصرية بين الفرس والرومان ، أو الاضطهادات الدينية بين المذاهب المختلفة .. كل هؤلاء كانوا يعلمون من أمر مكة ، وما يسودها من « أمن » وتهفو نفوسهم الى أيام وأسابيع فى جوار بيتها العتيق يقصون فيه أنباءهم ، ويفضون لمن حولهم بآلامهم ..

وفى وسط هذا الطنين والأنين ، والألم والأمل ، عاش محمد بن عبد الله ، يرى ويسمع ، ويسافر ويعود .. فلما بلغ الخامسة والعشرين ، استقر به الزواج فى بيت خديجة ، وبعد ذلك اتجه الى مكان سمع أن بعض أجداده كانوا يلجأون اليه ، وهو غار حراء .. وكان ينقطع فى هذا الغار عن مكة وأحاديثها وزوارها ولهوها وجدها ، أسابيع من كل عام .

ماذا كان يصنع ــ عليه الصلاة والسلام ــ وحده فى هذا المكان البعيد المنعزل من الجبل . لا شيء الا التفكير ، والتأمل .. لا أنيس الا نجوم الليل ، وهذه الصحراء الممتدة أمامه الى غير نهاية .. لا صوت الا صرير الريح اذا زمجرت ، وهبات النسيم اذا ترفقت .. ولكن حديث النفس كان يتصل ، ويتصل فى كل لحظة وكل وقت .. يستعرض ما مر بالبشرية من أطوار ، منذ عهد آدم ومن جاء بعده .. منذ عهد ابراهيم ودعوة التوحيد التي نادى بها وأنقذه ربه من نيران أوقدت حوله .. منذ عهد يوسف وموسى عليهما السلام ، وما كان من عصيان بنى اسرائيل ، وعنادهم الذى لا يشبهه عناد .. منذ عهد المسيح عليه السلام ، الذى

تحولت دعوة السلام والسماحة بين اتباعه الى آلام وآلام .. !! .

وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، اكثر ما يعود بحديث نفسه ، الى بساطة الدعوة التي جاء بها جده الكبير ابراهيم الخليل .. انها أولى وأجدر الدعوات بالتعزيز ، وأصلحها لكي تجتمع عندها البشرية كلها .

ترى كيف ، ومتى يكون ذلك وينطلق بين الناس صوت يوحد كلمتهم الممزقة ، ويروى ظمأهم الى المعرفة الحقة ، ويقودهم الى ما فيه خير معاشهم ومعادهم ؟ ..

أجل ان ما تحتاجه البشرية ، من بلاد كنفشيوس وبوذا ، الى بلاد عبدة النار فى فارس ، وأتباع المسيح من الحبشة الى بلاد الرومان .. ما يحتاجه الجميع ، هو دين عام شامل ، يعترف بما هو حق من كل ما سبقه من أديان ، ويضع لكل وقت وزمان قادم ما يلبى حاجاته ، من أصول العبادات ، والتعامل بين الانسان والانسان والجماعات بعضها مع بعض .

أجل .. هذا هو الحلم الجميل ، والرؤيا الصادقة ، التي انتهت اليها تأملات زائر الغار ، المنقطع لذكر الله الواحد الأحد ، فى ذلك الجبل من جبال الحجاز ..

وما كان يدرى صاحب هذا التصور المثالى لما تصلح عليه الجماعة الانسانية أن الله سبحانه وتعالى ، اختاره منذ الأزل ، لكى يكون خاتم رسله .. وان رحلاته الى الغار ، كانت بدافع من العناية الالهية وتوجيه .. بل هي تدريب واعداد .. تماما كما كانت رحلة موسى عليه السلام وصحبته مع الرجل الصالح الخضر ..

ثم أذن الله لزائر الغار المتحنف المتحنث ، أن يتجه الى المهمة الكبرى ، وأن يحمله كلمة السماء ، الى قومه ، ثم الى البشرية كلها ..

حدث ذلك فى الليل ، وكان الفجر قد اقترب ، والسكون شامل ، والكون كله غاف ...

حدث أن شيئا ما ، نبه حواس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكأنه صوت عريض عميق قادم من بعيد ، يحيط بالجبل وبالغار ، وبساكن الغار ..

ان هذا الصوت حقيقة ، وليس وهما أو خيالا .. انه يسمع كلمات ، نافذة ، واضحة ، فيها هدوء وتصميم .. ان الصوت يقول :

ـ اقرأ ..

وكان على ساكن الغار أن يقول أو يعمل شيئا .. فوجد نفسه يجيب بصوت متردد خافت .

ـ ما أنا بقارىء .

ويتكرر الأمر بالقراءة والاعتذار عنها ثلاث مرات ، واذا الصوت يردد .

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم . » .

وهكذا بدأ نزول القرآن الكريم .

وكان أول نزول الوحى فى يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، وقيل لسبع ، وقيل لأربع وعشرين .

وكان سن رسول الله عليه الصلاة والسلام أربعين سنة .

كم مضى بعامنا الهجرى هذا على نزول الوحى ، وابتداء البعثة النبوية المباركة ١٤٠٠ سنة هجرية ..

وفى شهر رمضان القادم ، نرى واجبا على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها أن يحتفلوا بهذه الذكرى احتفالات تليق بجلالها . احتفالات نرجو أن تجمع قلوبهم جميعا على الخير ، وتوجه أنظارهم الى قرون أخرى قادمة ، فيها اليسر والرخاء ، وفيها قبل ذلك المحبة والاخاء ، وفيها بعد ذلك وقبله ، العمل الجاد فى سبيل نشر كلمة الحق ، بين شعوب ، تحس الحاجة الى معين صاف من الطاقة الروحية والمادية تعينهم على حياتهم ومعادهم ..

سيد الخلق

صلى الله عليه وسلم

محمود مؤذن

للأستاذ احسان النمر

– نابلس –

حاجة العالم الى كتابة السيرة النبوية كتابة صحيحة

لم يبق شك عند عقلاء العالم بأن العالم فى أزمة أخلاقية سلوكية ، وقد اتفق علماء الأخلاق بأن الاقتداء بعظيم وتتبع تصرفاته وسلوكه يسهل تنمية الاخلاق والسلوك . ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو أسمى من يقتدى به ، وجب كتابة سيرته كتابة صحيحة نقية من التناقض والمبالغات التقليدية التى شوهتها ، ومن الجدل المقوت الذى يضيع فائدتها . فأصحاب السير فى الماضى كتبوها كتابة تقليدية ، فأدخلوا فيها مبالغات لا سيما فى حمله صلى الله عليه وسلم وميلاده ، وكذا اضافوا مدعيات بعيدة التصديق كخلق الكون من أجل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن نوره سابق للمخلوقات جميعا ، الى غير ذلك من الامور التى لا تمت الى العظمة الحقيقية بصلة ، (١) وهى بالعكس تنفر المتنورين ومع ذلك فهى ضعيفة السند أو لا سند لها . وجل ما أنتجت تسلح أعداء الاسلام بها واتخاذها دعاية ضد الاسلام ورسوله .

وكان آخر ما وصل ليدى قصة المولد (٢) بعنوان « مولد العروس »

(١) كتب العلامة الشيخ عبد العزيز بن راشد النجدى كتابا أسماه « أصول السيرة المحمدية » حقق فيه جميع هذه المدعيات وأثبت بطلانها وسأعرض لبعضها فى سياق بحثى هذا .

(٢) النبوى .

ينسبونه الى الامام الجوزى ظلما ، اذ لا أعتقد أن اماما كالجوزى تبلغ بـه الجرأة لايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا العنوان ، فيؤنثه ويجعله عروسا ، وهو المثل الاعلى للرجولـة ويذكر جماله ومحاسنه كأنه يصـف ملكة جمال ، واليك ما قال فى الصحيفة الخامسة من قصته. « فلما ولد صاحب الناموس ، بدأ فى الحضرة كالعروس . بوجه يحكى القمر ظهورا ، وشعر يشبه

ايجاد الاستقرار بعد السفسطة . واعتبر أستاذ الفلاسفة .

أما السير الاخرى قديمها وحديثها فانهـا مغمورة بالردود علـى الطاعنين بالاســلام ونبيه مما قد يشغل ذهن القارىء عن تسـلسل الحوادث فـلا يستفيد من السيرة الفائدة المرجوة (١).

ان كتابة السيرة النبوية تحتاج الى بصـيرة نيرة تكشف حقائقها ، وجرأة

فى سواده ديجورا ، وجبين أطلع منه ضياء ونورا ، وقد أمسى الجمال به قريرا . وانف أحسن من حد الحســام مشهورا وشفتين كالعقيق ، وثغر حكى لؤلؤا منثورا ، وجبين كالفضة أبدت بهاء ونورا » . ثم يتلو هذا أبيات مـن الشعر على هذا النمط يتغنـون بهـا ويتمايلون .

وانى لأتساءل : ما هو النفع الذى يعود على المسلم من هذا ؟ وما عسى غير المسلم يقول فى هذا التغزل بنبى ؟ وماذا يكون التغزل بغيره ومن دونــه) وأى باب يفتحه علينا هذا البلاء ! ! ؟ ثم هــو ينهــون الســيرة بعــد مولده بقليل ولا يذكـرون من صفاتـه العالية وثماره الخالدة شيئا يذكر .

مثل هذه القصة ينبغى أن تحـرق وأن يفرض الجزاء على من يرتزقون بها.

لقد كتب اليونان عن سقراط أنه كان دميما قصيرا رث الهيئة فلم ينقص هذا من قيمته بل ظل صاحب الفضـل فى

أدبية تقوى الكاتب على نبذ ما لا لزوم له ، وما لا يليق بحقه صلى الله عليه وسلم ، ثم شرح صفاته ومواقفه شرحا مفيدا ، وكذا النقاط التى قد تكـون موردالطعن والعتاب مع تصحيحها دون ذكر التهم التى ترتبت عليها . ثم رفع التناقضات التى دست تحاملا على هذا او ذاك .

ينبغى الكتابة عنه كبشر لا كشبه اله ، وأن سر خلود رسالته تمشيها مع السنن البشرية .

ينبغى أن تكتب الردود منفصلة لمن يريدها أما السيرة السائرة للجمهور (٢) فتكتب كما ذكرت .

أجل يجب أن تكتب السيرة كتابة جوهرية عالية تشرح حقيقة أعظم رجل عرفه التاريخ وبهذا يستفيد البشر عامة ممن أرسل لهم . ويستفيد المسلمون من سيرة من آمنوا برسالته والعـرب عموما كسيرة أعظم عظمائهم .

---

(١) لا يمكن انكار أهمية هذا النوع من الكتابة ولاسيما فى هذا العصر الذى تناوشتنا فيه الذئاب من كل مكان . « الوعي »

(٢) للجمهور . نعم ولكن للدارسين والمثقفين منهجآخر فى الكتابة يتفق مع اتساع عقولهم ومداركهم « الوعي »



سر اختيار الرسول الأعظم من العرب ثم من قريش

كان العالم فى القرن السادس الميلادى فى غاية الفساد والانحلال لم ينج منه الا من كانوا خارج نطاق الدول الحاكمة ، الروم وفارس والحبشة وهم الجرمان والعرب ، قال المؤرخ والوزير العثمانى جودت باشا . « أن الحضارة الرومانية قد أفسدت العالم المتمدن جميعه الا جزيرة العرب وجرمانيا ، فاضمحل العالم ، واحتفظت جرمانيا وجزيرة العرب بقواهما وأخلاقهما وطباعهما ، فانقضتا بعد ذلك على الامبراطورية الرومانية من الشمال والجنوب » .

وقال اللورد هدلى عن فساد الاحوال فى الامبراطورية الرومانية ما يلي . « انها كانت فى أسوأ حال فقد اضطرب الامن فأطمع ذلك العرب والجرمان وانتشرت الخزعبلات والفساد والرشوة والرذائل حتى بين رجال الكنيسة ورجال الشعب » . هذا ولم تكن فارس والحبشة تقلان عن الرومان فسادا .

وبالمقارنة بين العرب والجرمان نجد أن هؤلاء كانوا فى حالة بربرية فى هذا العهد فلم يعرف لهم شيء من التقدم . واذ كانت أطراف الجزيرة جميعها قد تلوثت بمفاسد الحضارة والاستعمار ولم يسلم منها الا تهامة (أى الحجاز فيما بعد) فهذه كانت أفضلها وأسماها ، ولذا كانت قريش التى نزلت فى مكة وأحاطت بها هى محور النهضة ، وفى جوارها كان يقام سوق عكاظ سنويا ، حيث تلقى الخطب والقصائد حاضة على النهوض . ونظرا لارتداد الأحباش عنها فان أنظار العرب قد اتجهت اليها ، وقد حافظت على كيانها من عامة الوجوه . وقد سيطر عليها التشريع العرفى القبلى . وسادت بين قبائلها تنشئة الفتوة وروح الفروسية وصفاتها كالنجدة والمروءة والشجاعة والكرم والوفاء للصديق ، وحفظ العهد ، وحماية المستجير ، وعزة النفس واباء الضيم وغيرها من الصفات التى كانت عامة شاملة جميع الطبقات ، مما لم يكن متوفرا عند غيرهم من الاقوام والشعوب والقبائل .

مكارم قريش ونقائصها

كانت قريش على جانب عظيم من الصفات الطيبة ، نسب صريح ومروءة وانشاد المحمدة وحيوية الضمير ، وكرم واسع فى اطعام الحجاج ، ومواقف مشرفة من عدم التواطؤ على هضم الحقوق الى غير ذلك من الأمور العالية التى سأعرض لها فى حينها ، والتى لا شك أنها بلغت بهم الذروة من السمو الخلقى . الا أنهم كانوا على جانب من النقائص في العادات والتقاليد والامور السخيفة كعبادة الاوثان ، وتقديس الاحجار .

وكانوا مترفين بالنسبة للأعراب فأطلق عليهم « السخيفة » وكانوا جامدين لا طموح عندهم الى أكثر من شهود موسم الحج وضيافة الحجاج ، فلم يفكروا باقامة ملك ودولة . وكان فيهم مرابون ومقامرون ومدمنون الى غير ذلك من النقائص . وكانوا يرون أنهم أعقل الناس وأشرف الناس فكانت أحوالهم متناقضة بين ظاهرهم الوثنى وبين غرورهم واستكبارهم . والى جانب هذا مكارم أخلاقهم وحرية ضميرهم وهم مع هذا أفضل من جميع معاصريهم بشهادة العرب كافة ، وشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ورد فى حديثه . « ان الله خلق الخلق فجعلنى فى خير خلقه ، وجعلهم فرقا فجعلنى فى خير فرقة ، وجعلهم قبائل فجعلنى فى خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا فجعلنى فى خير بيت ، فأنا من خيركم بيتا ومن خيركم

نسبا » . وورد أيضا . « ان الله خلق الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب ، واختار من العرب قريشا ، واختار من قريش بنى هاشم ، واختارنى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

بنو هاشم قوم النبى صلى الله عليه وسلم

لما نقل ابراهيم الخليل عليه السلام ولده اسماعيل وأمه هاجر الى الحجاز ، وبنى البيت الحرام أصهر لولده فى قبيلة جرهم المسيطرة على تلك الديار ، ثم فسدت جرهم فاستولت على البيت قبيلة خزاعة وطردت جرهم واصهارها بنى اسماعيل الذين عرفوا بقريش وظل هؤلاء متفرقين الى أن ظهر فيهم فتى نابه هو قصى الذى استعان باخوته لأمه وعشيرتهم فتغلب على خزاعة ، واسترد مكة منهم . وبعد موته اقتسم أبناؤه وظائف سدانة البيت ، فكان لعبد مناف الرفادة والسقاية ، وبعد عبد مناف تولاها ابنه هاشم ، ثم بعد هذا تولاها ابنه عبد المطلب فأبو طالب .

واذ كانت الرفادة تعنى اطعام الحجاج بمساعدة قريش الا أن هؤلاء فى زمن الجدب كانوا يقصرون ، فيقوم بها هاشم وأبناؤه على حسابهم ، فاكتسبوا شهرة لكرمهم ولكنهم فقدوا ثروتهم ، فكانوا أشهر قريش وأسماهم وأشجعهم وفى نفس الوقت أضيقهم يدا .

نشأة محمد صلى الله عليه وسلم وظروفه

ولد لعبد المطلب عشرة اولاد كان آخرهم وأحبهم اليه عبد الله فزوجه فور بلوغه باحدى عقيلات قريش ومن أشرف بطونها وهم بنو زهرة ، وهى آمنة بنت وهب فحملت وقبل وضعها مات عبد الله فتولى عبد المطلب كفالة حفيده محمد الذى ولد بعد موت أبيه بقليل ، وقد انتقل حبه لعبد الله الى ولده محمد الذى تضاعف العطف عليه بسبب موت أبيه فى غرة شبابه .

وقد توسم الكل فيه الخير لولادته فى عام الفيل (١) أى ارتداد الاحباش ونجاة الحجاز قلب البلاد العربية من السيطرة الأجنبية ، وبقاء الكعبة قائمة يحج اليها الناس . وقد أوصى به الملك سيف بن ذى يزن اليمانى الحميرى حين وفد عليه عبد المطلب حيث سأل عن المولود الذى ولد لسيد قريش فى ذلك العام .

ثم مات عبد المطلب فأوصى بمحمد شقيق أبيه أبا طالب . واذ كان أبو طالب فقيرا لا ثروة له فقد أرعى محمدا أغنام بنى هاشم ، ثم صار أهل مكة يكلون اليه رعاية أغنامهم ثم أبلهم اذ كان الرعى **يحتاج الى حماية العشيرة ، ومحمد هاشمى لا يعتدى عليه أحد اذ كان لبنى هاشم** هيبة شديدة فى قلوب القرشيين ومن حولهم .

ولقد ترك محمد الرعى ولازم أعمامه فى سفراتهم مع قوافل مكة ــ التى أصبحت أهم مركز تجارى فى بلاد العرب في ذلك العهد ــ فتعرف على أساليب التجارة وشارك بعض تجار مكة فاشتهر بالأمانة والاستقامة .

وكانت السيدة خديجة قد تأيمت مرتين وورثت ثروة طائلة صارت تشتغل بها في التجارة على أيدى من تأتمنهم من الرجال فسعى أبو طالب لديها لمحمد فاعتمدته . واذ أعجبها نشاطه وأمانته فقد تزوجته وسلمته أموالها ، وبذلك

---

(١) هذا رأى الكاتب واظن أن مجرد ولادته فى عام الفيل لا يكفى لان يتوسم الكل فيه الخير . فانه لم يولد وحده فى هذا العام بل ولد مثله أطفال كثيرون فلم خص وحده بتوسم الخير فيه ؟ ومع هذا فنحن مع الكاتب فى نبذنا للاضافات الكثيرة التى اضافها المتخيلون دون أن يكون لها سند .
« الوعي »



امن محمد ـ بأمانته واستقامته ـ مستقبله المالى فأغناه الله بعد فقر وآواه الى بيت حصين اذ كانت خديجة عاقلة شريفة تهافت عليها وجهاء قريش فلم تقبل الى أن تحققت اخلاص محمد واستقامته وأمانته فقبلته بلا تردد بل بسعيها وقد ولدت أولاده (١) وكانت خير زوجة أعانته بعقلها كما أعانته بمالها رضى الله عنها .

بلوغ محمد درجة السيادة حسب عرف قريش بتفوق

كانت قريش تتطلب فى فتيانها الصلابة وتحمل تقلبات الطقس ليقووا على مصاحبة القوافل فى رحلتى الشتاء والصيف الى اليمن والشام ، وقد نشأ صلى الله عليه وسلم فى البادية عند بنى سعد بن بكر من هوازن ، ورعى الغنم فى أرياف مكة ، فنشأ كأقوى الفتيان جسما وتحملا وقد صحب عمه أبا طالب الى الشام ، وهو دون العاشرة ، وصحب عمه الزبير الى اليمن وهو فى الثانية عشرة واستمر فى تنقله .

وكانت قريش تتطلب فى الفتى الصدق والامانة وقد تفوق فيهما محمد حتى لقب بالصادق الامين .

وكانوا يتطلبون فى الفتى ممارسة السلاح والاستعداد للقتال كى يقاتل من قد يتعرضون للقافلة من قبائل البدو ، وقد شهد حرب الفجار فكان من النشاط فى مساعدة أعمامه وقومه بحيث كانت جبهتهم صامدة ظافرة .

وكانوا يتطلبون من الفتى الجرأة فى شهود المواسم ومجالس الرجال ، وقد كان محمد يشهد مواسم عكاظ فسمع قس بن ساعدة وهو يخطب ، وقد كان يتحدث عن ذلك . وشهد مجلس قومه فى حلف الفضول الذى دعا اليه عمه الزبير وهو التحالف على نصرة الحق .

وكان صلى الله عليه وسلم هاشميا من بيت سيادة يتطلب من رجاله حل المشاكل والخلافات ، فلما بلغ الخامسة والثلاثين قامت قريش بهدم الكعبة وبنائها فلما بلغوا موضع الركن (الحجر الأسود) اختلفوا ، وكل قبيلة ترى لرئيسها الحق فى وضعه وتشادوا حتى أنهم استعدوا للقتال الا أنهم كانوا عقلاء (٢) يتقيدون بقدسية الحرم ، وقدروا ما عساه ينتج عن قتالهم وهو ضياع الامر منهم فاتفقوا على تحكيم أول آت عليهم فصادف مجيء محمد بن عبد الله فقالوا بصوت واحد : رضينا هذا الأمين فقال هلموا الى (اعطونى) ثوبا فوضع الحجر عليه ثم قال لهم : كل واحد يأخذ بطرف فحملوه عليه الى أن أوصلوه الى مكانه فحمله ووضعه بيده الشريفة فى مكانه وبنى عليه . ويجدر بنا أن نلاحظ أنهم كانوا حكماء وكانت سريرتهم نقية ، اذ لو كانوا يريدون الشقاق والخلاف لقالوا ان محمدا هو الذى وضعه لانهم انما حملوه فقط .

والملاحظة الاخرى أن محمدا نال بهذا شرفا كبيرا وقد تناقلت الناس ما فعل فى كل موسم حج . ولا شك أنهم كانوا يشيرون بالبنان الى الذى حل خلاف قريش وأعاد الركن (الحجر الأسود) الى مكانه .

((للحديث بقية))

---

(١) ما عدا ابراهيم فهو من مارية القبطية هدية المقوقس لرسول الله .

(٢) ومما هو جدير بالذكر أنهم جمعوا المال من الكسب الحلال فرفضوا مال المرابين والمقامرين وأصحاب البغايا (القوادين) مما يدل على أنهم يفرقون بين الحلال والحرام وأنهم اختاروا الله فى هدم الكعبة ولما بدأ الوليد بالهدم قال . « الله لانريد الا الخير » .

مكانة الشباب في الإسلام

للدكتور أحمد الشرباصي

عهد الشباب ربيع الحياة ، والشباب فى الامة هم معقد الامل وموطن الرجاء ، وبسواعدهم وعلى أكتافهم تقوم النهضات، وتتم الوثبات ، وتكمل جلائل الاعمال ، ومن واجب الامة أن تعنى أكبر عناية بتربية الشباب ، وتهيئة الفرص امامهم، وان تحسن توجيههم ، وتوفيهم حقوقهم ، وتمكنهم من واجباتهم ، حتى لا يخضعوا لتلك الازمات الكثيرة التى تنالهم ، بسبب الاعراض عنهم ، والفجوة بينهم وبين الشيوخ ، وعدم التفاهم الصحيح بينهم وبين من سبقوهم فى ميادين الحياة . .

والشاب تبدأ شبيبته من قرابة الخامسة عشرة ، ويكمل الشباب فى الاربعين ، «١» وكلمة الشباب تفيد معنى القوة والفتوة ، ولذلك قالت اللغة ان الفتوة من الفتاء ، وهو الشباب ، وأن الفتى هو الشاب ، وكثير من الناس يلحظون فى كلمتى الفتيان والشبان معنى حداثة السن وطراوة العمر ، دون معنى العزم والاقدام والتوثب ، مع أنه قد قيل .

ان الفتى حمال كل ملمة
ليس الفتى بمنعم الصبيان

ويقول ابن عربى :

ان الفتوة ما ينفك صاحبها
مقدما عند رب الناس والناس
ان الفتى من له الايثار تحلية
فحيث كان فمحمول على الراس
ما ان تزلزله الاهوا بقوتها
لكونه ثابتا كالراسخ الراسى
لا حزن يحكمه ، لا خوف يشغله
عن المكارم حال الحرب والباس

يسرنا ان نهنىء الاساتذة احمدالشرباصي ومحمدخليفة ورجب البيومى من كتاب المجلة بشهادة الدكتوراه التى حصلوا عليها بامتياز مع مرتبةالشرف الاولى من جامعة الازهر فى الشهر الماضى .

(١) يقول ابن عربى فى الفتوحات المكية . « الفتى ما بين الثامنة عشرة والاربعين من العمر ، ويتصف بالقوة والاخلاق الحميدة ، ويستخدم قوته فى خدمة الله ونصرة الضعيف وليس له عدو ، ولكن له حساد ومنافسون » .

مكانة الشباب فى الاسلام



وللشباب فى الاسلام مكانة ملحوظة يغبطون عليها ، ولو راجعنا تاريخ الدعوة الاسلامية فى أول أمرها، لوجدناها نضالا ومصاولة بين الشباب الذين تفتحت قلوبهم وعقولهم لدين الهدى والعدل ، وبين الشيوخ الذين أخذتهم العزة بالاثم، واستكبروا عن الاستجابة للحق، ووصفهم القرآن بقوله . « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » . . .

واذا استعرضنا أسماء الكتيبة الاولى التى حملت دعوة الايمان الى الناس ، نجد أن أكثرها قد دخلوا فى الاسلام وهم فى أول الشباب أو قبيله ، فعلى بن أبى طالب ، والارقم بن أبى الارقم ، وطلحة ابن عبيد الله ، وعبد الله بن مسعود ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، قد اسلموا وهم فى نحو العاشرة من اعمارهم .. وسعد بن أبى وقاص ، وجعفر بن أبى طالب ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن مظعون ، ومسعود بن ربيعة ، قد اسلموا وهم فى نحو السابعة عشرة من أعمارهم . . .

وعثمان بن عفان ، وخباب بن الارت وزيد بن حارثة ، وصهيب الرومى ، وقدامة بن مظعون ، قد أسلموا وهم فى حدود العشرين من أعمارهم . . .

وقد تلتهم كتائب ازدانت ايضا بكثير من شباب الاسلام وفتية الايمان . . .

ولم يقتصر الامر فى هذا على الذكور ، بل كان للنساء فيه نصيب ، فأسماء بنت عميس ، وفاطمة بنت الخطاب ، وأم سلمة بنت حذيفة ، واسماءبنت سلامة، وامينة بنت خلف ، وفاطمة بنت صفوان ، قد أسلمن فى حدود العشرين او دونها .

ولذلك قيل انه جاء فى حديث مرفوع . « أوصيكم بالشبان خيرا ، فانهم أرق أفئدة . . . ان الله بعثنى بشيرا ونذيرا، فحالفنى الشبان ، وخالفنى الشيوخ »، ثم قرأ . « فطال عليهم الامد فقست قلوبهم » .

وتتضوأ صفحات الشباب خلال السجل التاريخي الضخم للجماعة الاسلامية الكبرى ، فترى للشباب فى كل جيل كفاحهم ونضالهم ومآثرهم ، وها هو ذا أبو حمزة يحيى بن المختار الخطيب الناسك الذى خرج على مروان ابن محمد سنة تسع وعشرين ومئة يخطب فيقول :

« يا أهل الحجاز . . . أتعيرونني بأصحابي ، وتزعمون انهم شباب ؟ .

وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شبابا ؟ . أما والله انى لعالم بتتابعكم (أى تهافتكم ووقوعكم) فيما يضركم فى معادكم ، ولولا اشتغالي بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم . . . .

شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، انضاء عبادة وأطلاح (١) سهر ، ينظر الله اليهم فى جوف الليل محنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا اليها ، واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم . كلال الليل بكلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم ، وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك فى جنب الله حتى اذا رأوا السهام قد فوقت، والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتضيت ، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة

(١) جمع طلح .

لوعد الله ، ومضى الشاب منهم قدما ، حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فأسرعت اليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء ، فكم من عين فى منقار طائر ، طالما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله ، وكم من كف زالت عن معصمها ، طالما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله (١) .

ولم يكن سبق الشباب الى الاسلام وجهادهم فى سبيله بدعا فى تاريخ الدعوات الدينية والرسالات السماوية ، فالقرآن الكريم يحدثنا عن موسى عليه السلام ، فيقول . « فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الأرض وانه لمن المسرفين » . والذريةهي الأولاد ، أى لم يؤمن بموسى الا أولاد قومه وهم الشباب ، وأما الشيوخ فقد علوا علوا كبيرا ، وقالوا مثلما قال غيرهم من الكافرين . « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

ومما يثير التفكير أن القرآن ذكر الفتيان ـ وهم الشبان ـ فى مواطن مشرفة لهم ، وذلك مما يدل على مكانة الشباب العالية ، ففي سورة الأنبياء . « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » . وابراهيم ذلك الفتى هو خليل الرحمن عليه السلام ، وحسبك به من مثل رفيع للانسان الكامل . .

وفى سورة الكهف . « واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين او امضي حقبا » . وهذا الفتىهو يوشع ابن نون ، وقد كان خير معين لموسى ، وفى بعض الروايات أنه يرتبط مع كليم الله سبحانه بصلات القربى .

وفى سورة الكهف أيضا . « اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمةوهيىء لنا منأمرنا رشدا » ، وهؤلاء الفتية هم الذين كانوا يمثلون عصبة الاستمساك بالحق والايمان امام الكفران والطغيان ، وهم الذين قال فيهم القرآن بعد ذلك . « نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذن شططا » .

وفى سورة يوسف . « وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » . وهذا الفتى هو يوسف عليه السلام ، الذى ضرب أروع مثل فى كمال العفة وتمام الفضيلة والاستعصام بالله أمام الشهوات المزلزلة . . .

ويوسف هذا هو الذى أوتى الحكمة والعلم وهو فى سن الشباب . قال تعالى « وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين » .

روى أن سن الأشد الذى أوتى فيه الحكمة والعلم نحو العشرين ، وروى أن ريان بن الوليد ملك مصر على عهد يوسف استوزر يوسف وهو فى سن الثلاثين .

وفى سورة يوسف ايضا . « وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم » والفتيان هنا هم المساعدون ليوسف عليه السلام وحسبهم بذلك شرفا . . .

وفى سورة مريم . « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا » . قال البيضاوى . « يعنى الحكمة وفهم التوراة ، وقيل . النبوة . أحكم الله عقله فى صباه واستنبأه » . . .

لعله لا يكون غريبا بعد هذا أن نجد من المنسوب الى ابن عباس قوله . « ما آتى الله عز وجل عبده علما الا شابا ، والخير كله فى الشباب » . . . .

---

(١) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .



نعم ان هناك طائفة تقدم الشيوخ على الشباب ، وتفضل رأى الشيخ على جلد الغلام ، ولكن ماذا نقول اذا جمع الشباب بين الجلد والرأى ؟ ...

وهناك أيضا أمام الطائفة السابقة طائفة مثلها تفضل الشباب ...

يقول شهاب الدين النويرى بعد أن ذكر رأى الذين يفضلون الشيوخ . « وقد عدل قوم عن ذلك ، وسلكوا فى خلافه أوضح وأنهج المسالك ، وقالوا . بل رأى الشباب هو الرأى الصائب ، وفهمهم الفهم الثاقب ، ونجم سعدهم الطالع ، وسحاب جدهم الهامع وان لهم من الفطنة أوفر نصيب ، وان سهم رأيهم الرائش (١) المصيب ، وان عقولهم سليمة من العوارض ، وأذهانهم آخذة بحظ وافر من الغوامض ، ولذلك قال الحكماء . عليكم بآراء الأحداث ومشورة الشبان، فان لهم أذهانا تفل القواصل(٢) وتحطم الذوابل .

وقالوا . آراء الشباب خضرة نضرة ، لم يهتصر (٣) غصنها هرم ، ولا أذوى زهرتها قدم ، ولا خبا من ذكائها بطول المدة ضرم . وقال الشاعر :

عليكم بآراء الشباب فانها
نتائج ما لم يبله قدم العهد

فروع ذكاء تستمد من النهى
بأنور فى اللأواء (٤) من قمر السعد

وقال آخر :

رايت العقل لم يكن انتهابا
ولم يقسم على عدد السنينا
ولو ان السنين تقسمته
حوى الآباء أنصبة البنينا

وقال آخر :

ادركت ما فات الكهول من الحجا
فى عنفوان شبابك المستقبل
فاذا أمرت فلا يقال لك . أتئد
واذ قضيت فلا يقال لك اعدل (٥)

★ ★ ★

وحسب الشباب مجدا وشرفا أن يرسل الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وهو سيد الفتيان وزينة الشبان فى سن الأربعين حيث يكتمل الشباب ، ولقد بدأ محمد دعوته العالمية الخالدة ، وبدا أمام قومه وليس بجانبه الا غلام شاب ، ومن خلفهما سيدة وقور ... روى عفيف بن عيسى الكندى قال : « جئت فى الجاهلية الى مكة ، وأنا أريد ان أبتاع لأهلى من ثيابها وعطرها ، فأتيت العباس بن عبد المطلب ، ، وكان رجلا تاجرا ، فأنا عنده جالس حيث أنظر الى الكعبة ، وقد حلقت الشمس فى السماء ، فارتفعت وذهبت ، اذ جاء شاب فرمى ببصره الى السماء ، ثم قام مستقبل الكعبة ، ثم لم ألبث الا يسيرا حتى جاء غلام ، فقام على يمنيه ، ثم لم ألبث الا يسيرا حتى جاءت امرأة ، فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة ، فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة ، فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة ... فقلت . يا عباس ، أمر عظيم ... فقال

---

(١) الرائش . السهم ذو الريش .
(٢) جمع قاصل ، وهو السيف القاطع .
(٣) يهتصر الغصن . يعطفه ويكسره من غير انفصال .
(٤) اللأواء . الشدة .
(٥) نهاية الأرب ج ٦ ص ٧٥ .

العباس . امر عظيم ، اتدرى من هذا الشاب ؟ .. قلت . لا . قال . هذا محمد بن عبد الله أخي ... أتدرى من هذا الغلام ؟ . قلت . لا . قال هذا علي ابن أخي . أتدرى من هذه المرأة ؟ . قلت . لا . قال . هذه خديجة بنت خويلد زوجته .. ان ابن أخي هذا أخبرني أن ربه رب السماء والأرض أمره بهذا الدين الذى هو عليه ، ولا والله ما على الأرض كلها احد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة ..

والعجيب أن أكثر الذين تخفوا مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى فترة الكتمان وتلقوا عنه فى أول الدعوة كانوا من الشباب ، وهم الذين حققوا بعد ذلك بجهادهم مفاخر الاسلام وأمجاده ، ونشروا الدعوة فى الأرجاء ، وسقط اكثرهم شهداء ، ولم يمت على فراشه منهم الا القليل ، فاستشهد عمر ابن الخطاب ، وعلي بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وهم قائمون فى المسجد يصلون ، واستشهد عثمان بن عفان وهو يتلو القرآن ، واستشهد عبيدة بن الحارث فى غزوة بدر ، واستشهد حمزة بن عبد المطلب وأبو سلمة بن عبد الاسد ومصعب بن عمير وعبد الله ابن جحش فى غزوة أحد ، واستشهد عامر بن فهيرة عند بئر معونة، واستشهد مسعود بن ربيعة فى غزوة خيبر ، واستشهد السائب بن عثمان بن مظعون وأبو حذيفة بن عتيبة وعياش بن أبي ربيعة فى حرب اليمامة، واستشهد طليب ابن عمير ونعيم بن عبد الله فى أجنادين ، واستشهد خالد بن سعيد وأخوه عمرو ابن سعيد فى فتح الشام ، رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد جاهدوا فى الاسلام حق الجهاد ...

ولقد جاهد فريق من شباب الاسلام على عهد الرسول وهم فى أول الشباب ، ففي غزوة أحد كان رافع بن خديج غلاما فى الخامسة عشرة ، وأراد الخروج الى الجهاد ، ولما بدأ الرسول فى استعراض الجنود وقف على أطراف أصابعه حتى يظهر طويل القامة ، خشية أن يستصغره النبي صلوات الله وسلامه عليه ويرده ، ولما رآه النبي سأله عما يحسن من أنواع القتال فأجابه . الرمى . فقبله النبى .

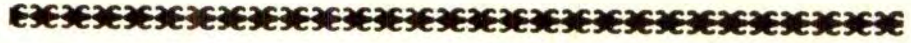
وجاء سمرة بن جندب ليخرج مجاهدا وهو فى مثل سن رافع فرده النبى ، فقال سمرة وهو يبكى يا رسول الله ، كيف تقبل رافعا وتردنى ، ولو صارعني لصرعته ؟ .. وأذن النبي لهما بأن يتصارعا فتغلب سمرة على رافع، فقبلهما النبى معها .

يقول ابن سيد الناس فى كتابه « عيون الأثر » وهو يتحدث عن غزوة أحد . « وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الفزارى ورافع ابن خديج أحد بنى حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما ، فقيل له . ان رافعا رام .. فأجازه ، فلما أجاز رافعا قيل له . يا رسول الله ، فان سمرة يصرع رافعا ، فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وكذلك أجاز الرسول فى غزوة الخندق أسامة بن زيد وعبد الله بن عمر وزيد ابن ثابت وأسيد بن ظهير ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

ولكن كيف ربى الاسلام هؤلاء الشباب وخرجهم ؟ .. ذلك حديث يحتاج الى الاستقلال بالتفصيل .

مع المؤرخ العالمي «توينبي»



الأيدولوجيات والدين

للأستاذ محمد همام الهاشمي

الخبير الاجتماعي بمجلس التخطيط ـ الكويت

كتاب « العادة والتغيير » للمؤرخ العالمي الكبير « توينبى » Toynbei Change and Habit وجد فيه الأستاذ الهاشمي حقائق ولمحات تستحق الوقوف عندها ، وعرضها على الشباب المسلم وعلى كل مثقف لا تتاح له فرصة الاطلاع على هذا الكتاب . ونقدم للقارىء الآن بعض هذه الحقائق . شاكرين للأستاذ الهاشمي عنايته بهذه الناحية استجابة للمجلة فى ندائها المتوالى باعطاء هذا الجانب الاهتمام الأول من عناية كتابنا الأفاضل .

« الوعى »

فى هذا العصر الحديث الذى يظن فيه الانسان أنه قد بلغ شأوا من التقدم والرفاهية لم يبلغه أسلافه ـ تتخبط البشرية فى دياجير المذاهب والنظريات لا تكاد تتبين طريقها الى بر الأمان .. فلقد استطاعت الحضارة الغربية أن تسيطر على مقدرات العالم ـ ان لم يكن بالقوة المادية والاستعمار المباشر ـ فبالأفكار والمعتقدات والمذاهب والاتجاهات الفكرية التي أوقعت العالم فى بلبلة وحيرة فكرية لم يسبق لها مثيل فيما عرفناه عن المجتمعات البشرية منذ كان لها تاريخ ..

ان الحرب الباردة التي تستعر منذ السنوات الأولى فى هذا القرن بين الايدولوجيات (١) ، والتي تحاول أن تجتذب اليها المعتنقين من البشر فى انحاء العالم .. أفرادا وجماعات

(١) يراد بهذا الاصطلاح الغربى : البناء والتكوين الفكرى الذى يشمل الجوانب الاجتماعية والحضارية والثقافية والمادية والروحية للانسان فى علاقته بالأفراد وبالمجتمع . ويختلف بالطبع من مجتمع الى مجتمع حسب التكوين الفكرى السائد فيه . والمراد بها هنا البناء الفكرى الذى يتكون فى غير نطاق الأديان السماوية العليا ..

ومجتمعات ـ مستعينة بوسائل الاعلام الحديثة ، وبما استطاعته العلوم التكنولوجية الحديثة من الغاء للمسافات ، ومن تعريض الانسان للتأثر أينما كان موضعه فى هذا العالم ـ نقول ان هذه الأيدولوجيات قد أعادت الانسان الى عصور بدائيته الأولى ..

واذا كان صوت الأديان السماوية قد خفت ... حتى لقد أصبحت تتوارى خوفا من الاتهام بالجمود والتخلف .. واذا كانت الأديان السماوية قد تراجعت لتشغل حيزا فرديا فى حياة القلة من أفراد المجتمعات الحديثة المتقدمة ، بحيث لا تتدخل فى مجالات حياتهم وتعاملهم ، واذا كان الدين المسيحي قد أصبح يخص الانسان فقط مفصولا عما يخص المجتمع ـ فهل يعتبر هذا تقدما فى عصر التقدم العلمي ؟ ! . وهل تستطيع الأيدولوجيات والمذاهب السياسية والفكرية ـ وهى جميعا من نتاج الغرب وحضارته المادية الطاغية ـ أن تنهى علاقة الأديان بالبشر ، وأن تجرد النفوس البشرية مما طبعت عليه ؟ .

ان قراء العربية المتأثرين بالحضارة الغربية لا يأبهون بقول يصدر عن رجل دين ـ فما بالهم اذا حدثهم فى هذا الموضوع أكبر مؤرخى العالم شهرة وذيوع صيت .. الرجل الذى استطاع فى مؤلفاته الكثيرة أن يخرج بتفسير مبتكر لمسار التاريخ .. ولأسباب قيام وانهيار الحضارات الانسانية .. هل يؤمنون بهذه العقلية التي أجمع الناس على أنها من أرجح العقليات المعاصرة التي استطاعت بنظرياتها أن تؤثر فى الجيل المعاصر لها .. ان بعض قراء العربية يؤمنون ويهتمون بالحديث اذا كان قائله من الأسماء الأجنبية .. من مدعى الفلسفة والعلم .. فما بالهم بمن يعتبره الغرب فيلسوف التاريخ وأستاذ العصر .. المؤرخ العالمى « أرنولد توينبى » الذى اشتهر بين العرب بدفاعه المجيد عن حقوقهم فى فلسطين ، والذى فند حجج الصهيونيين حينما واجهوه مناظرين فى معقل الصهيونية .

سنستعرض مع القارىء العربي كتابا حديثا لهذا الرجل لنرى رأيه فى هذه الموضوعات ... لا لنستدل برأيه فقط على أن عودة البشرية الى الأديان هو سبيل خلاصها من التحلل والانهيار والدمار الروحي والمادى ـ ولكن لنزداد ايمانا ويقينا على أننا على طريق الحق ، وأننا بقدر ما نعود الى ديننا نستوحى منه ما ينظم مجتمعاتنا ، ويقوم أسرنا وأفرادنا ، بقدر ما تكتب لنا السلامة فى خضم الفوضى التي تسود العالم ، وبقدر ما نتقدم الى أهدافنا فى حياة حرة عزيزة تستمد جذورها من تراثنا وذاتيتنا ... هذا التراث الذى يحمل نورا من الماضى نسير فى ضوئه الى المستقبل .

ان هذا التراث ليس هو الوهم الحضارى كما سماه بعض أساتذتنا الفضلاء .. انه النور الذى يلقى أشعته على ماضينا فنتبين على ضوئه حاضرنا ، ونتجه بعزم وعزة الى المستقبل المخبوء .. ان تاريخنا هو خبراتنا وتجاربنا الماضية .. وخبراتنا الماضية مفعمة بالأدلة على أن ديننا قد قادنا الى الوحدة والعزة .. والمجتمعات اذا فقدت ذاتيتها وعزتها فقدت نفسها وأصبحت تابعا ذليلا لغيرها .

يقول أرنولد توينبى ـ ومنه نتلقى عبرة الحاضر فى كتابه « العادة والتغيير » ـ ان من الخصائص الأساسية للانسان الادراك .. ادراك وجوده .. وادراك العالم المحيط به .. سواء من البشر أو العالم المادى وغير المادى .. هذا الادراك هو ما جعل الانسان مختارا فى تصرفاته ، ذا ارادة فيما يتخذ من قرارات .. فقد قاده هذا الادراك الى اكتشاف أنه لا يعلم عن العالم الذى يعيش فيه الا

البقية على ص ٣٨

مشى بمواكب التاريخ

بمولد (أحمد) شرف الوجود … فيا نعم الطوالع والجدود
طوالع حكمة هلت فكانت … سنى جَدّ تطالعه السعود
وبان الغيب يكشف عن سلام … يرادفه من النعمى جديد
وجد على عهود الناس عهد … تهيم بحسن جِدته العهود
وطاف على الوجود منار أمن … مجيدُ الطيف وضاءٌ حميد
كأجنحة الملائكة استقلت … بساق العرش ركنا لا يميد
يساجل سمته في العز بيت … عليه الروح طواف عتيد
فأطوار الملائك في ذراه … قيام حول كعبته سجود
تضيق بوصفه سعة المعاني … وليس لحصرها أبدا حدود
به من (مولد المختار) شمس … يشع بنورها الدين الوحيد



ويوم في الحوادث جملته … من الرحمات آيات شهود
شهدنا قدس مطلعه شهابا … تلألأ فوق لبّته العقود
مشى بمواكب التاريخ صفا … تظلله من التقوى بنود
رفيع طالَبَ الدنيا بدين … أساس بناء حكمته وطيد



فما لهمُ وعرش مستقر … وملك في الفضائل لا يبيد
بناه (محمد) وحمى بنيه … بجهد لا تنازعه الجهود
يشد العزم بين يد وعين … ونفس لا تمل ولا تحيد
وقلب لا يساوره افتتان … وطرف لا يلم به هجود
تكرمه النبوة مطمئنا … بنفس جَدّ نهضتها سعيد

صفاً

للاستاذ مرسى شاكر الطنطاوي

لقد حسدوه من حنق عليها ... فماذا يبلغ الرجل الحسود
وظنوها مطالب هينات ... فجد الجِدُّ (عتبةُ والوليد)
ولكن النبوة خير عبء ... ينوء بحمله الجيش العديد
فلا تعطى بميراث فتفضي ... إلى من خالها أملا يسود
فكيف بهم لدى أحكام داع ... أعَزَّ جموعهم . وهو الطريد
له من صَحْبِه الأخيار جند ... كرام مواقع الهمات صيد
شدادٌ كم تحدتهم خطوب ... يضاعف هولها الخصم اللدود
تلقوها وقائع مضنيات ... وألقوها عوادى لا تعود
فكانوا في يقينهم جبالا ... تنوء بها العواصف والرعود



أدالوا (الفرس والرومان) هلكا ... به لم يبق جبار عنيد
وقد هموا (بأوربا) شمالا ... كما همت ببغيتها الأسود
مضى يتساءل (البلقان) عنهم ... بأية وثبة قرب البعيد
بأية قوة هموا . فطالوا ... بأية حكمة مُنِحوا فزيدوا
بإيمان تأصل في قلوب ... ترى أن الشهيد هو السعيد
فما مالوا عن الحسنات قيدا ... ولا دلاهم بالعجز قِيد
فهل تلقى مثالهم بعين ... تفيض الدمع والآمالُ سود
ونلمح في (فلسطين) اتقادا ... تُحس لهيبَ جذوته اللحود
وفينا قوة . ولنا شباب ... يناديه إلى العليا صعود
وما العلياء إلا بذلُ نفس ... إلى الهيجاء يعقبه الخلود
إلى هيجاءَ تدعو كل حر ... هلم . هلم . فالمرمى بعيد



القليل من القشور .. وأن هذا القليل الذى يعرفه لا يستطيع أن يفسر له سر الحياة والكون .. ولقد أدرك أن الكلمة الأخيرة فى مصيره ليست فى متناوله .. ولكنها ملك قوى قاهرة ، عليه أن يتعرف عليها وأن يعيش متوافقا معها متصلا بها .

أديان بديلة ؟ !

وحيث أن التدين جزء من الطبيعة البشرية .. وحيث أن الانسان لا يستطيع أن يعيش دون دين من نوع ما .. فلقد ترتب على تراجع الدين عن موقعه فى أوروبا أن قامت ديانات بديلة تسمى : المذاهب الفكرية ، أو الأيدولوجيات الفردية أو الرأسمالية ، والجماعية أو الشيوعية ، والوطنية أو القومية .

ان الحرب الباردة التي يستعر أوارها بين الأيدولوجيات المعاصرة من جانب ، والأديان العليا (السماوية) من جانب آخر هي أخطر بالنسبة لمستقبل البشرية من المشادة بين الشيوعية والرأسمالية بالرغم مما يلقاه الحوار بينهما من اهتمام عالمي .

فهل هذه الأيدولوجيات أديان جديدة

أم انتكاسات

فى الحق انها ليست أمرا جديدا .. انها انتكاسة للحرية التي اكتسبها الانسان عبر العصور .. انها تأخر ورجعة الى فجر الحضارة حينما كان الانسان يعبد ما لا يستطيع أن يسيطر عليه من قوى غامضة ، وهو حينما تقدم واستطاع أن يكون له دور هام فى البيئة الطبيعية .. ترك عبادة قوى الطبيعة ، وعبد قوته الجماعية كما تتمثل فى الحاكم ..

ان الشيوعية قد أخطأت السبيل — لا فى اصرارها على العدالة الاجتماعية ، ولكن فى تضحيتها بالحرية من أجل العدالة .

والرأسمالية أيضا قد أخطأت السبيل — لا فى اصرارها على احترام فردية الانسان وحريته ، ولكن فى تضحيتها بالعدالة فى سبيل الفردية .

تفسيرات خاطئة

ان كلا منهما يؤيد جانبا على حساب الجانب الآخر .. وكلتا النظريتين مادية .. ولما كان الانسان لا يستطيع أن يحيا بالخبز وحده .. فان هذين التفسيرين الماديين للعدالة والحرية تفسيران خاطئان ، على أنه يبدو أن كلتا العقيدتين ستستمران فى الحياة ، ولن تستطيع احداهما التغلب نهائيا على الأخرى .. والاثنان فى صراع مع الوطنية أو القومية .. ولو أن هذا الصراع لا يحظى باهتمام كبير .. ولكنه ما أن تصطدم احداهما مع الوطنية حتى تنتصر الوطنية .. وحينئذ يصبح الشيوعي والرأسمالي وطنيا أولا وتتبعها صفته الثانية : الشيوعية أو الرأسمالية .

نقطة الصدام

ان جميع الأيدولوجيات تشترك فى نقطة ضعف واحدة قد تؤدى بها جميعا وذلك فى منافستها للأديان العليا على اكتساب ولاء الجماهير .. وهذا معناه العودة الى عبادة الانسان .. فبعد أن حررته الأديان من عبودية المجتمع وعبودية الفرد ليتجه الى الله وحده .. عاد الانسان الى سجن المجتمع ، وبعد أن كان فى علاقة مباشرة مع الحقيقة الخالدة .. عاد الى ديكتاتورية العصور البائدة

.. فتضاءل ليصبح مجرد نملة اجتماعية فى مجتمع النمل ..

منحة الأديان للانسان

لقد استطاعت الأديان أن تعلم الانسان أنه ليس حشرة اجتماعية .. ولكنه انسان ذو كرامة وادراك واختيار ..ولن تستطيع الأيدولوجيات أن تنسيه هذه الحقيقة .. لأنها لا تستطيع أن تحقق له الانعتاق الروحى الذى منحته له الأديان .

صحيح أن بعض الأديان قد أقامت سجونا من صنعها .. حينما خلقت من الأجهزة والنظم ما أصبح حاجزا بين الانسان وخالقه .. كما كان يصنع المجتمع القديم من قبل .. وهذا التحكم والتسلط من جانب بعض الأجهزة الدينية يتناقض أساسا مع سبب وجودها .. فانها وجدت لتحرر الانسان من أسار المجتمع ، وتضعه مباشرة أمام مسئولياته فى علاقة مباشرة مع الحقيقة السرمدية الخالدة .. ومع ذلك فبالرغم من هذا التسلط والتحكم من جانب بعض الأديان الا أنها استطاعت أن تمنح معتنقيها هدية لا تستطيع أن تجاريها فيها الأيدولوجيات الحديثة .. لقد منحته الاطمئنان والمساعدة والتوجيه والمثل الأعلى الخليق بالطموح .. لقد منحته الراحة الروحية وحررته من سجون المجتمع .

ان كل انسان يخطىء ويفشل .. ويزل ويشقى .. وفى النهاية ينتهى الى الموت .. ومن هنا جاءت حاجته العميقة الى العون الروحى الذى لا تستطيع أن تقدمه له الأيدولوجيات .

الواجب فى هذه المعركة

ومع هذا فان الأيدولوجيات ستستمر فى اجتذاب الناس الى حظيرتها ما لم تعمل الأديان على أن تستعيد سلطانها على قلوب البشر .. وهى لن تستطيع ذلك الا اذا صدقت مع نفسها واستطاعت :-

١ - أن تتعاون بدلا من الصراع والعداوة .

٢ - وأن تهتم اهتماما جديا بحقائق العصر الحديث .

٣ - وأن تنفض عنها الطقوس التي طغت على جوهرها .. مما تراكم من الخزعبلات عبر العصور .

فالدين هو قلب الحياة للانسان .. وهو جوهر الحياة الانسانية .. هو النور الذى يغمر القلوب ، فلا غنى للانسان عن الدين .. ولن تستطيع الأيدولوجيات أن تحل محل الدين لأنها تمنحنا التعصب والتباغض .. بدلا من أن تمنحنا المحبة والتعاون ، انها قد تمنحنا لقمة الخبز ، ولكنها تسلبنا الطمأنينة النفسية والتحرر الروحى .

ونكتفي الآن بهذا القدر راجين أن يوفق علماؤنا الى ترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية فهو مفعم بالتحليل التاريخي والحضارى والاجتماعي لأمراض العصر الحديث .. والتمعن فى قراءته يوضح لمعاصرينا أننا قد نستطيع أن نقفز الى حضارة القرن العشرين ولكن لا بد حينئذ أن يصيبنا ما أصاب غيرنا من تفكك وانحلال وانهيار خلقى واجتماعي .. وندفع ثمن هذه الحضارة تضحية غالية من قيمنا ومثلنا العليا التي غرسها فينا ديننا الحنيف ولعل فى بعض ما نراه ،وما نشكو منه فى مجتمعاتنا نتيجة غزو هذه الحضارة لنا ما يوضح لنا هذه الحقيقة .

فتمسكنا بديننا يمنحنا الطاقة الروحية على تحقيق المعجزات اذا استطعنا أن نخلصه من شوائب التعصب وتشويه البدع والضلالات . .سنستطيع حينئذ أن نتقدم فى ظل علم يوحد اتجاهاتنا .. ويقود صفوفنا .. ليس فقط الى تقدمنا .. ولكن أيضا الى انقاذ العالم من دمار محقق بدأت طلائعه ...

(١)

عائشة

سنة النبى صلى الله عليه وسلم هي المصدر الثاني من مصادر الدين ، لها فيه مكانتها الرفيعة ، ومنزلتها الخطيرة ، وهى الروضة الانف لرواد الادب ، وطلاب الفصاحة بعد كتاب الله عز وجل، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على روايتها ونقلها من جيل الى جيل ، ليبقى علم الدين محفوظا . روى خالد الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« رحم الله امرأ سمع منا حديثا فوعاه ، ثم بلغ من هو أوعى منه » . رواه ابن عساكر .

وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم لرواة الحديث بالنضرة فى وجوههم ، كما روى أحمد والترمذى وابن حبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلّغه كما سمعه ، فرب مبلّغ أوعى من سامع» . والاحاديث فى هذا المعنى عديدة وروى ابن النجار بسند صحيح « من حفظ على أمتي أربعين حديثا من سنتي أدخله يوم القيامة فى شفاعتى » .

ولهذا حرص العلماء على الاربعينيات وكتبوا فيها كثيرا من المؤلفات ، ولقد كان الحث من النبى صلى الله عليه وسلم على نقل السنة من الحوافز لكثير من الصحابة على ان يتنافسوا فى رواية الحديث النبوى الكريم ، ولا سيما من توافر له وقته ، ومن جاد حفظه ، وغلب عليه جانب الامل والرجاء فى تحقق ما وعد به سيد الانبياء .

ورب جماعة منهم رضوان الله عليهم لم يتوافر لهم الوقت الكافي للاتصال بالرسول صلوات الله وسلامه عليه كغيرهم ، لكثرة الشواغل او بعد المسافة فلم يتيسر لهم ذلك ، ومنهم من غلب عليه الخوف من الوعيد النبوى على من حرف أو غير فخشي ان ينسى شيئا ، فيلحق روايته بعض التغيير ، فأحجم عن الرواية ، أو آثر عدم الاكثار الا فيما يتيقن من أمره ، ودعت اليه حاجة دينية ملحة .

روى الجماعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وهو حديث متواتر ، وروى احمد والترمذى عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتقوا الحديث عني الا ما علمتم ، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن كثرة الرواية ، ويحذر أبا

للشيخ محمود النواوى
المراقب العام للتعليم الثانوى بالازهر

بنت الصديق

هريرة منها ، مع أن أبا هريرة كان على ثقة من أمره فى الرواية ، وكان يقول : انكم تقولون أكْثَرَ أبو هريرة ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثتكم : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا » الآية ، و « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب » الآية ، وان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق ، واخواننا من الانصار كانت تشغلهم مزارعهم ، وكنت ملازما للنبى صلى الله عليه وسلم بشبع بطني .

وفى ضوء هذا الاتجاه ، ومع تيسر الرواية لطائفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرت روايتهم للحديث ونقل السنة ، واشتهر من هؤلاء المكثرين ستة لم يزاحمهم غيرهم فى الكثرة كما سيرى القارىء الكريم فى وصف رواياتهم وعدد مروياتهم ، وهاهم اولاء بترتيب وفياتهم .

أم المؤمنين عائشة المتوفاة (٥٧) هـ أبو هريرة بن صخر (٥٨) هـ عبد الله ابن عباس (٦٨) هـ عبد الله بن عمر (٧٤) هـ .

جابر بن عبد الله (٧٨) هـ أنس بن مالك (٩٢) هـ .

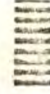
فلنبدأ الحديث عنهم على هذا الترتيب ، ونتكلم على السيدة عائشة بنت الصديق رضى الله عنها وأرضاها آمين .

السيدة عائشة بنت الصديق أبى بكر الذى ما طلعت شمس بعد النبيين على أفضل منه . ولدت فى السنة الرابعة من النبوة بعد السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بثماني سنين ، وأسلمت مع اختها أسماء بمجرد أن عرفت معنى الاسلام ، فأبوها شريك النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته الكبرى دعوة الحق .

وقالوا أن أبا بكر عهد بتربيتها فى الطفولة الى قوم من بني مخزوم على عادة العرب ، فنشأت تروى الادب ، وتحفظ الشعر ، وتتمثل به فى المناسبات ، روى أنها رأت النبى صلى الله عليه وسلم يخصف نعله يوما وهي تغزل ، فرأت العرق على جبينه يتولد منه النور فبهتت ، وصارت تنظر فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم مالك ياعائشة ؟ قالت : نظرت الى عرقك يتولد نورا ، فلو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره اذ يقول :

واذا نظرت الى أسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل

فقام اليها وقبل بين عينها



ومن ذلك ماروى أنها رأت الصديق رضى الله عنه وهو يجود بنفسه ، فتمثلت بقول حاتم :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما ، وضاق بها الصدر

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف عائشة منذ طفولتها فقد كان يتردد على صديقه الصديق فى منزله ، فيرى عائشة ، ويلمح بها جمال الطفولة والذكاء المحبب ، فيقبل عليها ، ويداعبها . ويوصي بها أم رومان أمها ويألم اذا أساءت اليها .

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم لما توفيت خديجة حزن عليها حزنا شديدا أهتم له المسلمون ، وكان فيهم سابقة من سابقات النساء هي خولة بنت حكيم ، فقدمت عليه وقالت له : يارسول الله الا أخطب عليك ؟ قال : بلى فانكن معشر النساء أرفق بذلك ، فخطبت عليه سودة من بني عامر بن لؤي ، فتزوجها وهي ثيب ، ثم خطبت له عائشة . أوفدها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت أبى بكر الصديق ، فلما دخلت على السيدة ام رومان راحت تزف اليها البشرى وهي تقول أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ، وجاء أبو بكر ، فاستأنفت معه خولة الحديث ، فقال يا خولة : أنها ابنة أخيه ، فلا تحل له ظنا منه أن أخوة الاسلام بينه وبين أبي بكر تمنع صحة المصاهرة ، فلما رجعت خولة الى النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته بذلك ، فقال أنه أخى فى الاسلام ، وهي تصلح لي ،فقال : **أن المطعم بن عدى كان ذكر عائشة لابنه جبير ، فلا بد أن أتحلل منه ، فخرج أبو بكر الى المطعم ومعه زوجه فقال : ماتقولان فى شأن عائشة فقالا : يا أبا بكر لعلنا ان أنكحنا هذا الصبي اليك تدخله فى دينك الذى أنت عليه ، فلا حاجة لنا فى عائشة ،** فرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم مرتاح الضمير ، وهو يقول لخولة ادعى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضت اليه فجاء بيت صديقه ابي بكر ، فرحب بخطوبته الكريمة .

وههنا وقفة تبعث على التأمل فى تصرف أبي بكر ووفائه بالذمة كشأن الاسلام والفطرة ، فأنه لم يسارع الى قبول هذه الخطوبة التى يسعد كل العالم لو ظفر بمثلها ، وابو بكر يقدر ذلك حق قدره ، ثم انظر الى دقته فى التصرف ، فما كان أحراه أن يذهب بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم ينس ان للخطوبة كرامة تقتضي ان يسير الخاطب الى منزل الخطوبة فصلوات الله على الرسول وعلى صاحبه الصديق .

ولقد استقبل رسول الله ذلك القبول بالغبطة ، فان عائشة رضية عنده ، وقد تمت الخطبة والعقد فى شوال من السنة العاشرة من الدعوة وقبل الهجرة بثلاث سوات، وقدم النبي صلىالله عليه وسلم لاخيه ابي بكر اربعمائة درهم وهو ما يساوى عشرة جنيهات وهو مسلك أقرب الى يسر الدين وتحقيق معنى الزوجية المبنى على الاختيار وحده ، وكانت سنها ست سنين فيما اشتهر فى كثير من الكتب وعلى السنة الناس،ولكنا وجدنا برواية تدل على ان سنها كانت نحو اثنتى عشرة سنة ، وذلك فى مرويات ابن سعد في الطبقات ونحن نميل اليها من عدة نواح : منها صلاحية الزوجة لتحمل أعباء الزواج وهو لا يناسب سن التاسعة على ما تقضي به رواية الست والتسع ، ومنها انها كانت مخطوبة قبل ذلك

لجبير بن مطعم فى الجاهلية ، فلا بد ان تكون مخطوبة قبل البعثة ، وأن تكون صالحة للخطوبة فى الجاهلية ، وهذا يقتضى أن تكون يوم زواجها بالنبي صلى الله عليه وسلم اكبر من اثنتى عشرة سنة (١) .

ومنها ان خولة حين اقترحتها لا بد ان تكون عالمة بأنها تصلح للزواج برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تعوض عليه ما فقد وان كانت قد خطبت عليه امرأة أخرى ، ولكنها قالت له : ان شئت ثيبا وان شئت بكرا ، وهذا الوصف من شأنه ان يكون لفتاة لا لطفلة ، واختلاف الروايات يسمح باختيار الاصلح منها ، بل انه روى أنها كانت يوم الخطوبة فى سن الثانية عشرة وهو أقرب الى المعقول لما ذكرناه ، ومع ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج سودة ، وترك عائشة حتى تصلح للاضطلاع بأعباء الحياة الزوجية ، وقد حان موعد الهجرة ، وان عائشة لتندمج فى جو الكفاح المرير الذى تحمله ابوها وزوجها صلوات الله عليه ، فكانت ترى ، وتسمع ما يسنح لها من ظروف الصاحبين ومواقف القوم الظالمين من دعوة الحق وسوء معاملتهم للصديق ، وكانت اسماء تسعى بالطعام الى الغار على مرآى من عائشة ، وكان اخوها يرقب أخبار قريش ليبلغها كذلك الى السيد الرسول وصاحبه بالغار ، وهي على اتصال بذلك كله. وبعد وصول النبى الى يثرب واستقرار المقام به وبمن معه أرسل ابو بكر رسالة الى ابنه عبد الله بأمره ان يحضر بزوجه ام رومان وابنتيه عائشة واسماء ، ثم وصل الركب الى المدينة ، ونزلوا بالسفح فى بنى الحارث بن الخزرج ، وفى شوال من السنة الاولى من الهجرة تحدث ابو بكر مع رسول الله فى شأن العقد الذى تم منذ ثلاث سنوات حتى تزف العروس الى زوجها ، فأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجه مع طائفة من الانصار من رجال ونساء الى بيت ابى بكر ، فلما وصلوا كانت عائشة تلعب مع صواحبها فى أرجوحة ، فانزلتها امها ام رومان ، واصلحتها ، ثم اسلمتها الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيها ، وبارك لها فيك ، وبنى رسول الله بها فى بيت ابى بكر ، ثم انتقل بها الى بيت النبوة فى حجرة من حجراته التى بناها رسول الله حول المسجد النبوى الكريم ، وكان باب الحجرة مطلا على المسجد كسائر الحجرات وهى مفروشة بفراش من أدم حشوه ليف ، ليس بينه وبين الارض الا الحصير .

هذا وقد ترك لها رسول الله صلى الله عليه وسلم باب الحرية لتلعب مع من تشاء من صواحبها فى البيت ، وكان يدخل وهن يلاعبنها ، فلا ينكر شيئا لانه كان يريد ان يشعرها انها فى بيت الابوة الرحيمة،حتى لا يكبت غرائزها ولا يحول دون اكتمالها ونضجها ، فكان يدخل ومعها صواحبها ، فيقول لهم مكانكن بل كان أحيانا يقف بنفسه ويقيمها وراءه ، فتتفرج على رقص الحبشة كما ورد فى الصحيح .

---

(١) ان جواب المطعم بن عدى لأبى بكر بأنه يخشى على ابنه جبير ان تزوج بعائشة أن يدخله ابو بكر الاسلام يكاد يقطع بأن الخطوبة تمت قبل الاسلام وقبل أن يسلم ابو بكر . وقد كان اول من أسلم من الرجال .. ولاشك ان الخطوبة كانت على أقل تقدير حين كانت عائشة وجبير صبيان حتى لو فرضنا ان الخطوبة تمت قبل الجهر بالدعوة وقبل ان يشتهر أمر الاسلام فى أوساط مكة فتكون عائشة حين الدخول بها قد تجاوزت الاثنتى عشرة سنة قطعا « الوعى الاسلامى »



مكانتها عند النبــي

كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب عائشة أكثر من حبه لسائر نسائه ، من غير أن يكون له أثر فى معاملة بقية نسائه الكريمات ، فكان يعدل كل العدل ، ولا يقصر فى حق واحدة منهن ما لم تتنازل احداهن عن بعض حقها ، ولم يكن الحب مما يخضع للاختيار ، وينزل على حكم التقسيم ، ولذا كان النبي حين يرى أنه قد حقق العدالة المقدورة يقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك » ولقد سأله عمرو بن العاص يوما فقال : من أحب الناس اليك ؟ قال : عائشة ، قال : من الرجال يارسول الله فقال : أبوها .

ولما اشتد مرضه اجمعن على التنازل له عن المبيت عندهن لأم المؤمنين عائشة ، على أن عائشة كانت شديدة الغيرة على رسول الله حتى من خديجة التي لقيت ربها ، وبقيت فى ذمة التاريخ كما فصله التاريخ ، وهناك مظاهر وصور عديدة لغيرتها من اخواتها امهات المؤمنين ، فهي تغار من ام سلمة وتقول له : أما تشبع من ام سلمة ؟ وقد غارت من صفية بنت حيى لجمال وجهها وقالت للرسول مرة انها يهودية فقال : لها انها اسلمت وحسن اسلامها .

وقد كان يزيد فى مكانة السيدة عائشة عند النبى صلى الله عليه وسلم ذكاؤها وحسن تصرفها ، وكرم يدها وسخاؤها الذى لم يفارقها طيلة حياتها . قال عروة ابن الزبير : رأيتعائشة تتصدق بسبعين ألفا ، وانها لترفع جانبا من درعها ، وذكر ان الزبير بن العوام بعث اليها بغرارتين من مال فيهما ما يبلغ مائة ألف درهم ، فقسمتها حتى أنفذتها ، وكانت صائمة فلما حان موعد الافطار قالت لجاريتها : هاتي فطرى فقالت لها : أما استطعت فيما انفقت أن تشترى بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لها : لو كنت أذكرتني لفعلت .

معارفها وعلمهـا

كان فى عائشة رضى الله عنها من اصالة البيت وكرم العنصر وخصوبة الاستعداد والذكاء واليقظة والحرص البالغ على العلم والتماسه من المعلم الاكبر صلى الله عليه وسلم ما كون لها شخصية ممتازة فى العلم والفقه والاستقلال بالفهم حتى استطاعت أن تنقل كثرة كاثرةمن أمهات الدين ومسائله الى جميع المسلمين فى جميع البقاع وعلى مدى الازمان ، وأن تعلن آراءها ،وتصدع بحجتها فيما تؤيده من المذاهب والعقائد .

وقد كان فى حب النبي صلى الله عليه وسلم لها ، وافساح صدره الشريف لافهامها ، وحرصه على ان يجعل منها مثلا أعلى فى صفات الاسلام وآدابه ما جعلها من أعلم الصحابة بالقرآن والحديث والفقه ان لم تكن اعلمهم ، ولقد كانت راوية للشعر بكثرة . قال عروة بن الزبير : وكان كثير السؤال لها والاخذ عنها : كانت عائشة اعلم الناس بالقرآن والحديث والشعر ، وقال ابو موسى الاشعرى : ما أشكل على اصحاب رسول الله شيء فسألنا عائشة عنه الا وجدنا عندها منه علما ، وقال عنها ابن أخيها القاسم بن محمد اشتغلت عائشة بالفتوى ، زمن ابي بكر وعمر وعثمان فمن بعدهم رضى الله عنهم .

وفى الحق لقد كانت اكثر الناس اتصالا برسول الله ، وكان الوحي ينزل عليه وهو فى فراشها ، وكان الرسول لا يحب أن يفارقها فى سفر ولا حضر ، وكان

كثير من نسائه ينزلن عن بعض لياليهن لها ، ثم تركن جميعا حقهن فى آخر حياة النبي حتى مات بين سحرها ونحرها ، كما قالت ذلك مفاخرة به ، ولهذا كانت من الستة المكثرين من الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قالوا : انها روت عشرة أحاديث ومائتين وألفين، أتفق البخارى ومسلم منها على أربعة وسبعين ومائة وانفرد البخارى « ب ٥٤ » ومسلم بثمانية وخمسين ، وقد روت عن خلق من الصحابة ، وروى عنها كثير من الصحابيين والتابعين رضى الله عنهم أجمعين .

واذا فقد عاشت دهرها راوية فقيهة تعلم وتتعلم ، على انها كانت تمتاز بمسائل النساء وأحكامها وكل ما يتصل بها ، مع ما كانت عليه من علم ومعرفة بالطب العربي الذى تعلمته من النبي ومن الوفود التى كانت تفد عليه فى مرضه ، فتصف له الادوية .

ومما كان له اكبر الاثر فى ثقافتها ان النبي كان يشركها فى دروس العلم والتعليم ولا سيما مع النساء ، فكانت تحضر معهن اذا بايعنه أو سألنه ، وكان يعهد اليها أحيانا بالتفسير اذا صعب الفهم على واحدة منهن او كان فيه حروجة .

سألت اسماء النبي صلى الله عليه وسلم عن التطهر من المحيض فقال : خذى فرصة ممسكة ، فتطهرى ثلاثا ، قالت : وكيف أتطهر ؟ فأعرض عنها حياء ، وقال تطهرى بها ، وأخذتها السيدة عائشة فى جانب وأفهمتها .

وقد صحبته فى بعض مغازيه كأحد ، وبني المصطلق التى نزلت فيها آية التيمم من أجلها ، لانها حبست المسلمين على التماس عقدها ، وليسوا على ماء فنزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير ما هي بأول بركتكم يا آل ابي بكر . قال ابن عبد البرفى الاستيعاب : وكان مسروق الامام التابعي الجليل يحدث عنها فيقول : حدثتني الصادقة ابنة الصديق البريئة المبرأة ، بكذا وكذا ، ويقول : رأيت مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض ، وقال عطاء بن ابي رباح : كانت عائشة أفقه الناس وأحسن الناس وأعلم الناس رأيا فى العامة .

وعن عبد الرحمن ابن ابى الزناد عن أبيه قال : ما رأيت احدا أروى لشعر من عروة ، فقيل له ما أرواك يا أبا عبد الله قال وما روايتي من رواية عائشة ؟ ما كان ينزل بها شىء الا روت فيه شعرا .

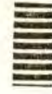
قال الزهرى : لو جمع علم عائشة الى علم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل ، ومثل ذلك فى الاصابة لابن حجر ، وزاد على ذلك عن أبي موسى الاشعرى : ما أشكل علينا أمر فسألنا عائشة الا وجدنا عندها فيه علما .

نماذج

وما دام اساس الحديث عنها هنا انها من المكثرين فى الروايات فان من أهم مانعنى به ان نشير الى بعض مروياتها عرضا لبعض بضاعتها التي فقهتها فاستخرجت منها كنوز العلم والمعرفة ، واذا كانت رواية الحديث من أجل المزايا فما بالك اذا كان الراوى فقيها متصرفا كعائشة .

وأمامي الآن كتاب ذخائر المواريث للشيخ النابلسي اورد فيه من روايات السيدة عائشة تسعا وتسعين وثمانمائة حديث من بينها هذه الاحاديث .

١ ــ صلى النبي صلى الله عليه وسلم جالسا فى مرضه وصلى وراءه قوم



قياما . ذكر أنه من رواية البخارى فى عدة ابواب ومسلم وأبي داود وابن ماجه .

٢ ـ وحديث فى السواك . للبخارى ومسلم وابي داود وابن ماجه .

٣ ـ وحديث فى الوتر ، للبخـارى ومسلم وابي داود والترمذى والنسائي وابن ماجه والطبرانى .

٤ ـ وحديث فى ليلة القدر للبخارى ومسلم والترمذى .

٥ ـ وحديث فى النوم مع الجنابة فى الكتب الستة وفى الطبرانى .

٦ ـ وحـديث فى صـوم الاثنـين والخميس فى الترمذى والنسائي وابن ماجـه .

٧ ـ وحديث فى صوم شعبان فـي البخارى ومسلم وابي داود والترمذى والنسائي .

٨ ـ وحديث فى الحيض وفى المباشرة فيه فى الكتب الستة .

٩ ـ وحديث أى الصلاة كان أحب الى النبي أن يواظب عليه لابن ماجه .

١٠ ـ وحديث كنت أبيت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعـار الواحد وانا حائض . لابي داود .

١١ ـ وحديث أمرني رسول اللـه صلى الله عليه وسلم أن ادخل امرأة على زوجها قبل ان يعطيها شيئا . لابي داود وابن ماجـه .

١٢ ـ وحديث ماحسدتكم اليهود على شيء ماحسدتكم على السلام والتأمـين فى ابن ماجه .

١٣ ـ وحديث كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ فى النسائي .

١٤ ـ وحديث من شيع جنازة فصلى عليها فله قيراط . للترمذى .

١٥ ـ وحديث انه كان النبي صلى الله عليه وسلم يبتسم وكان اذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلـك فى وجهـه ، للبخارى ومسلم وابي داود .

١٦ ـ وحديث اذا تصدقت المرأة من بيت زوجها ، للترمذى والنسائي .

١٧ ـ وحديث ما رأيت الوجع على أحد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من رواية الترمذى .

١٨ ـ وحديث الخال وارث من لا وارث له .

والمقصود من هذه النماذج التـي سقناها أن نفتح عين القارىء الكريم على هذه الرياض المونقة من السنة النبويـة الكريمة التى هى مفتاح السعادة . وان نشرح صدره لطلبها ودراستها .

((وبعد)) فان للسيدة عائشة نواحى كثيرة يطيب الحديث عنها وقد ذكرت بعض جوانبها ومواقفها فى كتابي تاريخ الصحابة والتراجـم الاسلامية ولكنـي اكتفي هنا بذلك القدر لشدة مناسبته وبالله التوفيـق .



من هنا .... وهناك

يكتبها : عبد المنعم النمر

صفحات مجهولة من تاريخ مجيد

الدكتور زاكر حسين

رأيت أن تكون خواطرى هذه المرة عن هذه الصفحات المجهولة ، وذلك بمناسبة انتخاب الدكتور زاكر حسين لرئاسة جمهورية الهند فى الشهر الماضى .

وهو أول مسلم يتولى هذا المنصب منذ استقلت الهند ١٩٤٧ . وقد كان تقدير الهند له باختياره لهذا المنصب تتويجا لماض زاخر بالجهاد فى سبيل وطنه .. ولمواقف له كريمة سباقة فى وجه الاستعمار ، اخذ ميدان العلم والتربية الحظ الوافر منها قبل ان يختار ـ للمناصب السياسية ـ حاكما لولاية بيهار ثم نائبا لرئيس الجمهورية حتى منحته الدولة ارفع وسام فيها تقديرا لخدماته . وميدان التربية والتعليم وان كان هاما فى كل بلد الا أنه كان يمثل فى الهند ناحية حساسة فى وقت من الاوقات التى مرت بها خلال جهادها ، ومن الزاوية التى كان يرابط فيها المسلمون لمحاربة الاستعمار فى وقت سيطر فيه على كل شىء فى الهند .

فى مايو ١٩٦٥ زار الكويت زيارة رسمية .. وبعد صلاة الجمعة بمسجد الاحمدى كان لقائى له ، واستعدنا ذكرى لقاء آخر على أرض الهند ، وفى رحاب جامعة عليكرة فى السابع والعشرين من يناير ١٩٥٧ حيث تلقيت دعوة من الجامعة لحضور حفلها السنوى لتوزيع الشهادات على المتخرجين فيها ، ولاهداء الدكتوراه الفخرية له تقديرا لخدماته العلمية لها ولغيرها ، ودار حديث بيننا عن الذين تحدثوا بالعربية فى الحفل ، كما جرت بذلك تقاليد الجامعة والاعتذار عما يكونون قد وقعوا فيه أحيانا من خطأ نتيجة لعدم اتقانهم لها ..

والصحف التى نشرت خبر اختياره رئيسا للجمهورية ذكر بعضها انه ساعد على انشاء الجامعة الملية الاسلامية ، وقد أثار هذا الخبر فى نفسى شهية الكشف عن تاريخ عظيم ، ومواقف خالدة للدكتور واخوانه المجاهدين المسلمين ضد الاستعمار ،

وحملهم لواء مقاطعته ، او عدم الولاء له ، كما كان يسميه المسلمون ، او العصيان المدنى كما اشتهر اخيرا وذلك قبل ان ينادى به غاندى فى الهند ..

وارجع الآن الى ما كتبته فى كتابى ((كفاح المسلمين فى تحرير الهند)) والى مذكراتى التى لم تطبع بعد عن بعض الزعماء المسلمين فى الهند . لأجلو بعض الحقائق المجهولة ، واقدم لك صفحات مجد سجلها هؤلاء الزعماء المسلمون ومعهم الدكتور زاكـر ..

شـيخ الهنـد

نحن فى يوم ٨ يونيو ١٩٢٠ حيث وصل الى ((بومباى)) شيخ الهند مولانا محمود الحسن ورفاقه قادمين من مالطا بعد ان قضوا فيها سنوات معتقلين ، والشعب يخف لاستقباله ، وفى مقدمته غاندى ، ولم يكن نجمه قد سطع .. اذ كان قد قضى سنوات الحرب يحث الشعب على مساعدة الانجليز ، ويطوف البلاد من أجل هذا الغرض .

ولم يهدأ مولانا محمود الحسن بعد وصوله للهند ، بل استأنف جهاده ومواقفه العدائية ضد المستعمر ، وتلاقت جهوده مع جهود جمعية الخلافة وجمعية علماء الهند وكلها كانت تدعو الى عدم الولاء للمستعمر ، ومقاطعته فى مصنوعاته ومدارسه مع رد الالقاب الحكومية .. الخ ..

جامعة عليكـرة

كانت ((كلية عليكره(١)الاسلامية)) التي أنشأها سير سيد أحمد خان سنة١٢٩٣هـ سنة ١٨٧٦م والتى نمت وترعرعت حتى صارت جامعة سنة ١٩١٢ م بمساعدة الانجليز وبعض المسلمين المتفقين مع سيد احمد خان فى اتجاهه ، كانت هذه الجامعة قد اسفرت عن وجهها كوكر للدعايـة والمآرب الاستعمارية ، وكـان مديروها باستمرار واكثر أساتذتها الانجليز لا يكفون عن التدخل فى الامور السياسية ، ورئاسة الجماعات التى تضم الموالين للاستعمار .. حتى تأكد لدى الوطنيين المسلمين ما أثاروه حولها منذ انشائها ، وحول منشئها أحمد خان من ان لها مآرب استعمارية ، وأن التعليم فيها يهدف الى زعزعة العقيدة الاسلامية والروح الوطنية فى نفوس المتعلمين بها ، حـتى يضمنوا ولاءهم بعد تخرجهم للاستعمار ..

كانت الجامعة فى ذلك الوقت تمثل جبهة من المسلمين تنادى بالتعاون مع الانجليز فى الوقت الذى كانت فيه جبهة اسلامية قوية تنادى بمقاطعة الانجليز فى كل المجالات وفى مقدمتها المدارس الحكومية او التى للحكومة نفوذ عليها .. وكانت الحرب الفكرية على أشدها بين الجبهتين ..

فى هذا الوقت رأى بعض المسلمين الذين ينادون بمقاطعة الانجليز ان جامعة عليكرة التى تحمل الصفة الاسلامية والتى جذبت اليها ـ من أجل ذلك ـ كثيرا من أبناء المسلمين لم تعد الا وكرا للاستعمار وأن من الخطر على هؤلاء الابناء ان ينشأوا فيها ، وليس فى مناهجها ما يغذى روحهم الاسلامية بل على العكس يهدم فيها هذه الروح ويسلبهم الحصانة الاسلامية ، ويجعلهم صنائع للمستعمر ، ودمى يحركها كما يشاء ..

ولكن ماذا يعمل هؤلاء الزعماء ؟ هل يكتفون بالخطب والتحذير من هذه الجامعة ؟

(١) الكلمة مركبة من كلمتين ((على)) ، ((كَرْه)) بالقاف الفارسية التي تشبه نطق اهل القاهرة بالجيم . ومعناها مدينة أو قرية . أو حصن .

واين ـ اذن ـ يتعلم ابناء المسلمين ؟ انهم يريدون التعليم الذى يجمع بين العلـوم الحديثة والعلوم الدينية التى تغرس فيهم روح المحافظة على عقيدتهم ، وتحصنهم ضد التيارات الالحادية والاستعمارية التى أصبحت ((عليكرة)) مهدا لها .

ميــلاد جامعــة

واتجهت الاذهان الى انشاء جامعة اسلامية يتحقق فيها الهدف الكريم الذى ينشدونه فتقوم على تبرعات المسلمين حتى تكون بعيدة عن نفوذ الحكومة ، واتفقوا على ان يعقدوا اجتماعا عاما لهذا الغرض تحت رئاسة الاسير العائد من مالطا محمـود الحسن شيخ الهند ، حتى يكون للاجتماع قوته وآثاره .. وكان الشيخ قد استبد به المرض ونصحه الاطباء بعدم الحركة ، ولكنه حين طلب منه أن يتولى رياسة الاجتماع لم يلق بالا لاوامر طبيبه ورفيق جهاده الدكتور أنصارى وقال له . ((ما دام فيها ضرر للانجليز وسياستهم فاننى لا بد أن أحضر ، ولو كان فى الحضور مخاطرة بحياتى)) .

ولكن اين يكون الاجتماع ؟

هنا يبلغ التحدى مداه ، ويقرر الزعماء أن الاجتماع لا بد ان يكون فى بلـدة ((عليكرة)) مقر الجامعة وقريبا منها .. هناك فى فم الاسد ـ كما يقولون .

وكيف ؟ ألا يكون هذا الاجتماع معرضا لخطر التهجم عليه من أساتذة الجامعة وطلابها ، لا سيما والجامعة تساندها الاجهزة الحكومية الاستعمارية ، والحديث فى هذا الاجتماع سيتركز على الطعن فى الجامعة ، وأنها لم تؤد الغرض منها ، بل انقلبت آيتها وأصبحت وكرا للاستعمار .. الخ ، ويكون ذلك مدعاة لاثارة النفوس تعصبا للجامعة ، وبالتالى لفشل الاجتماع والمجتمعين ؟

ذلك اول ما يعرض على الخاطر ، ويتوقعه المتوقعون ..

ولكن ما حدث كان أمرا عجيبا وجديرا بأن يقف عنده المؤرخ كثيرا ، وينحنى أمام هذه العظمة النفسية ، وهذه القوة العقدية والوطنية التى كان يحمل لواءها هؤلاء الزعماء ، والتى سرى لهيبها فى نفوس الكثيرين ..

نعم . فلقد كان أشد المتحمسين للفكرة بعض أساتذة الجامعة وطلابها ، بعد ما لمسوه فيها من الجو الانجليزى الخانق .. وفى مقدمتهم الدكتور زاكر حسين ..

وفى ١٦ صفر سنة ١٣٣٩ هـ ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٠ م انعقد الاجتماع ، ولـم يستطع شيخ الهند ان يقف ويلقى خطبته ، فألقاها بدلا منه تلميذه مولانا شبير احمد عثمانى . وكانت خطبة طويلة جامعة ، جديرة بأن يقرأها كل مسلم بامعان ، لـيرى فيها التفتح واللهب والمنطق والدين والوطنية . يرى اناسا وهبوا نفوسهم لله والوطن .. ويتعلم ان كان يريد .. ولا أستطيع هنا فى هذه العجالة ان أقدم لك كثيرا من هذه الخطبة ، ولكن يكفينى ان أقدم لك منها هذه الفقرات .

((ان مما لا يناسب قوميتنا العظيمة الشأن ان تكون مدارسها وكلياتها مصانع لتخريج عبيد للغرب والاجانب ، بل الواجب ان نجعلها على غرار كليات بغداد وقرطبة والمدارس الاخرى التى تعلمت فيها أوربا وتخرجت حين كنا أساتذة لهم)) .

* ((ان نجاح المسلمين متوقف على تعلم العلوم الحديثة ، بل انه لا بد ان يكون مفتاح هذه العلوم بأيديهم ، ولكن لا بد ان يكون حرا من أية سيطرة للاجانب ، مطهرا من نجاسة الغرب فى كل ناحية من نواحى العقائد والآراء والاخلاق والتقاليد)) ..

* ((اننى أحمد الله ان وفق شبابنا الى التمييز بين ما ينفعهم وما يضرهم ، بين الغث والثمين ، وعملوا على تأسيس جامعة ملية اسلامية تدرس العلوم الحديثة وبجانبها العلوم الاسلامية التى تحمى الشباب من الزيغ)) .

* ((اننى أقول لكم وأطلب منكم الا تمدوا أيديكم بمساعدة للحكام المستعمرين أعداء الدين والوطن ولا تقووهم بمعاونة ، بل قاطعوهم ، واعملوا ما تستطيعون لاضعاف شأنهم ، وتمسكوا بأحكام دينكم فى اخلاص واستقامة ، والله تعالى يقول لكم (لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) .

* ((أيها الاخوان توكلوا على الله ، واعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا ، واتركوا موالاة أعدائكم ، ولا تتأخروا فى خدمة الاسلام والوطن .. ومن حسن حظنا أن الهندوس بدأوا يوافقوننا فى هذه الحركة ويؤيدوننا ، لانهم يئسوا من الحكومة بعد وقائع البنجاب ، فاغتنموا الفرصة ، واستعينوا بالله ، وهو حسبكم . نعم المولى ونعم النصير)) .

وانتهت الخطبة وانفض الاجتماع .. والحماس بالغ منتهاه .. وكثيرا ما عهدنا مثل هذه الخطبة ، وعهدنا كذلك مثل هذا الحماس ، وشهدنا كذلك كيف ان الكثير منها أو كلها يذهب مع الريح .. ولكن الذى حدث كان أمرا عجبا .

والذى حدثنى به واحد ممن اشتركوا فيه ، وكان مدرسا فى عليكرة فى ذلك الوقت . حدثنى به حينما كنت فى الهند ، وروى لى ما لا يزال يشدنى الى هؤلاء الاماجد .. الى اصحاب النفوس الكبيرة والعزائم الصادقة .

أتدرى ما حدث ؟ وكيف بدءوا انشاء الجامعة الملية الاسلامية ؟

انها قصة شباب ورجال آمنوا بربهم ووطنهم ، فهان أمامهم كل صعب ، وأصبح يسيرا أمامهم كل عسير .

ومن تكن العلياء همة نفسه * فكل الذى يلقاه فيها محبب

قال لي الرجل الاستاذ الذى شارك فى هذا الموقف :

لقد بدأنا الجامعة الملية الاسلامية فى خيام .. وبجانب جامعة عليكره .

واستقلت من جامعة عليكره لادرس فى الجامعة الوليدة تحت ظل الخيام .

واستقال معى كثير من الاساتذة المسلمين المؤمنين بالفكرة .

وترك كثير من الطلاب المسلمين أماكنهم المهيأة فى جامعة عليكره ليواصلوا دراستهم تحت الخيام .

وكنا نتقاضى مرتبات طيبة من جامعة عليكره فتركناها وتطوعنا بالدراسة فى الجامعة الوليدة .. ثم عينت لنا بعد ذلك مرتبات ضئيلة كنا بها أشد فرحا من المرتبات الكبيرة التى كنا نتقاضاها من ((جامعة عليكره)) .

وهكذا أصبحت الفكرة عملا تحوطه القلوب وتقويه العزائم ، ويغذيه الايمان بكل مقومات الحياة ..

ولم تلبث الجامعة ان انتقلت من عليكره الى العاصمة . وفى أول سبتمبر ١٩٥٦ كانت السيارة تسير بي مسرعة الى هذه الجامعة ، وتركنا وراءنا نيودلهى لنرى على قرب منا مبانى قائمة على مساحة واسعة ، ومبانى اخرى كانت فى طريقها الى التمام .. وقال صاحبى هذه هى الجامعة الملية ، وهذا المبنى الجديد يعد لكلية المعلمين ..

وفى رحابها قضيت ساعات ورأيت كيف تستقبل الابناء مسلمين وغيرهم من صغرهم لتسير بهم فى التعليم حتى نهايته ..

ان هذه الجامعة واسمها سيظلان رمزا باقيا لفكرة وعمـل ورجـال مؤمنين مجاهدين كان منهم الدكتور زاكر حسين الذى رعاها فكرة وواقعا ، ووقف وراءها بعد ذلك بجهده ونماها بعلمه وتجاربه وأخلاصه وادارته نحو عشرين عاما .

تحية للرجل المجاهد الذى يحمل معه الى كرسى رئاسة الجمهورية ارفع وسام قدمته الحكومة ، وأنصع صفحات كتبها التاريخ ، وأجمل تقدير يقدمه شعب يعرف قيمة الرجال ..

وتحية للابرار المجاهدين هناك وفى كل مكان من أجل دينهم ووطنهم . من لقى ربه منهم ، ومن لايزال يرفع اللـواء .

عودة الـروح

كادت ذكرى النكبة تمر بما اعتدنا كل عام من كلام وخطب وتصريحات تترك الحسرة واليأس فى النفوس .. لولا الخطوة الجبارة الحازمة التى خطتها المتحدة وسوريا وشقيقاتهما العربيات ، لولا الجيوش التى أخذت أماكنها على الحدود ، لولا الاوامر التى صدرت الى قوة الطوارىء الدولية لترحل عن مواقعها وتخلى الطريق . لولا هذا الاستعداد لخوض المعركة وتأديب الافاكين ..

نعم . ذاك هو منطق القوة الذى طال حنيننا اليه ، تلك هي الغضبة للشرف التى طال انتظارنا لها .. انها الشرارة التى الهبت النفوس ، وأعادت اليها الثقة والـروح ..

ومن الخليج العربي الى المحيط الاطلسي خفقت القلوب ، وغلت الدماء ، وتنادت الارواح :

حي على الفلاح . حى على الجهاد .. على الثأر . على استرداد الكرامة وغسل العـار ..

انها معركة الشرف لكم يا عرب ، معركـة الحياة . معركـة الكيان والوجود فاستعدوا لها ، وخوضوها أعزاء كرماء .. فلا حياة بعد اليوم لمتخاذل جبان ، ولا لمتلاعب خئون .. والله معكم .

مَواقفُ فاصلة ومعَارك حَاسمَة في تاريخ الإسلام

حصار المسلمين

المواقف الفاصلة والمعارك الحاسمة فى تاريخ الاسلام عديدة وكثيرة لا نستطيع بسطها وايضاحها فى هذه العجالة العاجلة التى نقدمها كنموذج للتراث الاسلامي الزاخر بالمعاني الكريمة والمواقف الرائعة والبطولة النادرة

وحسبنا اليوم أن نشير للفرق بين المواقف الفاصلة وبين المعارك الحاسمة فى تاريخ الاسلام ثم نقدم من كل منهما نموذجا له ومثالا عليه .

بين المواقف الفاصلة والمعارك الحاسمة

المواقف الفاصلة نعنى بها المواقف التى فصلت بين امر سابق وامر لاحق ولولاها لطغى السابق ولما أصبح هناك لاحق متميز .

هذه المواقف الفاصلة كثيرة فى تاريخ الاسلام وكان لها الفصل بين ما سبق وما لحق حتى سميت فاصلة . شأنها فى ذلك شأن المعارك الحاسمة فى تاريخ الاسلام مثل بدر وفتح مكة وحروب الردة ومعركة القادسية ...

ولكن فى المواقف الفاصلة توجد مواقف غيرت من تاريخ الدعوة الاسلامية واثرت تأثيرا كبيرا فى هذا التاريخ رغم عدم وجود أرض وميدان للمعركة ورغم انه لا يوجد سلاح استخدم ولا فريقان واجه كل منهما الاخر بالسلاح .

ولم يعن المؤرخون على ما اعتقد بتدوين هذه المواقف يفردونها بمميزاتها وخصائصها ونتائجها وان كان الكثير منهم ان لم يكن كلهم سردوها سردا ضمن التاريخ ومروا عليها سريعا ضمن ما مروا عليه من معلومات .

ولهذا آثرنا نحن أن نفرد هذا النوع من المواقف بالتفصيل والشرح لما لهذه المواقف من تأثير فى التاريخ مثل تأثير المعارك ان لم يزد بكثير .

حصار المسلمين فى شعب ابى طالب

ومن هذه المواقف الفاصلة فى الاسلام موقف الرسول وصحبه المسلمين فى حصارهم من المشركين فى شعب أبى طالب حيث يتجلى الايمان فى روعته والصبر فى صلابته يوم ان حاصرهم المشركون ثلاث سنوات لا يبيعون لهم

للشيخ / عبد الرحمن الصوالحى

فى شِعْب أبى طالب

شيئا ولا يشترون منهم شيئا ولا يمدونهم بمال أو طعام أو شراب .

أسباب الحصار

١ ـ كان ذلك فى السنة السابعة من دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام وقبل هجرته من مكة الى المدينة حينما غاظ المشركين تمسك محمد بدعوته وشدة ايمانه وثقته بالله يوم ان جاءهم أبو طالب يبلغهم اصرار محمد على أن يسير فى دعوة الله حتى تنتصر واصراره على رفض عروض قريش وقولته المشهورة لعمه ابى طالب (والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يميني والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر الى أن يتمه الله أو أهلك دونه ما تركته) .

٢ ـ ثم اعقب ذلك اسلام عمر واسلام حمزة وهم من هم فى صفوف المشركين مركزا وجاها وشبابا وبأسا وقوة .

كانت هذه المواقف مواقف مشرفة فى تاريخ الاسلام . فالرسول يرفض ما عرضته عليه قريش من المال والنساء والزعامة بل هو يرفض أكثر من ذلك . يرفض ما لو وضع فى يد انسان لتَحكَّم فى الدنيا بأسرها يرفض أن يملكوه الشمس التى جعل الله حياة الكون مقرونة بسطوعها وبزوغها يرفض القمر ذا النور الهادى والمنافع الكبيرة .

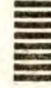
فزع قريش

ثم يجىء بعد ذلك اسلام عمر واسلام حمزة أصغر اعمام الرسول فاعتز الاسلام بهما كل الاعتزاز .

لقد اهتزت قريش لاسلام عمر وحمزة ودخل فى قلوب عبدة الاصنام الخوف خصوصا بعد أن فشل وفدها الذى ارسلت به الى الحبشة يطالب النجاشى بتسليم المسلمين الذين هاجروا اليها .

اهتزت قريش بكل هذه المكاسب التى تحققت لمحمد وازدياد عدد المسلمين فى مكة فى ذلك زيادة ملحوظة لها آثارها واخطارها على قريش .

ففكرت فى طريقة تكبح بها جماح تقدم الاسلام وانطلاقه وترهب من يظاهر الرسول من غير المسلمين كأبى طالب



ومن يتعصبون للنبى لعنصر القرابة ورابطة الدم .

فاتفقت على مقاطعة الرسول ومعه بنو هاشم من غير المسلمين فلا يتزوجون من نسائهم ولا يزوجونهم احدا من نسائهم ولا يبيعون لهم شيئا ولا يشترون منهم شيئا ولا يتعاملون معهم أى نوع من المعاملات .

تعليق الحلف فى جوف الكعبة

وكتبوا الحلف على هذه الصورة فى رقعة وختموها بثلاثة اختام وعلقوها فى جوف الكعبة توكيدا على انفسهم .

أبو لهب يشذ عن بنى هاشم

وفى أول ليلة من السنة السابعة لبعثة الرسول عليه السلام سنة ٦١٦ وتنفيذا لتلك المقاطعة ونتيجة لها تجمع بنو هاشم كلهم ولم يتخلف منهم احد الا أبا لهب الذى طغى على قلبه الحقد على الرسول عليه السلام وغلبت عليه عصبيته للاصنام وكراهيته للاسلام تجمعوا كلهم فى شعب أبى طالب ومعهم الرسول عليه السلام وهو المقصود الوحيد من هذه المقاطعة لتستعد الى نوع جديد من قسوة قريش واسلوب من اساليبها فى التنكيل والتعذيب لم يسبق للفريقين أن حارب أو حورب بمثل هذا النوع الدنىء من الحرب .

ولقد لاقى المسلمون ومعهم اقاربهم من بنى هاشم المشركين لاقوا فى صبر وصمت ما أنزل بهم من قسوة هذه المقاطعة وتحملوها ، منهم الصابر طواعية واختيارا ومنهم الصابر كراهية واجبارا عليها ، تحملوها مدة تقرب من ثلاث سنوات لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم ــ وهذا امر ممكن الاستغناء عنه ــ ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ولا يتعاملون معهم أى نوع من المعاملة ، وهذا هو الأمر القاسى .

قريش تحكم الحصار وتحرسه

ولقد بلغ حصار المسلمين ومعهم المشركون من بنى هاشم بلغ هذا الحصار اشده وجاوز منتهى القسوة حيث كانت قريش مترصدة لكل من يدخل مكة من بنى هاشم أو يترك شعب ابى طالب فكان المسلمون اشبه ما يكونون بالمسجونين المحصورين حصارا شديدا.

رحمة الله بالمسلمين

لم يخفف عنهم آثاره الا الاشهر الحرم الاربعة التى كان العرب يحترمونها ويحرمون فيها قتال بعضهم بعضا ، فكانت هذه الأشهر بمثابة متنفس للمحاصرين كى يخرجوا الى مكة يشترون ويبيعون ما يريدون لغير صناديد قريش وزعمائها . حيث كانت قسوة هؤلاء وعصبيتهم تمنع الواحد منهم عن معاملة المسلمين ولكن على كل حال كانت هذه الأشهر رحمة من الله للمسلمين .

امداد المسلمين سرا

كما كان للمسلمين متنفس آخر فى العقلاء من قريش امثال حكيم بن عدى ابن اخى خديجة بنت خويلد حيث كان يمد المسلمين بالمساعدات هو وغيره سرا .

وطبيعى أن يكون ايصال المساعدات سرا للمسلمين من حكيم وأمثاله يجعلها فى حدود ضيقة مخافة أن تراها قريش او تسمع بها .

الدعوة الى الله

كما كان فى احترام الأشهر الحرم متنفس للدعوة الاسلامية بعد أن كانت متنفسا للمسلمين فى شراء ما يحتاجون .

فكان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يخرج هو والمسلمون فى هذه الأشهر وينشر دعوته ان سرا وان جهرا فى الحدود الضيقة كما كان عليه السلام يخرج الى عكاظ والى قوافل الحج بين مكة ومنى ويدعو للدين القويم .

أبو لهب يعترض الحجاج

ولكن كان هذا المتنفس يعترضه ويسده أبو لهب الحقود المتعصب فكان يتتبع النبى صلى الله عليه وسلم ويتعقب المسلمين عند نشر هذه الدعوة وكذلك كان يفعل غير ابى لهب وان كان ابو لهب اكثرهم نشاطا لانه اكثرهم حقدا وتعصبا للاصنام وكراهية للاسلام .

ولهذا لم يكن يمر به أحد وهو على افواه الطرق وابوابها الا حذره من محمد واصحابه واخذ عليه العهد بألا يستمع الى الاسلام .

لهذا كانت النتيجة غير مشجعة والفائدة محدودة فى دخول الناس فى الاسلام .

فشل الحصار

الا أن ذلك لم يكن يمنع العرب الذين جاءوا الى مكة من معرفتهم بخبر النبى وخبر دعوته ومحاربة قريش له وللمسلمين وما يلاقيه المسلمون من قريش بتعذيبهم ومقاطعتهم .

فكان لهذا نتيجته السيئة على قريش وفائدته العكسية بالنسبة لها حيث كان بعض العرب يعطف على المسلمين ثم يدعوه هذا العطف الى الدخول فى الاسلام أو على الاقل كان يجعله يفكر فى الاسلام .

وأول درجات الايمان هو الشك كما يقول ديكارت الفيلسوف فكان ذلك دافعا لبعض هؤلاء على اعتناق الاسلام ثم دافعا على التبشير به .

وجاءت السنة العاشرة من بعثة الرسول عليه السلام وكان قد بلغ الخمسين من العمر وقريش ما زالت سادرة فى غيها مستمرة فى طغيانها ، والنبى والمسلمون وبنو هاشم محصورون فى شعب ابى طالب صابرون على المقاومة مؤمنون بالله اشد الايمان واثقون كل الثقة بأن الله سينصرهم على أعدائهم .

واعظم شىء يتجلى فى هذه المحنة هى انها جمعت بين قلوب المسلمين ووحدت آراءهم وكتلت جمعهم وجعلتهم يلتفون اكثر حول النبى صلى الله عليه وسلم ويحمونه من أذى المشركين فلم يستطع المشركون أن يتمكنوا منه بأى نوع من الأذى .

فرق الله جمعهم

امتدت حركة المقاطعة الى سنة ٦١٩ أى الى اكثر من سنتين حتى بدأ رجال من قريش من قربى بنى هاشم ينتقدون علنا تعميم المقاطعة على بني هاشم فى حين أن موضع كراهة قريش هو الرسول عليه السلام واتفقوا على نقض حلف المقاطعة ومن هؤلاء هشام بن عمر وزهير بن ابى امية ومطعم بن عدى وابى البخترى بن هشام وزمعة بن الاسود ، وقد يكون الداعى لاحتجاج هؤلاء مجرد العاطفة وقد يكون خوفهم من دخول بنى هاشم كلها فى الاسلام أى أن احتجاجهم كان سياسة منهم .

الأرضة تأكل الحلف

وحوالى ذلك الوقت توصل احد اصدقاء الرسول الى الكشف عن وثيقة حلف المقاطعة فى الكعبة فوجد الارضة (النمل الأبيض) قد اكلت كلماتها فأخبر بذلك النبى وفى رواية ابن هشام انه أوحى اليه عليه السلام بخبر اكل كلمات الوثيقة .

ابو طالب يستغل هذه المعجزة

ولما نمى الخبر الى ابى طالب عزم على الانتفاع بما حدث للوثيقة وعقد النية

البقية على ص ٧٧

السامريون أو

أغرب شعوب العالم وأقلها عددا

لمحة تاريخية

تقيم فى مدينة (نابلس) فى الاردن ، طائفة لا نظير لها فى العالم . تلك هى طائفة السامريين الذين يسميهم مؤرخو الاسلام (السمرة) . وهم فعلا من أقل الطوائف على وجه الارض عددا ، اذ يبلغ مجموع أفرادهم ٣٥٠ شخصا بين ذكور واناث ، وثلث هذا العدد من الاطفال . وقد مر عليهم وقت غير بعيد لم يكن يزيد عددهم فيه عن مئة نفس متفرقين فى قرى مختلفة . وقبل ٣٥٠ سنة لم يكن قد بقى منهم سوى خمسة ذكور وخمس نساء لاغير . فجمعهم الكاهن فى نابلس بعد ان كانوا يعيشون متفرقين فى دمشق وغزة وصرفند ومصر . وفى نابلس انضم هؤلاء الى عائلة من سلالة الكهنة حيث كان لهم كنيس يتعبدون فيه . ومنذ ذلك الحين شكلوا جماعة واحدة أخذت تنمو ببطء الى ان اصبحوا على ما هم عليه اليوم .

كهنة السامريين

يرى السامريون أنهم ورثة اسرائيل جميعا ، وحماة التوراة العاملين بتعاليمها ووصاياها العشر وأن الله قد اختارهم لذلك . وهم البقية الباقية من الاسباط العشرة ، أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام . فقد انفصلوا عن اليهود زمن الملك رحبعام بن سليمان بن داود ، ونصبوا عليهم ملكا يدعى يربعام . ومنذ ذلك العهد وهم على خصومة شديدة مع اليهود ، وقد جرت بين الطرفين حروب ومعارك فى العهد القديم ، حتى كان السامريون يحولون أحيانا بين اتصال اليهود المقيمين فى الجليل واليهود المقيمين فى القدس ، فيضطر أولئك الى السير عن طريق ما وراء نهر الاردن شرقا للاتصال ببعضهم البعض .

وعندما غزا سرجون الثانى ملك آشور هذه البلاد ، تمكن من التغلب على السامريين وفتح عاصمتهم ، وسبى معظمهم الى بابل حوالى ٧٢١ ق . م وجاء من العراق باناس آخرين أسكنهم مكانهم . وبقى السامريون فى بابل يعانون ذل الاسر وهوان المنفى حتى تولى (سوردى) ملك آشور فسمح برجوع قسم كبير منهم مع كهنتهم فسكنوا نابلس (شكيم) وما جاورها من القرى ، واختلطوا بالسكان المستوطنين ونشروا ديانتهم بينهم . ولكنهم ظلوا على عداوتهم لليهود واتخذوا من جبل جرزيم مذبحا ومعبدا يقدسونه ويتجهون اليه ، ويعتبرونه جبل الطور بدلا من القدس

"السمرة" فى الأردن

وأشدها عداوة لليهود

للاستاذ / لطفى ملحس

التى تناسوها وألفوا قدسيتها من توراتهم . وهم بهذا يخالفون التقاليد المتعارف عليها عموما عند أصحاب الديانات السماوية الاخرى من أن الطور هو القدس .

سبب تسميتهم بالسامريين

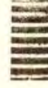
أما تسميتهم (سامريين) فهى تسمية ادارية للتفريق بين مقاطعتهم والمقاطعات الاخرى وكانت (سبسطية) تدعى السامرة ، وقد اتخذها اليونان عاصمة للمقاطعة فسمى سكان المقاطعة (سامريون) وقسر اليونان سكان المقاطعة على قبول هذه التسمية لتسهيل المعاملات والتنقل .

السامريون فى عهد الرومان

وفى فترة تراخى حكم الفرس واليونان تقوى السامريون وحصنوا البلاد التي يقيمون فيها . وعندما دخل الرومان سوريا بقيادة (فسبسيانوس) وجه فرقتين من جيشه الى فلسطين . الأولى بقيادة (تيطس) لتدمير القدس واخضاع اليهود فيها ، والثانية بقيادة (سيرياليس) لاخضاع السامريين وتدمير عاصمتهم (شكيم) — نابلس — وكان ذلك عام ٦٦ ب.م وقد اعتصم السامريون فى جبل جرزيم فحاصرهم الرومان فيه حصارا شديدا حتى كاد الجوع والعطش يفتكان بهم ، ثم قهرهم وقتل أكثر من عشرين ألفا منهم وأسر كثيرين ، والذين نجوا من السيف والأسر ظلوا مشتتين فى الجبال الى أن رحل (فسبسيانوس) الى روما كى يصير أمبراطورا خلفا لنيرون . وقد فرض على السامريين قبل رحيله جزية ضخمة ظلوا يرزحون تحت أعبائها ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة .

على أن الامبراطور فسبسيانوس أمر باعادة بناء مدينة فى الجهة الشرقية من الوادى باسم (فيلاميانيابوليس) ومعنى العبارة . مدينة فيلاميا الجديدة . وسمح لليهود ببناء القسم القديم من المدينة فأطلقوا عليه اسم الياسمينة نسبة لشجرة ياسمين كانت مزروعة فى ساحة الحى . وهذا الحى لا سيما الشامل للكنيسة السامرية وما حولها — هو حى أثرى يجدر بكل من يزور نابلس أن يزوره .

ولقد استعمل الرومان مع السامريين جميع أصناف الشدة ، فدمروا معبدهم على جبل جرزيم ، ومنعوهم من اظهار طقوسهم ، بل منعوهم من الختان . وحتى يومنا هذا ما تزال فى ترتيلة الختان عندهم



جملة تشير الى ذلك العهد . وتفرق السامريون منذ ذلك الحين فى جميع أرجاء العالم ـ كما تفرق اليهود ـ ووجدت لهم آثار فى روما وبلاد اليونان ومصر وسوريا ولبنان ، ولم يبق منهم فى نابلس الا عدد محدود يعيش تحت الضغط والاضطهاد .

السامريون فى عهد المسلمين

وعندما استولى المسلمون على هذه البلاد ، تنفس السامريون الصعداء وعادوا يقيمون طقوسهم بحرية كاملة ، وأخذوا يعودون الى نابلس وقراها ليقيموا بين ربوعها ، وظلوا فى رغد وازدهار الى أن وقعت الحروب الصليبية فأصابهم شيء كثير من أضرارها ، وتشتت شملهم مرة أخرى فلم يبق فى جبل نابلس منهم الا عائلة الكهان التي تسكن فى قرية عورتا (على طريق القدس ـ نابلس) حيث مقام العزير عليه السلام . وظلوا كذلك الى أن قام الكاهن سنة ١٠٣٠ هجرية فلم شملهم فى نابلس حيث ما يزالون يقيمون .

أحوالهم بعد الرجوع

كان أحد رجال السامريين يجيد اللغة التركية والمحاسبة ، فاستخدمه المتسلم (الحاكم) ترجمانا وكاتبا للسراى فى نابلس ، واستمر ذلك فى ذرية السامرى الى آخر عهد الاقطاع ، وكان من ذريته ترجمان السراى فى جنين أيضا . وبهذه الواسطة ظل السامريون على اتصال بحكام جبل نابلس وأمرائه ، فلم يكن أحد يعرض لهم بسوء . وكان تجار نابلس الى عهد قريب يستخدمون بعضهم كتابا فى متاجرهم وكون بعض السامريين ثروات لا بأس بها ، وصار منهم تجار يعتبرون من تجار الدرجة الثانية والثالثة وقد ظلوا كذلك الى عهد قريب حيث فقدوا ثرواتهم فى المداينات للقرويين ، كما حصل للكثيرين من تجار وأثرياء نابلس .

وعندما فرضت دول أوروبا على الدولة العثمانية ادخال النظم الأوروبية ، ومنح بعض المناصب للأقليات ـ قررت تعيين عضو طبيعي من كل طائفة فى مجلس ادارة اللواء ، وهنا كلف السامريون اثبات أنهم طائفة لها كتاب مقدس ، فأرجف المرجفون بأنهم ليسوا أهل كتاب وأنهم يعبدون العجل وراء الستارة ، فتخوفوا ولكن شهد الحاخام بأن كتابهم هو توراة باللغة العبرية القديمة ، وقد ساعدهم الشيخ يوسف أفندى زيد لدى متصرف اللواء ، فاعتبروا طائفة وأصبح منهم عضو طبيعي فى مجلس الادارة والمجلس البلدى. ومما يدعو الى الفخر ويبرهن على العدل والتسامح ، أن هذه الطائفة تمتعت بحريتها وبمكانة محترمة بعد رجوعها وخلال عهد الاقطاع الأخير الذى استمتعت نابلس أثناءه بالاستقلال الذاتي ، وليس أدل على ذلك من أنهم يقضون كل سنة ثلاثة أسابيع على جبل الطور . وكان كهانهم وأذكياؤهم كبنى الشلبى ، يتربعون فى أهم مجالس نابلس ولا يزالون ، حتى أطلق على بعضها اسم مجلس الكهان ، وحدث قبل قرن من الزمن بعض الشغب على السامريين بسبب بيع الخمور ، فسارع أمراء نابلس وشيوخها الى تأديب المشاغبين ، والمحافظة على حقوق السامريين . وطبيعي أن تحوم شكوك العامة حول أناس لا يندمجون بهم ولا يأكلون من مأكلهم ، ويحتفظون لأنفسهم بأزياء خاصة .

معتقدات السامريين

يقسم السامريون الى قسمين رئيسيين : (١) اللاويون وهم الكهنة المتحدرون من سلالة (لاوى) أحد أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام . (٢) العامة

وهم من سلالة (منسى) و (افرايم) أولاد سيدنا يوسف عليه السلام . وهم **يعتبرون أنفسهم موسويين تقوم** عقيدتهم على خمسة أركان :

١ ـ وحدانية الله سبحانه **وتعالى** الحى القيوم القادر على كل شيء وأن **لا اله سواه .**

٢ ـ نبوة المشترع سيدنا موسى عليه السلام .

٣ ـ التوارة (الخمسة أسفار الأولى من العهد القديم) وأنها توراة منزلة .

٤ ـ قداسة جبل جرزيم وأنه باب النعيم والسماء ، وهم يعتبرونه قبلتهم .

٥ ـ يوم الدينونة والبعث ، وهو يوم الحساب والعقاب، وأنه آت لا ريب فيه.

هذا بالاضافة الى محافظتهم على يوم السبت من كل أسبوع عطلة . عن كل عمل دنيوى،ينقطعون فيه للصلاة وقراءة التوراة ، ولا يخرجون من بيوتهم من الغروب الى الغروب .

أعيادهم

أعياد السامريين المنصوص عليها فى التوراة هي :

١ ، ٢ ـ عيد الفطر ، وقربان الفصح ، وهما من أكبر الأعياد ، ويجب الاحتفال بهما على قمة جبل جرزيم ، حيث يجتمعون هناك مدة سبعة ايام ، وهذه هي مدة العيد فقط ، ويتناولون خلالها الفطير (الخبز العويص غير المختمر) وفى ليلة اليوم الأول من العيد ينحرون سبعة أكباش ، وبعد تنظيفها باطنا وظاهرا ، يملحونها ويربطونها وقوفا بأعمدة ويدلونها فى حفرة مملوءة بالجمر . وبعد وقت معين يستخرجونها ويوزعونها على الطائفة جميعا ، وهذا العيد يقع عادة فى شهر نيسان . ويشهد هذا الاحتفال أناس كثيرون من مختلف المذاهب والجنسيات على رأسهم الحكام الاداريون للمنطقة .

٣ ـ عيد الحصاد (الخماسين) وهو نهاية الخمسين يوما بعد عيد الفطر . ويعطلون فيه عن أعمالهم الدنيوية ، ويقدمون صلوات الشكر على بركة غلات العام .

٤ ـ عيد رأس السنة . وهو تذكار لبدء السنة العبرية .

٥ ـ عيد التكفير عن الذنوب (الصوم) حيث يصومون فيه مدة أربع وعشرين ساعة أو أكثر صغارا وكبارا ، نساء ورجالا ، شيبا وشبانا وأطفالا . يصلون فيه طوال المدة المذكورة ، ولا يكاد ينقطع أحدهم عن الصلاة الا لقضاء حاجة ضرورية كالوضوء أو ما شابه، ولا يجوز مطلقا أن يتناول فيه أحدهم ـ حتى الأطفال الرضع أى طعام أو شراب .

٦ ـ عيد المظال (العرش) وهو تذكار خروج بنى اسرائيل من مصر . ويستمر هذا العيد سبعة أيام .

٧ ـ اليوم الثامن بعد الأيام السبعة المار ذكرها (ختام الأعياد) وهو يوم عظيم عندهم يقدمون فيه النذور والأعشار .

طقوسهم وعاداتهم

للسامريين طقوس وعادات خاصة بهم ، منها أنهم يختنون كل ذكر فى اليوم الثامن من عمره ، وهم يقدسون (العزير) ، ويعتبرون داود وسليمان ملكين لا رسولين،وعندهم زكاة منصوص عليها فى التوراة ، وعندهم صلاة مرتان فى اليوم . عند الفجر وعند الغروب ، وهى بركوع وسجود وقيام يسبقها وضوء خاص ينقص عن وضوء الاسلام بأنهم يغسلون الأيدى دون الأذرع ولا يمسحون رؤوسهم ، ويسبق الوضوء أستنجاء اى طهارة . وفى صلاتهم يتلون الأدعية والشكر والمدح لله ويلبسون أثناءها لباسا أبيض ناصعا ، وهم يغتسلون من الجنابة ، ولا يجوز عندهم تأجيلها قطعيا حتى لو كان ولد المرأة يبكى فلا يجوز لها ارضاعه ما لم تغتسل، ويكون بصب الماء . أما الحائض والنفساء فلا بد لها من الغطس فى مغطس عند



الغروب . وفى مدة الحيض والنفاس تحفظ المرأة فى زاوية من البيت ، وتخصص لها أواني خاصة ، ولا تمس شيئا فى المنزل ، الى أن تطهر . واذا توفي شخص منهم غسلوه وكفنوه وألبسوه أنظف ثيابه ، ويستأجرون من يقوم بهذا ، وان لم يجدوا قاموا هم بذلك ، ولهم قاعدة فى المأكل فلا يجمعون بين روحين أى لا يجمعون بين اللحم وسمن الحيوان عملا بآية التوراة القائلة (ولا تطبخ جديا بلبن أمه) ولهذا السبب يمتنعون عن أكل طعام غيرهم من الشعوب وقد قيدوا أكلهم اللحم بالمجتر ذى الظلف المشقوق ، ولذا فانهم لا يأكلون لحم الجمل لأنه غير مشقوق الظلف ، ولا الخنزير لأنه لا يجتر .

ويقوم بطقوسهم الدينية ثلاث كهان . للصلاة والمناكحات والذبح والختان . والكهان هم من سبط لاوى . ويمتازون بشعور رؤوسهم المضفورة بشكل خاص تحت العمائم الحمراء ، وبلحاهم الطويلة التي يطلقونها منذ الصغر . ويشترط فى الكاهن السلامة من العيوب الجسمانية وأن يحفظ التوراة ويدرسها ، وأن يتفقه فى الدين والحساب الفلكى . وعلى الكهان حراسة التوراة الخاصة بالكنيس . وهى أقدم نسخة خطية على وجه البسيطة لأى كتاب ، وتتألف من الخمسة أسفار الأولى فقط . ويرجع عهد كتابتها الى ما قبل ثلاثة آلاف وستمئة سنة . وهي بخط أبى شوع بن فنحاس بن العزيز بن هارون شقيق موسى عليه السلام . وقد كتبت على قمة جبل جرزيم لثلاث عشرة سنة بعد موت سيدنا موسى ، وهي النسخة الوحيدة الباقية من أصل ثلاث عشرة نسخة طبق الاصل ، اذ أن النسخ الأخرى فقدت عندما انفصل السامريون عن اليهود . ولديهم عدة نسخ قديمة أخرى كتب بعضها على جلد غنم (رق) وهي محفوظة فى قالب فضي داخل خزانة من الحديد . ولكنيستهم ثلاثة مفاتيح بيد كل كاهن مفتاح ، والكنيس مفروش بحصير وبسط على الأرض ، وليس فيه شيء من الزخرف والزينة وفى جهة القبلة (أى الشرق) ستار وراءه التوراة على كرسي ، ويقيمون الصلاة على الأرض وليس على المقاعد . وكان كنيسهم فى الحى القديم المنسوب اليهم ، ثم تداعى بعد زلزال ١٩٢٧ فباعوه وابتنوا غيره فى حيهم الجديد المعروف بالغروز .

وكتب السامرين قليلة ، جلها قديم من حيث التأليف ومعظمها دينية . وهى لا تزيد على خمسة وعشرين كتابا . وأهمها كتاب (شرح التوراة) أو (الميمر) تأليف حبرهم الأعظم وشاعرهم الكبير (مارقة) ثم كتاب (شرح الفاتحة) وكتاب (التوطئة) ويبحث فى قواعد اللغة العبرية . وكتاب (الأساطير) و (الطباخ) و (الفتاوى) و (الميراث) .

عادات السامريين فى الزواج

تشبه عادات الاحتفالات بالزواج عند السامريين العادات الاسلامية من بعض الوجوه . وعندهم عادة المهر المتقدم والمتأخر ، ولكن مقدار المهر يكون رمزيا فى معظم الحالات . ويجرى الاتفاق على الشروط بين والد العروس والعريس نفسه ، فى حفل خاص ، ثم يعين يوم الاحتفال بعقد القران .

وفى يوم القران تسأل البنت التي تكون بالغة أمام شاهدين عمن تشاء أن توكل فى زواجها . وبعدها يحضرون الشهود ويقسمون اليمين أمام الكاهن المسؤول بأنها قبلت أن تتزوج الشخص المعين . وأنها وكلت أباها أو عمها أو أخاها أو أقرب الناس اليها . وأما البنت غير البالغ فليس لأحد أن يسألها سوى أبيها الذى له الحق فى تزويجها الى من يشاء .

ويحرم على السامرى أن يتزوج بامرأة العم وامرأة الأخ ، وأخت الزوجة ، والربيبة ، وبنت الزنا والمستحل أى المطلقة المكشوفة على غير زوجها الذى طلقها . وما عدا ذلك فالسامريون كالمسلمين تماما .

ويحق للسامرى أن يطلق زوجته اذا كانت عاقرا أو عاهرا أو ذات مرض معد . كما يحق للسامرى أن يتزوج من غير دينه شرط أن تعتنق الفتاة المذهب السامرى قبل زواجها .

بئر يعقوب

يقع هذا البئر التاريخي فى أطراف مدينة نابلس فى وسط السهل الذى يفصل جبل عيبال عن جرزيم . والمعروف أن سيدنا يعقوب هو الذى حفره عندما جاء الى شكيم ، وعمقه خمسة وسبعون قدما . وعند هذا البئر التقى السيد المسيح بالمرأة السامرية . وكان قد غادر القدس الى الجليل عن طريق السامرة ، واذ كان متعبا فقد جلس الى جانب البئر ، وعندئذ جاءت امرأة سامرية لتستقى ، فطلب منها أن تعطيه ماء ليشرب ، فقالت له . كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية ؟ لأن اليهود لا يعاملون السامريين ، ولهذا يدعى هذا البئر بـ (بئر السامرية) .

وقد بنت الملكة هيلانة كنيسة كبيرة فخمة (٤٣ مترا عرضا و ٢٥ مترا طولا) فوق هذا البئر فى القرن الرابع للميلاد ، وزاد الملك جوستنيان فى زخارف هذه الكنيسة التي كانت محل اعتبار العرب فلم يتعرضوا لها ، كما لم يتعرض الفرس لها عام ٦١٤ ب.م وبقيت على حالتها حتى هدمت عام ١٠٠٩ فى عهد الفاطميين .

أعاد الصليبيون تعمير الكنيسة عام ١١٥٤ ثم هدمت عام ١١٨٧ بعد أن خرجوا من البلاد . وفى عام ١٥٥٥ أخذت الكنيسة الأرثوذكسية أمرا من السلطان العثماني بحراسة هذا المكان ، ثم بنيت كنيسة على آثار الكنيسة القديمة قبل عهد غير بعيد .

أحوالهم الاجتماعية

يتكلم السامريون العبرية والعربية ، وليس لهم مدرسة خاصة بهم الا أنهم يستطيعون الانضمام الى مدارس الحكومة ، وهو ما يحدث فى الوقت الحالي ، وكانوا يجنبون أولادهم دخول المدارس الحديثة الى عهد قريب، ولذلك تجد أن عدد المتعلمين بينهم قليل . يعمل بعضهم فى مهن مختلفة كالتجارة والدهان والتجارة البسيطة ، كما يوجد بينهم عدد قليل من الموظفين وبعض الكتبة الذين يتقنون فن المحاسبة ، وليست لهم أية أملاك سوى دور السكن، وهي تقع حول كنيسهم فى الجانب الغربي من نابلس . تبدو بيوتهم نظيفة مرتبة ، ونساؤهم محجبات مثال الطهر والعفاف لم يسمع عنهن ما يشين قط ، وهم بهذا أشرف من اليهود ، ويعود الفضل فى هذا الى الوسط الاجتماعي الذى يحيط بهم ويساعدهم عليه. والسامريون متشبثون بشخصيتهم الى حد مدهش وهم لا يتحولون عن عاداتهم وتقاليدهم وأحوالهم . ورغم ذلك فان لهم صلات بجيرانهم المسلمين فيحضرون مجتمعاتهم ويشاركونهم الزيارات فى الأفراح والمآتم والحوادث ، وقد استطاعوا رغم قلتهم وفقرهم أن يحتلوا مكانا بين وجهاء وتجار نابلس . وهم يستفيدون كثيرا من الموسم السياحي الى حد ما . وقد أصبحوا اليوم أكثر تجانسا واقبالا على شؤون الحياة ، وهم يشبهون جيرانهم الى حد كبير فى الكلام واللهجة والملبس وطرق الطبخ وتأثيث البيوت .

وسبب قلة عددهم أنهم لا يتزاوجون مع الشعوب الأخرى ، وأن عدد الذكور فيهم يزيد عن عدد الاناث ، ولكن فى المدة الأخيرة أخذ عددهم ينمو بسبب ازدياد عدد النساء بينهم .

هؤلاء هم السامريون ، الشعب الذى يعيش فى الأردن ، والذى يستمتع بكل ما كفل الدستور لجميع المواطنين من حرية وحقوق وواجبات .

فضل الاسلام على أوروبا

في حرية الرأى والعقيدة

للاستاذ الغزالى حرب

١ ــ كانت الكهانة فى أوربا باسم الدين لا تطيق سماع كلمة فلسفة فضلا عن أن تأذن فى حرية البحث الفلسفى ، ولا تعتبر الفلاسفة ولا سيما أرسطو الا الد اعدائها، حتى مارتن لوثر الرائد البروتستنتى الحر كان يعادى ارسطو ويلقبه بالحمار. بينما جاءت المدنية الاسلامية داعية الى احترام العقل الذى ذكره القرآن الكريم تسعا واربعين مرة ، ولا معنى لاحترام العقل الا بالنظر الفلسفي الحر ، داخل النفس وخارج النفس ، فى حدود الطبيعة وفيما وراء الطبيعة ــ كما صنع ارسطو الذى لقب بالمعلم الاول لا بالحمار ولقب الفارابى بالمعلم الثانى ، واتاحت لابن رشد أن يوفق بين فلسفة ارسطو وبين الاسلام والمسيحية توفيقا فصله فى شروحه الفلسفية التى ترجمت الى اللاتينية وكانت تدرس بعناية فى جامعات ايطاليا وأسبانيا وفرنسا وغيرها .. كما كانت دراسات الفيلسوف ابن سينا فى الطبيعة والميتافيزيقيا مادة اساسية فى جامعة السوربون الى عهد ليس ببعيد .

٢ ــ وكانت الكهانة فى أوربا باسم الدين لا تنظر بارتياح الى التماس الدليل عن طريق التجربة العلمية ، لان ذلك يتنافى ومبدأ الايمان الأعمى والتسليم المطلق ، الذى تريد الناس جميعا عليه ، حتى لا يفلتوا من قبضتها الملوثة بالدماء والدموع بينما جاءت المدنية الاسلامية بالدعوة الى جعل التجربة والمشاهدة والاستقراء التام أساسا للمباحث العلمية ، وذلك ما يعرف بالاسلوب العلمى التجريبى الذى رفع لواءه فرنسيس بيكون فى القرن السابع عشر .. وسبقه اليه من عباقرة المدنية الاسلامية اثنان : أولهما الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥هـ الذى عاب على ارسطو فى كتابه (الحيوان) انه لا يعتمد على التجربة والمشاهدة والامتحان ، وثانيهما الحسن بن الهيثم الذى جاء بعد الجاحظ بمائة سنة تقريبا ، وهو رائد علم الضوء فى القرن الرابع الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وقد دعا الى الأسلوب العلمى التجريبى فقال فى كتابه (المناظر) :

(نبتدىء فى البحث باستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص

البصر فى حال الابصار ، وما لا يتغير بظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس ، ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والترتيب مع انتقاد المقدمات ، والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقرئه ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننقده طلبا للحق لا الميل مع الآراء) .

وفى موضع آخر من كتابه يقول (ونصل بالتدرج والتلطف الى الغاية التي عندها يقع اليقين ، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف ، وينحسم بها مواد الشبهات) .

٣ ـ وكانت الكهانة فى أوربا باسم الدين لا تقر البحث فى النفس بحثا علميا فلسفيا ، ولا ترى مثل هذا البحث الا سفسطة ، لا طائل من ورائها ، ثم جاءت المدنية الاسلامية داعية الى حرية البحث الفلسفى فى النفس وقواها ومداركها وكل ما له صلة بها ، وفى ظل هذه الحرية نمت البذرة الأولى التى بذرها ابن سينا فى حقل (علم النفس) ، وسبق علماء أوربا الحديثة بعدة قرون الى تقرير نظريات نفسية علمية ، ومن ذلك ما قرره مثلا من اختلاف الاشخاص فى قوة التخيل المستعيد ، وفى المقدرة على (١) استعادة أنواع معينة من الصور ، وذلك ما انتهى اليه فى العصر الأوربى الحديث العالمان الجليلان : جالتون وشاركتون .

٤ ـ وكانت الكهانة فى أوربا لا ترى الحيوانات والنباتات شيئا يستحق الدراسة والبحث ، حتى لا يشتغل الناس بمثل هذه البحوث (التافهة) عن تقديم فروض الطاعة والولاء للكهانة .. بينما جاءت المدنية الاسلامية بالدعوة الى البحث العلمى فى الحيوانات والنباتات وكان لابى عثمان الجاحظ فضل السبق الى كثير من الآراء فى علم الحيوان ، ومنها الرأى القائل بان للحيوان ذكاء يدنو من ذكاء الانسان بل قد يساويه ، وذلك ما قرره بعد ذلك بمئات السنين العلامة « أندره ميزون » بعد أن صحبها فى الغابات زمنا ليس بالقصير . وخرج من الغابات بدراسات علمية لها قيمتها .. كما كان لابن البيطار المتوفى عام ١٢٤٨ والعالم النباتى المشهور فضل السبق الى وصف مائتين من أنواع النباتات لم يسبقه أحد الى وصفها ، وذلك فى كتابه « الأدوية المفردة » .

٥ ـ وكانت الكهانة لا تأذن لغير الكهنة فى الحرية التامة فى مزاولة الطب ، وما كان الطب عندهم الا أوهاما وخرافات . لها صلتها الوثيقة بالجن والشياطين والرقى والتعاويذ .. فلما زحفت المدنية الاسلامية الى أوربا ابعدت الكهنة عن الطب ، واعتبرت الطب علما لا خرافة ، وحقائق لا أوهاما وداء ودواء ، لامسا من الجن ، ولا صدعا من الشياطين ، ولا انتقاما من الله ، ورأت أوربا فى ظلال المدنية الاسلامية خلقا جديدا من الأطباء جعلها تردد مع التاريخ فى أعجاب واجلال **(كان الطب معدوما فأحياه جالينوس وكان متفرقا فجمعه الرازى ، وكان ناقصا فكمله ابن سينا (٢))** كما رأت للمرة الاولى فى تاريخها مدرسة علمية للطب فى (سالرن) من بلاد ايطاليا ، وسمعت كلمات طبية عربية ما تزال محتفظة بعروبتها حتى اليوم فى اللغات الأجنبية مثل السودا والشراب والقلى والكحول والاكسير .. ويلاحظ أن هذه الكلمة الاخيرة لا تكتب فى اللغات الاوربية على اختلافها الا معرفة بالالف واللام ـ وهى أداة التعريف فى اللغة العربية ـ على حين انها فى الاصل ليست الا كلمة يونانية معناها : يابس أو جاف وهى كلمة (اكسيروس) XeROS .

---

(١) انظر القانون لابن سينا ج ٣ ص ٢٨٤

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ج ٢ ص ٢١٦

فضل الاسلام على اوروبا



ورأت أوربا وسمعت للمرة الاولى أبا بكر الرازى أول من فرق بين الحصبة والجدرى ، وابن سينا أول من كشف الستار عن عدوى السل ، وأول من زاول العلاج النفسى مستعينا بالايحاء ، قبل أن يستعين به جوان فيف عام ١٥٢٥ م معلنا أن هنالك أسبابا غير عضوية تسبب بعض الامراض العصبية أو النفسية التى لا تعالج بما تعالج به الامراض الجسمية .

ورأت أوربا وسمعت كتاب ابن سينا (قانون الطب) مرجعا علميا لاطبائها حتى أوائل القرن الثامن عشر ، واساسا لبرامج الدراسات الطبية فى أسبانيا وفرنسا وايطاليا حتى النصف الاول من القرن الثامن عشر ... ورأت أوربا وسمعت طبيبا عربيا مسلما آخر هو ابن الخطيب المتوفى عام ١٣٥٠ م والذى كان أول من كشف عن السر الحقيقى لانتشار وباء الطاعون فى أوروبا خلال القرن الرابع عشر .. ولم يكن هذا السر الذى اكتشفه ابن الخطيب للمرة الاولى فى التاريخ الا عدوى الطاعون .. كمارأت اوربا وسمعت الطبيب الجراح الاول فى العصور الوسطى وهو أبو القاسم الزهراوى القرطبى (١) المتوفى عام ١٠١٣ فترجمت كتابه فى الجراحة الى اللغة اللاتينية واعتمدت عليه فى تدريس الجراحة بجامعاتها ــ ومنها جامعة اكسفورد ــ حتى عام ١٧٧٨ م .

٦ ــ وكانت الكهانة ــ فى أوربا باسم الدين ــ لا تأذن لاحد فى النظر الى السماء ونجومها الا على سبيل الدعاء والاستغفار والصلاة ، فجاءت المدنية الاسلامية وأنشأت أول مرصد فلكى فى أوربا باشبيلية تحت اشراف جابر بن حيان عام ١١٩٦ م . ولما جاء محمد بن موسى الخوارزمى ابتكر ما يعرف باسم « الزيج الفلكى العربى » وهو أساس ما عرفته أوربا بعد ذلك باسم « الزيج الفلكى الفرنسى » وفى اللغات الاوربية حتى اليوم كثير من أسماء النجوم محتفظة بالفاظها العربية مثل عقرب ــ جدى ــ ذنب .. ولاحمد الفرغانى الفلكى العظيم كتاب فى الفلك ترجمته أوربا الى اللاتينية ، وكانت تعتبره أهم المراجع الفلكية فى العصور الوسطى ..

٧ ــ وكانت الكهانة فى أوربا باسم الدين تحجر على العقول ، ولا تعترف بما عرف بعد ذلك باسم الرياضيات مكتفية بالرياضة الروحية الكهنوتية التي تستبقى بها اخلاص الناس لها وحفاوتهم بها .. فجاءت المدنية الاسلامية بالرياضة العقلية ، رياضة الحساب والجبر والهندسة وأول من صنف كتابا فى الرياضيات هو محمد بن موسى الخوارزمى وسماه « الجبر » وترجمته أوربا الى لغتها فى اواخر القرن الثامن عشر ، وما يزال الاوربيون حتى اليوم ينطقون باسم هذا العلم بلفظه العربى الجميل « الجبرا » وظل كتاب الخوارزمى هذا هو المرجع الرياضى الوحيد لاوربا وجامعاتها حتى عصر النهضة .

ومن أساتذة الاوربيين فى الرياضة ايضا « ثابت بن قره » الذى أضاف الى بحوثه فى نظرية الارقام أبحاثا جليلة أخرى فى الطب والفلسفة ، وأضاف الى الارقام

---

(١) نشرنا ترجمات وافية عن أبي بكر الرازى وابن سينا والزهراوي للدكتور محمد ابو شوك رئيس الوحدة الباطنية بالمستشفى الاميرى بالكويت وذلك فى الاعداد ٨، ١١، ١٧ .

الهندية التى أخذها عن الهنود أرقاما عربية ابتكرها هو منها رقم الصفر وكلمة (الصفر) فى اللغات الاوروبية مأخوذةعن الكلمة العربية ـ كما حقق ذلك العلامة الدكتور فيليب حتى .

ومن أبرع الرياضيين الذين تفخر بهم الدولة الاسلامية ، وتدين لهم أوروبا بالفضل العالم الرياضي المشهور ابن موسى الذى استطاع فى القرن التاسع عشر أن يستبدل الأوتار بالمستقيمات فى علم حساب المثلثات ، وأن يكتشف المعادلات ذات الدرجة الثابتة .

٨ ـ وكانت الكهانة فى أوروبا باسم الدين لا ترى فيما يعرف اليوم باسم « الكيمياء » الا مسلاة أو ملهاة أو عبثا .. فجاءت المدنية الاسلامية « مركزة » الى أوروبا ، والقت الدرس الاول فى الكيمياء بلسان أبى الكيمياء جابر بن حيان ، ثم كشفت لاوروبا عن بعض الاحماض الكيماوية ، مثل حامض الكبريتيك الذى اكتشفه الرازى ، وحامض الازوتيك المعروف بالماء الملكى الذى يذيب الذهب ، وهو مزيج حامض الازوتيك والكلورايدريك ..

ولم يفت المدنية الاسلامية أن تعرف صناعة الثلج التى لم تعرفها أوروبا حتى النصف الاخير من القرن السادس عشر ، كما انها لم تعرف كلمة الكيمياء الا عن العرب ، وما أظرف ابن الرومى اذ يقول مشيدا بقوة الكيمياء :

ان للحظ كيمياء اذا ما
مس كلبا أحاله انسانا

وقد شهد بأستاذية المسلمين والعرب لاوروبا ، ولا سيما فى الكيمياء والصيدلة كثير من الاوروبيين المنصفين أنفسهم ، وحسبنا منهم الآن الاستاذ (هلميارد) القائل : استنبط العرب من المعلومات الاولية التى كان يطلق عليها اسم «الكيمياء» فى مدرسة الاسكندرية علما باصول أبانوا فيها للمرة الاولى العلاقة الصحيحة بين الحقائق التجريبية ، والحقائق النظرية ، فاعترف الناس بفائدة التطبيق العملى لعلم الكيمياء ، وابتدأت أوروبا ابحاثها الكيميائية على أساس سليم من الحقائق والنظريات ، **وكان اتباع النبى العربى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هم أصحاب الفضل على أجدادنا ، فلنبادر الى الاعتراف لهم بالجميل .**

« وفى الكلمات العربية الكيماوية التى تسربت الى اللغات الأوروبية عن العربية كالكحول والاثمد والانبيق والقلى دليل ساطع على ما تدين به أوربا وجامعاتها للمدنية الاسلامية العربية » **التى ازدهرت وتألقت فى وقت كانت أوربا فيه تتخبط فى الظلمات . ولا تكاد ترى الضوء الا من سم الخياط** « على حد تعبير العالم الفرنسى المنصف » (دروى) .

هذه بعض الكفايات العلمية التى احتضنتها الدولة الاسلامية بوجه عام ووسعتها بمساحتها قولا وعملا دون ما نظر الى اديانها وعقائدها ، واتاحت لها من حرية الرأى والعقيدة وحرية البحث العلمى ما لم يتحه اى مجتمع تقدمى آخر لعلمائه وباحثيه حتى اليوم .

فما اعظم أفضال الحضارة الاسلامية على اوربا ونهضة أوربا ، وما اجدرنا نحن وارثى هذه الحضارة الرائدة بالارتفاع الى مستوى مسئوليتنا الكبرى ووراثتنا الخالدة .

فجوابه أننا لما قطعنا فى الحديث القدسى بنزول معناه لورود النص الشرعى على نسبته الى الله بقوله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى كذا سميناه قدسيا لذلك . بخلاف الأحاديث النبوية ، فانها لما لم يرد فيها مثل هذا النص جاز فى كل واحد منها أن يكون مضمونه معلما بالوحى ، وان يكون مستنبطا بالاجتهاد والرأى نسمى الكل نبويا وقوفا بالتسمية عند الحد المقطوع به . ولو كانت لدينا علامة تميز لنا قسم الوحى لسميناه قدسيا كذلك .

قيمة الخلاف العملية بين الحديث القدسى والنبوى

وفى دقة بين الدكتور أن هذا الامتياز لا يؤدى الى نتيجة عملية ، فسواء علينا عند العمل بالحديث أن يكون من هذا القسم أو من ذاك . اذ النبى صلى الله عليه وسلم فى تبليغه صادق مأمون . وفى اجتهاده فطن موفق . وروح القدس يؤيده فلا يقره على خطأ ان أخطأ فى أمر من أمور الشريعة .

فكان مرد الأمر فى الحقيقة الى الوحى فى كلتا الحالتين . اما بالتعليم ابتداء وأما بالاقرار أو النسخ انهاء . ولذلك وجب أن نتلقى كل سنته بالقبول « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

والخلاصة

وفى ضوء هذه الآراء العلمية النيرة وجدنا الفرق جليا بين وحى القرآن الكريم ووحى السنة قدسية ونبوية ، والفرق بين الحديث القدسى والنبوى . فقد اختص القرآن بطريق واحد من طرق الوحى ، وهو الوحى الجلى باللفظ ، ولا كذلك الأحاديث قدسية أو نبوية ، فكما تكون عن طريق جبريل عليه السلام تكون بطرق الوحى الاخرى ، كالالقاء فى الروع والرؤيا الصادقة .

ووجدنا الفرق بين خصائص النظم القرآنى ، فهو المعجز المتحدى به وله أحكامه « لا يمسه الا المطهرون » ولا كذلك السنة . كما فرقوا بين القرآن الكريم والحديث القدسى والنبوى من حيث الاسناد ، فالقرآن قد نقل الينا كله بالتواتر كتابة وحفظا ، جميعه ليس منه ما هو بطريق الآحاد . وبعد كل هذه الفروق التى ذكرت نرى أن الأمر قد حدد منذ النزول فان الله سبحانه وتعالى كان يأمر جبريل بالنزول بالآيات، ولم يترك حتى ترتيبها لجبريل أو النبى عليه السلام ، بل كان ينزل جبريل مزودا مأمورا بأن يبين للنبى عليه السلام بأن ما نزل عليه هو آيات بينات ، وأن يضع آية كذا عند آية كذا من سورة كذا ، وعلى ذلك فلم تختلط آيات القرآن بعضها ببعض ، فلم توضع آية مكان آية أخرى ، فنسقه من عند الله توقيفيا لم يختلط ببعضه فضلا عن أن يختلط بالحديث القدسى ، وقد خصص النبى عليه الصلاة والسلام كتبة للوحى القرآنى يملى عليهم ما أملاه جبريل عليه فى دقة فريدة ، ويرشدهم الى وضع الآيات فى مواضعها ، وبلغت الدقة أنه عليه الصلاة والسلام حرم كتابة القرآن مع غيره ، بل حرم على كتاب الوحى كتابة السنة حتى لا يختلط الامر . وأصبح القرآن بالتواتر الذى لا يقبل الشك معلوما بأنه الان ما بين دفتى المصحف من أول سورة الفاتحة الى آخر سورة الناس وله خصائصه المعلومة .

والأحاديث القدسية معلومة بأسنادها الى الله برواية النبى عليه الصلاة والسلام الذى يميزها عن الأحاديث النبوية ، والأحاديث النبوية معلومة بأسنادها الى النبى مباشرة ، وقد علمنا السمات لكل من وحى القرآن والحديث القدسى والنبوى وبالله التوفيق .

ذكرى المولد النبوي الشريف

للشاعر الكويتي جاسم عبد الرحمن الجاسم
وزارة العدل ـ الكويت

حسب القلوب صبابة وغـــرام … وجوى الفؤاد تحكـم وهيـــام
مال للمتيم لا يفيق فـــؤاده … أبدا يُفند في الهـوى ويـــلام
وهوى الحسان نعيمـه وجحيمـه … عشق الحسان مذلة وسقـــام
يصبو إلى سود العيون تأوهـــا … ويـذيبه من لحظهـن غـــرام
يهفو إلى نور الهداية والتقـــى … وتميلـه الأشـواقُ والأحـــلام
يغفو على ذكر الرسـول وهديـه … وإذا استفـاق ، تمثل الإلهـــام
بأبي رسول الله شرعك بـــين … كالصبـح لا شـــرك ولا أزلام
ما للفلا سفة الذين تقدمـــوا … لولاك لا ذكـر ولا اعظـــام
وإذا تباهى العارفـون بعلمـهـم … أنت الخـبير وكلهـم أقـــزام
أنت الذى ســار الزمـان بنـوره … وانجاب عن دنيا الأنام ظـــلام
وتنفس الصعداءَ كلُّ مقيـــد … وتواصلت في صلبهـا الأرحـام
وأزلت دنيا المشركين ومن غـــدا … يجثو على حجر لديـه يقـــام
وتطهر البيت الحرام ونكســـت … من حـوله الأرجاس والاصنـام
ومشت جنود الله تستبق الخطـــى … لا الوهنُ يثنيها ولا الاحجـــام
فتحوا البلاد وأسسوا بنيانهـــا … بالعدل لا ظلم ولا اســـتخدام
ساسوا الممالك بالنزاهة والهـــدى … والحق نور والكتاب امـــام
حتى إذا قلب الزمـان مجنـــه … وتبدلت عن حالهـــا الأيـــام
نبذوا التعاليم التى علمتهـــا … وجرت بهم في غيها الأعـــوام
فادرك رسولَ الله قومك انهـــم … تاهوا ببيداء الخـلاف وهامـــوا
فعليك من رب العباد صلاتـــه … وإليك منا كل حين ســـلام

مائدة القارئ

اعدها ابو نزار

بائــع الحكمــة

كان رجل على عهد كسرى أنو شروان يقول : من يشترى ثلاث كلمات بألف دينار ؟ فسمع به كسرى ، فأحضـره ، وسأله عنها . فقال ليس فى الناس كلهم خير . قال كسرى : هذا صحيح ، ثم ماذا ؟ فقال : ولا بـد منهم . قـال : صدقت ثم ماذا ؟ قال : فألبسهم على قدر ذلك .

قال كسرى : قـد استوجبت المـال فخذه . فقال : لا حاجة لي به وانمـا أردت أن أدرى مـن يشترى الحكمـة بالمـال .

اعتــذار لطيــف

هجا أبو نواس اسماعيل بن سهل هجاء مقذعا ، ثم أتى اليه بعد ذلك راغبا فى مودته ، فقال له اسماعيل : بأى وجه تأتينى ، وكنت بالأمس تهجـونى ؟

فقال أبو نواس : بالوجـه الذى ألقى به ربى .. فان ذنوبى عنده أكثر من ذنوبى عندك .

فأعجب اسماعيل من حسن جوابه ولطف اعتذاره وعفا عنه .

طاقة نرجـس

جاءت خاطبة رجل ، فقالت له : عندى امرأة كأنهـا طاقـة نرجس ، فتزوجها ، فاذا هي عجوز قبيحـة ، فقال للخاطبة : غششتنى ، فقالت : لا واللـه . انما شبهتها لـك بطاقـة النرجس لأن شعرها أبيض ، ووجهها أصفر ، وساقها خضراء .

فانــون المطبوعــات

هتك بشار ستر الحشمة ، فنقم الناس منه ذلك وتمنوا موته صونا للعذارى وغيرة على الاعراض ، وانتهى به المجون الى أن أمر به الخليفة المهدى ، فضرب بالسياط حتى هلك .

واستهتر « أبو نواس » فى الغزل ، واسترسل فى الفجور حتى حبسه الخليفة الامين ، ولم يكد يخرج من ظلام الحبس ، حتى دخل ظلام الرمس .

وألف « أوفيد » الشاعر الرومانى كتابه « فن الحب » الذى أفسد شباب روما ، فنفاه القيصر أغسطس فى سرماسيا وبقى فى سجنه حتى مات .

ونظم (بودلير) الشاعر الفرنسي ديوانه « أزهار البشر » فثار على جرأته أهل الحفاظ والنخوة وساقوه الى القضاء ، فحكم عليه بغرامة وأعدام ست قصائد من مطولاته .

دعــوة الاســـلام

دعاكم الى خـير الامـور محمـــد ... وليس العـوالى في القنا كالسوافل
حداكم على تعظيم من خـلق الضحى ... وشهب الدجى مـن طالعات وآفـل
وألزمـكم ما ليس يعجـز حمـــله ... أخا الضعف من فـرض له ونوافـل
وحث على تطهير جســم وملبـــس ... وعاقب فى قذف النساء الغوافـــل
وحرم خمرا خلت ألبــاب شربهـــا ... من الطيش ألباب النعام الجوافـل

أبو العـــلاء

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »

(قــرآن كــريم)

جلس ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه ، فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكــرون :

فقال بعضهم : عجبا ان الله عز وجل اتخذ من خلقه ابراهيم خليــلا .

وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى . كلمه ربه تكليما .

وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه

وقال آخر : آدم اصطفاه الله

فخرج عليهم فسلم وقال :

قد سمعت كلامكم وعجبكم : ان ابراهيم خليل الله ، وهو كذلك ، وموسى نجى الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله ، وهو كذلك .

ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع ، وأنا أول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر .

(حديث شريف)

من شمائل الرسول

سيد ضحكه التبسم والمشى الهوينى ونومه الاغفــاء

ما سوى خلقه النسيم ولا غير محياه الروضة الغناء

(البوصيرى)

القبــرة الواعظـة

صاد رجل قبرة فقالت له : ماذا تريد ان تصنع بى ؟ فقال : أذبحك وآكلك . قالت : والله ما أشفى من نهم ، ولا أغنى من جوع ، ولكنى أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى :

أما الاولى فاعلمكها وأنا فى يدك ، والثانية اذا صرت على هذه الشجرة ، والثالثة اذا صرت على الجبل .

فقال : هاتي .

قالت : لا تتحسر على ما فاتك ، فخلى عنها . فلما صارت فوق الشجرة قال : هاتي الثانية : قالت : لا تصدق بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت ، فصارت فوق الجبل ، فقالت : ياشقى لو ذبحتنى لأخرجت من حوصلتى جوهرة زنتها عشرون مثقالا .

فعض الرجل شفتيه وتحسر على اطلاق سراحها ، ثم قال : هاتي الثالثة :

فقالت له : أنت قد نسيت الاثنتين ، فكيف أعلمك الثالثة ؟ .

ألم أقل لك : لا تتحسر على ما فاتك ، فقد تحسرت على ، وقلت لك لا تصدق بما لا يكون أنــه يكون . فصدقت أن فى حوصلتى جوهرة زنتها عشرون مثقالا ، وأنا وعظمى ولحمى وريشي لا يبلــغ بعــض ذلــك !

من علامات الساعة

من علامات الساعة أن يتشجع اليهودى ، فيحمل سلاحا ، ويشهد حربا ، ويحرز نصرا ويقيم دولــة .

ومن علامات الساعة أن يخرج اليهودى من البنك الى الثكنة ، ومن الدكان الى الميدان ، ليحتل أرض فلسطين ، ويثأر للفرنج من صلاح الدين .

رسالة من إفريقيا

توجولاند التي أصبحت توجو

للاستاذ طلعت غنام ـ توجو

لماذا يحرم المسلمون لعب الكرة فى توجو ؟ لماذا كان الذهاب الى دور التعليم من المحرمات ؟ ما هى ثقافة المسلمين فى توجو ؟ كيف يختار المسلمون نوابا عنهم غير مسلمين ؟ .

موقعها

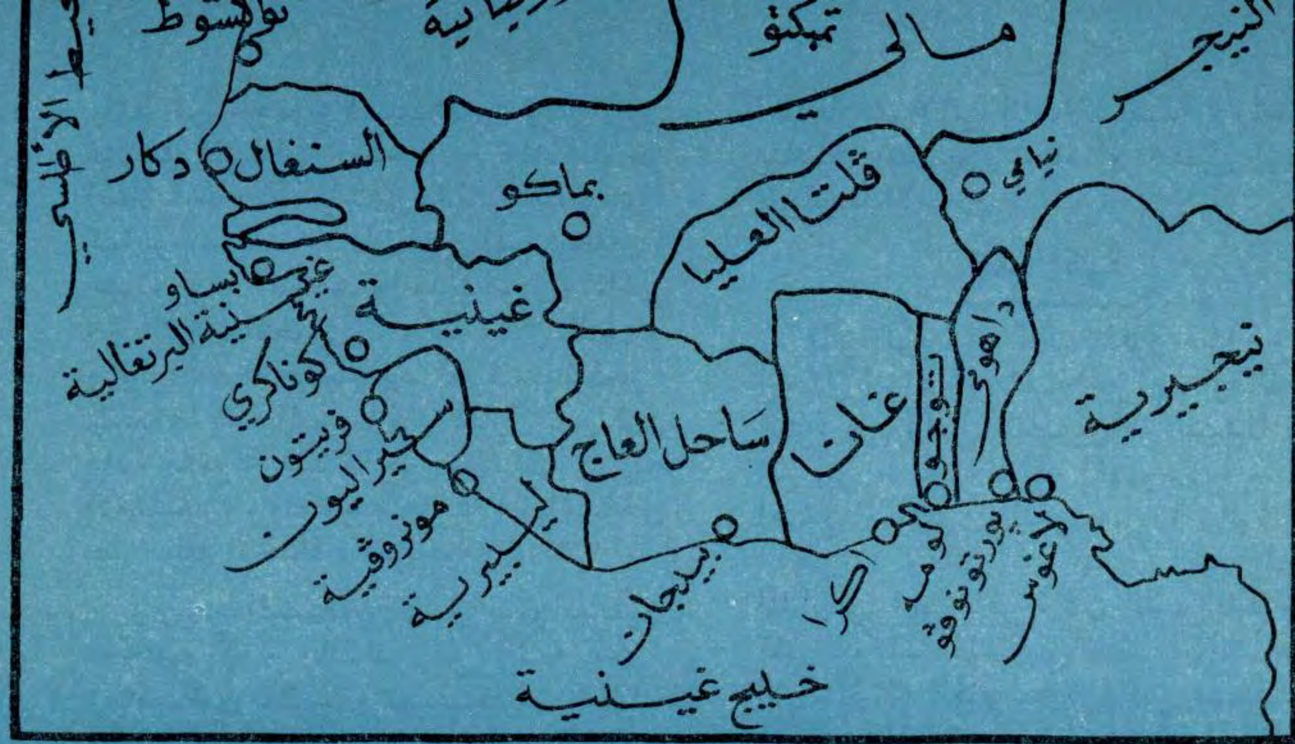
يحسن بنا قبل الحديث عن جمهورية التوجو ، وأحوالها الداخلية ، أن نأخذ فكرة عابرة عن موقع هذه الجمهورية المغمورة . فجمهورية التوجو تقع فى غرب أفريقيا على ساحل المحيط الأطلنطي جنوبا ، مما يجعل مناخها فى غاية الجمال والاعتدال ، الأمر الذى تنفرد به عن سائر الدول المجاورة لها الشديدة الحرارة .

ومما يزيد فى أهمية موقعها توسطها لمجموعة من الدول الأفريقية الأخرى الحديثة الاستقلال . مما يجعل تمركز الدعوة الاسلامية فيها على جانب كبير من الأهمية ، خاصة اذا علمنا أن الحدود هناك مفتوحة بين تلك البلدان ، مما يسهل مهمة الداعى فى التنقل لنشر دعوته ، أو ذهاب طلاب العلم اليه من كل فج ومكان .

فهى تقع بين جمهورية غانا غربا ، وجمهورية الداهومى شرقا ، وجمهورية فولتا العليا شمالا ، ومع ذلك فهى على قرب واتصال دائم مع جمهوريات النيجر ، وساحل العاج ونيجيريا ، حيث المواصلات متوفرة وسهلة لكل شخص . ولهذا نجد التجارة تروج بها لما يفد اليها من البلدان المجاورة سابقة الذكر .

وقد ابتليت هذه الجمهورية بالاستعمار منذ زمن بعيد ، وتداولها فترة بعد فترة فقد كانت التوجو قبل الحرب العالمية الأولى خاضعة للاستعمار الألمانى ، وتعرف بمستعمرة « توجولاند » .

ومعنى توجو فى لغة « الابفية » السائدة



بها : « المستنقع المتصل بالبحر » نظرا لموقعهـا على المحيـط ، ومعنى « لاند » الأرض ، فمعنى أسمها اذن هو « أرض المستنقع » . وظلت تعرف بهذا الاسم حتى انتهـت الحرب العالميـة الأولى ، وانتهى الاحتـلال الألماني ، فاقتسـمها الانجليز والفرنسيون ، ووضعت المنطقة الأولى تحت الحماية الانجليزية ، وتعتبر الجزء الأصغر منها حيث يبلغ سـكانها حوالى نصـف مليون نسـمة تقـريبا ، ومساحتها حوالى ١٣٠٤١ ميلا مربعا ، أما المنطقة الكبرى فقد وضـعت تحت الوصاية الفرنسية ، ويبلغ عدد سكانها حوالى مليون ونصف مليون نسـمة ، وتبلغ مساحتها حوالي خمسة وخمسين ألف ميل مربع .

وهذا القسـم هـو ما يعـرف الآن « بجمهورية التوجو » ومن أشهر المدن المعروفة فيها « لومى » العاصمة ، وتقع على المحيـط الأطلنطى مباشرة ، وتمتاز بجو جميـل معتدل ، ومدينة « بالمية » وهى العاصمة الثانية فى الحيويةالتجارية والعمرانية ثم مدينة « سكودى » ذلك أن بها تركزا كبـيرا من المسـلمين ومدينة « أتكابميه » وبليدا وأنيشو .

وقد حصلت هذه الجمهوريـة على استقلالها من الاسـتعمار الفرنسـي فى السابع والعشرين من ابريل سنة ١٩٦٠م بعد صراع مرير مع الاستعمار دام حوالي ثلاثة عشر عاما ـ ومن عادة الاستعمار ـ التى أصـبحت قاعدة له ـ أنه لا يكاد يحتل بلدا حتى يصبغها بطابعه الفكرى والثقافى .

اللغــة

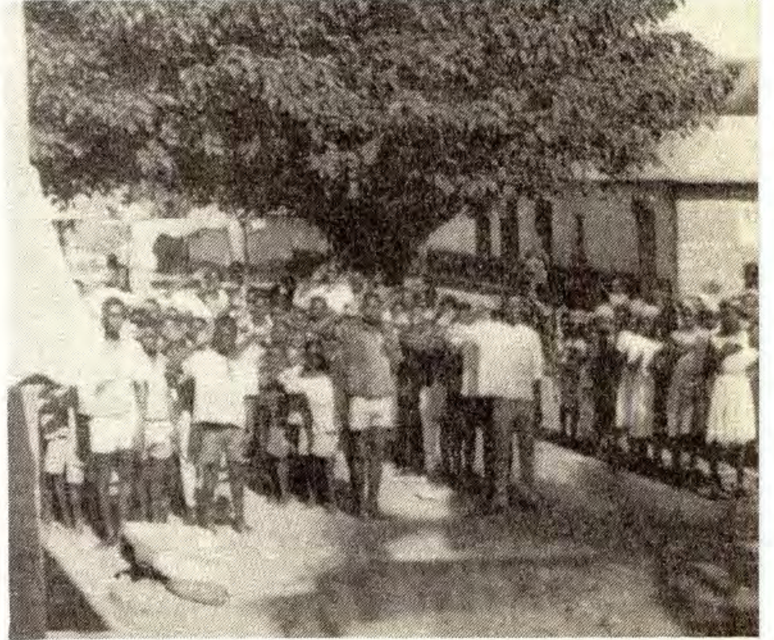
ويبلغ العجب بالمرء أقصاه عندما يرى فى توجو أكثر من سبع وعشرين لغة . هذا عدا اللهجات المختلفـة لكل مدينـة وقبيلة ، ونجد منها حوالى ست لغات أكثر شهرة هي : الايفيه ، وكتوكولى ، وكابرى ، وبسارى ، وموبا فى الشمال ، ثم لغتى الهوسا واليـوريا المنتشرة فى الشمال والجنوب بين المسلمين . وقد جاءتا من نيجـيريا المجاورة للتوجـو ، فليس بينهما الا حدود داهومى ـ وانك لتجد أحيانا أخويـن ، كل واحد منهما يعيش فى مدينة أخرى ـ فاذا تقابلا لم يستطيعا التفاهم بغير مترجم !! ، هكذا أراد لهم الاستعمار ، وهكذا فرض اللغة الفرنسية لغة عامة فى جميع البلاد وأعمال الحكومة ودور التعليم .

حالة المسلمين

يبلغ عدد المسلمين حوالى الثلث أو

٣٠٪ من مجموع السكان ، ويتركزون غالبا فى الشمال حيث هم من أبناء التوجو أصلا ، خاصة فى أشهر مدنهم «سكودى» كما يوجد كثير من المسلمين المستوطنين ، حيث نزح آباؤهم واجدادهم فى الماضى من الدول المجاورة ، وأقاموا فى التوجو وكونوا أحياء خاصة بهم تعرف «بالزنجو» ومعناها بلغة الهوسا : « المنازل » وتكون عادة منعزلة قليلا عن سكان المدينة الأصليين ، وقلما تجد مدينة على الساحل بغير هذه الأحياء « الزنجو » .

وجميع المسلمين فى توجو يدينون بمذهب الامام مالك رضى الله عنه ، ويتمسكون بالاسلام تمسكا شديدا ، ولكن الجهل للأسف يجعلهم يدخلون عادات وأفعالا بعيدة عن الدين القويم ، ذلك أن الاستعمار كان قد فرض عليهم عزلة حتى يبعدهم عن شئون الحياة ويخلو له الطريق . هذا بالاضافة الى جهود المبشرين التابعين له ، الذين ينشرون الاشاعات والعادات التي لا تمت



(تلاميذ وتلميذات معهد الثقافة الاسلامية فى باليه وقد اصطفوا فى طابور الصباح امام المعهد)

أحيانا كثيرة الى الاسلام بصلة ، وأحيانا ينادون بتحريم أشياء أو تحليل أشياء لا يقرها الاسلام .

لعب الكرة

قالوا لهم : ان لعب الكرة حرام ، بل ان كل أنواع الرياضة حرام ، وذلك أن الكرة هى رأس الحسين بن سيدنا علي ابن أبى طالب ، هكذا أفهموهم ، وهكذا اقتنع المسلمون الذين هم ما زالوا على الفطرة ، وقالوا (١) لهم ان من يدخل المدارس فهو كافر : لأن الذين يديرونها كفار ، وكانت المدارس آنذاك تحت سيطرة الارساليات الكاثوليكية والبروتستانت ، فاقتنع المسلمون ، وامتنعوا عن ارسال أبنائهم الى تلك المدارس ، خوفا على دينهم . وبهذا تأخر المسلمون تأخرا ثقافيا وفكريا الى حد بعيد ، وانعزلوا عن الحياة العامة وادارتها ، وأصبحوا شبه مهملين فى تلك البلاد ، ولم تتجاوز نسبة المثقفين ١١/٢ فى المائة من المسلمين .

ولهذا كان النواب المسلمون فى البرلمان لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة ، اذ أن المسلمين يختارون نوابا عنهم من غير المسلمين . بلغ عددهم ثلث أعضاء المجلس الذى يبلغ عدده حوالى ٥١ عضوا .

أما فى مجلس الوزراء فالوزير المسلم الوحيد هو السيد / محمد حسين الذى كان وزيرا للداخلية ، ويشغل الآن وزارة التربية والتعليم ، ويبذل قصارى جهده فى مساعدة المسلمين ، ورفعة شأنهم ، وجلب المساعدات الخارجية لهم ماديا وأدبيا . وكان آخرها زيارته للجمهورية العربية المتحدة واحضار بعثة اسلامية أوفدتها وزارة الأوقاف من خريجى الأزهر ، وتتكون من خمسة أعضاء .

أما الرجل المسلم الثانى فهو الحاج

---

(١) أعتقد أن الذين قالوا لهم ذلك هم المتسلطون عليهم باسم الدين . لا المستعمرون . فان مقاطعة المدارس الاجنبية والدعوة اليها كانت فكرة شائعة لدى المسلمين عندما دخل عليهم الاستعمار عمل لها رجال الدين خوفا من سموم المستعمر التي يبثها فى مدارسه حصل هذا فى الهند وغيرها شرقا كما حصل فى هذه البلاد وما حولها غربا . (الوعى)



مبعوثا الازهر مع رئيس اتحاد المسلمين وحاكم المدينة يوم افتتاح معهد الثقافة الاسلامية فى بالميه

جبريل شفيع نائب رئيس مجلس البرلمان ، وهو رئيس اتحاد المسلمين وآخر محاولاته كانت رحلته الى البلاد العربية (١) لجمع المعونات والمساعدات لبناء المدارس العربية العصرية والمساجد، ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن يوجد حتى مدرسة واحدة للغة العربية على الطريقة العصرية قبل وصول البعثة الأزهرية الى هناك ، اللهم الا بعض الكتاتيب الصغيرة ، لتحفيظ القرآن الكريم .

اللغة العربية

والمسلمون لهم اقبال شديد على تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم ، ويطلبون بالحاح تدريس اللغة العربية فى المدارس الحكومية عندهم ، بعد أن نالت البلاد استقلالها ، وتضمن الدستور حرية الأديان للجميع ، خاصة وأن هناك لغات تدرس اجباريا مثل الانجليزية والأسبانية واللاتينية بدون مبرر .

وبدأ أبناء المسلمين الآن يتوافدون على مدارس الحكومة بعد أن اطمأن المسلمون قليلا على أبنائهم ، وفى المساء يذهب الأبناء الى المدارس العربية الحديثة التي انشأتها البعثة فى كثير من المدن وفى الصباح تستقبل المدارس العربية أبناء المسلمين الذين فاتهم دور التعليم واذا عرفنا الاعداد الهائلة التي تتزاحم على المدارس العربية صباح مساء ، عرفنا مدى شدة الاقبال على تعلم اللغة العربية والدين الاسلامي الحنيف ، حيث لا تقل كل فترة عن استيعاب أكثر من مائتى تلميذ فى كل مدرسة ، يقسمون لعدة فصول ، مما يجعل المهمة شاقة وصعبة .

هذا ولقد كان تأخر المسلمين الثقافى فى أنهم تركزوا فى أعمال الزراعة والتجارة ولهم فيها باع طويل ، كما يزاولون بعض الحرف المحلية الصغيرة ، ويستعملون طرقا بدائية فى ممارستها .

أمل

وللمسلمين آمال عراض فى مساعدة اخوانهم المسلمين العرب مساعدة فعالة ، فهم يريدون منحا دراسية للعلوم الدينية والدنيوية الحديثة ، حتى يمكن لهم مسايرة الآخرين — كما يريدون المزيد من ارسال البعثات الاسلامية والعلمية اليهم لمحو الجهالات الكثيرة التي بثها المبشرون بمساعدة الاستعمار ، ويرجون موافاتهم بالمجلات العربية التي تصدر فى العالم العربى ، وحبذا لو كانت هناك مجلات مترجمة الى لغات أجنبية كالفرنسية والانجليزية السائدة فى تلك البلاد ، ذلك أن الدين الاسلامي فى القارة الافريقيةلا يحتاج الا الىمساعدات طفيفة وهو ينتشر تلقائيا بارادة الله ، ويدخله الآلاف بالرغم من قلة امكانيات دعاته ، ويتفوق على الأديان الأخرى فى جذب الناس اليه ، بالرغم من ضخامةامكانياتهم لانهسهلميسر بعيد عنالتكلف والتعقيد، تستجيب له القلوب والعقول ، وتتجاوب معه مصالح الأفراد والجماعات فى كل تعاليمه .

---

(١) وقد زار « الوعى الاسلامي » ومعه السيد محمدبللى الفوتى أثناء هذه الجولة وذلك منذ شهرين تقريبا .

صَحْوَةُ العَرَبْ

للدكتور / محمد محمد خليفة

أذن الفجر الجديد فصحت أرواح ملايين العرب تلبى نداءه ، وترجع أصداءه ، وانتفضت فنفضت عنها أغلال الماضي ، وخرجت من قيوده المصطنعة الى حاضر تصنعه وتعبد فيه الطريق الى المستقبل الذى ينشده كل مؤمن .

والماضي القريب الذى قضاه العرب فى سجنهم الكبير من المحيط الى الخليج ، وعانوا فيه من سياط سجانيهم ما عانوا ، ولمسوا فيه من ألوان الختل والغدر ما لمسوا ، وفطنوا فيه الى أساليب الاستعمار فى نهب الحريات ، وشاهدوا فيه نشوة أعدائهم حين يسوقونهم الى المذابح ، يجزرونهم فيها ضحية بعد ضحية ، ذلك الماضي هو الذى استصرخ ليستنفر العزمات فألهب صوته نفوس العرب ، ونفث فى أرواحهم ثورة التحرر ، فانطلقوا أعاصير تجتاح الأسوار ، وتدمر أمامها بطش كل جبار .

ولن ينسى ذلك الماضى أبدا لأن فى مرجله فارت الهمم ، وثارت العزائم ، وخرجت منه النفوس الثائرة تنفث فى الحاضر الحرارة التي تولد الحياة .

ولن يضيع صوت الماضي من الاسماع فهو ينذر ويحذر من يشق الطريق من العثرات التي قد تسلمه (لا قدر الله) الى ذل الأبد .

ومن هنا آمن العرب (والعرب الأباة) بضرورة حرصهم على مكاسبهم ، وصيانة حاضرهم الذى حررهم وأطلقهم من السجون ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد العبودية سيادة ، ومن بعد اليأس أملا مشرقا .

وان ذلك الحاضر يستفزهم جميعا الى ميادين العمل قوى متعاونة متواصية بالحق متواصية بالصبر ينير لهم اسلامهم معالم طريقهم ، حتى يقفوا على أبواب (الغد) شامخين فخورين بكفاح الحاضر الجبار ، فلا يلبث ذلك (الغد) أن يحنى الهام حين تطالعه مواكب الزاحفين يحدوهم الايمان الذى ينسيهم ظلمات الأهوال التي اجتازوها . ولقد صحت العزائم العربية بعد فتور طال حتى ظنت بهن الظنون ، ولكنه كان الفتور الذى سبق عصف العزائم ، فانطلقت تحطم كبرياء الاستعمار على كل شبر من أراضيها .

ولن تهدأ ثورة العزائم حتى يجر الاستعمار ذيله من الشرق العربي كله ، ويعود ـ ان بقيت فيه حياة تحمله ـ الى عقر داره يلهث مما عاناه من صراع العرب .

ومع أذان الفجر صحا الوعى العربي الذى جمدته دهرا سياسة الاستعمار ، وحاربت بشتى وسائلها كل الثورات وهي فى المهد ، خيفة اندلاعها وامتدادها فأفسحت للأحزاب فى كل بلد مجالا لتجعل بأس أبنائها بينهم حتى لا يتعداهم الى أعدائهم ، وأشعلت نيران الخلافات السياسية أو المذهبية أو العنصرية بين الدول العربية حتى لا تجتمع كلمتها وتلتئم صفوفها .

وحين صحا وعي العرب الاحرارمحوا من نفوس المستضعفين هيبة الاستعمار ، وخلقوا فى قلب العربي الأعزل ايمانا ، فيه القوة التي تنسف وتدمر كل من استطال أو غره شيطان الغرور .

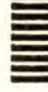
وزحف الوعى العربى من الحواضر الى البوادى يذكى الدم فى العروق ، ويوقظ فى الأرواح القوة التي توهم المتوهمون أنها دفنت مع الأجداد الذين طواهم الزمن .

وان البدوى الذى يعيش فى صحارى أفريقية وآسيا ، والريفي الذى يعيش فى سهولهما لهما وعيهما العميق بكيانهما وبماضيهما وحاضرهما ، وبآمال مستقبلهما ، وهما يرقبان ـ فى يقظة وثبات ـ الشعوب العربية ونهضاتها ، ويتابعان الأحداث السياسية التي تجرى فى دنياهما فلا تنأى بهما دنيا الخيام أو الأكواخ أو الكهوف أو الوديان أو السهول أو النجاد عن صخب التيارات التي تتجاذب العالم ، وعن موقف الشعوب العربية من تلك التيارات .

وحين صحا احساس العرب بكيانهم صحا فى النفوس الكبيرة الاحساس بالمسئوليات ، ووقفت الضمائر موقف الرقباء تحاسب أصحاب النفوس (الانسانية) على كل ما تعمل وما تقدم وما تبذل ، وما أعظم النفوس التي تصيخ الى نداء الايمان وترضى بحساب الضمير ، وتذعن لحكم الله ، وتضع بين يدى أعمالها قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه . (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

فالرئيس والملك والامير والوزير والقائد والمدرس والواعظ والعامل والصانع وكل انسان راع وهو مسئول عن رعيته، وكل مسلم راع لعقيدته وهو مسئول عنها أمام أسرته وشعبه وأمام التاريخ وأمام الله . وليس المسئول عن صيانتها وأمنها، ودعم كيانها ، واقامة سلطانها هم المرابطين على الحدود ، أو الساهرين فى المطارات أو المتحفزين فى الدبابات والمدرعات ، أو المتربصين فى الغواصات ليس هؤلاء وحدهم يسألون ، وانما كل من جرى فى عروقه الدم العربي حيثما كان مسئول عن الأمة ، ولن تنجيه من الحساب المعاذير .

ومع كل هذه الصحوات صحا العقل العربي الذى نام فى زوايا التاريخ منذ قرون ، صحا ليسترد الصدارة التي كانت للعقول العربية فى بغداد وقرطبة ودمشق ومصر ، صحا ليخرج للوجود عقلية خلاقة تبرز فى سباق الأرض والفضاء مؤمنة بوجودها ، واثقة



بجهودها ، ولن يثنيها عن الصدارة يأس، أو ينكص بها عن المضاء قنوط .

ان العرب الذين أقاموا الجامعات ، وشيدوا المدارس ، وأسسوا المكتبات فى قرطبة وأشبيلية وغرناطة وطليطلة وفى بغداد والبصرة والكوفة وفى دمشق وحلب وفى القاهرة والاسكندرية حين كانت أوروبا عدا الأندلس يضرب عليها الجهل أروقته ، أولئك العرب هم أجداد الذين صحت عقولهم بعد أن نفضوا عنها كابوس الاستعمار ، وهم أجداد العرب الذين صحا كل شيء فيهم : شعورهم وعزيمتهم وأرواحهم ، ولن يناموا بعد صحوتهم أبدا ، وكيف ينامون فى عصر لا حياة فيه لغير القوة ، ولا حق الا بالقوة ، ولا منطق الا للسلاح ولا أمل الا بالكفاح .

ان الدم العربي ليصرخ فى عروق كل عربي . لا نوم بعد اليوم ، ولا رقاد فوق رحى الأحداث وان العرب جميعا ليؤمنون بأن الحقوق لا يمنحها مغتصبها، وانما تسترد بالقوة وترخص فى سبيل استردادها الدماء والأرواح .

ولن تستمرىء النفوس الهوان بعد أن ذاقت طعم العزة ، ولن يرن فى أسماع الأباة صليل القيود بعد أن استمتعوا بأناشيد الكرامة والقوة .

ولن تخدعهم حبائل الأعداء بعد أن أفلتوا منها ، وانهم ليصيخون الى نداء الحق حين ينادى . (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) .

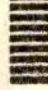
وعما قريب (ان شاء الله) سيملون التاريخ بأنضر صفحات عرفها تاريخ البطولات ، لأنهم آمنوا بالفدائية التي صنعت الأمة الاسلامية الأولى ، وآمنوا بالوحدة التي كانت حصنا وأقامت سلطانا للأمة الاسلامية الأولى .

واذا كانت المرأة العربية فى الماضى البعيد عجزت عن أن تلد مثل خالد بن الوليد الذى مات وفى جسمه أثر لمئة طعنة وضربة من الحروب التي خاضها ، فان المرأة العربية الحاضرة لن تعجز عن أن تلد للعروبة مليون خالد وخالد ، يتحرقون شوقا الى المعارك الطاحنة الدامية التي يستردون فيها أمجادا ويضيفون اليها أمجادا .

وسيؤمن العالم غدا بتلك القوة حين تمضي الى غايتها زاحفة مزمجرة تلبى صيحة الانطلاق ، يحثها ايمانها بالله وبوجودها وجهودها .

وستشهد الدنيا ان شاء الله عما قليل أولئك العرب ، وقد ظفروا بما كانوا يؤملون ، (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

- كلما عظمت الحقيقة عظم نقدها .
- الشعب لا يتخلى عن حريته الا بضرب من الخداع .
- أساس النجاح المثابرة على السير نحو الغرض .
- عندما ينتهي القانون يبدأ الاستبداد .
- **يبقى الأمل ما بقيت الحياة.**
- أكسب قلوب الناس تكسب ما لهم .



على محاولة تفريق المتحالفين على المقاطعة ، وكان ابو طالب ينيف على الثمانين ، لكن لم تمنعه شيخوخته من محاولة تخليص بنى هاشم من ضيقها ، فقام من الشعب على رأس ثلة من الهواشم وسار بهم الى الكعبة وهناك خاطب الحاضرين من رؤساء قريش قائلا « قد وصلنى أن وثيقتكم قد أكلتها الحشرات فاكشفوا عنها حتى اذا تحقق قولى كان عليكم ان تكفوا عن مقاطعتكم وان لم يتحقق فأنى اعدكم بتسليم ابن اخي اليكم تفعلون به ما تريدون » ، فوافقه الحاضرون من رؤساء قريش على اقتراحه وكشفوا عن الوثيقة فوجدوها كما قال ابو طالب قد انمحت كل الكتابة التى كانت عليها . عند ذلك اختلط الامر على رؤساء قريش وتشجع ابو طالب فدخل بمن معه الكعبة وصلى فيها راجيا رب الكعبة ان يخلص اهله من شر قريش وعنادها ثم قفل راجعا الى الشعب .

تشجع الباقون بهذه المعجزة

تقوى بهذه الحادثة هؤلاء الذين كانوا قد عقدوا النية على نقد حلف المقاطعة وتقدمهم زهير بن ابى أمية وخاطب الحاضرين فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم . والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة . فقال ابو لهب : كذبت والله لا تشق . فقال زمعة بن الاسود . أنت أكذب فأنا ما رضينا كتابتها حين كتبت ثم تبعه ابو البخترى وقال صدق زمعة نحن لا نرضى بما قد كان كتب فيها ، ولا نقر به ، وتلاه المطعم بن عدى بقوله صدقتما وكذب من قال غير ذلك . نحن نبرأ الى الله منها ومما قد كان كتب فيها وقال هشام بن عمرو نحو ذلك .

قريش تطأطىء رأسها

فطأطأ أبو لهب رأسه لتلك الهجمة العنيفة ووافقه بقية رؤساء قريش لاعتقادهم ان فى مجىء ابى طالب واخباره بزوال سطور الصحيفة ، واختفائه بعد ذلك فجأة ، وقيام الخمسة الذين تقدم ذكرهم بهجوم اجماعى على شروط الوثيقة دليل على أن هناك حركة قوية عددا وحماسا غرضها كسر المقاطعة رغم أنف قريش ففضلوا أن يوافقوا على حل حلف المقاطعة من أن يرغموا عليه ارغاما .

انتهاء المقاطعة

ثم ذهب الخمسة الذين تقدم ذكرهم فورا الى الدرب المؤدى لشعب ابى طالب وطلبوا الى بنى هاشم ان يرجع كل منهم الى بيته فى انحاء مكة آمنا وساد السلام حينا فى انحاء قريش .

خاتمة

ان حصار المسلمين فى شعب أبى طالب وفشل هذا الحصار رغم دوامه مدة تقرب من الثلاث السنوات لاقى فيها المسلمون الكثير من العذاب والقسوة والشدة ومع ذلك لم يكلوا ولم يملوا ولم يلينوا امام بطش قريش وجبروتها .

ان هذا الحصار والصمود له يعتبر من المواقف الفاصلة فى تاريخ الاسلام وهو مثل الكثير من هذه المواقف نمر عليها مرا ونقرؤها قراءة دون أن نعتبر بفضل الله فيها ورحمته بالمسلمين .

ولهذا آثرنا نحن ابراز هذه المواقف فى تاريخ الاسلام حتى نكون معشر المسلمين على بينة من تاريخنا الزاهر وسيرة رسولنا صلى الله عليه وسلم هو وصحبه ليكون لنا فى ذلك العظة والعبرة .

والله الموفق والمعين

عبد الظ

زخرياس : ان أحدهم يقول انه من عشيرته وأقرب الرجال اليه .
الملك : وهل هم من أتباعه وعلى دينه ؟
زخرياس : بل من خصومه وأعدائه .
الملك : وأين هم ؟ الي بهم اذن .
زخرياس : أمر مولاى . .
(ويخرج ثم يعود) .
زخرياس : ها هم الرجال بين يدى مولاى
الملك : من أى بلاد العرب أنتم
صوت : من مكة أيها الملك
الملك : أفيكم ظهر ذاك الذى يزعم أنه نبي ؟
صوت : نعم أيها الملك ، ولكنه لم يستطع البقاء بين أظهرنا ، وهو يدعو لبدعته الجديدة فولى مع بعض من صدقوه ، ولجأ الى بلد بعيد عنا اسمه يثرب .
الملك : أيكم أقرب نسبا به وأعلم بأمره ؟
صوت : كلنا يعلم عنه ولكني أقربهم اليه نسبا

٢

قصـة العـدد للاستاذ / عزت العزيزى

الملك : فما اسمك اذن ؟

الصوت : أبو سفيان صخر بن حرب

الملك : (موجها الكلام الى زخرياس) ليقترب هذا الرجل من مجلسي وليجلس أصحابه من خلفه بحيث يسمعون ما يقال دون أن يراهم .

الملك : انصتوا الي أيها القوم اني سائل هذا الرجل عن ذلك الذى يزعم أنه نبي فان كذب أو زاد على الحقيقة أو نقص فأخبروني وكذبوه .

أصوات : سمعا وطاعة أيها الملك .

الملك : وأنت يا ابن حرب أصدقني فيما أنا سائلك عنه .

أبو سفيان : أبيت اللعن أيها الملك انا معشر العرب قوم صدق فسل ما بدا لك .

الملك : قل لي كيف نسبه فيكم .

أبو سفيان : انه فينا ذو نسب لا ينكر .

الملك : فهل قال مثل مقالته أحد منكم قبله .

أبو سفيان : لا واللات والعزى ما جاء أحد من قومه بمثل ما جاء به .

الملك : هل كان أحد من آبائه وأجداده ملكا ؟

أبو سفيان : ما كان فى بلده ملك قط لا من آبائه ولا من سواهم .

الملك : أخبرني من هم الذين اتبعوه وصدقوه ، أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟

أبو سفيان : بل ضعاف الناس وفقراؤهم وبعض الفتية ممن لم تعركهم الايام أو يجربوا الحياة .

الملك : أيزيدون أم ينقصون ؟

أبو سفيان : بل هم يزيدون .

الملك : فهل يرتد أحد منهم عن دينه ساخطا عليه بعد أن يدخل فيه ؟ .

أبو سفيان : لم يفعل ذلك بعد أحد منهم

الملك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

أبو سفيان : لم نعرف عليه قبل الذى جاء به كذبا .

الملك : فهل يغدر أو يخون العهد اذا عاهد ؟

أبو سفيان : لم يفعل بعد . الا أننا الآن معه فى عهد الى أجل معلوم ولا ندرى ان كان سيفي بعهده وميثاقه أم أنة يغدر وينكث ؟

الملك : أو قاتلتموه ودخلتم معه فى حرب ؟

أبو سفيان : لقد كان بيننا حرب وقتال .

الملك : فكيف كان قتالكم اياه ؟

أبو سفيان : الحرب بيننا سجال ينال منا وننال منه .

الملك : وما الذى يأمركم به ؟ .

أبو سفيان : انه يأمرنا أن نترك كل ما كان يعبد آباؤنا ونعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا .

الملك : وبم يأمر غير هذا ؟

أبو سفيان : انه يأمر بالصلاة والصدق وصلة الارحام وينهي عن القتل والسرقة والزنى وشرب الخمر .

الملك : (موجها الحديث للرجال الآخرين)

ماذا تقولون بما أجاب به صاحبكم ؟

أصوات : انه لم يتعد الحقيقة فما زاد ولا نقص شيئا .

الملك : الا تسمعون أيها الركب العربي ما سأقوله لكم ؟

أصوات : أبيت اللعن ايها الملك العظيم قل نسمع اليك

الملك : لقد قلتم انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل يختارهم الله من أحسن قومهم نسبا وذكرتم أنه لم يقل أحد من قومه من قبل بمثل ما قال به ، اذ لو كان ذلك لقلت انه رجل يتأسى بقول قيل قبله .

وقلتم انه ما كان من آبائه من ملك ، فلو كان من آبائه ملك لقلت انه رجل يطلب ملك أبيه أو جده . وسألتكم ان كان يكذب عليكم قبل ما جاء به ، فذكرتم أن لا ، فلا يعقل أن يدع فعل الكذب على الناس ثم يكذب على الله .

وقلتم ان أتباعه من ضعفاء الناس وفقرائهم وكذلك أتباع الرسل دائما .

وقلتم انهم يزيدون ، وكذلك أمر الايمان حتى يتم . وقلتم انه لا يرجع منهم أحد عن دينه وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب .

واعترفتم انه لا يقدر وكذلك الرسل لا تقدر ، وقلتم انه يأمركم أن تعبدوا الله وحده وينهاكم عن عبادة الاوثان وانه يأمركم بالصدق والبر وينهاكم عن السرقة والزنى وشرب الخمر فان كان ما ذكرتم عنه حقا فسيملك موضع قدمى هاتين .

« تسمع أصوات شديدة وضجة عظيمة » .

زخرياس : أخرجوا هؤلاء الاعراب .

« يخرج أبو سفيان وجماعته » .

أبوسفيان : « وقد خرج مع أصحابه » لقد بلغ من أمر محمد أن يخافه ملك بنى الاصفر . .

صوت : ان أمر محمد لامر عجيب .

صوت آخر : بل ان أمرنا مع محمد لاشد عجبا .

الملك : ما الذى تراه فى هذا الامر يا زخرياس ؟

زخرياس : أى أمر يا مـولاى .

الملك : أمر هذا النبى الذى ظهر فى جزيرة العرب .

زخرياس : ان أذن لي مولاى فان لي رأيا قد أخالف فيه مولاى الملك .

الملك : قل ولا تخف عنى صوابا تراه أو حقا تعلمه ، فأنت تعلم أنى أصطفيك وأثق بك وأطلعك على ما لا أطلع عليه سواك من الولاة والقادة .

زخرياس : أبقاك الرب يا مولاى ونصرك حاميا للكنيسة وناصرا لدين المسيح .

الملك : ما الذى كنت تود ان تقوله ؟

زخرياس : اننى يامولاى أراك قد تعجلت ومضيت اكثر مما ينبغى فى الثناء على ذلك العربى الذى يزعم أنه نبى .

الملك : ويحك يا زخرياس أتجهل مقدار علمى ومعرفتى بالدين ؟

زخرياس : انني أعرف يا مولاى أنك ثانى اثنين فى معرفة الدين وأنك تفرغت عشر سنين قبل توليك الملك لدراسته ومعرفة أسراره .

الملك : او تظننى اذن قد قلت ما قلت دون روية وامعان فكر ؟ لقد نظرت فى كتبنا فعلمت انه قد أظل زمان نبى يبعث بعد السيد المسيح وأن صفات هذا الرجل توافق ما ذكر عن هذا النبى .

زخرياس : ولكنك اليوم يا مولاى ملك ، ولست برجل دين وقد تدعو ضرورة الملك الى غير ما توجبه حقائق الدين .

الملك : ويحك يا زخرياس كأنك تريدنى أن أبيع دينى وعلمى بملك لا أراه باقيا .

زخرياس : مولاى اترانا نخشى حفاة العرب ، ان اشارة منك يا مولاى لغساسنة الشام تكفيك مؤونة جزيرة العرب ومن فيها .

الملك : انك لتجهل يا زخرياس ما يستطيع الايمان أن يصنعه فلو استطاع هذا النبى أن يوحد جزيرة العرب على دينه فلن تقف فى طريقهم قوة مهما عظمت .

زخرياس : اننا نعطى هؤلاء القوم اكثر مما يستحقون يا مولاى .

الملك : ما أسرع ما ينسى الانسان ، ألم ينتصر دين المسيح باثنى عشر من تلاميذ السيد المسيح على فرسان روما وانهزم أبطال الحرب أمام العزل الا من سلاح الايمان .

زخرياس : ها أنت يا مولاى تعود للتقدير الصحيح فكيف تخاف اليوم ونحن نملك القوتين قوة الايمان وقوة السلاح .

الملك : لقد قتل الايمان منذ قتل اريوس وشرد نسطور ومزقت الامة خلافات الكنيســة .

« مناجيا نفسه » ليتنى أستطيع أن أصل اليك يا محمد اذن لغسلت عن قدميك .

زخرياس : عد لنفسك يا مولاى ان ملوك الارض ليشرفها أن تغسل عن قدميك .

الملك : لو علمت يا زخرياس ما أعلم لكنت أسرع الى جزيرة العرب لتحظى بلقائه اكثر مما تسرع فى خدمة ملك مثلى . يكاد ان يأفل نجمه .

زخرياس : أعوذ بالرب وبالقديسين مما تقول . ان ملكك يا مولاى لارسخ من جبال ايليـــاء .

الملك : لقد رأيت النهاية يا زخرياس رأيتها أمس انها رؤيا حق لا تكذب لقد رأيت نفسى أقف على جبال أنطاكية ومن أمامى مدن الشام وسهول حوران فاذا نور قوى يسقط من السماء يضىء ما بين المشرق والمغرب فدخلنى منه خوف شديد فوليت هاربا منه وهو يلحقنى واستيقظت وجسمى ينضح عرقا . وما أرى النور الا دعوة هذا النبى .

زخرياس : أو تؤمن يا مولاى بالرؤى انها أضغاث أحلام .

الملك : بل اننى أومن أن أحلك الظلمات لا تقوى على اخفاء أضعف الشموع نورا .

زخرياس : أستحلفك يا مولاى بكل مقدس لديك ألا تحدث غيرى بمثل هــذا الحديث .

الملك : لن أفعل يا زخرياس ولكن لابد أن أضع حدا لكل هذا الخداع الذى نخدع بــه أنفسنا .

أرسل منذ الساعة لكل أرجاء المملكة ليجتمع رجال الكنيسة وأحبار الدين جميعــا .

وليكن موعدهم يوم عيد الفصح وفى قلعة حمص .

(وتمضى أيام)

صوت : سيدى لقد أعددت كل شىء .

الملك : وهل حضر الجميع يا تشارلس ؟

تشارلس : نعم يا مولاى وكلهم ينتظر تشريفكم .

الملك : وهل أحكمت اغلاق الابواب كما أفهمتك ؟

تشارلس : ان الطير يا مولاى لا تستطيع أن تغادر القلعة لو أرادت الا أن نأذن لها .

الملك : حسنا شدد الحراسة ولا تدع أحدا يخرج من القلعة مهما حدث الا أن آذن له ولا تنس أن تحيط قاعة الاجتماع بحراسك الخلص تحسبا لما قد يحدث .

تشارلس : اطمئن يا مولاى فلن يكون الا ما يرضيك .

الملك : اذن هيا بنا (يتجهان ويدخلان قاعة غاصة بالرجال) .

تشارلس : (بصوت عال آمر) . الملك العظيم هرقل .

الملك : أيها الآباء المبجلون ليباركم الرب ويوفقكم الى الحق والهدى .

لعلكم تتساءلون عن السبب الذى دعوتكم من أجله وجمعتكم من بلادكم البعيدة المتفرقة .

صوت : اننا رهن اشارتك فى كل وقت وفى أية حال .

الملك : شكرا لك أيها القديس المبجل وراعى كنيسة القسطنطينية لقد دعوتكم وجمعتكم لاستشيركم فى أمر خطير وحدث عظيم يهم الكنيسة ويمس الدين بقدر ما يهم الدولة والسلطان . فقد نمى الينا نبأ مبعث نبى جديد يقول انه مرسل من عند الله .

الجمع : « أصوات مختلفة وهمهمة غير واضحة »
صوت : ومن هو هذا المتنبى واين ظهر ؟
الملك : لقد بعث فى بلاد العرب .
الجمع : « أصوات وهمهمة . ينبعث من بينها صوت » عند رعاة الابل والغنم .
صوت : وهل يكون الانبياء من غيرنا ؟
صوت : لننصت قليلا حتى نعلم حقيقة الامر كله .
صوت : وماذا نفعل به وبيننا وبينه صحراء كالبحر .
الملك : لقد أرسل الينا رسالة .
صوت : لعله يريد منا أن نساعده ونؤيده .
آخر : لعله يسألنا أن نعلمه .
الملك : انه يدعونا برسالته لنؤمن به وندخل فى دينه .
« صمت ثم همهمات »
صوت : وبم أجبته أيها الملك العظيم ؟
صوت : أرى أن يكون جوابنا أن نرسل اليه من يأتينا برأسه على هذه الجرأة .
الملك : ان عليكم واجبا باعتباركم رجال الكنيسة ومعلمى الدين أن تنظروا بهذا الامر وفق ما أمر به الدين .
صوت : اذن ليتكلم أعلمنا واكبرنا برنابا بطريرك القسطنطينية .
الملك : نعم تكلم أيها الاب برنابا فأنت أعلم الجمع بدين المسيح .
برنابا : اذا سمح لى سيدى الملك واخوانى فانى قبل أن أقول ما أعرف عن هذا الامر أريد أن أذكر الجميع أن مولانا الملك العظيم لا يقل عن أعلمنا علما وفهما فى كتب الدين وقد تعلم الكثير عن سلفى بطريرك القسطنطينية السابق والذى أصهر اليه بابنته.
الملك : اننى لاشكرك أيها الاب المبجل ولكننى ما دعوتكم الا لنتفق على رأى واحد ونجمع كل علمنا وتجربتنا فى بحث هذا الامر .
برنابا : انكم تعلمون جميعا أيها الجمع المبارك أن السيد المسيح بَشَّر قبل أن يغادر الارض برسول يأتى من بعده ينصر الحق ويمحو الباطل .
صوت : وانى لنا أن نعرف صدق هذا المدعى ؟
برنابا : ان صفات هذا الرسول مذكورة عندنا فى الكتب .
صوت : فما هى هذه الصفات التى ذكرتها الكتب .
آخر : لننظر اذا كانت تصدق على هذا الرجل .
برنابا : ان البشارة تقول انه يبعث فى بلاد الاميين .
صوت : ان البشارة تذكر صفات أخرى .
برنابا : لتحدثنا عن البشارة أيضا ايها المبجل صفرونيوس .
الملك : حدثنا يا صفرونيوس فان بطريرك ايلياء له فى كل أمر الرأى الاول .
صفرونيوس : البشارة تقول أيضا انه يبعث فى أهل الختان .
صوت : ان بطريرك الحبشة يريد أن يتحدث .
الملك : لنستمع الى الاب يوحنا بطريرك الحبشة .
يوحنا : ان البشارة تذكر أنه يبعث فى مدينة الحجارة السود والبئر الذى لا ينضب .
صوت : وهل تصدق هذه الصفات على هذا الرجل .
صوت : لنستمع الى الملك فهو أعلم منا بالبلاد وبالناس .
الملك : لقد سألت أيها الجمع وتحريت فعلمت أن هذا الرجل ـ ويسمى محمدا ـ قد بعث فى مدينة تسمى مكة ، وأن قومه أميون لا يقرءون ولا يكتبون ، وأنه كذلك أمي

مثلهم ، وأنهم قوم يختتنون وأن مدينتهم تحيط بها الجبال ذات الحجارة السود ، وفيها بئر يستقى منه الالوف ولا ينضب . يسمونه زمزم .

« أصوات استنكار وهمهمات » .

صوت : لنسمع رأى الملك .

الملك : انى أنتظر الرأى منكم يا آباء الكنيسة .

صوت : الرأى لك أيها الملك ورأينا تبع لك .

الملك : ماذا تقول يا برنابا .

برنابا : أرى أن نرسل له كتابا لا نكذبه به ثم ننتظر حتى ينجلى الامـر وتظهر الحقيقـة .

الملك : وأنت يا صفرونيوس ماذا ترى ؟ .

صفرونيوس : أرى أنه ما دامت الحقيقة أمامنا واضحة والامر جلى أن نبادر الى الايمان به وتأييده .

« أصوات استنكار عالية »

الملك : وأنت يا يوحنا .

يوحنا : اننى على رأى صفرونيوس .

الجمع : « بشكل جماعى » نريد رأى الملك .

الملك : اننى أرى أن نحقن الدماء ، وألا نكابر بالحق ، وأن نسرع الى الايمان طائعين فنرضى الرب ونحفظ بلادنا من التمزق والضياع .

« استنكار شديد وجلبة وهرج مختلط وهتاف ضد الملك » .

صفرونيوس : أنهم يندفعون الى الابواب يريدون الخروج .

برنابا : انهم يدعون للثورة على الملك وخلع بيعته .

يوحنا : ما أضيع الحق بين من يزعمون أنهم دعاة الحق .

الملك : أنهم لن يأخذوا من الدين الا ما يحقق لهم مصلحة وغرضا .

تشارلس : مولاى الملك ماذا أفعل بهم انهم يتشبثون بالابواب يريدون الخروج .

الملك : ردهم لي قل لهم أني أريدهم يا تشارلس .

تشارلس : « بصوت عال » عودوا الى العظيم هرقل ان الملك يريدكم انـه لم يحدثكم عن حقيقة ما يريد بعد . يعود الجميع ويهدءون قليلا .

الملك : أيها الجمع أو تظنونى جاد فى كل ما قلت ؟ لقد أردت أن أختبر اخلاصكم وايمانكم فهل جننت حتى أسلم المملكة وقد أخذتها بحد السيف وحررتها من عبودية الفرس لاعرابى من رعاة الغنم ؟ .

ان هرقل الذى هزم كسرى وأعاد الصليب المقدس لكنيسة المسيح لن يستسلم للاميين رعاة الابـل .

« الجميع يهتفون بحياة هرقل ويمجدونه »

(وتمر أيـام)

صوت نسائي : الى أين يا مولاى تزمع الرحلة فانى أراك تعد لرحلة طويلة .

الملك : سنغادر سورية الى غير رجعة يا مارتينا لقد أردت لقومى الخير والصلاح فأبوا الا العناد والضلال .

مارتينا : أو نترك جنات دمشق وأنهار الشام بهذه السهولة .

الملك : انها النهاية يا مارتينا ان سورية والشام قد انتهى أمرها وانى لاخشى منذ اليوم على القسطنطينية ، بل وأخشى على روما . فوداعا يا سورية وداعا لا لقاء بعده .

الخلة والصداقة والأخوة

قال الله عز وجل « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الخليل مرآة خليله فلينظر أحدكم من يخالل » وقال داود النبى عليه السلام لابنه سليمان عليه السلام « يا بنى لا تستبدلن بأخ لك قديم أخا مستفادا ما استقام لك ، ولا تستقلن أن يكون لك عدو واحد ، ولا تستكثرن أن يكون لك ألف صديق » .

وفى الحديث المرفوع « المرء كثير باخوانه » .

وانشد ابن الاعرابى (١) :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة
ولكن اخوان الثقات الذخائر

قال ايوب السختياني (٢) :

اذا بلغني موت أخ فكأنما سقط عضو مني .

وقال اخر :

أخاك أخاك ان من لا أخا له
كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه
وهل ينهض البازى بغير جناح

وقال آخر :

ان أخاك الصدق من لا يخدعك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت شمل نفسه ليجمعك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ـ يا رسول الله . ؟ قال . خذوا على يديه حتى يكف عن ظلمه فانذلك نصر له .

وقال الشاعر :

اذا كان اخوان الرجال حرارة
فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب منه دميث (٣) وجانب
اذا رامه الأعداء مركبه صعب
وتأخذ عند المكاره هزة
كما اهتزت تحت البارح (٤) الغصن الرطب

وقال رجل فى أخ له :

وكنت اذا الشدائد أرهقتني
يقوم لها ، وأقعد لا أقوم

قال علقمة بن تبيد العطاردى لابنه . يا بنى اذا نزعتك (٥) الى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب منهم من ان صحبته زانك ، وأن أصابتك خصاصة مانك (٦) ، وان قلت صدق قولك ، وان صلت (٧) شد صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته أعطاك ، وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملمات (٨) آساك ، ومن لا يأتيك منه البوائق (٩) ، ولا تختلف عليك منه الطرائق (١٠) ولا يخذلك عند الحقائق . وان حاول حويلا (١١) امرك (١٢) ، وان تنازعتما منفسا (١٣) اثرك .

وقال سعيد بن حميد يعاتب بعض اخوانه :

اقلل عتابك فالبقاء قليل
والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه
الا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة الم مدة
ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء جماعة
ان حصلوا أفناهم التحصيل
ولعل أحداث المنية والردى
يوما ستصدع بيننا وتحول
ولعل أيام الحياة قليلة
فعلام يكثر عتبنا ويطول

---

(١) محمد بن زياد راوية عالم باللغة ، توفى ٢٣١ هـ .
(٢) هو ايوب بن ابى تميمة البصرى ، سيد فقهاء عصره توفى ١٣١ هـ .
(٣) دميث . لين سهل . (٤) البارح . الريح الحارة . (٥) نزغ . اغرى .
(٦) الخصاصة الفقر والحاجة ، مانه . قدم اليه مؤونته وقام بكفايته .
(٧) صلت . وثبت . (٨) الملمات جمع الملمة . النازلة الشديدة .
(٩) البوائق جمع البائقة وهى الداهية والشر . (١٠) الطرائق جمع طريقة .
(١١) حاول الشيء اراده والحويل . الاسم منه . (١٢) آمره . شاوره . (١٣) المنفس . النفيس .

مع "برنامج" شخصيات إسلامية
مصادر دخل الرسول ونفقته..

في حلقة من حلقات « برنامج » شخصيات اسلامية التى شاهدناها على شاشة « تليفزيون » الكويت فى هذه الأيام قال الأستاذ المتحدث : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملك نخيلا وبساتين وقرى كثيرة ، وبعد وفاته ذهبت ابنته السيدة فاطمة الزهراء ، وزوجها الامام علي ــ عليهما السلام ــ ومعهما العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ــ الى أبى بكر الصديق يطالبونه بميراث رسول الله ، فلم يعطهم منه شيئا .

وهذا الذى ذكره ضيف الحلقة لا يتفق مع ما نعلمه من أنه عليه الصلاة والسلام رحل عن الدنيا ودرعه مرهونة ، وأنه لم يرث عن أبويه نخيلا وبساتين ، ولا شيئاً من هذا ، وكانت معيشته فى مأكله ومشربه وملبسه وسكنه وفراشه ليس فيها قليل ولا كثير من زخرف الحياة ورفاهيتها .

والذى أريده أولا أن أستوثق من معلوماتى عن حالة الرسول المعيشية وثانيا معرفة مصادر دخله ونفقته وثالثا نصيب ما قاله المتحدث عن تركة الرسول بعد وفاته من الصحة .

محمد عبد المالك ــ كويت

قبل الاجابة على ما ورد فى هذه الرسالة من اسئلة ــ أبادر فأطمئن السيد السائل على أن كل ما ورد فى رسالته من وصف لمعيشة رسول الله صحيح ، وأؤكد له أن كل ما تحدث به ضيف الحلقة عما تركه رسول الله بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى من قرى ونخل وبساتين صحيح أيضا .. وليس فى هذا ما يدعو الى العجب والغرابة ، ولا ما يثير الحيرة ، أو يبعث على التساؤل ــ ما دام الموصوف والمتحدث عنه هو رسول الله الذى أغناه ربه فقال « ووجدك عائلا فأغنى » وأدبه

فقال « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » وارتضى هذا الأدب لنفسه مسلكا ، ولبيته منهجا فقال لنسائه « ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا ، وأن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » .

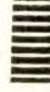
وقد أفاضت كتب السيرة فى تباعده صلى الله عليه وسلم الى أقصى حدود التباعد عن عرض الدنيا ، وعزوفه الشديد عن زينتها ، فقد روى أنه لم يجمع بين صنفين من الطعام فى أكلة واحدة ، فاذا أكل اللحم لم يأكل من التمر ، واذا أكل من التمر لم يأكل معه من اللحم ، وكان يؤثر اللبن لجمعه بين الرى والشبع ، وكثيرا ما كان الشهر يتلو الشهر دون أن توقد نار فى بيوته لخبز أو طبخ ، ولا طعام له ولا لأهله ولا شراب خلالها الا التمر والماء ، وقد فارق الدنيا دون أن يشبع من خبز الشعير وكان ينأى بنفسه ـ مع طيب رائحته ، ووضاءة ملبسه ووفرة نظافته ـ عن الترف ، فكان ينام غالبا على حصير خشنة كثيرا ما ترى آثارها الغائرة على جسده ووسادته حشية من ليف ، وعلى سريره عباءة تطوى طيتين ، وما كان يستعين بأحد فى شئونه الخاصة ، فكان يحلب شاته بنفسه ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويطعم ابله وينصب خيمته ،ويحمل حاجته من السوق .

هذا كله كان عن وجدان لا عن فقدان، عن قدرة واستطاعة ، لا عن عجز وفاقة. قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى عرض على أن تجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، فقلت لا يا رب . أجوع يوما ، وأشبع يوما ، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأضرع اليك وأدعوك ، وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك . ما لى والدنيا . انما أنا فى الدنيا كرجل سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفىء ، فتركها ولم يرجع اليها .

هذا يا سيدى ما يتعلق بما أردته ـ أولا ـ من الاستيثاق من معلوماتك عن حياة الرسول المعيشية .

★★★

أما عن مصادر دخل الرسول ونفقته ـ فما من أحد يجهل أن أسرته عليه الصلاة والسلام كانت فى يسر قليل رغم مكانتها المرموقة بين سادة قريش ، وأنه ولد يتيما لم يرث عن والده شيئا له قيمة تذكر ، وأن المرضعاتأعرضت عنه ليتمه وعدم ثرائه ، وأن جده عبد المطلب كان ينفق عليه فى طفولته ، ثم كفله عمه أبو طالب ـ على رقة حاله ـ بناء على وصية أبيه لأنه كان من بين أعمامه شقيق والده الوحيد ، ولما بلغ رسول الله السعى اشتغل برعى الغنم والتجارة وكان ينفق من كسبه منهما ، وبعد زواجه بالسيدة خديجة وبعثته شغل بالدعوة الى الله فتفرغ لها ، وسد حاجته من مال أهله ، ولما هاجر الى المدينة ، واستقر أمر الاسلام فيها وأصبح للمسلمين قوة وأذن لهم فى القتال دخلوا مع أعداء الله فى معارك وانتصروا عليهم ، وغنموا منهم فكان للرسول القائد جزء محدد من هذه الغنائم ينفق منه على نفسه وأهله . بوحى من الله ، فالله سبحانه هو الذى تولى بأمره تحديد مصدر دخل الرسول وتحديد نصيبه من هذا المصدر ، وكان هذا فى أول غزوة غزاها المسلمون وغنموا منها وهى غزوة بدر ، وكان تشريع الغنائم أول تشريع قرآنى مفصل قال



تعالى . (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) أما أخماس الغنيمة الأربعة الباقية فكانت توزع على المجاهدين لأنه لم يكن لهم رواتب ولا معاشات وكانوا يتجهزون ويتمونون للجهاد من أموالهم الخاصة ، والخمس الذى كان لرسول الله كان يقسمه الى أسهم متساوية يأخذ منها سهما واحدا لنفسه ، ويرد الباقي على بعض قرابته وعلى الطبقات المعوزة التى تتمثل فى اليتامى والمساكين وابن السبيل ، ومما يروى فى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ وبرة من جنب بعير من أبعرة المغنم ثم قال . « لا يحل لى من غنائمكم مثل هذا الا الخمس ، والخمس مردود فيكم » .

وبعد تشريع الغنائم الحربية نزل تشريع الفيء ، والفيء هو ما حصل عليه المسلمون من أموال الكفار بغير قتال ويضم جميعه لبيت المسلمين يأخذ الرسول منه سهما يكفيه وينفق الباقى على مصالح المسلمين العامة وعلى قرابته والمحتاجين من المؤمنين خاصة قال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) .

هذا هو الأمر الثانى الذى يوضح مصادر دخل الرسول ونفقته .

وأموال الفيء التى استولى عليها رسول الله كثيرة ، منها فدك وهى قرية على ميلين من المدينة فيها نخيل وعين فوارة ، وأملاك وبساتين قريظة وبنى النضير وعرينة وهى أملاك يسرها الله لرسوله باجلاء اليهود عنها ، ولم يكن للمسلمين فى احرازها مشقة ولا كلفة من حرب واعداد خيل ، وقد ردها الرسول كلها على بيت المسلمين .

ولما استخلف أبو بكر بعد الرسول جاءت السيدة فاطمة الزهراء والعباس رضى الله عنهما يطالبانه بميراثهما عن الرسول من تلك الأراضى والبساتين . تطلب السيدة فاطمة النصف والعباس النصف الآخر فأسمعهما أبو بكر رضى الله عنه الحديث الذى لم يسمعاه من قبل وهو « انا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » .

فالرسول عند وفاته لم يترك من ماله الخاص شيئا . عن عمر بن الحارث قال . ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا امة ولا شاة الا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة .

وكل ما تركه من بساتين ونخيل وعيون وأرض أصبح ملكا للدولة ، وحسب أهله وقرابته وأمته من بعده هذا الميراث الضخم الباقى الخالد من كتاب الله تعالى وسنته عليه أفضل الصلاة والسلام .

وانا لنشكر للأستاذ الكبير ضيف برنامج شخصيات اسلامية والسيد السائل على اتاحة هذه الفرصة لهذا الباب للحديث عن خاتم الأنبياء وسيد المرسلين فى شهر مولده الشريف .

عيد ميلاد نبي البشرية

فى هذه المناسبة الكريمة يتحدث الدكتور عبد الله عبد القادر المدير العام لمعهد دار الحديث ، ومدرسة المعلمين الاسلامية العليا « مالانج – أندونيسيا » فيقول .

لا يكاد يطل على الدنيا عيد صاحب المبعث الاكبر وامام الوجود الابر ، الا ويترقب الناس قاطبة ظهور هلال هذا الشهر « ربيع الاول » الاغر فتشرئب له الاعناق وتتجه نحوه بتلهف شديد وشغف أكيد ليس له مزيد وهو يسمو فى عليائه ويزهو فى سمائه ، ويتبختر نحوهم بحلله وكبريائه .

وكيف لا يكون هذا الشهر له شأنه وخطره وهو شهر الميلاد النبوى الميمون الفدوات ، الفياض بالذكريات والخيرات ، ولا غرو اذا هل هلال هذا الشهر المبارك أن يمخر الفضاء بالجموع الحاشدة ، والوفود الوافدة ، فى مرح وابتهاج تسمع خطب الخطباء المعبرة ، والاشعار الرنانة تشيد بفضائل « سيدنا محمد » صلى الله عليه واله وسلم النبيلة وشمائله الكريمة ، وتعج أصواتهم بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه واله وسلم .

وقد درجت الامم والجماعات على أن تقف عند بعض أيامها لتتخذ منها أعيادا تراجع فيها سير عظمائها التى استطاعت أن تحققها فى لحظات من تاريخ وجودها ، وتشيد بمآثرهم الغراء فى الكفاح فى خدمة أوطانهم ، وما وفقوا اليه من النجاح الذي حققوه فى شتى مناحي الحياة لأممهم مما جعل لهم ذكرا فى العالمين .

ففى كل عام تحتفل البلاد الاسلامية بيوم ميلاد نبيها الذى أخرجها من الظلمات الى النور احتفالا تتفاوت فى مظهره ومرماه ولكن هذا الاحتفال وان اختلفت مظاهره وتباينت مراميه لا يعدو الصور والاشكال ، ولا يتعمق الحقائق الجديرة بالتعمق فى هذا اليوم الاغر .

واحتفال المسلمين بيوم عيد الذكرى لمولد نبيهم العظيم « محمد » صلى الله عليه وسلم يحق أن يقوم على أساس من البحث والتمحيص ليقدموا الثمرة الى الذين لا يعلمون ، فهو عيد العبرة يستخلصونها من عظمة هذا النبى العظيم عيد البعث للعزائم الكليلة والهمم الخائرة وتسوية الصفوف المتفرقة .

لقد كان مولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونشأته وحياته كما كانت رسالته دروسا وافية وعبرا رائعة يقتبس منها المتشبثون بأذيال الكمال ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله وفى رسالته وفى كل ما يصدر عنه من قول وعمل صورة متجلية يتعلق بها كل من ينشد عظمة النفوس التى ركبت فى الاجساد .

أنظر – عهد يتمه صلى الله عليه وآله وسلم فانه ولد مولد اليتامى الذين وسد آباؤهم الثرى قبل أن يطالعوا وجه الحياة يوجوههم – كان صغيرا لا يلهو لهو الصبيان ، ولا تعبث به شرة الحداثة وكان شابا يافعا من ذوي المروءات ، يرعى الامانات ، ولا يقارف ما يقارف شباب بيئته من عبيد الاهواء المنتفخين غرورا واعجابا بنزواتهم حتى بلغ مبلغ الرجال فكان اماما ومعلما للانسانية ، فعلمها كيف تحيا ، وكيف تسمو ، وكيف تناضل ، وتكافح ، وكيف تصبر ، وتصابر وكيف ترى الحق حقا فتتبعه والباطل باطلا فتتحاشاه .

هذه الشخصية الكبيرة جديرة بالدرس والتأمل لأنها فيض درس لا ينضب معينه وكنز لا تنفد ذخائره .

المولد النبوى

ومن كلمة بعث بها السيد / محمد بلى الفوتى مدرس العلوم الاسلامية فى لومى عاصمة الطوغو حقق فيها تاريخ ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسرد آراء العلماء فى حكم الاحتفال بالمولد الشريف :

لا نعرف اختلافا بين المؤرخين فى أن ولادته صلى الله عليه وسلم كانت فى شهر ربيع الاول ، ولكن الاختلاف بينهم فى تعيين ما مضى من الايام فى ذلك الشهر قبل ولادته صلى الله عليه وسلم . وقد حقق العلماء العصريون انه ولد فى فجر يوم الاثنين التاسع من ربيع الاول الموافق لعشرين من ابريل عام (٥٧١) ميلادية ، وبعد قدوم أصحاب الفيل مكة المكرمة بخمسين يوما ، وكان قدومهم يوم الاحد لثمانية عشرة ليلة خلت من المحرم لسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان بن قباذ . وأول سنة مولده صلى الله **عليه وسلم كان يوم الخميس ، كما كان أول ربيع يوم الاحد ، فيكون يوم الاثنين تاسعه لا غير .**

وقد حدث الاحتفال بالمولد النبوى بعد القرن الثالث الهجرى . وأول من احتفل به من الملوك احتفالا فخما هو صاحب الاربل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين وكان يصرف على المولد ثلاثمائة ألف دينار .

قال ابن كثير فى تاريخه . كان ـ الملك المظفر ـ يعمل المولد الشريف فى ربيع الاول ، ويحتفل به احتفالا هائلا ، وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا . رحمه الله ، وأكرم مثواه . وقد طالت مدته فى الملك الى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة (٦٣٠) هـ أى سنة (١٣٣٢) م .

وأول كتاب ألف فى عمل المولد هو الكتاب الذى ألفه الشيخ أبو الخطاب ابن دحية للملك المظفر المذكور ، وسماه (التنوير ، فى مولد البشير النذير) فأجازه الملك بألف دينار .

وقد استحسن كثير من العلماء الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم قال الشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) فى كتابه (الحاوى للفتاوى) ان أصل عمل المولد الذى **هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الاخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى صلى الله عليه وسلم وما وقع فى مولده من الآيات ، ثم يمد لهم سماط يأكلون وينصرفون من غير زيادة على ذلك ـ هو من البدع الحسنة التى يثاب عليها صاحبها ، لما فيه من تعظيم قدر النبى صلى الله عليه وسلم واظهار الفرح والاستبشار لمولده الشريف .**

وقال شيخ الاسلام حافظ العصر أبو الفضل أحمد بن حجر . ان أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن احد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على المحاسن وضدها ، فمن تحرى فى عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ، والافلا ثم قال . وقد ظهر لى تخريجها على أصل ثابت ، وهو ما ثبت فى الصحيحين من أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم ، فقالوا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ، فنحن نصومه شكرا لله تعالى .

فيستفاد منه استحباب شكر الله تعالى على ما من به فى يوم معين من أسداء نعمة أو دفع نقمة ، ويعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة الى أن قال . وأى نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبى ـ نبى الرحمة ـ فى ذلك اليوم ؟

وقال السيوطى فى تخريج عمل المولد على أصل آخر . وهو ما اخرجه البيهقى عن أنس أن النبى صلى **الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة ، مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه فى سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على أن الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم اظهار للشكر على** ايجاد الله اياه رحمة للعالمين وتشريع لامته ، كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار **الشكر بمولده بالاجتماع واطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات واظهار المسرات .**

ان تعظيم بعض الايام والشهور لما حصل فيها من الامور العظيمة مألوف شرعا وعقلا .

وقد أمرنا الله بالاحتفال فى يوم الاضحى لما حصل فيه من حادث ضحية اسماعيل عليه السلام .

وقال **النبى صلى الله عليه وسلم للسائل الذى سأله عن صوم يوم الاثنين (ذلك يوم ولدت فيه) فتشريف هذا اليوم متضمن لتشريف هذا الشهر الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم . ألا ترى أن صوم هذا اليوم فيه فضل عظيم لأنه صلى الله عليه وسلم ولد فيه وقد أمرنا الشرع بالعقيقة فى اليوم السابع للولادة ، فالاحتفال بذكرى مولده صلى الله عليه وسلم يزيد المؤمنين ايمانا وشكرا بمنه تعالى لهم .**

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

فى الطلاق

السؤال : ـ

١ ــ وقع شجار بيني وبين زوجتي ــ وحلفت قائلا : علي الطلاق ما تبقين فى هذا البيت وخرجت وتدخل الناس وفى نيتي ان تذهب الى بيت اهلها حتى تهدأ أعصابي .

٢ ــ حدث ما أثار أعصابي من الناس فقلت « علي الحرام ما بتعود على هذا أو سواه » وأشك انني قلت (علي الحرام ما بتعود على ذمتي فى هذا البيت أو سواه) علما بأنه لم يسبق لي الحلف بالطلاق قبل ذلك .

س . ك . س

قسم الصيانة ، بوزارة الاوقاف

الاجابة : ـ

أولا ــ بالنسبة لليمين الاول فانه لا يقع به شيء لأنك حلفت عليها بنية عدم البقاء فى المنزل وخروجها حتى تهدأ أعصابك ــ وفعلا قد خرجت وعادت بعد هدوء أعصابك .

ثانيا ــ بالنسبة لحلفك الثاني بقولك علي الحرام ما بتعود على ذمتي فى هذا البيت أو سواه فان المتعارف عليه اطلاق لفظ الحرام على الطلاق والعرف فى الشرع له اعتبار تبني عليه الاحكام فبقولك لزوجتك علي الحرام وقع الطلاق ولو لم تنوه لان العرف قاض بذلك والمقرر شرعا أن مثل هذا الطلاق يقع رجعيا ــ لأنه لم يسبق لك طلاق قبل ذلك فيجوز لك شرعا مراجعتها بالقول أو بالفعل بدون اذنها ورضاها ما دامت فى العدة المقررة شرعا . وهي ثلاث حيضات لمن تكون من ذوات الحيض وثلاثة أشهر لمن ليست كذلك ووضع الحمل للحامل واذا كانت العدة قد انتهت فينقلب الطلاق الرجعي الى بائن بينونة صغرى وتحل لك بعقد ومهر جديدين باذنها ورضاها على ما بقى لك من الطلقات .

الطلاق المعلق

السؤال :

رجل حلف على زوجته قائلا اذا دخلت أى منزل تكوني طالقة ويقصد بذلك تهديدها ومكثت ثلاث سنوات ثم دخلت في الامكنة الممنوعة منها علما بأنها دخلت المنزل وهي حامل ولم تضع حملها لغاية الآن . مع ملاحظة أنه لم يسبق له أن أوقع عليها طلاقا قبل ذلك .

فما حكم الشريعة ؟

جمعة سليم ــ عمان

الاجابة : ـ

هذا اليمين من قبيل الطلاق المعلق ــ والمقرر شرعا أنه متى حدث المعلق عليه

وقع اليمين ، وبما أن الزوجة دخلت المنزل الممنوعة من دخوله فيكون الطلاق واقعا طلقة واحدة رجعية ما دام لم يطلقها قبل ذلك وهي لا زالت فى العدة الآن باعتبار وقوع اليمين وهي حامل ولم تضع حملها اذ أن عدة الحامل وضع حملها فله مراجعتها بالقول أو بالفعل على ما بقى لها من الطلقات .

الطلاق بالثلاث

السؤال : —

غضبت زوجتي عندما تزوجت أخرى عليها وامتنعت من الرجوع الى بيت الزوجية فحلفت قائلا (طلقت زوجتي فلانة بنت فلان بالثلاث) وهذا أول طلاق وكان اليمين فى مجلس واحد — وقد انتهت عدتها وأريد الرجوع اليها .

فما حكم الشريعة ؟

س . ج . م

الاجابة : —

اتفق الفقهاء الاربعة على أن الزوج اذا طلق زوجته ثلاثا بكلمة واحدة ينفذ الطلاق الثلاث وتكون بائنة منه بينونة كبرى كما لو طلقها ثلاث طلقات متفرقات لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ، ولكن بعض الفقهاء غير الأئمة الاربعة — يرى أن الطلاق المقترن بعدد لفظا أو اشارة أو فى مجلس واحد لا يقع الا واحدة رجعية، استنادا الى ما كان عليه الامر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأيام أبي بكر وصدرا من خلافة عمر — وأخذت بعض البلاد الاسلامية بهذا الرأى وصارت الفتوى عليه لما فيه من يسر على العباد .

وبما أن المطلق قرر أنه لم يسبق له طلاقها وأن عدتها انقضت فعلا — فيكون طلاقه المذكور طلقة واحدة بائنة بينونة صغرى لانقضاء عدتها — وتحل له بعقد ومهر جديدين باذنها ورضاها وتحتسب هذه من الطلقات المقررة شرعا .

فى الميراث

توفيت امرأة عن . بنت ، وأخت من الام وبنت أخت من الاب .

فما نصيب كل منهم .

زايد سعد — الكويت .

الاجابة : —

بوفاة المرأة المذكورة عن بنت وأخت من الأم وبنت أخت من الاب يكون توزيع تركتها كالآتي .

للبنت النصف فرضا ولها الباقي ردا ولا شيء للأخت من الأم لحجبها بالفرع الوارث وهو البنت ، كما أنه لا شيء لبنت الاخت من الأب لانه لا ارث لها لكونها من ذوي الارحام ولا ترث مع وجود صاحبة فرض وهي البنت .

السؤال : —

توفيت امرأة عن :

بنتين ، ابن بنت ، وأولاد اخواتها الذكور والاناث الاشقاء .

فما نصيب كل وارث ؟ .

منصور علي — الكويت

الاجابة : —

بوفاة المتوفاة المذكورة عن ورثتها هؤلاء يكون توزيع تركتها كالآتي :

الثلثان للبنتين فرضا مناصفة — ولا شيء لابن البنت ولا لاولاد اخواتها الاناث سواء أكان الاولاد ذكورا أم اناثا لأنهم جميعا من ذوى الارحام .

أما أولاد الاخوة الذكور فلا يرث منهم الا الابن الذكر لان القاعدة الشرعية أن ابن الاخ لا يعصب أخته ، ويقدم في الارث أبناء الاخ الشقيق على أبناء الاخ لاب وفي هذه الحالة التى معنا يرث أبناء الاخ الثلث الباقي تعصيبا ويقسم بينهم بالتساوي .

قالت صحف العالم

فلتكن حربا تزيل اسرائيل

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

للجمهورية العربية المتحدة بالغ تقديرنا واعزازنا ، ولرئيسها البطل بالغ اعجابنا .. فلقد كان ما اتخذته خلال اليومين الفائتين تجسيدا للحلم بالثأر الذى عاشته أمتنا العربية منذ كانت النكبة وكان العار ، ومنذ هزمت عصابات الصهاينة بالخديعة والغدر جيوشا عربية سبعة أرسلت الى القتل لا الى القتال ..

ان التحركات التى قام بها جيش الجمهورية العربية المتحدة ، وما أعقب هذه التحركات من اجراءات ، كوضع القوات المسلحة فى حالة استعداد للقتال ، وتحركها الى مواقع القتال ، ثم الطلب الى الامم المتحدة ان تسحب قوات الطوارىء الدولية من مناطق الحدود . كل ذلك يجعل شعبنا العربى من محيطه الى خليجه يعيش جو المعركة ويحس بها ..

وليس أشهى على قلب شعبنا من ان تتاح له الفرصة حتى يخوض معركة الشرف والكرامة ..

واذ نحيى الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة وقائدها ، واذ نعتز بمواقفها التي كنا ننتظرها دائما فاننا نقول . كل العرب سيكونون مع المتحدة حين يدق النفير ، فحين تبدأ المعركة تزول الخلافات وتنتهى المعارك .. لان كل الخلافات وكل المعارك ما كانت لتكون .. لولا أن معركة فلسطين لم تقم بعد ..

واليوم نريدها معركة ، تلتقى فيها القوى العربية كلها وتتسابق على مذابح البطولة والثأر ..

نريدها معركة تزيل العار ، وتقضى على السرطان الصهيونى قضاء كاملا .... ونريدها حربا نسترد بها الارض والكرامة وتبرىء فى قلوبنا جراحا قديمة قدم النكبة ، والتآمر الذى سلب من وطننا العربي أغلى بقاعــه ...

بالحرب قامت اسرائيل ، وبالحرب تزول ..

فلتكن حربا ضروسا لاهبة تسجل نهاية اسرائيل .

سلاح البترول فى المعركة

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة الطليعة الكويتية تقول :

فى هذه اللحظات تقف القوات العربية الضاربة وجها لوجه مع قوات العدو اليهودى فى كلا الجبهتين الشمالية والجنوبية .. ففى الشمال تقف القوات العربية السورية على حدود الارض المحتلة تأهبا لضرب أى تحرك يبدر من قوات العدو ، وفى الجنوب تحركت قوات الجمهورية العربية المتحدة عبر سيناء لتحتل مواقعها على حدود الارض المحتلة، واستلمت مراكزها على خط النار المباشر مع العدو على طول مسافة ١١٧ ميلا من غزة شمالا الى شرم الشيخ جنوبا بعد ان انسحبت قوات الطوارىء الدولية من مواقعها على الحدود بين الجمهورية العربية المتحدة ودولة الاحتلال .. وبهذا أصبحت القوات العربية وجها لوجه مع قوات العدو لا يفصل بينهما شيئا .

وبذلك فان الموقف اصبح قابلا للانفجار فى أى لحظة ، واذا ما انفجر فانها قد تكون معركة الثأر لتطهير الارض المحتلة من رجس الاحتلال اليهودى .

ولقد اصبح واضحا للعالم أجمع أن سوريا والجمهورية العربية المتحدة عازمتان على خوض المعركة بعزم لا يعرف التردد اذا ما بدر أى تحرك من قوات العدو ، ووراء الجمهورية العربية المتحدة وسوريا يقف العرب ، كل العرب على أهبة الاستعداد لمساندة سوريا والجمهورية العربية المتحدة لسحق العدو المغتصب .

وقد اعلنت حالة الانذار فى معظم الدول العربية تأهبا للمعركة ووضعت القوات المسلحة فى بعضها فى حالة الطوارىء ، واستنفار الاحتياطى والتعبئة العامة وفتح باب التطوع .

وكان الكويت من ضمن الاقطار العربية التى أعلنت تأييدها بلا تحفظ لموقف الجمهورية العربية المتحة واستعدادها لخوض المعركة جنبا الى جنب مع الجيوش العربية اذا ما تعرضت سوريا أو أى بلد عربى آخر لهجوم اسرائيلى .

ولا شك ان المعركة اذا ما بدأت فانها ستكون معركة شاملة يحتاج فيها العرب لاستعمال كل مالديهم من قوة وتعبئة كل طاقة ممكنة لخدمة أهداف المعركة . وهذا يعنى ان المعركة لن تكون محصورة فى ميدان القتال فقط ، ولكنها ستشمل ما يسمى بالخطوط الخلفية ، وهذا يعنى اننا سنضطر لاستعمال الاسلحة الاقتصادية والاستراتيجية والنفسية .

وما من شك ان البترول سيكون من أقوى الاسلحة التى فى يد العرب عند خوضهم لمعركة واسعة . فقد أصبح مؤكدا ان اسرئيل لا تخوض المعركة وحدها وانما هى تنفذ مخططا رسمه ودبره الاستعمار الامريكى بمساعدة بريطانيا ، ولا يمكن لاسرائيل ان تقدم على عمل حربي دون أن تضمن تدخل أمريكا وبريطانيا لمساندتها .

لذلك فان العرب مدعوون لاستعمال البترول للضغط على أمريكا وبريطانيا والدول الاوربية .

أخبار العالم الإسلامي

استمرأت (اسرائيل) خطتها فى العدوان على الدول العربية ، وزاد تبجحها الى حد التهديد باحتلال دمشق مما جعل العربية المتحدة تستنفر جيوشها الى الحدود ، وتطلب سحب القوات الدولية ، فتنسحب ، وتأخذ القوات المصرية اماكنها ، وتستعيد سيطرتها على خليج العقبة ، وتستعمل حقها فى اغلاقه فى وجه السفن الاسرائيلية المعادية ، ويهب العالم العربى كله ومعه كل الدول الحرة فى العالم لتأييد هذه الخطوة ، وتستنفر الدول العربية جيوشها استعدادا لدخول المعركة الفاصلة ، ومحو العار الذى ظل عالقا بها ، بينما تقف أمريكا ومن ورائها بعض الدول الاستعمارية تؤيد اسرائيل ضد حقوق العرب .

((و الوعى الاسلامي)) تقدم أخبارها متضمنة تطورات الازمة وأبعادها ، وردود الفعل التي أحدثتها فى دول العالم حتى مثول المجلة للطبع .

الكويت

تقف الكويت أميرا وحكومة وشعبا الموقف الذى يسر كل مسلم ، منذ أول لحظة فى هذه الازمة ، مما تناقلته أنباء الصحف اليومية ، وكان آخر هذه المواقف العظيمة حين اعداد المجلة للطبع ، هذا الموقف الذى وقفته الحكومة ومجلس الامة ، حيث عقد مجلس الوزراء جلسة استثنائية برياسة سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء فى قاعة مجلس الامة حيث استمع المجلس الى البيان التاريخي الذى سيلقيه سموه فى مجلس الامة ، والذي تناول الاوضاع العربية الراهنة ، والترتيبات المتعلقة بارسال وحدات الجيش الباسل ، للاسهام فى معركة الشرف ، وتكليف سعادة وزير الخارجية باستدعاء سفراء الدول الكبرى وابلاغهم موقف الكويت الحازم ، وقرارها وقف جميع مصالح الدول التى تشترك مع العصابات الصهيونية فى الاعتداء على أية دولة عربية ، وبعد انهاء الاجتماع عقد مجلس الامة جلسة استثنائية ، استمع فيها الى بيان سمو ولي العهد ثم اتخذ المجلس القرارات التالية :

١ ــ أرسال برقيات شكر الى برلمانات الدول المساندة للحق العربي .

٢ ــ ارسال برقيات استنكار الى برلمانات الدول المساندة للباطل الصهيوني .

٣ ــ ارسال برقية استنكار واحتجاج على تصريحات الرئيس جونسون .

٤ ــ مناشدة ايران أن تقف الى جوار الدول العربية الاسلامية وتوقف تزويد العصابات بالبترول .

وقد استدعى فى نفس اليوم الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية سفراء كل من روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا ، وأبلغهم بأن أية دولة تقف عسكريا بجانب اسرائيل ستوقف حكومة الكويت جميع مصالحها ، بينما قدم شكر الكويت للاتحاد السوفيتى على موقفه فى مساندة حق العرب .

وبينما الجهات الرسمية تتخذ هذه المواقف الحازمة المشرفة تسري فى الشعب روح الحماس المنقطعة النظير فقد هب للتطوع فى معركة التحرير ، وتكونت لجان لجمع التبرعات الى أقصى حد مستطاع لصالح القوات العربية المحاربة ، بينما ترتفع الأصوات الشعبية وتكتب الصحف لمقاطعة بضائع الدول المساندة لاسرائيل .

الجمهورية العربية المتحدة

تتركز أنظار العالم الآن على الخطوات التى اتخذتها المتحدة لمعركة الشـرف والموقف الصامد الذى تقفه من كل الجهات المعادية ، حيث عبأت الجيش والامة لحالة الحرب التى أصبحت محتملة الوقوع فى أية لحظة .

وقد كشف الرئيس عبد الناصر فى خطبه وفى المؤتمر الصحفي عـن أن أمريكا لا تعنى بالسلام الا أمن اسرائيل فقط وأن الكلام عن السلام لا يكون الا عندما تتعرض اسرائيل للخطر ، أما اذا ضاعت حقوق العرب فان أمريكا لاتتكلم عن السلام ..

وقد رفضت المتحدة خمسة اقتراحات تقدمت بها أمريكا لانها منحازة انحيازا كاملا فى جانب اسرائيل .

وقد وزع يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة تقريره بعد زيارته للقاهرة على اعضاء مجلس الامن .

قال السيد فتحى الديب أمين الشئون العربية ان مصر تنفق (١٦) مليونا من الجنيهات لنشر الثقافة العربية فى الخارج كما قال السيد أمين هويدى ان مصر للاسلام لا تحيا الا به ، ولا تنهض الا فى رحابه ، ولا تتقدم الاعلى هديه .

عقد بالأزهر مؤتمر حاشد للجهاد فى سبيل الله وقد تعاهد الجميع على بذل النفس والنفيس من أجل استعادة فلسطين .

العـــراق

بعثت العراق بوحدات من جيشها العربى الذى وضع فى حالة استعداد تام الى سوريا والى الجمهورية العربية المتحدة كما بعثت بقوة من الطيران العراقى اشتراكا فى معركة المصـير .

صرح وزير الدفاع العراقي ان العراق مستعد لتوجيه الضربة القاضية لاسرائيل اذا ما حاولت العدوان على أى قطر عربى .

وأعلن وزير الدولة العراقي بأن العراق ستقطع علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع أية دولة تقف ضد العرب .

ارسل الرئيس عارف الى جلالة شاه ايران يطلب منه ان يوقف مـد اسرائيل بالبترول .

المملكة العربية السعودية

أعلنت التعبئة العامة فى القوات المسلحة السعودية وقد سافر رئيس الاركان وكبار الضباط الى منطقة تبوك حيث يجرى توزيع القوات السعودية على خليـج العقبـة .

صرح جلالة الملك فيصل أن المملكة العربية السعودية لن تبيع البترول لاى دولة تقف موقفا معاديا من العرب فى نزاعهم مع اسرائيل . وقد زار جلالته بلجيكا بعد زيارته لبريطانيا .

الأردن

وقع كل من الرئيس جمال عبدالناصر وجلالة الملك حسين اتفاقية الدفاع المشترك بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة أثناء زيارة عاهل الاردن للقاهرة وقد صحب جلالة الملك حسين السيد احمد الشقيري رئيس منظمة تحرير فلسطين أثناء عودته .

سوريا

تقف القوات السورية على الحدود بينها وبين اسرائيل فى حالة ترقب ردا على أى عدوان صهيونى بعد ان فشل التهديد الاسرائيلي بغزوها .

قرر الاتحاد الدولى للعمال الذى عقد فى دمشق وقوف العمال فى جميع انحاء العالم العربى صفا واحدا لكسب المعركة .

لبنان

دعا فضيلة الشيخ حسن خالد وكذلك مفتي الشيعة جميع المسلمين الى الاستعداد العام للمشاركة فى الجهاد فى سبيل الله من أجل فلسطين .

الجزائر

أصدر مجلس الثورة الجزائرى بيانا ذكر فيه أن الجزائر بزعمائها وجيشها وشعبها يقفون فى المعركة الفاصلة حتى آخر جزائري وقد جرت مباحثات عدة وتم لتنسيق الجهود الحربية والسياسية بين الجزائر وأخواتها العربيات ، وأعلن الجيش حالة التعبئة وتحركة وحدات منه الى الجمهورية العربية .

تونس

صرح السيد الحبيب بورقيبة الابن أن تونس مستعدة لارسال قوات من الجيش التونسى الى المعركة مع اسرائيل اذا نشبت الحرب .

اليمن

بعث الرئيس عبد الله السلال برسالة الى الرئيس عبد الناصر يؤيده تأييدا تاما وشاملا فى غلق خليج العقبة قائلا ان اليمن تراقب الموقف باهتمام وانها تساند قضية العرب مساندة كاملة .

السودان

اعلنت التعبئة العامة ، وارسلت قوة من الجيش للاشتراك مع قوات الجمهورية العربية المتحدة . بينما احتشدت الجيوش الاثيوبية على حدود السودان للتحرش بها !!! .

باكستان : تراقب باكستان الموقف باهتمام وقد أرسلت لسفرائها فى الدول العربية بموافاتها بالموقف أولا بأول وقد أصدرت بيانا ذكرت فيه مساندتها للامة العربية الاسلامية وتأييدها التام لاستعادة حقوق شعب فلسطين .

الهند : اختير لاول مرة رئيس جمهورية مسلم هو الدكتور زاكر حسين .

صرح وزير خارجية الهند السيد محمد علي تشاجلا أن الهند تساند العرب فى موقفهم ازاء اسرائيل

ماليزيا وسنغافورة : تلقت السفارة العربية طلبا من المتطوعين الذين رغبوا فى الجهاد من أجل استعادة فلسطين .

صرح نائب رئيس وزراء ماليزيا انه تم اعداد الوسائل الكفيلة بنقل المتطوعين الى خطوط الجبهة مع اسرائيل .

غينيا : أرسل الرئيس أحمد سيكوتورى رسالة الى الرئيس عبد الناصر يبلغه فيها باسم الشعب الغيني وحكومته التضامن المطلق مع الشعوب العربية من أجل استعادة حقوق فلسطين

موريتانيا الاسلامية : أيد المختار ولد دادة رئيس موريتانيا الاسلامية جميع الخطوات التى اتخذت لحماية حقوق الشعب العربى .

أفغانستان : أرسل جلالة الملك ظاهر شاه للرئيس عبد الناصر يؤيده فى موقفه .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منــا فى تســهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيــاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهــذا بيــان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبــار ـ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص.ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريــاض : مكتبة المدينة ـ ص.ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائــف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص.ب ٢٢
جـــده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص.ب ٦٣٥
بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عــدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المــكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة
دبــى : ساحل عمان ـ ص.ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مســقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيــة ـ السيد رجا العيســى
دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ص.ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
الســودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنــان . مكتبة كررى ص.ب : ٣٠٣
مراكــش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبــيا : طرابلس الغرب ص.ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغــازى : مكتبة الوحدة العربية ص.ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص.ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة ـ بريشة بدر القطامى

مطبعة حكومة الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ■ العدد الثامن والعشرون ■ غرة ربيع الثاني ١٣٨٧هـ ـ ٨ يوليو ١٩٦٧م

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص

صدق الله العظيم



مؤتمر وزراء خارجية العرب الذى عقد بالكويت فى قصر السلام وذلك فى يوم السبت
٩ ربيع الأول ١٣٨٧ هـ ــ ١٧ يونيو ١٩٦٧ م .

صورة الغلاف



إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص .
آية ٤ سورة الصف

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثامن والعشرون ـ السنة الثالثة

غرة ربيع الثاني سنة ١٣٨٧ هـ
٨ يوليو « تموز » ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

على الآخرين أن يختاروا

إما صداقة الأمة العربية ومصالحهم وإما مجاملة الصهاينة

تصريح هام لسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء

أعلن سمو الشيخ جابر الاحمد الجابر ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ان الامم الصامدة تقابل الظروف العصيبة بمزيد من الايمان بنصر من الله وبالعزم والتصميم على مواصلة الطريق وبالاعداد الروحى والاقتصادى والعسكرى .

وقد أجاب سموه بذلك على سؤال لمندوب الاذاعة والتلفزيون حول الخطوات التى ستتخذها الحكومة لمواجهة الظروف العصيبة التى تواجه أمتنا العربية . وقال سموه : **ان التصميم على مواصلة الطريق هو ماحدا بحضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الى ان يأمر بأن ترسل الحكومة مذكرة الى الدول العربية بغية عقد اجتماع عاجل لوزراء الخارجية العرب لتدارس الاوضاع الحالية وللتمهيد لعقد اجتماع عربى على أعلى المستويات لتقرير الخطة المدروسة التى ستواجه بها الامة ما يخطط لها من جانب أعدائها .**

وأضاف سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء مجيبا على سؤال حول ما اذا كان يعتقد بأن المعركة العربية قد أشرفت على نهايتها ـ أجاب قائلا .

اننى أعتقد العكس تماما ، وأن الحرب مستمرة ، ولهذه الامة من طاقاتها ما تستطيع ان تساند حربا طويلة الامد تحفظ لها شرفها ومقدساتها ، وتسترد بها حقوقها السليبة ، واذا كانت بعض هذه الطاقات قد ظهرت فيما استعملته الكويت وشقيقاتها من بعض أسلحتها الاقتصادية فلتعلم أية دولة ان لدى الامة العربية مزيدا من الاسلحة الاقتصادية والنفسية تستطيع ان تلقى بها فى المعركة حتى يكتب لها النصر .

ومضى سموه قائلا : اننا على ثقة من ان كثيرا من الدول يمكن ان يتفهم حقيقة معركتنا . لأنه يحاول ان يقف الى جانب الحق ، او لانه يشاركنا الشعور نحو مقدساتنا السليبـــة .

أما الآخرون فليعلموا ان عليهم ان يفاضلوا بين صداقة الامة العربية ومصالحهم فى المنطقة وبين مجاملة الصهاينة المعتدين .

وأعلن سموه ردا على سؤال حول الدور الذى ستؤديه الكويت فى معركة البناء فى الدول التى تضررت من العدوان الصهيونى :

ان كلا منا يعلم فداحة ما أصاب بعض الدول العربية من جراء العدوان الغاشم ، وانه لواجب على كل الدول العربية ان تتساند وتتعاون فى معركة البناء المقبلة ، ولا شك ان الكويت تقوم بواجبها فى هذا المضمار ، وستواصل عملها فيه بكل ما يمكنها من النواحى المادية والفنية والبشرية ، وسيقتضينا ذلك كثيرا من التضحيـــة وتغليب المصلحة العامة ، ولذلك تبحث الحكومة فرض بعض الضرائب غير المباشرة ليساهم الجميع فى هذا الواجب .

وقال سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ردا على سؤال آخر حول واجب المواطن الكويتى فى هذه الآونة :

ان الشعب الكويتى جزء من الامة العربية ، وقد شاء الله ان يمتحن هذه الامة فى الظروف العصيبة التى تمر بها ، فأصبح فرضا على كل واحد منا أن يشعر بالمعركة ويعيش فيها ، ويشارك فى حمل أعبائها ، وعلى كل واحد منا أيضا ان يطور حياته ، ليصبح مرابطا فى سبيل الله ، ينحى عنها الترف ، ويسعى الى التقشف ، ويصهر روحه فى معانى التضحية والمشاركة ، ويتقبل التكاليف والاعباء ، ويبذل مزيدا مـن الجهد والعمل المتواصلين ليحفظ لبلاده مستوى اقتصادياتها ، ليسند هو والدولة اقتصاديات الدول الشقيقة ، وبهذه الروح من الفرد الكويتي وبمثلها من المواطنين المقيمين يشارك كل فرد من هذه الامة باخلاص وايمان مشاركة حقيقية فى المعركـة القائمــة .

وليعلم العالم ان هذه الامة قد آلت على نفسها وعاهدت الله على ان تبذل كل شىء لتحفظ كرامتها وعزتها وحقوقها .

بعد الجولة جولة والنصر لنا في النهاية

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المولد النبوى الشريف كعادتها فى كل عام بمسجد السوق الكبير وقد افتتح سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاحتفال بالكلمة التالية :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد :

فيقول الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم : ((هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)).

أيها الحفل الكريم :

أرسل الله محمدا رحمة للعالمين ، ونورا وهداية للناس أجمعين ، أرسله ليهدى البشرية بعد ضلال ، ويضيء القلوب بنور الله ، ويربى نوعا جديدا من الانسانية التي تؤمن باللـــــه ..

أرسله الله ليبين للناس أن الاسلام عقيدة أمة . ونظام حياة .. وأنه رسالة تربية قبل أن يكون رسالة تشريع .

أرسله الله ليبين للناس أن العقيدة أصل وفطرة .. وان العبادة صلة وتربية . وان الشريعة أمن ونظام .

فبذلك وصل الرسول أصحابه بربهم ، وربي فيهم الضمير المرهف الحساس ، وزكي فيهم شرف العبودية لله وحده .

وبهذه الروح انطلق المسلمون الاولون يجاهدون فى سبيل الله فى كل مكان ويرفعون اسمه العظيم فى جميع بقاع الارض . وحدد الله لهم غاية الجهاد . وانه ليس للقهر والبغي . وليس للتسلط والاستعلاء وانما هو لاخراج الانسانية من ضيق الدنيا الى سعتها . وصدق الله العظيم ((الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)) .

كتب الله لهم النصر .. والنصر فى أول الامر وآخره من عنده . لا شأن لأحد به . ولا سلطان لمخلوق عليه . وصدق الله العظيم : ((وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم)) .



معالي عبد اللـه المشـارى الروضان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية يلقى كلمة الافتتاح فى الاحتفال بالمولـد النبـوى الشريف

كتب الله لهم النصر لانهم كانوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت .. لانهم كانوا على الحق . وأعداؤهم كانوا على الباطل ، ومهما علا الباطل ومهما ارتفع البغى فلا بد له أن يهوى خاسئا وهو حسير .

أيها السادة :

بالامس القريب بدأنا جهادنا المقدس .. ودخلنا معركة الحق والشرف .. ووقفنا على خط النار متحدين متعاونين .. جيش واحد . ارادة واحدة .. تصميم أكيد على استئصال قوى البغي والعدوان لان العدوان فى حد ذاته ليس موجها لشعب دون شعب ، وانما هو موجه الى كل عربي . موجه الى كل مسلم يردد لا اله الا الله محمد رسـول الله .

موجه الى كل حر يريد أن يسترد أرضه المسلوبة .

وشعر أعداؤنا بضعفهم وحشدوا لنا الجيوش بمكر وخداع . وظنوا أن ذلك يرهبنا ولكنهم واهمون ، فلئن كانت معهم قوة الارض فمعنا قوة السماء .. معنا قوة الله التي لا تغلب .. معنا النصر الذى وعدنا به فى قوله الكريم :

((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) .

فبعد الجولة جولة . وبعد المعركة معركة . والحرب كر وفر . واقبال وادبار . والنصر لنا فى النهاية ما دمنا مستقيمين على أمر الله : ((ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين))

فلننتهز هذه الفرصة التى نحتفل فيها بذكرى ميلاد رسولنا الاعظم لنجدد صلتنا بالله ونبدأ معه عهدا جديدا حتى نكون أهلا للنصر الذى وعدنا به فى كتابه العظيم : ((ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) .

ولا يسعنى فى هذه الذكرى العطرة الا ان ارفع اسمى آيات التقدير والاحترام الى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم وولي عهده وشعبه الكريم الذى يسهم الآن فى احراز النصر .. ويعمل على تحقيق الآمال الغالية للعرب والمسلمين فى كل مكان .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

كانت الصدمة التى تلقيناها مفاجأة لم نكن نتوقعها ، وما كنا نظن أن قوى الشر والبغى المتربصة بنا وراء اسرائيل ستسفر عن وجهها الكالح الى هذا الحد .. ولم يكن سوء الظن بهذه القوى يصل الى ما وصلت اليه ، وكان لا يزال لدى البعض منا شيء من الأمل فى أن تحسب هذه القوى ـ ولو قليلا ـ حسابا للضمير الحى ، أو للوجه الذى تظهر به أمام العالم ، أو لمصالحها وارتباطاتها بالبلاد العربية .

ولكنها أضاعت ما تبقى من أمل عند بعض الناس ، وقطعت آخر خيط كانوا يتعلقون به ، وظهر وجهها الكالح على حقيقته يقطر بالشر ، ويفيض بالبغض ، وينطق بالحقد ، ولم تكن هذه القوى الشريرة أقل حرصا من الأفاكين على اذلالنا ، وقتلنا والتمثيل بنا وبأطفالنا وحرماتنا ؛ فقد أسكنتهم من قبل أرضنا الطيبة ، وطردتنا منها ، وشردتنا يمينا وشمالا .

وكان من طبيعة الدور الأثيم الذى قامت به أنها تركت شعبا مشردا نحو عشرين عاما دون أن يتحرك لمأساتهم الضمير العالمى ، ثم مدت لهؤلاء الشريرين فى الغى ، وحرضتهم على الظلم والبغى ، وقدمت لهم كل سلاح صوبوه الى صدورنا . وسفكوا به دماءنا ، وهدموا به دورنا ، وتركونا نتلوى من المرارة ، وننتفض من الألم ، وهم هناك يشمتون ، ويتحدثون عنا بما يشاءون ، ويخيل لهم غرورهم أن يفرضوا علينا من الحلول ما يريدون .. وكذبوا .. أو أننا سنتركهم يفلتون من قبضتنا ، ويمرحون بما كسبوه من نصر خاطف علينا .

ولعل الكثير قد تساءلوا : لماذا يقف الغرب هذا الموقف منا ، ويسخر كل قواه ضدنا ، ويدلل هذه الفئة الافاكة ، ويمد لها فى الشر والفساد ، ويقدم لها ما تشاء من مال وعتاد ؟ !!

ونحن العرب المسلمين قوم قد ننسى ، أو نتناسى ، ونهمل دروس الماضي وعبر التاريخ ، ونحسن الظن أحيانا بهذه القوى الشريرة وننخدع بما تعلنه أحيانا من كلمات معسولة ، أو معاملة مصنوعة ، ولكن هل ننسى أو نهمل واقعنا المر القاسى الذى نعيش فيه ، وقد سقونا المرارة كلها ؟ !

نسينا أو تناسينا الأحقاد القديمة على الشرق المسلم حين خرجت جحافل الغرب من قرون مدفوعة بسموم الحقد ، لتهاجمنا فى بلادنا ، وتنزعها من أيدينا ، وتقتل فى واقعة القدس وحدها سبعين ألفا منا .. وتمرح فى أرضنا ، حتى قيض الله لنا صلاح الدين وأترابه العظماء ، فطهروا أرضنا منهم ، وردوهم مدحورين الى ديارهم .

ربما نسينا هذا .. حتى ذكرنا به أخيرا أحد القواد الانجليز ، حين دخل مدينة القدس فى الحرب العالمية الاولى ، ونزعها من أيدى العثمانيين ، ووقف شامخا ـ وهو يتذكر ما حل بأجداده من هزيمة فى هذه الأرض الطيبة ، وما ضاع منهم من أمل ـ فيقول : ((اليوم انتهت الحروب الصليبية)) لأنه عاد ودخل القدس ، وفرض نفوذه عليها ، وقد كان ذلك حلما راود أجداده منذ مئات السنين ، وبدده المسلمون الأبطال .

ويدخل قائد آخر فرنسى، ليس من جنس القائد الأول ،ولكنه غربى،وسليل المنهزمين أمام صلاح الدين ، والمأسورين بيد الجيش المصرى فى (المنصورة) ، يدخل هذا القائد مدينة دمشق ، ويمشى الى حيث يرقد البطل الانسان ، الذى ارتفع بدينه وانسانيته الى الذروة ، فلم ينتقم منهم ، ولم يمثل بهم كما مثلوا بنا ، ويقف هذا الحقد المتحرك المتجسم فى شكل قائد منتصر على أهل دمشق ، يقف على القبر ، وليس أمامه الا حجارة تغطيه ، فيقول فى نذالة الجبان الحاقد : ها نحن عدنا يا صلاح الدين . ولم يذكر القائد الجبان أنه أمام قبر ، ولم يستح أن يتحدث بما تحدث به ، ولو كان صلاح الدين حيا لكان مصير القائد وجنوده كمصير أجدادهم من قبل .

انه فى الحقيقة لم يكن يتحدى صلاح الدين ، بل يتحدى الأحياء من أحفاد صلاح الدين وجنوده البواسل .

ومر هذا التحدى وذاك علينا ، ولم نفطن اليه ، أو فطن البعض منا ، ولكنا لم نستطع الرد عليه .

ثم وجدنا الحقد الكامن يظهر فى صورة جديـدة كالحـة متبجحة ، فيمزق قلبنا ، ويزرع اسرائيل ، لتظل السهم الذى ينزف به الدم من القلب . فلا تكون حياة كتلك التى يحياها الأصحاء ..

وقامت دولة الأشرار فى قلبنا ، تمثل كلبا عقورا يسلطه صـاحبه الاقطاعـى (البلطجى) على الجيران ، يروعهم ويعتدى عليهم ، ولم يكن لقوى الشر الاستعمارية من هدف الا أن تشفى حقدها ، وتشغلنا نحن العرب عن النهوض ببلادنا وتنميتها بعد استقلالنا ، لنعيش كما يعيش كل شعب حر .

نعم .. لو لم يضع الغرب الاستعمارى الحاقد بذرة الشر والفساد والاعتداء فى أرضنا ، لانصرفنا بكل قوانا الى تعمير بلادنا ، والنهوض بمرافقنا ، ورفع مسـتوى معيشتنا بتلك الأموال والجهود الضخمة التى نوجهها الان لاعداد جيوشنا وتسليحها للدفاع عن كياننا . وما كنا بحاجة الى جيوش جرارة وكلنا اخوة لا يخشى أحدنا غدرا من جاره ..

ولكن هل تتركنا قوى الشر الاستعمارية الحاقدة لننهض بسهولة ؟ هل تتيح لنا فرصة لنستعيد أمجادنا الاسلامية العربية ، ونصبح قوة لها وزنها وخطرها فى العالم ؟.

ان هؤلاء الذين يحركهم الحقد الكامن على أمة العرب والاسلام يعرفون أكثر مما نعرف ، أو كما نعرف ، أننا أمـة أصيلة لها مقوماتها الاسلامية العربية المكينة ، ولها ميراثها وحضارتها وأمجادها التليدة ، وأننا أمة يهيب بها كتابها ورسولها وميراثها فى كل وقت أن تهب لتسترجع أمجادها ، وتستعيد قوتها ، وتتخلص من آثار الضعف التى علقت بها . أمة تقرأ فى كتابها أو تسمعه يصب فى قلوبها وآذانها : أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وأن المستضعفين الذين يرضون بالذل لهم جهنم وبئس المصير .

فوضع الحاقدون خططهم الخبيثة من قديم ليحولوا بين المسلم وبين كتابه ودينه ، ويقطعوا الصلة بينه وبين منابت العزة والقوة فيه ، ليجعلوا منه قطيعا يسهل اقتياده والسيطرة عليه وعلى كنوز ثرواته .

وهكذا فعلوا وسلطوا على قوانا الاسلامية كل معاول الهدم ، حتى ضعفت فى نفوسنا الروح الاسلامية الاصيلة ، وكدنا نكون أشباحا اسلامية لا روح فيها .. وجرؤ بعضنا على أن يرمى الاسلام بالعقم والتأخر ، ويهاجم كل المعانى الاسلامية علنا .. ودون خوف أو حياء .. كما عمد آخرون منا على اشاعة الانحلال الخلقى بكل صوره فيما يكتبه أو ينشره من سموم فتاكة أو صور خليعة ماجنة موهما القراء ، والجيل الجديد من الشباب والشابات بخاصة أن هذا هو التقدم والتمدن !!

وهكذا أصبح كثير منا شركاء لاعدائنا فى تحطيم روحنا من حيث يدرون أو لا يدرون .. وأصاب العدو الحاقد على المسلمين كثيرا من النجاح فى ابعادهم عن منابت عزتهم ، ودوافع قواهم ، ومع هذا لم يغفل . فلا زال يسير على الطريق الى غايته ، وكلما لاح له أن الصيد المهيض الجناح يكاد يسترد قواه ، وجه اليه طاقة جديدة فأدماه .

تلك خطة عرفناها ، وعرفنا معها الاسبيل لتمزيق شبكة الصائد ، والقضاء على خططه الا باتحاد الطير ، واستجماع قوته ليهب دفعة واحدة ، تمزق شباكه ، وتقضى على حبائله ، وأصبح من الواجب الحتمى على أمة العرب ـ ان كانت جادة فى معركتها ـ أن تقضى على كل مخلفات الاستعمار الخبيثة فى وسطنا ، وتحارب كل نزعات الانحلال والفساد فى شتى صورها بيننا .

ويقول كثيرون ويتساءلون أيضا : كيف تستمر قوى الحقد فى عداوتها لنا وتصر على احتضانها لفئة صغيرة من الصهيونيين دون أن تحسب حسابا لكثرة عددنا . او لمصالحها التى فى أيدينا ، أو لموقفنا الحساس فى خريطة العالم ؟ اما كانت كل هذه العوامل تحملها على مصادقتنا أو مجاملتنا أو على الاقل ترغمها على الوقوف موقف المحايد ؟ !

نعم .. كان هذا أو ذاك ممكنا لو أنها رأتنا قوة متحدة ، واحست فينا روح الجـد والعزم فى مواقفنا ، وفيما نطلقه من تصريحات ، أو نصدره من قرارات ، ولكنها كانت ترانا مفككين مبعثرين ، نقول ولا نفعل ، ونهزل ولا نجد ، ونعادى ولا نصر ،

ونهدد ولا نضر . بينما الفئة الصهيونية الصغيرة فئة متحدة متماسكة ، تخطط وتعمل ، وتعد وتتوعد ، وتنفذ وعدها ووعيدها . ذاك فرق يجب أن نقف عنده ونعيه تماما . لا أقول المسئولين وحدهم ، ولكن كل فرد منا ، ولا سيما فى هذه الفترة الحرجة التى نمر بها ..

ان العار الذى لحق بنا لا يمكن أن ينجو منه فـرد عربـى فى أى مكان .. كلنا أحسسناه وتجرعناه ، نحن وقادتنا على السواء .. وبقدر ما أحسسنا من عار ، وتجرعنا من مرارة يجب أن نعمل .

ليس من السهل علينا أن تضربنا هذه القلة يمينا وشمالا ، وتشردنا رجالا ونساء وأطفالا ، ونحن بهذه الكثرة !!

ليس من السهل علينا أن نرى ما يفعله هذا العدو الفاجر بنا ، ونحن عاجزون عن ردعه .

ليس من السهل على نفوسنا أن نرى قوى الشر الغربية تتكتل ضدنا وتتحدانا ، وتصر على اذلالنا ، وكبت أنفاسنا ، والحاق المهانة بنا وبتاريخنا من أجل تدليل هذه الفئة الشريرة ولا نتكتل نحن جميعا ضدها ، ونستهين بكل تضحية فى سبيل ردعها .

ولو أنه لا يوجد لدينا وفى امكانياتنا ما ندفع به عن أنفسنا ، وننتصف به لكرامتنا وعرضنا وشرفنا ، لكان لنا بعض العذر .. أما وفى أيدينا أسلحة متنوعة وحاسمة ندفع بها العار ، ونمسك بها زمام النصر ، فان من عار الابد ، وذل الدنيا والآخرة أن نسكت أو نتهاون أو نتردد فى التضحية بكل ما نملك ؛ فان الحرة تجوع ولا تأكل بثديها

اننا الآن فى موقف فاصل وجد فاصل .. لا مجال فيه لتلاعب ، أو مهاترات ، أو اختلافات ، أو انصراف الى المتع واللذات .. بعد ما أحسسنا أنه لا قيمة للمناصب أو المال والمتع ، أمام لحظة من اللحظات القاسية التى مررنا بها ..

اننا صدمنا حقا صدمة عنيفة ، ولكنها ــ كما أعتقد ــ صدمة علاجية ، أفاقتنا من غفوتنا ، وفتحت عيوننا على عيوبنا ، وعلى أعدائنا ، عرفنا مواضع النقص فينا ، كما عرفنا عدونا من صديقنا وجمعتنا فى وحدة كنا نتمناها من زمن ، وبعثت فينا العزم والتصميم على النصر ، والاخذ بالثأر .

فاذا نحن وعينا هذا الدرس وتعلمنا منه ــ ولا سيما قادتنا ــ أن نعمل جبهة واحدة فى كل المجالات عملا مدروسا ، ونكرس له كل طاقاتنا المادية والمعنوية من أجل هدفنا ، فما أحبه من درس مع ما فيه من قســوة وتضحية ((وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)) .

والأمر فى ذلك معلق كله برقاب القادة . والامة كلها حولهم ترقبهم وتشـد أزرهم ، والله يرعاهم ويسدد خطاهم ..

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعـوة

من هدي السنّة

النصر مع الإيمان والصبر

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أبى رقية تميم بن اوس الدارى رضى الله عنه .
قال صلى الله عليه وسلم . « الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » . رواه مسلم

١ — يعيش العالم الاسلامى فى هذه الآونة من الزمان أياما عصيبة ، لما يرون ويلمسون من ضعف معنوى وتخلف فى مضمار الحياة الروحية ، وانعكاس ذلك على وجودهم المادى ، تخلفا ادى الى تهاويهم امام أعدائهم بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخهم الحافل بالعظائم ، والملىء بالمكرمات فى كل ميدان ، وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت ، واعتقد ان هذه الحالة الواقعة سحابة صيف لا تلبث ان تقشع اذا عولجت اسبابها على ضوء اصول الاسلام ، واذا ادركوا السر الكامن وراءها وهو انحسار العمل بما اوحى الى سيد الخلق عن سلوكهم ، وتجاوزهم الحد المالوف فى ذلك الى درجة انك لا تستطيع التمييز بين سلوكهم وسلوك من لا يعرف الاسلام ولا يفقه عنه شيئا ، والذى يدفع الطمأنينة الى القلوب ، ويشع النور فى النفوس هو ان باب الله مفتوح للعائدين اليه وأنه لا يوصد ابدا ، فلعل هذه الهزة العنيفة توقظهم ، وتدفع بهم الى الامام ، ورب ضارة نافعة ، وما بعد الليل البهيم الا نور الفجر الوضىء .

٢ — لدى تأمل احوالنا واحوال من سبقونا من المجاهدين الاولين ، نجد البون شاسعا والاختلاف واضحا بين سلفنا الصالح الذى فهم الرسالة المحمدية ووعاها ، وحملها واداها باخلاص فسعدت اجيال عاشوا فيها وبلاد شبوا على ارضها ، وبين الخلف العاجز الذى فرط فى دينه فضعفت قوته ووهنت عزيمته وانفرط عقده فهان على الله والناس .

الايام هى الايام فى مرورها والفلك هو الفلك فى سيره ، ولكن الاولين آمنوا ودخل الايمان قلوبهم فعمرها وجرى دما عبيطا فى عروقهم ، وظهرت آثاره فى اخلاقهم وعباداتهم وهيمن على معاملاتهم، فصاروا مثلا عليا فى جميع نواحى الحياة الخيرة ، عدلوا ، وتراحموا ، وضربوا فى سبيل الله يحملون نور التوحيد يبددون به ظلمات الشرك يعبدون الواحد الاحد وينبذون عبادة الاصنام حجارة كانت او اموالا او اولادا ، ويبثون العقيدة النقية السمحاء آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، لا يتفاضل الناس عندهم بلون او جنس او مال وانما مقياسهم التقوى والعمل لصالح الانسانية أينما وجدت وحيثما حلت فى المدن والقرى فى الوهاد والنجاد فى الصحارى وفى الغابات فى الادغال وعلى ضفاف الانهار وشواطىء البحار فى كل مكان معمور يعلمون ان آدميا يسكنه ويعيش فيه ، وما عدتهم وعتادهم الاكتاب الله وهدى نبيه صلى الله عليه وسلم ، والخلق الفاضل والعمل المتواصل ، كل ذلك بعد ان طبقوا ما يقولون على ما يفعلون ، فلم يأمروا بشىء لا شاهد له من فعالهم ، فهم المثل العليا فى اسمى الصور الاسلامية الحقة ، فهل آن لورثتهم ان يسيروا على الدرب الذى سلكه آباؤهم ، فالاجيال الصاعدة فى حاجة ماسة الى من يوجهها ويرشدها الى ما ينفعها من مرامى الاسلام ومقاصده ، الى من يسلك بها سبيل العزة والقوة ، الى من يحميها من سموم الغرب والشرق التي تقدم اليهم فى صور نصائح ودراسات وهى فى الحقيقة سم ناقع ان لم يقتل خلف وراءه داء عياء يعيى نطس الاطباء ، ويغالب حكمة الحكماء .

٣ – وانى أليوم فى هذه الآونة من حياة المسلمين أهيب بكل قادر على تفهم القرآن وافهامه لغيره ان يطرح التواكل ويعمل فى حقل الدعوة الكريمة ، كما آمل فى الله العلى الكبير ان يوجه دعاة الكتاب والسنة فى عصرنا الى ان يجعلوا التبليغ الصحيح هدفهم ، وهداية الناس غايتهم وان يتلمسوا الاجر من الله وحده ، وان لم يفعلوا ، فسيفلت منهم الزمام الى الابد ان لم يكن قد فلت فعلا ،وسيجنون ثمرة تقصيرهم لعنات من الاجيال الحاضرة والقادمة والامل فى الله قوى فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، ولنعلم جميعا ان الانبياء لم يورثوا مالا ، ولم يتركوا ضياعا ولا كراعا، وانما ورثونا تركة روحية اصلاحية هادفة تثقل الكواهل ولا يؤديها حق الاداء الا أولوا العزم ، فلنستعن بالصبر والصلاة ولنتوكل على الله ليؤيدنا بنصره ويمدنا بعونه ، ولنسلك ما سلكه سلفنا الصالح من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة فى غير عنف ولا تهاون ، ولتكن نصائحنا الى العامة والخاصة وسأورد طرفا من أقوال السابقين وتوصياتهم الكريمة عسانا نستضىء بنورها وننسج على منوالها والله وحده هو الهادى الى أقوم طريق (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ..) .

٤ – جمع سيدنا على كرم الله وجهه بنيه يوما وقال لهم . (يا بنى . أوصيكم بتقوى الله فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الرضا والغضب . والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل مع الصديق والعدو ، والرضا عن الله فى الشدة والرخاء ، يا بنى ما شر بعده الجنة بشر ، ولا خير بعده عافية النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون



النار عافية ، يا بنى من أبصر عيب نفسه شغله عن عيب غيره ، ومن رضى بما قسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئرا وقع هو فيه ، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عوراته ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله ذل ، ومن تكبر على الناس أذله الله ، ومن خالط الانذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن يصحب قرين السوء لايسلم ، ومن يصحب صالحا يغنم ، ومن دخل مداخل السوء يتهم ، ومن لا يملك نفسه يندم ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار ، يا بنى . الادب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين ، يا بنى . العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله تعالى والواحد فى ترك مجالسة السفهاء ، يا بنى . لا شرف أعلى من الاسلام ، ولا كرم أفضل من التقوى ، ولا معقل أحرز من الورع ، ولا شفيع أنجع من التوبة ولا لباس أجمل من العافية ، الحرص مفتاح التعب ومطية النصب ، التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم ، بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد ، فطوبى لمن أخلص لله عمله ، وحبه وبغضه ، وأخذه وتركه وكلامه وفعله .

٥ ــ وهذا عالم سلفى هو الحسن البصرى يخاطب ابن آدم ، وكلنا من آدم وآدم من تراب يقول الحسن رضى الله عنه . « يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما معا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما معا ، يا ابن آدم . اذا رأيت الناس فى خير فنافسهم فيه ، واذا رأيتهم فى شر فلا تغبطهم عليه ، الثواء ها هنا قليل ، والبقاء هناك طويل ، أمتكم آخر الامم ، وأنتم آخر أمتكم وقد أسرع بخياركم فما تنتظرون ؟ هيهات ، هيهات، ذهبت الدنيا ببلائها ، وبقيت الاعمال قلائد أصحابها ، أما انه لا نبى بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم .. يا ابن آدم . طأ الارض بقدميك فانها عما قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، يا ابن آدم . اذكر قول الله عز وجل (وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ... عدل والله من جعلك حسيب نفسك » .

وقدم هشام بن عبد الملك مكة حاجا أيام خلافته فقال . ايتونى برجل من الصحابة ، فقيل له . قد تفانوا ، فقال . فمن التابعين ، فأتى بطاووس اليمانى ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ، ولم يسلم عليه بأمرة المؤمنين ، بل قال . السلام عليك ، ولم يكنه ، وجلس بازائه ، وقال . كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام وقال . يا طاووس ما الذى حملك على ما صنعت ، قال . وما صنعت ؟ فازداد عليه غضبا . وقال . خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تسلم على بامرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بازائى . فأجابه . أما خلع نعلى فانى أخلعهما كل يوم خمس مرات بين يدى رب العزة فلا يغضب على لذلك ، ولم أسلم عليك بامرة المؤمنين لان كل الناس ليسوا راضين بامرتك فكرهت أن أكذب ، وان كنت لم أكنك ، فان الله سبحانه سمى أولياءه فقال . يا داود يا يحى ، يا عيسى ، وكنى أعداءه فقال : (تبت يدا أبى لهب وتب) وجلست بازائك لأنى سمعت عليا رضى الله عنه يقول . اذا أردت ان تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل

جالس وحوله قوم قيام . فقال هشام . عظنى يا طاووس فقال . ان فى جهنم حيات كالتلال وعقارب كالبغال تلدغ من لا يعدل فى رعيته ثم قام عنه وانصرف .

٦ ـ هذا غيض من فيض مما نصح به أولياء الله عباد الله ، والعالم الاسلامى فى لحظته الحاضرة فى حاجة ملحة الى الاستماع الى مزيد من توجيهات القرآن الكريم والانصياع لها ، والعمل بما جاء فيها من أى وقت مضى، ولما كان الحديث هنا حديث الاسلام ولا شىء غير الاسلام كان لا بد من التعريج على الشروط الاساسية التى اشترطها رب السموات والارض العزيز الحكيم ليصل الناس الى النصر فى كل شىء ، ذلك الشرط هو الايمان بالله والتوكل على الله والثقة به وحده والفناء فيه وحده فناء كاملا ، وقد ضرب الله الامثلة الواقعية المادية تصديقا لذلك ، فنظرة سريعة ولا أقول فاحصة على التاريخ الاسلامى والغزوات التى اشترك فيها القائد الاول رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده والتابعون لهم باحسان ، تظهر لنا بما لا يقبل الجدل ولا المناقشة أنهم لم ينصروا أبدا ـ وأقول أبدا وأؤكدها ـ بالعَدد والعُدد وها هى ذى بدر وما أدراك ما بدر ، تكفى مثالا ، وها هو القرآن يقول فى نفس الموضوع (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) والمعنى واضح جلى ، قال لهم المنافقون او المثبطون او المتقاعسون او المتهالكون على الحياة الدنيا ، لا تذهبوا الى القتال فكيف لكم بالعدد الوفير والجحافل المتراصة والاسلحة والذخائر (ولكل عصر أسلحته المناسبة) ، فما كان جوابهم الا ان قالوا . نحن لا نبالى الكثرة ولا نهابها لسبب واحد بسيط هو ان ربنا حامينا وراعينا وهادينا وهو على كل شىء قدير ، فهو حسبنا وملاذنا وكافينا والمدافع عنا ، وزادتهم كثرة عدوهم ايمانا بالله ، وكرروا . حسبنا الله ونعم الوكيل ، فجاءهم النصر والفوز والغلبة وتحدثت بذلك الآية الكريمة التالية للآية السابقة . (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) . واستمروا فى طريقهم القويم ونهجهم المستقيم فى ايمانهم فى عملهم المطابق لاقوالهم (واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) . وعقبت الآية الثالثة على هذا أيضا لتزيدهم قوة وتماسكا وترابطا واحتقارا للموت واقداما على القتال دائما فقال عز من قائل . (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) . وكل هذا لان المؤمن يثق بما عند الله وهو متأكد من عون الله لأنه يعلم علم اليقين علما لا يداخله ريب ولا يعذبه شك ان النصر اذا لم يكن من الله فلا نصر (من كان يظن أن لن ينصره الله فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) .

٧ ـ والمسلم ايجابى دائما خصوصا فى الحروب شعاره قول القائل :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه
ولو رام أسباب السماء بسلم

واستمع لآخر :

من لم يمت بالسيف مات بغيره
تنوعت الاسباب والموت واحد

البقية : على ص ٣٠

لماذا اختلف الأئمة

التقليد . الاتباع . التلفيق

سبق أن بينا اختلاف العلماء فى عهده صلى الله عليه وسلم وسببه كما بينا يسر الاسلام وما ادخله بعض الناس عليه من عسر وتشدد واليوم نعجل بالاجابة على النقطتين ٣ و ٤ من السؤال وهما . ما الحكم فيما لو قلد العامى اماما فى موضع وقلد غيره فى غيره ؟ وهل يمكن تقليد غير الاربعة ؟

فنقـول :

التقليـد

فى لغة العرب مأخوذ مـن القـلادة ، والقلادة هى ما يوضع فى العنق ، ومنه فى القرآن (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد) (آية ٢ من سورة المائدة)، فالقلائد هنا جمـع قـلادة وهى شىء يوضع فى عنق الناقة مثلا للدلالة عـلى أنها مهداة الى الحرم المكى ، فلا يمسهـا أحد بسوء ، ومنه قلادة السيف ، وهى حمالته التى توضع فى العنق ، وقـلادة المرأة ، وهى ما تضعه فى عنقها للزينة ، يقال قلدت المرأة قلادة أى جعلت القلادة فى عنقهـا .

فالتقليد أصله وضع القلادة فى العنق، ثم استعمله العرب مجازا فى معان أخرى، بينها وبين المعنى الحقيقى مناسبة ، منها تقليد الحكام أمر الاقاليم لاحد عمالهم ، فيقال قلد الامير فلانا على اقليم كـذا مثلا ، أى فوضه اليه ، وجعله مسئولا عنه ، كأن الولاية على هذا العمل حمالة سيف وضعها فى عنقه .

ومن هذا المجاز أيضا التقليد فى الدين، يقال قلد فلان الامام فلان ، أى تبعه من غير تأمل ولا بحث عن مصدر رأيه ، فكأنه جعـل مسئوليته فيما يعمـل قـلادة ووضعها فى عنق الامام الذى قلده فيما

وما الحكم في تقليدهم؟

٣

للشيخ عبد الجليل عيسى
عميد كليتي اللغة العربية ـ واصول
الدين سابقا ـ جامعة الازهر

يعمل ، ولهذا كان بعض الائمة ينفر من تبعة ذلك ويقول : لا تقلدوني قلادة سوء بل انظروا الى دليل ما قلت .

الاتبـاع

يطلق فى لغة العرب على معان منها :

حصول شيء عقب شيء كما قال تعالى (يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة) آيتى ٦ و ٧ من سورة النازعات ، وقوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) آية ٢٦٣ من سورة البقرة ، وقوله (الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) آية ١٠ من سورة الصافات .

ومنها أن يسلك المكلف طريق غيره خيرا كان أو شرا ، فمن الاول قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) آية ١٠٠ من سورة التوبة . ومن الثانى قوله تعالى فى الكفار (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) آية ٢١ من سورة لقمان ومنها أن يطيع أمر غيره خيرا كان أو شرا كذلك، فمن الاول قوله تعالى (واتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) آية ٩٥ من سورة آل عمران ومن الثاني قوله تعالى (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد) آية ٥٩ من سورة هود .

وقد يطلق الفقهاء الاتباع على التقليد، فيقولون اتبع فلان مالكا ، او الشافعى مثلا ، لكن اطلاقه كثيرا عندهم على اطاعة أمر الله ورسوله وما أجمع عليه الخلفاء . قال الامام أحمد : الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه كما سيأتى توضيح ذلك فى كلام ابن تيمية .

التلفيـق

فى عرف الفقهاء هو أن يجمع المكلف فى عمل واحد بين مذهبين من مذاهب المجتهدين كما ستراه فيما بعد .

وينبغى ان تعلم ان من أسباب بلبلة الافكار فى التقليد وفى **هذا التعصب** البغيض لبعض الأئمة دون بعض ما



أشاعه المرحوم الشيخ ابراهيم اللقانى (١) فى كتابه (جوهرة التوحيد) من قوله (وواجب تقليد واحد من أئمة الفقه الاربعة ، أبى حنيفة ، ومالك بن أنس ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، عليهم جميعا رضوان الله) وستعلم فيما يأتى رد المرحوم شيخ الاسلام بدمشق تقى الدين أحمد بن تيمية (٢) ، والمرحوم شيخ الاسلام بمصر محمد مصطفى المراغى (٣) .

والآن نعرض ما قاله بعض المفسرين والفقهاء فى هذا الموضوع فنقول .

قال الالوسى فى تفسير قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) آية ٤٣ من سورة النحل : وفى الاكليل للجلال السيوطي أنه استدل بهذه الآية على أن العامى يقلد المجتهد فى الفروع ، اى لا فى العقائد . وقال الجلال المحلى . انه يلزم غير المجتهد **عاميا كان أو غيره** أن يقلد المجتهد ، ويريد بغير العامى هؤلاء المؤلفين الذين لا قدرة لهم على استخراج الاحكام من أدلتها ، أو ترجيح بعض الادلة على بعض .

ثم قال الالوسى : ومقتضى كلام العلماء أنه لا فرق بين تقليد أحد أئمة المذاهب الاربعة المشهورين أو تقليد غيرهم من المجتهدين ، وسيأتى بعض أسماء هؤلاء المجتهدين غير الائمة المعروفين .

وجاء فى كتب المالكية نقلا عن سيدى محمد الصغير من كبار علماء المذهب أنه قال : يجوز للمقلد أن يلفق فى عمله المطلوب منه شرعا ، فيجوز له أن يمسح بعض رأسه فى الوضوء مقلدا الشافعى ، وأن يترك البسملة فى الصلاة مقلدا مالكا ، ثم قال . وفى هذا سعة ، ودين الله يسر ، ثم قال الناقل لهذا الكلام من مؤلفى المالكية . وما قاله سيدى محمد الصغير هو الارجح .

نقول . وأولى من هذا بالجواز ما قاله المرحوم الشيخ الباجورى فى كتابه على جوهرة التوحيد بعد أن ذكر أن الجمهور وافق اللقانى على قوله بوجوب تقليد الائمة الاربعة :

« وقال بعضهم . لا يجب على العامى أن يقلد واحدا بعينه ، بل له أن يعمل برأى واحد من هذه المذاهب تارة ، وبغيره تارة أخرى ، فيجوز له صلاة الظهر على مذهب الامام الشافعى ، وصلاة العصر على مذهب الامام مالك مثلا » .

ثم قال الشيخ الباجورى أيضا فى مكان آخر من كتابه هذا المتقدم ذكره « هل يجوز للعامى الانتقال من مذهب الى مذهب » ؟ قلت . للعلماء فيه آراء ثلاثة :

قيل يمتنع مطلقا ، وقيل يجوز مطلقا، وقيل يجوز بشرط ألا يجمع فى المسألة الواحدة بين مذهبين بحيث تكون على صفة لا يقول بها واحد منهم ، كمن يتزوج بلاصداق ، ولا ولى ، ولا شهود ، فأبو حنيفة وان لم يشترط الولى فانه يشترط الشهود ، ومالك لم يشترط ذكر الصداق فى العقد ويكتفى بوجوب مهر المثل على الزوج ، ولكنه يشترط الولى والشهود ، والشافعى يشترط الثلاثة .

وكمن يصلى صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، ويكتفى بقراءة ما تيسر من

---

(١) المتوفى سنة ١٠٤١ هـ (٢) المتوفى سنة ٧٢٨ هـ (٣) المتوفى سنة ١٣٦٤ هـ

القرآن غيرها ، ولم يجلس فى التشهد الاخير الا بمقدار السلام ، فهذه الصلاة باطلة عند الشافعى ، ومالك وأحمد لأن قراءة الفاتحة فرض عندهم ، دون أبى حنيفة لأن الفرض عنده قراءة ما تيسر من القرآن فقط ، وباطلة عند الجميع غير مالك ، لان الجلوس الاخير بقدر التشهد واجب عند الجميع دون مالك ، فان الواجب عنده هو الجلوس بمقدار السلام فقط ، فصورة هذه الصلاة باطلة على الرأى الاول والثالث من الآراء الثلاثة المتقدمة ، وصحيحة على الرأى الثانى منها .

مسألة مهمة

ويجب أن نلاحظ هنا مسألة مهمة ، تلك هى ان هذا التقليد الذى أجازه العلماء للعامى اشترطوا فيه ان يكون العامى مقلدا لمجتهد يقدر على استنباط الحكم من دليله ، كما تقدم ، وعلى ذلك يكون ما شاع وذاع فى الازمنة الاخيرة من تقليد العوام لكل من يؤلف كتابا فى الفقه ، وهو غير مجتهد طبعا ، فهذا ليس هو التقليد الذى أجازه العلماء ، بل هو تقليد تجب الحيطة منه ، لان كثيرا مما كتبه المتأخرون قالوه من عند أنفسهم ، متوهمين أنهم أهل للاجتهاد ، وهم ليسوا في الواقع كذلك ، لذا نرى فى هذه الكتب من مخالفات صارخة للقرآن ولحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما هو محرم شرعا ، ومنها ما هو مبتدع ليس من دين الله فى شىء .

ومن تتبع هذه الكتب يرى العجب ، ففى بعضها جواز اسقاط الصلاة بدفع دراهم معدودات للفقراء (١) ، وفى بعضها شرح طريقة اسقاط الزكاة ، والحج الى بيت الله الحرام ، والجهاد فى سبيل الله ، قال الشيخ الصفتى (٢) المالكى فى حاشيته على ابن تركى فى اول باب زكاة الفطر ، قال الاجهورى . زكاة العافية المشي في الطاعات ، ومن زار وليا فان التراب الذى يضع قدمه عليه ، ينقل الى بلاد الكفار ، فكل كافر يمشى عليه فان الله سبحانه يهديه للاسلام ، ثم قال الصفتى . وهذه فائدة حسنة !!!

وبهذا كفى الله المؤمنين القتال !!! وهل يريد اليهود ، وخصوم الاسلام أحسن من ذلك !!

وفى هذه الكتب أن الميت العاصى مهما كان مرتكبا من الجرائم كترك الصلاة ، والقتل ، والنهب ، اذا جمع له ورثته عددا من حفظة القرآن يقرءون له الصمدية (سورة التوحيد) مائة ألف مرة عتقه الله من النار ، ويسمونها (عتاقة) !! فطوبى لكل ثرى يسهل على ورثته بذل نحو مائة جنيه بعد موته لتوزيعها على عدد من الفقراء ، وبذلك يكون قد أعطى نفسه حظها من الشهوات فى الدنيا ، ونجا من عقاب الآخرة ، والويل للفقير الذى يرتكب ذنبا !! هذا ما كان من تحريف احكام الله ، أما المهازل فى الامور الاخرى فكثيرة ، من أعجبها قول بعضهم ان الصراط شعرة من جفن مالك خازن النار !!

ألم يقل عالم كبير منهم فى مؤلفه الكبير أيضا لما سئل عما يفعل أمام الجنائز من رفع الاصوات بالذكر ، ودلائل الخيرات ، وغير ذلك ، وأن هذا مخالف للحديث الصحيح الذى يأمر بالصمت عند تشييع الجنازة ، ليتفرغ القلب للعبرة بالموت ، قال رحمه الله .

---

(١) ومن العجب أن ترى لهذا عنوانا خاصا فى كتب فقه الحنفية وتجد الشراح يطيلون الكلام فى هذا بل ويجوزون الحيل التى يعمد اليها بعض الجهال . ويلقن ذلك للطلاب الصغار وكأنه أمر دينى كالصلاة والصيام الخ . الوعى .

(٢) وهو من علماء القرن الثانى عشر .



هذا صحيح ، ولكن لو شيعت الجنائز بدون ذلك يكون فيه احتقار للميت . فلو قيل بأن ما يفعل مما ذكر من رفع الصوت هو السنة المشروعة لما كان بعيداً، فيا لله للمسلمين ، صارت البدعة سنة ، والسنة بدعة ، وفى المحافظة عليها احتقار لموتى المسلمين ، نسأل الله العافية .

ولا تعجب أيها القارى الكريم فكتب المتأخرين مشحونة بمثل هذه المخازى ، وتحت يدى منها مالا يدخل تحت حصر ، ولو أراد قراء الوعى الاسلامى أن أذكر لهم المئات منها لفعلت .

مع ابن تيمية

واليك بعد ذلك ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه (مجموعة الرسائل الكبرى) ففيه ، سئل رحمه الله تعالى فى عمل رجل حنفى صلى بجماعة رفع يديه عند كل تكبيرة من تكبيرات الصلاة ، فأنكر عليه فقيه الجماعة وقال له : ان هذا لا يجوز فى مذهبك (الحنفى) فأنت مبتدع فيه . فهل ما فعله هذا الامام مخالف للسنة وللامامة أم لا ؟

ويحسن قبل ذكر جواب السؤال أن نوضح آراء العلماء في المواضع التى شرع فيها رفع اليدين عند تكبيرات الصلاة فنقول :

ان الشافعى يرى رفع اليدين فى أربعة مواضع . عند تكبيرة الاحرام ، وعند الركوع وعند الرفع منه ، وعند القيام للركعة الثالثة . والامام أحمد يوافق الشافعى الا فى القيام للركعة الثالثة . فانه لا يقول بالرفع فيها . والامامان أبو حنيفة ومالك لا يريان الرفع الا عند تكبيرة الاحرام فقط . فترى الائمة الاربعة هنا متفقين فى موضعين . الاول الرفع عند تكبيرة الاحرام ، والثانى عدم رفع اليدين عند رفع الرأس من السجود ، واختلفوا فى الباقى .

واليك الجواب . أجاب رحمه الله .

أما رفع اليدين فى كل تكبيرة **حتى فى السجود** ، فليست هى السنة التى كان صلى الله عليه وسلم يفعلها ، ولكن الامة متفقة على ان المصلى يرفع اليدين عند تكبيرة الاحرام أول الصلاة ، أما رفعهما عند الركوع والرفع منه فلم يعرفه أكثر فقهاء الكوفة كابراهيم النخعى ، وأبى حنيفة ، والثورى ، وغيرهم .

أما أكثر فقهاء الأمصار ، وعلماء الحديث ، فانهم عرفوا ذلك ، كما أنه استفاضت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم . عند الأوزاعي، والشافعي ، واسحاق ، وأحمد بن حنبل ، وأبى عبيد ، وهى احدى الروايتين عن مالك ابن أنس ، فانه قد ثبت فى الصحيحين من حديث ابن عمر وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا افتتح الصلاة ، واذا ركع ، واذا رفع رأسه من الركوع ، ولا كذلك بين السجدتين ، وثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الصحيح من حديث مالك بن الحويرث ، ووائل بن حجر ، وأبى حميد الساعدى فى عشرة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، أحدهم أبو قتادة ، وهو معروف من حديث علي بن أبى طالب وعدد كثير من الصحابة عن النبى صلى الله عليه وسلم . وكان ابن عمر اذا رأى من يصلي ، ولا يرفع يديه فى الصلاة فى تلك المواضع حصبه بحصاة (أى رماه بحصاة) والكوفيون حجتهم أن عبد الله بن مسعود لم يكن يرفع يديه، وهم معذورون ، فهذا قبل أن تبلغهم السنة الصحيحة ، فان عبد الله بن مسعود هو الفقيه الذى بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليعلم أهل الكوفة

السنة ، لكن قد حفظ الرفع عن النبي صلى الله عليه وسلم خلق كثير من الصحابة .

وابن مسعود لم يصرح بأن النبى صلوات الله عليه لم يرفع الا أول مرة ، لأنه رآه يصلي ولا يرفع الا عند تكبيرة الاحرام ، وقد يكون رآه رفع يديه ولكنه نسى ، لأن الانسان قد ينسى ، وقد خفى على ابن مسعود هذا نسخ التطبيق فى الصلاة (١) ، فكان ابن مسعود اذا ركع طبق بين يديه كما كانوا يفعلون أول الاسلام ، ثم ان التطبيق نسخ بعد ذلك ، وأمروا بوضع أيديهم على الركب .

روى البخارى ومسلم وغيرهما عن مصعب بن سعد قال : صليت الى جنب أبى بن خلف فطبقت بين كفى ثم وضعتهما بين فخذى فى الركوع . فنهاني عن ذلك ، وقال : كنا نفعل هذا فأمرنا أن نضع أيدينا على الركب . وهذا لم يحفظه ابن مسعود ، فالرفع المتنازع فيه ليس من نواقض الصلاة ، بل يجوز أن يصلى الانسان بلا رفع ، واذا رفع كان أفضل وأحسن . ولو أن رجلا كان متبعا لأبى حنيفة ، أو مالك ، أو الشافعي ، أو أحمد ، ورأى فى بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن فى ذلك ، ولم يقدح هذا فى عدالته ، ولا دينه ، بلا نزاع ، بل هذا أولى بالحق ، وأحب الى الله ورسوله ، فمن يتعصب لواحد معين غير النبي صلى الله عليه وسلم كأن يتعصب لمالك ، أو الشافعي ، أو أحمد ، أو أبي حنيفة ، ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذى ينبغي اتباعه دون قول الامام الذى خالفه ، من يقل هذا كان جاهلا ضالا ، **لأنه خالف ما أجمع عليه الصحابة والتابعون** من عدم الزامهم العامى باتباع شخص معين ممن لهم اطلاع على سنة النبى (٢) صلى الله عليه وسلم .

أما أن يقول قائل انه يجب على العامة تقليد فلان أو فلان ، فهذا لا يقوله مسلم . ومن كان مواليا للأئمة محبا لهم ويقلد واحدا منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة ، فهو محسن فى ذلك ، وأحسن حالا من غيره . والصحابة رضوان الله عليهم كانوا مجمعين على مسائل ، فاجماعهم حجة قاطعة لا يجوز مخالفتها ، وكانوا مختلفين فى بعض فروع الشريعة التي لم تثبت بدليل قطعي ، لا فى القرآن ولا فى سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان اختلافهم هذا رحمة واسعة .

ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون الباقين ، فهو بمنزلة من يتعصب لواحد بعينه من الصحابة دون الباقين ، كالذين يتعصبون لعلي رضي الله عنه دون الخلفاء الثلاثة وجمهور الصحابة ، رضي الله عن الجميع ، وهذا طريق أهل البدعة والأهواء ، فمن يتعصب لواحد بعينه من أئمة الفقه الأربعة فقد تشبه بهؤلاء الروافض ، سواء تعصب لمالك أو لأبي حنيفة أو الشافعي أو أحمد أو غيرهم .

صاحبا أبى حنيفة

وهذا أبو يوسف ، ومحمد ، وهما صاحبا أبى حنيفة ، وأشد الناس اتباعا له ، وأعلمهم بقوله ، لما تبين لهما من السنة والحجة ما أوجب عليهما عدم اتباعه ومخالفته فى مسألة ما خالفاه ، ومع ذلك فهما يعظمان امامهما لأن أبا حنيفة نفسه وغيره من الأئمة كان يقول كل منهم القول ثم يتبين له من الحجة خلافه ، فيرجع عنه ويتبع الحجة . فعلى المأمومين أن يتبعوا امامهم الذى يصلى بهم اذا فعل ما هو جائز ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : انما

البقية : على ص ٢٨

(١) التطبيق هو أن يطبق المصلى بين كفيه ثم يضعهما بين فخذيه فى الركوع .

(٢) وسيأتى توضيح ذلك فى كلمة المرحوم الشيخ المراغى .

لماذا الإسلام.. وليست

— ١ —

تعتبر الديانة المسيحية التي تقوم على القول بأن المسيح هو ابن الله وقد ظهر وتجسد على الأرض ، وصلب ومات ليكون موته كفارة عن ذنوب البشر والتي تقول بالتثليث ، من أوسع الأديان انتشارا على ظهر الكرة الأرضية حيث يبلغ عدد معتنقيها (٩٥٠) مليون نسمة كما تقول الاحصاءات . وأخطر من كثرة العدد ، أن القسم الأكبر منهم يعيش فى أوربا وأمريكا ، حيث القوة المادية والغنى والعلم التكنولوجى ، ومن هنا يثور السؤال ، ألا تكون المسيحية الغربية هي الأولى بالاتباع لمن يقارن بين العقائد والأديان ؟ .

وندع الآن مؤقتا البحث فيما اذا كان هذا التفوق المادى الملحوظ والكثرة العددية الهائلة ، هى من أثر التعاليم المسيحية ، أم نتيجة الخروج عليها ، ريثما نحدد هذه المبادىء والتعاليم ونتعرف اليها ، من مصادرها المسيحية .

الاناجيل

الخطوة الأولى لدراسة أى دين هي بمطالعة الكتب المقدسة التي يعتبرها معتنقو الدين هي أصول دينهم . وكتاب العهد الجديد هو أصل الأصول بالنسبة للديانة المسيحية بطبيعة الحال ، ومن حسن الحظ أن الاصلاح البروتستنتي قد جعل هذا العهد الجديد ، موجودا ومنشورا فى كل مكان بشتى اللغات ، سهل التداول غير مستعص على الافهام . والعهد الجديد لا يشبه القرآن الكريم من حيث كونه كتابا واحدا أنزل على نبى المسلمين ، ولكنه حشد من الكتب والرسائل والأسفار التي كتبها أشخاص مختلفون فى أوقات متباعدة ، بعضهم كان من تلاميذ المسيح ، وبعضهم لم يكن كذلك ، ولكنها كلها على درجة واحدة عند المسيحيين من القداسة ، فكلها قد كتبت كما يقولون بوحي من روح القدس .

وأول ما نلاحظه أن أقدم نسخ موجودة بين يدى البشر من هذا العهد الجديد بأسفاره المختلفة ، مكتوبة باللغة اليونانية ، ولما كانت لغة السيد المسيح هي العبرانية أو الآرامية وكذلك لغة تلامذته وحوارييه ، فان ذلك معناه ان ما يوجد بين أيدينا هي ترجمات لأصل غير موجود .

وهناك أربعة أناجيل ، ويقول لنا التاريخ ان هذه الأربعة قد اختيرت من سبعين انجيلا كانت متداولة فى العالم المسيحي فى القرن الرابع الميلادى ، ولكن مجمع نيقية الذي اجتمع عام ٣٢٥م قد اختار هذه الأناجيل الأربعة ، وحرق كل ما عداها ، واعتبر كل من وجدت فى حوزته كافرا مرتدا . فلا عجب اذا اختفت الأناجيل الأخرى عندما كانت الكنيسة فى أوج سلطانها . ولكن بمجرد أن زال عن الكنيسة سلطانها الرهيب بدأت تظهر بعض أناجيل غير هذه الأربعة

٣

المسيحيّة

للأستاذ : احمد حسين ـ المحامي

السابقة ، وقد أشارت دائرة معارف لاروس الفرنسية الى بعض هذه الأناجيل ونقله عنها المرحوم العلامة محمد فريد وجدى فى دائرة معارفه (١) . على أننا سنقصر بحثنا على هذه الأناجيل الأربعة المعتمدة والمعترف بها .

ول دورانت والأناجيل

يقول لنا ول دورانت العالم الأمريكي المسيحي ومؤلف أعظم موسوعة فى تاريخ الحضارة الانسانية عن الأناجيل ما يلي :

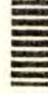
« ان أقدم النسخ الموجودة فى أيدينا من الأناجيل الأربعة ترجع الى القرن الثالث ، وهذه بدورها قد نقلت عن أناجيل كتبت بين عامي ٦٠ ، ١٢٠ م وتعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء فى النقل ، **ولعلها أيضا تعرضت لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتسب اليها الناسخ وأغراضها (٢)** .

وهذه الاناجيل الاربعة هي بطبيعة الحال غير انجيل المسيح الذى بشر به ولذلك فهي لا تنسب اليه وانما تنسب الى **أصحابها متى ومرقص ولوقا ويوحنا . ومتى ويوحنا من أصحاب المسيح** أو بالأحرى حوارييه ، أما مرقص فصاحب بطرس ويقال أنه نقل انجيله عن بطرس ، أما لوقا فقد نقل انجيله عن بولس الذى لم يكن من تلامذة المسيح بل لم يره فى حياته .

---

(١) أشهر الأناجيل التي كشف عنها أخيرا هو **انجيل** برنابا الذى يحتوى اشارات واضحة الى سيدنا محمد ، ويتفق فى تصوير شخصية **السيد المسيح مع ما يقول به القرآن الكريم ـ وقد طبعه ونشره** المرحوم الشيخ رشيد رضا ـ ويقول المسيحيون عنه انه من وضع بعض المسلمين .

(٢) قيصر والمسيح جزء ١١ ص ٢٠٧ .



وكلمة « الانجيل » تعنى فى اللغة اليونانية « الأخبار » ولكنها تحولت بالتدريج الى معنى البشارة ، وهي ترد على ألسنة تلامذة المسيح وعلى لسان بولس الرسول بصفة خاصة بهذا المعنى ، أى بمعنى التبشير بمقدم المخلص يسوع المسيح ، ولا يرد ذكر الانجيل باعتباره كتابا الا فى عهود متأخرة .

وليس هناك ما يوضح محتويات هذه الأناجيل وكيف وضعت خيرا من أن نثبت العبارات التي صدر بها لوقا انجيله حيث يقول :

« اذا كان الكثيرون قد أخذوا فى ترتيب القصص المتبقية عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة . رأيت أنا أيضا بعد أن أدركت جميع الأشياء من الأول بتدقيق أن أكتبها لك بحسب ترتيبها أيها العزيز تاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى وعظت به » .

والقول الذى يجرى عليه العمل وقد رتبت الأناجيل على أساسه فى هذا الكتاب المتداول بين أيدينا ، أن انجيل متى هو أقدم الأناجيل ثم يليه انجيل مرقص فلوقا فيوحنا . ولكن الباحثين اللاهوتيين يعتبرون أن انجيل مرقص لا بد أن يكون هو - وليس انجيل متى - أقدم الأناجيل الأربعة . فالأناجيل الأخرى تأخذ منه حيث لا يأخذ هو منها . فمن بين آياته الـ (٦٦١) نجد منها ٦٠٠ آية بنصها أو بتعديل طفيف فى انجيل متى . كما نجد (٣٥٠) آية منها فى انجيل لوقا وليس الا (٣١) آية فقط من آياته ما لا نجد لها مثيلا فى الانجيلين الآخرين .

وتضيف دائرة المعارف البريطانية حججا أخرى لاثبات أسبقية انجيل مرقص .

وتبدو أهمية هذا الترتيب فى أنه اذا كان التاريخ المتفق عليه لوضع انجيل مرقص بين عامي ٦٥ - ٧٠ ميلادية ، فان معنى ذلك أن الأناجيل الأخرى قد وضعت بعد هذا التاريخ ، أى بعد ظهور بولس الرسول وما أحدثه فى المسيحية من تطور سنعرض له عما قريب ، حيث نقل المسيحية من دين يهودى الى دين عالمى ، وليس أدل على ذلك من أن لوقا صاحب الانجيل الثالث ، هو نفسه مؤلف سفر أعمال الرسل ، الذى خصص القسم الأكبر منه لنشاط بولس الرسول ومبادئه وأفكاره . وسفر أعمال الرسل الذى كتبه لوقا يعتبر مقدسا كالأناجيل بل هو جزء منها .

ذلك أن مجمع نيقية الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، لم يختر هذه الأناجيل الأربعة باعتبارها الكتب الوحيدة المقدسة ، بل لقد ضم اليها كتابات وأسفارا أخرى اعتبرت بدورها مقدسة ، ولها حجية الأناجيل الأربعة ، اعتمادا على أن كل ما نطق به أصحاب المسيح وأتباعه هو من وحي روح القدس .

وعلى ذلك فان ما يطلق عليه اسم العهد الجديد باعتباره كتاب المسيحيين ، فى مقابل العهد القديم «التوراة» باعتباره كتاب اليهود يتألف من الأقسام التالية :

١ - الأناجيل الأربعة متى ومرقص ولوقا ويوحنا وهي تروي حياة المسيح وصلبه وقيامته .

٢ - أعمال الرسل وهو سفر من وضع لوقا يؤرخ للفترة التي أعقبت قيامة المسيح من القبر وتجليه لتلامذته، وما فعله التلاميذ لنشر الدعوة .

٣ - أربع عشرة رسالة منسوبة الى بولس الرسول أولها رسالته الى أهل رومية وآخرها رسالته الى العبرانيين .

وثمة رسائل أخرى يجرى الخلاف حولها بين طوائف المسيحيين الكاثوليك منهم والبروتستانت والكنيسة الشرقية والغربية حول ما يعد من الأسفار المقدسة

وما لا يعد ، وهما : رسالتان للقديس بطرس ، وثلاث رسائل للقديس يوحنا ، ورسالة للقديس يهوذا ورسالة للقديس يعقوب ، وأخيرا رؤيا ليوحنا .

وسنبدأ الآن بحثنا عن تعاليم المسيح وطبيعته من هذه المصادر الأساسية والمعترف بها بين المسيحيين .

انسانية المسيح :

ان الذى يطالع انجيل متى ومرقص ولوقا ، لا يمكن أن يتسرب اليه ذرة من الشك فى انسانية المسيح وبشريته (١) ، وانه انسان وجد وعاش على أرض فلسطين من أصل يهودى (من ناحية أمه) وقد ختن فى اليوم الثامن جريا على سنة اليهود ، وشب بعد ذلك وكبر وخالط الناس وأكل وشرب ، ووعظ وأرشد ، وفرح وحزن ، وخاصم وغضب ، وتألم وعذب ، وأحس بمرارة الظلم وتضرع الى الله فى حرارة ولهفة لا تخلو من عتاب :

« أبى .. أبى .. لماذا تركتني » .

والذى يعنينا من ذلك كله أن الأناجيل الثلاثة ترسم لنا صورة انسانية كاملة ليسوع المسيح ، لا تدع مجالا لما قيل بعد ذلك من أنه اله .

والسيرة التي تعرضها الأناجيل للمسيح ، هي كسيرة أى رسول أو نبى مبعوث من الله لهداية قومه ، وحثهم على السير فى طريق الله طريق الاستقامة . ولعل تعاليم السيد المسيح تصل فى ذروة كمالها ، وهي تدعو بني الانسان للحب والايمان بالله على أنه محبة كاملة ، وتدعو للتسامح والصبر وعدم الايذاء أو التفكير فى الانتقام ، واطفاء نيران الشر من خلال العفو والتسليم . ولعله من الخير أن ننقل عبارات السيد المسيح بنصها كما وردت فى انجيل متى :

« طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات . طوبى للودعاء فانهم يرثون الأرض . طوبى للحزانى فانهم يعزون . طوبى للجياع والعطاشى الى البر فانهم يشبعون . طوبى للرحماء فانهم يرحمون . قد سمعتم أنه قيل العين بالعين . والسن بالسن . أما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشرير ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فخل له رداءك أيضا . ومن سخرك ميلا فامش معه اثنين . قد سمعتم أنه قيل أحبب قريبك وابغض عدوك . أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم » .

والاتفاق على أن هذه الدعوة الروحية الشفافة ، جاءت كرد فعل على ما كان عليه المجتمع اليهودى والروماني بصفة عامة ، من حياة وحشية مغرقة فى المادية والقسوة والشهوانية والجشع .

والذى يهمنا الآن أن نثبته أن الصورة العامة التي يخلص بها المطالع للانجيل أن المسيح — عيسى بن مريم — هو انسان نبى جاء لهداية البشر .

ولننقل الآن اليك النصوص التي تقطع بانسانيته ، ثم بنبوته ورسالته وهي توحيد الله والدعوة الى سبيله ، على خلاف ما يقول به المسيحيون :

الدعوة الى الله ووحدانيته

جاء فى الاصحاح الرابع من انجيل متى : —

قال ابليس ليسوع بعد أن أراه جميع ممالك العالم ومجدها : أعطيك هذه كلها ان خررت لي ساجدا .

حينئذ قال يسوع ، اذهب يا شيطان فانه قد كتب للرب الهك أن تسجد وأياه وحده تعبد .

---

(١) ان ميلاد المسيح المعجز فى القرآن من غير أب ، لا ينفي عنه الصفة الانسانية « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » (آل عمران ٥٩)



وفى الاصحاح التاسع عشر من انجيل متى : —

دنا منه رجل وقال له : يا أيها المعلم الصالح ماذا أعمل من الصلاح لأرث الحياة الأبدية . فقال له لماذا تدعوني صالحا ، انما الصالح واحد هو الله .

وفى الاصحاح الثاني عشر من انجيل مرقص : —

دنا منه أحد الكتبة وسأله أى الوصايا هي أول الكل ؟

فأجابه يسوع : ان أول الوصايا كلها : اسمع يا اسرائيل ان الرب الهنا رب واحد . فأحبب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك هذه هي الوصية الاولى .

بل اننا نجد فى رسائل بولس الذى سنرى فيما بعد أنه هو ناشر المسيحية والمسئول عن تعاليمها الحديثة . ما يؤكد وحدانية الله وبشرية المسيح .

« وللجميع رب واحد وايمان واحد ومعمودية واحدة . واله واحد وأب واحد هو فوق الجميع ومع الجميع وفى جميعكم » (الاصحاح الرابع — رسالة بولس الى أفس) .

ثم نطالع لبولس نصا صريحا قاطعا فى وحدانية الله وانسانية عيسى :

« لأن الله واحد والوسيط بين الله والناس واحد وهو الانسان يسوع المسيح » .

(رسالة بولس الى تيمو تاوس — الاصحاح الثاني) .

يسوع نبى

واشتملت الأناجيل على وصف يسوع بأنه نبي . ففي انجيل متى الاصحاح الواحد والعشرين :

« فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل » .

وفى انجيل لوقا الاصحاح السابع :

(فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين لقد قام فينا نبى عظيم) .

وقد يقول لنا معترض هذا تصور المعاصرين له ولا يدل على حقيقته . ولكنا سنجد أن المسيح نفسه يصف نفسه بأنه نبى .

فقد حذره البعض من دخول أورشليم حتى لا يقتله هيرودس ، ولكنه اذا كان يذهب الى مصيره المحتوم فقد رد عليهم بقوله :

« ينبغى أن أسير اليوم أو غدا والذى بعده لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارج أورشليم . يا أورشليم . يا أورشليم . يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين » . (انجيل لوقا — الاصحاح الثالث عشر) .

والأناجيل تغص بعشرات من هذه العبارات وأمثالها التي يشير فيها المسيح الى نفسه أنه نبي الله لهداية البشر (١) .

الأب والابن

بقي أن المطالع للاناجيل يصادف كلمة الأب وصفا لله عز وجل ، كما يصادف وصفا للمسيح من أنه ابن الله . ولكن القارىء لا يجد جهدا أو مشقة فى أن وصف الله بالأبوة والمسيح بالبنوة هو وصف مجازى ، والله ليس أبا للمسيح

---

(١) وصدق القرآن العظيم اذ يقول على لسان عيسى بن مريم :

« **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله** قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسي ولا أعلم ما فى نفسك انك انت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربى وربكم »
(المائدة ١١٦) .

وحده بل هو أب لجميع البشر ، وبنوة المسيح لله ليست خصوصية له ، انما هي كبنوه بني الانسان جميعا لله باعتباره خالقهم الرءوف بهم .

نرى دليل ذلك فى موعظة الجبل ، حيث يقول لسامعيه بعد أن حضهم على التسامح والرفق بأعدائهم :

« **لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى** السماوات لانه يطلع شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » .

بل أن الصلاة التي يصليها المسيحيون كما لقنهم اياها المسيح شاهدة على أن البشر جميعا هم أبناء الله وعياله على سبيل المجاز طبعا :

« **واذا صليتم فصلوا هكذا أبانا الذي فى السموات** ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض . خبزنا كفافنا أعطنا اليوم . واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر لمن أساء الينا . ولا تدخلنا فى التجربة لكن نجنا من الشرير . آمين » .

فوصف المسيح فى الأناجيل بأنه ابن الله لا يستفاد منه الا أنه كبقية خلق الله ، انفرد عنهم بالتكريم **بالرسالة** التي حملها .

مخاطبة المسيح بيا رب

أما كلمة يا رب التي يخاطب بها المسيح أحيانا فى الانجيل فهي من قبيل قولنا حتى **الآن** « رب البيت » يعنى سيده .

وليس هذا استنتاجا من لدنا بل هو عين ما قرره يوحنا فى انجيله ، بالرغم من أنه الانجيل الذى لعب دورا خطيرا فى تأليه المسيح كما سوف نرى ، فقد جاء فى هذا الانجيل أن اثنين تبعا المسيح فقال لهما ماذا تطلبان فقالا : ربى — الذى تفسيره يا معلم — أين تمكث فقال لهما تعاليا وانظرا . (يوحنا — الاصحاح الأول) .

ويؤكد المسيح هذا المعنى من أن كلمة الرب لا تعنى الله .

« ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السماوات » . (متى الاصحاح السابع) .

وأكثر من ذلك كله دلالة على أن كلمة يا رب فى الأناجيل لا تعنى « الله » .

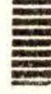
ان بطرس حوارى المسيح الأول جذب المسيح نحوه وشرع يزجره قائلا : **حاشاى لك يا رب** لا يكون لك هذا . (متى الاصحاح السادس عشر) .

وليس هناك ما هو قاطع فى الدلالة أن كلمة رب لا تعنى تأليه المسيح من هذا النص ، فكيف يتصور بطرس أن المسيح اله ثم يزجره ويقول له ان هذا الشيء أو ذاك ليس له . فقول بطرس للمسيح يا رب لا تعنى الا أنه السيد أو المعلم كما قدمنا .

لا ألوهية ولا تثليث

وهكذا يخرج المطالع للأناجيل (متى ومرقص ولوقا) بأن الله واحد هو خالق الكل والمهيمن على الكل ، وأن المسيح بشر سوى ، ومبعوث الهي جاء يبشر بالرحمة والمحبة وطهارة النفس والجسد .

وقبل ذلك كله وبعد ذلك ، لن يجد أى اشارة عن قرب أو بعد لهذا التثليث الذى هو رمز مسيحية اليوم وشعارها وجوهر عقيدتها . فمن أين جاءت اذن هذه الفكرة ومتى تقررت ، هي والفكرة الأخرى التي تقول ان المسيح هو ابن الله الحبيب الذى أنزله على الأرض ليتعذب ويصلب ويموت ليكون موته كفارة عن ذنوب البشر ، وتتم بذلك المصالحة بين الله وبين البشر ، هذا هو ما سنفصله فى مقالنا التالي .



جعل الامام ليؤتم به » وسواء أرفع يديه عند تكبيرات الصلاة أو لم يرفعهما ، فان ذلك لا يقدح فى صلاته ، ولا يبطلها ، لا عند أبى حنيفة ، ولا مالك ، ولا غيرهما . ولو رفع الامام دون المأموم أو المأموم دون الامام ، لم يقدح ذلك في صلاة واحدمنهما . ولو رفع الرجل بعض الأوقات دون بعض لم يقدح ذلك فى صلاته .

وليس لأحد أن يتخذ قول بعض العلماء شعارا يوجب اتباعه ، وينهى عن غيره مما جاءت به السنة ، بل كل ما جاءت به السنة فهو واسع ، مثل الأذان والاقامة ، فقد ثبت فى البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة ، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أيضا أنه علم أبا محذورة الاقامة ، شفعا شفعا كالاذان ، كما ثبت في السنة أيضا وتر الأذان ، فمن شفع الاقامة فقد أحسن ، ومن أفردها فقد أحسن . ومن أوجب هذا دون هذا فهو مخطىء ضال .

ومن أسباب شقاء بلاد الشرق ، وتسلط التتر عليها ، كثرة التفرق والخلاف بينهم فى المذاهب ، حتى كان بعضهم يغرى التتر بمن خالفه من المسلمين كأنهم أتباع دين آخر .

والجمهور لا يعرفون من الكتاب والسنة الا قليلا ، وقد يتمسكون بأحاديث تكون صحيحة وقد تكون باطلة . (انتهى) وسترى بيان هذه الجملة الأخيرة فيما بعد .

مع الشيخ المراغى

قال رحمه الله تعالى فى رسالته (فى التشريع الاسلامي) بعدما نقل قول المرحوم الشيخ اللقاني فى كتابه (جوهرة التوحيد) من أنه يجب على غير المجتهد أن يقلد واحدا من الأئمة الأربعة المشهورين :

« يطلق التقليد على الأخذ بقول الغير وان لم يعرف دليله ، ويطلق على اتباع قول الغير فى حكم عرف دليله ، فان أراد الشيخ اللقاني بهذا التقليد الواجب المعنى الأول فلا يعرف له سلففىوجوب تقليد امام معين فى كل الأحكام التي قال بها ذلك الامام . والانصاف أن يقال ان هناك عامة لا يستطيعون النظر فى الأدلة ، فهؤلاء مذهبهم مذهب مفتيهم أيا كان ذلك المفتى باجماع العلماء وهناك خاصة يستطيعون أخذ الحكم من مصدره ، ولو بمعونة الغير ، فى الوسائل ، واعداد الأدلة ، واثبات صحتها ، وسلامتها من الطعن ، أو المعارض ، وكل هذه أمور قلما يستغنى عن بعضها المجتهد المطلق ، فقد أخذ بعضهم عن غيره معاني كثير من الألفاظ العربية ، وطرق استعمال العرب لها ، وبيان حقيقتها ومجازها ، وأخذ عن علماء الصحابة تاريخ نزول الآيات ، أو ورود الحديث ، فعلموا منه السابق واللاحق ، ورتبوا على ذلك الناسخ والمنسوخ من الأحكام ، وسترى فيما نقله الربيع عن الامام الشافعي مصداق ذلك حيث عول على قول العلماء الذين نقلوا الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، تقول . هؤلاء الخاصة يجب عليهم أن يتحروا الراجح فيعملوا به . وكيف يقول اللقاني ذلك بعد العلم بأن الأئمة الأربعة أنكروا التقليد على هذا النحو ، وأوجبوا على كل واحد من تابعيهم ، أو ممن يأتى بعدهم ، أن ينظر فى آرائهم ، فما وافق الكتاب والسنة منه أخذوا به ، وما لم يوافقهما ردوه ، كما اتفقوا على أنه اذا صح حديث يخالف مذهبهم ، فان ما جاء الحديث به يصير هو مذهبهم ، ويضربون بقولهم الأول عرض الحائط » .

نقل ابن عابدين فى حاشيته على « رد المختار على الدر المختار » ما نصه : « اذا صح الحديث وكان على خلاف

المذهب عمل بالحديث ، ويكون ذلك هو المذهب ، ولا يخرجه مقلده عن كونه حنفيا بالعمل به ، فقد صح عن الامام أبي حنيفة أنه قال : اذا صح الحديث فهو مذهبي . وقد حكى ذلك ابن عبد البر عن أبي حنيفة وغيره من الأئمة)) .

ونقل الأجهورى والخرشي من علماء المالكية فى شرحيهما على (مختصر خليل) عن معد بن عيسى قال : سمعت مالكا يقول : ((انما أنا بشر أخطى وأصيب ، فانظروا فى رأيى ، ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لا يوافقهما فاتركوه)) . ونقل ذلك ابن عبد البر فى كتابه (جامع بيان العلم وفضله) .

وحكى ابن القيم فى كتابه (أعلام الموقعين) أن الربيع قال : سمعت الشافعي يقول . كل مسألة يصح فيها الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها فى حياتي وبعد مماتي .

ونقل امام الحرمين فى كتابه (النهاية) عن الامام الشافعي أنه قال : اذا صح حديث يخالف مذهبي فاتبعوه واعلموا أنه مذهبي . وروى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال : مثل الذى يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل قد يحمل أفعى تلدغه وهو لا يدرى .

وقال المزنى في أول كتابه (المختصر). اختصرت هذا من علم الشافعي ومن معنى قوله ، لأقربه على من أراده ، مع اعلامي له نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه .

وقد فرق الامام أحمد بن حنبل بين التقليد والاتباع ، فقال أبو داود : سمعت أحمد يقول : الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن كبار أصحابه ، ثم هو بعد ذلك فى التابعين مخير . وقال أحمد أيضا : لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكا ، ولا الثورى ، ولا الأوزاعي ، وخذوا الأحكام من حيث أخذوا . ومن قلة فقه الرجل أن يقلد في دينه رجلا آخر .

وقال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة : لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا . وان أراد الشيخ ابراهيم اللقاني بالتقليد الواجب ، التقليد بالمعنى الثاني ، وهو الاتباع المتقدم ، بمعنى أنه لا يصح لأحد أن يخرج فى الأحكام الفرعية عن المذاهب الأربعة ، تابعا فى ذلك ما ذكره المتأخرون، فان رأيه هذا لا يستقيم، لأن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعوا قبل ظهور المذاهب على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء من غير حجر دون أن يقول أحد منهم أن اتباع واحد فقط واجب عليه ، كما أجمعوا على أن من استفتى أبا بكر ، وعمر ، وعليا ، رضي الله عنهم ، فله أن يستفتى غيرهم من كبار الصحابة الذين برزوا فى العلم بالكتاب والسنة ، كمعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، وعائشة ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، رضي الله عنهم . فماذا يقول اللقاني فى هذين الاجماعين ؟ .

وقال الشيخ عبد السلام فى شرحه على (جوهرة التوحيد) المتقدم ذكرها . ان من لا قدرة له على النظر فى الدليل ، له أن يتبع من شاء من الأئمة المشهورين فى الفقه ، مثل الأربعة الذين ذكرهم المؤلف ، والثورى ، والأوزاعي ، وامام أهل السنة أبو الحسن الأشعرى ، وأبو المنصور الماتريدى ، وعد كثيرا من أمثال هؤلاء ، وممن يصح اتباعهم الامام البخارى وقالوا ان فقهه يظهر فى تراجمه لصحيحه ، كما عدوا منهم ابن حزم فى كتابه (المحلى) ، وكل هؤلاء ذكروا على سبيل المثال لا الحصر ، لأن كثيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم آراء خاصة خالفوا فيها كثيرا من غيرهم .

((للبحث بقية))



واصغ الى الثالث :

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

هذه هى القوة الايمانية بالله ، هذه هى الجندية الحقة لله (ولله جنود السموات والارض) ، تلك هى التى انتجت خالدا ونصرته بعون الله فى كل مواقعه وأجرت على لسانه ساعة النزع الاخير وهو على فراش الموت . (لقد شهدت مائة زحف او زهاءها ، وما فى جسمى موضع شبر او فتر الا وفيه طعنة بسيف او رمية برمح ، وها نذا أموت على فراشى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) ولو ذهبنا لضرب الامثال لطال المقام وامتد الكلام وما بلغنا عشر معشار ما نريد ، وما يعلم الناس من اخبار المسلمين واحوالهم فى حروبهم وانتصاراتهم .

٨ ـ فى الحادث الجديد الفذ فى تاريخ الاسلام عامة والعرب خاصة يجب ان يترك ما مضى لما مضى ويجب ان نذكره للعبرة فقط ، ويجب ان لا نبدىء فيه ولا نعيد انما يجب ان نتجه اتجاها شاملا وكاملا للبناء ، فلا نقول ان فلانا أخطأ ولا فلانا اصاب وانما نقول ، قدر الله وما شاء فعل ونشرع مسرعين فى العمل الجاد لاعادة البناء على أسس مستقيمة ونذكر الماضى للعبرة ونعد لمستقبل قريب كريم على الله وعلى المسلمين عامة والعرب خاصة ، فالمعدن الكريم كريم ، ولا تزال الدنيا بخير ، والمطلوب الآن دينا واسلاما وعقلا هو تكاتف جميع القوى وتحرك جميع العقول للعمل على راب الصدع وسد الثغرة ورتق الفتق واعادة البناء قويا عزيزا شاملا كاملا فى ظل الاخوة والمحبة والسلام وكل ذلك بعد الايمان بالله وبان النصر من عند الله ، والثقة فى المسلمين جميعا ، والله مع العاملين ولن يترهم أعمالهم .

٩ ـ المسلم فى دينه القوة على العدو والرحمة للقريب (أشداء على الكفار رحماء بينهم) . والعربى فى دمه الشمم والاباء فاذا اجتمعا انتجا نجاحا مع امتزاجها بالايمان بالله والتوكل عليه ، واعتقد اعتقادا جازما ان الاوضاع لا تستمر هكذا فهذا محال عقلا وواقعا وانما سحابة صيف ، ولن يقيم على الذل حر أبى كريم ابدا .

ولن يقيم على خسف يراد به
الا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد

فهيا معشر المسلمين ازدادوا ايمانا الى ايمانكم وعودوا الى الله وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ، فانتم لم تكونوا ولن تكونوا حمرا مستنفرة تهاج لخسف ، ولا أوتادا تدق لتنشدخ ، وانما انتم بماضيكم العزيز وواقعكم القوى لن تؤثر فى قوتكم الاحداث والحرب دائما سجال ، كر وفر اقبال وادبار والنصر مع الايمان والصبر .

ولاتهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . وصدق الله العظيم القائل (والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .

الجهاد فى الاسلام

للدكتور محمد ابو شهبه
جامعة ام درمان الاسلامية

تشريع الجهاد فى الاسلام

لقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما بمكة ، وهو يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد حارب أهل مكة الدعوة الاسلامية حربا لا هوادة فيها ، وآذوا النبي وأصحابه ايذاء تجاوز كل معاني الانسانية ومع هذا كان المسلمون يزدادون عددا وقوة ، وصلابة فى التمسك بدينهم ، وكان الله سبحانه ينزل على نبيه من الآيات ما يقوى عزيمته وعزائم اصحابه ، ويثبتهم على الصبر والتحمل ، وذلك مثل قوله سبحانه « واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا (١) » وقوله « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور (٢) » وقوله « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (٣) » وقوله « واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون (٤) » .

وكان المسلمون كثيرا ما يأتون الى النبي صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج ومعذب ، شاكين اليه ، فيثبتهم ويضرب لهم الأمثال والعظات ، ويقول لهم « اصبروا فاني لم أومر بقتال » ويقول « لقد كان الرجل من قبلكم يضرب بالسيف من مفرق رأسه الى أخمص قدميه ما يصرفه ذلك عن دينه ، وكان يمشط بامشاط الحديد دون عظمه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر – يعني الاسلام – حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله ، والذئب على غنمه » رواه البخارى وأحمد .

وقد تحمل المسلمون بفضل التربية المحمدية ولا سيما الفقراء والأعبد ومن لا عصبية له منهم من صنوف العذاب والبلاء ألوانا ، فما صرفهم ذلك عن دينهم ، وما تزعزعت عقائدهم ، وصمدوا صمود الأبطال مع قلتهم وفقر الكثير منهم وما سمعنا أن احدا منهم ارتد سخطة عن دينه ، أو أغرته مغريات المشركين فى النكوص عنه ، وانما كانوا كالذهب الابريز ، لا تزيده النار الا صفاء ونقاوة ، وكالحديد لا يزيده الصهر الا قوة وصلابة ، بل بلغ من بعضهم أنهم وجدوا فى العذاب عذوبة ، وفى المرارة حلاوة ، وفى الآلام آمالا .

ثم كان ان هاجر بعضهم الى بلاد الحبشة هجرتين ، ثم هاجروا جميعا الى المدينة تاركين الاهل والولد ، والمال والوطن ، متحملين آلام الاغتراب، ومرارة الفاقة والحرمان ، وان كانوا قد وجدوا فى أهل المدينة أهلا بأهل ، وجيرانا بجيران ، ووطنا بوطن ، ولا سيما بعد أن

---

(١) المدثر ١٠ . (٢) الشورى ٤٣ . (٣) الاحقاف ٣٥ . (٤) النحل .



عقد النبي بينهم وبين اخوانهم الأنصار عقد التآخي والتحاب فى الله ، هذاالعمل البارع الذى أقام الاخوة فى الله مقام الأخوة النسبية ، بل وأفضل منها ، وقد أصبح للمسلمين بعد الهجرة كيان وسلطان ، وأضحوا ذوى عدد وقوة ، واستمر المشركون فى التضييق عليهم ، ومحاولة فتنتهم عن دينهم ووقفوا للدعوة الاسلامية بالمرصاد ، فلم يكن بد من أن يأذن الله لهم فى القتال .

متى شرع الجهاد ؟

والذى يترجح عندى بعد البحث والنظر ان تشريع الجهاد كان فى اوائل السنة الثانية للهجرة ، وذلك لأن المسلمين كانوا مشتغلين بتنظيم أحوالهم الدينية والدنيوية كبنائهم المسجد النبوى ، وأمور معايشهم وطرق اكتسابهم ، وتنظيم احوالهم السياسية كعقد التآخى بينهم ، وموادعة اليهود الساكنين لهم فى المدينة كي يأمنوا شرورهم ، ولا يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل سرايا فى السنة الأولى ، لأنها كانت للاستطلاع والمناوشات،والتضييق عليهم اقتصاديا، وارغامهم على ان يفكروا جديا فى تغيير خطتهم تجاه المسلمين ، وتركهم يبلغون دين الله ، وهم آمنون الى الناس كافة .

أول ما أنزل فى الجهاد

وكانت أول آية نزلت فىتشريع الجهاد فى الاسلام هي قوله سبحانه « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (١) » .

والاذن لا يكون الا بعد منع ، فأسلوب الآيات يشعر بأنها أول ما نزل ، وأيضا فقد روى الحاكم فى المستدرك عن حبر القرآن عبد الله بن العباس — رضي الله عنهما — أنها أول ما نزل فى القتال ، ورواه عبد الرزاق وابن المنذر عن الامام الزهرى عالم الحجاز والشام .

وروى ابن جرير عن ابي العالية — وهو من التابعين ان اول آية نزلت فيه قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين (٢) » .

ويرى بعض العلماء ان اول ما نزل هو قوله تعالى « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فىسبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (٣) » .

والذى نرجحه هو الأول وهو الذى يؤيده العقل والنقل ، وأما الآية الثانية فهي الى تنظيم شؤون القتال ، وتحديد حدوده — أقرب ، والتنظيم انما يكون بعد الاذن ، واما الآية الثالثة ، فهي الى الحث والترغيب فى الجهاد أقرب .

لم شرع الجهاد فى الاسلام ؟

لقد تضمنت آيات سورةالحجالمذكورة آنفا الأسباب والأغراض والحكم التي لأجلها شرع الجهاد ، ولن أخرج فى بيان

---

(١) الحج ٣٩ — ٤١ .
(٢) البقرة (١٩٠) .
(٣) التوبة ١١١ .

ذلك عن منطوق الآيات وفحواها ، حتى يكون فى هذا المقام الحجر لمن يتقول على الاسلام ، ومن هذه الآيات نستخلص الأسباب والحكم الآتية : ـ

١ ـ تأمين دعوة الاسلام ، الدين العام الخالد ، الذى ارتضاه الله سبحانه للبشرية جمعاء ، ومساندة هذه الدعوة التحريرية الكبرى التي لم يشهد لها العالم مثيلا من قبل،ولن يشهد لها مثيلا من بعد ، حتى يتمكن النبي صلوات الله وسلامه عليه من تبليغ رسالة ربه حسبما صدع به الوحي فى قوله سبحانه « يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (١) » وقوله عز شأنه « قل أى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني برىء مما تشركون (٢) » .

وتأمين المسلمين الذين اعتنقوا الاسلام عن رضى واختيار واطمئنان ، وحمايتهم من أذى المشركين ومنحهم حقهم فى الاعلان عن عقيدتهم وهم آمنون ، وليس من الحق والعدل ان يدافع اصحاب المذاهب الباطلة عن باطلهم بالقوة ، وأن يترك أصحاب العقائد الصحيحة ، والشريعة السمحة من غير أن يؤذن لهم فى الدفاع عن عقيدتهم وشريعتهم ، وقد أشار الله الى ذلك بقوله « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا . . . » وأى ظلم أظلم من أن لا يجد الهداة والمصاحون متنفسا لدعواتهم الخيرة فى أرض الله الواسعة ؟ ومن أن يحجر عليهم فلا يستطيعون الاعلان عن عقيدتهم ، ولا اظهار شعائرهم ؟ والمظلوم ان لم يجد النصر من اهل الأرض ، فسيجده لا محالة من السماء وصدق الله « وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .

٢ ـ الانتصار للنفس ، والانتصاف للمظلوم من الظالم فها هم المشركون قد آذوا المسلمين وحاولوا ما وسعهم الجهد ان يفتنوهم عن دينهم ، فلما لم يفلحوا أخرجوهم من ديارهم وأهليهم وأموالهم ، والانتصار للنفس أمر فطرى وحق من حقوق الانسان ، قررته الشرائع السماوية ، والقوانين الأرضية ، وقد قرر الله سبحانه هذا الحق الانساني فى قوله سبحانه وتعالى « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٣) » وقد أمر الله المسلمين بالصبر والعفو والتسامح طوال العهد المكي ، وأوائل العهد المدنى عسى أن يرعووا ، ولكنهم لم يزدادوا الا بطرا وأشرا ، وظلما واستعلاء فى الأرض ، فأما اذا لم تفلح معهم سياسة المهادنة والتسامح ، فلتقابل القوة بالقوة ، والسلاح بالسلاح ، والا صار السكوت والاغضاء عند القدرة على الانتصار ـ عجزا وضعفا ومهانة .

وليس من العدل والحق والانصاف ان يترك المشركون يمرحون فى الأرض ، ويجوبون الجزيرة من الجنوب الى الشمال، ولا يؤذن للمسلمين ان يحاربوهم من جنس ما حاربوهم به وان يقطعوا عليهم تجارتهم ، ويأخذوا منها ما تصل اليه أيديهم نظير ما اغتصبوا من أموالهم ، وأن يضيقوا عليهم مثل ما ضيق المشركون عليهم وصدق الله حيث قرر هذا المبدأ الحق فقال « والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين (٤) » .

٣ ـ ان فى تشريع الجهاد نشر السلام

---

(١) المائدة ٦٧ .
(٢) الأنعام ١٩ .
(٣) الشورى ٤١ ـ ٤٢ .
(٤) الشورى ٣٩ ـ ٤٠ .



والأمان فى الأرض ، وتأمين كل ذى دين على دينه ، واحترام مقدسات الأديان بين الناس ، والاسلام هو الدين الذى الزم معتنقيه بالايمان بجميع الرسل ، وجميع الكتب السماوية المنزلة من عند الله ، وكتابه – وهو القرآن – هو الشاهد والمهيمن على الكتب السماوية كلها لأنه هو الكتاب الذى سلم من التحريف والتبديل ، فقد نقل بأقوى طرق النقل والاثبات وهو التواتر المفيد للقطع واليقين ، والمسلمون حينما تكون لهم السلطة والغلبة فى الأرض ، لا خشية على أهل الأديان الأخرى منهم ، لأن لهم من وصايا دينهم ما يعصمهم من الظلم والجور والتعنت ، وطالما أوصى النبي بالمعاهدين وأهل الذمة خيرا ، وهذا ما صدقه الواقع التاريخي فحينما كان السلطان للمسلمين فى الأرض لم يضار أحد من أهل الذمة فى دينه ، ولا فى دنياه ، ولا فى نفس أو عرض أو مال ، فلما ذهبت ريحهم ، وغلبوا على أمرهم ذاقوا من أعدائهم الوان العذاب من تقتيل ، وتخريب ، وانتهاك للحرمات .

وليس أدل على ذلك من ان الاسلام قبل من أهل الكتاب ، اما ان يسلموا ، واما ان يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية ، وهي ليست للاكراه على الدخول فى الاسلام ، أو المضايقة، ولكنها نظير ما تقوم به الدولة الاسلامية من رعاية ، وحماية لغير المسلمين ، وما تؤديه لهم من خدمات اجتماعية ، واقتصادية ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا الغرض النبيل فى قوله سبحانه « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز (١) » .

٤ – ان الاسلام بما خصه الله به من عموم الدعوة للناس أجمعين ، وبما جاء به من عقائد وتشريعات وآداب اكسبته الصلاحية لكل زمان ومكان ، وهو الحقيق بأن يسود فى الأرض ، والمسلمون المتمسكون به عقيدة ، وعلما وعملا ، وأخلاقا وسلوكا ، هو الأحق بالسيادة، والاستخلاف فى الارض ، لانهم هم الذين ينشرون فيها الهدى والرحمة ، والحق والعدل والبر والخير ، وهم الذين يتآمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، وهما أساس كل خير واصلاح ، وليس من شك فى ان هذا يتطلب الجهاد والكفاح ، وبذل النفس والمال فى سبيل هذه الغاية الشريفة ، وقد ذكر الله سبحانه هذا الفرض فى قوله « الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » وقد أشار الله سبحانه بهذه الأصول التي ذكرها فى هذه الآية الى ما عداها ويجرى فى فلكها ، فالصلاة رأس العبادات البدنية التي تزكي النفس ، وتحسن علاقة المخلوق بالخالق ، وعلاقة الانسان بأخيه الانسان. والزكاة رأس العبادات المالية التي تقيم المجتمع على أساس من التعاون والتكافل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما أساس كل خير ديني أو دنيوى ، وهما دعامتا كل اصلاح والقضاء على كل شر ، وبهما يصلح المجتمع ويتطهر من الفساد .

- الحب فى الاسرة أساس للحكومة الطيبة .
- عصيان الظالم طاعة لله .
- ست ساعات نوم كافية للرجل ، وسبع للمرأة ، وثمان للمغفل .
- بعض الناس لهم مال كثير ولا عقل ، وبعضهم له عقل كبير ولا مال ، ولا شك ان الأولين خلقوا للآخرين .

---

(١) الصوامع : متعبدات الرهبان ، البيع : متعبدات اليهود والنصارى ، وهى الكنائس ، والصلوات : متعبدات للنصارى أيضا ، والمساجد : متعبدات للمسلين .

وعيد الله وعقوباته لبني إسرائيل

للدكتور : محمد سيد طنطاوى
البصرة ــ العراق

ان القارىء لكتاب الله الكريم يجده قد قص علينا ألوانا من العقوبات التى حلت ببني اسرائيل جزاء فسوقهم عن أمر ربهم . ومن بين هذه العقوبات ، تسليط الله عليهم من يمزق شملهم ، ومن يذيقهم العذاب المهين الى يوم القيامة .

قال تعالى : ((واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم . وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)) (١) . لقد جاءت هاتان الآيتان ضمن سلسلة طويلة من الحديث عن رذائل بنى اسرائيل ودعاواهم الباطلة ، كتحايلهم على استحلال محارم الله ، وتشبعهم من الحرام ، بدعوى أن ذنوبهم مغفورة لهم .

ومعنى الآيتين الكريمتين بايجاز : واذكر ــ يا محمد ــ اذ أعلم ربك اليهود علما مؤكدا بقضائه فيهم ، وهو أنه ــ سبحانه ــ ليسلطن عليهم الى يوم القيامة من ينزل بهم صنوف العذاب ، وأنواع الهوان والازدراء ، وذلك بسبب عتوهم عن أمره ، وانتهاكهم لمحارمه .

وكون اليهود محل كراهية الأمم واحتقارهم ــ حتى التى تدافع عنهم ــ أمر مشاهد فى كل مكان حلوا به ، ودفاع المدافعين عنهم تحكمه ظروف خاصة ، وتمليه منافع معينة ، وتشجعه أحقاد قديمة على الاسلام والمسلمين ..

« ان ربك لسريع العقاب » لمن أقام على الكفر والعناد .. « وانه لغفور رحيم » لمن آمن وعمل صالحا ، وتاب اليه توبة نصوحا .

ثم أخبر ــ سبحانه ــ عن تمزيقهم فى الأرض شر ممزق فقال تعالى :

« وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك » .

---

(١) سورة الاعراف : الآيتان ١٦٧ ، ١٦٨ .



أى صيرناهم ـ بسبب ظلمهم ومعاصيهم ـ جماعات متقطعة الاوصال، متباينة المشاعر والمسالك والاتجاهات . « منهم الصالحون » وهم قلة آمنت بالله ورسله « ومنهم دون ذلك » أى : ومنهم طوائف أخرى لم يصلحوا شأن أنفسهم، بل استحبوا العمى على الهدى ، فكفروا بالله ، وقتلوا أنبياءه ، وسعوا فى الأرض فسادا . .

ثم بين سبحانه سنته الكونية فى خلقه فقال : « وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون » . أى : اختبرناهم بالنعم الوفيرة ، وبالعقوبات الرادعة ، لعلهم يرجعون الى طاعة ربهم ، ولكنهم لم يثوبوا الى رشدهم ، بل ظلوا فى طغيانهم يعمهون ، وفى باطلهم يخوضون ، وما آمن منهم الا قليل .

هذا الذى أخبرت به هاتان الآيتان الكريمتان عن جانب من تاريخ الاسرائيليين، قد صدقته الأيام ، وأيدته الحوادث ، وهاك طرفا من عقاب الله لهم فى مختلف العهود .

١ ـ بعد وفاة سليمان ـ عليه السلام ـ انقسمت مملكته الى قسمين :

مملكة ((اسرائيل)) فى الشمال ومقرها ((السامرة)) (١) وتتكون من الأسباط العشرة .

ومملكة ((يهوذا)) فى الجنوب ومقرها ((أورشليم)) (٢) وتتكون من سبطى يهوذا وبنيامين .

وقد استمرت المنازعات بين المملكتين مدة طويلة ، انتهت بانقضاض (سرجون) الآشورى على مملكة الشمال سنة ٧٢١ ق م فقتل الآلاف من رجالها ، وقضى عليها قضاء لم تقم لها بعده قائمة .

أما مملكة (يهوذا) فقد حاولت أن تتشبث بالبقاء ، ولكن معاول الهدم غزتها من الشرق والجنوب ، وكان الذى حمل المعول الاخير لهدمها ((بختنصر)) البابلي، فقد أغار عليها حوالى سنة ٥٨٦ ق٠م ، فدك ((أورشليم)) دكا ، ونهب ما فيها من أموال ، وهدم المعبد ، وساق من بقى حيا من اليهود أسارى الى بابل ..

وبذلك زالت دولة ((يهوذا)) من الوجود ، كما زالت أختها اسرائيل من قبل .

٢ ـ وفى سنة ٧٠ م حاول اليهود القيام بثورة ضد الرومان الذين كانوا يحكمون فلسطين فى ذلك الوقت ، فسار اليهم « تيطس » الرومانى بجيش كبير ، وحاصر (أورشليم) حصارا شديدا .. ثم دخلها فدمرها تدميرا ، وقتل مئات الآلاف من اليهود .. ولم يسمح لاحد منهم بسكنى (أورشليم) ..

ولقد كانت هذه الضربة القاصمة ، من أشد الضربات التى نزلت بهم فى تاريخهم الطويل ، الطافح بالمآسي والكوارث ، اذ تفرقوا بعدها فى مشارق الأرض ومغاربها . ويصف (صاحب تاريخ الاسرائيليين) أثر ضربة (تيطس) لليهود فيقول :

(الى هنا ينتهى تاريخ الاسرائيليين كأمة ، فانهم بعد خراب (أورشليم) على يد الرومان تفرقوا في جميع بلاد الله ، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التى توطنوها أو نزلوا فيها ،وقد قاسوا فى غربتهم هذه صنوف العذاب والبلاء ..) أهـ (٣) .

٣ ـ وحقا لقد لقى اليهود بعد ذلك عقوبات صارمة ، تناولت الطرد ، والسجن ، والقتل ، ومصادرة الأموال ،

---

(١) السامرة هى (نابلس) الآن

(٢) (أورشليم) هي القدس الآن

(٣) تاريخ الاسرائيليين . ص ٧٧ لشاهين مكاريوس :مطبعة المقتطف سنة ١٩٠٤ .

ويقرر أحد الكتاب المسيحيين (بأن كل الأمم المسيحية اشتركت فى اضطهاد اليهود ، وانزال مختلف التنكيلات بهم ، وكانت القسوة على اليهود تعد مأثرة يمتدح المسيحيون بعضهم بعضا عليها .. (١)

٤ ـ ويطول بنا الحديث ويتشعب لو أننا توسعنا فى سرد ما حل باليهود من عقوبات عادلة ، على أيدى المسلمين ، وعلى أيدى غيرهم من الامم الاخرى ، كبريطانيا ، وفرنسا ،وايطاليا ، وروسيا، والمانيا .. وحسبنا نموذجا واحدا لما أوقعه الاسبان عليهم فى فترة من الفترات .

ففي ٣١ مارس ١٩٤٢ م صدر المرسوم التالى من الملك (فرديناند) وزوجته (ازابيلا) .

« يعيش فى مملكتنا عدد غير قليل من اليهود .. وبناء على التقارير التي رفعت الينا ، ثبت لنا بأن الصدام الذى يقع بين المسيحيين واليهود يؤدى الى خطر عظيم ، وضرر كبير ، ويؤدى بالتالى الى القضاء على المذهب الكاثوليكي، ولذا قررنا نفى اليهود ذكورا واناثا والى الأبد ـ خارج حدود مملكتنا ، وعلى اليهود جميعا أن يغادروا البلاد فى غضون فترة أقصاها نهاية شهر ـ يوليو ـ من نفس العام ، وعليهم ألا يحاولوا العودة تحت أى ظرف أو سبب ..) .

وبمقتضى هذا القرار طرد اليهود من اسبانيا ، بعد أن أرغموا على ترك أموالهم، وبعد أن نفثوا سمومهم فيها زهاء سبعة قرون ، وكان عددهم عندما أخرجوا منها أكثر من نصف مليون نسمة .

وقد يقول قائل ـ بعد سرد هذه النماذج القليلة لما حل باليهود من نكبات ـ ، وما السر فى أن اليهود كانوا ـ وما زالوا ـ موضع كراهية العالم ونقمته ؟

وللاجابة على ذلك نقول : ان اليهود هم المسئولون عن كل اضطهاد وقع عليهم ، وهم المستحقون لكل نكال أصابهم لاسباب من أهمها :

أ : أنانيتهم : تلك الأنانية التى زرعتها فيهم كتبهم وسوغت لهم أن العالم ملك أيديهم ، وأن عليهم متى توطنوا فى أية دولة أن ينهبوا خيراتها ، وأن يستأثروا بأموالها .. « فالمال ـ كما يقول كارل ماركس ـ هو اله اسرائيل المطاع ،وأمامه لا ينبغى لأى اله أن يعيش .. لقد أصبح اله اليهود الها دنيويا ، وهذا هو الاله الحقيقي لليهود .. » (٢)

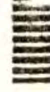
رأى فرانكلين : ولقد فطن العقلاء من الناس الى أنانية اليهود ، فحذروا العالم منها ، ومن بين الذين تنبهوا الى ذلك « بنيامين فرانكلين » أحد الرؤساء السابقين للولايات المتحدة الامريكية ، فقد ألقى خطابا فى المؤتمر الذى انعقد لاعلان الدستور سنة ١٧٨٩ قال فيه : « أيها السادة : هنالك خطر عظيم يهدد أمريكا ، وذلك الخطر هو (اليهودى) . حيثما استقر اليهود تجدهم يوهنون من عزيمة الشعب ، ويزعزعون الخلق التجارى الشريف ، انهم لا يندمجون بالشعب ، لقد كونوا حكومة داخل الحكومة . وحينما يجدون معارضة من أحد فانهم يعملون على خنق الامة ماليا كما حدث للبرتغال واسبانيا .

ومنذ أكثر من ألف وسبعمائة سنة ، وهم يندبون مصيرهم المحزن) . أيها السادة : ان اليهود كالطفيليات التى لا تستطيع أن تعتمد على نفسها ، واذا لم يستثن اليهود من الهجرة بموجب الدستور ، ففى أقل من مائة سنة ، سوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا ويدمروننا ويغيرون شكل الحكومة التى بذلنا من أجل اقامتها دماءنا وأموالنا) ..

---

(١) اليهودية . ص ٧٣ للدكتور احمد شلبى .

(٢) المسألة اليهودية . لكارل ماركس . ترجمة محمدعيتاني ص ٥٩



« اذا لم يستثن اليهود من الهجرة ، فانه لن يمضي أكثر من مائتي سنة ليصبح أبناؤنا عمالا فى الحقول لتأمين الغذاء لليهود الذين يجلسون فى بيوتهم المالية مرفهين يفركون أيديهم بغبطة » .

اني أحذركم ـ أيها السادة ـ اذا لم تستثنوا اليهود من الهجرة الى الابد ، فسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم ، ان عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال ، والنمر لا يستطيع تغيير لونه ، اليهود خطر على هذه البلاد ، واذا سمح لهم بالدخول والاستيطان فى بلادنا فسوف يخربون دستورنا ومنشآتنا يجب استثناؤهم من الهجرة بموجب الدستور ... » (١) .

بهذا الخطاب الحكيم حذر (فرانكلين) أمته الامريكية من خطر (اليهودى) ولكنها عمت وصمت أذنها عن هذه النصائح ، فتحقق ما حذرها منه ، اذ أصبحت أمريكا فى أقل من المدة التى قدرها (فرانكلين) أشبه ما تكون بمستعمرة يهودية ، وأضحى اليهود هم المحركين لسياستها ، وهم المستفيدون بمعظم خيراتها ، المستغلون المسيطرون على مقدراتها ، صحافتها وصناعتها ، زراعتها ، وأسلحتها ...

ونحن نكتب هذه الكلمات فى وقت نرى فيه أمريكا تؤازر دولة العصابات الاسرائيلية مؤازرة صريحة ، وتحاول بكل وسيلة أن تفتح لها خليج العقبة ، بعد أن أغلقته مصر فى وجهها .

ب : غرورهم وتعاليهم : فهم يعتبرون انفسهم أبناء الله وأحباءه ، وشعبه المختار من بين خلقه ، وقد أدى بهم هذا الغرور الى اهدار كل حق لغيرهم ، واستباحة ما يملكه سواهم ، وقد أشار القرآن الكريم الى تمكن تلك الرذيلة من نفوسهم بقوله : (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (٢) .

ونتيجة لهذا الغرور الذى حملهم على أكل أموال غيرهم بالباطل ، هب هذا الغير من الناس ليدافع عن حقه المغتصب وليوقع بهم العقوبات العادلة ، التى تناسب تعاليهم الكاذب ، وتفاخرهم الباطل .

ج : عصبيتهم وخياناتهم للامم التى آوتهم : فهم متعصبون متحزبون ، وقد أضحت هذه العصبية والانعزالية طابعهم الذى لا انفكاك لهم عنه .

يقول (سلامون سختر) أحد زعماء اليهود البارزين : (ان معنى الاندماج فى الامم فقدان الذاتية ، وهذا النوع من الاندماج هو الذى أخشاه أكثر مما أخشى المذابح والاضطهادات) .

وقد ترتب على هذه العصبية المقيتة ، أمور خطيرة ، من أهمها عدم ولائهم للاوطان التى يعيشون فيها ، بل هم يحاولون بكل وسيلة أن يشيعوا فيها الخراب والدمار ، خصوصا متى أمنوا العقاب .

تقول (جولدا مايير) : (ان اليهود المقيمين خارج اسرائيل طوائف متفرقة ، تعيش فى المنفى ، وهم مواطنون اسرائيليون قبل كل شيء ، ويتحتم عليهم الولاء المطلق لهذه الدولة الجديدة ، مهما تكن جنسيتهم الرسمية .. وان اليهودى الانجليزى الذى ينشد بحكم انجليزيته نشيد (حفظ الله الملكة) لا يمكن فى نفس الوقت الا أن يكون صهيونيا) (٣) .

---

(١) (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية)ص (٢١٠) للاستاذ عبد الله التل . وقد حدث فعلا ما توقعه هذا القائد البعيد النظر .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٧٥) .

(٣) عن كتاب (اسرائيليات) لاحمد بهاء الدين

وما أكثر الحوادث التى قام فيها اليهود بدور العيون والجواسيس على الاوطان التى آوتهم لحساب أعدائها ، وعندما عدد (هتلر) خيانات اليهود الالمان ، ذكر منها استنزاف أموال الشعب بالربا الفادح ، وافساد التعليم ، والسيطرة على رأس مال الدولة .. والتجسس لحساب دول أخرى ضد ألمانيا .. ثم ختم حديثه الطويل عنهم بقوله :

« واذا قيض لليهودى أن يتغلب على شعوب هذا العالم ، فسيكون اكليله جنازة البشرية .. لهذا أعتقد أنى تصرفت معهم حسبما شاء الخالق ، لانى بدفاعى عن نفسى ضد اليهودى ، أكون قد ناضلت فى سبيل الدفاع عن عمل الخالق » (١) .

د : اضطهادهم الشنيع لغيرهم :

وتاريخ اليهود طافح بالمجازر التى قاموا بها ضد سواهم من البشر ، ونصوص كتبهم تبيح لهم هذا العمل المنكر .

ففي سفر الخروج : (حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح ، فان أجابتك فكل الشعب مسخر لك .. واذا دفعها الرب اليك بعد حربها فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ..)

وقد طبق اليهود هذه التعاليم أسوأ تطبيق ، وحسبنا ما قاموا به من جرائم فى (دير ياسين) و (كفر قاسم) وغيرهما من قرى ومدن (فلسطين) .

وبذلك نرى أن مفاهيم اليهود الفاسدة ، وأنانيتهم الطاغية ، وطباعهم الذميمة .. هى التى جعلتهم محل نقمة العالم وبغضه .

ويعجبنى فى هذا المقام قول المؤرخ اليهودى (يوسيفوس) : (لا توجد أمة فى الارض منذ بدء الخليقة الى الآن تحملت من النكبات والكوارث ما تحملت اسرائيل ، على ان تلك الكوارث او النكبات لم تكن الا من صنع اسرائيل) .

أما بعد : فهذه نماذج قليلة للعقوبات العادلة التى أنزلت باليهود فى مختلف العصور ، مصداقا لقضاء الله النافذ فيهم (ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) بسبب فسوقهم عن أمره ، واقترافهم لمحارمه . وان الضربة القاصمة لهم ، ستكون بأيدينا ــ نحن المسلمين ــ متى استجبنا لاوامر الله ، واستقمنا على طريقه .

فقد أخرج الشيخان عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر فيقول : يا عبد الله : هذا يهودى ورائي فاقتله » (٢) .

وأخرجا عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ قال :

(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ،حتى يختبىء اليهودى من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودى خلفى . فتعال فاقتله . الا الفرقد . فانه من شجر اليهود) (٣) .

---

(١) من كتاب كفاحى لهتلر .

(٢) أخرجه البخارى . واللفظ له ــ فى كتاب الجهاد ــ باب قتال اليهود .
ج ٤ ص ٥١ . وأخرجه مسلم فى كتاب الفتن ج٤ ص ٢٢٣٩ طبعه الحلبى .

(٣) أخرجه البخارى فى (كتاب الجهاد) ج٤ ص٥٠ طبعة صبيح . وأخرجه مسلم واللفظ له .
فى كتاب الفتن ج٤ ص٢٢٣٨ (والفرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد فلسطين .

حَديث السَّيف ①

دراسات فى المدرسة

عندما تقرر القتال فى الاسلام قامت المدرسة العسكرية الاسلامية ، وظلت تباشر مهمتها فى خدمة الاسلام والمسلمين على أسس صحيحة ، ودعائم سليمة ، حتى انها بقيت بعد وفاة الرسول الكريم قوية راسخة ، بدليل ان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم أستطاعوا ان يخرجوا من جزيرتهم ، وان يواجهوا اعظم دولتين وجدتا فى عصرهم وهما : دولة الفرس ودولة الروم ، وأن ينشروا فى ربوع الدولتين دينا وعقيدة ونظاما .

ولقد تميزت المدرسة العسكرية الاسلامية بميزات جعلتها تحتل مكانة مرموقة بين المدارس العسكرية الاخرى قديمها وحديثها ، رغم ما بذله ويبذله حتى الآن اعداء الاسلام من جهود متصلة للاساءة اليه كيلا تظهر للناس عظمته فى كل مجالاته وميادينه،وحتى يطمسوا أمجاده خدمة لاغراضهم المتعددة استعمارية أو دينية . .

لقد كان من اهم ما تميزت به المدرسة العسكرية الاسلامية .

أولا : طورت نظرية الحرب، وعدالتها بما يناسب طبيعة القتال .

ثانيا ... هذبت فكرةالحرب وسمت باسبابها ودوافعها واغراضها .

ثالثا ... وضعت أسس الاعداد للمعركة اعدادا سليما يضمن كسبها .

رابعا ... قررت للحرب مبادىء واصولا تقود المحاربين الى النصر .

خامسا ... اخرجت جيلا من العسكريين الميامين كان لهم قصب السبق والقدح المعلى .

وان هذه الدعائم التي وضعتها المدرسة العسكرية الاسلامية تبدو واضحة جلية فى الغزوات الكثيرة التي خاض المسلمون غمارها سواء فى عهد الرسول أو فى عهد ما بعد الرسول وان العبقرية العسكرية التي وضحت فى التكتيك العسكري للغزوات لم ولن تظهر فى التاريخ .

ونحن لا نلقى القول جزافا ولكنها الحقيقة الماثلة امام اعيننا على صفحات التاريخ الحربي فقادة المدرسة العسكرية الاسلامية كانت لديهم القدرة على رسم الخطط العسكرية بحيث لو طبقت هذه الخطط فى حروب اليوم لأتت بالمعجزات وبحيث لو بذل النقادالعسكريون جهدهم وتفكيرهم لنقدها أو لاظهار عيب منها ما استطاعوا .

كما أن هذه المدرسة ابتكرت من وسائل الحرب ما لم يتنبه القادة الى

بقلم العميد محمد فرج

العسكرية الاسلامية

فاعليتها وآثارها الا بعد مرور فترة طويلة ، ومن هذه الوسائل على سبيل المثال اتخاذ الجانب الاقتصادي وسيلة حربية تمهد طريق النصر وتقصم ظهر العدو .

ولا يفوتنا ان نقول ان جيوش هذه المدرسة كانت تحارب دولا بلغت امكانياتها المادية قدر امكانياتها مئات المرات ، سواء فى داخل الجزيرة أو فى خارجها ، فمما لا يختلف فيه اثنان ان المسلمين تمكنوا بقدرات مادية ضئيلة ، وامكانيات محدودة من التغلب على اعداء يحيطون بهم من كل جانب ، وأن يؤسسوا داخل الجزيرة دولة قوية ، استطاعت بعد ذلك أن تدحر قوى امبراطوريتين ، كانتا تملكان العدد والعدة والامكانيات الضخمة ، والقدرات الهائلة ، وكانت لهما فى التاريخ الحربي جولات وصولات ، لم يكن للمسلمين وقتها مثقال ذرة منها .

هذا فوق ان هذه المدرسة كانت فى اول امرها تضم عددا قليلا من الافراد ، والاعداء يحيطون بها من كل جانب .. ففي مكة حيث بدأت الدعوة لم يكن عدد المسلمين كبيرا ، وانما كان عددا بسيطا تحيط به اعداد ضخمة من القرشيين .

وفى المدينة حيث هاجر الرسول واتخذها مركزا لنشر دعوته كانت تحيط بالمسلمين اعداد ضخمة من الاعداء — قرشيين وقبائل متفرقة هنا وهناك ويهود . وحتى بعد ان اتم الله نصره الكبير ، وعاد المسلمون الى مكة منتصرين فائزين ، كانت تحيط بهم اعداد ضخمة من الاعداء خارج الجزيرة .. ومن عجب ان المدرسة الاسلامية استطاعت ان تحول خصومها من اعداء ألداء الى اتباع مخلصين ، وان توطد الاسس الصالحة لبناء اعظم دولة تؤمن بالله الواحد القهار ربا ، وبمحمد النبي الامي رسولا ، وبالقرآن الكريم كتابا منزلا ..

مقارنة

وقد يتساءل البعض : كيف لنا ان نقارن بين المدرسة العسكرية الاسلامية وبين المدارس العسكرية الاخرى وخاصة الحديثة منها .. والرد على هذا السؤال واضح ويسير ، فالعبرة هنا ليست باشكال المعركة واحجامها وظواهرها ، وانما بأسسها ونظمها وافكار قادتها .. فلا يهمنا الاختلاف الكبير بين العدد الذي يحشد للمعركة ، والسلاح الذي يعد لها ، والوسائل التي تستخدم لخدمة المعركة ، وانما المهم فى هذا المجال هو : كيف تقاد المعركة ، وكيف كانت توضع



الخطط ، وكيف كانت تعالج مشاكلها واحداثها ؟ .

والمقطوع به ان حروب اليوم تعتمد على الاعداد الضخمة التي لم يكن فى قدرة المدرسة العسكرية الاسلامية تجهيزها ، وعلى السلاح الحديث كالدبابات والطائرات ، والقنابل الذرية والغواصات ، وغيرها مما تعتبر دون شك امضى من السيف والسهم والرمح التي تمثل الجانب الاساسي فى سلاح المسلمين ، وعلى وسائل الاتصال والنقل الحديثة ، فحرب تدار باللاسلكي ، وتستخدم فيهاالطائرات وناقلاتالجنود والمظلات أعجب دون ريب من حرب تدار بالفم أو الاشارة أو النداء لا يستخدم فيها أكثر من الخيل والابل كوسيلة لنقل المحاربين .. **ان العبرة فى هذه المقارنة هي كما قلنا بأسس الحرب ونظمها وأفكارها التي استطاعت فىالعهد الاسلامي ان توجه جيوشا قليلة العدد والعدة الى انتصارات قد تعجز عنها جيوش اليوم ، كثيفة العدد ، كثيرة السلاح ، حديثة العدة ، لنقص فى الاسس أو لخلل فى النظم أو لسوء فى التفكير .**

وفى حدود هذه المعاني سنتناول ما تميزت به المدرسة العسكرية الاسلامية .

أولا : تطوير فكرة الحرب

ان المتعمق فى دراسة تاريخ الحروب وفنونها وتطورها ، يدرك أن الحرب قامت منذ بدأت حتى يومنا هذا على نظريتين .. سادت احداهما فى الفترة التي سبقت ظهور الاسلام ، حتى اذا ما حمل المسلمون سيوفهم تبدلت نظرية الحرب بنظرية اخرى قامت على انقاض النظرية الاولى ، وظلت مسيطرة على روح الحرب حتى جاءت فترة عادت فيها النظرية الاولى الى مكانتها على المسرح الحربي ، وسادت افكار من يخوضون غمار المعارك ، حتى قامت المدرسة العسكرية النابليونية ، فقضت عليها نهائيا ، وعادت النظرية الاخرى التي ظهرت بظهور الاسلام تأخذ مكانها من جديد ، وبقيت حتى يومنا هذا مسيطرة على فكرة الحرب .

والفرق بين النظريتين واضح ملموس .. فالنظرية التي سادت قبل الاسلام تقوم اساسا على الكم اما الأخرى التي جاء بها الاسلام فهي تهمل الكم الى حد ما وتعتني اساسا والى حد كبير بالكيف .. يعني هذا أن النظرية الاولى تهتم بعدد الرجال ، وكمية السلاح ، أما النظرية الاسلامية فلا تهتم بالعدد من حيث الرجال أو العتاد ، وانما تضع فى المرتبة الاولى من عنايتها الرجال من حيث هم مقاتلون ، ومن زاوية قدراتهم وامكانياتهم على مزاولة مهنة الحرب .

المدرسة القديمة والكم

والمتتبع للحروب الكثيرة التي قامت قبل الاسلام يلمس ان النصر فى المعركة كان دائما فى الجانب الاكثر عددا ، الأوفر سلاحا ، وتاريخ معارك مجدو وقادش وغيرهما من المعارك الكبيرة التي احتوتها كتب التاريخ الحربي تؤكد هذه الحقيقة، فقد كان هم القادة جمع الرجال فى عدد كبير ، وجمع السلاح بكميات موفورة ، وخوض المعركة اعتمادا على الكثرة العددية التي كانت تعطيهم ضمانا كافيا لكسب المعركة ، ويحضرني فى هذه المناسبة تشبيه ذكره مؤرخ عسكري تعرض للحديث فى هذا الموضوع : فقد شبه الجيش بالحائط المرتفع الذي يكثر فيه عدد الاحجار ، وقال : ان هذا

الحائط يصمد كثيرا امام معاول الهدم التي تنال منه ، بعكس الحائط القليل الاحجار فانه يتهدم سريعا وفى وقت قصير .

المدرسة الاسلامية والكيف

ولما قامت المدرسة العسكرية الاسلاميةنظرت الى الحرب نظرةجديدة، ووضعت لها اسسا تختلف عن اسس الماضي ، وسلطت الاضواء على الفرد كمحارب ، ووجهت الاهتمام الى الكيف دون الكم . ومن هنا قامت نظرية جديدة فى الحرب تعتمد على الرجال ، لا على عددهم وكثرتهم،وانما علىقدراتهم وامكانياتهم ومشاعرهم ومعنوياتهم (١) فاصبح الاهتمام موجها الى المقاتل بشخصه وذاته وقدراته .. أى الى اليد القوية التي تحمل السلاح ، والقلب المؤمن الذي يخفق من خلف السلاح ، والعقل المفكر الذي يدير وسائل استخدام هذا السلاح .

واعتمادا على هذه النظريةالجديدة ـ نظرية الكيف ـ خرج اتباع محمد من الجزيرة العربية ، وخاضوا غمار معارك تاريخية هامة ضد الفرس وضد الروم، وانتصروا عليهم ، وازالو ملكهم رغم ما اكدته كتب التاريخ الحربي من تفوق الروم والفرس فى العدد والسلاح .. **ومعركة اليرموك دليل واضح على ما نذهب اليه فقد جاء جندي من المسلمين الى خالد بن الوليد قبل المعركة وقد افزعته كثرة الروم وقال له ((يا خالد ما أكثر الروم واقل المسلمين)) فأجابه خالد وهو واحد من خريجي المدرسة العسكرية الاسلامية التي آمنت ايمانا بعيد المدى بنظرية الكيف ((بل قل: ما أقل الروم وأكثر المسلمين !! انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالهزيمة)) .**

نظرية الكم مرة أخرى

وقلنا ان نظرية الكيف التي جاء بها الاسلام مرت فترة اهملتها فيهاالقيادات التي جاءت بعد الاسلام اذ عادت الى الأخذ بنظرية الكم ، واعتمدتمرة اخرى على عدد الرجال،وخاضت هذه القيادات معارك كثيرة معتمدة على الكم دون الكيف ، ومن اوضح الامثلة على ذلك اعتماد الدولة العثمانية فى بدء حياتها على الكم . فقد خاض السلطان سليم المعارك ضد الدولة الصفوية ، والدولة المملوكية ، اعتمادا على كثرة الرجال ، ووفرة السلاح واستطاع ان يحرز النصر فى مرج دابق والريدانية .

الا ان هذه النظرية سادت فترة ما حتى قامت الثورة الفرنسية ، وتألق نجم نابليون كقائد عسكرى ، وكصاحب مدرسة لها تعاليمها من فنالاستراتيجية والتكتيك . وخاض نابليون معاركه الكثيرة التى اشتهر بها ، واشتهرت به ، اعتمادا على نظرية الكيف دون نظرية الكم .. اى اعتمادا على نظرية الحرب التي جاء بها الاسلام ، والتي ما زالت تسود معارك اليوم . والحرب العالمية الثانية دليل واضح . فالمعارك التي دارت فى الصحراء الغربية تؤكد ان مونتجمري انتصر فى موقعة العلمين لا اعتمادا على الكثرة من السلاح او الرجال ، وانما اعتمادا على قدرات المحاربين ومعنوياتهم ، فقد جعل كل مقاتل تحت قيادته يؤمن بضرورة النصر فى المعركة لان انتصاره يعنى شرف الامبراطورية .

صاحب الفضل الاول

اذن فالاسلام هو صاحب الفضل الأول فى تطوير فكرة الحرب وفى وضع

---

(١) وكان ذلك يتمثل فى قوله تعالى ((ان يكنمنكم عشرونصابرونيغلبوا مائتين)) ثم فى قولهتعالى ((الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فانيكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ..)) ويقررها القرآن فى شبه قاعدة عامة ((كم من فئة قليلةغلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين)) وكان القرآن الكريم بذلك هو واضع هذه الاسس . (الوعي)



الاسس الصحيحة السليمة لضمان كسب المعركة .. ولقد التقطت المدارس العسكريه الحديثة الخيط من المدرسه الاسلامية . فنابليون وهو رأس المدرسة العسكرية الفرنسية قال ((ان نسبة القوى المعنويه الى القوى المادية فى الميدان كنسبة ٣ : ١ . وكلا وزنتز رأس المدرسة العسكرية الالمانية قال ((ان القوى المعنويه فى الميدان هى التي تحدد نتيجه المعركه)) .. وبمراجعة احداث بدر نجد أن النسبة العددية بين القوتين كانت ١ : ٣ وبمراجعة احداث الخندق نجد ان النسبة كانت ١ : ٣١/٢ (عدد المسلمين ٣٠٠٠ وعدد المشركين ١١٠٠٠)
ويلاحظ ان النسبة لم تتغير كثيراً فى المعركتين . وان هذه النسبة هي التي أصر نابليون على وجودها لضمان الكسب فى المعركة ، ولا يستبعد ابدا أن يكون نابليون قد استلهم قوله هذا من احداث هاتين المعركتين فقد عرف عنه انه كان قارئا ممتازا للتاريخ الحربي ، وانه كان ينصح ضباطه دائما ((عليكم بقراءة تاريخ الحروب)) . ! !

وتاريخ الحروب الاسلامية يحمل بين سطوره امثلة كثيرة لا نهاية لها ، تبرز مدى القوى المعنوية لدى المقاتلين العرب .. فالمسلمون ـ منذ اللحظة التي اندمجوا فيها فى الدين وآمنوا به ـ زودوا بقوى معنوية جعلتهم يصمدون امام تعذيب قريش وتهديدها وقسوتها ، ولولا هذه القوى لعادوا ادراجهم الى دين آبائهم وأجدادهم . ولكنهم تمسكوا بالدين وصبروا ، وكانت قواهم المعنوية سلاحهم الذى انتصروا به فى غزواتهم كلها .. وكان الرسول الكريم وخلفاؤه رضي الله عنهم يثيرون الجانب الروحي المعنوى عند الجند ، حتى ان خيثمة بن سعد قال **للرسول ((يا رسول الله لقد اخطأتني واقعة بدر وكنت حريصا عليها حتى بلغ من حرصي أن ساهمت ابني من الخروج فخرج سهمه ورزق الشهادة، وقد رأيت ابني البارحة فى النوم وهو يقول الحق بنا ترافقنا فى الجنه فقد وجدت ما وعدني ربي حقا وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا الى مرافقته فى الجنة وقد كبر سني ورقت عظمي واحببت لقاء ربى)) .**

وخاطب خالد بن الوليد قادة الفرس ((لقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)) .

ودخل ابو سفيان على ابنته ام حبيبة زوج رسول الله ، واراد ان يجلس على فراش الرسول فطوته ، فسألها **((يا بنية ما ادرى ارغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟)) فقالت له ((بل هو فراش رسول الله ، وانت رجل نجس مشرك ولا احب ان تجلس عليه)).**

وقابل عمرو بن العاص قرة بن هبيرة ، فقال له قرة ((ان العرب لا تطيع لكم نفسا بالاتاوة ، فان اعفيتموها فستسمع لكم وتطيع ، وان أبيتم فلا تجتمع عليكم)) فرد عليه عمرو ((اتخوفنا بردة العرب ؟ فوالله لا وطئن عليك الخيل فى حفش (١) امك)) .

وعمرو بن الجموح كان يشكو عرجا شديدا وأراد أن يخرج للقتال فمنعه ابناؤه الذين خرجوا للقتال وقالوا له ((ان الله قد جعل لك رخصة . فلو قعدت ونحن نكفيك ، وقد وضع الله عنك الجهاد)) فأبى ان يستمع الى منطق اولاده ، وتوجه الى الرسول يشكوهم له ((يا رسول الله ان بني هؤلاء يمنعونني ان اخرج معك ، ووالله اني لأرجو ان استشهد)) .

---

(١) الحفش : البيت الصغير .

ويناشد عبد الله بن جحش ربه قائلا « اللهم لقني من المشركين رجلا عظيما كفره ، شديدا حرده ، فاقاتله فيقتلنى فيك ، ويسلبني ، ثم يجدع انفي واذني ، فاذا لقيتك فقلت يا عبد الله بن جحش فيم جدعت ؟ قلت فيك يا رب » .

وصور تيود مير قائد الاسبان جيوش المسلمين « لقد نزل بأرضنا قوم لا ندرى اهبطوا من السماء ام نبعوا من الارض » .

وقال رسل المقوقس عن المسلمين « رأينا قوما الموت احب الى احدهم من الحياة ، والتواضع احب الى احدهم من الرفعة ، ليس لاحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم على التراب ، واكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد » .

وترك حنظلة بن ابي عامر عروسه ليلة الزفاف وخرج للمعركة ، وقتل شهيدا ، فقال الرسول لأصحابه « اني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن ابي عامر بين السماء والارض بماء المزن فى صحاف الفضة » .

بهذا الاسلوب الذى يبدو فيه الايمان المطلق فى اروع صوره حمل المسلمون سيوفهم ، وخاضوا غمار المعارك وانتصروا . لقد كانوا يسعون الى احد امرين : اما انتصار يسعد به الاسلام ، واما استشهاد يفتح امامهم ابواب الجنة .. كانوا فى قتالهم يحرصون على الموت اشد من حرص اعدائهم على حياتهم ووجودهم . كانوا يقدمون انفسهم قربانا لكي يسعد البشر بانتشار المبادىء الانسانية العالمية التي جاء بها الاسلام ، وفى هذا المعنى قال مالك بن سنان « نحن والله بين احدى الحسنيين اما ان يظفرنا الله بهم فلا يبقى منهم الا الشريد ، والأخرى يرزقنا الشهادة . والله ما ابالي ايهما كان ان كلا لفيه الخير » .

وكان المسلمون حريصين على الموت لينعموا فى جنات الخلد بالرعاية الالهية والعناية السماوية فرحين بما آتاهم الله من فضله .. من اجل هذا كان الواحد منهم يخوض المعركة ساعيا الى عدوه ، باحثا عنه ، لا يهرب ولا يفر . مهما اشتد وطيس القتال ، ومهما قويت حدة النزال ، ومن وراء هذا المسعى كان يأتيهم النصر عزيزا كريما .

وكان مرجع حرصهم على الموت ما وعد الله به المجاهدين الشهداء فى كتابه الكريم وعلى لسان رسوله عليه الصلوات والتسليم .

وبهذا يكون الاسلام قد الغى ما يسمى بالجنود المرتزقة الذين كانت القيادات تجمعهم لتضمن الكثرة العددية فى المعركة التى تؤهلها بالتالي للنصر .. وهؤلاء كانوا يؤجرون للقتال مقابل اجر معين . فهم دون ريب كانوا لا يتخذون الحرب الا وسيلة للكسب والعيش فقط . ولهذا كانوا حريصين على الحياة ، وكان همهم الاول هو ان يخرجوا من المعركة سالمين معافين ، وبذلك كانوا فاقدي الاحساس بالمسئولية ، فوق انهم كانوا لا يحاربون عن عقيدة أو ايمان ، او لهدف ينبع من داخل انفسهم ، ويدفعهم الى بذل الجهد فى المعركة من اجل كسبها .

وهكذا تكون المدرسة العسكرية الاسلامية قد طورت نظرية الحرب ، ووضعت للحرب أسسا تقود الى النصر ، واثارت فى المحاربين الشعور بالمسئولية الملقاة على عاتقهم .

ونرجو من لقاءاتنا القادمة ان نتناول بالحديث المدرسة العسكرية الاسلامية من الزوايا الاخرى التى تميزت بها ، والتي اوضحناها فى التمهيد لهذه السلسلة من المقالات والله الموفق .

كُلكم راعٍ وَمَسْؤولُ عَن

لقد غزانا دعاة الالحاد بضلالهم ووجدوا فى شبابنا قبولا لتضليلهم لأن هذا الشباب جاهل فى الدين لا يعرف قيمه ولا تعاليمه ، والدعاة يحاولون تدمير هذه القيم واقتلاعها من صدور الناشئة والشباب حتى يصبح الجيل الذى يكون فيه هؤلاء الشباب رجالا هدفا لكل ناهب ومكسبا لكل محارب ، ومن أجل هذا فتح الغرب المجند لهؤلاء الدعاة أبواب ثقافته ودعا الأمة المسلمة فىالمشرق والمغرب ليتبادلوا معه الثقافة ، والمسلمون الجاهلون بدينهم فرحوا بهذه المنة وفتحوا لوفده الصدور لبث سمومه فى القلوب والعقول .

الاسلام الحنيف أولى هذه الناحية أمرها ووجه عناية المسلمين لها وحث على تربية الصغار وجعل كل فرد فى الأمة راعيا وكلف كل راع بالعناية برعيته فقال المبعوث بهذا الدين صلى الله عليه وسلم مبلغا ومعلما : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

واذا أهمل المسؤولون هذا الأمر ضاع النشء وضاع بضياعه مستقبل الأمة ، اذا فليكن المسؤول والدا كان أو أخا أو معلما مثلا صالحا لمن هم تحت مسؤوليته ، يأمرهم بالخير ويفعله أمامهم ولا يفعل ما يخالفه ولا سيما اذا كانوا أطفالا ، لأن الأطفال أكثر خضوعا واستجابة للنداء بنين كانوا أو بنات . وللأطفال مرونة قابلة للتكيف يتقبلون التوجيه ويرتاحون له متى كان الموجه صالحا يعرف كيف يستخدم عناصر التشويق استخداما طبيعيا لا تصنع فيه ولا افتعال . فاذا أمر المربى طفله بالصدق فلا يكذب واذا أمره بالعدل فلا يظلم ، واذا نهى عن شيء فلا يفعله امام طفله لأن الطفل كالمرآة تنعكس عليها أفعال من هو أكبر منه ، فيفعلها تقليدا له من حيث لا يعلم ، لأن الطفل يعتقد الكمال بمربيه ويفخر على أقرانه بأنه يقلد أباه أو عمه أو خاله أو أخاه الأكبر ، وكثيرا ما تنفرس أفعال الأب فى فكر ابنه الناشيء حتى اذا كبر فعل ما كان فعله أبوه من قبل دون ضابط أو رابط لا يعبأ بالنتائج ولا يبالي بالعواقب . وكثيرا ما انحرف شباب وشابات وفسد فتيان وفتيات من جراء هذا التقليد لأنهم لم يجدوا من يقومهم من اعوجاج أو يهديهم الى صواب . الأب منهمك فى ملذاته منكب على شهواته ساع الى اشباع رغباته ، لا يهمه من أمر البنين والبنات الا أن يقدم لهم ولهن الطعام والكساء ظنا منه أن ذلك هو كل شيء فى الحياة ، فترك لهم الحبل على الغارب فنشأوا على ما كان تركهم عليه وكانت العاقبة سيئة فى الأسرة وشرا فى المجتمع

رَعيَّتُه

للشيخ عبد الله النوري ـ الكويت

مـن أين للناشيء أن يعرف دينه اذا كان المربي لا دين له ومـن أين لـه أن يحتفظ بالآداب اذا كان المسؤول لا أدب عنده ، ومن أين له أن يتمسك بتقاليده اذا كان وليـه قد ضـرب بالتقاليد عرض الحائط . ومـن أين للناشيء الغض أن يجد فى دينه ما يستهويه ويثير انتباهه وتحمسه ويحظى باعجابه ورضـاه اذا كان المسؤول عنه جاهلا بكل شيىء من ذلك .

ان الحـال لا يختلف فى مكان عنه فى مكـان آخـر فهو فى البيت كما هـو فى المدرسـة . وهو عند الأب كما هو عند المدرس فلا آمر بمعروف يأمر أو يأتمر ، ولا ناهي عـن منكـر ينهى أو ينتهـى ، ولا شـعائر للدين تقام هنا أو هنـاك ، ولا يعنيهم أمرها عند أولاء واولئك وهكذا ضاع الشباب بين البيت والمدرسة ، وظل أثر الدين يتضـاءل عندهم شيئا فشيئا ودعاة الالحاد ساهرون يترقبون الفرص لبث سـمومهم . وقد حانت وكان لهم ما أراد ـ جهل واهمال ـ وهكذا ذوى غصن الدين حتى تلاشى فى القلوب وحل محله الالحاد .

اذا فماذا قدمنا لناشئتنا مـن نماذج طيبة لأعمالنا تكون لهم أسوة يقتدون بها ويفخرون بالاقتداء بها ولقد تعود شبابنا مع الأسـف أن يـرى النور ظلامـا ، والرشد غيا حتى أبدل أسماء الفضائل باقبح الأسـماء فسمى الدين رجعية ، والتمسك به جمودا ، ولا لوم عليه ، انما اللوم على المسؤولين الذين أعرضوا عن الدين أو جهلوا قيمته أو تمسكوا بتقاليد بعيدة عن الدين ، معما فيها من اساءة اليه .

ودينننا ولله الحمد وضـاء مشرق ، وهو فى كـل وقت وكـل مكان وضـاء مشرق ، ولكن جهلنا به جعلنا ندخل فيه ما ليس منه عنـادا منا وتقليدا لأئمـة جهـال ادخلوا فى الديـن ما ليس منه فضلوا وأضلوا .

والاسلام والحمد لله عقل كله ، جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله لقوم يعقلون ، وهو اليسر لا عسر فيه وهو السهل لا صعب فيه ، وهو الهدى لا ضلال فيه ، وهو كما وصـفه سـيد المرسلين محجة بيضاء ليلها كنهارها .

فيا أخي فى الاسلام تعال الى الاسلام ففيه النجاة ، وتعال معى نجيل الطرف فى جميع جهاتنـا وكافة أحوالنـا حتى نحدد موقفنا على ضوء ما نجده فى ديننا لنرى هل نحن حقا مسلمون .. ؟ وهل نحن جديرون بهذا النداء الكريم . ؟

((يا أيهـا الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجـارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)) .

نشيد القوة في الإسلام

للشاعر محمد عبد الغنى حسن

مهداة للشاعر المسلم القوى محمد اقبال صاحب حديث الروح

أيها المسلم القوى النضـــــالِ ... أيها المسلم الرفيع المثـــــــال
يا أخا الفضل . يا أبـــا الاقبـــال ... لك منا تحيـــة الاســـــلام
لك صوفية القـــوى العـــــاملْ ... هل رأيت الحياة يومـــا لغافـــلْ ؟
أو لدرويش قومـــــه المتواكل ؟ ... لم تسخر حياتنا للنيـــــــام ..
انما العيش قـــــــوة وإرادة ... لم يمكن رب العباد عبـــــاده
من حيـــاة مملوءة بالبـــــلادة ... لذة العيش في اقتحام الزحـــام ..



يا مثالا للمسلم المتفـــــــوقْ ... في بيـــان ومنطق متـــــدفقْ
عرّف الحقّ بالخيال المحلـــق ... ما وراء الذرا ، وخلف الغمـــام ..
كنت صوتا للمسلمين قويّـــــا ... ملأ الأرض ضجة ودويـــــا
وبيانـــا عذبا ، وشعـــرا وضيـــا ... سائغـــا في العقول والأفهـــــام



صوتك العذب لا يزال يـــــرن ... تتملى بـــه على الحـــق أُذْن
وبه كـــل حائـــر يطمئن ... في الطريق المحفوف بالآلام ...
شعرك العـــذب نفحة من نبوةْ ... فائض ماؤه بـــكل فتـــــوة

وهو يدعو إلى الحياة بقــوة	لم يهن مرة إلى استســـلام
لثم الشعر ُ قبلك النـــــوارا	يرشف الراح من ثغور العذارى .
خالعــا في رحابهن العــذارا ...	معرضا عن ملامـــة اللوام ...
تجد العيش في رنين الــكؤوس	وافتداء الهوى بكل نفيس
من مِلاحٍ يـُضِئْنَ مثل الشموس	فيحلن الظلام غـــــير ظلام ...

***

ذاك شعــر الأزهار والأقـــداح	وخدود كالورد والتفـــــاح ..
وعيون كالنرجس الفضـــاح	وثغور كالزنبـــق البسام .....
أين تلك الأشعار من روح شعركْ ؟	أين أزهارها بجانب زَهْـــرك ؟.
أين خمر الكؤوس من طهر خمركْ؟	يا نقى الشعور والالهام .

***

ما عرفنا في الشعر منك ضــلالة	أو عهدنا عليــــه غير النبــالة
فهو في شرعك المتـــين رسالة	لمرام أعظِمْ بــــه من مـــرام .
هو شعر الحيـــاة ينبض عزمـــا	هو شعر الاشراق ينطق حكما .

***

هو شعر الاسلام يقطر سِلمـــــا	هو شعر على المـــدى المترامى
قد سكبناه في المسامع لحنــــــا	وسمعنا به مع الشعر فنـــــا
وانتشينا به فُـؤادا وأذْنــــــا	وشربنـــا الايمان في أنغـــام..

مائدة القارئ

آعدها أبو نزار

العقل

أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، فقال . كيف عقله ؟ قالوا يا رسول الله . ان من عبادته .. ان من خلقه .. ان من فضله .. ان من أدبه .. فقال كيف عقله ؟ قالوا . يا رسول الله نثنى عليه بالعبادة ، وتسألنا عن عقله ، فقال . ان الاحمق يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر ، وانما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم .

قادة العرب

قادة العرب هـذه فرصـة العمر — وهـذا نـداء مجـد الجـدود
وحدوا العرب بالذى وحد العرب — قديمـا مـن شرعـة التوحيـد

صفقة خاسرة

أسر الافرنج الشيخ سعد الشيرازى ، وسخروه مع الاسرى فى بناء سور طرابلس الشام ، ثم فداه رجل من حلب بمائة دينار ، وزوجه ابنته على عشرة دنانير ، فكانت تسىء معاملته ، فقالت له يوما . ان ابى اشتراك بمائة دينار فأجابها . نعم وباعنى بعشرة .

حب البقاء

دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق ، فرأى شيخا ، فقال . ياشيخ . أيسرك أن تموت ؟ فقال . لا والله ، قال ولم وقد بلغت من السن ما أرى ؟ . قال . مضى الشباب وشره ، وبقى الشيب وخيره ، فانا اذا قعدت ذكرت الله ، واذا قمت حمدت الله ، فأحسب أن تدوم لى هاتان الحالتان .

حيلة

ابق أحد العبيد ، فقبض عليه الحراس وأوقفوه بين يدى الملك ، وكان فى جلسائه نديم له حاقد على ذلك العبد ، فأشار على الملك باعدامه ، وزعم له أن هذه العقوبة ستكون عبرة لغيره ، فوقع العبد على قدمى الملك ، وقال انى راض بكل ما تحكم به يا مولاى ، ولكن حذار أن تقضى بموتى قبل أن تجد له عذرا بينا ، ومسوغا عادلا ، فتجد لنفسك منفذا من تبعته ومخرجا من عهدته يبرئك من الحساب العسير فى اليوم الاخير .

فسأله الملك وكيف أستطيع ان أجعل موتك مشروعا .

فقال العبد . مر باطلاق سراحى حتى أغتال هذا النديم واذ ذاك يحق لك الاقتصاص منى .

فالتفت الملك الى النديم وسأله ما رأيك ؟

فأجاب . أرى بعد التروية ان تحلم عنه ، وتجعل ذنبه تحت قدميك ، وتتلقى بعفوك جريمته تخليدا للعدل الذى اشتهر به آباؤك .

دعوة مظلـوم

قال جعفر لابيه خالد بن برمك ـ وهم فى القيود والحبس .

يا أبت . بعد الامر والنهى والعـز والسلطان أصارنا الدهر الى القيـود ولبس الصوف والحبس ؟ .

فقال له أبوه . يابنى دعوة مظلـوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول .

رب قوم قـد غـدوا فى نعمـة
زمنا والعيش ريّانُ غـــدق
سكت الدهـرُ زمانـا عنهـم
ثم أبكاهـم دماً حـين نطــق

من أعمالكم

سمع « تيمور لنك » وهو بخراسان ـ عن ولى من أولياء الله . اسمه زين الدين أبوبكر الخوافي، فقصده تيمورلنك، ونزل عـن فرسـه وانحنى للشـيخ ، فوضع يده على ظهره ، ثم رفعها ، فقال ـ تيمور لنك . لو لم يرفع الشيخ يده لقضى على ، فقد تصورت أن السماء تقع على الارض وأنا بينهما ، ثم جلس فى أدب بين يدى الشيخ وقال له . لم لا تأمرون ملوككم بالعدل بين الرعية ؟ فقال له . أمرناهم فلم يأتمروا ، فسلطناك عليهم ، ففرح تيمور لنك بهذا ، وقال . ملكت الدنيا ورب الكعبة .

التـاريخ

التاريخ ثروة طائلة هائلة من كذب الانســان ، فاقرأه كما تقـرأ اليـاذة « هومـيروس » وأنياذة « فرجيل » وشهنامة «الفردوسي» ولا تلتمس الحق فى أحداث الارض واعمال الناس الا فى الكتاب الذى يخرجه الله يوم القيامة لكل امرىء ، فيقرا فيه ما قدمت يداه، ثـم يحاسبه أحكـم الحاكمين عــلى مقتضاه .

شهيد الفأرة

قال محمد بن عبد الملك لبعـض أصحابه . ما أخرك عنا ؟ قال . موت أخى . قال . بأى علة ؟

قال : عضت اصبعه فأرة ، فضربته الحمرة . فقال محمد . ما يرد يوم القيامة شهيد أخس سببا . ولا أنزل قاتلا ، ولا أضيع ميتة ، ولا أظرف قتلة من أخيك ....

مـن الشهيـد ؟

لما فتح تيمور لنك حلب ، دعا علماءها وقضاتها ، وطلب من امامه عبد الجبار المعتزلى أن يناقشهم فقال لهم .

سلطاننا يقول . انه بالامس قتل منا ، وقتل منكم ، فمن الشهيد ؟ قتيلنا أم قتيلكم ، فوجـم الجميع . أيقولون قتيلكم فيكذبون على الله ، أم يقولون قتيلنا ، فيغضبون تيمور ، فوقف منهم الشيخ ابن الشحنة ، وكان ملهما فقال :

هذا السؤال سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاب عنه فبهت الحاضرون ، فقال تيمور .

كيف سئل وكيف أجاب ؟

قال . جاء أعرابى الى رسول الله ، وقـال يا رسول . ان الرجل يقاتل حمية ، ويقاتـل شجاعة ، ويقاتل ليرى مكانه ، فاينا فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله . من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الشهيد .

خرافـــة

خرافة فيما زعموا : رجل من أعراب جهينة . اختطفته الجن فلبث فيهم زمنا ، ثم رجع الـى قومه ، وأخذ يحدثهم أعجب الاحاديث مما رأى ، ويصنع الاساطير ، ويبتدع النوادر ، ويختلـق العجائب ، فكذبوه ، ثم صار الناس يسمون كل حديث مستملح من الكذب خرافة .

ومن طبيعة اكثر الناس تزيين الكلام والزيادة فيه ، فلا تجد انسانا ينقل حادثا او يروى حديثا الا دخل فيه برأيه وذوقه ومنفعته وهواه ، فيغير ، ويزور ، ويموه وينمق وقديما قالوا ما آفة الاخبار الا رواتهـا .

التصوف الذي نريده

للشيخ محمد الغزالى ــ مراقب الدعوة
بوزارة الاوقاف القاهرة

مع قيام الاسلام على العقل ، وترحابه بالفكر الجيد والبحث الاصيل ، وحضه على الارتباط المادى والمعنوى بالكون عملا وتأملا ، مع ذلك كله فهو دين يعقد أوثق العلاقات بالقلب اليقظان والمشاعر الجياشة ، ويجعل الايمان عاطفة دافقة بالحب والبر الى جانب أنه نظر يتسم بالسداد والصواب ..

والاسلام المكتمل ليس (نظرية) علمية ، أو اقتصادية ، وليس فكرة مجردة عن الله مهما كانت هذه الفكرة صحيحة من حيث التصور والاستدلال .

انه قلب انفتحت أقفاله ، وانفسحت أرجاؤه ، وأشرق معنى الحب فى جوانبه ، فهو متعلق بربه ، متتبع لآثاره فى كونه ، عاشق للخير ، مبغض للشر ، يمتد مع كل شىء حسن ، وينكمش مع كل شىء قبيح .

وقد خاطب الله المؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال : (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون . فضلا من الله ونعمة) (١) . ومن المتعذر الفصل بين الاستنارة الفكرية والهداية النفسية . نعم يوجد ناس لهم عقول ذكية وسير هابطة ، ولا نشك فى ان هؤلاء مرضى ، والادواء التى أصيبوا بها متفاوتة الشناعة والسوء ، والمفروض أن من يعرف خصائص النار يتحاشى ملامستها ، غير أننا نلحظ أن بعض الناس قد يعرف شيئا ما معرفة حسنة ، ثم يجىء تصرفه وكأنه جاهل كل الجهل . وهذا التناقض ضرب من الجنون الذى يرى فى كل مكان ، ولا يودع أصحابه مستشفيات المجانين !!

ان الأمراض التى تعترى الشخصية الانسانية كثيرة جدا ، وهذا الجنون الجزئي هو ما أشار اليه القرآن الكريم فى تقريعه للاشرار من العلماء : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (٢) .

نعم فالمفروض أن صحة التفكير تستتبع صحة التصرف !

لكن هذه البديهية عندما تنتقل الى عالم التطبيق يعترضها من العوائق ، ما يعترض التيار الكهربائي عندما ينقطع السلك الحامل له ، أو عندما توجد مواد عازلة تمنعه من الانطلاق الى مداه .

---

(١) الحجرات /٧ ، ٨

(٢) البقرة /٤٤ .

والدين الحق شفاء من هذه العلل جمعاء، فهو عقل مستقيم وضمير حى .

أما الثروة الطائلة من النظريات والفقر المدقع فى المشاعر النبيلة والاتجاهات الكريمة فليس تدينا مقبولا ..

والسؤال الذى نريد الاجابة عليه . كيف نحقق هذا التدين ؟

وكيف نربى فى القلوب الاحساس بجلال الله والخشوع لعظمته ؟

كيف نجعل اليقين ينزل من السطح ليشتبك بالأعماق ؟

كيف نحول معرفة الله الى مذاق حلو يطبع النفوس على الرقة ، ويصفى السرائر من كدرها ؟

كيف نجعل المرء مشتاقا الى ربه ، فهو ببواعث من أشواقه يطيعه ويسارع الى مرضاته ؟ .

وكيف نجعله هيابا لذاته فهو بدوافع القلق ينفر من معصيته ، ويفزع من مساخطه ..

كيف يشهد المرء ربه فى مجالى السموات والأرض ، ويشهد أسماءه الحسنى فيما يقع من حركة وسكون على امتداد الزمان والمكان ؟

انه لا يتم ايمان ، ولا يثمر دين الا اذا أحسنا الاجابة على هذا السؤال ؟ ..

ونحن نعرف أن العلوم الشرعية تعاونت على شرح رسالةالاسلام وتوقيف الناس على حدوده وحقائقه ، فأى العلوم أكثرت بهذه الاسئلة وطال نفسه فى الحديث عنها ؟

انتى لست متصوفا ، وما أحب أن أنتسب الى فرقة من فرق المسلمين .. بيد أن الانصاف يدفعنى الى القول بأن هذا الجانب المهم من الثقافة الاسلامية اللازمة لم يلق العناية المستحقة لدى جمهرة الفقهاء والمتكلمين ، وأن المتصوفة — برغم شطحاتهم وغلطاتهم — هم الذين أفاضوا فى هذا الحديث ..

أن فقهاءنا الذين كتبوا المجلدات فى غسل الاطراف ما كان يعيبهم أن يتناولوا هذا الجانب وأن يضبطوه بأدلتهم الفقهية . وان المتكلمين الذين عقدوا الفصول الخطيرة فى الشئون الالهية المغيبة ما كان يعيبهم أن يحببوا الناس فى الله ويرفعوهم الى حضرته بأسلوب علمى محكم .

لقد كان ذلك والله أجدى على الاسلام وأهله ، من بحوثهم العقيمة فى الذات والصفات ! !

ان العناوين لا تهمنى ، وانما يهمنى الموضوع ، يهمنى أن أرسم الطريق لبناء النفوس على التقوى ، وايناسها فى هذه الدنيا بذكر الله ، والهامها كيف تستعد للقياه ، ببصيرة مجلوة ، ورغبة عميقة ، وثغر باسم .

ولنسأل أنفسنا أولا ، ما هى مصادر ثقافتنا الخاصة ؟

تعتمد الثقافة الذاتية ، أو الثقافة التقليدية للمسلمين على كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، على هذين الاصلين تقوم علوم الدين ، واليهما كذلكتستند علوم الحياة وفنونها .

وفى عصرنا الاول استطاعت شعب الثقافة المختلفة أن تقيم حضارة متوازنة الجوانب متكاملة الغايات .

وعندما ننظر الى عالمنا المعاصر نجد أن شجرة العلوم والفنون تتفرع فى أرجائه المختلفة ، وتظلل أنحاءه البعيدة فى اتساق يستحق التنويه .

هناك العلوم الآلية والرياضة ، وهناك الفلسفات والآداب ، هناك علوم التربية والاخلاق ، وهناك أبحاث القانون وشرائعه الخاصة والعامة ، ولكل ميدان أسلوبه فى صوغ حقائقه وتقرير أدلته .

ومع الانصاف وبعد النظر لا يزعم رجل فى هذه الميادين أنه أحق بغيره من الحياة ، وأنه يغنى كل الغناء عندما يزول سواه .



نعم ، للقوانين مثلا مكانها الوطيد فى المجتمع ، ولكن هل معنى ذلك أن الدنيا تستغنى عن الوعظ والتربية ؟

وفى ميدان القانون قد يشتجر عالمان على صياغة عبارة ، وقد يختلفان فى بقاء أو حذف حرف من حروف الجر .. وذلك بديهى فى ميدان تضبط فيه الحقوق ، وتحرس الدماء ، ويفصل فى الخصومات .

فهل معنى ذلك أن المجالات القائمة على المعنويات المحضة وملاحظة النفس الانسانية تفقد قيمتها ؟

كلا .. ! ان عالمنا الحاضر تجاور فيه الباحثون عن أسرار الفضاء الى الباحثين عن المعادن فى أغوار الارض ، وتجاور فيه قول الشعر الى تفتيت الذرة .. والحياة تسع الجهاد الأدبى والعلمى لتلك الفئات كلها ! (ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ..) (١) .

والدراسات العلمية عندنا يجب أن تنسق ذات بينها حتى تستأنف كفاحها النبيل لخدمة الاسلام وابلاغ رسالته ، ولا معنى لخصوصة بين فرع وفرع وميدان وميدان .

غير أننا لحظنا آسفين أن الفقهاء والمفتين قديما اشتبكوا فى منازعات حادة مع المتصوفة والعباد ، وأن كلا الفريقين تجهم للآخر ، ولم يستفد مما عنده .

وكانت نهاية القطيعة بين الفريقين أن وجدنا فقها لا روح فيه ، وفقهاء لهم سمت الدين وليس لهم قلبه الحانى الطيب .

وأن وجدنا تصوفا لا دراية له ، ومتعبدين تحفل سيرتهم بالخرافات والبدع .. وفى العصر الأخير كادت علوم الدين تنقطع علائقها بالكتاب والسنة الا بقايا من النظر الكليل والتطبيق القليل والامر يتطلب عودا سريعا الى هذه الأصول واستمدادا مباشرا منها ..

قد تقول : ان هذا التصوير غير دقيق ، وانك واهم حين تتهم علماء الكلام والفقه بأنهم قصروا فى ميدان التربية وغرس التقوى والانس بالله فى نفوس الناس وأن هذا الفراغ المتروك هو الذى ملأه المتصوفة ..

وارى أن الموضوع يحتاج الى مزيد ايضاح .

ان علماءنا الأوائل كانوا يجمعون بين سعة العلم وصدق الصلة بالله ، والأجيال التى استمعت اليهم كانت تفيد منهم الأمرين معا . نضارة القلب المتجه الى الله ، واشراق الفقه الذى يضىء الطريق اليه ..

فهم علماء ومربون فى وقت واحد ..

وانى لأرمق باجلال وحب رجلا مثل البخارى بدأ كتابه الصحيح بحديث (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) .

وختمه بحديث (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمان ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) .

كان وجه الله هدفه أول سطر خطه ، وكان وجه الله أمله ، وحمده وتنزيهه شغله آخر سطر خطه ، وبين البداية والنهاية أودع الرجل علمه الغزير وحفظه الكثير ..

والبخارى معروف بأنه من علماء السنة ، بيد انى أظلم الرجل وأشباهه من الأئمة حين أجعلهم علماء متخصصين فى فرع واحد من علوم الشريعة على النحو الذى اصطلح عليه الأخلاف .

---

(١) البقرة /١٤٨ .

فالبخاري – فى نظرى – عالم بالاسلام كله : من تفسير وحديث وفقه وعقيدة وسيرة .. ألخ .

والميزة التى غلبت عليه وشهر بها لا تدل الا على تفوق فقط فى هذه الوجهة من الدراسة او على عناية بها فرضتها الظروف المحيطة .

ومثل ذلك يقال فى الخلفاء الأربعة ، والأئمة الاربعة ، ونظائرهم .

فعمر حاكم وواعظ ومرب وفقيه وليس رجلا سياسيا فحسب ..

وأبو حنيفة فقيه وسياسي وداعية الى الله ، وليس رجل دراسة فقهية فقط .. والاستقاء المباشر لهؤلاء من الكتاب والسنة جعلهم يتركون فيمن حولهم جملة المعارف والانطباعات التى يتكون منها المجتمع الاسلامى الناضج الوعى ، الراشد السلوك ..

ان اتصال أرواحهم بالوحى الالهى ، واستضاءة ضمائرهم بصاحب الرسالة جعلهم على اختلاف وظائفهم العلمية والعملية رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ، جنّاً فى القدرة على الحياة ، ملائكة فى قيادها باسم الله .

وهذا الضرب من الناس أسمى من أن يصاغ أو يقاس بالمصطلحات العلمية الحديثة .

وجهد علوم الدين بعد أن تفرعت أنهارا شتى من الينابيع الاولى كجهد علوم الطب التى تستهدف – مع كثرتها – صيانة البدن الانسانى .. ان هذه العلوم المشتقة من الكتاب والسنة تلتقى جميعا عند تكوين الايمان ومطالبه .

ولا بد أن يكون من بين هذه العلوم ، علم يقوم على رفع الانسان الى مقام الاحسان ، علم يعالج العلل العقلية والنفسية التى تحجب المرء عن ربه ، وتلصقه بالتراب ، أو التى تهتم بأشكال العبادات ولا ترتبط بمعناها وحكمتها ..

ما يكون اسم هذا العلم ؟ لا يهمنى ذلك ، لنسمه التصوف ، أو لنتخير له ما نستحب من عناوين .. فالامر سواء.

ان شر ما يصيب المتدينين هو تحول الطاعات الى عادات تؤدى فى غيبة العقل وغفلة الشعور .

والمراسم الدينية – والحالة هذه – معطوبة الثمار ، وربما بقيت وبقى الى جوارها طبع لم يهذب ، وخلق لم يقوم .

ما الذى يوقظ القلب الغافى ، ويعيد اليه حرارة الحياة ونشاطها ؟

ان تعهد الناشئة والكبار بما يوجه عواطفهم وآمالهم الى الله جل جلاله ، شىء خطير ، ولا بد من اقامته على أسس فنية محترمة .

وفى عصرنا هذا لا بد من الاستعانة بمقررات علم النفس ، والاستعانة بما فى الآداب الانسانية الصادقة من تجارب وصور ولا أحسب أحدا يمارى فى حاجة الناس الى هذا اللون من المعرفة والتربية .

والنزاع الذى نشب قديما بين خصوم التصوف وأصدقائه لا يتصل بما نحن فيه ، انه كان نزاعا على قيمة بعض التصرفات والأقوال التى يجب ان تخضع للمقررات الاسلامية .

وانى أعترف بأنى حسنت صلتى بالله كثيرا على أثر كلمات قرأتها للغزالى وابن الجوزى ، وابن تيمية وابن القيم ، وابن عطاء الله السكندرى مع ما بين أولئك جميعا من تفاوت المشرب واختلاف النظرة ..

وقد نستطيع التعرض لما تفاوتت فيه أحكامهم ، لكن ما أؤكده هنا هو أن المعنى الذى شرحناه آنفا قدر مشترك لدى الجميع ، وأننا فى هذه الايام بحاجة الى تجديده وتجليته ..

انه معنى يشع من الكتاب والسنة أولا وآخرا ويجعل عالم الايمان براقا بالحب ، مزدانا بمعية الله فى الغدو والآصال .

((للحديث بقية))



من هنا .... وهناك

يكتبها : عبد المنعم النمر

معركة كرامة

كرامتنا كلنا نحن أمة العرب معلقة بشيء واحد الآن هو : النصر وغسل العار . كل شيء يهون فى سبيله .. كل شيء يجب أن يكرس من أجله .. ليس فى حياتنا كلها مهما غلا ما يساوى أغلى هدف وأسمى غرض : النصر وغسل العار .

قلوبنا كلها متجهة الى هذا الهدف تحرسه وتفديه ، عيوننا كلنا مشدودة اليه .. أنفاسنا . خطواتنا . أعمالنا . راحتنا . جدنا . لهونا . صحونا . نومنا . كلها في سبيل المعركة المقدسة ..

اذا رجعت الى بيتك فاذكر الذين لم يعد لهم بيت ..

اذا رأيت أولادك فاذكر الذين فقدوا أولادهم .

اذا رأيت زوجتك وبناتك فاذكر ما فعل الصهيونيون بزوجات الآخرين وبناتهم ..

اذا كنت تلعق المرارة هنا ، فهناك يتيهون بالنصر عليك ، ويملئون الدنيا شماتة بك ..

اذا رأيت خلافا فسارع بالقضاء عليه ، وحارب بواعثه ونوازعه ، وادع اللـه للمختلفين بالهداية .

اذا رأيت مجلة تقدم لك سموم الانحلال والميوعة فحاربها ، واعمل بكل ما تستطيع على كسادها ، لأنها حرب عليك وعلى هدفك ، ولأنك تدفع فى شرائها ثمن السم الذى تقتل به نفسك وأمتك .

اذا رأيت كتابا أو صحيفة تغريك بالفساد ، وتشكك فى دينك وقيمك فقاطعها ، وقاطع هذا الكاتب ((العميل)) الذى يحاربك مع عدوك ، وينتزع منك روحك الأصيلة التي تخوض بها معركة النصر على أعدائك ..

اذا رأيت مترفا ماجنا فقل له . اننا على خط النار ، نأخذ بالثأر ، فأين أنت ؟ .

اذا رأيت « فيلما » ماجنا فحاربه . لا تشاهده ، وادع الناس الى مقاطعته .

اذا رأيت مسئولا صغيرا أو كبيرا مهملا فى أداء واجبه فقل له . انك تؤخر يوم النصر وتجنى على أمتك .

قل لنفسك ولكل من حولك ومن تعاملهم جميعا اننا فى معركة الشرف فاعملوا جادين من أجلها ان كان لكم شرف تحرصون على حمايته .

ضالة المؤمن

تلك هي الحكمة يلتقطها المؤمن أنى وجدها ، وقد عثرت على حكمة فى مجلة الحوادث اللبنانية أحب أن أقدمها لكل محارب من أمة العرب ، وكلهم محاربون .

وصاحب هذه الحكمة ـ مع الأسف ـ صهيوني طيار سقط بطائرته على أرض لبنان . تجمع عليه الأهالى وأمسكوا به ، وتقدم له مدرس فلسطيني يقول له : أنا فدائي .. فنظر اليه الطيار وحدق فيه طويلا ثم قال له : أنت فلسطيني ؟ ! فلسطيني وتلبس رباط الرقبة « الكرافتة » ؟ !!! .

ماذا يعني ؟ أنه يتحدث بروح المحارب الذى يكرس كل شيء فى سبيل الحرب والنصر . هل تفيدنا هذه الحكمة ؟ .

ماذا يقولون ؟

تحدث عائد من لندن ابان هذه الازمة فقال : انهم هناك يتحدثون عن أثر المقاطعة عليهم وعلينا أيضا .. وكان مما قالوه عنا نحن العرب اننا نستورد من الغرب أدوات زينة للنساء بمبلغ ١٣٥ مائة وخمسة وثلاثين مليونا من الجنيهات ! ! .

ترى هل هذا الرقم أو حتى نصفه صحيح ؟ ثم ألا يمكن الاستغناء عن أدوات الزينة هذه وتوفير المبالغ التي تخرج من جيوبنا الى الغرب ليحولها الى قنابل النابالم التي يحرقنا بها ؟ !! .

ان المرأة غالبا ماتظل فى بيتها دون زينة ، وزوجها يعرفها على حقيقتها دون زينة ، وهو مقتنع وراض بها . فلمن الزينة يا رجل اذن ؟ ! . لغيرك فى الشارع قطعا وأنت راض ، وتدفع من جيبك الثمن !! والمرأة أليس لها دور وعليها واجب ؟ ما رأيها فى هذا ؟ ألا تستغني عن هذه الزينة وترضى بما رضى به زوجها منها ، وتوفر له وللأمة كل هذه المبالغ ؟ .



وشيء آخر سمعته من اذاعة بغداد من قادم من الولايات المتحدة حديثا يروى ما كان يجرى فى الاذاعة والتليفزيون والصحف بنفوذ الصهيونيين هناك ضد العرب ، لنعرف كيف يفعل الصهيونيون ، وكيف أثروا على أهل البلاد حتى صاروا أكثر منهم عداء لنا ..

قال المتحدث : انهم فى التليفزيون هناك يحرصون على أن يضعوا أمام المسئول كلمتى العرب والمسلمين ، وقد سألوا أيزنهاور الرئيس السابق عن الحرب ورأيه فيها فكان مما قاله .. لو انتصر المسلمون العرب فانهم سيجتمعون حول عبد الناصر وسيحولون البحر الأبيض الى بحيرة عربية يمكن أن يغلقوها فى وجهنا وحينئذ يصبحون أكثر خطورة علينا من روسيا !! .

ونذكر بهذه المناسبة كيف كانت صحف واذاعة فرنسا أثناء حرب التحرير الجزائرية تؤثر على أن تذكر الجزائريين باسم المسلمين لا باسم الجزائريين . وغرضها واضح وهو استثارة الحقد الكامن فى النفوس على الاسلام والمسلمين لتشديد قبضة فرنسا على الجزائر ..

تلك نظرتهم هناك وهذه هي خطتهم .. فماذا نفعل نحن هنا ؟ .

اننا فعلا مسلمون ويشرفنا ويشد من عضدنا أن نقابلهم بهذه الروح الاسلامية التي تأبى الذل والخنوع ، وبسلاح الايمان بديننا وعروبتنا سنهوى عليهم بالضربة القاضية .

المؤمنون والشدائد

فى هذه الايام تمتحن الامة الاسلامية امتحانا شديدا فى ايمانها بربها ، وتمتحن فى قوة شخصيتها وصلابتها وتماسكها .. ولقد سمعت كما سمع غيرى كثيرا من الناس يقولون كيف يصيبنا ما أصابنا ونحن مسلمون ؟ . وكيف ينتصر أعداء الله علينا ؟ .

ومع أن هؤلاء القائلين فى حاجة الى أن يراجعوا أنفسهم ، وحظهم من الاسلام

واتباع تعاليمه ، قبل أن يقولوا هذا .. الا أننى أقول لهم : وكيف انتصر المشركون فى غزوة أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته ؟ ونالوا منه وجرحوه ، وقتلوا من اجلاء صحابته سبعين ومثلوا بعمه حمزة شر تمثيل ؟ .

هل يمكن أن يتسرب أى شك فى ايمان الرسول وصحابته ، هل يمكن أن يقال ان الله حابى المشركين على حساب الرسول والمؤمنين ، هل يمكن أن يقال ان الله يحب المشركين ولا يحب رسوله والمؤمنين ؟

ان الذى يمكن أن يقال فيسمع هو أن الحرب تحتاج الى الايمان مع اعداد الخطط والالتزام التام بكل ما تقتضيه الحرب .. وقد كانت الهزيمة بسبب أن بعض المؤمنين خالفوا النظام الذى وضعه الرسول لهم ، فانتهز العدو الفرصة . فعلينا اذن أن نسأل أنفسنا قبل أن نقول كيف ينتصر أعداء الله علينا ؟

نسأل : هل أعددنا لهذه الحرب عدتها ؟ هل كنا جميعا على مستواها ؟ . هل جابهنا عدونا صفا واحدا ؟ هل اتبعنا توجيه الله حين قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

ان الخسارة فى معركة حربية ليست خسارة بالمعنى الصحيح .. ومن يضحك أخيرا يضحك كثيرا . والمهم أننا لا ننهزم فى داخل نفوسنا .. المهم أن تلهب هذه الخسارة فينا العزائم .. وتقوى فينا التصميم .. وتعطينا دروسا نستفيد منها لمستقبلنا .

المهم أن يعتقد كل منا أنه فى معركة .. لا بد فيها من النصر .. ولا بد أن يجهز للنصر عدته .. لا فرقة لا ميوعة لا ترف لا بذخ .. لا لهو ..

بمقدار المرارة التي تجرعناها جميعا نصمم على النصر ونضع فى رقاب قادتنا وزعمائنا أن يضعوا تخطيطا جديا محكما يلتزمون به معنا .

لم نعد نحن الذين شربنا المرارة نطيق أن نسمع خلافا بين القادة ، لا نحب مهاترات صحفية ولا اذاعية .. لا نريد أن نسمع أن أحدا متخلفا عن الصف الواحد ..

اننا فى حالة حرب ضارية تجمع فيها علينا الأعداء الأقوياء ولن تخيفنا قوتهم . ما دامت فينا ارادة ، وعندنا عزم وتصميم . وما دمنا مؤمنين بحقنا كأمة لها تاريخها ولها رسالتها .

لا نريد أحدا يدافع عنا بل نريد نحن أن نأخذ بثأرنا ونسترد كرامتنا . الذى نريده فقط أن نفرض احترامنا على العالم بوحدتنا وعزمنا وجدنا واتجاهنا الى الهدف ووضع كل شيء فى سبيل تحقيقه والله مع العاملين .

المنافقون

شدد القرآن الكريم النكير على فئة ممن حول الرسول صلى الله عليه وسلم سماهم ((المنافقين)) . هذه الفئة كانت تعيش بين أصحاب الرسول بما أعلنته من اسلام وبما كانت تقوم به من العبادات المفروضة كالصلاة والصيام بل والمشاركة أحيانا فى الحروب فى صف المسلمين .. أعنى أنها كانت تأخذ صفة المسلمين صفة أصحاب الرسول .. لكنهم لم تنطو قلوبهم على اخلاص للاسلام ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانت بمثابة الجراثيم الخفية فى صفوف المسلمين .. تتخفى وراء الاسلام وما تقوم به من مظاهر أسلامية ، ومن اظهار الغيرة على الدين وعلى الرسول .. ولكنهم كانوا ينكشفون بما كان يصدر عنهم أحيانا من أقوال وأعمال حتى كان يهم بعض المخلصين بقتلهم فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمنعهم ويقول لهم : حتى لا يقال ان محمدا يقتل أصحابه . الى هذا الحد كانوا يأخذون وضعهم الظاهرى فى صفوف المسلمين وعند غير المسلمين .. أصحاب محمد ! ! ! .

هؤلاء برغم ما كانوا يعلنونه من اسلام وما يؤدونه من فرائض وما يظهرونه من طاعة يقول الله عنهم ((بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما)) ((ان المنافقين فى الدرك

الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا)) ، لم تنفعهم عباداتهم لأنها كانت مصطنعة ولم ينفعهم نطقهم بالشهادة لانه كان من ورائها قلب أسود يفيض بغضا ونقمة ..

كان هؤلاء خطرا أى خطر فى صفوف المسلمين . وكان الوحى ينزل على الرسول فى شأنهم لكنه لا يعين واحدا منهم باسمه ، وانما يذكر أوصافهم ليعلمهم ويحذرهم ، وليكون هذا الوصف الخالد فى القرآن أمام كل المسلمين من بعد الرسول يعرفونهم به ، ويتقون خطرهم ان أرادوا سلامة لمجتمعهم ووصولا لأهدافهم .. ولعل من الخير أعظم الخير فى أيامنا أن نستعيد هنا بعض أوصافهم كما ذكرها القرآن الكريم ليحذرها المسلمون المخلصون ، ولتكون اصبعا يشير اليهم فى معركتنا الخطيرة التي نعيشها حتى نأخذ حذرنا منهم . يقول الله تعالى : ((واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون)) (سورة البقرة) .

ويقول : ((وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما)) .

ويقول : ((واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)) .

ويقول : ((الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ...)) .

ويقول فى الذين فضحتهم شدائد الحرب ، وكشفت عن خباياهم وحقيقتهم ، فلم يخرجوا للقتال مع الرسول : ((لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون)) .

ثم يقول : ((ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين)) .

ويقول : ((ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون))

ويقول : ((ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون)) .

ويقول : ((فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ، فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين)) .

ويقول : ((واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)) .

وبعد : فهذه بعض صفات المنافقين . أكبر خطر على كل مجتمع يعيشون فيه . ولعل أبرز هؤلاء فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي بن سلول . وربما كان من الخير أن أقدمه لك فيما بعد ، كنموذج لهؤلاء الأشرار الذين يعيشون فى كل عهد ،وفى كل مجتمع ، كالجراثيم الفتاكة ، التي تنتهز فرص الأزمات التي يمر بها المسلمون ، فتبدأ فى أداء دورها ، وينكشف للناس حقيقتها وخطرها ...

ألأنيّ الإنسان؟

الأستاذ : محمد التهامى
المستشار بالجامعة العربية

ألأنِّـــــيَ الانسان ثـــارت عـــزة الانســـــان فـــــىْ
ألأنِّــــــيَ الانســــــان قــد أدركـــت أنـــى اليـــوم حى
ألأنِّـــيَ الانســـان قــد مُــدت إلى حقــى يــــــــدى
يتحــرك الوحـــش الــكبـــير بـــكل قوتـــه الــــىْ
ويـــروح يرعــــد بالســــلاح وبالنبــــــاح وبالــدَّوِى
ويظـــن أن جيـــوشه ستمد باطله بشــــــــىْ
لا أيهــــا الوحش الــكبـــير ، أنــا الــكبـير ، أنــا القــوى

***

لا تحسبن صراخــك المحمــوم يعــــــدو مسمَعَــــــىْ
أو تحســــبن مهــــازل الأذنــــاب قــد جــازت عــلىْ
أو تحســــبن ضخامــة الأصنــــام تخــــــدع مقلتَــــىْ
أو تحســبن النــــاب والأظفـــار تثــــنى قبضتَـــىْ
انـــى لويـــت ذراعـــك الجبـــار ـ يــا جبــار ـ لـــىْ
ومــلأت من دمـــك الأثـــيم وقــد تدفـــق راحـــتَىْ
سأعبـــه عبـــا ولن ألقَـــى مـــدى الأيـــام رى
حــــتى أراك وقـــد مضيـــت ولا رجعـــت من المُضـــى

انى تنسمـــت الحيـــاة وذقـــت معنـــاهـــا الشهـــــى
وتمـــردت في كل أعضـــائى دمـــاء اليعـــــــربى
فـــأنـــا الأبـــى وقـــد تلقيـــت الحيـــاة عن الأبـــى
أرضى بها ظـــل السماء ومهبـــط النـــور السنـــــى
كم أنبتـــت من مهتديـــن وكم حبـــا فيهـــا نبـــــــى

***

ان كان قد أخـــنى عـــلى وساقـــك الزمـــن الـــــــردى
وسرقـــت من فمـــى الحيـــاة ولقمـــة العيش الهـــنى
وتركتـــنى نهـــب الضياع أغـــط في نـــوم شقـــــى
فلقـــد صحـــوت من السبـــات وهـــزنـــى الفجـــر النـــدى

***

الله أنقـــذنى ومد لـــى النـــداء العبقـــــرى
وأتـــاح لى القـــدرُ العظـــيم منـــابـــع الطـــاقـــات في
فاذا العصـــى أمـــام عزمـــى لم يعـــد أبـــدا عصـــى
وعرفـــت أنـــى سيـــد وجميـــع ما أبغـــى لـــدى
حـــتى الطريق الصعـــب أضحـــى في مســـيرتنـــا ســـوى

***

فتفـــزع الوحش الـــكبير وصـــب نقمتـــه عـــلى
وأدار من حـــولى المعـــارك في الصبـــاح وفي العشـــى
من كل معركة شـــوت من حرهـــا الأكبـــاد شـــى
الحـــق فيهـــا لا يهـــون ولا يجـــورُ عليـــه شـــى
والصـــامـــدون يقـــدمـــون حيـــاة بـــذال سخـــى
وحقـــوقهم فـــوق الضيـــاع يصـــونها الدم الزكـــى

شخصيّات
إسلاميّة

الإمام مسلم وصحيحه

للاستاذ محمد أمين توفيق

قال له اسحاق بن منصور . لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين .
وامتدح أبو على الحسين بن على النيسابورى صحيحه فقال .
ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج فى علم الحديث .
وذكر مسلم عند اسحاق بن راهويه فقال بالعجمية ما معناه :
أى رجل كان هذا ؟ ..

يشاء الله سبحانه وتعالى أن يولد ويموت فى عام واحد عالمان جليلان تربط بينهما قربى العلم ، وتصل ما بينهما مدرسة الفكر الاسلامى ، أما الذى مات فهو الامام الشافعي مؤلف كتاب الأم وصاحب المدرسة المعروفة فى التشريع .. وأما الذى ولد فهو الامام مسلم صاحب هذه السيرة العطرة ، وقد كانت الوفاة وكان الميلاد فى عام ٢٠٤ هـ .

ولد مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري بنيسابور ، وكان أبوه الحجاج صاحب تجارة بموضع يقال له (خان بخمس) ، فلما اشتد عود ابنه أشركه معه فى التجارة ، فكان مسلم يوزع وقته ما بينها وبين الدرس والتحصيل وقد نبغ نبوغا ظاهرا فى دراسته وتلمذته على مشايخ عصره .. يشهد بذلك له شيخه محمد بن عبد الوهاب الفراء فيقول ..

« كان مسلم من علماء الناس ، وأوعية العلم .. ما علمته الا خيرا » .

وحينما يبلغ مسلم من العلم مبلغا يمكنه من وضوح الرؤية واختيار ما يناسبه من العلوم يشتغل به .. ويوجه اليه طاقاته .. يتخصص فى علم الحديث ، وهو يعلم أنه انما سلك طريقا وعرا ، واختار علما تتجمع فيه علوم شتى كتاريخ الفتوح ، والسيرة والفقه والطبقات والتفسير .

وبسرعة بديهته وملكة حفظه يفرغ من دراسته النيسابورية ، ويشعر أنه بحاجة الى المزيد ، فيشد الرحال حاجا الى الحجاز ، وهو فى نحو السابعة عشرة من عمره .. يقول ابن العماد فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » انه حج عام ٢٢٠ هـ فلقى القعنبى وطبقته .

ثم انه يطلب المزيد فيرحل الى مصر والشام والعراق .. وهو فى كل هذه الأسفار يتعلم ويعلم .. هذا خبر عنه نجده فى الجزء الثاني عشر من « معجم المؤلفين » : (... وسمع يحيى بن يحيى النيسابورى ، وأحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه وعبد الله بن مسلمة وغيرهم وقدم بغداد غير مرة .. فروى عنه أهلها .. وروى عنه الترمذى ..) .

ويحدثنا التاريخ عن صداقته لتوأم الدراسة والمنهج .. الامام البخارى .. وهذه واحدة من القصص التي تبين مدى تقدير مسلم لعلم البخارى ومكانته، يرويها أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ فيقول « لما استوطن البخارى نيسابور أكثر مسلم من الاختلاف اليه ، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخارى ما وقع فى مسألة اللفظ ، منع الناس من الاختلاف اليه حتى هجر ... وخرج من نيسابور فى تلك المحنة ، وقطعه أكثر الناس غير مسلم فانه لم يتخلف عن زيارته ..

فأنهى الى محمد بن يحيى أن مسلم ابن الحجاج على مذهبه قديما وحديثا ، وأنه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ، ولم يرجع عنه ، فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال فى آخر مجلسه . الا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا ، فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رءوس الناس ، وخرج عن مجلسه ، وجمع كل ما كتب عنه ، وبعث به على ظهر حمال الى باب محمد ابن يحيى ، فاستحكمت بذلك الوحشة وتخلف عنه وعن زيارته) ..

يقول الخطيب البغدادى مؤكدا هذه القصة (كان مسلم يناضل عن البخارى حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلى بسببه) .

شروط مسلم

ويشعر مسلم فى يوم من الأيام بأن زاده من الأحاديث التي جمعها يحتاج الى كتاب يضمه ، فشرع فى تأليف « الجامع الصحيح» واشترط للأحاديث التي يصححها شروطا أهمها :

أولا ــ أن يكون الاسناد متصلا .

ثانيا ــ أن يكون راوى الحديث من الدرجة الأولى أو الثانية، وراوى الدرجة الأولى ــ كما يقول الأستاذ أحمد أمين فى كتابه ضحى الاسلام ــ هو من كان يزامل المروى عنه فى سفر أو يلازمه فى

البقية : على ص ٧٠

الإسلام والمسلمون في أمريكا

صور من

للدكتور محمد عبد الرءوف
مدير المركز الاسلامي فى نيويورك

حركة المسلمين السود

وأهم تلك الحركات وأخطرها تلك التى تسمى حاليا بحركة « المسلمين السود » ويعتبرها البعض امتدادا لحركة « النبيل درو على » ، وأصل تلك الحركة أن بائعا متجولا من أصل غير مؤكد يسمى « مستر والاس فارد محمد » ظهر بمدينة « ديترويت » بولاية « متشجن » عام ١٩٣٠ وكان يذهب الى بيوت الزنوج ليعرض عليهم بضاعته من المنسوجات ، وكان يحدثهم فى نفس الوقت عن أولاد عمومتهم فى أفريقيا ، ويقول لهم انهم يلبسون مثل هذه المنسوجات ، ثم كان يذكر لهم الكثير عن مجد هؤلاء فى بلادهم ، فأثار ذلك حماسهم والتفوا حوله ، وسرعان ما وجد نفسه زعيما مطاعا بينهم (١) . ولكنه اختفى فجأة ولا يعلم أحد حتى الان كيف حدث ذلك .

أليجه محمد

فقام بالزعامة مكانه شاب نشيط منهم كان يسمى « اليجه بول » ، واسم « اليجه » هو الصيغة الانجليزية لاسم « اليسع » ، وأما اسم « بول » فكان لقب العائلة التى كانت تملك أسلافه ، فتخلى عن هذا اللقب وجعل لقبه « محمدا » فأصبح اسمه الكامل « اليجه محمد » او « مستر محمد » على عادة الأوربيين فى الاقتصار على اللقب، وكذلك أصبح سميا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وعند اختفاء « مستر والاس

---

(١) جاء فى كتاب «المسلمون الزنوج فى أمريكا» : أنه بنى مسجدا وحدد أصول العبادة فيه وأسس جامعة اسلامية ابتدائية وثانوية ومدارس لتعليم البنات أصول التدبير كما أنشأ فيهم نوعا من التنظيم العسكرى .. الخ « الوعى »

٢

الجزء الثانى من البحث الوافي والعرض الشامل لحركة الاسلام فى امريكا يسرنا تقديمه للقراء ، مقدرين للكاتب الفاضل عنايته بهذا الموضـوع .

« الوعـي »

النشـــاط الإسـلامى هنـــاك

فارد محمد » أعلن « اليجه محمد » أن « والاس » هو الله تعالى نزل اليه فى صورة رجل ليبلغه الرسالة النهائيـة ليبشر بها بين السود ، وكذلك أعلن أنه رسول الله وأنه سيد المرسلين وخاتمهم . وأما رسالته فتتلخص فى أن الانسان كان أسود وظل كذلك طوال الدهـور حتى قام شرير منذ ستة آلاف سنة يدعى « ياقوب » بتجارب ـ جنسيـة نتج عنها الجنس الأبيض الذى يسميه أيضا « الجنس القوقازى » كما يسميه جنس الشياطين ، فكل أبيض شيطان وقـد اغتصب الجنس الأبيض هـذه السيادة من سيده الجنس الأسود الذى يعتبره أفضل الشعوب :، وأكثرها ذكاء، وأقواها بدنا وأحسنها جمالا ، ولكـن هذا الاغتصاب للسيادة كان محـددا بستة آلاف سنة ـ فيما يقول ـ وأنها قد أوشكت أن تنتهى ، ويحدد نهايتها أحيانا بعام ١٩٧٠ .

ويقول : ان الرجل الأبيض سـوف يحطم نفسه بما اخترع من مدمرات ومخربات كمـا سيقضى عليـه بعوامل أخرى كالطوفان والزلزال والصواعق ، وعندئذ تكون القيامة والبعث ـ وذلك بنهاية سـيادة الرجل الأبيض وبعث الرجل الأسود من غفلته وعودة المجد والسيادة اليه ، والبعث ـ كما يقول ـ لا يعنى حياة بعد موت ، فهو ينكر هذا المعنى ويقول أنه من خلق المسيحية التى هى دين الرجل الأبيض لخداع الرجل الأسود ، وانما البعث ـ كما يرى ـ بعث الرجل الأسود فى هذه الحياة وعلى هذه الأرض ليكون سيدها ووارثها . ويسمى حركته باسم « أمة الاسلام » وأتباعه بالمسلمين ، ويطالب بأن تمنح « أمة الاسلام » قطعة خاصة من الأرض ليقيموا عليها دولتهم .

وقد استطاع السيد « اليجه محمد » بفضل ما يزرعه فى قلوب أتباعه من حقد وكراهيـة عميقة للرجـل الأبيض أن يجذب اليه العديد من الزنوج ، ويبلغ عددهم الآن ـ فيما يقال ـ ما لا يقل عـن ربع المليون ، وقـد نقـل مركزه الأساسى مبكرا الى مدينة « شيكاغو » وافتتح فروعا فى شتى كبار المدن تزيد الآن عن العشرين ، ويسمونها « معابد » لا مساجد ، ويقال انهم لا يعرفون الصلاة ولا يقيمون الشعائر الاسلامية المعروفة، وتقتصر تجمعاتهم فى عطلة الأسبوع فى معابدهم على دراسـة مبادىء زعيمهم وتعاليمه على يد المشرف على المعبد الذى



يطلق عليه ما يطلق على القسيس فى المسيحية .

ولا يسمح للرجل الأبيض بدخول معابدهم ، ويفتش كل داخل أيا كان على يد أعضاء تشكيلهم العسكرى للتأكد من أنه لا يحمل سلاحا أو سكينا، ويحرم « اليجه محمد » على أتباعه حمل السلاح تجنبا للاخطار ، ويتبع فى تنظيمهم قواعد مشددة ، ولا بد من مراعاتها ، ويعمل بنجاح على رفع مستواهم الاقتصادى ، وذلك بانشاء الجمعيات التعاونية وفتح المطاعم والمحلات التجارية التى لا توظف أحدا الا من بينهم ، ويفرض على كل منهم دفع حصة معينة من دخله لجماعته ، ويتشدد فى ضرورة المحافظة على النظافة فى البدن والثوب والمنزل ، حتى يقال : انه يحرم عليهم اطلاق اللحى والشوارب.

ويقال ان أتباعه أنظف الناس بين الملونين وأحسنهم مظهرا ، كما يحرم عليهم — فى شدة — تعاطى المخدرات والمسكرات والزنا ، وقد نجح فى ذلك نجاحا واضحا ، ومن أبرز أتباع هذه الحركة « كاسياس كلاى » بطل الملاكمة العالمى المعروف الذى تسمى عند انضمامه الى الطائفة باسم « محمد على » ومنهم الزعيم « مالكولم اكس » الذى انشق على رئيسه عام ١٩٦٣ وأعلن على يد الدكتور محمود الشورابى الأستاذ بجامعة القاهرة والذى كان يشرف على المؤسسة الاسلامية بنيويورك فى ذلك الوقت أنه تخلى عن أفكار رئيسه وأنه يؤثر مبادىء الاسلام الصحيحة ، ولما سافر لأداء فريضة الحج فى عام ١٩٦٤ أدهشه ما لقى من معاملة كريمة، وما رأى من « ديمقراطية » الاسلام البالغة ، فكتب مذكرات نشرت فى العام الماضى كان لها أثر طيب فى تعريف الناس بمبادىء الاسلام الانسانية وتعاليمه الشريفة وقد قتل فى فبراير عام ١٩٦٥ وأنكرت جماعة « المسلمين السود » أن لهم يدا فى قتله . وتحترم هذه الجماعة رئيسها للغاية ولا يذكرونه الا هكذا « السيد المحترم اليجه محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه الى الأبد » (١) .

جمعيات اسلامية

وعدا هاتين الحركتين اللتين قامت كل منهما باسم الاسلام لتدعو الى مجد الرجل الاسود ، وتستخدم الاسلام فى دعواتها قام عدد غير قليل من هؤلاء الملونين بالدعوة لدين الاسلام من أجل الدين دون خلط ذلك بأغراض سياسية أو عنصرية ، كان من بين هؤلاء رجل يسمى « صوفى عبد الحميد » الذى قضى بعض الوقت بشمال أفريقيا ثم عاد ليبشر بالدين فى منطقة « هارليم » بمدينة نيويورك ، والتى تضم الآن أكبر مجموعة من الملونين ، وقد استطاع أن يسلم على يده منهم بضع مئات قبل أن يقتل فى حادث طائرة عام ١٩٣٧م ، كما أن عددا من أتباع « النبيل درو على » لما تخلوا عن تعاليمه اتجهوا للتعاليم الصحيحة وبشروا بها وأقاموا على انقاضها عددا من المنظمات الاسلامية مثل « جمعية دين الله » و « الجمعية الاسلامية العالمية » و « معهد الدعوة الاسلامية » .

ومن خير الجمعيات التي قامت فى ذلك الحين تلك الهيئة التي اختارت

---

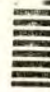
(١) عمل المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى القاهرة على استقدام عدد من شباب هذه الحركة اتباع « اليجة محمد » ليتلقوا تعليمهم فى الازهر والمدارس المصرية ولا شك ان هؤلاء سيعرفون مبادىء الاسلام الصحيحة ولعلهم يستطيعون بعد عودتهم تعديل التعاليم التى لا تتفق مع الاسلام .



مسجد لندن الاسلامي بمدينة لندن (مقاطعة اونتاريو بكندا) .

لنفسها اسم « الأكاديمية الاسلامية العالمية » ، وقد أعلن تأسيسها فى أغسطس عام ١٩٣٩ ، ومن أهم مظاهرها أنه يشترك فيها الملونون وغيرهم وبخاصة من العرب ، فكان ذلك بداية لتعاون العناصر الاسلامية المختلفة وكان لذلك خطره وأهميته فى التطورات الاسلامية فى المستقبل .

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية اتخذت الحركات الاسلامية اتجاهات مشجعة ، وحدثت تطورات بعيدة المدى ، فقد ظهر فى الميدان أئمة أعلام تفرغوا لخدمة دين الله تعالى بين جماعاتهم ، وكان حظ مدينة «ديترويت» منهم نصيب الأسد ، فقد ظفرت بالأستاذ « وهبى اسماعيل » الألباني الأصل ومن خريجى كلية أصول الدين بالأزهر ، فعمل اماما للجالية الألبانية منذ عام ١٩٤٨ ، ومن حسناته أنه ألف بالانجليزية كتابا مبسط الأسلوب عن السيرة النبوية الشريفة ، ومنهم « الشيخ حسين خروب » الذى يصدر مجلة عربية تحت عنوان « الرسالة » ، ومنهم الأستاذ « محمد جواد سرى » الذى يؤم جماعة الشيعة بالمدينة المذكورة ، وقد أصدر كتابا مفيدا تحت عنوان « استعلامات عن الاسلام » ، كما أن له جهادا مشكورا ونشاطا ملحوظا ، ويعمل بنجاح فى التقريب والتعاون بين جماعة السنة والشيعة بالمدينة . وقد عنى الأزهر بتدعيم هذا النشاط الاسلامي فأرسل « الأستاذ أحمد مهنا » حيث قضى فى « ديترويت » حقبة من الزمن شاركهم فيها فى الكفاح الاسلامي حتى عاد الى وطنه عام ١٩٦٥ م .



عناية الحكومات الاسلامية

ومن أخص مظاهر هذه الحقبة بدء الاهتمام من جانب الحكومات الاسلامية بالنشاط الاسلامي عن طريق ممثليها فى واشنطون ، ثم فى مدينة نيويورك ، فكان من نتيجة ذلك انشاء المركز الاسلامي بمدينة واشنطون الذى تبنت مشروعه الحكومات الاسلامية ممثلة فى سفرائها ، وتولت الانفاق على بنائه كما تتولى الآن الانفاق على صيانته ، وقد كان افتتاح المركز عام ١٩٥٧ بعد تمام بنائه الذى بدأ عام ١٩٤٩ ـ حدثا هاما تحدث فيه الرئيس الأمريكي السابق « ايزنهاور » وكان مدير المركز فى ذلك الوقت « الدكتور محمد بيصار » الاستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر وقد تولى منصبه كخلف للدكتور « محمود حب الله المدير الأول للمركز والامين العام الحالي لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ، ولما أنهى الدكتور محمد بيصار مهمته ، عاد الدكتور محمود حب الله الى منصبه مرة أخرى ، ثم خلفه المرحوم « الدكتور عبد الحليم النجار » الذى لم يمهله القدر طويلا ، ثم شغل المنصب مديره الحالي « الدكتور علي عبد القادر عميد كلية الشريعة بجامعةالازهر والمدير الأسبق للمركز الثقافي الاسلامي بلندن. ويعتبر المسجد الملحق بالمركز آية فى الجمال والفن الاسلامي مما يجعله قبلة للمئات من الزوار والمعجبين يوميا .

وقد أدى هذا الاتجاه الكريم من جانب البلاد الاسلامية الى ما يحدث الآن من تطورات بالمركز الاسلامي فى نيويورك وعزم حكومات هذه الدول على بناء مركز اسلامي كبير بالمدينة يقوم على خدمة الاسلام والمسلمين بها وهم يعتبرون أكبر جالية اسلامية بأمريكا .

التعاون بين الهيئات الاسلامية

ومن أهم التطورات التي صاحبت انشاء المركز الاسلامي بواشنطون الاتجاه نحو التحالف بين الهيئات الاسلامية المختلفة والتعاون بين مختلف العناصر ، رأينا ذلك حال انشاء « الاكاديمية الاسلامية العالمية » كما حدث ذلك أيضا فى قيام «المجلس الاسلامي» بمدينة نيويورك الذى يضم عشر جمعيات اسلامية بالمدينة ، ولكن الأهم من ذلك كله قيام ما يسمى الآن « باتحاد الجمعيات والهيئات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا » ، وكانت فكرة هذا الاتحاد كثيرا ما تدور بخاطر زعماء المسلمين ، ولكنها لم تتحقق الا عام ١٩٥٢ حيث اجتمع مئات من ممثلى المسلمين فى شتى البلاد الأمريكية فى مدينة « سيدرابيدز » بدعوة من جاليتها الاسلامية ، واجتمعت كلمتهم على تكوين هذا الاتحاد .

ومنذ ذلك التاريخ يعقد الاتحاد مهرجانا عاما للمسلمين فى صيف كل عام ، ليكون فرصة للقاء والتعاون فيما بينهم ، كما يعمل الاتحاد الآن على انشاء معسكر صيفي للشباب المسلم . ومن أهم ما حققه هذا الاتحاد ـ بتعاون مع المركز الاسلامي والسفارة العربية فى واشنطون ـ أنه استطاع أن يحصل على مبعوثين من الأزهر للعمل كأئمة بين الجاليات الاسلامية ابتداء من عام ١٩٦٠، كان من بينهم « الأستاذ أحمد مهنا » الذى ورد ذكره من قبل ، والأستاذ « محمد نور الدين شريبة » الذى عين مديرا للمؤسسة الاسلامية بمدينة نيويورك (المركز الاسلامي حاليا) ، حتى عاد الى وطنه فى بداية عام ١٩٦٦ م . أما كندا فكان من نصيبها الأستاذ حموده عبد العاطي صاحب كتاب « الاسلام تحت المجهر » بالانجليزية،وقد أدى خدمات جليلة للمسلمين فى كندا حتى تخلى عن العمل ليتفرغ للدراسة بجامعة « برنستون » الشهيرة ، فخلفه

« الأستاذ عبد المنعم خطاب » للأشراف على المركز الاسلامي فى « ادمنتون » بكندا ، ثم لحق به « الاستاذ عبد الفتاح بركة » ليؤم جماعة المسلمين فى مقاطعة « كالجرى » بكندا أيضا .

وقد شهدت السنوات الأخيرة تجمعا آخر اذ تألف اتحاد الطلاب المسلمين بجامعات الولايات المتحدة وكندا وللطلاب المسلمين نشاط كبير ومفيد ، ويبذلون جهودهم فى التأليف فى موضوعات اسلامية شتى ويوزعون ما ينشرون على أوسع نطاق .

وبالرغم من الضعف الذى يسود أكثر هذه الهيئات والجمعيات والمؤسسات بسبب العجز المالى وتقاعس الكثيرين عن التعاون ، والأصابع التي تلعب فى الخفاء فان هذه المنظمات قد استطاعت أن تقوم بخدمات جليلة . وأصبح المسلمون المغتربون لا يعانون من الشعور بالحرمان والغربة التامة عن النشاط الاسلامي ، وأصبح لدين الاسلام مراكز ومؤسسات تتحدث عنه ، وتخدم من يرد اليها ، وترد على الأسئلة ومختلف الاستفسارات ، وتنظم الدروس الدينية للكبار والصغار ، وتعقد الصلاة وبخاصة أيام الجمع والأعياد ، وتنظم الاحتفالات بالمواسم الدينية ، كما أن الراغبين فى اعتناق الاسلام أصبح فى امكانهم أن يجدوا من يعينهم ويأخذ بناصرهم ، وبذلك أمكن زيادة عدد من يعتنقون الاسلام ، يجذبهم اليه بساطة عقيدته ، وسلامة مبادئه ، ودعوته الى العدالة الاجتماعية والحرية الفردية ، والمشورة بين الناس .

كما أن ما يجرى من جدل بين رجال الدين ، وتكشف الايام عن مفاسد لما غاير الاسلام من عقائد ومذاهب ، ثم تلك المادية الطاغية الملة ، والسعى وراء عقيدة تخاطب العقل ، ونظام يغذى الروح كل ذلك جعل الاسلام ضالة الباحث عن الحقيقة ، وحاجة من ينشد غذاء روحيا يطمئن له الخاطر ، ويقتنع به الضمير ، ويستريح اليه الفؤاد .

ثم أن دعوة الاسلام الى المساواة دون مراعاة فوارق الجنس أو اللون أو غيرهما تغرى به الزنوج ، وتجعلهم يقبلون عليه ، ويجدون فيه خلاصا وملاذا ، بل يشعر الكثير منهم أنهم باسلامهم يستردون مجدا قد افتقدوه ، ويستعيدون ماضيا قد غاب عنهم فنسوا أصلهم ، لا أصل الدين فحسب ، بل أصل الجنس والتبعية العنصرية ، وانه ليسود بينهم الاعتقاد بأنهم عرب ، بل العرب الحقيقيون ، « حاميون » من ذرية ابراهيم عليه السلام من طريق « زوجته هاجر » بل لا تعجب اذا سمعت بعضهم يؤكد أن عروبتهم أشد أصالة من عروبة العرب بالشرق الأوسط ، وأن اسلامهم هو الاسلام الحقيقي ، لذلك تجدهم يقبلون على تعلم اللغة العربية ، ويحاولون التحدث بما يعرفون من كلماتها ، وأن أساءوا استعمالها ، بل قد ترى بعضهم يتزيا بالزى العربى ، فيضع على رأسه الطربوش أو الغطرة والعقال ، ليؤكدوا عروبتهم حسا « ومعنى » .

ولا حاجة بنا الى ما وراء ذلك من عناصر معادية للعروبة ، ترى انتصارات الاسلام انتصارات للعروبة نفسها ، وفى رأيى أنه لا بد من معالجة الأمور بالحكمة والصبر واللين والتسامح ، وقبول القليل ممن يتقبل الاسلام تأليفا لقلوبهم، مع عدم الاصرار على الأخذ بالكثير من التفاصيل والدقائق التي تبدو لنا سهلة لالفنا اياها ، ولكنها صعبة عسيرة على من لم يألفها ، وحسبنا قدوة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قبل الاسلام من أعراب ولما يدخل الايمان فى قلوبهم ، ولكنه ـ صلوات الله عليه ـ كان يرجو « أن يحسن اسلامهم ويخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا » .



الحضر ، وراوى الدرجة الثانية ... من لم يلازم المروى عنه الا مدة قصيرة .

ثالثا ـ أن تتوافر فى الراوى هذه الصفات . صدق الاسلام ، سلامة الذهن والاعتقاد ، قلة الوهم ، العدالة ، عدم التدليس ، التحفظ .

وقد دقق مسلم فى اختيار الأحاديث التي أوردها فى صحيحه ، والتي رتبها ترتيبا فقهيا وجمع طرق كل حديث فى موضع واحد ، ليسهل معرفة ما بين متن الحديث وسنده من فرق ، كما انه فى مواضع كثيرة من جامعه « يبين صفة الراوى ونسبه .. » .

منزلة صحيحه

ورغم هذه الدقة ، وتلك اليقظة العلمية التي تناولها منهجه فى تصحيح الحديث ، الا أنه يؤخذ عليه أنه خرج لمائة وستين من ضعفاء الرجال أكثر مسلم من الرواية لهم ، وفى هذا الصدد نجد مفاضلة بينه وبين البخارى فى « البداية والنهاية فى التاريخ » لأبى الفداء حيث يقول :

ذهبت المغاربة وأبو علي النيسابورى من المشارقة الى تفضيل صحيح مسلم على صحيح البخارى ، فان أرادوا تقديمه عليه فى كونه ليس فيه شيء من التعليقات الا القليل ، وأنه يسوق الأحاديث بتمامها فى موضع واحد ، ولا يقطعها كتقطيع البخارى لها فى الأبواب ، فهذا القدر لا يوازى قوة أسانيد البخارى ، واختياره فى الصحيح لها ما أورده فى جامعه معاصرة الراوى لشيخه وسماعه منه .

ويسجل أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني فى مؤلفه « تهذيب التهذيب » مكانة كتاب مسلم ، وما حدث له بسببه من حظ عظيم لم يحصل لأحد مثله ، ويذكر تفضيل بعض الناس لصحيحه على صحيح محمد بن اسماعيل البخارى لما اختص به من جمع الطرق وجودة السياق ، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هى من غير تقطيع ولا رواية بمعنى .

ويشير ابن حجر الى أن خلقا من النيسابوريين قد نسجوا على منوال مسلم ، فلم يبلغوا شأوه .. وأن عشرين من أئمة عصره قد انبروا لتصنيف مؤلفاته ، وأن مسلما قد روى عن القعنبى وأحمد بن يونس ، واسماعيل ابن أبى أويس ، وداود بن عمرو الضبى ، ويحيى بن يحيى النيسابورى ، والهيثم بن خارجة ، وسعيد بن منصور ، وشيبان بن فروخ ، وغيرهم من الأعلام .

ويقول ابن عقده فى نقده للصحيح « قلما يقع الغلط لمسلم فى الرجال لأنه كتب الحديث على وجهه » .

ويقول ابن الأخرم « انما أخرجت مدينتنا هذه من رجال الحديث ثلاثة : محمد بن يحيى ، وابراهيم بن أبى طالب ، ومسلم » .

وكان أبو زرعة وأبو حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج فى معرفة الصحيح

على مشايخ عصرهما . وفى تاريخ بغداد نجد رواية مؤداها أن أبا سعيد بن يعقوب قال : رأيت فيما يرى النائم كأن أبا على الزغورى يمضي فى شارع الحيرة، وبيده جزء من كتاب مسلم فقلت له :

ما فعل الله بك ؟ .

قال : نجوت بهذا . وأشار الى ذلك الجزء .

عدد أحاديثه

وأيا ما كان الأمر فلقد بذل مسلم جهدا كبيرا فى تصنيف هذا المسند الصحيح من ثلثمائة الف حديث مسموعة ..

ويروى أن عدد أحاديثه بلغ سبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثا بالمكرر ، ومن غير المكرر نحو أربعة آلاف ...

ويذكر الزركلى فى (الأعلام) أنه جمع فى صحيحه اثنى عشر ألف حديث كتبها فى خمس عشرة سنة .

مؤلفاته الأخرى

والى جانب هذا التراث العظيم لمسلم نجد له مؤلفات ومصنفات أخرى :

– « المسند الكبير » وقد رتبه على الرجال .

– « الجامع » مرتب على الأبواب .

– « الأسماء والكنى » وهو فى أربعة أجزاء .

– « كتاب المخضرمين » ، وكتاب أولاد الصحابة ، وكتاب أوهام المحدثين وكتاب الانتفاع بجلود السباع ، وكتاب مشايخ الثورى وكتاب أفراد الشاميين ، وكتاب التمييز . والعلل .. الى غير ذلك من المؤلفات .

ولقد كان آخر قدوم مسلم – قبل وفاته بعامين – الى بغداد سنة ٢٥٩ هـ .. ويصفه الحاكم فى أخريات حياته فيقول :

كان تام القامة أبيض الرأس واللحية .. يرخى طرف عمامته بين كتفيه .

وفاته

ويذكر الخطيب سبب موت مسلم رحمه الله فيقول : انه عقد له مجلس للمذاكرة فسئل يوما عن حديث فلم يعرفه ، فانصرف الى منزله فأوقد السراج ، وقال لأهله لا يدخل أحد الليلة علي ، وقد أهديت له سلة من تمر فهي عنده يأكل تمرة ويكشف عن حديث ، ثم يأكل أخرى ويكشف عن آخر ، فلم يزل ذلك دأبه حتى أصبح وقد أكل تلك السلة ، وهو لا يشعر فحصل له بسبب ذلك ثقل ومرض حتى كانت وفاته عشية يوم الأحد ، ودفن يوم الأثنين لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١ هـ ، فى مسقط رأسه بنيسابور ، وقد كان قبره يزار .

تلك هي جوانب من سيرة هذا الامام الذى طبقت شهرته الآفاق ، والذى عاش سبعا وخمسين عاما .. جلها كفاح فى سبيل العلم والاسلام . رحمه الله تعالى .

خطاب مفتوح إلى مسلمي العرب والعالم

للاستاذ / عاصم الأدفوى

أخي المسلم :

فى كل البلدان العربية .. فى الحجاز ارض النبى .. فى الكويت .. فى لبنان .. فى الأردن .. فى سوريا .. فى المغرب .. فى الجزائر .. فى تونس .. فى مصر .. فى السودان .. وفى اليمن .

أخي المسلم :

فى كل البلاد الاسلامية ، وحيثما يوجد مسلم .. فى الباكستان .. فى الهند .. فى ايران .. فى الصين .. فى الاتحاد السوفيتى .. فى أندونيسيا .. فى ماليزيا .. فى نيجيريا .. فى غينيا .. فى مالى .. فى اليابان ..

وأخى المسلم :

الصحفى .. والمدرس .. والفلاح .. والجندى .. والعامل .. والطبيب .. والمهندس .. والفنان .. والمجاهد فى سبيل الله أينما كان جهادك وأيا كان نوعه .. فى كل بلاد العرب والعالم .

أكتب اليك هذا الخطاب .. راجيا أن تفكر معى فى هذه الازمة وفى هذه القضية التى تفرض وجودها على وعليك وعلى العالم أجمع .

ألا يدفعك العدوان الســافر المستمر على أرض فلسطين الى أن تقول كلمتك فى وجه العدوان والظلم والطغيان .. انها جريمة ضد دينك .. وضد انسانيتك وضد اسلامك .. وضد وجودك .. وضد حريتك .. وضد أمتك .. وضد سلامك الروحي والنفسى والجسدى .

أيها الأخ المسلم :

أينما كنت .. من أجل الا تعيش هذه المحنة أكثر مما عاشت ، ومن أجل ألا تستمر هذه الأكذوبة الحقيرة أكثر من هذا ، ومن أجل الا تمتد الى بلد مسلم آخـر يربطك الاسلام والعروبة بمواطنيه ، ومن أجل أن تساهم فى القضاء على هذه الجريمة المستمرة عشرات الاعوام ، يجب أن تفكر جديا ، بل أن تسهم جديا فى القضاء على هذه العصابات .

يا أخي المسلم :

يجب عليك أن تتسلح بالحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الايمان)) .

أخى المسلم :
لا يكمل اسلامك وأنت دون رأى أو موقف فى هذه القضية .. لتتخذ أى موقع من مواقع الفكر والعمل .. ولكن ليكن لك موقف ، مهما كان من درجات قوته أو ضعفه ضد هذه الجريمة الواقعة على بلد عربي مقدس ... وانها لتصبح نقطة ضعف خطيرة عندك لو أنك دون رأى أو دون موقف فى مثل هذه القضية .

لتكن مشغولا بصراعك اليومى من أجل القوت ..
لتكن مشغولا بمعاركك المستمرة فى ميدان العمل ..
لتكن غارقا حتى أذنيك .. فى كفاح ارضك الطيبة أو المجدبة ..

ولكن .. الأحداث الاخيرة التى وقعت خلال شهر يونيو ، والتى تكتلت فيها عصابات الغدر الاسرائيلية والاستعمارية .. ألا تدفعك الى أن تقول شيئا .

هل تظل غارقا من أظافر قدميك الى مفرق شعرك .. داخل قوقعتك الذاتية ؟ .
أما آن لك أن تنطلق وتدرك وتتعرف على القضية التي تؤرق النفوس الحـرة الشريفة .

أخى المسلم :
حلل كلمة المسلم لتعرف أى نوع من أنواع البشر هو ؟؟ .
ما هى الصورة المترجمة لشخصية المسلم ؟ .

وآه من عبارة المسلم وما تحويه من معان وصفات وسمات وشخصية وكمال .

المسلم الحق هو الذى يدفع روحه وحياته ثمنا للدفاع عن المظلوم ، والمسلم الحق هو ذلك الانسان المتوازن فى حياته بين الفردية بما تعنيه من حب للنفس والذات وبين الجماعية بما تتضمنه من ايثار وفناء فى المجموع .

والمسلم الحق هو الذى لا ينام عن حقه وقضيته ، بل يثيرها حربا عوانا ، حتى ينال حقه وينتصر لقضيته .

يا أخي المسلم :
فى كل البلاد ، وفى كل الاقطار
كيف تنام الليل قريرا .. ولا توخزك الآلام والاشواك وانت تعرف وتعلم أن هناك اخوة لك يبيتون فى المخيمات وفى العراء ، وفيما يطلق عليه خطأ بيوت تتكدس فيها عشرات الأنفس .

يا أخى المسلم :
كيف تستطعم الطعام وأنت تقرأ فى جريدتك صباح مساء أخبار القتل والعدوان على اخوتك المسلمين ..

يا أخي المسلم :
رفقا باسلامك
رفقا بانسانيتك
رفقا بشخصيتك المتزنة
ورفقا بدينك واسلامك ..

البقية : على ص ٨٤

أمير شعراء الا...

رأيه في العرب وأدبهم وتأثيره في

للدكتور/أحمد شوكت الشطى ـ دمشق

يقول لبيب الرياشى فى كتابه عن نفسية الرسول العربى :

((يفخر بالرسول العربى وبالانتماء اليه مثقفو الأميركيات اللاتينية الاسبانيو الاصل ، ويتباهون باسلافهم العرب وجمال عيونهم العربية وفراستهم العربية ، ومجد أجدادهم العرب ويحنون لمعرفة الحقيقة عن نبى اجدادهم ونفسيته، ذلك الرجل الفذ الذى استطاع أن ينشىء مدنية انسانية فى عصور الظلمة العالمية ، تفضل فى معظم نواحيها مدنية القرن العشرين ، قرن النور ،مدنية عربية تطهرت من الاحتكار وسلطان المتمولين وفتنة المرأة والاضطهادات العنصرية والرق السياسى والمالى والربح الحرام والمقامرة والمسكر .

((مدنية يفاخر بها من شعراء الأسبان المعاصرين أميرهم فيلاسباسا فيقول متباهيا بانتمائه الى العرب .

((اننا رغم لباسنا الحديث ، واهمالنا لغة اسلافنا العرب ، ما نزال أحفاد أولئك البدو الذين تعودوا فى وحشة الصحراء أن يخاطبوا الله وهم قعود ، أمام مضاربهم المنسوجة بوبر الابل ، ولو نزعنا بعض الكلس عن جدران كنائسنا لألفينا تحتها لمعا مذهبة لاسم الله الاكبر، محفورة بحروف كوفية ، ولو خدشنا بالأظافر بشرتنا الاوروبية الصفراء ، لبرز لنا من تحتها لون بشرة العرب السمراء .

أن روح الفروسية التى سادت القرون الوسطى ، واحالت همجية الحروب الى مداعبات على ظهور الخيل فى ميادين الألعاب ، وانتجت من الحب أدبا عاليا لهى روح خلفها الشعر العربى وحملها الى العالم على أجنحة موشحاته فعم الأدب المنمق العالم كله)) .

لقد كان من أسمى غاياته انشاء جامعة عربية كبرى فى غرناطة يدرس فيها كل ما هو عربى من لغة وأدب وتاريخ . يعبر شاعرنا عن أثر العرب فى الادب الاسبانى بقوله .

« فلاسباسا »

محمد مؤذن

الأدب العربي عامة ، والأدب الاسباني خاصة

« ان جميع القصائد المجموعة فى كتب الاغانى الاسبانية لمختلف الشعراء مستوحاة مما فى الدواوين العربية من شعر . فانك ترى ناظميها يوافقون فى أناشيدهم الايقاع المتكرر فى ألحان الرباب .

وينتهى الى القول بأن التأثر بالأدب العربى البادى فى آداب اللغة الأسبانية ظاهر فى أناشيدهم الشعبية ، وقال عن الموشحات العربية : أنه لم يتهيأ للشعر العربى فى عامة الاقطار التى فتحها العرب تربة أصلح من تربة الأندلس ، ولازها فى بلد من البلدان زهوته فى بلادنا الأسبانية .

لك بعد هذا أن تتساءل عمن هو « فلاسباسا » وأن تعجب من شاعر أسبانى يفاخر بنسبه العربى ، شاعر أسبانى نابغة ، يتغنى بمجد العرب ، ويبكيهم فى شعره وخطبه واحاديثه ، متفاخرا بالتحدر من صلبهم ، والانتماء الى صميمهم ، ولك أن تردد التساؤل عن أكبر شعراء أسبانيا واكثرهم انتاجا ورئيس ندوة الشعر فيها .

انه نابغة لا يقاس نبوغه فى الادب بوفرة الانتاج فحسب ، وانما يضاف اليها الاجادة فى المبنى ، والتحليق فى المعنى » .

أول كتاب طبعه هو ديوان شعر بعنوان « خصوصيات » والشاعر لا يتجاوز اذ ذاك الثامنة عشرة من سنيه ، وبين مؤلفاته جانب كبير موضوعه عربى ، فمن رواياته التمثيلية الشعرية « قصر اللؤلؤ » وهى رواية جرت حوادثها فى غرناطة على عهد ابن الاحمر ، ورواية « ابن أمية » تناول فيها ما حدث لبقايا العرب بعد سبعين عاما من سقوط غرناطة ، ورواية « فى البادية » وهى رواية حدثت وقائعها فى الصحراء . وصف بها اباء العرب ، وما للضيافة عندهم من حقوق . وله اخرى هى « زفرة المغربى » عنى بها زفرة أبى عبد الله آخر سلاطين العرب فى الأندلس ، وبكاءه يوم ودع غرناطة من أعالى جبل بادول المشرف على حاضرة ملكه . وقد قالت له أمه عائشة .

ابك مثل النساء ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال

ومن دواوينه الشعرية ذات الموضوعات العربية ديوان « فتون الحمراء » و « ليالى جنة العريف »



و « الأندلس » و « دفوف اشبيلية » و « باحة الريحان » و « عاشق ليندا راخا » .

ومن رواياته القصصية النثرية « انتقام عائشة » و « وعبد الرحمن الأخير » و « نخيل الواحات » و « مخالب الفهد » و « برج الأسيرة » . فاذا عددت مؤلفاته بلغت مائة وثمانية وخمسين مؤلفا بين مطوى ومنشور ، ومنظوم ومنثور ، وهى لعمرى مكتبة كبيرة خلفها دماغ واحد ، لو حسبت ساعاتها ، لكادت تكون كل ساعة فيها صفحة من النثر أو قصيدة من الشعر .

يتلاعب بعواطفك على هواه ، فتشعر بروحه سرت فى روحك ، تحبه باسما وباكيا ، حزينا وراضيا ، هازجا ونادبا ، مغتبطا وغاضبا . يحدثك عن عواطفه فتكاد تلمسها بيدك ، ويصور لك منظرا فتكاد تراه بعينك ، ويصف لك خريرا فتكاد تسمعه باذنك ، بينا تماشيه على ضفة جدول هادىء ، اذا بك معه على شاطىء بحر ثائر ، وبينما أنت بقربه على أديم الارض ، اذا به يثب بك الى قلب الفضاء ، والشاعر سامى الخيال ، بعيد غور التصور ،تلاحظ ذلك فى شعره، وتلاحظه أيضا فى وصفه ، وهو سريع الخاطر طويل النفس ، وانه لمعجب شديد الاعجاب بالشعر العربى ، فى قصائده روح عربية اليك ترجمة واحدة منها بقلم المرحوم فوزى المعلوف .

غرناطة ، أواه غرناطة
لم يبق شىء من صولتك
هل نهرك الجارى سوى أدمع
تجرى على ما دال من دولتك
والنسمة الغادية الرائحة
هل هى الازفرة نائحة
لك حمراؤك ، تحسو الأسى
وحيدة فى الروضة الخالية
لم يبق لها زهوة ندمانها
ولا صدى أعيادها الماضية
ولم يعد للحب فيها أنين
ينقله العود عن العاشقين
غرناطة ، أواه غرناطة
ما أنت الا خرب قابعة
تحمل أسراب السنونو الى
أفريقيا أنباءك الفاجعة
هناك أبناؤك من لبأسهم
باكون ، لا باكون من يأسهم
غرناطة ، أواه غرناطة
ضعت فيا للعظم الضائعة
فيزفر الموج ويبكى لهم
حين يرى أعينهم دامعة

أفلا تشعر وأنت تقرأها أو تسمعها انك امام عربى صميم ، يغلى الدم العربى فى عروقه،فيثور متأوها على عز اجداده؟، أولا تتخيل آخر بنى سراج بطل رواية شاتوبريان ، ساجدا بين جدران الحمراء يقبل احجارها ، ويبللها بدموعه ،يحدثك بلهجته الهادئة الشعرية فى شتى الموضوعات ، ولكنه عندما يذكر العرب وامجادها يتغير فجأة فتحس بالحماسة تملأ جوارحه ، وتملك مشاعره .

ولا يتبادرن الى الأذهان أن الشاعر يتكلم عن العرب بهذه الحماسة أمام أبناء الضاد فحسب ، كلا فهو فى مجالسه ومحاضراته وقصائده يشيد بذكرهم ، ويتغنى بحضارتهم ، غير موجس من لومة لائم ، أو تهجم مكابر ، ومن رافق حياته تحقق ذلك بنفسه .

نسبه



يرجع شاعرنا فى نسبه الى نبيل عربى ، متحدر من السلالة الاموية يدعى محمد بن أمية ، وقد دعى بعد تنصره « الدن انطونيو مولاى دى قرطبة وفالوار » ، كان أبا لثلاثة أولاد ورث منهم الدون فرنندو لقب الاسرة ، وكان فتى حرا محبوبا ، وقد انتخب فى مجلس نبلاء غرناطة الاربعة والعشرين .

وفى عام ١٥٦٥ أى بعد سبعين عاما من سقوط غرناطة ، دخل فرنندو وهو فى الثانية والعشرين من سنيه الى مجلس النبلاء وخنجره فى منطقته ، وكانت العادة أن يترك النبلاء سلاحهم عند مدخل المجلس ، وقد ترك الدن فرنندو حسامه هناك ولكنه أبقى خنجره ، فلم يرق ذلك فى عين الدن بدور داسالا رئيس المجلس فوبخه بلهجة قاسية غلى لها الدم العربى فى عروقه فاجابه .

« اننى لادخلن الى المجلس كما أشاء، فانا سليل ملوك أمية ، وقد كان لاجدادى فى هذه الديار سلطة الامر والنهى ، عزة العرش والتاج » ، فما كان من رئيس المجلس الا أن أغلظ القول ، ونسبه الى أمة البرابرة ، فكبر ذلك على الدن فرنندو ، وهجم كالنمر الهائج فصفعه ، حتى اذا ثارت ثائرة النبلاء وقاموا عليه ، جرد خنجره في وجوههم ، وأخذ يتقهقر وهم لا يجسرون على التقدم منه، حتى بلغ الباب فتناول حسامه وسار توا الى حى « البيازين » (١) الآهل اذ ذاك بالاسر العربية ، وما هى ليلة وضحاها حتى أنضم الى فرنندو فريق كبير من الناقمين على الأسبانيين ، فجرد منهم حملة سار بها الى جبال البشرات الواقعة بين غرناطة ومرسيه ، وفوق هذه الجبال الآهلة ببقايا العرب ، وجلهم ممن هربوا من الاضطهاد ، واعتصموا بالكهوف فوق قنن الصخور ، أعلن الدن فرناندو الثورة على الدولةالاسبانية ونادى بنفسه ملكا ، فمشى تحت لوائه جيش عربى لا يستهان به ، تتأجج فى صدور أفرادهنار الحقد علىنازعىملكهم ، ومقوضى مجدهم ، الذين بالغوا فى النكاية بهم بكل نوع من أنواع العسف والارهاب، فجردت السلطة أول حملة عليهم بقيادة المركيز دى لوس فيلبس فدحروها ، وتلتها حملة ثانية بقيادة المركيز دى موند يخار فلم تقو عليهم .

ولما رأى الملك فيليب الثاني استفحال الامر استدعى الجيش الاسباني المقيم فى نابولى وسلم قيادته الى أخيه الدون خوان دى اوستريا ، فزحف هذا عليهم بجيش جرار كان الفشل نصيبه أيضا ، وكان من قواد هذه الحملة الضابط فيلاسباسا (جد الشاعر لابيه) ولكن الأقدار شاءت أن تقع الفتنة بين صفوف العرب .

لقد كان لألدن فرنندو العربى القائم بشؤون العرب فى بلاد الأسبان ابن عم يدعى « ابن أمية » ما زال طامحا الى أن يكون هو القابض على صولجان العرب ، والمجدد للخلافة المروانية ، حتى حدثت بينه وبين الدن فرنندو منافرة أدت الى تفرق كلمة العرب ، وضعفت شوكتهم ، فلحقت الهزائم بهم من عمل أنفسهم (٢) .

ومن غرائب الصدف أن يقترن بعد أربعة قرون سليلا عدوين لدودين : سباسا الضابط الأول فى حملة القضاء على العرب ، وامرأة من حفيدات الأمويين ، فينتج من هذه المصاهرة ظهور شاعرنا الكبير الذى تفاخر به بلاده ، ويفاخر هو بنسبة العربى ، ويبكى على أمجاد العرب الضائعة .

أما ولادة الشاعر فكانتفى « الأوجار » فى نفس المنزل الذى قتل فيه الدن فرنندو جده الأكبر لأمه العربية .

لقد أوحت حادثة الدون فرنندو الى الشاعر مأساته التمثيلية الخالدة « ابن امية » وهى تحفة من تحف الأدب الأسبانى ، وصف بها تلك الوقائع باسلوبه الشعرى العالى ، وبكى بها مآثر العرب ما شاء له البكاء ، ندب بها غرناطة فتناولت السن الرواة كلماتها فى كل بقعة ينطق أهلها بلغة الاسبان .

---

(١) حى فى غرناطة بقى المدجنون من العرب يسكنونه . والمدجنون هم العرب الذين ظلوا تحت الحكم الاسبانى بعد اقصاء العرب عن بلاد الاسبان .

(٢) ومن يتعظ بحوادث التاريخ وبكلمة الحق العلى الاعلى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » نعم ليتنا نتعظ .
« الوعى »

مافعـ

قصة

بقلم : محمد الخضرى عبد الحميد

النفس أحيانا ـ طيبة زاكية ، أو خائرة متهافته ـ عوارض دخيلة ومثبطات ، من تقاعس بليد وخمول . تركن بتلك النفس عن النهوض الى كسب مغنم ، معنوى أو مادى ، فتقعد عن طلب تلك المغانم والمكاسب .. حتى اذا ما انجاب الغمام وتبخر العارض وعادللنفس صفاؤها ، انقلبت كاسفة حيرى تلسعها حسرات الندم ، وتود ان لم يك ذاك التخاذل والقعود .

يصدق ذلك على سلوك البشر عامة فى معترك حياتهم العادية ، لكن .. كيف الحال لو ان كانت تلك . نفس صحابى مجاهد أسلم عن يقين ، وأسهم طواعية فى كثير من مهام الاسلام ، عن حب ملؤه التعمق فالاقتناع ؟ وكيف لو ان كان الكسب والمغنم ليسا عاديين من مغانم الحياة الدنيا ومكاسبها الوقتية الزائلة الرخيصة .. وانما هو الشرف الاسمى والانتصار الاكرم فى سبيل نصرة الدين الاعظم ، دين الاسلام ، ومؤازرة نبيه خاتم الرسل ((محمد)) بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ . الا أن الخطب لجليل ....

تلك هى الاحاسيس التى كانت تعذب ((كعب بن مالك الانصارى)) احـد المجاهدين فى الاسلام واحد المنافحين عن النبى بشعره ، ومن ثم فانه كان فى عداد البارزين من رجال المعسكر الاسلامى الذين لهم قدرهم ومكانتهم بعد اذ ثبت للنبى وللصحب رسوخ ايمانهم وصدق تعضيدهم .. وكانت الغزوة التى تخلف فيها عن

لكعب؟

اللحاق بجند ((محمد)) صلى الله عليه وسلم هي ((غزوة تبوك)) ، غزاها الرسول فى قيظ الحر ووقدة الهجير وبعد ان طابت الثمار واستحب الفىء الى ظـلال الدور والاشجار .

و ((كعب)) ليس بالمسلم ((العادى)) الذى قد تلتمس له الاعذار ان هو تخلف فى غزوة كهذى تحتاج الرجال الاقوياء عقيدة وحماسا لنصرة المبادىء واحقاق الحق .. بل انه ((الصحابى)) المقرب الذى له عند النبي مكانة الكريم وقدره الرفيع . فيا لهول ((الموقف)) الذى وضعه فيه تقاعسه غير المقصود وتخلفه الذى لا مبرر له ، لقـد استبدت به آلام الحيرة فلا يدرى ماذا يفعل ولا ماذا يقول .. هل هناك عذر يستطيع أن يستند اليه فى تبرير تخاذله المعيب ؟؟ .. وينثنى ((كعب)) الى نفسه محنقا يوجه اليها هذا السؤال وهو يكاد ينشب فى تلك الامارة بالخنوع والدعة أظفار الثأر ومخالب الانتقام ، فلا يجد عندها العذر ولا أدنى مبرر .. وانما يجد الجواب الصريح الذى لا يزيد من تبكيته لذاته الا تبكيتا آخر جديدا .... فيقول وهو يزفر بالم ملتاع . ((تجهز رسول الله ، صلوات الله عليه ، والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئا)) . ويعود فيضرب كفا بكف ويواصل فى خلواته بالنفس الجانية بلا سبق اصرار ، استرجاع الامر من البدء وكيف كانت الظروف والملابسات ((قلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم ، فغدوت بعد ان فصلوا لاتجهز ، فرجعت

ولم أقض شيئا . ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت ان أرحل وأدركهم ، وليتنى فعلت)) ..

أجل ، يا ليته فعـل ، . والا ما كان قـد بدأ يواجه مـا ألفاه بالمرصـاد من استخفاف ، وتنكر واستنكار ... طفق ((كعب)) يسير فى طرقات (المدينة) وأسواقها، فلا يرى الا ((رجلا مغموصا عليه النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء)) . وهو ؟ ... الصحابى الثقة رفيع المكانة .. ها هو ذاك بين هؤلاء وأولاء .. انه لم يرد ذلك مسبقا ، ولكن الذى لم يرده كان وانتهى الامر .. فكيف يلقى نبيه الحبيب بعد اليوم ، وبأى (منطق) و (وجـه) ؟ ... ويمضـى ((كعب)) وضيق الحيرة وهوان الذنب يفعلان به الافاعيل .. لقد أشتد اضطرابه ، وعظمت بلواه عندما سمع أن ((محمدا)) العظيم تلفت حوله يستعرض الرجال هناك ، فلما لم يلقـه بينهم تساءل وهو جالس فى القوم بتبوك ((ما فعل كعب)) ؟ ... قال قائل للرسـول . ((يا رسول الله .. حبسه برداه ونظره فى عطفه)) .، لولا أن معاذ بن جبل سارع بالرد ينفى شبهة الزيغ عنه فصاح فى القائل . ((بئس ما قلت .. والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا)) فسكت النبى ولم يعقب .

ألا أن الخطب ــ اذن ، ومرة أخرى ــ لجد جليل ... رسول الله يتفقده ؟ .. و .. ولا يجده الى جواره ؟ ... يذكره ويسائل القوم عنه ، فى ايجاز خصب المعانى غنى البيان . ((ما فعل كعب)) ؟ . ألا أن (كعب) فعل ــ اذن ــ النكـراء الخرقاء ... وألا ان العتاب ــ ان لـم يكن . العقاب ــ لاكثر من كل ذاك هولا ... وصرخ ((كعب)) وهو لا يفتأ يدور ، حـول ((المدينة)) مع الدروب والجسور ، وحيدا الا من حسرات الندم ، يفرى كبده الألم الكبير . بماذا أخرج من سخطه غدا ؟ .

وأقبل ((محمد)) رسول الله ، والنصر ــ كعادته ــ حليف ركبه ... وكان من عادة النبى اذا قدم من سفر . بدأ بالمسجد يركع فيه ركعتين ثم جلس للناس .. فلما فعل هذا أقبل ((المخلفون)) اليه يعتذرون له ويتوسلون عنده بشتى التعلات .. و .. والنبى كريم وانه لرسول التيسير ، فيكتفى بأن يترك المرء منهم لضميره وسريرته متقبلا من كل عذره ، فلعل من تخلف له ــ حقا ــ ما شـغله عن اللحاق . لكن .. لكن كعب كيف به مع الخلص الأوفياء ؟ .. كيف شأنه مع ((كعب)) مثلا ؟ .. لقد علم (كعب بن مالك) أن كثيرين زعموا ــ كاذبين ــ شواغل عاقتهم ، وأعذارا منعتهم ، وعفا نبى الرحمة عنهم ، مدركا أن لا موجب للتضييق عليهم .. و .. هـل ينحو ((كعب)) نحوهم ؟ .. هل يفعل فعلهم ، لينجو من العتبى نجاتهم ؟ ... لا .. والا ف .. وتتوقف الخواطر بغتة فى ذهن ((كعب)) وهو فى أواخر الصفوف بالمسجد ، يضنيه التردد ما بين اقدام واحجام ، عندما سمع نداء النبى موجها اليه .. نداء فيه عتاب الصفى الحليم لصفى له ، قصر فى تحقيق حسن الظن به ، ناداه النبى ((تعال)).. فلما مشى حتى جلس بين يديه ، قال محمد :

ــ ((ما خلفك ؟ .. أو لم تكن قد ابتعت ظهرك)) ؟

ــ ((بلى .. انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر . ولقد أعطيت جدلا . ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ، ليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديث

صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله .. لا والله ، ما كان لى من عذر .. والله ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك)) ..

وهكذا يجدر بمسلم صحيح الاسلام قوى الايمان أن يجيب . الحق الصراح ـ يا كعب ـ وما شاء الله سيكون .. وتبسم النبى ((محمد)) وقال . ـ ((أما هذا فقد صدق)) .

وخرج ((كعب)) من الحضرة الطاهرة وقد انزاح عن صدره ((جزء)) من همومه الثقال ... ولم يعبأ بمن لحقوا به خارج المسجد يعنفونه . كيف لم يجد عذرا ـ أى عذر . ـ يتقى بـه غضب النبى أو استياءه ، لكنه لم يسمع ولم يحفل .. وقوى اصراره على الاستمساك بنهجه والاكتفاء بما قال ، وخاصة عندما سمع منهم أن اثنين كريمى المنزلة فعلا ما فعل وقالا بمثل ما قال .. انهما رجلان صالحان شهدا بدرا هما : ((الربيع العمرى)) و ((وهلال بن أمية الواقفى)) ، و .. وسر عنه ـ بعض الشىء ـ أن قد صار له فى المحنة وحسن الدفاع بازائها . ((زميلان)) ـ .. اذن فالمتخلفون فى غير موجب للتخلف . ثلاثة .. فليكن عتاب ـ أو عقاب ـ (الحبيب) ما يكون .. فانهم به ـ منذ الان ـ راضون .

أما صاحباه فقد عكفا فى داريهما يبكيان من فرط الحزن الثقيل لكن ((كعبا)) كان رجل تجارة لم يألف الاستكانة بعقر الدار فطفق من جديد يدور فى طرقات ودروب المدينة ، ويشهد الصلاة ، ويطوف فى الاسواق ، لكن أحدا لا يكلمه .. كان يأتى المسجد ويجلس قريبا من النبى يصلى على كثب منه ، ثم ينصرف قائلا لنفسه والدموع تطفر من عينيه فى حمية اليأس العصيب . ((لا أدرى هل حرك شفتيه يرد السلام على أم لا)) ..

ولما اشتدت على ((كعب)) جفوة الناس له ونبذهم اياه ، وصمتهم الواجم فى وجهه .. سعى الى حائط ابن عمه (أبى قتادة) يتسوره ويلقى عليه السلام فلا يرد له ابن العم سلاما ... عند ذاك كاد فؤاد (كعب) أن ينخلع من المرارة القاصمة ، فأخذ يهدر صائحا .

يا أبا قتادة .. أنشدك بالله .. هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟

وابو قتادة يعلم ـ علم يقين ـ أن ((كعبا)) الأنصارى ، من أقوى المؤمنين حبا لله ورسوله ، لكنه ـ ومع أنه (ابن عم) له ـ لم يعد يرضى لنفسه على أن تجزم بذلك ... اذ بعد التخلف عن الاشتراك فى احدى غزوات الجهاد لم يعد ثمة ((مسوغ)) للمسارعة فى توكيد ما صار ـ من وجهة نظره ـ محل ريب وشكوك ... فيصمت ولا يجيب ، فيعود ((كعب)) الى ترديد السؤال على مسمع أبى قتادة الصامت ، مرارا ، وهو يتفجع على ما آل اليه حاله ،محدقا ـ بذهول ـ فى ذلك الفم المطبق، غير مصدق.

تكلم .. أجب . هل تعلمنى أحب الله ورسوله ؟ .. أخيرا يفجؤه ابن عمه أبو قتادة ، باجابة . كان صـمته المريب القاسـى خيرا منها ألف مرة .. أجابه قائلا فى بساطة قاتلة . ((ـ الله ورسوله أعلم)) ..

جرى ((كعب)) فزعا . انطلق كالمذهوب بعقله يضرب فى الخلاء بلا مقصد هائما على وجهه ... هل ثمة لفعلته الجسيمة من عفو ، أو أمل فى غفران ؟ .. ألا ليته لم

يتهاون طرفة عين فى أداء الواجب .. ألا تبا للنفس البشرية ونوازعها ، وسحقا لكل حافز خفى خبيث يزين ـ أمام الواجب وضرورة النهوض المعجل به ـ مزية التريث ، والتباطؤ ، والارجاء .

لكن آلام (كعب) لم يكن قد آن لها أن تنتهى بعد ..اذ بينما هو يسير على غير هدى بسوق المدينة ، سمع نبطيا من أنباط أهل الشام ، واحدا من أولئك الذين يبيعــون بالأسواق الطعام ، ينادى . ((من يدل على كعب بن مالك ؟)) ولما أشاروا له ـ بغير كلام . ـ عليه .. جاءه فدفع اليه ـ سرا ـ بكتاب مطوى ومختوم ، فضه .. فاذا هو من ملك غسان ، يقول فيه . ((.. ثم بلغنى أن صاحبك جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا ، نواسك)) ... هنالك صرخ ((كعب)) من أعماقه المعذبة ، وقد بلغت تعاسته ذروتها . ((وهذا ايضا من البلاء)) .. وقذف بالرسالة ـ خبيثة المضمون ـ فى أتون تنور .

مضت أربعون ليلة ، ثقيلة كلها ورهيبة ، على ((كعب بن مالك الأنصارى)) ، وهو لا يلقى بين الناس ـ كل الناس ـ الا جفاء واعراضا .. من زم الشفاه ، وانطباق الأفواه ، وتقحم الاعين ، وازورار الاسماع ..

ثم جاءه وافد عن رسول الله يأمره أن يعتزل زوجته .. سأل : (وأطلقها ؟ . أم ماذا أفعل) ؟ .. قال الموفد بالامر . (لا ، بل اعتزلها ولا تقربها) . وصدع كعب بالأمر ، وبعث بزوجته الى أهلها حتى يقضى الله فى شأنه .. كان قد عرف أن امرأة هلال بن أميه ـ زميله فى الثلاثة الذين خلفوا . ـ استأذنت النبى فى أن يتركها تخدم زوجها المسن ، فأذن لها .. وعبثا حاول بعض أهله أن يقسرونه على أن يقتدى بها . ((لو استأذنت النبى .. لاذن لك)) .. لكنه رفض كل ما عدا الامتثال المطلق .

ومضى ((كعب)) يرفع الى السماء وجها شاحبا مغرقا بقطرات دموع سخية الينبوع .. راح يبتهل الى الله العلى القدير أن يرفع عنه الضائقة ، ويجنبه هوان المحنة ، فلقد امتحن امتحانا عظيما ، لكن شفيعه ايمان قوى لا تنال منه الاحن ـ مهما ثقلت ـ ولا الخطوب ..ولقد ازداد الان معرفة وادراكا أن لا اسلام لمسلم الا بارضاء الضمير ، واجتناب نوازع الشيطان ، والوقوف الحاسم وبلا تردد الى جانب دواعى الدين الحنيف ، من مسارعة الى نصرة الحق ، واعلاء كلمة الله .. بلا تخاذل ، وبغير تأجيل وبدون أدنى تسويف أو ابطاء .

وكملت لياليه خمسين ليلة . ، مرت ثقالا على ((كعب)) فكانت الجزاء الأوفى لذنب هو ـ فى مستوى الخلص الاوفياء ـ جد عظيم ، وان كان يبدو غير ذلك خطرا ، فيمن هم دون الصفوة .

وبينما هو يصلى الفجر على سطح بيته صبيحة اليوم الخمسين ، والنفس ضائعة بعد أن بطؤ الغفران ، وبعد الامل فى العفو وصدور التوبة .. اذ رأى من عل فارسا يركض اليه وهو يصيح فوق فرسه من على جبل سلع . ((ـ يا كعب بن مالك .. أبشر)) ..

فخر ((كعب)) ساجدا لله ، يشكر الرءوف الرحيم وقد أيقن أنه الفرج جاءه من لدن العليم بما تخفى الصدور .. وما كاد يقف لينزل مستقبلا بشير الخير ، حتى أدركه الفارس السعيد وأنبأه بالبشرى فى ايجاز يضج سعادة بانفراج الكربة ، وهنا نزع ((كعب)) ثوبيه ـ وهو لا يملك غيرهما ـ وخلعهما على الفارس ، واستعار ثوبا هرول به ، وهو يخب حبورا ، الى رحاب الرسول ، والناس يعترضون طريقه باسمين هاتفين فاتحى الاذرع يضمونه بالعناق والتقبيل ، صائحين بملء الحناجر . ((بشراك يا كعب ، بشراك ، اهنأ بتوبة الله عليك)) .. حتى أولئك الذين نصحوه ـ ذات يوم ـ بالتماس أية معاذير ، ها هم اولاء يهنئونه ، وفى شىء من بقايا خجل ، على ما جنى من ثمار ثباته ، وصموده وصبره وصدقه .

ودخل ((كعب)) المسجد ، فاذا هناك ((زميلاه)) ، المتخلفان الاخران ، هلال والربيع ، قد سبقاه الى الحضرة الكريمة ، عندئذ اكتمل بين يدى النبى عقد ثلاثة الذين تخلفوا .. واذا بـ ((محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستقبله طلق المحيا ، باسم الثغر ، مشرق الجبين بمعهود النور عندما يكون لديه أنباء خير أو دواعى سرور .. وقال عليه أزكى السلام .

أبشر بخير يوم مر عليك مذ ولدتك أمك .

ومع هذا .. فان ((كعب)) الصادى لا تكفيه من عطش مثل تلك النهلة العذبة ، بعد كل ما كان من طول تحرق ومرير ظمأ ، فهتف على الاثر وكل نبضة من نبضات قلبه المفعم ايمانا تشكر الله وتصلى على نبيه الهادى الامين .

أمن عندك يا رسول الله .. أم من عند الله ؟ . أجاب النبى .

لا ، بل من عند الله .

وفى ومضة سريعة مثلما يشق كسف الظلمات شعاع فجر باهر السناء ، مر فى ذهن ((كعب)) رسم تلخيصى لماح لكل ما حدث فى ايجاز وتركيز ، فتنهد بارتياح عارم ضاف ، وعاد يقول .

يا رسول الله .. ان الله انما نجانى بالصدق .. وان من توبتى ألا أحدث الا صدقا ما حييت .

وبينما القوم يحفون بالرسول العظيم ، والصحب الكرام ، فرحين بما آتاهم ربهم من فضل ، سعداء بما أفاء به سبحانه ـ جل وعلا ـ من توبة وغفران على عباده المؤمنين .. راح ((محمد)) صلوات الله وسلامه عليه يعيد ـ مرة أخرى ـ تلاوة قول العزيز الحكيم . ((لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم ، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم)) . ـ وصدق الغفور التواب .

وقل رأيك .. واتخذ موقفك .. وطالب زعماءك وحكام بلادك .
قل لهم ماذا سنفعل ؟
يا أخي المسلم :
أينما كنت .. تحلب ناقتك في جوف الصحراء الليبية .
أو ترعى ماشيتك في جنوب السودان
أو تركب طائرتك في مهمة دبلوماسية
أو تسرع بدراجتك في شارع في الباكستان ..

أو تذاكر الواجبات والدروس مع أبنائك وبناتك في بيتك ووسط أسرتك أينما كنت .. وأينما تتواجد ، أود أن أقول لك .

ليس المسلم بالجبان .
وليس المسلم بالظالم .
وليس المسلم بالكذاب .
وليس المسلم من ينام عن حقه .

فلتذكر أن معك أقوى سلاح في العالم ، لم يخترعه الا المسلمون .. ((الوعد الحق)) الذى وعدنا الله به .. اما النصر على الاعداء .. واما الاستشهاد في سبيل الله والفوز المؤكد بالجنة .. اما فلاح في الدنيا .. أو فوز بالآخرة ..

أيها المسلم :
تذكر من أنت ..
واعرف الى من تنتمي .

أنت أبن للاسلام ، أعظم رسالة في الوجود جاء بها رسولك العربي (محمد بن عبد الله)) عليه الصلاة والسلام .. رسالة حررت الانسان والانسانية والى الابد ..

وأنت أيها المسلم :

حفيد لهؤلاء الرجال العظام . أبو بكر الصديق .. وعمر بن الخطاب .. وعثمان ابن عفان .. وعلي بن أبي طالب .. وعمر بن عبد العزيز .. وخالد بن الوليد .. وطارق بن زياد .. وكل الصناديد من الرجال .

وأنت أيها المسلم :

وارث أعظم ارث في هذه الدنيا .. ارث كله مفاخر وانتصارات .. في الدين .. في الشجاعة .. في الحرب .. في السلم .. في العلم .. في التمدين .. في الحضارة .. في التاريخ .. في الأخلاق ..

أخى المسلم :
رحمك الله يا أخى المسلم .
ورحمنا الله جميعا ..
ونصرنا في كل قضايا الشرف والتحرر والجهاد
وقل كلمتك في هذه الحياة الدنيا .
وامض .. وأنت شجاع ..
وأنت مسلم ..
والسلام عليك أينما كنت .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

الطلاق بالكتابة

السؤال :

كتبت كتابا لوالد زوجتي بخط يدى قلت فيه « انني طلقت ابنتك فلانة بالثلاث وارسلت زوجتى الى والدها مع الكتاب المذكور وهى الان حامل فى الشهر الثالث وامتنع والدها من ارجاعها الى الا بعد معرفة الحكم الشرعى ـ علما بانى سلمتها الكتاب وابلغتها انها طالقة . فما حكم الشريعة .

س . ع . الكويت

الاجابة :

المقرر شرعا : انه لايشترط اللفظ فى وقوع الطلاق بل كما يكون باللفظ يكون بالكتابة ، والكتابة على نوعين مرسومة وغير مرسومة ، والمرسومة ما يكتب الى الغائب بان تكون مصدرة ومعنونة على جهة الرسالة وفى هذه الحالة يقع الطلاق نوى او لم ينو ، فلو قال لم اقصد الطلاق وانما اقصد تجربة القلم لم يصدق قضاء ، لان الارسال اليها دليل على قصده الطلاق، والطلاق فى هذه الحالة اما ان يكون منجزا او معلقا على وصول الجواب فان كان منجزا كما اذا قال فى الجواب اما بعد : فانت طالق ، وقع الطلاق بمجرد الكتابة فتعتد من هذا الوقت . وان كان معلقا بوصول الجواب اليها كما اذا قال فاذا وصلك جوابى هذا فانت طالق فان الطلاق فى هذه الحالة لا يقع الا اذا وصل الكتاب ، فان وصل الى ابيها فمزقه ولم يدفعه اليها فان كان متصرفا فى امورها وقع الطلاق وان لم يكن كذلك فلا يقع سواء اخبرها بذلك او لم يخبرها ، لان الطلاق معلق على اتيان الجواب فلا يقع الطلاق ما لم يدفع اليها الكتاب الممزق . اما الكتابة غير المرسومة ان كان يمكن تبينها كالكتابة على الرمل على وجه يمكن فهمه وقراءته فانه يقع الطلاق اذا نواه وقيل يقع وان لم ينوه كالكتابة على الورق وان كان لا يمكن تبينها كالكتابة على الهواء او الماء فانه لا يقع الطلاق وان نواه .

كما ان المقرر : ان الطلاق بالثلاث بلفظ واحد على ما عليه الفتوى يقع واحدة رجعية اذ كل طلاق بعد الدخول يقع رجعيا الا المكمل للثلاث وما كان نظير عوض .

والكتابة مثل اللفظ

وبما ان السائل كتب الى والدها وابلغ زوجته بالطلاق فيعتبر ذلك طلاقا من تاريخ علمها لان الخطاب كانه وصل اليها وعلمت ما به وبذلك تكون طلقت طلقة واحدة رجعية وما دامت حاملا فتكون فى العدة له مراجعتها اما اذا كانت قد وضعت حملها فانها لا تحل له الا بعقد ومهر جديدين وان كانت هذه هى الطلقة الثالثة وانقضت عدتها فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره .

لذلك : نفتيك بانه لا مانع للزوج من مراجعة زوجته ان كانت فى العدة اما اذا كانت قد انتهت عدتها فلا تحل له الا بعقد ومهر جديدين باذنها ورضاها بشرط ان لا تكون هذه هى الطلقة الثالثة .

نقل المسجد

السؤال :

يوجد مسجد صغير فى بلد غير اسلامية اصبح لا يتسع للمصلين ويراد بيعه والانتفاع بثمنه فى اقامة مسجد كبير فى منطقة اخرى مجاورة حيث لا يمكن توسيع المسجد الصغير الحالى . فما حكم الشريعة فى ذلك .

م . ع . الكويت

الاجابة :

لا مانع شرعا من بيع المسجد الصغير والحال ما ذكر ، والانتفاع بقيمته فى اقامة مسجد كبير اخر بدله فى المنطقة المجاورة لان التصرف فى الاوقاف يكون باعتبار الانفع ومما لا شك فيه ان بناء مسجد اكبر فى منطقة مجاورة فيه المنفعة والمصلحة العامة للمسلمين.

وقد ورد فى الفتاوى الهندية نقلا عن الحلوانى ما نصه « يجوز ان يباع المسجد ويشترىبثمنه آخر » لذلك نفتيك بانه يجوز بيع المسجد المذكور واقامة مسجد آخر بدلا منه كما جاء فى السؤال .

الطلاق المعلق

السؤال :

حلف شخص وقال لزوجته « على الطلاق بالثلاث منك ما تدخلى بيتأختكلست اشهر واذا دخلت تكونين طالقة . وقد دخلته فعلا قبل انقضاء المدة علما بانه يقول انا أريد منعها من دخول بيت أختها ولا أريد طلاقها .

ح . ص . الكويت

فما حكم الشريعة .

الاجـابة :

قوله اذا دخلت بيت اختك فى مدة ستة اشهر تكونى طالقة ـ هذا القول من قبيل الطلاق المعلق ـ وطبقا لما عليه الفتوى فان كان قصده مجرد حملها على عدم الذهاب الى بيت اختها وتهديدها بالطلاق كيلا تذهب ، لا يقع بدخولها البيت طلاق اذا ذهبت ، وان كان قصده وقوع الطلاق اذا ذهبت يقع عند حصول الدخول ـ ويعتبر طلقة واحدة رجعية وله مراجعتها ما دامت فى العدة ـ هذا اذا لم يكن مسبوقابطلقتين قبلـــه .

فى الميراث

السـؤال :

توفيت امرأة عن بنت وام واخ لأم وعم شقيق .
فمن يرث ومن لا يرث وما نصيب كل وارث ؟

سيد احمد ـ دبى

الاجـابة :

بوفاة المتوفاة المذكورة عن بنت وام واخ لام وعم شقيق يكون توزيع تركتها على الوجه الاتى .

للبنت النصف فرضا وللام السدس فرضا لوجود الفرع الوارث وللعم الشقيق الباقى تعصيبا وهو الثلث ولا شىء للاخ لام لحجبه بالفرع الوارث وهو البنت .



اشراف رضوان البيلى

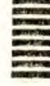
اليهود أخطر عدو للاسلام والمسلمين
كيف تم اجلاؤهم عن المدينة

اليهود مصدر شقاء وبلاء على العالم من قديم الزمان . لم يسلم من شرهم ومكرهم عصر من العصور ولا جيل من الاجيال ، وقد نكلت بهم النازية شر تنكيل ، وجعلتهم وقودا للنيران ، ولم تكد تمضى على الحرب العالمية الثانية بضع سنوات حتى كان عدوانهم الغاشم على فلسطين وهذه مؤامراتهم الأخيرة ضد العرب والمسلمين تكاد تؤذن بخراب الدنيا وفناء البشرية . ومعروف أن كثيرا منهم عاش فى المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف اتقى الرسول الكريم شرهم ، وحمى الاسلام والمسلمين من خطرهم .
مسلم

اليهود اخطر عدو للاسلام والمسلمين على ممر التاريخ ، وهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا بشهادة القرآن ، وقد عانى منهم النبى الكثير .. دسوا بين المسلمين وتآمروا مع المنافقين ،وحالفوا المشركين وظاهروهم ، وطعنوا المسلمين فى المدينة أكثر من مرة ، وكانت لهم تكتلات كبيرة فى المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أكبرها بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ويهود خيبر ، ولم يجد الرسول خطة لوقاية الاسلام من خطرهم الا باجلائهم عن أرض المدينة ، وقد تم هذا الاجلاء على دفعات تنفيذا لخطة سياسية نبوية محكمة .

* * *

كان اليهود يساكنون المسلمين فى المدينة ـ على دخن ـ رغم العهود والمواثيق التى عقدت بينهم وبين الرسول، والتى كانوا يتمتعون بموجبها بحريتهم الدينية ، وبالامن على أنفسهم وأموالهم .. ولما كانت موقعة بدر التى انتصر فيها المسلمون على مشركى مكة امتلأت قلوب اليهود بالغل والحقد ، وخافوا على أنفسهم وعلى مستقبلهم من ازدياد قوة المسلمين وامتداد سلطانهم، فبدأ تذمرهم



وبدات مناوشاتهم ومؤامراتهم ، وفاضت نفوسهم فلم تطق صبرا على محمد وأصحابه ، وحدث أن قدمت امرأة من العرب الى سوق اليهود من بنى قينقاع ومعها حلية من الذهب ، فجلست الى صائغ منهم وعرضتها عليه ، وكانت المرأة مستورة الوجه ، فاجتمع حولها اليهود يريدونها على كشف وجهها فامتنعت ، فجاء يهودى من خلفها ـ فى سر ـ فرفع طرف ثوبها بابرة شكها فى أعلاه ، فلما قامت المرأة انكشفت عورتها ، فضحكوا منها ، وهاج دم الغيرة على العرض فى عروقها فاستغاثت بالمسلمين ، فوثب مسلم على الصائغ فقتله واجتمعت اليهود على المسلم فقتلوه ، ونشبت معركة حامية بين عدد من المسلمين وبين يهود بنى قينقاع ، فأسرع رسول الله ليهدىء ثائرة الفتنة ، وطلب من اليهود أن يحافظوا على العهد الذى بينهم وبينه ، وأنذرهم ، وهددهم ان لم يكفوا عن القتال أن يقاتلهم ويهزمهم كما قاتل وهزم مشركى مكة فى بدر فكان هذا الانذار والتهديد من رسول الله الشرارة التى فجرت ما فى نفوسهم من حقد وغيظ ، فقالوا له . لا يغرنك يا محمد انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة . انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

وبهذه المقالة أفصحوا عن دخيلة نفوسهم ، وعما يبيتون للمسلمين من غدر وخيانة وأصبح الابقاء عليهم وموادعتهم من الخطر بمكان على الدعوة الاسلامية ، فلم يكن للمسلمين مفر من مقاتلتهم والتخلص منهم .

وخرج المسلمون ، فحاصروا بنى قينقاع فى دورهم خمسة عشر يوما . لا يخرج منهم أحد ، ولا يدخل عليهم أحد بطعام ، ولما اشتد الحصار عليهم أذعنوا ، وسلموا ، فأمرهم رسول الله بالجلاء عن المدينة ، فخرجوا منها تاركين سلاحهم ، وذهبوا الى وادى القرى حيث أقاموا فترة من الزمن ، ثم تركوا الوادى ، واتجهوا صوب الشمال حتى بلغوا أذرعات على حدود الشام . فكان اجلاء هذه الكتلة اليهودية اضعافا لسائر تجمعاتهم فى المدينة وما وراءها .



وبعد هزيمة المسلمين فى أحد شمت اليهود بهم ، وطمعوا فيهم ، وظنوا أن الفرصة مواتية لهم للنيل منهم والاجهاز عليهم ، وفكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر هؤلاء الخونة الغادرين الشامتين ، فذهب بنفسه الى يهود بنى النضير على مقربة من قباء ، وكان معه عشرة من كبار الصحابة من بينهم أبو بكر وعمر وعلى ، فاستقبلهم بنو النضير بالابتسامة الماكرة والبشاشة الخادعة ، وأوجس رسول الله فى نفسه شرا منهم لما رأى من حركاتهم وحديثهم المريب . رأى أحدهم وهو عمرو بن جحاش بن كعب يدخل البيت الذى كان رسول الله مستندا الى جداره فارتاب فى أمره ، وادرك أنه لا بد من مؤامرة تدبر له ، فترك الرسول المجلس ، ولم يخبر أصحابه بمقصده ، فظنوا أنه خرج لبعض أمره ، ولما استبطأوه قاموا يبحثون عنه ، فلقيهم قادم من المدينة وأخبرهم بأن رسول الله فى مسجده ، فذهبوا اليه فذكر لهم ما رابه من أمر اليهود ، وأنهم اعتزموا الغدر به وقتله غيلة ، وعلى أثر هذا

استدعى رسول الله محمد بن مسلمة ، وقال له . اذهب الى يهود بنى النضير ، وقل لهم . ان رسول الله أرسلنى اليكم ان اخرجوا من بلادى . لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى . لقد أجلتكم عشرا فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه . وانقضت الايام العشر ، ولم يغادروا ديارهم ، فأخذ المسلمون السلاح ، وساروا اليهم ، وقاتلوهم عشرين ليلة ، وأمر رسول الله أصحابه أن يقطعوا أمل الاعداء فى البقاء فى ديارهم بقطع نخيلهم واحراقه ، وجزع اليهود لذلك ، ونادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال أصحابك يقطعون النخيل ويحرقونها ، فنزل قول الله تعالى « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبأذن الله وليخزى الفاسقين » .

وخرج بنو النضير من ديارهم بعد أن خربوها بأيديهم وأيدى المؤمنين . تاركين وراءهم للمسلمين مغانم كثيرة من مؤن وسلاح .

وكان جلاء بنى النضير ضربة قاصمة لحلفائهم من المنافقين الذين واعدوهم على نصرتهم ، وبهذا الجلاء اطمأن المسلمون فى المدينة بعض الاطمئنان وفى هذا يقول الله عز وجل « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الاخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب » .

* * *

وكشفت غزوة الاحزاب التى تألبت فيها جموع الكفر على المسلمين فى المدينة عن طبيعة الخيانة المتغلغلة فى البقية الباقية من اليهود ، وثارت فى نفوسهم عوامل الغل الدفين ودوافع الثأر لبنى جنسهم من بنى قينقاع وبنى النضير ، وفزع المسلمون للمؤامرة المحكمة التى دبرها بنو قريظة مع المشركين للاطاحة بهم وابادتهم ، وبينما كانت أحزاب الكفر تطوق المدينة كان بنو قريظة فى داخلها على أهبة النزول من حصونهم وطعن المسلمين من الخلف بعد أن قطعوا عنهم المؤونة ، وفتحوا الطريق أمام الأحزاب المهاجمين ولولا أن حماية الله أدركت رسوله ومن معه بعد أن زاغت منهم الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، فعصفت الريح ، وقصف الرعد ولمع البرق وهطل المطر ، واشتدت العاصفة فاقتلعت خيام العدو ، وكفأت قدورهم لولا هذه الحماية الالهية لنفذ اليهود مخططهم بطعن المسلمين فى ظهورهم . ولهذا صمم رسول الله بعد رحيل الأحزاب على القضاء على بنى قريظة ، واستئصال شأفتهم ، فأمر مؤذنا فأذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا ببنى قريظة ، فخف المسلمون حتى أتوا حصون عدو الله وعدوهم ، فضربوا حولها الحصار خمسا وعشرين ليلة ، ولما أيقن الأعداء أن حصونهم لن تغنى عنهم من الله شيئا ، وانهم لا محالة واقعون فى قبضة المسلمين — بعثوا الى رسول الله يطلبون منه أن يسمح لهم بالخروج الى أذرعات تاركين كل ما يملكون ، فأبى عليهم ذلك ،



فطلبوا منه أن يحكم بينهم وبينه سعد ابن معاذ ، فقبل رسول الله حكم سعد فيهم ، فتقدم سعد وأخذ المواثيق على الفريقين أن يرتضوا قضاءه،ويستسلموا لحكمه ، فلما أعطوه المواثيق أمر بنى قريظة أن ينزلوا من حصونهم ، وان يضعوا السلاح ففعلوا ، فحكم سعد فيهم أن تقتل جنودهم ، وتسبى ذراريهم ونساؤهم ، وتقسم اموالهم ، فلما سمع رسول الله هذا الحكم قال . والذى نفسى بيده لقد رضى بحكمك هذا الله ورسوله والمؤمنون . ثم خرج الى سوق المدينة ، فحفرت الخنادق ، ثم جىء باليهود فضربت أعناقهم ، وفى هذه الخنادق أهيل عليهم التراب . . وهكذا كان حكم سعد جزاء عادلا اذ لو تم النصر للأحزاب على المسلمين بخيانة اليهود لما تركوا مسلما الا قتلوه ، ومثلوا به ، فجازاهم الله بمثل ما كانوا يريدون .



بعد القضاء على التكتل اليهودى باجلاء بنى قينقاع عن محلتهم ، وبنى النضير عن حصونهم ، وبالتنكيل ببنى قريظة بقى أمام المسلمين تكتل يهودى آخر لا بد من القضاء عليه حتى لا تقوم لهم ببلاد العرب قائمة ، ولا بد من الاسراع فى تنفيذ هذا حتى لا يكون عنصر الزمن عائقا ، ولهذا بعد عودة الرسول من الحديبية لم يمكث فى المدينة الا قرابة شهر ثم أمر المسلمين بالتجهز لغزو خيبر ، وانطلق فى ألف وستمائة مجاهد ، وقطعوا مراحل الطريق ما بين المدينة وخيبر فى ثلاثة أيام ، وباغت المسلمون جموع اليهود فى خيبر ، وكانت من أشد الطوائف الاسرائيلية عداوة وبأسا ، وأوفرها مالا ، وأكثرها سلاحا ، ووقعت المعركة ، واستمات اليهود فى القتال ، ولم يفرطوا فى شبر من الارض الا بعد قتال مرير ، ولم تغنهم قوتهم ولا كثرتهم من الله شيئا ، فسقطت حصونهم حصنا بعد حصن فى ايدى المسلمين ، وكانت منعة هذه الحصون تزيد الحرب ضراوة وشدة .

وهكذا ذل اليهود فى بلاد العرب ، واضطروا الى مغادرتها ، وتم جلاؤهم عنها فى حياة الرسول القائد العظيم .

من هذا العرض التاريخي السريع ومن الواقع المؤلم يتضح أن اليهود شر الدواب عند الله وأنهم جنس يتميز فى خسته ، ولؤمه وغدره ، وأنهم أعداء لكل المبادىء والمثل . أعداء للانسانية كلها ، بل أعداء الملائكة الله الذين ليسوا من جنسهم ، ولقد شهد القرآن بهذا ـ فقد روى أن نفرا من اليهود سألوا رسول الله . من يأتيك بالوحى . فقال جبريل. قالوا هذا عدونا ، فنزل قول الله عز وجل ((قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين . من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين)) .

ومن النظر فى القرآن الكريم يتبين أن الجنس اليهودى القذر لا تجدى معه الملاينة أو المهادنة وأنه لا يخضع الا للقوة والقهر ، وحسبك أن الله عز وجل هددهم برفع الجبل فوقهم قال تعالى ((واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا)) وقال ((واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة)) .

وليس أمام المسلمين الا طريق واحد لاستنقاذ بلادهم وحقوقهم من اليهود المجرمين . ليس أمامهم الا القوة والقوة وحدها .



يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

ذكريات في شهر ربيع الأول

بعث الاستاذ عبد المنعم البحقيرى المدرس بمدرسة نوسا الغيط ج . ع . م بكلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

عندما يقبل شهر ربيع الاول تقبل ذكريات معه طيبة الى نفوسنا عزيزة على المسلمين جميعا ولها أثرها فى تاريخهم وحياتهم .. هذه الحوادث غيرت وجه التاريخ وقررت حقوق الانسان وخلصت الانسانية من الاغلال والقيود وبنت صرح الحضارة الاسلامية الزاهرة وشاركت مشاركة بناءة فى حضارة العالم أجمع .

ففى مثل هذا الشهر من عام الفيل سنة ٥٧٠ من ميلاد السيد المسيح وفى يوم الاثنين الثانى عشر ولد محمد صلى الله عليه وسلم ... وبمولده تحررت العقول والقلوب من دعاوى الجهل والفساد والوثنية .

وفى مثل هذا الشهر كانت دعوته الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ومؤذنا بعهد جديد وثورة على الشرك ودعوة الى التوحيد ونشر مبادىء الاخلاق الفاضلة وتنظيما لعلاقة الحاكم بالمحكومين وعلاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض فى ظل الحرية والمساواة والاخاء والتراحم والبر والتعاون والحب والاتحاد والالفة والتكافل والتضامن .

واذا تتبعنا الحوادث التى اختص الله بها هذا الشهر العظيم نجد حادث الهجرة ، وكان الجهاد من أجل نشر الدعوة ، وكانت الرسالة بأجل معانيها ، وكان الايثار والتضحية . لقد كانت الهجرة ايذانا بانتشار الدعوة ورحمة للناس وتخليصا لهم من القيود العتيقة فلولا الهجرة لظل الاسلام غريبا فى وطنه يتيما بين أهله ولظل العالم على وثنيته الضارية والجاهلية الجهلاء والفساد الشامل ومن هنا انتشر الاسلام وارتفعت رايته فوق البشرية ، **ومن هنا نعلم أن الصبر والكفاح والجهاد أسلحة لازمة للمؤمن كى يحقق أهدافه .. فأصبح الاسلام الذى كان يؤمن به قلة دين العالم ويصبح عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الاطلسى ويقول (اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا فى سبيل اعلاء كلمتك اللهم اشهد) . ويصحيح قتيبة الباهلى وهو يشد أزر جنوده فى مواصلة الفتح (بثقتى بنصر الله أوغلت واذا انقضت المدة ـ لم تنفع العدة) قال قتيبة هذا الكلام عندما نصحه أحد جنوده قائلا . لقد أوغلت فى بلاد الترك يا قتيبة والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر ثم نجد نفس السائل المشفق يقول بعد اجابة قتيبة على اشفاقه . اسلك سبيلك يا أخى حيث شئت فهذا عزم لا يفله الا الله .**

وفى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر

ربيع الاول للسنة الحادية عشرة للجهرة لحق محمد بالرفيق الاعلى . توفى الرسول بعد ان ترك لنا ميراثا عظيما انها الديانة السمحة والشريعة الاسلامية الغراء .. والدستور الخالد كتاب الله الكريم خير زاد وأعظم هدى .

الإسلام رسالة عالمية

وتحت هذا العنوان كتب الاستاذ محمد التقى من العراق يقول :

الاسلام رسالة عالمية تتسع لكل الافاق فى كل العصور لا تحددها العنصريات ـ والقوميات . ولا تقيدها الظروف والبيئات .

وليس هناك أى رسالة تتوفر فيها شروط العالمية بمقدار ما تتوفر فى هذا الدين العظيم ـ الذى يجمع الانسانية على صعيد واحد ويسيرها الى غايات واحدة ـ واهداف مشتركة ... ثم يقول :

وههنا سؤال يعرض لنا . من المسئول عن هذه الرسالة العالمية ان يبلغها الى الدنيا العريضة ـ وينجز أهدافها الكبيرة ـ من ذا الذى يجب عليه أن ينشر تعاليم هذه الرسالة فى أرجاء هذا الكون الفسيح الصاخب بشتى اللغات والعادات ـ ومختلف العناصر والعصبيات ـ من ذا الذى يلزم . ان يحمل النور الى تلك الكهوف الحالكة التى تحجرت على ابوابها قذارات اجيال وعادات قرون من ذا الذى يبعث هذا الضياء الهادى البهى ـ فى الافاق الملبدة بسحب تراكمت بعضها فوق بعض ـ آفان مليئة بالضلال والظلام .

ان مسئولية الدعوة الى رسالة عالمية كالاسلام ـ أضخم واجل مسئولية يعرفها الفكر البشرى ـ منذ ان كان والى ان يكون ـ ذلك لان الاسلام ليس رسالة روحية ـ تعنى بشئون النفس البشرية فقط ـ ولا مبدءا سياسيا يرضى من انصاره وتابعيه مجرد الانتماء اليه فحسب ـ ولا هو مجرد تعاليم فلسفية ـ تصوغ فكر الفرد طبقا لاتجاهاتها ثم تدعه لشأنه ـ ولا هو مناهج ادارية ـ تطبق على الحياة الاجتماعية ـ لا غير ـ بل هو دين شامل لجميع مناحى الحياة ـ وجميع احوالها .

فلذلك تكون مسئولية الدعوة اليها عظيمة بالنظر الى تلك الشمولية التى يمتاز بها هذا الدين .

فمن هذا الذى يفرض عليه القيام ـ بهذه المسئولية الهائلة الضخمة ؟

انى ادعك الآن تستمع الى اى من الكتاب يقول لك بارئك الجواب المبين .

« كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف ـ وتنهون عن المنكر ـ وتؤمنون بالله » .

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

ان مسئولية الدعوة ليست محدودة بأفراد أو طوائف معدودين او ظروف أو بيئات خاصة . انها تثقل كاهل اى فرد مؤمن يصدق بالله ورسوله من كان وأنى كان .. ان الامة الاسلامية أخرجت الى الوجود لكى تكون ـ « خيرا للناس » يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

يا يوم مولده

ومن قصيدة للاستاذ احمد عبد اللطيف حسب الله المدرس بمدرسة كفر الدوار الصناعية ـ ج . ع . م نقتطف هذه الفقرات .

صونوا حماه فهذا يوم مولده
وكرموا هذه الدنيا بمشهده
ما أجمل الحق اذ يزهى بطلعته
ويا سنى الفجر اذ يهفو لموعده
محمد .. والدجى يرنو ويرقبه
يبغى صفاء الهدى من عذب مورده
تلك البلابل فى الآفاق تنشده
حلو الاغانى بأنغام على يده
وصادقت نجمة تهوى الخلود وقد
طاب الخلود على ذكرى محمده



يا يوم مولده انا على القدر
نسعى بعزم كريم صادق الخبر
فاعطف وجمع على الازمان أمته
فكم طغى من عداها راكب الخطر
فأنت نور الضحايا حسن مشرقه
نمشى اليه بأقدام من البصر
وسوف نحيى على ذكراك عزتنا
وسوف نمضى بوجه عاقد الظفر
أرض العروبة ارض المجد غايتها
« طه » ومن يهو فليتبع على الاثر

قالت صحف العالم

متى الجولة الثانية ؟

***هل انتهى كل شيء ؟**
*** هل هدأت نيران الحرب ؟**
*** هل يتراجع اليهود الى ما وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٤٨ ؟**
*** كيف تكون نتائج مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة ؟**
*** متى موعد الجولة الثانية مع اليهود**

هذه المجموعة من الاسئلة طرحتها مجلة السياسة الاسبوعية الكويتية وناقشتها وأجابت عليها وفيما يلي نقتطف الفقرة التالية من المقال .

مهما كانت عليه نتائج مناقشات الجمعية العامة . ومهما ستكون عليه نتائج لقاء الدول الكبرى فى نيويورك فان على العرب أن يخططوا لمستقبل واحد ، ولنتيجة واحدة . الحرب مع العدو الصهيوني .

فقد توفر لدى الدوائر العربية معلومات تقول انه من الافضل مئة مرة للعرب أن يقبلوا بواقع الحال الى حين من أن يقبلوا بتسويات قد تطيل فى عمر ضياع النكبة ، وتطيل فى عمر ضياع فلسطين .

كيف هذا ؟ .

بعض الدوائر العربية تقول أن حربنا مع اليهود قائمة ، ولا يعني أن احتلال اليهود لقسم من أراضينا أن الحرب انتهت . فالمعروف أن الحرب جولات ومعارك وكر وفر ، والمهم هو النتيجة النهائية اذ أن من يضحك كثيراً يضحك أخيرا .

يعنى هذا الكلام أيضا أنه أمام العرب الآن مهمات عاجلة بدأوا يتحركون لتنفيذها، ولعل أهم هذه المهمات هى تدعيم الجهد العسكرى العربي وتوحيده ، ودراسة كافة الاسباب التي أدت الى خسارة معركتنا السابقة .

فلقد تبين للدوائر العربية أن العمل العسكرى وحده هو القادر على حسم الموقف، وهو القادر على انهاء أسطورة اليهود ، وأسطورة بقائهم .

ومن هنا جاء التركيز على أن شيئا ما لا يجب أن نلهث وراءه الآن فى خارج النطاق العسكرى اذ أن الجلاء اليهودى عن الآراضى العربية ليس هاما بالقدر الذى نخطط له نحن ونبني ، وهو ازالة كل الوجود الاسرائيلي المزعوم من فلسطين العربية .

فمهما كانت عليه مناقشات الامم المتحدة ، ومهما كانت نتائجها فان شيئا ما لم يتغير بالنسبة للعرب ، وأن أى تسوية مع اليهود ستكون مرفوضة من الآن ، ولن يكون بين العرب واليهود قضية سوى الحرب حتى نهايتها ولتكن النتائج بعدها ما تكون .

استمرار المعركة

ليس فى مصلحة الاستعمار

وتحت هذا العنوان كتبت صحيفة الاهرام القاهرية تقول :

أبرزت تجربة الجولة الاولى لحربنا الشاملة ضد العدوان الاستعمارى الصهيوني طبيعة النضال الذى نخوضه اليوم .. فالمعركة سياسية شعبية طويلة الاجل وليست موقعة حربية قصيرة الامد ، قواها ـ الرئيسية هي قوى الشعب العامل فى الوطن العربي من الخليج الى المحيط ، تلك القوى التي تزداد تماسكا وتلا حما وتصميما على مواصلة القتال وتسخير كل سلاح تملكه فى خدمة قضية التحرير العربي .

أن الاستعمار وحده وبعض أبواقه هم الذين يصورون المعركة منتهية ، وان كسب قطعة من الارض أو جولة حرب أو خسارة بعض العتاد الحربي يعني نهاية المطاف للامة العربية وحركة التحرر العربي ، وهم يهدفون من ذلك الى اشاعة روح التخاذل واليأس . حتى يبدأوا المساومة من موقع يتصورونه موقع قوة ، الا أنهم يدركون أنه موقع قوة وقتى وزائل ، فيعملون على التعجيل بالاستفادة منه ، لانهم أيضا يعلمون أن استمرار المعركة سيقلب الوضع رأسا على عقب ، ويفزعهم أشد الفزع ذلك الاجماع العربي ـ الذى لم يسبق له مثيل فى التاريخ العربي ـ علـى مواصلة النضال حتـى النصر ، والاستعمار يدرك اننا نملك من الاسلحة الفعالة ما يكفل لنا تحقيق أهدافنا ويضمن القضاء على نفوذه وقواعده العسكرية وفى مقدمتها اسرائيل ، وكذلك فهو يحشـد كل جهوده ، ويسخر كل طاقاته لوقف المعركـة فى حدودها الحاليـة ، ليمنعنا من استخدام ما نملكه من أسلحة متعددة جبارة فى مواجهة مخططه وعدوانه الصارخ .

ومن هنا يجب أن نتنبه الى أبعاد المؤامرة الاستعمارية فى شكلها الجديد وأن نعمل على افسادها ودحرها ، بالا نسمح بأى حال من الاحوال بهبوط المستوى الحالى لحرارة المعركة وشمول التعبئة بل أن نرفعها الى مستويات جديدة تتمشى مع متطلبات الموقف .

نريد وحدة

تبني على العقل

نشرت صحيفة الرأى العام الكويتية كلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

الآن عاد حديث الوحدة العربية من جديد ، وهو حديث يتنسم العربى منذ ولادته انفاسه الطاهرة المقدسة . فالعربى ، من المحيط الى الخليج ، يفتح عينيه ليقرأ كلمة الوحدة وينصت باذنيه ليسمع كلمة الوحدة ، حتى باتت الوحدة العربية حقيقة من حقائق حياتنا وأمرا بدهيا من أمور تفكيرنا وخطا عميقا فى ضمائرنا .

ولان الوحدة على هذه الدرجة الممتازة من القداسة والايمان والضرورة فانها تتطلب من الانسان العربى مسئولا أو مواطنا ، أن يدرك أبعادها ويتلمس طريقها تلمسا واعيا يقفز فوق الانفعال ويتعداه .

ومنذ ثلاثين سنة ونيف انطلقت الدعوة لتحقيق الوحدة ، حتى اذا قطفت أول

ثمارها ، كانت الآلام وكان الاعتراف بأن المخاض لم يكن كاملا وبذلك لم يكن الوليد صحيح البنية مكتمل العنفوان والعافية .

واليوم تنطلق الدعوة للوحدة مجللة بالجراح النازفة فتلقى صدى الايمان بضرورتها ، ولكنها مع الاسف تكاد توحى لنا بأن انطلاقها بالقواعد المقترحة وهى كثيرة ، لم يفد من تجارب الماضى ، ولا زادته المحن ادراكا علميا لمعالم طريقها .

ان الوحدة لا تقوم بموجب طلب أو ميثاق . ان الوحدة يجب أن تعتمد التجربة طريقا لاكتشاف الخطأ والصواب ، وأن تعتمد العقل الواعى المدرك الصادق حكما وحيدا فى اختيار طريق الوحدة وشروط قيامها قياما دائما لا يسقط أمام النكسات مهما كبرت ولا يقع تحت الضربات مهما قست وتعاظمت .

الوحدة الوحدة، هذا نداء ضميرى لا يجوز تعريضه للتسرع والارتجال حتى لا نسجل بذلك على أنفسنا أننا قد أجهضنا هدفا آخر من أهداف الانسان العربى فى بناء حياته الجديدة .

الثرثارون

ونشرت صحيفة الشعب البيروتية تحت هذا العنوان الكلمة التالية :

اذا كان للعدو مصلحة فى اطلاق الشائعات ، فأية مصلحة لنا فى حملها ونشرها وترديدها ..

نأسف جدا أن نجد بعض الثرثارين ينقلون أخبار العدو من حيث لا يدرون أنها صادرة عنه .. ثم يبنون عليها احكاما خاطئة وينتهون الى نتائج مؤسفة ..

ان الظرف الدقيق الذى تمر به البلاد العربية بعد النكسة يتطلب من كل فرد عربى أن يكون واعيا لمكائد العدو ودسائسه ، فالقيادة العربية لن تترك الاخطاء التى وقعت تمر بدون عقاب ، ولا هى بمتساهلة مع أى اهمال صدر .

ولكن المؤامرة التى دبرت فى ليل حالك السواد ، على صعيد دولة ، كانت فوق طاقة القدرة التى يتمتع بها العالم العربى .

فالضربة الغادرة وقعت تحت سمع المستعمرين الكبار وبصرهم ، بل وتحت قيادتهم المتآمرة المتأمركة .

وتلقى العالم العربى الضربة بصدر مؤمن ، ضحى بالكسب العسكرى ، مؤثرا أن يصاب بنكسة عسكرية علي أن يصاب بكلمة الشرف التى قطعها أمام الدنيا .

لقد كسب العالم العربى احترام الدنيا ، دنيا الاخلاق والمبادىء والمثل .

وخسرت أميركا سمعتها ، وأصبحت دولة لصوص وعصابات وقطاع طرق ..

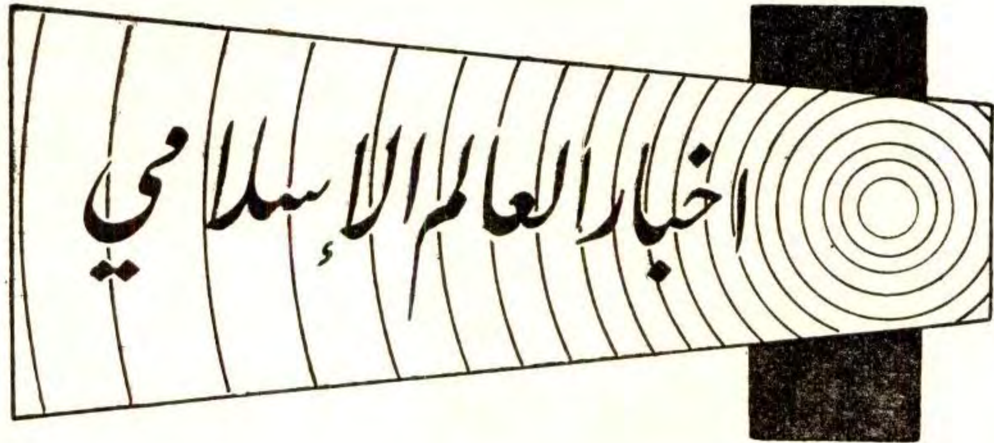
ان الربح المعنوى الذى كسبه العالم العربى من هذه النكسة قد بلغ شأوا بعيدا من المكاسب الانسانية ، ذات المزايا الرفيعة .

أما الخسارة العسكرية فهى خسارة معركة جانبية وهى ليست بخسارة اذا قيست بنتائجها التى تعدها الايام المقبلة .

ان الامم لا تقاس حياتها بالسنين والايام بل بالقرون والاجيال .

لقد خسرت أميركا فى هذه الايام كل ما بنت من أمجاد فى غابر السنين والقرون ، بينما ارتفعت سمعة العالم العربى الى السماء ..

عندما يقيم العالم غدا وزن الدول بأخلاقياتها تأتى أميركا فى أسفل سافلين ..
وترتفع مكانة العالم العربى لتصبح أكبر من أن تنال منها نكسة عابرة غادرة ..
ولا بد للعدو أن يجلو عن أرضنا المقدسة .



اعــداد
عبد المعطى بيومى

ظهر العدد الماضى بينما كانت قضية فلسطين ـ أو ازمة الشرق الأوسـط كما يسميها الغـرب تمويها ـ على وشك الانفجار .

ولكن بدأ عدوان اسرائيل على المتحدة والاردن وسوريا فى الخامس من يونيو وكشفت اللحـظات الأولى عن مؤامرة غربية واسعة النطاق مع اسرائيل ضد الدول العربية .

وفى يوم الخميس ٨ يونيو قرر مجلس الأمن وقف اطلاق النار بعد فشله فى ادانة اسرائيل ، وانتقل الأمر الى الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث قدم الرئيس السوفيتى مشروعا يقضى بادانة العـدوان الصهيوني والانسحاب الى ما وراء خطوط الهدنة لعام ١٩٤٨ ودفع تعويضات للدول العربية . ولا تزال جلسات الأمم المتحدة مستمرة لمناقشة هذه القضية حين كتابة هذه الاخبار .

الكويت

ما أن وصل نبأ العدوان حتى دعى مجلس الامة فورا للانعقاد واعلن صاحب السمو أمير البـلاد المعظم قيام الحرب الدفاعية ضد العصابات الصهيونية واعلان الاحكام العرفية كما صدرت الأوامر بتوقف ضخ النفط نهائيا ، وحرمان بريطانيا وامريكا منه بعد تواطئهما مع دولة العدوان .

دعت الكويت الى عقد مؤتمر عاجل لوزراء الخارجية العرب حيث عقدت منه جلسة واحدة فى مساء ١٧ يونية ، ثم انتقل الاجتماع الى نيويورك ليتسنى لهم الاشتراك فى مناقشات الأمم المتحدة .

بعثت الكويت بامدادات ضخمة من المواد الغذائية والطبية الى الأردن .

خصصت حكومة الكويت مبلغ (٢٥) مليون جنيه استرلينى لمساعدة الدول العربية المعتدى عليها .

تبرع أعضاء مجلس الوزراء ومجلس الامة كل منهم براتب شهر كامل للمجهود الحربى العربـى كما تكونت لجان شعبية لجمع التبرعات وقامت كل وزارة بتكوين لجنة يراسها الوزير لهذا الغرض .

الجمهورية العربية المتحدة

أدلى الرئيس جمال عبد الناصر ببيان تفصيلي عن العدوان ثم عدل عن استقالته بناء على رغبة الشعب . وقد شكل سيادته وزارة جديدة برياسته .

زار القاهرة رئيس جمهوريات الاتحاد السوفيتي لاجراء مباحثات مع الرئيس عبد الناصر حـول الوضع الراهن كما زار القاهرة رئيس أركان الحرب السوفيتي مع وفد عسكرى .

أصدر شيخ الأزهر بيانا يحث فيه المسلمين على الجهاد فى سبيل الله وانقاذ المقدسـات الاسلامية من يد الصهاينة كما أصدر المجمع الأعلى للبحوث الاسلامية برئاسة فضيلة شيخ الأزهر نداء الى جميع مسلمي العالم بمعارضة فكرة تدويل القدس أو ضمها لاسرائيل . وارسل برقية بهذا المعنى الى يوثانت

اقرأ فى هذا العدد

العـــراق

قطعت العراق نهائيا النفط عن امريكا وبريطانيا كما قطعت علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية بين هاتين الدولتين . كما سحبت أرصدتها بالاسترليني من بنوك امريكا وبريطانيا .

صدر فى العراق ميثاق وطنى وقعته كل الفئات الوطنية ، وقد افرج عن المسجونين السياســيين

ســـوريا

فى بدء العدوان دمر الجيش السورى كثيرا من المستعمرات الاسرائيلية الشمالية حتى صفد ردا على العدوان الاسرائيلي وقد استمر القتال فى الجبهة السورية حتى يوم الاثنين ١٢ يونيو حيث استخفت اسرائيل بقرار وقف اطلاق النار .

اكد الدكتور يوسف زعين ان موضوع المحادثات المباشرة او غير المباشرة مع اسرائيل مرفوض شــكلا وموضوعا والى الأبد .

زار الرئيس السوفيتى بودجورنى سوريا والعراق واجرى مباحثات هامة

الأردن

دعا الملك حسين الى عقد مؤتمر عاجل للقمة العربية وقد وافقت غالبية الدول العربية الا أنه لم يحدد موعده بعد والمنتظر انعقاده بعد انتهاء مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة .

سافر الملك حسين الى نيويورك والقى خطابا فى الجمعية العامة تحدث فيه عن مدى وحشية العدوان الصهيوني . وقد اجتمع بالرئيس جونسون كما اجتمع بهارولد ويلسون .

الجزائـــر

بعثت الجزائر بقوات جوية وبرية للاشتراك الى جانب شقيقاتها العربيات فى تحرير فلسطين .

سافر الرئيس هوارى بومدين الى حيث اجرى مباحثات هامة مع الزعماء السوفييت .

قطعت الجزائر علاقاتها مع امريكا وبريطانيا كما قطعت النفط والغاز عنهما .

دعا السيد بوتفليقة وزير الخارجية الى استمرار قطع النفط عن امريكا وبريطانيا لمدة عام .

السعوديــة

قدمت السعودية مواد غذائية وطبية للآجئين فى الأردن ..

اوقفت السعودية اثناء المعركة ضخ النفط

الســـودان

اعتقلت سلطات الأمن السودانى عددا من الجواسيس حيث ضبط معهم بعض اجهزة اللاسلكى وخرائط لجميع مطارات السودان . كما سحبت السودان ارصدتها من انجلترا .

تـــونس

بعثت الحكومة التونسية بقوة لتشترك فى الحرب ثم عادت فور وقف القتال قبل وصولها للميدان .

ينتظر بدء العلاقات الدبلوماسية رسميا بين المتحدة وتونس قريبا وكذلك مع الدول العربية الاخرى .

ليبيا : قدم رئيس الوزراء استقالته ! ! وكانت ليبيا قد أوقفت ضخ النفط .

عدن : اشتدت الثورة العربية ضد بريطانيا فى عدن والجنوب وقتل عدد كبير من الجنود البريطانيين لم يسبق له مثيل .

باكستان : وقفت الباكستان موقفا مشرفا بالنسبة للقضية الفلسطينية وقد عرض الرئيس ايوب خان المساعدات المادية على العرب ابان القتال كما صرح وزير الخارجية السيد شريف بير زاده فى الجمعية العامة ان باكستان مرتبطة بالعرب بتراث خالد هو الاسلام ، وانها تدخل طرفا فى النزاع فى قضية فلسطين ، وقد أعلن المسلمون فى الهند والدول الشرقية شعورهم الفياض نحو الدول العربية ..

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص ب ٢٢

جـده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص ب ٦٣٥

بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ـ ص ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السـودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنـان . مكتبة كررى ص ب : ٣٠٣

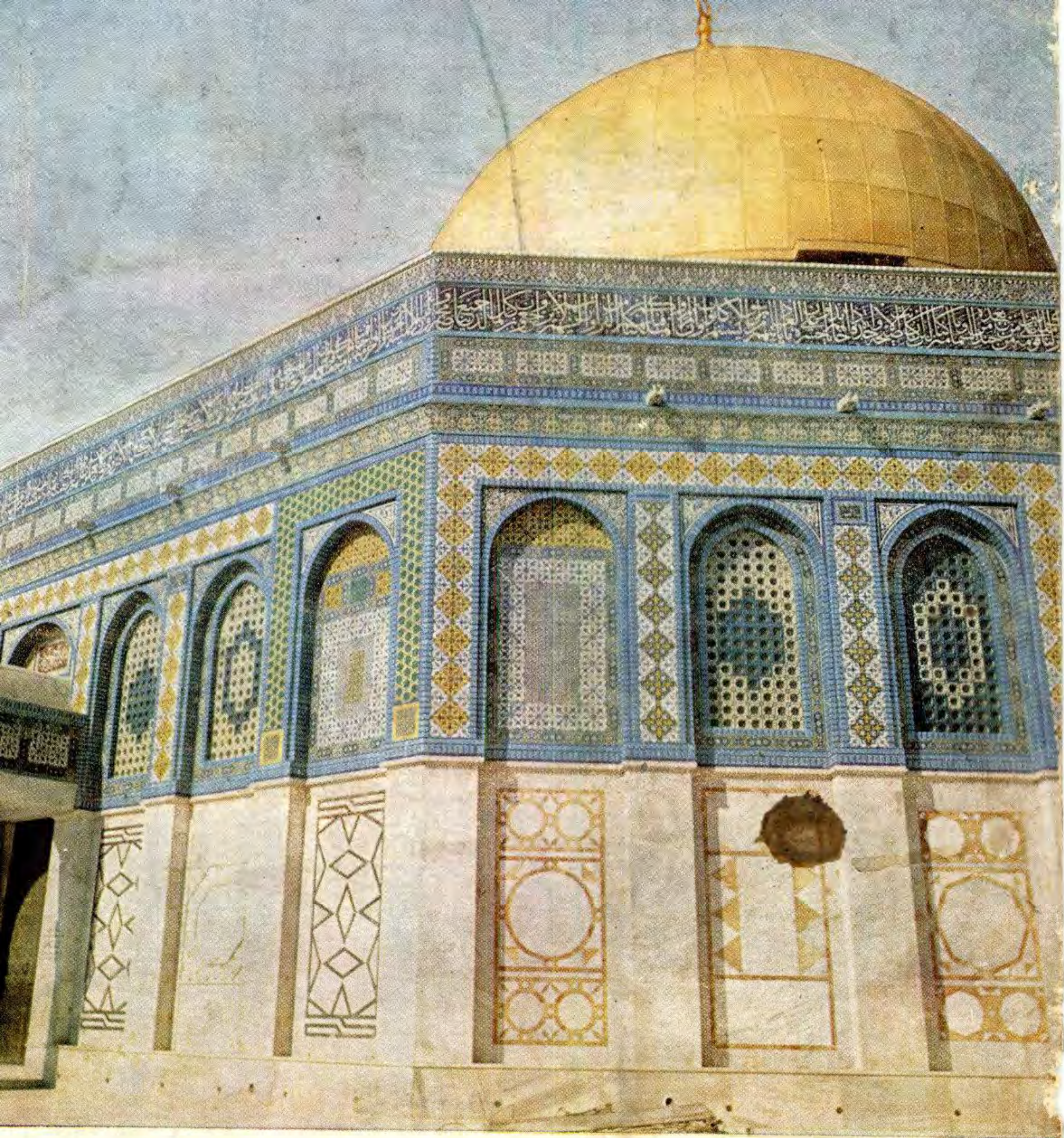
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ■ العدد التاسع والعشرون ■ غرة جمادى الاولى ١٣٨٧ هـ ـ ٧ أغسطس ١٩٦٧ م

وأطيعوا الله ورسوله
ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم
واصبروا إن الله مع
الصابرين

صدق الله العظيم



الحرم الابراهيمي الشريف بمدينة الخليل

يعتبر الحرم الابراهيمي الشريف من الآثار الاسلامية العظيمة ، وقد بني فوق مغارة تشتمل على قبور طائفة من الانبياء . ويحيط بالحرم سور مبنى بالحجر الضخم بناء هندسيا يثير الدهشة ويبلغ طول بعض الحجارة من ٥ ــ ٧ أمتار طولا فى متر ونصف عرضا ، وفوق السور منارتان .

ت ٦ ١

٣ ، الشمالية

صورة الغلاف

واطيعوا الله ورسوله
ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ريحكم
واصبروا ان الله مع
الصابرين صدق الله العظيم

وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشــلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين .

سورة الانفال آية « ٤٦ »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد التاسع والعشرون ـ السنة الثالثة

غرة جمادى الاولى سنة ١٣٨٧ هـ
٧ أغسطس (آب) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

الحق المغتصب بالمدفع يُستعاد

تصريح لسعادة وزير الإرشاد والأنباء

فى تصريح لصاحب السعادة الشيخ جابر العلي السالم وزير الارشاد والانباء لشركة الانباء الاقليمية . قال سعادته :

ان حرب الشرق الاوسط الاخيرة اعادت الى اذهان دول العالم وخاصة الدول الكبرى خطورة مغبة تكريس العدوان واضفاء صفة الشرعية عليه ، وقال ان الحق الذى يغتصب بالمدفع يستعاد ولو طال الزمن .

وأضاف سعادته قائلا : ان على جميع المسلمين أن يجمعوا صفوفهم ، ويوحدوا كلمتهم ويهبوا هبة رجل واحد لانقاذ مدينة القدس من الصهيونيين المعتدين .

وقال ان الوقت قد حان لكي تنادى الدول الاسلامية لاتخاذ موقف موحد وحازم يرغم الصهيونيين ومن وراءهم على التراجع عن أية خطط ترمي الى تدويل القدس ، أو تعديل وضعها السابق .

ودعا سعادة وزير الارشاد والانباء جميع الدول العربية الى اعادة النظر فى أجهزتها الاعلامية وانتهاج سياسة اعلامية واقعية وواضحة . وأكد أن اجهزة الاعلام فى الكويت مقبلة على مخططات موضوعية ، وستنتهج نهجا علميا يقوم على أساس ايصال الحقائق للذهن العربي بصدق وأمانة ووضوح .

واختتم سعادة الشيخ جابر العلي السالم تصريحه قائلا :

((انه بات من واجب المسئولين عن اجهزة الاعلام العربية العمل بجدية وسرعة لوضع سياسة اعلامية سليمة من شوائب الماضي ، تكون عاملا جوهريا فى توحيـد الجهد العربي أينما كان)) .

وسعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلاميّة يتحدّث عن

دور الكويت في المعركة

وقد وجه مندوب صحيفة الرأى العام الى سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية هذا السؤال :

ما هو الدور الذى تقترحونه سعادتكم كى تقوم به دولة الكويت مشاركة بذلك الدول العربية الشقيقة والاسلامية حيال ما تمخض عنه العدوان الاخير من انتهاك للمقدسات والحرمات فى القدس الشريف ، وضم هذا البلد المقدس لدويلة العصابات الصهيونية ولانقاذها من براثنها ؟

فقال سعادة الوزير :

لقد اعلنت دولةالكويتعلىلسانأميرها المعظموسمو وليالعهد انها فىمقدمةالبلدان العاملة من أجل تحرير الوطن السليب باذلة أقصى جهدها ومرخصة الاموال والارواح فى سبيل الذود عن مقدسات المسلمين ، وقد ترجم هذا القول الى فعل تمثل فى الكتائب التى جهزت والاموال التى جمعت والاجراءات التى اتخذت . وهى لن تكتفى بما قدمت بل لا زالت على استعداد لبذل المزيد من التضحيات ، وتقديم الكثير من المعونات التى تفرضها عليها طبيعة المعركة وتمليها عليها روابط العقيدة والاخوة .

والدور الذى يجب أن تؤديه الكويت مع شقيقاتها العربيات هو اذكاء روحالحماس الدينى ، وبعث معانى الرجولة وحب الفداء والاخذ باسباب المادية والمعنوية التى من شأنها ايجاد الامة المكافحة . والارتفاع بالقضية الى مستوى العمل المثمر الى الافق الاسلامى الواسع ، واشراك العالم الاسلامى فيها باعتبارها قضية المسلمين جميعا .

وقد برهنت الاحداث الاخيرة عن تجاوب مشاعر المسلمين ، وتلبيتهم دعوة الجهاد فى سبيل تحرير مقدساتهم الاسلامية ، واسترداد حقوقهم المسلوبة .. والله نسأل أن يسدد خطى المسلمين الى ما فيه عزهم وسؤددهم .

جاء يسألني : لقد سمعتك تتحدث عن قول الله تعالى : ((وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين)) وقوله تعالى : ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) فهل اليهود مؤمنون ؟

قلت له : انهم مؤمنون بفكرتهم كما يرونها ، وحقهم كما يتصورونه ، وعملوا بما يمليه عليهم ايمانهم ، سواء أكانوا فى داخل اسرائيل أم فى خارجها .. أما نحن فايماننا في حاجة الى تساؤل ؟ ..

ان النصر معالايمان أو عدته الاولى الايمان .. هذه قضية لا شك في أن أحدا من الناس يجادل فيها .. النصر والنجاح في أى ميدان من ميادين العمل اساسه الايمان بالعمل الذى تقوم به . الفلاح في حقله يكد ويكدح لانه يؤمن أنه بدون الكد والتعب لا يستطيع أن يعيش .. وكذلك العامل في مصنعه ، والعالم في معمله أو مكتبه .. وكل انسان يباشر عملا من الاعمال لا ينجح فيه الا اذا كان مقتنعا به ، ومؤمنا بجدواه .. فالايمان بمعنى الاقتناع بالفكرة وبالعمل شرط من شروط النجاح .

وكلما عظم العمل ، واشتد خطره ، وتكاثرت صعوباته ، كان في حاجة الى ذخيرة قوية من الايمان به تكافىء خطورته أو تزيد ، حتى يستطيع الانسان بها التغلب على الصعوبات ، واقتحام الاخطار ، وينجح أخيرا في عمله ..

فايمان الانسان بالفكرة أو المبدأ هو ((الدينمو)) الذى يحركه ويدفعه . وبقدر قوة هذا ((الدينمو)) فيه تكون حركته واندفاعه الى غايته التى يسعى اليها .. وبقدر خطورة الفكرة وعظمتها ، أو خطورة العمل الذى يقدم عليه ، يجب أن تكون قوة هذا ((الدينمو)) . فليس من المعقول أن تضع محرك دراجة بخارية مثلا في سيارة كبيرة ، أو شاحنة من الشاحنات ، ثم تنتظر أن تسير السيارة أو الشاحنة بالسرعة التى اعتدناها منها ..

فالايمان الذى نتحدث عنه اذن ونريده أساسا للنجاح أو النصر ليس هو مجرد اعتناق الفكرة أو المبدأ ، أو الاعلان باعتناقها ، واطلاق الكلام الحماسي حولها .. فمثل هذا لا يولد الحرارة التى تدفع وتحرك . وانما الايمان الذى نريده هو الذى يسيطر على روح الانسان وحواسه ، ويجعله منساقا تلقائيا الى كل ما يقتضيه من حركة وسكون .

وليس من الضرورى أن تكون العقيدة أو الفكرة التى يعتنقها الانسان ويعمل في سبيلها ، ويدافع عنها ، سليمة فى الواقع وصحيحة .. فقد رأينا ونرى كثير من أصحاب العقائد الباطلة ، والافكار السقيمة ، والقيم الفاسدة، يتفانون في العمل لها ، ويشرعون من اجلها السلاح ، ويضحون بالاموال والارواح ، لانهم يؤمنون بها ، ويخلصون لها ..

وقد يتغلبون على أصحاب العقائد الصحيحة ، والافكار السليمة ، والقيم السامية ، لأن أهل الحق كان أيمانهم به ضعيفا ، وكان عملهم من أجله واهنا ، ومن ثم لم تكن لديهمالقوة المحركة للدفاع عنه وحمايته .. أو كان ايمانهم به قويا ، ولكنهم

لم يتخذوا الأهبة للدفاع عنه ، أو اتخذوا اهبتهم ، ولكنهم لم يحكموا خططهم ، او أحكموا خططهم ، ولكنهم عند التنفيذ لم يلتزموا بها .. ومن هذا أو ذاك تغلب عليهم أهل الباطل ، لأنهم آمنوا بباطلهم ، وخططوا له ، وأحكموا عملهم ، ونفذوا خططهم .

تلك سنة الله في عباده ، لم يعف منها سيد رسله وأنبيائه .. فقد تغلب عليه المشركون في أحد بعد انتصاره عليهم ، لأن بعض أصحابه تهاونوا في تنفيذ الخطة التى رسمها لهم ، وسجل عليهم القرآن الكريم ذلك حين قال ((ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم)) .

ثم تغلبوا عليه مرة أخرى في حنين لسبب كشف الله عنه حين قال : ((ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)) كانوا مؤمنين حق الايمان ، ويدافعون عن الحق ، وكانوا كثرة .. ولكنهم داخلهم الغرور بكثرتهم . فتهاونوا ولم يحزموا أمرهم .. فكانت هزيمتهم .. ودعاهم الرسول ، فشعروا بالخطأ وتماسكوا ، وشدوا على عدوهم ، فكان لهم النصر .. وكان ما جرى درسا وعبرة ..

نعم كان درسا .. يعلمنا الايمان أولا .. ولكنه لا يكفى بدون عمل .. بدون خطط ، بدون تنفيذ .

وأمامنا الآن دروس في الحياة لا بد أن نتعلم منها ..

شعب فيتنام لا يتجاوز الخمسة عشر مليونا . رجالا ونساء ، وأطفالا .. يقف عدة سنين صامدا أمام الولايات المتحدة وحلفائها .. وآخر احصاء نشرته الصحف عن الجيش الذى يقف أمامه هذا الشعب الصغير يقول انه بلغ مليون جندى .. نعم مليون جندى بقوة الولايات المتحدة وبطشها وعتادها وجبروتها ، يدوخهم هذا الشعب الصغير ، ويمرغ سمعة اقوى دولة في التراب ، ويرفض كل محاولة لها للمفاوضات حتى تسحب جيوشها أولا وتعود الى بلادها .. بينما تستأسد هذه الدولة على مائة مليون عربى وثلاث عشرة دولة عربية !!

ما السر في هذه البطولة الخارقة لهذا الشعب الصغير ؟ .

السر يكمن في أن لهم فكرة أو عقيدة آمنوا بها ايمانا ملكعليهم أرواحهم وحواسهم وجعلهم يستهينون بكل شيء في سبيل ايمانهم بفكرتهم . الرجال والنساء والاطفال .. فسطروا العجائب فى تاريخ البطولات .. أليس كذلك ؟! لا تسلنى بعد ذلك عن الفكرة أو العقيدة التى آمنوا بها .. المهم أنهم امنوا بفكرة وتفانوا في سبيلها ، ودعنى أسألك أنت وأسأل معك المائة مليون من المسلمين العرب ، ومئات الملايين من المسلمين غير العرب أصحاب العقيدة السليمة المتصلة بالله المحصنة بكتابه .

أسأل هؤلاء جميعا .. أين ايمانكم بعقيدتكم ، وما مدى فاعليته في حياتكم ؟

تحتجون ــ في أزمتكم أو نكستكم أو هزيمتكم ــ بايمانكم .. ومن قبل قال أناس مثل قولكم فقال الله عنهم : ((قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا

أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا ان الله غفور رحيم . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون)) . فما مدى صدقنا في ايماننا ؟ وما مدى عملنا حسب ما يقتضيه هذا الايمان ؟

نريد أن نتصارح حسب ما رأيت عليه صحافتنا في هذه الايام ..

نقرأ القرآن ؟ .. نعم .. ونسمعه كثيرا من الاذاعات ..

ونشيء المساجد ؟ . نعم .. ونضع لها الميزانيات ، وتمتلىء كذلك بالمصلين ..

نفسح المجال للاحاديث الدينية في الاذاعات ؟ . نعم .. ونحتفل بالمناسبات الدينية ..

ننفق على المعاهد والدراسات الدينية .. نعم كل ذلك وربما كثير غيره من أمثاله صحيح ..

ولكن أليس من الحق أيضا .

أننا نقرأ القرآن للبركة ، ولا نتخذه أساسا للعمل .. ونسمعه للطرب لا للعظة !!

وننشيء المساجد للصلاة .. ونتعهد معها الكثير من ادوات التخريب للدين والخلق !!

وننفق على المعاهد والدراسات الدينية ونسمح للصحف والكتاب بالتهجم على الدين ومبادئه ، وزعزعة قيمه في النفوس !!

ونذيع الاحاديث الدينية ونترك بعض الصحف والمجلات تهدم معنويات الشباب بالصور العارية والقصص الجنسية المثيرة الشاغلة !!

أليس من الحق أن مجتمعنا يعتبر الخروج على الدين تمدنا وتقدما ؟! . ألم نقرأ حديثا في بعض المجلات .. أن الدين أصبح دمية من الدمى كالاستعمار والاستغلال ؟! ألم تقل كاتبة في مجلة : ان الدين فاشل ؟! وشرقت هذه المجلات وغربت ، وسمحت بها الرقابات في البلاد العربية .. بينما لا تسمح الرقابات بكلمة تمس شخصا من المسئولين في أى بلد من البلاد ؟!! وبينما تمنع بعض الرقابات دخول المجلات الدينية فى بلادها ، أو على الاقل تلاحقها بالقص والشطب ؟

أليس ؟ وأليس ؟ .. والحديث ذو شجون ..

فما قيمة الجهود والاموال التى ننفقها في سبيل المحافظة على الدين في الوقت الذى تنفق فيه الجهود والاموال التى تغض من شأن الدين وتزعزع قيمه في النفوس ..

ولن يبلغ البنيان يوما تمامه ... ان كنت تبنيه وغيرك يهدم

اننا مسلمون .. وهذا شرف أنعم الله به علينا ، وجعله صلة بينه وبيننا .

وعلى أساس عقيدتنا ، قام تاريخنا ، وسمت أمجادنا ، وازدهرت حضارتنا .

فعلى أى أساس نبنى مجدنا الحديث ؟ . هل يمكن لنا أن نبحث عن جذور غير جذورنا ، أو عقيدة غير عقيدتنا ، أو كتاب غير كتابنا ؟

هل يمكن أن ننسلخ عن ماضينا ، ونتنكر لاسلافنا ، ونزرع في أرض غير أرضنا ؟

لقد قال الله لنا : « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » .

وقال لنبيه عليهالصلاة والسلام : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

فهل نغيب عن رشدنا وعقلنا فنظل بعيدا عن هذا الكتاب ؟ وهل تصبح الامة أمة اذا أهملت كتابا فيه ذكرها وشرفها ومجدها ؟

اننا في أزمتنا ونكستنا نبحث عن الايمان ونبحث عن القوة ..

وليس الايمان مجرد قول نردده .. وليست القوة في كلام نرسله ..

انما الايمان قول وعمل .. قول ينبعث من القلب ، وتسخر له الاحاسيس والجوارح ، وعمل يتسق في كلياته وجزئياته مع هذا الايمان ..

فأين نحن من هذا الايمان ؟ وأين مظاهره الحقيقية فينا وفي مجتمعاتنا ؟

ابحث معي وستجد أننا لم نحسن صلتنا بالله ، ولم نتخذ من هديه وسيلة الى بناء قوتنا ، كما أننا لم نحسن صلتنا بأوطاننا ، ولم نعمل ما يعمله كل مخلص لارضه وشرفه وكيانــه .

وقل لى بعد ذلك : هل نحن أمة جادة في الوصول الى هدفها ؟ هل سخرنا كل قوانا ومواردنا من أجله ، هل أفادنا درس النكسة ، وبدأنا نتخلص من أسبابها ؟ وماذا بعد أن فعل بنا بنو اسرائيل ما فعلوا ، وانتزعوا منا المسجد الاقصي ـ أولى القبلتين وثالث الحرمين ـ ودنسوه ، وبدأوا ينفذون خططهم علىأنقاضه ، وأنقاض مقدساتنا الاخرى ؟

وماذا بعد أن سمعناهم ـ يوم دخلوا بيت المقدس ـ ينفثون أحقادهم على الاسلام ورسوله ويقولون : الآن انتقمنا لاسلافنا في خيبر ؟ .

هل تغير شيء حولك ؟ وهل كان لهذا كله صدى جدى فى نفوس الملايين مــن المسلمين ؟ ان الامور تسير وكأن هذه الضربة لأمة أخرى غيرنا !!

ان اليهود مؤمنون بدينهم ، متمسكون به ، وأمام كل عضو من أعضاء البرلمان عندهم نسخة من التوراة ، وهم يسيرون في مخططهم حسب ما يرسمه لهم دينهم ، وحسب ما يمليه عليهم اخلاصهم لفكرتهم ودفاعهم عنها .. جهودهم كلها مسخــرة لخدمة هدفهم ، والحفاظ على كيانهم الذى اختطفوه منا ..

فماذا فعلنا نحن في سائر اوطاننا ، ونحن اصحاب ثأر،وأصحاب الثأر لا ينامون.

ونحن اصحاب دين لا يرضي لأصحابه الذلة والخنوع ؟

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة



مِن وَصَايا النُبوّة

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافي
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بادروا بالاعمال سبعا . هل تنتظرون . الا فقرا منسيا .. أو غني مطغيا .. أو مرضا مفسدا .. أو هرما مفندا .. أو موتا مجهزا .. أو الدجال . والدجال شر غائب ينتظر .. أو الساعة فالساعة أدهى وأمر .. ! !

رواه الترمذى

— ١ —

من الحقائق التى لا تحتمل الشك أن الحياة الدنيا بكل ما فيها ومن فيها فانية، وأن مقام الانسان فيها — طال او قصر — محدود بموعد لا يعلمه الا علام الغيوب، وأن حال الانسان فى هذه الحياة لا تثبت على لون واحد ، فهي دائمة التغير والتحول ، فمن شدة الى رخاء ومن فقر الى غنى ، ومن مرض الى صحة ، ومن شباب الى هرم ، وكل ذلك غيب مجهول للانسان « وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت » .

ومن عجيب أمر هذه الحياة أن تمامها ايذان بنقصانها ، وصفوها مقدمة لكدرها ، وفرحها يسلم لحزنها « حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بفتة » .

اذا تم أمر بدا نقصه
توقع زوالا اذا قيل تم

ومما يصور هذه الحقيقة أبلغ تصوير قول الشاعر :

أحسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر

وقيل للحسن البصرى كيف أصبحت؟ فقال . كيف يصبح من هو غرض لثلاثة أسهم . سهم رزية ، وسهم بلية ، وسهم منية . وقالوا من أخطأه سهم المنية لم يخطئه سهم الرزية .

ومن الكلمات النيرة المشرقة التي تجلو الفشاوة عن الابصار ، وتفتح مغاليق القلوب ، وتصور حقيقة الانسان فى هذه

الحياة قول الامام الحكيم على كرم الله وجهه . انما المرء فى الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ، ونهب للمصائب ، وفى كل أكلة غصص ، ومع كل جرعة شرق ، ولا ينال العبد فيها نعمة الا بفراق أخرى ، ولا يستقبل يوما من عمره الا بهدم آخر من أجله ، فنحن أعوان الحتوف وأنفسنا تسوقنا الى الفناء ، فمن أين نرجو البقاء ؟ . وهذان الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا أسرعا الكرة فى هدم ما بنيا ، وتفريق ما جمعا ...

ومن هذا التصوير الواضح لحقيقة الحياة الدنيا ، ومقام الانسان فيها ــ كان من مقتضيات العقل ومستلزمات الحكمة الا يضيع الانسان لحظة تمر به دون المبادرة الى التزود من العمل الصالح . حتى يؤمن الانسان مستقبله الابدى فى جوار ربه العدل الذى يجازى كل امرىء بعمله أن خيرا فخير وان شرا فشر « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شر يره » .

يقول الامام على كرم الله وجهه . ان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وان الآخرة قد اقتربت وأشرفت باطلاع . ألا وان المضمار اليوم والسباق غدا .. الا فلا تائب من خطيئته قبل منيته ؟ . ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه ؟ . الا وانكم فى أيام أمل من ورائه أجل . فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ، ولم يضره أجله ، ومن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله ، وختره أجله .. ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة .. ألا وانى لم أر كالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها .. ألا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ،ومن لم يستقم به الهدى يسوقه الضلال الى الردى ألا وانكم قد أمرتم بالظعن ، ودللتم على الزاد .. وان أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل ، فتزودوا فى الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا .

وفى هذا الحديث الشريف يذكر لنا الاب الرءوف الرحيم والناصح الامين سيد الخلق صلى الله عليه وسلم سبعة أخطار يتعرض لها الانسان فى حياته ، ويطلب منه أن يؤمن نفسه ومستقبله ضد هذه الاخطار حتى يضمن لنفسه حياة أبدية راضية مرضية فى دار الخلد والسلام .

أما هذه الاخطار فهى الفقر المنسى ، والغنى المطغى ، والمرض المفسد ، والهرم المفند،والموت المجهز ،والدجال ،والساعة، وأما التأمين ضد هذه الاخطار فهو بالمبادرة الى الاعمال الصالحة ــ قبل فوات الوقت وضياع الفرصة .

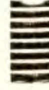
ــ ٢ ــ

والفقر أعدى أعداء الانسان ، وأشدها خطرا على دينه وخلقه ، وهو اذا اشتد بصاحبه وضغط عليه ، أضل عقله ، وأفقده صوابه ، وسدفى وجهه منافذ الامل والرجاء ، وأنساه المبادىء والقيم فاستهان بكل فضيلة ، وتجرأ على كل رذيلة ،واستباح لنفسه السرقة والغصب وأحل لها السلب والنهب ، وسول لها العدوان على النفس والمال دون وازع من خلق ، أو ضمير يردع ، واذا ضل عقل الانسان ، ومات ضميره أظلم قلبه فنسى ربه ، وخسر دنياه وآخرته ، وقد استعاذ رسول الله من الفقر وفى الاثر كاد الفقر أن يكون كفرا وقال الشاعر :

ولم أر بعد الدين خيرا من الغنى
ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر

والغنى المطغى هو الذى يحمل الانسان على الطغيان ومجاوزة الحدود ، واهمال الحقوق والواجبات « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى . » وفى القرآن الكريم صور ناطقة ، وما قصة قارون وصاحب الجنة وأهل سبأ الا أمثلة واضحة لما يفعله المال بنفوس المغرورين الذاهلين عن حقيقتهم وحقيقة دنياهم .

والمرض المفسد هو الداء العضال ، وكل ذرة من جسد الانسان منفذ مفتوح



لجرثومة من جراثيم الامراض الفتاكة التى تشل حركته ، وتهدم كيانه ، وتقعد به عن النهوض للواجبات والمكرمات .

٤ ــ والهرم المفند هو تقدم السن وطول العمر الذى يذهب بعقل صاحبه ويوقعه فى الفند وهو الكذب دون أن يحس فى ذلك نقصا وذلك لفساد تصوره وضعف تفكيره ، والانسان اذا بلغ هذه المرحلة من العمر خرف ، وضعفت قوته وانحل عزمه ، والتصق بالارض لا يقوى على عمل ولا يستطيع حراكا ، وعندئذ يصبح عالة على أقرب الناس اليه ، لا هو حى فيرجى ولا ميت فيستريح ويريح ، وقد تعتريه نوبة افاقة وهو فى هذه الحالة فيرى ما صار اليه أمره ، فيتحسر على ما مضى من شبابه وقوته ، ويتألم لما يعانيه من عجز وألم وفى هذا يقول الشاعر الجاهلى القديم عمرو بن قميئة :

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عنى عذار لجامى
على الراحتين مرة وعلى العصا أنوء ثلاثا بعدهن قيامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنها نبل اذن لاتقيتها ولكننى أرمى بغير سهام

والانسان قد يغره شبابه ، ويخدعه طول أمله ، فيسوف فى التوبة ، ويتقاعس عن الطاعة والعبادة حتى يصير الى هذه السن المخرفة العاجزة ، فتفوته الفرصة ولهذا لفت الرسول الكريم نظر الانسان ليدخر من شبابه الى هرمه .

٥ ــ والموت المجهز هو الموت السريع . الذى ينزل بالانسان بغتة دون تنبيه سابق من شيخوخة أو مرض عضال ، فلا يدع لمن نزل به فرصة يتدارك فيها ما فاته ، أو يوصى بخير . والانسان ــ أى انسان ــ معرض لهذه النازلة الفادحة التي تخترم عمره فجأة فتضع حدا ونهاية لآماله وأطماعه . وما من انسان الا وقد رأى هذه الحقيقة نازلة فى قريب من أقربائه أو صديق من أصدقائه ، كان يقدر له ــ فى ظنه ــ فسحة من العمر وطول الاجل ، لصغر سنه ، أو لصحته وقوته .. ولهذا نبه الحديث الشريف الناس الى أن يتوقوا هذا الخطر الداهم الذى قد ينزل بهم فجأة وذلك بالتزود من العمل الصالح والباقيات الصالحات عن أبى هريرة . قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم . يا رسول الله ، أى الصدقة أفضل ؟ قال . ان تصدق وأنت صحيح حريص . تأمل الغنى وتخشى الفقر ، ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا . وقال صلى الله عليه وسلم . بادروا بالاعمال مرضا حابسا أو موتا خالسا . وقال الحسن البصرى فى دعائه . اللهم أجرنى من أن أكون مختلسا ــ أى يختلسه الموت على غفلة . وقال الشاعر :

وربما غوفص ذو غرة أصح ما كان ولم يسلم

وكان أحد الصالحين اذا خوف من الموت يقول للشيوخ . الزرع اذا بلغ ما يصنع به ؟

قالوا . يحصد ، ويقول للشبان ، يا معشر الشبان كم من زرع لم يبلغ أدركته الآفة .

وقال أبو العتاهية :

الناس فى غفلاتهم ورحى المنية تطحن

ومر شيخ من العرب بغلام فقال له الغلام . أحصدت يا عماه . يعنى آن لك أن تحصد ــ تموت ــ فقال له . يا بني وتختضرون . يعنى تموتون خضرا .

والدجال علامة من علامات الساعة الكبرى . وهو رجل أعور يخرج فى آخر

الزمان ويدعى الالوهية ، ويظهر الله على يديه من خوارق العادات ما يفتتن به بعض الناس عن دينهم . أما المؤمنون الراسخون ، فيعرفونه ولا يخدعون بأضاليله ، وبعد أن تستشرى فتنته التى تميز المؤمنين الثابتين على الحق منغيرهم يقضي عليها ، ويقتله المسلمون .

وأمر هذا الرجل المفتون معروف لدى الانبياء والمرسلين السابقين وقد حذروا أممهم من غوايته وفتنته ، وفى هذا الحديث الشريف أخبار صريح بمجيئه ، وتحذير واضح من شره وفتنته ، وحث على استباقالخيرات والمسارعة فىالمبرات قبل أن يظل الناس زمنه . روىالبخارى ومسلم عن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم استنصت الناس ــ طلب سكوتهم والاستماع اليه ــ يوم حجة الوداع ، فحمد الله ،وأثنى عليه ، ثم ذكر الدجال، فأطنب فى ذكره ، وقال . ما بعث الله من نبى الا أنذره أمته ، وانه يخرج فيكم ، فما خفى عليكم من شأنه فلا يخفى عليكم . ان ربكم ليس بأعور ، وانه أعور العين اليمنى كأن عينه طافية .

وقد وردت عدة أحاديث يستفاد من مجموعها أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل فى آخر الزمان أثناء وجود الدجال، فيحكم بالقسط ، ويقضى بشريعة الاسلام ، ويقتل الدجال .

عن عروة بن مسعود الثقفى رضي الله عنه قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يخرج الدجال فى أمتي فيمكث أربعين ، قال لا أدرى أربعين يوما ، أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما .. ، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه ، فيهلكه .

وقد استعاذ رسول الله بالله منشره، كما ذكر لنا بعض ما يكون من فجره وكفره .

روى مسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال . يخرج الدجال فيوجه قبله رجل من المؤمنين ، فيتلقاه المسالح . مسالح الدجال ــ طلائعه وجنوده ــ فيقولون له الى أين تعمد ؟ فيقول . ما بربنا خفاء ، فيقولون . اقتلوه ، فيقول بعضهم لبعض ــ أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه ؟ فينطلقون به الى الدجال ، فاذا رآه المؤمن قال . يا أيها الناس ان هذا الدجال الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر الدجال به ، فيشج ، فيقول خذوه ، وشجوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضربا فيقول . أوما تؤمن بى ؟ فيقول أنت المسيح الكذاب ، فيؤمر به ، فينشر بالمنشار من مفرقة حتى يفرق بين رجليه ، ثم يمشىالدجال بين القطعتين ، ثم يقول له . قم فيستوى قائما ، ثم يقول له . أتؤمن بي ، فيقول. ما ازددت فيك الا بصيرة ثم يقول . يا أيها الناس انه لا يفعل بعدى بأحد من الناس ، فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل الله ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا ، فلا يستطيع اليه سبيلا ، فيأخذه بيديه ورجليه ، فيقذف به ، فيحسب الناس أنه قذفه الى النار ، وانما القى فىالجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين .

ويستنتج الشيخ رشيد رضا من جملة الاحاديث الصحيحة الواردة فى خبر هذا الداهية انه يهودى ، فيقول رحمه الله . ويدل القدر المشترك من الاحاديث الواردة فى الدجال أنه من اليهود ، وان المسلمين يقاتلونه ،ويقاتلون اليهود فى البلاد المقدسة ، وينتصرون .

والساعة ، والمراد بها القيامة واليوم الآخر ، وهي مما استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه لا نبيا مرسلا ، ولا ملكا مقربا « ان الله عنده علم الساعة» وكان الناس يسألون رسول الله عنها ، ويلحفون فى المسألة ، فأمره الله أن يرد علمها اليه وحده « اليه يرد علم الساعة »

البقية على ص ٢٩

حَول إعجاز

بين القول بالصرفة

نشرنا فى العدد الخامس والعشرين بحثا للاستاذ على محمد حسن عن « مذهب الرازى فى اعجاز القرآن » وأورد الكاتب بعض ما قاله الرازى مما يبدو منه التناقض بين القول بالاعجاز لذاته وبين القول بالصرفة ، وحاول الدفاع عن الرازى وابعاد القول بالصرفة عنه وعلقنا على هذه المحاولة فقلنا ان الدفاع صعب أمام ما جاء عن الرازى صراحة من القول بالصرفة فى بعض المواضع .. وأن الأمر لا يزال فى حاجة الى تمحيص ، ونحن نرحب بكل من يريد أن يدلى بدلوه حول هذا الموضوع .

وقد أرسل لنا الاستاذ الكبير محمد احمد الغمراوى بهذا البحث الذى يحمل فيه على القائلين بالصرفة ، ثم أخذ يدافع عن الرازى ويثبت أنه لم يقل بالصرفة مما ستراه فى هذا البحث القيم .

« الوعي »

من عجيب الامر فيما يتعلق بالقرآن الكريم اختلاف قدامى علماء المسلمين فى القدر المعجز منه ، وفى وجوه الاعجاز . وأغرب ما ذكر من وجوه اعجازه القول بالصرفة ، فهو قول خرج به قائله على الاجماع ـ اجماع الصدر الاول ـ بل على نص القرآن . واذا صح أن ابراهيم النظام كان أول من قاله ، ولم يكن مدسوسا عليه أو راجعا الى سوء فهم أو نقل لقول قاله ، كان ذلك دليل غرور اصابه لفصاحته ابتلاه الله به فخيل اليه الشيطان أنه قادر على سورة مثل القرآن . ولم يكن عند نفسه أفصح من العرب الذين نزل القرآن فيهم فاتقى الكفر الذى يستلزمه انكار الاعجاز ، بأن قال : ان القرآن معجز بالصرفة : أى بصرف الله العرب عن معارضته مع قدرتهم عليها .

وكما لبس الشيطان على مثل ابراهيم النظام ، لبس أيضا على بعض علماء الكلام ، فزين لهم ـ بدلا من تسخيف القول بالصرفة وتزييفه ـ ان يلزموا من ضل به الحجة من نفس دعواهم ، بأن يقولوا أن التعجيز بالمنع من المقدور كالتعجيز بغير المقدور ، ما دام العجز عاما لكل الناس ، فهو فى الحالين لا يقدر عليه الا الله ، واذن فقد ثبت فى الحالين ان

القرآن الكريم

محمد مؤذن

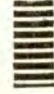
والإعجاز لذاته

للاستاذ محمد احمد الغمراوى

القرآن من عند الله ، وقد فاتهم مكر ابليس بهم ، اذ زين هذا القول لهم ، فان هذا الالزام متوقف على تسليم الخصم بعموم عجز الناس . ولن يسلم الخصم به بل سيأتيهم من ناحية تسليمهم جدلا بدعواه ، ويقول : قد سلمتم معي بأن القرآن فى مقدور الفصحاء ، فلا بد أن يكون منهم من عارضه ، اذ غير معقول أن يتركوا معارضته وهي فى مقدورهم ، ويؤثروا عليها الحرب والتعرض للهلكة . فلا بد أن تكون الحرب قد ثارت لاسباب سياسية واقتصادية ، كما يقول المستشرقون ، ومن ضل بهم من رجال الادب فى العصر الحديث . وغير هذا كثير يمكن ان يقال للقائل بالصرفة ولو جدلا ، ما دام قد ألقى سلاحه ، ووافق الخصم على دعواه ! أن القرآن غير معجز فى ذاته وأنه فى مقدور واحد او جماعة من الناس .

لشد ما استزل الشيطان بعض العلماء المسلمين بقبولهم الفلسفة اليونانية بعجرها وبجرها باسم الحكمة ، فزين لهم معالجة القضايا الدينية ودرء الشبه عن طريقها – طريق العقل فيما زعموا – بدلا من طريق الكتاب والسنة الذى سموه طريق النقل خدعة اخرى من الشيطان لهم ، ليوهمهم عن طريق الايحاء أنه غير طريق العقل ، كأن الكتاب والسنة لم يكونا قد ثبت عقلا أنهما حق من عند الله .. واذن فما ثبت أو يثبت عن طريقهما يكون قد ثبت أيضا عن طريق العقل ، كما تثبت النتائج الرياضية من نظرياتها ، أو النتائج الطبيعية من قوانين الفطرة التي كشف عنها العلم التجريبي الحديث .

والذى يقابل فى الدين النظريات الرياضية ، أو قوانين العلوم التجريبية فى الثبوت اليقيني هو الآيات القرآنية ثم الحديث الصحيح . وكل ما يلزم للوثوق من صحة النتيجة هو التزام



الاسس التي تضمن صحة الاستنتاج من آيات الكتاب وأحاديث السنة .

وقد رددت ذكر الشيطان في هذا الصدد لأذكر المسلمين بتحذير الله اياهم منه مرارا وتكرارا فى كتابه ، وعلى لسان رسوله ، فانهم يكادون ينسون أنه موجود ، وأنه واقف لهم بالمرصاد ، يكيد ويفتن ، ويضل من حيث لا يعلمون .

امام الحرمين

والا فكيف يمكن تفسير انكار احد من علماء المسلمين اعجاز القرآن فى ذاته ، والقول بالصرفة لاثبات أن القرآن لا يزال معجزا بصرف الله الناس من معارضته ؟! أم كيف يمكن تفسير قول امام من أئمة المسلمين وكبير من علماء الكلام بأن الاعجاز بالصرفة ابلغ من قلب العصا حية ونحوه كما قال عبد الملك الجويني الملقب بامام الحرمين فى « العقيدة النظامية (١) » بعد أن كان قد قرر فى « كتاب الارشاد الى قواطع الادلة فى أصول الاعتقاد (٢) » أنه معجز بالنظم والبلاغة والانباء عن قصص الاولين ، والاخبار عن كثير من الغيوب ؟ كيف يمكن أن يعدل مثله عن صوابه هذا الى خطئه ذلك الا أن يكون الشيطان قد زين له أن الاعجاز بالصرفة دليل قاطع على ان القرآن من عند الله ، اذ لا يقدر على صرف جميع الناس عن معارضة هي فى مقدورهم الا الله ، أما الاعجاز بالبلاغة وما اليها فانه « موقف تاه فيه الاولون والآخرون ونبح فيه الطاعنون » ! !

هذه جناية الفلسفة والمنطق على الشيخ الامام رحمه الله . حيث ترك الواضح الظاهر الذى عليه جميع الاولين ، والكثرة الغالبة من الآخرين ، وقال بما لم يقل به الا الأقلون . **ومع ذلك فهو الذى يقول فى نفس « العقيدة النظامية » « والذى نرتضيه رأيا وندين الله به عقدا ، اتباع سلف الامة . فالأولى الاتباع وترك الابتداع . والدليل السمعى القاطع فى ذلك أن اجماع الأمة حجة متبعة ، وهو مستند معظم الشريعة . وقد درج صحب النبى صلى الله عليه وسلم على ترك التعرض لمعانيها (٣) ودرك ما فيها ، وهم صفوة الاسلام والمستقلون بأعباء الشريعة ، وكانوا لا يألون جهدا فى ضبط قواعد الملة والتواصى بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها . فلو كان تأويل هذه الآى والظواهر مسوغا أو محتوما لاوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . واذا تصرم عصرهم وعصر التابعين — رضى الله عنهم — على الاضراب عن التأويل ، كان ذلك قاطعا بأنه الوجه المتبع بحق . فعلى ذى الدين أن يعتقد تنزيه الرب عن صفات المحدثين ، ولا يخوض فى تأويل المشكلات ويكل معناها الى الرب تعالى ».**

فليت الامام الجوينى عمل فى أمر القرآن بقوله هذا ، وسكت عن وجه اعجازه كما سكت السلف الصالح ما دام قد التبس عليه الأمر فيه . وليته ألحق آيات التحدى من ناحية وجه الاعجاز بالمتشابه من الآى ، فوكل الامر فيها الى الله ، فهذا كان أليق به ، وبتنزيه القرآن كلام الله من قول يلحق النقص بالقرآن كالقول بالصرفة ، ما دام غفر الله له ، كان قد عرض له الشك فى الوجه الذى كان عليه أكثر الناس باعترافه ، وقرره هو فى كتاب الارشاد .

---

(١) طبعة ١٩٤٨ بتحقيق العلامة محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة الاسلامية فى الآستانة سابقا .
(٢) مكتبة الخانجى سنة ١٩٥٠ بتحقيق الدكتور محمد يوسف موسى والاستاذ علي عبد المنعم عبد الحميد .
(٣) معانى المتشابه من الآيات .

الفخر الرازى

أما الامام فخر الدين الرازى الذى عاش بعد الجوينى بنحو قرن فلا بد أن يكون قد قرأ ما كتب الجوينى وألف، بخاصة أن كلا كان شافعى المذهب . ولا بد أن يكون قد تأثر بما قرأ له تأثر التلميذ بالأستاذ ، لكنه بعد أن شب عن التقليد ، واستقل بالنظر خالف أستاذه، فلم يقل ان الاعجاز الاكبر هو الاعجاز بالصرفة ، واختار فى اثبات الاعجاز الطريق الذى ذكر الفاضل صاحب مقال « مذهب الرازى فى اعجاز القرآن (١) » طريق : اما ، واما ، الذى أوحت به اليه الفلسفة ، وظن أن به يلزم الخصم أن القرآن معجز على حالى : اقراره بالاعجاز الذاتى ، أو بانكاره والقول بالصرفة . لكن سلوكه هذا الطريق لا يقتضى أن يكون هو قد قال بالصرفة . وليس فيما أورده الفاضل صاحب المقال شيء يدل على أن الرازى تردد بين القول بها ، والقول بما قالت به الكثرة الغالبة من علماء المسلمين ، وان اختلف كما اختلفوا فى وجوه الاعجاز .

والشبهات التى أوردها الفاضل كاتب المقال عن الرازى ليس أكثرها منتزعا من كلامه ، ولكن مما حكاه من كلام الخصوم . ولا ينبغى أن يحسب عليه حكايته لشبه ذكرها ليجيب عليها ، أخطأ فى الجواب أم أصاب . وهو يوردها كما كان أصحابها يوردونها ، غير مخفف من قبح قولهم شيئا ، كما تقضى به قواعد المناظرة فيما يبدو . ومن عادته فى التفسير أن يقدم للشبهة بقوله (فان قيل) وللجواب بجملة (قلنا) . فما بين ذلك اذن هو من قول الخصم . فمن قول الخصم صاحب الشبهة فيما يتعلق بسورة الكوثر وأمثالها من السور القصيرة ما نقل المقال من (ونحن نعلم بالضرورة أن الاتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن) ومن (فان قلتم ان الاتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر كان ذلك مكابرة) . والعبارتان متصلتان فى المنقول من تفسير الرازى ، لكنا فصلنا بينهما هنا لأنهما حسبا على الرازى فى موطنين متفرقين من المقال . حسبت أولاهما عليه فى النص المنقول ، بابرازها فى الطبع بالحرف الفليظ ، وحسبت ثانيتهما فى أواخر المقال حين ظن الكاتب الفاضل أنه ربما كان قريبا من الصواب أن الرازى يرد الاعجاز الى الفصاحة فى السور التى تثبت فصاحتها (أما السور التى يكون من المكابرة القول بفصاحتها مثل سورة الكوثر) فان الرازى يرد اعجازها الى الصرفة .

ولا محل للتشكك فى قول الرازى باعجاز سورة الكوثر فى نفسها . فقد جاء ذلك صريحا فى تفسيره فيما ختم به القول الرابع عشر فى المراد من الكوثر اذ يقول .

(ثم لها – (أى لسورة الكوثر) – خاصية ليست لغيرها وهي أنها ثلاث آيات ، وقد بينا أن كل واحدة منها معجزة . فهي بكل واحدة من آياتها معجز ، وبمجموعها معجز . وهذه الخاصة لا توجد فى سائر السور) .

واعجاز كل من آياتها عنده أنها خبر عن غيب تحقق . فصحح بذلك ما كان قد استنبط خطأ من كلمة (مفتريات) فى آية التحدى (١٣) من سورة هود ، ولم يترك موضعا لظن الفاضل صاحب المقال فى دفاعه عن الرازى أن الرازى ربما كان يفرق بين ما يدل فى القرآن على أنه من عند الله وما يدل على اعجازه . فهذا قاطع فى تبرئته عن القول فى سورة الكوثر بالصرفة ، ومن باب أولى من القول بالصرفة فى سائر القرآن .

وغرابة الاخبار عن مغيب ليست شيئا حتى يتحقق الخبر ، فيصبح دليلا على أنه من عند الله ، ويصبح أيضا معجزا

---

(١) مقال الاستاذ علي حسن المنشور فى العدد الخامس والعشرين المحرم ٨٧



من هذه الناحية ، ومن ناحية صيغته اذا عجز البشر عن ايراده فى صيغة مثلها أو خير منها . ومن يفصل بين الصيغة والمعنى فى قضية الاعجاز ، فهو كمن يفصل بين الجسم وروحه . وليس معنى ذلك أنه يميت أو يذهب بالاعجاز دائما أو يذهب به كله ، ولكن يذهب بشطره ويبقى أعجاز الشطر الباقى . كالجسم الحى تماما . الحياة فيه معجزة للبشر ، لا يستطيعون خلقها ،وطبعا لا يستطيعون ردها . ويعجزون قاطبة عن مثل الجسم ولو ميتا .. فاعجاز الآية أو الآيات القرآنية كامن فى معناها وفى صيغتها المعبر بها عن المعنى . فالخبر القرآنى عن مغيب ، معجز بصيغته قبل تحققه ، معناه معروف من عبارته ، ومن الممكن محاولة محاكاته بالتعبير عن معناه بصيغة أخرى ، وحينئذ فقط يمكن المفاضلة بين الصيغتين . فاذا تحقق الخبر ووقع المغيب اكتسب الخبر اعجازا آخر هو اعجاز المعنى الى اعجاز التعبير . وهو اعجاز دائم لان الخبر القرآنى محفوظ باق يتلى ، وتحققه الماضى ثابت تاريخيا لا شك فيه ، وتحققه فى المستقبل ــ اذا كان لا يزال ينتظر التحقق ــ هو تجديد للاعجاز . هو معجزة جديدة تظهر فى العصر الذى يتحقق فيه الخبر .

وقد ذكر الله الخبر عن مغيب فى آية واحدة مع المعجزات التى لاشك فيها لسيدنا عيسى فى الآية (٤٩) من سورة آل عمران . « ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمه والابرص وأحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » . فالأنباء عما كانوا يأكلون ، وما كانوا يدخرون فى بيوتهم كان فيه آية لهم أنه عليه السلام كان رسول الله اليهم ، أى كان معجزة أجراها الله على يديه ، كما أجرى الآيات الكبرى المذكورة قبل فى الآية الكريمة .. وكل نبأ من ذلك كان غيبا بالنسبة له عليه السلام . فقياسا على ذلك يكون كل نبأ قرآنى عن مغيب تحقق أو يتحقق معجزة قرآنية أيضا . وكذلك كل قصص قرآنى وصفه الله بأنه من أنباء الغيب .

ولحكمة كبرى سمى الله ما سمى من جمل كتابه آيات ، ليشعر أهل القرآن الحافظين الدارسين له أن فى كل آية قرآنية اعجازا أو معجزة ، عليهم أن يتطلبوه أو يتطلبوها .

ثم هم مع ذلك يختلفون فى وجوه الاعجاز ، وفى القدر المعجز من القرآن . صحيح أن الله لم يتحد العرب الا بأقصر سورة كحد أدنى . أو ما هو فى قدرها قياسا عليها . لكن ليس معنى ذلك أن ما دونها فى الطول لا يمكن أن يكون معجزا . ولكن معناه أن الاعجاز فيما دونها لا يمكن أن يتبينه العدد الذى يثبت به الاعجاز من أولى البلاغة ، وأولى العلم من الناس . والا فقد يتبين من هم دون هذا العدد اعجاز آية دون سورة الكوثر فى المقدار ، أو حتى اعجاز بعض آية كما فى (رب العالمين) من قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) وكما هو الواقع فى كثير من الآيات القرآنية الكونية . لكن هذا ليس بحجة الا على من يتبينه من أولى العلم ، والمطلوب أن يكون القدر القرآنى المعجز حجة على جميع الناس .

دفاع عن الرازى

فهذه اشارة عابرة الى موضوع جليل قد يوفق الله الى العودة اليه . ولنعد الآن الى ما كنا فيه من اماطة الشبهة عن الامام الرازى وذلك بالمقارنة بين ما قال وما حكاه من قول .

انه حكى قول أصحاب مذهب الصرفة فى موقف واحد من مواقف ثلاثة نقل فيها المقال أقواله فى الطريق الذى اختاره، لاثبات أن القرآن ان لم يبلغ حد الاعجاز فى الفصاحة ، فهو معجز لخرقه ونقضه العادة من ناحية أخرى . فلنقارن الآن بين ما حكى من قولهم فى موقف ، وما ذكر من قول نفسه فى كل موقف .

حكايته مذهب الصرفة .. (انه ـ اى القرآن ـ ليس فى نفسه معجزا الا انه تعالى **لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته مع ان تلك الدواعى كانت قوية** كانت هذه **الصرفة معجزة) وواضح ان** ليس على الرازى شىء من تبعة التصريح بالصرفة ولا بالنص على صرف الدواعى لانه يحكى قول غيره .

ذكر اقواله هو . فى الموقف الاول فى تفسير آية التحدى فى سورة البقرة جاء قوله . **(فعدم اتيانهم بالمعارضة مع كون المعارضة ممكنة (أ) ومع توفر دواعيهم** على الاتيان بها (ب) **امر خارق للعادة** فكان ذلك معجزا) .

فى الموقف الثالث فى تفسير آية التحدى فى سورة الاسراء (قل لئن اجتمعت الانس والجن) الآية (٨٨) جاء قوله .

(ان ... كانوا **قادرين على الاتيان بمعارضته (أ) وكانت الدواعى متوفرة على** الاتيان بهذه المعارضة (ب) **وما كان لهم عنها صارف ولا مانع** (ج) ... فعدم الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة **يكون نقضا للعادة** فيكون معجزا)

اما **الموقف الثانى** فقد اكتفى فيه بانه ان لم تكن سورة الكوثر بالغة فى الفصاحة الى حد الاعجاز (كان امتناعهم عن المعارضة **مع شدة دواعيهم الى توهين أمره معجزا)** .

فقد خالف الرازى إصحاب مذهب الصرفة فى كل من اقواله الثلاثة **فى أمر الدواعى** فاكد هو الدواعى وتوفرها وشدتها **ونفى عنها الصارف والمانع**(١) . اما هم فنسبوا الى الله صرف الدواعى اجتراء منهم عليه سبحانه اذ قالوا على الله مالا يعلمون . ولذا صرحوا بالصرفة فى قولهم ، فصارت اصل مذهبهم ولم ترد قط فى اقواله الثلاثة كلها . فالتناقض الذى لاحظه الفاضل صاحب المقال بين ذكر الصرفة واغفالها ، ثم بين صرف الدواعى ونفى صرفها لم يكن تناقضا بين اقوال للرازى ولكن بين قول له اكده بالتكرار وبين قولهم . فالرازى لم يتناقض مع نفسه ، ولكن ناقض القائلين بالصرفة وزلته هى فى انه جاراهم جدلا فى قولهم عقيدة بان القرآن غير معجز فى نفسه ليقول لهم ، بعد ان نفى زعمهم صرف الدواعى ليحقق شرط خرق العادة ، انه حتى ان لم يكن معجزا فى نفسه ، فهو معجز بخرق عدم معارضته للعادة والمعجزة هى الامر الخارق للعادة عند علماء الكلام .

اما وقد تبين ان شبهة قول الرازى بالصرفة لااسباب لها ، اذ كانت نتيجة تحميله تبعة قول غيره ، فلنورد له من اقواله الواردة فى تفسيره الكبير ما يؤكد الاقوال الثلاثة التى جاءت فى المقال دفاعا عن عقيدة الرازى ان القرآن الكريم معجز فى نفسه .

والاقوال التى سنوردها زيادة قسمان: قسم يقرر ان القرآن فوق قدرة البشر مقتبس من تفسير آية التحدى وماالبها فى سورة يونس ، وقسم يقرر ان وجه الاعجاز الفصاحة البالغة ، مقتبس من تفسيره آية التحدى فى سورة البقرة .

ان القرآن فوق قوى البشر . انه عليه الصلاة والسلام :

(١) لكن يبقى أمام الاستاذ الفاضل ما ذكره الرازى فى الموقف الاول من « كون المعارضة ممكنة » فاذا كانت المعارضة ممكنة لهم والدواعى متوفرة عندهم فما الذى منعهم عن المعارضة الممكنة لهم ؟ فقول الرازى هذا يؤدى الى قوله بالصرفة « الوعي »



١ ـ (لا يجوز ان يبدل من تلقاءنفسه لانه ـ اى القرآن وارد من الله تعالى **ولا يقدر (اى النبى) على مثله كما لا يقدر سائر العرب على مثله)** .

(من تفسير قوله تعالى قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى) الآية (١٥) من يونس .

٢ ـ (ما ينبغى لهذا القرآن ان يفترى اى ليس وصفه وصف شىء يمكن ان يفترى على الله ، لان المفترى هو الذى ياتى به البشر **والقرآن معجز لايقدر عليه البشر** .... فصار حاصل هذا الكلام **أن هذا القرآن لا يقدر عليه احد الا الله عز وجل)** .

(من تفسير قوله تعالى : وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) من الآية (٣٧) من يونس .

٣ ـ (فكأنه تعالى يقول هب انعقل الواحد والاثنين منكم لا يفى باستخراج معارضة القرآن فاجتمعوا وليعن بعضكم بعضا فى هذه المعارضة فاذا عرفتم عجزكم حالة الاجتماع وحالة الانفراد عن هذه المعارضة فحينئذ يظهر ان تعذر هذه المعارضة انما كان لان قدرة البشر غير وافية بها) .

من تفسير قوله تعالى (وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) من الآية (٣٨) من يونس . ويلاحظ انه هنا يعبر بصيغة الحصر . ولو كان للقول بالصرفة موضع عنده او احتمال ما عبر بصيغة الحصر .

انالقرآن معجز بفصاحته. مقتبسات من تفسير آية التحدى فى البقرة .

٤ ـ (ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق فى البيت والبيتين والباقى لا يكون كذلك . وليس كذلك القرآن لانه **فصيح بحيث يعجز الخلق عنه كما عجزوا عن جملته)** .

٥ ـ (فى القرآن التكرار الكثير ، ومع ذلك كل **واحد منها فى نهاية الفصاحة** ولم يظهر تفاوت اصلا) .

قال هذا بناء على قوله ان الشعر المكرر فى وصف شىء لا يكون بدرجة واحدة من الفصاحة .

٦ ـ (انا لو صرفنا الضمير الىالقرآن (فى قوله تعالى : **من مثله) فكونه معجزا انما يحصل لكمال** حاله فى الفصاحة)

وتامل ايضا صيغة الحصر هنا . ودلالتها . فلو كان الامام الرازى يرى الصرفة وجها آخر للاعجاز او احتمالا ممكنا لجاء بها بديلا للفصاحة الكاملة ،او لجمع بينهما كما فعل الاصبهانى فيما ذكر صاحب الاتقان فكان كمن جمع بين النقيضين .

٧ ـ (وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القرآن بفصاحته غاية التهكم بهم) .

من تفسير (وادعوا شهداءكم من دون الله) على أن شهداءهم هى آلهتهم من الاوثان . معنى من معنيين ، ثانيهما أولياؤهم من الناس .

وبعد ، فلعلنا نكون قد وفقنا الىابراز موقف الامام الفخر الرازى من اعجاز القرآن الى الحد الذى يبرئه تماما من شبهة القول بالصرفة ، ويحفظه على جماعة المسلمين .

والله يغفر للجوينى خروجه عنها فى هذا الامر الخطير . ولو كان ظن اوخطر بباله انه خرج بما قال ما قاله ، ولكنه ظن انه جاء بجديد قاطع فى الاعجاز ولم يفطن الى اللغم الدفين فى ذلك الجديد .

وصدق رسول الله ان (كل بدعة ضلالة) لا سيما فيما يتصل بكتاب الله العزيز .

اما آية التحدى فى سورة هود ودلالة كلمة (مفتريات) فيها فسنتناولها وما يتصل بها من شئون الاعجاز فى مقال قريب ان شاء الله .

علم الفلك والقرآن

محمد مؤمن

للدكتور محمد جمال الدين الفندى
رئيس قسم الفلك بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة

سنقصر حديثنا هذه المرة على موضوع الفضاء وأجرام السماء ، واحتمالات وجود الحياة على كواكب غير الأرض ، الى غير ذلك من المسائل العلمية الهامة التي أثارها عصر الفضاء وأمكن حل بعضها والوصول فيها الى حقائق ثابتة ، كما بقى بعضها معلقا بما سيتم من كشوف ، أو يجد من جديد .

ولكن القرآن الكريم سبق ركب العلم فى كافة نواحي هذا الميدان الخطير الذى فتح أمام البشر آفاقا واسعة فى الأرض وفى السماء تظهر آيات الخالق ، مصداقا لقوله تعالى فى سورة فصلت « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ـ ٥٣ ـ .

وأول ما يلفت النظر فى هذا الموضوع أن القرآن الكريم تنبأ بهذا العصر وبمحاولات البشر لغزو الفضاء على النحو الذى نسمع به ونراه اليوم ، وذلك فى وقت لم يكن فيه العرب يستخدمون أية وسيلة للسفر سوى الدواب التي أمدتهم بها الطبيعة . وانها لروعة حقا أن نجد فى سورة الرحمن خطاب الله تعالى للناس بلغة هذا العصر اذ يقول .

« يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » ٣٣ـ٣٥ .

ففي هذه الآيات الكريمة اشارات واضحة الى أن الانسان سوف يستخدم سلطان العلم للتخلص من قبضة جذب الارض وسائر أجرام السماء ، وعندها سوف يحاول السبح فى الفضاء الخارجي ، ولكنه يواجه أهوال الفضاء ممثلة قبل كل شيء فى رياح الشمس المحرقة ، وفى الأشعة القاتلة للخلايا الحية التي على غرار الأشعة الكونية ، والأشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ويعج بها الفضاء الذى تسبح فيه الكواكب ، وهذه كلها انما تمثل النار المحرقة التي

لا دخان لها ، ولعل هذا هو المقصود من (شواظ من نار ونحاس ..) (١) .

فالقرآن الكريم يذكر كثيرا من الحقائق العلمية كقضايا عامة يترك تفاصيلها لاجتهاد البشر وعلماء المسلمين ، ولكن للأسف الشديد ترك المسلمون هذه الميادين الحيوية لغيرهم من الناس وقصروا اجتهادهم على مسائل الفقه والعبادات ، وشرح خصائص بيت الخلاء ، وأصول بيت الطاعة ، وجعلوا لكل شيء ملاكا حتى المد والجزر من عمل ملاك البحر الذى اذا وضع ابهامه فى أقصى بحر الصين يفور له الماء فيكون المد ، واذا رفعه يطلب الماء موضعه ويكون الجزر ! ! ! وهكذا ظلوا حتى جاءهم سلطان العلم من الخارج ، رغم أن القرآن فيه من تفاصيل الكون ما يحفز العلماء على العمل ويوصلهم الى الحقيقة دون كبير جهد أو عظيم عناء ، ولكن لله فى خلقه شئون (٢) .

---

(١) مع احترامنا لرأى الدكتور ومن ذهب مذهبه نرى أنه من المجازفة أن نحمل الآيات ما لا تحتمل طمعا فى اضافة مجد أو سبق علمي للقرآن .. فهذه الآيات نرى من سياقها أنها لتهديد الخارجين على طاعة الله ، وقد بدأ هذا التهديد بهذا التعبير القوى « سنفرغ لكم أيها الثقلان .. » وسواء أكان من الممكن القول بأن هذا التهديد فى الدنيا أو الآخرة فلا يمكن — فيما أرى — أن نقول : الا بسلطان العلم .. اذ أن التفسير يفقد التهديد جدواه . والسياق يفيد أنه لا مفر من وقوع الثقلين فى قبضة الله ، وأنه لا نصير لهم ، ولا ملجأ من الله الا اليه ، وليس هناك سلطان يقف أمام سلطان الله وينجيهم من حسابه وعذابه ، فهو كقوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم « فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية » أى فافعل ، ولست بمستطيع ذلك . اذن فاصبر لحكم الله ..

وعندنا آيات كريمة تعتبر نصا فيما يريد علماؤنا من أمثال الدكتور أن يتحدثوا فيه عن الاعجاز العلمي مثل قوله تعالى « ألم ترى أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله .. الآية » ونحن نطالب العلماء كل منهم فى اختصاصه أن يعمدوا لهذه الحقائق تاركين الفرضيات والاحتمالات البعيدة . « الوعى » .

(٢) اذا كان علماؤنا السابقون وقفوا فى اجتهادهم عند مسائل الفقه وكل ما يخدم القرآن والسنة ثم تطرق بعضهم الى ذكر تعليلات للمظاهر التي لم يكن فى امكانيات العلم — فى الدور الذى كان يمر به فى جميع أنحاء العالم — أن يصل الى ما وصل اليه العلم الآن ، فاننا نحمد للسابقين اجتهادهم فيما أصابوا فيه ، ونلتمس لهم العذر فيما اخطئوا فيه ، ولا شك ان الدكتور يعرف مدى الجهد الذى بذله علماؤنا لا فى المسائل الشرعية فقط ولكن فى مجالات العلم المختلفة ، وكانوا بذلك أساتذة للغرب تعلم على أيديهم شتى فروع العلم .. ويعرف كذلك أن أحد علمائنا كان يطالع كتاب المجسطى فلما سأله سائل ماذا تقرأ ؟ قال انني أحاول تفسير قوله تعالى (أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج) فهم قد حاولوا واجتهدوا .. ولكن هكذا كان جهد العلم وحده فى زمنهم .. والا فهل يمكن أن نعيب على علماء القرن التاسع عشر ونسفههم لعدم وصولهم الى ما وصل اليه علماء القرن العشرين مثلا ؟ ! .

أما الآن وقد وجد علماؤنا من أمثال الدكتور طريق البحث والتعمق قد ذلله العلماء والمخترعون الغربيون لهم ، فان التبعة تكون عليهم كبيرة ، وقد أصبح من حق جمهرة المسلمين أن يسألوهم : ماذا قدموا من علم أو اختراع أو نظرية ؟ ، ماذا سبقوا به غيرهم ؟ ذلك كان جهد السابقين وخدماتهم العلمية ونتاجهم الفكرى فى الجو العلمي الذى عاشوا فيه .. فما جهد الحاضرين ؟ وحتى اذا أعطينا أنفسنا حق لوم السابقين فما الفتح العلمي للحاضرين حتى ينجو من لوم اللاحقين ؟ وقد تهيأت لهم السبل أكثر مما تهيأت لمن سبقوهم . ثم ألم يجد الدكتور لعلماء المسلمين السابقين جهودا غير جهودهم التي « قصوروها على مسائل الفقه وخصائص بيت الخلاء وأصول بيت الطاعة الخ » ؟ ! ! .

ومن أهوال الفضاء كذلك الشهب والنيازك التي تنساب فى الفضاء القريب سابحة فى أسراب قد تعترض مسار الأرض والكواكب من آنلآخر . والمعروف علميا أن هذه الاسراب من مخلفات المذنبات القديمة بعد تفتتها .

والغالب أن للمذنبات حلقة تنشأ فيها تعرف بحلقة الكويكبات التي تضرب نطاقا حول المجموعة الشمسية بأسرها على بعد نحو سنة ضوئية من الشمس . وعندما يضطرب مسار أية كويكبة بسبب جذب النجوم الأخرى لها تهوى تلك الكويكبة نحو الشمس ، وتصبح مذنبا قادما من الفضاء الخارجي . وتحتوى تلك الحلقة على آلاف ملايين الكويكبات . وعلى ذكر الشهب يقول الله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة الجن . « وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا » ـ ٨ ـ .

والمفروض على أية حال أن الجن سبقونا نحن البشر فى دراساتهم ومحاولاتهم لغزو الفضاء والاتصال بالعوالم الأخرى .

وثاني ما يلفت النظر فى هذا الموضوع أن العلم لم يصل بعد الى الجزم بوجود كائن حى مفكر خارج نطاق الارض عن طريق الاتصال المباشر بسفن الفضاء ، أو الاتصال غير المباشر على أمواج الأثير ، رغم أن حساب الاحتمال الرياضي يجزم بوجود شبيه الانسان حيثما توفرت الظروف الملائمة على كوكب آخر وحيثما يتوفر الوقت الكافي . وليس معنى ذلك الا أننا اذا ما رحنا (فرضا) نجوب أركان السماء ونحط رحالنا على كوكب سوف نجد دون شك بين الفينة والفينة كواكب عليها شبيه الانسان . ولقد وجد الفلكيون بالحساب أن طريق التبانة أو الطريق اللبنى وحده يحتوى على أكثر من مليونين من الكواكب التي تسكنها كائنات حية مفكرة ، وانا على ذلك لسنا وحدنا فى هذا الوجود المترامى الأطراف .

وفى واقع الأمر نجد أنه من الحماقة أن نحد ملكوت الله العظيم بما هو كائن على الأرض وحدها ، كما تفعل بعض الجماعات تبعا لتعاليم دينية خاصة أو اتجاهات معينة ، فملكوت الله تعالى لا يحده مكان معين ولا زمان بالذات .

والقرآن الكريم يسبق ركب العلم فى تقرير حقيقة أن السماوات تعج بالأحياء ، وذلك فى سلسلة من الآيات الكريمة التي تنقل الينا العديد من المعلومات الخاصة لتلك العوالم التي نجهلها ، والتي منها ما سبق الانسان الذى على الأرض فى تعمير كوكبه الذى يسكنه ، ومنها ما يعاصره .

ولما كانت الملائكة لا تعرف الغيب ، شأنها فى ذلك شأن سائر المخلوقات ، بدليل قوله تعالى . « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله » ـ ٦٥ ـ .

وقوله تعالى فى سورة آل عمران . « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » ـ ١٧٩ ـ ، فمن الطبيعي أنها كانت ترى ما يفعله شبيه البشر على كل كوكب مسكون قبل ظهور آدم وتعمير الأرض ، من سفكه للدماء وخرقه لقواعد الأخلاق والدين ، وهو ما يشير اليه القرآن الكريم اذ يقرر فى سورة البقرة

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ـ ٣٠ ـ .

والمكتبات تزخر بالكتب التي تكشف عن بعض جهود علمائنا السابقين فى كل ميدان ، وفضلهم على حضارة الغرب كابن رشد وابن حيان والرازى وابن النفيس وغيرهم وغيرهم ؟ ! ! وهو يعرف كل هذا .. وعلى كل حال أرجو أن يعوض علماؤنا المعاصرون كل فى دائرة اختصاصه ما لم يستطعه السابقون حتى لا يكون الحكم عليهم قاسيا من الأجيال الآتية . « الوعى »



والمراد أن أذكر يا محمد للناس فضلى عليهم حين قلت للملائكة انى سأتخذ على الأرض خليفة يعمل على تعميرها وازدهارها ، فقالوا ان من شأن الانسان (الذى يمنح العقل والوعى ليتصرف كيف يشاء) الافساد وسفك الدماء ، فرد الله تعالى عليهم بأنه يعلم ما لا يعلمون . فقد علم أن سيكون من بنى آدم من يفوق الملائكة ويفضلهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء .. وعلى رأسهم جميعا سيد البشر محمد ابن عبد الله .

ولهذا السبب أيضا استحق النوع كله أن يوجد ، ولهذا السبب كذلك نقول ان الله تعالى خلق الناس من نور محمد، وتتعدد المعانى وتتشعب الاحاديث فى هذا المعنى وان اختلف اللفظ .

ويقدر علماء الفلك والطبيعة عمر الأرض بنحو ثلاثة آلاف مليون سنة ، انقضى أغلبها والأرض كوكب ميت لا حياة تدب عليه . ولم تعمر الأرض بالحياة والاحياء الا في أواخر عهدها بالوجود ، والحديث هنا يطول ويتشعب تبعا لقوله تعالى فى سورة العنكبوت .

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » — ٢٠ — .

ولكن عمر الانسان على الأرض لا يزيد على ١٠٠ ألف سنة . أما حضارته فهي كما تعلم لا يزيد عمرها على خمسة آلاف سنة ، فهو اذا زائر أو ضيف حديث العهد بالأرض ، رغم ما حققه بسلطان العلم من كشوف وما أحرزه من تقدم سريع .

ومن الآيات الواضحة الدالة على وجود شبيه الانسان على غير الأرض قوله تعالى فى سورة النحل . « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » — ٤٩ — .

وقوله فى « سورة المؤمنون » :

« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض » — ٧١ — .

وقوله فى سورة الرحمن :

« يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن » — ٢٩ — .

وقوله فى سورة النمل :

« ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض » — ٨٧ — .

وثالث ما يلفت النظر تقرير القرآن الكريم ان العقل البشرى ليس فريدا فى هذا الكون ، فنجده مثلا يورد فى سورة الانبياء الآية الكريمة « قال ربي يعلم القول فى السماء والارض » . — ٤ —

والكلام (أو اللغة) هو الحد الفاصل بين الكائن الذى يعقل والكائن الذى لا يعقل ، لأن اللغة وليدة العقل ، وعلى أية حال فان فى السماوات قولا لا يكون الا من كائن عاقل مفكر . وهنا قد يقول فريق من الناس . اذا كان الأمر كذلك فلماذا لم يعثروا علينا ؟ والاجابة على هذا السؤال فى غاية البساطة ، انها الصدفة فهناك احتمال الصدفة ، أى أنهم لم يصلوا الينا بعد لمجرد الصدفة لأن السماوات تعج بالكواكب والانسان حديث العهد نسبيا بالأرض ، وربما عثر علينا سكان السماوات ولكنهم أهملوا أمرنا وراحوا يراقبوننا عن كثب ما دمنا قاصرين غير قادرين على اللحاق بهم .

ورابع ما يلفت النظر تلك الآية الكريمة من سورة الشورى التي تقرر امكان اتصال أهل الأرض بسكان الكواكب الأخرى عندما يحين الوقت ، وهو عين ما يوجه اليه العلماء الاهتمام اليوم . وقد يكون الجمع والاتصال (فى هذه الدنيا بطبيعة الحال) بواسطة سفن الفضاء أو على متن أمواج الاثير ، وهو الأكثر احتمالا . وتقول الآية الكريمة .

« ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » ـ ٢٩ ـ وتفسير الآية كما يذهب البعض بأن الجمع هنا يعني يوم الجمع (أو القيامة) غير ملزم .

وخامس ما يلفت النظر ، وهو أهم ما فى هذا الموضوع كله ، من حيث التسليم بالاعجاز العلمي للقرآن الكريم لما اتضح من حقائق الكون بما يطابق نص الآيات ، ذكره تعالى الصعود فى السماء أو السبح فى السماء والاشارة اليه بكلمة (معراج) أو (يعرج) ، يعني انعطاف أو يسير فى خطوط منعطفة أو مسارات منحنية ، ذلك لأن الفضاءالكوني لا يعرف الخط المستقيم . فكيف عرف محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة ؟ ؟ لقد مر المفسرون منذ راحوا يحاولون التدبر فى كلام الله مر الكرام على آيات المعراج والخروج الى الفضاء حتى أظهر العلم حقيقة أن السبح بعيدا عن الأرض يتم فى مسارات منحنية ، بعضها بيضاوى الشكل (أى على هيئة القطع الناقص) وبعضها ينفرج الى ما لا نهاية وبعضها حاد الانعطاف مثل مسارات المذنبات التي تسبح حول الشمس ، فان المذنبات تبدو كأنما تظهر لنا فجأة مقبلة من مكان خفى فى السماء كلما اقتربت فى مسارها من الشمس ، ثم تختفى ثانية كلما ابتعدت عن الشمس فى خضم الفضاء الفسيح .

أما آيات المعراج أو العروج فهي . فى سورة المعارج .

« تعرج الملائكه والروح اليه » ـ٤ـ .

وفى سورة السجدة .

« ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون » ـ ٥ ـ .

وفى سورة سبأ :

« يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور » ـ ٢ ـ .

وفى سورة الحديد :

« يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم » ـ ٤ ـ .

فهل بعد هذا الذى قدمناه أيها القارىء الكريم يدعى أحد أن كتاب الله ليس معجزة خالدة ، لا يقف اعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات ؟ .

ان أهل الغرب لا يعرفون شيئا عن هذا ، ولم ينقل لهم أحد مثل هذه الحقيقة واضحة ليخاطبهم بلغة العصر ولغة العلم التي يفهمونها ويقتنعون بها . وكل ما عرفوه عن الاسلام للأسف الشديد وعن كتاب الله العزيز أنه مجرد تعاليم وترانيم انصب أغلبها على طرق العبادات وأحكام الزواج والطلاق والميراث والنجاسة والطهارة والمحرمات والمحللات ..

ولكن هذه ليست هي الحياة كلها ، وانما من الحياة والدين كذلك الكد والعمل وتحصيل العلم والكشف عن أسرار الكون وتوفير القوة واستخدام طاقات الطبيعة .. مما خص الله تعالى به العقل البشرى ليميزه على سائر المخلوقات (١) .

---

(١) وهذا هو واجب الدكتور وأمثاله ممن لهم فهم مستقيم فى القرآن ويستطيعون أن يكتبوا عنه بلغات الغرب ليبينوا له عظمة ديننا ، وليتهم يكتبون للمجلات العلمية أو غيرها بعض البحوث التي يكتبونها لقراء العربية المسلمين ، فذلك أهم من كتابتهم باللغة العربية فى نظرنا وأعظم فائدة للاسلام . « الوعى »

وتحبونه هيّناً ..؟

للشيخ/نديم الجسر
مفتى طرابلس ــ لبنان

قرأت فى مجلة (الوعي) مقال (١) الأخ العالم الجليل الاستاذ أحمد الشرباصي عن لغة القرآن والتهاون الحادث فى اتقانها ،فرأيت فيه أمورا عظيمة تستحق أن يكتب فيها أكثر من مقال ، ولا سيما ذلك التنادر بالمشايخ علماء الدين ، الذى أشار اليه الاستاذ فى نهاية مقاله بكلمة عابرة غير زاجرة .

ان التنادر والتفكه بذكر تفاصح النحاة وتفيهقهم وتمططهم هو أمر قديم . وقد لا يكون مضرا ومحرما الا عندما يدخل فى باب الغيبة واللمز والسخرية من رجل معين . بل قد يكون ــ اذا برىء من هذه الآثام ــ نافعا فى رد كثير من النحاة عن تباردهم وتسامجهم ، فمن كمال العالم أن يكون كيسا ، ومن نقص العقل أن يكون متسامجا من حيث لا يدرى ...

أما التنادر والتفكه بذكر علماء الدين، والسخريةمن تقواهم وتورعهم وفقرهم (٢) فانها فتنة جديدة استشرى خطرها فى العصر الحديث ، حتى أصبحت من الكبائر المهلكات الموبقات ، التى لا يقف ضررها عند حدود التباغض بين الناس، كما هو الحال فى الغيبة واللمز ، بل تتعدى هذا كله حتى يصل الى زعزعة الدين والايمان فى القلوب ...

نحن فى غفلة .

وقد لا يكون جميع المتنادرين والمتفكهين من ضعيفى الايمان ، ولكنهم فى غفلة عن أن هذا التسخر من حملة العلم والقرآن هو تسخر من الدين والقرآن ،وتهاون فى احترام الله ورسوله. واخطر ما فى هذه الغفلة أن الواقعين فيها لا يقعون فى مثلها أبدا اذا كان الرجل الذى أثار سخريتهم خويدما لعظيم من الامراء أو الوزراء ...

توقير العلماء .

ان مقام علماء الدين عند الله عظيم . وقد عظم الله مقامهم فى القرآن بآيات كثيرة أعظمها قوله تعالى « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم .. » فقرن

---

(١) في العدد الرابع والعشرين

(٢) كما نرى صورا من ذلك في الافلام والمسرحيات واظهارهم بمظهر غير كريم على عكس ما نراهم يفعلون مع غير علماء الدين المسلمين مع الاسف : الوعى

سبحانه اسم العلماء الى اسمه الاعظم ، وجعلهم فى العلم كالملائكة ، وصيرهم من ناحية الادراك لوحدانية الله فى صف الرسل والانبياء ، فاكتفى بوصف العلم عن تخصيص الرسل والانبياء بالذكر لأنهم سادة العلماء ... فهل بعد هذا المقام مقام فى التعظيم ... ؟

بل لو خلا كتاب الله من هذه الآية لكان واجبا علينا ـ بحكم العقل ـ ان نوقرهم ، أن كنا مسلمين ومؤمنين حق الايمان ، لأن هؤلاء العلماء الفقهاء هم الذين انتدبهم الله لتعليمنا وارشادنا وانذارنا وتحذيرنا بقوله « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

فاذا قل احترام العلماء بين الناس ، قل بالضرورة الاصغاء اليهم ، والاخذ بارشادهم وانذارهم وتحذيرهم وكفى بهذا فتنة فى الدين ...

بل نقول لهؤلاء المستهزئين بعلماء الدين . انكم لو تركتم الاخذ بمواعظهم ، واقدمتهم على ارتكاب المعاصي ، لكان ذلك عند الله أهون ، وأقرب الى الغفران ، من ذلك الاستهزاء ، لأن ضرر معاصيكم ينحصر بكم ، أما الاستهزاء بالعلماء فانه يؤدى الى قتل العلم ، وتنفير الناس من الدين ، وحملهم على الاستهزاء بالدين نفسه .. بل قد يؤدى الى الكفر اخيرا ...

أسباب هذه الفتنة .

ان فتنة التنادر والتفكه بذكر علماء الدين التي استشرى أمرها واستفحل فى العصر الحديث ، لها أسباب كثيرة منها القديم ومنها الحديث ، ومنها ما يقع وزره على الأمراء ، ومنها ما يقع وزره على الأدباء ومنها ما يقع اللوم فيه على العلماء أنفسهم ..

لقد بدأت هذه الفتنة بسفه الامراء والحكام ، وتعاليهم على علماء الدين ، بعد أن كانوا فى الصدر الاول من الاسلام موضع التوقير والتعظيم . ومن هذه الثغرة أخذت فتنة التنادر والتفكه تذر قرنها بسفه الأدباء والرواة والقصاصين ، الذين يسامرون الأمراء ، ويتعمدون اضحاكهم بالحكايات والنكات المروية أو المخترعة ، فبدأوا ـ أول ما بدأوا ـ بذكر حماقات معلمى الصبيان ، ثم تجاسروا على التفكه بذكر القراء . وتنوقلت هذه النكات بين الناس ، حتى تجاسر بعض كبار الادباء كالاصمعى والجاحظ وغيرهما على تدوينها فى الكتب . أما علما الدين فقد بقى احترامهم فى القلوب ، على الرغم مما بدر من بعض الامراء من أذيتهم ، لاسباب سياسية أو اجتهادية كلامية ظالمة . بل زاد هذا العدوان فى احترام العلماء عند الناس جميعا .

ثم جاءت عصور التأخر الاسلامي فانصرف الأمراء والحكام عن توفير أسباب الرزق الكريم لعلماء الدين ، كما انصرف الناس عما جرت به العادة من اعانتهم . وأصبح رزق أكثر المشايخ محصورا فيما يتناوله المحظوظون منهم من أجور زهيدة على وظائف الامامة والخطابة والتدريس . ومن لم يسعده الحظ منهم بوظيفة لجأ الى طلب الرزق من أبواب لا تليق بكرامة العلم والعلماء .

وزاد الطين بلة أن طائفة من العلماء الفقراء أرادوا أن يستروا فقرهم بما يسمونه « الدروشة » ولكن هذه الدروشة زادت عن حدها ، حتى كادت تصبح طابعا للفقراء وغير الفقراء ، وانتقلت من الزهد الى لون من التبذل فى الملبس والنظافة والاكل فى السوق ، فاستقرت فى أذهان الجيل الطالع المولع بالجمال والتجمل ، صورة عن العلماء هى أبعد مايكون عما يأمر به الدين من الجمال والتجمل .

وهكذا تضافرت الاسباب والدواعى للتقليل من احترام العلماء وتوقيرهم واستشرت الفتنة ...

ولست أجد لهذه الفتنة علاجا الا اذا حزم حكام المسلمين فى كل قطر اسلامي أمرهم على تنفيذ التوصيات الآتية !

١ ــ حصر لبس الزى الديني فى علماء الدين دون سواهم .

٢ ــ الاتفاق على وضع زى ديني واحد موحد ، واذا تعسر ذلك ، فوضع علامة خاصة يتميز بها علماء الدين عن سواهم .

٣ ــ أغناء علماء الدين بالرواتب الكافية .

٤ ــ أخذ علماء الدين بنظام مسلكى صارم يحملون بـه على ترك التبذل والدروشة والتزام دقائق آداب الدين فى الوقار والنظافة والكياسة والظرف فى الملبس .

٥ ــ ان يمنع رجال الدين من قبول أى أجر من الناس على أى عمل من الاعمال اسوة بباقى الموظفين فان اليد العليا خير من اليد السفلى .

وانى لأرجو أن يكون هذا الموضوع الخطير موضع عناية مجلة (الوعى) وعناية المفكرين ، لعله يجتمع لنا من التوصيات الأخرى ما يكتمل به العلاج، وان يكتب فى هذا الامر أكثر من مرة ، لكى تستجيب الحكومات الاسلامية لهذه الدعوة المباركة للاصلاح الديني الذى نحن بأشد الحاجة اليه .

«الوعي الاسلامي» هذا الموضوع الذى علق عليه فضيلة العلامة الاستاذ الكبير الشيخ نديم وقدم بشأنه هذه الاقتراحات انما هو ظاهرة لرياح عاتية هبت على النفسية المسلمة فاقتلعت منها أو من معظمها بذور التدين السليم ، ومن البدهى أن الانسان المسلم السليم الايمان يجد نفسه مدفوعا الى احترام كل ما يمت للدين بصلة قريبة أو بعيدة . وفى المقدمة العلماء المسلمون الذين وهبوا حياتهم لترسيخ دعائم الايمان فى النفوس ، وجعلوا انفسهم شموعا تضىء الطريق للسالكين .. ومن الطبيعي أن كل انسان يعتنق فكرة أو مبدأ ترف نفسه لكل من يشاركه هذا المبدأ ، وعلى الاخص أولئك الذين يمثلون الطليعة الهادية لهذا المبدأ .. ويقوى حبه واحترامه لزملائه وقادته فى المبدأ على قدر تفانيه فى مبدئه واخلاصه له .. فاذا ضعف تمسكه بفكرته ومبدئه كان تهاونه وعدم عنايته بمن يشاركونه مبداه .. حتى اصحاب الحرف والمهن تجدهم يعظمون « معلميهم » ويعتبرونهم هداتهم ويتعصبون لهم ويحيطونهم بمظاهر التكريم .

فالداء الكمين لهذه الظاهرة التى نشكو منها يكمن فى ضعف الوازع الدينى فى النفوس ، كما يرجع الى عدم عناية المجتمع ممثلا أولا فى المسئولين باظهار صوت الدين عمليا . فان الدولة مثلا حين تتجه للهندسة وتعنى باصحابها تجد المجتمع بالتالى يعظم من شأنهم ، وهكذا فى كل مجال تعنى به الدولة ..

ان اكبر وصمة لهذه الامة الاسلامية العربية ، التى تتنادى بالاسلام والعروبة الا يلقى ممثلو الاسلام أو المتخصصون فيه وفى العربية ما يتسق مع ادعائنا الاعتزاز باسلامنا وعروبتنا

وكم يحز فى النفس ويفتت القلب حزنا وأسفا أن نلاحظ أن الطوائف الغير الاسلامية تحيط هداتها الدينيين بالاحترام والتكريم فى الوقت الذى يتظرف فيه بعض الكتاب والرسامين والمتحدثين المسلمين بالغض من مكانة هداتهم الدينيين ، والذين يعلمونهم لغتهم القومية .

لقد رأينا صورا ورأى غيرنا على الطبيعة ملك دولة غير مسلمة يطأطىء على يد أحد رجال دينه ويقبلها فى المطار ونحن لا نريد عندنا مثل هذا ولكنا نريد ما يدل عليه هذا التقبيل لليد وسط كبار رجال الدولة والسفراء وجموع المستقبلين . نريد أن يتوفر للعلماء المسلمين ما يجب نحوهم من تكريم كرمز حي على تكريمنا لديننا وعنايتنا بكل ما يتصل به وليكون لهم الصوت النافذ حين يجد الجد وتحتاج الامة لهذا الصوت يجند قواها ويعبئها لحفظ كيانها والحفاظ على كرامتها .

بقية : من هدى السنة



« ويسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو » وهى وان خفى علمها على الناس فقد جعل الله لها امارات تدل على قربها « فهل ينتظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها » .

وتبدأ الساعة ببعث الناس واحيائهم وحشرهم من قبورهم ، ثم يكون الحساب والجنة او النار .

- ٣ -

والاعمال التى أمرنا بالمبادرة بها والمسارعة اليها هي الاعمال الخيرة الصالحة ، وفى مقدمتها ما افترضه الله على عباده من فرائض وفى الحديث القدسى يقول رب العزة تبارك وتعالى . ما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى من أداء ما افترضته عليه ، وقد ذكر الامام السيوطى فى كتاب شرح الصدور حديثا أخرجه الطبرانى والحكيم الترمذى فى نوادر الاصول والاصبهانى فى الترغيب - وهذا الحديث يجمع صنوفا مختلفة من أعمال البر والخير نقدمها للقارىء الكريم ليعيها ويأخذ نفسه بها .

عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال . خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . انى رأيت البارحة عجبا . رأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر ، فجاءه وضوؤه ، فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين ، فجاءه ذكر الله ، فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب ، فجاءته صلاته فاستنقذته من بين أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلتهب عطشا كلما ورد حوضا منع منه ، فجاءه صيامه ، فسقاه ، وأرواه . ورأيت رجلا من أمتى ، والنبيون قعود حلقا حلقا . كلما دنا لحلقة طرد ، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده الى جنبى ، ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ، وخلفه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، فهو متحير فيها ، فجاءه حجه وعمرته ، واستخرجاه من الظلمة ، وأدخلاه النور ، ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ، ولا يكلمونه ، فجاءته صلة الرحم ، فقالت يا معشر المؤمنين كلموه ، فكلموه ، ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه ، فجاءته صدقته ، فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتي أخذته الزبانية من كل مكان ، فجاء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فاستنقذاه من أيديهم ، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة . ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه،بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه ، فأخذ بيده ، ورأيت رجلا من أمتي قد هوت به صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله ، فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه ، ورأيت رجلا من أمتي قد خفت موازينه فجاءته أفراطه ، فثقلت موازينه ، ورأيت رجلا قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة ، فجاءه حسن ظنه بالله ، فسكن رعده .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لصالح الاعمال ، وأن يجعل خير اعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائه ، وأن يجمعنا على رسوله الكريم فى روضات الجنات انه سميع مجيب .

بين الاقتصاد الإسلا...

المصانع والأسهم...

نريد فى مقال اليوم أن نستكمل الكلام على ما تفرضه تعاليم الاسلام من تكاليف على ملكية المال باعتباره الدعامة الأولى لاى بنيان اقتصادى ، لننتقل الى الدعامة الثانية : « العمل » . وبذلك نكون قد وفينا الكلام على دعامتي الاقتصاد الاسلامى ثم نمضى الى عرض ما يقابلهما فى الاقتصاد المعاصر .

وفى المقال السابق تحدثنا عن التكليف الأول وهو هدى الاسلام فى استثمار المال على نحو يحقق المزيد من الخير لصاحبه ، ويكفل تنمية الرخاء فى المجتمع .

أما التكليف الثانى فهو الزكاة :

الزكاة : ــ كما هو معلوم ــ ركن من أركان الاسلام التعبدية الخمسة ، فاذا امتنع المسلم عن أدائها فقد هدم ركنا أساسيا من أركان الاسلام . وقد ذكر الفقهاء أن من منع الزكاة معتقدا وجوبها أخذت منه قهرا ، اما من أنكر وجوبها فهو مرتد تجرى عليه أحكام المرتدين . وقد اتفق الصحابة على قتال مانع الزكاة ، ومحاربة أبى بكر لمانعى الزكاة ثابتة اخبارها فى التاريخ الاسلامى ، وقوله : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » .

وقد كنت أعجب عندما أقرأ تعليق كل من يعتنق الاسلام من الغربيين المعاصرين ، وكيف أنه يقف طويلا عند فريضة الزكاة ، ويقرر أنها البلسم الشافى للعلل والسموم التى فشت فى مجتمعاتهم . وقد انقطع هذا العجب (أولا) بعد أن درست أحوال هذه المجتمعات والتفكك الشنيع والصراع الطبقى السائدين فيها وما ترتب عليها من أحداث وثورات دامية . (وثانيا) : بعد أن رأيت أن الشرائع السماوية جميعها قد حثت على الزكاة ولكن الشرع الاسلامى ــ خاتم الرسالات الالهية ــ هو وحده الذى رفع الزكاة من مرتبة الفرائض التعبدية الخلقية ــ التى يتطوع الفرد الى أدائها بقدر الوازع الديني الذى استقر فى وجدانه ــ الى مرتبة الفريضة « الحكومية » التى تلتزم الدولة بحمل رعيتها على أدائها ، ضمانا لبرء المجتمع الاسلامى من العلل التى أصبحت تضج منها المجتمعات المعاصرة .

فالشرع الاسلامى يقرر حق ولي

والاقتصاد المعاصر

٥

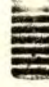
والعمارات. هل عليها زكاة؟

للدكتور محمد عبد الله العربي
عميد معهد الدراسات الاسلامية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

الأمر فى جباية الزكاة ، وواجبه فى تخصيص حصيلتها لمصارفها الشرعية ، وواجبه فى تجنيب هذه الحصيلة عما سواها من موارد بيت المال ، وهذا كله ثابت لا جدال فيه .

ولكن الأمر الذى يعترض ولى الأمر فى هذا العصر ، ويعرقل واجبه فى انفاذ هذا التكليف ، هو اختلاف صنوف المال فى هذا العصر عما كانت عليه منذ أربعة عشر قرنا ، ثم اختلاف أئمة الفقه الاسلامى فى أمر الزكاة ـ وهم الذين يهتدى برأيهم ولي الأمر ـ اختلافا بعيد المدى ، حتى قال فقيد الاسلام الشيخ محمود شلتوت (كم يضيق صدرى حينما أرى أن مجال الخلاف بين الأئمة فى تطبيق هذه الفريضة يتسع على النحو الذى نراه فى كتب الفقه والاحكام .. هذا يزكى مال الصبى والمجنون وذاك لا يزكيه ، وهذا يزكى كل ما يستنبته الانسان من الأرض ، وذلك لا يزكى الا نوعا خاصا ، وهذا يزكى عروض التجارة وهذا لا يزكيها ، وهذا يزكى حلى النساء وذاك لا يزكيه . وهذا يشترط النصاب وذاك لا يشترط ، .... الى آخر ما تناولته الآراء فيما تجب زكاته وما لا تجب ، وفيما تصرف فيه الزكاة وما لا تصرف)) .

ثم يقول ((هذه الفريضة يجب أن يكون شأن المسلمين فيها كشأنهم فى الصلاة ، وشأن الصلاة فيهم تحديد بين واضح ، لا لبس فيه ولا خلاف : خمس صلوات فى اليوم والليلة ، ثم ينبه الى ضرورة توحيد سياسة المسلمين فى واجباتهم الدينية والاجتماعية التى أخذ الله بها عليهم العهد والميثاق ، ثم يقول : وهذه الوحدة تقضى على علمائهم وأولياء



الأمر فيهم بالمسارعة الى اعادة النظر فيما أثر عن الأئمة من موضوعات الخلاف التى أخشى أن تمس أصل هذه الفريضة، ويكون ذلك النظر الجديد على أساس الهدف الذى قصده القرآن من افتراضها وجعلها واجبا دينيا ،تكون نسبة المسلمين فيه وفى جميع نواحيه على حد سواء . ثم يضرب المثل على الاتجاه الذى يجب أن تسير فيه الجهود لازالة مواطن الخلاف وتوحيد الأحكام فيقول : ((ولا يخفى على أحد معنى كلمة (أموال) ، ولا معنى كلمة (فقراء ومساكين) ولا معنى كلمة (فى سبيل الله) . فالذهب والفضة ، أو النقد التعاملى كيفما يكون ، والزروع والثمار ، والمواشى ، وعروض التجارة ، وكل ما يتموله الانسان فى هذه الحياة أموال . وكل من ليس عنده ما يكفيه ويسد حاجته . أو من ليس عنده قدرة على العمل ، فقير ومسكين ، وكل ما ينتفع به المسلمون كافة ، ولا تخص منفعته شخصا بعينه (سبيل الله)))(١) .

ومرجع الخلاف فى أكثره يدور حول الكلمة التى كثر تعبير القرآن بها عما يجب اخراج الزكاة منه ، هي الكلمة العامة التى تشمل كل ما يتملكه الانسان وهي كلمة « أموال » كقوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» (التوبة ١٠٣) ، « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله » (البقرة ٢٦١) ، « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (المعارج ٢٤) كما جاء فى بعض الآيات ذكر الذهب والفضة وذكر الثمار التى تخرج من الأرض .

وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام فى التطبيق العملي أنواع الأموال التى تجب فيها الزكاة ، كما بين المقادير التى تخرج من هذه الأموال . فأخذ الزكاة فى ثلاثة أنواع من الأموال وهي : (الأول) : الذهب والفضة وعروض التجارة بنسبة ٢ر٥٪ (والثانى) : النعم وهى الابل والبقر والغنم وهذه هي السوائم التى كانت موجودة فى البلاد العربية بنسبة كتلك النسبة تقريبا . والثالث : الزروع والثمار بنسبة العشر فى الأراضى المروية من غير كلفة كالتى تروى بمياه الأمطار والينابيع ونصف العشر فى الأراضى التى تروى بآلة ونحوها .

ويقول الشيخ شلتوت : (وبقى ما وراء ذلك من الأنواع والمقادير محل اجتهاد ونظر) (٢) .

ويشترط فى هذه الأنواع من المال أن يكون قد حال عليه الحول وهو زائد عن حاجات الانسان الأصلية التى يحتاج اليها لمعيشته ، فلا يدخل فى نصاب الزكاة دار السكن، والثياب الخاصة للاستعمال، والقوت المدخر لطعام العائلة !! وآلة العمل اليدوية التى يحتاج اليها المتكسب بيده .

فهل يجب فى عصرنا التقليد بهذه الأنواع الثلاثة من الأموال وقصر وعاء الزكاة عليها دون سواها من صنوف المال التى ظهرت فى العصور التالية وازدادت أهميتها بصفة خاصة فى العصر الحاضر ؟ اني أفضل أن تكون الاجابة على هذا

---

(١) العقيدة والشريعة الاسلامية للاستاذ الشيخ محمود شلتوت (٩٠ ، ٩١)
(٢) العقيدة والشريعة (ص ٨٩) .

السؤال من التقرير الذى قدمه بعض علمائنا الأعلام الى حلقة الدراسات الاجتماعيةالتىعقدتها الجامعة العربية(١) وقالوا ان الزكاة تستحق الآن فى أموال لم تكن معروفة فىعهد الرسول والصحابة وفى أيام الاستنباط الفقهي ، واقترحوا أن الزكاة يطلب اداؤها فيها ، ووافقت على ذلك الحلقة وأوصت به فى مؤتمرها. وهذه الأموال هي : الالآت الصناعية ، الأوراق المالية ، كسب العمل والمهن الحرة ، والدور والاماكن المستغلة .

وقالوا فى اسناد رأيهم : « وقد اتفق الفقهاء على أن النصوص الواردة فى الزكاة من حيث أموالها معللة ، وليست أمورا تعبدية ، ولم يقم دليل على أنها تعبدية ، الا أن التقديرات ليست محل قياس على ما هو مقرر فى موضعه من الأحكام الفقهية . ولقد اتفق الفقهاء على أن العلة فى فرضية الزكاة فى الأموال هو نماؤها بالفعل أو بالقوة . ان الزكاة ثبتت فى الزروع والثمار لان نماء الأرض غلاتها وثمارها . فالأرض اذن مال قام بالفعل . والاستغلال والنقل من مكان الى مكان ، وان كان النماء فيها غير طبيعي كالزراعة والماشية فهو نماء صناعى يشبه الطبيعى واعتبره الاسلام نماء شرعيا حلالا .

والنقود لا تثمر بذاتها ، ولكنها تنمو باستخدامها فى التجارة والصناعة وهي قد خلقت لذلك ، فهي لا تشبع الحاجات بنفسها ولكنها تشبعها بما تتخذ وسيلة فى جلبه . وهي مقياس لقيم الأشياء ، فوزن الأموال بها لتعرف ماليتها ولهذا عدت مالا ناميا بالقوة وان بقيت فى الخزائن لا تخرج منها ، لأنه كان ينبغى أن تخرج ، وتمد العمران بحاجاته ، وتشبع النواحى الاجتماعية والاقتصادية والشخصية ، ولا تصير كالماء الآسن الراكد الذى يفسده الركود ، ويغيره الاختزان ، فاذا كانت النقود عدت مالا ناميا بالقوة فلأن الشارع الاسلامى حريص على أن تبرز النقود الى الوجود عاملة مستغلة مقيمة وسائل الاستغلال على دعائم من العمل .

واستطرد التقرير بعد ذلك فقال : « ولقد أعفى الصحابة والتابعون والفقهاء من بعض الأموال التى تعد من الحاجات الأصلية كأدوات الصناعة الاولية مثل آلة النجار والحداد ، ومثل الدور المخصصة للسكن ، لأن هذه أموال لا تعد نامية بذاتها ولا بالقوة . والاستغلال بأدوات الصناعة هذه لمهارة الصانع ويده لا للآلة نفسها .

ثم عرج التقرير على تقسيم الفقهاء للأموال من حيث نمائها ، من ان الأموال قسم منها يقتنى لاشباع الحاجات الشخصية كالدور المخصصة لسكنى أصحابها ، فهذه لا زكاة فيها ، وقسم ثان يقتنى للنماء والاستغلال فهذا يجب زكاته ، وقسم ثالث يتردد بين اشباع الحاجات الشخصية والنماء كالماشية والحلى ، واختلف العلماء فى زكاته فمن رأى أن فيه نماء أوجب الزكاة ومن رأى أن لا نماء فيه أعفاه .

---

(١) قام بوضع هذا التقرير اصحاب الفضيلة الشيخ محمد ابو زهره والشيخ عبد الوهاب خلاف استاذى الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة والشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الازهر يومئذ ، وانعقد مؤتمر هذه الحلقة فى دمشق فى ديسمبر ١٩٥٢ مطبوعات جامعة الدول العربية عن وسائل التكافل الاجتماعى فى الدول العربية .



الزكاة على المصانع

ثم مضى التقرير يطبق هذا التقسيم على الأموال فى عصرنا فقال :

« ان تطبيق هذا التقسيم فى عصرنا ينتهى بنا لا محالة الى أن ندخل فى أموال الزكاة أموالا فى عصرنا مغلة نامية بالفعل لم تكن معروفة بالماء والاستغلال فى عصر الاستنباط الفقهي . وهي وسيلة استغلال بالنسبة لصاحبها ،مثل صاحب مصنع كبير يستأجر العمال لادارته فان رأس ماله للاستغلال هو تلك الادوات الصناعية فهي بهذا الاعتبار تعد مالا ناميا، اذ الغلة التى تجيء اليه هي من هذه الآلات ، فلا تعد كأدوات الحداد أو أدوات النجار الذى يعمل بيده . ولهذا نرى أن الزكاة تجب فى هذه الأدوات باعتبارها مالا ناميا وليس من الحاجات التى تعد لاشباع الحاجات الشخصية بذاتها .

« واذا كان الفقهاء لم يفرضوا زكاة فى أدوات الصناعة فى عصورهم فلأنها كانت أدوات أولية فلم تعتبر مالا ناميا منتجا بذاتها ، انما الانتاج فيها للعامل ، أما الآن فان المصانع تعد أدوات الصناعة نفسها مالها النامى . ولذلك نقول ان أدوات الصناعة التى يملكها صانع يعمل بنفسه كأدوات الحلاق الذى يعمل بيده ونحوه تعفى من الزكاة لأنها تعد بالنسبة اليه من الحاجات الأصلية ، أما المصانع فان الزكاة تفرض فيها . ولا نستطيع أن نقول ان تلك مخالفة لاقوال الفقهاء لأنهم لم يحكموا عليها اذ لم يروها ، ولو رأوها لقالوا مثل مقالتنا ، فنحن فى الحقيقة نطبق المنطق الذى استنبطوه فى فقههم » .

وجاء فى التقرير عن النسبة التى تؤخذ فى زكاة الآلات الصناعية أنها تكون من غلتها بنسبة العشر قياسا على زكاة الزروع والثمار . « ان أدوات الصناعة الثابتة تؤخذ الزكاة من غلاتها ولا تؤخذ من رأس المال ، وتؤخذ من صافى الغلات بعد التكليفات . لان النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الزكاة بالعشر من الزرع الذى سقى بالمطر أو العيون » .

ولنا ملاحظة على هذا الرأى فى تحديده النسبة بالعشر من صافى غلة الآلات الصناعية قياسا على غلة الارض ، فهنا قياس مع الفارق لان الارض لا تفنى والاستهلاك معدوم فيها تقريبا ، بعكس الآلات فهى محدودة الاجل والاستهلاك فيها له شأن كبير . وقد يكون الاصح أن يطرح من صافى غلة الآلات قسط الاستهلاك قبل تطبيق نسبة العشر .

والاسهم

ثم انتقل التقرير الى بحث زكاة الاوراق المالية كالاسهم والسندات التى لم تعرف الا فى العصر الحديث ، فجاء عنها فى التقرير : « والاسهم والسندات اذا كانت قد اتخذت للاتجار والكسب من تجارتها فتعتبر من عروض التجارة فتؤخذ منها الزكاة بتقدير قيمتها فى أول العام وقيمتها فى آخره ، وتؤخذ الزكاة من الكل عند جمهور الفقهاء » .

وملاحظتنا على هذا الرأى أنه جمع بين الاسهم والسندات فى اطار واحد فى حين أن الاسهم تؤتى ربحا مشروعا لانه غير ثابت المقدار يختلف ازديادا ونقصا من سنة الى سنة . اما السندات فترتبط لها من البداية فائدة ثابتة هي أقرب ما تكون الى الربا المنهى عنه .

« وأما نسبة الزكاة فى الاسهم فنرى أن تكون فى حالة الاتجار بها ٢/٢١٪ من قيمة الاسهم وقيمة ربحها كرأى مالك ، أو من قيمة الاسم فقط كرأى جمهور الفقهاء ، وذلك قياسا على النسبة فى عروض التجارة . اما فى حالة اقتناء الاسهم للكسب لا للاتجار فتكون ٢/٢١٪ من قيمة الاسهم أسوة بنسبة الزكاة فى المال المدخر » .

وكسب العمل

ثم انتقل التقرير الى بحث الزكاة على كسب العمل وايراد المهن الحرة فقال : « لا شك أنه اذا جمع منها ما يساوى نصاب الزكاة واستمر حولا كاملا — ولو نقص فى أثناء العام — فانه تجب فيه الزكاة ما دام كاملا فى طرف العام أوله وآخره . وذلك لانه ان استمر طول العام من غير أن ينفق كله يكون ذلك دليلا على أنه لم يكن من حاجته الاصلية . وهو نام بالقوة باعتبار أن النقود يعتبرها الاسلام من المال النامى لانها خلقت للاستعمال والاستغلال لا للاكتناز » .

والعمارات

وجاء فى التقرير عن زكاة الايراد الناتج من الدور والاماكن المستغلة : ان المعروف عن جمهور الفقهاء انهم لم يقروا أخذ زكاة عن الدور ، لان الدور فى عهودهم لم تكن مستغلة بل كانت من الحاجات الاصلية . وكان ذلك عدلا اجتماعيا فى عهد الاستنباط الفقهى . أما فى عصرنا الحاضر فقد استبحر العمران وشيدت العمائر والقصور للاستغلال ، وصارت تدر أحيانا أضعاف ما تدره الارض ، فكان من المصلحة وقد صارت كذلك أن تؤخذ منها زكاة كالاراضى الزراعية . اذ لا فرق بين مالك تجبى اليه غلات أرض زراعية كل عام ومالك تجبى اليه غلات عمارته كل شهر . فلو أوجبنا الزكاة بايجاب الله فى الاراضى الزراعية ورفعناها عن المستغلات العقارية الاخرى لكان تفريقا بين متماثلين ، ولكان ذلك ظلما على ملاك الاراضى الزراعية ، ولادى ذلك الى أن يفر الملاك من الاراضى الى اقتناء العمائر، ومعاذ الله أن يكون شرعه تفريقا فى الحكم بين أمرين متماثلين . والاختلاف بيننا وبين السادة الفقهاء الاولين هو اختلاف عصر ، فما كانت الدور عندهم مستغلة كعصرنا » .

وبعد ، فهذه خلاصة لاجتهاد ثلاثة من فقهائنا المبرزين ، فى تطبيق فريضة الزكاة على أنواع من الاموال استحدثت فى عصرنا ، على أساس اشتراك العلة فيها مع الاموال التى فرضت عليها فى البداية ، وعلى أساس ما أجمع عليه الفقهاء وأشرنا اليه من قبل من « أن النصوص الواردة فى الزكاة من حيث أموالها هى نصوص معللة ، وليست من الامور التعبدية وان كانت التقديرات ليست محل قياس » .

وحيث اننا هنا نعالج حق ولى الامر فى جباية الزكاة ، وتكليفه بحمل هذه الامانة ، فان واجب المجتمع الاسلامى يقضى بتذليل مهمة ولى الامر فى تنفيذه احكام هذه الفريضة التى أراد الله أن تكون ركنا أساسيا فى تنظيم المجتمع ، وذلك باتفاق فقهاء الاسلام على احكامها وعلى كل ما يتصل بهذه الفريضة بعد أن اختلفوا فى كل ما يتصل بها اختلافا بعيد المدى ثم اعلان الاحكام المتفق عليها للكافة حتى تكون موضع التكليف .

ذلك لان هذه الفريضة التى أجاز عثمان رضى الله عنه أن يتولى المكلفون بها أداءها فى مصارفها الشرعية باعتبارهم وكلاء عن الامام ، قد أصبحت فى عصرنا — بعد « فساد الزمان » وضعف الوازع الدينى — لا مناص من تحميل أمانة جبايتها لولى الامر ، وأن لا يترك أداؤها لتطوع الافراد .

الزواج
وآثاره في حياة الفَرد والجماعة

بقلم : فضيلة الشيخ احمد الخميس
المستشار بمحكمة الاستئناف العليا ـ الكويت

اذا ألقينا نظرة فاحصة على واقعنا الاجتماعي ، وجدنا أن الفتنة قد ذرت قرونها فى كل ناحية من نواحي حياتنا الاجتماعية ، منذرة بأفدح الأخطار وأوخم العواقب ، ووجدنا أن مظاهر الفساد والانحلال آخذة بالازدياد والانتشار بترويج المروجين من دعاة الفتنة والضلال الذين لا يتقون الله ولا يبالون بغير شهواتهم وغرائزهم وانانياتهم الدنيئة، غير عابئين ولا مكترثين بما يجرونه على مجتمعهم من مفاسد وشرور وفضائح وخراب .

ومن الصعب أن نتلمس فى هذا المقال جميع مظاهر الفساد وأسبابه فى حياتنا الاجتماعية ، ولذا سأقصر الحديث على أهم جانب من جوانب حياتنا الاجتماعية، والذى تكمن فيه أسباب كثيرة من المشاكل والمفاسد ، كما تكمن بنفس الوقت طريقة العلاج والحلول السليمة .. هذا الجانب هو الجانب الذى يتعلق بالحياة الزوجية وبناء الأسر ، وما ينتج عنه من آثار فى حياة الفرد والجماعة .

فالزواج من الناحية الاجتماعيةواجب تدفع اليه غريزة حب الاجتماع وغريزة البقاء ، والحفاظ على الجنس البشرى ، وهو السبيل الطبيعي المشروع لقيام الصلة بين الرجل والمرأة ، هذه الصلة التي تعتبر من أقوى الدعائم الاجتماعية، والتي تنشأ بسببها أمتن الروابط والصلاة بين أفراد المجتمع .

والزواج من الناحية الشخصية سبيل للسكن النفسي والاطمئنان الروحي والعاطفي وطهارة للقلب والنفس ، وحماية للمروءات ووقاية من الانحراف والانزلاق الى المحرمات .. كما هو سبيل لتنمية المودة والألفة والرحمة وجميع معاني الخير بين الجنسين .

ولما كان للزواج كل هذه الأهمية من الناحيتين الاجتماعية والفردية ، فقد رسم الله سبحانه وتعالى له منهجا واضحا مفصلا ، وحد له حدودا ووضع له قواعد وأصولا ، وأوجب فيه التزامات على الطرفين وحذر من التهاون فيها ،

وانذر العابثين بقواعده وحدوده أشد العقاب للحفاظ على قدسيته وضمان أداء وظيفته على خير وجه ، فالزواج عهد وميثاق قال تعالى . « وأخذن منكم ميثاقا غليظا » وفى ذلك اشارة الى أن النساء أخذن من الرجال ميثاقا عظيما هو ميثاق الزواج ، وعهد الاخلاص والوفاء يلتزم بهما كل من الطرفين ، ويؤدى كل طرف منهما ما يجب عليه نحو الآخر من المعاشرة بالمعروف على أساس المشاركة الفعلية بينهما ، فلا غنى لأحدهما عن الآخر . « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، وأى ميثاق وأى عهد أعظم من العهد الذى أخذه الله على الرجال للنساء عندما يوثق هذا الميثاق بقول . « والله على ما نقول وكيل » .. وقد جعل الله تعالى الزواج من آياته العظيمة فقال تعالى . « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » وقال « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » فلا غرابة بعد ذلك أن نعرف حرص الاسلام على سلامة الحياة الزوجية وترغيبه بالزواج والحض عليه، لأن الزواج سبيل الاعفاف وصيانة الرجال والنساء من حياة الفوضى والعبث والرذيلة ، وخلاص من القلق والاضطراب، وسبيل للاستقرار النفسي والاجتماعي .

ولكن الزواج قد يكون أو قد يصبح من أهم أسباب الفساد والفوضى الاجتماعية وعدم الاستقرار وخلق كثير من المشاكل الاجتماعية والخلقية والمفاسد الخطيرة ، وذلك عندما يساء استعماله ، اما عن جهل أو عن سوء نية .. فالرجل الذى يرى الزواج وسيلة لمتعة الجسد وقضاء الشهوة فقط دون اعتبار للمعانى الروحية والعاطفية والنفسية والاجتماعية والخلقية الكريمة يسىء الى هذا النظام الكريم باساءة استعماله ، فالذى يتخذ الزواج ستارا لمآرب شيطانية فيقدم على الزواج ممن يشتهيها قلبه ، وهو يضمر فى نفسه نية التوقيت والعزم على الطلاق بعد أن ينال غايته الدنيئة ، فحكمه حكم الزاني بل ان عمله هذا لهو أشد من الزنا فظاعة وخبثا وسوء عاقبة ، لانه يكون قد غرر بفتاة بريئة خدعها بعقد الزواج ثم رمى بها بعد أن ملت نفسه منها ، وتاقت لاخرى دون حساب لمصير هذه الفتاة ومستقبلها وسمعتها ، وسواء كان المقدم على الزواج قد أسر فى نفسه العزم على الطلاق بعد مدة معينة أم لم ينو ذلك ، فان التسرع بالطلاق واللجوء اليه لأتفه الاسباب يعتبر اخلالا بالميثاق الذى قطعه على نفسه بالوفاء والصدق والاخلاص وعبثا بنظام الزواج ، فالطلاق أبغض الحلال الى الله ولا يجوز اللجوء اليه الا عند الضرورة القصوى ، وعند تعذر أو عدم جدوى وسائل التفاهم وطرق التوفيق وازالة الخلاف .. فكم من أسرة تهدمت بتسرع الرجل بايقاع الطلاق على زوجته لاتفه الاسباب دون تقوى من الله أو حساب للنتائج الخطيرة التي تترتب على الطلاق فى مجال الفرد والاسرة والمجتمع والاخلاق ... فالطلاق انما شرعه الله للناس ليكون الحل المناسب عندما لايوجد حل سواه ، ولكن بعض الناس يسيئون استعمال هذا الحق فيستعملونه بغير حق اضرارا بالآخرين أو تحقيقا لشهوات حيوانية لا تعرف القناعة ولا المروءة ، فالرجل الشهواني الذى لاهم له الا التنقل من امرأة الى أخرى يسىء الى نفسه بتحطيم قواه وماله ، ويسيء الى المجتمع الذى يعيش فيه ويفسد على كثير من الاسر نظام حياتهم ، وأى انسان هذا المزواج المطلاق الذى لا تصفو عشرته ولا يأمنه صاحب ولا يحفظ عهدا ولا ميثاقا .

وان الاسلام الذى أباح الطلاق للضرورة أباح التعدد للضرورة كذلك ، وكم من الرجال وخاصة ممن أعطاهم الله بسطة



في الجسم والمال يسيئون استعمال التعدد، فيتخذونه وسيلة لاهوائهم دون مراعاة لنظام التعدد من شرط العدل وحسن المعاملة ، فالظلم والطغيان والاعتداء على حقوق الغير حرام ، وغير جائز وقوعه على أبعد الناس ، فكيف يصح أن تعامل به الزوجة وهي أقرب الناس الى الرجل وفى الحديث الشريف « من كان له زوجتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط » . فتعدد الزوجات انما أباحه الله لغايات اجتماعية واخلاقية سامية وقيده بقيود كفيلة بتحقيق المنافع الشخصية والاجتماعية الذى أبيح لاجلها، فالتعدد مثلا هو الحل الوحيد المناسب عند وقوع الحروب الطاحنة والكوارث التى تقضي على كبير من الرجال ، بحيث لوكان التعدد ممنوعا لادى الى حرمان كثير من النساء من الزوج والمعيل لعدم كفاية الرجال فى مثل هذه الحالات، كما أن هناك حالات عديدة تستوجب التعدد وتجعل اللجوء اليه افضل الحلول، وسبيلا للحيلولة دون حدوث كثير من المآسى والجرائم والحوادث الاخلاقية المؤسفة ، وهذه أوروبا بعد الحربين العالميتين خير شاهد على ما حصل من فجور وفوضى أخلاقية لنقص الرجال وبقاء كثير من النساء بلا أزواج عرضة للرذائل وحبائل الشيطان.. واذا ظهرت بعض النتائج السيئة لنظام التعدد فى مجتمعنا ، فهذه النتائج ليست من مساوىء النظام بل هي مساوىء الذين انحرفوا عن النظام ، والذين أساءوا فهم واستعمال هذا الحق ، فظلموا وقد أمروا بالعدل وجاروا وقد أمروا بالانصاف وحسن المعاملة ، وفى مثل هذه الحالات يكون العيب من الناس المنحرفين لا من نظام التعدد نفسه .. فقد ورد أنه يأتي على الناس زمان يكون للخمسين القيم الواحد من الرجال ، فما هو الحل غير التعدد فى مثل هذه الحالة ؟ ...

وبعد هذا الاستعراض نخلص الى القول أن اساءة استعمال حق الزواج والطلاق والتعدد والانحراف عن المنهج الذى رسمه الله تعالى للناس فى أمور الزواج والطلاق والتعدد .. هو السبب فى حدوث كثير من المفاسد الاخلاقية والاجتماعية ، وأن الدواء الوحيد هو العودة الى الدين الحق الى المنهج الرباني الذى شرعه لعباده . فيا أيها المسلمون رجوعا الى كتاب الله وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، ورجوعا الى دين الاسلام ، دين الرحمة والخير والبر ، دين العدالة والحرية والكرامة دين العقل والسلامة للبشرية دين المدنية الفاضلة الكريمة ، فالاسلام مصباح الحياة وكوكب السعادة ومبعث الاطمئنان والاستقرار للبشرية ، فبالاسلام نسعد ونبني حياتنا على أمتن القواعد وأفضل الاسس،وبالاسلام تستقر حياتنا وتستقيم أمورنا ، ونحفظ أسرنا واعراضنا وكرامتنا ومروءتنا ، وبالاسلام نزدهر ونتقدم ونحقق الخير لانفسنا ولمجتمعنا وللبشرية جمعاء ، فالاسلام ـ والاسلام وحده ـ دستور للحياة الحرة الكريمة المستقرة السعيدة .

فاللهم ردنا والمسلمين جميعا الى دينك ردا جميلا حميدا والحمد لله رب العالمين

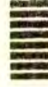
هجرة و هجرة

كيف أصبحت الهجرة حراماً؟

لفضيلة مفتى الأردن
الشيخ عبد الله القلقيلى

رأينا فى العدد الثالث والعشرين من مجلة (الوعي الاسلامي) من السنة الثانية مقالا بعنوان (الهجرة والاسلام فى أميركا) ذكرنا بفتوى لنا سابقة بينا فيها حكم هجرة الفلسطينيين الذين شردهم عدوان اليهود عن فلسطين الى أميركا واستراليا وغيرهما من البلاد النائية التي ينقطعون فيها عن بلادهم ، ولا ترجى عودتهم اليها ، وذلك كما يهوى يهود اسرائيل ولذلك أنكرنا هذه الهجرة ، والسعي لتسهيلها الى تلك الأقطار النائية الشاسعة لأن تلك الهجرة اليها قاطعة لهم عن وطنهم بلا ريب .

وقد أرسلت فتوانا هذه اذ ذاك الى المسئولين كما نشرت فى الصحف ورأينا أنه ينبغي ألا يفتر الكتاب وعلماء الدين عن بيان ما فى الهجرة الى أميركا وغيرها من الأقطار المترامية من العار والاثم ، على الفلسطينيين وان عليهم أن يبقوا فى وطنهم أو حوله مرابطين وانهم اذا ما بقوا لأعدائهم فى وطنهم صامدين فانهم يكونون عند الله من المجاهدين ، وقد ذكر العلماء المتقدمون ان المرابطة التي تقوم على حفظ البلاد من استيلاء العدو المتربص بها ابتغاء مرضاة الله واعلاء كلمة الله أفضل من المجاورة فى بيت الله الحرام ، وان هجرة هؤلاء الى البلاد النائية مثل أميركا واستراليا وأنقطاعهم عن وطنهم حرام ومن أكبر الذنوب وأعظم الآثام من جهتين :



الأولى : ترك البلاد فريسة سائغة للأعداء الذين استولوا عليها معتدين غاصبين مع ان الدفاع عنها واخراج العدو منها انما يلزم أهل تلك البلاد أولا فى حكم الشرع ، فاذا عجز أهل البلاد لزم غيرهم من المسلمين ، وذلك من حكم الجهاد . فان الجهاد لدفع الأعداء واعلاء كلمة الله فرض كفاية على كافة المسلمين، لكنه يتعين على أهل الوطن الذى يهاجمه العدو للاستيلاء عليه ، فاذا عجز أهله فعلى الذين يلونهم ولا يزال على هذا حتى يلزم المسلمين عامة . فمهاجرة أهل فلسطين الى حيث لا يكون فى امكانهم دفع العدو عن أوطانهم ، والاعانة على ذلك انما هو بمنزلة الفرار من الزحف ، وافراغ البلاد للعدو والمعتدى . وقد جاء فى الحديث الصحيح أن الفرار من الزحف هو (من السبع الموبقات) والموبقات هي المهلكات ، فتكون من الكبائر ، وقد يقال أين الزحف ؟ فنقول اننا ما نزال الآن فى حرب مع اسرائيل ، وان من خطط الحرب الزحف ، فهو واقع لا محالة ، فمن يهاجر الى بلاد بعيدة لا يرجع منها فهو فار من الزحف .

والجهة الثانية : التي تجعل تلك الهجرة من الآثام ومن الذنوب العظام أن هؤلاء الذين يهاجرون الى مثل بلاد أميركا القاصية أو كندا أو استراليا يصيرون الى مواطن هناك لا أثر فيها للاسلام ، فلا يستطيعون أن يقيموا دينهم ، حيث لا تتيسر لهم فيها مساجد تقام فيها الجماعات والجمعات ولا الأعياد ، ولا يصلى على الجنازات ولا يجرى عليهم الضرورى الذى لا بد منه من أحكام الدين وليس من مقابر يدفنون فيها ولا امامة دينية يرجعون اليها ، أضف الى هذا اندماجهم فى البيئات التي يعيشون فيها فينسون دينهم ويغلب عليهم أن يتركوا تعاليمه كما علمنا ، ولا سيما اذا تزوجوا من أهل تلك البلاد ، فلا يكون زواجهم حسب الشريعة الاسلامية ، ثم ان نسلهم غالبا لا يعرف دينا الا دين أهل البلاد التي هم فيها ، فينشأ أولادهم والعياذ بالله على الكفر والالحاد ، وتتزوج بناتهم غير المسلمين ، وحسب أولئك الذين ينتشرون فى تلك البلاد أفرادا لا يجدون للاسلام فيها هاديا ولا منارا ــ حسب هؤلاء اثما أنهم يتركون فى غير أمتهم عقبا وذرارى يتناسلون الى يوم القيامة على غير ملتهم يحملون أوزارهم واثمهم وعارهم ، وقد يكون منهم من يكون عدوا للاسلام يسعى لاستئصاله وقلع جذوره وتقطيع أوصاله وانهم لا يستطيعون أن يقولوا انهم ليسوا عن ذلك مسئولين ولا بآثامهم مأخوذون لأنهم غرسوا غرسا وأقاموا عقبا ونسلا يوقنون بأن ذلك مصيرهم قطعا اما من لا يكون مسئولا عن عقبه اذا تردى فى الكفر واقترف الأثم فهو من يترك عقبه فى بلد لا يقطع بأن نسله صائر فيه الى الكفر والاثم حتما ، ومثلهم فى ذلك كمثل من يحبس انسانا فى مكان يقطع بأنه ليس فى ذلك المكان ما يمسك حياته فيه حتى يموت أفلا يكون مسئولا عنه دنيا وأخرى ؟ .

ونحن لا نرى أن الضرورة تبلغ بأحد أن يهاجر الى بلاد يضيع بهجرته اليها وطنه ودينه ، ويترك فيها ذرية بعيدة عن الاسلام الى يوم القيامة ، وكثير من هؤلاء الذين يهاجرون الى مثل تلك البلاد القاصية لا يبغون الا السعة والبسطة ، والمزيد من المال والثروة ، وما ذلك بالذى يسوغ أن يذهب المسلم الى بلاد يضيع فيها دينه ووطنه ، وينشأ على غير الاسلام نسله وعقبه ، ولا نرى الا أن مثل هذا ممن يؤثر الحياة الدنيا على

الأخرى ، ويستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير ، وما نرى الا أن هؤلاء مأواهم جهنم وبئس المصير .

وهذا ما جاء فى كتاب الله عز وجل مما يستبين منه حكم الهجرة من بلاد لا يستطيع المسلم أن يقيم دينه فيها قال تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » (٩٧ ـ النساء) وهذه الآية نزلت فيمن كان فى مكة وقد تأخر عن اللحاق بالمسلمين الذين هاجروا الى المدينة امتثالا لأمر الله ، واستجابة لدعوة رسول الله ، وقد هاجر صلى الله عليه وسلم ، وكان فى الهجرة اذ ذاك تحقيق للغرضين اللذين بيناهما آنفا ، وهما :

فرار المسلم بدينه اذا لم يكن قادرا على اقامته ، ولتعرضه للفتنة عن دينه بما كان يتعرض له من أذى المشركين وتعذيبهم حتى يؤدى ذلك اما الى القتل (١) أو الخروج عن الاسلام .

والغرض الآخر أن يكونوا عونا لأخوانهم الذين هاجروا الى المدينة فى قتال الكفار كما بينا .

وهذان الفرضان ما يزال تحقيقهما مطلوبا ، فان على الفلسطينيين ان كانوا مهاجرين فى بلاد بعيدة ان يهاجروا منها عائدين الى فلسطين ليساهموا فى القتال لخلاصها ، ويكونوا فى ذلك عونا لاخوانهم الذين يقاتلون ثم على كل مسلم مقيم فى بلاد لا يستطيع أن يقيم فيها دينه ويخشى أن يفقده أو يترك عقبا وذرية لا تعرف الاسلام وتدين بغير الاسلام ، عليه ان يهاجر فارا بدينه ، وهذا يفهم صريحا من الآية التي أوردناها آنفا ومن الأحاديث حديث السنن (انا برىء من مسلم بين مشركين) والمقصود أن يكون بين من لا يستطيع أن يقيم دينه بينهم . فمن كان مقيما بين من لا يستطيع أن يقيم دينه بينهم فالنبى صلى الله عليه وسلم برىء منه .

ومما يؤيد رأينا فى الهجرة أى انها ما تزال واجبة فى بعض الأحيان ما جاء فى السنن من رواية معاوية (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة » (٢) ومما يدل على أن الهجرة من فروض الاسلام وان من يقيم فى بلاد غير بلاد الاسلام ولا يستطيع أن يقيم دينه ليس من الاسلام فى شيء قوله تعالى « والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا » (٣) .

وذلك ان المؤمنين كما جاء فى غير ما آية من الكتاب (٤) بعضهم أولياء بعض ، ينصر بعضهم بعضا ، وينصح بعضهم بعضا ، ويتآمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر . ففي الآية فى قوله تعالى : « ما لكم من ولايتهم من شيء » اسقاط هذه الولاية والغاؤها ، وهذه الولاية هي جماع حق الايمان فيكون ايمان الذين آمنوا ولم يهاجروا كأنه لم يعتد به ، فتكون الهجرة فرضا لازما وحقا محتوما .

وقد يقال ان فى مطلع هذا الكلام الحكم بتحريم الهجرة ، وههنا القول بأن الهجرة حق واجب ، وهذا تضارب فى الكلام ؟ فنقول اننا بينا من قبل أن الهجرة فى بدء الاسلام انما فرضت لغرضين، وقصد بها الى غايتين احداهما : أن يتمكن المسلمون من اقامة دينهم ، والدعوة اليه ، وعبادة

البقية على ص ٨٦

(١) كمثل آل ياسر . (٢) الى آخر الزمان . (٣) ٧٢ الأنفال .

(٤) كما فى قوله عز وجل « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم ألياء بعض » (٧١ الأنفال) .

ماحكم

رسالة من مجمع البحوث بالأزهر

إلى السادة العلماء والباحثين في البلاد الإسلامية

التأمين بأنواعه المتعددة من النظم الوافدة الينا مع الاستعمار الغربي ، ولم يكن له وجود قبل ذلك فىعصور ازدهار الفقه الاسلامي ، ولذلك لم يجد له المشتغلون بالفقه الاسلامي فى عصورنا الحديثة احكاما تركها السابقون ، فألحقوه ببعض العقود التي تحدث عنها أئمتنا وحرموه . ونظرا لأن التأمين أصبح حقيقة واقعة تتوقف عليها كثير من المعاملات التجارية وغيرها فقد كثر التساؤل : ولماذا يكون حراما وليس فيه نص صريح كالربا مثلا ؟ . وكان من الضروري أن يعاد بحثه من جديد ، وتطلع المسلمون فى كافة أقطارهم الى مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ـ وهو يضم نخبة من خيرة العلماء فى العالم الاسلامي ـ ليصدر فيه الحكم المناسب . وقد طرح الموضوع فعلا فى المؤتمرات العلمية التي عقدها المجمع ، وتقدم بعض العلماء ببحوث يرون فى نهايتها جواز التأمين بينما تمسك آخرون بحرمته .. ونظرا لخطورة الموضوع ولادراك القائمين على المجمع للامانة العلمية الملقاة على عاتقهم فقد رأوا ألا يقتصر البحث على دائرة العلمـاء فى المجمع وقرروا « أن يتعرفوا على آراء المسلمين فى جميع الاقطار الاسلامية ـ بالقدر المستطاع ـ فى الحكم الشرعي لانواع التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات تمهيدا لاصدار حكمه فى هذا الموضوع »

ومن أجل هذا وجه الدكتور محمود حب الله الامين العام لمجمع البحوث رسالة الى علماء المسلمين بهذا الشأن . وبعث لنا بصورة من هـذه الرسالة « لننشرها فى صورة خطاب للسادة العلمـاء والمشتغلين بالبحث فى مثل هذه المسائل ليفيدوا المجمع برأيهم فى أقرب وقت مستطاع »

وادراكا منا لأهمية هذا الموضوع ، وبالتالي لهذه الرسالة ، نسارع بنشرها راجين ـ مع الامين العام للمجمع ـ أن تجد ما هي جديرة به من عناية لدى المهتمين بهذه الدراسات ،حتى يتمكن المجمع من اصدار حكم ينتظره المسلمون جميعا فى هذا الموضوع .

ونرحب من جانبنا بفتح باب المناقشة العلمية على صفحات الوعي الاسلامي

السيد /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

فان التأمين الذى تقوم به الشركات التجارية نشأ بين الأمم الاوربية من زمن بعيد ، وظهرت بعض أنواع منه فى بعض الاقطار الاسلامية فى أواخر النصف الاول من القرن الثالث عشر الهجرى ، ثم تكاثرت أنواعه وانتشرت شركاته فى الاقطار الاسلامية .

التأمين؟

محمد يونس

والتأمين الذى تقوم به الشركات هو الذي يطلق عليه رجال القانون ورجال الاقتصاد اسم التأمين الخاص فى مقابلة التأمين التعاوني والاجتماعي ، وأنواع التأمين الخاص كثيرة جدا .

ونظرا لكثرة أنواعه واختلاف المخاطر التي يواجهها كالموت والشيخوخة والعجز والحوادث الجسمية والمادية والحريق والاختلاس والسرقة وغيرها وقع اختلاف فى تعريفه .

فرجال القانون يقولون أنه عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدى الى المستأمن ، أو الى المستفيد الذى اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال ، أو ايرادا مرتبا أو أى عوض مالي آخر فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد ، وذلك فى نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المستأمن للمؤمن .

ورغبة من رجال الاقتصاد فى بيان أن المخاطرة فيه ليست ذات شأن ارتضوا القول بأنه عملية يحصل بها المستأمن على تعهد لصالحه أو لصالح غيره ، بأن يدفع له المؤمن عوضا ماليا فى حالة تحقق خطر معين ، وذلك فى نظير مقابل مالي هو القسط ، وتنبنى هذه العملية على تحمل المؤمن تبعة مجموعة من المخاطر باجراء المقاصة بينها وفقا لقوانين الاحصاء .

والجميع يقسمون هذا التأمين الخاص الى الاقسام الآتية :

أولا : التأمين على الاشخاص

والتأمين على الاشخاص عقد يتعلق بشخص المستأمن هدفه منه تأمين نفسه ، أو تأمين المستفيد من نتائج الاخطار التي تهدد حياته أو سلامة جسمه أو صحته أو قدرته على العمل .

وهو تأمين لا يقوم على تعويض الضرر ، بل يستولي المستأمن ، أو المستفيد على مقدار التأمين المتفق عليه بأكمله اذا تحقق الخطر الذى كان التأمين من أجله من غير نظر الى قيمة الضرر الذى أصابه ولا الى حصول ضرر أو عدم حصوله . وهو تأمين من الاصابات ، وتأمين على الحياة .

أ ــ التأمين من الاصابات

هو تأمين مما يصيب الانسان لسبب خارجي مفاجىء فيؤدى بحياته أو يصيبه فى جسمه ، كأن يموت فى حادث مفاجىء أو يصاب بما يسبب عجزه عن العمل . ويستحق المستفيد أو المستأمن مبلغ التأمين متى تحقق هذا الخطر .

ب ــ التأمين على الحياة :

عقد يلتزم به المؤمن ــ مقابل أقساط ــ بأن يدفع للمستأمن أو لشخص ثالث مقدارا من المال اذا مات المستأمن ، أو اذا بقى حيا بعد مضي مدة معينة ، والتأمين

قد يكون مقدارا من المال يدفع لمستحقه دفعة واحدة ، وقد يكون ايرادا مرتبا مدى حياة المستحق ، طبقا لما يقع عليه الاتفاق .

واذا كان التأمين ، على الحياة مؤقتا بمدة معينة ولم يمت المستأمن خلال هذه المدة برئت ذمة المؤمن وضاعت على المستأمن الاقساط التي أداها اليه .

واذا كان التأمين على الحياة غير مؤقت بمدة وكان لمصلحة ثالث ومات هـذا المستفيد قبل المستأمن برئت ذمة المؤمن وضاع على المستأمن ما دفعه من الاقساط غير أنه لا يطالب بشيء من الاقساط الباقية ان وجدت .

واذا كان التأمين واردا على أن يدفع مقداره فى وقت معين وبقى حيا الى هذا الوقت استحق المستفيد مقدار هذا التأمين ، واذا مات قبل هذا الوقت انتهى عقد التأمين وبرئت ذمة المؤمن وضاعت الاقساط .

وللتأمين على الحياة صور أخرى يمكن الوقوف عليها مـن المؤلفات القانونيـة والمؤلفات الاقتصادية .

ثانيا ـ التأمين على الاشياء

التأمين على الاشياء هدفه تأمين المستأمن من ضرر يصيب ماله بطريق مباشرة وقد يكون محل التأمين عينا معينة بذاتها ، وقد تكون العين نوع محل التأمين لا ذاته ، كالتأمين على أى بضاعة أو أية أمتعة توجد فى مكان بعينه ، وكالتأمين من السرقة أو الضياع على ما يحصل الصيارفة من النقود .

وعقد التأمين على الاشياء لا يظهر فيه سوى شخصين ، هما المؤمن والمستأمن ، وهو فى هذا كالتأمين على الاشخاص ، وفى هذا العقد يعين عادة حد أقصى من النقود يقع عليه التأمين .

وهذا العقد ليس مصدرا لاثراء المستأمن ، ويقتصر أثره على تعويضه فى حدود الضرر الذى لحقه ، وهو لا يستحق الا أقل القيمتين ، مبلغ التأمين ، وقيمة الضرر . حتى لو فرض أنه تعدد منه التأمين على هذه الاشياء لدى جهات تأمين مختلفة . وهذا التأمين قد يكون تأمينا من السرقة ، أو التبديد ، أو الخيانة ، وقد يكون تأمينا لكفالة الوفاء بدين المستأمن على غيره ، أو لوقايته من أعسار مدينه ، وقد يكون تأمينا من تلف المزروعات أو هلاك الماشية ، وقد يكون تأمينا من الحريق ، وهو أهم أنواع التأمين على الاشياء ، وله أحكامه الكثيرة المفصلة فى المؤلفات والموجزة فى عقود التأمين ، وهي فى العادة تسري فى سائر أنواع التأمين على الاشياء .

ثالثا ـ التأمين على المسئولية

هو عقد يلتزم به المؤمن للمستأمن بتحمل الضرر الذى يلحقه من جراء رجوع الغير عليه بالمسئولية المالية ، فهو عقد يظهر ثلاثة أشخاص ، هـم المؤمن والمستأمن وصاحب المسئولية ، ولهذا التأمين صفة الضرر كالتأمين على الاشياء ، والتأمين من المسئولية قد يكون تأمينا من خطر معين ، وهو تأمين على قيمة مقدرة ، أو قابلـة للتقدير ، ويكون ذلك فى التأمين من المسئولية عن شيء معين فى يد غير مالكه الذى يكون مسئولا أمام مالكه عن قيمته ، كمسئولية المستأجر عن حريق العين المستأجرة ، ومسئولية أمين النقل عن البضائع التي ينقلها .

وقد يكون تأمينا من خطر غير معين ، كمسئولية حوادث العمل ، وحوادث النقل ، وحوادث السيارات .

واذا كان التأمين قد حدد بمبلغ معين لا يكون المؤمن ضامنا للمسئوليـة الا فى حدود هذا المبلغ ، واذا كان غير محدد بمبلغ معين يكون المؤمن ضامنا للمسئوليـة أيا كان مقدارها .

هذه هى أهم أنواع التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات التجارية ، وهـذه هى طبيعتها التى تكفى لابداء وجهة النظر الاسلامية فيها . ومن اراد التوسع والوقوف على التفصيلات أمكنه الرجوع الى ما ألف فى موضوع التأمين باللغة العربية وغيرها .

ومنذ أن ظهر التأمين فى الاقطار الاسلامية تناوله بعض المؤلفين ورجال الفقـه الاسلامى ، وكلما ازداد انتشار شركاته واتسعت الدعاية له كثر الخوض فيه فتناوله العلماء وغيرهم فرادى وفى بعض الهيئات ، واختلفت آراؤهم فيه اختلافا بينا .

فمنهم من لم يجزه أصلا،محاولا تطبيق أحكام العقود المعروفة فى الفقه الاسلامى، ومنهم من : أجاز التأمين بجميع أنواعه ، ومنهم من أجاز بعض انواعـه دون البعض الآخر .

وقد أثيرت فى بحوث الباحثين على اختلافهم المسائل الفقهية الآتية :

*** جواز احداث عقود غير العقود المعروفة فى صدر الاسلام أو عدم جوازه .**

*** تطبيق احكام الضمان والكفالة على التأمين أو عدم تطبيقها .**

*** احكام الجهالة والغرور والقمار والمراهنة .**

*** هل فى التأمين أكل لاموال الناس بالباطل أم لا ؟**

*** هل فى بعض انواعها ربا أو شبهة الربا أو هو خلو من ذلك ؟**

***هل يمكن أن يطبق على التأمين احكام عقد العرف أو لا ؟**

*** هل فيه اعانة للشركات على الاستغلال المحرم أو لا ؟ واذا كانت فيه هذه الاعانة هل تبطله شرعا أو لا ؟**

*** هل فيه غبن مبطل أو لا ؟**

*** هل فى اباحته للمسلمين ابطال لمقوماتهم وخصائصهم الدينية بدون حـاجة اليه أو ليس فيها شىء من ذلك ؟**

*** هل يصح الاستناد فى اباحته الى العرف والضرورة الاجتماعية أو لا يصح ؟**

الى غير ذلك من المسائل الفقهية التى دعا اليها التوسع فى البحث .

وقد عرض بحث فى موضوع التأمين بجميع انواعه فى المؤتمر الثانى لمجمـع البحوث الاسلامية بالازهر ، فقرر المؤتمر الاستمرار فى دراسة أنواع التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات ، بواسطة لجنة جامعة لعلماء الشريعة الاسلامية والخبـراء الاقتصاديين والقانونيين والاجتماعيين .

والأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، اذ تضع أمامكم هذه الخلاصة لمسائل التأمين الخاص الذى تقوم به الشركات ، ترجو موافاتها برأيكم ــ فى أقـرب فرصة ممكنة ــ فى المشكلات التى يثيرها هذا النوع من التأمين ، وفى الحكم الشرعى الخاص بهـا .

وذلك تنفيذا منها لقرار مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، الذى يقضى بالوقوف على آراء علماء المسلمين فى جميع الأقطار الاسلاميه بالقدر المستطاع قبل أصدار الحكم فى هذا النوع من التأمين .

والله الموفق .

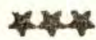
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الامين العام
لمجمع البحوث الاسلامية
دكتور محمود حب الله

هذا
بلاغ

مالكم لا تناصرون؟

تقدمت الدنيا ولم تتقدموا ... ولا عذر الا أنكم لم تصمموا
اليكم بنى الاسلام أهدى نصيحتى ... وقلبى عليكم بالأسى يتضرم
أفيقوا ، أفيقوا ، لا مجال لخامل ... ولا سبق الا للذى يتقحم
أفيقوا فقد لاح الصباح لناظر ... وهبوا اليه طالما قد رقدتمو
سواكم علا فوق الصواريخ للسها ... ومعظمكم فوق الأسرة يحلم
إذا قَسَّم الذرات قوم فانني ... أراكم قَسَّمتم جمعكم واختصمتمو
وان جد في نيل المعارف باحث ... بحثتم عن اللذات ثم انغمستم
أليس لكم قلب يفيء لربه ؟ ... أليس لكم عين ؟ أليس لكم فم ؟
حياة الورى جِد ، وأما حياتكم ... فهانت على أندادكم حين هنتم



عجبت لقوم آمنوا ثم بدلوا ... ولاح الهدى فيهم ، ولكنهم عموا
اباحية عمت وعجمة ألسن ... تفشت ، والحاد كريه مُذَمَّم
وحق مضاع بين راش ومرتش ... وتمزيق أعراض ، وفحش ، ومأثم
وتقبيح معروف ، وتزيين منكر ... وشح مطاع ، وابتداعٌ مُحَكَّم
وتقديس غرب ، وازدراء عروبة ... وحجتكم فيه الأذى والتهجم
فأما اتباع الغى فهو محلل !! ... وأما اتباع الرشد فهو محرم

« نفثات شاعر مسلم أصيل ، فيها قسوة ، ولكنها مع الأسف بعض الحقيقة وما أشد حاجتنا الى ان نقسو على انفسنا ، ونفتش على عيوبنا لنتخلص منها » .

« الوعي »

للاستاذ علي عبد العظيم

وأما حضارات الأوالى فخدعة ... فما مجدهم الا رفات وأعظم
تخلى عن الدين القويم حماتُه ... فناوشه أعداؤه وتهضموا
كأن لم يعد في الشرق قلب موحد ... ولم يبق في ظهر البسيطة مسلم

***

فيا معشر الاسلام جد خصومكم ... وأنتم على الأحلام واللهو حُوَّم
أرى الجمر من تحت الرماد ، فأطفئوا ... لظاه وشيكا قبلما يتضرم
ظفرتم بالاستقلال بعد جهادكم ... ولكن الاستغراب يطغى عليكم
يدب اليكم في الدجى متسللا ... كما انساب في جنح الدجنة أرقم
عصفتم بالاستعمار فارتد خاسئا ... وتأثيره فيكم مقيم مخيم
فهل وثبة أخرى تطهر رجسه ... وهل نهضة أخرى إلى المجد تسلم ؟
أيهدأ بال المسلمين وينعم ... وفي كل بيت من فلسطين مأتم ؟ !
تشرد أهلوها وزال حماتها ... فما خلفهم الا يتيم وأيِّم
أنبصر أقدام الطغاة تدوسها ... ونصفح عن رجس الطغاة ونحلم ؟ ؟
أنسلمها للجوع يمحو كيانها ... ومعظمنا من وفرة الزاد مُتْخَم ؟
أنترك ذؤبان اليهود تنوشها ... ونحن بلذات المنى نتنعم ؟ ؟
أنسمعها تشكو المذلة والأسى ... ونحن بألحان الهوى نترنم ؟ ؟

إذا سألت عونا سخونا ببذله — وما عوننا الا الأسى والتندم
ومؤتمرات حافلات نقيمها — ونشرب فيها ما يَلَذ ونَطعَم
ونحتج حينا ثم نسخط تارة — وننشر آيات الوعيد وننظم
ونمضي ويمضي المعتدون لشأنهم — سواء لديهم من رضُوا أو تبرموا
فما ردهم عن افكهم متبسم — ولا صدهم عن بغيهم متجهم
وما أنقذ القول ُالمنمقُ أمة — وحررها ، لكن يحررها الدم



أننعم بالسلم الرخيص وقد دها — فلسطين مايدمي القلوب ويؤلم ؟
أليس بآفاق العروبة باشق ؟ — أليس بغابات المشارق ضيغم ؟ ؟
ألم يبق أوس آخرون وخزرج ؟؟ — ألم يبق للاسلام جيش عرمرم
ألم يبق حر مرهف العزم صادق ؟؟ — ألم يبق شرقي ؟ ألم يبق مسلم ؟
أحشد من الأوغاد يفرض نفسه — على مائتي ضعف ويطغى عليهمو ؟
فأين صلاح الدين ؟ أين كماته ؟ — وأين ظباه ؟ والوشيج المقوّم ؟
وأين حماة بايعوا ثم جاهدوا — وأين أباة عاهدوا ثم أبرموا
فهل أصبحوا مثل الأساطير بيننا — وبادوا كما بادت ثمود وجرهم ؟

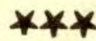


أتقضى فلسطين الأسيفة نحبها ؟ ؟ — وما انهار رضوى أو تهاوى المقطم
أغاية ما نبدى من الجهد أننا — نَسب طواغيت اليهود ونشتم ؟
إذا اتسموا باللوم والغدر فالذي — يهادنهم منا اخس وألأم ! !
وما بِفُنون الشتم نهزم خصمنا — ولكننا بالبأس والعزم نَهزِم
وبالهول — لابالقول — يبصر أكمه — ويشعُر جلمود ، وينطق أبكم
إذا القول لم يحسم قضية أمة — فان الصواريخ الرهيبة تحسم
فيا أمة الاسلام ان شئت عزة — فان كتاب الله هاد مقوم
وليس لكم وال سواه يعزكم — ويحفظكم من كل سوء ويعصم

ففيه صفاء للقلوب ورحمة ... وفيه شفاء للصدور وبلسم
فما هو أنغام ولا هو أحرف ... ولكنه وحى الاله المترجم
وليس بأوراد ولا بتمائم ... ولكنه عهد من الله محكم
كأن قلوب المؤمنين حياله ... سماء ، وآيات التلاوة أنجم



عجبت له أعيا الورى وهو واضح ... وهزت معانيه النهى وهو مفحم
تحداه أعلام الكلام فأخفقوا ... وحاوله أهل البيان فأعجموا
وكم شاء قوم نقضه فتناقضوا ... وكم رام قوم هدمه فتهدموا
وكم أزمع الفجار طمس بيانه ... وآلوا على تحطيمه فتحطموا
سواء لديه حاكم ورعية ... وسيان فيه ذو ثراء ومعدم
فما زكت الانسان فيه أصوله ... ولكن يزكيه التقى والتأثم
صحائف دستور جلاه (محمد) ... لأمته ، والله نعم المنظم
قوانينه شورى وسلطانه هدى ... وغايته فضل مشاع مقسم
فى كل عصر من معانيه نفحة ... وفي كل اقليم من الخلد ميسم
تزول الرواسى وهو باق مخلد ... وتنصرم الدنيا . ولا يتصرم
يظل شبابا خالدا متألقا ... وكل الذى فوق البسيطة يهرم



فيا قوم عودوا للكفاح وصمموا ... فلن يبلغ الغايات الا المصمم
اعيدوا مقاليد العلا لنصابها ... وهبوا لادراك الذرى وتسنموا
قسوت عليكم في النصيحة عامدا ... وانى لأحنى ما أكون وأرحم
ولى أمل فيكم كبير لعله ... بفضل تساميكم له يتجسم
لقد بدأ الاسلاف تأسيس مجدكم ... وحق عليكم بعدهم أن تتمموا
حبوكم باثار عظام جليلة ... وانى لأرجوكم لما هو أعظم

حاجتنا إلى الإيمان

للشيخ يوسف القرضاوى
شيخ معهد قطر الديني

ان قضية الايمان ليست أمرا على هامش الوجود ، يجوز لنا أن نغفله او نستخف به ، أو ندعه فى زوايا النسيان. كيف وهي أمر يتعلق بوجود الانسان ومصيره ؟ وانها سعادة الابد او شقوته . انها لجنة أبدا ، أو لنار أبدا .

فكان لزاما على كل ذى عقل أن يفكر فيها ويطمئن الى حقيقتها .

وقد فكر الكثيرون من أولى الالباب ، وانتهى كل منهم الى اثبات العقيدة فى الله بطريقه الخاص . فمنهم من استند الى صوت الفطرة فى أعماقه « أفى الله شك فاطر السموات والارض ؟ » « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

ومنهم من اعتمد على مبدأ «السببية» الذى يقرر ان كل صنعة لا بد لها من صانع ، وكل حادث لا بد له من محدث ، وكل حركة لا بد لها من محرك ، وكل نظام لا بد ان يكون وراءه منظم ، وهذا المبدأ ثابت ثبوت الاوليات البديهية فى العقول .

ومنهم من ناقش المسألة مناقشة حسابية رياضية ، فانتهى الى ان الاضمن والآمن لحياته وما بعد حياته ان يؤمن بالله وبالآخرة والبعث والجزاء ، وفى مثل هذا يقول الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرى :

قال المنجم والطبيب كلاهما
لا تبعث الاموات،قلت : اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر
أو صح قولي فالخسار عليكما

وقال الفيلسوف الرياضي « باسكال » :

« اما أن تعتقد أن الله موجود أولا تعتقد ذلك ، فماذا تختار ؟ أن عقلك، لعاجز كل العجز عن أن يختار . وانها للعبة جارية بينك وبين الطبيعة ، رمى فيها كل منكما بسهمه ، ولا بد أن يربح أحد السهمين . فوازن كل ما يمكن ان تربح ، وما يمكن أن تخسر . اذا راهنت بكل ما تملك على ظهور السهم الاول (أى على وجود الله) فاذا كسبت الرهان فقد حصلت على سعادة أبدية ، واذا أخفقت فسوف لا تفقد شيئا مهما . فلست تخاطر الا بشىء فان ، وكل غرم فان ــ ولو كان محقق الوقوع ــ متحمل ومعقول » .

ونحن نقول ـ تنزلا مع هذا المنطق : ان الذى يؤمن بالله والدار الآخـرة ، لا يخاطر بدنياه الفانية ليربح آخرتـــه الباقية . كلا ، انه بايمانه يربح الحياتين معا ، ويفوز بالحسنيين فى الدنيا والآخرة جميعا ، « مـــن كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة » « للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنـــة ولدار الآخرة خير » .

ان العبادات التى فرضها الدين انما هي وسائل لتزكية نفس المؤمن ، وترقية روحه ، وما أقل ما يبذل فيها من جهد ، الى جنب ما يكسب وراءها من خير .

وان المحرمات التـــى حظرها عليـــه الدين ، انما صان بتحريمها عقله وخلقه ، ونفسه وماله ، وعرضه ونسله ، فهو انما « يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحـــرم عليهـــم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم » .

والدين اذا حرم على الناس شيئـــا عوضهم ما هو خير منه ، مما لا يشتمل على مفسدة الشىء المحرم .

ان المؤمن لم يخسر شيئا بعبادته لله سبحانه ، واتقائه ما حرم الله عليـــه ، وانما ربح الهدى والاستقامة على الحق ، والثبات على الخير ، والاستعلاء عـــلى الشهوات ، وربح بعد ذلك هدوء النفس، وطمأنينة الحياة .

وفى عصرنا هذا أصبح الناس يجرون وراء المنفعة لاهثين ، حتى ان كثيرا منهم ليرون الحق فيما ينفعهم ، لا فيما يطابق الواقـــع . أو ما تقوم البراهين عـــلى صحته .

وقد قام مذهب برأسه ينادى بـــأن المنفعة مقياس الحقيقة ، ويصر على أن المهم من كل شىء هو نتائجه ، وما يترتب عليه من آثار فى حياتنا العملية . وعلى أن الصدق ليس هـــو مطابقة الخـــبر للواقع ، بل انسجامه مع ما سيقع . وهكـــذا ، فكـــل شىء يحكم عليه بمـــا يتبعه من نتائج ، فان كانت هذه النتائج متناسبة مع أغراضنا ، ومع ما نريد من مقدماتها كانت خيرا وصدقا وحقا . وان كانت غير ذلك كانت شرا وكذبا وباطلا . ولا يوصف الفعل بحسن ولا قبح ، ولا يوصف القول بالصدق والكذب ، حتى تعرف ثمرته .

هـــذا هـــو مذهب البراجماتزم ، أو مذهب المنفعة ، الذى يدعو اليه « وليم جيمس » وغيره .

ونحـــن لا نخشى هـــذا المذهب عـــلى عقيدتنا وان كنا لا نوافق عليه فى الجملة ـ فاننا نوقن أن أنفع شىء للناس هو الحق ، وأضر شىء بالناس هو الباطل ، وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للحـــق بالماء السائل ، والمعدن النافع ، وللباطل بالزبد الرابى على وجه الماء حين يسيل به الوادى ، أو بالرغوة المنتفخة على وجـــه المعدن ، حين يوقد عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع . ثم قال تعالى معقبا على هذا التمثيل « كذلك يضرب الله الحق والباطل فأمـــا الزبـــد فيذهب جفـــاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال » .

والذى يمكث فى الارض هو « الحق »، وهو الذى عبر عنه القرآن بـ « ما ينفع الناس » لأنه ينفعهم ماديا ومعنـــويا ، ينفعهم أجساما وعقولا وقلوبا ، وينفعهم أفرادا وجماعات، وينفعهم دنيا وآخرة .

اننا اذا وافقنا على اعتبار المنفعة فى الجملة ، فاننا نختلف مع الماديين فى قياس المنفعة ، وتحديد نوعها ومداها . نحن لا نقيس المنفعة بالكـــم وبالمادة فحسب ، ولا نعتبر المنفعة الفردية وحدها ، بـــل ندخل فى اعتبارنا الكم والكيف ، والمادة والروح ، والفرد والمجتمع جميعا .

بل نحن لا نقصر المنفعة على الحياة العاجلة هنا ، بل نضع فى حسابنا دائما الحياة الآخرة ، حياة الخلود التى أعدت للانسان ، وأعد لها الانسان .

أجل . لو أننا احتكمنا الى مقياس المنفعة وحدها ، ورضينا منطق الذين لا يعتقدون فكرة الا لمصلحة ، لوجدنا الدين — مع هذا — ثقيل الميزان ، مبين السلطان .

فقد أثبت التاريخ والاستقراء لحياة البشر ان الدين ضرورة لا غنى عنها .. ضرورة للفرد ليطمئن ويسعد ، وضرورة للمجتمع ليستقر ويتماسك .

والفرد بغير دين ولا ايمان ، ريشة فى مهب الريح ، لا تستقر على وضع ولا تثبت على حال ، انسان ليس له قيمة ولا جذور ولا أعماق ، انسان حائر قلق ، لا يعرف حقيقة نفسه ، ولا سر وجوده ، لا يدرى من جاء به الى هذه الحياة ولا لماذا جىء به اليها :

والمجتمع بغير دين ولا ايمان ، مجتمع غابة — وان لمعت فيه بوارق الحضارة — الحياة والبقاء فيه للأشد والاقوى ، لا للأفضل ولا للأتقى .. مجتمع تعاسة وشقاء ، وان زخر بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم ، مجتمع تافه رخيص لأن غايات أهله لا تتجاوز شهوات البطون والفروج ، فهم « يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام » .

ماذا حقق التقدم المادى

و « العلم » المادى — وان امتد رواقه ، وانفسحت ميادينه — ليس بمستطيع أن يحقق الطمأنينة والسعادة للناس ، لأن العلم انما يرقى بالجانب المادى للحياة ، فيختصر الشقة البعيدة ، والزمن الطويل الى مدة أقصر ، ولهذا سموا عصرنا هذا « عصر السرعة » أو « عصر التغلب على المسافات » .

ولكن هل يستطيع أحد ان يسميه عصر « الفضيلة » أو « عصر الطمأنينة » أو « عصر السعادة » للبشر ؟

ان العلم هيأ للانسان الحديث وسائل الحياة ، ولكنه لم يهده الى غاياتها ، انه زين له ظاهرها ، ولكنه لم يصله بأعماقها ، وما أتعس الانسان اذا أغرقته الوسائل ، فذهل عن الغايات . واذا شغل بالسطح عن القاع ، وبالقشر عن اللباب !!

العلم المادى أعطى الانسان أدوات كثيرة ، ولكنه لم يعطه « قيمة » كبيرة ، أو « هدفا » رفيعا ، يحيا له ، ويموت عليه .

ذلك ان هذه ليست من وظيفة العلم ، وليست من اختصاصه . وانما ذلك من اختصاص الدين .

ولقد رأينا من المفكرين والفلاسفة من لا يؤمنون بالله ، ولكنهم يؤمنون بالايمان بالله ، أى يعتقدون فى نفع هذا الايمان ، باعتباره قوة هادية موجهة ، وقوة مؤثرة دافعة ، وقوة منشئة خلاقة .

لم يستطع هؤلاء أن يجحدوا ما للايمان بالله من طيب الاثر فى نفس الفرد ، وفى حياة المجتمع ، فقال بعضهم: « لو لم يكن الله موجودا لوجب علينا ان نخلقه !! » أى نخترع للناس الها يؤمنون به ، ويلتمسون رضاه ، ويخافون حسابه حتى ترتدع الانفس الشريرة ، وتستقيم أخلاق الجماهير .

وقال آخر : لم تشككون فى الله ؟ ولولاه لخانتنى زوجتى ، وسرقني خادمي .

ونحن لا نوافق على منطق هؤلاء فى عمومه ، فان الحق أحق أن يتبع مهما تكن نتيجته ، والاباطيل يجب ان تطارد كيفما كانت العاقبة ، ولكن الذى يعنينا من قول هؤلاء - وهم خصوم الدين وأعداء الايمان - أن أثر الدين والايمان فى النفس والحياة لا يمكن أن يكابر فيه انسان .

ان الحقيقة يجب أن تحترم لذاتها ، وان لم تجلب نفعا ، أو تدفع ضررا ، فكيف اذا كان من ورائها أعظم المنافع وأطيب الثمرات ؟ .

ووجود الله تعالى وتفرده بالسلطان والتدبير واستحقاق العبادة . وبعثة النبيين وصدق ما أخبروا به عن الحياة الآخرة - كل هذا حق قامت الادلة على صدقه وثبوته ، والايمان به واجب ، لأنه حق . ومع أنه حق ، فقد نيط به صلاح الظاهر والباطن ، ورقى الفرد والمجتمع ، وسعادة الدنيا والآخرة .

ونحن حين نتحدث عن ثمرات الايمان، انما نعنى الايمان القوى الدافق . الايمان حين يبلغ مداه ، ويشرق على القلوب سناه ، ويخطر فى أعماق النفوس مجراه .. لا نتحدث عن الايمان الضعيف المزعزع ، الايمان المخدر النائم انما نتحدث عن الايمان الحي اليقظ ، القادر على التوجيه والتأثير .

ولا يضيرنا أن أصحاب هذا الايمان قليلون . فاننا نناقش هنا الماديين الذين يشككون فى قيمة الايمان . وحسبنا أن يعلم الشاكون والمشككون أن الايمان الذى يحاربونه كلما زاد عمقه فى القلوب ، وسلطانه على النفوس، ازداد أثره المبارك فى حياة الافراد والجماعات .

مفتاح الشخصية الاسلامية

واذا كان هذا أثر الايمان عموما ، فان الايمان الاسلامي - خصوصا - أكثر نفعا ، وأطيب ثمرا ، فان الايمان فى الاديان الاخرى قد علق به ما شابه ، وكدر صفاءه ، وربما أمكن أن يؤخذ من تعاليم بعض الاديان او من سلوك رجالها : أنها عدو للحياة او أفيون للشعوب . كما زعم كارل ماركس اليهودى ، وتلقفها تلامذته ، فرددوها دون بصر ولا تمييز فان الدين هنا غير الدين هناك، والمجتمع هنا غير المجتمع هناك .

ان عقيدة الاسلام عقيدة تتسع للروح والمادة ، والحق والقوة ، والدين والعلم ، والدنيا والآخرة . انها عقيدة التوحيد التى تغرس فى الناس الكرامة والحرية ، وتجعل الخضوع لغير الله كفرا وفسقا وظلما ، وتأبى على الناس ان يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله .

واذا كان للدين وللايمان هذا الاثر فى كل بلاد الدنيا ، فان أثره أعمق ، وضرورته أعظم فى بلادنا الاسلامية والعربية خاصة .

ان لكل قفل محكم أصيل مفتاحا معينا ، مهما تحاول فتحه بغيره ، كانت محاولاتك عبثا لا فائدة منه ، ولا طائل تحته الا اضاعة الوقت والجهد فى تجارب فاشلة .

ومفتاح الشخصية الاسلامية والعربية على وجه خاص هو الدين ، هو الايمان هو عقيدة الاسلام .

ومهما نحاول أن نذكى هذه الشخصية ، وأن نفجر طاقاتها المكنونة ، بغير مفتاحها الاصيل – وهو الدين – فاننا نحاول عبثا ، كمن يبنى على الماء ، او يكتب فى الهواء .

بعقيدة الاسلام انطلق العرب من جزيرتهم ، يخرجون العالم من الظلمات الى النور ، ويؤدبون بسيوفهم الاكاسرة والقياصرة ، وكل من صعر خده من الجبابرة .

وبعقيدة الاسلام انتصرت امتنا العربية على أوربا ، وقد جاءت بقضها وقضيضها فى تسع حملات صليبية ، تريد ان تلتهم الاخضر واليابس ، فى هذا الشرق المسلم .

وبعقيدة الاسلام انتصرت على غزو التتار الذين زحفوا على هذا الشرق ((كالريح العقيم ، ما تذر من شيىء أتت عليه الا جعلته كالرميم)) وكادوا يدمرون الحضارة الانسانية كلها ، لولا ان قيض الله لهم من مسلمي مصر والشام من ردهم على أعقابهم ، وهزموهم باذن الله فى ((عين جالوت)) وكان مفتاح النصر صيحة أطلقها القائد المملوكي ((قطز)) فهزت المشاعر واستثارت العزائم ، وأيقظت الهمم ، وهبت بها على المقاتلين نسمات الجنة . تلك هي الصيحة التاريخية ((وا اسلاماه))، الا أن كل عمل أو قول يزعزع الدين والايمان فى نفوسنا انما هو عمل يؤدى الى اضعاف كياننا ، ومقومات حياتنا ، وجذور نهضتنا .

((نحن قوم مؤمنون)) وهذا الايمان هو أساس شخصيتنا ، وسر قوتنا ، ورافع رايتنا . هو سر مجدنا في الماضي ، وباعث انتفاضتنا فى الحاضر . ومناط آمالنا فى المستقبل .

((نحن قوم مؤمنون)) وهذه قضية بدهية ، يجب أن يلتقى على حمايتها وتثبيتها واشاعتها: قلم الكاتب، ولسان الخطيب ، وفكر الفيلسوف ، ووجدان الشاعر ، وريشة المصور ، وتقنين المشرع ، وسلطان الحاكم ، وقوة الجيش ، ورقابة الشعب .

يجب أن يرعاها الأب فى البيت ، والمعلم فى المدرسة ، والاستاذ فى المحاضرة ، والاديب فى القصة ، والصحفى فى الخبر ، والمؤلف فى الكتاب ، وكل ذى فن فى فنه .

ان كل ثغرة تفتح فى أى جانب من جوانب حياتنا الثقافية والفنية والعملية، لتصوب منها سهام الشك أو الجحود الى صدر الايمان ، تعد خيانة عظمى لأمتنا ، وخروجا سافرا على مبادئها ، ومروقا من صفوفها ، وانضماما الى ألد أعدائها ، وتعويقا لما يبذل من جهد ايجابي بناء فى سبيل النهوض السليم بها .

((وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) .

الإسلام والفن

للأستاذ محمد رجب البيلى

ان الله جميل يحب الجمال ، اختار سبحانه أجمل المخلوقات ألا وهو الانسان ، واصطفاه ، وجبله على حب كل شيء جميل ،وأحاطه بمظاهر الطبيعة من نبات وحيوان ، فأعجب بها ، وعكف على دراستها منذ وجد على ظهر البسيطة .. عكف على دراستها فى كهفه يتأمل ما تضفيه الشمس على الكون من أضواء بالنهار ، وما يسود الليل من ظلام تبدده أضواء النجوم المتلألئة ، وأشعة القمر الفضية ، وتتعاقب على الارض صور شتى نتيجة تعاقب هذه الاضواء والظلام ،فتبدو فى كل لحظة منها لوحة فنية رائعة ، تأثر بها الانسان الاول ، وأخذ يرسم ما يمر أمامه من تلك المناظر على جدران كهفه وآلات صيده فى وقت فراغه، ليجملها ،ويزينها، ويشبع ميله نحو الفن الجميل .

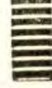
وساعدت العوامل المختلفة ـ منفردة أو مجتمعة ـ على تفوقه فى هذا الميدان سواء لاشباع نشاطه الحيوى أو غريزته التى أوحت اليه ، ليحاكي بالرسم ما يراه فى محيطه أو اعتقادا منه فى أن رسم الحيوان يقيده ، أو تكرار رسمه يكثره ، أو رسمه وقد اخترق السهم أحشاءه يسهل عليه صيده .

وقد خاف من الظواهر الطبيعية العنيفة كالبراكين الثائرة ، والعواصف المدمرة ، والبرق الذى يخطف الابصار ، وفكر فى استرضاء هذه الظواهر ، فلجأ الى الفن الجميل يستعين به على بلوغ مآربه ، فنحت التماثيل ، ورسم الصور والزخارف ، وتوارث هذا الفن جيلا بعد جيل حتى أصبح خلفه فنانا بطبعه.

الفن فى الديانات السابقة للاسلام

أ ـ الديانة المصرية القديمة والفن : ـ

انتفع الدين المصرى بآلهته ومعابده بالفنون الجميلة الى أبعد حد . فاعتقد المصرى بعودة الروح الى الجسد، فحافظ عليه من التلف والسرقة ، فحنط الاجسام ، وبنى لها أهراما ، كما نحت التماثيل حتى تهتدى الروح الى أصحابها فى الحياة الثانية ، بل أمد الروح بجميع رسوم ما كانت تحبه فى الحياة الدنيا .



ب ــ الفن عند اليونان : ــ

ولم يختلف الحال فى بلاد اليونــان القديمة عنه فى مصر الفرعونية ،وابتدعوا لأنفسهم آلهة تشرف على شؤونهم ، وترمز الى مثلهم العليا ، وتخيلوا هذه الآلهة على صــورة انســان ، وأفرغوا جهدهم فى نحت تماثيل لها كانت أجمل وأروع ما أخرجته يد البشر .

ج ــ اليهودية والفن : ــ

جاءت الديانة اليهودية لتخرج الناس من ظلام الوثنية الى النور ، فحرمت الفنون الجميلة تحريما صريحا ، اذ جاء فى التوراة فى الاصحاح العشرين من سفر الخروج « لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما فى السماء من فوق ولا ما فى الأرض من تحت الأرض . ولا تسجد لهن ولا تعبدهن . لانى أنا الرب الهك اله غيور » .

د ــ المسيحية والفن : ــ

ظهر الدين المسيحى ، واعتنقه كثير من بنى اسرائيل ، ونفذوا تعاليم الدين الجديد ، وهو ترك الدنيا والتجــرد منها ، والانقطاع الى الآخرة والاقبال عليها . لعل خير ما يترجم عن دعوته قول السيد المسيح فى الاصحاح السادس من انجيل متى « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لانه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ، ويحتقر الآخر . لا يقدرون أن يخدموا الله والمال . لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولأجسادكم بما تلبسون » .

ومثل هذه المبادىء ليس فيها مــا يشجع على ازدهار الفنون الجميلة لأنها تنكر جمال الدنيا ، وتطالب بكبت ما فى الانسان من ميول وغرائز . وتدعو الى التقشف والزهد وكلاهما والفن الجميل على طرفى نقيض .

الاســلام والفن

ثم جاء الاسلام ووجد الفنون فىالبلاد المفتوحة ، فتأثر بها ، كما أثر فيها ، ولكنه لم يستخدم هذه الفنون فى شرح عقائده كما فعلت المسيحية بعد ، ولــم ينكرها كما فعلت اليهودية وانما وقف موقفا يتضمن توجيهات مختلفة كان لها أبعد الاثر فى تكوين الفن الاسلامي .

نشأة الفن الاسلامى

نشــأ الفن الاســلامى فى الجزيــرة العربية ، فوجد عبادة الاوثان منتشرة فى أرجائها فركز النبي صلى الله عليه وسلم دعوته فى محاربتها ، والدعوة لله تعالى وحده ، ومحاربة من يضاهى خلقه ، وينحت الاصنام ، أو يرســم صــور الأحياء ، ووعدهم بالعذاب الاليم يوم القيامة ، كما يقول الحديث الشريــف « ان أشد الناس عذابا عند الله يــوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » .

وفى حديث ثان « من يصور صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها » .

ولقد أدت تعاليم الدين وهى الخضوع لله ، والخوف من يوم الحساب ،والعمل بما جــاء به القرآن الكريم والحديث

الشريف ، والنظر الى النبى كبشر الى طبع الاسلام بروح التواضع ، فساعة تقضى فى الاعمال الصالحة ، أفضل من كنوز الارض وزخارفها . ولم تدع حياة النبي البسيطة أى احتمال لتطور الشعائر الدينية لتسير موازية لنظيرها فى الفن المسيحى فى العالم الغربى ، الذى اعتمد فى تصوير حياة المسيح وما فيها من عواطف ، وحياة العائلة المقدسة والقديسين على توجيهات الكنيسة . ولكن عدم وجود مثل هذه المظاهر فى الدين الاسلامى دعت الفنانين المسلمين الى توجيه الفن الاسلامي بعيدا عن النحت والتصوير ، وهما ميدانان عظيمان من ميادين العبقرية الفنية التى امتازت بها الفنون الاخرى .

وحدا الخوف من الله ، ومن يوم الحساب ، وبساطة حياة النبي بالفنان المسلم الى البحث عن ميادين أخرى ، فعنى برسم كلما ليس به روح كالرسوم النباتية والهندسية والخط وغيرها حتى بز فى هذه الرسوم وانفرد بمميزاتها عن غيره من الفنانين .

نشأة التصوير الاسلامى

يرى بعض الفقهاء أنه لا بأس بتصوير كل ما ليس له ظل ، كرسم الاشكال الآدمية والحيوانية واستخدامها فى المواضع التى يطؤها الانسان بقدميه كالسجاد ، أو حيث يجلس عليها كالوسائد والفرش ، أو ما تمتهن منزلتها بوضعها فى أماكن منعزلة أو مظلمة حتى لا تسترعى الانتباه اليها . والفرض من ذلك ابعادها عن مناطق التبجيل والاحترام ، لكيلا تثير شعور الناس لتقديسها كما كانوا يفعلون فى الجاهلية .

ونحن لا ننكر وجود التصوير فى الاسلام ، فقد ظهرت بواكيره فى القرن الثالث الهجري ، بل أبعد من ذلك فى عهد الخلافة الأموية ، عندما بعد الزمن عن صدر الاسلام ، وعندما تحلل بعض الحكام من قيود تعاليم الدين،واستباحوا لأنفسهم شرب الخمر ، وكيف لا يستخدمون التصوير وهم ورثة الحضارة البيزنطية فى الشام والساسانية فى ايران . فاستخدموا الرسوم الآدمية على الجدران فى بادية الشام. كما استخدموا العملة البيزنطية وعليها رسم الامبراطور متقلدا سيفه ، ثم استبدلت صورة الامبراطور بصور ترمز الى بعض الحكام كعبد الملك بن مروان ، كالعملة التى سكها عام ٦٩٦ م . ونقش عليها اسمه بالخط الكوفى ورسم عليها صورته لابسا سروالا الى ركبتيه وقابضا على سيفه . ومن ثم سار على منواله خلفاء الدولة الأموية والعباسية من بعده وحتى الآن .

المصورون المسلمون

نلاحظ أن أغلبهم كان من أصل مسيحى ثم أسلم ، أو من عناصر غير سامية من الشعوب التى كان لها تراث فنى فى التصوير مثل بيزنطة وايران والهند ، أو حيث اختلط العرب بهذه الشعوب .

وأقدم الصور الدينية على المخطوطات التى ترجع الى القرن الثالث عشر الميلادى ، حيث رأى تاجر عربى (اسمه ابن هبار) فى الصين صورا للرسل أطلعه عليها ملك الصين . منها صور تمثل نوحا فى السفينة ينجو بمن معه ، وأخرى لموسى وعصاه وبنى اسرائيل ، وثالثة لعيسى وقد ركب حمارا والحواريون من حوله ، ورابعة لمحمد وقد ركب جملا وأصحابه حوله وفى أرجلهم نعال عدنية من جلود الابل ، وفى أوساطهم حبال الليف وقد علقت فيها المساويك .

ولسنا نعرف هل كانت هذه الصور من صناعة لفنانين صينيين أو مسلمين ، أو من المسيحيين النساطرة الذين كانت منهم جالية كبيرة فى الصين منذ القرن السابع الميلادى .



ومن هذه الصور أيضا ما جاء فى كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين مؤرخ البلاط فى عصر الشاه غازان فى أواخر القرن الثالث عشر ، حفظ جزء منه فى المكتبة الآسيوية الملكية بلندن . والآخر بمكتبة جامعة أدنبره . ويغلب على هذه الصور تأثير الاساليب الفنية الصينية والمغولية والمسيحية والهندية ، وتمثل احدى صور هذا المخطوط :

١ ــ ميلاد النبي عليه الصلاة والسلام، وفى أخرى الراهب بحيرا أمام النبي يرى فيه امارات النبوة . وفى ثالثة صورة الرسول يرفع الحجر الاسود ليضعه فى جدار الكعبة ، وفى رابعة صورته جالسا فى غار حراء وأخرى فى غزواته . كما نلاحظ أن معظم صور وجه الرسول غير واضحة المعالم ، بل ترى عليها أحيانا عمامة يحجبها أو تخرج منها أشعة من النور ، أو الاكتفاء برسم مجموعة من الأشعة بدون جسم أو رأس .

ومن تجرأ من الفنانين ورسم صورة وجهه الكريم ، فانه أحاطها بهالة من نور على النحو المعروف فى صور المسيح والقديسين . على أن هذه الهالة فقدت معناها فى الفنون الاسلامية ، ولم تعد تدل على قدسية ما ، وانما استخدمها الفنانون لتعيين أخطر الأشخاص شأنا فى الصورة من سلطان أو أمير أو ما الى ذلك .

ولم تتخذ هذه الصور كوسيلة لشرح عقائد الدين الاسلامى ، كما لم تضف على المصورين المسلمين ما كان للفنانين المسيحيين من شعور بأنهم دعامة من دعائم الكنيسة ، وبأن منتجاتهم تساعد على بعث روح الصلاح والتقوى فى بنى دينهم ، والمعروف أن بعض الفنانين والكنيسة توطدت الصلة بينهما لدرجة أن بعض النقاد شكوا من هذا الاتصال الوثيق بينهما حتى غلب على منتجاتهم الطابع الدينى الى عصر غير بعيد .

أما فى الاسلام فان العكس صحيح اذ كان رجال الفن منبوذين من رجال الدين . لذلك جاءت صورهم غير ممثل فيها الابعاد الثلاثة فى الصور الغربية حتى تبعدها عن تجسيم الصور الشبيهة بالنحت .

أما بعد أن توطدت دعائم الاسلام ، وبعد العهد عن الجاهلية ، فان العلماء المحدثين وعلى رأسهم الأستاذ عبد العزيز جاويش يرى ألا خوف من ممارسة التصوير لان العبادة والتقديس لله وحده وسيظل له وحده . والعبرة بالغاية وليست الوسيلة . وخاصة بعد أن أصبح التصوير فى العصر الحديث من مستلزمات الحياة . فبه يمكن المحافظة على حقوقنا القانونية ومعرفة الغرقى والموتى المجهولي الشخصية . وبه نتجنب اللصوص والمجرمين من نشر صورهم على صفحات الجرائد ومراكز الشرطة . كما أنه وسيلة ضرورية لنشر التعليم لمعرفة حياة الناس فى الاصقاع والبيئات البعيدة التى يتعذر الوصول اليها .. كما أنه يبين لنا سر قوة الخالق وحكمته فى مخلوقاته بتصوير الكائنات الحية . وأجزائها كما في التاريخ الطبيعي وعلم التشريح .وأنه أيضا أصبح ضروريا لمعالجة المرضى بعد تصوير ما خفى عن نظر الانسان فى داخل الاجسام بتصويرها ،، بالأشعة السينية وغيرها .

ولكن اذا قدست واعتبرت مصدر بركة وتبجيل ، فانها تكون بذلك محرمة تماما ، ويستحق من صنعها ومن يملكها أشد أنواع العقاب .

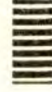
ماهية البطولة النبوية

للاستاذ احمد العناني

لو تيسر احصاء لسير الرجال ، أو لو كان ذلك ممكنا لتبين أن الانسانية لم تشغل برجل قدر شغلها بمحمد عليه السلام ، فما زالت سيرته العطرة تثير من عواطف الحب ، وأمواج الحقد مالم تشهد له الحياة مثيلا . وفي هذه الظاهرة بحد ذاتها آية من آيات النبوة ، ذلك بأنه لم يستطع انسان من الناس بعد انقضاء بضعة عقود من السنين على وفاته ، أن يحمل الناس الذين انقطعت صلاته الحياتية بهم أن يتخشعوا عند ذكره ، أو أن يذهبوا مذاهب صريحة وخفية في محاولة الكيد له ، والترغيب عنه ، بينما هو عليه السلام كأنه ما يزال حيا متكلما في صحابته تلاحقه القلوب والعيون بأعظم ما يسع الانسان من الحب والاعزاز والاكبار . .

ولقد أتى على الزمان حين من الدهر ، تنبه فيه بعض الاذكياء من أعداء الرسول عليه الصلاة والسلام في الغرب الى أن من الغباء الضار ، وسوء التصرف في العداوة أن يواصلوا الطعن في نبي الاسلام بالأساليب الهمجية ، البذيئة التي كان يسلكها الناس في القرون الوسطى ، وأنه من غير المعقول أن تستديم بلاهة البلهاء بما يجعلهم يستطيعون أن يصدقوا أن رجلا واحدا عاش يتيما ، ولم يخط على طرس حرفا / استطاع أمورا لم تقتصر على هدم الامبراطوريات في القرن السابع للميلاد ، ولكن الاخطر من ذلك والاجل شأنا ، أنه بنى حضارة متكاملة ملأت أنوارها الارض .

بل ان هؤلاء الاذكياء من الناس، وعلى رأسهم الانجليزى توماس كارلايل ، كانوا من أوائل المكذبين لتلك الاساطير السخيفة المفعمة بأوقح المزاعم والشتائم ، ولعلهم حاولوا مع أنفسهم ، وعلى قدر ما استطاعوا من التهذيب الذاتي للعواطف الجائحة ، أن يصلوا الى فكرة يستريحون اليها في أمر محمد والاسلام ، فانطلقوا ينادون أن محمدا كان بطلا ، بل كان بعبارة كارلايل بطل الابطال . . ومضى الكثيرون منهم على هذا النهج ، يعللون هذه الظاهرة الخارقة . وتمضي الايام وقصة الرسول تحمل ذلك التحدى لطوائف كثيرة من نابهة الناس في كل أنحاء أوربا ، فالشاعر الانجليزى المتمرد شالي يكتب عن « ثورة الاسلام » وكبير الشعراء الالمان « جبته » مشغول بالرسول ، تبدهه الى حد الانشغال هذه الظاهرة الجبارة التى فردت جناحى النسر العربي شرقا وغربا في بضع عشرات من السنين ، ثم غرست رسالته الى أبد الآبدين ، والقصاص الروسي تولستوى يدفعه البهر والعجب الى أن يحاول قراءة القرآن ، الى آخر ما هنالك من هؤلاء الناس ، ولا سيما الفيلسوف الايرلندى الاشهر جورج برنارد شو



الذى انتهى مع نفسه وهو لا يستطيع فكاكا من الالحاد الذى ألقت به فى حفرته شقاوة طفولة معذبة ، و ثورة نفس عانت من الضياع الرهيب ردحا من الزمن الى أن محمدا عليه السلام قد قدم تحديدا انسانيا جديدا للبطولة ، وجعل عناصرها البهاء والنضال والنجاح .

وآخرون وجدوا من الشجاعة والصفاء ما حزموا معه أمرهم ، فأعلنوا اسلامهم ، وانتهوا الى يقين مسعد أخلصوا له كما يخلص المؤمنون الطيبون، وان ظلوا عمرهم على غيظ مرير ، وحزن مقيم لما انتهى اليه مسلمو اليوم من الانحراف والتضييع والاستكانة ، وما فى ذلك كله من بعد بعيد عن حقائق الدين .

وانه لمن أسف بالغ أن الحضارة الاوروبية المنتصرة طوال بضعة القرون الماضية ، قد حملت ذلك التيار الذى وصفته موجزا فى صدر هذا المقال — الى الارض التى سعدت برسالة الاسلام قبل سواها ، وخالطت عقولا نفخ فيها الغرور من أسباب التقليد ، وضخم فيها من عقد المهانة ما جعلها تكرر بغباء وسخف لا مثيل لهما أن محمدا بطل مجرد بطل .. هكذا وبأقصى صفاقة .. لكن السؤال يطرح نفسه لجميع الفطرات السليمة شامخا رائعا كما لو كانت الرسالة جاءت أمس ، فلم يمض عليها الف وثلاثمائة وسبع وثمانون سنة . كيف يجوز لعقل منصف أو فطرة سليمة أن تشك فى أن القصة شيء غير البطولة الارضية التى لا صلة لها بالسماء وتعالوا ننظر فى سير الابطال .

كان الاسكندر بطلا فى أنظار بعض اليونانيين ، واعتبار جميع أصحابه، ولكنه كان مجرما سافك دماء فى أعراف كل الشعوب التى عاصرت نهضة المكدونيين العسكرية ، ثم ما لبث أن أصبح كذلك وزيادة فى نظر أصدقائه .. أصبح سكيرا متعجرفا قاتلا يخون صداقاته ، ويتلون ألوانا كالصبيان بين لحظة وأخرى ، وقد انطلق بالقوة القاهرة المدربة ففاجأ الغافلين عن أوطانهم وحقوقها بهزيمة منكرة .. لكن أحدا من هؤلاء لم يتخل عن كراهيته حيا وميتا ، ولا تنازل له عن لفته ولا مفهوم واحد من مفاهيمه لما هو حسن وقبيح فى الحياة .. وعلى مستويات مماثلة تجرى الاحكام سريعة واضحة فى أمور قيصر وهانيبال وأغسطس ونابليون الى الاسكندر الاول وبسمارك وهتلر .. بطولات قامت على القوى الباطشة ، وعناصر الدهاء أو المفاجأة والخيانة ، ثم عفا عليها الزمان ، وذرتها الرياح ، وغشيها النسيان لولا آهات تستعاد خافتة من أصداء المآسي التى سببوها ، والكوارث الجسام التى اكتسبتها أيديهم ..

كانت انتصاراتهم وقتية وشيطانية مؤلمة .. لم تأسر روحا ، ولم يتقدم لها ضعيف بالولاء الا قسرا ، وما مشى فى ركابها قوى الا رياء أو طمعا .. وكان لنكولن فى أمريكا رجلا شريف المقاصد ، وانسانا مفعم القلب بجميل الاحاسيس ، لكن من ذا الذى يسفه فكره فيزعم أن لنكولن ساوى فى أمريكا أو غيرها بين أسود وأبيض ، أو عبد وسيد . ومن الذى يستطيع أن يزعم أن الرجل لم يكن فى واد ونصراؤه فى سواه .. تجمعوا عليه من الشمال ليحققوا مصالح لهم ، فلما خابت ظنونهم ، وضاق به الصبر فى مجاراتهم تخلوا عنه واحدا بعد واحد ، حتى عصفت به الوحشة ، وذاق طعم الفشل ومرارة الخذلان ، وتداركته رصاصة ممثل أرعن فيما يقال ، فعجلت بخلاصه من تلك المشاعر السوداء ..

لم يكن نسيج محمد عليه الصلاة والسلام من نسيج هذه البطولات الارضية ..

ولم يكن بطل أبطال من دون النبوة .

حقيقة أن محمدا الرسول عليه الصلاة والسلام هو أجمل وأبهى وأنجح انسان عرفته الدنيا ، ولكن ذلك غير منفصل عن وجود رسالته ..

ان وجود البطولة فيه صنو ملتحم بوجود الرسالة ...

وأية علاقة لمحمد الشخص فى معرفة أن السماء والارض كانتا رتقا حتى فتقتا بقدرة تصنع السنن للكون والحياة ؟ ومن هو الشخص اليتيم الفقير الذى يملك أن يهدم بحوله البشرى حائط الفرقة بين الابيض والاسود ، والقوى والضعيف ، وينشر العدل ويقيم صرح التكافل ، وينشىء دولة فى القرن السابع ترفع الناس الى مستوى الحرب والموت فى الله ، فتلجم القوة بلجام الحق والانتصاف له ، وتجذب الشعوب الى التخلى عن أساطيرها ، وعنجهياتها ولغاتها وتقاليدها لتندغم فى دولة الحضارة والعلم والنور والسلام ..

أم أى كتاب قدمه بطل للناس فاجتاز بهم دهر الداهرين رفيق سعادة يمزجون بآيه دموعهم ، ويصحبونه صحبة ولاء واستماتة اذا جاعوا وان شبعوا ، واذا سالموا أو حاربوا ، وفى الحل والترحال وفى طلب العلم وشد أزر الروح فى ساعات البأس ، وكفكفة نوازع الكبرياء مع النجاح والنصر ؟

أما بعد ، فقد أشرق للاسلام فجر جديد بعد ليل .

وانجاب عن الذين تاهوا ضباب ، وطلع ضياء ...

وما محمد الا رسول جعلت له الرسالة بطولة ليست من نوع أى البطولات فتقاس بها ..

ومع الايمان بالرسالة ايمان بالقرآن .. والقرآن صريح واضح لم تمسسه يد بسوء ، ولا ناله جان بتحريف ..

وعزة هذا الاسلام غاية تنتظم الحياة والممات ..

وان فى غد لخبرا ، ومن يعش ير ، وصلى الله على محمد صلاة لا تنقطع ولا تزول .

مائدة القارئ

أعدها أبو نزار

حكمة
ان أحلك الظلمات لا تقوى على اخفاء أضعف الشموع .

طريق واحد

يوما بعد يوم يتبين أن هنالك طريقا معينا للشعوب الاسلامية كلها فى هذه الارض . يمحو عنها العار ، ويؤدى بها الى العزة والتخلص من الفساد .. طريقا وحيدا لا ثانى له ، ولا شك فيه ، ولا مناص منه .. طريق الاسلام وطريق التكتل على أساسه .

حامل تقاتل !!

فى غزوة هوازن تفرق عشرة آلاف بطل ،وثبت رسول الله وصحابته الاقربون ، ووقفت أم سليم مع زوجها أبى طلحة ــ وهي حازمة وسطها ببرد لها ــ وانها لحامل ــ وقد أدخلت يدها فى خزام جملها ، فالتفت اليها رسول الله ، وقال : أم سليم ؟ قالت . نعم . بأبي أنت وأمي يا رسول الله . اقتل هؤلاء الذين يفرون عنك ، كما تقتل الذين يقاتلونك ، فانهم أهل لذلك .

قال . أو يكفى الله يا أم سليم ؟!!

وكان معها خنجر ، فقال لها أبو طلحة . ما هذا الخنجر ؟ قالت . خنجر ان دنا مني أحد من المشركين بعجته به . قال أبو طلحة مفتخرا . مداعبا . الا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرميصاء ؟ .

الهلال الاحمر

نصبت رفيدة بنت سعد الاسلمية خيمة بالمسجد النبوى فى غزوة الخندق وكانت تأتى بجرحى المسلمين الى خيمتها ،فتعالجهم ،وتخدمهم .

هل تذكرهم ؟

أخرجوا من ديارهم بغير حق ، وجردوا من ما لهم بغير رحمة ، وقضى فى مصيرهم بغير عدل . يعيشون فى المضارب عيش الحرمان . يقتاتون الامانى . يكابدون الجوع والخوف . ينظرون الى رياضهم الجنية تعبث فيها الذئاب ، والى حياضهم الروية تلغ فيها الكلاب ، فلا يملكون لانفسهم الا عبرات تتحدر ، وزفرات تتصعد !! فهل تعرفهم ؟ وماذا صنعت لهم ؟

وزير البريد

كان متولى شئون البريد فى العصور الاولى ــ عين الخليفة الباصرة ، وأذنه السامعة . ينقل اليه أخبار عماله وأسرار أعدائه ، وكان الخلفاء لا يولون البريد الا من يثقون به من أهل الدين والعقل .

وكان أبو جعفر المنصور يقول . ما أحوجنى أن يكون على بابى أربعة نفر لا يكون أعف منهم ،وهم أركان الدولة، ولا يصلح الامر الا بهم . أما أحدهم فقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم

وأما الثاني فصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى .

والثالث صاحب خراج يستقصى . ولا يظلم الرعية .

ثم عض اصبعه السبابة ثلاث مرات، وهو يقول فى كل مرة ، « آه .. آه » قيل ما هذا يا أمير المؤمنين ؟

قال : صاحب بريد يكتب لى خبر هؤلاء على الصحة

ايـاك نعبـد

وأنت الـه الخـلق ربـى وخالقـى
بذلك ما عُمِّرتُ فـى الناس أشهـد

تعاليتَ ربَّ الناس عن قول من دعـا
سواك الهـا أنت أعـلى وأمجـد

لك الخلقُ والنعمـاء والامر كلّـه
فاياك نستهـدى وايـاك نعبـد

حسـان

من عجائب التصحيف

قرأ رجل على الاصمعى من شعر النابغة فقـال . ((كلينى لهم يا أميمـة (باضت))) بدل ((ناصب)) فقال الاصمعى . أما علمت ــ ويلك ــ ان كل ناجمة الاذنين تحيض ، وكل سكاء الاذنين تبيض ، فكان تصحيف الكلمة سببا فى هذه الفائدة .

من غريب الأسماء

قال رجل لأعرابى : ما اسمك ؟ قال : فرات بن البحر بن الفياض . قال : فما كنيتك ؟ قال : ابو الغيث . فقال للرجل : ينبغى أن نلقى فيك زورقا والا غرقنا .

الملائكة لم تضع أسلحتها

بعد أن كفى الله المؤمنين القتال فى غزوة الاحزاب ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، دخل رسول الله بيت أم سلمة يغتسل من وعثاء المرابطة ، فتبدى له جبريل عليه السلام ، وقال . أوضعت السلاح يا رسول الله . قال : نعم قال . ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها . ان الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض الى يهود بني قريظة . فقال رسول الله لاصحابه لا يصلين أحدكم العصر الا فى بنى قريظة ، فنهضوا وحاصروهم ، وكانت النتيجة كما قال الله ((وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شىء قديرا)) .

اساطيل المسلمين

قال ابن خلدون

ان المسلمين تغلبوا على لجة بحر الروم ــ البحر الابيض المتوسط ــ وان أساطيلهم سارت فيـه جائية وذاهبة من صقلية الى تونس .. والرومان الصقالبة والفرنجة جميعا تهرب أساطيلهم أمام البحرية العربية ، ولا تحاول الدنو من أساطيل المسلمين التى ضربت عليهم كضراء الاسد على فريسته .

عَزْل لا عُزَّل

يتردد على الالسنة فى هذه الايـام « اعتـدى الصهيونيون على العـزل الآمنين » بتشديد الزاى وهو خطأ ، وصوابه العزل بسكون الزاى لأن أفعل فعلاء ومؤنثه مثل أحمر وحمراء يجمع على فعل بسكون العين .



يكتبها : عبد المنعم النمر

أين كنا من هذه الاخطاء ؟

كثر الكلام عن أخطائنا التي كنا نعيش فيها نحن العرب حتى كانت هذه النكسة أو الهزيمة أو العار أو ما شئت فسمه ... ولا تكاد تفتح صحيفة من صحف العالم العربي حتى تقع عيناك على عديد من الاخطاء يسردها كتاب كبار وصغار ، ولا تكاد كذلك تجلس فى مجلس حتى يبدأ الحديث عن هذه الاخطاء ، ولا يقف الحديث على ناحية واحدة ، بل يتعداها الى كل ناحية من نواحي حياتنا ، كأننا كنا نعيش جميعاً فى بحر من الخطأ ، وكأنه لم يكن هناك صواب نسير عليه .

ان من طبيعة النفوس أن تهاجم المغلوب ، وتنتقص منه الى حد أنها تعتبر الصواب منه أحياناً خطأ أدى الى هزيمته حتى قيل قديما :

والناس من يلق خيرا قائلون له
ما يشتهي ولأم المخطىء الهبل

ومع أن الحديث عن الاخطاء والكشف عنها ينير الطريق أمامنا حتى نتفاداها ، ولا نعاود الوقوع فيها مرة أخرى ، الا أن التركيز فى مجالسنا وصحفنا على هذه الاخطاء ، وترددادها صباح مساء ، بحسن نية أو بقصد الشماتة والتشفي ، قد يؤدى الى تربية عقدة الخطأ أو النقص أو الذنب فى النفوس ، وهذه تؤدى بالتالي الى تعظيم شأن العدو وغرس هيبته فى القلوب .. وفى هذا من الخطر المزدوج ما فيه ، ولا سيما ونحن مقبلون على معركة غسل العار ... لا بد أن نعرف قوة عدونا حتى نعد له من القوة ما يفوق قوته ، هذا أمر بدهي ... لكن المبالغة دائما ضارة سواء أكانت فى قوتنا ، أم فى قوة العدو ..

وبقى لي بعد ذلك سؤال أو تساؤل يلازمني دائما كلما قرأت أو سمعت كلاما عن هذه الاخطاء ...

هل من الممكن أن تكون هذه الاخطاء كلها قد انكشفت لنا فجأة ولم يكن هناك من يعرفها ؟

ان قلنا اننا لم نعرفها الا بعد النكسة كان ذلك أكبر دليل على غباوتنا وقصر نظرنا كبارا وصغارا . وهذا أمر لا نقبله على أنفسنا فوق أنه غير معقول ..

لم يبق اذن الا شيء واحد وهو أن الكثير منا على الاقل كان يعرف هذه الاخطاء .

وهنا يأتي سؤال آخر يفرض نفسه فرضا ... وهو لماذا لم نجد فى صحفنا أو فى الكلام الذى أجدناه هذه المدة الطويلة من يتحدث عن هذه الاخطاء وينبه اليها ويحذر منها ؟!

لقد سمعنا من يقول اننا نحن العرب قابلنا العلم بالجهل والنظام بالفوضى .

فهل هذه الحقيقة المرة لم نعرفها الا بعد النكسة ؟ وسمعنا وقرأنا كثيرا عن عيوبنا . فهل كانت هذه العيوب غائبة عنا ، أو كنا نعرفها ونعيش بها كالمريض الذى يحمل أخبث الامراض ولا يحاول أن يبحث عن علاج ؟!

ماذا أقول ؟ لا أجد مسعفا لي الا هذا البيت من الشعر :

ان كنت لا تـــدري فتلـك مصيبـــة
أو كنت تـــدرى فالمصيبـــة أعظـــم

ومع ذلك هل نستفيد ؟

حقيقة يجب الايمان بها :

عبارة وقفت عندها كثيرا فى الخطاب الذى ألقاه سمو الشيخ جابر الاحمد ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء فى جلسة اختتام دورة مجلس الامة ، وان كان الخطاب كله يستحق الوقوف عنده ، لكن هذه العبارة استوقفتني أكثر من غيرها وهي قوله « ان الجرح العميق الذى أصاب كرامتنا نحن العرب لا تعادله أية خسارة مادية مهما عظمت »

فهذه هي الحقيقة التي ما زلنا فى حاجة الى معرفتها والايمان بها ، فقد شعرت كما شعر الكثيرون غيرى فى خلال الايام الماضية أن الكثيرين منا يحرصون على أموالهم أكثر من حرصهم على كرامتهم وكرامة أمتهم .. وان بعضنا أخذ يتوجع من خسارة طفيفة تعرض لها !!

واننا جميعا ـ وهذا شيء لا بد أن نتصارح به ـ نعيش بعيدا عن الجو الحقيقي لمعركتنا مع عدو كاسر متضامن ... فان الذين تبرعوا بالكثير كان فى امكانهم أن يتبرعوا بالاكثر .. ويتنازلوا عن شيء من رفاهيتهم فى سبيل الحفاظ على كرامتهم وسمعة أمتهم ... وكان فى امكان الجمهرة من الشعب العربي أن يعتبروا أنفسهم على خط النار شهرا ، ويلتزموا بشيء من مظاهر التقشف فى هذا الشهر،ويقدروا نعمة وجودهم بين أهليهم بعيدين عن قذائف النار ..

وكان من الممكن أيضا أن نغار من نشاط اليهود فى العالم ، وسخائهم فى التبرع لاسرائيل ، وأمامنا أخبار هذا النشاط وقيمة المبالغ الضخمة التي جمعوها فى فترة وجيزة . وهم قلة ، وفينا ولله الحمد من هم أكثر منهم أموالا .. وحتى لو كانوا جميعا أغنياء فان كثرتنا يمكن أن تجابه غناهم لو أننا كنا جميعا على مستوى احساس واحد بهذا الجرح العميق الذى أصابنا ، واستهنا بكل ما نبذله مـن مال ، فى سبيل تضميد هذا الجرح ، واسترداد الكرامة الجريحة .. ان يهود بريطانيا وحدها مثلا جمعوا لاسرائيل أضعاف أضعاف ما جمع من الشعب العربي كله ، وهو مائة مليون عربي .. فهل هذا منطق أمة تحس جرحها ؟ .

انني والله فى غاية الاسى لأمتنا ، ولولا ثقتي بالله لاصابني اليأس من حاضرها ومستقبلها ..

أمة يناديها دينها بالبذل ، وينذرها بالهلاك ان هي ضنت به فى سبيل الحفاظ عليها فيقول لها : « وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » ثـم يعدها بالثواب الجزيل ، ثواب المجاهدين بأموالهم فيقول لها : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله » ويبين لها أن الجهاد بالنفس والمال هو الخير لها فى دنياها وآخرتها فيقول : « وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل

الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون)) . وكتابها مليء بالوعيد على الشح ، والوعود الكريمة للمنفقين فى سبيل الله .. ومع ذلك لا نجد الاستجابة التي تتفق مع منطق ايمانها بكتاب ربها ...

وحتى لو كان ايمانها ضعيفا .. أفلا يكون لها احساس الوطنيين الغيارى على أوطانهم وكراماتهم وسمعتهم ؟!

وماذا تنتظر لامة اذا لم يكن لها مع الله رباط ، ولم يشدها الى وطنها وثاق ؟!

ألسنا جميعا فى حاجة الى أن نراجع أنفسنا ، وأن نشعر جميعا شعورا عميقا بهذه الحقيقة التي ساقها سمو ولي العهد ((ان الجرح العميق الذى أصاب كرامتنا نحن العرب لا تعادله أية خسارة مادية مهما عظمت)) .

ماذا تريد الحبشة :

لا يزال لكلمة ((الحبشة)) وقع طيب فى نفوس المسلمين ، يرتبط بتاريخ رسولهم الكريم ، وصحابته الابرار بسبب هجرة الرعيل الاول من المؤمنين اليها ، باشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم .. وما من مسلم يقرأ سيرة رسوله الا ويخفق قلبه لموقف ملك الحبشة فى ذلك الوقت .. ثم سارت الدول الاسلامية مع الحبشة سيرة مشبعة بالود ولا سيما فى السنين الاخيرة ... وكان لامبراطور الحبشة جولة زيارات ودية فى الدول الاسلامية ، استقبل فيها استقبالا كريما .. ثم كان للدول العربية موقف الصمت الطويل أزاء ما يعانيه الشعب المسلم فى اريتريا على يد الحكم الحبشي ... وهو موقف لم تنج فيه من لوم شعوبها ، ولا سيما فى المجزرة الاخيرة التي تعرض لها المسلمون فى الحبشة واريتريا على يد الجيش الاثيوبي والخبراء الصهيونيين المنبثين فيه ، وفى كل الدوائر الحكومية وغيرها ، حتى اضطر عشرات الالوف من المسلمين الى أن ينجوا بأنفسهم بالفرار الى أرض السودان .. ولم يكن للسودان بد من استقبالهم ، وهذا أضعف الايمان .

ومع هذا الموقف الودى المجامل الذى وقفته الدول العربية من الحبشة على حساب المسلمين ، رأيناها حين تحرك الجيش السوداني ليلحق بالجيوش العربية فى معركتها مع اسرائيل ، تحرك جيوشها نحو حدود السودان لتهددها !! ثم رأينا مندوب الحبشة يمتنع عن التصويت مع الدول العربية فى ادانة اسرائيل باعتدائها .. ولا يعترف بأن اسرائيل اعتدت على الدول العربية ، ويشارك اسرائيل فى منطقها !! ثم تطالعنا الاخبار أخيرا بتعزيز أثيوبيا لحشودها على حدود السودان .

فماذا تريد الحبشة من هذه المواقف ؟ ! !

وماذا بعد حركتها الابادية ضد المسلمين الذين يعيشون تحت سلطانها ؟

وهل تظل الدول والشعوب الاسلامية على صمتها ازاء ما يجرى هناك ؟ !!

استفتاء :

من الحقائق التي أومن بها ايمانا يعادل ايماني بديني ان الامة الاسلامية التي عاشت بروح الاسلام ، واجتازت تاريخها الطويل ـ بحلوه ومره ، ورخائه وشدته ـ بفضل روحها الدينية ، لا يمكن أن تنهض وتتقدم ، وتستعيد قوتها ، وتجتاز صعوباتها الا بالروح الدينية نفسها ، وأن أسهل طريق وأقصره وأضمنه هو البناء على أساس هذه الروح ، واستغلال طاقتها فى النفوس . ولقد وجدت هذه الحقيقة فى كل المجالات التى اختلطت بها ، كما وجدت التعبير البليغ عنها فى التصفيق الحار المتواصل الذى

عبر به المستمعون للرئيس جمال عبد الناصر عن رأيهم عند ما قال : ((لا بد من التمسك بقيم الدين والاعتصام بها)) وكان هذا الاستقبال الحماسى بمثابة استفتاء على مستوى رفيع .

هذه الحقيقة يجب أن ينزل عندها الجميع ، لا لشىء الا لانها هى الطريق الطبيعى الممهد للنهوض السريع ، والبناء على الاساس المتين الذى صنعه الله العليم الحكيم : ((صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة)) .

فهذه الروح هى التى جعلت الأمم الاسلامية وفى مقدمتها باكستان تقف معنا فى محنتنا ..

ان باكستان تستحق من كل مسلم فى العالم التقدير والتكريم ، فلقد كانت تلبيتها لرابطة الاسلام التى تربطنا بها أسرع وأقوى من بعض الدول التى كنا نظنها صديقة فأظهرتها الحوادث على غير ما كنا نتوقع منها ! !

انه الاسلام ــ ولا شىء غيره ــ طريقنا الصحيح الى ما نرجوه فى حياتنا من مجد وقوة ، وهو الذى حرس بناء هذه الامة برغم النكبات التى نزلت بها .

انه القرآن هادينا الربانى الى الطريق القويم ، وفى اتبــاع هديه عزنا وشرفنا وكرامتنا .

((ومن التمس الهدى فى غيره أضله الله))

فتنـــة :

وأحب أن يفهمنى القارىء على أننى لا أريد باتباع الاسلام وهديه مجرد اطلاق الشعارات أو اتقان المظاهر الاسلامية . بل أريد الالتزام بالروح الاسلامية تربية وتقنينا وسلوكا ، وأن يكون القائمون على أمره هم أول الناس التزاما به .. والا كانوا هــم السبب فى صرف الناس عنه ، ونفورهم منه .. فليس أضر على الاسلام من أناس يدعون القوامة عليه وهم بعيدون فى الوقت نفسه عن الزام أنفسهم بتعاليمه .

يأمرون الناس بالصلاة ولا يصلون .

ويأمرون الناس بالاستقامة وهم معوجون .

ويحرمون على الناس الصغائر وهم يرتكبون الكبائر .

ويتمسكون بالمظاهر ، ويأكلون أموال الناس بالباطل .

ويدعون الحفاظ على الدين وهم غارقون فى الترف وعامة المسلمين لا يجدون ما يأكلون .

ويرفعون الشعارات الاسلامية ، ونفوسهم مشحونة بالحقد على اخوانهم .

هؤلاء جميعا فتنة ونكبة على الاسلام ، نسأل الله أن يطهر المسلمين منهم .

الى المغرمين بتقليد الغرب :

من أخبار لندن . أن مجلس العموم هناك وافق على قانون اباحــة الشـــذوذ الجنسى وأن الموافقة عليه قوبلت بتصفيق حار من كثير من أعضاء المجلس ! !

الى هذا الحد يصل الانحراف الجنسي فى الشعب البريطاني صاحب التقاليد العريقة ! !

ونحن لا يهمنا ما يختاره هذا الشعب لنفسه من سلوك فى الحياة ــ ولكن يهمنا أن يعرف المغرمون بتقليد الغرب بدون وعى الى أى حد وصل الشذوذ بهؤلاء الناس وان من العمى الفكرى أن تظل روح التقليد للغرب سارية فى أوساطنا مع أن الســمو الانسانى لا تجده دائما الا فى الاسلام .

الإسلام

دعوة للناس أجمعين

للأستاذ عبد الرزاق نوفل

لا يعرف التاريخ عدد من أرسلهم الله سبحانه وتعالى من الرسل والأنبياء لهداية البشر ، فقد بدأت رسالات الله للانسان منذ أن خلق آدم وزوجه ، وأسكنهما الجنة حيث أمرهما بما يحفظ لهما البقاء فى الجنة ، ونهاهما عما يفسد عليهما حالهما فيها ، وكانت هذه هى الرسالة الاولى اذ تقول آيات القرآن الكريم (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) . وأضلهما الشيطان واستجابا لما زينه لهما وعصيا بذلك ربهما ، فأنزلهما الله جل شأنه من الجنة الى الارض ومعهما الشيطان ، ولما أحس آدم بالندم كانت الرسالة الثانية من الله له بأن علمه فيها كلمات هى طريق التوبة والمغفرة ، فتاب الله عليه بالنص الشريف (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) . ووعده سبحانه وتعالى بأن يرسل له ولذريته من بعده من يهديهم كلما احتاج الامر الى ذلك ، وأنه من استجاب لدعوتهم فانه يفوز فى

الدنيا والآخرة ، وأما من كذب وكفر بما جاءوا من آيات فمصيرهم النار وبئس المصير ، وذلك بنص الآيات الكريمة (قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

وانتشرت ذرية آدم فى بقاع الارض ومختلف البلاد ، وضل من أبنائه وحاد عن الطريق السوى بعض أحفاده .. وكان لا بد أن يتحقق وعد الله ، فأرسل الرسل والأنبياء لهداية الأقوام التى انتشر فيها الضلال ، وظهر بين أفرادها الكفر ودب فيها الانحلال ، وحتى لا تكون لهم حجة اذا ما رأوا العذاب كما تقرر الآيات الشريفة (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) ، (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) ولذلك وعد الله سبحانه وتعالى ألا يعذب العباد حتى يبعث فيهم رسولا بالنص الكريم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

وشاءت ارادة الله جل شأنه أن يكون رسوله للناس من بينهم، حتى يستطيعوا فهمه ويطمئنوا اليه ، وحتى يناقشوه فيقنعهم ويسألوه فيجيبهم ، اذ لو أرسل لهم رسولا من الملائكة ، فلا بد أن يكون على صورة انسان حتى يعرفوه ويسمعوه ، وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) اذ لا يمكن أن تمشى على الأرض ملائكة كما تمشى الناس ، كما تقول الآية الشريفة (قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) .

والانسان خطاء بطبعه يسهل انقياده الى الشر ، ويصعب توجيهه الى الخير ، وهو متشكك فى كل شأنه ، كثير الجدل فى كل أمره ، ويكفى أن يقول عنه خالقه جل شأنه (وكان الانسان أكثر شىء جدلا) ولذلك فان الله سبحانه وتعالى سبق فى علمه أن الرسل لا بد أنها ستجد التكذيب والاعراض من القوم اذ أن دعوتهم هى لتوجيه البشر الى الخير ، وما أصعبه من طريق كثيرا ما يشق على الانسان ان يسير فيه راغبا مختارا ، فأيدهم الله سبحانه بالمعجزات التى تجعل أقوامهم يطمئنون اليهم،ويعتقدون أنهم حتما رسل الله اليهم ، اذ أنهم بمعجزاتهم تجاوزوا ما يستطيعه الرجل فيهم ، وفاقوا كل ما يمكنه الفرد منهم .

وتوالت رسالات الله للبشر ،وتعاقب الرسل والأنبياء لهداية الناس ، ووجدنا من يقول أن عدد الرسل والنبيين يبلغ عشرات الآلاف ، والبعض يقول بل عدة مئات ، ولكن الثابت أنهم كثرة تناسب عدد الاجيال التى مرت بالبشرية ، والأقوام التى ضلت فى الحياة الدنيا ، وان كان القرآن الكريم قد أورد بعض هؤلاء الرسل ، فانه يقرر أن غيرهم لم تتعرض لهم آياته الكريمة ، وذلك بالنص الشريف (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك) . وكان لكل أمة رسولها الذى يدعو أهلها الى عبادة الله العزيز الحكيم ، ولكل قوم هاديهم الذى يرشدهم الى الصراط المستقيم ، فما أرسل رسولا الا لقومه وفى ذلك تقول آيات القرآن الكريم .

(وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) .

(ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله) .



(والى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله) .

(ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) .

(والى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله) .

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه) .

(واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم) .

الى أن نضج الفكر الانسانى ، واتسعت مدارك الانسان ، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يجمع البشر على دين واحد ، فأرسل خاتم الرسل والنبيين محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخالدة لتكون خاتمة الرسالات السماوية، بعد أن أصبح من السهل الميسور على العقل البشرى تمييز الصدق ، ومعرفة الحق ، فأرسله سبحانه وتعالى للبشر جميعا ، وليس كغيره من الرسل والنبيين لقومه فقط ، اذ تقول عنه الآيات الشريفة (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) ، (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) وذلك ليجمع الناس على الاسلام ، وهو آخر الأديان وأتمها ، ونهاية الرسالات وأكملها ،ولهذا نجد أن المعجزة التى أيد الله سبحانه وتعالى بها رسول الاسلام تختلف عن باقى معجزات الرسل والانبياء فى أنها معجزة خالدة ، وليست وقتية كالمعجزات السابقة ، وانها معجزة للبشر كافة وليست لقوم بعينهم ولا لافراد فى زمانهم . فمثلا كانت معجزة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فى عصاه ، فقد كان الشائع فى زمان بعثته مهارة السحرة الذين كانوا يلقون حبالهم على الأرض ، فيخيل للناس من سحرهم أنها تهتز ، فكان ان ألقى سيدنا موسى عصاه ولقفت حبال السحرة فيؤمن بموسى السحرة ثم يتبعهم قومهم ، وذلك بنص الآيات الكريمة (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون . فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون . فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون . فألقى السحرة ساجدين . قالوا آمنا برب العالمين . رب موسى وهارون) . وأرسل سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام فى زمن كان الطب قد تقدم ونجح فى علاج كثير من الامراض ، فكانت معجزته التى أيده الله بها ابراء الأكمه والأبرص حيث لم يتمكن الطب من ذلك ، بل وأحيا الموتى وخلق الطير من الطين باذن الله بنص الآيات الشريفة (اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى) .

وقد يوجد من لا يستجيب لدعوة هؤلاء الرسل بعد أيامهم اذ انتهت معجزاتهم بانتهاء زمان رسالاتهم ، ولا يستند فى الدعوة لما أرسلوا به بعد زمانهم الا على ما يتواتر من جيل لآخر ، وقد لا يجد التصديق لعدم وجود الدليل بينما معجزة سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم التى أيده الله سبحانه وتعالى بها وهى القرآن الكريم قد أراد الله لها الخلود لتناقشها الاجيال وتتدارسها الأقوام فى أى زمان وكل مكان لتجد فيها الدليل الذى ليس بعده من دليل على حق رسالته وصدق نبوته ، وما أروع ما تقوله الآيات الشريفة عن القرآن الكريم (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين) وتستمر الآيات لتعلن التحدى المطلق وتقرر النتيجة القاطعة (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) .

واذا كان الاسلام قد انتشر فى مشارق الأرض ومغاربها ، وارتفعت تكبيراته فى أقاصى الشمال وأعماق الجنوب ، وأصبح عدد المسلمين نحوا من خمسمائة مليون مسلم ، أى حوالى سدس عدد سكان العالم فى أربعة عشر قرنا ، فان باقى سكان العالم وقد أرسلت رسالة الاسلام لهم أيضا فى حاجة ماسة الى تبليغهم هذه الرسالة وتعريفهم بها ، لا سيما هؤلاء الذين لم تصلهم بعد أية رسالات وما زالوا يعيشون بلا أديان ، وقد بدأوا يتحرقون شوقا ويتصايحون لهفة على الهداية .

ولا شك أن أكثر من نصف باقى العالم من غير المسلمين لم تصلهم رسالته اطلاقا ، ولا يعرفون عنها شيئا ، وأما الباقى فقد وصلتهم عنه الأكاذيب عن طريق من يحاربون الأديان عامة ويعادون الاسلام خاصة ، والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أن معظم آياته تخاطب الناس جميعا فى مثل (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) أو يخاطب الانسان فى مثل (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) وما ذلك الا تأكيدا بأن دعوة الاسلام هى دعوة الناس أجمعين .

وتبليغ الدعوة الاسلامية أمر يجب على كل مسلم أن يقوم به ، فقد أمرنا الله سبحانه بالدعوة الى سبيله فى النص الكريم (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وطالبنا بتبليغ رسالته بالنص الكريم (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا) بل أمرنا الله بالجهاد فى سبيله . والجهاد انما هو أقصى درجات البذل فى كافة نواحيه المالية والمادية ، وجعله طريق الجنة بالنص الشريف (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) . وليس أمر تبليغ الدعوة الاسلامية بالأمر الشاق أو العسير كما قد يتبادر الى الذهن ، بل انه لمن أسهل الأمور وأيسرها طالما صفت النية وصحت العزيمة .

(ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) .

صدق الله العظيم

أختاه

محمد مؤذن

أختـاه هـاتى كَفَّكِ اليُمْنَى . . فقد جَـنَّ المسـاء
واستيقـظ الإعصارُ مجنونـاً وعربـد في الفضـاء
هـاتى يمينـكِ فالظـلامُ الجهمُ يلتهـم السمـاء
والدربُ مختنق النشـيد هنـاك موصولُ البكـاء
لَكِنْ إذا طلـع الصبـاح . ورشّ في الأفـق الضيـاء
لا تنكرى أنّى هديْتُ خطـاكِ في ليـل الشقـاء

★★★

أختـاه هـاتى كفَّكِ اليُمْنَى . . ضعيهـا في يـدى
وعلى دروب مشاعلى البيضـاء لا تتمـردى
فإذا أبَيْتِ . وجَرَّحَتْ قدميْك أشـواكُ الغـد
ورجعْت ظـامئةَ الحنـين إلى بقـايا مـوردى
سأريقُ أدمـع كبريائك في رجـاء سرمـدى
ليظـل قلبُـكِ أنثـويَّ النبـض يهتـف . سيـدى .

★★★

أنا لسْتُ صلْدَ الروح . صخريَّ العواطف . قاسـيا
أرتـاح للألم الـذى يطـوى شـبابكِ لاهيـا
لكنّى عَذّبْتُ فيـك بِقَاعتِى . . وشبابيـا
وملأْتُ فيـكِ الـكَوْنَ شـعْرًا وامضاً . وأغانيـا
وحملْتُ فوق جَبِينِىَ المخضوبِ جُرْحَـكِ راضيـا

للاستاذ محمد احمد العزب

وأتيْتِ أنْتِ . فقلْتِ . يا عَبْدى . . فَهِجْتِ إبائيا

***

عودى إلى آفاقك الأولى حَمَاما تائبا
عودى إلى العش الذى أنْمَى صِباكِ الهاربا
البيتُ يا حواء أمسى بعد هجرك شاحبا
بكت الستائرُ فيه فَجْرَك والضياءَ الغاربا
وحَبَا الصغيرُ إليك حين صَحا . . فَراشاً لاعبا
ورأى سَرِيرك خالياً . فَبكَى . وثَارَ مُغَاضِبا

***

أنا لا أريدكِ دُمْيَةً خرساءَ جاهلةَ المصير
أو طفلة العينين تحترقين في ليْلٍ ضرير
فأنا . وأنتِ هنا . فراشٌ هائمٌ حوْل العبير
لكنّنى أخشى عليك هناك من لفْح الهجير
أخشى إذا جَمَحَتْ خُطَاكِ عليك من ذئبٍ حقير
فالذئب في بلدى يعيش على دم الحَمَلِ الصغير

***

كونى كما شاءتْ لك الأقْدارُ سَوْسنة حَيِيَّه
يلتف بُرْعُمُها الغريرُ وراء أوراق شَذيَّه
لُفّى مَطَارِفَكِ الجميلة حول قَدّكِ يا صبيه
وتخطّرى في البيت أنغاما . وأنساما رخيّه

اليهود ودعوة الحق

آخر المطرودين

للاستاذ : محمد صبيح

ناقة الرسول تأتى ..

المنظر فى خارج يثرب ، وقد أصبح اسمها المدينة المنورة ، والنخيل يمد ظلا طويلا يوحى بأن الشمس توشك أن تغيب ، ونرى رجلين ينظران الى الافق البعيد ، أحدهما عربى خزرجى من أهل يثرب ، والثانى يهودى من بنى قينقاع طالت لحيته حتى كادت تبلغ وسطه .

قال اليهودي : موسى بن ثعلبة : اسمع يا أبا الوليد .. هل تظن محمداً وجماعته ينتصرون اليوم على قريش ؟ والله انك لواهم .

ابو الوليد : ويك يا موسى بن ثعلبة . ولماذا تنقم علينا نحن المسلمين ان ننتصر على قريش . وأى حقد هذا الذى تحمله فى قلبك على رسول الله وأتباعه ، وهو يدعو الى اله واحد ، مثلما تدعون ، ويعترف بنبوة ابراهيم وموسى وعيسى وكل من سبقه من الرسل والانبياء ..

موسى بن ثعلبة : لا أكتمك الحق يا أبا الوليد ، فأنت وقومك الخزرج حلفاؤنا ، وأسرارنا مصونة لديكم .. لقد كنا نرجو أن يظهر النبى الجديد من بيننا نحن بنى اسحق . فاذا هو يظهر من ولد اسماعيل ، وبهذا ينهى وجودنا كشعب مختار ، مفضل على العالمين .

ابو الوليد : ولكن أليس بقية البشر من خلق الله . أو لم يأتكم رسل يدعونكم الى الصلاح والتقوى ، فكذبتموهم ، وآذيتموهم ، وقتلتموهم ، حتى ورد فى الوصايا العشر نهى لكم عن قتل أنبيائكم .. ان تاريخكم كله عصيان لله ، وخروج على كلمته .. وقد بلغت البشرية بعد الفين من السنين نضجا ، يستحق أن توجه لهم كلمة الله عامة ، ولا تقتصر على فريق من الناس دون فريق .

موسى بن ثعلبة : انك يا أبا الوليد تتكلم بمثل ما يتكلم به محمد ويتلوه فى قرآنه .. آه من هذا القرآن الذى قضى

على عقيدتنا فى الشعب المختار ، وكم يحيرنا أن نرد عليه ، وكنا نحسب أن توراتنا هى آخر كلمات الله .

ابو الوليد : ولهذا قاومتم دعوة سيدنا عيسى ، وانجيله ، .. وجاء القرآن الكريم يرد عليكم ويقول :

« ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله .. ان الله عزيز حكيم » .

موسى بن ثعلبة : اسكت يا أبا الوليد .. فقرآنكم يمزق نفوسنا .. وانا سنقف له بكل طريق .

ابو الوليد : (صائحا) هذا قادم من الشرق ، يعلوه الغبار .. عساه يكون البشير بنصر بدر .

موسى بن ثعلبة : أجننت يا رجل .. أو تظن ألفا من صناديد قريش يهزمهم ثلاثمائة منكم ..

ابو الوليد : (غير مصغ له .. ومندفع الى الامام) .. أقسم انها القصواء ناقة رسول الله (صائحا ملوحا بيديه ..) ايه يا راكب القصواء ، هات ما عندك ..

موسى بن ثعلبة : وهل تريد بيانا أكثر من هذا البيان . لو أن محمدا انتصر لما جاءت ناقته مع غيره .

ابو الوليد : واها لك يا ابن الخبيثة (صائحا ..) تكلم أيها الرجل .

الرسول : (من بعيد ..) انتصرنا .. انتصرنا ورب الكعبة ..

ابو الوليد : (صائحا ..) الحمد لله .. الحمد لله القوى العزيز .

موسى بن ثعلبة : (ممسكا بذقنه) .. وهل صدقته ؟ . هل تكذب مجيء الناقة من غير صاحبها ، وتصدق هذا الرجل ؟

الرسول : (يقترب ..) قتلناهم .. وأسرناهم .. والله

ابو الوليد : (صائحا ..) اهبط اعانقك .. بل عجل نخبر قومنا النبأ العظيم .

ابن ثعلبة : ولماذا تعجل بفرحة ، يعقبها حزن عظيم .. الناقة يا رجل .. القصواء لا تأتى من غير صاحبها .

ابو الوليد : (هائجا) اسكت يا غراب الشؤم .. أخبره لماذا جئت بالقصواء .

الرسول : لقد فضلها رسول الله ، حتى تطير اليكم على جناح الريح ..

ابو الوليد : صدقت يا أخى صدقت .. وأنت يا أخبث الثعالب ، لولا حلف بين قومى وقومك، لاطحت بعنقك وألقيت برأسك بين قدميك .. هيا بنا .. هيا .

الحصار

المنظر فى حي بنى قينقاع اليهودى وسط المدينة المنورة ، وفى ساحة تشبه السوق ومتاجر صغيرة جلس أمامها بعض الناس ، وأمام واحد منها جماعة تتحدث :

موسى بن ثعلبة : أسمعتم يا آل أبى الحقيق ما بعث به محمد لنا هذا الصباح ؟

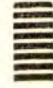
النضر : نعم لقد كنت فى السوق هذا الصباح ، عندما جاءنا بنفسه وقال لجمعنا : يا معشر يهود : احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة .

موسى : وهل رددتم عليه ؟

النضر : نعم .. قلت له : يا محمد اننا اكفاؤك .. لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة . وانا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس ..

موسي بن ثعلبة : وهل استوثقتم من حلفائنا الخزرج ، اذا ما حاربنا المسلمون

النضر : أجل .. فان كبيرهم عبدالله ابن أبى بن سلول ، أكد لنا أنه لن يخذلنا .



موسى : والله انى لاخاف أن يعصاه قومه . فقد كنت مع صاحب لى منهم ووجدت أن محمدا أحب اليهم من كبيرهم ابن سلول ، ولا تسل عن فرحته واعتزازه وهو يتلقى أنباء بدر ونصرها .. هذا صاحبى أبو الوليد يقبل (مناديا) .. يا أبا الوليد .. أقبل ..

ابو الوليد : (فى ريبة وغضب هادىء ..) وماذا تريد منى يا ابن ثعلبة ، بعد ما رأيت منك ساعة جاء البشير بالنصر .

النضر : اجلس نبادلك الحديث .. ان صاحبكم توعدنا بهزيمة مثل هزيمة قريش فى بدر .. ورددنا عليه رد اكفاء قادرين ، معتزين بحلفكم يا معشر الخزرج .

ابو الوليد : (صائحا ..) حلفنا . ؟ أو تقوم أحلاف الجاهلية مقام الاسلام .. ألم يبلغكم ما نزل من القرآن فيكم ردا على تحديكم للاسلام والمسلمين .

موسى بن ثعلبة : (متلهفا) وما ذاك يا صاحبى .

ابو الوليد : قال تعالى « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار » .

يهودى ثالث : أيتوعدنا محمد وقرآنه بجهنم .. والله سيرى منا ويرى .

ابو الوليد : وأنت يا ابن أبى الحقيق ، مالك وللحرب والنزال .. وأنت صائغ حلى لا تحسن الا الحديث مع النساء ؟

الصائغ : وأى عيب فى أن نبيع لنسائكم حلينا ، ونبتز أموالكم ؟ اسمع ، هذه واحدة منكم أقبلت .. افسح لها الطريق .

واحدة : بئس ما تشترون يا صاحبى .. بعت لواحد منكم شاتين فبخس الثمن . وأريد عقدا فعساك لا تغلو فى الثمن .

الصائغ : يا أخت العرب ، سترين أنى سأعوضك الشاتين بأجمل الحلى .. جربى هذا .

ابو الوليد : انى لا احب بيعكم وشراءكم يا آل ابى الحقيق . سأمضى لسبيلى (ينهض ..) .

الصائغ : لماذا يا جميلة لا تكشفين عن وجهك ، لنرى العقد على جيدك ؟

السيدة : خسئت يا يهودى .. ومالك ولوجهى ؟ .. أنت تبيع ، ولا شىء أكثر من هذا .

النضر : (يشير الى موسى بن ثعلبة اشارة فيدور حول السيدة ، ويرفع ذيل ثوبها فى خفة ويشبكه فى وسطها) اذا لم تكشفى وجهك ، فلن نبيعك شيئا .

السيدة : وانا والله لا أشترى .. (ثم تقف فتجد ذيل ثوبها يرتفع الى أعلى وتسمع اليهود يضحكون) .. تبا لكم .. (صائحة) وا اسلاماه ..

ابو الوليد : (يسمع صوتها ويقبل من بعيد) لبيك يا أمة الله .. لبيك (ويرى ثوبها ، فيرخى ذيله .. ثم يسحب سيفه ويطعن به موسى بن ثعلبة طعنة نجلاء) خذها يا ابن اللئيمة .

موسى بن ثعلبة : (يسقط على الارض .. محتضرا) ألم أقل .. لكم .. الخزرج بعد اسلامهم .. لا حلف لهم معنا (يموت) .

النضر وآخرون : (يثبون على المسلم أبى الوليد .. ويطعنونه بسيوفهم) .

ابو الوليد : (محتضرا ..) عجلت اليك ربى لترضى .. أبلغوا رسول الله تحيتى .. اذهبى أنت يا أمة الله ، فقد سترك الله .

(تسمع ضجة كبيرة ، وقوم يروحون .. وآخرون يجيئون .. ويبدأ السوق يظلم قليلا .. قليلا) .

يهودى (١) : انها والله آخرتنا .. لقد أحاط جنود محمد بحينا ، لا يخرج منه أحد ولا يقدم اليه أحد .

يهودى (٢) : ويلى .. ان لى مالا كثيرا فى أحياء يثرب ، كيف أحصل عليه .. هل وصلت رسالتنا لابن سلول عسى أن ينجدنا ؟

يهودى (٣) : مضى اسبوع على الحصار ولم نسمع شيئا .. وأقواتنا قلت ، بل بدأنا نجوع وبقية أحياء يهود تكرهنا لحلفنا مع الخزرج .. ماذا نحن صانعون ؟ .

* * *

فى الطريق الى المدينة المنورة ، يرى راكبا جملين قادمين من مكة وقد اختفت ملامحهم ، تحت عمائم كبيرة ، وأثواب مرسلة ، وهما يتحدثان همسا :

عمير بن وهب : (همسا) قل لى يا فنحاص .. ألا ترى أن نفترق هنا ، فتذهب أنت الى بيتك ، ثم تخابر قومك بما اتفقنا عليه ، واتلبث أنا خارج المدينة ، واظهر لهم عند مسجدهم فى الصباح ؟

فنحاص : (همسا) ما على هذا اتفقنا مع ابن عمك يا عمير بن وهب .. الليل أقبل ونجومه لا تبين ، تذهب معى الى بيتى نريح بقية الليل ، وأسقى لك خنجرك سما ناقعا ، هذه الساعات ، حتى يكون أقل جرح منه قاضيا على صاحبهم .. وسوف أبعث ولدى يحضر لنا من يعينك على الفرار مع ولدك الاسير ..

عمير : (بصوت خفيض) والله ان قلبى لا يطيب لدخول المدينة فى صحبتك مهما استترنا . فلو أن أحدا عثر بنا لانكشفت خطتنا . اما اذا عثروا بى وحدى فسأقول : جئت أفدى ولدى الاسير منذ بدر .

فنحاص : وهل تذهب لمحمد بخنجر لا يقتل ، وتخون عهدك لابن عمك صفوان ابن امية ، وقد وعدته بالثأر لابيه وأخيه اللذين قتلا فى بدر ؟

عمير : هو ما تقول .. هيا بنا .. هذه بلدتكم ، وأنت أدرى بها ..

(يسيران فوق جمليهما فى دروب يثرب) .

فنحاص : هذا بيتى .. لعل كل من فيه نيام ..

عمير : اطرق الباب بهدوء .. أو ناد ولدك .

فنحاص : (يطرق الباب .. تسمع خطوات ..) .

صوت : (من الداخل) من الطارق

فنحاص : (متعجبا ..) هذا ليس صوت ولدى .. من يكون ؟

(الباب يفتح بصرير ..)

محمد بن مسلمة : (بصوت ضخم ..) من الطارق ؟

فنحاص : (مذعورا) من تكون ؟

محمد بن مسلمة : من تكون أنت ؟ الينا بسراج

(يحضر شخص سراجا من الداخل)

فنحاص : (متعجبا ..) محمد بن مسلمة قائد حرس محمد .. ماذا تعمل فى بيتى يا رجل ؟

محمد بن مسلمة : آه .. فنحاص .. وأين كنت؟ .. وهذا واحد وراءك يستتر بالظلام .

فنحاص : (غاضبا ..) انى أسألك ما تعمل فى بيتى يا ابن مسلمة ؟ .

محمد بن مسلمة : (لرجال من حوله) انزلوه من على ناقته وأحكموا وثاقه .

فنحاص : يحكمون وثاقى ؟ . أجننت يا رجل ؟ .

محمد بن مسلمة : وأدركوا هذا الذى جاء معه يريد أن يتسلل بناقته .. أحضروه أيضا .



فنحاص : (متذللا) هـلا أفصحت يابن مسلمة . انى اعلم أن بيتى هو بيتك، فلا تغضب ، واعذرنى اذا كنت اسأت اليك .

محمد بن مسلمة : (لرجاله) فليدن منى هذا الراكب مع فنحاص بليل .. (يعرض على وجهه السراج .. وينتزع عمامته) آه .. هذا عمير بن وهب ، عدو الله .. اذن كان فنحاص فى مكة يتآمر مع قريش وجاء بك لامر دبرتموه بليل .

الرجال : (فى أصوات متعارضـة) فلنضرب عنقيهما .

فنحاص : (متذللا) وحرمة جيرتنا ، وحق أخوتنا الاما أخبرنى أحد منكم ماذا حدث ، وأين أهلى ، ولماذا لم يظهر أحد منهم ؟

محمد بن مسلمة : أنـا أخبرك يـا فنحاص .. لقد حاصرناكم خمسة عشر يوما ولولا شفاعة حلفاء لكم لضربنا أعناق سبعمائة محارب منكم وأخذنا باقيكم اماء وعبيدا ..

فنحاص : واهـا لقومى .. ومـاذا صنعوا ؟

محمد بن مسلمة : تآمروا .. وهل تعيشون الا بالدس والوقيعة .. كان نصر بدر غصة فى حلقكم ، فأسرعت يـا فنحاص تؤلب علينا قريشا مرة أخرى ، وتعرض حلفكم لهم هذه المرة ، ولكن أمر الله أدرككم قبل ذلك .

فنحاص : ومن الذى شفع فى قومى ، حتى يشفع لى ، فألحق بهم ..

محمد بن مسلمة : انهم فى طريقهم الى اذرعات بالشام . وسأجردك من سلاحك، وكل ما معك ، وأبعث بك محروسا الى خارج المدينة ، حتى تلحق بقومك .

فنحاص : أهو عبادة بن الصامت ، أم كبير الخزرج ابن سلول الذى شفع بنا .

محمد بن مسلمة : هما معا

فنحاص : ولماذا لم يشفعا فى مالنـا ايضا .

محمد بن مسلمة : اقفل فمك ، والا أقفلته لك بغير لسانك فى داخله .

فنحاص : انى لن أتكلم بعد الآن .. وانت يا عمير اوصيك بأن تحيى لى ولدك الاسير ..

محمد بن مسلمة : ابقوا عميرا فى وثاقه حتى الصباح ليرى فيه رسول الله عليه الصلاة والسلام رأيه ..

فنحاص : (فى ذعر ..) كلمة واحدة يا ابن مسلمة

ابن مسلمة : قل .. ماذا تريد ؟

فنحاص : هل تعطينى التوراة التى فى بيتى

ابن مسلمة : اسمع قول الله تعالى أيهـا اليهودى : « مثل الذين حملـوا التوراة ثم لم يحملوها كمثـل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القـوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين » .

فنحاص : اننا أولياء الله .. فاعطنى التوراة

ابن مسلمة : واسمع قول الله أيضا أيها الكذوب : « قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » .

فهل تتمنى الموت يا فنحاص ؟

(يسحب سيفه)

فنحاص : (فى ذعر) لا .. لا .. لا أريد التوراة .. ولا أريد أن أكون وليا .. ولا أى شيء .. اعف عنى ، وسأرد لسانى الى حلقى .. لن تسمع صوتى .

ابن مسلمة : (ضاحكا ..) هيا أيها الجبان اجـر .. حتى تتقطع أنفاسك فرارا وخوفا وجبنا . ولا تقف الا فى اذرعات من أعمال الشام .

دراسة فى فكر منحل

في ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط

نشرته مكتبة الامل بالكويت

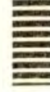
تاليف / محمد جلال كشك

عرض ونقد/الاستاذ عبد المعطي بيومي

((فى هذه الدراسة تعرضت لنماذج من الفكر المنحل .. الفكر الذى يروجه أعداء العروبة ـ أعداء الاسلام ، وفي هذهالدراسة ستجد نماذج من أذناب الغرب وأذناب الشرق ونماذج يصعب عليك أن تحدد . أبلسان الشرق تنطق أم لمصلحة الغرب تعمل ؟ ولكنك لن تشك فى غربتها عن أرضنا ، وعدائها لمصالحنا ، وتآمرها على وجودنا .. وفى هذه الدراسة ستجد بداية لبحوث اضطررنا اليها فى الرد على من تناولهم القلم بالتحليل ، وتناول آراءهم المنحلة بالتفنيد .. وبعضها ما زال للقول فيه بقية ..)) .

بهذه الفقرات من مقدمة هذا الكتاب الذى تولت نشره مكتبة الامل بالكويت حدد الكاتب اتجاهه فى الموضوعات التى تناولها وهى مقالات معظمها مما كان قد نشر فى (الرسالة) ابان عام ١٩٦٥ ثم توقفت الرسالة فلم يتم الحديث .

والكاتب الاسلامى المتوثب الفكر والكلمة قد أخرج لنا من قبل كتابيه (الغزو الفكرى) و (الماركسية والغزو الفكرى) وهما يسيران فى الخط الذى اختاره الكاتب لقلمه منذ عاد بوعى وفهم وايمان الى قيمه الدينية ينافح عنها بعد ما تكشفت له ضلالاتالافكار الغريبة المنحرفة التى عاش فى جوها زمنا أتاح له أن يقف بضميره ـ الذى كان متيقظا فيه ـ على ما يدبره الغرب والشرق



وعملاؤهما في بلادنا من خطط للقضاء على معنويات الامة الاسلامية وقيمها ، ليختم التاريخ سجلها المفتوح منذ جاء محمد صلى الله عليه وسلم الى هذا الوجود بدين بعث أمة وأسس حضارة .

وقد تحدث الكاتب في خطبة الكتاب عن المؤامرات التي يحيكها الغرب والشرق ضد الاسلام وقيمته ، وتسخيرهما بعض الاقلام العربية والاسلامية مع الاسف لتنفيذ مآربهم ، حتى بات من الضروري القاء الاضواء على هؤلاء اللصوص ـ لصوص القيم والتراث والامم وفضحهم وكشف مخططاتهم هم وعملائهم ، حتى تكون الامة على حذر منهم ومما يكتبونه باسم العلم والبحث ، أو يلقونه على مسامع الطلاب ، ولعل القراء لا يزالون يذكرون تلك المعركة العربية الاسلامية التي دارت بين (الرسالة) ممثلة للثقافة العربية الاسلامية وبين كتاب ومجلات أخرى حملوا وحملت معاول الهدم لتقضي على الرسالة حتى أغلقت أبوابها وتوقفت عن مسيرتها .

وكان المؤلف أحد فرسان الرسالة الذين تصدوا للدفاع عن القيم الاسلامية ضد الافكار المسمومة فكتب فيها مقالات وبحوثا كان فيها كطبيعة الفارس ، يدافع ويهاجم ، ويتحرك هنا وهناك ، حسب ما تمليه عليه ظروف المعركة التي كان يراها معركة مقدسة في سبيل الله والامة وتاريخها الماضي والحاضر والمستقبل .

واذا كنت وأنت تشاهد معركة على الطبيعة تجد نفسك مشدودا اليها ، متتبعا لحوادثها ، حتى لتغيب عن كل ما حولك فانك ستجد نفسك كذلك ، حين تمسك بالكتاب ، وتبدأ بقراءة أولى صفحاته فانك تحس أن الكلمات تتحرك وتقفز ، وتصفع وتجرح أو تضمد ، وتحس بفكرك يتابع في حركة كذلك كل كلمة وكل نقطة وعلامة استفهام وعلامة تعجب .

وقد صنف الكاتب دراساته او معاركه الى أربع فئات : فئة أسماها « باللويسيات » يرد فيها على بعض أفكار للدكتور « لويس عوض » ، وفئة أخرى سماها « بالشيوعات » وفيها يصارع بعض الاتجاهات ويفضح بعض المواقف والمخازي الشيوعية في بلادنا ، والفئة الثالثة من دراساته خصصها للكشف عن الزيف الذي أحاط بسلامة موسى وأشياعه الذين أطلق عليهم المؤلف اسما جديدا وهو « السلامة » ، ثم خصص الدراسة الاخيرة لعرض بعض النماذج من الفكر المنحل لمجلات عارضت الرسالة وهاجمتها بالزور والبهتان .

مع لويس عوض

وأعنف هذه المعارك وأطول هذه الدراسات هي الاولى ـ اللويسيات ـ وفيها يتصدى الكاتب للدكتور لويس عوض .

ذلك أنه ذكر في كتابه « المؤثرات الاجنبية في الادب العربي الحديث » أن الاصل في كلمة الحرية في اللغة العربية أن تستعمل في مقابل العبودية ـ وهذا هو معناها القانوني ـ وقد تستعمل بالمعنى السياسي والمدني ـ أي الحرية السياسية والمدنية قليلا على سبيل المجاز بل انها استعملت بهذا المعنى المدني في بعض آثار الادب العربي القديم ، ولكن على سبيل الشذوذ . ولم يشع هذا الاستعمال لكلمة الحرية بالمعنى السياسي والمدني الا نتيجة اتصال العرب بالحضارة الاوروبية لان كلمة ليبرتيه أو الحرية في اللغة اللاتينية يراد بها اصالة حرية الحر لا العبد ، أي الحرية السياسية والمدنية .

وقد استدل الدكتور على ذلك بتعليق رفاعة الطهطاوى على قصة عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص التى قال له فيها متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا حيث قال الطهطاوى فمنه يفهم أن الحرية من طباع العرب من قديم . وقد خلص الدكتور من ذلك كله الى هدفه حيث قال . وقد كان منطق الطهطاوى في ذلك منطقا سليما لان فكرة الحرية بمعناها السياسي والمدنى فكرة لا تقاليد لها في المجتمعات العربية .

وهنا أمسك بخناقه جلال كشك مبينا أن المسلمين لم يكونوا بحاجة الى معرفة معنى « ليبرتيه » ليدركوا معنى الحرية ، لانهم أدركوها وباشروها وأقاموا مجتمعهم على أساسها من قديم ولكى يبرهن الاستاذ جلال على ما يقوله رجع الى الاصول التى قام عليها المجتمع المسلم وقسم الحرية الى .

أ - حرية فردية وحرية اجتماعية .

ب - ثم قسم الحرية الاجتماعية الى .

١ - الحرية فى الاسرة

٢ - الحرية فى المجتمع العام .

وفى كل من هذه النواحى أفاض فى ذكر الشواهد التى توضح فى قوة أن الحرية عند العرب والمسلمين متأصلة فيهم قبل اتصالهم بأوربا من زمن بعيد .

الحرية الفردية

فالحرية الفردية تتجلى فى حرية الضمير أو حرية الفكر وهى تعنى رفع القدسية عن العقل البشرى واعطاءه حرية الخطأ والصواب ثم عاد المؤلف الى موقف العرب والمسلمين من هذه الحرية فأبان كيف أن الاسلام رفع العصمة عن كل عقل لانه ليس غير الله حق مطلق فالخطأ جائز من كل انسان ولا حرج متى توافرت النية المخلصة فحتى الرسول صلى الله عليه وسلم يخطىء ويعاتبه الوحى مرات كثيرة « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » ويراجعه فى رأيه الحباب بن المنذر حين اختار عليه الصلاة والسلام فى معركة بدر موضعا ينزل فيه المؤمنون « يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل » لما تبين أنه رأى الرسول الشخصى فى ذلك الموضع لا الوحى ويقول الرسول موافقا (لقد أشرت بالرأى) بل ان القرآن أعلنها صريحة واضحة « من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » فمن اجتهد فأخطأ فله أجر ومن أصاب فله أجران فالباب مفتوح ولا سلطان على الضمير بل الكل سواء .

الحرية فى الاسرة

ثم انتقل المؤلف الى توضيح موقف الاسلام من الحرية الاجتماعية - وفى الاسرة خاصة باعتبارها الخلية الاولى للمجتمع وحيث كثر حولها اللغط وهنا اشتدت صولات المؤلف وجولاته وطالت وقفته حيث رأيناه يضرب ويضرب بحكمة وعنف فيسدد ضرباته الىمواضع الضعف فى الحضارة الغربية ويكشف عناصر القوة والروعة فى حضارتنا الاسلامية مبرزا أصالة الحرية وعمقها بأوسع مدلولاتها فى الاسلام ، ولقد برهن الاستاذ جلال كشك على أن الحضارة الاوربية التى يحسبها الكثيرون قد اكتمل نموها ما زالت فى الحقيقة تتعثر وتحبو بجانب حضارة الاسلام .

فالاسرة الاسلامية تقوم أول ما تقوم على الاختيار الحر من الطرفين « فزواجنا من الارض يعقد وبارادتنا يبقى أو ينفصم » بينما نرى ملك انجلترا نفسه قد حرم حقه فى اختيار زوجته واضطر أن يدفع عرشه ثمنا لحرية اختياره وتحدثنا المصادر الاسلامية الاولى انه ثبت فى الصحيحين أن خنساء بنت جذام زوجها أبوها وهى كارهة وكانت ثيبا فأتت رسول الله فرد نكاحها .



كذلك نرى الزوجة فى أوربا حتى اليوم تلحق بزوجها ، وتفقد كل حقوقها فى ملكية ثروتها حتى أنه فى مارس ١٩٦٥ فقط يجرى وزير العدل الفرنسى تعديلا على القانون لغرض هو كسب مزيد من الاصوات النسائية فى الانتخابات فينص على أن للمرأة الحق فى ممارسة العمل والشراء وحدها بالتقسيط ، وفتح حساب خاص بها فى البنك . هذا فى فرنسا منبع حضارتهم .. وفى مارس ١٩٦٥ !!

ولكن المرأة المسلمة تتمتع بكل شىء .. من أربعة عشر قرنا مضت فلا يمحى اسمها أو يذوب في اسم زوجها ولا تفقد حقا لها قبل الزواج أو بعده فلها أن تشترى وتبيع ما تريد وليس لزوجها أخذ شىء من ملكها الا برضاها وأتفه حقوقها المصانة ان تحتفظ بحساب خاص لها فى البنك .

ويمعن المؤلف في هذه المقارنة الجميلة فيتتبع الحضارة الغربية من يونانها الى يومنا هذا والحضارة الاسلامية من محمدها حتى يومها الحاضر فيورد سؤال أم سلمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم « يا رسول الله .. نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ، قال . بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهاره على البطانة » بينما أن الحضارة الاوربية التى أعطتنا فى مفهوم الدكتور لويس معنى الحرية بالمعنى السياسي والمدنى مفعمة بالاحتقار للمرأة فى مختلف مراحل أزمانها فهذا أفلاطون يشكر الآلهة على أنها خلقته حرا لا عبدا ورجلا لا امرأة ، والقديس أوغسطين يرى أن المرأة دابة أو مخلوق لا حزم فيه ولا ثبات على رأى ، الى سيمون دى بوفوار التى تعلن كشفا مذهلا قائلة . ما من شك فى أن المرأة بشر كالرجال .

ويحلل المؤلف أسباب انحطاط مركز المرأة فى الحضارة الاوربية الى درجة تحتاج لها الى « حرب تحرير المرأة » ، وسموها فى الاسلام الى مرتبة افضل من الحور العين ، ويرجع ذلك الى عاملين : فكرة الخطيئة الاولى ، والنظرة الى الجنس .

اما فيما يتعلق بفكرة الخطيئة الاولى ففى الحضارة الاوربية — فى عهدها القديم والجديد — فان المرأة — حواء — هى التى تعاونت مع الشيطان فى اغراء آدم بالاكل من الشجرة المحرمة وقد أورثت هذا الخطأ لبنات جنسها . أما فى الاسلام فان المسئولية مشتركة وقد غفر الله لآدم وزوجه وانتهى الامر فالخطايا لا تورث « فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما » . « وان ليس للانسان الا ما سعى » .

فكرة الجنس

أما فيما يختص بفكرة الجنس فانهم فى أوربا يعتقدون ان الجنس عيب ..! اثم ... لحظة ضعف ومعروف ما يقرره علم النفس أن السلوك الانسانى ازاء ما نؤمن أنه اثم يتخذ أحد شكلين . اما التطهير بالتعفف منه واما الاغراق فيه ، فالاغراق والانحلال الجنسى أو التحرر الجنسى كما يسمونه هناك ليس الا مظهرا من مظاهر الاحساس بالاثم هذا الاثم الذى تغريه به المرأة فهى شر .. شيطان .

ولكن الاسلام يحترم الجنس كوسيلة لحفظ النوع الانسانى لا انحطاط فيه ولا ضعف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي بضع احدكم صدقة) ، وقد أحاطه الاسلام بسياج من الصيانة والوقار وعالج مشاكله ووضع كثيرا من آدابه فى شجاعة ورقة وصراحة .

ومن أجل صيانته حرم الله الزنا وجعل جزاءه الرجم للمحصن والجلد لغيره كما أحل الطلاق تكريما للحياة الزوجية اذا تعذرت هذه الحياة على أنه مع ذلك أبغض الحلال الى الله لا ينبغى ان يلجأ اليه الا عند الضرورة القصوى « لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا » .

وهنا يطول موقف المؤلف ليحلل شرعية الطلاق وضرورته وأهميته ثم يستغرب ـ ونحن معه ـ اذ أنه فى الوقت الذى تضطر فيه مجتمعات متحضرة الى تعديل موقفها من الطلاق لتقترب من اباحته ينادى بعض الذين اعلنوا بأنهم ينادون بما ينادون على سبيل (الهنكرة) في مجتمعاتنا الاسلامية بتقييده أو الغائه والغاء بعض الاسس الاخرى معه كنظام الطاعة وتعدد الزوجات ولكنه العقل المشوه لبعض ما نسميهم كتابا ويعلنون عن أنهم (متهنكرون) يريدون حرمان المسلمين من أهم عناصر التفوق فيه وتشكيكهم في هذا الدين .

ثم يعرض الاستاذ كشك الى عدالة نظام الاسلام بغض النظر عن وسائل تنفيذه مبينا ان الذوق السليم يفرضه ، اذ ما ذنب رجل يدفع النفقة لزوجه وهى ناشز ترفض الاقامة معه ، ثم يبرهن بالاحصاءات المعتمدة الدقيقة والاخيرة فى بابها على ان نسبة الطلاق وتعدد الزوجات فى المجتمع الاسلامى لا تتجاوز ٣ فى الالف للطلاق ، ونصف بالمئة للتعدد ، وهى نسبة لا تذكر بجانب نسبة الازواج الذين يتخذون لهم العشيقات فى أوربا كبديل للطلاق او التعدد ولكنها عقول جماعة ترى ـ لسخفها ـ أن المرأة في حرب مع الرجل، كأنها حرب تحرير فى الحضارة الاوربية ، وهم يسعون فى الحقيقة لتكبيل المرأة وتمزيق شعورها وبث القلق في نفسها ، وأى تمزيق وأى قلق لمن لا تدرى كم هن عشيقات زوجها فى الخارج ويقصر بنا المجال المحدد لهذه الصفحات ان نعرض شيئا من نماذج (الهنكرة) التى عرض لها المؤلف مكتفين بجوهر ما أبرزه من اعجاز الدين فى تقرير الحرية التامة للاسرة المسلمة تاركين كثيرا من تفاصيل المعارك وسراديبها لقارىء الكتاب .

الحرية فى المجتمع العام

على أن المؤلف يخرج بالبحث فى حرية الاسلام الى الحياة الاجتماعية متعرضا لاهم قضيتين ثار حولهما كثير من الجدل وهما قضية الحجاب وعمل المرأة .

وفى القضية الاولى يبدد هذا الضباب الذى نشروه حول الحجاب فى الاسلام مدعين أنه يحصر المرأة المسلمة فى زنزانة ضيقة لا فكاك منها موردا موقفا رواه الطبرى من مواقف عمر وهو من نعرفه غيرة وتحفظا حين زاره احد ضيوفه فدعا زوجته اليه لمشاركته الطعام أمام الضيف فلا يمنعها الا ثيابها التى تراها هى أقل من أن تظهر بها أمام أحد ، فلم يعرف الاسلام الاغلال او القيود انما عرف واقر النظر المهذب البرىء لداعى الخطبة او لداعى الحاجة من حاجات المجتمع فأباح للمرأة الخروج الى الاسواق والبيع والشراء والتمريض والذهاب الى المسجد والدراسة والاجتماع .

عمل المرأة

أما عمل المرأة فقد أوضح المؤلف أن الرأسمالية هي التى رغبت منذ البدء فى تشغيل المرأة لانها تأخذ أجرا أقل كما تقلل من أجور الرجال ، فليست مدنية ولا حضارة أن تعمل المرأة ، ولا هو



بالظاهرة السارة ، على أن الاسلام يعطيها حقها فى أن تعمل بحكم الصالح العام ، لا بحكم التشنجات الجاهلة والهستيرية الرعناء . واذا كان الاسلام يسوى بينها وبين الرجل الامر الذى قصرت دونه أية حضارة . فلها حقوقها وواجباتها كانسانة ومن هنا يجب أن تشغل وظيفتها الطبيعية وليس من المنطق أن نربط بين التعلم والتوظف على أنه من الطبيعى أن تعيش المرأة فى كنف زوجها ومن ماله فان ٧٠٪ من نساء العالم يعشن منه فهى تؤدى وظيفة اجتماعية طبيعية أسمى من أية وظيفة أخرى تقوم بها .

وهكذا يوضح المؤلف فى جلاء مدى أصالة الحرية فى المجتمع الاسلامي قانونا ومدنية منذ أربعة عشر قرنا .

دفاع عن الطهطاوى

واذا كان « لويس عوض » « يفتات » على الشيخ الطهطاوى متهما اياه أو مستخلصا من كلامه ــ كما يدعى ــ أن الحرية لم توجد بالمعنى السياسي والقانونى الا بعد اتصال العرب بالحضارة الاوربية فقد أخذ المؤلف بعد ذلك يدافع عن الطهطاوى وهو حين يدافع عنه يعتمد على كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ذلك الكتاب الذى استخلص لويس عوض منه ــ دون وجه حق ــ أن فكرة الحرية لا تقاليد لها فى المجتمعات العربية قبل أن تقتبسها هذه المجتمعات من كلمة « ليبرتيه » اللاتينية وقد أوضح المؤلف فى عرضه لكتاب الشيخ كيف أعجب هذا الشيخ بالحضارة الاوربية ومع ذلك فلم تفتنه عن تراث دينه وتقاليد أمته العربية .

وأورد نصا من كتابه يدحض «تحامل» الدكتور لويس عليه اذ يقول الطهطاوى ما نصه . « وما يسمونه ــ أى اللاتين ــ الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والانصاف » فكيف يدعى اذن الدكتور أن الشيخ يقول ان الحرية لم توجد عند العرب الا اقتباسا من « ليبرتيه » .

مع الشيوعيين

ومن الدفاع عن الطهطاوى ينتقل الكاتب الى الهجوم على الشيوعيين فى ثلاث مقالات نشرت بالرسالة وجعلها فى كتابه تحت عنوان « شيوعيات » وفى المقالة الاولى يستغرب الكاتب من مقال نشرته مجلة آخر ساعة فحواه أن الجيش المصرى والجيوش العربية جميعا كانت واهمة فى دخولها حرب فلسطين وكان الاولى بهذه الجيوش أن تحارب الاستعمار لانه هو الذى سخر اليهود لاقامة اسرائيل واشعال نار الحرب بين اليهود والعرب ، أى أنه ــ كما يقول المؤلف ــ بناء على زعم آخر ساعة أن العرب واليهود كانوا معا ضحايا الاستعمار ، ثم يفصل الحقيقة فى هذا الموضوع على لسان الاستاذ أحمد بهاء الدين وخلاصتها أن الجريمة فى فلسطين تماما كجريمة الزنا يجب فيها رجم الصهيونية والاستعمار معا اذ أن الصهيونية بوسائل ضغطها على الرأى العام والحكومة والكونجرس استطاعت أن تكسب الاستعمار الى جانبها بمثل ما فعلت ، فعدونا المباشر اذن هو الصهيونية ثم ينتقل الحديث الى تمجيد روز اليوسف لسارتر بوصفه انسانا مناضلا فى سبيل الحرية والسلام مع مواقفه المعروفة من الصهيونية وينادى المؤلف بأعلى صوته « أما آن أن تشغلنا قضايانا القومية فنعادى من يعادينا ونصادق من يصادقنا » .

معركة جانبية

وفي المقالة الثانية يدخل المؤلف طرفا ثالثا

فى معركة أثارها الاستاذ سعد كامل على كتاب الاستاذ أحمد بهاء الدين عن (العدوان الصهيونى وأبعاد التحدى الاسرائيلي) ومع أن الكتاب يبلغ (٢٥٧) صفحة الا أن سعد كامل ينتزع منه سطرين يؤنب جميع الكتاب من أجلها ، ويتساءل لماذا هذا الخلط فى التفرقة بين اليهودى والصهيونى ثم يعيب هذا التساهل الفكرى والحماسي والتشويش من أجل كبت العواطف الرخيصة لكراهية كل اليهود ، ويبين الاستاذ جلال أن الالفاظ التى استعملها سعد كامل ان هى الا شعارات شيوعية تبودلت في مناسبات شيوعية ، ثم يوضح أننا رغم التحدى الصهيونى ورغم اضطهاد كل دولة تقريبا للجنس المعادى لها ، كما اعتقلت أمريكا كل اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية مثلا الا أننا أرقى من ذلك فلم نضطهد كل يهودى من أجل الصهيونية حتى فى أدق المواقف فى العدوان الصهيونى مثلا — الا أن زعماء الصهيونية أنفسهم هم الذين يربطون بين اليهود جميعا وبين الصهيونية ويخلطون بينهما فهذه « جولدا مائير » تقول — كما في كتاب بهاء الدين — (اننى كلما سمعت أغانى اسرائيل يرددها اليهود فى نيويورك ولوس انجلوس وشيكاغو رقص قلبى طربا ولكن ترديد الاغانى عن النقب فى نيويورك أو بوسطن لا يعمر النقب) ثم أليست الصهيونية هى التى تستثير عقيدة كل يهودى فى أن أرض اسرائيل لا بد أن تكون هى المأوى لكل يهودى! . اذن « فلماذا يكون البعض ملكيا أكثر من الملك » .

وفى المقالة الثالثة يتحدث عن تواطؤ الشيوعيين ومساومتهم على فلسطين ومساعدتهم وعطفهم على الصهيونية من قبل بقصد اقامة دولة شيوعية لهم في الوطن العربى وأن كان فى ذلك تشريد وافناء كيانهم القومى لانهم لا يؤمنون بالقومية ولا بالوطن بقدر ايمانهم بالمبادىء الشيوعية .

مع السلامسة

وفى معركة رابعة مع من سماهم المؤلف « السلامسة » تلاميذ سلامة موسى الذى كان يحلم ومن ورائه أتباعه فى تمييع اللغة العربية وتلتينها (تحويلها الى اللاتينية) ومحو معالم تراثنا الاسلامى كما فعلت بعض الدول لتغلق أبواب الماضى المجيد ولتفتحها على مستقبل يرتبط باتجاهات ونزعات معينة ثم ألقى الاضواء على أطماع الغزو الفكرى من الشرق والغرب وخاصة فى مجلة حوار التى شكك فيها من قبل أن ينكشف أمر المخابرات الامريكية التى تصدرها .

مع روز اليوسف

ثم يختم الكاتب معاركه بهجوم شامل وأخير على مجلة روز اليوسف وكتابها الذين انتقدوا مجلة الرسالة وشوهوا صورتها وعللوا اغلاقها بعلل لا تمت الى الحقيقة ، وراح يفضح مجلة روز اليوسف بالذات ومواقفها الجنسية وقصصها اللا أخلاقية ورسومها الداعرة التى تشوه صورة مجتمعنا العربى موردا نماذج من كل ذلك حتى تتضح الحقيقة للقارىء بلا ادعاء ولا تشويش .

والى هنا يصل المؤلف الى الصحيفة السادسة عشرة بعد المائتين ويسكت ، ونغلق الكتاب في بطء وفي رءوسنا صليل معركة جادة دارت ، وغبار فكر منحل تطاير ،وازدهار قيم عربية اسلامية وفق الله الكاتب وأمثاله من المؤمنين بالاسلام وقيمه ، والفاهمين لقضاياه ، أن يتولوا ازالة الغبار عنها ،وتعهدها لتبقى مضيئة لامعة وسط الضباب الكثيف ، والغبار الخانق الذى يحاول بعض ذوى الاقلام المغرضة أن يثيروه حولها كلما أتيحت لهم فرصة ، أو أتيح لهم أن يوجدوها ..

بقية : هجرة وهجرة



الله وحده لا شريك له ويأمنوا الفتنة والاكراه على ترك الدين ، اذ لم يكن شيء من ذلك ميسوراً لهم فى مكة لغلبة الكفار عليها ، وضعف المسلمين فيها الى حد العجز عن اقامة دينهم .. الخ .

وثانيتهما : ان يكثر سواد المسلمين بالمهاجرين من مكة ممن اسلموا ، ويزداد عددهم ، ويكون لهم بأس وقوة وكثرة ووفرة يستطيعون بذلك أن يذودوا جيوش الكفار عن حماهم ، وان ينصروا رسول الله ويمنعوه ، حتى يبلغ دعوة ربه ، وينشر دينه فى خلقه .

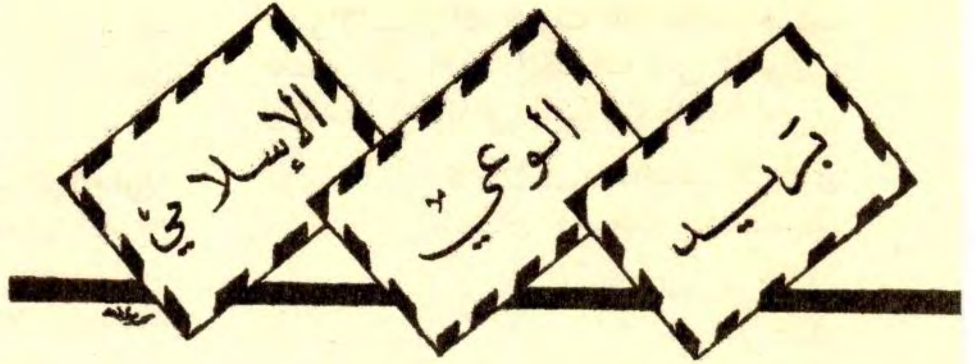
واذا كان تحقيق هذين الغرضين علة فى ايجاب الهجرة فانما يكونان العلة فى عكس ذلك ، وهو منع الهجرة وتحريمها اذا كانت الهجرة تؤدى الى عدم توافر القوة واشتداد البأس للذود عن الوطن وفك يد العدو عما اغتصبه من ذلك الوطن ، وكانت فتوانا التي قلنا فيها بتحريم الهجرة الى كندا واستراليا وأقاصي أميركا خاصة بأهل فلسطين حين أخذ العدو ينشد تشتيت أهل فلسطين فى الآفاق ، وخاصة حيث لا تمكنهم العودة ، لتبقى فلسطين فى يده فريسة باردة ، وفى بلعومه لقمة سائغة ، وقد سعى اذ ذاك لدى حكومات أميركا وكندا واستراليا لتيسير هجرة الفلسطينيين اليها ، وذلك على أثر استيلائه على ما بيده من فلسطين .

وكان صدور هذه الفتوى فور وقوع تلك النكبة اذ رأينا فريقا من أهل فلسطين قد أقبل على الهجرة ، وكانت اذاعة تلك الفتوى منذ أكثر من عشر سنين ، وقد أرسلنا منها الى الجامعة ، ونشرت فى الصحف كما قلنا آنفا ، كما نشرت فى العدد الأول من السنة الثانية من مجلة (هدى الاسلام) .

وهذه نبذة تؤيد ما قلنا آنفا جاءت فى مستهل تلك الفتوى (لقد صرنا نرى اقبالا من فريق من المسلمين على الهجرة الى أميركا وكندا وبعض الاقطار النائية ، وأتتنا أخبار من بعض المهاجرين الذين قذفت بهم وكالة الاغاثة الى بعض أقطار أميركا أنهم هنالك لم يلقوا غير الجوع والمذلة والهوان ، وبما علمناه من هذه الأقطار ، ومن كتب خاصة وردتنا من اضمحلال الدين فى نفوس كثير من المهاجرين ، وارتداد بعضهم عن الاسلام ، ونشأة أولادهم على غير دينهم ولغتهم) الخ ..

ثم قلنا فى هذه الفتوى (وقبل ذلك لا يسعنا الا أن نبدى عجبنا من موافقة الدول العربية على اقتراح بعض الدول الموالية للصهيونية أن يوطن عدد من احداث اللاجئين فى بعض مجاهل أميركا ، اذ كان من الواضح أن هذا النوع من اللاجئين سيكون مآله ضياع دينه ولغته وقوميته ، واندماجه فى أهل تلك الديار ، ولا يخفى أن تلك الدول لم تقترح هذا الاقتراح شفقة ورحمة ، بل مساهمة فعلية فى تبديد اللاجئين ، وتشتيت شملهم ، وتفريق جمعهم ، وحل مشكلتهم على ما يروم اليهود من اسكان اللاجئين فى غير بلادهم ابطالا لمقررات هيئة الأمم) .

ومما قلناه فى هذه الفتوى ما كان ختاما لها وهو ما يزيد وضوحا قولنا بتحريم هجرة أهل فلسطين منها ، أو مما حولها من البلاد العربية هذا (ومما يزيد فى أثم هجرة المسلم الفلسطيني الى تلك البلاد (كندا واستراليا وأميركا) ان هذه الهجرة تَخَلٍ عن الوطن للعدو ، ونزول عنه ، وترك الجهاد والمرابطة لاسترداده ، فان الجهاد والمرابطة واجبان على الفلسطينيين قبل كل مسلم) وبهذا الختام جلاء المراد لذوى الافهام ، وبالله التوفيق .



اشراف رضوان البيلي

الذؤابة البكاء والمبكى عند اليهود

ما هى قصة البكا والمبكى عند اليهود فى المدينة المقدسة ؟ ولماذا يتقربون عنده ، ويقدسونه ، كما يعظم المسلمون المسجد الاقصى ؟.

توفيق محمد حسين الشعبان
عمان ـ الاردن

أى مبكى يا سيدى هذا الذى يقدسون ؟ ، وأى بكاء هذا الذى يبكون ؟ ان بكاء العبادة فرط احساس الانسان بالحسرة والشعور بالندم على ما فرط فى جنب الله ، فأى ندم هذا الذى يستشعره هؤلاء الملوثون الغارقون الى أذقانهم فى الاثم والخطيئة . أليسوا هم الذين تعرت نفوسهم من كل معانى الشرف والكرامة ، فباعوا أجساد أمهاتهم ونسائهم وبناتهم فى سوق الدعارة!! أليسوا هم الذين يسطون على أموال السفهاء ـ والمراهقين ، فى المراقص و (الكباريهات) فى العالم !! أليسوا هم الذين أتخمت جيوبهم ،وتضخم رصيدهم من ميادين السباق وموائد القمار !! أليسواهم أكلة السحت وأخطبوط الربا فى كل مكان !!

ان بكاء العبادة انفعال نفسى بالغ نتيجة الشعور العميق بالرهبة والخوف من الله تبارك وتعالى ،وما لسلالات ـ القرده الخاسئين ،وعبدة العجل » وقتلة الانبياء والمرسلين ومصاصى الدماء . ما لهم وهذه الشفافية الروحية والتسامى الوجدانى . أليسوا هم الذين يحلون الآن المسجد الاقصى لكل نقيصة ، ويرتكبون فيه كل رذيلة ، ويعيثون فى حرمه ورحابه فسادا وفسقا ، ويأتون فيه كل منكر !!

فلا يوجد فى نفوسهم حافز دينى أصيل من احساس بندم على خطيئة ، أو شعور بالخوف والرهبة من الله ـ يثير فيهم انفعال البكاء ، أو يقرح جفونهم بدموع الحسرة أو الخشية .

ولا يعقل أن تسيلَ دموعهم ، أو تغرق مآقيهم نتيجة رقة قلبية أو عاطفة انسانية رحيمة.. ومتى خالطت الرحمة هذه القلوب المتحجرة التي ختم الله عليها ، ونددد بأصحابها فقال : « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وأن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون .. » !!

ان الجرائم الوحشية التى ارتكبوها ضد العزل الآمنين فى الارض المباركة

لاكبر شاهد على أن الرحمة لا تعرف طريقها الى قلوب هؤلاء المجرمين السفاحين .

انك يا سيدى من عمان — على مقربة من الايدى الملوثة بدماء الاطفال الابرياء والفتيات البريئات والعجائز والمحصوارت ولقد سمعت بأذنيك وشاهدت بعينيك قنابل النابالم المحرمة شرعا ووضعا وسماء وأرضا وهى تلتهم الاجساد الغضة ، وتحرق الجلود الرطبة ، وتذر كل شىء أتت عليه كالرميم .

انك فى أرض المعركة . ألم تر البنايات الشاهقة وهى تنهار على من فيها بقنابل طياراتهم وقذائف مدافعهم التى لا تفرق بين محارب ومسالم وشاب وشيخ .

ألم تر عشرات الالوف من السكان وقد فروا مذعورين مذهولين عن كل شىء الى الصحراء من بطشهم وغدرهم ؟!!

ان بكاءهم المزعوم وليد شعور كاذب واحساس خادع ، وما أكثر ما يكذب الشعور ويخدع الاحساس من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة .

انها قطرات دموع الظالم الذى يقف أمام القاضى يتباكى ليعمى عليه الحقيقة ويستميله الى جانبه ، ليقره على ظلمه . كما يقول المثل : ضربنى وبكى ، وسبقنى واشتكى .

انها أشبه بدموع المتسول المثرى الصحيح الذى يربط ساقه ، ويتوكأ على عكازه ، ويدور يستجدى الناس ، ويسلبهم أموالهم .

ان الاحساس الذى يسيطر عليهم وهم يتباكون احساس خادع كاذب كاحساس المتخم بالجوع .

انهم لفرط غفلتهم ، وقسوة قلوبهم ، وشدة جحودهم كما قال الله :« يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون الا أنفسهم وما يشعرون » .

والانسان اذا التوت فطرته ، وخبثت نفسه كان أقدر الكائنات على التلون ، وأبعدها امعانا فى المكر والخديعة .

عوى الذئب فأستأنست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت أطير

والدمع أحد الاسلحة التي استخدمها الانسان من قديم الزمان للتضليل والتغرير . وفى قصة يوسف مع اخوته التي أفردها القرآن الكريم بسورة كاملة — آية واضحة على مقدرة الانسان على التستر ، واخفاء دخيلة نفسه وحقيقة أمره وراء قطرات الدمع الزائفة « وجاءوا أباهم عشاء يبكون . قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون » .

وقد افتضح أمر هذا السلاح ، وكشف الناس سره من كثرة ما لاقوا — على مر العصور والاجيال — من زيفه وخديعته فأطلقوا على الدموع المسفوحة كذبا وزورا : دموع التماسيح .

الا ويل لهم مما قست قلوبهم ، وويل لهم مما سكبت عيونهم .. وويل لهم من الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السماء .

أما عن قصة المبكى الذى ذهبوا اليه غداة انقضاضهم على بيت المقدس ، واجتمع عنده سفاؤهم وشياطينهم ، وقلوبهم تنزف غلا وحقدا ، وقاب قوسين أو أدنى منهم الارواح التى أزهقوها ظلما ، والدماء التى أراقوها بغيا ، والدور التى دمروها عدوانا ، والمتاجر التي عاثوا فيها سلبا ونهبا ... أما قصة هذا المبكى فانها أسطورة من أساطيرهم التى اختلقوها ، واسرائيلية من اسرائيلياتهم التى ابتدعوها .. ما

البقية على ص ٩٣

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة ان تتلقى اسئلة القراء وتجيب عنها .

فى الميراث

السؤال : —

توفيت امرأة عن .

أم ، وبنت ، وأخت لاب ، واخوة لأم ذكورا واناثا .

فما نصيب كل وارث ؟

سعيد القطان — الكويت .

الاجابة : —

بوفاة المتوفاة المذكورة عن أم ، وبنت، وأخت لأب ، واخوة لام ذكورا واناثا . يكون توزيع تركتها على الوجه الآتى .

للأم السدس فرضا لوجود النوع الوارث وللبنت النصف فرضا لانفرادها وعدم وجود من يعصبها وللاخت لاب الباقى تعصيبا اذ الاخوات مع البنات عصاب . ولا شىء للاخوة لام لحجبهم بالفرع الوارث وهو البنت .

السؤال : —

توفى شخص عن بنت ، وبنت ابن ، وبنت بنت ، وأولاد أخيه الشقيق ، ثلاثة ذكور وأربع اناث .

فما نصيب كل وارث ؟

أحمد — ح — حولى الكويت .

الاجابة : —

بوفاة المتوفى المذكور عن الورثة المذكورين يكون توزيع تركته على الوجه الآتى .

للبنت النصف فرضا ولبنت الابن السدس تكملة الثلثين ولاولاد أخيه الشقيق الثلاثة الذكور الباقى وهو الثلث بالتساوى بينهم ولا شىء لبنات الاخ الشقيق ولا لبنت البنت .

فى الصداق

السؤال : —

كثيرا ما يحدث أن يتم عقد زواج بين رجل وامرأة فى بعض قرى جنوب المغرب ويدخل الزوج بزوجته دون أن يسلمها المهر ويكتفى بتسجيل قيمته فى العقد ولا يسلمه لها الا عند الطلاق .

فهل يجوز ذلك شرعا ؟

السيد — س — م الدار البيضاء — المملكة المغربية .

الاجابة : —

المقرر شرعا . أن المهر ملك للمرأة تتصرف فيه كيف شاءت ان كانت رشيدة، فلها الحق فى أن تقبضه بدون تأجيل ، ولها أن تؤجله حسب اتفاقها ، ومن ثم فلا مانع شرعا من دخوله بها ويبقى المهر حقا ثابتا لها فى ذمته الى الاجل الذى رضيته اذ أن رضاها هو المرجع الاساسى فى طلب المهر وتأجيل استلامه بل وفى هبته لزوجها ، ويستحب اعطاء الزوجة المهر كله أو بعضه قبل الدخول بها تكريما لها ولاهلها .

فلا ما نع شرعا من دخول زوجها بها قبل أن تتسلم المهر ما دام ذلك برضاها وكانت رشيدة بالغة .

فى الرضاع

السؤال : —

تزوجت ابنة عم لى وبعد مدة حصل خلاف بيننا ولم يحصل طلاق فتزوجت ابنة عم لى — ثانية — ثم حاولت استرجاع الاولى ومصالحتها فقالت جدة زوجتى الثانية أنها أرضعت الاثنتين : الاولى والثانية معا ، ولا أدرى عدد الرضعات واعتقد أنها لجأت الى هذا القول رغبة منها فى عدم استرجاع الاولى .

فما حكم الشريعة ؟

ن . م . ب
الشويخ — الكويت

الاجابة : —

لا يجوز الجمع بين الاختين نسبا أو رضاعا كما أن الرضاع المحرم على ما

ذهب اليه الامام الشافعي — وعليه الفتوى — هو خمس رضعات مشبعات .

واختلف الفقهاء في كيفية اثبات الرضاع فذهب الاحناف الى أن الرضاع المحرم يثبت بشهادة رجلين من أهل الشهادة أو رجل وامرأتين — وقيل يكفي في ثبوته شهادة امرأة معروفة بالعدالة .

وقال الشافعي يثبت بشهادة امرأتين بناء على أن الرضاع مما لا يطلع عليه الا النساء غالبا ،ويروى ذلك عن مالك وأحمد أيضا . وبما أنه لم يقل بالرضاع سوى امرأة واحدة ومطعون في قولها فانه لا يعول عليه شرعا ، خصوصا وأنها لم تذكر عدد الرضعات . ولم تقل ذلك عند زواجه بالثانية ، وكان ضروريا ان تصرح به حينئذ . ولكن يمكن من باب الاحتياط الاخذ بقولها ورعا وذلك هو ما رآه الامام الشافعي في الحديث الذى رواه البخارى في صحيحه والبيهقي في السنن الكبرى : أن عقبة بن الحارث قال : تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء ، فقالت انى أرضعتكما فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : انى تزوجت فلانة بنت فلان ، فجاءتنا امرأة سوداء ، فقالت انى أرضعتكما ، وهى كاذبة ، فأعرض عنى الرسول ، فجئته من قبل وجهه فقلت: انها كاذبة فقال : وكيف قد زعمت أنها أرضعتكما ؟ دعها عنك .

فقد رأى الشافعي أن أعراضه صلى الله عليه وسلم لا يلزمه بمفارقة زوجته ، وقوله (كيف وقد زعمت أنها أرضعتكما) يشبه أن يكون قد كره له أن يقيم معها ، وقد قيل انها أخته من الرضاع — وتأسيسا على ما تقدم فلا مانع من مصالحة الاولى مع بقاء الثانية لعدم الاخذ بقول الجدة المرضعة ، على أنه اذا تأكد صحة قول الجدة بالرضاع وأخذنا به فان عقد الثانية يكون فاسدا لانه يكون قد أقدم على الجمع بين أختين من الرضاع فيفسخ العقد الثاني ، ويلزم التفريق بينه وبين الثانية . وتبقى الاولى زوجة له .

في الميراث

السؤال : —

توفى شخص عن جد وزوجة ، وبنت ، وجدة لأب وأخ شقيق .

ثم توفيت الزوجة عن :

زوج وأم وأب .

فما نصيب كل وارث .

(م — ن ع — الكويت)

الاجابة : —

بوفاة المتوفى الأول يكون توزيع التركة على الوجه الاتى :

للجد السدس فرضا وللزوجة الثمن فرضا وللبنت النصف فرضا وللجدة للأب السدس فرضا والباقى للأخ الشقيق تعصيبا وهو $\frac{١}{٢٤}$ من التركة .

وبوفاة المتوفاة الثانية (الزوجة) يكون توزيع التركة على الوجه التالى :

للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث وللأم ثلث النصف الباقى وهو السدس من التركة وللأب الباقى وهو ثلث التركة .

والله أعلم

السؤال : —

تركت المتوفاة ست بنات وابن أخ شقيق وقد أوصت بالثلث ، وتركت (شيكا) بمبلغ (٤٥٠٠) دينار وأخرجت مبلغ (١٥٠) لبنتها لولوة ، ومبلغ (١٥٠) لبنتها مصاريف نثرية لها . وأوصت بالثلث للخيرات فكيف توزع التركة ؟ .

(م . ع . — الكويت)

الاجابة : —

في هذه الحالة يخصم من مبلغ الشيك الذى هو « ٤٥٠٠ » المبلغ الذى صرفته على بنتها والمصاريف النثرية والمقدر بـ « ٣٠٠ » ثلثمائة دينار ، فيكون الباقى « ٤٢٠٠ » دينار يخصم منها الثلث وهو « ١٤٠٠ » دينار فتكون التركة هى : « ٢٨٠٠ » دينار توزع كالاتى :

للبنات الستة الثلثان وقدره ١٨٦٦/٢ يوزع بينهن بالتساوى .

وللعاصب وهو ابن الاخ الشقيق الثلث الباقى وقدره (٩٣٣/١/٢) دينار .

لقد صمم شعبنا

طالعتنا صحيفة الرأى العام الكويتية بكلمة تحت هذا العنوان جاء فيها :

الدول العربية مدعوة الآن أن تدرك الكثير من الحقائق وقد تكشفت معظمها الى حد صار يسمح بمواجهة واعية لهـا .

ومن مستلزمات كل مواجهة خلاقة أن ننطلق من أطار السلبية والانفعال الى اطار الايجابية والفعل . يجب أن نقول للعالم انطلاقا من تكرار الحوادث العدوانية ان المسألة ليست محصورة فى نطاق حرب حزيران ، بل هى واسعة طويلة و (اسرائيل) هى التى اختارت الحرب .

يجب أن نؤكد للعالم أن بقاء القوات المعتدية خارج حدود الهدنة سوف يظل عامل الصدام المسلح اليومى الذى تفرضه على اسرائيل طبيعة حياتها ومفاهيمها ، وتفرضه على العرب طبيعة الرد على الاعتداء وازالة قوى الاحتلال .

ان الدول العربية التى لم تقبل الوجود الصهيونى العدوانى فى جزء من فلسطين لن تقف مكتوفة عاجزة وقد قفز هذا العدوان فوق حدود ثلاثة من دولها القائمة .

واذا كانت (اسرائيل) وعملاؤها من الدول الكبرى يتصورون أن تكرار الاعتداءات سوف يدفع بنا الى القبول بالصلح فانهم هنا يرتكبون الخطأ الجسيم .

لقد قاومنا الاحتلال مئات السنين وقاومنا العدوان العسكرى فى كل منطقة عربية ولم يدفعنا الاحتلال والعدوان مهما بلغ من الجبروت الى الرضوخ والاستسلام .

الشيطان الأعور

وتحت هذا العنوان نشرت مجلة الحوادث البيروتية تقول :

ان فى اسرائيل اليوم (شيطانا أعور) يجب أن يدرس ، فى معزل عن عاطفة العداء التى كانت تحول فى الماضى بيننا وبين رؤية الحقائق الا بعد أن تستهلكها اسرائيل .

كما لا يجوز أن نقع فى العقلية الانهزامية التى تضخم قدرة العدو وامكاناته وحقائقه .. كذلك لا يجوز أن نقلل من قدرة العدو ، فى تصور تفاؤلى ساذج حول الخلافات القائمة بين موشيه دايان وليفى أشكول .

ان الدعاية الصهيونية تحاول اليوم التركيز على خلاف قائم بين دايان واشكول ، على اعتبار انه خلاف بين التطرف والاعتدال ... ولكن الحقيقة أن ما يبدو تناقضا بين عقلية (المقامر الدموى) وبين عقلية (الحكيم الاوكرانى) هو فى الاستراتيجية الصهيونية تكامل وتناسق وتكتيك .

ان قصة الحركة الصهيونية ، منذ أن وضع قواعدها (هرتسل) ، هى قصة . (دكتور جيكل ومستر هايـد) .

أيام الانتداب البريطانى على فلسطين ، كان الارهابيون من جماعات (الارغون) و (شتيرن) ينسفون المؤسسات الانكليزية ، فيذهب زعماء الوكالة اليهودية الى السلطات المنتدبة ، ليقدموا الاعتذارات ، ويصدروا البيانات بشجب أعمال الارهاب .. علما بأن هذه الاعمال الارهابية لم تكن تنفذ فى الاساس الا بعد أخذ موافقة مسبقة من زعماء الوكالة اليهودية .

هذه العقلية ، أو هذا الاسلوب لا يزال مستمرا باشكال مختلفة وجديدة ، فايبا ايبان كان يقول فى مجلس الامن . (أوقفنا القتال) فى الوقت الذى كان اسحق رابين يستمر فى الهجوم على سوريا . وأشكول يقول اليوم . (نريد السلام) فى الوقت الذى يهدد دايان باستئناف الحرب .

ان ازدواجية العقل والجنون هى أحد اسرار الحركة الصهيونية التى آن لنا أن نكتشفها .. والدليل أن اشكول لم يتردد فى أول اجتماع عقده مجلس الوزراء الاسرائيلى ، بعد انتهاء العمليات العسكرية فى سيناء والاردن والقنيطرة ، عن أن يوجه تحية للشيطان الاعور أمام الوزراء فيقول . (لقد كان دايان مدهشا عندما وضعنا أمام الامر الواقع ، وقرر الهجوم فى وقت كنا نؤثر فيه خطة الانتظار) .

وجاء تحت هذا العنوان رأى للجنرال ديجول عن مسئولية اسرائيل قال فيه :

« ان اعجابنا بها يجب أن لا يمنعنا عن القول بأنها هى التى بدأت بالعدوان . ان عقلية الحرب تنتشر من جديد فى العالم . ازمة تساعد على اثارة أزمة أخرى . ازمة الشرق الاوسط لا يمكن ان تحل دوليا الا اذا مرت عبر الخط ١٧ فى فيتنام . أما حلها اقليميا فمتوقف على اسرائيل . اذا بقيت محافظة على هدوء أعصابها ، ولم يسكرها النصر العسكرى الذى احرزته ، وانتظرت حتى يتبدد الغضب العربى ، وتعود الخلافات بين زعماء العرب ، وقبلت أن تسحب قواتها من الاراضى التى احتلتها ، عندئذ يمكنها الوصول لتسوية » .

المؤسسات الأجنبية أوكار للتجسس والاستخبارات

ونشرت مجلة الرسالة الكويتية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه .

لعل أهم الدروس التى ينبغى أن يتعلمها شعبنا من المعركة الاخيرة ، هى الحذر واليقظة من عملاء العدو وجواسيسه الكثر ، المنتشرين فى قطاعات متعددة من حياتنا الاقتصادية والفنية والادارية .

فمن جملة الاشياء الخطيرة التي كشفتها المعركة ، ان أوكار المخربين والجواسيس كثيرة ، وأن هؤلاء يتمتعون بأنواع (الحصانات) التى تهيأت لهم مسبقا ، أما عن طريق الوظيفة فى المؤسسات الاجنبية والسفارات ، أو عن طريق الوساطات والدالات على شخصيات نافذة ومرموقة .

ان جميع المؤسسات الاجنبية المنتشرة فى عواصم البلاد العربية توظف مثل هؤلاء الجواسيس والمخربين وترعاهم وتؤمن لهم الحماية على أوسع نطاق ، كى يعيثوا فى الارض فسادا ، ويجمعوا المعلومات السرية عن بلادنا ، ويشاركوا فى الحرب النفسية التى يشنها العدو لتكون ظهيرا لحربه العسكرية .

فى فترة السنوات العشر الماضية نشطت المخابرات الاميركية نشاطا كبيرا فى عدد من عواصم بلادنا . أقامت الشبكات فى كل قطاع وراحت تحصى كل شاردة وواردة حتى تتمكن من توجيه الضربات المجرمة ساعة يحلو لهـا ذلك .

ومن الجواسيس من يعمل فى أكثر من شبكة ولحساب أكثر من جهاز أجنبى كالمخابرات البريطانية والمخابرات الالمانية الغربية التى تقيم أوثق تعاون مع المخابرات الاميركية . ومنهم من يعملون لحساب المخابرات الاسرائيلية الى جانب الاجهزة الاستعمارية الغربية .

ويتوزع عمل الجواسيس والمخربين فى أشكال متعددة . فهم فى المصارف يجمعون المعلومات عن الحياة المالية والاقتصادية ، وفى الشركات الاهلية وبعض القطاعات التابعة للحكومات ينشطون أيضا ، وفى الصحافة لهـم وجود مهـم .

الحرب النفسية

ومن كلمة تحت هذا العنوان نشرتها صحيفة أخبار اليوم القاهرية .

أخطر من أسلحة العدوان المسلح .. أسلحة الحرب النفسية .. فهذه تقتل الجيوش ، ولكن تلك تشيع اليأس وتدفع الى الاستسلام .. فتقتل الشعوب .

والحرب النفسية سلاح من أهم أسلحة الحرب الحديثة ، ومنذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة ، والحرب النفسية تحتل مكانا هاما فى تخطيط القوى الاستعمارية وعلى رأسها أمريكا .

ويقول تقرير لاحدى لجان الكونجرس الامريكى أن الاحداث منذ عام ١٩٥٤ حتى اليوم اثبتت بوضوح « أن الادوات التقليدية للسياسة الخارجية وهى .. الدبلوماسية .. والقوة العسكرية .. والسياسة الاقتصادية .. لم تعد كافية لتحقيق الاهداف الشرعية ، وأن الاسلحة التكنولوجية جعلت من الحرب النفسية ، احدى أدوات السياسة .

ومنذ عام ١٩٥١ والامبرياليون الامريكيون يتابعون الاهتمام بتصعيد الحرب النفسية حتى أصبحوا يطلقون عليها (الاداة الرابعة) للسياسة الخارجية .. بعد الادوات الثلاث السابقة .

ودول العالم الثالث هى أكثر الدول تعرضا للحرب النفسية بحكم ظروف التخلف وتعقد مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى بذر الاستعماريون بذور الشك واليأس ، والتخبط الفكرى ، والفرقة للتأثير على السياسة الخارجية والداخلية للشعوب .

وفى أخطر المعارك التى تخوضها أمتنا العربية فان وقف اطلاق النار قد يكون انهى القتال الى حين ، ولكنه لم يوقف الشراسة التى يشن بها الامبرياليون علينا الحرب العسكرية والدبلوماسية فانهم يصوبون أسلحتهم النفسية الى صدورنا فى ضراوة وحقد لارهابنا وابتزازنا وتصفية أمانينا ....

وان على شعوبنا العربية أن تفطن الى هذه الحقائق ، فان ايمانها ووعيها وتضامنها فى مواجهة العدوان هى وحدها الكفيلة باحباط خطط التآمر والعدوان .

بقية بريد الوعي



أنزل الله بها من سلطان ، وما تنزل بها وحى فى توراة ولا انجيل ولا قرآن .

وحائط المبكى الذى يقدسه اليهود بقية من سور أورشليم القديم ، وهو جزء من الحائط الخارجى للهيكل الذى بناه سليمان عليه السلام . يقف عنده اليهود فيذكرون ويبكون مجدهم المزعوم.

ويقول عارف باشا العارف فى كتابه تاريخ القدس ، وأما حائط المبكى فالاعتقاد السائد أنه جزء من حائط الهيكل الخارجي ، وقد رممه هيردوس (١١ ق . م) ودمره تيطس (٧٠ م) وكثيرا ما حدث اختلاف بين اليهود والمسلمين من أجله . ذلك أن المسلمين يعتقدون أنه المكان الذى ربط عنده جبريل براق النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ومن هنا جاء اسمه الاسلامي (البراق) وقد كان ، ولا يزال الى يومنا هذا يؤلف جزءا من الحرم المقدس .

ويقول : وليس لليهود فى القدس سوى هذا الحائط ، وأما المقبرة التي يدفنون فيها موتاهم فانها وقف اسلامي، وهى واقعة فى الوادى المعروف بوادى قدرون، ويسميه المقدسيون وادى جهنم، وقد أذن لهم المسلمون باستعمالها لقاء جعل معين يدفعونه فى كل سنة لاصحاب الوقف ، ودفعوا فعلا - كما هو ثابت فى الصفحة ٥٧٤ من السجل ٤٤ من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس - دفعوا مئتى دينار ذهب عن سنتى ٩٦٨، ٩٦٩ هجرية .

فلا يوجد لليهود أى أثر أو مجد تاريخى أو عمرانى فى بيت المقدس . اللهم الا الكذب وما مرنوا عليه من تضليل العالم عن تاريخهم وأمجادهم الزائفة .

بأقلام القراء

يعبرون فيه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم

أغنياء العقل وأغنياء المال

تناول الاستاذ سيف الدولة عباس الجميعابي بوزارة المواصلات بالخرطوم هذا الموضوع فدعا الى تعاون علماء المسلمين وأغنيائهم فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية فقال :

ان العالم الاسلامي جميعه ما زال بخير — وأن الروح الاسلامية متمكنة منيعة — برغم الالغام التي يضعها أعداء اسلام — فهم انما يضعونها لا آملين أن يحظوا بأن تحدث ضعفا فى عقول المسلمين تجاه دينهم ، لانهم يعلمون أن الدين يجرى فى شراييننا — ولكن فقط لانهم مصابون بعقدة الشعور بالذنب تجاه أنفسهم — ويعتبرون أن فى هذا ترويحا لنفوسهم المتعبة المكدودة من افرازات الشرور .

اننا أصحاب شريعة نشطة ، مليئة بالحركة ، شريعة تملك حياتها وما دامت هي على هذه الحال — فنحن المسلمين مطالبون باليقظة التامة وتحمل المسئولية .

وفى العالم الاسلامي اليوم صنفان من الناس ، هما أحق بأن تتوفر فيهم اليقظة والمسؤولية :

أولهما — أغنياء العقل . ترى كم عدد العلماء الذين يستطيعون أن يغيروا مجرى الحياة العامة والخاصة لامة المسلمين . لا شك أن عددهم هائل — كفاءات هائلة ومستويات فى العلم تضارع مستوى علماء العالم — ولكن هل حقا انهم قد قاموا بواجبهم لوجــه الله !! نقول : ان القليلين منهم هم الذين أدوا واجبهم برغم عوائــق الزمن — وركن الكثيرون منهم الى الدعة والتحلل من روح المسئولية .

هذا ما كان من أغنياء المال وأصحاب الثروات من الامة الاسلامية فى بقاع الارض فيجب أن تقوم بينهم وبين أغنياء العقل روابط متينة . فان الاسلام محاصر من كل جــانب بعدو يحمل صنفا من الســلاح ولكن سنقفل الطريق أمام أعدائه — والشرط الاساسى هو تنازلنا عن أطماع النفس والترفع عن زيف الحياة .

انها فكرة لو قدر لها أن تقوم وترى النور ، فأول خطوة فى تنفيذها هي أن يلتقي كل من الطرفين — أغنياء المال وأغنياء العقل فى كل بلد مسلمة — بتنفيذ الفكرة وتسخيرها لخدمة الاسلام — واني أناشد علماء الكويت بأن يتبنوا الفكرة ويكونوا نواتها — ويطوفوا بالبلاد المسلمة — فالحياة الدنيا مزرعة الآخرة — وهي فانية — والسعداء من يتركون أثرا حميدا باقيا للاجيال المسلمة — فى زمن قلت فيه زراعة الخير — وبعد ذلك تنتقل الفكرة لتلتقي كل وحدة بالوحدات الموجودة فى العالم الاسلامي — فتوسع القاعدة فيتقوى البناء وتعم بلاد المسلمين وحدة منيعة .

الصبر ضياء

ويعرض الاستاذ مكرم السيد أحمد البرزنجي المحامي — كفرى — العراق — لبعض المحن والتجارب التي تعرض لها الانبياء والمرسلون فى دنياهم مؤكدا أن هذا الابتلاء يقوى الارادة ويشحذ العزم ويثبت الايمان ، ويضرب المثل بأيوب عليه السلام ، ويخلص من هذا العرض فيقول .

أكد الله سبحانه وتعالى أن ابتلاء الناس لا محيص عنه حتى يأخذوا أهبتهم للنوازل المتوقعة فلا تذهلهم المفاجآت ويضرعوا اليها وصدق الله العظيم اذ يقول « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » .. وامتحان الحياة ليس كلاما يكتب أو أقوالا توجه . انها الآلام التي قد تقتحم النفس وتفتح اليها طريقا من الرعب والحرج وان الله لم يجعل الحياة الدنيا دار جزاء وقرار ، بل جعلها دار تمحيص وامتحان والفترة التي يقضيها المرء بها فترة تجارب متصلة الحلقات يخرج من امتحان ليدخل فى امتحان آخر وليس أمام الفرد الا أن يستقبل البلاء الوافد بالصبر والتسليم .. والصبر من معالم

العظمة وشارات الكمال ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها ولذلك كان ((الصبور)) من أسماء الله الحسنى .. والصبر من عناصر الرجولة الناجحة والبطولة الفارعة وما رأيناه فى سير الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين يؤكد أن عظم المنزلة مع ثقل الاحمال ومعاناة الصعاب .

نعم ان الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا هوانهم عليه ولكنه تجربة وخبرة لهم .

ومن قصص القرآن الكريم نستلهم العبرة ففيه درس لنا ولمن سبقنا ومن يخلفنا . فخيرات الدنيا وسعادة الآخرة لا تنال الا بالصبر فالصبر مفتاح الخير وقائد النجاح .. فالمؤمن السارب فى الحياة هدف لمشاكلها الجمة أما العاجز الهارب من الميدان فماذا يصيبه ؟ فكأن تكاثر المصائب اشارة الى ما يرشح له المرء من خير وما يراد له من كرامة ، وكثيرا ما تكون الآلام طهورا يسوقه القدر الى المؤمنين ليصادر ما يستهوى البابهم من متع الدنيا فلا تطول خدعتهم بها أو ركونهم اليهم ، وكم من محنة فى طيها منح ورحمات .

الاســلام عقيدة وعمل

كتب الاستاذ منصور نسيم المحرر بجريدة الجمهورية بالقاهرة ــ كلمة تحت هذا العنوان يقول فيها :

الاسلام كعقيدة وعمل سلك بأتباعه منهجا قويما تحددت فيه الغايات واستبانت الاهداف .. حياة يكتنفها الوئام . لحمتها الابوة ودعائمها الصفاء والاخلاص .. وآخرة نحظي فيهــا بمــا أعده الله لعباده المؤمنين من جنات عرضها السماوات والارض .. ولن يتاتى كل ذلك بالتمنيات أو الانعزال ثم الالقاء بالتهم والوصف بالتقصير لكل من لا يتجاوب أو يتفاعل.. لكنها بوتقة الدوحة الاسلامية بتعاليمها وتوجيهاتها تصهر المؤمن فى اطار الايجابية الفعالة والاندماج المثمر ، وتوحيد خطة الهدف فى مسلك تعاوني ، تتآزر فيه الجهود وتتوحد من اجله الخطط .. (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان) ..

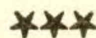
والاسلام لا يعني بالعمل ، العمل الانفرادى فحسب . انه يقصد الى العمل بالمشاركة فى دعم وسائل الحياة الكريمة وتوفير سبل الرخاء فى صورة ملموسة تضع المؤمنين فى المكان اللائق بهم ، وترفع عن أعينهم غطاء الاستسلام أو الرضــا بالامر الواقع مع جمود ورضوخ .. ولن يتاتي هذا الوضع الا بالتحرى الصادق ــ والفهم الواعي لمباىء الاسلام ومثله .. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله .. والاقتصار على أداء ــ شعائر الدين مهما كانت عميقة الجذور أو واسعة الافق فصاحبها فى حاجة ملحة الى مقومات الحياة ليواصل العبادة ..

ان فهم الاسلام كما أراده الله هو المدخل الاول لفهم معنى الاسلام فى حقيقته كعقيدة وعمل .. وهذا الفهم هو المسلك الذى يبني عليه معنى الحياة الدنيا والآخرة كما أرشدنا الدين وكما علمنا رسول الدعوة ، كما أنه المنهج القويم لرسم الخطة الكفيلة براحة المؤمن وهدوء نفسه واطمئنان قلبه . وعن هذا الطريق يمكن تأمين النفس حيال ما يكتنف الحيــاة من نوازع وميول ، ويحول دون الوقوع ان عمدا أو خطأ فى كل ما نهى اللــه عنه .

قسمــا

وتلقينا من الاستاذ محمد جميل الطحان بكلية الحقوق ــ جامعة دمشق القصيدة التالية :

قســما بربــك يا أخــي لا لــن اســـاوم ... فقضيتــي كالشمــس واضحــة المعالــم
قســما لأبطــش بالعــدو ، بنَّل ظالــم ... وليحكم التاريخ انــي لــن اســاوم
قســما لاهــزأ بالســلام ولــن اسالــم ... سأطهــر القــدس الشــريف مــن البهائــم
قسما لأحرقهــم بحقدى ، (بالنبالم) (1) ... وليحكــم التاريــخ انــي لـــن اســـاوم



قســما لأضــرب ضــربتي واكــون حــازم ... واســوم بالاعـــداء انــواع الجرائـــم
قســما لترتفــع الدمــاء الــى العمائــم ... وليحكــم التاريــخ انــي لــن اســاوم
قســما لتخفــق رايتــي فــي عــين كــارم ... وتعــود حيفــا للحمــى واكــون حاكــم
قســما ليزحف جيشــنا فــوق الجماجــم ... وليحكــم التاريــخ انــي لــن اســاوم

---

(١) نوع من القنابل المحرقة

أخبار العالم الإسلامي

اعـداد
ع . ب

الكويت

صرح صاحب السمو أمير البلاد المعظم بأن الأمة العربية بامكانياتها المادية والمعنوية قادرة علـى مواجهة التحديات أيا كانت .

ألقى سمو الشيخ جابر الاحمد ولي العهد ورئيس الوزراء كلمة فى الجلسة الختامية لمجلس الامـة قال فيها : ان أمتنا العربية لن يتطرق اليها اليأس وستظل تواصل كفاحها مهما كلفها من ثمن .

صرح معالي وزير الخارجية عقب عودته من هيئة الامم المتحدة أن الطريق الوحيد لانتصار العرب فى توحيد الدول العربية وتضامن حكوماتها وشعوبها .

بعث معالي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ببرقية الى وزير الدولة التركى للشئون الاسلامية يناشده بذل المساعي لتظل القدس تحت الحكم الاسلامي العربى .

زار الاتحاد السوفيتي وفد كويتى برئاسة السيد عبد الرحمن العتيقي وزير المالية والنفط وقـد سلم الوفد لرئيس الوزراء السوفيتي رسالة من سمو الشيخ جابر الاحمد ولي العهد ورئيس الوزراء .

صرحت بعض المصادر الوثيقة بأن الكويت ستزيد حجم التبادل التجارى بينها وبين فرنسا تقديرا لموقفها من العرب .

زار الكويت السيد احمد زكي اليماني وزير البترول السعودى ، وقد صرح بأن المملكة لم تقرر بعد استئناف ضخ النفط الى كل من أمريكا وبريطانيا .

الجمهورية العربية المتحدة

ألقى الرئيس عبد الناصر خطابا فى الاحتفال الذى أقيم بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لثورة ٢٣ يوليو قال فيه : مهما تكن ارادة الله عز وجل فاننا نقبل امتحانه باعتباره قدرنا ونثق ثقة مطلقة فى أنـه معنا يرعى جهادنا ، وقد أكـد سيادته ضرورة التمسك بالقيم الدينية .

أصدر فضيلة شيخ الأزهر والبابا كيرلس بيانا يندذان فيه بضم اسرائيل لمدينة القدس ويدعوان لانقاذ المدينة من عبث اليهود .

أصدر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية كتابا عن التلمود الذى تسير عليه الصهيونية نحو هدفها فى تحطيم الأديان وقيمها الروحية ويوضح خطة الصهيونية للسيطرة على العالم ، سيترجم الى الانجليزية والفرنسية وسيوزع على جميع المراكز والهيئات الدينية المختلفة فى العالم .

العـــراق

ألغت العراق احتفالات ذكرى ثورة ١٤ يوليو (تموز) بسبب الظروف الراهنة وخصصت مبلغ الاحتفال لتصفية آثار العدوان .

وضعت الحكومة ضريبة تتراوح بين ٢ و ٢٥٪ كما وضعت ضرائب أخـرى لتدعيم المجهود الحربـي لمواجهة العدوان .

رفض العراق قرضا قيمته مليونا دينار كان البنك الصناعي العراقى سيحصل عليه من أحـد البنوك الامريكية .

أصدر أمين المؤتمر الاسلامى بالعراق بيانا يناشد فيه حكومات وشعوب العالمين العربى والاسلامى العمل على انقاذ القدس من أيدى الصهاينة .

السعوديـة

وجه جلالة الملك فيصل نداء الى جميع مسلمي العالم يحثهم فيه على مواجهة العدوان الاسرائيلي وانقاذ المقدسات الاسلامية . وكذلك أصدرت الرابطة الاسلامية بمكة بيانا بهذا المعنى .

صرح الفريق عبد الله المطلق رئيس الاركان أن القوات السعودية ستشترك فى القتال لتحريـر فلسطين مهما تكن النتائج وقال : ان الوحدة العربية والاسلامية ستضع قريبا حدا لنهاية العدوان .

الأردن

بعثت الحكومة الأردنية الى يوثانت تطلب منع سرائيل من اعاقة عودة اللاجئين الى ديارهم .

وجه فضيلة الشيخ عبد الله القلقيلي مفتى الأردن نداء الى أهالى الضفة الغربية أن واجبهم الديني أن يتحملوا أقصى الظروف فى سبيل المحافظة على وطنهم وعدم مغادرته .

بعث الزعماء الدينيون فى القدس بمذكرة للحاكم العسكرى الاسرائيلي يحتجون فيها على تدخل اسرائيل فى الشئون الاسلامية والتعرض للمقدسات الاخرى ويرفضون بشدة التعاون مع اسرائيل .

سـوريا

أرسل علماء الدين الاسلامي والمسيحي برقية الى يوثانت يناشدون فيها الضمير العالمي العمل على صون المقدسات من عبث اسرائيل .

عرضت منظمة اليونسكو مشروعا على سوريا لحماية الممتلكات الثقافية العربية فى بانياس بعد أن قامت اسرائيل بالحفر فى هذه المنطقة وتشويه المعالم الحضارية العربية فيها .

أعلنت وزارة الخارجية أن السفارة السورية بأنقرة تتلقى برقيات تأييد من المنظمات الدينية التركية وأن ألف شاب تركي مدربين يطلبون السفر الى جبهة القتال .

لبنان : صرح الشيخ حسن خالد مفتى لبنان ان جميع المسلمين مستعدون للدفاع عن مقدساتهم وان مساعدة المعتدين هي مساعدة للبغى والعدوان . وكذلك اصدر سماحه الشيخ موسى الصدر زعيم الشيعة بيانا بهذا المعنى .

الجزائر : أعلنت الجزائر التعبئة العامة وبدأت التدريب الجدى للشبان والشابات .

وضعت الجزائر شروطا لحضورها مؤتمر القمة .

المغرب : وجهت رابطة علماء المسلمين بيانا الى جميع الشعوب والحكومات الاسلامية تناشدهم العمل على تخليص القدس ومقاطعة كل من شارك بالعدوان وتقديم السلاح والتسهيلات للمتطوعين .

تونس : عادت تونس الى الاشتراك فى أعمال الجامعة العربية بعد مقاطعتها مدة طويلة .

ليبيا : دعت الصحف الليبية لانشاء بنك عربى موحد تجمع فيه أرصدة الدول العربية لتمويل مشاريع التنمية بدلا من الاقتراض من البنك الدولي .

بلغت المساعدات الليبية لمتضررى العدوان الاسرائيلي حوالي اربعة ملايين من الجنيهات .

السودان : أعلنت وزارة التجارة السودانية انها تقوم بتحويل تجارتها الى أوروبا الشرقية لموقفها مع العرب .

انعقد فى السودان مؤتمر وزراء الخارجية أول أغسطس للتمهيد لمؤتمر القمة .

وصل المرشدون العرب الى ميناء بور سودان بدل المرشدين الانجليز والامريكان الذين استغنت عنهم السودان .

باكستان : دعا الرئيس أيوب خان الى تعاون أوثق بين دول العالم الاسلامى فى المجالات المختلفة لمواجهة التحديات الراهنة .

صرح متحدث بوزارة الخارجية الباكستانية أنها ستقوم بارسال معونة للأردن وسوريا والمتحدة منها أغذية وأدوية وملابس كما صرح أيضا بأن باكستان لن تعترف نهائيا باسرائيل كدولة تستحق البقاء على حساب شعب فلسطين .

ايران : زار طهران المشير أيوب خان الرئيس الباكستانى والرئيس التركى جودت سوناى وقد أجريا مباحثات مع شاه ايران لصالح قضية فلسطين .

اندونسيا : أصدر المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى الشهر الماضى بحضور ممثلين من الدول الاسلامية بيانا يندد فيه بالعدوان الصهيونى كما قرر المؤتمر انشاء هيئة اقتصادية اسلامية ومعهد للدعوة .

أخبار متفرقـة :

أمريكا : تتعرض الولايات المتحدة وخاصة فى دوتريت وعدد كبير من المدن الامريكية لأعنف أزمة منذ الحرب الأهلية بسبب مقاومة الزنوج للاضطهاد العنصرى الذى يتعرضون له .

لندن : وافق مجلس العموم على قانون باباحة الشذوذ الجنسى وقد بلغ المصابون به هناك نصف مليون

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ــ ٧ شارع الصحافـــة
مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـــاض : مكتبة المدينة ــ ص ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص ب ٢٢
جـــــده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص ب ٦٣٥
بغـــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المـــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـــدودة
دبـــى : ساحل عمان ــ ص ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ــ السيد رجا العيســـى
دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
السـودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنـــان . مكتبة كررى ص ب : ٣٠٣
مراكـــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد أحمد عيسى
ليبـــيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ

بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ

وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ

صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ



صدق الله العظيم



الوعي الإسلامي

إسلاميّة ثقافيّة شهريّة

السنة الثالثة ● العدد الثلاثون ● غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٨٧ هـ ـ ٥ سبتمبر سنة ١٩٦٧ م

من مات ولم يغز
ولم يحدث نفسه
بالغزو، مات على
شعبة من النفاق

«حديث شريف»



فى سبيل دعم الجبهة العربية

الزعيمان العربيان الرئيس العراقى عبد الرحمن محمد عارف وسمو أمير البلاد المعظم لدى وصولهما الى قصر السلام قادمين من المطار بعيد وصول الضيف الكبير لزيارة الكويت فى ٢٢ أغسطس ١٩٦٧ .

صورة الغلاف



من مات ولم يغز
ولم يحدث نفسه بالغزو
مات على شعبة من النفاق
«حديث شريف»

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثلاثون ـ السنة الثالثة

غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٨٧ هـ

٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت



القـــارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

بعض الآباء يحرصون على تجنيب أولادهم الاختلاط بأمثالهم ، ويصحبونهم معهم دائما ، خوفا من عدوى هذا الاختلاط ، وهذا الاتجاه فى التربية قد تكون له بعض الفوائد ، لكنه فى النهاية يعزل الأولاد عزلا تاما عن مجتمعهم الذى خلقوا له ، ويحول بينهم وبين معرفة الحياة ، حلوها ومرها ، صحيحها وسقيمها ، فيشبون جاهلين بتيار الحياة الذى يعيشون فيه ، ويقعون فى كثير من «المطبات» والمشاكل ، نتيجة جهلهم ، وعدم المامهم بأحوال مجتمعهم ، وهذا قد يؤدى فى النهاية الى أن يعيشوا معقــدين انعزاليين ، لشعورهم بالهزيمـــة أمام خضم الحياة حولهم ..

وليس معنى هذا أننا نترك لأولادنا حبلهم على غاربهم ، يمارسون تجارب الحياة ، وهم لم يستعدوا تماما لها ، وليس لديهم القدرة على تجنب التيارات المؤذية منها .. لأنهم فى هذه الحالة يمرضون كذلك ، والخير دائما فى التوسط. فلا نعزل الأولاد عزلا تاما عن مجتمعهم .. ولا نلقى بهم فى تياره دون احتياط .. هذا أمر ندركه كلنا من واقع الحياة التى نشأنا فيها ، ومن ملاحظاتنا التى تكونت لدينا من التجارب التى مر بها غيرنا .

وأريد أن أنتقل معك من هذا الى أمر آخر ، أعتقد أن الدول العربية قد تلبست به ، وعاملت شعوبها كما يعامل الآباء الحريصون على تجنيب أولادهم عدوى الاختلاط ، ومعرفة الحياة !!

عاشت البلاد العربية عشرين عاما حتى الآن لم تعرف عن عدوها الرابض على قلبها شيئا ، اللهم الا ما تحبه بعض الصحف والاذاعات أحيانا من نشر أنباء أزمة اقتصادية ، أو وجود خلاف مزعوم بين الزعماء ، وأمثال هذا مما يقصد به تهوين أمره فى نظرنا .. حتى أنامت الصحف والاذاعات شعوبهـــا ، كما ينام الأطفال على أحاديث الأمهات والجدات الخيالية ..

ثم صحونا جميعا على الواقع الذى أطاح بنا ، وتسربت الينا معلومات ، عرفنا منها كيف يعيش هذا الشعب الصغير ، وكيف يعمل وينتج ، وكيف يكرس كل وقت ، وكل فلس فى سبيل هدفه الذى نعرفه جميعـــا .. عشرون عاما قضوها مجندين كل طاقاتهم للعمل الجدى والانتاج ، فى كل مجال من مجالات الحياة ، وقد حرّموا على أنفسهم كثيرا من مترف الحياة وكمالياتها ، فى سبيل ساعة يصطدمون فيها بالعرب من حولهم ..

وكان عجيبا من عجائب الحياة : أن يعمل اللصوص جادين ، ويسهروا ويكدحوا من أجل الاحتفاظ بما سرقوه ، واعادة الكرة ثانية ينهبون مايستطيعون .. وأصحاب الحق ، أصحاب الأرض .. أصحاب المال المسروق .. أصحاب الشرف المثلوم ، ينامون عما سرق منهم ، ويلهون ويترفون ، كأن شيئا لم يكن ؟..

لقد استفدنا كثيرا من الأنباء التى تسربت الينا مع الخارجين من الضفة الغربية ومن غزة ، عرفنا منهم كيف استولت الدهشة على الصهاينة وهم يرون السيارات الفاخرة موديل ٦٦ ، ٦٧ تملأ شوارع القدس !! وكيف كانت المجندة الاسرائيلية تقف مذهولة أمام ما تملكه المرأة العربية فى بيتها من الملابس والحلى وأدوات الزينة !! وكيف كان العجب يستولى عليهم ، وهم يرون الأثاث الفاخر الحديث يملأ البيوت ..

حرموا أنفسهم كل هذا الذى رأوه من أجل ساعة الصفر ، وما قيمة كل ذلك الذى حرصنا عليه ، وملأنا بيوتنا به ، بجانب لحظة من لحظات المرارة التى قاسيناها ؟. وما قيمة كل ذلك الذى حرموا أنفسهم المتعة به بجانب لحظة من لحظات الفرح والنشوة التى شعروا بها ؟.

لقد عرفنا أن هناك شعبا جادا ومسئولين يخططون وينفــذون .. حتى حققوا لأنفسهم ما يريدون .

وها نحن .. نحن المسلمين العرب ، نملك الكثير .. ولكننا نبعثره .. وكل فرد منصرف الى متعه ولذائذه وأهوائه الشخصية ..

نحن المسلمين العرب .. نفقد التخطيط والعمل .. ونفقد كذلك القدوة الحسنة ..

ثلاث عشرة دولة عربية .. كل دولة قادرة على أن تعمل ما تعمله اسرائيل وأكثر .. ولكن عنصر العمل الأساسى فيها مفقود مع الأسف . الشعور بالجدية والعمل المدروس الهادف ..

وبعد .. فهل نظل على جهلنا بعدونا ؟ ولمصلحة من هذا الجهل ؟ أؤكد أنه ليس للمصلحة العامة ، والا ، فهل يضر هذه المصلحة أن نعرف أن عدونا يجد ولا يهزل ، ويحرم نفسه الكماليات ، بل وبعض الضرورات الثانوية فى سبيل النصر ؟

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف أن الضابط لا يرقى الى رتبة ملازم أول حتى يكون مظليا ؟.

هل يضر المصلحة العامة أن تعرف سيداتنا أن أمثالهن هناك لا يحرصن على الحلى و « الموديلات » ، والأحمر والأبيض كما يحرصن هنا ؟ وأن المرأة هناك جندية كاسرة ، لا تحتاج الى من يحميها ، ولكنها تحمى أطفالها ووطنها ؟!.

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف أن كبارهم هناك يلتزمون بما ألزموا به الشعب ، فصاروا قدوة طيبة لهم ؟!.

هل يضر المصلحة أن نعرف أن عدونا حريص على الاستفادة من كل فلس يصل الى يده فى سبيل هدفه ، لا فى سبيل المظاهر الجوفاء ، والمتع والأهواء ، والأعمال المرتجلة ؟.

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف كيف استطاع عدونا قهر الصحراء ، وتحويلها الى جنات فيحاء ؟

هل يضر المصلحة العامة أن نعرف كيف استطاع عدونا الوصول الى هذا الانتاج الصناعى الذى وصل اليه ؟.

وهل يضر المصلحة العامة أن نعرف أن كل جنـــدى كان يحمل التوراة لا يفارقها ..؟

وهل .. وهل .؟

لا .. لا .. لا يضر المصلحة العامة أبدا .. فافتحوا لنا النوافذ ـ اذن ـ لنعرف عدونا على حقيقته ، بدلا من أن تتركونا نعيش فى هذا السراب الخداع .. حتى نموت .. نموت بأيدى أعدائنا .. ويا لها من نهاية .

جندوا المختصين منا فى كل ناحية من نواحى الحياة ، ليقدموا لنا المعلومات الصادقة عن عدونا .. ودعونا من قص صورة موسى ديان .. وأمثال هذا مما رأينا بعض الرقابات تحرص عليه .. افتحوا كل النوافذ على عدونا ، وسلطوا عليه الأضواء ، فذلك خير لنا من أن نعيش فى المجهول . افتحوا النوافذ الداخلية والخارجية ، لنعيش فى الأضواء ، ونبصر أمامنا الطريق ، دون ضباب أو خداع .

الحبشة مرة ثانية
****

نشرت بعض الصحف العربية خبرا عن المساعدات التى تقدمها الحبشة لاسرائيل ١٥٠٠٠ رأس من البقر ، مع نشاط ملحوظ في جمع التبرعات لها .. الخ ..

وقد علقت على ذلك جريدة الصباح التونسية منتقدة هذا الموقف من الحبشة وتساءلت : « ما هى علاقة هــذا التأييد الظاهر لحكومة تقوم على أســاس الاستعمار بميثاق الوحدة الافريقية الذى نشر للمرة الأولى فى البلد ذاته الذى يقدم مساعدات مادية لاسرائيل ..؟ »

وقد كتبنا فى العدد الماضى عن حشد الحبشة لجيشها على حدود السودان ، وما يحمـــله هذا الحشد من مغـــزى فى الوقت الذى كانت الجيوش العربية مشتبكة فيه مع الجيش الاسرائيلى ، والذى تحركت فيه قوة سودانية الى ميدان القتال لنجدة أخوتها العرب .. بينما وقف مندوب الحبشة فى صف اسرائيل فى هيئة الأمم .. ليكشف العرب عن أعينهم الغطاء أو المنظار الملون ، ليروا الناس على حقيقتهم ، ولا ينخدعوا بمظاهرهم ، وليعلموا أن للمجاملة حدا تقف عنده ، وأنه لا يصح أن ننخدع حتى نجامل على حساب كياننا ، وكيان اخواننا المسلمين المضطهدين تحت حراب الحكم الحبشى ..

ذلك كلام أقوله لكل حكومة اسلامية ، ولكل صحيفة وهيئة اسلامية أينما تكون .. وضعيف وغير محترم ذلك الذى ينماع حتى لا يعرف للمجاملة حدا يقف عنده .. ولم نعد بعد الذى حدث نقبل التغاضى عما قدمته أو تقدمه بعض الدول لعدونا ، من عون مادى أو معنوى ، ليزداد شراسة علينا ، ويثبت أقدامه فى أرضنا ، ويتمادى فى العبث بمقدساتنا ..

نعم لم تعد الشعوب تقبل ذلك ، ولا تستسيغه ، والحكومات هى الناطقة بضمير الشعوب أو هكذا يجب أن تكون ..

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

الدعوة إلى الإيمان

للشيخ علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها .

(رواه الترمذى)

١ ـ العمد الاساسية فى حفظ الشريعة الاسلامية ، وصيانتها من التبديل والتحريف : الكتاب والسنة (١) : فهما المعينان اللذان لا ينضبان أبدا ، والركنان اللذان لا يسمو الى مكانتهما ولا يحل محلهما شيء آخر ، فاذا ورد النص في القرآن ، حاكما في قضية من القضايا فلا مجال لقول بعده ، وما أروع النص القرآني تفسره وتشرحه احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوتيت القرآن ومثله معه) .

ومما أنعم الله به على المسلمين (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أن حفظ القرآن الكريم من الضياع ، وصانه من التبديل والتحريف اللذين حدثا للكتب السماوية السابقة فاستمر وسيستمر كما أنزل على خير خلق الله هدى ونوراً لقوم يعلمون ، وقد دلت على ذلك آيات قرآنية محكمة واضحة المعنى ، بينة الدلالة ، لا تحتاج الى تأويل . منها : قول الله تبارك وتعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » وقوله جلت حكمته : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) . وقد شرح (بالبناء للمجهول) هذا الكتاب العزيز وفسر في أغلب القرون التى مرت به ومر

(١) ويأتى بعد ذلك الاجماع والقياس .. الخ وباب الاجتهاد مفتوح لمن فتح الله عليه وبصره بعلوم الشريعة واللغة واستوفى الشرائط المتفق عليها عند جهابذة الفقهاء والباحثين وهي معروفة بتفاصيلها فى بحوث قام بها متقدمون ومعاصرون ولا تكاد تختلف عند الفريقين .

هو بها ، وجال شراحه ومفسروه كل مجال ، ولا يزال .. فيما أعتقد — بحرا خضما زاخرا بالخير فى حاجة ماسة الى غواصين مهرة يستخرجون لآلئه ويعرضون للعالمين درره لينقشع ظلام الجهل عن عقول ران عليها مافعلت ومااجترحت منسيئات، وأعتقد أن هذا العمل لا يقف عند حد ولا ينتهى لدى نقطة يوقف أمامها ، وما دامت الشمس تشرق وتغرب ، والقمر يبدو ويختفي والفلك يدور ويضطرب فى مجاله ، فلن يأتى يوم يقول عالم الى هنا يقف البحث فى القرآن ومدلولاته ، بل ان فيه من الآيات ذات الدلائل الخافية ما لا يصل الى فقه مرماها بشر (وما يعلم تأويله الا الله) وان كنت أعلم وقرأت طويلا وعالجت كثيرا ما أورده المتأخرون من بحوث ، وما داروا فيه من منطق حول معنى آية سورة آل عمران (١) الا أنى قوى الايمان بأن لله علما لا يصل اليه مخلوق : وما استأثر الله بعلمه ليس من صالح البشر أن يعلموه أو على الاقل ليس مما تتوقف عليه أمور حياتهم فى مختلف مجالاتها فكل ما يفيدهم فى العاجل والآجل قد فسر وجاء واضحا لا لبس فيه ، ولا يحتاج الى اطالة فكر واعمال نظر .

٢ — ونعود الى السنة الشريفة — والقول اليوم فيها — وأقصد منها هنا أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله — وتقريراته وهي التي عبر عنها القرآن الكريم بالحكمة في آيات كثيرة منها قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة : من دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب **والحكمة** ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) (٢) والسنة تأتى فى المرتبة التالية للقرآن ذى الذكر ، وكثير من الأحكام أجمل فيه وفصل فيها ، بل منها ما لم يرد ذكره صريحا في القرآن ، ولولا السنة الشريفة ، ما عرف ولا فقهه الأولون ولا من جاء بعدهم . ولهذا كان لزاما على عقلاء المسلمين ، في كل عصر ومصر ، أن يديموا الحفاظ على السنة ، وقد قيض الله لها رجالا وعوها تمام الوعى ، متنا وسندا ، نصا وتأويلا ، وأدوها أمانة للأجيال التى تمر بالحياة من بعدهم وكان عملهم خالدا خلود السماوات والأرض ، وسيكون في موازينهم يوم القيامة نورا يقودهم الى دار الخلود في فراديس الجنان ، وفي القمة منهم الامام البخارى وهو أشهر من أن يدل عليه بقول وكذلك تلميذه الامام مسلم الذي كان كلما دخل عليه يسلم ويقول : (دعنى أقبل يديك يا طبيب الحديث ، ويا أستاذ الأستاذين ويا سيد المحدثين) . وكثير من الفقهاء حفظ لنا التاريخ ما جمعوا من أحاديث شريفة ومن هؤلاء الامام الصابر أحمد ابن حنبل ، ومن قبله فقيه المدينة الامام مالك رضى الله عنهم جميعا ، ولم يعد هناك جديد من نصوص الأحاديث زيادة على ما وعى السابقون ، وقد حث العلماء على اتقان قراءة الحديث خوفا من الدخول في قوله صلى الله عليه وسلم (من

---

(١) قوله تبارك وتعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) (الآية رقم ٧) .

(٢) الآية رقم (١٢٩) .



كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) وقد قال الأصمعي عند شرح هذا الحديث : (أخوف ما أخافه على طالب العلم أن يلحن فيدخل تحت طائلة هذا الحديث) وهذا ورع من الأصمعي عظيم وفي الحديث الذي معنا (فوعاها فأداها كما سمعها) لأن الرسول الكريم لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحي يوحى ، واقتصرت مهمة علماء الشريعة الآن على التبليغ ، على الوعي والأداء ، وليس التبليغ سهلا ، بل هو مهمة قاسية شاقة بالغة المشقة والاهمية وقد حث عليها القرآن في قول الله العليم الحكيم : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) (١) وقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (٢) وقال سيد الخلق (ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع) (٣) .

٣ ـ والعصور التى مرت الى الآن منذ بروز ذكاء الدعوة الاسلامية برز فيها مبلغون على اختلاف درجاتهم وأحوالهم ، ولا أظن أن عصرا يحتاج الى التبليغ كما هي حاجة عصرنا . فالناس عامة في كل مكان من البسيطة لا يعلمون الاسلام على حقيقته أبدا . اللهم الا الخواص وخواص الخواص . ونظرة عجلى أو فاحصة على بلاد المسلمين نفسها التي بثت فيها تعاليم الاسلام وقامت في رحابها الدعوة أول ما قامت تظهر لك بما لا يقبل المزيد من القول أن عامة الناس ، وما الشعوب الا العامة ، لا يفقهون من الاسلام الا ما يتردد من أصداء الآذان كل يوم ، والا صلاة لا روح فيها ، وصياما تركه الاكثرون ، وزكاة أهملت ، وحجا لم يحقق المنافع المقصودة .. الخ . وهناك أقوام يطربون للترنم بالآيات دون سبر معناها وما تهدف اليه ، ومضحك جدا وشر المصائب ما يضحك ـ من أمر المسلمين أن تسمع القرآن يتلى طول يوم وفاة شخصية معروفة ، أما الدراسة المنظمة الواعية فقد عدا عليها الزمان فيما عدا عليه من أمور المسلمين (٤) اللهم الا ظلالا تتراءى هنا وهناك في شخصيات وعت قلوبها آيات الله والحكمة وهؤلاء ـ وحمدا لله ـ لا يخلو منهم زمان ولا مكان وان كانوا قلة نادرة اذا أحصوا .

وأكرر القول ـ بعدما لمست من قوة التنظيم ضد الاسلام خاصة والعرب عامة لدى بعض الاعداء وما أكثرهم اذا عدوا .. فارتباط العالم الآن بسرعة الصوت لم يدع شيئا خافيا على العالمين في كل مكان. فالمسافات مهما بعدت قد طويت ، وسلطت الأضواء على كل بقعة في المعمورة وعرف القاصي أحوال ما

---

(١) الآية ٣٣ من سورة فصلت (حم) .

(٢) الآية ١٠٤ من سورة آل عمران .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) هذا حديث مؤلم لنفسى غاية الايلام ولن أتركه دون مزيد من القول ان كان فى الأجل بقية وهيأ الله المقام .

بعد عنه . حتى أنه أصبح يراه راي العين من وراء التلفاز بواسطة الاقمار الصناعية . ويعلم الحوادث فور وقوعها . لأنها تنقل حية تنبض بالحركات الأصيلة . وسبحان من علم الانسان ما لم يعلم ، وهنا ، بات العالمالاسلامي مكشوفا لكل راء فيالدنيا سميتها جديدة اوقديمة ، والكل مجمع — ان صدقا وان كذبا — على أن الاسلام لا يحمله مسمى موجود الآن .

٤ — لقيته طبيبا يسكن مكانا قصيا عن بلاد المسلمين ولم يرها رغم انه نيف على الخمسين عاما وجاب كثيرا من البقاع فسألته هل تعرف عن الاسلام شيئا؟ قال نعم وعن المسلمين أشياء . اما الاسلام فشيء كان يتعلم قديما ولم يعد له مجال في مجال المدنية الحديثة فانزوى هنا في دور العبادة في صورة شوهاء مزرية **ودليلي — كما يقول هو — ان العالم الاسلامي كما ترى مفكك متجانف منطو على نفسه نافر من كل جديد حريص على الظل لئلا يتبدد في ضوء الشمس ويذوب في حمارة القيظ ، أو يتجمد في صبارة الزمهرير .. فسألته : هل قرأت عن الاسلام شيئا؟ فاجاب مالي وللقراءة وكتاب الوجود الاسلامي مفتوح لكل مريد ، وبعد لأي ومزيد صبر مع الرجل اقنعته كي يقرأ كتابا ترجم حديثا الى اللغة الفرنسية والانجليزية وعاد بعد ثلاثة ايام ليقول : لقد اضعت علي رحلتي الترفيهية التى اقتطعت وقتها من عملي ، وحملتني حملا على استيعاب الكتاب في ترجمته ، قلت ثم ماذا ؟ أجاب : اقتناع تام بأن الظل لا يمثل الصورة الأصيلة بحال بل هما نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، الاسلام نعم هو ان كان ما في هذا الكتاب ! وما درى صاحبي ان ما سطر في هذا الكتاب أو الكتيب لا يمثل الا ثمالة ضئيلة من حقائق الاسلام .**

هنا برز أمام عيني حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها) وتساءلت بعد طويل روية من يتحمل اثم ما غرق فيه المسلمون من البعد عن تعاليم السماء : واجاب (١) المسئولية التاريخية متجهة صوب كل مسلم فاقه لدينه ، مدرك لمراميه ، ملم باحكامه ، غائص على مزاياها ، عليه ان يبلغها — كما سمعها — بقوله وفعله حيثما وجد واينما حل ومن استعان بالله اعانه !.

٥ — عرفت كثيرا من الدعاة في بلادنا . وعرفت لهم أخلاقهم ، وعلمهم وواسع احاطتهم بمهمتهم ، وما بذلوا من جهود في سبيل الله ، وهؤلاء مضافا اليهم بعض كبار الاساتيذ الذين الفوا ونشروا بحوثهم قد ادوا ما عليهم أو بعض ما عليهم حيال الاسلام **رغم** ما وجدوا وما يجدون من عقبات وملاحقات جاهلة ، ومتابعات عمياء ! ولكن هيهات ان يجدي هذا الجداء الكافي حيث انه اما محصور أو مقصور وفي الأمرين ضيق وعنت وظلام وغبن ، ومطلوب الاسلام لا يتوقف عند جهد داعية موظف ، أو مدرك غيور ، فما الحيلة ؟ ما الطريق ؟ ،

(١) ابن أخت خالتي على رأي القاضي العادل اياس بن معاوية .

لقد رسم الطريق أعداء الاسلام — واعدى أعداء الاسلام في الحقيقة . ان بحثت ورمت الحق ، هو الجهل والجهل به فقط ولا تزيد . فالناس فى مجموعهم عقلاء والعاقل ضالته الحق حيثما وجده ، ومن أصر على حق واعتقده نجح فى الوصول الى هدفه ، والطريق المرسوم ، لا يقف عند مطالبة الحكومات بالدعوة ونشرها ، وانما نرجو من الحكومات التعضيد المعنوى ايضا كما تفعل سائر الدول غير المسلمة ، وأما العمل الجاد فعلى اغنياء المسلمين وفقرائهم أن يساهموا في الدعوة بأموالهم وجاههم : واعرف جماعة فى بلد غربى نظمت (سنتا) واحدا على كل مشتر شيئا حقر أو جل يودع فى صندوق (الله) حسب تعبير القوم ، ومضت السنت فصار ملايين الجنيهات الاسترلينية بنيت بها مشافي ومدارس في بلاد المسلمين وغير المسلمين ونجحت أو كادت هذا مع البحوث العميقة التي تظهر علاجا حاسما للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الدولية يصدر هذا من علماء مخلصين ، وأختشى ، والله ، واستحى من الله ذى الفضل العظيم أن أقول : أين أبو حنيفة ؟ والغزالي ، وابن سينا ، وابن تيمية ومن الى هؤلاء ممن بحثوا دون أن يسألوا واذا أعطوا ابوا ، وما موقف ابن حنبل من ابنه عنا ببعيد (فقد حدث التاريخ أن عبد الله بن أحمد ابن حنبل دعاه الى غداء يوما — أى دعا الابن أباه — فأبى وقال : انك تقبل هدايا السلطان وأخشى على ديني منها) وأكرر الآية الكريمة (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) فلا يأس يا رب وانما هى شكوى اليك وطلب معونة منك وما ذلك على الله بعزيز .

٦ — بقى شىء أخير فى هذا الدور من القول — هو أن يحاول المسئولون الذين يشغلون وظائف في الخدمة العامة أن يجعلوا سلوكهم وفق تعاليم دينهم ، حتى لا يرى العالم الانفصام البادى بين حقيقة المكتوب وزيف العمل والقدوة العملية دائما خير من ألف كتاب (والعدد عنا لا مفهوم له) .

وقبل أن أختم هذا الحديث أقترح على وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية أن تجعل في كل عدد من مجلتها الفتية القوية الناشئة صفحتين أو ثلاثة على الأقل باللغة الفرنسية والانجليزية ، وترسلها الى كل سفارة كويتية في البلاد الناطقة بهاتين اللغتين شارحة مشكلة عويصة من مشاكل العصر على ضوء الاسلام ، وموجهة توجيها خفيفا أي سهلا في عبارته (للعامة) الى تعاليم الاسلام ، وليس ذلك على همة القائمين على الوزارة بعزيز والله الموفق والمستعان .

الاسلام والوضع الاجتماعي للمرأة

محمد مؤذن

– ١ –

قدمنا من قضايا المرأة الأساسية ، مساواتها للرجل فى المعنى الانسانى ، والنسب البشرى الذى ينتمى الجميع فيه لأب واحد وأم واحدة ، وقدمنا أهليتها للتكاليف الشرعية .. وأهليتها الاقتصــادية التى تشمل التملك بجميع ضروبه ووسائله ، والتصرف فيما تملك بكل أنواع التصرف ، مع تقرير مساواتها التامة للرجل فى كل ذلك .. وقد يرى بعض الباحثين ذلك تقدمية سبق بها الاسلام زمنها بقرون كثيرة ، وقد يراه بعض السطحيين مجرد تقريرات لم يزد فيهـا الاسلام على أن ساير ما بلغته المرأة فى هذا العصر — ولا سيما الغربية — من الاعتراف بانسانيتها وأهليتها ، فهو مجرد « تحصيل ما حصل » ..

والحق أن الاسلام حين نزل بتلك الأحكام منذ أربعة عشر قرنا لم ينظر قط الى ما ستبلغه المرأة من تطور فعمل على أن يجىء على مثاله ليكون تقدميا أو غير تقدمى فى نظر المعجبين أو غير المعجبين ، بل نزل يقرر الوضع الحق لفطرة المرأة التى برأها الله عليها ، أو نزل يقرر — بلغة المهندسين — « التصميم » الذى سوى عليه كيان المرأة الروحى والحسى ، فلا يصلح أن يقدر مكانها فى أى شأن من شؤون الحياة فى أى عصر وأى بيئة الا عليه .. فهى انسان يجب أن يعترف لها بانسانيتها فى الأسرة .. والدين .. وفى الاقتصاد .. وفى المجتمع . وفى مقابل ذلك يجب أن تؤدى حقــه أو واجبــه عليهــا ، وترعاه حق رعايته ، فليست « الانسانية » و « الأهلية » مجرد حلية سطحية عاطلة من التكاليف تتباهى بهـا المرأة فى مجال التقدمية ، انما هى « خصائص » من تقويم الله لكيانها المعنوى ، أهلت بها لتؤدى دورا أو مهمة فى الحياة تلائمها ، فاذا قصرت فقد قصرت فى حق نفسها ، وحق مجتمعها لا فى حق الله والشريعة فقط ، ويجب أن يكون وزنها فى التفاضل الاجتماعى مقدورا بمدى فهمها لمعانى تقويمها ، وجدها فى تزكيتها ، وتحقيق دورها فى الحياة ، والله تعالى يقول : «ان أكرمكم عند الله أتقاكم» . (١)

(١) الحجرات : (١٣)

للأستاذ : البهى الخولى

– ٢ –

وقبل أن نعرض لمعالم ذلك الدور نقرر لها أهليتها الاجتماعية استكمالا لما بدأنا من حديث تلك الأهلية ، فمن ذلك :

أ – أنها اذا بلغت وظهرت عليها علامات الرشد وحسن التصرف ، زالت عنها ولاية وليها أو الوصى عليها سواء أكان أبا أم غيره فيكون لها التصرف الكامل فى شؤونها المالية والشخصية ، واختيار المكان الذى تقيم فيه ، وليس لأحد من أوليائها أو اقربائها أن يجبرها على الاقامة عنده ما دامت ذات عقل وعفة . قال الشيخ احمد ابراهيم : « والأنثى اذا بلغت مبلغ النساء فان كانت بكرا شابة أو ثيبا غير مأمون عليها فلأبيها أو من يقوم مقامه من الأولياء والمحارم المأمونين عليها أن يحفظها عنده جبرا عنها ، وان كانت بكرا ودخلت فى السن واجتمع لها رأى وعفة ، أو ثيبا مأمونة على نفسها ، **فليس لأحد من أوليائها أن يجبرها على الاقامة عنده »** (١) ، فاذا تزوجت البكر أو الثيب سقط حقها فى اختيار مكان الاقامة لتعارضه مع حق الزوج الذى قدر له الشرع أن تتبعه زوجته فى السكن حيث يقيم ، وذلك لاعتبارات معلومة عادلة لا مجال لذكرها .

ب – أن لها حقها فى قبول أو رفض من جاء يطلب يدها ، ولا حق لوليها أن يجبرها على قبول من لا تريد ، ولا أن يمنعها أن تتزوج من رضيته من أهل الخلق والدين ، فذلك شأنها وحدها ، بل انه أخص خصائصها تتصرف فيه بالمعروف على ما ترى فيه استقرارها وألفتها ، وفى هذا جاء قوله عليه الصلاة والسلام : « ليس للولى مع البنت أمر » (٢) وقوله : « البنت أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها ، واذنها صمتها » (٣) ، وقال ابن القيم فى تقرير ذلك فأبدع :

---

(١) ص ١٥٨ – الأحكام الشرعية للأحوال الشخصية للشيخ أحمد ابراهيم .
(٢) رواه أبو داود والنسائى .
(٣) رواه الجماعة الا البخارى .

« ان البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها فى أقل شيء من مالها الا برضاها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه بدون اذنها ، **فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بدون رضاها ؟! ومعلوم أن اخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختاره » (١) .**

فاذا أهدر وليها هذا الحق وزوجها وهى كارهة ، فهى بالخيار — ثيبا كانت أم بكرا — ان شاءت أمضت ما فعل وليها وان شاءت ردته ، وقد روى أن «خنساء بنت جذام زوجها ابوها وهى كارهة ، وكانت ثيبا ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد زواجها » (٢) .

بل ان لها **أن تباشر عقد الزواج بنفسها** ، قال فى الأحكام الشرعية : **« يشترط لنفاذ النكاح — أى عقد الزواج — أن يكون كل من الزوجين حرا ، بالغا عاقلا اذا باشرا العقد بانفسهما ، أو بوكيليهما ، أو باشره أحدهما مع وكيل الآخر »** (٣) وقال الفقيه العلامة الشيخ محمود شلتوت فى تقرير حق المرأة فى مباشرة عقد زواجها بنفسها : « ونحن اذا رجعنا الى القرآن فى هذه المسألة وجدناه يضيف هذا التصرف الى المرأة نفسها ، انظر قوله تعالى فى سورة الأحزاب : **« وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين »** ويقول فى سورة البقرة **« فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره »** ويقول : **« فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليهن فيما فعلن فى أنفسهن من معروف »** وهذه الآيات ظاهرة فى أن زواج المرأة ورجوعها الى زوجها مضاف اليها صادر عنها ، من غير أن يتوقف على مباشرة وليها لهذه التصرفات .. وليس من المعقول ولا المعهود شرعا أن يستعير رضا انسان فى صحة تصرف ، ثم يحكم ببطلانه اذا ما باشره بنفسه .. ولا شك أن صحة التصرفات لا تستدعى أكثر من العقل والبلوغ وما دامت البكر كالثيب عاقلة بالغة فانا لا نكاد نفهم انها اذا باشرت عقد الزواج يكون باطلا .. ولا شك أيضا فى أن مقاصد عقد الزواج يرجع معظمها الى المرأة ، ومن الاصول المقررة أن مثل هذا العقد يتولاه من يختص بمقاصده الأصلية » (٤) .. وهو تقرير يغنينا بروعته ووضوحه عن اى تعليق على ما بلغ الاسلام بأهلية المرأة من سمو واعتبار .

ج — ومن أبرز معالم تلك الأهلية مكانة لم تقرر للمرأة فى شريعة من الشرائع قديمة ولا حديثة ، وها هو ذا الغرب ممثل الحضارة القائمة ، وحامل لواء الدعوة لتحرير المرأة ، وتقرير حقوقها لم يبلغ بها تلك المكانة ، ذلك أن الاسلام **جعل لها أن تجير — أى تحمى — فى الحرب أو السلم من أرادت من غير المسلمين .**

وقد جاء فى فتح مكة أن أم هانىء بنت أبى طالب — أخت على كرم الله وجهه — أجارت رجلا من المشركين ، فأبى على الا أن يقتله ، فأسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، زعم ابن أمى على ابن

---

(١) زاد المعاد ج ٤ ص ٢ بتصرف .

(٢) رواه الشيخان .

(٣) الأحكام الشرعية للشيخ أحمد ابراهيم ص ٦ .

(٤) رسالة القرآن والمرأة .

أبى طالب أنه قاتل رجلا قد أجرته ــ وسمت الرجل ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » (١) . وقد جاء فى ذلك قوله عليه السلام : «يد المسلمين على من سواهم تتكافأ دماؤهم ، ويجير عليهم أدناهم» (٢). والمسلمون وصف جامع للرجل والمرأة فهى داخله فى مفهوم قوله عليه السلام « يجير عليهم أدناهم » الى دلالة حديث أم هانىء السابق ، ودلالة قوله عليه السلام : « ان المرأة لتأخذ للقوم » (٣) قال صاحب المنتقى : « يعنى تجير على المسلمين » ، ودلالة حديث عائشة رضى الله عنها : « ان كانت المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز » (٤) وقولها : « فيجوز » معناه أن يحترم فعلها فى تأمين أو اجارة من تريد ، ولا يخفره أحد أو ينقضه .

وذلك أمر من أخطر الامور ، بل لعله أخطرها وأولاها بالحذر والاحتياط ، فتقرير أهليتها وعدالتها فيه الى هذا المدى هو توكيد لثقة الاسلام المطلقة فى كفاية الخصائص العالية التى أهل بها تقويمها ، واعلان لكرامة مكانها فى الحياة بكرامة ما يناط اليها من تبعات . . واذا كان الغرب لم يبلغ ذلك المدى من الثقة بأهلية المرأة لتلك التبعات الخطيرة ، فلأنه هو نفسه لا يفتـ[illegible] فى الانسان ــ رجلا كان أم امرأة ــ استعدادا علويا تزكيه العقائد ، فلم يعد [illegible]جتمعاته لا رجالا ولا نساء لحمل الامانات والقيم والمبادىء التى يسلح بها الاسلام ذويه . ويعدهم لها أفرادا وجماعات فى نسق تتكافأ فيه الدماء ، اذ تزول فوارق النسب والمولد والمنازل الاجتماعية ، ولا يبقى الا العقيدة الصافية الصادقة قد انصهر الجميع فى بوتقتها ، وصاروا ارادة واحدة فى الاعتزاز بها ، والحياة لها ، والدفاع عنها بالمال والروح ، يتساوى فى ذلك أدناهم فى المجتمع منزلة وأعلاهم ، حتى يكون كيان كل فرد صغر أو كبر هو كيان الجماعة ، يعنيه من أمرها ما يعنيه من أمر نفسه . . وبهذه الارادة ، وبهذا الانصهار الروحى السامى تتم أهلية المرء وتكون المساواة فى المجتمع أتم ما تكون ، فلا يكون أحد منهم أولى بتأمين من يريد من الآخر ، فتأمينه ماض على الجميع ، والجميع يجيزونه له حبا وكرامة . .

ــ ٣ ــ

ذلك تقويم الاسلام لانسانية المرأة وأهليتها فى وصفها العام ، فهى (انسان) ولها (أهليتها) الدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، ويتحتم منطقيا أن يكون لتلك المواهب أو المزايا دورها فى الحياة ، فان المواهب عامة انما تمنح من الحق تعالى على قدر حكيم لتحقق فى الارض مقاصد مقدرة ، ولا تمنح عبثا أو جزافا أبدا ، فأولى أن تقدر تلك المزايا العليا لمهمة لها امتيازها فى شرف البواعث وربانية الغاية ، وقد فصل القرآن الكريم معالم تلك المهمة ، ولعل من أجمع نصوصه فى ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » (٥) ، وهو نص يتطلب التحليل لبيان احاطته بكافة شؤون الحياة وأوضاعها . . وبعد أغواره فى المسامه بالحقائق

---

(١) متفق عليــه .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) رواه أبو داود والنسائى .

(٥) التــوبة : ٧١ .

الروحية التى يقوم بها بناء كل من الفرد والمجتمع والقيم التى يجب أن يرعاها كل ، ولكن تقيدنا ببيان دور المرأة يحملنا على الاجتزاء بالعناصر الآتية لصلتها بذلك الدور وايضاحه . .

أ ــ انه يبين « خصائص » المجتمع المثالى ــ الذى يمثل حقيقة الاسلام ــ وما يقوم بين أفراده من علاقات . فهو ــ أى النص ــ لا ينظر الى الفرد معزولا عن المجتمع ، ولا الى المجتمع ضاربا صفحا عن الفرد . بل ينظر الى «المقومات» الروحية الحقة التى تقوم أساسا فى بناء كل منهما . وهى الايمان بالله تعالى . فتكون مقومات أحدهما هى نفس مقومات الآخر ، ذلك ان المجتمع « علاقات » تتالف مما فى قلوب الافراد وعقولهم من المعانى الاصلية ، والقيم والعقائد . فاذا هى رابطة واصلة بينهم فكرا وعاطفة ، واذا هم مؤتلفون بها فى تناسق كالبنيان المشدود الاسر ، فاذا كان الايمان فى الاسلام محور شخصية الفرد ، أو هو ركيزة فرديته باعتباره وحدة بشرية ذات كيان مستقل ، **ومسؤولية خاصة** أمام الله والمجتمع ، فانه باعتبار آخر يتضمن روابط الحب والتناصر الاجتماعى . اذ هو ولاء لمثل أعلى واحد يتداعى فى ضمائر الجميع بمؤازرته والاعتزاز به ، وذلك واضح فى قوله « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . . ففيه أن الايمان هو الوصف الذاتى الذى تتحدد به أولا شخصية كل فرد ــ رجلا كان أم امرأة ــ وان الولاء الذى بين المؤمنين والمؤمنات هو الولاء لقيم ذلك الايمان .

ب ــ ان المجتمع اذ ينعقد على الولاء لقيم الايمان يتقرر لأهله قاطبة منهاج عام له صفة الحق والواجب ، ينتظمهم فرادى وجماعة : « يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله » ومراعاة للمقام وتقيدا ببيان دور المرأة نكتفى بأن نبرز جانبا من معنى قوله تعالى : « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » فانه واضح فى أن الاسلام يضع صلاح المجتمع أمانة بين يدى كل مؤمن مستنير ، وكل مؤمنة مستنيرة ، ويجعل كلا منهما مسئولا عن ذلك ، لا يعفى المرأة ، ولا يستثنى الرجل . لأنه ينظر الى وصف « الانسانية » لا الى ذكورة أو أنوثة . . وهو دور بالغ الخطورة يتكافأ مع خطورة ما اهلت به من مواهب ومزايا .

ج ــ ان قوله تعالى : « يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » يمد مسئولية الافراد الى كل مقومات المجتمع ادارية وسياسية ، واقتصادية واجتماعية وروحية ، ولا يستثنى واحدة من هذه ، وليس من يقول فى الاسلام بالسكوت على منكرات الحكم ، أو مشكلات الفقر ، أو مظالم الاستغلال ، أو مفاسد الجهل التى تقوض الاخلاق ونحوها من دعامات المجتمع . . وعلى المرأة واجبها فى ذلك كله ما استطاعت عن طريق المنظمات النيابية ونحوها فى الميدان السياسى ، أو طريق المنظمات الشعبية فى الميدان العام المترامى الاطراف . . وهذا يقتضيها أن تكون فى ثقافتها واهتمامها بالشؤون العامة على المستوى الذى تحسن به فهم تلك الشؤون ، ومتابعتها ــ فى بيئتها الخاصة أو العامة ــ ونقدها بتعرف ما فيها من خطأ وصواب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل هذا الاهتمام شارة الدخول فى جماعة المسلمين بقوله : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » (١).

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الايمان .

وشؤون المسلمين فى أذهان الناس تضيق وتتسع بحسب ثقافة كل منهم ، وسعة آفاقه العقلية ، واستعداده الخاص ، فمنهم من يهتم بالزراعة ، ومنهم من يهتم بالصناعة ، أو التجارة ، أو اصلاح أداة الحكم ، أو مشكلات الفقر ، والتعاون والثقافة ، والاخلاق والأسرة ، وترقية الشؤون الاجتماعية عامة .. ومنهم من يقتصر جهده فى ذلك على بيئته الخاصة ، ومنهم من يمتد الى ما وراءها .. وغنى عن البيان أن المرأة فى ذلك كله كالرجل ، وأن تعدد تلك الآفاق يرينا سعة الميدان الذى يمكن أن تؤدى فيه دورها العام فى رعاية المجتمع والنهوض بمقوماته المختلفة ..

وليس من قصدنا بيان منهاج المرأة ، أو مفردات عملها ، فذلك يختلف باختلاف البيئات ، واختلاف العصور ، انما نقرر « طبيعة » دورها ، وتعدد الوان النشاط التى يمكن أن تحققه فيها .. ولكن لا بد من التنبيه الى أمر جوهرى ينجلى به كثير من الغموض ، والتساؤلات ، وأسباب الحيرة والشك ، ذلك أن المرأة المسلمة الاولى لم تغش ميدانها على عماء ، أو ضيعة ، أو تفكك ، بل غشيته على اعداد وتخطيط واضح ، كان المجتمع يدعوها به الى أن تأخذ مكانها فى الصف المتماسك المتعاون على قيمه ومصالحه ومصيره كله المعنوى والحسى .. فلم تكن دخيلة عليه .. ولا معفاة منه .. ولا وحيدة فيه ، أو معدومة النصير .. وهذا يستحضر فى أذهاننا الفارق الكبير بين ظروف تلك المسلمة الاولى ، وظروف المسلمة المعاصرة ، وهو فارق فى الاعداد خطط لها عقائدها ، وقيمها التى تغنى بها النفس ، وتقوم لها غاية فى الحياة ، وهيأ فكرها ووجدانها لذلك فى اصالة وعمق وقصد جدى .. وبهذا التخطيط والاعداد لم تغب قط بفكرها ووجدانها عن الاهتمام بشؤون المجتمع ، ولعلها المرأة الوحيدة فى تاريخ الدنيا التى كان اهتمامها بالشؤون العامة لا يقل — ان لم يزد — عن اهتمامها بشؤونها الخاصة ، وهو اهتمام مشاركة واندماج تجاوبت به مع ما كان ينزل به الوحى من شؤون الدنيا والدين .. والاسرة والمجتمع .. والحرب والسلم .. وقيم الروح والحس .. ولا يستطيع اشد الناس جحودا أن ينكر شجاعتها واريحيتها فى ظروف الحرب ، اذ كانت تقدم رجلها والشباب من فلذات كبدها فى احتساب وفداء ، ومعهم ما تستطيع من حلى ومال ، وهى من وراء ذلك تخدم الجيش ، وتؤدى له مهمة الهلال الاحمر ، فى الاسعاف والتمريض والمداواة للجرحى .. فاذا كانت المرأة المسلمة اليوم فى حيرة من أمر واجبها : أين مكانه ؟ وماذا تفعل ؟ فمرجع الحيرة ذلك الفارق الذى لا تجد به ما كانت تجده السابقة من اعداد وتخطيط أصيل عميق لحقائق الايمان باعتبارها حقيقة وجود المرء ، وباعتبارها القيمة العليا التى تتعلق بها الهمم وتستحث اليها الجهود .

واذا كانت جادة فى تبين مكانها فى الوجود فلتدع تقليد أختها الغربية فى طلب المساواة المطلقة بالرجل ونحوها من الحقوق التى لا تتبين لها جذورا ، ولا تستشعر لها مكانا فى وجدانها ، ولتنظر فى جد لتدارك الفارق الذى بعد بها عن أهداف جدتها السابقة ، ومقوماتها الروحية ، ليكون لها مثل وجدانها واندماجها فى شؤون المجتمع العامة ، ويومئذ لا تنازل الرجل فى ميدان تقاضى الحقوق ، بل تغني عن نفسها في مسابقته الي ميدان الواجبات .

الإسلام

كان ذلك قبل أعوام ثلاثة .

الثلج يكسو باريس بحلة بيضاء مغبرة ، والبرد تسطك منه نأمات الحياة . ويلسع بسياطه الناس فى الشوارع فيجرون جريا . .

وفى دار صديق . جلسنا حول الموقد . نستلذ أريج القهوة ، ونحن نتجاذب شجون السياسة . ولطائف الدعابة والشعر . .

لم ننتبه للوقت يتسرب ، فقد طوى ترسلنا الاخوى ، ساعات الليل ، فبانت أقصر مما كانت . . وفجأة ، أخذت تشق عنان السماء ، مزامير سيارات ، فى تزايد مستمر . . !! انها ليلة رأس السنة الميلادية ، وقد قاربت الانتصاف .

وخرجنا . . نشد معاطفنا بقوة . على ما اكتنزناه من دفء ، كأننا نخاف أن تسترقه منا لفحات شتاء باريس القارس . . ولم نستطع أن نمشى طويلا ، فقد كانت السيارات تملأ مد النظر ، وتتشعب من الساحات العامة ، فى المنعطفات ، وكأنهــا قطعان ذئاب فى فلاة ، أضر بها الجوع والصقيع ، فأخذت ترسل فى الفضاء عواء مجنونا . .

واستطعنا بعد جهد ، أن نصــل الى مقهى كبير فى ســاحة « الحقول المتعاشقة » « الشانزلزيه » ، وأن نتخذ أماكننا محشورين بين الناس قبل أن تطفأ الأنوار بدقيقتين . .

فى الظلام . . ترامت الى سمعى تمتمــات عربيــة . فى قلب الغوغاء المشوشة ، والقهقهات السكرى الشرود . .

تبينت بين جيرانى ، مصدر التمتمات . فى الاضواء التى فجأت عيون الناس المحمرة ، فقابلوها بصياح هائج . رج المقهى من جديد . بعد أن كانت السيارات قد صمتت منذ قليل .

أربعة ، أخذوا يتحدثون بالعربية . بصوت مرتفع .

ــ ما أجمل هذا الصخب فى باريس . انها وقدة الحياة . يا لبلادة الفراغ فى أوطاننا ، انهم الآن يغطون فى سبات عميق .

ــ طبعا ، موتى . فى أكفان التقاليد البالية .
قال الثالث مغيظا . وماذا أيضا ؟.

فأجاب رابعهم : لا تغضب يا « عمار » . انه « أفيون الشعوب » الدين الذى ما زلنا فى أسره . .

والحياة

الأستاذ عمر بهاء الدين الأمير
الرباط

وكنا نتحدث بالعربية ايضا ، وتبين جيراننا ذلك ، فكانت فترة ، وتلاقت العيون ، ومالت الرؤوس - تلقائيا - بالتحية . .

انهم طلاب من كليات عدة ، وأقطار مختلفة ، ومشارب شتى ، جمعتهم وحدة الدين واللغة — دون أن يقدروا ذلك — لتخرج بهم من ضيق الغربة الى سعة السمر المشترك .

قال « عمار » : فلنجمع طاولتينا ، ونتحاق لنشترك فى الحديث — اذا شئتم — وقرأت فى نفسه شعورا مزيجا من العزم والامل . . العزم على أن يتابع معركته الفكرية ولو منفردا ، تجاه عدد أكبر من المجادلين . والأمل فى أن يجد بيننا من يشد أزره .

قال : ما رأيكم فى الدين ، وفى الاسلام خاصة ؟ أحقا هو « أفيون الشعوب » كما يراه الزملاء ؟ . وتعجبون بما نحن فى وسطه من هرج ومرج ، يسمونه الحياة ، ويتغنون به ؟

واكرم الشباب أعمارا ، فسكتوا يترقبون الجواب ؟ .

قال صديقى . هذا ضجيج هادر ، وحركة دائبة .

بادر « عمار » . ضجيج هادر مهدور ، وحركة دائبة ، دائبة . . . عن حصيله الخير التى تجنيها الانسانية من هذا الصخب والعربدة ؟!

صاح رفاقه . لا تستعجل يا عمار ، محاولا التأثير على الأساتذة ، لتجعلهم يشاركك فى الرأى .

تابع صديقى . كلا ، فأنا مع السيد « عمار » ان هذا ليس هو الحياة الحقة ، ولنقل بالتخصيص انه ليس بالحياة كما يفهمها الاسلام

ونمتم احد الطلبة . وهل فى الاسلام حياة ؟ . او فى أى دين آخر . . انها التواكل والخضوع للقضاء والقدر ، وعيش القرون الخوالى ، على البدائيه الاولى .

قلت : تعددت مواضيعكم . الحياة ، الاسلام ، أى دين آخر ، التواكل ، القضاء والقدر ، التقاليد والبدائيه . . هذه عناوين ، لكل موضوعه ومجالات بحثه ، فاختاروا احدها للمناقشة .

تداخلت الاجابات والتعليقات ، واستقر الرأى . فلنتحدث عن الحياة

قال عمار : بل الاسلام والحياة .

سكوت . . قلت . حسنا . تحدث يا عمار ، فابتدر رفاقه . سمعنا حديثه مرارا ، نريد أن نسمع منكم .

كانت أفواج متلاحقة من الرواد تزحم المقهى اكثر فاكثر ، فتزيد جوه

اختناقا ، وتملأ ضوضاءه دخانا . . فقال صديقى : بيتى على مقربة مئة متر ، فهيا اليه ، حيث تسكن أسماعنا للحديث وقد جد ، ونستطيع الاصغاء والبحث . .

قلت ونحن نسير : الاسلام والحياة ، موضوع يحتاج الى مؤلف ، فالحياة مفاهيم واسعة ، وقد تحدث عنها القرآن فى أكثر من خمسين سورة ، واذكر أن لفظة الحياة ومشتقاتها وردت فى كتاب الله أكثر من مئة وستين مرة . ومن أسماء الله الحسنى « الحى » وكل هذا دليل على عناية الاسلام الفائقة بالحياة .

وجلسنا ، والحديث يدور . . سألونى : فى أى المقاصد والمعانى ، استعملت الحياة فى القرآن ؟.

قلت : بالتأمل السريع ، يمكن أن نرد ذلك الى ثمانية أمهات .

أولها : ما يتعلق بالذات الالهية .

« الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم »

« وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما »

« وتوكل على الحى الذى لا يموت » .

« هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين » .

وثانيها : وهو اشتقاق من الأول ، ما جاء فى مجالات الاعتبار بالقدرة والعمل الالهيين . وهو :

« الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار » .

« اليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى »

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ؟. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

وثالثها : فى الحياة أصلا ، وانبعاثا ، ومصيرا . .

« وجعلنا من الماء كل شىء حى » . .

« وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها » .

« وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »

ورابعها : وقد يكون اشتقاقا من سابقه أيضا ، ما يتعلق بالطبيعة فى أطوارها وانتشارها .

« يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » . .

« فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها »

وخامسها : فى مجالات ضرب المثل وتقرير الحكمة .

« وما يستوى الأحياء والاموات » .

« ألم نجعل الارض كفاتا . أحياء وأمواتا »

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

وكانوا يصغون الى آيات الله ، أسرد بعضها فى تذكر ، وأناة لا أتقصاها ، ولا أسلسلها ، ولا أعلق عليها بأى شرح ، قال أحدهم ، وماذا عن الانسان والحياة ؟

قلت : من ذلك فيما سلف قسط ، وقد بحث القرآن تفصيل ذلك فى الثلاثة الباقية .

فأولا . تقلب المرء بين الموت والحياة فى الدنيا والآخرة على أطوار ، تقريرا للحق ، وحكاية للمعتقدات وبيانا لأحوال الناس ، عيشا وثوابا وعقابا .

« وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون » « فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون » « وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا »

« الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم »

« الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله

ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد» «ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمعتم بهـــا فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون » .

ثانيا : وهو ركن فى بحثنا ، حقيقة الحياة الدنيا وهداية البشر فيها ، ومد نظرهم الى الحياة الآخرة سعيا ورجاء وجزاء .

« اعلموا انمـــا الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفـــاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » ..

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الارض زخرفهـــا وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهـــارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » .

« زين للذين كفروا الحيـــاة الدنيـــا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة » .

« فما أوتيتم من شىء فمتاع الحيـــاة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » .

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيـــاة الدنيـــا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

ثالثا وأخيرا . فى أولئك الذين يلقون وجه الله وهم يجاهدون فى سبيله ، استجابة لأمره ، وهو ما يتعلق بحياة الشهداء .

« ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون » .

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »

قلت للاخوة الطلاب : هذا ، وسواه كثير ، مما وردت فيه « الحياة » بلفظها أو مشتقاتها خلال آيات القرآن الكريم ، أما معانيها ومرادفاتها ومدلولاتها فتكاد تكون فى القرآن جميعا ، حتى أن الانسان ليقول . الاسلام هو الحياة والحياة هى الاسلام ..

علق أحد الطلاب : آيات مرت علينا جميعا ، نتلوها للتبرك ، ونستمعها للتلذذ ولكنها المرة الاولى بالنسبة الى ، أنظر فيها مجتمعة بتفكر وتدبر وتضيف ، وأنها لتلقى على حيرتى فى الحياة كثيرا من الاضواء .

سأل عمار : متى كان آخر عهدك بالقرآن ؟ قال : تلاوة ، منذ أربع سنين فى آخر رمضان أمضيته فى الوطن ، أما استماعا فأحيانا فى الاذاعات .

وأردف رفيقه فى تذكر وخجل . انها سبعة أعوام لم أقرأ خلالها القرآن ، علق عمار سبع عجاف ، لا بركة فيها ، يا ويحنا ان الرسول ليشكونا الى ربه : يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا .. ودمعت أعين فى تحسر وندم ..

قلت : أيها الاصدقاء ، ليس الغرض من القرآن مجرد التلاوة والاستماع .

قال : بل الادراك والتفهم .

ــ لا ليس هذا فحسب . فعن أبى وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن ، وقال أبو عبد الرحمن ، حدثنا الذين كانوا يقرئوننا ، انهم كانوا يستقرئون من النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا تعلموا عشر آيات ، لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

نظرت الى الساعة ، فقام صديقى الى مكتبته وعاد بكتاب ، وقال : تعالوا نختم جلستنا مع القرآن الكريم ، وناول عمـــارا المصحف فأخذ يقرأ باعتزاز من أعماق قلبه :

(البقيـــة ص ٢٧)

فضل القرآن على اللغة

بينا فى بحثنا السابق أنه اذا قويت صلتنا بالقرآن ، وجدنا فيه مع انتظام المبادىء الكريمة ، والمعانى القيمة ، ضبطا لأصول اللغة العربية وقواعدها ، وسجلا لروائع البلاغة وقمتها .

وقلنا ان دراسة كتب الأدب الامهات ، والتبصر فى دواوين الفحول من الشعراء ، ليس هو الغاية التى يتوخاها الاديب العظيم ، فوراء ذلك ما تتقاصر دونه الأعناق من بلاغة القرآن ولغته العلوية ، وأول فضـــل لهذه البلاغة التى تتمثل فى كتاب الله أنها دائمة الاشراق فى لغة العرب .

ونعود اليوم فى بحثنا هـــذا الى تجلية فضـــل القرآن على اللغـــة العربية :

لقد حفظ القرآن المجيد لغة العرب من الضياع ، وان تذهب فى الاسماع بددا ، وكفل لها الجدة وان طـــال الزمن .

ذلك أن القرآن جعل العربية لغة الدين ، باحيائهـــا احيــاؤه ، فهى اصداف هذه اللآلىء .

(((١) ومما هو جدير بالملاحظة أنه ليست هناك لغة واحدة من لغـــات الدنيا ـــ ما عدا لغة الحجاز ـــ يتكلم بها الآن فى الصورة التى كان عليها حين أرسل بها رسولها (٢) . حتى الكتب المقدسة الاخرى لو ظلت باقية محفوظة فى لغاتها الاصلية ، لتعذر علينا أن ندرك حق الادراك مرامى آياتها ، ومغازي تعاليمها التى كانت تقصد منها حين الوحى بها ، وبعبارة موجزة ، اننـــا لا نستطيع أن نقـــرأ مقاصـــد أولئك الرســـل على ضوء اختلاف الاسلوب ، وتباين التعبير)) .

أما القرآن الكريم فقد أنزل فى لغة لا تزال الى الآن حية . وظل هـــو محفوظا من كل تبديل وتغيير ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بهذا كانت مقاصده مدركة حتى يومنا هذا فى هـــذه الصورة التى وجدت عليها حين أوحى بهذا القرآن الكريم ، الى الرسول الكريم ، قال تعالى : ((انا نحن نزلنـــا الذكر وانا له لحافظون)) .

فانظر هل تجد أهل لغة من اللغات يحفظون من جيـــدها عن ظهر قلب بمقدار القرآن ، وبمقـــدار ما يحفظ المسلمون من اللغة العربية لأجله ؟

---

(١) انظر كتاب مقدمة لدراسة القرآن الكريم .

(٢) هذه مبالغـــة لا تخفى على القـــارىء فان الفصحى قد فســـدت بمخالطة الاعاجم حتى فى البـــادية ، وذلك بالطبع فى لغة التخـــاطب ، اللهم الا اذا أراد أنها يكتب بهـــا الآن على نحو ما كانت عليه حينئذ .

العربية [٢]

للدكتور محمد كامل الفقى

الاستاذ بكلية اللغة ـ جامعة الازهر

نقب فى البلاد وتوغل فى مجاهلها وانظر تجد القرآن محفوظا فى رءوس الجبال وبطون الاودية ، وسحيق الصحارى ، وبين الغابات ومضال الفلوات ، وكما تراه فى الاكواخ الحقيرة ، تبصره فى القصور المشيدة . وكما تجده فى لسان الصغير ، تجده فى لسان الشيخ الكبير .

لذلك عاشت بفضله اللغة العربية أيام الدول الاعجمية الاسلامية محفوظة ، بل تغلبت بما لها من السلطان على كثير من الاعاجم ، وحلت من ألسنتهم محل لغاتهم الأولى ، وأصبح كثير من سلاطينهم معدودا فى مصاف الشعراء والادباء » .

وكان من تأثر العرب بأسلوب القرآن ، أن انطبعت في لغتهم العذوبة والسلاسة ، والفصاحة والجزالة ، فانه خالط قلوبا قاسية فألانها . وطباعا جاسية فهذبها ، وأحلاما طافية فأقرها ، وعاد ذلك على اللغة العربية عذوبة لفظ ، ورقة أسلوب ، وسماحة تركيب ، وقوة حجة ، ورزانة منطق ، ودقة أداء ، وغزارة معنى .

وقد نزل القرآن بلغة قريش وهى أفصح لهجات العرب وأسلمها . بل هى ذروتها وسنامها . وكانت قبل أن يهبط القرآن على فؤاد الكون ، لغة الأدب ، يتفياها الشعراء ويتغنى على قيثارتها الادباء والخطباء .

وكان مثوى قريش أرض الحجاز ، مفدى العرب ومراحهم ، وقبلة الحجيج والتجار ، يتوافد على قريش أعلام العرب وأشرافهم ، من كل حكيم أو شاعر أو خطيب أو ذى دعوة ، فتعمر النوادى ، وتصخب الاسواق ، وتهتز المنابر ، بروائع القول وآياته ، ويرسل المحكمون حكمتهم العليا التى تتهم وتنجد ، وترفع أو تضع ، ذلك في عكاظ ومجنة وذى المجاز ، وسارت المواسم الأدبية سنة متبعة بعد الاسلام ، وفى هذه الاسواق رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالدعوة المباركة ، وشق سمع الغافلين ، وتفتحت له قلوب الأبرار ، وكان حريصا كل الحرص على أن يغشى هذه المواسم ليتخرج فى مدرستها أجناد الاسلام وحماته (١) .

وكان لهذا أثره المبين فى تقريب ما تباعد من هذه اللهجات ، وقد وقفت قريش موقف المنتخل الذى يصطفى ما استعذب من هذه اللهجات وطاب . حتى انتهت الى ألطف اللهجات . وأجود الأساليب ، وصارت لغتها قمة العربية وخلاصتها .

ولعل اقبال العرب على القرشية كان بمثابة ارهاص لنزول الكتاب الحميد بها . وليس من شك فى أن حمل القرآن للوائها آية على فضلها ، وحجة على ارتفاع شأنها . وربما كان ذلك السر في قوله تعالى : « لقد

---

(١) راجع كتب السيرة والأدب ، وبخاصة كتاب أسواق العرب لسعيد الأفغانى .

أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » ، وفى قوله تعالى : « وانه لذكر لك ولقومك» فى طرف من منازع التأويل. ولا يعز على الذكى اللبيب أن يستجلى فى ذلك الحكمة ؟ فقد هيأ الله لقريش من قبل أن تتنزل آيات القرآن بلغتها ، مقام القدوة بين العرب ، فكان لها من بينهم ما أفردها بعلو الكلمة ، وسمة الزعامة ، وسعة الجاه ، ووفرة السلطان ، وتمام النفوذ الروحى والاقتصادى بين العرب ، لما تواتى لهم من ثقافة وخبرة وحنكة ، والذى ورث من لغة الحميريين ليس كثير التميز عن لغة قريش ، سواء فى التصريف أم فى الاعراب أم فى الأسلوب .

بل ان أكثره ظاهر فى اختلاف بعض الالفاظ عن بعض فى الدلالة على المعانى المتحدة . فلفظ أنطى (١) فى لهجة الحميريين معناه أعطى عند قريش ، والكتع عند الاولين هو الذئب عند الآخرين ، والشناتر عند حمير هى الأصابع عند قريش ، وسامدون فى لغة حمير هى الغناء فى لهجة قريش ، الى غير ذلك مما تجد له نظيرا فى لهجات مضر ، كالسدفة فهى الظلمة عند تميم والضوء فى لغة قريش (٢) .

ولما كان الخلاف بين الحميرية والقرشية غير متشعب ، ذابت لغة الحميريين كسائر اللغات الاخرى فى لغة قريش التى صارت ذات غلبة وسيادة على سائر اللغات ، وبها نزل القرآن الكريم .

فاذا نزل القرآن بلغة قريش ولها ما لها من هذه المقومات ، كان ذلك ادعى الى أن تعنو له الجباه . .

لقد قيل — وصدقا ما قيل — : لو أن القرآن نزل بلغة غير لغة محمد ، ما استقامت الموازنة بين القرآن وبين كلام محمد ، ولا نفسح المجال للخوض فيه ، والطعن عليه ، ولوجد كل قبيل للقول فيه مذهبا ، فتنشق الكلمة ، ويتفرق الناس فيه جماعات ، ويتجهون فى الحكم له أو عليه اتجاهات مشرقة ومغربة .

ومع نزوله بلسان النبى ولهجة (٣) قومه ، ائتلفت لغته على وجه يستطيع به العرب جميعا أن يقرءوه بلحونهم مع بقائه فى فصاحته ، وحفاظه على مكانته ، وتلك سياسة لغوية جمعت العرب على منطق واحد ، ليكونوا امة واحدة ، وهذا أيضا من وجوه الاعجاز فيه .

جاء القرآن مخالفا لكلام العرب فى الطريقة والمذهب ، وفى المنزلة والصنعة ، وان جانس لغتهم فى المادة والتركيب . ولولا ذلك لذهب فى كلامهم . وكان سبيله سبيل القصائد والخطب والاقاصيص وغيرها. أو لتدافعته العصور والدول

(١) ورد مضارع هذا الفعل فى شعر أبى العلاء من سقط الزند اذ قال :

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا ... يظللهم ما ظل ينبته الخط

وقد سمعتها تنطق كذلك حتى الآن فى العراق . « الوعى »

(٢) راجع كتاب الاتقان جـ ١ ص ٢٢٨ .

(٣) هذا لم يمنع من أن يسأل رسول الله ربه التخفيف عن أمته — حين بدأ الاسلام ينتشر فى القبائل — وألا يجبر عربى مسلم له لهجة قبيلته الخاصة على تركها والنطق بما لم يألفه من لغة قريش وهذا هو ما نفهمه من حديثه « نزل القرآن على سبعة أحرف » برواياته المتعددة ، وقد عاد الامر أخيرا الى لغة قريش حيث كانت هى المرجع حين يحدث خلاف أثناء كتابته فى عهد الخلفاء بعد أن هضمت القبائل جميعها لغة قريش وعرفت منها ما لم تكن تعرفه . « الوعى »

ان لم يذهب ، وكان مثله حينئذ مثل ما يبقى من أمور الانسان .

ولكن أبى الله لآيته واعجازه أن يكون كذلك ، فأنزل القرآن حاويا لأهم أسباب الارتقاء من الغلبة والانفراد والتميز . فكان سببا فى جميع ما أحدث ، وكان نزوله بهذه الطريقة المعجزة سببا فى حفظ العربية واستخراج علومها .

وكان أصل ذلك هو التحدى بها ، الذى كان من حكمته أن ينظروا فى أساليب القرآن ووجه نظمه ليتدبروا طريقته ، ويجربوا عليها أنفسهم ، ويحملوها على الاتيان بما تحداهم اليه ان استطاعوا ، حتى اذا استيقنوا العجز من أنفسهم ، واجمعوا عليه مع توفر الدواعى وقيام الحاجة اليه ، ووجود المادة التى منها ائتلف ، كان ذلك سببا لمن يخلفهم على اللغة الى استبانة وجوه الاعجاز ، فكشف لهم ذلك عن فنون البلاغة ، وتأدت بهم الى حيث بلغوا من تتبع كلام العرب والكشف عن محاسنه .

ــ وقد كان ذلك ــ ولولا ماصنعوا لخرج الناس الى العجمة ، ولذهبت هذه الآداب ، ولما بقى فى الارض الى اليوم من يقول: ان القرآن معجز (١) .

ويتساءل الدكتور ستنجاس . فيقول : (ولنسائل أنفسنا ماذا كان مصير هذه اللغة العربية لو لم يكن محمد ، ولو لم يكن القرآن ؟) ويقول : (ونحن لاننكر أن اللغة العربية أنتجت قبل الاسلام ألوانا عديدة من الشعر هى غاية فى الحسن والرقة ، الا أنها كانت كلها محفوظة فى أذهان الناس وغير مكتوبة ، زد على ذلك أن الشعر ليس هو الأدب كله ، وكان العرب فيما بينهم منقسمين الى قبائل متفرقة ، مختلفين فيما بينهم ، وفى حروب طاحنة دائمة مما أثر على كيانهم ، وعلى ألسنتهم المختلفة ، وعلى شعرهم الذى هو أدبهم الخاص بهم ، وكان العرب بجملتهم على شفا حفرة من الدمار والخراب بسبب ما كانوا عليه من التنابذ والشقاق ، ولولا عناية من الله لحقتهم ، لذهبوا وذهب معهم لسانهم وشعرهم الملىء بالغزل والحرب ، ولكان للسائح المجازف مجال للبحث والمخاطرة فى سبيل جمع ما باد من هذا الكنز ، وزال بسبب شحنائهم وتقاتلهم .

ولما جاء القرآن أبقى بطبيعته على هذا التراث ، وأوجد من مختلف اللهجات العربية لغة موحدة مكتوبة هى لغة الأدب العربى الى اليوم) .

وكان من أثر ما انتفع به المسلمون من ثقافة القرآن والدين الجديد ، ومن أسلوب الاسلام ، الذى يتجاوب مع الادراك الصحيح للحياة ، ويرسم أنجح السبل للسعادتين فى الدنيا والآخرة . أن شفت اللغة العربية عن المعانى الدقيقة ، والفكر السديد ، والفهم الرشيد ، والعمق التام ، كما انفسح المجال للغة العربية أن تعبر عما جد من مشاهد ، وما استحدث من صور ، وما وفد من معان ، بهذه الفتوح الاسلامية ، التى وقف العرب بها على ما لم يكن مألوفا من قبل ، من حضارات الفرس والروم والهند واليونان والمصريين وغيرهم .

واتسع أفق هذه اللغة حين حملت رسالة الاسلام ، واعتمد عليها الدين القيم فى شرح أهدافه ، وتجلية أغراضه ، وتبيين أحكامه ، واستعملت اللغة فى حفظ الملك ، ونشر الأمن ، وبث المساواة والعدل ، ونشر ألوية الحق والخير ، كما انفسح صدرها للحجة والبرهان ،

---

(١) نص ما قاله الرافعى فى اعجاز القرآن .

فى قهر ذوى اللجاجة والنفور .

وكان هذا الحدث العظيم الذى لم تشهد البرية من قبل ولا من بعد حدثا بلغ ما بلغه من الأثر فى تحويل ركب الحياة ، رفدا عظيما أمد لغة العرب ، بخطب روائع ، وكلمات جوامع ، ووصايا حانية واعية ، يلقى بذلك الى الناس فى مجال النهضة المباركة رسول كريم ، ويدرج على سننه خلفاء راشدون ، ويسهم تباعا فى تأثيل هذا المجد كل من حمل عبء الدعوة ممن خالط الايمان قلبه ، يدعو الى دين الله ، ويدفع عن حوضه الخصوم والمكابرين .

والمقارنة بين حال اللغة قبل القرآن وحالها من بعده ، تفصح عن المدى البعيد الذى صارت اليه عقول كانت محدودة ، وأفكار عاشت فى الغواية حينا ، ثم استنارت بنور هذا الكتاب ، فاتسع لديها مجال القول ، واتكأت على دعائم ثابتات من الهدى واليقين .

على أن الباحث لا يغفل عما حملته اللغة العربية عن كتاب الله من عبر وقصص وتاريخ ، فان هذا الكتاب « حوى من أخبار الامم ما فيه معتبر للأجيال الحاضرة والمستقبلة ، نبه على الصحيح منها ، وغادر الاباطيل التى الحقتها الاوهام بها ، ونبه على وجود العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرأهم مما رماهم به أهل دينهم المعتقدون برسالتهم » (١) .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول عن الكتاب المنزل عليه (فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم) .

والقرآن الكريم صاحب الفضل فى أن حفظ لغة الضاد من أن تستعجم حين دخل الناس فى دين الله أفواجا . كما صانها بعد أن تقبلتها الشعوب ، وأقبلوا على تعلمها حيث اختلفت لهجاتهم بها قليلا أو كثيرا وفق استعدادهم ، وتباين أحوالهم . ولولا هذا الكتاب المبين لتقطعت الأسباب بين ألسنتهم ، ولانفصلت لغة كل شعب من هذه الشعوب عن اللغة الأخرى . وما كان غريبا أن يقع مثل ذلك — لولا القرآن — كما وقع بين الفرنسية والايطالية والأسبانية ، تلك اللغات التى هى فروع من اللاتينية .

واذا كان القرآن قد جمع العرب على هذه اللغة ، فانها — كذلك من أجل هذا القرآن — قد أشرقت بالفتح الاسلامى فى البلاد المفتوحة ، حتى أصبحت اللغة الرسمية لهذه الاقطار، لاسلام كثير من أهل هذه البلاد ، واندماجهم فى الفاتحين ، مما اضطرهم الى هجر لغاتهم الاصلية ليتفاهموا مع أوليائهم من العرب ، ويتفقهوا أحكام دينهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

وكان من فضل القرآن على اللغة تهذيبها من الحوشية ، والسير بها الى السهولة والمتانة ، ووضوح القصد وبلوغ الغرض من أوضح الطرق ، وأجود الأساليب ، فان المسلمين طالما رطبوا شفاههم بآياته فى صلاتهم وعباداتهم ، واستجلوا مظاهر الادب الرفيع المعجز فى عباراته وأمثاله ، واستعاراته ومجازاته وكناياته ، وتشبيهه وتمثيله . وكل ذلك حقق لهم ارهافا فى الذوق ، ونضجا فى الموهبة ، وسموا فى الحاسة الفنية ، كما خلق فيهم الميل الشديد الى محاكاة أساليبه واقتباس ألفاظه ..

---

(١) الامام الشيخ محمد عبده .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

ان الاستجابة لله وللرسول ، انما هى استجابة لدواعى الحياة ، فالرسول لا يدعو الناس الى الايمان بالله والعمل بشريعته ، تحكما فيهم ، ولا استعبادا لهم ، انما هو يدعوهم الى الحياة بكل معنى من معانى الحياة .

يدعوهم الى عقيــدة تحيى القلوب والعقول ، وتطلقها من اســـار الجهل والخرافة ، ومن ضغط الاوهام والاساطير ، ومن رق التقليد وجمود التقاليد .

يدعوهم الى شريعة تحيى الأفراد والجماعات ، وتهيىء للجميع حياة كريمة متكافلة عادلة ، يأمن فيها كل انسان على دمه وعرضه وماله ، ويطمئن فيهـــا الى عدالة التشريع والقضاء وكفالة المجتمع والدولة ، وسعادة الدنيا والآخرة .

ويدعوهم الى القوة والعزة ، والثقة بدينهم وبربهم ، ومكافحة الظلم والبغى والفساد على ثقة بالنصر من عند الله الذى يتولى الصالحين .

ويدعوهم الى الجهاد لاعلاء كلمة الله ، وقد يصيبهم الموت فى هذا الجهاد ولكن فى الاستشهاد حياة ، حياة عند الله للشهداء ، وحياة لأمتهم فى الأرض واستعلاء ، وهكذا دعاهم الى الموقعة التى أحيتهم وأعزتهم وأحيت الاســـلام وركزت رايته على الاجيال .

ان الاسلام دين حياة ، لا عقيدة انعزال ، دين ايجابى تنمو الحياة فى ظله وترتقى ، لأنه يسبق خطى البشرية دائما ، ويقودها فى مدارج التعمير والانشاء والتطور والارتقاء ، انه نظام كامل لحياة كاملة ، وليس مجرد عقيدة روحيـــة للتهذيب والارشاد . انه يأخذ من الحياة ويعطى ، ويدفع بالحيـــاة الى الأمام محكومة بنظامه الذى لم تعرف له البشرية نظيرا منذ كان الانسان .

والتعبير يجمل هذا كله ، ويجمل معانى أخرى كثيرة ، وصورا شتى للحياة المتجددة تكمن كلها فى كلمات قليلة « استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لمـــا يحييكم » فكل صورة من صور الحياة ، وكل معنى من معانيها المتجددة سواء كانت مستترة فى الضمير أو بادية للعيان ، كلهـــا تتراءى من خلال العبارة المجمـــلة وتنبض فى الوجدان .

كانت تباشير اليوم الجديد ، من العام الميلادى الجديد ، تتسرب الينا نورا حائرا من خلال الستائر الشافة . . قلت : الا نصلى الصبح ؟ قال الصديق : « الشاى » جاهز ، والماء الدافىء ميسور . .

اطفأت الانوار ، وسبحنا فى جو ليلى حالم ، وقرأنا فى الصلاة خاشعين . « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليــــه تحشرون . واتقوا فتنـــة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصـــة واعلموا أن الله شـــديد العقاب . واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون . . » وبين الدعاء والبكاء تذكرنا أجواء غزوة بدر التى نزلت هذه الآيات بمناسبتها .

قال طالب : كنا نريد أن نستجير عمار الى ليلة حمراء مغرقة فاستجرنا هو الى ليلة بيضاء مشرقة !! قال عمار فى فرح وتواضع : بل الله سبحانه ساق الينا الأساتذة الكرام ولله جنود السموات والأرض ، وما أدرى هل أنتم نادمون ؟

قال رفاقه الطلاب : حاشا لله . . شتان بين حياة باريس وحياة الاسلام ! علينا عهد الله . أن نمضى فى صراط سديد مع العـــام الجديد ، فادع الله لنـــا بالتوفيق . . قال : ادع لنا يا أستاذ .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنـــا وهب لنا من لدنك رحمـــة انك أنت الوهاب » . . اللهم يا مقلب القلوب والابصار ، ثبت قلوبنا على الايمان . .

لماذا الإيمان ؟

بقلم : اللواء الركن محمود شيت خطاب ــ بغداد

ــ ١ ــ

فى هذه الايام القاسية الصعبة ، التى تجتازها الامة العربية ، بعد الحرب بين العرب واسرائيل ، لا بد للعرب من أن يعودوا الى الله بقلوب طاهرة مخلصة تائبة منيبة ، ويلتجئوا اليه سبحانه وتعالى ، ليأخذ بأيديهم الى الطريق السوى ويهديهم سواء السبيل ، وينتشلهم من الهوة التى سقطوا فيها ، نتيجة لتقصيرهم فى حق الله وفى حق أنفسهم أيضا .

ومن المعلوم ، أن للحرب نتائج معينة على المعنويات : ترتفع معنويــات المنتصر وتشتد ، وتنهار معنويات المندحر وتتضعضع .

ولكن معنويات المؤمنين حقا ، هى التى تصمد فى الشدائد والملمات ، لأن المؤمن لا يقنط أبدا ولا يضعف ، وصدق الله العظيم : (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) ؟! (١) .

لقد وردت كلمة (قنط) ومشتقاتها فى ست آيات من آيات الذكر الحكيم ، كلها تحث على التفاؤل وتنهى عن القنوط ، وتصف الذين يقنطون من رحمة الله بصفات تخرجهم من حظيرة المؤمنين .

وما يقال عن القنوط ، يقال عن اليأس ، قال تعالى : (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (٢) .

انه لا قنوط ولا يأس مع الايمان ، وهذا وحده كفيل برفع المعنويات .

ــ ٢ ــ

والعدو فى الحرب ، يستهدف تحطيم جيش عدوه ماديا ومعنويا .

وهذا التحطيم ، هو الهدف الحيوى للعدو من الحرب . (٣)

ان الأرض التى يحتلها العدو بما فيها من قرى وقصبات ومدن ، لا تؤدى الى النصر الحاسم ، ما لم تتحطم قوى الجيش المادية والمعنوية بالدرجة الأولى ، وقوى الشعب المادية والمعنوية بالدرجة الثانية .

---

(١) الآية الكريمة من سورة الحجر (١٥ : ٥٦) .

(٢) الآية الكريمة من سورة يوسف (١٤ : ٨٧) .

(٣) فى الكتب العسكرية المعتمدة ، ان هدف الحرب الخطير : هو تحطيم جيش العدو ماديا ومعنويا ، لاجباره على الاستسلام دون قيد أو شرط . وليس هدف الحرب الاستيلاء على الارض أو المدن أو الاموال ، لأن كل ذلك لا يؤدى الى النصر الحاسم اذا بقى جيش العدو سليما من الناحيتين المادية والمعنوية .

فاذا استطاع العدو فى الميدان ، ان يحتل بلاد عدوه ، وان يحطم جيشه ماديا ، ولكنه لم يستطع أن يحطم معنويات ذلك الجيش ، فان هذا العدو يكون قد انتصر فى (معركة) ولم ينتصر فى (حرب) .

والانتصار فى (معركة) يكون انتصارا (تعبويا) أى أنه يكون انتصارا (محليا) فى ظروف معينة وفى زمان معين ، ولكن قد تدور الدوائر عليه ، لأن الحرب سجال ، فيصبح الغالب مغلوبا .

أما الانتصار فى (حرب) فهو انتصار سوقى (استراتيجى) أى انه يكون انتصارا (مصيريا) ويتم بعده الاستسلام .

لذلك يحاول العدو أن يركز على تحطيم المعنويات ، ويشن حربا نفسية على خصمه ، فاذا استطاع أن يشيع القنوط واليأس فى النفوس ، فقد تكامل نصره وأصبح نصرا مستداما .

والا فان نصره يبقى نصرا مؤقتا يزول مع الايام .

- ٣ -

ولعل شواهد تاريخ الحرب تظهر هذه الحقيقة بجلاء ووضوح .

فى أوائل القرن التاسع عشر انتصر الفرنسيون بقيادة نابليون بونبارت على الروس فى معارك كثيرة .

ولكن نتيجة الحرب ، كانت للروس على الفرنسيين ، لأن الفرنسيين لم يستطيعوا تحطيم معنويات الروس ، فكان النصر بجانب المعنويات الصامدة .

وفى الحرب العالمية الاولى ، انتصر الالمان فى معارك كثيرة ، ولكنهم اندحروا فى الاخير ، لأنهم لم يستطيعوا تحطيم معنويات أعدائهم .

وفى الحرب العالمية الثانية اكتسح الالمان جيكوسلوفاكيا فى ربيع عام ١٩٣٩ ، واكتسحوا بولندا فى خريف ذلك العام .

واكتسح الالمان فرنسا بحرب الصاعقة عام ١٩٤٠ ، كما اكتسحوا هولندا وبلجيكا واصبحت بريطانيا مهددة بالغزو الالمانى .

وفى عام ١٩٤١ اكتسحت المانيا الاتحاد السوفيتى حتى هددت موسكو وستالين غراد وانحدرت جنوبا باتجاه سواستبول وشبه جزيرة القرم .

وفى شمال افريقية اندفع رومل الى حدود مصر ، واستعد موسولينى لدخول القاهرة على جصانه الابيض عام ١٩٤٢ .

بل امتدت الانتصارات الالمانية الى شمال أوروبا ، فشملت النرويج أيضا .

وبدا للعالم ، أن كل شىء يسير فى الحرب لمصلحة المانيا ، وأن النصر أصبح منها قاب قوسين أو أدنى .

ولكن الحرب انتهت فى شمال افريقية باندحار المحور ، وانحازت ايطاليا الى الحلفاء فى تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٩٤٣ . وبدا غزو الحلفاء لشبه جزيرة نورماندى فى فرنسا ليلة ٥/٦ حزيران عام ١٩٤٤ .

واجتاح الروس الجبهة الشرقية الالمانية فى أول كانون الثانى (يناير) عام ١٩٤٥ .

واجتاح الحلفاء الجبهة الغربية الالمانية فوصلوا الى نهر الراين فى شباط (فبراير) عام ١٩٤٥ .

وفى ٩ مارس عام ١٩٤٥ ، استسلمت ألمانيا للحلفاء .

كانت انتصارات ألمانيا على الحلفاء في الصفحة الاولى من صفحات الحرب العالمية الثانية انتصارات (تعبوية) ، لها تأثير وقتى على الدعاية وعلى السمعة و (الهيبة) ولا شىء غير ذلك .

وكانت انتصارات الحلفاء ، فى (العلمين) وفى (نورماندى) وفى الجبهة

الشرقية ، انتصارات سوقية (استراتيجية) ، لها تأثير على نتائج الحرب ، لذلك خسرت ألمانيا الحرب فى النهاية .

والمهم فى الامر ، أن ألمانيا استطاعت احتلال كثير من بلاد أعدائها . واستطاعت تحطيم القوى المادية لجيوشهم ، ولكنها لم تستطع تحطيم معنويات أعدائها ، لذلك انتصروا عليها فى نهاية الحرب .

ولو أن ألمانيا استطاعت تحطيم أعدائها معنويا ، كما استطاعت أن تحطمهم (ماديا) ، لانهار أعداء ألمانيا ، ولاستسلموا بدون قيد أو شرط للألمان ، ولكان النصر حليف ألمانيا فى الحرب .

— ٤ —

واذا أردنا أن نذكر لمحات من تاريخ العرب والمسلمين تبرهن على أن النصر فى النهاية للمعنويات العالية ، لضاق بنا المجال .

دخل هولاكو والتتار بغداد ، فأين هم اليوم ؟

واحتل الصليبيون كثيرا من سورية ولبنان وفلسطين ، فماذا كان مصيرهم؟

واحتل الانكليز مصر والعراق ، فماذا كانت النتيجة ؟

واحتل الايطاليون ليبيا والفرنسيون تونس والجزائر والمغرب . فأين هم اليوم ؟

فى طريق عودتى الى الوطن عام ١٩٥٥ ، تعرفت فى باريس الى جماعة من الجزائريين . وفى يوم من الايام افتقدت أحدهم ، فسألت أصحابه عنه ، فقالوا : (خرج الى الندىّ مع كافر) . .

كان أولئك النفر من الجزائريين فقراء معدمين ، وكانوا يرزحون تحت نير الاستعمار الفرنسى الغاشم ، وكانوا يعيشون أجراء لذلك المستعمر ، غرباء عن بلادهم ، بعيدين عن عوامل القوة المستمدة من السيادة أو الاهل أو الاصحاب أو الثراء ، ولكنهم كانوا مؤمنين بتفوقهم عربا مسلمين ، معتزين بخصائص دينهم وأمتهم ، فكان هذا الاعتزاز ، مصدرا لكل قوتهم فى هذه الحياة .

كانوا فقراء ماديا ، ولكنهم كانوا أغنياء معنويا . .

كانت فرنسا تدعى حينذاك ، أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا ، وأن الشعب الجزائرى جزء لا يتجزأ من الشعب الفرنسى ، وكان الجزائريون وهم يعيشون فى فرنسا يقولون : ان الجزائر جزء لا يتجزأ من مكة المكرمة والقاهرة ودمشق وبغداد ، وأن الشعب الجزائرى جزء لا يتجزأ من الشعب العربى المسلم : أشقاء العرب من الخليج الى المحيط ، وأخوة المسلمين من المحيط الى المحيط .

وما كان يردده الجزائريون علنا ، كان يردده اخوان لنا فى اللغة والدين من أهل ليبيا وتونس والمغرب ، وكان يردده معهم كل العرب فى بلاد العرب وكل المسلمين فى دار الاسلام .

كان الايمان وحده مع شعب المغرب العربى ، وكانت الاساطيل والجيوش والقوة القاهرة مع الاستعمار ، فانتصر الايمان على القوة ، وانتصر الحق على الباطل ، **وأصبح المغرب العربى حرا مستقلا ، وباء المستعمرون بالخزى والعار .**

— ٥ —

ان النصر فى النهاية ، للمعنويات العالية .

لذلك يحاول العدو بعد انتصاره على القوى المادية لخصمه ، أن يشن حربا نفسية لا هوادة فيها ، ليربح معركة المعنويات لأنه يعلم أن المعنويات اذا بقيت سليمة ، فان نصره يبقى ناقصا ، والعاقبة للصابرين .

فما هى وسائل الحرب النفسية لتحطيم المعنويات ؟

من وسائلها ، اشاعة اليأس والقنوط فى النفوس لكى يجعلها ترضخ وتستسلم للأمر الواقع .

وقد مر بنا ، أن المؤمن لا ييأس ، وأنه لا يقنط ، وأن الاسلام يحارب اليأس والقنوط بشدة وعنف لا نظير لهما فى الاديان السماوية الاخرى .

ومن وسائلها التخويف من الموت قصفا بالقنابل من الجو أو قتلا بالاسلحة الارضية الفتاكة .

ومن مبادىء الاسلام ، غرس الايمان بالقضاء والقدر ، وأن الانسان لايموت الا بأجله الموعود .

قال تعالى : « ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها » (١) ، وقال تعالى : « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (٢) .

ومن وسائلها ، التخويف من الفقر والعوز والحاجة .

ومن مبادىء الاسلام ، أن الله هو الرزاق ، وأنه يرزق الناس جميعا ، وأن الغنى والفقر من الله سبحانه وتعالى ، وأنه لا ينسى النملة المنفردة فى الصخرة المنفردة فى البحر المحيط ، اذ يرسل لها رزقها رغدا ويرزقها من حيث لا تحتسب .

قال تعالى : « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » (٣) ، وقال تعالى : « الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » (٤) ، وقال : « ونرزق من نشاء بغير حساب » (٥) ، وقال : « لا نسألك رزقا نحن نرزقك » (٦) ، وقال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم » (٧) ، وقال : « والله يرزق من يشاء بغير حساب » (٨) ، وقال : « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » (٩) وقال تعالى : « وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم » (١٠) .

لقد وردت كلمة (رزق) ومشتقاتها فى ثلاث وعشرين ومائة آية من آيات الذكر الحكيم ، كلها تنص بما لا يدع مجالا للشك ، بأن الرزق هو من عند الله .

ومن وسائلها ، بث الشكوك والاوهام فى امكان احراز النصر بعد الاندحار .

ومن مبادىء الاسلام ، أن الايام دول بين الناس ، وأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك ، وأن النصر من عند الله .

قال تعالى : « وتلك الايام نداولها بين الناس » (١١) ، وقال تعالى : « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » (١٢) .

ومن وسائلها : اشاعة الحزن والأسى على ما فات ، للقعود عن الاستعداد واكمال أسباب النصر .

ومن مبادىء الاسلام ، العمل الدائب وعدم الحزن على ما مضى وفات .

(البقيــة ص ٣٩)

---

(١) الآية الكريمة من سورة المنافقين .

(٢) الآية الكريمة من سورة الاعراف (٧ : ٣٤) .

(٣) الآية الكريمة من سورة الذاريات (٥١ : ٥٨) .

(٤) الآية الكريمة من سورة الروم (٣٠ : ٤٠) .

(٥) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ٢٧) .

(٦) الآية الكريمة من سورة طه (٢٠ : ١٣٢) .

(٧) الآية الكريمة من سورة الاسراء (١٧ : ٣١) .

(٨) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢١٢) .

(٩) الآية الكريمة من سورة الشورى (٤٢ : ١٩) .

(١٠) الآية الكريمة من سورة العنكبوت (٢٩ : ٦٠) .

(١١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠) .

(١٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٢٦) .

الحضارة الإسلامية في العالم

في يوغسلافيا

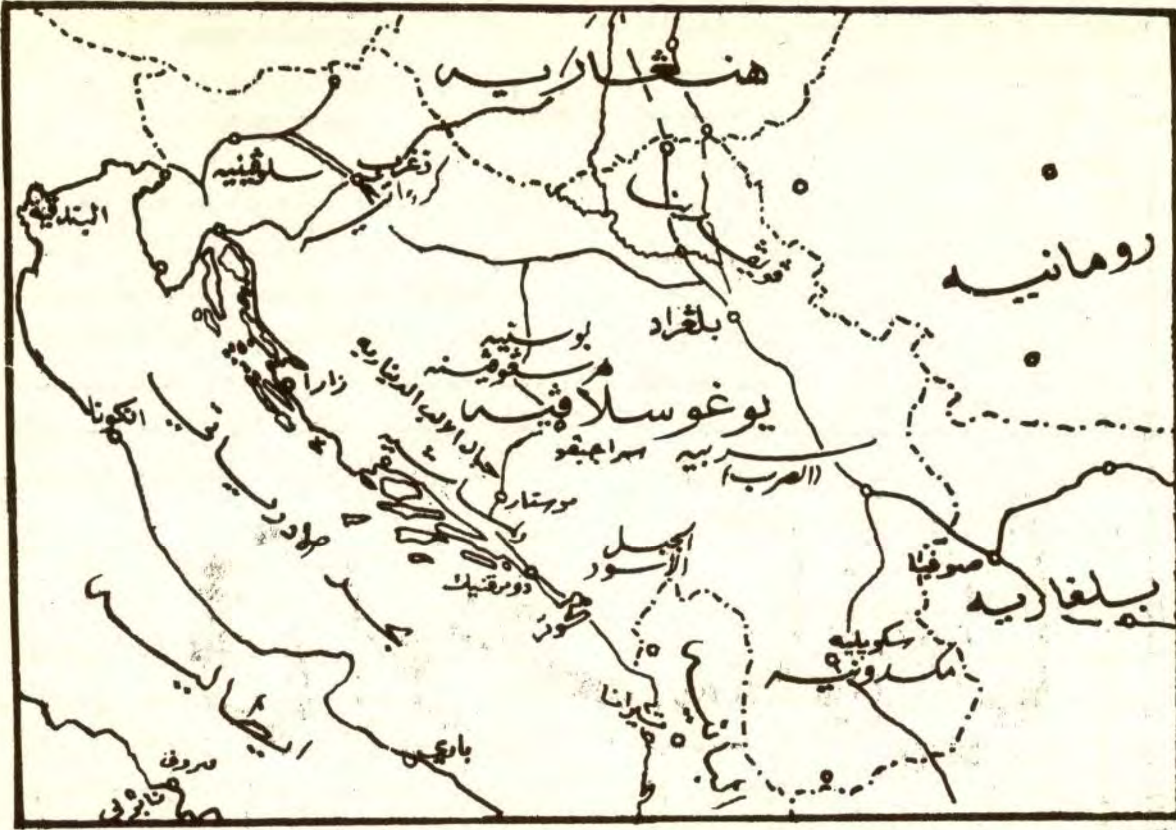
للدكتور / كامل البوهى
مراقب الشئون الدينية باذاعة القاهرة

أولا — فى يوغسلافيا :

ان اسم يوغسلافيا كما نعرفه الآن اسم جديد لم يعرف قبل الحرب العالمية الاولى فقد كانت الشعوب التى تسمى الآن بالشعوب اليوغسلافية تعيش على شكل قبائل متفرقة منذ وفدت مهاجرة من الشمال الى شبه جزيرة البلقان فى القرن السابع الميلادى . وقد عاشت هذه القبائل فى ظل الدولة البيزنطية ، وأخذت تتصل بالعرب الفاتحين بحكم اتصال تلك الدولة بهم ، وكثيرا ماكانت تتحالف مع العرب الذين يحملون دعوة الحرية للبشر ضد البيزنطيين الذين يفرضون العبودية على الناس، ويتحكمون فى مصير تلك القبائل . .

وقد ورد ذكر هذه القبائل كثيرا فى المراجع التاريخية العربية التى أطلقت عليهم اسم الصقالبة ، فيذكرهم « مروج الذهب » ، ويصفهم بالشجاعة والنجدة .

وصاحب « نفح الطيب » يذكر أن جماعة كبيرة منهم كانت فى خدمة الخلفاء ، وكان الخلفاء يثقون فيهم كل الثقة ، ويذكر منهم جعفر بن محمد المصحفى الصقالبى ، كما يذكر المقريزى فى « الخطط » أن الفاطميين أيضا قد استعانوا بهم ، ويرجح كثير من المؤرخين أن جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى ، وبانى القاهرة والازهر الشريف من هؤلاء الصقالبة .



ويذكر المسعودى فى تاريخه أن أم المستعين بالله العباسى كانت صقلبية ويسميها مخارق .

وقد استمر الاتصال بين العرب والصقالبة على مر القرون بعد أن استقر الصقالبة فى شبه جزيرة البلقان ، وكونوا هناك عدة ممالك منها مملكة الصرب والكروات وغيرها ، وبعد أن توحدت بعض هذه الممالك باسم مملكة يوغسلافيا سنة ١٩٢٩ ، اتحدت جميعها بعد الحرب العالمية الثانية باسم جمهورية يوغسلافيا سنة ١٩٤٥ ..

والمسلمون الذين لم يفتحوا القسطنطينية فى عصر الفتوحات الاسلامية الاولى . ليدخلوا الى أوروبا من بابها الشرقى ، دخلوها من بابها الغربى فى الاندلس ، وأسسوا هناك حضارة ما زال التاريخ يتحدث عنها وعن أثرها فى الحضارة الاوروبية الحديثة .

أما فى البلقان فقد كانت أنوار الاسلام تنتشر عن طريق التجار وعن طريق انبهار الناس بهذه المبادىء الاسلامية الرفيعة قبل أن يدخلها المسلمون ويفتحوا الباب الشرقى لأوروبا فى القرن الثامن الهجرى ، ولم ينته القرن التاسع (الخامس عشر الميلادى) حتى كان الاسلام قد انتشر فى بلغاريا والبوسنة والهرسك والصرب والبانيا وغيرها ، ثم عبر نهر الطونة ودخل المجر ، وامتدت أضواؤه حتى غزت أبواب فيينا ..

وقد وصف الرحالة الشهير «أوليا جيلبى» (١) المسلمين فى البلقان فى عصره ، فذكر عند وصفه لمدينة «بلغراد» أنه كان بها ٢١٧ مسجدا ، وثمانية مدارس ، وتسعة دور للحديث ، و٢٧٠ مكتبا لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم ..

هذا والاوقاف العديدة التى لاتزال حتى الآن فى أنحاء البلاد اليوغسلافية تتحدث عن الحضارة الاسلامية فى القرون الستة الاخيرة ، منذ أوائل القرن الخامس عشر حتى اليوم ، ففى مدينة«سكوباية»(٢) عاصمة جمهورية مقدونيا اليوغسلافية — كثير من المساجد والمدارس والمكتبات يرجع عهدها الى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى ، وفى مدينة « بيتولى » — من مدن مقدونيا أيضا — وقفيات عديدة يرجع تاريخ بعضها الى القرن الخامس عشر وبعضها الآخر الى القرن السادس عشر .

أما فى مدينة سراييفو التى كانت تسمى فى العصر العثمانى « سراى بوسنة » ، وفى مدينة « موستار » عاصمة منطقة الهرسك ، وفى غيرهما من المدن العديدة ، فى البوسنة والهرسك مثل مدينة توزله ، وبانيالوكا ، وترافنيك ، فان الطابع العام فيها طابع اسلامى خالص ، المآذن تطالعك عند اشرافك على المدينة من بعيد . « والسلام عليكم » تملأ أذنيك وقلبك عند دخولك أية مدينة من تلك المدن . واسماء مصطفى — وعمر — وحسين — وفاطمة — وأمينة — ولمياء .. تتردد فى كل بيت ومدرسة . والكلمات العربية تشكل نسبة كبيرة من اللغة اليوغسلافية ، وشهر رمضان له طابع خاص فى حياة الناس ، والاحتفالات بليلة القدر وعيد الفطر والاضحى . والمناسبات الاسلامية تملأ القلوب بالفرحة والجلال ..

وقد برز من اليوغسلاف (٣) خلال القرون الستة الأخيرة عدد كبير من علماء الاسلام كانوا يشغلون مناصب القضاء والافتاء والتدريس فى عدد من العواصم الاسلامية ومن أشهر هؤلاء العلماء .

محمد بن موسى البوسنوى الشهير بعلامك قاضى القضاة فى حلب . وقد خلف أكثر من عشرة كتب ما زالت كلها مخطوطة متفرقة فى مكتبات العالم الاسلامى . فى دار الكتب المصرية ، وفى مكتبة الغازى خسرو بك فى سراييفو .. وفى مكتبة جامعة بلغراد وغيرها . وأكثر هذه المؤلفات فى التفسير والبلاغة العربية والنحو العربى والمنطق ، وقد ترجم له المحبى (محمد أمين) فى كتابه « نفحة الريحانه ورشحة طلاء الحانة » وذكر بروكلمان كثيرا من مؤلفاته العربية ، كما ذكرها أيضا حاجى خليفة فى كشف الظنون ، وقد عاش علامك فى

---

(١) أولياجلبى رحالة تركى عاش فى أواسط القرن الحادى عشر الهجرى وأشهر مؤلفاته كتاب بعنوان « سياختنامه » .

(٢) لقد دمر الزلزال العنيف كثيرا من عمران هذه المدينة العريقة منذ أكثر من ثلاث سنوات فى يوليو سنة ١٩٦٣ فراح ضحيته فضلا عن الاف الارواح مئات المخطوطات العربية التى كانت محفوظة فى مكتبات المدينة التى هدمت وفى دار محفوظاتها ..

(٣) معنى هذه الكلمة باللغة اليوغسلانية (سقالبة الجنوب) نهى مركبة من مقطعين : « يوجو » ومعناها جنوب ، و « سلاف » وهم الذين يسميهم المؤرخون العرب بالسقالبة .

نهـاية القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر الهجرى . .

ومنهم حسين باشا البلغرادى الذى كان بمدرسة السلطان سـليم الأول بالقسطنطينية ، ثم تركها وعزم على الاقامة بالقاهرة وأنشأ بيتا متسعـا مطلا على بركة الفيل جعـله ناديا يستقبل فيه الواردين عليه لينهـلوا من فيض علمه ، وقد ترجم له صاحب « خلاصـة الاثر فى أعيـان القرن الحادى عشر » كما ترجم له المحبى فى نفحة الريحانه ، واثبت له قصيدة رائعة منها قوله .

تجود بافنان الذنوب جوارحى
وطرفى باقطار النـدامة باخل

وقد توفى حسين باشا بالقاهرة فى رجب سنة ١٠٢٣ هـ .

ومنهم عبد الله البوسنوى الذى الف أحسن شرح حتى الآن لفصوص الحـكم (١) حتى لقب بشـارح الفصـوص ، والذى الف أكثـر من ستين مؤلفا ، بين مجلد ضخم فى التصوف ، ورسـالة صغيرة فى التفسير الصـوفى للقرآن الكريم . وقد قضى عبد الله البوسنوى شطرا طويلا من حياته بين القاهرة ودمشق ومكة ، وقد شرح فصوص الحـكم باللغة التركية ، أولا ، واشتهر الشرح فى بلاد العرب ، فطلبوا منـه أن يشرحه لهم بلسـانهم على ذوق الشوق ، ومن هذا الشرح العـربى نسخة جميلة فى دار الكتب المصرية . اما الشرح التركى فمطبوع ، وللمؤلف شرح على تائية ابن الفارض سـماه « قـرة عين الشـهود ومـرآة عرائس معانى الغيب والوجود» ومنه نسخة خطية فى المكتبة الظـاهرية بدمشـق . وقد توفى عبد الله البوسنوى سنة ١٠٥٤ هـ

أما أشهر هؤلاء العلماء اليوغسلاف على الاطلاق فهو العـالم الشـاعر المصلح الثائر حسن كافى الاقحصارى (٩٥١ـ١٠٢٥هـ) (٢) وقد ترجم لنفسه فى نهاية كتابه (نظام العلماء الى خاتم الانبيـاء) وتولى القضـاء والتـدريس فى اقحصـار ، ثم القضاء فى الاناضول ، وطوف بالبلاد الاسلامية ، يلقى علماءها ، ويناقش فقهاءها فى القدس والشام ، وفى مكة والمدينة . ومؤلفاته الباقية حتى اليوم تزيد عن عشرين مؤلفا . . فى الفقه والاصول ، والعقائد والوعظ . والبيان والبديع ، والنحو والصرف . والسياسـة والاجتماع ، والتاريخ والمنطق ، وقد طبع من بين هـذه المؤلفات جميعا كتاب واحد هو (اصول الحكم فى نظام العالم) ـ وهو كتاب رائع يضع فيه مؤلفه نظاما بديعـا للحـكم ، وينقد فى صراحة وجراة عيوب الحكم العثمانى ، وما انتشر منذ أيامه من ظلم ورشوة وفساد . ويتنبأ بما سيحل بالعالم الاسلامى من تخلف ، بسبب انصرافه عن أسباب القوة ، وبعده عن جادة الطريق . بل عن تعاليم الاسلام وروح الاسلام . وقد ترجم الـكتاب من العربية الى أكثر اللغات الحية فى عصره ، ترجم الى التركية أولا ، ثم الى الفرنسية . والمجرية والالمانية والانجليزية . .

ويلاحظ أن هؤلاء العلمـاء الذين ذكرناهم جميعا كانوا من جيل واحد من اواخر القـرن العـاشر وأوائل القرن الحادى عشر الهجرى ، ثم خلف من بعدهم خلف لم يزل يناضل

---

(١) فصوص الحكم لمحيى الدين بن عربى .

(٢) نجد نبذة عنه وعن مدينة اقحصار بالبوسنة مسقط رأسه فى « المنجد » طبعة بيروت .

في سبيل الحضارة الاسلامية . وينشر الثقافة الاسلامية .

ومن أشهر هؤلاء مفتي الهرسك مصطفى يوسف الموستاري (١٠٦١ - ١١١٩ هـ) وقد عين أستاذا للعلوم العربية والدراسات الاسلامية بالقسطنطينية ، وهو لا يزال في شرخ الشباب ، ثم توفى استاذه السابق مفتي الهرسك . فأصر الهرسكيون على اسناد المنصب الى نابغة اقليمهم مصطفى يوسف الموستاري ، فعاد الى موستار ، وعاش بها خمسة عشر عاما ، ينشر العلم والثقافة العربيـة ، وقد عثرنا على سبعة وعشرين مخطوطا من مؤلفاته ، في العقائد واصول الفقه ، والبلاغة والنحو ، والمنطق والوضع ، ولكن أكثر مؤلفاته كانت في أدب البحث والمناظرة ، ولا يزال ضريحه يزار حتى الآن ، ولا يزال العلماء اليوغسلاف يكتبون عنه ، ويترجمون له ، ولاتزال الاساطير الشعبية تروى عن كراماته، حتى أن الكثيرين يعتقدون أن الطفل الغبي اذا زار ضريحه أربعين يوما بعد صلاة الصبح يصير ذكيا ويزول غباؤه ..

ومن الجيل الذى يليه نستطيع أن نذكر عبد الوهاب بن حسن البوسنوى وقد ذكره الجبرتي في تاريخه فيمن توفى سنة خمس ومائتين وألف فقال:

ومات العمدة الفاضل الواعظ عبد الوهاب بن الحسن البوسنوى السرائي (١) المعروف ببشناق (٢) أفندي ، وقد عاش أكثر من خمسة وثلاثين عاما متنقلا بين القاهرة ومكة والمدينة ، يلهب حماس الجماهير بوعظه الثائر ، ويتنكر في أزياء مختلفة ليهرب من بطش الحكام آنذاك ، وكم طارده حكام عصره بسبب تشنيعه على ظلمهم ، ولم نجد له الا مؤلفا واحدا في مناسك الحج وحتى هذا المؤلف الواحد ينسبه بعض الباحثين الى بوسنوى آخر يحمل نفس الاسم « عبد الوهاب بن حسن البوسنوى » وعاش في نفس الفترة .

أما الجيل الذى يليه فقد ظهر منه في العالم الاسلامي عدد كبير من العلماء اليوغسلاف نذكر منهم على فهمي جابيتش (٣) ضحية الظلم العثماني ، والمؤامرات السلطانية ، الذى ترك منصب الافتاء في موستار، وهاجر الى استانبول في سبيل دعوته لاستقلال التعليم الديني الاسلامي عن سلطة الدولة المجرية النمسوية ، التى تنازل لها الباب العالي عن البوسنة والهرسك ، ثم نجده أستاذا للآداب العربية في كلية الآداب باستامبول ، ولكنه يكتب مقالا في احدى الصحف ، فيطرد من منصبه ، ثم تنتهي حياته بطريقة غامضة ، وتضيع مكتبته الخاصة ، وتختفي مؤلفاته المخطوطة ، ولكننا مع ذلك نعثر له على كتابين مطبوعين أحدهما بعنوان « حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة » وهو اول كتاب في الادب العربي كله يجمع أشعار الصحابة -عليهم الرضوان- من أكثر من مائة مصدر ، ويترجم لهم ترجمة طويلة طريفة ، وقد زاد عدد الصحابة الذين ترجم لهم وجمع

---

(١) السرائي نسبة الى مدينة سراى وهو الاسم القديم لمدينة سراييفو الحالية .

(٢) النسبة التركية الى بوسنة ، بوشنياق ، وقد حرفت قليلا فأصبحت بوشناق .

(٣) يسميه اليوغسلاف « جابيتش » ويسميه الاتراك « جابى زادة » ومعناها بالعربية « ابن الجابى » .

أشعارهم في الجزء الاول وحده (١) أكثر من مائة صحابى .. وقد انتهى من تأليف هذا الكتاب سنة ١٣٢٧ هـ.

والكتاب المطبوع الثانى بعنوان « طلبة الطالب فى شرح لامية أبى طالب » وهو شرح ممتاز لقصيدة طويلة قالها أبو طالب بن عبد المطلب بعدما دخل الشعب عند مقاطعة قريش لبنى هاشم والمطلب .

ونختم هذه الباقة من العلماء الافاضل الذين نشأوا فى يوغسلافيا وأسهموا فى الثقافة الاسلامية على مستوى العلم الاسلامى بعالم فاضل كان أول يوغسلافى يكتب فى علم الحديث ، وأول يوغسلافى يحاول كتابة دائرة معارف اسلامية وهو « محمد الخنانجى البوسنوى » من علماء الازهر الشريف ، فقد وفد الى مصر فى ربيع الاول سنة ١٣٤٥ هـ وبقى بها خمس سنوات ، وهو يذكر لنا فى كتابه « الحاوى » عددا من اساتذته فى الازهر ، منهم الشيخ على محفوظ ، والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ سيد المرصفى وغيرهم ..

وبالرغم من أن الموت قد عاجله فى زهرة الشباب (٢) — أو كما يشاع بين البوسنويين أن المستعمرين قد دسوا له السم — فقد ترك أكثر من خمسة وعشرين كتابا مطبوعا باللغة اليوغسلافية وكلها عن العلوم العربية والدراسات الاسلامية ، ومنها ما أعيد طبعه مرات .

أما باللغة العربية فلم يطبع له غير بحثين احدهما « الجوهر الاسنى فى تراجم علماء وشعراء بوسنه » والثانى لم يجمع بعد فى كتاب ، ولكنه مطبوع على شكل ابحاث مسلسلة فى مجلة «جلاسنيك» (٣) فى الاعداد من الاول حتى الرابع من سنة ١٩٣٤ وهى أبحاث فى علم الحديث ، ونقد كتب الحديث وبيان صحيحه من زائفه ..

وقد عثرت له على اثنى عشر مخطوطا باللغة العربية من اهمها :

١ — مجمع البحار فى تاريخ العلوم والاسفار (مخطوط رقم ٩٥ بمكتبة الغازى خسروبك) (٤) .

٢ — تذييل كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون (مخطوط رقم ٩٦ بمكتبة الغازى خسروبك) .

٣ — كتاب عن مصر وتاريخها .. (مخطوط رقم ٢/٦٦٢ بمكتبة الغازى خسروبك) .

أما العلماء اليوغسلاف من جيلنا هذا فيكتبون عن الاسلام والحضارة الاسلامية بشتى اللغات ، فمنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية ، واللغات الاوروبية الاخرى ولكنهم لا يكتبون باللغة العربية من أمثال : الدكتور فهيم بيرقد اروفيتش — والدكتور حازم شعبا نوفيتش .. والدكتور محمد بيجوفيتش ومنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية واللغات الاوروبية ، كما يكتب باللغة العربية من مثل : الدكتور حسن قلشى — وله مؤلفات عديدة عن الاسلام والحضارة الاسلامية باللغات العربية والتركية

---

(١) وهو الجزء المطبوع .

(٢) توفى أثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره .

(٣) مجلة الطائفة الاسلامية فى يوغسلافيا .

(٤) أكبر مكتبة للكتب الشرقية فى يوغسلافيا .. ومن أكبر مكتبات أوربا على الاطلاق ..

والالبانية واليوغسلافية والالمانية — كما يشترك معى فى وضع أول قاموس يوغسلافى عربى ..

ومنهم من يكتب باللغة اليوغسلافية واللغة العربية واللغات الشرقية من مثل :

قاسم دبريشته ، وبسيم قرقط ، وعمر موشيتش ، وتوفيق مفتيتش ، وحسين جوزو ، وعبد الرحمن هوكيتش وغيرهم .. ولكل هؤلاء العلماء مجهودات مشكورة فى الترجمة كذلك ..

ولعلنا فى هذه النبذة المختصرة نكون قد وفقنا فى رسم صورة عامة للحضارة الاسلامية فى يوغسلافيا ، كما نرجو أن نوفق فى العمل على توثيق العلاقات الثقافية بيننا وبين هؤلاء العلماء ، وأن يعمل المسئولون عن الاجهزة الثقافية فى كل من يوغسلافيا والبلاد العربية على دراسة المخطوطات العربية فى يوغسلافيا ، وهى تزيد عن خمسة عشر ألف مخطوط ، وعلى تبادل الكتب والمجلات ، بل وعلى اسهام الاقلام العربية فى المجلات اليوغسلافية ، والاقلام اليوغسلافية فى المجلات العربية ، لا سيما وأن فى يوغسلافيا ثلاث مجلات دورية تهتم بالدراسات العربية والبحوث الاسلامية وهى :

١ — مجلة ((جلاسنيك)) مجلة اسلامية شهرية تصدرها رئاسة العلماء فى يوغسلافيا .

٢ — مجلة ((بريلوزى)) وهى مجلة سنوية كبيرة تصدر على المستوى العالمى .. باللغة اليوغسلافية ، ولكل بحث ملخص فى نهايته بلغة من اللغات الاوروبية الحية ، وكل بحوثها ودراساتها عن الاسلام وتاريخ الاسلام فى يوغسلافيا ..

٣ — مجلة ((الأمل)) وهى مجلة نصف سنوية يصدرها طلاب الدراسات الشرقية فى جامعة بلغراد وهى ذات اتجاه أدبى فنى ثقافى عام ، ولكنها خاصة بالآداب العربية والتركية ..

وهناك أيضا كما عرفنا عدد من العلماء يكتب باللغة العربية ، فلنتبادل المجلات والمطبوعات ، ولنتبادل الأفكار والابحاث ، ولنعمل على توثيق العلاقة بين الشعوب ، فهذه فيما أرى من أهم أهداف العلم والعلماء ..

والله ولى التوفيق ،،،

● الاغتيال لا يغير تاريخ العالم
● الجامعة يجب أن تكون مكان الضوء ومكان الحرية ومكان العلم .
● كن عادلا وأنت لا تخشى شيئا .
● الخلاف فى الدين ينتج من الخصومة أكثر مما ينتج الخلاف فى السياسة .

قال تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » (١) .
وقال : « فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكـم ولا ما أصابكـم » (٢) .
وقال : « وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » (٣) .

ومن وسائلها ، بعث الاحقاد والضغائن ، والعمل على تفرقة الصفوف .

ومن مبادىء الاسلام ، رص الصفوف ، ومحاربة الفرقة ، والحث على الوحدة والتوحيد .

قال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » (٤) ، وقال : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (٥) ، وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٦) ، وقال تعالى : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » (٧) .

ومن وسائلها ، بث الاشاعات المغرضة ، والاشاعات من أقوى سلاح العدو لتحطيم المعنويات .

ومن مبادىء الاسلام ، محاربة الاشاعات ، والحث على اخبار ذوى الامر بها فورا ، لوضع حد لعملها التخريبى .

قال تعالى : « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا » (٨) ، وقال : « لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا » (٩) ، وقال : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » (١٠) .

ان العودة الى الله ، فى مثل هذه الايام الصعبة القاسية ، تجعل من العربى المسلم متفائلا لا يقنط ، قويا لا يضعف ، شجاعا لا يجبن ، ثابتا لا يتزعزع ، صامدا لا يتراجع ، متماسكا لا يتفرق ، يتحلى بارادة القتال ويثق بنصر الله .

ان العودة الى الله ، هى الدواء الناجع للنفوس المريضة التى تتأثر أو تأثرت بالحرب النفسية التى تشنها اسرائيل ومن وراء اسرائيل من دول الاستعمار على العرب خاصة وعلى المسلمين عامة ، لتنهار معنوياتهم ويستسلموا للأمر الواقع ..

ان العودة الى الله ، تجعل من العربى المسلم ، قوى المعنويات دوما ، وتجعله يشعر بأنه فى خير دوما ، لأن الاسلام يأمر باعداد متطلبات النصر . فما أثر الاسلام فى النصر ؟ ذلك ما ستقرأه فى المقال القادم باذن الله .

---

(١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٣٩) .
(٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٥٣) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الزمر (٣٩ : ٦١) .
(٤) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١١٣) .
(٥) الآية الكريمة من سورة الانعام (٦ : ١٥٣) .
(٦) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٣) .
(٧) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٠) .
(٨) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٣) .
(٩) الآية الكريمة من سورة الاحزاب (٣٣ : ٦٠) .
(١٠) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦) .

الاسلام دين الحرية والكرامة

للدكتور وهبه الزحيلى

جامعة دمشق

ان كرامة الانسان وحريته همـــا أعز مقومات وجوده فى هذه الحيـــاة ، وأسمى شىء لديه ، بل هما مصدر قوته وعزته وفخاره ، والمفجر لطـــاقته ، والباعث لحيويته ونشاطه ، والسر فى تضحيته وجهاده ، فاذا أهينت الكرامة الانسانية واعتدى على الحرية الشخصية ، هانت الدنيا فى ناظرى كل مخلوق ، فلا أمل فى العيش ، ولا طعم للحياة ، ولا سعادة للفرد والجماعات .

والعرب فى عهودهم الاخيرة ، حينما صبوا حميم غضبهم ، وشديد بأسهم على المستعمرين ، واعلنوا مقاومتهم للاستعمار ، وتحطيم قيوده وأغلاله فى كل مكان ، استقوا هذه المعانى مما عرف عن طبيعتهم التى تأبى الذل والصغار ، وتدين بالاباء والشمم ، ومما ورثوه عن أسلافهم العظام الذين اجج فيهم الاسلام عاطفة الاباء ، ونظمها لهم واعتبرهم أعز العالمين ، مقررا ذلك فى قرآنه المجيد : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » ومعلنا للأجيـــال الحاضرة والغابرة مبدأ احترام الانسانية ، وتكريم البشرية فى قوله ســبحانه : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وفى قوله عز وجل : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبـــات وفضلنـــاهم على كثير ممن خلقنـــا تفضيلا » .

تعنى هذه الآية ان الله سبحانه ، كرم الانسان بالعقل والتفكير ، حتى سخر له كل شىء فى الكون ، كالمـــاء والهواء والاثير ، وكل ما فى السماوات والارض ، وكرمه فى خلقـــه السوى ، وقامته المعتـــدلة ، وكرمه بالمسئولية والتكليف وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام . ومن انواع التكريم المـــأكل والملبس ، وفضله على كثير ممن خلق الله تفضيلا .

ومن مقتضيات هذه الكرامة أنه لا يصح عقلا ولا شرعا ولا قانونا أن يتعرض امرؤ للسب والشتم من قبل الآخرين ، أو يكون موضعا لجلد الجلادين ، وسياط الظالمين ، أو توقيع العقوبات التأديبية بدون حق ولا برهان ، فكل متهم برىء حتى تثبت ادانته ، كما هو معروف فى طبائع الاشياء وابسط المبادىء الشرعية والقانونية .

ومن حرص الشرع الحكيم على كرامة الانسان أنه يربى فيه عزة النفس والأنفة فى طلب الرزق والحوائج ، فيقول عليه الصلاة والســلام : « اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فان الامور تجرى بالمقادير » ويقول الرسول صلى الله

عليه وسلم ايضا : « ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وتستوفى رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، ولا يحملنكم ابطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصى الله تعالى ، فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته » ، ولهذا المعنى وتطمينا للنفوس البشرية ، وزجرها عن اليأس والقنوط والجزع ، قال تعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والارض انه لحق مثلما أنكم تنطقون » .

ومن هنا أحب الله تعالى معالى الامور ، وكره سفاسفها ، ونبه الى أن يد المعطى أفضل من يد المستعطى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى » وقال أيضا : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير » ، وحرم الاسلام السؤال والاستجداء من غير حاجة ، واعتبره مسقطا للحياء ومزيلا للبهاء : « ما يزال الرجل يسأل حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة من لحم لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو الى الجبل فيحتطب ، فيبيع ، فيأكل ، ويتصدق ، خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه » .

وقد تضافرت الشرائع السماوية والوضعية على حماية كرامة الانسان ، فقررت عقوبات مختلفة على الحط من الكرامة ، واساءة السمعة ، وخدش الاعراض ، وانتهاك الحرمات ، وقذف الاحرار . كما أن الأمة ممثلة فى الدولة محظور عليها أن تستخدم وسائل غير لائقة بكرامة الانسان فى معاقبة المتهمين والمخالفين .

والحرية من صميم الحياة الانسانية ، وقد صانها الاسلام لكل فرد ، على الا يمس حقوق الآخرين ، أو مستلزمات النظام العام ، لأن الحرية فى الواقع ليست مطلقة فى كل النظم والدساتير . وانما هى كما يعرفها فقهاء القانون الدستورى : قدرة الفرد على ممارسة اى عمل لا يضر الآخرين : فاذن هى مقيدة بشرط عدم الاضرار بأحد من الناس . والا أصبحت الحرية معول هدم وأداة تخريب ، ورمزا على الفوضى .

وللحرية انواع : اهمها : حرية التملك . والقول أو الرأى . والاجتماع وتكوين الجمعيات ، والفكرة والعقيدة . وقد أعلن الاسلام صيانته لهذه الحريات جميعها منطلقا من مبدأ واحد : هو مبدأ تحرير الانسان من ربقة العبودية لغير الله وحده ، وتخليصه من قيود الخرافات والاوهام . وتأليه الاشخاص ، وعبادة المادة فكل ذلك يتلاشى أمام قوة الله وجبروته وعزته وسلطانه . قال تعالى : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وذلك دين القيمة » .

ويهمنا أن ننوه بما قدسه الاسلام من حرية الفكر والرأى ، فقد حارب الاسلام التعصب الاعمى ، والتقليد المقوت ، وأطلق العنان للعقل البشرى ، ليفجر المواهب الكامنة فيه ، والطاقات الموفورة لديه ، فى سبيل العلم والادب والصناعة والاختراع ، والتجديد فى كل نواحى الحياة الحرة الكريمة ، فلا شىء أقتل للعقل من العيش فى سراديب الظلم والعبودية ، ولا أشد امتهانا لكرامة الانسان من الحياة فى دياجير الجهل والطغيان ، وأى حياة للحرية بين الجمود والتقليد ، وهل يمكن للمجتمع أن يشعر بالسعادة ، اذا لم ترفرف اعلام الحريه فى سمائه ؟

وكان من علائم حرية الفكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فى الأقضية ، والمصالح الدنيوية ، وتدابير الحرب ونحوها ، وهـذا جائز له باتفاق العلماء ، بل ان له فى رأى اكثر الاصوليين أن يجتهد فى الاحكام الشرعية والقضايا الدينية فيما لا نص فيه ، بدليل اذنه لجماعة من المنافقين فى التخلف عن غزوة تبوك ، فقد كان ذلك عن اجتهاد ، ولو كان الاذن عن وحى لم يعاتبه الله فى قرآنه المجيد : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » . وهناك مثل آخر ، وهو قبول الرسول عليه السلام الفداء من أسرى بدر قبل أن يتوفر له شرط الأسر المتطلب للقوة والبأس فى الارض ، ثم نزل الوحى مصححا هذا الاجتهاد فى قوله تعالى : « ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسـكم فيما اخذتم عذاب عظيم » .

وقد وقعت اجتهادات اخرى من الرسول صلى الله عليه وسلم فى ميدان الاحكام الشرعية ليس هنا مجال تفصيلها .

كذلك أطلق الاسلام للناس حق مناقشة الرسول صلى الله عليه وسلم الرأى ، بل ومجادلته فيه ، كما فى قصة خولة بنت ثعلبة التى ظاهر منها زوجها ، وافتاء الرسول بتحريمها عليه ، ثم نزول أوائل سورة المجادلة بتشريع كفـارة الظهار ، فقال سبحانه : « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » الآيات .

وهناك مواقف كثيرة للصحابة مع الخلفاء الراشدين ، كانت تمثل أروع مظاهر حرية الرأى ، مثل موقف المرأة التى ناقشت عمر بن الخطاب فى مسألة تحديد المهور قائلة له : « أيعطينا الله وتحرمنا أنت ؟ » لأن الله تعالى يقول : « وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا » ، فلا يجد عمر مناصا من الاذعان لرأى المرأة ضـاربا المثل فى الخضوع للحق بقوله : « أصابت امرأة وأخطأ عمر » .

وقد وردت احاديث كثيرة فى توطين النفس على ما تراه حقا ، وفى الحث على حرية الرأى والجهر بها ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يكن احدكم امعة يقول : انا مع الناس ، ان أحسن الناس احسنت ، وان اساءوا اسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا ان تجتنبوا اساءتهم » .

وهناك اثر عن ابن مسعود يمثل قوة الرأى العام وهو قوله : « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح » . وهذا لا يكون الا فى ظل حرية الرأى .

حرية العقيـدة



ومن الضرورى أن نشير أيضا الى أن الاسلام سبق مختلف الدساتير والنظم الحديثة فى مناداته بحرية العقيدة او الحرية الدينية . فباعتبار ان الاسـلام دين الفطرة كان الاكراه على الدين ممنوعا ، وهذا من ابرز مظاهر حرية الانسان ، ذلك لأن الدين أمر لصيق بالقلب والعقل ، فلا مجال لأحد ان يفرض سلطانه فى

الزام الناس بعقيدة معينة ، بل وان كل محاولة فى هذا السبيل تعتبر فاشلة ، ولا أثر لها فى الواقع .

وقد وردت آيات كريمة فى تقرير مبدأ الحرية الدينية منها قوله سبحانه : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » ومنها قوله عز وجل : «ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ، وقوله تعالى : « لست عليهم بمصيطر » « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » « ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين » « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . . » .

ولكن قد يقول قائل : ان هذه الآيات منسوخة بآية القتال : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » « واقتلوهم حيث وجدتموهم » ولكن هذا القول بعيد عن المنطق والواقع ، وكنموذج لهذا الخلاف نعرض أقوال العلماء فى الآية الاولى « لا اكراه فى الدين » فهل هى محكمة أو منسوخة ؟

هذه الآية التى هى امر في صورة الخبر اختلف فيها العلماء على ستة أقوال : فقال بنسخها سليمان بن موسى وغيره ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم اكره العرب على دين الاسلام ، وقاتلهم ولم يرض منهم الا الاسلام ، لذا فانه يجب أن يدعى جميع امم الارض الى الدخول فى الدين الحنيف ـــ دين الاسلام ، فان ابى احد منهم الدخول فيه أو لم يبذل الجزية قوتل حتى يقتل ، وهذا معنى الاكراه . قال الله تعالى : « ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم او يسلمون » ، والناسخ لآية « لا اكراه » كما يرى هؤلاء هو قوله عز وجل : « يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » أو « يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين » ، وفى الحديث الصحيح : « عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة فى السلاسل » يعنى الاسارى ثم يسلمون .

وقال قتادة والضحاك : ليست آية الاكراه بمنسوخة ، بل هى خاصة بأهل الكتاب الذين يبذلون الجزية ، والذين يكرهون : هم اهل الاوثان فهم الذين نزل فيهم « يأيها النبى جاهد الكفار » ودليل هذا الرأى ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية : أسلمى أيتها العجوز تسلمى ، ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ، قالت : أنا عجوز كبيرة ، والموت الى قريب ، قال عمر : اللهم اشهد ، ثم تلا : « لا اكراه فى الدين » الآية .

وممن قال : انها مخصوصة ابن عباس ، قال : كانت تكون المراة مقلاتا (وهى التى لا يعيش لها ولد) فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير ، كان فيهم كثير من أبناء الانصار ، فقالوا : لا ندع ابناءنا فأنزل الله تعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » الآية ، وهذا قول سعيد بن جبير والشعبى ومجاهد .

وقال ابو جعفر النحاس : قول ابن عباس فى هذه الآية اولى الاقوال لصحة اسناده ، وان مثله لا يوجد بالرأى ، فلما أخبر أن الآية نزلت فى هذا أوجب أن يكون اقوى الاقوال ، وأن تكون الآية مخصوصة نزلت في ذلك ، وحكم اهل

الكتاب كحكمهم . (أى كحكم بنى النضير الذين نزلت فيهم الآية) ، جاء فى كتاب الرسول الى أهل اليمن « من كره الاسلام من يهودى أو نصرانى ، فانه لا يحول عن دينه وعليه الجزية » .

وأرجح الاقوال عندى أن الآية ليست بمنسوخة ولا مخصوصة ، اذ أن الآثار التى استند اليها المخصصون ليست قاطعة الدلالة على التخصيص ، لأن النص القرآنى عام ، وافراد فرد من العام بحكم العـــام لا يخصصه كما يقول الاصوليون ، قال الامام الرازى فى تفسيره الكبير : « انه تعالى لمـــا بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا المعذرة قال بعد ذلك : انه لم يبق بعد ايضاح هـــذه الدلائل عذر للكافر فى الاقامة على كفره ، الا أن يقسر على الايمان ويجبر عليه ، وذلك مما لا يجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء ، اذ فى القهر والاكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ، ونظير هذا قوله تعالى : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، وقال فى سورة أخرى : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره النـــاس حتى يكونوا مؤمنين » ، وقال فى سورة الشعراء : « لعلك باخع نفسك ــ أى مهلكها ــ أن لا يكونوا مؤمنين . ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ، فظلت أعناقهم لها خاضعين » .

ومما يؤكد هذا القول أنه تعالى قال بعد نزول هذه الآية : « قد تبين الرشد من الغى » يعنى ظهرت الدلائل ، ووضحت البينات ، ولم يبق بعدها الا طريق القسر والالجاء والاكراه ، وذلك غير جائز » ا هـ كلام الرازى .

وبمثل هذا قال ابن كثير والطبرى والجصـــاص وأبو حيان التوحيـــدى ويؤيدهم أنهم ذكروا أن سبب نزول هذه الآية فى قوم من الانصار ، ولكن حكمها عام . عن ابن عباس قال : « نزلت فى رجل من الانصار من بنى سالم بن عوف يقال له : الحصينى ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبى صلى الله عليه وسلم : ألا أستكرههما فانهما قد أبيا الا النصرانية ، فأنزل الله فيه ذلك (!!) ثم ان جملة « قد تبين الرشد من الغى » كأنها كالعلة لانتفـــاء الاكراه فى الدين .

وقال ابن تيمية فى آية « لا اكراه » : جمهور السلف على أنهـــا ليست منسوخة ولا مخصوصة ، وانما النص عام ، فلا نكره أحدا على الدين ، والقتال لمن حاربنا ، فان أسلم عصم ماله ودمه ، واذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله ، ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكره أحدا على الاسلام ، لا ممتنعا ولا مقدورا عليه ، ولا فائدة فى اسلام مثل هذا ، لكن من أسلم قبل منه ظاهر الاسلام » .

وهكذا يتبين أن دعوة الاسلام ترتكز على الحرية والـــكرامة فهى دعوة الحرية فى أصلها ، قامت لتحرير الناس من عبودية بعضهم لبعض الى عبادة الله الواحد الاحد ، وهى فى منشئها جاءت لاعطاء كل انسان حقه فى الكرامة ، بعد أن كان الناس عبيدا أذلاء تحت سلطان الغاشمين ، وقد كانت حروب الاسلام من أجل الدفاع عن حرية العقيدة لقوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومســـاجد يذكر فيهـــا اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

العلم يؤكد الايمان ويثبت القلوب

للدكتور جمال الدين الرمادى

« قل انظروا ماذا فى السموات والارض » .

هذه آية كريمة تدل على قدرة الله عز وجل كما تدل على عظمته وجبروته ، وهناك كثير من الحقائق العلمية الطريفة فى هذا المضمار نحب أن نعرضها على انظار القراء لتكون آية ناطقة على قدرة الخلاق العظيم .

اننا لو تصورنا أن هناك خطا حديديا يمتد بين الأرض والقمر . ويجرى فوقه قطار سريع يمضى بسرعة أربعين ميلا فى الساعة ويقطع نحو ألف ميل فى اليوم والليلة . فانه سيقطع المسافة الموجودة بين القمر والأرض في نحو ٢٤٠ يوما . أو بتعبير آخر فى مدى ثمانية أشهر بالتمام والكمال . وذلك اذا اعتبرنا أن القطار ينطلق سريعا لا يقف عند محطة من المحطات . ولا يصيبه طارىء من الطوارىء . ولا يعوقه اصلاح فى الطريق انما يواصل سيره ليلا ونهارا . صباحا ومساء !!

فاذا ما شرعنا فى هذه الرحلة عند افتتاح المدارس في شهر سبتمبر — كما هي العادة — فاننا ننتهى من رحلتنا فى شهر ابريل . وعند هذا الشهر تبقى لدينا أربعة أشهر حتى تضاف الى أعمارنا سنة حديثة !!...

ولا يسخن سطح القمر الا اذا سطعت عليه الشمس . كما أنه يبدو باردا اذا ما انحسرت عنه الشمس . فضلا عن أن ضوء القمر الذى يتلألأ فى السماء فيبهر الانظار . ويسحر الالباب مستمد من الشمس . ويعكسه القمر على سطح الارض .

والطريف أن الارض التى نعيش عليها ونأكل من رزقها تعتبر بالنسبة القمر قمرا أيضا . وبما أن الارض أكبر حجما من القمر فان نور الارض

على القمر يبلغ فى شدته أربع عشرة مرة مثل نور القمر على الارض .

واذا تصورنا اننا نركب نفس القطار السابق لينطلق منها الى الشمس فاننا لن نستطيع الوصول اليها لسبب بسيط وهو اننا سوف نكون فى دنيا العدم وتكون أرواحنا قد صعدت الى الملأ الأعلى ، فان أعمارنا لا تكفى للوصول الى الشمس فى هذا القطار ، فنموت فى بداية هذه الرحلة الطويلة !

ومن هنا يجب ان نفكر فى وسيلة اخرى للسفر الى الشمس . وغير خاف أن الطائرة لا تتمكن ايضا من الوصول اليها على جناح السرعة !

فما رأيك اذن فى قنبلة المدفع ؟!.

انه اذا انطلقت قنبلة المدفع بسرعة تبلغ نحو العشرين أو الثلاثين ميلا فى الدقيقة دون تفاوت أو اضطراب فانها تقطع ثلاثين الف ميل فى اليوم . وعلى هذا القياس تصل الى هناك فى اكثر من اسبوع أو فى ثمانية أيام على وجه التحديد ! هذا اذا كانت سرعة طلقة المدفع عشرين او ثلاثين ميلا فى الدقيقة أما اذا كانت سرعتها سرعة عادية فانها لن تصل الى الشمس الا بعد مضى عدة سنوات !

ويقول العالمان الكبيران وليم وستيلا نيدا : ان القمر والشمس عالمان عجيبان يموجان بالعجائب والأسرار . وكلهما تدل على عظمة الخالق وعلى قدرة البارىء المصور وان حرارة الشمس تبدو رهيبة الى حد بعيد . فاذا ما كانت لديك ذراع يبلغ طولها نحو ثلاثة وتسعين مليون ميل ثم جلست فى حديقة منزلك ورفعت يدك الى الفضاء نحو الشمس فان يدك سوف تحترق لا محالة واذا كان الالم يقطع خمسة اقدام فى جزء على عشرين من الثانية فان اصبعك يحترق قبل أن تشعر بالالم لأنه سيصل اليك بعد جزء على مائة من الثانية بعد أن تحترق .

وفى تعبير آخر نستطيع أن نقول موضحين أن عليك أن تنتظر سنة ولا تشعر بالالم بل قد تنتظر عشر سنوات ولا تشعر بالالم لان الامر يتطلب أن تنقضى مائة وخمسون سنة حتى يصل الم الحريق اليك رغم ما فى عذاب الحريق من الم مرير يصيب الجسم والنفس جميعا .

واذا عرف القارىء ان سرعة الضوء تبلغ نحو ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية فلا بد أن يعرف انه يصل الينا فى نحو ثمانى دقائق وربع الدقيقة . أى أن الضوء لا بد أن يستغرق مدة من الوقت من اجل الوصول الينا . وقد لا نشعر بهذا الفرق فى الزمن بالنسبة الى ضوء الشمس ولكننا نشعر به فى حياتنا اليومية . فلو فرضنا انك أضأت مصباح الغرفة فى الليل لتقوم بعمل ما فانك لا بد أن تنتظر ثمانى دقائق وربع الدقيقة من اجل أن يتوهج ضوء المصباح !

وهذا الفرق بين موقع الشمس بالنسبة الينا كما يبين قدرة الخلاق العظيم فى خلقه فانه اذا ما منعت عنا الشمس واختفت من حياتنا أضواؤها المنعشة فسرعان ما يتحول الهواء الجوى الذى يحيط بنا الى درجة التجمد . وفى هذه الحالة يتعذر علينا التنفس وتصيب العالم كارثة كبرى يكون فيها فناء البشر جميعا .

وتبعد الشمس نحو ثلاثة وتسعين

مليون ميل عن الأرض . وفى هـذا البعد وهذه المسافة حكمة الهية كبيرة فلو فرض ان هذه المسافة اختصرت الى النصف فاننا نتمكن من أن نشعل الورق بمجرد تعريضه لأشعة الشمس وفى هذا خطر داهم على هذا العالم لانه يسبب الحرائق الجهنمية التى تحصد الناس حصدا ، وتأكل الأخضر واليابس . ولا تذر شيئا حيا على الأرض !

والعلمـاء يؤمنون بالجـاذبية ، فالارض تجذب الاشياء اليها . وقد تنبـه اسـحق نيوتن الى نظـرية الجاذبية منـذ أن كان جالسـا فى الحديقة بمفرده ورأى التفاحة تسقط على الأرض . ومنذ ذلك الوقت نادى بقانون الجاذبية وتبعه العلماء فيما بعد .

ولكننا يجب أن نعلم ان الشمس تجذب الاشياء اليها بقوة تفوق قوة الارض بسبع وعشرين مرة . ولهذا السبب فان كل شيء على الشمس يزيد وزنه سبعا وعشرين مرة عن وزنه على الارض . ومن هنا سيبلغ وزن الشخص العادى على سـطح الشمس اكثر من طنين !

وغير خاف أن ثقل وزنه سوف يعوقه عن الحركة ومزاولة النشـاط الذى يقوم به على وجه الارض ! بل انه قد لا يستطيع المشى ويظل قابعا فى مكانه لا يقوى على الحركة !

ومن الحقـائق العلمية المفيـدة للانسان أن ثلاثة أرباع الارض يغطى سطحها الماء ، والربع فقط يابس . ومن المعروف أن الانهار تحمل ميـاه الامطار الى البحر ، وفى هذه الحالة تكون ميـاه الأمطار قد أذابت الملح الموجود فوق قنن الجبال وسـفوحها وتشبعت به وجرفته معها الى البحر . وحينما يتبخر ماء البحار ويرتفع فى شكل سحب فى السماء تزجيها الرياح فان الماء يتخلف عنه الملح فى البحر وعلى هذا القياس يمكن أن نقول ان نسبة الملح فى ماء البحر تكون بمعدل ثلاثة أرطال ونصف الرطل من الملح فى كل مائة رطل من ماء البحر . ومن الامور الطريفة التى يجب ان نعرفها أن ماء البحر أثقل من المـاء العذب الذى يجرى فى الانهار والبحيرات . كما انه من السهل السباحة فى الماء الملح عن الماء العذب .

والثلج فى البحر اثقل من ثلج الماء العذب . ولذلك كان من السهل أن يطفو وان يحمـل زلاقات الأسكيمو والمكتشفين فضلا عن أن قطع الثلج الملحة يكسرها المد والجزر ثم تتجمع حتى تصبح جبلا ثلجياهائلا . وفى بعض الاحيان قد يبلغ عرض الجبل الثلجى نحو ثلاثين ميلا . وفى هذه الحالة يشكل خطرا جسيما على الملاحة كما حدث للباخرة « تيتانك » التى تحطمت وابتلعهـا اليم وهى فى طريقها من سوثهمبتون الى نيـويورك فى ١٤ ابريل عام ١٩١٢ وقد ذهب ضحية هذا الحادث اكثر من الف وخمسمائة راكب كانوا يمرحون ويهللون فـوق ظهر الباخرة الحزينة !

ومن العجائب الموجودة فى البحر وتدل على قدرة الخلاق العظيم أن البحر يضم بين جنباته انواعا عجيبة من الاسماك والحيوانات البحرية . ويكفى أن نقول انه يضم بعض الحيتان التى يبلغ طولها فى بعض الاحيـان نحو خمسين أو سبعين قدما أو أكثر

من ذلك . ويستطيع الحوت بضربة واحدة من ذيله أن يحطم مركبا كبيرا .

ويمكنك ملاحظة وجود الحوت اذا ما كنت على ظهر باخرة فى رحلة بحرية ولاحظت انطلاق فقاقيع مائية كبيرة تتبعثر على سطح الماء ، فان هذه الفقاقيع تكون ناجمة عن أنفاس الحوت تحت سطح الماء وحركة الزفير والشهيق !

وفى البحر أنواع من الحيوانات البحرية والاسماك ، وبعض هذه الاسماك يرسل ضوءا لونه أحمر أو ضوءا لونه أخضر من بقعة مضيئة تحت عينيه ، ويقال أن هذا النوع من السمك له القدرة على اضاءة عينيه ، أو اطفائهما ، وحين تسبح هذه الاسماك تشبه قافلة من البواخر المضيئة أو سلسلة من قاطرات السكك الحديدية المضيئة فى الليل .

وفى أعماق البحار أيضا يوجد السمك الرعاش الذى يمتاز بطاقة كهربائية عجيبة قد تحدث الشلل فى الاسماك التى تقترب منها مهما كانت أكبر منها حجما كما تستخدم هذه الطاقة الكهربائية فى اقتناص فرائسها .

ويستطيع الحيوان أن يعيش على عمق ثلاثة أميال أو يزيد عن سطح الارض والسبب فى ذلك أن أجسام الحيوانات تكون مسامها جميعا ممتلئة بالماء ، وهذا الامر ينقذها من الموت اذ أن الضغط قرب سطح المحيط عظيم للغاية ، ولبيان ذلك نقول أنك لو أمسكت بقطعة من الخشب وأدليتها الى نهاية قاع المحيط ثم أخرجتها مرة ثانية فانها تفقد فى هذه الحالة كل خواص الخشب وتبدو وكأنها استحالت الى قطعة من الحجر سرعان ما تهبط الى القاع ولا تطفو على سطح الماء لأن كل خلاياها تكون قد انفجرت وتفتحت وامتلأت بالماء !!

ولذلك كان الخشب المستخدم فى بناء السفن الغارقة بعد انتشالها لا يصلح بالمرة لاستخدامه مرة أخرى فى بناء باخرة أخرى ..!!

هذه حقائق علمية قد تبدو كأنها ضرب من الخيال .. ولكنها فى نفس الوقت تدل على قدرة الله عز وجل وعلى عظمة الخلاق العظيم .

- لا شىء يستحيل على القلب الشجاع .
- ليس النبوغ الا قدرة على الصبر .
- الممالك بلا عدل غابات ملئت باللصوص .
- من خاف من حفيف الشجر لا يدخل الغابة .
- عجبك بمنصبك دليل على أنك أقل منه .

سمو الهدف ووضوحه في الاسلام

بقلم المقدم / حسن فتح الباب
مدير قسم البحوث الفنية والقانونية
وزارة الداخلية ـ القاهرة

تتعدد النظريات التى تبحث فى مقومات القيادة الناجحة ، فتعزو احدى هذه النظريات ما يمتاز به القائد من صفات الى القوة النفسية الواحدة ، وتعزو الاخرى مزاياه الى القوى النفسية العامة ، على حين تذهب النظرية الثالثة الى أن صفات القائد تصدر عن القوى النفسية الخاصة بنوع معين من القادة . ولئن تقاربت هذه النظريات الثلاث فى مضمونها النفسى ، فان ثمة نظرية رابعة تنحو منحى مغايرا فتعزو جوهر صفات القائد الى القوة الجسمية .

وفى رأينا ان أفضل نظريات القيادة وأولاها بالفهم والدراسة هى تلك التى تقدم لنا تفسيرا صحيحا قوامه التحليل النفسى والاجتماعى لما يمتاز به القادة من قدرة فذة فى تآلف الأفراد والجماعات حتى يصبح الواحد هو الكل والكل هو الواحد .

ومن ثم فقد آثرنا فى هذا البحث أن نأخذ بالنظرية الاجتماعية التى تقول ان علاقة القائد بالمجتمع هى علاقة اندماج وتكامل ، والقائد الحق هو الذى يستطيع بفضل مزاياه وأخلاصه أن يحوز تقدير أعدائه قبل أصدقائه .

وفى ضوء هذا المفهوم للقيادة الناجحة حددنا المعايير والصفات التى يمتاز بها القائد بمعناه الحقيقى ، وأولى هذه الصفات هى الانتماء الى الجماعة . أما المعيار الثانى الذى يقاس به القائد الناجح فهو سمو الهدف الذى يدعو اليه ووضوحه ، وسوف نتناول فيما يلى هذا المقوم الأساسى للرسالة السماوية التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقدم الأسانيد والحجج العقلية والنقلية التى تجعل هـذا المقوم محورا تدور حوله سـائر مقومات القائد والقيادة فى الاسلام .

اذا استعرضنا المجتمع البشرى فى المرحلة التى سبقت ظهور الاسلام لاحظنا أن المظالم كانت تكتنفه من كل جانب . فمن فارس كانت تنثال آلام الانسان وضيعته وتمزقه تحت وطأة الحكم المطلق المستبد ، فلا حرية ولا عدالة ولا رخاء ، حتى لقد دعا « مانى » فى القرن الثالث الميلادى الى حياة العزوبة ، فحرم النكاح استعجالا للفناء ، ثم قام بعده « مزدك » فأعلن ـ كما أورد الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل « أن الناس ولدوا سواء فينبغى أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم . ولما كان المال والنساء مما حرصت عليه النفوس فقد احل النساء وأباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم فى الماء والنار والكلأ » .

ويقول (البروفسير / أرتهرش) « كان المجتمع الايرانى مؤسسا على اعتبار النسب والحرف ، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة . وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشترى أحد منهم عقارا لأمير أو كبير ، وكان من القواعد السياسية الساسانية أن يقنع كل واحد بمركزه الذى منحه اياه نسبه ، ولا يستشرف لما فوقه . ولم يكن لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التى خلقه الله لها . وكان ملوك ايران لا يولون وضيعا فى نسبه وظيفة من وظائفهم . وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزا واضحا ولكل واحد منهم مركز محدد فى المجتمع » .

وفى الدولة الرومانية كان اذلال الشعوب ، وفرض الضرائب الباهظة عليها ، وتسلط الحكام وانغماسهم فى بؤرة الانحلال ، حتى كان الناس يضمرون الحقد والمقت لولاتهم ، ويؤثرون عليهم أية حكومة أجنبية . ويروى التاريخ انه فى سنة ٥٣٢ ميلادية هلك ثلاثون الف شخص فى العاصمة نتيجة الثورات والاضطرابات التى تفاقمت فى ذلك الحين . ويقول فى ذلك « سيل » : « لقد كان العدل يباع ويساوم عليه مثل السلع . وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة كل تشجيع » .

ويقول « جيبون » : « فى آخر القرن السادس وصلت الدولة الرومانية فى ترديها وهبوطها الى آخر نقطة ، وكان مثلها كمثل دوحة عظيمة كانت أمم العالم فى حين من الاحيان تستظل بظلها الوارف ولم يبق منها الا الجذع الذى لا يزداد كل يوم الا ذبولا » .

ويقول « الفرد ج. بتلر » : « ان الروم كانوا يجبون من مصر جزية على النفوس ، وضرائب أخرى كثيرة العدد ومما لا شك فيه أن ضرائب الروم كانت فوق الطاقة ، وكانت تجرى بين الناس على غير عدل » (١) .

وقد كان الشعب فى الدولة الرومانية ينفس عن نفسه حيال هذه المظالم بالثورة ، والنزوع الى الخلافات الجدلية والمناقشات اللفظية العقيمة . حتى أصبح الجدل العقيم فى عالم اليوم يطلق عليه الجدل البيزنطى نسبة الى بيزنطة العاصمة القديمة للدولة الرومانية الشرقية .

تلك كانت أحوال الشعوب فى ظل الدولتين الرومانية والفارسية قبيل ظهور الاسلام : وهما أعظم قوتين سياسيتين فى العالم فى ذلك الحين . ومن هنا كانت الحاجة ماسة الى رسالة اصلاحية تهز أركان القيم العتيقة الفاسدة وتقتلعها من جذورها ، ثم تستبدل بها قيما رشيدة صالحة .. وبعث محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الرسالة العظمى ، رسالة ترمى الى تحرير البشرية بأسرها من العبودية ، ثم الانطلاق بها فى عالم الحق والخير والسلام والتقدم .

جاء محمد بعقيدة صحيحة خالدة ، عقيدة تتسع فى مضمونها لتشمل الدين والعلم والحضارة والحياة جميعا ، وتعالج شئون الحياة الجسدية ، كما تعالج أمور الحياة النفسية والعقلية والروحية ، عقيدة تترامى أبعادها حتى تشمل الناس جميعا فى كل عصر وكل أوان . عقيدة تمتاز بالنقاء والوضوح وملاءمة الفطرة الانسانية والطبيعة البشرية فى جانبها المشرق وهو العقل والوجدان السليم .

وتظهر اهمية تحديد الهدف ووضوحه فى الدعوة الاسلامية اذا لاحظنا ان القائد الحق لن يستطيع تحقيق رسالته ما لم تكن أهدافها محددة يسهل على

---

(١) الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة للأستاذ ابراهيم محمد اسماعيل .

الناس فهمها واستيعابها ، فيميلون الى الايمان بها والتضحية فى سبيل تثبيتها . ذلك لأن الهدف الواضح الذى ينبع من الحاجات الأساسية للانسان فى العيش الحر الكريم ، هو الذى يحرك الناس الى اللقاء ، وهو الذى يفرض على المجتمع توسيع دوائر هذا اللقاء ، حتى تندمج جميع قوى التحرر والثورة على القديم ، وتعجز القوى المعادية عن الوقوف فى طريق هذا الزحف .

ولقد كان الهدف من الرسالة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم محددا وواضحا ومستقيما ، لا عوج فيه ولا انحراف . فتحرير الانسان ، وتحريم استغلال القوى للضعيف ، وتحرير العقل البشرى من الخرافات والاباطيل ، وتحرير النفس من نزعات الشر وشهوات الحس — تلك الأهداف التى دعا اليها الاسلام — كلها أهداف طبيعية كطبيعة الوجود الانسانى نفسه . وفى ضوء هذه الاهداف المثالية التى تتفق مع واقع الفكر المتحرر المستنير حدد محمد القائد الأعظم للأمة الاسلامية طريقه هذا رغم كل الصعاب والعقبات ، وتلاحمت جهوده مع جهود أنصاره المؤمنين بالدين الحق لصنع عالم جديد وبناء غد باهر للانسان .

ان وحدة الهدف ووضوحه هى السبيل الى التوافق الفكرى والوحدة النفسية ، وهذا التوافق بدوره هو السبيل الى وحدة الجماعة ، وما تسفر عنه من قدرة خارقة على تحقيق المعجزات ، ولقد تحققت بفضل هذه الوحدة معجزة الاسلام بكسر قيود التحكم والطغيان ، والقضاء على التمييز الطبقى والعنصرى بين أبناء المجتمع فى شتى صوره وألوانه . فاسترد المغبونون والمظلومون حقوقهم ، واستعادوا حرياتهم ، وأصبح للحياة معنى جديد ، وأصبحت القوة والتجمع ووحدة الفكر والضمير أسلحة القلة من المسلمين الأوائل فى خوض معركة التغيير الكبرى بقيادة الرسول عليه الصلاة والسلام . فاختفت من حياتهم المعوقات ، وازدادت قدرتهم على الاندفاع بالعمل نحو آمال الانسان الكبرى فى العدل والكرامة والحرية .

وفى ظل هذا الهدف الاسلامى المحدد تمت أعظم اللقاءات وهى اللقاءات الفكرية بين النبى وصحبه ممن آمنوا برسالته ، هذه اللقاءات التى كانت الدعامة الكبرى لبناء المجتمع الاسلامى المتكامل لأن كل وحدة لا تقوم على أساس وحدة الفكر قد تصبح فى يوم وليلة عرضة للهزات والانتكاسات . وهذه اللقاءات أيضا هى المنبع الذى ازدادت منه الثروة الفكرية للجماعة الاسلامية فسارت فى طريقها — طريق العقيدة الحقة — تنيره وتعمقه حتى يصبح وصولها أعمق وأكثر رشدا . .

ولقد أنزل الله فى كتابه كثيرا من الآيات التى تحدد الهدف من دعوة الاسلام بأسلوب بين محكم ، وألفاظ واضحة رصينة ، منعا لما يجره غموض الهدف أو تعقيد العبارة من اختلاف فى التفسير والتأويل ، وما يؤدى اليه هذا الخلاف من جدل متشعب حول المحور الذى تدور عليه الرسالة وهو غايتها وهدفها . ولا شك أن اختلاف الناس مذاهب وشيعا وطوائف من شأنه أن يعرض وحدة المجتمع للمخاطر ويطمع فيه الأعداء ، فتسول لهم أنفسهم أن يسعوا — من خلال مايتكشف عنه الخلاف من ثغرات — الى تقويض بنيان المجتمع .

ولقد سبق أن أشرنا الى ما جرته المناقضات الجدلية العقيمة فى بيزنطة من تفكك اجتماعى ، وأحقاد فى النفوس . بل ان الدولة الاسلامية ظلت ردحا طويلا من الزمن تنعم بالوفاق والأمن فى ظل الهدف الواحد الواضح ، حتى اذا استشرت فيها المذاهب والنظريات أصيب الاسلام والمسلمون فى عصورهم المتأخرة بأفدح محنة تصاب بها الدول والشعوب ، وهى الانقسام فى الرأى ، نتيجة ما أثار به الجاهلون والذين فى قلوبهم مرض من ريب حول مفاهيم العقيدة وأهدافها

(البقيــة ص ٦٧)

زفرة على القدس

قومي إلى الصلاة

وعادت الطيورُ في المساءْ
فلم تجد في القبة الضياءْ
ولا صدي الترتيل والدعاءْ

فهزت الاوتار بالنداءْ :
ياقدس ياحبيبة السماءْ

قومي الى الصلاه
وباركي الحياه . .

ورددي التسبيح في المآذنِ
وأيقظي الأجراس في المدائنِ
وكبري لله . . لاتهادني

قومي الى الصلاه . .

***

لاتُوقِفِي الدعاء للرحمنِ
مهما لقيت من أذى الشيطانِ

ردي اليه إثمه ، وقومي
وواصلي الحديث للنجومِ

فلم تزل فيك خطا الاسراءِ
سابحة في الطهر والضياءِ
ياقدس ياحبيبة السماءِ
قومي الى الصلاه
وباركي الحياه

***

للشاعر : محمود حسن اسماعيل

****

((مع القدس الحزينة ، وهي تذرف غضب السماء ، ويتضرم ترابها المكظوم بلعنة التاريخ ، على من أخرسوا فيها الدعاء ، ولوثوا طهر الضياء ...))

ولم تـــزل أسوارك الحزينـــةْ
تُصغي الى أقداسهـــا الدفينـــةْ
ولم تزل مناَجيَـــاتُ الرُّسُـــلِ
في أُفْقِكَ الطاهرِ منــــذ الأزل . .

مازال صوت الله في فضائِـــــكِ
والانبيـــاءُ في صـــدي ندائكِ

قـومي الى الصـــلاه
وبـــاركي الحيـــاه

***

قومي ومهما اشتدت الجـــراحْ
فكل ليـــل بعـــده صباحُ
وكل هولٍ بعـــده سكَـــينَةْ
تمحـــوٌ ظلام البغْي والضَّغِينـــةْ

وتَرْجِـــعُ الشفـــاهْ
للشـــدو ، والحيـــاهْ

قـــومي الى الصـــلاة والتسبيـــح والدعـــاءْ
ياقـــدس ياحبيبـــةً للأرض والسمـــاءْ . .

قومي الى الصـــلاةْ

قومـــي . . . ! !

تاريخكم ... يا شباب الإسلام

للأستاذ أحمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى ــ مكة

هذا الحديث ، عن التاريخ الاسلامى ، الذى اتخذناه مهجورا ، موجه بصفة خاصة الى الشباب والطلاب ، فى الوطن الاسلامى كله .

وقد أثرت موضوعه ، استجابة لرغبة كريمة ، تفضل بها الأخ ، رئيس تحرير هذه المجلة المجاهدة .

ومن جهة أخرى كان الباعث عليه ، أو الحافز اليه أمرين :

الاول : ان بعض الكتاب العرب ، يرددون القول بان تاريخنا الاسلامى لم يكتب بعد .. ويعنون بهذه القولة الخاطئة أن الاسلوب الذى كتب به تاريخنا .. لا يغرى بقراءته ، فلابد اذن من اعادة كتابته .

الثانى : ان أجيالنا العربية المسلمة ، التى نسميها (صاعدة) تدير ظهرها للتراث الضخم الفخم ، الذى خلفه تاريخنا العربى الاسلامى المجيد ، وأورثتنا اياه حضارتنا الراشدة .

فأجيالنا هذه ، تضرب الذكر صفحا عن الافكار العربية الاسلامية ، وما تشرق به من مبادىء ومثل ونظريات .. سبقنا بها أشباهها ونظائرها من الافكار العصرية ، الواردة من غرب أو من شرق ، على سواء .

انهم ــ اى الشباب والطلاب من عرب ومسلمين ــ يقولون عندما يكتبون أو يتحدثون .. قال أفلاطون . وقال شكسبير . وقال برناردشو . وقال روسو . وقال فرويد . وقال ديكارت . وقال طاغور . وقال سارتر وأمثالهم ــ ويعرضون عن قال الله وقال الرسول ، وقال عمر ، وقال ابن خلدون ، وقال الغزالى ، وقال أبو العلاء . مع ان العلماء والمفكرين العرب والمسلمين سبقوا غيرهم فيما اطلقوا من أمثال ، وما رسموه من نظريات ، وما سجلوه من آداب وتعاليم .

ونبدأ بالحديث عن الرأى القائل بأن تاريخنا لم يكتب بعد ..!
ان صاحب هذا الرأى يرد كل الانحرافات ، بكافة أنواعها والوانها ، التى نزلت بالعرب والمسلمين ، الى أن تاريخ حضارتهم العربية الاسلامية لم يكتب بعد ، أو انه كتب بأساليب لا تغرى أحدا بقراءته أو الانتفاع به .

ويشير صاحب هذا الرأى الى تفسخ الاخلاق فى المجتمعات العربية والاسلامية ، وعدم اقبال الشباب فيها على دراسة تاريخه ، ومعرفة ماضيه ، والاقتداء بأسلافه فى المحافظة على روح العبادة واعمالها

ويستدل بهذه المظاهر على تأثر الشباب بكون التاريخ الاسلامى لم يكتب بعد .

وقد صدق صاحب هذا الرأى ، فيما تحدث عنه من مظاهر الانحراف فى المجتمعات الاسلامية . وكان حديثه بذلك ينم عن غيرة وحسرة تشكران له ، كما كان الحديث نفسه يحمل بين كلماته الروائع استغاثة واستصراخا يدلان على احساس بالنكبة ، وشعور بالمسئولية الفكرية ، واهتمام بواجب النجدة والانقاذ .

ولكن اختلافى معه ما زال قائما ، من أجل تعليله لكل ظواهر ونتائج تخلى المسلمين عن حضارتهم المجيدة الرشيدة ، بكون تاريخهم لم يكتب بعد .

وسأشير بايجاز الى بعض الاسباب والعوامل التى تدل دلالة واضحة على عكس ذلك الرأى ، وتثبت أن تاريخنا لم يقرأ بعد ، وأنه مدون مكتوب لم يترك منه شىء ..

أولا : ان ما يقال من أن تاريخنا لا يستطيع الجيل الناشىء أو الصاعد أن يقرأه ، لقدم أساليبه ، وغرابة معانيه ، وصفرة كتبه وأوراقه التى كتب عليها ، وسوء ترتيبه .. يدحض هذا الزعم ان تاريخ العروبة المسلمة قد أعيدت كتابته بلغة العصر الحديث وأسلوبه ، منذ سنوات عديدة مضت ممثلة فى مؤلفات العقاد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وأبو الحسن الندوى ، ومحمد أبو زهرة ، ومصطفى السباعى ، ومحمد الغزالى ، ومحمد يوسف موسى .. وأمثالهم ممن وضعوا أحسن الكتب عن التفسير ، والحديث ، والتشريع ، والتاريخ السياسى ، والنظريات الاقتصادية الاسلامية ، وعن الدراسات المقارنة بين مقررات الفكر الاسلامى ومقررات الفكر الغربى الحديث. بحيث لم تعد حجة المعتذرين (بالكتب الصفراء) القديمة قائمة ..

ونضيف الى ذلك المجلات الشهرية الحديثة التى تصدر فى العالم الاسلامى ، ويعرض كتابها (تاريخنا) بكل فنونه العلمية والتشريعية والتربوية والاخلاقية والفكرية عرضا جديدا ، بأسلوب مفهوم — كالازهر — وحضارة الاسلام — والوعى الاسلامى — والبعث الاسلامى — والرابطة — ولواء الاسلام — والمجتمع — ودعوة الحق .. وغيرها مما لا تحضرنى أسماؤها الآن ، وهى كافية كل الكفاية فى اقناع الشباب الاسلامى بقيمة التراث العظيم الذى خلفه العرب والمسلمون من معارف ومبادىء وثقافات سبقت — كما أسلفنا — معارف الغرب ومبادئه وثقافاته ، واعتمد الغرب عليها فى سيره العلمى وتطوره الفكرى وتقدمه الحضارى .

ونذكر الى جانب الكتب والمجلات الحديثة التى عرضت التاريخ الاسلامى عرضا جديدا ، ميسور الفهم ، المقررات المدرسية فى العلوم العربية والاحاديث التاريخية .. فهى — الاخرى — قد ساهمت فى تقريب التاريخ الاسلامى ، وتيسير فهمه ، والتشويق الى مطالعته ودراسته .

ثانيا : ان تاريخنا مدون ومكتوب فى مطولات ومختصرات ولكل منهما فائدتها ونفعها ، ولها قراؤها الباحثون الدارسون على مهل وتفكير واستنباط ، أو المستعجلون المكتفون بالاعتماد على الغابرين ، الملتمسون للاستدلال بآرائهم ونظرياتهم .

ثالثا : ان احجام الشباب ، أو حتى الشيوخ والكهول عن قراءة تاريخنا ، والاتعاظ به ، والانفعال بوحيه وهديه ، ليس حجة على الرداءة في كتابة التاريخ أو صياغته ، أو أنه غير كامل أو غير واضح ، وأنه محتاج الى كتابة جديدة .. فقد أسلفنا أن

تاريخنا مدون ومكتوب فى المطولات والمختصرات ، من ناحية ، ومن اخرى قد عرضه الكتاب المحدثون عرضا جديدا ، مع التحقيق والتصحيح ، والطبع الانيق ، ونشرته دور الطباعة فى العالم العربى كله ، وخاصة فى القاهرة وبيروت .

رابعا : ان الاحجام عن قراءة التاريخ الاسلامى ، هو نتيجة لتصرفات مؤسفة صنعها المسلمون انفسهم ، وخلقوها بأيديهم .. اذ لم يوجه الآباء والمربون والمعلمون اهتمامهم المخلص الى توعية الطلاب تاريخيا واغرائهم بقراءة تاريخهم ، ومراجعة تراثهم الحضارى ، وحملهم تلقائيا على الانفعال بالامجاد الاسلامية السالفة .. حتى انصرفوا الى ملء فراغاتهم الطويلة العريضة بالاستماع الى الاذاعات ومشاهدة التلفازات ، ومطالعة الصحف والكتب التى تروى قصص الجنس وتنشر صوره ، وتحض على ممارسة تجاربه .

خامسا : ان وزارات التربية والتعليم ، فى البلاد العربية والاسلامية عامة ليست براء من مسئوليتها عن توجيه الشباب والطلاب الى دراسة تاريخهم والانفعال بأمجاده ، والمحافظة على تقاليده وآدابه .

سادسا : ان الآباء والامهات مسئولون بصفة خاصة عن تربية أبنائهم تربية عربية اسلامية ، تمنحهم شخصية انسانية مستقلة ، لا تذوب فى تقاليد الشعوب الاجنبية الاخرى ، ولا تنماع فى اتجاهاتها الفكرية والاجتماعية . ولعلنا لم ننس التوجيه الاسلامى الذى انطلق على لسان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (أو ينصرانه أو يمجسانه) والتوجيه النبوى الآخر : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) .

فالآباء والامهات وأولياء امور الطلاب والشباب — لا التاريخ المتهم البرىء — هم المسئولون عن اهمال الجيل الناشىء أو الصاعد — كما يسمونه تجوزا أو تفاؤلا — لكل تقاليده الدينية والقومية ، وجهله بالتراث الفكرى والحضارى الذى خلفته العروبة والاسلام .

وهم — أولئك الآباء والامهات وأولياء الامور — مطالبون ، فى نفس الوقت بأن يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم وبناتهم ، فان الاطفال والاحداث ، كما هو معروف نفسيا وتربويا ، يتاثرون بالاسوة العملية فى ساداتهم وكبرائهم ، اكثر مما ينفعلون بما يقرأ عليهم أو يكتب لهم ، أو ينصحون به .

سابعا : ان اوروبا ، فى عصورها المظلمة (الوسطى) قد اقتبست من تاريخنا وهو لم يكتب بعد كما هو الآن ، وانتفعت بحضارتنا العربية الاسلامية ، ونقلت علومها وفنونها وآدابها ، كما يعترف بذلك (رينان) و (جب) و (جوستاف لوبون) و (آرثر) وغيرهم من المفكرين والمؤرخين الغربيين .

فكيف يقال : ان تاريخنا لم يكتب بعد ؟

الواقع ، اننا نحن آباء ، ومعلمين ومربين ، كتابا وصحفيين واذاعيين — مسئولون عن عدم الانفعال بتاريخنا العظيم ومثلنا فى القاء التبعية على التاريخ واتهامه بالعجز والتقصير .. كما قال الشاعر الحكيم :

نعيب زماننا ، والعيب فينا
وما لزماننا عيب .. سوانا

وفى المقالات التالية ، اذا اذن الله واعان ، نواصل الكلام عن السوابق العربية والاسلامية ، فى مختلف النظريات والعلوم ، ومناهج التفكير . لتكون هدى وموعظة لطلابنا وشبابنا .

والله — سبحانه — هو الموفق والمستعان .



يكتبها : عبد المنعم النمر

باكستان والقائد الأعظم

هى مواقف باكستان الرائعة بجانب العرب فى هذه الأيام ، استوقفنى منها بخاصة ، ما قرأته فى احدى الصحف المصرية من تعليق موجز ، يسجل للباكستانيين الموجودين فى انجلترا وألمانيا بلاءهم الحسن فى الدفاع عن قضيتنا ، وتبديد حملة الأكاذيب التى تشنها علينا أدوات الاعلام الصهيونية والغربية .

ذلك لأن المواقف الرسمية للحكومات لا تقف عند حد الروابط القلبية التى تربطها ، بل قد تصنعها أحيانا المجاملات أو المصالح .. واذا كنا نحن العرب نشعر بالتقدير العميق لموقف باكستان بقيادة الرئيس أيوب خان .. فان موقف هؤلاء الأفراد الذين لا صلة لهم بالرسميات ، ولكنهم اندفعوا الى حدائق (هايد بارك) وغيرها من الأندية والمجتمعات ، بفيض من شعورهم الاسلامى الخاص ، ليدافعوا عن اخوانهم المسلمين ، ويبددوا الضباب الكاذب الذى صنعته الدعايات المغرضة .. هذا الموقف هو الذى هزنى كمسلم ، يعتقد أن العقيدة الاسلامية ، والرباط الاسلامى هو أقوى رباط ، وأكبر حافز لجمع القلوب ، وتوحيد الجهود ، وأن المسلم ــ كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله)) .

واذا كنا نحن العرب الأوفياء لا ننسى موقفا كريما لحكومة أو لفرد أيا كان جنسه أو دينه ، فان موقف اخواننا الباكستانيين يؤكد ما نعتقده من وجوب العناية باستغلال هذه الطاقة الى أبعد مدى ، والهابها فى النفوس ، لتكون لنا أمضى ذخيرة فى مجابهة الأخطار التى نتعرض لها ..

وفى الرابع عشر من أغسطس الماضى احتفلت الباكستان بعيد استقلالها بين التقدير والتكريم من كل مسلم عربى . وحين تحتفل الباكستان بعيد استقلالها ، يذكر المحتفلون جميعا معها رجلين من رجالها ، وهبا كل جهودهم من أجل قيامها : يذكرون الدكتور ((محمد اقبال)) الذى أطلق هذه الفكرة فى خطبته أثناء اجتماع الرابطة الاسلامية فى مدينة ((الله أباد)) سنة ١٩٣٠ م ، ثم سخر لها كل أفكاره وتغنى بها فى أشعاره ، حتى توفى فى ابريل سنة ١٩٣٨ م .

ويذكرون رجلا آخر وقف فى عناد واصرار ، فى سبيل غايته ، التى عاش حتى رآها واقعا يرعاه ، ولكن لم يمتد به الأجل كثيرا حيث وافاه الأجل بعد قيامها بقليل ..

ذلك الرجل الآخر هو الذى يطلق عليه فى تاريخ باكستان الحديث لقب ((القائد الأعظم)) . ولم يكن له هـذا اللقب ، لأنه كان قائدا من قواد الحرب العظام ، بل لأنه قاد حركة قيام دولة للمسلمين حتى نجح فى تحقيقها . ذلك القائد الأعظم هو :

محمـد على جنـه (١)

ولعل من قبيل الصدف أن يكون أجداد محمد على ، مثل اجداد اقبال : من البراهمة الذين تحولوا الى الاسلام ، حيث شاء الله أن يكون من احفاد هؤلاء الأجداد مجاهدان عظيمان ، يقيمان دولة كبيرة للاسـلام على أرض الهنـد أو يعيدان قيام هذه الدولة .

وقد ولد محمد على فى كراتشى فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٧٦ م ، حيث تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى الهند ، ثم أرسله والده الى انجلترا ، حيث تلقى تعليمه الجامعى .. وعاد ليشتغل بالمحاماة .. وعن طريقهـا اشتغل بالحياة السياسية ، وانضم لحزب المؤتمر الهندى وعمـل تحت لوائه مدة ، ثم انضم للرابطة الاسلامية بعد قيامها بسنوات ، مشترطا أن يظل فى المؤتمر ، هادفا الى خدمة أغراض المسلمين ، وجمع بين عمله فى الجهتين للتوفيق بينهما قدر امكانه .. وبذل فى سبيل ذلك الكثير من جهده ووقته ..

ثم اضطر الى ترك ميدان الهند كلها ، وسافر الى انجلترا ، واقام فيها يشتغل بالمحاماة .. وذلك لأنه لم يكن موافقا على فكرة العصيان المدنى ــ شأنه فى ذلك شأن الفيلسوف الهندى (طاغور) ــ كما لم يكن مقتنعا بجهود المسلمين التى يبذلونها فى سبيل الخلافة .. ولمـا وجد أنه بعيد بأفكاره عن تيار السياسة فى الهند ، ذهب الى انجلترا وأقام فيها ، حتى استدعاه رجال الرابطة الاسلامية للعودة الى الهند ، ليقود سفينتها فعاد سنة ١٩٣٤ وكرس كل جهوده من اجلها ..

رسول الوحدة :

ذلك هو اللقب الذى أطلقه حزب المؤتمر على محمد على جنه واقيمت له قاعة باسمه فى بومبـاى ، تخليدا لجهوده فى سبيل الوحـدة بين المسلمين والهندوس ، وأرسلت له الشاعرة الهندية (سروجينى نايدو) بعد أن افتتحتها سنة ١٩١٨ من الهند برقية بهذا الاختيار وهو فى فرنسا ، قالت فيها : ((لقد عرفت الأمة فضل الرسول فى حياته)) . ذلك لأنه كان فى بدء حياته السياسية ، وحين انضوائه تحت لواء حزب المؤتمر ، متفانيـا فى سـبيل الوحدة بين المسلمين والهندوس ، متعصبا لها . وكان له حينذاك موقف بارز يناقض موقفه تماما فى آخر حياته ..

---

(١) هكذا ينطق اسم القائد الأعظم (جنه) جيم مضمومة ونون مفتوحة وهاء ساكنة تشبه هاء السكت ، لا حاء كما تنطق فى العربية (جناح) ومعناها فى اللغة الكجراتية (النحيف) ولعل استعمال حرف الحاء عندنا راجع الى أن الحرفين يكتبان بحرف (H) فعربناه حاء ، وسرنا على ذلك فى كل ما كتب بالعربية .

كان ذلك فى سنة ١٩٠٥ م حين أعلن الانجليز ــ كترضية للمسلمين بعد طول اضطهادهم ــ تقسيم البنغال الى قسمين : قسم للمسلمين ، وآخر للهندوس . حسب الأغلبية فى كل جزء ، وكان هذا التقسيم يمثل انتصارا للعاطفة الاسلامية ، فى الوقت الذى رأى فيه حزب المؤتمر بادرة لتقسيم الهند ، فحاربه بكل ما استطاع .. وتولى محمد على الهجوم العنيف على هذا التقسيم مع رجال المؤتمر ، حتى تراجع الانجليز ، وكان هذا التراجع خيبة أمل للمسلمين فى ذلك الوقت .

وقد ظل على ولائه لفكرة الوحدة حتى بعد أن انضم للرابطة الاسلامية .. وحتى بعد أن صار رئيسا لها ، وبعد أن أطلق اقبال فكرته فى قيام دولة خاصة للمسلمين سنة ١٩٣٠ .. وكان يحاول دائما التوفيق بين مصالح المسلمين والهندوس على أرض الهند ــ الأم الكبيرة ــ شأنه فى ذلك شأن الأغلبية العظمى من الزعماء المسلمين مثل مولانا محمد على(١) وأخيه شوكت على والدكتور أنصارى وغيرهم .. ممن كانوا يعملون بحماس من أجل الهند الكبيرة ، التى تضم المسلمين والهندوس معا ، وعلى صداقة وطيدة ، مع رجال المؤتمر وعلى رأسهم غاندى . ولكنهم اضطروا أمام ما اعتقدوه من وجود تيار داخل حزب المؤتمر ، ضد مصالح المسلمين كما كانوا يرونها .. اضطروا أمام ذلك الى التخلى عن الارتباط بالحزب والجهاد معه ، وبدءوا يحذرون اتجاهه ، ويندون ببعض تصرفاته التى تهدر مصالح المسلمين ..

وكان ذلك مما حدا باقبال الى اطلاق فكرته التى كانت تمثل أملا حلوا يغذيه دائما بأشعاره .

ومع ذلك ظل محمد على جنه مؤمنا بفكرة الوحدة ، يعمل لها ، ولا ييأس من الوصول اليها ، وكان أهم ما يجاهد من أجله هو أن يعترف حزب المؤتمر عمليا بالحقوق المشروعة لأقلية عظيمة كالمسلمين ، حتى تبقى للهند وحدتها ، ويطمئن المسلمون الى مصيرهم فى ظل الاستقلال .. وقد كان كثيرون من رجال المؤتمر يشاركونه الرغبة نفسها ، ويعملون على الاعتراف بالحقوق المشروعة للمسلمين ، لكنه كان فيه بعض المتطرفين الهندوس ، الذين كانوا يعرقلون كل سعى فى هذا السبيل . مما ربّى فى نفس محمد على جنه سوء الظن بالمؤتمر ، حين ينفرد بحكم الهند بعد الاستقلال ، كما ربّى فى كثير من زعماء المسلمين وفى مقدمتهم مولانا محمد على وأخيه شوكت ، سوء الظن نفسه ، فانعزلوا عن حزب المؤتمر ، واجتنبوه واجتنبوا زعماءه وفى مقدمتهم غاندى .. الذى كان هو ومولانا محمد على صديقين لا يفترقان وكان بيته هو المنزل المختار لغاندى فى اقامته بدلهى (٢) .

وظل محمد على جنه يبذل جهده للتوفيق بين مصالح المسلمين التى كان يرعاها ، وبين رغبات حزب المؤتمر ، ويعمل كل ما يستطيع لامكان التعايش بين المسلمين والهندوس فى وطن واحد ، وتحت ظل وحدة يرعاها الجميع ، حتى وجد كل جهوده وجهود المعتدلين من المؤتمر تذهب هباء أمام عناد المتعصبين

---

(١) رئيس جمعية الخلافة .

(٢) يمكن أن تراجع التفصيل الواسع لذلك فى كتاب (كفاح المسلمين فى تحرير الهند)

من حزب المؤتمر وغيرهم ، وهنا لم يجد بدا من اعلان مطـــالبته بما طالب به اقبال : من اقامة دولة خاصة بالمسلمين ، وكان ذلك فى سنة ١٩٤٠ م. أثناء الحرب العالمية الثانية ، أى بعد عشر سنوات من ولادة الفكرة (١) .

صـــمود :

ووقف بعد ذلك صامدا لا يتزحزح قيد شعرة عما طالب به ، وقف كالصخرة الصلبة التى تحطمت عليها كل ما عرض بعد ذلك من آراء المؤتمر والانجليز .. وفشلت المحاولات المتعددة فى زحزحته ، أو التأثير عليه ، واضطر الجميع أخيرا الى النزول عند رأيه ، وقامت دولة باكستان .. وأعتقد أنه كان من الممكن أن يتغير وجه تاريخ الهند ، لو لم يكن محمد على جنه قائدا لفكرة باكستان ..

فقد عرضت عليه عروض فى الفترة الأخيرة كان من الممكن لرجل معتدل أن يفكر فيها ، ويقبلها كحل وسط ، وتبقى الهند موحدة .. ولكن لم يكن هو من أصحاب الحل الوسط .. أو قل انه كان قد تجاوز هذه المنطقة ، ووصل الى نهاية الطرف الثانى ، فلم يكن من السهل عليه أن يقبل حلا وسطا بعد ذلك .. وبعد ما تأججت الفكرة فى نفوس المسلمين .. وبعد ما أصبح وجه باكستان الجميل وخيال الفردوس المنتظر يحجب عنه ، وعن المسلمين الذين أيدوه ، كل وجه آخر ، حتى ولو كان جميلا .. وصـــارت المكاسب المنتظرة من قيام دولة خاصة بهم ، تفوق فى نظرهم كل ما عرض أخيرا ، واشتمل على مكاسب لهم فى ظل الوحدة .

وقد كانت من صفات القائد الأعظم البارزة أنه يسير دائما وراء اقتناعه ، غير مبال كثيرا بالمعارضين ، وكان عنده من صلابة العزيمة ، وقوة الارادة ، ونزاهة القصد ، ما يؤهله لذلك ..

فعندما آمن بالوحدة فى مستهل حياته السياسية ، وقف يهاجم مشروع تقسيم البنغال ، وكان فى مصلحة المسلمين — كما سبق — وبعـــد أن انضم للعصبة الاسلامية لم يترك حزب المؤتمر ، بل ظل يعمل للتوفيق بينهما من أجل الوحدة التى آمن بها وظل سنين طويلة يعمل فى سبيلها ، مؤملا فى المعتدلين الهندوس من رجال حزب المؤتمر ، حتى فقد أمله ، فاعتنق فكرة التقسيم ، وهى ضد الفكرة التى أفنى زهرة شبابه من أجلها ..

وحين أجمعت الهند على حركة عدم التعاون ولم يكن من أنصارها ، وحين وجد المسلمين يتجهون بكل قوتهم الى حمـــاية دولة الخلافة ولم يكن ممن يرى هذا .. ترك الهند كلها وسافر الى انجلترا .. ولم يجد فى نفسه منزعا للنزول على حكم التيار الغالب للشعب .. وهكذا كان .. حين اعتنق فكرة التقسيم .. سار بها غير ملتفت يمينا أو شمالا ، حتى وصل اليها ، وتحققت ، عندما أعلن الانجليز تركهم للهند وتسليمها لدولتين : دولة (بهـــارت) أى الهنـــد ، ودولة باكستان ، وذلك فى أغسطس ١٩٤٧ م .

---

(١) راجع ص ١٩٤ من المصدر السابق .

وكان القائد الأعظم حينذاك قد تجاوز السبعين ، وأنهك جسمه النحيل الجهاد المستمر المضنى ، ومكن للمرض منه .. وعين أول حاكم عام لها ، وبدأ يشرف على بناء الدولة الجديدة ، وأعلن يوم قيامها للشعب : « ان قيام باكستان وسيلة وليست غاية » . ولكن لم يمهله القدر طويلا ، ليرعى البناء الذى وضع له حجر الأساس ، حيث توفى الى رحمة الله فى ١١ سبتمبر ١٩٤٨ .

وقد بدأت دولة باكستان قيامها وحياتها من الصفر كما يقولون ، وكانت مظاهر الدولة كلها فى دلهى ، وكان مركز الثقل فى الصناعة والموانىء وغيرهما فى المناطق التى كانت من نصيب الهند ..

فسارت الهنـد فى طريق الحياة العـادية التى كانت تسير فيـه قبل الاستقلال ..

أما باكستان فقـد بدأت تضع أسس دولة جديدة بكل مستلزماتهـا فى كراتشى .. كانت تشبه الى حد كبير أحد أفراد الأسرة الذى أجبرته الظروف على أن يترك بيت الأسرة المؤسس المستعد ، ليستأنف حياة جديدة فى بيت جديد يحتاج الى كل شىء صغير وكبير ..

كان الموظفون فى الدولة الجديدة لا يجدون الكراسى التى يجلسون عليها ، فكانوا يجلسون على الأرض ، ولا يجدون الورق الذى يكتبون عليه .

ولولا العزائم المشبوبة ، والحوافز الدافعة ، لولا الايمان بالدولة الذى يغلى فى نفس كل فرد ، ولولا عناية الله أولا وأخيرا .. ما وصلت باكستان الى ما وصلت اليه الآن من قوة وتقدم فى جميع نواحى الحياة .

ولازلت أذكر حديثا جرى بينى وبين أحد خبراء هيئة الأمم المتحدة هناك ــ وكان مصريا ــ يوم نزلت كراتشى لساعات ، وأنا فى طريقى للهند فى التاسع من يناير سنة ١٩٥٦ .. قال لى وهو يقص على شيئا من مظاهر النهضة ومن العوائق التى تقف فى طريقها :

« كنت فى حديث مع أحد الخبراء الغربيين الذى يتردد كثيرا على باكستان ، وكان قد زارها بعد فترة من زيارته لها حين قيامها ، فقال لى (للخبير المصرى) : الآن أيقنت أن الله مع باكستان . لقد رأيتها وعرفت ظروفها حين قامت ، ولم أكن آمل مطلقـا أن تنهض .. كنت أعتقـد أنها ستفشل ، وتعود الى أحضان أمها الهند .. والآن حين رأيتها ، ورأيت مظاهر التقدم والحياة الجادة فيها ، أيقنت أن الله معها .. » .

مضى على ذلك الحديث الآن أكثر من عشر سنوات ..

واليوم نرى باكستان تأخذ وضعها الدولى القوى فى الداخل والخارج .. ونرى منها ــ نحن المسلمين ــ الشقيقة التى ترعى حقوق الأشقاء ، وتبادلهم السراء والضراء .. ويعلن وزير خارجيتها السيد / شريف بيرزاده ، وقد حضر جلسة الافتتاح لمؤتمر وزراء المـال والبترول فى بغداد ، يعلن « ان باكستان ستلتزم بما يقترحه العرب لازالة آثار العدوان الاسرائيلى » .

حيا الله الباكستان ، ورجالها الأشقاء فى كل مكان ..

مائدة القارئ

اعدها ابو نزار

الايمان والتمنى

« ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب . وصدقه العمل ، ان قوما ألهتهم أماني المغفرة . حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا . نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

— حديث نبوي »

امتنا

« ان امتنا لم تكن ذنبا لاحدى « الأمبراطوريات »

« التي ظهرت في التاريخ ، ولن تكون ذنبا لاحدى الجبهات القائمة الآن في العالم .

ان أمتنا أمة ذات رسالة ، لا يجوز أن تتخلى عنها ، ولا أن تجهل قيمتها ، ولا أن تتقهقر عن حملها . »

الاسلام كل لا يتجزا

« ليس في المصحف سورة تؤثر وأخرى تهدر .

وآية نرضى حكمها ، وأخرى نسخطه .

ان الوحى كله نظام الهى متكامل يتسم .

بالقداسة والعصمة في جملته وتفصيله ، فلا مكان لاطراح جانب منه واصطحاب آخر .

ابنة شقيق ملك انجلترا تتلقى العلم في جامعة اسلامية

من جورج الثانى ملك انكلترا والغال والسويد والنرويج الى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الاندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوقير ، فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فاردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من اربعة اركان .

ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة « دوبان » على رأس بعثة من بنات أشراف الانكليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب من اللواتى سيتوفرن على تعليمهن .

ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل . ارجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص .

من خادمكم المطيع ،

جورج م. أ.

من معانى الآية

١ — يراد بالآية طائفة من حروف القرآن الكريم — « تلك آيات الكتاب المبين »

٢ ــ ويراد بها العلامة ــ « رب اجعل لي آية »
٣ ــ وتطلق على المعجزة ــ « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات »
٤ ــ ويراد بها العظة والعبرة « ان في ذلك لآيات لأولى النهى »
٥ ــ ويراد بها البرهان ــ « سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا »
٦ ــ وتطلق على حكم من احكام الله ــ « تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

ايام الخليل

قال الخليل بن أحمد : أيامى أربعة .

يوم اخرج فألقى فيه من هو أعلم منى ، فأتعلم منه ، فذلك يوم فائدتي وغنيمتي .

ويوم أخرج فألقى فيه من أنا اعلم منه ، فأعلمه ، فذلك يوم أجرى .

ويوم أخرج فألقى فيه من هو مثلى ، فاذاكره ، فهذا يوم درسى .

ويوم أخرج فألقى فيه من هو دونى ، وهو يرى أنه فوقى ، فلا اكلمه ، وأجعله يوم راحتى .

طردا وعكسا

هذه الكلمات يمكن أن تقرأها من اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين دون أن يتغير نطقها ومعناها .

★ وربك فكبر
★ سر فلا كبا بك الفرس
★ ربك فكبر

بلوى ونعمى

نعما ما يبتلينا به الله اذا كان من ورائه توبة من هذا الفسوق وجمعة من هذا التفرق ، ونصرة من تلك الهزيمة .

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت
ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

رويد يهود

رويد يهود ، هل لها في حصونها
من الباس الا ما تظن السلاحف
يظنون أن لن ينسف الله ما بنوا
ولن يثبت البنيان ، والله ناسف
سيلقون بؤسا بعد أمن ونعمة
فلا العيش فياح ولا الظل وارف

آونة وأوان

يظن بعض الكتاب ان آونة لفظ مفرد ، ولهذا يستعملونها على هذا الاساس ، والصحيح أنها جمع اوان مثل ازمنة وزمان .

الأيدي المتوضئة

راينا في الشرق مشروعات لا ينقصها صواب الفكرة ، ولا صدق الوجهة ، ومع ذلك فقد زاغت وذابت ، لا لشىء الا لأن الأيدي غير المتوضئة هي التي باشرتها ، والقلوب الخالية من الله هي التي سيرتها .

الطيبات والمرارات

قال عبد الله بن شداد لابنه وهو يعظه .

انى ذقت الطيبات كلها فلم أجد أطيب من العافية .

وذقت المرارات كلها فلم أجد أمر من الحاجة الى الناس .

ونقلت الحديد والصخر فلم أجد أثقل من الدين .

١٢ وساما

اشتركت أم عمارة « نسيبة بنت كعب » مع المسلمين فى غزوة احد ، فشدت ثيابها على وسطها تسقى الجرحى ، ولما انهزم المسلمون وقفت تدافع عن النبي وقد اصيبت فى هذه الموقعة باثنى عشر جرحا ، واثنى عليها رسول الله فقال :

لمقام نسيبة اليوم خير من مقام فلان وفلان . ما التفت يمينا ، ولا شمالا الا وأنا اراها تقاتل دونى .

شكوى

قد كان هذا الكون قبل وجودنا ... روضا وأزهاراً بغير شميم
والورد في الأكمام مجهول الشذى ... لا يرتجى ورد بغير نسيم
بل كانت الأيام قبل وجودنا ... ليلا لظالمها وللمظلوم
لما أطل محمد زكت الرُّبى ... واخضر في البستان كل هشيم
وأذاعت الفردوس مكنون الشذى ... فاذا الورى في نضرة ونعيم

★★★

قد كان في اليونان فلسفة وفي الـ ... رومان مدرسةٌ وكان الملك في ساسانِ
لم تغن عنهم قوة أو ثروة ... في المال أو في العلم والعرفان
وبكل أرض سامرى ماكر ... يكفي اليهود مؤونة الشيطان
والحكمة الأولى جرت وثنية ... في الصين أو في الهند أو توران
نحن الذين بنور وحيك أوضحوا ... نهج الهدى ومعالم الايمان

★★★

لم نخش طاغوتاً يحاربنا ولو ... نصب المنايا حولنا أسوارا
ندعو جهاراً لا اله سوى الذي ... صنع الوجود وقدَّر الأقدارا
ورؤوسنا يارب فوق أكفنا ... نرجو ثوابك مغنما وجوارا
كنا نرى الأصنام من ذهب ... فنهدمها ونهدم فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لحازها ... كنزاً وصاغ الحُلْىْ والدينارا

★★★

كم زلزل الصخر الأشم فما وهى ... من بأسنا عزم ولا ايمان
لو أن آساد العرين تفزعت ... لم يلق غير ثباتنا الميدان
وكأن نيران المدافع في صدو ... ر المؤمنين الروح والريحان

من قصيدة طويلة بهذا العنوان لشاعر باكستان وفيلسوفها الكبير الدكتور محمد اقبال . ترجمها الى العربية الأستاذ محمد حسن الأعظمي ونظمها شعرا الشيخ الصاوي شعلان . ولعلنا نعود فنقدم للقراء بعض ما ضاق المجال عن تقديمه الآن .

توحيدك الأعلى جعلنا نقشه — نوراً تضيء بصبحه الأزمان
فغدت صدور المؤمنين مصاحفا — في الكون مسطوراً بها القرآن

★★★

من غيرنا هدم التماثيل التي — كانت تقدسها جهالات الورى ؟
حتى هوت صور المعابد سجّدا — لجلال من خلق الوجود وصورا
ومن الألى حملوا بعزم أكفهم — باب المدينة يوم غزوة خيبرا ؟
أم من رمى نار المجوس فأطفئت — وأبان وجه الحق أبلج نيرا ؟
ومن الذي بذل الحياة رخيصة — ورأى رضاك اعز شيء فاشترى ؟

★★★

نحن الذين استيقظت بأذانهم — دنيا الخليقة من تهاويل الكرى
نحن الذين دعوا لصلاتهم — والحرب تسقى الأرض جاما أحمرا
جعلوا الوجوه إلى الحجاز وكبروا — فى مسمع الروح الأمين فكبرا
محمود مثل أياز (١) قام كلاهما — لك بالخشوع مصليا مستغفرا
العبد والمولى على قدم التقى — سجدا لوجهك خاشعين على الثرى

★★★

بلغت نهاية كل أرض خيلُنا — وكأن أبحرها رمال البيد
فى محفل الأكوان كان هلالنا — بالنصر أوضح من هلال العيد
في كل موقعة رفعنا راية — للمجد تعلن آية التوحيد
أمم البرايا لم تكن من قبلنا — إلا عبيدا فى اسار عبيد
بلغت بنا الأجيال حرياتها — من بعد أصفاد وذل قيود

(١) السلطان محمود الغزنوي واياز خادمه .

قد هبــت الأصنام من بعد البــلى واستيقظت من قبل نفخ الصــور
والكعبة العليا تواري أهلهــــا فكأنهم موتى لغـير نشــــور
وقوافل الصحراء ضـد حداتهـــا وغدت منازلها ظلال قبــــور
أنا ما حسدت الـكافرين وقد غدوا في أنعم ومواكب وقصـــور
بل محنتي الا ارى في امــــتي عملا تقـدمه صداق الحـــور

★★★

لك في البرية حـكمة ومشيئــة أعيت مذاهبها أولى الألبـــاب
ان شئت اجريت الصحاري انهــرا أو شئت فالأنهـار مـوج سراب
ماذ دهى الاسلام في ابنائــــه حتي انطووا في محنة وعـــذاب
فثراؤهم فقر ودولة مجدهـــم في الأرض نهب ثعـالب وذئـاب
عاقبتنا عـدلا فهب لعدونـــا عن ذنبه في الدهر يوم عقـــاب

★★★

عاشوا بثروتنا وعشنا دونهـــم للموت بين الذل والامــــلاق
الدين يحيـا في سعادة اهــــله والكأس لاتبقى بغير الســـاقي
اين الذين بنـار حبك ارسلو الأ نوار بين محافل العشـــاق
سكبوا الليـالى في أنين دموعهـم وتوضأوا بمدامع الأشـــواق
والشمس كانت من ضياء وجوههم تهدي الصبـاح طـلائع الاشراق

★★★

كيف انطوت أيامهم وهـم الألى نشروا الهدي وعلوا مكان الفرقـد
هجروا الديار فأين أزمع ركبهـم من يهتدي للقــــوم أو من يقتدي
ياقلب حسبك لم تُلِمّ بطيفهـــم الا على مصباح وجه محمــــد
فازوا من الدنيـــا بمجدٍ خالدٍ ولهم خلود الفوز يوم الموعــد
يارب الهمنا الرشاد فما لنـــا في الكون غـيرك من ولى مرشـد

★★★

يافرحــة الأيام حـــين نري بها روض التجلى وارف الأغصـــان
ويعود محفلنــــا بحسنك مسفرا كالصبح في اشراقه الفينــــان
قد هـاج حـزني أن أري أعــداءنا بين الطلا والظل والألحـــان
ونعالج الأنفـــاس نحن ونصطلى في الفقر حين القوم في بستـــان
أشرق بنـورك وابعث البرق القديــ ــم بومضة لفراشك الظمـــآن

برغم وضوحها البين . وطالما أنذر المشرع الاسلامى — فى القرآن والحديث — بمغبة الخلاف حول تفسير الهدف من الدعوة اتقاء لآثارها الوخيمة على العقيدة والأمة ، ذلك لأن وحدة الصف لا يمكن أن تقوم لها قائمة دون وحدة الهدف . ووحدة الهدف بدورها لا تتأتى الا بايضاحه وتحديده .

والآيات التى تتناول الهدف من الشريعة الاسلامية تصفه وصفا واضحا لا لبس فيه ، فهو الايمان بالدين الحق القويم السمح الذى يتفق مع الجـــانب المشرق فى النفس الانسانية .

« انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا »

« تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين »

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين »

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » .

فالدين الاسلامى يتفق مع الفطرة السليمة ولا يجافى الطبيعة البشرية . فهو يبيح كل ما ينفع الانسان ويحرم كل ما يضره ، وهو يحدد التكاليف الشرعية فى قواعد أساسية لا لبس فيها ولا غموض . ويحدد واجبات الدولة فى هدف أساسى محدد أيضا هو الكفالة الاجتماعية بأوسع معانيها وتتلاقى جميع هذه الأحكام سواء منها ما يتعلق بالفرد أو الجماعة أو الدولة فى الحكمة من تشريعها وهى سعادة الفرد والمجتمع . فلا قيود مفروضة على الأفراد طالما أنهم ينتهجون الطريق القويم ، ولهم مطلق الحق فى الاستمتاع بالطيبات المشروعة وما أكثرها فى الحياة ، فالاسلام يدعو الى القصد فى العبادة وترك الغلو فى الدين ، لأن الملحوظ فى وضع التكاليف الانسجام مع فطرة الانسان . وعدم اهمال نوازعه النفسية والجسدية ، وهذا الانسجام يمكن للدين فى النفس ، ويمنع أسباب ملالة التعبد ويعطى فرصة لأداء واجبات الحياة الدنيا .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » .

« يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

والقيم الروحية التى يدعو الاسلام الى تثبيتها فى جميع منـــاحى التفكير والعمل الانسانى كلها تتفق مع المنطق والفطرة السليمة والمثل العليا للانسانية ، ولكنها تدفع الانسان الى تحقيق أحلامه المشروعة منذ أقدم الأزمان وهى : الحرية والمساواة والاخاء فى المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية ، وعلى رأس هذه القيم الايمان بالحق والعلم والعمـــل والتقوى والحرية والعدل والرحمة والسلام .

ولقد جاءت الآيات محكمات فى تعريف هذه القيم وتحديدها وبيان أصولها وأحكامها . كما وردت الأحاديث شرحا وتفسيرا لها فى كلمات بسيطة محددة لا تحتمل اللبس أو الغموض . والرسول عليه الصلاة والسلام يقول :

« الحلال بيِّن والحرام بيِّن » .

ونخلص مما تقدم الى أن سمو الهدف من الدعوة الاســـلامية ووضوحه وملاءمته للطبيعة البشرية فى نزوعها الى الخير ، وتطلعها الى الكمال ، كانت من أهم المقومات التى خص الله بها رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جعلها الله سبيلا الى نجاحه فى نشر العقيدة ، حتى ارتفعت ألويتها فى مشارق الأرض ومغاربها ، ونشأ فى ظلها قادة وأبطال أعز الله بهم الاسلام وأكرم البشرية جمعاء .

صلاح الدين .. البطل

محمد يونس

صورة نادرة من الشجاعة

يعرض الكاتب الفاضل فى هذا المقال صورا مشرقة للخلق الاسلامى الرفيع فى شخص صلاح الدين الأيوبى ، ذلك البطل المسلم الذى نحتاج الآن الى من يعيد لنا ذكرى شجاعته وبطولته ، ويقوم بالدور العظيم الذى قام به فى تطهير البلاد الاسلامية والأماكن المقدسة من أيدى غاصبيها فهل يعيد التاريخ نفسه ؟

الوعى الاسلامى

أمثلة من الخلق الاسلامي :

خير ما ينبغي للعرب والمسلمين ، أن يفعلوه ــ وهم في نكبتهم الجديدة التى تتمثل في العدوان اليهودى الجديد واحتلال بقاع جديدة من أرض العروبة ــ هو أن يعودوا الى الاسلام دينهم الحنيف ، وأن يستلهموا منه معاني القوة ، والشجاعة والثبات .

وخير ما ينفع العرب والمسلمين هذه الأيام ، هو أن يتمثلوا أخلاق عظمائهم القدامى ، وأن يسيروا على نهجهم في الحرب والسلام .

والتاريخ العربي الاسلامي يزخر بالعديد من الأمثلة على مبلغ ما كان يتحلى به المسلمون من نبل الأخلاق ، وكريم الطباع ، ومقدار ما كانوا يتسمون به من المروءة ، وابداء العطف حتى تجاه الاعداء ، وفي ساحات الحروب والمعارك .

ولقد كان منقذ فلسطين ومحرر بيت المقدس بطل الاسلام والعروبة صلاح الدين الايوبي امثولة حية للخلق الكريم الذي جاء به الاسلام ، وقدوة حسنة لغيره من القادة والحكام فيما يجب أن يكون عليه القائد والحاكم ، من الشهامة والعفة والرحمة .

ذلك ان ما اظهره هذا الحاكم المسلم المثالي من ضروب التسامح ، ومن آيات النزاهة والتعفف عن الأذى ، قد غدا مضرب الأمثال في التاريخ البشري كله ، حتى ان اوروبا المجرمة المعتدية على العروبة والاسلام ، لم تجد بدا من أن تشيد



والمروءة

الاستاذ : سليم طه التكريتي
المحامي - بغداد

بذكر فضائله ، ومواقفه المشرفة في بطون ما دونه كتابها ومؤرخوها من سير وتواريخ .

ذلك لأنه لم يحدث في تاريخ الحروب كلها منذ أن وجدت البشرية حتى الآن أن شهد العدو الخاسر المنهزم من الرعاية والتكريم على يد القائد الظافر بمثل ما أظهره صلاح الدين الأيوبي تجاه الصليبيين المغيرين على بلاد العرب والاسلام .

فكلما ذكرت الحروب الصليبية التي شنتها اوروبا على الشرق العربي الاسلامي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، برزت الى الذهن صورة ذلك البطل الاسلامي الخالد صلاح الدين الأيوبي ، وصورة الفروسية الحقة التي تجلت في مآثره الخالدة وخوالد أعماله مما لم يستطع معه أشد الغلاة في معاداة العرب والمسلمين أن يجرؤوا على نكرانه أو اهماله ، وعدم الاشادة به .

★★★

في أوائل صيف سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) كان صلاح الدين الأيوبي قد أعد كل شيء لخوض المعركة الحاسمة ضد الصليبيين الذين ظلوا رغم ما أنزله صلاح الدين وأخوه الملك العادل بهم من هزائم منكرة في معارك عديدة يحتلون القسم الأكبر من أرض فلسطين بما فيها بيت المقدس .

وكان من بين ما أعده صلاح الدين لهذه المعركة خطة عسكرية حكيمة ، استهدف من ورائها اخراج القوات الصليبية من الأراضي السهلية ، التي تتوفر المياه والأشجار فيها ، الى سلسلة الجبال الجرداء التي

تقع بين سهل (صفورية) وبحيرة طبرية ، حيث اتخذ من قرية طبرية التي تقع غربي جنوبي البحيرة مقرا له ، ومنطلقا منها الى المعركة .

وقد نجحت خطة صلاح الدين هذه نجاحا هلل له وكبر ، فقد تحرك الصليبيون من سهل صفورية باتجاه طبرية عبر سلسلة الجبال الجرداء ، ومنها جبل الطور الذي تقع (حطين) عنده حيث لقيتهم قوات صلاح الدين فأبادت القسم الأكبر منهم ، فلم يجدوا امامهم من منفذ للنجاة سوى أن يستسلموا ، ومن يومها انفتح الطريق الى بيت المقدس امام صلاح الدين وقواته الظافرة .

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب من تلك السنة ، كان صلاح الدين الأيوبي واخوه العادل يؤديان صلاة الجمعة في بيت المقدس، بعد أن انزل الصليب من على قبة الصخرة المشرفة ، وازيلت الصور التي نقشت في أرجاء الصحن الشريف .

يتفقد احوال الأعداء

****

وبعد يومين كان صلاح الدين وأخوه وكبار رجاله بباب قلعة القدس يشهدون رحيل الصليبيين عن المدينة بعد أن سمح لهم صلاح الدين بذلك لقاء فدية بسيطة ، وعز على صلاح الدين أن يرى أغنياء الصليبيين ، وعلى راسهم هرقليوس بطريرك القدس ، يخرجون بأموالهم وكنوزهم من المدينة ، دون أن تأخذهم الرافة بالفقراء من بني قومهم فيسعفوهم بمبلغ الفدية .

واذ ذاك اصدر صلاح الدين اوامره بأن يسمح لخمسمائة من فقراء الصليبيين بمغادرة المدينة من دون فداء .

والتفت اليه أخوه الملك العادل يسأله أن يسمح له بأن يطلق هو الآخر سراح ألف فقير دون فدية ابتغاء لثواب الله ، ولبى صلاح الدين طلب اخيه وامر باطلاق سراح الف صليبي جديد .

وفضلا عن ذلك أمر صلاح الدين بأن ترافق الراحلين عن المدينة فصائل من فرسان المسلمين ، تسهر عليهم خلال الطريق ، وتحول دون وقوع اى اعتداء عليهم ، الى ان يبلغوا الاماكن التي يقصدونها .

وفي اليوم التالي كان صلاح الدين وبعض رجاله أمام كنيسة القيامة فى القدس .

وبعد أن ترجل صلاح الدين ورجاله عن خيولهم ، خاطب قومه قائلا لهم : ان بعض الأمراء الذين وفدوا ارادوا هدم الكنيسة وازالة معالمها . ولكنني رفضت فهم مخطئون ذلك لأننا لم نأت للهدم والتخريب . . لو فعلنا ذلك لآتينا عملا لن يرضى الله عنه . . سيبقى هذا البناء قائما كما اراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يبقيه قائما .

وعلى اثر ذلك تقدم اربعة من الرهبان يطلبون الاذن من السلطان صلاح الدين أن يسمح لهم بالبقاء فى كنيسة القيامة ، لاقامة الطقوس الدينية فيها ، واعفاءهم من الضرائب واشباهها ، ورد صلاح الدين على طلبهم في الحال يقول : (سيكون لكم ما تريدون ، ولن ادع احدا يقول : ان صلاح الدين رفض طلبا لواحد منكم) .

وحين كان صلاح الدين يواصل جولته في شوارع القدس تقدم منه شيخ مسن وهو يمسك بفتى ، وشرع يشرح للسلطان ظلامته ، ويقول : انه مسيحي صليبي سكن القدس منذ زمن طويل ، وان هذا الشاب عربي مسلم دخل المدينة سرا فآواه الشيخ واسكنه معه ، وقاسمه طعامه وشرابه ، ولكن الشاب تنكر للشيخ بعد ان افتتح المسلمون المدينة وطرده من بيته ، واستولى على كل ما فيه من متاع .

واذ سمع صلاح الدين ذلك قال

لأخيه العادل : (ردوا للشيخ بيته وماله واعفوه من الضريبة والفدية ، واسجنوا هذا الشاب الى ان ننظر في امره) .

واذ خطا صلاح الدين خطوة واحدة في طريقه قطع سبيله شخصان تحدث أحدهما فقال : انه يدعى محمود البصري سقط في معركة بيسان جريحا ، وكاد ان يموت ، لولا ان قيض الله له هذا الرجل الذي يرافقه ، وهو صليبي فاعتنى به وانقذ حياته ، وقد رآه الآن في القدس وهو فقير ، لا يستطيع دفع مبلغ الفدية ، وانه يطلب الى صلاح الدين ان يعفيه من هذه الفدية ويسمح له بالرحيل .

واذ انتهى محمود البصري من كلامه التفت صلاح الدين الى ذلك الصليبي فقال له : (أنت حر معفى من كل قيد ، لك ان تذهب انى تشاء ، او تبقى في المدينة معززا مكرما) .

وحين جلس صلاح الدين ليستريح بعد طوافه بالمدينة ، سأل من كانوا معه ، عما فعلوه بشأن نساء الافرنج ، فأجابوه بأنهم قد نفذوا اوامره واحاطوهن بكل رعاية واحترام .

واذ علم ذلك قال لقومه : (أريد منكم ان تطلقوا سراح (باليان) الذي دافع عن بيت المقدس ، وتطلقوا سراح زوجته (ماري) وكذلك (سبيلا) زوجة (غوى) ملك القدس الذي اسرناه في معركة حطين ، وان تدفعوا الفدية عنهم من بيت المال ، وان تتألف سرايا من رجالكم تبحث عن الأسيرات والسبايا من نساء الافرنج واعادتهن الى الثغور مكرمات .

ولم يكتف صلاح الدين بذلك كله ، بل كان يقوم متنكرا بالتطواف في شوارع القدس وازقتها الموحلة ، يطرق أبواب الصليبيين ومؤسساتهم مستطلعا أحوالهم بنفسه ، واقفا على كل صغيرة وكبيرة من شؤونهم .

فقد تزيا بزي حاج صليبي ودخل مستشفى القديس يوحنا ، وأمضى فيه يومين كاملين ، ليخبر أوضاعه ، واحوال المشرفين عليه من الرهبان والراهبات ، ومدى اخلاصهم في اداء واجبهم .

★★★

وفي ليلة عيد الميلاد كان احد جنود الافرنج ويدعى (جرفيه) الاعرج يجتمع مع زوجه واولاده الأربعة ، ليحتفل بعيد الميلاد رغم ما كان يعانيه من عوز وشدة فقر ، وقد انضم الى العائلة شيخان هرمان مجاوران لهما

وكان جرفيه لا يفتأ يحدث الحاضرين بأن معجزة ستقع ، وتحول حالهم من بؤس الى نعيم .

وتمت المعجزة حين سمعوا بالباب صوتا يقول (عيد سعيد يا قوم . عيد سعيد يا جرفيه) .

وحين هتف جرفيه يسال عن صاحب الصوت هذا أجابه (انا صلاح الدين يا جرفيه) .

وكانت لحظة سعيدة حقا للمحتفلين . فقد امر صلاح الدين بأن تترك لعائلة جرفيه وذينك الشيخين الحرية المطلقة في بيت المقدس ، وان يخصص لهم معاش يكفيهم من مال السلطان .

وعلم النصارى صباح اليوم التالى بما فعله صلاح الدين لعائلة جرفيه وامثالها ، فظلوا يذكرونه في صلواتهم وظلت الروايات عن كرمه وشهامته وعطفه حديث الأجيال والأحقاب .

حين انتصر المسلمون انتصارهم الرائع الكبير في معركة حطين ، طلب صلاح الدين أن يؤتى اليه بكبار الأسرى من الصليبيين ، وكان من بينهم (غوى) ملك القدس ، وعندما ادخل عليه هش له صلاح الدين ، وخفف من روعه ، واجلسه على مقربة منه ، وناوله ماء مثلجا ليطفىء به ظمأه ، وعامله بكل ادب واحترام .

وقصة صلاح الدين مع خصمه اللدود « ريكاردوس » الانجليزي الملقب بقلب الأسد مشهورة شهرة صلاح الدين نفسه وسيرته العطرة .

فحين وقع ريكاردوس مريضـــا تنكر صلاح الدين في زي طبيب عربي ، واقتحم معسكر الاعداء ، ودخل على ريـــكاردوس ، وبعـــــد ان جس نبضه ، واستفسر عما يشكوه مـــن الم ، اعطاه دواء فسقاه اياه ، واذ انتهى من ذلك كشف عن شخصيته وقال يخاطب ريكاردوس (انا صلاح الدين يا ريكاردوس) ولو كنت اضمر لك شرا لوضعت السم في الــدواء الــذي سقيتــك ايــاه .. ولكننــا يا ريكاردوس لا نغتال غــدرا ، ولا نقتل الا في ساحات الحروب) .

وفي احدى المعــارك وقع احــد فرسان الافرنـــج اســـيرا في ايــدي المسلمين ، وقد جاءوا به الى صلاح الدين ، لان ذلك الفارس اعترف بأنه قتل عددا كبيرا من ابطال المسلمين . وبعد ان حاوره صلاح الدين سألـــه عن امنيته قبـل ان يمــوت ، فــرد الصليبى انه يريد ان يؤتى بخنجـــره الذى تكسر نصله ويدفن معه .

وهنا برزت شهامة صلاح الدين فاعترف ببسالة ذلــك الصليبـــي ، فاهداه خنجره الذهبي الذي كــان يحمله ، وامر بأن يطلق سراحـــه ، وطلب الى بعض فرسانه ان يبحثوا عن الخنجر المحطم فيردوه الى صاحبه الاسير .

★★★

وحدث حين كان صـــلاح الديـــن يحاصر قلعة (الكرك) ان كانت زوجة ملكها الافرنجي تحتفل بعقد قــران ولدها ، وقد بعثت بهـــذه المناسبـــة بهدايا الى صلاح الدين . وما ان علم صلاح الدين بالامر حتى ابلغ رسل تلك الاميرة بأن القتال سيتوقف هذه الليلة وغدا وبعد غد . وعلى اثــر ذلك اصدر اوامره الى قادة جيشـــه بأن يتوقف القتال ثلاثة أيام الى ان تنتهي الافراح في القلعة المعاديــــة المحاصرة . وهذا الذي فعله صلاح الدين لم يفعله أى قائد قبله او بعده ، ولم يحدث مثله في تاريخ الحروب حتى الآن .

وبعد الظفر اللامع الذي حققــه المسلمون في معركة « مرجعيـــون » جيء بأحد الأسرى من الافرنج الى صلاح الدين ، وكان شابــا حــاول اغتيال صلاح الدين فى تلك المعركة ، وعرفه صلاح الدين حق المعرفـــة ، وذكر للشاب الحادث فلم ينكره .

ولكن ماذا حدث بعد ذلــك ؟ ان صلاح الدين الأيوبي لم يقطع رقبـــة ذلك الشاب الذي حاول قتله ، ولـــم يلق به في غياهب السجون ، وانمـــا اطلق سراحه بعد ان تطع ذلك الشاب على نفسه عهدا امام صلاح الديـــن بأن يبقى في البلاد الخاضعة لحكــم المسلمين ، ولا يعود الى الصليبيين ثانية .

★★★

ذلك غيض من فيض ممـــا خلـــده التاريخ الانساني عن الخلق الاسلامي الصحيح ، الذي تخلق بــــه صـــلاح الدين ، وتلك بعض الأمثلـــة علـــى الخلق القويم الذي جاء به الاسلام ، وجعله نبراسا للمسلمين يهتدون به في متاهات الحياة . فلقـــد كان صـــلاح الدين واحدا من اولئـــك المسلمـــين المؤمنين حقا ممن تشبعت نفوسهم بروح الاسلام ، وشبـــوا على مـــا غرسه فيهم من فضائل ومحامد .

ولقد بلغ صلاح الديـــن منتهـــى الدراية في حكمه ، ومنتهى العدل في احكامه ، ومنتهى الشجاعة في حروبه، ومنتهى الحلم في معاملة خصومـــه واعداء الاسلام ، ومنتهى العطف على رعاياه ، وتلك هي خصال الاســـلام ومبادؤه السامية .

ولن يستطيع المسلمون والعرب ان يطهروا ارض فلسطين من اليهـــود ويعيدوها عربية حرة مستقلة الا اذا عادوا الى الاسلام وتخلقوا باخلاقه ، وتمسكوا بتعا ليمه ، ونظموا شؤونهم على اسس قواعده واحكامه .

خطة الكتابة فى الموسوعة الفقهية

سبق أن نشرنا فى العدد السادس والعشرين من المجلة كلمة للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا خبير الموسوعة الفقهية التى تقوم على اعدادها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية . وقد تحدث فيها عن منشأ فكرة الموسوعة ، والغاية منها ، وكيفية سير العمل فيها ، وقد خطت اللجنة المنوط بها انجاز هذا العمل الضخم خطوات واسعة ، فأرسلت الى شخصيات علمية من مختلف الأقطار مجموعة من البيانات المتعلقة بالموسوعة لابداء ملاحظاتهم .

وكانت اللجنة قد رأت — حرصا منها على سرعة انجاز الموسوعة واخراجها لمن ينتظرونها بلهفة شديدة — تضييق نطاق عرض اختلاف الاجتهادات الفقهية بين المذاهب ، والاقتصار من ذلك على خلافات مذاهب أهل السنة الأربعة (الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى) من المذاهب المدونة تدوينا كاملا ، ثم المنقول من آراء الصحابة والتابعين وتابعيهم المتفرقة فى المصادر جمعا وصونا لهذا التراث المشتت من فقهم وتأخير عرض الخلاف الفقهى فى المذاهب الأربعة الاخرى (الزيدى ، والجعفرى الامامى ، والاباضى ، والظاهرى) الى المراحل اللاحقة عند تجديد طبع الموسوعة . وذلك لأن اتساع نطاق الخلافات الفقهية التى تعرض فى الموسوعة يستوجب زيادة الزمن اللازم لتحرير البحوث وتهيئتها للاخراج .

ولكن جاء فى أجوبة عدد من الشخصيات العلمية الموسوعية التى استطلعت اللجنة آراءهم استحسان شمول الموسوعة للآراء الفقهية فى المذاهب الأربعة الاخيرة من البداية ، ولو كان ذلك على حساب سرعة الانجاز ، تعميما للفائدة من هذا المشروع العظيم ، خشية الا يتيسر ذلك فى المستقبل ، وقد استجابت اللجنة لهذه الرغبات فرأت عرض الخلافات الفقهية فى المذاهب الأربعة (الزيدى والجعفرى والاباضى والظاهرى) بجانب خلافات مذاهب أهل السنة الاربعة .

وقد كتبت اللجنة الى الاساتذة الذين يساهمون فى كتابة الموسوعة بمراعاة خطة موحدة فى كتابة بحوثهم ، حرصا على وحدة الأسلوب والتناسق فى كتابة

الموضوعات ، واجتنابا لاختلاف منهج الكتابة مما يوجب تعديلا وتبديلا يستهلك جهدا ووقتا ، وقد تضمنت هذه الخطة عدة أمور منها :

١ ــ عرض الموضوع بأسلوب مبسط خال من كل تعقيد ، وبعبارة نيرة تجمع بين حسن الايجاز والاستيعاب والوضوح ، دون تكرار شيء سبق بيانه سوى ما تقتضيه اقامة نقاط الارتكاز ، أو حاجة الوصل أو التفريع بين سابق ولاحق من الكلام .

٢ ــ الاحالة فى الحاشية على المرجع المأخوذ منه فى كل مرحلة من البحث .

٣ ــ المحافظة على عبارات الفقهاء فى مصادرها الاصلية كلما كانت واضحة . وما كان فيها من اصطلاحات فقهية أو أصولية لا يفهمها غير الفقيه المختص ينبغى تفسيره فى الحاشية بأقل ما يكفى لفهم معناه بصورة اجمالية .

أما العبارات المعقدة فى مصادرها ، والمشتتة بين متن وشرح وحاشية فتصاغ فيها أماكن التعقيد صياغة جديدة من قبل الكاتب ، يحافظ فيها على أداء المعنى المقصود فى الاصل دون زيادة ولا نقص ، مع المحافظة على المفردات اللفظية فى الاصل ما أمكن .

٤ ــ عدم ادخال أى رأى شخصى أو اجتهاد للكاتب فى الاحكام الفقهية المعروضة ، لأن غاية الموسوعة عرض الفقه المدون الموجود بتبسيط وترتيب جديد ، وليست غايتها عرض آراء الكتاب ــ واجتهاداتهم .

٥ ــ الحرص على تخطيط البحث المكتوب مبتدئا من الامور البسيطة والمعلومات التمهيدية والعامة كالتعاريف والتقاسيم والاركان والشرائط ، مع ملاحظة تقديم البحوث الاساسية فى كل موضوع على البحوث الفرعية ، وتقديم الأحكام العامة فيه على الأحكام الخاصة ببعض الحالات .

٦ ــ خلال كتابة البحث يفرز الكاتب كل ما يمر به من ألفاظ صالحة لأن تكون عنوانا اصطلاحيا هو مظنة لأن يراجع عنه الباحث بصورة مستقلة . فما كان من هذ ه الالفاظ صالحا لأن يكتب فيه بحث مستقل ويدخل مع الكلمات العنوانية الاساسية التى تؤلف الهيكل اللفظى الكامل للموسوعة فان الكاتب يبين لادارة الموسوعة رأيه فى لزوم افراده ببحث وعنوان ، ولا يعالجه عندئذ معالجة كاملة فى ضمن البحث الاصلى الذى يكتبه ، وذلك بانتظار الموافقة على افراد اللفظ المذكور ببحث مستقل تعرض فيه أحكامه .

٧ ــ تعليل الأحكام التى يكون فى تعليلها وذكر دليلها قيمة علمية حيث يتضمن التعليل فهما دقيقا لنص ، أو اجتهادا قياسيا أو استحسانيا يعبر عن نظرية أو قاعدة ، ومناقشة خفيفة للدليل عند ذكر المذهب المخالف ، كل ذلك فى حدود الايجاز والاجمال دون الاسهاب ، وعندما يكون الدليل أو مناقشته مما يحتاج الى مزيد بسط فانه يشار اليه ويحال على مراجعه .

٨ ــ قضايا أصول الفقه وتقاسيمه وأحكامه لا تعرض بصورة مستقلة ،

لأن علم أصول الفقه يحتاج الى موسوعة خاصة (وربما يفرد له فى آخر الموسوعة جزء أو جزءان) . ولكن ما يأتى من القواعد الاصولية فى خلال تعليل الاحكام يذكر كمستند فى التعليل ، واذا كان مما يحتاج فيه القارىء غير المختص الى ايضاح فانه يوضح فى الحاشية ايضاحا تعريفيا فقط .

٩ — أن يذكر الكاتب فى أول البحث أو فى آخره مجموع المراجع التى نقل عنها فعلا مع ذكر الطبعة فى كل منها .

١٠ — بما أن الموسوعة سيعرض فيها الفقه فى مختلف مذاهبه ، وأن تلك المذاهب تختلف فى فقهها ومؤلفاتها لا فى الأحكام الاجتهادية فقط ، بل فى الاصطلاحات والتبويب والترتيب وطرق التعبير . وأساليب التصحيح والترجيح ، وأن مهمة الكاتب تنحصر فى عرض الفقه كما هو فى مراجعه الأصلية وليست مهمته أن يكتب فى الموضوع الذى يعطاه بحثا أو تحقيقا فقهيا بالشكل الذى يراه ويؤديه اليه اجتهاده . فهذا الاعتبار يجعل من الأفضل ان لم يكن من الواجب أن تكتب الموضوعات مبدئيا على أساس مذهب معين ويعرض فى كل مسألة خلافية ما فى المذاهب الاخرى من خلاف فيها . ذلك لأنه اذا لم يتخذ احد المذاهب أساسا لكتابة الموضوع أصبحت كتابته متموجة أشبه ببحث اجتهادى لا ينطبق على مصدر معين ، وتصعب عندئذ مراجعته النهائية التى يتوقف عليها دخوله وطبعه فى الموسوعة الفقهية .

لذلك رئى اتخاذ المذهب الحنفى أساسا لكتابة الموضوعات نظرا لسعته وكثرة فروعه وصلته بالحياة القضائية أكثر من سواه . فتكتب الموضوعات مبدئيا وفقا لمفاهيمه وأصوله واصطلاحاته وقواعده وأساليب فقهائه فى التعبير ، ويعتمد الكاتب أصح الاقوال فيه ويذكر فى كل مسألة خلافية ما فيها من خلاف جوهرى فى المذاهب الاخرى .

على أن هذا لا يمنع أن تصاغ بعض الموضوعات على أساس مذهب آخر غير الحنفى اشتهر بها أكثر من سواه كموضوع المصالح المرسلة الذى له فى المذهب المالكى قواعد وركائز أبرز مما فى غيره .

وفى القضايا الخلافية التى يوجد فيها نقاش طويل وجدل وتفصيل تلخص الأحكام المذهبية بأدلتها الاجمالية ويحال بالتفصيل على مراجعه لمن يريد الاستقصاء .

١١ — يرجى فى عرض المذاهب المخالفة فى مواطن الخلاف أن تنقل فيه خلافات كل مذهب من كتبه المذهبية نفسها ، لا مما تذكره عنها كتب مذاهب أخرى . فخلاف الشافعية مثلا ينقل من كتبهم المذهبية لا مما يرويه الحنفية عنهم ، وكذا العكس . أما آراء الصحابة ومن بعدهم ممن ليس لهم مذاهب كاملة التدوين ، ولا كتب خاصة بمذاهبهم ، فتنقل آراؤهم من كتب اختلاف الفقهاء ، ومما ترويه كتب المذاهب الاخرى المدونة ، ومن جميع المصادر الموثوقة .

المسلمون فى

للأستاذ محمد طه الولى
(بيروت)

سنة ١٦ هجرية ، دخلت القوات العسكرية الاسلامية مدينة بيروت ، وكان على رأس هذه القوات معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه من قبل أخيه يزيد بن أبى سفيان الذى كان معينا من قبل أمير الجيوش العربية المعقودة اللواء لأبى عبيدة بن الجراح فاتح الشام مع خالد بن الوليد رضى الله عنهما .

ولم تكن بيروت فى ذلك الحين أكثر من « بليدة على ساحل بحر الروم » كما قال ياقوت فى معجم البلدان ، تتناثر بيوتها المتواضعة بين بقايا الانقاض التى تخلفت عن الزلزال المروع الذى دمرها عن آخرها سنة ٥٥٦ للميلاد .

وعندما دخل المسلمون الفاتحون الى المدينة ، كان سكانها القلائل مزيجا من أبناء البلاد المحليين ، وجنود الروم الاغراب الذين يشغلونها وعائلاتهم لأغراض عسكرية وادارية . وجميع هؤلاء وأولئك كانوا من النصارى الملكيين الذين يرجعون بشئونهم الدينية الى السلطات الروحية البيزنطية . ثم (صار المسلمون يتكاثرون فيها والروم تقل منها وقتا بعد وقت حتى صار أكثر أهلها مسلمين) كما يقول صالح ابن يحيى فى كتابه تاريخ بيروت (ص ١٥) ، وما لبثت هذه المدينة طويلا حتى غمرتها الموجة الاسلامية ، وتقلص عنها ظل النصرانية بسبب فراغها من قوات الاحتلال الرومية الذين انسحبوا منها ، وفي اثرهم غالبية الذين هم على ملتهم من السكان البيروتيين الاصليين .

وما أن استقر الامر للأمويين فى دست الخلافة بدمشق ، حتى أصبحت بيروت مدينة اسلامية صرفة بسكانها من العرب ، وغيرهم من الفرس الذين جلبهم معاوية من بلادهم ، وأسكنهم بعض المدن السورية ، ليتخذ منهم قوة تذود عن البلاد محاولات العودة التى كان يقوم بها الروم بين الحين والآخر ، طمعا فى استرداد الملك الذى فقدوه فى هذه المنطقة .

وعلى الرغم من أن بعض هذه المحاولات قد ادركت غايتها فى بعض الاحيان لمدة بسيطة ، فان المدينة لم تفقد طابعها الاسلامى الجديد ، وبقيت محتفظة بهذا الطابع بلا انقطاع حتى أوائل القرن السادس للهجرة ، وهو الزمن الذى خضعت فيه للسيطرة الصليبية (٥٠٣ هـ ١١١٠ م) .

كان الاحتلال الصليبى يستهدف ازالة التراث الاسلامى ، وازالة معالمه من جميع المناطق التى تفشى فيها ، وعلى هذا فلقد أصاب بيروت ما أصاب غيرها من القطاعات الصليبية ، وانحسر عنها سكانها المسلمون ، غير أفراد قلائل قصرت بهم ظروف حياتهم المعاشية وامكاناتهم المادية دون النزوح من البلد ، فلم يجدوا بدا من البقاء تحت ربقة عدوهم الذى حرمهم من الاحتفاظ بمساجدهم .

فلقد أزال الصليبيون حتى مقامات أوليائهم

بيروت على مر العصور

محمد مؤذن

ونساكهم ، ولم يعفوا الا عن مقام الامام الاوزاعى بشفاعة من أبناء دينهم نصارى جبل لبنان الذين ذكروا له شفاعته بهم عندما نقضوا عهد الامان أيام العباسيين .

وحينما استعاد المسلمون بلادهم على يد صلاح الدين الايوبى لم يعثروا فى بيروت على العدد اللازم من أبناء المدينه المسلمين بما يكمل العدد الشرعى لصلاة الجمعة (أقصاه أربعون عند الشافعى) فضلا عن أنهم لم يجدوا المسجد الجامع لأداء هذه الصلاة ، مما اضطر السلطان صلاح الدين الى اتخاذ كنيسة ماريوحنا التى حولها الصليبيون خلال دفاعهم عن المدينة الى قلعة عسكرية ، وجمع الناس للصلاة فيها ، واتخذها من حينه مسجدا جامعا للصلاة . وفى عهد الصليبيين كانت جمهرة السكان فى بيروت من النصارى الاوروبيين ، ومن والاهم من نصارى جبل لبنان ، الذين انحدروا من قراهم ودساكرهم الى المدينة ، طلبا للعمل فى المؤسسات الصليبية من مدنية وعسكرية وانتجاعا للرزق على موائد المحتلين .

ومع الزمن المتطاول ، تكونت من هؤلاء النصارى المحليين والوافدين ، مجموعة سكنية اكتسحت المدينة بطابعها الدينى المميز . وبعد حوالى تسعين سنة أى عام ٥٨٣هـ — ١١٨٧م دار الدهر دورته واستأنف الاسلام وجوده فى بيروت ، اذ عاد اليها المسلمون متقاطرين من الديار الاسلامية المجاورة بالاضافة الى الجيوش والحشود التى جاءتها فاتحة بقيادة صلاح الدين الايوبى .

ولقد أدى وجود هذا السلطان المسلم الى تغيير الوضع الدينى فى المدينة حتى بين النصارى أنفسهم الذين وجدوا فى مروءته وانسانيته ما حملهم على اعتناق دينه ، والانضواء الى جماعته تحت رايته ، ولقد بادر صلاح الدين الى انتهاج خطة تهدف الى المحافظة على مكاسبه العسكرية ، وذلك بانزال عدد كبير من أبناء جنسه الاكراد فى مناطق حكمه ، ومنها بيروت ، الامر الذى أدى الى مضاعفة عدد المسلمين فى هذه المدينة ، وما يزال عدد من هؤلاء موجودا فى أنحاء متفرقة من بلادنا حتى اليوم ، لا سيما فى قضاء الكورة من شمال لبنان ويعرفون بالاكراد الايوبية

على أن هذا الوجود الاسلامى فى بيروت لم يقيض له الاستمرار طويلا ، اذ أنه تلاشى مرة ثانية بعد أن تركز حوالى عشر سنوات ، وذلك بسبب استرجاع الصليبيين للمدينة على أثر وفاة صلاح الدين ، هذه الوفاة التى كانت كارثة بما أعقبها من اضطراب السلطة الاسلامية فى البلاد ، لتنافس خلفاء هذا السلطان المجاهد على الحكم ، واجتماع كلمة الصليبيين على انتهاز الفرصة ، والوثوب على القواعد الاسلامية واسترجاعها واحدة بعد

أخرى من يد حكامها المسلمين المتفرقين . وفى هذه المرة نزل بمسلمى بيروت ما سبق أن نزل بهم من قبل ، فلووا أعناق مطاياهم تاركين مدينتهم الى غيرها من المدن التى توسلوا العيش فيها محافظين على مصالحهم ودينهم وطمأنينتهم .

بيد أن الخسائر العسكرية التى منى بها الصليبيون على يد صلاح الدين وقواد المسلمين الذين جاءوا من بعده تركت فيهم وهنا وضعفا ، بحيث لم يتمكنوا من الاستقرار والتمتع بمزايا الانتصارات العسكرية التى أصابوها ، فبقيت قبضتهم على البلاد التى استعادوها بالقوة والقهر ، مشوبة بالاضطراب والقلق . وقد دامت هذه الفترة الصليبية الثانية مع الوجود النصرانى ببيروت من سنة ٥٩٣هـ ــ ١١٩٧ م الى سنة ٦٩٠هـ ــ ١٢٩١ م ففى هذه السنة سلمت بيروت صلحا الى سنجر الشجاعى الذى فتحها باسم السلطان الاشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون الالفى .

وبعودة بيروت الى حوزة الجيوش الاسلامية تحت راية المماليك الذهبية أعاد التاريخ نفسه اذ تنفس المسلمون البيروتيون الصعداء بينما تراجع الوجود النصرانى عنها مع هزيمة الصليبيين الذين « جهزهم سنجر الشجاعى » الى دمشق ومنها أنفذهم الى مصر بأجمعهم .. ولما وصلوا الى مصر أطلقهم السلطان وقال لهم : « أمانى باق عليكم » وخيرهم بين العودة الى بيروت أو التوجه الى قبرص ، فتوجهوا الى قبرص بأجمعهم (تاريخ بيروت لصالح ابن يحيى ص ٢٨) .

وكان فى جملة من تركوا بيروت يومها العديد من النصارى المحليين الذين آثروا مشاركة الصليبيين مصيرهم فى قبرص تحت حراسة العمارة الاسلامية التى أقلتهم قطعها البحرية الى هذه الجزيرة حيث للصليبيين مملكة مستقلة بامارة اللوزينيان قوامها بقايا الاوروبيين الذين خسروا سلطانهم فى بلاد الشام .

وما يزال فى جزيرة قبرص حتى اليوم طائفة منحدرة من الموارنة الذين أفرد لهم الحكم الحالى فيها مقعدا نيابيا يشغله واحد منهم فى هذه الايام .

وفى أيام المماليك غدت بيروت مدينة اسلامية من بابها الى محرابها ــ كما يقول المثل السائر ــ وأصبح أهاليها جميعا تقريبا من المسلمين ، بينما انصرف عنها النصارى الذين لم يرافقوا الصليبيين الى قبرص. وآثروا الاقامة فى الجبال المطلة عليها وتكتل هؤلاء فى جرود كسروان التى تقع الى الشمال من المدينة ، على أن السلطات المملوكية اضطرت فيما بعد الى مطاردتهم فى هذه الجرود ، وبناء على فتوى من شيخ الاسلام ابن تيمية الحرانى قام نائب الشام تنكز والقائد جمال أقوش الافرم باجلائهم كذلك عن هذه المناطق بسبب كثرة تعدياتهم على الاملاك العامة ، وقطعهم السابلة ، وفتكهم بمن ينفردون به فى بلادهم من عساكر السلطان وعامة المسلمين .

وقد عرفت بيروت فى أيام المماليك غزارة ملحوظة من السكان المسلمين ، الذين تكاثروا بمن شاركهم فى سكناها من العناصر الاسلامية غير العربية ، أمثال التركمان ، والاكراد والشركس . ذلك بأن الولاة الذين كان ينيبهم السلطان المملوكى بمصر عنه فى حكم بلاد الشام ، لاحظوا أن مدينة بيروت ما زالت تستهوى مطامع الصليبيين الذين ذاقوا حلاوة احتلالها قرابة القرنين من الزمان ، ووجد الولاة المذكورون أن سادة المدينة السابقين من الافرنج لا يفتأون يتطلعون الى معاودة النزول فيها من جديد بالتعاون مع أبناء دينهم المحليين لا سيما سكان جبل لبنان المطل عليها ، فعملوا على حشد أكبر عدد من المسلمين فى أرجائها وفى الارياف المحيطة بها واختاروا لهذا الغرض عشائر شبه بدوية امتازت بقوة الشكيمة والتقاليد الحربية المتوارثة .

وهكذا عرفت بيروت ــ ذلك الوقت ــ كثرة اسلامية ساحقة من السكان الاصليين ، وممن توافد عليهم من هذه العشائر حتى أصبح من المستحيل على الصليبيين الافادة من مغامرات قراصنتهم فى البحر ، أو نشاط عملائهم فى البر . وقد نتج عن الاعمال الاستفزازية التى قام بها هؤلاء وأولئك أن عمدت السلطات

الحاكمة الى تضييق الخناق على من تبقى منهم فى بيروت نفسها حتى ضاقوا ذرعا بما آل اليه أمرهم فى المدينة ، واختاروا أماكن أخرى بعيدة عنها تاركين المجال أمام المسلمين ليبقوا وحدهم سكانا لها .

والجدير بالذكر أنه ما تزال فى ضواحى بيروت الى جهة الشمال ، أمكنة تعرف باسم « الازواق » أى الاسواق «مثل زوق مكايل» ، وزوق مصبح وقد كانت فى الاصل معسكرات ينزل فيها أفراد تلك العشائر المسلحة وعائلاتهم . وقد تحولت هذه الازواق اليوم الى قرى يسكنها النصارى على المذهب المارونى . وقد اختار الامير فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية السابق أحدها مقرا للرياسة بسبب قربها من جونيه بلدته الاصلية .

وفى سنة ٩٢٣ هـ — ١٥٤٥ م عندما حل الاتراك العثمانيون محل سلاطين المماليك فى الشام ومصر والبلاد العربية الاخرى كانت بيروت مدينة اسلامية بمن فيها من السكان والاهالى . ولم ير هؤلاء السادة الجدد بأسا من الاستمرار بالاعتماد على العشائر التى أنزلها الحكم السابق فى المدينة وغيرها من المناطق الاستراتيجية فى الساحل ، فبقيت بيروت محافظة على مظهرها الاسلامى بصفة عامة الا أن النصارى كانوا يتسربون اليها بأعداد قليلة فى أزمان متفاوتة ، دون أن يجدوا حرجا من الدولة العثمانية التى كانت تغض الطرف عنهم ، رغبة فى استصناعهم . وفى هذه الاثناء أتيح للنصارى أن يشيدوا بعض الكنائس الصغيرة لممارسة طقوسهم الدينية لا سيما خارج أسوار المدينة القديمة .

بيد أن قبضة السلطة العثمانية الاسلامية ، كانت تضطر للتراخى فى بعض الظروف بسبب متاعبها العسكرية مع الدول الاوروبية ، الامر الذى جعل النصارى فى جبل لبنان يتوقون الى توسيع نطاق نفوذهم فى المدينة . فكانوا ينتهزون أى مناسبة عابرة تكون فيها الدولة مضطرة لمسايرة الاوروبيين أو مهادنتهم ، ويعملون على توسيع مجالات سكناهم فى بيروت وانشاء مؤسساتهم الدينية حتى استفحل أمرهم فيها أخيرا وكادوا يصبحون الكثرة الغالبة من سكانها ، حتى اذا بدأ النصف الثانى من القرن الثامن عشر للميلاد وجد البيروتيون أنفسهم وقد أصبحوا تحت حكم الامير يوسف الشهابى المتنصر الذى اتخذ من بنى ملته وجلدته بطانة له وأنصارا لحكمه ، وشرع أمامهم أبواب المدينة ليأخذوا بناصية الامر فيها ، ويتحكموا بمقدراتها ويهيمنوا على مصيرها .

وفى هذه الاثناء حدث تحول لم يكن فى حسبان أحد ، اذ عرفت سورية حاكما بشناقيا عنيدا ظهر فى ميدان السياسة المحلية تحت شعار عودة الاسلام والمسلمين الى بيروت بمختلف الوسائل والاساليب ، هذا الحاكم هو أحمد باشا المعروف بالجزار .

ومن الطريف أن هذا الحاكم المتحمس لصهر بيروت بالبوتقة الاسلامية عمرانا وسكانا ، لم يكن فى الاصل الا غلاما نصرانيا من بلاد البوسنة ، هجر بلاده على أثر اختلافه مع أخيه لأسباب عائلية كى يبيع نفسه رقيقا ، لنخاس يهودى من اسطمبول ، وهذا نصحه باعتناق الاسلام ليروج سوقه ، ويتضاعف ثمنه ، وهذا ما حدث بالفعل ثم تطورت الايام ، واذا بهذا الغلام النصرانى عندما بلغ أريكة الحكم على ولاية سورية يصبح أشد نكالا على النصارى من أى حاكم سبقه فى أى عهد من العهود .

فى أيام هذا الحاكم عرفت بيروت مدا اسلاميا مركزا ، كما عرفت بمقابل ذلك جزرا نصرانيا واضحا وأصبحت هذه المدينة المسورة لا تضم داخل أبوابها المصفحة بالحديد الا المسلمين تقريبا بينما ارتد عنها النصارى لائذين بأكناف الجبل متربصين للعودة اليها فى الوقت المناسب ، ولقد بلغ من قلة عدد هؤلاء فى المناسب ، ولقد بلغ من قلة عدد هؤلاء في المدينة أنهم اشتركوا — كاثوليكا وروما أورثوذكس — فى كنيسة واحدة على خلاف ما تسمح به طقوسهم المذهبية المتناقضة فى هذا الصدد .

وبقى الحال كذلك بالنسبة للمسلمين والنصارى فى المدينة حتى جاء الوقت المناسب لهؤلاء الاخيرين وذلك حينما حل الحين بالجزار نفسه ، فتنفسوا الصعداء وانطلقت قرائح شعرائهم تردد القول بشماتة لا تخفى منها ملامح الحقد الذميم .

لله درك يا منون فقد بدت
منك الحياة وطاب حكمك واعتدل

****

فاز الأنـــام وارخـــوه بمقصــــد

هلك الشــقى والى جهنم قد رحــل

وأما أهل بيروت فلقـــد وقع عليهم موت الجزار كمثل الصاعقة القاتلة ، وراح شاعرهم يصور مشاعرهم فى هذه المناسبة الاليمــة بقوله :

يا أيهـــا الجزار أعنـــاق العـدى
يا من هـــوى الســادات والامجــاد
هم أهــــل بيروت الذيــــن تزينت
منهــــم بدر عطــــائك الاجيـــاد
وملـــكتهم ووداهـــم لك صــــادق
ما أن لهم فيمن ســـــواك وداد
لا نقص فيـــه ولست فيـــه مشاركا
بل فيــــك دومــــا لم يــزل يزداد
ولقد خدمتــك مادحـــا بقصـــــيدة
ومديح مثلك فى الانـــام رشــــــاد

وبعد موت الجزار بزمن قليل أخذ الوضع الدينى فى بيروت يتجه لصالح الوجـــود النصرانى على حساب الوجود الاسلامى ، حتى اذا كانت سنة ١٨٣١ تطامنت أســوار المدينة تحت وطأة فاتحها ابراهيم باشا المصرى ابن عزيز مصر محمد على باشا الارناؤوطى . فقد دخلها ابراهيم بعد أن كسر بقوة جيشه أبوابها المصفحة ، ثم بادر فورا الى اباحة سكناها للنصارى ، بتشجيع من الدولـــة الفرنسية التى كانت وراء حملته على سورية ، فتدفق هؤلاء اليها منحدرين من قنن لبنــــان وسفوحه بلهفة وشوق دون أى عائق أو مانع ، متخذين من حنـــا البحرى الذى استخلصــه ابراهيم باشا لمشورته مفتاحا لقلب القــائد وقلب المدينة فى آن واحد ، وما كادت سنوات القرن الثامن عشر تشارف نهايتها وســنوات القرن التاسع عشر تواجه بدايتها حتى أصبح سكان بيروت يتقاسمهم الدينان الاســلامى والنصرانى .

وعندما أجبر ابراهيم باشا على الجلاء عن المدينة فى تراجعه عن سائر فتوحاته بسورية والاناضول ، كانت الدول الغربية تمســك بزمام المبـــادرة فى السياســة العثمانية ، وتوجهها وفق وصية القائد الصليبى لويس التاسع الذى لاقى حتفه فى تونس خلال آخر حملة صليبية ضد الاسلام والعرب . وكانت وصيته تقضى بابعاد المسلمين عن الشواطىء الشرقية للبحر الابيض المتوسط الذى حولته الفتوحات الاسلامية الى ((بحر العرب)) بعد ان كان يسمى قبلا ((بحر الروم)) .

وعلى هذا فان ظاهرة تهافت النصارى على دخول بيروت وسكناها لم تكن عادية ولا عفوية بل أنها جاءت نتيجة مدروسة لمخطط غــربى قديم ، تواضع على اعداده وتنفيذه زعمــاء السياسة الاوروبية فى حينه ، واجتهدوا فى افتعال المبررات المحلية لنجاحه على الوجــه الذى رسمته لهم من قبل وصية لويس التاسع الذى يلقبونه ((بالقديس)) ، بينما كان ممثلوهم القنصليون فى البلاد السورية بدمشق وحلب وبيروت يتعاونون فيما بينهم على تنســـيق أعمالهم فى هـــذا الصدد ، وستر أغراضهم الحقيقية بمناورات سياسية ، ظاهرها التعاون مع السلطات العثمانية لاقرار الامن وعودة الهدوء الى البلاد المضطربة بالفتن الطائفية ، التى كانوا هم بالفعل من ورائها ، وباطنهـــا تنظيم هجرة جماعية للعائلات النصرانية من داخل سورية الى ساحلها المحاذى لجبل لبنان ومن ثم تركيز هذه الهجرة بلباقة وهدوء وذلك فى بعض قرى الجبل وبصورة خاصة فى مدينة بيروت بالذات . وذلك تمهيدا لاقامة كيان من لون طـــائفى معين تحكمـــه بعض العائلات الاقطاعية التى استدرجت بدعايات مختلفة الى اعتناق هذا اللون ، وقد اعتنقت هذه العائلات أو بعضها ما استدرجت اليه بالفعل مما سهل أمام الغربيين تحقيق مراميهم الى حد كبير .

ففى سنة ١٨٤٠ افتعلت فى دمشق فتنـــة طائفية رعناء بين المسلمين والنصارى بدسائس الانكليز الخبيثة وأدت هذه الفتنة الى نزوح كثير من العـــائلات النصرانية من العاصمــة الاموية باتجاه جبل لبنان وبيروت ، ثم فى سنة ١٨٦٠ قامت فتنة أخرى أشد نكالا من الاولى ، ولكن فى جبل لبنان هذه المرة ، حيث توزعت الادوار المؤذية بين الانكليز الذين تظـــاهروا بتأييد الدروز وبين الفرنسيين الذين تظاهروا بتأييد النصارى ، وكان من نتيجة هذه الفتنة الثانية أن نفذت المرحلة الثانية من المخططات الغربية القاضية بتهجير الطوائف النصرانية الى

بيروت ، ليصبحوا بعد قليل أكثر عددا ونفوذا من أهاليها المسلمين ، وذلك تمهيدا لما حصل بعد الحرب العالمية الاولى من قيام دولة لبنان الكبير واتخاذ بيروت عاصمة رسمية لهـذه الدولة .

ومنذ ذلك الحين أخذ ميزان القوى السكنية فى مدينة بيروت يميل لصالح النصارى الذين كان عددهم يربو يوما بعد يوم ، حتى أصبحوا يشكلون غالبية ملحوظة بالنسبة الى مواطنيهم المسلمين ، على أنه بالرغم من أن الغالبية العددية من سكان بيروت كانت نصرانية الا أن هذه المدينة بقيت محتفظة بسماتها الاسلامية على وجه العموم ، وكانت كلمة « بيروتى » تعنى المسلم البيروتى ، وكلمة « جبلى » تعنى النصرانى اللبنانى ، ولو أنه من سكان بيروت بالفعل .

فى تلك الفترة حدثت مضاعفات خارجية كان من شأنها أن تلقى بعض الظلال العارضة على توازن النسبة العددية بين السكان المسلمين والنصارى فى المدينة ، وهذه المضاعفات هى الاحداث العسكرية التى وقعت فى شـمال أفريقيا وأدت الى احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٨٣٢ ثم فرضها الحماية على تونس سنة١٨٨١ فلقد أحدث نزول فرنسا المتعاقب فى أرض هاتين الدولتين الاسلاميتين موجة من الذعر والاضـــطراب فى نفوس كل من الجزائريين والتونسيين مما حدا بكثير منهم الى مغادرة وطنهم باتجاه الشرق ، ليكونوا فى حمى دولة الخلافة الاسلامية التى كان يمثلها آل عثمان فى اسطمبول . ولقد اختار هؤلاء بلاد الشام دار هجرة لهم ، فاستقروا بدمشق حول زعيمهم الامير عبد القــادر الجزائرى الذى اختارها لمقامه ، غير أن عددا منهم أثر البقــاء فى بيروت ، الى جانب اخوانهم المسلمين فيها ، وكما فعل الجـــزائريون فعل النـــازحون التونسيون من بعدهم ، وما تزال أسـماء « الجزائرى والمغربى » سمة على العديد من أهل بيروت حتى اليوم . الا أن كمية هؤلاء الذين اســتقروا فى بيروت لم تكن بالدرجة التى تؤدى الى تجاوز عدد مسلمى البلد على نصاراها ، اذ أن هؤلاء بقوا محافظين على تفوقهم العددى على مواطنيهم المسلمين .

وكما حدث فى غضون القرن الماضى بالنسبة للجزائر وتونس فان هجرة اسلامية أخــرى وصلت موجاتها البشرية الى بيروت قادمة من بلاد المغرب (مراكش) عند سقوطها بيد فرنسا سنة ١٩١٢ ومن بلاد طرابلس الغرب عنــد احتلالها من قبل الطليان سنة ١٩١١ ، وعلى الجملة كان عدد النازحين من شمال أفريقيا العربية الى بيروت فى تزايد مستمر باستمرار الوجود الفرنسى هنالك ، وهؤلاء النازحون كانوا يشكلون فى أواخر العهد العثمانى جالية موفورة العدد ببيروت حتى أن هذه المدينة كانت تحتوى على مقبرة خاصة بهم باسم « مقبرة المغاربة » وكان مكانها فى نفس المكان الذى تقوم عليه بناية المقاصد الخيرية الاســلامية التى فيها سينما ريفولى اليوم شمالى ساحة الشهداء .

ولقد كان من بين المهاجرين الى بيروت فضلا عن المغــاربة ، مسلمون من مختلف البلدان والجنسيات وهؤلاء كانوا يتركون ديارهم التى تقع فى أيدى الاجانب فى أعقاب تخلى الدولة العثمانية عنها بالحرب أو المساومة كما حصل فى جزيرة كريت وكما حصل كذلك فى مصر التى منيت بالاحتلال الانكليزى بحجة حمــاية عرش الخديوى من ثورة أحمد عرابى باشا سنة ١٨٨٢ ، وكثيرا ما نجد بين العائلات البيروتية المعاصرة أسماء المصرى والفيومى والدمياطى والدسوقى نسبة الى المدن المصرية التى قدموا منها منفيين أو طائعين .

ولقد ترك لنا أحـــد هؤلاء المصريين وهو الشيخ محمد عبد الجواد ألقايا فى مذكراته التى دونها أثناء اقامته فى بيروت وذكر فيهــا أن البلد فى زمانه كانت تشتمل على نحو ثمانين ألفــا من النصارى ونحو عشرين ألفــا من المسلمين ، ومع ذلك فان معاملة النصـــارى لأهل الاسلام كانت معــاملة فى غاية الادب والتزام التوقير للصغير والكبير لأمرين :

الامر الاول وهو الذى عليه المعول ، شهامة الطائفة الاسلامية ، وشدة غيرتها الدينية مع قلة عددها .

والامر الثانى ، مراعاة الحكام للجرى على مقتضى القوانين والنظام (نفحة البشام فى رحلة الشام ص ٢٦) .

وفى سنة ١٩٢٠ أعلن ممثل الاحتلال الفرنسى الجنرال غورو الكيان اللبنانى بصفة رسمية تحت اسم دولة لبنان الكبير ، وجعلت بيروت عاصمة لهذه الدولة الناشئة . ومن ذلك الوقت

انفتحت هذه المدينة عمليا أمام سيل دافق من الهجرات النصرانية تألبت عليها من مختلف الجهات والاجناس ، فلقد استقدم الفرنسيون اليها جماعات بشرية كثيفة من السريان والكلدان والاشوريين والارمن الذين تركوا مواطنهم الاصلية تحت وطأة ظروف عسكرية نشأت عن حرب الاستقلال فى تركيا ، وهيأت لهم سلطات الاحتلال أسباب الاقامة الدائمة ، سواء فى قلب العاصمة اللبنانية ، أو فى ضواحيها القريبة منها .

وبمقابل ذلك ، فان الثورة الوطنية التى عمت البلاد السورية ما بين عامى ١٩٢٤ ، ١٩٢٦ ضد الانتداب الفرنسى دفعت عددا من مسلمى دمشق والمدن التى أصابها رشاش الاضطراب الى البحث عن أمنهم ومعاشهم فى بيروت ، ولكن هؤلاء لم يكونوا من الوفرة بحيث يتأثر بها فريق دون آخر فى المدينة ، على أن بعض السياسيين اللبنانيين كانوا يعيشون فى جو عقدة نفسية بالنسبة للتوازن الطائفى فى البلد ، ومن هؤلاء الرئيس اميل اده الذى ما أن تسلم رئاسة الجمهورية اللبنانية حتى صرف كل همه لاقناع نصارى جبل لبنان بالتوجه الى بيروت ، والاقامة الدائمة فيها ، واتخذ من المركزية الادارية فى العاصمة وسيلة غير مباشرة لاستدراجهم الى تحقيق هذه الغاية التى لم تكن فى الواقع الا استمرارا للسياسة الغربية التى تقضى بجعل بيروت مجموعة متنافرة من الطوائف والاجناس ، كيلا تتحد كلمة الشعب فى رأى عام منسجم ضد أغراضها الاستعمارية التاريخية .

واذا نحن تابعنا مجرى تطور الاحداث فى الشرق العربى خلال بداية النصف الثانى من القرن العشرين للميلاد فانه يتبين لنا أن الاحصاءات الطائفية فى مدينة بيروت خضعت لتقلبات تتراوح بين صالح النسبة الاسلامية وبين صالح النسبة النصرانية .

فعندما وقع الانقلاب العسكرى ضد النظام الملكى فى مصر سنة ١٩٥٢ بادر غالب المصريين الذين تحدروا من أصل لبنانى ، ويكادون يكونون جميعا من النصارى ، بادر هؤلاء الى مغادرة مصر الى بيروت حيث منحتهم السلطات اللبنانية الجنسية اللبنانية على أساس أنهم يستردون جنسيتهم الاصلية ، قبل أن يغادر أباؤهم لبنان الى مصر ، للعمل فى خدمة الدوائر الانكليزية التى كانت تحتاج اليهم كتراجمة وموظفين فى دوائر الاستعلامات ، أو فى الدوائر التى لا تطمئن الى وجود أبناء البلد المصريين فيها . وعدد هؤلاء المتمصرين العائدين الى بيروت يتجاوز عشرات الالوف ، وقد أصبحوا عمليا من أهالى بيروت وسكانها ، لهم نفس الحقوق التى لهؤلاء ، وعليهم نفس الواجبات ..

ثم انه عندما انتقل النظام المصرى الى سورية بسبب اندغام البلدين فى وحدة سياسية تامة تكررت نفس الظاهرة ، ولكنها هذه المرة كانت تحمل فى تضاعيفها مزيجا اسلاميا نصرانيا من الافراد الذين وجدوا فى النظام الاقتصادى اللبنانى الحر متنفسا لنشاطهم المالى الذى لم يعد يجد له متسعا فى البلاد السورية التى وضعتها الوحدة مع مصر فى اطار التجربة الاشتراكية للاقتصاد الموجه .

واذا انتهينا الى واقع بيروت فى الوقت الحاضر فاننا نلاحظ بأن السياسات الغربية المتلاحقة قد افلحت الى حد كبير فى ابراز هذه المدينة على النحو الذى يتفق ومخططاتها القديمة ، اذ أن نسبة سكانها المسلمين الى مواطنيهم النصارى لا تكاد تتجاوز الثلث ، وهذا يبدو جليا من خلال توزيع المقاعد النيابية حسب جداول الناخبين البيروتيين .

أما من الناحية العملية فان هذه النسبة لا تمثل الواقع العملى ، لا سيما بعد الاحداث الفاجعة التى وقعت بفلسطين سنة ١٩٤٨ هذه الاحداث التى اقتلعت عشرات الالوف من أبناء البلاد المقدسة ، وجعلتهم لاجئين فى بيروت ينتظرون مصيرهم المجهول داخل مخيمات البؤس والشقاء المبثوثة فى العراء محرومين من كل وسائل الحياة الانسانية الكريمة فى المدينة التى تضاهى ببذخها وترفها أرفع المستويات الحضارية فى العالم ..

أما بعد ، فانه أيا ما كانت الارقام التى تمثل عدد المسلمين أو عدد النصارى فى بيروت فان هؤلاء وأولئك يعيشون بعضهم الى جانب بعض تحت لواء وارف من الاخوة الوطنية الصادقة التى تشدهم فى عروة وثقى من حب مدينتهم والاخلاص لرقيها وازدهارها وتطورها.

قصة

زوجتان صالحتان

تأليف : الأستاذ علي أحمد باكثير

في بيت أم حكيم وعندها ابنة عمها الفاختة

أم حكيم : اياك يا بنت عمي أن تتبعيه حتى يشهد اولا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله .

فاختة : لعلي أن تبعته أن أعطف قلبه الى الاسلام .

أم حكيم : كلا يا فاختة انك ان تبعتيه فسيحاول هو أن يفتنك عن دينك .

فاختة : معاذ الله أن أفتن عن ديني ولو انطبقت السماء على الأرض .

أم حكيم : فالرأي اذن ان تسري على موقفك منه حتى يفيء الى الحق ويدخل فيما دخل فيه الناس من دين الله .

فاختة : أخوف ما أخافه ان يرتحل من البلد كما فعل عكرمة زوجك فلا يرجى له ان يفيء الى الحق .

أم حكيم : ماذا يحمل صفوان على ذلك ؟ ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينذر دمه كما نذر دم عكرمة .

(يدخل صفوان بن امية دون استئذان)

أم حكيم : ماذا جاء بك يا صفوان ؟

صفوان : عجبا يا أم حكيم أهكذا تحيين زوج ابنة عمك ؟

أم حكيم : لست اليوم زوجها يا صفوان . ان الاسلام قد حال بينها وبينك .

صفوان : هبيني زائرا أفهكذا تحيين الزائر في بيتك ؟

أم حكيم : كلا ما أنت بزائر فنكرمك وانما أنت شيطان تريد أن تحملها على الكفر بعد أن أكرمها الله بالاسلام .

صفوان : هل يجمل بك يا فاختة أن تدعي بنت عمك هذه تتطاول علي ؟

أم حكيم : وما أنت يا صفوان ابن

امية !

صفوان : انا من المطعمين فى قريش ان كنت تجهلين .

أم حكيم : قد أبطل الله مآثر الجاهلية واذل كبرياءها فان كنت تروم شرفا فدونك الاسلام .

صفوان : الا تتكلمين أنت يا فاختة فتسكتي بنت عمك ؟

أم حكيم : انها لن تكلمك أبدا .

صفوان : فاختة !

أم حكيم : لقد أقسمت بالله لا تكلمك ابدا حتى تؤمن بالله ورسوله

صفوان : احقا يا فاختة ؟

فاختة : (تؤميء برأسها ان نعم دون كلام) . . . ؟

أم حكيم : ألم أقل لك ؟

صفوان : (محتدا) يا هذه هلا اهتممت بزوجك خيرا لك ؟ اليس عكرمة أحق مني بوعظك هذا وارشادك ؟

أم حكيم : واين عكرمة منى ويلك ؟

صفوان : (ساخرا) لعله نجا بنفسه خوفا منك أن تفتنيه عن دين آبائه !

أم حكيم : **(فى صرامة)** صفوان . ليس من المروءة أن تقول هذا عن صاحبك انك تعلم لماذا نجا عكرمة بنفسه وهرب .

صفوان : لأن محمدا نذر دمه فيمن نذر .

أم حكيم : فلتقل في عكرمة خيرا أو فلتصمت فأنت تعلم أنه رجل كريم .

صفوان : ان كنت تحبينه بعد فقد كان عليك ان تتبعيه حيثما ذهب .

أم حكيم : لو أعلم أين توجه لاقتفيت أثره .

صفوان : انه توجه صوب اليمن

أم حكيم : وكيف عرفت ؟

صفوان : انا الذى جهزته يا أم حكيم .

أم حكيم : والله لاذهبن الساعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ليأذن لي في اللحاق به .

صفوان : ويلك ان علم محمد بوجهته ليرسلن فى طلبه حتى يظفر به فيقتله .

أم حكيم : يا صفوان ان محمدا اكرم من ذلك .

صفوان : ليتني ما اخبرتك . لقد جنيت على صاحبي والله .

أم حكيم : قلت لك أن محمدا أكرم من ذلك .

صفوان : ان كنت تحبين زوجك حقا فلا تعرضيه للهوان والقتل .

أم حكيم : قد استأمنت له من محمد فأمنه .

صفوان : أمنه ؟ أمن عكرمة ابن ابي جهل ؟

أم حكيم : أجل لو كان أبو جهل نفسه حيا اليوم والتمس الامان من محمد لأمنه (لفاختة) أنا ماضية يا فاختة (تتهيأ للخروج)

فاختة : خذيني معك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صفوان : ابق قليلا معي يا فاختة

فاختة : (تهم بالكلام ثم تتذكر يمينها فتلفت الى أم حكيم) هيا بنا يا أم حكيم (تخرج أم حكيم وفاختة)

صفوان : (يتمتم) الا أن أمرا حال بيني وبين فاختة لأمر كبير !

— ٢ —

(في مكان ما على الطريق الى اليمن)

(ام حكيم تنظر في وجوه أهل قافلة أناخت بذلك المكان كأنها تبحث عن عكرمة) .

أم حكيم : (تلمح وجه عكرمة) عكرمة !

عكرمة : (ينهض اليها) أم حكيم ! (ينتحي بها بعيدا عن بقية القوم) ماذا جاء بك الى هذا المكان القصي ؟

أم حكيم : السعي اليك يا عكرمة . ويحك أتظن أنني أستطيع العيش بغيرك ؟

عكرمة : لا حق لك أن تتجشمي هذه المشقة من اجلي .. من اجل

رجل قد نذر دمه فليس له الا الهرب الى أقصى البلاد .
أم حكيم : الى اليمن ؟
عكرمة : كيف علمت ؟ من ذا اخبرك ؟
أم حكيم : اخبرنى الذى اخبرنى .
عكرمة : صفوان بن أمية ؟
أم حكيم : نعم
عكرمة : تبا له .
أم حكيم : بل تبا لك أنت . هل يجمل بك يا ابن عمي ان ترحل هذا الرحيل الذي ربما لا تؤوب منه ابدا دون أن تودع زوجتك التي تحبك ؟
عكرمة : ما حيلتي يا بنت العم ؟ لقد استولى محمد على مكة ونذر دمي فيمن نذر فلم اشأ أن اشرُكك في مصير كنت وحدي صاحب التبعة فيه .
أم حكيم : بل كنت شريكتك في ذلك يا عكرمة . أنسيت أنني خرجت معك يوم احد ؟
عكرمة : ذاك يا بنت عمي يوم كان لنا الحول والقوة .
أم حكيم : تبا لك . أوقد هان عليك ان تفارقني الى غير لقاء ؟
عكرمة : لا ورب هذا البلد الذي استولى عليه محمد ان فراقك علي لشديد ولكن ماذا أصنع ؟ انه قاتلي لو بقيت . ولخير لى ان أعيش بعيدا عنك عسى أن القاك يوما ما من أن اقتل بين يديك فتلبسي الحداد علي .
أم حكيم : ويحك يا عكرمة . ما كان ينبغي لك أن تيأس من عفو محمد فقد عفا عن الكثير ممن كانوا أعداءه
عكرمة : كلا ليس أحد منهم مثلي . لقد كنت اشد الناس أذية لمحمد وعداوة له وكان أبي عدوه الالد حتى لقبه محمد وأصحابه بأبى جهل .
أم حكيم : انك ما زلت تنظر فى محمد رجلا من قريش انتصر على قومه فهو يعاقب من يشاء ويعفو عمن يشاء .
عكرمة : مهما يكن من شأنه فلا يعدو أن يكون كذلك .
أم حكيم : كلا يا عكرمة انه نبي يوحى اليه وهدى للناس ورحمة .
عكرمة : قد علمت أنك صبأت يا أم حكيم .
أم حكيم : بل اسلمت وآمنت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ومصطفاه .
عكرمة : فمن الخير الا تصلى حبالك بحبال رجل لا يؤمن كما آمنت .
أم حكيم : ويلك يا ابن عمي المثلى تقول هذا القول ؟ الم تكن تحبنى يا عكرمة الم أكن أحبك ؟
عكرمة : بلى والله ومن أجل ذلك تركتك وما اخترت لنفسك من هذا الدين الجديد .
أم حكيم : لست والله اولى به منك يا عكرمة . أنت بما وهبت من عقل وحكمة أجدر ان تتبع الهدى وتدعوني أنا اليه . انشدك الله يا ابن عمي بما بيننا من مودة ورحمة ، الم يلق فى روعك بعد أن محمدا على حق فيما دعا اليه وأنه يدعو الى الخير والهدى والرشاد ؟
عكرمة : اما وقد حلفتني باعز شيء عندى فوالله لأصدقنك الحديث ، انى لأعلم يا أم حكيم أن محمدا لكما وصفت .
أم حكيم : فما يمنعك أن تعلن ذلك له وتدخل فيما دخل فيه الناس ؟
عكرمة : بعد ما أهدر دمى يا أم حكيم ؟
أم حكيم : أو هذا وحده هو الذي يمنعك ؟
عكرمة : نعم .
أم حكيم : فالحمد لله اذن . انك عائد معي الى محمد يا عكرمة .
عكرمة : ماذا تعنين ؟
أم حكيم : اني جئتك يا ابن عمي من عند أفضل الناس وابر الناس

وخير الناس قد استأمنت لك منه .
عكرمة : ورضى أن يؤمننى ؟
أم حكيم : فهلم يا عكرمة نسرع وجهه .
عكرمة : ان يكن ما تقولين حقا فوالله ما يصدر هذا الا عن نبي ؟
أم حكيم : فهلم يا عكرمة نسرع بالعودة .

— ٣ —

(فى مكة . صفوان بن أمية وفاختة)
صفوان : أتدرين يا فاختة أن حبك في قلبي قد زاد فصار أضعاف ما كان ؟
فاختة : بعدما هداك الله للاسلام
صفوان : أجل
فاختة : فلتحب محمدا صلى الله عليه وسلم خيرا مني يا صفوان .
صفوان : والله اني لأحبه . لقد شهدت حنينا وما فى الأرض أبغض الىّ من محمد وانصرفت من حنين وما فى الأرض أحب الىّ منه .
فاختة : (ممازحة) لأنه أجزل لك العطاء من غنائم هوازن ؟
صفوان : لا والله يا فاختة . ان المال لا قيمة له عندي كما تعلمين ولكن ما شهدت من شجاعته وثباته لما حمى الوطيس وانهزم عنه الناس فبقى وحده في نفر قليل وهو يقول في صوت قوى مطمئن : الى أيها الناس الى أيها الناس انا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب . حتى فاء المسلمون اليه فكرّوا على المشركين . حينئذ أيقنت يا فاختة أنه نبي مرسل من عند الله .
فاختة : الحمد لله يا صفوان اذ جمعنا على الهدى والحق .
صفوان : لولاك يا فاختة لما قدر لي أن أشهد حنينا ولما خالط قلبي الاسلام فأنت يا حبيبتى صاحبة الفضل .
فاختة : بل الفضل لأم حكيم يا صفوان . هي التي شجعتني على ذلك الموقف الذي وقفته منك . وأكدت لي أنك لا تلبث أن تفىء الى الحق .
صفوان : لله درها من امرأة صدق
فاختة : ترى فى أى صقع من الأرض هي الآن ، لقد مضى على سفرها اليوم شهران ولم نسمع عنها شيئا .
صفوان : انها شقة بعيدة يا فاختة .
فاختة : أخشى أن تكون قد ضلت الطريق أو لقيت فيه ما تكره .
صفوان : اطمئني يا فاختة فانى قد أوصيت بها رجالا أعرفهم كانوا يقصدون اليمن .
فاختة : سمعت يا صفوان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعتزم السفر قافلا الى المدينة .
صفوان : أجل .. بعد يومين او ثلاثة فيما سمعت .. استعدى يا فاختة فسننضم نحن الى ركبه .
فاختة : الا ننتظر أم حكيم وزوجها حتى يقدما الى مكة .
صفوان : لا يا فاختة . خير لهما أن نسبقهما الى المدينة لنهيىء لهما ما يجب .

— ٤ —

(في المدينة المنورة بعد رجوع النبي اليها من فتح مكة وغزوة حنين)
صفوان : (يدخل بيته في المدينة) أبشرى يا فاختة .
فاختة : أوقد رجعت من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
صفوان : نعم
فاختة : حدثني ماذا فعل عكرمة في المسجد وكيف لقيه النبي صلى الله عليه وسلم ؟
صفوان : أوجز لك أم أسهب ؟
فاختة : بل أسهب يا صفوان حتى كأنني أشهده معك .
صفوان : اني لجالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه

اذ دخل عكرمة لائذا بأم حكيم فوقف بعيدا وصاح : يا محمد هذه اخبرتني أنك أمنتنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدقت أم حكيم انك آمن . فتقدم عكرمة وهو يقول : اذن فهاكها يا نبى الله كلمة أعلنها من قلب مخلص : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله . فوثب النبي قائما وهو يتهلل فرحا واستنار وجهه كأنه القمر وقال : مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا .

فاختة : طوبى لعكرمة لقد لقى من تكرمة النبى ما لم يلقه أحد .

صفوان : انتظري .. ليس هذا كل ما هناك .

فاختة : حدثنى ماذا حدث بعد ؟

صفوان : لحظ النبي أن عكرمة ظل مطأطئا رأسه من شدة الحياء فقال مطيبا خاطره يا عكرمة ما تسألنى شيئا أقدر عليه الا أعطيتك اياه .

فاختة : (في اهتمام بالغ) فماذا طلب عكرمة منه ؟

صفوان : قال عكرمة استغفر لي كل عداوة عاديتكها يا رسول الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به .

فاختة : هذا حظ لعكرمة لا مزيد عليه .

صفوان : انتظري .. ليس هذا كل ما هناك .

فاختة : ماذا أيضا . حدثني .

صفوان : سمعت الحاضرين يتناجون فيما بينهم : هذا تأويل رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألتهم عنها فحدثوني أن النبي كان قد رأى فيما يرى النائم أنه دخل الجنة فرأى فيها عذقاً فأعجبه وسأل لمن هذا ؟ فقيل : لابى جهل وانهم تعجبوا لذلك فقال لهم : ان الجنة لا يدخلها الا نفس مؤمنة فازدادوا عجبا . فلما جاء عكرمة اليوم مسلما ادركوا ان النبى صلى الله عليه وسلم قد أول رؤياه باسلام عكرمة .

فاختة : (كأنها تتذكر شيئا) وأين هما الآن ؟ أين عكرمة وأم حكيم ، لماذا لم يحضرا معك ؟

صفوان : تركتهما واقفين مع أخيك خالد بن الوليد وعجلت اليك لأبشرك

فاختة : لعلك دعوت خالدا للغداء معنا اليوم ؟

صفوان : بل سبقني ابو سليمان فدعا نفسه قبل ان ادعوه .

(يقرع الباب) ها هم أولاء . قد جاءوا .

(يفتح صفوان الباب) فيدخل عكرمة وأم حكيم وخالد بن الوليد) .

(تتعانق فاختة وأم حكيم في فرح كما يتعانق صفوان وعكرمة) .

خالد : (ينظر اليهم ضاحكا) ويلكم تركتموني دون ترحيب ولا تأهيل .

صفوان : معذرة يا ابا سليمان لقد شغلنا الفرح عن ذلك .

فاختة : (تحيى أخاها) مرحبا بك يا خالد . لا شك أنك فرح بما تم اليوم لعكرمة ابن عمك .

خالد : اي والله ما شهدت كاليوم سرورا وبهجة . هذا يوم من أيام مخزوم .

صفوان : لله در نسائكم يا بني مخزوم ، يسبقن أزواجهن الى الاسلام ثم يجاهدن حتى يفيء أزواجهن الى الاسلام .

خالد : الحمد لله (يلتفت الى عكرمة) كيف تجد نفسك الآن يا عكرمة ؟

عكرمة : (في تأثر شديد) ماذا أقول يا ابا سليمان ؟ أجدني كأنما ولدت من جديد حين وضعت يدي في يد خير الناس وأبر الناس وأكرم الناس .

« ستار »

الفتاوى

في الرضـــاع

الســـؤال : ـــ

رجل رضـع من جدته لأبيه ويريدِ التزوج من ابنة عمه الشقيق ، فهل يحل له التزوج بها ، أو تحرم عليه لأن جدتها أرضعته ، وارضعت والدها .

صهيب أسعد سويدان ــ سوريا

الاجابـــة : ـــ

يحرم على هذا الرجل التزوج من ابنة عمه هذه لأنه برضاعه من جدته لأبيه اصبح اخا من الرضاع لعمه والد البنت ، فصارت بهذا بنت أخيه قال عليه الصلاة والسلام « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

نقـــل المحرمات

الســـؤال : ـــ

رجل مسلم مساهم في شركة للبواخر ، ثبت له أن هذه البواخر تنقل احيانا المحرمات كالخمر والخنزير ، فما الحكم ؟

الاجابـــة : ـــ

لا يجوز لمسلم أن يعين على اثم ، أو أن يكون سببا فيه ، لقولـــه تعالـــى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

والخمر والخنزير محرمان في الشريعة الاسلامية وكما يحرم تناولهما يحرم بيعهما وحملهما لما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الله حرم الخمر وثمنها ، وحرم الميتة وثمنهـــا ، وحرم الخنزير وثمنه) .. وقال « لعن الله الخمر وشاربها وبائعها ومبتاعهـــا وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحولة اليه » . رواه أبو داود والترمذى .

ومن هذا يفهم أن الوسيلة الى الحرام أو الاعانة عليه حرام .

وعلى ذلك فأجر نقل الخمر والخنزير محرم . ويجب على من أسهم فى هذه الشركة الا يقبل أجر نقلهما اذا أمكن تمييزه ، فاذا قبله كان مرتكبا للاثم ومعينا عليه . أما اذا لم يمكن تمييزه أو كان هذا الاجر تركه يضر بصالح الشركـــة أو اقتصاد البلاد ضررا بالغا ، فلا شيء فيه ويكون قبوله حينئذ من باب الضرورات التي تبيح المحظورات .

في الميراث

السـؤال : ـ

توفيت امرأة عن الآتي بيانهم :

أم ، أخ لأم ، أخت لأم ، أخوين شقيقين ، ثلاث أخوات شقيقات فكيف توزع التركة ؟

ع. ع. ب
الكويت

الاجابـة : ـ

١ ـ الأم لها السدس فرضا لوجود جمع من الاخوة .

٢ ـ الأخ والأخت لأم لهما الثلث بالتساوي بينهما .

٣ ـ الباقي للأخوة الأشقاء الذكور والأناث للذكر ضعف الأنثى .

السـؤال : ـ

ورد من السيد / م. ح. أبو الريش من ج. ع. م السؤال الآتي

يرغب الزواج من ابنة أحد أقاربه ـ ولكن والدته اخبرته بأنها أرضعت أخا لهذه البنت وانه هو لم يرضع من أمها فما حكم الشريعة ؟

الاجابـة : ـ

الحكم الشرعي في التحريم بسبب الرضاع ثابت بالكتاب والسنة ، قال تعالى في آية التحريم في سورة النساء « حرمت عليكم ... وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة » .

وقال صلى الله عليه وسلم « يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب » .

وبما انك لم ترضع من أم البنت التي تريد الزواج منها ، كما أنها لم ترضع من والدتك فلا تكون أختا لك من الرضاع بل أنت أخ من الرضاع لأخيها من النسب وهذا غير مانع من زواجك بها شرعا فتزوج بها على بركة الله .

السـؤال : ـ

توفى رجل عن أربعة أولاد ذكور ، وثلاث بنات ، وزوجة ، وأولاد ابنه المتوفى قبله (ذكر وبنتين) فمن يرث من هؤلاء ومن لا يرث وما نصيب كل وارث .

محسن أحمد ضالعي
الجنوب العربي

الاجابـة : ـ

توزع تركة الرجل المذكور على النحو التالى :

١ ـ تأخذ الزوجة ثمن التركة فرضا لوجود الفرع الوارث . قال تعالى (فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) .

٢ ـ يأخذ أولاد المتوفى السبعة باقى التركة . للذكر مثل حظ الأنثيين قال تعالى . (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) .

أما أولاد الابن الذين توفى أبوهم قبل وفاة جدهم فلا يأخذون شيئا من التركة لأنهم محجوبون بأعمامهم الاعلون درجة منهم ، الا اذا أخذ بقانون الوصية الواجبة الذي مر ذكره في الفتوى السابقة .

اشراف رضوان البيلي

بريد الوعي الإسلامي

الايمان لا يهزم

اننى منذ النكسة ، وأنا فى حالة نفسية يرثى لها .. رؤى تفزعنى بالليل ومشاهد كئيبة تتمثل لى بالنهار ، وأوهام وهواجس تزحم خيالى ووجدانى واستفسارات تتوارد على عقلى وفكرى .

وقد حاولت أن أطب لنفسى . بقراءة القرآن والصلاة حينا ، وبشغل أوقات فراغى بمطالعات مختلفة حينا آخر ، ثم بالرياضة وممارسة بعض الهوايات غير أن ذلك كله لم يجد .

وأخشى ما أخشاه على ايمانى ودينى .. أن الاسئلة التى تفرض نفسها على لا أجد لها ردا مقنعا يطفىء نار القلق والحيرة التى أصطلى لظاها .. ألسنا من بين أصحاب الديانات المختلفة — الأمة الوحيدة التى تعبد الله على حق ، فان هلكنا فلن يعبد الله فى الارض ؟. ألسنا أهل الحق وأصحاب الحق فلماذا لم ننتصر ؟

هل نحتاج الى عشرين سنة أخرى فى الاعداد للمعركة الفاصلة ؟.. الى غير ذلك مما أستغفر ربى منه ، واستحى من التصريح به ..

وقد كتبت اليكم لتعيدوا الطمأنينة الى قلبى ، والثقة الى نفسى ، والاقتناع الى عقلى .

عمر النابلسى
نزيل الكويت

هذه واحدة من عشرات الرسائل التى وردت الى هذا الباب ، وكلها تدور فى هذا المعنى ، وتعكس القلق النفسى الذى تركه العدوان الصهيونى الاخير ، وهناك مئات الرسائل من هذا النوع لم ينقلها البريد لانها لم تكتب ، ولكنها موجودة . مقروءة فى وجوه الناس ، ومسموعة فى أحاديثهم ، ومرئية فى انفعالاتهم ، ويرجع شيوع هذه الظاهرة . ظاهرة القلق والحيرة — الى أن الحرب — القائمة بيننا وبين الصهاينة يشارك فيها من قرب ومن بعد كل مسلم من الستمائة مليون مسلم الذين يعيشون على ظهر هذه الارض .. يشارك فيها بروحه وشعوره واحساسه لانها حرب متميزة بطابعها الدينى الذى يملأ قلوب المسلمين — أينما كانوا — بالثقة والرجاء فى تحقق وعد الله لهم بالنصر .

ان كل مسلم كان يعلق آمالا كبارا على معركة الخامس من حزيران الماضى وكان لا يداخله شك فى أن هذه هى المعركة الفاصلة بين العرب أو بين المسلمين والصهاينة ، وساعد على الجزم بهذه النتيجة مسبقا عدة عوامل . أبرزها — بعد الايمان بعدالة قضيتنا التى نخوض الحرب من أجلها — طول فترة الاعداد التى سبقت المعركة ، وهى تناهز العشرين عاما من تاريخ النكبة سنة ١٩٤٨ .. ثم التطورات الجذرية . السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية التى حدثت فى المشرق والمغرب العربيين فى هذه الفترة . هذا بالاضافة الى قوة التضامن العربى فى الشدائد كما تجلى ذلك بصورة رائعة فى العدوان الثلاثى على بور سعيد سنة ٥٦ وفعالية هذا التضامن فى حماية المنطقة العربية ، ونجاحه فى مقاومة الاخطار التى تهددها ، ومما لا شك فيه أنه كان لأجهزة الاعلام العربية دور كبير فى التأثير على نفوس العرب والمسلمين ، وقد نجحت هذه الوسائل

الاعلامية ــ عن حسن قصد ــ فى تضخيم قوتنا والاستخفاف بعدونا وتصويره بصورة الفار الذى وقع فى المصيدة .. كل هذه الاسباب وغيرها لم تترك عند الجماهير المسلمة أدنى شك فى أن عدونا بين فكى (الكماشة) واننا سنصبح غداة المعركة فى تل أبيب .

فلما وقعت الواقعة ، وجاءت نتيجتها بهذه السرعة مخيبة للآمال كانت الصـــدمة لشعور المسلمين قوية ، وكان رد فعلها فى نفوسهم عنيفا وقاسيا ، وجاء فشل المنظمات الدولية فى ايقاف العدوان وردع المعتدين مضاعفا أعنف الصدمة وخيبة الآمال ، ولم يفت العدو الخبيث أن يستغل هذه الفرصة ، فشن علينا حربا نفسية ليحطم من معنوياتنا ، ويفل من عزائمنا ، ويبذر بذور اليأس فى قلوبنا حتى نستسلم ، وقد نجحت هذه الحرب النفسية ــ الى حد ما ــ فى التأثير على أعصاب قلة من المسلمين وكان من أثرها ما تحس يا سيد « عمــر » من رؤى مفزعة ، ومشـــاهد كئيبة ، وهواجس وأوهام تزحم خيالك ، وتقتحم وجدانك .

ولو أنك اســتعرضت الوقائع والحروب القديمة والحديثــة ، بل لو طالعت تاريخ أمتنـــا الاسلامية ، وما خاضته من غزوات وفتوحات . وخاصة تاريخ فلسطين وبيت المقدس ــ لمـــا كان لهذه النكسة هذا الاثر على أعصابك وتفكيرك .

لقد خرج بيت المقدس من الحكم الاسلامى قرابة مائة عام ، وتوالت على سكان فلسطين أهوال ونكبات تنزف بها صفحات التاريخ دما أحمر قانيا ، ومع ذلك لم ييأس المسلمون ، ولم يقنطوا ، ولم تهتز أعصابهم هذه الهزة العنيفة التى أصابتك ، بل صبروا ، وصابروا ، وصمدوا للتحديات ، واعتصموا بايمانهم ، وجاهدوا فى الله حق جهاده حتى انتصروا على أعدائهم ، وأعادوا بمـــا بذلوا من تضحيات غالية أعادوا الارض المباركة الى دار الاسلام وحكم الاسلام ، وبحول الله وقوته وبتوفيقه لنا لاستكمال أسباب النصر سيعود بيت المقــدس وفلسطين الى حوزة الاسلام وسنزيل العدوان وآثار العدوان ، وينحقق وعيد الله وانذاره لبنى اسرائيل ، وسنسىء وجوههم وندخل المســجد الاقصى ونتبرهم تتبيرا لأنهم عادوا وعاثوا فى الارض فســـادا والله يقول لهم « وان عدتم عدنا » .

وما أظن أن الذين أصابهم القلق والحيرة فى حاجة ماسة الى الاقتناع بعد ان كشفت لنـــا الجولة الثانية مع العدو الاسباب والاخطاء التى أدت الى هذه النتيجة فان أسباب النصر المعنوية والمـــادية لم تجتمع لنا قبل المعركة حتى تكون نتيجتها محيرة ومقلقة وغير منطقية ولا معقولة .. ان جميع القادة والمسئولين آمنوا بانه كانت هناك أخطاء ونقص ، ومن أجل تدارك هذه الاخطاء ما نرى من النشاط بين القادة والمسئولين الذى يبدو فى تنقلاتهم واجتماعاتهم ومؤتمراتهم استعدادا للجولة الاخيرة والفاصلة مع العدو باذن الله .

وتعرض الرسالة بعد ذلك للايمان المهتز الذى ترجم عنه كاتبها فى صورة أسئلة تفرض نفسها عليه ، وهواجس يخشى منها على دينه وايمانه ، وقد غاب عنه أن الايمان يربو على الشدائد ، ولا يهتز ، ويقوى فى الازمات ولا يضعف ، وان أظهر الدلائل على صدقه رسوخه فى الاعاصير ، وثباته فى الزلازل ، وصموده فى الفتن الهوج . والايمان الذى لا يصمد فى التجربة ولا يثبت على المحن ، ولا يقوى على احتمال الشدائد ــ ايمان سطحى ، لم يبلغ بعد تمامه وكماله ، وقد جرت سنة الله فى خلقه أن يجعل من تعارك الخير والشر وتصارع الظلم والعدل فى الحياة الدنيا ميادين لتمحيص المؤمنين وتدريبهم « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » .

ان تاريخنا الاسلامى لم يبدأ بالانتصارات والفتوحات ، ولا بالمغانم والاسلاب ، ولا بحدث من الاحداث الكبار التى حدثت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانما ابتدأ تاريخنا بأقسى الشدائد وأعنف الازمات وأحرج اللحظات . بدأ بحادث بلغ فيه الاضطهاد والظلم منتهاه . بدأ بيوم ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم .

ان الايمان حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، وجهاد يحتاج الى صبر ، وجهد يحتاج الى احتمال ، وان انتصار الايمان والحق فى النهاية تكفل به وعد الله ، وما يشك مؤمن فى وعد الله ، فان أبطأ النصر فلحكمة مقدرة فيها الخير للايمان والمؤمنين .

بأقلام القراء

تلقينا من الشيخ محمد سليمان الأشقر أمين المكتبة العامة لوزارة الأوقات والشئون الاسلامية بالكويت الكلمة التالية تعقيبا على ما نشرناه فى العدد الماضى تحت عنوان « وتحسبونه هينا » لفضيلة الشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس بلبنان .

اطلعت على ما كتبه الشيخ نديم الجسر فى مقاله (وتحسبونه هينا) المنشور فى عدد جمادى الاولى من مجلة الوعى الاسلامى حول منزلة علماء الدين فى المجتمع الاسلامى ، ومقترحاته لاصلاح الوضع ، ومع اننى أوافق الشيخ كل الموافقة على أن العلماء بشريعة الله ودينه ينبغى أن نكن لهم كل الاحترام والتوقير ، وقد كان الرجل اذا تعلم سورة البقرة وأصبح بها عالما عظم فى أعين الصحابة والتابعين .

الا أن تحليل الشيخ الفاضل لأسباب الفتنة ، واقتراحاته لتلافيها ، بحاجة الى مزيد من التأمل .

وأساس البحث عندنا ينبغى أن يكون مرتكزا على الحياة التى كان يحياها النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء من صحابته فى المجتمع الاسلامى ، فما وافق تلك الحياة فهو وضع صحيح ، وما لا ، فوضع غير صحيح .

فمن الاسباب التى لا بد من اعتبارها لنشوء الوضع المنحرف ، انعزال علماء الدين عن الحياة ونشاطاتها المختلفة ، فبينما كان النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء من أصحابه هم قادة المجتمع ، والمقدمين فى ميادين الادارة والسياسة والحرب والتعليم ، ليتجهوا به الوجهة الصحيحة ، اذ بنا نرى علماءنا — غالبا — ينظرون الى تلك الامور نظرة من لا صلة له بها .

وبينما كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يمارسون بأيديهم مختلف أنواع الاعمال التى تتطلبها الحياة — فكانوا يركبون الخيل والابل ، ويستعملون آلات الحرب والقتال ، ويتدربون على السباق ، والسباحة والرماية ، ويتاجرون ويفلحون الارض ويمارسون الصناعة — أو بتعبير آخر — كانوا هم أصحاب الفعالية فى مجتمعهم ، اذ بنا نرى علماءنا يقفون موقف المراقب للحياة الناقد لها الذى لا يتدخل فيها الا بقدر ما يقول فيها بلسانه أو يكتب فيها بقلمه أو بعبارة أخرى أصبحوا سلبيين من ناحية فعاليتهم فى الحياة . وقد أصبح هذا السلوك عرفا مقررا بيننا . ودليل ذلك ، الاستهجان الذى يراه العالم من نفسه ويراه منه غيره عندما يلبس زى العلماء ويركب دراجة مثلا أو يسوق سيارة ، أو يمارس السباق أو الرياضة أو النشاطات الترفيهية .

وناحية أخرى قريبة من هذه كانت سببا فى وضع العلماء بالدين فى الوضع الذى ذكره الشيخ الفاضل ، وهو أن بعض المعاهد الدينية اقتصرت منذ مدة طويلة ، والى وقت قريب ، على التعليم الدينى واللغوى ، وأغفلت تعليم الناشئة مبادىء العلوم الكونية والتطبيقية التى تعطى نظرة صحيحة الى الواقع . وكان من نتيجة هذا أن تخرج أجيال من العلماء متبحرون فى العلم الدينى ، ولكنهم لا يعرفون أبجدية الحياة ، ونشأ عن ذلك « الدروشة » و « الفقر » و « الحاجة الى الرواتب » و « الأبواب التى لا تليق » كما ذكر الشيخ الفاضل . وأصبحوا أحوج الناس الى المساعدات والجرايات والوظائف لعجزهم عن الاكتساب من الطرق الطبيعية للكسب .

ولست أعنى جميع من ينتسب الى العلم الدينى بكلامى هذا ، فقد وجد أفراد يمثلون نسبة ضئيلة ، خرجوا على هذا الوضع ، وانما حديثى عن الصبغة الغالبة على العلماء الدينيين .

أما تعليقى على المقترحات الخمسة فينحصر فى أمرين :

١ — ما يتعلق بالزى ، فلا أرى أن يكون للعالم الدينى زى خاص يفصله عن مجتمعه ، لأنه اذا جعلنا الوضع الاجتماعى فى صدر الاسلام الاول مقياسا للخطأ والصواب فى هذه الناحية ، فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يتميز عن أصحابه بزى خاص ، وقد علم من سيرته صلى الله عليه وسلم أن الاعرابى كان يأتى الى المسجد النبوى فيسأل الجالسين : أيكم ابن عبد المطلب ؟ وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن له شارة أو ميزة خاصة فى مجلسه أو ملبسه كما نرى

الآن المتميزين من علمـائنا . وكان صلى الله عليه وسلم يقول : انى أكره أن أرى متميزا عن أصحابى .

٢ ــ أرى القضاء نهائيا على فكرة انفصال العلم الدينى عن علوم الحياة ، فالدين توجيـه للحياة وتصحيح لها ، والقضاء على السلوك الانفصالى لعلماء الدين عن واقع الحياة ، وتأهيلهم لخوض معركتها بالتعليم المهنى والادارى والعسكرى ، فهذا أقرب للعمل بسنة النبى صلى الله عليه وسلم وأشد تحقيقا لأهداف الاسلام ، وأدعى لتعزيز مكانة العالم الدينى وتوقيره ، وبالتالى لتعزيز مكانة الدين نفسه وتوقيره .

والحق أنها مشكلة عظمى فى مجتمعنا المتجافى عن الدين تجافيا مزريا ، وهى مشكلة أهل لأن توفر لها الصحافة الاسلامية جل اهتمامها . وانا لنرقب من « الوعى الاسلامى » وشقيقاتها تسليط الأضواء بقوة على هذا الركن من حياتنا ، فان تصحيح هذا الوضع هو من ترسيخ أسس النهضة .

الجهاد فى سبيل الله

وتحت هذا العنوان أرسل الينا الأخ أحمد حسن القضاة بالكلية العسكرية الملكية بالاردن كلمة نقتطف منها ما يأتى :

ما من دعوة خيرة فى الارض ، الا وتلقى فى طريقها حواجز وموانع ، تمنعها من السير قدما ، فتلجأ تلك الدعوة عندئذ الى الكفاح والنضال لتحطيم تلك الحواجز وكسر تلك الموانع التى تعترضها . ناهيك بدعوة السماء . دعوة الاسلام ــ ذلك الدين القيم الذى ارتضاه الله تعالى خاتما للأديان وهدى ورحمة للعالمين ــ أحر بدعوته أن تحطم كل الحواجز والموانع من طريقها ، وأن يكون الجهـاد وسيلة من وسائلها لنشرها بين البشر ..

والآيات التى تحض على الجهاد كثيرة ــ قال تعالى : « يا أيهـا النبى حرض المؤمنين على القتال » . وقال : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الجهاد ماض مذ بعثنى الله الى أن يقاتل آخر أمتى الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل » . وفى ذلك تأكيد لحكم الجهاد بغض النظر عن كون الحاكم عادلا أو جائرا .. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المجاهدين ، منذ أن اجتباه ربه لحمل لواء الدعوة حتى قبض اليه . كما ضرب أصحابه والرعيل الاول من المؤمنين أروع الامثلة فى تلبية داعى الجهاد ، والتضحية بالنفس والمال ، فنشروا دين الله فى أرجاء الارض . وكانت أول تجربة (عملية) للجهاد بمعناه الشامل ، معركة بدر الكبرى ، يوم انتصرت القلة المؤمنة على الكثرة المشركة ، ثم تلت بعدها المعارك والفتوحات والانتصارات ..

وأن الحق لا يعلو فى أى مجتمع ، كما أن الباطل لا يبطل بمجرد عرض البيان النظرى لذلك الحق أو ذلك الباطل ، بل يكون بتحطيم الباطل وأعلاء الحق . قال تعالى : « ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون » .

وقد بين لنا القرآن الكريم والسنة الطاهرة ، كما أثبت لنا التاريخ أن الجماعة المسلمة اذا نصرت الله تعالى وانطلقت فى نشر دعوته ، ينصرها الله على أعدائها ، وييسر لها من مقومات النصر ما يعوضها عن قلة العدد والعدة . قال سبحانه : « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » .

فما أحوجنا فى هذا الزمان ، بل فى هذه الايام بالذات ، الى الرجوع الى الاسلام ، والى التمعن فى آيات الله البينات والتدبر لأحكامها ومعانيها ، ثم الى التأسى برسولنا الاعظم صلى الله عليه وسلم ، لنأخذ من ذلك كله دروسا وعظات ، تنفعنا غدا فى جولتنا مع العدو المشترك ، حتى يكون النصر حليفنا باذن الله .

والثبات يا أخى الثبات فى المعركة شـهادة صادقة للمؤمن ، تدل على صدق ايمانه ، وهو يعرف أنه يقابل عدوا يألم مثله ، ولكن المؤمن يرجو من الله ما لا يرجو ذلك العدو الكافر . فالمؤمن يسعى لواحد من اثنين : اما النصر والغلبة على أعداء الله ، واما الشهادة والموت فى سبيل الله ، بينما عدوه لا يريد الا الحياة الدنيا ، ولا يؤمن بما سواها ..

نسأل الله تعالى أن يوفقنا الى الايمان ، وأن ينصرنا على أعداء الاسلام ليعود مجد أمتنـا كما كان .. انه سميع قريب مجيب .

القدس تتحدى دولة العصابات

نشرت مجلة الهدف الكويتية تحت هذا العنوان مقالا جاء فيه :

بعد البطولات التى أخفتها النكسة ورددتها وكالات الانباء والصحف العالمية وخاصة فى القدس وفى أماكن كثيرة دارت فيها أعنف المعارك وجها لوجه .. كان الارهاب .. والقتل الجماعى .. ونسف المنازل .. وتكرار « لدير ياسين » .. ومع كل هذا وغيره مما لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنه .. كانت الصفعة الشديدة التى وجهها الشعب فى القدس وفى الضفة الغربية .. وغزة .. وغير ذلك من المناطق .. هذه الصفعة التى تمثلت فى المعارضة العلنية لكل ما تقوم به دولة العصابات فى هذه المناطق ـــ رغم قسوة الارهاب ـــ ..

لقد انهالت الاعتراضات المكتوبة تعلن أن القدس عربية وستظل عربية مهما تآمرت قوى البغى واستمرت فى التنكيل .. وكانت هناك اعتراضات أخرى .. كانت الالغام التى تنهك قوى العدو فى مختلف الاماكن .. وكان الاضراب الاخير .. الذى أفقد العصابات الصهيونية رشدها .. ونبهها فى نفس الوقت .. أنه اذا كانت هناك لا مبالاة بقرارات الامم المتحدة الخاصة بشأن القدس .. فان على أرض القدس نفسها ستكون القرارات الحاسمة التى تقضى على وهم الصهاينة وأعداء الحرية والسلام ..

لقد حاولت العصابات الصهيونية أن تتصرف حتى فى المناهج التعليمية التى تدرس فى الضفة الغربية .. ولكن الصوت القوى جاء معبرا عن المشاعر العربية .. ومعارضا لهذا العمل الاجرامى .. فاعلن رجال التعليم فى محافظة القدس رفضهم تغيير المناهج الاردنية ووقوفهم ضد أى اجراء تتخذه سلطات الاحتلال الاسرائيلية لتعليم المواطنين العرب ما يمس قوميتهم وعروبة وطنهم .

هكذا كان صوت القدس العربية .. وهو نفس الصوت المنبعث من كل شبر احتلته العصابات الصهيونية .. ولن يخفت هذا الصوت الا بعد أن تخمد أصوات العصابات .. ومن وراء العصابات مهما اشتد ارهابهم وبطشهم .

سنعمل ونبني والله معنا

ومن مقال بهذا العنوان نشرته مجلة الشبان المسلمين القاهرية نقتطف الفقرات التالية :

نحن شعب مؤمن بالله ، الدين ركيزة من أعظم ركائز بنائه ، وهو سلاحنا اليوم فى مواجهة العدوان ، ان الدين يدعونا الى اليقظة ، والحذر من أساليب الاستعمار ومن الحرب النفسية ، على كل منا ان يكون واعيا فلا يردد الاشاعات وأن يحذر من المثبطات ولو كانت فى قالب فكاهة أو نكتة ، علينا أن نكون قادرين على احتمال مسئولياتنا كأفراد وكمجموع ، علينا ألا نفقد الثقة فى أنفسنا أولا ، ولا نيأس ، ان كياننا النفسى السليم هو سلاحنا الحقيقى فى المعركة ، لسنا أول من خسر معركة أو هزم فى معركة ، ولكن الأمم كلها عانت واستبسلت وقاومت ولم تستسلم حتى كتب لها النصر ، نحن لا نعرف التواكل ، شعب صلب له قيمه الأساسية والروحية والاجتماعية القادرة على أن تشد أزره ، لن تستطيع الحرب النفسية ، أن تثبط عزيمتنا ، أو تفقدنا الثقة بأنفسنا ، ان الازمات تجلى معادن الشعوب ، هذه الازمة أظهرت معدن شعبنا الاصيل أنه شعب حضارة ممتدة متصلة لم تنقطع ، وأنه شعب قادر على التضحية فى سبيل الحرية ، وفى سبيل تحقيق النصر ، وفى سبيل البناء ، وفى مواجهة العدوان ، وهو فى هذه المرحلة يعتصم بالقيم الدينية ويتمسك بها ويجد فيها مصدرا عظيما من مصادر القوة .

كل فرد مسئول أن يعمل ضد أهداف العدو ، كل أم ، كل عائلة ، كلنا سنعمل فى ظل النقاء والطهارة متمسكين بقيم الدين ومعتصمين بها .

والله عز وجل لا يخلف وعده للصادقين والمجاهدين والعاملين ، اننا حين نستعين بالله نكون قادرين على الشجاعة والصبر والصمود ، ولن يخلف الله وعده للمعتصمين به ، ولن يسلمهم الى المحنة طويلا ، بل سيحقق لهم النصر ، سنكون مع الله ونعمل ، وما دمنـــا قد عقدنا العزم على النصر ، فانه جل وعلا ، يفتح الطريق أمامنا اذا استطعنا أن نضع أنفسنا على طريقه القويم .

سنعمل ونبنى والله معنا يرعى جهادنا حتى نحقق النصر .

وطالعتنا مجلة الطليعة الكويتية بمقال تحت هذا العنوان جاء فيه :

ليس من شك أن المرحلة الراهنة التى يجتازها شعبنا العربى هى من أخطر مراحل الحياة التى قد يعرض لها شعب من الشعوب .

وبانتظار انعقاد مؤتمر الصحافيين العرب نطرح النقاط التالية :

ــ على الصحافة العربية أن تحدد بوضوح دورها فى المعركة وأن تلتزم باداء هذا الدور .

ــ واجب الصحافة العربيـــة قيادة الجماهير وتوعيتها وليس المزايدة على هــذه الجماهير فى التهويل والمبالغة بالامور .

ــ ما تكتبه الصحافة العربية يجب أن يتصف بالوضوح والتخصيص لا بالابهام والتعميم .

ــ على الصحافة العربية أن تضع بين فترة وأخرى تقييما للدور الذى تؤديه لترى أين هى من أهداف الأمة وأمانيها ، ماذا استطاعت تحقيقه وما بقى أمامها لتحققه وهذا التقييم يجب أن يكون صادقا وأمينا ولن يتم ذلك الا عن طريق ممارسة النقد والنقد الذاتى فى عملية مكاشفة صريحة للنفس.

ــ ان التنسيق بين الصحافة ووسائل الاعلام العربية الاخرى أمر هام يجب خلقه والمحافظة عليه.

ان الصهيونية العالمية تمتلك ٣٥٤ صحيفة فى الولايات المتحدة و١٨ فى كندا و١٥٨ فى البلدان الاوروبية بالاضافة الى سيطرتها على العديد من مراكز الاعلام والثقافة الامريكية والاوروبية ، وكل هذه الوسائل الاعلامية مسخرة الى أبعد الحدود لخدمة مطامع الصهيونية والاستعمار ولتحطيم قدرتنا على مقاومة العدوان واظهار العرب أمام الرأى العام العالمى بمظهر المعتدين أعداء السلام .

وأمام هذا الحشد الاعلامى الهائل سوف تتساقط أجهزتنا الاعلامية وصحافتنا أن هى لم تتصد بواقعية ووضوح لهذه الحرب النفسية العنيفة الموجهه ضد شعبنا وذلك على كافة الجبهات العربية منها والخارجية ، وكذلك لا بد من أن تنتقل صحافتنا من موقع الدفاع الى مواقع الهجوم على حدد القوى وذلك لن يتحقق الا بوحدة العمل الصحفى والاعلامى العربى القائم على الدرس والتخصيص والوضوح. وان أملنا كبير أن نرى مؤتمرا للصحافيين العرب يعقد سريعا للبدء فعلا بعمل ايجابى موحد.

كلمـــة الايمان

ومن الكلمة الافتتاحية لمجلة الايمان المغربية نختار الفقرة التالية :

انه لا يكفى أن نقول اننا أمة مسلمة أتنطبق علينا حقيقة الاسلام ، ولكنا سنكون أمة اسلاميه اذا ما طبقنا المنهج الاسلامى فى حياتنا وسلوكنا ونظرتنا الى الانسان والكون والمجتمع والحياة .

وهذا التطبيق لحقيقة الاسلام فى حياتنا سيجعلنا وجها لوجه أمام هذه الحضارة الغربيـــة التى أخذت بتلابيبنا واستحوذت على تصوراتنا ، وصيرتنا عبيدا لها فى تفكيرنا وبنائنا وتصوراتنا ، فعشنا فى تناقض واضطراب ، نريد التقدم فى المسير ، ولكن التعثر يصيب خطواتنا فنجد أنفسنا وكأننا نسير الى وراء .

فالتصور الواضح للأهداف والقيم وشكل الحياة ، هو الذى يساعد على تخطيط معالم الطريق ، وهذا التخطيط هو الذى يجمع الرأى ويوحد الصف وينير الطريق ويحقق الاهداف ويضمن السير دائما الى الامام .

وتطبيق المنهج الاسلامى فى حياتنا هو الذى سيحفظنا من غارة الغائرين ، ودس الدساسين ، وكيدالكائدين .

تطبيق المنهج الاسلامى هو الذى سيجعلنا أمة محترمة الجـــانب ، مهيبة الكرامة ، فارضة الوجود ، مؤدية رسالتها فى الحياة . هذه الرسالة التى لا تتنكر لكل جديد ولا ترفض أى تطور ، ولا تقف دون تطبيق أية رسالة حضارية ، ولكنها تأبى التنكر للقيم العليا والانكار لرسالات السماء .

فاذا تصورنا أهدافنا واضحة ، واذا ما خططنا معالم طريقنا على أساس اسلامى صحيح ، فهناك سنكون قد قمنا ببعض الواجب علينا وصرنا لطبع اصلاحاتنابطابع فلسفتنا فنحدث ثورة اجتماعية صحيحة لا تخضع لتفكير الجامدين والمتأخرين ولا تطيش مع المنزلقين المنحرفين ، ثورة تعمل على خلق جيل جديد يتخلق بالاخلاق الاسلامية المثلى ويفهم الاسلام فهما صحيحا ، يستضىء قلبه بنور الايمان ويهتدي عقله بهدى العلم الصحيح ، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت

● أعلن سمو ولي العهد ورئيس الوزراء « اننا لن نحيد عن موقفنا بوقف ضخ النفط وسنفى بواجباتنا كاملة مهما بلغت التضحيات » .

● زار جلالة الملك حسين وسيادة الرئيس عبد الرحمن عارف البلاد من أجل توحيد الصف لازالة آثار العدوان الاسرائيلى وذلك فى جولة يزوران فيها بعض الدول العربية .

● خصصت وزارة التربية عددا من المنح الدراسية الجامعية والثانوية للطلاب الفلسطينيين .

● ساهمت الكويت بمبلغ (١٠٣٥٠٠) دولار لجعل اللغة العربية لغة عمل فى منظمة اليونسكو .

● قدم الصندوق الكويتى للتنمية قرضا للسودان قيمته (٥ر٠٧٠ر٠٠٠) دينارا كويتيا .

● وفد اسلامى برياسة الدكتور محمد ناصر رئيس الوزراء الاسبق فى اندونيسيا زار الكويت .

● تبدأ الدراسة فى جامعة الكويت باضافة كليتين جديدتين هما : الشريعة والقانون ، والسياسة والاقتصاد .

الجمهورية العربية المتحدة

● فى نطاق ازالة آثار العدوان الصهيونى على العرب وبحث مشكلة فلسطين زار البلاد الرئيس اليوغوسلافى تيتو وقد زار دمشق وبغداد .

● ستعقد الجامعة العربية دورة خاصة بمحو الأمية وتعليم الكبار فى البلاد العربية فى الفترة بين ٢٣ ــ ٢٩ سبتمبر الحالى .

● قررت الجامعة العربية تشغيل خريجى الجامعات من أبناء فلسطين فى مختلف الدول العربية كما قررت حكومة المتحدة منح كل طالب فلسطينى مبلغ عشرة جنيهات وسكنا مناسبا ، وثلاثة جنيهات لمن يقيمون فى المدن الجامعية .

● قام سكان مدينة العريش ــ شمالى سيناء ــ باضراب عام ومظاهرات تحد للسلطات الاسرائيلية رفعوا فيها العلم العربى على بيوت المدينة ومنشآتها . وفرض منع التجول مع القبض على بعض الاشخاص .

السعودية

● زار الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران باكستان للتباحث مع المسئولين فى أمر تطوير الجيش السعودى ومده بالخبرات الفنية والعسكرية .

● قدم السيد محمد العدسانى سفير الكويت الجديد في السعودية أوراق اعتماده الى جلالة الملك فيصل .

● زار جلالة الملك حسين والسيد محمد أحمد محجوب البلاد وقد اجريا مع جلالة الملك فيصل محادثات هامة بشان قضية اليمن .

العراق

● عقد فى ١٥ أغسطس الماضى مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب لبحث مشروع العراق لتوجيه الاقتصاد العربى لازالة آثار العدوان وقد أصدر عدة توصيات لعرضها على مؤتمر وزراء الخارجية الثانى تمهيدا لعقد مؤتمر القمة فى الخرطوم .

● صادرت العراق جميع ممتلكات جامعة الحكمة الامريكية فى بغداد بعد أن كشفت نشاطا هداما

لعدد من الامريكيين العاملين بها .

- رفض وزير النفط العراقى الاحتجاج الذى تقدمت به شركات النفط الاجنبية على القانون الخاص بمناطق الاستثمار لشركة النفط العراقية .
- قررت العراق والمتحدة الاكتفاء بالهوية الشخصية فى التنقلات بين البلدين وذلك بعد الغاء الجمارك بينهما ..

السـودان

- عقد مؤتمر وزراء الخارجية الثانى فى ٢٦ أغسطس لبحث توصيات مؤتمر وزراء المال والاقتصاد .
- وافقت اللجنة القومية للدستور على اقتراح بتحريم النشاط الشيوعى فى السودان .
- اعلن السيد اسماعيل الازهرى أن العرب لا يمكن أن يتعايشوا مع اسرائيل وانهم باتحادهم سيدحرون العدوان .
- تسلم ثلاثون خبيرا عربيا فى شئون الطيران عملهم فى السودان بعد استغنائها عن جميع الخبراء الانجليز .
- ذكرت الصحف أن حكومة السودان اكتشفت وجود صلة بين الملحق العسكرى الاثيوبى فى الخرطوم وبين وكالة المخابرات الامريكية فى محاولتها لقلب نظام الحكم فى السودان !!!

الأردن

- قام جلالة الملك حسين بجولة فى ثمان دول عربية واسلامية هى : الكويت ، ايران ، السعودية ، السودان ، ليبيا ، تونس ، والمغرب ، ولبنان .
- تشتد المقاومة لسلطات الاحتلال الاسرائيلية فى الضفة الغربية وقد رفض المعلمون المساس بنظم التعليم الاردنية أو تعليم التلاميذ شيئا يمس الشخصية العربية .
- بدأ النازحون من الضفة الغربية بالعودة الى ديارهم وقد قبلت اسرائيل منهم عددا ضئيلا ولم تقبل منهم الشبان .
- زار الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف الاردن وقد أجرى مباحثات هامة مع جلالة الملك حسين .
- وقع العراق والاردن اتفاقا لتوسيع التبادل التجارى ورفع القيود الجمركية بين البلدين .

سـوريا

- زار الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف سوريا ضمن اللقاءات العربية لازالة آثار العدوان .
- اعلن الدكتور ابراهيم ماخوس نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية أن العرب يرفضون أى مشروع يربط بين سحب القوات الاسرائيلية وفكرة انهاء الحرب أو الصلح مع اسرائيل .

أخبـار متفرقة

- قام الرئيس أيوب خان بزيارة الى الاتحاد السوفيتى هذا الشهر وبحث مع الزعماء السوفيت نتائج الازمة الاخيرة فى قضية فلسطين كما سيزور فرنسا للغرض نفسه .
- أكد بير زاده وزير خارجية باكستان فى بيروت أن باكستان ستعمل بما يقترحه العرب لازالة آثار العدوان الاسرائيلى وقال نحن مع الوحدة العربية والتضامن الاسلامى لانقاذ القدس .
- طالب الرئيس بومدين كل البلاد العربية بتطبيق نظام التدريب الشامل وقال ان ما حدث فى ٥ يونيه يمكن أن يحدث للجزائر .
- اتفق على تجميد نشاط قاعدة هويلس الامريكية فى حالة الطوارىء فى المنطقة العربية !
- أعرب مؤتمر من ١٢ منظمة اندونيسية عن استعداده للسفر الى الجبهة وطالب باعلان الجهاد المقدس لتحرير فلسطين .
- الصومال : حضر وزير الدفاع الصومالى — كمراقب — جزءا من اجتماعات مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذى انعقد فى الخرطوم وقال ان الرئيس الصومالى على استعداد لحضور مؤتمر القمة .

★★★

- أثيوبيا : تشترك أثيوبيا فى حملة التبرعات التى تجرى لصالح اسرائيل وقد شحنت ما يزيد على (١٥) الف بقرة كتبرع منها لمساعدة اسرائيل .
- الهند : صرح متحدث رسمى بأن أى حل لقضية فلسطين يقوم على اشتراط الاعتراف باسرائيل سيفشل لانه لن يكون واقعيا .

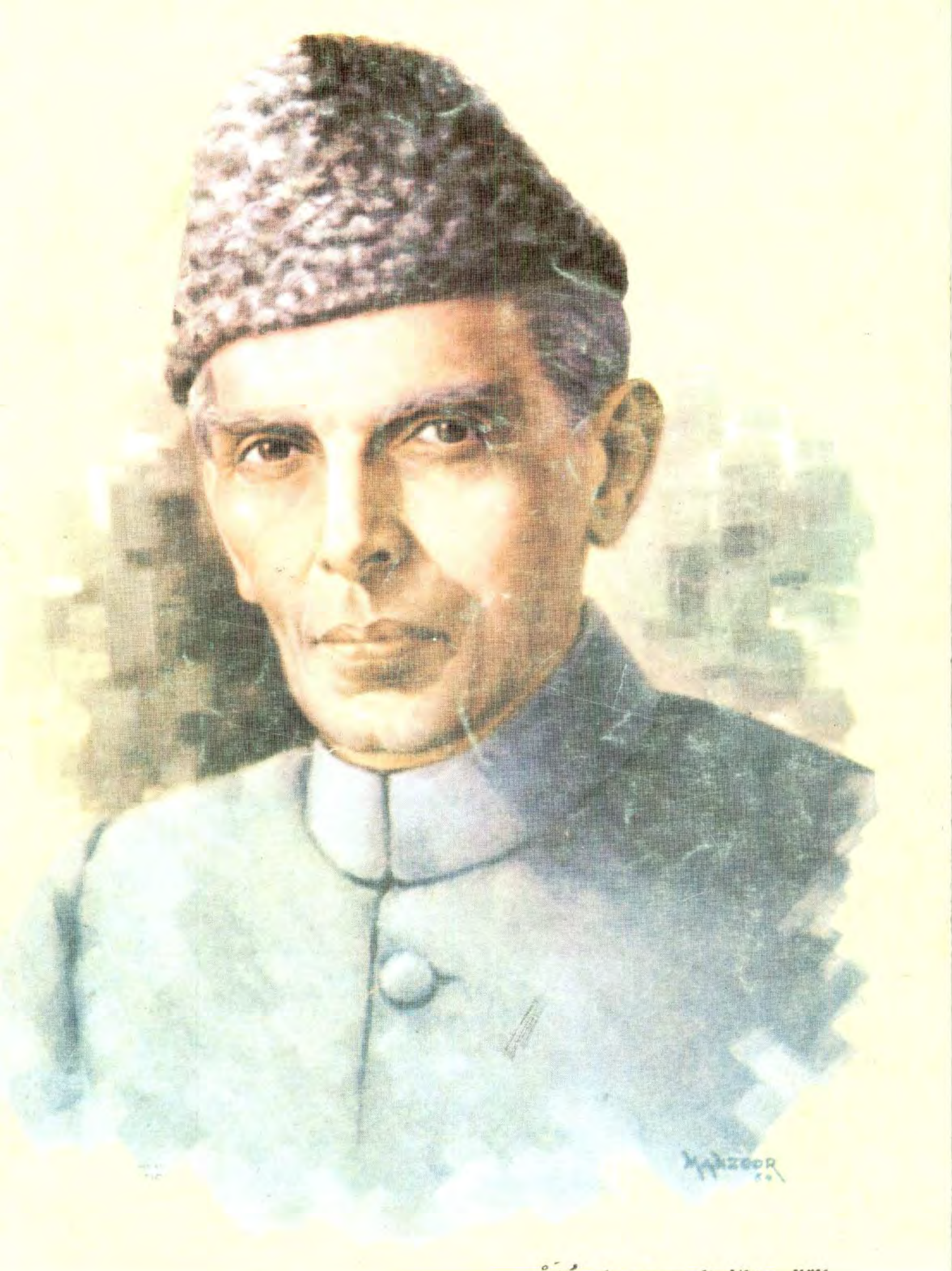
أقرأ في هذا العدد :

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســـا مع متعهد التوزيع عنـــدهم ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ـ ٧ شارع الصحافـــة
مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـــاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح
الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢
جـــــده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥
بغـــداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد
المـــكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـــدودة
دبـــى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ـ السيد رجا العيســـى
دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
الســـودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنـــان . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣
مراكـــش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى
ليبـــيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



القائـــد الأعظم محمد على جُنَهْ
مؤسس باكستان
بمناسبة ذكرى استقلالها فى أغسطس المـــاضى

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الك

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ● العدد الحادى والثلاثون ● غرة رجب ١٣٨٧ هـ ـ ٥ أكتوبر ١٩٦٧ م

سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله لنريه من
اياتنا انه هو السميع البصير
صدق الله العظيم



الأقطاب الثلاثة

سمو الأمير المعظم ، وفخامة رئيس الجمهورية العربية المتحدة وجلالة عاهل المملكة العربية السعودية في اجتماع تاريخي باركته عناية الله وذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي الرابع في الخرطوم.

صورة الغلاف



سبحـــان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنـــا إنه هو السميع البصير

صدق الله العظيم

سورة الاسراء آية (١)

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الحادي والثلاثون
ــ السنة الثالثة ــ

غرة رجب سنة ١٣٨٧ هـ

٥ اكتـوبـر ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسيــة

الثمن

الكويت	٥٠ فلسـا
السعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسـا
الأردن	٥٠ فلسـا
ليبيـا	١٠ قروش
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينــار
في الخليج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميــة
ص. ب ١٣ هاتــف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .
« وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

حقيقتان من حقائق هذه الحياة ، أو سنّتان من سنن الله فيها يسجلهما القرآن الكريم .

فالصراع بين أهل الحق وأهل الباطل أمر لا مفر منه ، ضرورة الصراع بين الخير والشر ، والتنازع الدائم بينهما أو بين من يمثلهما على هذه الارض .. ولو لم يكن للخير أنصار يدافعون عنه لطغى الاشرار على هذا الوجود ، وفسدت الحياة .

ولا يهولن أهل الحق ما يصيبهم من هزيمة أمام أهل الباطل .. فان الباطل له صولة وله جولة : ولكن الامر مع ذلك لا يدعو الى اليأس ، ولا يحمل المدافعين عن الحق الى التخلى عن واجبهم ، فان الاحداث تتقلب تقلب الليل والنهار .

فلئن انهزم أهل الحق اليوم ، لينتصرن غدا ، ما داموا منتصرين لحقهم ، متصلين بربهم « ولينصرن الله من ينصره » .

تلك سنة الله فى عباده ، ان لم تجدها متحققة بصورة مطردة فى حياة الافراد ، لقصر أعمارهم ، فانها تتحقق باطراد فى حياة الامم . وحوادث التاريخ فى الماضى والحاضر واقع تطبيقى لهذه السنة ..

ولقد جرت عادة الناس كذلك أن يفتشوا عن أسباب هزيمة المغلوب ، وقد يبالغون فيها ، بل قد يعدون منها ما ليس له صلة بها .. ولكن هكذا العادة ..

والهزائم التى تصيب الامم فى حروبها هى أقسى أنواع الشدائد التى تنزل بها ، ولهذا كانت أقسى امتحان لمعدنها وايمانها . والامم تمتحن بالشدائد ، كما يمتحن الافراد ..

بل قد تكون الاصابة بالمحن للفرد أو الامة ضرورة لا بد منها ، لتفيق من غفلة ، وتتيقظ من رقدة ، وتراجع نفسها ، وتصحح طريقها ، قبل أن تنزلق الانزلاق النهائى الى الهاوية ..

والله سبحانه يقول للمؤمنين الذين انهزموا فى أحد بعد انتصار « ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » ويقول : « وليمحص الله الذين آمنوا » ويقول : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، وما كان الله ليطلعكم على الغيب » . ثم فى آية أخرى يهز نفسية الفزعين عند الشدائد ، وينبههم الى سنته فى عباده ، فيقول : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » أى وهم لا يمتحنون بالشدائد ، ليتبين معدنهم الاصيل والزائف : « ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

تلك سنن الله فى عباده .. وهذا هو امتحان لهم ..

فالشدائد امتحان ودرس مر مرارة الدواء للمريض .

ولست مبالغا أو متجنيا اذا قلت : اننا كنا ـ نحن المسلمين العرب بخاصة ـ فى مسيس الحاجة الى هذا الدرس .. وهذا الامتحان .. فقد كشف لنا تماما عن واقعنا ، أو عن مرضنا الذى عشنا به طوال هذه السنين . ونحن جاهلون به ، أو متجاهلون له ، ومنصرفون ـ مع الاسف ـ الى كل ما يضاعف من شراسته ، ويمد له فى خطره .. برغم بعض الاصوات المخلصة التى ارتفعت تحذر وتنذر ..

بعض الناس قد يضايقه هذا الكلام ، ولكنه الحقيقة . ونرجو الا تضيع كما ضاع غيرها من قبل ..

وبعض الناس يخدع نفسه ، ويلقى اللوم كل اللوم على أعدائنا .. ولكن هذا الصنف من الناس ضعيف أمام نفسه وأمام الناس ، بل غير مخلص لنفسه ولا للناس .. لم يعرف أولا أن الايام دول وأن زمام النصر قد يفلت من الايدى لسبب صغير ، وأن من الخير أن يعرف أسباب مرضه ليداويه وينقض على عدوه ، بدلا من تركه المرض يفترسه ويقضى عليه ..

ان الامة الواعية هى التى تنتبه سريعا الى أمراضها ، والى مكامن الداء فيها وتستفيد من الشدائد التى تقع بها . وان من الخير أن يتحمل كل منا نصيبه من مسئولية فيما نحن فيه الآن ، دون أن يدفعنا ذلك الى اليأس . أو القاء الثقل كله على الآخرين .

ان الهزيمة اذا كانت جرحا مؤلما حقا ، فان من أوليات الاسعاف أن نسرع بمداواة الجرح ، ومن الخطر أن يروعنا منظر الدم فننهار ، ونجلس نبكى كالاطفال .. ومن الخطر كذلك أن نستهين بالجرح ، ولو كان صغيرا ، فلربما يودى بالحياة فى النهاية .. وكثيرا ما ذهبت شكة الشوكة بحياة أناس لم يشعروا بها ، أو شعروا بها ولكنهم استهانوا بخطرها .. وقد يودى الطبيب بحياة من جاءوا اليه ، يلتمسون أسباب الشفاء على يديه ، لأنه لم يعرف أمراضهم ، أو عرفها ، ولكنه لم يشخص الدواء المناسب لها ..

ونحن المسلمين قد أصابنا الاستعمار بما أصابنا به ، هذا حق .. ولكن من الحق أيضا أنه رحل عنا ، وترك لنا أمورنا نتحمل مسئوليتها ـ فكيف عالجنا أمراضنا ؟.

لقد مرت سنون كان من الممكن أن نقضى فيها على أمراض كثيرة ، لو أن جهودنا كلها انصرفت الى القضاء على هذه الامراض بالدواء المناسب . ولكن

مع الاسف .. انصرفنا الى مضاعفتها وتحميل الجسم المنهوك القوى أمراضا وأثقالا أخرى تهد كيان الجسم السليم ..

حاربت الامة العربية الاستعمار ، لتباشر أمورها بنفسها ، ويكون الامر فيها لأبنائها المسلمين ، الاخوة المخلصين لها ولمصالحها . المتكاتفين فى سبيل النهوض بها .. ومع ذلك كان ما رأينا مما لا أذكره لأنك تعرفه .

لا أريد هنا أن أغمط العاملين حقهم ، ولكنى لا أستطيع كذلك أن أغمض العين عما قاسيناه من بعضنا البعض وعما سقاه الاخ لأخيه من مرارة أشهد بالله أن الغريب لم يكن ليجرؤ عليها ..

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند

هذا حق لا بد أن نقوله ، لأنه يتردد فى كل نفس ، ولأننا فى هذه الفترة فى حاجة الى تشخيص المرض والبحث عن الدواء .

وإذا كانت الحكمة المشهورة تقول : « اذا عرف الداء سهل الدواء » فاننى أقول معها نعم سهل معرفة الدواء . ولكن يبقى أن تتقبله نفس المريض ويتجرعه. وهذا هو الفيصل فى الشفاء .

ولقد انعقد مؤتمر القمة ، واحطناه بقلوبنا ، وصدرت عنه قرارات رحبنا بها ، وفيها للجسم المريض بعض الدواء . ومع ذلك فلا نزال نمسك قلوبنا بايدينا فى انتظار مرحلة التنفيذ .. وندعو الله .. فقد صدرت من قبل قرارات طيبة .. ولكن لم يكتب لها الحياة ..

ولقد مرت علينا عشرون سنة بعد ما سميناه نكبة ، وسمعنا الكثير من الكلام الجميل ، ولكن قاسينا الكثير من العمل المعوج . ولم يكن واحد منا على مستوى الاحساس بالنكبة .. لم تأخذنا غيرة لأنفسنا . ولا للحق المضاع على أيدينا ، ولا بما أصابنا ونحن دول لها جيوش مسلحة على يد عصابات .. ومرت السنون ، ونحن نحيا بعارنا .. ولكن أية حياة ؟!

عشرات الملايين منا يمشون بين أمم أهل الارض كأن لم يصبهم شىء .. لا يشعرون بما يحملونه من أوزار ، ولا بما ينوءون به من عار ، ويتصرفون فى حياتهم كأن ليس لهم ثار !! ترف ومجون . وخلاف . وتطاحن وفساد . وهذه كلها جراثيم تقضى على الاقوياء ، وتحيلهم الى تعساء ، فكيف تفعل فعلها فى الضعفاء ؟!

حتى كانت الوصمة الاخيرة .. وكنا كالرجل العملاق ، يركب ظهره غلام صغير ، ويوسعه ضربا ولكما ، ويتركه غارقا فى دمائه ودموعه ، و .. عاره . فهل ينتظر هذا العملاق أن يلقى من الناس التقدير والاحترام ؟!

رأيت مرة رجلا يضرب ابنه الفارع الجسم فى غيظ وقسوة .. وتعجبت ، وتدخلت لأهدئه ، ثم علمت منه أنه ثار على ابنه هذا الطويل العريض ، لأن ولدا صغيرا ضربه ، ولم يستطع حتى الدفاع عن نفسه ، بل جاء اليه يبكى ويشكو !! وثارت نفسى على هذا الجسم الخائر ، وندمت لأننى خلصته من يد أبيه ..

ولا أظن أن موجة السخط التى عمت العرب علينا حتى تصرف مع بعض الافراد العرب هناك تصرفات مخزية وقحة سمعناها منهم الا كان من اسبابها ان مائة مليون عربى وجدوا هذا المصير على يد مليونين من الصهيونيين !!

ونحن هنا نثور ونسخط لهذا التصرف ، ولا نثور على أنفسنا ، ونسخط على تصرفاتنا .

نعيب زماننا والعيب فينـــا   وما لزماننا عيب ســـوانا

هل نريد من الناس أن يحترمونا ؟
لا بد أولا أن نحترم أنفسنا .

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقهـــــا   هوانا بها كانت على الناس أهونا

هل نريد من الدول أن تقف معنا تساندنا فى حقنا ؟
لا بد أولا أن نقف نحن متساندين متعاونين ، وأخوة متكاتفين .
هل نريد من الله أن ينصرنا على أعدائنا ؟
لا بد أن نكون على صلة طيبة به وبدينه حتى يستجيب لنا ويعيننا .
فهل كنا كذلك خلال العشرين سنة التى مرت بنا ؟!
ان ما أصابنا لم يكن الا النتيجة الحتمية لأعمالنا كل هذه السنين « وماظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » ولقد كان حقا وغريبا معا ان نسمع احـد المسئولين بعد هذا الرزء يقول : « اننـــا دخلنا الحرب دون أن نعرف طريق النصر » .
وهذه حقيقة ولكن ما أقساها ..

ومتى قالها ؟.. قالها بعد أن فقدنا ما فقدنا ، حتى لم تعد تمر دقيقة علينا الا ونحن نتجرع الغصص ، ولا أدرى كيف تحملنا ، ونتحمل كل هذا ؟! وأولى القبلتين وثالث الحرمين فى يد أعداء الله .. وكيف يكون حالنا وذكرى اسراء الرسول صلى الله عليه وسلم تمر بنا ؟! محنة قاسية صنعناها بايدينا !! لأننا طول هذه السنين لم نعرف طريق النصر .. وكيف غاب عنا ؟.

ان طريق النصر لم يتركنا الله نضرب فى متاهات للبحث عنه ، بل أرسل رسوله به ومن أجله . ودل عليه ، ودعانا اليه ، وهو يقول : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » .
فلم يكن طريق النصر مجهولا ولكنا نحن الذين تركناه . ومع ذلك فهل نرجع اليه ونسير عليه ؟
ذلك أمر يتوقف على مدى احساسنا بنكبتنا ، وعلى اخلاص نوايانا ، وعلى صدقنا مع أنفسنا ومع أمتنا ، ومع الله أولا ، ونحن نستمد العون منه ، يتوقف على استعدادنا لأن نسلك هــذا الطريق بكل التزاماته من جد ، واخلاص ، وتضحية من أجل كرامتنا وعزتنا ، من أجل شرفنا وصيانة أعراضنا ، فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ، وكفانا ما جره علينا استهتارنا ، وبعدنا عن الله ، وتمردنا على تعاليمه .

و « استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم » .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

من هدي السنّة

المجتمع النظيف

للشيخ : على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عز وجل فهو الى الله ، ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه ، فبايعناه على ذلك » .

(رواه البخارى ومسلم وغيرهما)

تمهيـــد :

الاسلام عقيدة مستقرها القلب ، ودوامها بالفناء فيها ، وغذاؤها ذكر الله عز وجل والسير غير ذى العوج على الجادة التى سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووضح معالمها ، ونتاجها العمل الدائب لخير المجموعة البشرية ، بل والمخلوقات جميعا حتى الجماد منها ، مع التصميم المؤكد ، والدءوب المستمر للوصول الى الغاية التى ترنو اليها ، والهدف الذى أحكمت من أجله ، والامل الذى تنشده واقعيا .

وأقوال سيد الخلق دائما تلقى ضوء التوجيه الالهى على دجنات الوجود ، ليتمكن السارى من العبور دون تعثر غير مكب على وجهه ، وانما يمضى سويا على صراط مستقيم ، والحديث الشريف موضوع البحث يعالج مشكلات مزمنة عاصرت وجود الارض منذ أن كان لآدم عليها وجود ، ويصف علة العلل فى كل داهية دهياء وملمة عميـــاء ، ثم تتعاقب فى طى الكلم الشريف اشـــارات الى

تعريف موجز براوى الحديث : هو عبادة بن الصامت (بضم العين) الانصارى الخزرجى رضى الله عنه ، كان أحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة ، وقد شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه وجهه الى الشام قاضيا ومعلما ، فأقام فى حمص ، ثم انتقل الى فلسطين ، وهو أول من ولى القضاء بها ، وروى له مائة وواحد وثمانون حديثا ، ورد منها فى صحيح البخارى تسعة أحاديث ، ومن صفاته الخلقية (بكسر الخاء المعجمة) أنه كان طويلا جميلا ، ومن صفاته الخلقية (بضم الخاء مع اللام) أنه كان يحب الخير واسداء الجميل لكل من عرف ومن لم يعرف ، وتوفى فى خلافة معاوية وقد ناهز الثانية والسبعين ، ودفن فى بيت المقدس .

زبالات (١) تتراءى لضعيف الادراك ، أنوارا لألاءة ، كما يتوهم الظمآن الصادى الثمالة كأسا مترعة .

خمسة أشياء (٢) لو أنها اختفت من مجتمع ما لصار مثلا طيبا يحتذى ويدار فى فلكه ، والمقيم عليها مقيم على دخن فى العقيدة بل وفى وجوده من حيث هو كلبنة فى بناء عام ، يبيته القلق النفسى ، ويصبحه الالم الحسى ، ومصيره الى شفا جرف هار يهوى به فى واد سحيق من الضياع والفناء ، كما يمضى الجيل المعاصر فى الغرب على غير هدى ودون تبصر ، تطمان من البشر ضلت الطريق السوى ، ونام راعيها أو بالاحرى سار نفس المسير ، ولنأت عليها الواحدة بعد الاخرى تفصيلا وايضاحا للمراد ، وتبيانا للناس ، وتبليغا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الصادق المصدوق :

(بايعونى) والبائع هنا المؤمنون ، والمشترى هو الله تبارك وتعالى . وواسطة العقد سيد الخلق ، والبائع يترك سلعته لدافع الثمن ، والربح فى هذه البيعة ربحان ، بعد عن مهاوى الهلاك ، وأجر مضاعف ، والعجيب فيها أن ينأى المؤمن عن الخطر ويتقاضى خيرا فوق خير ، وهذا فضل يستوجب الشكر ، وكيف يوفى المخلوق شكر الخالق مهما طال الاجل وامتدت الاقامة فى الدنيا ، فنعم الله لا تتناهى ، ولهذا قيل :

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... له على فى طيها يجب الشكر

فكيف وفاء الشكر الا بفضله ... وان طالت الاسباب واتصل العمر

١ — **(على أن لا تشركوا بالله شيئا)** : بعد بحث طال أمده ، واستقصاء استمر حقبة من الدهر ولا يزال ، واستقراء لما أمكن استقراؤه من حوادث الحياة ، وتتبع لمجتمعات بدت ثم بادت ، وأخرى لا زالت فى الطريق تعبر ، تتوقى الوهج ، وتحاذر القر ، تكون (بتشديد الواو المكسورة) القافلة فى صورة مختلفة شكلا ، ومتحدة فى اللب .. أقول بعد هذا كله .. وضح لطالب الحقيقة أن الايمان بالله وتوحيده وجميع ماله سبحانه من صفات الكمال بلسم شاف ، ودرع واق من البوار الذى يحيق بالانسانية الضالة ، فمن آمن ووحد ، أحب الواحد الاحد ، ومن أحب اتبع ، ومن اتبع تابع ، وفى ظل هذا الاتباع للقيومية المطلقة ، تتلاشى الضلالات وتذوب آثارها كما يتلاشى الجليد تعرض لحمارة القيظ ، بعد أن جمعته صبارة الزمهرير ، وذلك حين يعرف الانسان قدره ، ويزن الامور بميزان الشريعة شريعة الله وحده .

وقد يحاول الفانى ، أو يتساءل وأين البرهان ؟ والجواب فى نفس تركيبه ، وصلب تكوينه ، يتحدث طويلا عن ليل صار نهارا أو كاد ، وعن مسافات تلاشت ، وبحار انكشف بعض سرها — ولا أقول كله — وفضاء اجتيحت حرماته ، ومع كل

---

(١) زبالات : جمع زبالة . وهى الضوء الخافت ، أو ما يتبقى من زيت السرج ، والمراد هنا المعنى الاول .

(٢) قال بعض العلماء الشىء عندنا هو الموجود .

هذا يقول الانسان : أين الدليل ؟ ولو تأمل المعلومات الضئيلة التى كشفت له بواسطته ، لأدرك أن العامل الاصيل فى كشفها ـ كما يبدو ـ عقله ، وما عقله الا من صنع غيره ، ولا حاجة ان نذهب الى أبعد من هذا ، فالوجود الاضطرارى والفناء اللاحق لا علة لهما ولا سبب الا أن القادر أراد فأوجد ، وضع للنهاية حدا لا تعدوه وميقاتا لا تتخلف عنه (الذى خلق الموت والحياة) .. وطريق العلم مفتوح والمارون فيه كثر ، ومهما اتسع الكشف وحسنت النتائج أو ساءت فما أوتيتم من العلم الا قليلا .. أفبعد هذا يشرك عالم مستنير ؟ ولو كان عالما مستنيرا ما أشرك ، ولو ترك الجميع الشرك لسادت الانسانية الفاضلة ، وعم الوجود سلام دائم فى ظل توحيد الله وتمجيده . ولكن متى ؟ علم ذلك عند من استأثر بالغيب تعالى وتقدس : وفى قوله الشريف عليه الصلاة والسلام : لا تشركوا بالله شيئا دقة غير متناهية ، فـ (شيئا) يشمل كل شىء ، وذو الحظ العظيم من أدرك وعرف .

٢ ــ ولا تسرقوا : ما السرقة ؟ وما سببها ؟ كيف الخلاص منها ؟

السرقة كما ورد فى بعض تعاريفها : أخذ المال المعصوم خفية من حرز مثله ، فالمأخوذ هو حق الغير ونتاج جهده وكده ، لا حق فيه للآخذ بعد ان حصل عليه صاحبه وأحرزه وصار ملكا له بطرق مشروعة (١) ، فالآخذ ظالم معتد اثيم لأنه تعدى وضعه فى مجتمعه ، فهدد الأمن وأخاف الناس ، وآذى غيره بغير جريرة ، وهو أى الآخذ يعلم ذلك ولا ينكره فتخفيه دليل على علمه بعدم مشروعية عمله ، والعلة قد تتعدد وتتنوع ولكل شىء أسباب ودواع ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ــ مبلغ عن ربه ــ ولا يطلب الابتعاد عن السرقة الا بعد منع أسبابها الممكنة المنع ، فاذا تحقق لكل انسان مطلبه فى مجتمعه ، وصارت السرقة جبلة وعادة فلهذا علاج حاسم .

فالمجتمع الاسلامى الذى أمر الله بتحقيقه واقعيا هو الذى لا يعرف الحقد الى أهله سبيلا ، فالكل طاعم كاس ، فاقه ، واع ، مدرك لما يحيط به ، لا يشكو ألمــا ولا فقرا ولا جوعا ، ولا جهلا ، مجتمع كل أفراده يعملون ، ويتعاونون على البر والتقوى ، تلاشت فيما بينهم الخصومات ، وعقدت قلوبهم على المحبــة والوداد ، تكافل يشمل المجموع ويعم الجميع ، ويقوم به كل مواطن فى حدود قدرته ، وفى دائرة اختصاصه ، ذلكم هو المجتمع الذى تخلص من موجبات السرقة والاختلاس ، فبعد هذا كله : لا تسرقوا . وهل النهى ينهى الداء ، هو نهى وهو دواء ، والمتمادى فى الخلاف له علاج آخر مبسوط بأدلته واسانيده عند فقهاء الاسلام .

٣ ــ ولا تزنوا : ثالثة الاثافى ، انتهاك للمحرمات ، واعتداء على الاعراض ، وقلب للحقائق ، ينتج اختلاط انساب ، وعفونة اخلاق ، ودواعيه رعونة شهوات

---

(١) أقصد بالطرق المشروعة ما شرعه الله تعالى وحده .

لا تليق بمجتمع ينشد القوة ، ويمجد الفضيلة ويسعى لقيادة الدنيا الى الطريق السوى ، ولكل شهوة اكتفــاء مشروع ، وحق مقرر ، وطريق مرض من رب العالمين ، فلا داعى الى الالتواء ، اللهم الا شذوذ الطباع ، واعوجاج المسالك ، والبعد عن الصواب . أين الكمال فى مجتمع جهلت فيه الانساب ، وضاعت صلاة ذوى القربى ، وعفت فيه آثار التراحم ؟ الجواب لا كمال ولا قرب منه بل انهيار وانحطاط وتلاش وفناء ، ولهذا ينادى الاسلام بحزم واصرار ان كنتم مؤمنين ــ بايعونى على أن لا تزنوا . والحلال بين والحرام بين .

وفى الدنيا المعاصرة مجتمعات تسمى نفسها راقية ، قد سمت الاشياء بغير اسمائها ، فقلبت الحقائق . واصبح الفجور عند أهلها : حرية ، والتلاقى غير المشروع : انسانية ، وتغيير خلق الله : فلسفة ، وبئست تلك الفلسفات الحقيرة الخفيفة فى ميزان العقول العاقلة ، تلك لعمر الله مجتمعات تتنزى سما ، وتقطر قيحا ودما ، ولا بد أن تتهاوى وان طال الزمان ، فقد طلعت الشمس يوما على اقوام ودول قويت شوكتها وتسلطت على المعمورة فى أيامها ، وحين شاء الله لها الزوال ــ استدرج أهلها من حيث لا يعلمون فزين لهم سوء أعمالهم فرأوه حسنا وجعلوا للجمال الهــا عبدوه ، وللحب الجسدى الهــا يصمى بسهمه القلوب المستعدة ، وكانت عاقبتهم أن دمر الله عليهم ، وللسائرين فى دربهم أمثالها ، ويمر الآن أمام ناظرى نفسى (الفلم) بصور ممثليه ومشاهديه كما حدث التاريخ ، وكما قرات ذلك ووعيته منذ زمن طال أمده وهأنذا أراه واقعيا . فالقوم صائرون الى ما صــــار اليه آباؤهم من قبل ، والحمى والوقاية والقوة والايد فى دعوة الاسلام القوية المدوية (لا تزنوا) فهل من مدكر ــ (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) .

٤ ــ ولا تقتلوا أولادكم : وهل يقتل الانسان ولده ؟! انه لأمر عجاب محير للألباب ولكن بعض الوقائع تؤكده والقرآن الكريم يحكيه ، وانا لنرى ونسمع أناسا من الناس قتلوا أولادهم قتلا حقيقيا ، فيه ازهاق للنفس ، ومواراة البدن تحت الصفائح والجنادل وآخرون يقتلون ولكن فى صورة أنكى واشـــد فالقتل عند الوائدين لا يتعدى اثره نفسين أو ثلاثة شخوص ، أب مؤاخذ وأم ثكلى ووليد مهضوم مجار عليه ، وأما القتلى الآخرون ، فلم يموتوا وحدهم ، ولكن يميتون معهم أمما ودولا ، والمتبصر يرى عقولا خربة ، ومسالك معوجة ، سيسوس اصحابها أجيالا قادمة .. واذا كان الغراب دليل قوم .. فالبيعة هذه مستمرة ولم تنته بانتهاء الوأد ، وانما هى دائمة ما دام أولو الامر غافلين عن تربية الاجيال الصاعدة ، وما دام الآباء فى غيبوبة دائمة عن ضلال الابناء .

الاسلام ينادى ــ لا تقتلوا أولادكم ، لا تئدوهم ، ولا تتركوا لهم الحبل على الغارب ، فيشب الولد غير عابىء بواجب الابوة وغير معترف بحق الاسرة عليه ، وغير مكترث بأمته ، ومتى ضاع الجيل الصاعد فقد ضاعت الامة وتلاشت ، ولهذا عنى الاسلام بالناشئة وحث على حسن تربية الابناء ليبنى أمة تقود الامم ، وتكون شهيدة على غيرها ، مؤدية لرسالتها الانسانية الشريفة ، كما أمر بها .

********************** (البقية صفحة ١٩) **********************

حول إعجاز الق

« أم يقولون افتراه »

ثلاث كلمات كريمة أنكر الله بها على مشركى العرب فى الماضى ، ومستشرقى الغرب ومن لف لفهم فى الحاضر ، نسبة القرآن الكريم الى محمد (صلى الله عليه وسلم) افتراء منه على الله فيما زعموا . والفعل المضارع فى العربية يدل على التجدد كما يدل على الحاضر ، والقرآن كتاب الله مخاطب به الناس فى كل عصر حتى تقوم الساعة .

وقد وردت الكلمات الكريمة الثلاث ، بما فيها من انكار وتعجيب ، فى آيات خمس من القرآن الكريم ، آيتان فى سورة هود ، وآية فى سورة يونس ، وآية فى الاحقاف ، وآية فى سورة السجدة .

فأما آيتا سورة هود ، فأولاهما هى ثانية الآيتين الكريمتين : « فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك انما أنت نذير والله على كل شىء وكيل (١٢) . أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (١٣) » وهى آية التحدى المكى بعشر سور مثل القرآن .

وثانية آيتى سورة هود هى قوله تعالى : « أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون (٣٥) » .

وأما آية سورة يونس فهى ثانية الآيتين الكريمتين : « وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٣٧) . أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (٣٨) » . وهى آية التحدى المكى بسورة مثل القرآن .

وأما آية سورة الاحقاف فهى ثانية الآيتين الكريمتين : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين (٧) . أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم (٨) » .

وأما آية السجدة فهى ثانية الآيتين الكريمتين : « تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٢) . أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (٣) » .

ـرآن الكريم

محمد مؤذن

للدكتور محمد أحمد الغمراوى

هذه الآيات الكريمة قد ذكرت حسب ترتيب نزول الوحى بسورها الا فيما يتعلق بآيتى التحدى فى هود ويونس ، فأكثرية المفسرين على أن التحدى بعشر سور ، كما فى آية هود ، قد كان قبل التحدى بسورة ، كما فى آية يونس ، وان كان تاريخ النزول يقول ان سورة يونس نزلت قبل سورة هود عند الاكثرية .

فهناك اذن موقفان متناقضان بالنسبة لآيتى التحدى فى السورتين من حيث ترتيب نزول الوحى بهما : أكثرية من المفسرين تأخذ بالمعقول وتقول انه لا معنى للتحدى بعشر سور بعد التحدى بسورة ، فان الذى يعجز عن سورة هو عن عشر سور أعجز ، واذن فترتيب نزول الوحى بالآيتين غير ترتيب نزوله بالسورتين ، وقلة من المفسرين تأخذ بالمنقول وتجعل ترتيب نزول الوحى بالآيتين هو عين ترتيب نزوله بالسورتين لأنه لم يرد بالعكس نص ، ثم تحاول ايجاد معنى للتحدى بعشر سور بعد التحدى بسورة .

هذا وضع لا يمكن السكوت عليه ، لأن أحد الفريقين لا شك مخطىء . صحيح أن الحجة العقلية هنا غالبة واضحة ، لكن النقل أيضا ينبغى أن يكون له وزنه . والتناقض بين العقل والنقل ممتنع عند صحة الاثنين ، فلنتبين مواطن الضعف فى موقف المحتجين هنا بالنقل ، ومواطن القوة فى موقف المحتجين بالعقل ، حتى اذا تبين أن ليس فى النقل ما يضعف حجة الآخذين بالعقل ، أمكن النظر فى الآيات الكريمة الخمس على ترتيبها عند الكثرة الغالبة من المفسرين من غير أن يكون هناك موضع للتشكيك فيه .

سورة يونس نزلت قبل سورة هود عند الاكثرين . لكن هذا لا يدل على أن آية التحدى فى يونس نزلت قبل آية التحدى فى هود الا اذا تحقق أحد احتمالين : أن كلا من السورتين نزلت جملة ، أو أن سورة يونس تم نزولها قبل أن ينزل شىء من سورة هود . وليس فى النقل ما يؤيد شيئا من هذا . فالسور التى جاء النقل بنزولها جملة قليلة معدودة ، منها سورة المرسلات ، وليس من بينها يونس ولا هود . ولقد أحصوا تلك القلة من السور ، على خلاف فيها ، لأن الاصل فى نزول القرآن أن الله سبحانه قد أنزله نجوما ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يؤمر اذا نزل النجم أن يضعه فى سورة كذا بعد آية كذا أو بين آية كذا وآية كذا ، حتى لقد كان ذلك موضع تعجب واستغراب واعتراض من المشركين ، واهل الكتاب ذكره الله سبحانه وتعالى فى قوله من سورة الفرقان « وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا » . حتى السور القصار التى هى مظنة

ان ينزل الوحى بكل منها جملة لم تنزل كلها كذلك . فسورة العلق وهى أول ما نزل لم تنزل جملة كما هو معروف ، وسورة الضحى لم تنزل جملة كما ذكر السيوطى فى الاتقان . بل من السور القصـــار ما نزل أوله بمكة وباقيه بالمدينة كسورة الماعون فيما حكاه صاحب الاتقان وكما ذكر فى ديباجة السورة فى طبعة المصحف التى اشرفت عليها اللجنة التي رأسها المرحوم الشيخ محمــــد الشهير بخلف الحسينى شيخ المقارىء المصرية فى ذلك العهد . وكذلك الامر فى السور الطوال. كثير من مكيها يحتوى آيات مدنية ، وقليل من مدنيها يحتوى بعض آيات مكية وهو أعجب وأدل على أن أكثر السور القرآنية كان اذا نزل أولها لم تكن تستتم قبل نزول أول غيرها. بل الحكم على السورة أمكية هى أم مدنية كان تابعا لأولها ــ اذا نزل بمكة كانت مكية واذا نزل بالمدينة كانت مدنية فيما نقل صاحب الاتقان عن ابن عباس . قال (١) « كانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما شاء » ولازم هذا أن الامر كان كذلك اذا نزلت فاتحة سورة بالمدينة . واذن فمعنى نزول سورة يونس قبل سورة هود بمكة أن فاتحة يونس نزلت قبل فاتحة هود ، لا أكثر من هذا . أما بقية كل من السورتين فقد نزلت نجوما حسب الاصل فى نزول القرآن نجوما تبعا لحكم الله وحكمته فى الحوادث التى لم يكن يعلم مواقيت وقوعها الا هو سبحانه . بل ان فى نجوم هاتين السورتين ما هو مدنى ذكره صاحب الاتقان (٢) وأشارت اليه لجنة الشيخ خلف الحسينى فى ديباجة كل من السورتين (٣) على اختلاف بينهما فى الآية (٩٦) من سورة يونس . ومن أعجب العجب أن تقع الحادثة بالمدينة ويلحق النجم الذى نزل فيها بسورة مكية ، أو العكس . لكن لله فى ذلك حكمة لا شك ، منها أن يكون فى ذلك دليل على أن القرآن من عند الله لا من عند بشر ، اذ قد نقض تأليفه بهذا عادة البشر فى التأليف مع تمـــام الانسجام فى المعنى والتعبير . وقد أقام المرحوم الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز من سنة الله هذه في القرآن دليلا (١) طريفا قاطعا على أن القرآن لا يمكن أن يكون الا من عند الله .

فمن الواضح أن السورتين الكريمتين لم تستتما كلتاهما الا فى المدينة وان استفتحتا في مكة ، وانه لا يلزم من نزول فاتحة يونس قبل فاتحة هود ــ وهذا هو معنى نزول سورة يونس قبل سورة هود كما هو لازم قول ابن عباس المنقول آنفا ــ ان جميع نجوم يونس قد نزلت قبل جميع نجوم سورة هود حتى يصح لقائل أن يقول ان آية التحدى فى سورة يونس قد نزل بها الوحى قبل نزوله بآية التحدى في هود بالرغم من أن التحدى بسورة لا ينبغى عقلا أن يكون قد وقع قبل التحدى بعشر سور مثل القرآن .

على أن هناك رواية عن ابن عباس ذكرها صاحب الاتقان فى الفصل الذى حرر فيه السور المختلف فيها تقول ان سورة يونس مدنية . صحيح أن هذا لا يعنى ، حسب المنقول عن ابن عباس سابقا ، الا أن أول يونس نزل فى المدينة بدلا من أن يكون نزل بمكة حسب ما اختاره الاكثرون عن ابن عباس أيضا . لكن هذا الاختلاف فى سورة يونس هل هى مكية أو مدنية يذهب بأية بقية يمكن بعد كل الذى قدمناه ، أن تكون قد بقيت من الشبهة النقلية التى تمسك بها القلة من المفسرين فى معارضة الحجة العقلية التى حملت الكثرة على القول بأن التحدى

---

(١) ص ١٠ من الجزء الاول من الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى طبعة مصطفى الحلبى .
(٢) ص ١٥ الجزء الاول .
(٣) المصحف الشريف طبعة المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٥٥ هـ .
(١) كتاب النبأ العظيم ص ١٤١ ــ ١٥٩ من الطبعة الاولى ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة .

بعشر سور قد كان قبل التحدى بسورة مثل القرآن . واذا كان لا بد من تكييف آخر للموقف ، فالحجة العقلية فى وضوحها وقوتها تحسم ذلك الخلاف بين الروايات النقلية ، وتكون هى الدليل على أن الرواية الصحيحة هى التى تتفق مع ما يقتضيه العقل من أن التحدى بسورة لا يمكن أن يكون قد وقع قبل التحدى بعشر .

على انه لا داعى حتى الى مثل هذا التكييف اذا تتبعنا طبيعة ما يترتب على كل من الموقفين . فموقف الكثرة هو الترقى فى التحدى . هو الترقى من التحدى بالقرآن جملة الى التحدى بعشر سور مثله الى التحدى بسورة مثله ، ثم الى التحدى بسورة من مثله مع التنبؤ بأنهم لن يستطيعوا ولن يفعلوا ، ومع عدم تقييدهم فى السورة بطول ، فليختاروها أقصر سورة اذا شاءوا . هذا الترقى فى الالزام وقطع العذر يتمشى مع سنة الله فى الترقى بعبـــاده فى التشريع ، والتدرج بهم فى الفطام عما الفوا الى ما يريد سبحانه أن يستقر عليه الدين ، كما هو ثابت فى تشريع الصلاة وتشريع الصوم وتحريم الخمر وتشريع القتال .

أما موقف القلة فى قولهم بالتحدى بسورة ثم بعشر سور ثم بسورة من مثل النبى فى أميته ، فهو خلط وخبط يخالف تلك السنة الالهية ، ويفتح الباب لملحد أو مستشرق أن يقول : ان المتحدى تراجع فى تحديه ـــ تراجع من سورة الى عشر لـــما أحس أن السورة على اطلاقها هى فى متنـــاول الجميع . ثم تراجع من التحدى بعشر الى التحدى بالقرآن كله فى آية الاسراء لـــما خاف أن تكون السور العشر على اطلاقها فى مقدور الفصحاء من أهل العلم والادب ان لم يكن فى عصر ما ففى ما يستقبل من العصور . ولا ينفع مع الملحد أو المستشرق أن يقال له ان سورة الاسراء نزلت قبل سورة هود لأنه عندئذ ينكر تاريخ النزول ويحتج بموقف تلك القلة من المفسرين التى قالت ان التحدى بعشر سور قد كان بعـــد التحدى بسورة ، لا قبله ، ويساعده فى موقفه المتعنت هـــذا من تاريخ نزول السور أن ترتيب سورتى يونس وهود فى المصحف هو عين ترتيبهما فى تاريخ النزول عند الاكثرين ومنهم تلك القلة ـــ وأن سورة هود فى المصحف تسبق سورة الاسراء . فموقف كموقف تلك القلة ـــ يعين الملحد والمستشرق اليهـــودى أو النصرانى على موقفه الباطل من القرآن ، وعلى القاء الشبه فى طريق الناشىء المسلم ـــ هو لا شك موقف باطل ، لهذا السبب وحده ان لم يكن لكل ما تقدم من الأسباب .

أما وقد انجلى الموقف وتبين أن موقف الـــكثرة من المفسرين هو الحق ، بالحجة بعد الحجة لا لمجرد أنهم الكثرة ، فلنحاول ان نتأمل الآيات الكريمة وموقع الاستفهام الانكارى العجيب (أم يقولون افتراه) منها ومن الآيات التى قرنت بها ، اللهم الا ثانية آيتى سورة هود فانها جاءت أثناء قصص نوح عليه السلام لتؤكد أن ما ورد فيه لا يمكن أن يكون من عند الرسول عليه الصلاة والســـلام كما كان يقول المشركون وأهل الكتاب . ولا يؤبه بقول من قال ان الخطاب فى الآية لنوح وان نسب القول لابن عباس ، فابن كثير الذى يفسر بالمأثور لم يذكر هذه النسبة ، ولو كانت صحيحة لذكرها ، ولـــما قال ان الخطاب هو لمحمـــد صلى الله عليه وسلم اعتراضا فى القصة لتوكيدها ، ولنفى أن تكون مفتراة ممن يعلم أن الافتراء له عقابه عند الله .

ويبقى الآن من الآيات المصدرة بتلك الكلمات الكريمة الثلاث أربع آيات كل مقرونة بسابقتها كما ذكرت قبل . فلننظر ماذا عسى أن يهدينا اليه تأمل هـــذه الثنائيات الكريمة الاربع .

تتميز آية التحدى في هود والآية قبلها من بين الثنائيات الاربع بأن الآية التى قبل آية التحدى مدنية ، فى حين أن بقية الآيات كلها مكية . ومدنية الآية ذكرها السيوطى فى الاتقان واقرتها لجنة الشيخ خلف الحسينى فى ديباجة السورة فهى من ناحية مثل للنجم المدنى فى سورة هود ، وهى من ناحية أخرى مثل للنجم ينزل فيؤمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يضعه فى سورة كذا عقب آية كذا أو بين آية كذا وآية كذا . فهذه آية مدنية بين آيتين مكيتين . واذا قرئت الآيات بدونها — ويمكن القارىء أن يرجع الى مصحفه فى ذلك — كان الكلام مستقيما وان بدت آية التحدى كأنها شبه مستأنفة . لكن الآيات فى تتاليها الذى استقرت عليه ليس فيها من شبه الاستئناف شىء . فالكافرون الذين كذبوا النبى فيما أنبأهم به من أنهم مبعوثون من بعد الموت فى الآية (٧) ، ولم يصدقوا ما اوعدهم الله به من العذاب ان هم استمروا فى عنادهم متسائلين (ما يحبسه ؟) مع أنه اذا نزل بهم فلن يرفع عنهم كما فى الآية (٨) ، الحوا هم وأمثالهم فى المدينة على النبى أن يترك ذكر آلهتهم وآبائهم بسوء ، وأن يأتيهم بآية محسوسة من كنز ينزل عليه أو ملك يأتى معه كما يفهم من الكلمات الاولى فى هذه الآية المدنية التى حذرته صلى الله عليه وسلم أن يخفف عنهم شيئا من ثقل الدعوة ، ورغبته صلوات الله عليه وسلامه ألا يداخله ضيق من طلبهم منه ما لا يملك أن يجيبهم اليه ، فما هو الا نذير عليه أن يؤدى النذارة كاملة وان ثقلت ، ويكل ما وراءها من مصير الدعوة ومصيرهم الى الله الوكيل الرقيب الحسيب على كل شىء ، كما تصرح به باقى كلمات الآية . وهنا تأتى الكلمات الكريمة الثلاث (أم يقولون افتراه) استنكارا لمظهر آخر من عنادهم فى التكذيب بالوحى والقرآن ، وتمهيدا ليس فقط لدحض التهمة ، ولكن للرد على طلبهم نزول الكنز ومجىء الملك آية محسوسة بتنبيههم الى خمس آيات محسوسة بين أيديهم ، الا وهى (١) خمس عشرات من السور الطويلة والقصيرة التى نزلت قبل سورة هود يعجزون هم ومن يستعينون بهم من الجن والانس عن أن يأتوا بمثل عشرة منها يختارونها كيفما شاءوا .

والآن لا بد من وقفة عند كلمتين فى الآية الكريمة ، احداهما فيها حجة أولى تدحض التهمة لم أجد احدا نبه الى حجيتها ، وأخراهما أدت الى اختلاف فى تفسير الآية لم يكن له داع .

أما أولى الكلمتين فهى قوله تعالى (قل !) ان المخاطب بهذا الامر الجليل ذى الحرفين هو نفس الذى اتهموه بافتراء القرآن . فهذا الامر وحده كاف فى التنبيه الى أن ما يقولونه لا يمكن أن يكون الا باطلا . اذ كيف يمكن أن يكون محمد افترى القرآن وهو مخاطب به مأمور فيه . واذا كانت الحجة فى الامر (قل) تحتاج الى شىء من التأمل لتتضح ، فمقول القول فيه حجة أخرى أوضح واقطع : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » . وأمر التعجيز والالزام فى (فأتوا) لم

---

(١) هود هى السورة (٥٢) فى ترتيب النزول . وآية التحدى فى أوائل السورة قبل أن ينزل شىء من قصصها فلا يشملها التحدى على قول من يقول ان العشر المتحدى بها هى سور القصص الطويل وعاشرتها عنده هى سورة هود . ويبقى احدى وخمسون سورة هى التى وقع التحدى بمثل عشر منها . واطلاق حرية اختيار العشر بجعل المعجزات القرآنية المتحدى بها فى الآية أكثر فى الواقع من خمس بكثير .

يأت من محمد صلى الله عليه وسلم ولكن من الله الوكيل على كل شيء الذى وجه الى نبيه الامر (قل) . فالنبى فى هذا مبلغ أمر الله كما هو فى سائر القرآن . وما تعود المفسرون قوله من أن النبى تحدى العرب ، فيه قصور عن الواقع ، واختصار مخل بوجه الحجة . فان الحجة هى فى أنه تحدى بأمر الله ، لا استنتاجا من أنه صلى الله عليه وسلم كان من العقل والحكمة بحيث لا يمكن أن يقدم على ذلك من نفسه ، ولكن نصا صريحا فى الامر الجليل (قل) ، الجارى على نسق فى الآيات الخمس التى صدرت بذلك الاستفهام الانكارى العجيب (أم يقولون افتراه) ، ثم أيضا فى تلك الآية الكريمة التى كانت نزلت في سورة الاسراء تنبىء وتؤكد مرتين أن الجن والانس مجتمعين عاجزون عن الاتيان بمثل القرآن (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) . فكلمة (قل) فى آية الاسراء هـــذه ضرورية لاقامة الحجة بها ، واماطة احتمال المبالغة عنها . فالمخلوق يبالغ — من الانس كان أو من الجن أو من الملائكة — أما الخالق الحق القادر على كل شيء سبحانه فكلامه منزه عن المبالغة . انما هو القول الحق : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » . فاذا أخذت آية الاسراء تلك منقطعة عما قبلها وما بعدها قامت كلمة (قل) فيها تحميها أن يظن بها عاقل أنها من قول محمد . بل قامت تشهد له صلى الله عليه وسلم أولا بالنبوة فيما تنبأت به من عجز الانس والجن عن مثل القرآن ، وثانيا بالرسالة لأنه مأمور بها أن يبلغ الآية الكريمة للناس . أما اذا أخذت متصلة بما قبلها وما بعدها فعندئذ لايكون هناك محل للتساؤل عمن هوالآمر بفعل الامر(قل) ، لأن ضمير المتكلم فى الآيات قبلها والآية بعدها : « ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا » لا يمكن أن ينصرف الا الى الحق سبحانه .

والمفسرون على أن (القرآن) فى آية الاسراء هو القرآن كله ، مع أن سورة الاسراء هى الخمسون فى ترتيب نزول الوحى بالسور (١) . فالصواب اذن يقال ان التحـــدى كان أولا بخمسين ســــورة ثم بعشر ثم بسورة ، وكان الوحى قد نزل بقصار السور المكية الا الانشقاق والانفطار .

أما الكلمة الاخرى التى لا بد من وقفة عندها فهى كلمة (مفتريات) فى قوله تعالى (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) . انها لم ترد فى القرآن الكريم كله الا فى هذه الآية ، أى فى أول آية وردت فيها الكلمات الكريمة الثلاث (أم يقولون افتراه) . وهذا يجعل دلالتها واضحة تماما . فهى دحض للتهمة والزام لأهلها من نفس قولهم (افتراه) . ان كان افتراء القرآن ممكنا لمحمد فى زعمكم فافتراء مثل سور القرآن ينبغى أن يكون أيسر وأمكن لـــكم وأنتم جميع . فافتروا ان استطعتم عشر سور مثل القرآن واستعينوا بكل معين الا الله ، فانه لا يقدر على مثل القرآن الا هو . هذا كله تؤديه كلمة مفتريات في موضعها من الآية بعـــد حكاية قولهم (افتراه) على ذلك الوجه الانكارى العجيب . فهو الزام ودحض للتهمة من أخصر طريق وأوضحه وأوثقه . وهو من أمثـــلة الايجاز المعجز فى القرآن . فالعجب أن يخطىء دلالتها مثل الزمخشرى والفخر الرازى . أمـــا الزمخشرى فقد فهم الحجة ولكنه أفسدها بجواب له على شبهة أوردها . قال : « فان قلت كيف يكون (مثله) وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله فى حسن البيان والنظم وان كان مفترى ! » . هذا مثل فريد للفكرة المتحكمة تنسى صاحبها الحجة التى أبصر من قبل . فلولا أن الزمخشرى كان متسلطا عليه

---

(١) فيما حققته لجنة الشيخ خلف الحسيني وهو يوافق بعض روايات السيوطى فى الاتقان .

فكرة أن اعجاز القرآن اعجاز بيان ونظم من غير نظر الى المعنى ، ما غفل عن قوله الذى كان قاله قبل ايراده تلك الشبهة مما يتفق بالضبط مع الحجة البالغة المنطوية فى الآية والتى ذكرناها قبل . قال :

(« مفتريات » صفة لعشر سور . لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال هبوا انى اختلقته من عند نفسي ولم يوح الى ، وان الامر كما قلتم فأتوا أنتم أيضا بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام) فهذا كلام من أصاب الحجة فى (مفتريات) وان لم ينتبه الى الحجة فى الامر الجليل (قل) . وكان مقتضاه أن يجيب على السؤال الذى أورده أن المثلية مستحيلة ، فالمفترى على الله من الكلام لا يمكن أن يكون مثل غير المفترى لا فى جلال المعنى ولا فى حسن البيان والنظم ، ومن هنا الحجة الملزمة فى (مثله مفتريات) .

اما الفخر الرازى فلم يصب من دلالة (مفتريات) فى الآية الكريمة شيئا ، واستنتج منها ما يناقض ما كان استنتجه من آيتى سورة يونس ، فانكر هنا ما كان أثبته هناك من ان العلوم الكثيرة وما اليها هى من وجوه اعجاز القرآن . وهذا وحده كان من شانه ان ينبه مثله الى انه اخطا مغزى الكلمة ، لأن التناقض مستحيل على القرآن فلا يمكن ان تتناقض آياته فيما ينبغى أن تؤدى اليه ، خصوصا والفخر من المفسرين الذين يقولون بأن آية هود قد نزلت قبل آية يونس. لكنه كالزمخشرى كان تحت سلطان فكرة تصرف تفكيره هى ان اعجاز القرآن راجع لفصاحته بصرف النظر عن المعنى ، فسارع الى استنتاج ذلك من كلمة (مفتريات) فى الآية الكريمة ، وعلل ذلك بقوله (لأن فصاحة الفصيح تظهر بالكلام سواء كان الكلام صدقا أو كذبا) فوقع فى خطا أكبر حتى من ذلك التناقض، اذ يفضى الى انكار اعجاز المعنى فى القرآن . وهذا ما لا يمكن ان يكون مرادا له ، لأنه يقرر اعجاز المعنى فى مواطن كثيرة من تفسيره ان صراحة وان ضمنا ، وينزه القرآن عن الكذب والباطل كله بما نزهه الله . لكنه فيما يبدو كان متاثرا بالعرف الكاذب الذى ساد بالتدريج بعد عصر الخلافة الراشدة من ان العبرة فى الفصاحة هى بالصياغة والتعبير مهما كان المعنى . ولو انتبه وهو بصدد بحث اعجاز القرآن لتساءل كيف يمكن التسوية بين خبرين صادق وكاذب ، او بين حكمين حق وباطل ، بفرض تعادلهما فى الفصاحة من حيث الصيغة والتعبير ؟ أو كيف تمكن المفاضلة بلاغيا بين عبارتين من الاصابة فى الحكم ان لم تتفقا فى المعنى ، أو على الاقل فى الموضوع ؟ ان ذلك العرف الذى لا يزال سائدا ليس هو العرف كما ينبغى أن يكون حسب ما أنزل الله فى القرآن . والقرآن هو الحكم فى كل ما يمكن أن يسترشد به فيه ، حتى فى قضايا الادب ، لا ما يشيع بين الناس . فالمبدأ الذى يهمل المعنى ويجعل الصياغة كل شىء عند تقدير الفصاحة في الموازنة بين كلامين هو مبدأ شيطانى لا قرآنى . ويكفى فى شيطانيته انه استدرج علماء الادب من المسلمين الى استحسان ما جاء به مثل ابى نواس وبشار من شعر فاحش ، لاحسانهما فى التعبير ، ففتح بذلك على المسلمين فى تربية النشء باب فساد كبير . (يتبع)

٥ — (ولا تأتوا ببهتان (١) تفترونه (٢) بين أيديكم وأرجلكم) :

... هذا نهى يقطع دابر الفتنة ، فالمسلم الذى آمن بالله واتبع رسول الله لا يدعى على الناس ما ليس فيهم ، ولا يرميهم بالباطل ، من القول أو العمل ، ولا يزور من عند نفسه ما يبهت غيره ويفضحه ، حتى لا تثار خصومات ، ولا تنشأ عداوات تفسد المجتمع وتهدده بالضياع والانهيار ، والاسلام حريص كل الحرص على المقومات التى تقوى الروابط الانسانية ، وينشأ عنها تعاضد المسلمين وقوة شوكتهم .

وهنا — محك الاخلاق ، والموقف الذى يبدو فيه الجيد من الزائف ويعرف الغث من السمين ، فالمتجنى على الناس ما ليس فيهم ظالم لهم ولنفسه ، لأنه يرمى محصنا بالفجور ، وحين يصف المرء غيره بما ليس فيه ، انما يعيب نفسه ، ويفسد العلائق الطيبة ، وقد عد القرآن الكريم رمى المحصنات بهتانا فقال تعالى فى سورة النور (.. ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) وفى الآية الكريمة الاخرى سماه افكا فقال سبحانه : (لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين) وجعل سبحانه لعنته وغضبه على الذين يرمون أزواجهم بهذا الفعل الشائن القبيح ، وجعل للذى تولى كبر الافك العذاب العظيم (... والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم) ... وكل هذا التشديد للحرص على سلامة المجتمع الاسلامى من الانهيار .

واخيرا : يجمل سيد الخلق ما فصل سابقا فيقول : ولا تعصوا فى معروف ، ثم أعقب كل ما مضى بما يشعر بضعف الانسان وشدة اكرام مولاه له مهما قارف من الذنوب ، فقال — فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا — بمرض أو نازلة ، أو أقيم عليه حد فهو كفارة له ، ولهذا قال الفقهاء ان من أقيم عليه حد كان ذلك كفارة لذنبه ولا يعاقب فى الآخرة ، فالحدود جوابر ، على الرأى الصحيح المعتمد .. وليست زواجر فقط وان قال به آخرون — ولكل مجتهد نصيب — .

ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله — أى لم يعلم بفعله أحد الا الله — فهو الى الله — أى أمره بينه وبين ربه ان شاء عفا عنه وان شاء عاقبه — والاحاديث الصحيحة الاخرى تؤكد أن من ستره الله فى الدنيا فلن يعاقبه فى الآخرة والامل فى رحمة الله كبير ، قال تعالى : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفـــور الرحيم) .

ويقول راوى الحديث الشريف سيدنا عبادة : فبايعناه على ذلك ، ونسأل الله أن يبايع المسلمون المعاصرون رسول الله على ذلك أيضا حتى يلتئم شملهم وتتحد كلمتهم وتقوى مجتمعاتهم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(١) البهتان : هو الكذب الذى يبهت ما معه (أى يدهشه ويوقعه فى الفضيحة) فهو أخص من مطلق الكذب لأن البهتان لا بد أن يكون معه فضيحة ، (وقد مثل له بعض السابقين بقوله : كالرمى بالزنا وقذف المحصنات) . أما الكذب فانه أعم من أن تكون معه فضيحة أو لا تكون .

(٢) الافتراء : الاختلاق : أى لا أصل له فى الواقع . وخص الايدى والارجل لأن معظم الافعال تقع بهما غالبا أو هى كناية ..

لماذا الإسلام ؟

المسيحية وتأليه المسيح ونظرية الفداء والتثليث

للأستاذ : أحمد حسين المحامي

قلنا ان أناجيل متى ومرقص ولوقا، لا تحوى أية اشارة عن التثليث ، ولا عن عقيدة الفداء وألوهية المسيح ، وتساءلنا فمن أين جاءت — اذن — هذه الأفكار التي لم ترد في الأناجيل ؟ واليوم نرد على هذا السؤال .

انجيل يوحنا :

ذكرنا أن الأناجيل التي يعتمدها المسيحيون أربعة ، وقد أفردنا الاناجيل الثلاثة متى ومرقص ولوقا بالحديث حتى الآن ،و قد حان الوقت لنتحدث عن الانجيل الرابع ، انجيل يوحنا .

يقول ول دورانت عن هذا الانجيل:

« ولا يدعى الانجيل الرابع أنه ترجمه ليسوع ، بل هو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية ، بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية ، **وهو يناقض الأناجيل** الأخرى في كثير من التفاصيل وفي الصورة العامة التي يرسمها للمسيح » .

(قيصر والمسيح — ص ٢٠٩)

وغير دورانت من كبار المفكرين يشكون في نسبة هذا الانجيل الى يوحنا حوارى المسيح .

والاجماع يكاد ينعقد بين المفكرين على أنه آخر الأناجيل ، ويحددون لوضعه أواخر القرن الاول المسيحي، ويرون فيه انعكاس الآراء الفلسفية التي كانت سائدة في العالم الهلينستى في هذه الفترة ، كما يعبر عنها الفيلسوف اليهودي فيلو ، والذي كان يقول : ان الكائنات خارج الله قبل أن توجد كانت أفكارا في العقل الالهي ثم تطورت هذه الافكار الى كلمة (Logos) وكان فيلو يقول عن العقل الالهي أنه **أول ما ولد الله وهو ابن الله من الحكمة العذراء** — كما كان يقول انه عن طريق الكلمة كشف الله عن نفسه للانسان .

هذه الآراء التي قال بها الفيلسوف اليهودي فيلو محاولا فيها التوفيق بين الفلسفة الافلاطونية ، والعقيدة اليهودية . . هي التي ألفت الاصحاح

الاول من انجيل يوحنا على ما يقول ول دورانت ، حيث تجرى عبارات هذا الاصحاح على الوجه التالي :

« في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله » . الى أن يقول :

والكلمة صار جسدا وحل فينا وقد ابصرنا مجده مجد وحيد من الآب مملوءا نعمة وحقا (١) .

وهكذا جاء انجيل يوحنا بهذه الملامح الجديدة للمسيحية ، ولم يكن انجيل يوحنا في هذا منشئا ، بل كان يعكس التطور الجديد الذي طرأ على المسيحية على يد بولس الرسول ، الذي كان بحق صاحب الفضل في تحويل المسيحية من دين خاص ببني اسرائيل الى دين عالمي ، ولكنه وهو يفعل ذلك انتقل بالمسيحية من بساطتها الاولى ونصاعة تعاليمها ، الى هذه الافكار المعقدة التي صارت اليها في ظل الكنيسة ، والتي يعتبر بولس بحق منشئها وبانيها ، وواضع أساس سلطانها الذي لم يسبق له مثيل .

ولم يكن بولس هذا الذي أحدث في المسيحية كل هذا الاثر والتطور من تلامذة المسيح ، بل لم يكن ممن رأوا المسيح في حياته ، وكان أشد الناس اضطهاداً للمسيحيين ، وكان يسمى « شاول » ولندعه الآن يقدم لنا نفسه وكيفية ايمانه بالمسيح ، كما روى عنه في سفر أعمال الرسل .

بولس الرسول :

« اني رجل يهودي ولدت في طرسوس كليكلية ، لكنى ربيت في هذه المدينة (أورشليم) وتأدبت لدى (كاهنها) على حقيقة الناموس الابوى ، وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم ، وقد اضطهدت هذه الطريقة (المسيحية) حتى بالموت مقيدا ومسلما الى السجون رجالا ونساء ، كما يشهد لي رئيس الكهنة وجميع الشيوخ الذين أخذت منهم رسائل الى الاخوة وانطلقت الى دمشق لآتي بمن هناك الى أورشليم موثقين ليعاقبوا ، فاتفق وأنا سائر وقد دنوت من دمشق عند الظهر أن أبرق حولي من السماء بغتة نور عظيم ، فسقطت على الأرض ، وسمعت صوتا يقول لي : شاول شاول لماذا تضطهدني فأجبت من أنت يا رب فقال لي أنا يسوع الناصري (٢) الذي أنت تضطهده ، والذين كانوا معي رأوا النور ولكن لم يسمعوا الصوت الذي كلمني (٣) . فقلت ماذا أصنع يا رب فقال لي الرب قم وامض الى دمشق وهناك تخبر بجميع ما رسم عليك أن تفعله » .

ويمضى بولس في قصته ، وكيف أنه أصبح لا يرى ، ثم ارتد مبصرا وكيف حصل له على حد تعبيره (انجذاب) وأخذ على عاتقه أن يبشر بيسوع المسيح ابن الله الحي الذي بعثه الله ليكون فداء للبشر وكفارة عن ذنوبهم وخطاياهم منذ زلة آدم .

ولما كانت هذه التعاليم لم يقل بها المسيح ولا واحد من أصحابه المقربين فقد كان طبيعيا ألا تلقى رواجا بين اليهود ، الذين رفضت أكثريتهم الساحقة الاعتراف بأن يسوع هو مسيحهم المنتظر ، والذي تحدثنا عنه ونحن نستعرض الديانة اليهودية ، فالمسيح في عقيدتهم سيكون ملكا يعيد

---

(١) ول دورانت ص ١٠٥ .

(٢) انظر الى الاجابة وصراحتها من أنه عيسى المولود فى الناصرة .

(٣) ذكرت هذه الواقعة عكس ذلك فى نفس هذا السفر حيث جاء فى الاصحاح التاسع : أما المسافرون معه فوقفوا مبهوتين يسمعون الصوت ولا يرون أحدا .

سلطانهم على الارض ، وليس انسانا عاديا يرفع على الصليب وهم الذين يلعنون من يرفع على الصليب .

ومن هنا فقد اتجه بولس بدعوته الى شعوب الامبراطورية الرومانية ولما كانت الكثرة الغالبة من سكان هذه الامبراطورية ، عبيدا أرقاء يعيشون في الألم والعذاب ، فقد وجدوا في القصة التي حدثهم عنها بولس من أن الله أرسل ابنه الحبيب ليتألم ويتعذب على الأرض كفارة عن ذنوب الخاطئين ، وجدوا في هذه الفكرة عزاء لآلامهم واحزانهم ، كما وجدوا في تبشير بولس باقتراب ملكوت السماء ، وقرب قدوم المسيح لانقاذهم ، أملا في التحرر من ربقة الاستعباد ، ونيل الحظوة في السماء .

ولكي يضمن بولس عدم اعتراض السلطات الرومانية على دعوته ، لم يفتأ يوصي العبيد بأن يخدموا أسيادهم في أمانة واخلاص مهما قسوا عليهم وعذبوهم وأعنتوهم . بل وأن يخضع الكل للسلاطين والحكام في غير تذمر أو احتجاج .

« لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانه لا سلطان الا من الله والسلاطين الكائنة انما رتبها الله ، فمن يقاوم السلطان فانما يعاند ترتيب الله والمعاندون يجلبون دينونة على أنفسهم » .

« أيها العبيد أطيعوا سادتكم الجسديين بخوف ورعدة بسلامة قلوبكم كطاعتكم للمسيح ، لا بخدمة العين كمن يرضي الناس ، بل كعبيد المسيح عاملين بمشيئة الله من قلوبكم » (بولس الى افس — الاصحاح السادس) .

أما وقد جعل بولس سبيل دعوته ضرورة خضوع الناس جميعا للسلاطين باعتبارهم يمثلون مشيئة الله ، وخضوع العبيد والأرقاء لأسيادهم كما يخضعون لله ، فقد تركته السلطات يبشر بدعوته التي لا حرج فيها ولا خطر ، ما دامت تنتهي الى مضاعفة العبيد لجهدهم في خدمة أسيادهم ، وخضوع الرعايا لحكامهم .

وزاد بولس على ذلك كله أن اعفى المسيحيين الجدد من فريضة الختان التي كان اليهود يفرضونها على انفسهم بل واعفاهم من كل الطقوس والعبادات التي يأخذ بها اليهود مما يطلق عليه اسم الناموس او الشريعة .

ويصل في ذلك الى حد الاختلاف مع تلامذة المسيح وحوارييه وعلى راسهم بطرس نفسه ، (فالبر اصبح بالايمان وليس بالناموس) .

بولس وألوهية المسيح

ولخص بولس المسيحية في الاعتقاد بألوهية المسيح وأنه ابن الله الحبيب ، وقد أنزله الله على الارض ليتعذب ويموت على الصليب ، فيكون في موته كفارة عن خطايا البشر التي وقعوا فيها نتيجة خطيئة آدم الأولى ، وليرفع عن البشر لعنة الموت الذي كتب عليهم بعد غضب الله على آدم ، وحسب الانسان أن يؤمن بالمسيح ابن الله لكي يتبرأ من الخطيئة بدون أي عمل آخر ولكي يسلم من الموت .

صلته بديانة الرومان

ولم تكن هذه الأفكار التي قال بها بولس غريبة عن دنيا الرومان في

ذلك الوقت ، فقد كانت عبادة الآله « مترا » من الديانات المنتشـرة ، والمسيح الإله هو صورة طبق الأصل من خصائص الاله « مترا » فكلاهما كان وسيطا بين اللـه والبشـر ، وكلاهما مات ليخلص البشر من خطاياهم ، وكلاهما دفن ولكنه عاد للحياة وقام من قبره ، وكلاهما كان يدعى مخلصا ومنقذا ، وكلاهما يعمد أتباعهما باسمهما ، وكلاهما يقام في ذكراهما كل عام عشاء مقدس .

وديانة قدماء المصريين

أما نظرية ابن الله الاله فقد كانت تسـود العالـم المصرى القديم (اوزوريس وايزيس وحوريس) ، ومن مصر غمرت حوض البحر الأبيض المتوسط ، وكانت صورة ايزيس الأم وهي تحمل الاله الابن هي الصـورة السائدة في أنحاء العالم الروماني .

ولن يجد الانسان كبير صعوبـة وهو يطالع سفر أعمال الرسـل في اكتشاف كيف استغل بولس الافكار السائدة للتبشير بفكرته عن المسيح المخلص .

فتراه يخطب أهل أثينا في الاصحاح الثامن والعشرين من أعمال الرسل بقوله :

« يا رجال أثينا اني أرى أنكم في كل شيء تغلون في العبادة ، لأني في مرورى ومعاينتى لمناسككم صادفت مذبحا مكتوبا عليه « للاله المجهول » فهذا الذي تعبدونه وانتم تجهلونه أنا أبشركم به » .

ثم يروح بولس يحدثهم عـن المسيـح باعتبـاره الفادي للبشـر والمخلص وابن الله ، مستندا في ذلك الى ما يقولونه في أشعارهـم مـن أنهم ذرية الله .

ولما كانت آراء بولس قد سادت العالم المسيحي في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي ، فقـد عكس أنجيل يوحنا هذه التعاليم بعـد ان مزجها بالفلسفة اليونانية .

المجامع المسيحية :

على أنه لا المسيح ، ولا تلامذته ، ولا الأناجيل ، ولا بولس نفسه ، قد صاغ العقيدة المسيحية بصورتها التي تمارس بها الآن ، وانما كانت هـذه العقيدة وتعاليم المسيحية كما تطبقها الكنيسة هـي من وضـع المجامـع المسيحية التي بدأت تنعقد ابتداء من القرن الرابع الميـلادى ، بعـد أن أصبحت المسيحية هي الدين الرسمى للامبراطورية الرومانيـة ، وذلـك لتحدد عناصر العقيـدة ، وتصـدر القرارات ضد مخالفيها .

وقد عقد تلامذة المسيح اول مجمع لهم في أورشليم سنة ٥١ ميلاديـة برئاسة الأسقف يعقوب الرسـول للنظر في موضوع ختان الأمم ، فقد كان بعض تلامذة المسيح من اليهود يرون وجوب الختان على الأمم من غير اليهود ، بينما كان بولس يبشـر بخلاف ذلك كما رأينا ، حيث كانـت نظريته أنه بعد نزول المخلص فقـد أصبح الختان بالقلـب (وليس فـى التلفة) . واستقر رأى الرسل على اعفاء الشعوب غير اليهودية من سنة الختان ، وبعثـوا الـى الشعـوب برسائل قالوا فيها : قـد رأى روح القدس ونحن ، ألا نضع عليكم ثقلا فوق هذه الاشياء التي لا بد منها ، وهي أن تمتنعوا عما ذبح للأصنـام وعن الدم والمخنـوق والزنى فـاذا صنتم أنفسكم من هذا أحسنتم فيمـا فعلتم » (أعمال الرسل الأصحـاح الخامس عشر) .

مجمع نيقية :

يعتبر هذا المجمع هو المسئول الأول عن تأليه المسيح بصفة نهائية ، فقد كانت هذه القضية مسار خلاف بين رجال الدين المسيحي ، وقد تزعم الأسقف أريوس القول بوحدانية الله ، وأن المسيح لا يمكن أن يكون من جوهر الأب وبالتالي لا يمكن ان يكون مساويا له ، وقد دعى المؤتمر للانعقاد بناء على طلب الامبراطور قسطنطين لحسم الخلافات بين طوائف المسيحيين فانعقد المجمع الذي كان مؤلفا من (٣١٨) أسقفا وذلك عام ٣٢٥ م ودار البحث حول ما أسموه « بدعة اريوس » أو هرطقة أريوس وكفره والحاده (١) .

وتم وضع الشق الأول من العقيدة المسيحية في هذا المجمع أو ما يطلق عليه دستور الايمان الذي يجب أن يحفظه كل مسيحي عن ظهر قلب وهو :

« بالحقيقة نؤمن باله واحد الله الأب ضابط الكل خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى » .

« نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور ، نور من نور ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للأب فى الجوهر ، الذي به كان كل شيء ، هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، تأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى ، تألم وقبر وقام من الأموات ، وفي اليوم الثالث كما في الكتب ، وصعد الى السماوات وجلس عن يمين أبيه وسيأتي أيضا في مجده ليدين الاحياء والموتى ، وليس لملكه انقضاء . نعم نؤمن بروح القدس » .

وقد ذيل هذا الدستور بالحرم الآتي نصه : ان جميع الذين يقولون عن الابن انه جاء عليه حين من الدهر لم يكن فيه موجودا ، أو انه لم يكن له أثر في الوجود قبل أن يولد ، أو انه ولد من العدم ، أو انه من غير جوهر الأب ، أو انه مخلوق ومعرض للتحول والتبدل فالكنيسة الجامعة الرسولية المقدسة تعلن وقوعه تحت طائلة الحرم (٢) .

مجمع القسطنطينية :

وكما انعقد مؤتمر نيقية ليقرر الوهية المسيح ومساواته للأب معارضا بذلك تعاليم اريوس التى كانت قد انتشرت واستفحلت . فقد اجتمع مؤتمر آخر في القسطنطينية عام ٣٨١م بدعوة من الامبراطور تيودوسوس ، لتقرير الوهية روح القدس أسوة بألوهية المسيح . وكان أسقف القسطنطينية المسمى مقدونيوس لا يعترف بألوهية روح القدس (٣) .

وقد أضاف المجمع الجديد على دستور الايمان الذي تقرر في نيقية القرار التالي :

نؤمن بروح القدس ، الرب المحيى المنبثق من الأب المسجود له والممجد مع الأب والابن الناطق في الانبياء .

ثم أضافوا كذلك :

ونؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية . ونعترف بمعمودية

---

(١) ان من يطالع أقوال اريوس ومبادئه كما أثبتها الاستاذ الكبير زكى شنوده فى كتابه « تاريخ الاقباط » يراها مصدقة كل التصديق لقول القرآن الكريم في شخصية المسيح .

(٢) الحرم أى الحرمان بمعنى الطرد من الكنيسة .

(٣) روح القدس في الاسلام هو جبريل عليك السلام .

واحدة لمغفرة الخطايا وننظر قيامة الموتى وحياة الدهر الآتي .

وتعددت المجامع بعد ذلك ، ولكن الكنيسة لم تلبث أن انقسمت الى شرقية وغربية ، لا يعترف كل منهما بما يقرره الآخر ، حيث دار الخلاف حول الاله روح القدس وهل انبثق من الآب وحده كما جاء فى دستور الايمان السابق ، أم من الاب والابن معا . وهل للمسيح طبيعة واحدة الهية بحتة ، أم له طبيعتان الهية وناسوتية وهل له مشيئة واحدة أو مشيئتان .. الخ .

وكان من آخر المجامع ما عقد فى روما عام ١٨٦٩ حيث تقرر فيه أن البابا معصوم ولا يمكن أن يخطىء أبدا .

وآخر مجمع من هذا القبيل هو الذي دعا اليه بابا روما منذ عامين واجتمع بالفعل في روما ، وذلك للنظر في تبرئة اليهود من دم المسيح .

وليس يعنينا من هذا العرض ، الا أن نظهر كيف أن هذه المجامع الكنسية — وليس السيد المسيح أو تلامذته — هى التى صاغت دستور الايمان المسيحي ، وهي التي قالت بالتثليث والفداء وسلطة الكنيسة ، وهي العناصر الثلاثة التى تقوم عليها الديانة المسيحية فى العصر الحديث ونرى أن نعرضها بايجاز .

التثليث :

لا أثر لفكرة التثليث في الأناجيل أو أعمال الرسل ، أو رسائل الرسل المنبثة في العهد الجديد ، واذا كنا نجد فيها اشارات لالوهية المسيح أو ربوبيته كما يقولون فلن نجد فيها أي اشارة عن قرب أو بعد لتأليه روح القدس ، بل ان انجيل لوقا أفصح عن أن روح القدس هو جبريل عليه السلام كما يقول القرآن الكريم :

« وفى الشهر السادس من الحمل بيوحنا — أرسل جبريل الملاك من الله الى مدينة الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود ، اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ، فقال لها لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية » (لوقا — الاصحاح الأول) .

وليس يعنينا الآن من هذه الرواية الا أن روح القدس الذي خاطب مريم وبشرها بيسوع هو الملاك جبريل .

فألوهية روح القدس اذن شيء غير وارد في الانجيل ، ولذلك وجد من كبار المسيحيين في القرون الأولى من قرر أن روح القدس مخلوق . وبولس الرسول الذي له أربع عشرة رسالة في العهد الجديد مقدسة كلها . لا يذكر النعمة الا مقترنة بالاب والابن فقط « النعمة لكم والسلام من الله أبينا ومن الرب يسوع المسيح » (كورنتس الثانية — الاصحاح الاول) .

ولسنا نريد أن نمضي طويلا في هذه المناقشة التي استوفاها أعظم استيفاء أخونا العلامة الاستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه « المسيح في القرآن » .

وحسبنا أن نستعرض التثليث كما تقول به المسيحية المقررة .

تقوم عقيدة التثليث على الايمان باله واحد مؤلف من ثلاث اقانيم أو ثلاثة شخوص (١) « الآب والابن وروح

(١) يستعمل اللاتين كلمة شخص بينما يستعمل اليونانيون كلمة اقنوم للتعبير عن الحقيقة الواحدة وقد آثر اثناسيوس استعمال كلتا الكلمتين . (قصة الكنيسة القبطية — ص ٢٣٧) .

القدس » وهذه الثلاث أقانيم ظواهر لحقيقة واحدة . واحد في ثلاثة ، وثلاثة في واحد ، ويشبهون هذه الظاهرة بقرص الشمس ونورها وحرارتها ، ولكن ذلك لا يقال الا على سبيل التبسيط والا فعقيدة الثالوث شيء معقد يسلم المسيحيون جميعا انه فوق العقل والادراك ، ذلك أن كل اقنوم من الأقانيم الثلاثة له خصائصه وذاتيته التي لا تختلط بالذاتين الأخريين .

« فالأب لا هوت بحت وهو الخالق . والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو الفادى ، والروح القدس لاهوت محض وهو المطهر المنبثق من الأب » . *

فنحن كما ترى ازاء ثلاثة شخوص أو اقانيم ، سمها كما شئت لكل منها خصيصة ، وتوجد منفصلة بعضها عن بعض فالابن مولود من الاب ، والابن يجلس الى يمين الآب . وهكذا يجد الانسان نفسه أمام ما يشبه أن يكون ثلاثة آلهة ، ولكنها في الحقيقة اله واحد ، انهم ثلاثة فى واحد وواحد في ثلاثة ، وهكذا دواليك (١) .

عقيدة الخطيئة والفداء :

ننتقل الآن الى العنصر الرئيسي الثاني من عناصر المسيحية وهو فكرة الخطيئة والفداء ، والتي كان بولس الرسول هو القائل بها ولم تلبث المجامع المسيحية أن اعتبرتها جوهر الايمان المسيحي .

تقوم فكرة الخطيئة والفداء ، على ما جاء في التوراة والقرآن ، من ان آدم أبا البشر أخطأ وعصا الله عندما أكل من الشجرة ، وغنى عن البيان أن ذلك قد حدث ليتحقق سابق علم الله من خلق البشر وتكاثرهم وتعميرهم لهذا الكون . ولذلك فان القرآن الكريم يقول لنا في بساطة المنطق الالهى ووضوحه ، ان الله عفا عنه : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » .

اما العقيدة المسيحية فتقول لنا ان الله لم يغفر لآدم خطيئته ، بل ان غضبه لم يقف عند حد آدم ، بل تناول كل ذريته من بعده ، فقضى عليهم أن يعيشوا في الخطيئة أبدا ، وأن يلاحقهم الموت بالتالي . ولا نتساءل الآن ما ذنب ذرية آدم وهم لم يخطئوا (٢) ، وكيف يتفق هذا الغضب مع وصف المسيح له بأنه محبة ورحمة كله ؟

لا مخل لتوجيه هذه الاسئلة فردهم عليها دائما حاضر ، وهو أن الله لا يسأل عما يفعل ، وعلى كل حال فان مجيء المسيح هو آية عفو الله عن البشر وتداركهم برحمته . فقد رأى الله أن يتصالح مع البشر . فأرسل ابنه الحبيب ليتجسد على الارض بشرا سويا ، ليعيش ويتعذب ويتألم ويرفع على الصليب ويموت فيكون في موته كفارة عن خطيئة آدم وذريته . ومن هنا يطلق على المسيح اسم الفادى والمخلص .

ولا نريد ان نتساءل ألم تكن هناك وسيلة ليظهر الله بها عفوه عن بنى آدم الا هذا الاسلوب ، فنحن ممن يسلمون ان الدين أي دين لا يمكن ألا

---

(١) قارن هذا بنصاعة التوحيد الاسلامى وبساطته وقوته وهو ما يعترف به مفكرو المسيحيين أنفسهم وقادة الرأى فيهم حيث يقول القرآن الكريم : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » .

(٢) « ولا تزر وازرة وزر أخرى » صدق الله العظيم .

ان ينطوي على أمور يجب تقبلها كما هي ، ولكن السؤال الذي لا يستطيع اي انسان له عقل ان يرد نفسه عن توجيهه مهما غرق في بحار التصديق والاعتقاد ، هو السؤال التالي :

اذا كان لحادث الفداء بهذه الصورة كل هذا الخطر في حياة البشر ، واذا كان المسيح ابن الله قد نزل على الارض خصيصا ليقوم بهذا الدور ، فكيف لم يشر اليه عن قرب أو بعد ، بل كيف لم يلفت النظر اليه في وضوح وصراحة ، وهو محور العقيدة ولبها ، والمطالع للاناجيل لا يرى في المسيح وأقواله وتصرفاته الا كما يرى في تصرفات أي نبي أو رسول ، حيث يعظ ويهدي الى الطريق المستقيم ، ويقول لمن يساله عن الطريق للوصول الى ملكوت السماء ، أن ينفذ الوصايا العشر .

أما السؤال الثاني الذي يفرض نفسه كذلك تأسيسا على الاعتقاد بنظرية الفداء : هل معنى تكفير المسيح عن أخطاء البشر ان لم يعد ثمة لوم أو تثريب عليهم ، اذا هم عصوا أو أخطأوا فقد تمت المصالحة بينهم وبين الله ، وكفر المسيح عنهم بدمه ؟!

هنا وتتولى الكنيسة الرد على هذا التساؤل بهذا القول الذي يفسر لنا سر خضوع مئات الملايين من البشر للكنيسة الغربية ولبابا روما بصفة خاصة هذا الخضوع العجيب خلال عدة قرون .

تقول الكنيسة :

ان المصالحة التى تمت بين الله وبين البشر ، قد تمت لحساب الكنيسة ، فجسد المسيح ودمه الذي يكفر عن الذنوب والخطايا ، محفوظ عند الكنيسة ، وهي وحدها التي توزعه على من يعطيها ، فيصبح من الناجين ، أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطه جسد المسيح أو دمه ، فانه يصبح من الهالكين ، لا في الآخرة ، وانما في هذه الدنيا ، حيث كان يحرق بالنار كل من تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان .

ولن يستطيع أي مسلم وربما أي مسيحي شرقى أن يتصور ما الذى تعنيه كلمة الكنيسة وسلطان قساوسة الكنيسة في أوربا القديمة ، فالاسلام لم يعرف الكنيسة ولا الكهنوت، وهو مايجعل مفكري الغرب يشيدون بعظمة الاسلام . والكنيسة الشرقية لم تمارس في كل تاريخها السلطة الزمنية . ولن تكمل دراسة للمسيحية الا اذا فصلنا تلك الأمر عن الكنيسة وأسرارها التى تحتفظ بها لنفسها ، والتى ان عرفتها الكنيسة الشرقية عبادات روحية ، فقد طبقتها الكنيسة الغربية سلطة زمنية على ملايين البشر نفوذا وأحكاما وقصاصا وحرمانا وضرائب مالية جعلت البابا حينا من الزمان يتربع على عرش أباطرة الرومان ، ويمارس من السلطة والنفوذ ، ما لم تحلم به القياصرة في جبروتها .

فالى المقال التالي ان شاء الله

- ما فائدة التاريخ وأقوال الحكماء وتجارب السلف اذا لم تكن دليلا هاديا للخلف ؟
- لقد تعلمت من الحديث مع الناس أكثر مما تعلمت من كل ما قرأت .
- الكتب أجمل اثاث ولو لم تفتحها أو تقرأ منها كلمة .

أشرف وظائف المرأة

للشيخ محمد الغزالى
مراقب الدعوة بوزارة الاوقاف ـ القاهرة

التلطف مع الاناث ، والرفق بهن ، آية اكتمال الرجولة ونماء فضائلها . وهو ادب يبذل للنساء عامة سواء كن قريبات أم غريبات ، كبيرات أم صغيرات . ومع استقامة الفطرة الانسانية قلما يتخلف هذا المسلك العالى .

وليس مرده ـ فيما نرى ـ الرقة لضعف المرأة واسداء الجميل لها . بل مرده احساس الرجال بأنهم اهل الثقة وموضع الفضل ، وأنهم عند حسن الظن اذا طلب الضعيف الحمى أو طلب القلق الامان . . !!

والغربيون يترجمون هذا الاحساس بتقديم المرأة على الرجل فى الخطاب ، وتقديمها عليه فى الدخول والخروج والجلوس وغير ذلك . وهو ضرب من المعاملة ظاهره الايثار ، وان كان باطنه مثقلا بالاوزار . .

ونريد أن نتأمل فى أساليبنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ مع المرأة ، وأن نقابل بين ما انتهى اليه الاسلام فى هذا الشأن وبين ما وصل اليه مفكرو الغرب ، ونقدة الحضارة الحديثة . ومن الخير أن ننفى أولا زعما شاع بين الناس أن العرب فى جاهليتهم كانوا يهينون الانثى ، ويغضون من مكانتها ، نعم هناك سفهاء صنعوا ذلك وعرفوا به ، بيد أن الامم لا تؤاخذ جملة بما يقترفه رعاعها . كيف والشعراء العرب ما كانوا يفتتحون قصيدهم الا بالغزل ؟ مستعرضين شمائلهم أمام من أحببن ، أو متغنين بمآثر نسائهم خلقا وخلقا . واسمع لعمرو بن معدى كرب يقول :

لما رأيت نساءنا ... يفحصن بالمعزاء شدا
وبدت لميس كأنها ... بدر السماء اذا تبدى
وبدت محاسنها التى ... تخفى وكان الامر جدا
نازلت كبشهم ولم ... أر من نزال الكبش بدا

وعمرو الذى يرغب أن يبدو فى أشرف أحواله أمام حبيبته بدأ قصيدته تلك بقوله :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وان رديت بردا

ان الجمال معادن ومناقب أورثن مجدا

ويقول عمرو بن كلثوم ، يصف نساء قومه وموقفهن عند احتدام المعارك :

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا

ظعائن من بنى جشم بن بكر خلطن بميسم حسبا ودينا

يقتن جيادنا ويقلن : لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا

وليس يزرى الامة العربية ان كان بها من وأد البنات ففى عصرنا هذا ، وفى أزهى عواصم الغرب ، يظهر بين الحين والحين سفاحون مولعون بقتل النساء خاصة ، بعد ختلهن بالالفاظ المعسولة ، وبعد قضاء ما يبغونه من وطر . وهذه المآسى الفردية لا تتحمل سعة الدلالة ، ولا يعدو عارها مرتكبيها .. واحترام العرب لنسائهم جاء ثمرة نضج الذكورة ، وعرفان الانثى لوظيفتها الصحيحة ، فالمرأة اما زوج حانية او أم مربية ، أو فى طريقها الى هذا المصير النبيل .

ووظيفة (ربة البيت) من أشرف الوظائف فى الوجود ، وما يحسنها الا من استكمل لها أزكى الاخلاق وانقى الافكار . اليست هى حضانة الاجيال الجديدة وشق الطريق أمامها حتى تنبت نباتا حسنا ؟؟ ان تصور المراة فى البيت انسانا قاعدا لا شغل له جهل شنيع بمعنى الاسرة وتصور ربة البيت انسانا يجيد الطهى والخدمة فقط ضرب من السلوك الحيوانى عرفته الأمم ابان انهيار حضارتها وسقوط مستواها العام ..

ولقد كانت المرأة فى صدر الاسلام — كما سنرى — ربة بيت من طراز رفيع ، وما منعها ذلك من أن تكون فى قمة الثقافة والاستقامة الاجتماعية ، والنهوض بأمتها والانتصار لدينها ..

جاء الاسلام العظيم ، ومست رحمته حياة المرأة ، فرد عنها طغيان القساة من الرجال وحرر انسانيتها روحا وجسدا حين أتاح لها أن تتزود من العلم ما تشاء . وحصن حقوقها المالية حتى لا تذهب بها أثرة الاقرباء أو الغرباء . وربطها برسالة الامة الكبيرة ودعوتها العامة فهى فى السلم أو الحرب عنصر فعال ، وظهير قوى . وفى نطاق تعاليم الاسلام لا يقل وعى المرأة عن الرجل بقضايا الدين والدنيا . وما كان نساء الصحابة والتابعين جاهلات بكفاح الاسلام فى أرجاء الجزيرة ضد الوثنية ، أو جاهلات بكفاحه بعد ضد الفرس والروم ..

ولكن توزيع الاعباء أعطى كلا الجنسين نصيبه من العناء دون تعسف . والاسلام يعرف المرأة قبل كل شىء ربة بيت وزوجة بطل وأم شهيد .. ويرفض تجنيد النساء للترفيه كما فعلت أوربا فى حربها الاخيرة ، وكما تفعل فى سلمها ..

والملامح النبيلة للمرأة المسلمة تراها فى الخنساء ، التى جاهدت فى حرب فارس ، وحضرت موقعة القادسية الهائلة . اشتركت بأبنائها الاربعة ، وقبل أن ينزلوا ساحة الوغى ، جمعتهم وزودتهم بنار من الايمان ، ونور من اليقين فى كلماتها الخالدة المأثورة .

ان رائدات النهضة النسائية فى بلادنا أقصر باعا وانزل رتبة من أن يفقهن هذا المثل .

فاحداهن تكره ان تكون أما لاربعة ولو فرضت عليها الاقدار أمومة اربعة ما احسنت حضانتهم وتربيتهم وتوصيتهم حتى يبلغوا هذه الذروة .

انها تريد أن تكون (رجلة) تتولى عملا فى المجتمع من هذه الاعمال التى تليق بالجنس الخشن ، ولو أدركت ما ترجو ما نفعت نفسها ولا أمتها بشيء طائل .

وعندما يقال لها : تستطيعين صناعة المستقبل كما تبغين عندما تحسنين تبعل الرجل ، وتنشئة الذرية الوافدة ، يتورم أنفها ضيقا وغيظا . وربما قال قائل : هى فى ذلك على حق ، ويجب تذويب الفوارق المفتعلة بين الذكورة والانوثة ، وترك المراة تلج كل ميدان وتلى كل عمل ويجب التغاضى عن ضعفها الموقوت لأنه أثر القيود التى شلت حيويتها من قديم وعندما تستوى مع الرجل على الركب وتتكافأ أمامها الفرص ، فلن تكون الانوثة عائقا عن منصب ما .

ونحن لن نرجع الى الفقهاء الاقدمين نستلهمهم الاجابة على هذه الشبهة ، وانما نقتطف نبذا من كلام العالم الفيلسوف (الكسيس كاريل) ، فيها من الحقائق المقررة ما يدحض هذه الاوهام قال : « للغدد الجنسية وظائف أخرى غير الدفع لاتيان عمل من شأنه حفظ الجنس فهى تزيد ايضا من قوة النشاط الفسيولوجى والعقلى والروحى .. فليس هناك خصى أصبح فيلسوفا عظيما . أو عالما خطير الشأن او حتى مجرما عاتيا ، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الاهمية .. انها تولد الخلايا الذكرية والانوثية وهى ، فى الوقت نفسه ، تفرز فى الدم مواد معينة تطبع الخصائص الذكرية أو الانثوية المميزة على أنسجتنا واخلاطنا وشعورنا . وتعطى جميع وظائفنا صفاتها من الشدة . فالخصية تولد الجراة والقوة والوحشية وهى الصفات التى تميز الثور القاتل عن الثور الذى يجر المحراث فى الحقل .. ويؤثر المبيض فى جسم المراة بطريقة مماثلة ، ولكن عمله يستمر فقط ابان جزء من حياتها ، فحينما تبلغ المراة سن اليأس تضمر الغدة بعض الشيء . وحياة المبايض القصيرة تجعل المراة المتقدمة فى السن أكثر ضعفا من الرجل الذى تظل خصيتاه نشيطتين حتى سن متقدمة جـدا .

ان الاختلافات الموجودة بين الرجل والمراة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية ، ومن وجود الرحم والحمل ، أو من طريقة التعليم . اذ أنها طبيعيا أكثر أهمية من ذلك .. انها تنشأ من تكوين الانسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محدودة يفرزها المبيض . ولقد ادى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الانوثة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا ، وأن يمنحا قوى واحدة ومسئوليات متشابهة .. والحقيقة أن المراة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل ، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها .. الامر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها . وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبى . فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبى . فليس فى الامكان احلال الرغبات الانسانية محلها . ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها كما هى . فعلى النساء ان ينمين أهليتهن تبعا لطبيعتهن من غير أن يحاولن تقليد الذكور ، فان دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال ، فيجب عليهن ان يتخلين عن وظائفهن المحدودة .

وهذا الكلام القائم على دراسة طبية ونفسية للجنسين معا هو الشرح الدقيق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال) .

ان انسلاخ احد الجنسين عن فطرته ليلحق بجنس ليس منه ، حرب على الطبيعة ، والتواء بالامور عن مجراها الصحيح ، ولن يفيد العالم من ذلك الا الخلل والفساد . .

ومع رفضنا للنزعات المادية الواقعة فى هذا الخطأ فنحن احيانا نلتمس عذرا لأصحابها !!

ان هناك صورة قاتمة لأحوال المراة فى بعض المجتمعات ، تجعل الفزع منها يغرى بالفرار الى أى وجهة .

صورة امراة تلهث وراء رجل يمتطى دابته او صورة امراة تأكل ما بقى من فضلات الغذاء بعد شبع غيرها أو صورة فتاة مقهورة الارادة تتزوج ممن تكره أو محزونة فاقدة الميراث لأن أهلها بطريقة ما حرموها ارثها أو صورة بلهاء صفر العقل لا تعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئا .

أو أنه لا وزن لحياتها ولا لجهدها ولا لرأيها ، لأن البيئة التى أنبتتها جعلتها كذلك شخصا كلاً على مولاه أينما يوجه لا يأت بخير !!

هذه الصور التى التبست بأوضاع المراة فى بعض المجتمعات وحسبها المغفلون دينا وما هى بدين ، بل هى رذائل ومحرمات يسخطها رب العالمين . . هذه الصور هى التى أطاشت الالباب القاصرة ، ودفعتها الى الاخذ من الحضارة الحديثة دون تبصر .

ونحن نغار على مكانة المراة المسلمة ، ونريد أن تسلم من لوثات عبيد الغرب كما تسلم من لوثات الجامدين المقلدين بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

كان يجب أن نهدى الثناء الى المدنية الحديثة لو أنها — حين اعترفت بانسانية المراة — دعمت جانبها الضعيف وحفظت حقوقها المهدرة وردت عنها عدوان من ضنوا عليها بالعلم والمال ، والاسهام بحظ واضح فى رعاية المصالح الخاصة والعامة . .

لكن المدنية الحديثة — وشارتها الاولى عبادة الحياة — أدخلت المراة فى المجتمع بطريقة مريبة !!

فبدلا من أن تحصن أنوثتها ضد العبث تعمدت اطلاق الجانب الحيوانى فى البشر ، وجعلت من أنوثة المراة فتنة تبعثر الاثم فى كل مكان !! فالملابس لا بد أن تكون قصيرة تكشف ما فوق الركبة ضيقة تبرز الصدر والارداف ، مثيرة تغرى بتفصلها وتقسيمها على النظر الحرام والفكر الحرام . . والتقاليد التى أقرتها هذه المدنية الحديثة أن المراة تظهر فى الاحفال الساهرة شبه عارية ، وأنها ينبغى أن تطعم وترقص مع شخص آخر غير زوجها !! واقطار الغرب فى أوربا وأمريكا ترى أن المتعة الجسدية فى كل صورها حق طبيعى للفتى والفتاة . . وفرص التلاقى لارواء الغريزة الجنسية ، سواء بالزنا أو بما دونه ، متاحة لمن شاء .

واذا كانت البيئة المؤمنة تفرض القيود على الملابس ، وتباعد بين انفاس الذكور والاناث الى أن يلتقى الرجل بالمرأة فى بيت الزوجية فان المدنية الحديثة تعمل بداب غريب على اثارة الشهية الجنسية بالليل والنهار ، فى البر والبحر .. وتستفز الغرائز الساكتة لتدفعها دفعا الى الاستمتاع الميسور ، محظورا كان أم غير محظور ..

انها مدنية تنشد اللذة وتطوع لها كل شىء ، والمسحورون بها يحق فيهم قوله تعالى (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) .

ولما كانت الطبيعة البشرية قد تسكن اذا نالت ما تشتهى او قد تهدأ اذا الفت ما ترغب فان زبانية النشاط الجنسى يكدون قرائحهم لخلق أزياء وأوضاع جديدة تلهب الذئاب الجائعة لتنطلق فى كل فج وهى تصيح هل من مزيد ؟

ومن الحق أن نقول : ان الاديان السابقة كانت أعجز من أن تقف السيل الطام .

فقد كان الانسان بذكائه العقلى أكبر منها وامنع ، من تصديق نقائضها ، كما أن ميوّله كانت اشرس من أن تنقاد لتعاليمها الباهتة .. أما الاسلام فكان غائبا فى بلاده محتبس الضوء بين حكام الجور ، وعلماء السوء ، وعباد الغفلة !! ومن ثم انطلقت المدنية الحديثة فى طريقها لا تلوى على شىء ، تطلب اللذة على ظهر الارض من كل سبيل ، وترى المرأة أولى هذه اللذاذات التى ينبغى أن تشبع فتتملاها كل عين .. وتلمسها كل يد .. والمدنية الحديثة الآن تفرض نفسها على القارات الخمس . ويكافح بعض المسلمين فى جو مربد لينقذوا أقطارهم من هذا الشرود الجنسى الطافح ، ولكنهم ــ الى يوم الناس هذا ــ يحاربون فى معركة انسحاب !!

اننا نرفع صوتنا عاليا بأن من حق المرأة أن تتعلم ، ولا يستطيع احد أبدا أن يحرمها هذا الحق .. لكن من قال : ان التبرج والاختلاط ضرورات لا بد منها فى الجو العلمى ؟؟ واذا كان الاسلام يأذن باختلاط ما فى بعض المواطن فهو اختلاط مصحوب بالحشمة والحياء وغض البصر وتقوى الله .. وهو يرفض بتة كل اختلاط يسمح بأن يخلو رجل بامرأة .. وبالتالى فهو يستنكر احفال العرى والمجون التى عرفتها واشاعتها المدنية الحديثة .. وللمرأة أن تعمل فى وظائف مناسبة ، وفى ظروف خاصة ، لكن على أساس أن عملها الجليل العتيد أن تكون ربة بيت وسيدة أسرة وأن يكون جو العمل غير ما تألف المدنية الحديثة .. فلا يليق حشر المرأة عارية الاذرع والسيقان فى صفوف الرجال !!

ولا يليق توظيفها لتعرض أوراقا على مدير يختلى بها اذا شاء .. ونحن نعرف أن المرأة فى أوربا وأمريكا اشتغلت بالمصانع والحقول والشركات والجامعات لكن حصاد اللقاء البعيد عن معرفة الله واتباع شرائعه كان مرا .

ان المرأة قد تعمل اذا احتاجت لعمل أو احتاج اليها المجتمع .. ما يصدها عن ذلك احد ..

أما الزعم بأنها والرجل سواء فى القدرات المادية والمعنوية فذلك ما ننكره . كيف ، وهى تلد وترضع ؟ وحملها لولدها وحضانتها له يأخذان منها جهدا مضنيا .

ثم هى — من غير الحمل ونتائجه — تراح من العبادات المفروضة فى دورات شهرية منتظمة . فكيف تكلف بالاعمال العادية وينتظر منها أن تساوى الرجل فى الانتاج ؟

ولندع ذلك كله .

ان المشكلة ليست فى عمل المراة أيا كان نوعه! المشكلة فى جو ذلك العمل ! ولون المجتمع العام الذى يتم فيه وهنا تبرز طبيعة الاسلام دون غضاضة .

فالاسلام دين يكلف الرجال والنساء بصلوات خمس كل يوم ، وعندما تؤدى هذه الصلوات فى جماعة — ولا بد فى كل أمة مسلمة من قيام هذه الجماعات من الفجر الى العشاء — فان الرجال يملأون الصفوف الاولى والنساء يملأن الصفوف المؤخرة .

وعلى النساء ان يخفين زينتهن وأن يرتدين ملابس سابغة . وعلا كلا الجنسين أن يغض طرفه اذا راى الآخر ! فاذا حدث أن نظر شخص الى غيره نظرة مريبة وجب على من لاحظ ذلك أن ينهاه عن الاثم وأن يذكره بالله . . ومعنى هذا كله أن الاختلاط بمدلوله الواسع فى المدنية الحديثة يأباه الاسلام اباء تاما ويرفضه رفضا حاسما .

ان الجو الذى تعمل فيه المراة هناك ، فى أوربا وأمريكا ، جو التكشف ، وابداء المحاسن ، واختيار الاصدقاء ، وحرية التلاقى والاختلاء ، وحرية الجسد كما يقولون ، أو جو نبذ الدين ظهريا واجتياح حدوده دون نكير . . هذا الجو يستحيل أن يقبله الاسلام أو يرضى بدفع المرأة اليه . .

ان الاسرة ذابت فى أقطار أوروبا وأمريكا تحت اللهب الجنسى المشتعل فى هذا الجو ، وبقاياها التى لا يزال بها رمق لا تدل على خير ، ولا تطمئن على غد طهور .

والمسلمون فى فترة عصيبة من تاريخهم . . لقد داس الاستعمار بلادهم وسخر من تقاليدهم وترك طابعه الخاص على أغلب شئونهم . وهناك كثيرون ينقمون على وضع المرأة القديم فى البلاد الاسلامية ، ويرون أن الاستظلال بلواء المدنية الحديثة أجدى وأفضل . . ونحن نرفض الامرين معا حبس المرأة فى سجن الجهل والقصور وذوبان الشخصية وضياع المكانة **واطلاق المرأة فتنة عاتية تنشر الاثم وتبيح المحارم . . لقد رأينا المرأة فى صدر الاسلام ، لا تقل عن الرجل علما ، ولا جهدا فى خدمة دينها وأمتها وبيتها وولدها . . رأيناها فى القادسية واليرموك فى أشرف المواقف وأجدرها بالتكريم . . ولم نرها أبداً مجندة للترفيه عن الرجال ، ولا رأيناها حسرت عن صدرها وركبتيها باسم العمل فى المكاتب أو المصانع . .**

ويبقى أن نتساءل : لمن نكل وظيفة (ربة بيت) ؟ اذا استخرجنا المرأة من البيت لغير ضرورة ملجئة ! ان هذه الوظيفة ، من أرقى الاعمال — لو عقلنا — لأنها انشاء الحياة وصيانتها وتعهدها حتى تؤدى رسالتها كاملة . .

ونتساءل مرة اخرى : هل يقبل حكم الله فى تحريم الزنا ، وما يؤدى اليه ، وما يغرى به ، أن نجعل الزنا — كما تقول عشيقة (سارتر) — أمرا عاديا لا يستقبح ولا يستهجن . . ؟؟

ان القصة هنا ليست فتوى فرعية فى مشكلة محدودة ، انما هى قصة الدين من الفه الى يائه . . قصة الايمان بالله وتصديق المرسلين أجمعين !!

مائدة القارئ

« انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم تفلحون »
ــ قرآن كريم ــ

ام الشهـــداء

جمعت الخنساء أولادها الاربعة ، ودفعت بهم الى ساحة الحرب ، وزودتهم بسلاح الايمان ، فقالت لهم .

يا بنى . انكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله غيره . انكم بنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحـــت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا غيرت نسبكم ، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين ، وأعلموا أن الدار الباقية خير من الـــدار الفانية ، يقول الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطـــوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فاذا أصبحتم غدا ــ ان شاء الله سالمين ــ فاغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، واذا رأيتم الحرب شمرت عن ساقها ، واضطرمت ، فتيمموا وطيسها ، وجالـــدوا رئيسها عنـــد احتدام خميسها ــ تظفروا بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة .

ولما كان الصباح اشتد أبناؤها على عدوهم حتى قضوا نحبهم ، ولما بلغها خبر استشهادهم قالت . الحمد لله الذي شرفنى بهم .

مجلس الحرب

أرسل عمر بن الخطاب مددا الى العراق ، وعليه أبو عبيدة بن مسعـــود الثقفى وعلمه كيف يستشير مجلس الحرب الذى معه ، وكيف يقدم فى موضـــع الاقدام ، ويتريث فى موضع التريث ، فقال له .

اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشركهم فى الأمر ، ولا تجتهد مسرعا ، بل اتئد ، فانها الحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث الـــذى يعرف الفرصة ، ولا يمنعني أن أؤمر سليطا (ابن قيس) الا سرعته الى الحرب والسرعة الى الحرب ــ الا عن بيان ــ ضياع .

المعوقــون

المعوقون والمهرجون تحفل بهم ميادين الهزيمة ، لا ميادين الشرف ، وقــد فضحهم اللــه فقال . « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلــم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا . أشحة عليكم . فاذا جاء الخوف رأيتهــم ينظرون اليــك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت . فاذا ذهب الخــوف سلقوكم بألسنة حداد . أشحة على الخير . أولئك لم يؤمنــوا فأحبط الله أعمالهم » .

تعليمات عمر للقضــاة

الزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بافضل حظك اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينــة العادلــة أو اليمــين القاطعة . وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه ، وينبسط لسانه .

وتعهد الغريب ، فانك ان لم تتعهده ترك حقه ، ورجع الى أهله ، وانما ضيع حقه من لم يرفق به .

وآس بين الناس في لحظك وطرفك .

وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء .

وطننا المفقود

اجعلوا لفلسطين ما تملكون من المال ومــا تــرزقون مــن مواهب ، وما تجدون من وقت وما تفاخرون به من عقيدة .

هذا هو طريقكم الجديد الى وطنكم المفقود .

المتنبــى

ظهر فى عهد أحد السلاطين رجل ادعى النبوة ، فأمر السلطان بالقبض عليه وقتله .

وبعد مدة ظهر رجل آخر ، وادعى الألوهية ، فأمر السلطان باحضاره ، وسأله ؟

كيف تجرؤ على ادعاء الألوهية ؟ الم تسمع أن رجــلا ادعى النبــوة فقتلناه .

فقال الرجل . حسنا فعلت أيهــا السلطان ، فانى لم أبعثه نبيا !!

غــزة فى شعــر الشافعى

ولد الامام الشافعى بغــزة ، وحمل الى مكة ، وارتحل الى المدينة ، وتنقل بين العراق وفارس واليمن ، واستقر به المقام فى مصر ، وممــا نسب اليه من شعر يصور فيه حنينه الى مسقط رأسه .

وانى لمشتاق الى أرض غــزة
وان خاننى بعد التفرق كتمانى
سقى الله أرضا لو ظفرت بتربها
كحلت به من شدة الشوق أجفانى

حكمة زاهــد

رأى ملك زاهدا ، فسأله . ألا تذكرنى ؟
قال الزاهد . أجل . أذكرك كلما نسيت ربى .

حكمة لقمــان

سئل لقمان : ممن تعلمت الحكمة ؟ قال : من الجهلاء فكلما رأيت عيبا تجنبتــه .

إن يوم النضال آت قريب

أي يوم على الزمان مجيد ... نحن منه على طريق الخلود
فيه نبنى لأمة العرب مجدا ... هو أسمى من كل صرح مشيد
أمة العرب زادها الله عزا ... أبد الدهر دائما فى صعود
ما وهى عزمها ، وما قط ملت ... من قراع العدا ، ورغم الحسود
قد وعى الدهر ما وعى من ذراها ... وهى تومى الى الغد المنشود
أشرق الصبح في رباها وضيا ... لطريق من الأماني فريد
لصراط من الهدى فيه للحق نداء ، يهز سمع الوجود
ومضى شعبها فتيا أبيا ... يتسامى لكل شأو بعيد
راية العرب وحدة تجمع العر ... ب على موثق أبر رشيد
توقظ الشرق للحياة ، وتهدى ... كل غاد على طريق الخلود
ولها فى النضال حومة بأس ... تشعل النار فى فؤاد الحقود
وهى نور على السرى لزحوف ... وانتصار بظلها معقود
رفع الله في الوجود ذراها ... وحباها بعزة التأييد
كم أبى يرد كيد عداها ... يصهر القيد ، وهو غير مقود
وجليد يروع جيش المنايا ... وهى ترميه بالفتى الجليد
ومشوق الى الشهادة صب ... وهى منه على أبر شهيد
وفتى أروع الفؤاد همام ... ليس يزهى بغير نصر مجيد
يا بنى العرب سددوا من خطاكم ... ما التقيتم على كريم العهود
وأصيخوا الى العلا ، وهي فيكم ... أبد الدهر من قديم العهود
هي دعوى محمد ، وهداه ... والنبيين قبل نوح ، وهود
أشرقت فى الزمان ، وهى ضياء ... وسنا كل مطمح في الوجود
عمرها في الزمان عمر الليالي ... وهي تترى على الزمان المديد
شأوها فوق كل شأو رفيع ... وهي توحي بكل معني شرود

للأستاذ محمد هارون الحلو

انها في النفوس سر هداها ... والمناجاة للطماح البعيد
وهي صوت الأذان في كل قلب ... يوقظ القلب من عميق الرقود
وهي تهديه للصراط سويا ... يوم يدعى للموقف المحمود
كيف يرتاد للبطولات حر ... حين يغرى أطماعه بالقعود
وطريق النضال يحفل بالجد ... وكم جد فيه من صنديد
نهضة العرب في رباط من الو ... د حفى بكل فعل حميد
علم الله أنهم قد أقاموا ... منه بالأمس كل صرح مشيد
واستدار الزمان يكتب أمجا ... دا لأبناء يعرب من جديد
كم ترى للسلام غصنا نديا ... حف منا بزنبق ، وورود
قد تخذناه للبرايا شعارا ... وهي منه على طريق سديد
ورفعنا به المنارات للمجد ... لنهدى بسبيلهم للصعود
لنرد الذئاب عن وثبات ... وهى تعوى بكل شاة ولود
أين أنس النفوس بالتغريد ... وهي في شقوة النضال العتيد
غابنا ذاك ، وهو غاب الأسود ... أرضنا تلك ، وهى مهد الجدود
منزل الوحى فى رباها ظليل ... فهى قط لم تكن لليهود
ليس يحيا بأرضنا غير حر ... من بنى يعرب الكماة الصيد
قل لمن بات يستجيش هواها ... من بنيها ، وهم ليوث البيد
أن يوم النضال آت قريب ... فأعدوا له دروع الحديد
سيكون الصيال صيحة عاد ... ويكون البلاء يوم ثمود
سوف يغدو النزال عبر السدود ... ويكون القتال خلف الحدود
ان يقيموا على بلاء شديد ... او يقروا على مهاد وطيد
فلهم يومهم ، ولن يخلفوه ... ولهم موعد برجع البريد
سوف نطوى مرابض الغاب طيا ... ثم نغدو بها لنصر مجيد

من امجاد تاريخنا الماضي

صقلية الاسلامية

الحملة الاسلامية على صقلية

٣

عرض زيادة الله الاغلبي أمر غزو صقلية على كبار رجال دولته واهل الراى فيها ، فجمع وجوه أهل « القيروان » ، وكبار فقهائها في مؤتمر عام واستشارهم في انفاذ اسطول الى جزيرة صقلية (١) .

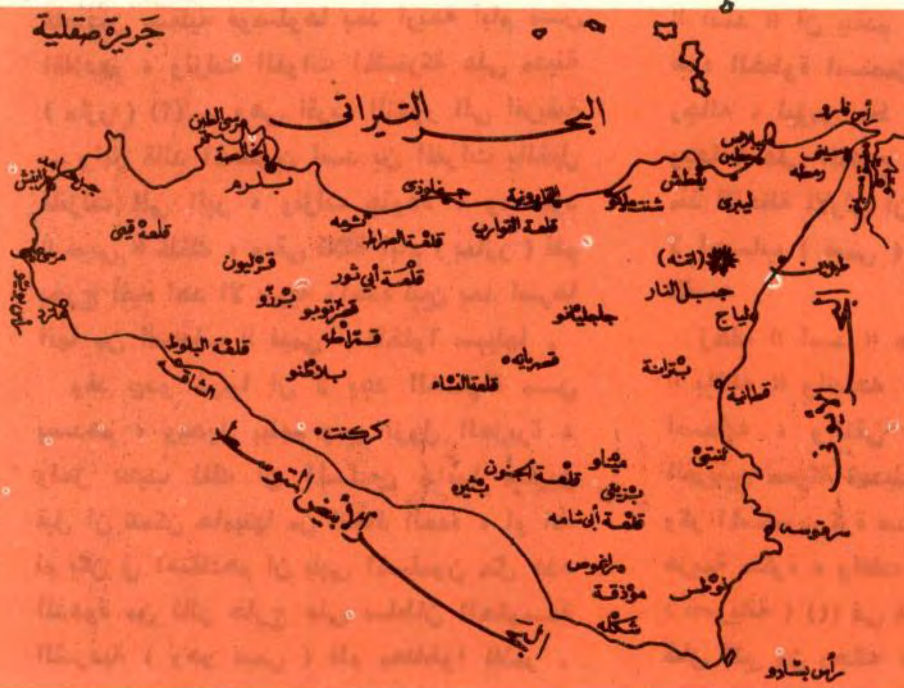
واختلفت وجهات النظر بين المؤتمرين كما هو الشان عند النظر في الأمور الخطيرة من اعلان حرب ، أو تقرير سلم ، فبعضهم قال نغزوها ولا نسكنها ، ولا نتخذها وطنا ، وبعضهم تخوف من ذلك وقال : « لو كنت طائرا ما طرت عليها » ، بعد أن سأل : كم بينها وبين بلاد الروم ؟ فقيل له : يروح الانسان مرتين وثلاثة فى النهار ويرجع ، قال : ومن ناحية افريقية ؟ فقيل له : يوم وليلة (٢) .

وكان هذا المتخوف راي انها لقربها من بلاد الروم سيكون مركز المسلمين فيها ضعيفا وحرجا ، محفوفا بالمخاوف والمخاطر ، لأن الروم يكونون أقدر على حمايتها ، وأكثر استعدادا لمواصلة الدفاع عنها ، والكفاح في سبيل الاحتفاظ بها ، فابدى رأيه مصورا شدة الخطر هناك على المسلمين .

ولكن فريقا ثالثا اشار بغزوها ، ورغب في ذلك (٣) ، وكأن هذا الفريق كان يشعر بالحاجة الملحة التي تدعو الى الاستيلاء على هذه الجزيرة ، لحيويتها من النواحي السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية ، ويعلم في الوقت نفسه ضعف الحكومة المركزية في القسطنطينية وعجزها عن امداد الجزيرة بالقوات المحاربة بصفة دائمة ، ويشاهد كذلك آثار الثورة الأهلية والفتن الجائحة مشتعلة بالجزيرة ، وعرف انها فرصة ان ضاعت الآن قد لا تعود ابدا ، فاشار بالغزو ورغب في ذلك .

غير ان هذا النقاش لم يطل ، فقد علم الأمير زيادة الله بأن الروم قد قتلوا بعض أسرى المسلمين الذين عندهم ، وكان من شروط الهدنة التي عقدت بين حاكم الجزيرة والأمير أبي العباس الاغلبي سنة ١٩٨ هـ (٨١٣ م) وجددت فيما بعد : « أن من دخل اليهم من المسلمين ، وأراد أن يردوه الى المسلمين كان ذلك عليهم .. » ، فما بالك اذا كانوا قد قتلوا بعض الأسرى ولم يكتفوا بحجزهم ؟ ولذا

(١) المكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٢٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .



للدكتور : زكي محمد غيث
وكيل كلية الشريعة بجامعة بغداد

اعلن المؤتمرون نقض المعاهدة ، واعدت حملة لغزو صقلية على رأسها القاضي : أسد بن الفرات (١) .

★ ★ ★

خرج القاضي وأمير البحر الفقيه : « أسد ابن الفرات » على رأس اسطوله في منتصف شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ (١٥ يونيو سنة ٨٢٧م) متجها صوب جزيرة صقلية ، ومعه (فيمى) ورجاله في مراكبهم .

ولم تكن هذه الحملة من السرايا الصغيرة ، بل كانت فيما يظهر أعظم حملة بحرية وجهها المسلمون الى صقلية ، فقد كانت تضم سبعمائة فارس ، وعشرة آلاف راجل غير البحارة والاتباع تحملهم ما بين سبعين ، أو مائة سفينة وكان جيشه زهرة جند افريقية من العرب ، والبربر ، وبعض المهاجرة من الأندلسيين ،

---

(١) المكتبة الصقلية (رياض النفوس ..) ج ١ ص ١٨٣ (ومعالم الايمان) ج ٢ ص ١٤ ، ومجموعة كمبردج ، ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ .

وأما أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان قائد هذه الحملة ، فان ما نعرفه من حياته الاولى لا يفسر لنا كيف تحول هذا الفقيه العالم الى أمير من أمراء البحار ، وقائد من قواد المسلمين ، فلقد ولد سنة ١٤٢هـ (٧٥٩م) ونشأ في مهاد العلم لا مهاد الجندية ، وتخصص في دراسة الفقه لا دراسة الفنون الحربية ، ورحل في طلب العلم الى المشرق سنة ١٧٢ هـ (٧٨٨ م) وأخذ عن الامام مالك رضي الله عنه في المدينة ، ورحل الى العراق ولقى من أصحاب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه : أبا يوسف ، ومحمد بن الحسن ، ثم دخل مصر ولازم ابن القاسم فكان يسأله ويجيبه ابن القاسم حتى دون ستين كتابا وسماها (الاسدية) ، وفارق ابن القاسم وعاد الى المغرب سنة ١٨١ هـ (٧٩٧ م) وأظهر أسديته وأسمعها للناس ، وانتشرت بافريقية ، وما زال أمره مشهورا وقدره معروفا حتى ولاه زيادة الله القضاء سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) ، فلما كانت سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) ولاه قيادة الحملة على صقلية مع بقاء اسم القضاء له وقال له : « أنت قاض وأمير » وقد وافاه أجله بصقلية ، وهو يحاصر سرقوسة سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨ م) وقد تجاوز السبعين قليلا .

وأقلعوا من مرسى (سوسه) (١) بأفريقية قاصدين صقلية فوصلوها بعد أربعة أيام من اقلاعهم ، ونزلت القوات المشتركة على مدينة (مازر) (٢) — وهي أقرب الثغور الى أفريقية — وأمر قائد المسلمين أسد بن الفرات بالخيل فانزلت الى البر ، ونزلت جنوده ، وجنود « فيمي » كذلك ، وبقي ثلاثة ايام (بمازر) فلم يخرج اليه أحد الا سرية واحدة تبين بعد أسرها انها من أصحاب « فيمي » فاخلوا سبيلها .

وقد يبدو غريبا أن لا يجد الغزاة من يصدهم ، ويحول بينهم وبين نزول الجزيرة ، ولعل سبب ذلك أن المسلمين جاءوا مبكرين قبل أن تتمكن حاميتها من اتخاذ العدة ، أو أنه لم يكن في اعتقادهم أن يلبي المسلمون مثل هذه الدعوة من ثائر خارج على سلطان الحكومة الشرعية (وهو فيمي) فلم يحتاطوا للأمر .

على أنه يجوز أن القوة المدافعة عن المدينة كانت تقدر كل ذلك ، وأن العرب سيلبون دعوة هذا الثائر ويشرعون بالمجيء ، فرأى المسئولون أن يستعدوا للأمر في داخل الجزيرة ، ليكون ذلك أمكن لهم ، وأدعى الى اجهاد العدو والتغلب عليه .

وقد تكون مدينة (مازر) وما حواليها موالية لفيمي فلم تتخذها القوات المدافعة مركزا لحركاتها الحربية ، مما سهل على المغيرين مهمة النزول الى البر بخيلهم ورجلهم وجميع معداتهم ، دون أن يعترضهم أحد ، وحتى أن القوة الوحيدة التي ظهرت بعد ثلاثة أيام تبين انها تناصر « فيمي » .

★ ★ ★

ومهما يكن من شيء فان القوات الرومية قد اجتمعت حول الزعيم (بلاطه) حاكم الجزيرة عند مرج (بلاطنو) (٣) ، وكانت تبلغ نحو مائة وخمسين ألف مقاتل ، ورأى « أسد » أن يتقدم للاقاتهم ، وقبل أن يخطو هذه الخطوة استعمل على مدينة (مازر) أحد رجاله ، ليؤمن خط الرجعة ، ويحمي ظهره ، ويحافظ على الفتوح من أول الأمر ، وكأنه قرر منذ اللحظة الأولى أن يعمل لحساب المسلمين ، لا لحساب (فيمي) الذي كان يريد الأمر لنفسه .

زحف « أسد » على رأس جنده للاقاة « بلاطه » وأتباعه ، ومعه « فيمي » في أصحابه ، والتقى الجمعان ونشبت بين الفريقين معركة شديدة حمي فيها وطيس القتال وكر المسلمون كرة صادقة على العدو ، فهزموه هزيمة منكرة ، وأفلت « بلاطه » ولجأ الى مدينة (قصريانة) (٤) في قلب الجزيرة ، بعد أن قتل خلق كثير من رجاله ، واحتوى المسلمون جميع ما في معسكره ، ثم لم يلبث « بلاطه » أن فر من مدينة قصريانة ، وغادر الجزيرة الى قلورية (جنوبي ايطاليا) حينما تغلب عليه الخوف ، وتملكه الفزع وخشي من متابعة المسلمين له ، وهناك لقي مصرعه حيث قتل في ظروف مريبة (٥) .

لم تذكر لنا المراجع التي بين أيدينا : هل كان قتل « بلاطه » حاكم صقلية من أعمال الغدر والخيانة ، أم بايعاز من حكومة القسطنطينية ، حيث ترك الجيش وفر من وجه العدو ، وأبقى الجزيرة بدون حامية تحت رحمة « فيمي » وحلفائه من المسلمين ؟.

لا يبعد أن يكون قتله بيد بعض الغيورين الذين ساءهم قهره (لفيمي) أولا ، حتى الجاه للخيانة ، ودعوة المسلمين ، ثم تعريضه أخيرا الجزيرة للضياع بتركه قيادة الجند ، وهربه حيث يبغي الحياة دون سائر جنده .

★ ★ ★

---

(١) تنظر الخريطة الاولى التى تحدد موقع صقلية من أوربة وافريقية ، وسوسة بالبر الافريقي (العدد : ٢٣ من الوعي الاسلامي) .

(٢) تنظر الخريطة وهي على الطرف الغربي الجنوبي منها .

(٣) انظر خريطة (جزيرة صقلية) .

(٤) انظر خريطة (جزيرة صقلية) .

(٥) الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٩٥ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٦٥ ، ٣٧٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٩ ، ج ٢ ص ٥٢٧ ، ٥٤٠ ، ومعالم الايمان ج ٢ ص ١٥ ، ١٦ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ .

كان على القوات الاسلامية المنتصرة أن تستمر في حركتها ، وأن تتبع قوات الروم المنهزمة الى « قصريانة » فواصلت الزحف آخذة طريق الساحل الجنوبي الى ناحية الشرق ، حتى أصبحوا يشرفون على ثغر « سرقوسة » بشرق الجزيرة .

ويبدو أن المسلمين سلكوا هذا الطريق ، دون أن يتوغلوا في داخل الجزيرة المجهولة لهم ، ليكونوا قريبين من أسطولهم ، الذي كان في الغالب يسير بمحاذاتهم ، ليأمنوا شر التغرير بهم فى أرض لم يدرسوا طبيعتها بعد .

خدعة

شعر أهل « سرقوسة » والنواحي المحيطة بها بالخطر الذي يحدق بهم من ناحية المسلمين، فبعثوا بوفد من وجوههم لملاقاة قائد المسلمين : « أسد بن الفرات » لطلب الامان منه ، في نظير دفع الجزية ، وكانوا يقصدون خديعة المسلمين حتى يكفوا عن القتال ، لتتاح لهم فرصة الاستعداد للدفاع ، فاجابهم أسد ، وأقام في موضعه أياما استطاعوا خلالها أن يجمعوا الكثير من أموال الجزيرة ، وقد أخفوها في قلعة حصينة ، بعيدا عن الشاطيء حتى لا تقع في أيدي المسلمين ، وفي الوقت نفسه قد عاودت (فيمى) حمية الكفر ، وداخله الحسد من انتصار المسلمين ، وخشى توغلهم في الجزيرة ، وبخاصة حينما تأكد له بأن هذه الفتوح انما هي لحساب المسلمين ، وليست لحسابه كما كان يؤمل ، فاتصل بأهل « سرقوسة » سرا وحثهم على الثبات ، وأغراهم بأن لا يدفعوا للمسلمين الجزية ، وان لا يذعنوا لهم ، فانقادوا له ، وأصلحوا حصنهم ، وأدخلوا فيه جميع ما كان فى الربض وفي الكنائس من ذهب وفضة ، وشحنوه بالزاد والسلاح والرجال .

مهاجمة سرقوسة

أحس القائد أسد بالخيانة من ناحية أهل سرقوسة ، وأدرك أنه خدع ، فلم يتردد في مهاجمتهم وقتالهم ، وأخذ يبث السرايا في نواحي « سرقوسة » فتذهب وتعود ظافرة محملة بالاسلاب والغنائم الكثيرة ، ثم تأتي له محاصرة (سرقوسة) برا وبحرا ، حينما قدمت نجدات بحرية من أفريقية . ووفد بعض المغامرين البحارة من أهل الاندلس . وحينما اشتد الحصار لجأ أهلها الى طلب الامان مرة ثانية ، وكاد أن يستمع أسد لضراعتهم لولا أن ثناه المسلمون عن عزمه ، وظلوا محاصرين لها وقد خف والى (بلرم) (١) لنجدة أهل سرقوسة فوجد المسلمين قد خندقوا على أنفسهم ، واحتفروا وراء الخندق حفرا كثيرة كفخاخ للايقاع بالقوات الرومانية ، فتردى فيها كثير منهم وهلك معظمهم ، وهزمت هذه القوة سنة ٢١٣ هـ (٨٢٨م) وقويت نفوس المسلمين بذلك ، واشتد ضغطهم على أهل سرقوسة .

نجدة الروم

وقد حدث في هذا الوقت أن جاءت نجدة بحرية من القسطنطينية للدفاع عن سرقوسة والجزيرة بقيادة : تورط (تيودوتس) ، في حين أنه قد حدثت مجاعة بين جند المسلمين وتفشى فيهم وباء الطاعون وسرت بينهم روح التذمر ، ونال المسلمين بسبب ذلك شدة عظيمة ، كادت أن توهن من عزيمتهم ، وتردهم عن غايتهم ، ولكنهم رغم هذه المحنة صمدوا للعدو ، وثبتوا على حصار المدينة ، غير أن الطاعون قد اشتدت وطأته ، وفتك بكثير منهم ، حتى أفنى معظمهم ، وكان منهم أميرهم القائد : « أسد بن الفرات » في شعبان سنة ٢١٣ هـ (نوفمبر سنة ٨٢٨م) ودفن بذلك الموضع (٢) .

---

(١) انظر خريطة جزيرة صقلية .

(٢) تراجع حركة فتوح أسد فى : الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٩٦ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٨١ ، ١٨٥ ، ٤٣٠ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ ، و (معالم الايمان) ج ٢ ص ١٧ ، ويقول ياقوت (معجم البلدان ج ٧ ص ١٢٠) : ان قبره فى مكان بين قطانية وقصريانة ، ولا يبعد أن يكون قد وصل الى هذا المكان فى احدى حركاته الحربية ، غير أن ابن خلدون (العبر ج ٤ ص ١٩٩) يقول : « انه دفن بمدينة قصريانة » والظاهر أنه توفى على مقربة من قصريانة ودفن هناك ولم يدفن فى قصريانة لأنها لم تفتح الا فى سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٩ م) فلم تكن خاضعة للمسلمين اذ ذاك .

تلك هي الخطوات الأولى التي خطتها قوات المسلمين في الجزيرة تحت قيادة الفقيه (أسد ابن الفرات) ، وهي على قلتها قد مهدت الطريق أمامهم الى الفتح الأكبر فيما بعد ، وتاسيس أمارة اسلامية بصقلية كان لها شأن بين الأمارات الاسلامية اذ ذاك .

* * *

بعد وفاة أسد بن الفرات

ولى الجند بعد موت (أسد) باختيارهم : « محمد بن أبـي الجـواري » والمسلمون محاصرون (لسرقوسة) والمعركة على أشدها بين المسلمين والروم ، والوباء لا يزال يفتك بالمسلمين فتكا ذريعا ، واشتد الأمر عليهم وتحرج موقفهم ، فلما رأى القائد الجديد الخطر الذي يهدد المسلمين وانقطاعهم في هذه الجزيرة النائية ، ثم وصول امدادات بحرية وبرية من القسطنطينية ، عزم على رفع الحصار عن سرقوسة ، والعودة الى أفريقية ، وأوعز الى من بالمراكب بالاستعداد للرحيل ، ولما حاول الانسحاب الى أفريقية وجد قوات الروم وأساطيلهم يعترضون طريقهم ، ويسدون المرسى الكبير للحيلولة بينهم وبين الخروج ، فلما أدرك المسلمون أن محاولتهم فاشلة وأنه لا مفر من بقائهم بالجزيرة ، أحرقوا سفنهم وعادوا الى البر ، وامتنعوا بداخل الجزيرة (١) .

لماذا أحرقوا السفن ؟

لا شك أن هذا الفعل من المسلمين صنع اليائس المغامر ، اذ أن احراق السفن مخاطرة جسيمة ، حيث كان الجائز أن يتاخر المدد ويحيط بهم العدو ، واذا لم يجدوا ملجأ في اليابسة فماذا يصنعون ؟ ليس أمامهم الا سفنهم يحاولون النجاة عليها ، ولعلهم كانوا ينجحون ، وها هي ذي قد أحرقت ، فليس هناك اذا غير البحر يلقون بأنفسهم بين أحضانه ، فاذا ضنوا بها على الغرق فانهم يستسلمون للعدو ، وهو اما أن يستاصلهم أو يسترقهم ، ولا أخاله يمن عليهم بالعفو ، فيسرحهم الى بلادهم .

وليس للحادث من تعليل معقول الا أن يكون المسلمون قد رأوا حرمان العدو منها ، حتى لا يقوى بها ، وبالتالي ليكون ذلك دافعا للمسلمين على الاستبسال في القتال بعد أن عرفوا أن لا سبيل الى العودة لبلادهم ، شانهم في ذلك شأن المسلمين حينما أحرقوا سفنهم في الاندلس مرة ، وفى جزيرة اقريطش (كريت) مرة أخرى ، وأن كان المسلمون في الاندلس واقريطش قد أحرقوا سفنهم طواعية واختيارا ، أما هنا فقد اضطروا الى احراقها بحكم الظروف القاهرة ، وكان ذلك — على أي حال — عملا سياسيا محمودا ، وكانما أراد القدر أن يظل المسلمون في صقلية ، ليكتبوا فوق أديم أرضها صفحة من صفحات التاريخ الاسلامي المجيد .

* * *

استمرار المسلمين في الفتح

بعد أن أحرق المسلمون سفنهم ، واكرهوا على البقاء في الجزيرة على ما هم فيه من شدة وعناء ، لم تذهلهم الصدمة فيقفوا جامدين ، بل تفرقوا فيها أسرابا يغزون بسائطها ويحاصرون قلاعها ومضوا فى افتتاح مدنها وثغورها تباعا ، فسارت فرقة ناحية الشمال الغربى ، وأرغمت (ميناو) (٢) على التسليم بعد ثلاثة أيام ، فملك المسلمون حصنها وسكنوه ، ثم انقسم الجيش الى فرقتين ، فرقة قصدت حصن (كركنت) (٣) في الجنوب الغربي ، فقاتلت أهله وملكته وسكنت فيه ، وقد قويت نفوس المسلمين بهذا الفتح وفرحوا به .

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٢٩ .
(٣،٢) انظر خريطة (جزيرة صقلية) .

غدر فهزيمة

ثم سارت الفرقة الثانية الى مدينة (قصريانة) في وسط الجزيرة ، وكان يرافقها (فيمى) فلما قاربوها خرج اليه أهلها ، وبذلوا له الطاعة ، وخدعوه حيث قالوا له : نكون نحن وأنت والمسلمون على كلمة واحدة ، ونخلع طاعة الملك ، وسألوه العودة من الغد حتى ينظروا في أمر شروط الصلح ، فرجع عنهم يومه ولم يقاتلهم ، وكان على المسلمين أن ينتظروا نتيجة هذه المفاوضة ، ثم جاءهم (فيمى ; من غد ، وكان في قلة من الرجال ثقة منه بحسن نيتهم ، وصدق حديثهم ، فاستقبلوه مظهرين الطاعه ، والخضوع حتى تمكنوا منه ، فأخرجوا سلاحهم الذي كانوا يخفونه بمكان الاجتماع ، وثاروا به وقتلوه .

نجح أهل (قصريانة) في تمثيل قصة الغدر بفيمى ، وظهر عندئذ أنهم لن يسلموا المدينة للمسلمين بسهولة ، وأنهم على ولائهم لامبراطور القسطنطينية ، فصمموا على حصارها ومقاتلة أهلها ، وبينما هم يحاصرونها جاءتها نجدة من سرقوسة لتخليصها من أيدي المسلمين بقيادة تورط (تيودوتس) ، ونشب القتال خارج المدينة بين المسلمين وقوات تورط ولم يلبث القتال طويلا حتى تمت الهزيمة على الروم ، وقتل خلق كثير وهرب قائدهم تورط .

★ ★ ★

وفاة القائد المسلم

قوى المسلمون بهذا النصر ، وصمموا على الجهاد ومواصلة الفتح ، وانفرج الأمر عليهم بعد شدته ، وبينما هم في نشوة الفرح اذ قضى قائدهم نحبه في أوائل سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩م) وخلفه (زهير بن عوف) وقيل (ابن غوث) في قيادة المسلمين بالجزيرة ، وعلى عهده انقلب نصر المسلمين الى هزيمة ، وحاصرهم الروم في معسكرهم بالقرب من قصريانة حتى جهدهم الحصار ، وضاق عليهم الأمر ، فعزموا على مهاجمة الروم ليلا للايقاع بهم ، لكسر الحصار المضروب عليهم ، ولكنهم فشلوا في محاولتهم ، وأوقع بهم الروم ، وقتلوا كثيرا منهم في كمين أعدوه لهم لانهم كانوا قد عرفوا ما بيتوه لهم ، ومن ثم عادت فلولهم الى مدينة (ميناو) ولحق بهم الروم ، وضربوا عليهم الحصار فيها ، وضيقوا عليهم الخناق حتى قلت الاقوات ، ثم انعدمت وجهدوا من الجوع . فأكلوا دوابهم ، ولما سمعت حامية (كركنت) بما نال اخوانهم في (ميناو) داخلهم الخوف ، وخشوا سوء المصير فخربوا المدينة ، ورحلوا الى ثغر (مازر) بعد أن عجزوا عن نصرة اخوانهم في (ميناو) (١) .

في هذا الوقت جاءت امدادات من افريقية ، ووصل في الوقت نفسه أسطول أندلسي من السرايا المجاهدة المغامرة ، وأغار رجاله على أطراف الجزيرة لحسابهم سنة ٢١٥ هـ (٨٣٠م) فاستولوا على عدة قلاع ، وامتلأت أيديهم بالسبى والغنائم ، واتصل بهم المسلمون في (مازر) وسألوهم اغاثة اخوانهم في (ميناو) فاجابوهم الى ذلك ، وقصد الجميع (ميناو) واستطاعت قوات المسلمين المشتركة أن تهزم قوات الروم عند (ميناو) وتجليها عنها ، ويتزحزح مخنق من كان بها من المسلمين ، ويذهب (تورط) الى قصريانة ليحتمي بها ، وعندئذ دمر المسلمون (ميناو) وتركوها قاصدين متابعة (تورط) وقتاله سنة ٢١٥ هـ (أغسطس سنة ٨٣٠م) وسرعان ما التقوا به ونازلوه ، ثم كتب النصر للمسلمين وقتل (تورط) قائد الروم . (٢)

★ ★ ★

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٨ ، والبيان المغرب ، ج ١ ص ٩٦ ، ٩٧ ، والمكتبة الصقلية ج ١ ص ١٦٦ ، ٤٣٠ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

بعد أن دمرت (ميناو) وهزمت قوات الروم عند (قصريانة) وقتل قائدهم تاهب المسلمون لحركة غزو جديدة على الرغم من انتشار وباء الطاعون بينهم ، وعودة معظم مسلمي الأندلس الى ديارهم ، وتعرض من بقي من المسلمين لشدة قتال الروم ، وضعف مقاومتهم لهم ، وذلك أنه وفد على الجزيرة في أواخر عام ٢١٥ هـ (يناير سنة ٨٣١م) وال جديد هو الأمير (محمد بن الأغلب) ليتولى القيادة ، فتنفس المسلمون الصعداء لمقدمه ، وساروا بقيادة أميرهم الجديد صوب الشمال الغربي قاصدين ثغر (بلرم) فوصلوها ، وضربوا الحصار عليها وضيقوا الخناق على من بها ، ولما لم تصل امدادات من القسطنطينية لتخليصها ، تفاوض أهلها مع المسلمين ، واتفقوا على تسليم المدينة بشرط ان يسمح لقائدها وعائلته وما يملكه ، وللمطران بمغادرتها بحرا الى القسطنطينية ، فتم ذلك ودخل المسلمون (بلرم) صلحا في رجب سنة ٢١٦ هـ سبتمبر سنة ٨٣١ م (١) .

وباستيلاء المسلمين على (بلرم) وهي أعظم ميناء في الجزيرة ، واخصب اقاليمها أيضا ، حيث أن المنطقة المحيطة بها تعتبر أخصب بقاع صقلية ، وكان يطلق عليها : « الصدفة الذهبية » — نقول باستيلاء المسلمين على بلرم اصبح في مقدورهم أن يتخذوها قاعدة لأسطولهم ويهددون المدن والثغور الشمالية في الجزيرة ، والجزر القريبة منها ، كما كان لامتلاك (مارر) اثر واضح في نجدتهم وتخليصهم من حصار (ميناو) وتثبيت أقدامهم في الجزيرة ، وكما كان كذلك لاستيلائهم على (كركنت ، وميناو) قيمة عظيمة ، حيث ظل الطريق مفتوحا أمامهم من المغرب الى الشرق ، واستطاعوا أن يوالوا غزواتهم على الاقليم الشرقي حتى اضعفوه ، ونالوا من أهله وقلاعه ومدنه ، واضحت (بلرم) منذ ذلك الوقت العاصمة الاسلامية للجزيرة ، وانتقلت الى الأبد عن الحكم البيزنطي (٢) ، وآذن سقوطها بالبدء الحقيقي لامتلاك الجزيرة .



باستيلاء المسلمين على ثغر « بلرم » كسبوا مركزا استراتيجيا صالحا اتخذوه قاعدة حربية لمد الفتوح في داخل الجزيرة ، ومع ذلك فقد كان يسيطر على عقولهم منذ حركات الفتح الاولى الاستيلاء على مدينة (قصريانة) التي تعتبر قلب الجزيرة ، فلذا اتجهت انظارهم بعد استيلائهم على (بلرم) اليها ، ففي الفترة ما بين سنتي ٢١٩ هـ ، ٢٢٠ هـ (٨٣٤ ، ٨٣٥ م) هاجموها ثلاث مرات انتصروا في جميعها وانتسفوا زروعها ،وخربوا أرباضها ، واضطر أهلها لمصالحتهم على أموال يدفعونها ، وعاد المسلمون وقد ساقوا أمامهم كثيرا من الأسرى الذين باعوهم بأبخس الاثمان ، وحملوا معهم كثيرا من الأموال والسلاح والمتاع . (٣)

كان المنتظر وقد تغلب المسلمون على أرباض قصريانة أن يصروا على البقاء فيها ، وأن يعززوا حاميتهم بها حتى يسلم من امتنع بالحصن ، ولكن يظهر أنهم رأوا من السياسة — وقد استعصى الحصن عليهم — الرضا بهذا العرض مؤقتا حتى يتم لهم الاستعداد الكامل لفتح هذه المدينة المنيعة فتحا كاملا باخضاع حصنها .

لم يطل انتظار المسلمين فقد استأنفوا فتوحاتهم بالجزيرة ، وأرغموا عدة حصون على الخضوع ودفع الجزية فيما بين سنتي ٢٢٣هـ ،

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٨ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦ .

(٢) فتح المسلمون (بلرم) سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) وبقيت تحت سلطانهم حتى انتزعها منهم النورمان سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧١ م) .

(٣) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، والبيان المغرب ج ١ ص ٩٨ ، والعبر ج ٤ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦ .

٢٢٥ هـ ، (٨٣٨ ، ٨٤٠ م) كحصن : « البلوط وبلاطنو ، وقرليون » وغيرها من مدن غربي الجزيرة (١) .

كان لهذه الانتصارات ، واذعان كثير من الحصون والمدن في الجزيرة للمسلمين اثر محمود فى نفوسهم ، فبعثت فيهم القوة ، وشجعتهم على مواصلة الجهاد ، واستطاعوا في خلال العشر السنوات التالية من ٢٢٦ — ٢٣٦ هـ (٨٤١ — ٨٥١م) أن يغزو قصريانة ويخربوا نواحيها بقصد اضعاف حاميتها وحملها على التسليم ، وأن تذهب حملة برية ، وأخرى بحرية الى الشمال الشرقى لمحاصرة ثغر (مسينى) برا وبحرا ، وينجح المسلمون في التغلب على مقاومة حاميته الشديدة ويسقط فى أيديهم سنة ٢٢٨هـ (٨٤٣م) .

وبسقوط (مسينى) فى يد المسلمين وقفوا في الطريق بين ايطاليا وصقلية ، وصار شاطىء صقلية الشمالى من (مسينى) شرقا الى (بلرم) غربا تحت رحمتهم ، ومستهدفا لضرباتهم القوية فيما بعد (٢) .

★ ★ ★

ثم جاء النصر تلو النصر واستولى المسلمون على الكثير من المدن والقلاع ، حتى كانت سنة ٢٤٤ هـ (٨٥٨م) وصمموا على فتح (قصريانة) فهاجموها ، والحوا عليها بالقتال، واستطاعت القوات الاسلامية أن تدخلها من عورة في صبيحة يوم الخميس منتصف شهر شوال سنة ٢٤٤ هـ (٢٦ يناير سنة ٨٥٩م) (٣).

وبذلك سقط الحصن الذي ظل يقاوم مدة ثلاثين عاما ، واحتوى المسلمون على جميع ما فيه من أموال ونفائس ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرارى « وذل الشرك من يومئذ بصقلية ذلا عظيما » (٤) .

وبامتلاك المسلمين (لقصريانة) أصبحوا يسيطرون على معظم أرجاء الجزيرة ، ويتحكمون في طريق المواصلات الداخلية ، فكان ذلك أول الفتوح الحقيقية بعد (بلرم) التي عززت مركز المسلمين ، وشدت من عزائمهم كثيرا ، وواصلوا فتوحاتهم المظفرة مما أضعف قوى العدو المادية والمعنوية ، وقويت الروح المعنوية لدى المسلمين ، وآمنوا بقوتهم وقدرتهم على مكافحة عدوهم ، ونظروا الى المستقبل بعين الرجاء والأمل القوى ، وفى الحق كان لهذا الأثر المعنوى في النفوس من القيمة ما يعادل أثر الفتح المادي للمدن ، والقلاع والحصون ، ولذا فانا نعتبر أن الفتح الاسلامي لصقلية أصبح تاما الآن ، اذا استثنينا بعض المدن : كسرقوسة ، وطبرمين (٥) ، وبعض الأماكن الاخرى على الشاطىء الشرقي للجزيرة التي كانت لا تزال تدين بالولاء والطاعة للامبراطورية البيزنطية ، ومع ذلك فيمكن أن يقال : « بأن صقلية قد أصبحت اقليما اسلاميا » .

★ ★ ★

قد يبدو غريبا نجاح المسلمين في فتوحهم الى هذا الحد ، وبخاصة أيام تجدد نشاط

---

(١) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٥٣ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٣١ ، والعبر ج ٤ ص ٢٠٠ ، ومجموعة كمبردج ج ٤ ف ٥ ص ١٣٦ ، وانظر خريطة (جزيرة صقلية) للاستدلال على مواقع هذه المدن الثلاث .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٥٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، والعبر ج ٤ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ودائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦٠٩ .

(٣) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٩٠ ، والمكتبة الصقلية (نهاية الأرب) ج ١ ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، والعبر ج ٤ ص ٢٠٢ .

(٤) الكامل فى التاريخ ج ٥ ص ٢٩٠ .

(٥) انظر خريطة (جزيرة صقلية) (سقطت طبرمين سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٦ م) ، وسرقوسة سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨ م) .

الامبراطورية البيزنطية ، وأعادة حيويتها في عصر الامبراطور : باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦م) الذي هددت أساطيله (بلرم) أكثر من مرة فردتها قوات المسلمين خائبة في الوقت الذي كان المسلمون يجتازون فترة اضطراب وعدم استقرار في الداخل مما أدى الى تولى سبعة ولاة في الفترة من سنة ٢٥٧ — ٢٥٩ (٨٧٠ — ٨٧٢م) لم يمكث بعضهم أكثر من شهر واحد (١) .

غير أن هذا الاضطراب لم يلبث طويلا حيث تغير الموقف بتولية : « ابراهيم بن أحمد » افريقية (٢٦١ — ٢٨٩ هـ — ٨٧٤ — ٩٠١ م) فاصدر أوامره المشددة الى والى صقلية وقتئذ : « جعفر بن محمد » بضرورة العمل بحزم وعزم ضد المدن الموالية للامبراطورية البيزنطية في الجزيرة ، فكان أول اثر لهذه الأوامر المشددة هو حصار ثغر « سرقوسة » الذي انتهى بسقوطه سنة ٢٦٤ هـ (٨٧٨م) بعد حصار استمر تسعة أشهر ، وانتقل الى أيدي المسلمين ، وخرج عن حكم البيزنطيين الى الأبد . (٢)

وبذلك وبعد نيف وخمسين عاما انكمشت المقاطعات الامبراطورية البيزنطية المسيحية في صقلية الى نقط قليلة على الساحل الشرقي ، او على مقربة منه ، وانتقل مركز المسيحية الى قرية صغيرة بالقرب من (مسينى) تدعى (رمطة) (٣) .

ولعل العرب كانوا لا يرون استحقاق هذه الجهات لعناء ما يبذلون في سبيل اخذها لان معظمها حصون جبلية قد لا يكون في امتلاكها مصلحة محققة للمسلمين ، ولا يضرهم بقاؤها في أيدي المسيحيين ، على اننا نرى أن ترك المسلمين لهذا الاقليم في أيدي المسيحيين جعل منه وكرا لدسائسهم ضد النفوذ الاسلامي فى صقلية وقد اثبت الواقع خطاهم ، حيث بدأت من هذا الاقليم الحركات المعادية للنفوذ الاسلامي ، والتي انتهت بطرد المسلمين من الجزيرة ، وهذا الموقف أشد ما يكون شبها بما فعله المسلمون في الاندلس ، حيث تركوا الاقاليم الجبلية الشمالية ، ولم يعنوا باخضاعها تماما لنفوذهم اكتفاء بما ملكوا من باقى شبه الجزيرة ، ولجأ النصارى الى هذه النواحي فكانت هي النواة التي امتد منها نفوذ المسيحية فيما بعد وقوى حتى أدى أخيرا الى طرد المسلمين من الأندلس المسلمة بعد ثمانية قرون .

★ ★ ★

ومع ذلك فقد تم آنئذ فتح صقلية الذي بدأ منذ سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧م) وظلت صقلية تحت حكم المسلمين نيفا وسبعين ومائتي سنة هجرية رسخت أقدامهم فيها ، وأنشأوا امارة اسلامية جديدة تأصلت جذور الحكم الاسلامي فيها تأصلا شديدا ، وخطوا في تاريخها صفحة تعتبر من أزهى وأمجد صفحات تاريخ الاسلام والمسلمين خلال العصور الوسطى ، وعمرت حتى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١م) حيث تغلب (النورمان) على المسلمين ، وأصبح الكونت : (روجرين تنكريددى هوتفل) صاحب صقلية ، ووضع أساس دولة مسيحية فتية على أنقاض الدولة الاسلامية بالجزيرة .

اما الحديث عن « صقلية تحت حكم المسلمين » فموعدنا معه في المقال التالي بعون الله تعالى .

---

(١) المكتبة الصقلية ج ١ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٢) الكامل فى التاريخ ج ٦ ص ١٩ ، والبيان المغرب ج ١ ص ١١٠ .

(٣) دائرة المعارف البريطانية م ٢٠ ص ٦٠٩ ، ورمطة الى المغرب من مسينى (انظر خريطة — جزيرة صقلية) .

حول اجتهادات الخليفة عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

للأستاذ : محمود مهدي استانبولي

قام هذا الخليفة الراشد ، والحاكم العبقري بطائفة من الاجراءات الحكيمة التي ظنها بعض الناس اجتهادات منه ، جاءت خلاف نصوص الشريعة ، فأخذوا يؤولون ذلك بأن الخليفة عمر نظر الى علة النص لا الى ظاهره ، وبذلك فتحوا المجال للعبث بالشريعة والجرأة عليها تحت ستار التحري عن المصلحة ، والبحث عن علل وغايات النصوص دون ظواهرها (!!!) .

وقد سرت عدوى هؤلاء الى كثير من الشباب المثقف ، الذي أخذ يتهاون بنصوصها متخذا من صنيع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حجة له بزعمه .

وقد رأيت أن أبحث هذا الموضوع الخطير ، لأثبت للملأ أن هذا الخليفة الراشد لم يكن مجتهدا ، انما كان متبعا لنصوص الشريعة التي خفيت على كثير من الباحثين الذين كتبوا في هذا البحث الشائك . وسأنقل كلامهم وأرد عليه .

١ ـ قالوا : ان عمر منع سهم المؤلفة قلوبهم مع أن سهمهم مفروض بنصوص القرآن ، وأولوا ذلك بأنه ـ رضي الله تعالى عنه ـ نظر الى علة النص لا الى ظاهره ، فقد كانت علة اعطائهم تأليفهم واتقاء شرهم عندما كان الاسلام ضعيفا ، فلما قويت شوكة الاسلام زال الداعي الى اعطائهم .

أقول : ان هذا الخليفة فهم معنى لفظ المؤلفة قلوبهم محدودا بطائفة معينة من الناس ، فلما زالت أوقف سهمها ، بينما هذا السهم أوسع من ذلك فيما دلت عليه نصوص الأحاديث الكثيرة التي وردت حول سهم المؤلفة قلوبهم ، والتي بينت أصنافهم ، وقد شرح ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره فقال : « وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام منهم من يعطي ليسلم ، كما أعطى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين . وقد كان شهدها مشركا ، قال : فلم يزل يعطيني حتى صار أحب الناس الي بعد أن كا نابغض الناس الي . كما قال الامام أحمد : حدثنا زكريا ابن عدى ، حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال : أعطاني

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين ، وانه لأبغض الناس الي ، فما زال يعطيني حتى انه لأحب الناس الي . ورواه مسلم والترمذي من حديث يونس عن الزهري » .

ومنهم من يعطي ليحسن اسلامه ويثبت قلبه كما أعطى الرسول يوم حنين ايضا جماعة من صناديد الطلقاء واشرافهم مائة من الابل ، وقال : « انى لأعطي الرجل ، وغيره أحب الي منه ، خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم » . وفي الصحيحين عن ابي سعيد ان عليا بعث الى النبي بذهبية في تربتها من اليمن ، فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة وزيد الخير ، وقال : « اتألفهم » ومنهم من يعطي لما يرجى من اسلام نظرائه ، ومنهم من يعطي ليجبي الصدقات مما يليه ، أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد ، ومحل تفصيل هذا في كتب الفروع والله أعلم .

وهل تعطى المؤلفة قلوبهم على الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعبى وجماعة أنهم لا يعطون بعده ، لأن الله قد اعز الاسلام واهله ومكن لهم في البلاد ، واذل لهم رقاب العباد .

وقال آخرون : بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة ، وكسر هوازن ، وهذا أمر قد يحتاج اليه فيصرف اليهم أ هـ .

وعلى ذلك فلا يصح أن يقال ان عمر منع المؤلفة قلوبهم نصيبهم من الزكاة ، بل الصواب أنه انما منع من ليس من المؤلفة قلوبهم في فهمه هو ، ولذلك فلا يجوز ، أن يتخذ فعل عمر هذا مثالا للمنهاج الفقهي الواقعي ، والنظر الى علة النص ، لا الى ظاهره فليس في المسألة أكثر من فهم خاص لهذا النص القرآني .

ان سهم المؤلفة قلوبهم لو استخدمه المسلمون في ايام مجدهم وثرائهم لاشتروا به كثيرا من المرتزقة الذين يضللون اقوامهم أو يسكتون على ضلالهم لتتسنى لهم الحياة الرغيدة ، فلو وجدوها من المسلمين عن طريق هذا السهم لدخلوا في دين الله افواجا وادخلوا اقوامهم معهم ! .

ولو كان لي من الأمر شيء ، لجعلت سهم المؤلفة قلوبهم لتأليف كتاب الغرب وأدبائه وارباب صحفه ليثنوا على الاسلام ويدافعوا عنه ويحضوا اقوامهم لاعتناقه ! .

ومهما كان من اجتهاد الخليفة عمر رضي الله تعالى عنه ، فقد كان اجتهاده في فهم النص ، لا في تركه ، فله اجر الاجتهاد لقوله صلى الله عليه وسلم :

« اذا أصاب الحاكم فله اجران ، وان اخطأ فله اجر » ورحم الله تعالى الامام مالكا فقد قال :

« كلهم يرد عليه الا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » .

٢ ــ وقالوا : وكذا اجتهد عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين واكتفائه بتعزير السارق عن قطع اليد في عام المجاعة المسمى بعام الرمادة ، فاعتبر فيه شبهة عامة في أنهم كانوا يسرقون عن ضرورة .

اقول : ليس في عمل الخليفة عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين عام المجاعة اجتهاد منه ، فانه لا اجتهاد في مورد النص ، انما هو اتباع لنص قوله تعالى : « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه » وقوله سبحانه : (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) .

واستبعد لجوء هذا الخليفة الراشد حتى الى تعزير السارق المضطر ، ــ كما زعموا ــ وقد أعلن الله سبحانه بأنه (لا اثم عليه) .

٣ ــ وقالوا : وكذلك اجتهد عمر في منع تقسيم اراضي سواد العراق

على المجـاهدين الفاتحين لها الذين طالبوا بتقسيمها بينهم كما تقسـم الغنائم الحربية بعد تخميسها حسب نص قوله تعالى : (واعلموا أنمـا غنمتم من شيء فأن للـه خمسـه وللرسول ولذي القربى واليتامـى والمساكين وابن السبيل ..)

وقالوا أيضا وقد ذهب عمر الـى خلاف رأى هؤلاء المجاهدين ، فاعتبر الأراضي من الفيء الذي تتعلق بـه حقوق المسلمين عامة حاضرهم وآتيهم رعاية لمصلحة الأجيال وحقوقها في بيت المال ، وفقا لما ينبيء به النظر السديد الـى مجمـوع النصـوص القرآنية لا الى بعضها دون بعض .

فأبقى — لذلك عمـر الأرضـين لأهلها وطرح عليها ضريبة الخراج ، لأن ذلك أصلح لاحيائها ، وأعم وأدوم لنفعها .

وقالوا أيضا :

وقد ثبت في السنة أنه عندما فتح النبي — صلى الله عليه وآله وسلم — خيبر ، وقد فتحت عنوة لا صلحا ، ونزل أهلها اليهود والمحاربون علـى حكم الجلاء — عـدت أراضيها مـن الفيء ! وعزل النبي نصفها ، فتركه للنوائب والنوازل ، وقسم الباقي بين المسلمين : —

اقول : من الغريب أن يزعم هؤلاء ، أن عمر اعتبر اراضي سواد العراق من الفيء ، كأن المسالة كيفية !! وقد فتحت عنوة بايجاف الخيل وصولة الجيش في المعارك الحربية ، واغرب من ذلك أن يزعموا أن الرسول صلى اللـه عليه وآله وسلم نفسه اعتبر أيضا أراضـي خيبر من الفيء ! وقد فتحت عنوة !!

ما أبعد الفرق بين توزيع أموال الغنائـم وأموال الفيء ، وقد ذكرنا سابقا آية توزيـع الغنيمة ، وها نحن اولاء نذكر آية تعريف الفيء وطريقة توزيعه :

« وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . مـا افاء الله على رسوله من أهل القرى فللـه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنيـاء منكم » .. (الحشر) .

فهل يتصور العقل أن يعتبر عمر أراضـي العراق من الفيء وقد فتحت عنوة وحربا ؟!.

أم هل يتصور العقل أيضا أن يعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام أراضي خيبر فيئا ، وقد فتحها بالحرب والقتال ؟!.

ان هؤلاء لما رأوا عدم توزيـع أراضـي العراق وخيبر حسب آية الغنائم لجأوا الـى هذه التأويلات ، زاعمين أنها اجتهادات مـن عمر ! .

ومن المؤسف أن هؤلاء المدعين لجأوا الـى تتمة آية الفيء في سورة الحشر السابقة لاثبات دعواهم وهي : « للفقراء والمهاجرين الذيـن أخرجوا من ديارهم .. الخ « والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم » الخ..« والذين جاءوا من بعدهم .. » وزعموا بأن الخليفة عمر بعد تلاوة قوله تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم » قال للمجاهدين الذين طلبوا توزيع الأراضي :

« ما أرى هذه الآية الا عمت الخلق كلهم حتى الراعي بكداء .. » .

ومن الغريب أن الحشر جاءت كلها في الفيء فكيف يعقل أن يحتج بها الخليفة عمر لرد طلب المجاهدين في توزيع الأراضي التـي فتحـت عنوة ؟!.

والصواب أن هذا الخليفة انما استشـار المسلمين في طريقة توزيع أموال الفـيء ، لا أموال الغنائم .

جاء في كتاب « الدر المنثور في التفسيـر بالمأثور » للسيوطي . أخرج ابن أبي شيبـة وابن مردويه والبيهقي عن زيد بن أسلم عـن ابيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول اجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه . ثم قال لهم : اني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال فتنظروا لمن ترونه ؟ واني قرأت آيات من كتاب اللـه ، اقلقتني : سمعت الله — تعالى — يقـول : (ما أفاء الله على رسوله — الى قولـه — والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعـل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم) والله ما هو لهؤلاء وحدهم ، « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا » — الى قوله : « رحيم » — والله ما أحد من المسلمين الا له

حق في هذا المال اعطى منه أو منع منه حتى راع بعدن .. وقسم عمر ذات يوم من المال فجعلوا يثنون عليه ، فقال : ما أحمقكم ! لو كان لي ما أعطيتكم درهما ! أ هـ .

ومما سبق ندرك أن اجتهاد عمر — رضي الله تعالى عنه — كان في طريقة تقسيم الفيء لا الغنائم خلافا لما نكره من نحن بصددهم .

نعود بعد هذه التوطئة الى الكلام على حجة الخليفة عمر في عدم توزيع اراضي العراق على المحاربين نقلا عن الامام ابن القيم رحمه الله تعالى ومنه ندرك ونتحقق أن هذا الخليفة لم يكن مجتهدا ، خلافا للنص ، انما كان متبعا للنص النبوي .

جاء في كتاب زاد المعاد :

« .. والامام مخير في ارض العنوة بين قسمها ، ووقفها وقسم بعضها ، ووقف البعض ، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأنواع الثلاثة : فقسم قريظة والنضير — اي على المحاربين — ولم يقسم مكة . وقسم شطر خيبر ، وترك شطرها (١) .

فيكون عمر بن الخطاب — رضي الله تعالى عنه — اختار في اراضي العراق ما فعله الرسول في مكة .

وقد يعترض على هذا الكلام معترض ، فيقول ان مكة لم تفتح عنوة ، وهذا الاعتراض مردود ! .

قال الامام ابن القيم :

والذي يدل على أن مكة فتحت عنوة وجوه : احدها انه لم ينقل احد قط ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم صالح اهلها زمن الفتح ، ولا جاءه أحد منهم صالحه عن البلد ، وانما جاءه أبو سفيان ، فأعطاه الأمان لمن دخل داره ، او أغلق بابه أو دخل المسجد أو القى سلاحه .

ولو كانت قد فتحت صلحا لم يقل : من دخل داره أو أغلق بابه أو دخل المسجد فهو آمن ، فان الصلح يقتضي الأمان العام . والثاني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانه أذن لي فيها ساعة من نهار ، وفي لفظ أنها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدى ، وانما أحلت لي ساعة من نهار ، وفى لفظ فان احد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقولوا : « ان الله اذن لرسوله ، ولم يأذن لكم » وانما اذن لى ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس » .

وهذا صريح في أنها فتحت عنوة ، وأيضا فانه ثبت في الصحيح أنه جعل يوم الفتح خالد بن الوليد على المجنبة اليمنى ، وجعل الزبير على المجنبة اليسرى وجعل أبا عبيدة على البيادقة وبطن الوادي .. وأيضا فان أم هانىء أجارت رجلا ، فأراد على ابن أبي طالب قتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » وايضا ففي السنن باسناد صحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يوم الفتح قال : أمنوا الناس الا امرأتين وأربعة نفر اقتلوهم ، وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة والله أعلم (٢)

أكتفي الآن بهذا القدر ، آملا ان أكون وفقت لاقناع الذين كتبوا في اجتهادات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، الى مبلغ حرص هذا الخليفة الراشد على نصوص الشريعة وتمسكه بها ، وقد كان اجتهاده ينحصر في تقديم نص على آخر رأى فيه مصلحة للمسلمين .

وفي ذلك بلاغ لمن كان له قلب ، أو القى السمع وهو شهيد .

---

(١) ٢/١٣٧ باختصار .

(٢) زاد المعاد ٢/٦٩ — ٧٠ باختصار .

مؤتمر المستشرقين

الدكتور محمد عبد الرؤوف
مدير المؤسسة الاسلامية بنيويورك

اكتب هذا من جامعة « متشيجن ــ Michigan » الكائنة بمدينة « آن آربر ــ Annarbar » التى تبعد عن مدينة « نيويورك » نحو سبعمائة ميل ، فقد عقد بهذه الجامعة الدورة السابعة والعشرون لمؤتمر المستشرقين العالمى لمدة أسبوع بدأت يوم الاحد الثالث عشر من شهر اغسطس ١٩٦٧ .

ولأول مرة يعقد مؤتمر المستشرقين فى أمريكا ، وهذا يعكس مبلغ التطور العظيم الذى وصلت اليه الدراسات الشرقية من اسلاميات وغيرها بالولايات المتحدة الامريكية ، ولم يعقد المؤتمر خارج أوربا منذ تأسس فى القرن الماضى وعقد اجتماعه الاول فى باريس بفرنسا عام ١٨٧٣ الا ثلاث مرات ، هذه المرة حيث عقد فى حرم هذه الجامعة الامريكية ، ومرتين قبلها ، احداهما حين عقد بالجزائر عام ١٩٠٥ والاخرى حين عقد فى مدينة « نيودلهى » بالهند عام ١٩٦٤ .

وقد حضر المؤتمر فى هذه الدورة ممثلون من أكثر من خمسين دولة ، وبلغ مجموعهم اكثر من الفين وخمسمائة من شرقيين وشرقيات ، ومستشرقين ومستشرقات ، وذلك رغم تخلف عدد كبير ممن كان مزمعا الحضور وتأخر فى آخر لحظة ، من بين هؤلاء الوفد السوفيتى ووفد الصين الشيوعى ووفود بعض البلاد الاخرى .

وكان المسئول عن تنظيم هذه الدورة « جمعية المستشرقين الامريكية » The American Oriental Sociely و « جمعية الدراسات الاسيوية - The asso ciation for asian studies » وتلقت الهيئة المنظمة للمؤتمر مساعدات مالية من حكومة الولايات المتحدة ومن بعض المؤسسات

المالية والاقتصادية والثقافية بأمريكا ، فأعانها ذلك على تيسير الحضور على الراغبين من العلماء من الخارج فنظمت طائرات خاصة احضرتهم الى مقر الاجتماع من أوربا والشرق الاقصى بأجور زهيدة للغاية ، ونزل جميع القادمين من خارج أمريكا ضيوفا عليها أثناء مدة انعقاد الدورة . وقد أنزل هؤلاء وغيرهم من العلماء الامريكيين والعلماء المقيمين بامريكا ممن اشترك فى المؤتمر فى مساكن الجامعة ، وقدمت لهم الوجبات ، وقد اتبع فى ذلك اسلوب أمريكى مبسط وعملى ، فكان اذا حان وقت الطعام دخل السادة العلماء صفوفا وجمع كل منهم أطباق طعامه وحملها الى مائدة ليجلس عليها ، فاذا فرغ اعادها بنفسه الى حوامل خاصة تجمع عليها .

وجامعة « متشيجن » التى رحبت بعقد المؤتمر فى رحابها تعتبر احدى الجامعات الامريكية ذات الشهرة العالمية ، وقد مضى على تأسيسها مائة وخمسون عاما ، والمدينة التى توجد بها هادئة وتكثر بها الاشجار والزهور ، ويضفى ذلك على الجامعة ومنشآتها جوا من الهدوء الشامل مما يساعد على التركيز وصفاء الذهن ، ويمكن من التركيز والتفرغ للدراسة والبحث العلمى ، لذلك كان اختيار هذه الجامعة مقرا لعقد هذه الدورة للمؤتمر اختيارا مناسبا . ومع ذلك فقد حرصت الهيئة التى نظمت المؤتمر على أن تمكن العلماء المشتركين فى هذه الدورة القادمين من اقطار خارج أمريكا من زيارة كل من واشنطون ونيويورك فنظمت لهم جميعا رحلة لمدة ثلاثة أيام فى كل من المدينتين . وكان مما شرح صدرنا فى جامعة « متشجين » نشاط جمعية الطلاب المسلمين بها ، فقد يسروا لنا الاجتماع لأداء فريضة الجمعة كما أقاموا حفلا شائقا للمشتركين من علماء المسلمين فى المؤتمر .

ولكلمة الاستشراق فى اذهاننا معشر المسلمين صدى يرتبط بمعانى التعريض بالاسلام والطعن عليه ومحاولة تشويه تعاليمه السليمة . واننا لمعذورون فى ذلك ، فقد اقترنت حركة الاستشراق بحركة الاستعمار الغربى والتبشير بالدين المسيحى بين المسلمين ، واتخذت دراسة الاسلام وتاريخه وفلسفته ولغته ذريعة للوصول الى أعماق جماعات المسلمين والدخول بينهم ومحاولة التأثير على الضعاف منهم واستخدمت فى نفس الوقت لتشويه سمعة الاسلام والاساءة الى كتابه المقدس والطعن على رسوله الكريم .

ولكن هناك ملاحظة يحسن أن نذكرها ، وهى أن كلمة الاستشراق لا تقتصر على تخصص الباحث فى دراسة الاسلام والعربية ، ولكنها تعنى التخصص فى دراسة حضارة من الحضارات الشرقية ، فهناك مستشرق متخصص فى حضارة الاسلام ، وآخر متخصص فى دراسة حضارة الصين ، وثالث متخصص فى حضارة الهند ، وغيرهم متخصص فى حضارة عالم الملايو ، وهناك غيرهم وغيرهم ، لذلك اذا أنت قلبت صفحات الكتاب الذى يحتوى على برامج هذه الدورة للمؤتمر لوجدته موزعا على شعب عشرة هى كما يلى :

شعبة الحضارات القديمة بالشرق الادنى ، شعبة العالم الاسلامى والشرق الادنى ، شعبة جنوب آسيا فى العصور القديمة ، شعبة جنوب آسيا فى العصر الحديث ، شعبة جنوب شرقى آسيا ، ثم شعبة الصين وحضارتها فى العصور القديمة ، وشعبة الدراسات الصينية فى العصر الحديث ، وشعبة الدراسات اليابانية ، وشعبة الحضارات فى وسط آسيا وشعبة دراسات الحضارة الكورية . وتتناول الدراسات فى كل واحدة من هذه الشعب كل ما تتصوره من نواحى العلوم والدراسات تاريخية ومعمارية وفنية ولغوية ودينية وفلسفية وغيرها . فالدراسات فى الشعبة

الاولى مثلا تتناول الحضارة المصرية القديمة بجميع فروعها والحضارات البابلية والآشورية والفينيقية واللغات السامية الى غير ذلك .

فالمستشرق هو الاوربى الذى يعنى بدراسة فرع من هذه الفروع أو حضارة من هذه الحضارات فالمستشرق غربى أوربى رجلا أو امرأة يتخصص فى دراسة حضارة من حضارات الشرق الاقصى أو الشرق الادنى ، ولا يطلق اللفظ عادة على من يتخصص فى دراسة احدى هذه الحضارات من أهل الشرق ، فهم شرقيون أصلا لا اكتسابا ، وان كان هناك الآن اختلاط وتعاون بين العلماء فى هـذه النواحى الدراسية وتلاق بينهم فى المحافل والمؤتمرات العلمية بصرف النظر عن البلد الذى جاء منه العالم أو الجنس الذى ينتسب اليه .

وهناك ملاحظة أخرى ، هى أن المستشرق الاسلامى ، أى العالم الغربى الذى يتخصص فى دراسة علوم الاسلام والعربية ، وان كان موضع الريبة منا معشر المسلمين ، كان له جهد فى احياء التراث العربى ونصيب غير قليل فى استخدام الاسلوب العلمى وأدواته الفنية الحديثة فى دراسة الحضارة الاسلامية واللغة العربية ، فان المستشرقين هؤلاء استطاعوا بفضل ما لديهم من ثروات وصلات ووسائل وتيسيرات مادية وأدبية ـ استطاعوا أن يبعثوا من ذخائر الكتب والبحوث التى خطها أسلافنا الامجاد ما زاد فى ثروتنا العربية الاسلامية الى حد مرموق ، كما أنه كان من بينهم من وضع الفهارس وبوبها ونظمها ، ويسر على الباحثين عملهم ، ووضع الخطة لمن جاء بعدهم ، فنسج على منوالهم ، وزاد على ما أنتجوا مادة واتقـانا ودقة ، وكان منهم كذلك من أبرز بعض نواحى المجد فى تاريخنا العريق وثقافتنا الشاملة . ولكننا مع ذلك نحذر من المغالاة والتورط ، ونحذر من أن تعمينا غمرة التقدير لمـا أنتجه هؤلاء عن فضل أسلافنا أو نتجـاهل يد المنتجين فى الميدان من علمائنا العرب ومحصولهم العظيم كما وكيفا وأسلوبا ، وأن هذه اليد التى أسـداها بعض المستشرقين كانت فى الاعم الاغلب نتيجة لتحقيق أهداف ترجع لصالحهم أو لاشباع رغبـات تتعلق بهم ، فما كان هدفهم الدفاع عن حوزة الاسلام أو بيان سلامة عقيدته وصلاح مبادئه ، وما قصـدوا انماء ثروة العربية أو احياء مجد العروبة ، كما أن غير القليل من الاجيـال العربية التى عاصرت حياة الاستشراق وتعاصره كان لهم ما يضارع فضل هؤلاء أو يفوقه فى مجالات البحث والتاليف والانتاج فى أسلوب علمى وذوق أدبى مع تجنب التعصب ، والسعى وراء الحق من أجل الحق .

وفى كل دورة يختار رئيس للمؤتمر وأمين عام له من بين العلماء فى البلد الذى تعقد فيه الدورة وقد اختير الاستاذ « نورمان براون » رئيسا لهذه الدورة ، والاستاذ « رسيل فايفيلد » أمينا عاما ، والاول أستاذ بجامعة « بنزلفانيا » تقدمت به السن ، وهو مستشرق عالمى معروف وذو انتاج عظيم فى حقل الدراسات الهندية ، أما الآخر فهو أستاذ بجامعة « متشجين » وله انتاج خصب فى مجال حضارة جنوب شرقى آسيا ، وللمؤتمر لجان وهيئات من أهمها اللجنة الاستشارية ، ويسرنا أن نذكر أن من بين أعضائها الاستاذ محمد خلف الله أحمد العالم الاسلامى والاديب العربى المعروف ، وكان لكل شعبة من الشعب الدراسية التى تحدثنا عنها رئيس يتولى الاشراف عليها وتنظيمها ، وكان رئيس الشعبة الاسلامية فى هذه الدورة الاستاذ ج. أ. فون جرونباوم وهو أستاذ بجامعة « كاليفورنيا » وله مؤلفات وبحوث عدة عن الاسلام منها كتاب عن الاعياد الاسلامية وآخر بعنوان « الاسلام فى القرون الوسطى » وثالث بعنوان « الاسلام الحديث » .

وقد بدأ المؤتمر بجلسة افتتاحية عقدت فى اليوم الاول بالقاعة الكبرى بالجامعة التى اكتظت بالمؤتمرين ، وقد حيا فيها مدير الجامعة المؤتمر ورحب بعلمائه ، وخير ما ألقى فى هذه الجلسة خطاب رئيس الدورة السابقة الاستاذ « همايون كبير » العالم الهندى المعروف ، فقد ذكر العلماء بواجبهم نحو الانسانية والعمل على التقريب بين وجهات النظر ، وذكر أن أسباب الحروب والمنازعات ترجع الى خوف الاقليات من الاكثرية وحرص الاكثرية على المميزات التى تتمتع بها وخوفها من التحلل نتيجة لتحدى الاقليات ، وأرجع عوامل الانقسام فى المجتمع البشرى الى اختلاف اللون أو الدم أو اللغة أو الدين أو المذاهب السياسية والاقتصادية ، ثم ناقش هذه العوامل بايجاز وبين أن عوامل الوحدة الانسانية أقوى من أسباب الاختلاف ، واستشهد بما صنع الاسلام لعدد كبير من القرون من استيعاب جميع العناصر التى قبلت هذا الدين على اختلاف لغاتها وألوانها واقطارها وتجاربهـا التاريخية ، فوحد جماعاتها وسوى تماما بينها . وهيأ جوا تسوده العدالة والسلامة والأمن والاستقرار .

ثم بدأت الشعب الدراسية وحلقاتها اجتماعاتها فى المواعيد والاماكن التى خصصت لكل منها وكانت الحلقات تعقد جلستين كل يوم طول كل منهما ساعتان ونصف ، تبدأ الاولى فى التاسعة والنصف صباحا والاخرى فى الثانية والنصف بعد الظهر ، وفى المساء كان هناك أنواع أخرى من النشاط والاستقبالات ، وكان من أطرف هذا النوع من النشاط المسائى أن شاهدنا شريطا سينمائيا طويلا عن حفريات أجريت فى جنوب الجزيرة العربية فى أوائل الخمسينيات أسفرت عن اكتشافات تاريخية علمية هامة . وسار الامر على هذا النهج حتى انتهى المؤتمر بعقد جلسة ختامية أعلن فيها فض الدورة وتليت فيها بعض القرارات وتحدث فيها بعض الاعضاء بالشكر للهيئة التى أشرفت على تنظيم المؤتمر لمـا بذلوا من جهد وما قدموا من ترحيب ، وقد بعث الرئيس « جونسون » رئيس حكومة الولايات المتحدة برسالة حيا فيها المؤتمر ، كما بعث « أوثانت » السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة رسولا ألقى خطابا باسمه فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر .

ولم تكن كل شعبة من الشعب التى ذكرناها تجتمع كلها معا ، وانما قسمت كل شعبة الى اقسام أو حلقات دراسية قد يكثر عددها أو يقل ، ولقد كانت الحلقات الدراسية التى قسمت اليها الشعبة الاسلامية أكثرها عددا ، فلقد اشتملت على الحلقـات الآتية « الشرق الادنى فى العصر الحديث ، الادب الفارسى ، اللغة العربية ، الادب العربى ، تاريخ الشرق الادنى ، التاريخ الاسلامى، القيم الاسلامية ، الجغرافيا التاريخية ، المجتمع والادارة فى عهد العثمانيين ، الفن والعمارة فى الشرق الادنى ، الفقه الاسلامى ، الاقتصاد ومشكلة السكان ، الادب التركى العثمانى ، روسيا والاتراك ، الدين الاسلامى ، القرنان الثـامن عشر والتـاسع عشر فى الشرق الادنى ، تاريخ العثمانيين ، التجارة ، الدراسات الاسلامية ، تركيا فى القرن التـاسع عشر والقرن العشرين ، المؤلفات فى التاريخ الاسلامى » .

وقد عقدت كل واحدة من هذه الحلقات عددا من الجلسات ألقى فى كل منها عدد من البحوث ونوقشت ، وقد تناولت الموضوعات النواحى التربوية والاقتصادية والسياسية والفلسفية والدينية والاجتماعية ، ومست نظام المدنية الاسلامية والقيم الخلقية والنقد الادبى والفرق والمذاهب وموضوع الوحى وعلاقته بالتشريع والتصوف والموسيقا واللهجات العربية واللغات العامية ، واشتملت على تحقيقات تاريخية ودراسة لبعض الشخصيات الاسلامية وعلى مقالات عن اللغات التركية والـكردية والفارسية . ويلاحظ أن هناك تداخلا بين الكثير من الحلقات التى قسمت اليها الشعبة الاسلامية ، ولكن يبدو أن المنظمين لهذه البرامج قسموا البحوث التى تلقوها الى مجموعات ، ثم اختاروا عنوانا

مناسبا لكل مجموعة منها فجعلوه حلقة خاصة بغض النظر عن صلاحية عنوان عام قد يندرج تحته عدد من هذه الحلقات .

ونتيجة لكثرة عدد هذه الحلقات وتعدد جلسات كل منها ، فان عددا منها كان يجتمع فى وقت واحد ، فكان عليك أن تدرس البرامج مقـدما وتتعرف على موضوعات البحوث التى ستلقى وعلى مواعيدها ومكانها ، ثم تختار لنفسك ما تشاء ، وكان يحدث طبعا أن تجد عددا من الموضوعات تغريك كلها بالحضور ولكن قد حدد لها موعد واحد ، فتكون مضطرا لاختيار ما تراه أفضل لنفسك واقرب الى هواك .

وكانت الانجليزية هى اللغة المتداولة فى المؤتمر ، ولكن القى قليل من البحوث باللغة الفرنسية وعدد آخر بالالمانية ، وألقى حديث أو حديثان باللغة العربية .

وقد عقدت حلقة خاصة مفيدة عن مشكلة تعليم اللغة العربية تحت رعاية « جمعية معلمى اللغة العربية بالجامعات الامريكية » نوقشت فيها الجهود التى تبـذل لتبسيط تعليم اللغة العربيـة فى الجامعات الغربية والخطط التى توصلت اليها هذه الجماعة ومنها اختيار مجموعة من المفردات الهامة لتعلم فى المرحلة الاولى ، كما نوقشت مشكلة استعمال المصطلحات العربية فى تدريس القواعد العربية ، وكان هناك اتجاه عام نحو ايثار استعمال المصطلحات العربية دون اللجوء الى مقابلهـا فى اللغات الاجنبية الا عند الحاجة .

وكان من أمتع الحلقات تلك التى دار البحث فيها حول ما يسمونه « اللغة العربية الحديثة » وحول اللغات العامية وخصائصها ، وهناك اتجاه فى أمريكا وبعض الجامعات الاوربية للمبالغة فى أهمية اللهجات العامية والعناية بتدريسها باعتبارها « اللغة المستعملة » ، فهنـاك دراسة خاصة باللغة المصرية ، وأخرى باللغة التونسية ، وثالثة باللغة المغربية .. وهكذا وهكذا . ولكن هناك حركة مقاومة لهذا الاتجاه يتولاها بعض الاساتذة من العرب الغيورين على لغتهم الفصحى والذين يتوجسون خيفة مما قد يكون وراء هذا الاتجاه من نوايا استعمارية تهدف الى توسعة الفجوة بين الفصحى والعامية من جانب ، وتمزق الوحدة العربية التى تقوم على وحدة اللغة كدعامة من دعائمها من جانب آخر .

ومن المظاهر التى شرحت الصدر كثرة عدد العلماء العرب الذين اشتركوا فى هذه الدورة للمؤتمر وكثير منهم يشغلون مناصب علمية هامة فى الجامعات الامريكية والاوربية ، على أن اهتمام العلماء العرب بالاشتراك فى هذا المحفل العلمى الكبير ليس جديدا ولا مستحدثا، وانما يسير الجيل الحاضر من علمائنا على سنة سلفهم الابرار الذين أبدوا اهتماما ظاهرا به منذ البداية ، ولو تيسر كتابة بحث مستقل يستعرض فيه اشتراك العلماء العرب فى هذا المؤتمر العلمى العالمى منذ دوراته المبكرة حتى الآن مع تلخيص لمـا أسهموا به من بحوث ودراسات لكان ذلك بحثا مفيدا وممتعا ، ولعل الوقت يسمح بذلك فى المستقبل غير البعيد ، ومع ضيق المقام لا يفوتنا أن نشير هنا بمناسبة ذكر اللهجات والخصومة نحو الاهتمام بالعامية الى بحثين تقدم بهما عالمان عربيان للمؤتمر فى القرن المـاضى منذ أكثر من ثمانين سنة .

كتب البحث الاول المرحوم « حفنى ناصف » وقدمه للدورة السابعة للمؤتمر التى عقدت بمدينة « فينا » عام ١٨٨٦ بعنوان « مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك » . وهو بحث جيد للغاية ، يتلخص فى أن اختلاف اللهجات المعاصرة تعكس الاختلاف فى لهجات القبائل العربية التى نزحت من الجزيرة بعد الفتح الاسلامى واستقرت بالبلاد المفتوحة ومن ذلك قد يمكننا التعرف على كيفية تفرق القبائل العربية من قريش وغيرها بين مختلف الاقطار ، فيقارن مثلا بين أهل المنيا وأهل بني سويف من صعيد مصر في النطق بحرف القاف وبين اختلاف طريقة النطق

بهذا الحرف بين البلدين مع ما بينهما من جوار واختلاط ، فاحدى الناحيتين تنطقها قافا خالصة والاخرى مشوبة بالكاف ، وبما أن قريشا كانت تنطقها قافا خالصة وغيرها يشوبها بالكاف ، فاستنبط من ذلك أن العرب الذين استوطنوا بنى سويف كانوا من قريش ونسب اليهم أيضا الجهات التى تنطق بالقاف صريحة من الديار المصرية كأهل الفيوم وبلبيس وغيرهما من النواحى ، ونسب من ينطق بالقاف مشوبة بالكاف كسكان الشرقية وسائر أهل الصعيد الى قبائل غير قرشية ، ويشتمل البحث على ملاحظات وفوائد أخرى كثيرة ممتعة .

وأما البحث الثانى الذى نود الاشارة اليه هنا فقد تقدم به المرحوم « أمين فكرى » فى الدورة التالية للمؤتمر التى عقدت بمدينة « استكهلم » عام ١٨٨٩ م ، وكان رئيس الوفد المصرى لدى هذه الدورة والده المرحوم « عبد الله باشا فكرى » الذى قدم بحثا آخر عن شعر حسان بن ثابت ، وكان من بين أعضاء هذا الوفد المرحوم « الشيخ حمزة فتح الله » الذى قدم بحثا بعنوان « باكورة الكلام على النساء فى الاسلام » ، أما البحث الذى قدمه « محمد أمين فكرى » فكان عنوانه « نبذة فى أبطال رأى القائلين بتعويض اللغة العربية الصحيحة باللغة العامية فى الكتب والكتابة » وقد أشار اليه الاستاذ محمد خلف الله فى حديثه الذى ألقاه فى هذه الدورة الاخيرة للمؤتمر وقد حضر ممثلا للجامعة العربية ، كما أشار اليه أيضا فى كتابه « معالم التطور الحديث فى اللغة العربية وآدابها » وقد حاول أمين فكرى فى دراسته هذه بنجاح أن يفند زعم القائلين بأن اللهجات العامية أصبحت لغات مستقلة فى ذاتها بعيدة من العربية الفصحى الاصيلة ، وأنها أصبحت كافية ووافية ، وأن الاصرار على استعمال الفصحى فى العلوم والدراسات كان عاملا فى تأخر نهضة البلاد العربية لعجز هذه اللغة عن الوفاء بحاجة العلوم والمواد من مصطلحات وعبارات ، وقد أثبت مبلغ قرب الفصحى من آذان العرب وقلوبهم ، وأنها وحدها مفهومة وواضحة الدلالة للعربى أينما استقر سواء كان فى أقصى الغرب أو فى أدنى الارض ، أما العامية ـ وهى متغيرة وغير ثابتة ـ فليست مفهومة ولا يتـأتى استخدامها فى كل مكان ، واستشهد على ذلك بالامثلة ، كالعبارات المختلفة المقابلة للعبارة الفصيحة « كيف حالك ؟ » فى مختلف البلاد العربية ، وشرح كيف أن العبارة العامية مفهومة حيث تستعمل فحسب لا خارج البلد الذى تستعمل العبارة فيه ، بينما اذا استعملت العبارة الفصيحة كنت مفهوما أينما كنت ، وساق أمثلة أخرى مماثلة ، أما الزعم بأن هنالك صعوبات فى استخدام الفصحى وحدها فى العلوم والفنون والكتابة فرد عليه بأن هنالك صعوبات أشد وأقسى اذا نحن حاولنا استخدام العامية فى ذلك ، ثم خلص من ذلك كله بأن اللغة العربية الفصيحة هى السبيل لتقدم العرب فى جميع أحوالهم .

ونختم الحديث بسياق قول المرحوم حفنى بك ناصف فى رثاء صديقه الشيخ حمزة فتح الله مشيرا الى رحلاته للاشتراك فى مؤتمـر المستشرقين وكان الشيخ حمزة يحتفظ بزيه الشرقى غير المألوف فى بلاد أوربا فكان يثير بجلاله وهيبته اعجاب الناس فكانوا يبادرون الى تصويره ويستفسرون عنه يحسبونه أميرا جاء من الشرق ، فقال حفنى بك ناصف فى ذلك :

سـعى من الشرق يبغى خير مؤتمـر
فى الغـرب محتقبـا ما شـاء من أهب

كم فى « فينـا » وفى « استكهلم » صوره
مصـور القـوم عن بعـد وعن كثب

وكم أحاط بنـا جمع يسـائلنا
من كل منجـذب فى اثـر منجـذب

مليـك أى بـلاد ذاك ؟ قلت لهـم
هـذا الامـام مليـك العـلم والأدب

نظرات تحليلية في القصة القرآنية

فتية آمنوا بربهم

للأستاذ محمد المجذوب
المدرس في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

روى الامامان أحمد ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث عن قتادة قوله صلى الله عليه وسلم (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) وعن أبي سعيد الخدري وصححه الحاكم قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين » . وهناك أحاديث عدة في الموضوع ، وإن لم تبلغ درجة الصحيح ، فهي مع ما صح من الأخبار تشد النظر بقوة الى أهمية هذه السورة ، وبالتالي تدفع المفكر الى التأمل طويلا في طواياها ، ليستطيع الجواب على هذه الأسئلة : لماذا خصت سورة الكهف بهذا الفضل ؟ .. لماذا كان لها هذا الأثر في عصمة المؤمن من أكبر الفتن ؟ .. ما السر في صيانتها للمؤمن من ظلمة الزيغ ما بين الجمعتين .. لماذا ؟ .. ولماذا ؟ ..

بهذه الحوافز وجدتني مدفوعا الى تلاوة السورة بروح جديدة ، وعلى صورة أكثر دقة مما ألفت ، كالذى يقع على مخطط يحدد مكانا لكنز عظيم ، فيمضى مع اشارته حتى يصل الى طلبته !.. وهاأنذا أعرض لأذن السامع ، وعين القارىء بعض ما وفقني الله اليه من هذا الخير ، الذي أرجو أن يساعدهما على أن يستكشفاه بنفسيهما ، ليقرءا ما يقرآن وهما على نور من ذلك النور ، الذي وصفه منزله الحكيم بقوله الكريم : « كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور .. »

وطبيعي أن أقتصر من السورة على الجانب القصصي ، انسجاما مع موضوع الأحاديث ، ففيه ما يكفي لاثارة شهوة المعرفة في نفس القارىء والسامع فلا يكتفيان مختارين بما اكتفيت به مضطرا ، بل يكون ذلك حافزا لهما على تتبع الجوانب الأخرى حتى يظفرا بالحظ الوفير من ذلك الكنز الالهي الكبير .

لقد ساق الله تبارك وتعالى في سورة الكهف عددا من الأمثال والقصص متفاوتة الحجم ، ولكل منها مغزاه المثير ، وايحاؤه البعيد ..

فهناك قصة أصحاب الكهف التي بها سميت السورة ، ثم قصة صاحب الجنتين ، ثم قصة موسى والخضر ، وأخيرا قصة ذي القرنين .. ونبدأ الآن بأولى هذه الأربع ، فهي تبدأ من الآية الثامنة وتستمر حتى السادسة والعشرين وهي أحد الأجوبة الثلاثة على الآسئلة التي جاء بها كفار قريش عن أحبار اليهود ، ليمتحنوا بها ــ في زعمهم ــ صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وخلاصة القصة أن فتيانا من المؤمنين قد هداهم الله الى الحق ، فخرجوا على شرك قومهم ، ثم هربوا بدينهم من الفتنة فلجأوا الى غار في أحد الجبال ، وهناك القى الله عليهم وعلى كلبهم معهم النوم لعدة ثلاثمائة وتسع سنوات قمرية ولما شاء سبحانه وتعالى أن يظهر أمرهم ردهم الى اليقظة ، فجعلوا يتساءلون بينهم عن الزمن الذي استغرقه نومهم ، فلم يزيدوا في تقديره عن يوم أو بعض يوم .. ثم ارسلوا أحدهم الى المدينة ليأتيهم بطعام يسدون به جوعهم ، وأوصوه بالتخفي والتلطف حذرا من أن يطلع قومهم المشركون على أمرهم فيوقعوا بهم ، أو يكرهوهم على العودة الى ملتهم التي أنقذهم الله من ظلماتها .. ولكن سرعان ما تنبه الناس الى أمرهم ، وبذلك تتم العبرة التي شاءها الله من هذه الأعجوبة ، وهى توكيد وعد الله بامكان البعث بعد الموت ، ليستعد عباده لأداء الحساب على ما كسبت أيديهم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم .. ثم تنتهي القصة بموت الفتية واقامة مسجد على قبورهم ..

ولكي نلم بموحيات القصة يحسن بنا أن نرجع الى بعض التفاصيل التي أوردها ثقات المفسرين ، فقد أجمع العديد من مفسري السلف والخلف على أن هؤلاء الفتية كانوا من علية القوم جاها ونفوذا ، وقد امتازوا كما يفهم من سياق القصة بشيء غير قليل من النباهة والثقافة ، والتطلع الى الحق ، مما أفضى بهم الى التحرر من ضلالات الشرك ، الذى وجدوا عليه قومهم .. وهكذا جمعتهم وحدة الاتجاه فاتخذوا لأنفسهم مكانا يعبدون اللهفيه سرا ، ولكن أمرهم لم يلبث أن انكشف ، ووصل الى الملك الغاشم فاستقدمهم واستجوبهم ، وحاول جاهدا ثنيهم عن طريقتهم المثلى ، ولما يئس من استجابتهم خلع عنهم حلاهم وجردهم من مراتبهم ، ثم أعطاهم مهلة يراجعون خلالها عقولهم ، فاما أن يثوبوا الى دينه ، أو يستقبلوا الموت جزاء على تمردهم ! .. وفي هذه الأثناء وجدوا فرصة للفرار من الفتنة ، فلجأوا الى ذلك الكهف الذي شهد بقية أحداثهم ! ..

وسنتمتع أثناء تلاوة القصة الالهية بصور تتجاوز حدود الروعة فى عرض رعاية الله للفتية ، وموضعهم من الكهف ، وحالة كلبهم ومكانه ، وترتيب انسياب الأشعة الى مهجعهم .

لقد شاءت حكمة الله أن يكون باب الكهف من نحو الشمال ، ليتاح للشمس أن تمدهم من ضوئها وحرارتها بالقدر الضروري ، للحفاظ على عملية الحياة فى أجسامهم ، وذلك قبيل الزوال وبعده ، ولو انحرف الباب الى أى اتجاه آخر لاختل التوازن ، ولاستحال بالتالي استمرار الحياة : (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) .

وأحكم وضع اجفانهم على نحو يساعد على مرور الهواء على الأحداق ، فلا تتعرض للبلى .. (وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ..) وحماهم من التآكل بتقليبهم ذات اليمين وذات الشمال .. فمنع بذلك الأرض من اتلاف اجسامهم .. وقد أفرغ عليهم فى هذا الوضع ستارا من المهابة يحول بينهم وبين اقتحام الناس لمضجعهم ، فلا يدنو أحد منه الا ولى فرارا وملىء رعبا !. ولعل في وضع كلبهم ، وهو باسط ذراعيه في مدخل الكهف ما ضاعف هذه المهابة قوة وايحاء ..

والى جانب هذه الصورة التجسيمية صور أخرى نفسية تبرز الأغوار البعيدة من صدور هؤلاء الفتية ، فترى تصميمهم الصارم على التشبث بالحق ، وتحمل كل تبعة في سبيله (ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه الها ..) ونسمع تحديهم لضلالات الخصوم : (.. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة .. لولا يأتون عليهم بسلطان بين ..! فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) !! ونلمس ايثارهم ظلمة الكهف مع نور الحق على متاع الدنيا ورفاهيتها مع حلكة الباطل ، .. ولكنه ايثار مشحون بالثقة في رعاية الله ونصرته : (واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهىء لكم من أمركم مرفقا ..)

وتشدنا العبر من هنا وهناك فاذا نحن أمام طائفة من التوجيهات الربانية لا غناء للقلب المتفتح للحق عن أي منها .. فهناك التذكير بأن الحياة في حقيقتها البعيدة ليست سوى مرحلة ابتلاء ، فلا ينبغي لزينتها الزائلة أن تصرف العقلاء عن التفكير والتدبير لما وراءها من حياة هي دار القرار : (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً .. وأنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) .

ثم هناك العبرة التى تربط القلب بحقيقة البعث ، وهى القضية التى عجزت عن تخيلها العقول ، ويتوقف على الايمان بها سلوك الانسان بأجمعه في هذه الدنيا ، ونوع مصيره فيما بعدها .. تتجلى للقارىء في القصة كيانا ماثلا يجمع بين الروح والجسد ، وفي صورة من الحياة لا تستعصي على قدرة الله عز وجل .. وبذلك يجد القارىء المتدبر نفسه مدفوعا بكل ما وسعه من جهد الى تدارك أمره ، بالعمل الذى من شأنه أن يساعد على تحسين مصيره الآخر .. وبالاضافة الى هذا كله نتعلم من توجيهات القصة كيف نقتصد في قوانا الفكرية ، فلا نبددها في ظنون لا طائل من ورائها كما يفعل أولئك الذين يتجادلون في عدد أهل الكهف ، وفي أسمائهم ، وفي اسم كلبهم !. وما الى ذلك مما لا يعلمه الا الله ، ولا حصيلة له سوى اضاعة الوقت والانشغال بالجدل الفارغ عن عبرة الحديث وموحياته .. (قل ربي أعلم بعدتهم .. ما يعلمهم الا قليل .. فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا .. ولا تستفت فيهم منهم أحدا ..) .

وللتعبير القرآني المعجز في هذه القصة نماذج فائقة التأثير ، نتعلم منها كثيرا من الأسرار التي أودعها الله الكلمة القرآنية ، فنتدرب خلال ذلك على سننه في استعمال اللفظ كرمز تصويري لابراز المعاني البعيدة ..

أنعم (١) النظر في قوله تعالى : (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ..) ثم اسأل قلبك وعقلك : لماذا استعمل الضرب هنا مكان الانامة !.. انه يريد اخبارنا بأنه حكم في فتيان الكهف سلطان النوم ، فقطعهم به عما حولهم من الأحياء والأشياء .. ولكنه بدلا من الاداء المباشر عمد الى الكناية ، فأرانا سدا مبنيا من السنين .. قد شيد حول آذانهم فحال بينهم وبين ما وراءه !.. ثم زاد على ذلك تحديد السنين ، فهي ذات عدد معين ، قدره بحكمته ثلاثمائة سنة بالحساب الشمسي ، وتزيد تسعا بالحساب الهلالي ..

(١) أنعم النظر في الأمر : حقق النظر فيه وبالغ ، وأنعم فيه : بالغ وجود ، وأمعن في الأمر بالغ وأبعد في الاستقصاء ، فيكون أنعم في الأمر كأمعن فيه ، أما اذا عديت أنعم الى النظر مباشرة ففيه امتياز لا يتوفر في الآخرين .

ثم اصغ الى قوله الآخر : « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه الها .. » فهل سألت نفسك قبل اليوم : كيف حدث هذا الربط ؟ ولماذا نفى الفعل بلن بدل لا !. وما الصلة بين الربط ولن هذه ..؟

ولكي تدنو من مدلول التعبير الالهى هنا تصور وعاء تربط فوهته ، فتحفظ ما فيه من النقص ، وتصون مضمونه من الاختلاط بأي شيء من خارجه .. هكذا حفظ الله للفتية ايمانهم الخالص ، فصانه من الضعف ، وابعد عنه الشوائب التي من شأنها أن تشوه جمال التوحيد ! .. ومن هنا كان النفي بلن كحكم قاطع بتأييد هذه العزيمة ، عزيمة التحرر من كل آثار الشرك .. وهي دلالة لا تقوم بأي حرف من أحرف النفي الأخرى .. ولزيادة الايضاح تصور انك دعيت لمواجهة أحد الناس فقلت : (لا اذهب) فهل يعني ذلك اكثر من انك ترفض الذهاب حال الكلام ؟.. اما حين تقول (لن اذهب) فانك تؤكد تصميمك على الرفض البات ابدا ..

والآن اقرأ معي هذا التعبير القرآني العجيب : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا .. » . فهنا اطار واحد ضم عددا من الصور فى تقسيم لا احكام كاحكامه ، صورة رجال يجمعون هيئة اليقظة وحقيقة النوم ، ثم صورة تقليبهم من شمال الى يمين ، ثم من يمين الى شمال . ثم صورة كلب مفترش مدخل الغار ، كأنه يراقب حركة الخارج ، فهو يتأهب للقيام بمهمته الدفاعية عند الحاجة !

وأخيرا نظرة شاملة الى الاطار وقد تحدد في ذهنك مضمونه بجميع تفاصيله .. فماذا ترى ؟ .. وماذا تحس ؟ .. المهابة التي تملؤك بالرعب وليس بعد الرعب الا الفرار !.

وهناك طائفة من اللمحات ذات الأغوار البعيدة ، لا ينبغى أن يفوتنا ملاحظة بعضها عن كثب .

لقد شاء الله جل شأنه أن يرد الفتية الى اليقظة فأول ما خطر في بالهم أن يعرفوا حدود الزمن الذي قضوه في تلك الغفوة ، وهكذا انطلق أحدهم يسأل : كم لبثتم ؟ .

انه يسأل نفسه ويسأل رفاقه عن المدة المقضية .. فيأتيه الجواب من الجميع ولعله هو أحدهم : « لبثنا يوما أو بعض يوم .. » .

لقد اختلط فى أذهانهم حساب الزمن ، فهم لا يستطيعون له تحديدا ولكنهم على أي حال لا يتصورونه فوق اليوم !..

وهذا يذكرنا بقوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) .. وقوله الآخر : « كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار .. » .

والجامع بين هذه الأجوبة كلها هو الشعور بقصر الحياة ، وضيق المساحة بين مبادئها ونهاياتها .. وهو شعور طبيعي يتأتى من الانفصام بين الادراك ومجرى الاحداث ، فاذا عاد النائم أو الميت الى الوعي اقترنت في ذهنه لحظتا اليقظة فوق فجوة الزمن ، فخيل اليه أن الوقت المنقضي بين اللحظتين دون حقيقته بكثير ! .. وهو تصور لا يقتصر على ما بين اليقظتين فحسب ، بل ينسحب أيضا على تقويم زمن الحياة الأولى كله .. ذلك لأننا في العادة نتلقى أحداث حياتنا شيئا بعد شيء ، فنزنها بحركة الأحداث ، وبذلك نستشعر طولها وثقلها ، ولكننا عندما نعيد النظر في حصيلتها جميعا يتضاءل ذلك الامتداد ،

ويصبح في ادراكنا شيئا صغيرا .. تماما كما يحدث للناظر الى عداد الماء أو الكهرباء وهو يتحرك تحت جريان التيار ، فيحس بطأه ، وامتداد زمنه . ولكن هذا البطء وذلك الامتداد سرعان ما يزولان عندما ينتهي المؤشر الى غايته ، اذ نرى حصيلة الحركة مجموعة كلها تحت أعيننا !.. ذلك هو التعليل النفسي لتفاوت الشعور بقيمة الزمن .. ولكن ثمة نتيجة روحية عليها يتوقف مفهوم التعبير القرآني في هذا المضمار ، فاذا كان زمن الحياة وما يعقبها مما يسبق يوم البعث ، لا يتجاوز في ادراكنا مقدار الساعة ، التي يراد بها الجزء الصغير من الزمن دون تحديد بعدد الدقائق ، اذن فمن الاسراف بل من الجنون أن نضيعها في الغفلة والمعصية والبعد عن سبيل الله ! ..

ومن خلال هذا التصور نطل على مضمون التعقيب الذي يرسله أولئك الفتية أثر تساؤلهم عن مدة اللبث ، اذ (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) فكأنهم لاحظوا بعض التغييرات ألتي طرأت على ما حولهم ، فداخلتهم الحيرة من واقعهم ، واستيقنوا العجز عن تحديد الزمن المسئول عنه ، فانصرفوا عن محاولة التحديد الى التسليم ، ففوضوا العلم بهذا المجهول الى الله .. وانتقلوا فجأة الى تدبير أمر الطعام الذي يعوزهم ، والطريقة التي يجب أن يسلكها طالبه للحفاظ على سلامتهم .. بل سلامة دينهم . فان مجرد العلم بأمرهم يعرضهم للموت رجما ، أو للعودة الى ما سبق عهد الهدى من ظلمات الكفر .. وانها لعودة لا فلاح معها أبدا ..

وقبل الخاتمة نقرأ هذا الارشاد الرباني يؤدب به الله نبيه صلوات الله عليه : (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا . الا أن يشاء الله ..) .

فقد حدث أن رسول الله عندما سمع أسئلة الكفار التي حملوها من يهود المدينة ، قال : (أخبركم غدا عما سألتم عنه ..) ولم يستثن ! .. وكانت هذه عجلة منه ، اذ كان عليه أن يذكر أن الأمر لله ، وليس لأحد أن يحدد عليه موعدا .. ولما ابطأ الوحي بالجواب ، وأرجف الكفار ما أرجفوا ضاق صدر الرسول واشتد حزنه ثم جاءه جبريل عليه السلام بالفرج المنشود وفيه معاتبة الله اياه ، والتوجيه الذي يصونه من مثل تلك العجلة في المستقبل .. فعليه أن يربط كل أمر بمشيئة الله ، التي لا يمكن لشيء أن يتجاوزها أبدا .. وان يعالج النسيان بذكر الله الذي بيده وحده أمر الهداية !.

وفي النهاية ما أراني بحاجة لأن أذكر المؤمن بروعة ذلك النظم العجيب ، الذي سلسلت فيه المعاني في تساوق فائق ، فكانت كالحركة والحرارة والطاقة ، تنطلق من المادة الواحدة ، فما تدرى أيها صاحب الأثر الأول !.

ان هناك الترتيب الذي يسميه البديعيون تقسيما ، والتضاد الذي يدعونه طباقا ، والتآلف المعنوى الذى يطلقون عليه مراعاة النظير . ثم الجرس الذي يتلاحق في توقيع لا يستطيع القارىء تشويشه ، فيساعد على تثبيت الصورة العامة للمضمون في أعماق القلب ، وأغوار الذهن ، تثبيتا يخطفه من واقعه الشخصي الى واقع الفتيان النائمين في جوف الكهف !.

ولا عجب في هذا وذاك .. انه القرآن .. وانها قصصه التي لا نجد لها وصفا أوفى بها من قول منزلها : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ..) .

وليغفر الله لأبى العلاء الذي هزه من كتاب الله هذا الذي يهزنا ، فجعل يمرغ وجهه فى التراب وهو يقول فى غمرة الدموع وغصة الخشوع :

(سبحان من هذا كلامه .. سبحان من هذا كلامه) .



من هنا وهناك

الذكرى والبيت الحزين :

كانت ذكرى الاسراء والمعراج فى السنين الماضية تثير فينا آلاما وأوجاعا لوجود اليهود أعداء الله على مقربة من المسجد الاقصى ومسجد الصخرة حيث انتهى مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم وابتدأ معراجه الى السماء ..

ويدخل علينا شهر رجب هذا العام ويقترب منا موعد الذكرى . وقد وضع أعداء الله يدهم على المسجد والصخرة !! وضاعت من يدنا أولى القبلتين وثالث الحرمين .. وبدأ اليهود يخططون لاعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الاقصى !!

ويصدر علماء الضفة الغربية بيانا مدعما بالادلة بحق المسلمين فى كل شبر من هذه الاماكن المقدسة ويتجاوب معهم فى بيانهم علماء الضفة الشرقية ، وبقية العلماء فى الاقطار المختلفة ، ولكن ما قيمة الادلة بدون قوة تسندها ؟ اننى أتهيب تلك الليلة ليلة ذكرى الاسراء .. ولا أدرى كيف أتحمل ذكراها المريرة هـذه السنة وكيف يتحمل المسلمون فى كل قطر وأرض أن يتذكروا مسرى الرسول ، واليهود يجثمون على الارض التى باركها الله ويدنسونها بآثامهم . نعم انها فترة تمر بالمسلمين ليس هناك ما هو أقسى منها واذا كانت الارض العربيـة التى استولى عليها أعداء الله ملكا لأصحابها من الدول العربية . فالمسجد الاقصى للمسلمين جميعا . لخمسمائة أو ستمائة مليون مسـلم . من أماكنهم الثلاثة المقدسة . اذا مر استيلاء اليهود عليه سهلا على نفوس المسلمين ، يقـابلونه

بالسكوت والاستسلام ، فان أعداء الله يستمرئون هذا السكوت ، ويشجعهم على أن يكملوا خطتهم التوسعية ، حتى يصلوا الى المدينة . وهم فى حربهم هذه لم ينسوا أسلافهم الخونة فى المدينة الذين أخرجهم الرسول منها لخيانتهم وغدرهم .

وقال قائلهم يوم استولى على بيت المقدس : الآن انتقمنا لأسلافنا فى خيبر ــ فهم يذكرون خيبر وما قبلها ، ويتطلعون الى الارض التى كانت لأسلافهم ، ويرسمونها على خريطتهم التوسعية ، ودولتهم المرتقبة ..

وليس لأحد من المسلمين أن يستهين بهذا الكلام ، ويراه أمرا خياليا بعيدا . انهم رسموا لوطنهم القومى فى فلسطين وخططوا له من مائة سنة وأكثر .. وظلوا يعملون لتنفيذ مخططهم ، حتى تم لهم التركز فى الارض المسلوبة وبدءوا يتوسعون ..

فاين المسلمون الذين يغارون على أماكنهم المقدسة ؟! كيف ينامون ويعيشون ، ويحلو لهم العيش وقد سقط أحد الاماكن الثلاثة المقدسة فى أيدى أعداء الله ؟! هل يمر عليهم شهر رجب وليلة الاسراء والمعراج كما مرت الشهور والليالى السابقة ؟

ألا انها الكارثة ، تحل بنفوس المسلمين . فلا يتحرك لهم قلب ازاء ما نزل بمسرى رسولهم عليه الصلاة والسلام .. ألا انه الموت الحقيقى يصيب مئات الملايين من المسلمين .. ان بيت المقدس ليس ملكا للأردن ولا للعرب ، ولكنه أولى القبلتين ، ومحل تقديس المسلمين جميعا فماذا فعلوا وقد ضاع من أيديهم ؟ وماذا سيفعلون فى تلك الليلة التى تثير الشجون ؟

انها موعد يجب أن يلتقى عليه المسلمون جميعا فى كل مكان من الارض ليعلنوها مدوية فى العالم ، ولدى كل من ساعد هؤلاء على فجورهم وعبثهم . ان المسلمين لن يسكتوا على مكانهم المقدس يعبث به أعداء الله ، ليعلنوها مقدمة لحرب دينية يشترك فيها كل مؤمن بالله ورسوله .. ويؤذنوا العالم كله بهذه الحرب .. ويضعوا امكانياتهم فى سبيل تخليص قبلتهم الاولى وتحريرها من أيدى اليهود ..

رباه .. نتقدم نحن أم نتأخر ؟ نقوى أم نضعف ؟ كنا بالماضى نغضب لأن اليهود ينجسون بيت المقدس بجوارهم له .. والآن ينجسونه فعلا باحذيتهم ، وعبثهم فيه ، وسيطرتهم عليه ، ويشرعون فى هدمه .
ألا انه العار الذى نتحمله نحن المعاصرين لهذا الحدث أمام الاجيال المقبلة ..

ماذا سيقوله التاريخ عنا ، وتصبه هذه الاجيال علينا من لعنات اذا نحن لم ننهض لمحو هذا العار ؟!

اللهم لطفك وعونك .

كلمـــة أخيرة :

جاءتنا عدة تعليقات على ما نشر حول ((اعجاز القرآن هل هو معجز لذاته أو بالصرفة)) ورأى الامام الرازى فى هذا الموضوع ، وكنا قد نشرنا بحثا للأستاذ على محمد حسن فى العدد الخامس والعشرين ثم نشرنا بحثا واسعا للأستاذ أحمد محمد الغمراوى فى العدد التاسع والعشرين . وقد رأيت من التعليقات أنها تفتح بابا واسعا للجدل والموضوع فى ذاته منته منه قديما ، والنقاش الآن يدور حول رأى الامام الرازى فقط .. ولذا رأيت أن أنهى الموضوع بكلمة لعلها تريح الجميع ..

ان الذى يبدو من كلام الامام الرازى ــ كما أشار الاستاذ على حسن فى مقاله ــ أنه حين اختار لم يختر مذهبا ، ولكنه اختار طريقة للاستدلال ليفحم الذين يجادلون فى اعجاز القرآن وينكرونه .. فسلك كل دليل يؤدى فى نهايته الى أن القرآن معجز .. سواء أكان اعجازه لذاته أو بالصرفة ..

ويبدو هذا واضحا من قول الامام الرازى وهو يبحث هذا الموضوع ويناقش المنكرين للاعجاز ، فلهذا اخترنا الطريق الثانى (أى فى الاستدلال) وقلنا : ان بلغت هذه السورة فى الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود ، وان لم يكن كذلك كان امتناعهم عن المعارضة من شدة دواعيهم الى توهين أمره معجزا))

فواضح من قوله ((اخترنا الطريق الثانى وقلنا)) : ((ان اختياره ينصب على طريقة الاستدلال ، وهى الطريقة التى تلزم الخصم فى نهايتها ، سواء أقر بأن القرآن معجز فى ذاته أو لم يقر بذلك مع اعترافه بعجز العرب عن معارضته فى نهاية الامر بحجة أن الله صرفهم عنه .. اذ لو لم يكن من عند الله لما تدخلت قدرة الله وحالت بينهم وبين الاتيان بمثله ، والنتيجة فى الحالين واحدة . وهى أن القرآن من عند الله . وهو الذى أراد القرآن اثباته فى صريح قوله ((فان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين)) وهو ما شغل الامام الرازى بمناقشته مناقشة عقلية ليصل فى النهاية الى افحام الخصوم كما قلنا . وهذا لايتبين منه رأى الرازى صريحا . بل قد يبدو من الظاهر أنه لا مانع عنده من جواز الامرين لو أمكن هذا ..

ولذلك كان لا بد لنا اذا أردنا معرفة رأى الرازى الذى اختاره وتمسك به أن نرجع الى كتبه والى مواضع أخرى غير جو هذه المناقشة العقلية الجدلية .

ولو رجعنا الى ما ذكر فى المقال الاول لوجدنا الاستاذ الكاتب قد نقل عن كتاب ((نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز)) للرازى ما يدل على أنه يعتقـــد أن القرآن معجز بذاته . وبذلك ينتهى الموضوع الى أن الرازى لم يقل بالصرفة كمذهب يختاره ، ويقر الاستاذ الكبير أحمد الغمراوى عينا بتبرئة ساحة الامام من هـــذا القول .. دون حاجة الى توسيع النقاش حول هـــذا الموضوع لننصرف الى غيره .. والله الموفق .

عبد الله بن رواحة

نعم الرجل ابن رواحة (رسول الله ﷺ)

للأستاذ سامي مكي العاني
مدرس الأدب بكلية الشريعة ــ جامعة بغداد

شعر وزهد وجهاد

سكن يثرب في الأزمان الغابرة من التاريخ قوم يقال لهم (العمالقة) ثم نزل عليهم اليهود بعد أن نزحوا من الشام وما جاورها لأسباب دينية وسياسية فغلبوا العمالقة على أمرهم وصاروا سادة يثرب ، الى أن حدث سيل العرم في اليمن وتفرقت قبائلها فنزل على اليهود قوم نازحون من القحطانيين هم الأوس والخزرج .

وبعد مضي فترة قصيرة من الزمن استطاعوا أن ينتزعوا المال والسلطان من أيدي اليهود ، ولكن اليهود لم ييأسوا من استرجاع سلطانهم ، فعملوا ما وسعهم على الوقيعة بين الأوس والخزرج ، فعاشت يثرب في حرب دائمة ، ونزاع مستمر ، وسميت هذه الحروب بأيام الأوس والخزرج . منها يوم « سمير » وكان هذا أول يوم وقع بين الأوس والخزرج ، ويوم ربيع وفارع ، وآخر هذه الأيام هو يوم (بعاث) . وقد ساهم الشعراء في تلك الحروب بألسنتهم الى جانب سيوفهم ، فلمعت أسماء شعراء مع كل يوم من تلك الأيام .

شاعر الخزرج

وكان عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي ممن اشتهر بشعره في تلك الحروب ، فقد كان اللسان المعبر مع حسان بن ثابت عن الخزرج ، وأسهم في الدفاع عن قبيلته بما أوتي من بيان كأحسن ما يسهم شاعر . وهو القائل يوم بعاث محييا قيس ابن الخطيم الأوسي :

نحامي على أحسابنا بتلادنا
لمفتقر أو سائل الحق واجب

ومعترك ضنك يرى الموت وسطه
مشينا له مشي الجمال المصاعب

برجل ترى الماذى(١) فوق جلودهم
وبيضا نقياً مثل لون الكواكب

وهم حسر لا في الدروع تخالهم
اسوداً متى تنشأ الرماح تضارب

معاقلهم في كل يوم كريهة
مع الصدق منسوب السيوف القواضب

---

(١) الماذى : واحدته الماذيّة وهي : الدرع الليّنة ــ المعجم الوسيط .

وعندما وصلت انوار الاسلام الى المدينة كان عبد الله بن رواحـــة في طليعة مـــن تفتحت قلوبهـــم لنوره ، واستنارت عقولهم بهديه ، فاستجاب لنداء الاسلام ، وآمن بدعوته ، ثـــم توجه مع سبعين من قومه الى العقبة حيث واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة . وللمكانة التـــي كان يتمتع بها ابن رواحة في قومـــه اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون نقيبا على من معه من المؤمنين في تلك البيعة ، وحين بدأ الصـــراع المسلح بين الاسلام والكفر ، كان ابن رواحة من أوائل الذين سلوا سيوفهم للدفاع عن دينهم الذي آمنـــوا به ، فساهم في جميع معـــارك الاســـلام الأولى ، وشهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها الا الفتح وما بعده لأنه قتل يوم مؤتة شهيدا .

قال يحيى بن سعيد : كان عبد الله ابن رواحة أول خارج الى الغـــزو وآخر قافل . وكان في جميع حروبه بطلا مقداما ، لا يهاب المـــوت ، ولا يخشى السيوف المشرعة ، فحين دعا المشرك « عتبة » من يبارزه في بدر ، وتردد كثير من المسلمين ، برز له ابن رواحة من بين الصفوف . وعرف له الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الشجاعة فانتدبه لقتل عـــدو اللـــه اللعين « أسير بن رازم اليهودي » الذي أمد أهل خيبر بعد مقتل سيدهم « ابن أبي الحقيق » فقد دعا هـــذا اليهودي وجمع غطفان ومن والاهم من المشركين لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار اليه ابن رواحة في ثلاثين راكبـــا وتمكن من قتلـــه والقضاء عليه .

وفي غزوة مؤته أمَّره الرسول صلى الله عليه وسلم علـــى المسلمـــين ، فحمل اللواء وظل مدافعا عنه حتـــى استشهد دونه فى السنة الثامنة فى أرض الشام .

وقد خاطب نفسه يوم مؤتة بأبيات تنم عن ثبات جنانه ، ومغالبته لهـــوى نفسه عندما حاولت التردد فى اول الأمر :

اقسمـــت يـــا نفس لتنزلنَّـــه
طائعـــــة أو لتكرهنـــــــه
ان اجلب الناس وشدوا الرَّنَّه (١)
ما لي أراك تكرهـــين الجنـــه
وطالمـــا قـــد كنت مطمئنـــــه
هل انت الا نطفة فى شنه (٢)

وقال أيضا :

هـــل انـــت الا اصبـــع دميت
وفي سبيل اللـــه مـــا لقيـــت
يا نفس الا تقتلى تمـــوتـــى
هـــذا حمـــام الموت قد صليت
ومـــا تمنيت فقـــــد أعطيت
ان تفعلـــي فعلهمـــا هديـــت
وان تاخـــرت فقـــــد شقيـــت

يريد صاحبيه اللذين قتلا مدافعين عن لواء المسلمين في مؤتة ، وهما : زيد وجعفر .

اما شاعريته فقد روى هشام ابن عروة عن أبيه قال: سمعت أبي يقول: ما سمعت أحدا اجرأ ، ولا أســـرع شعرا من عبد الله بن رواحة .

وقد سبق الى تعريف الشعر حين سأله الرسول : ما الشعر قال : شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعرا . قـــال : فهـــل تستطيع أن تقول شيئا الآن ؟ فنظر فى وجه رسول الله فقال نعم :

اني توسمت فيـــك الخير نافلة
والله يعـــــلم انى ثابت البصـــر
فثبت الله ما آتاك مـــن حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

---

(١) الرنَّة : الصيحة الشديدة .

(٢)جاء فى المعجم الوسيط : والشن القربة الخلق الصغيرة .

يا آل هاشم ان اللـــه فضلكم
على البرية فضلا ما له غـــير
ولو سألت أو استنصرت بعضهم
في جل أمرك ما آووا ولا نصروا
فخبروني أثمـــان العباء متـــى
كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر
نجالد الناس عن عرض فنأسرهم
فينا النبي وفينا تنزل الســـور
وقد علمتم بأنـــا ليس يغلبنـــا
حي من الناس ان عزوا وان كثروا

وحين قال : يثبت الله .. البيت . قال له النبي : واياك ياسيد الشعراء، ولما قال : فخبروني أثمان العبـــاء . عرف في وجه رسول الله الكراهة ان جعل قومه أثمان العباء ، فقال عبد الله : نجالد الناس .. البيت .

وكان رسول اللـــه يستمع الـــى شعره وهو ينشد ، ويرتاح الى ذلك ، فحين دخل الرســـول مكة ليطـــوف بالبيت كان ابن رواحة بين يديه آخذا بزمام ناقته وهو ينشد :

خلوا بنى الكفـــار عن سبيلـــه
خلوا فكل الخير مع رسولـــه
نحن ضربناكم علـــى تأويلـــه
كما ضربناكـــم علـــى تنزيلـــه
ضربا يزيل الهام عن مقيلـــه
ويذهل الخليـــل عـــن خليلـــه
يـــا رب انـــي مؤمـــن بقيلـــه

فقال عمر بن الخطاب : يا ابـــن رواحة أفي حرم الله . وبين يـــدي رسول الله صلى الله عليه وسلـــم تقول هذا الشعر ؟ فقال الرسول خل عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل .

وكثيرا ما كان رسول الله يـــردد شعـــره ، ويأنس بانشـــاده ، بـــل يستعين به على العمل . روى عـــن البراء رضي الله عنه أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلـــم يـــوم الخندق ينقل التـــراب حتـــى وارى التراب شعر صدره وهو يرتجز برجز ابن رواحة .

تالله لـــولا اللـــه مـــا اهتدينا
ولا تصـــدقنـــا ولا صلينـــا
فانزلـــن سكينـــة علينـــا
وثبـــت الأقـــدام ان لاقينـــا
ان الألى قـــد بغـــوا علينـــا
وان أرادوا فتنـــة أبينـــا

وروي أن عبد الله لما قال هـــذه الأبيات قال رسول الله : اللهم ارحمه فقال عمر : وجبت . يعني : الشهادة والجنة . ووصفه رسول الله صلـــى الله عليه وسلم بأنه لا يقول الرفث فقال : ان أخا لكم لا يقول الرفث يعني ابن رواحة لقوله :

وفينا رســـول الله يتلو كتابـــه
اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقـــع
يبيت يجافي جنبه عن فراشـــه
اذا استثقلت بالكافرين المضاجع
واعلم علمـــا ليس بالظن أننى
الى الله محشور هناك وراجع

وأجمع المؤرخون علـــى أن ابـــن رواحة كان واحدا من ثلاثة شعراء وقفوا الى جانب الاسلام في حربه مع قريش وهم : حسان بن ثابت ، وكعب ابن مالك ، وعبد الله بـــن رواحة . وكان عبد الله يعير قريشا بالكفـــر وينسبهم اليه ، في حين كان حسان وكعب يتحدثان في هجائهمـــا عـــن الوقائع الحربية ، وهزيمة قريـــش فيها ، ويعيرانها الجبن والضعـــف ونحوهما من المثالب . فكانت قريش لا تهتم لقول ابن رواحة اهتمامهـــا بقول حسان وكعب حتى أسلمـــوا فصاروا يتألمون لقول ابن رواحـــة ، وهذا ما يعلل لنا قلة شعره وكثرة شعر صاحبيـــه في كتـــب التأريـــخ والآداب . فقد نهى رسول اللـــه وخلفاؤه عن رواية الشعر الـــذى يذكر كفر قريش بعد أن أسلمـــت ، ابقاء على مودتها ، وتأليفا لقلـــوب

(البقية ص ٧١)

يامسلمون

للأستاذ : أحمد محمد الصديق
جامعة أم درمان الاسلامية

حق الجهاد . . فليس عنه خيار — وغلت مراجل مالهن قرار
خيل المنايا أسرجت . . فتأهبي — حطين . . ان رحاك سوف تدار
فالحرب أشفى للنفوس اذا اشتكى — فيهـا من الغيظ الحبيس اوار
واذا اهين الحق صاح بأهله — صوت السماء وجندت أقدار



يامسلمون . . ومن سواكم للحمى — ان كشرت عن نابها الأخطار ؟ !
يدعوكم الوطن الذبيح ومسجد — أسرى الى ساحاته المختار
يجتر في القيد العذاب مرددا — شكواه : أين الأمة الأخيار ؟ !
أين الذين هم الرجال اذا دعوا — هبوا . . وان دوى النفير أغاروا
أتفرق الشمل الحبيب وأدبرت — عني الوجوه وفارق السمار ؟
وخلا المكان فما به الا رؤى — نكراء تعلن بؤسها ودمار ؟
وخطى جنود البغي تقرع مسمعي — رهباً ، وفيها للدماء سعار ؟ !
خفت الأذان وكممت أصداؤه — وعلى المآذن روعت أطيار
وأحس احساس الغريب اذا نأت — في أحلك الأوقات عنه الدار
لولا التعلق بالرجاء وحبله — لانهد ركن أو لخر جدار
وتصدعت مما تعاني صخرة — وبكى الهلال وزلزلت أسوار



يامسجدي . . شكواك تعصف في دمي — وعميق جرحك كاللظى موار
فلتنطقي يا نار . . ولتتفجري — يا أرض . . وليتقحم الأحرار

ولتنبت الأشواك في أجفاننــــــا وجنوبنـا حتي يزول العـــار
قسماً سنثأر للدماء فانهـــــا نور على درب الكفـاح ونار
هي في عروق الأرض بركان على جنباتـه يتحفز الاعصــــار
الموت مفتاح البقاء . . وفي الوغي يحلو الفداء وترخص الأعمـــار
هو في سبيل الله أعذب منهـل من حـوله يتزاحـــم الأبرار
الموت أكرم من حيـاة مرغت بالذل فيها تستباح ديـــار
ويضيع شعب أو تمزق أمــــة ويخوض في بحر الشقاء صغـــار
وتشيع ملء الأرض أشباح الردى ويغيب عن وجـه الحياة نهـار
خطب ألم ومحنـة مكتوبـــة بدمائنا . . زاغت لهـا الابصار
ولعلهـــا تجلو القذى عن أعين فتخط درباً ليس فيه عثـــار
يا أغنيـــات النصر لن تتعزى بالحق حتي تصدق الأخبـــار
فلينقشع عنـا الضباب فانــــه دون الحقيقـــة حائل وستار
مابال اشبال العرين ؟ ! الا فتى ورث الاباء وفارس مغـوار ! !
سفر البطولة بالمآثر حافـــل يعلوه من صنع الجدود الغـــار
شهدت لهم غـر الوقائع ما انجلى الا عن الفتح المجيــــد غبار
تلك النجوم فما لنا لا نهتـــدى وبكل نجم للخلود منـــار ! !

لايرجع الحق السليب بهيئـــة دولية يلهـــو بهـــا الدولار
او مجلس نسبوه للأمـــن الذي هو لعبة في شرعهم وقمـــار
ارعاة ابقـــار وساسة عالم وهل الخلائق كلهـــا ابقار ؟ !
لاتسرفـــوا يا هؤلاء فحكمكم من نسج اوهـــام غدت تنهار
لاتحسبوا ان الجبـــاه ستنحني منـا ويملك قهرهـــا استعمار
« الله اكبر » في الحياة نشيدنـا سيظل يخفق صوتها الهـــدار
في ظلهـــا يتحقق النصر الذي يعلو به للمؤمنين شعـــار
هل غير ربـــك ناصر ومؤيد ترجى به للعـــاملين ثمار ؟ !
هي عزة الاســـلام سر فلاحنا فيها تصان محـــارم وذمار
هي شعلة الايمـــان والروح التي ابداً لهـــا يتطلـــع المضمار
فعلام لاتصفو النفوس ويمحى صدأ القلوب وتستوى الافكار ؟ !
وتعز بالتوحيد رايتنـــا التي ثوارها حقا هم الثـــوار



ياويح اعداء الحياة اذا انقضى اجل ، واوشك أن يحين الثـار
ستشف عنهم في الجحور خنادق وتشي بهم بين الشقوق حجـار
وتدق سحقا بالنعـــال جماجم وتدك فـــوق رؤوسهم اوكار
سيعود للقدس الحبيبة مجدهـــا وتشع ملء رحابهـــا الأنوار
والوعـــد بالنصر المبين محقق للمؤمنين قضى به الجبـــار
يامسجدي .. ويظل وجهك مشرقا وعلى ندائك تخشع الاســـحار

رجالها . وطبيعي أن يعمد من أسلم من المهجوين الى طمس معالم الشعر الذى يذكرهم بماضيهم غير المشرف .

وكان شاعرنا الى جانب بطولته في الحرب وبلائه في فن القول من أكبر زهاد المسلمين وعبادهم . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ . وروى أبو الدرداء : لقد رأينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فى اليوم الحار الشديد ، حتى أن الرجل ليضع من شدة الحر يده على رأسه ، وما في القوم صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة . وكان اذا لقى الرجل من أصحابه يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة . فقال ذات يوم لرجل . فغضب الرجل فجاء النبي فقال : يا رسول الله ألا ترى أن ابن رواحة يرغب عن ايمانك الى ايمان ساعة . فقال الرسول : يرحم الله ابن رواحة انه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة .

وكان حريصا على تنفيذ أوامر الله صادعا لقرآنه . فقد روي عن مجاهد أن قوله تعالى « لم تقولون ما لا تفعلون » الى قوله « صفا كأنهم بنيان مرصوص » نزل في نفر من الأنصار فيهم عبد الله ابن رواحة قالوا فى مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحب الى الله تعالى لعملنا به حتى نموت . فلما نزلت فيهم هذه الآية قال ابن رواحة : لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت ، فقتل شهيدا .

وكان يتحرى ما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه بأن ما يرضيه يرضي الله . جاء عن السيدة عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر يوم الجمعة فقال : اجلسوا . فسمع عبد الله ابن رواحة قول النبي فجلس في مكانه ، خارجا من المسجد ، حتى فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من خطبته ، فبلغ ذلك النبي ، فقال له : زادك الله حرصا على طواعية الله ، وطواعية رسوله . وعرف عن شاعرنا تشدده في الحق ، والتزامه بحدود الله ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يزحزحه عن العدل حب صديق أو كره عدو .

فحين قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر ثم الجأهم الى حصنهم ، بعث ابن رواحة يخرص عليهم تمرهم فكان يأتيهم كل عام فيخرص عليهم ، ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه . فقال يا أعداء الله تطعموني السحت ، والله لقد جئتكم من أحب الناس الي وأنتم أبغض الي من عدتكم من القردة والخنازير ، لا يحملني بغضي اياكم وحبي اياه ألا أعدل عليكم . فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض .

وطالما سالت دموعه غزيرة من خشية الله ، والمشهد الذي يرويه المؤرخون حين سار الى مؤتة أصدق دليل على هذه الخشية وذلك الايمان فقد روى موسى بن عقبة أنه لما خرج الى مؤتة بكى ، فبكى أهله معه . فقال : والله ما أبكي جزعا من الموت ولا صبابة بكم ، ولكن بكيت من قول الله « وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا » فأيقنت اني واردها ولم أدر : أأنجو منها أو لا ؟.

وفي لفظ أنبأني ربي أني وارد النار ولم ينبئني انى صادر عنها ، فذلك الذي أبكاني .

وروت زوجته عنه أنه كان اذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين واذا دخل بيته صلى ركعتين ، لا يدع ذلك .

رحم الله ابن رواحة ، فقد كان راهبا في الليل ، فارسا في النهار ، حتى قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام : نعم الرجل ابن رواحة .

المواجهة الحضارية

بين التراث الديني وبين القيم المستحدثة

بقلم الأستاذ محمد همام الهاشمي
الخبير الاجتماعي بمجلس التخطيط ـ الكويت

قال قائل تعليقا على موضوع الايدولوجيات والدين الذي نشر في عدد سابق (١) أن ارنولد توينبي الذى استشهدت برأيه قد وقع فى خطاين وجرك معه الى الوقوع فيهما ..

الخطا الأول أنه فى تحليله للأيدولوجيات والدين قد وضعهما فى كفتين متقابلتين من المساواة والتحليل .. ومع أنه قد وجد في الأديان السماوية ما يرجحهــا فى ميزان سعادة الفرد واطمئنــانه وتقدم المجتمع واستقراره ورفاهيته الا أن هذه المقارنة تعتبر افتئاتا على الأديان السماوية والديــن الاسلامي على وجه الخصوص ، الذي يعلو ولا شك في المقارنة ـ باعتباره دينا منزلاً من الخالق ـ على كل ما يضعه البشر من قيم ، وما يصطنعونه من نظريات تصادم الدين او تحاول أن تحل محله ... ولا يصح أن يوضع دين الخالق في منزلة المقارنة مع نظم المخلوقين .

أما الخطأ الثــاني فانه قد خيــل لأرنولــد توينبــي أن الأيدولوجيات تعارض الدين ، وأن الدين على طرف نقيض منها ، مع أن الأديان السماوية والديــن الاســلامــي على وجــه الخصوص ، قد استطاع ببراعة ـ لا تتهيــأ للمخلــوق ـ أن يوفق بــين المتناقضات جميعا ، دون أن يميل الى جانب فيغلبــه علــى باقي الجوانب الأخــرى .. فهو يتبنــى الجماعية والملكية المشتركة فيما لا بد أن يكون ملكا للجماعة ينال منــه كل انسان نصيبــا دون مــا عائق مــن ظروف اقتصادية واجتماعية .. وهو ينادي بالفرديــة المتعاونــة حينمــا تكون الحوافز والتطلعات هي أساس التقدم ومنطلق البناء .. ولقد فعل الاسلام ذلك لا عن رغبة في التلفيق والتوفيق ، ولكن عن بصيرة يستمدها من الخالق الذي خلق الخلق ، ويعرف ما أودعه فيهم من دوافع وغرائز وآمال وأحلام وضعف وقوة ... ودنيوية وروحانية .. فالاسلام كامل شامل يستوعب كل مــا أقامه البشــر من نظريــات واتجاهــات وايدولوجيات هــي في حقيقتها اتجاه نحو جانب دون باقي الجوانب الأساسية في حياة الانسان ، ومن ثم فلا تناقض حقيقي بين الدين والأيدولوجيات ..

ثم ان هناك أمــرا ثالثا .. لقــد

---

(١) العــدد ٢٦

أحسست من مقالك أنك تغلب الرجعية على التقدم .. فهل تريدنا أن نعيش في القرون الوسطى بينما العالم قد انتقل الى عصر الذرة ؟ ونكستنا الأخيرة خير دليل على الدور الذي يلعبه العلم في مصائر الشعوب ؟ !

قلت لمحدثي . أما أن أرنولد توينبي قد ساوى في تحليله بين الأديان والأيدولوجيات ، ثم انتهى من دراسته الى ضرورة عودة البشرية الى الأديان السماوية ، ونبذ الأيدولوجيات التي ستقود العالم الى فنائه وتدميره ، فهذا حق ، وهو في نظري معذور في هذا النهج الذى انتهجه .. فهو عالم يريد أن يتسم بحياد العلماء ، وكلما كان موضوعيا متجردا في تحليله كلما استطاع أن يقنع ... خصوصا في عصر العلم الذي يعتمد على الموضوعية والحياد العلمي .. ومن ثم فان كتابه يعتبر بصيصا من نور يضيء بعض الجوانب في مجتمعات أعماها التقدم العلمي ، والانحياز الأيدولوجي ، والتهافت المادي عن أن تعود الى حظيرة الدين ..

وبقي أنه ذو فضل لأنه أضاء شمعة في جنبات حجرة تكتنفها ظلمات بعضها فوق بعض ... والأخطر من ذلك أن تلك الظلمات تجتذب الى حظيرتها — مجتمعات أخرى كان يضيئها نور الاسلام — فدخلت ظلمات الأيدولوجيات ، ونسيت أو تناست ما كانت تعيش فيه من نور وهدى .. ولما كان الفكر هو محرك القوى البشرية فاننا نتحمس لكل فكر يساعد البشرية على أن تتبين طريقها فلا تخبط خبط عشواء في دروب تقودها درجة فدرجة الى نهايتها المحتومة من الضلالة والهلاك .

ومن ثم فان صيحة توينبي في دراسته العلمية قد ترد المجتمعات الى طريق الهداية بعدما كان من فصل بين الدين والدولة .. نتيجة لتاريخ طويل من تجبر الكنيسة التي فرضت الظلام والتخلف باسم الدين فألجأتها الى الأيدولوجيات تستمد منها الالهام .. وكان عصر العلم بعد أن نفضت أوروبا عنها سيطرة الكنيسة ورجالها .. ومن ثم اتجهت الى الأيدولوجيات واستبدلتها بالدين فكرا وقيما ...

أما الأمر الثاني فهو أن توينبي بما له من مكانة علمية مرموقة باعتباره من أكبر العلماء المعاصرين شهرة في تحليل التاريخ والحضارات قد ساعد بنظرياته وآرائه على تكوين جيل من المفكرين ، ومن ثم فهو جدير بأن نقف على رأيه في هذا الموضوع الذي أصبح من أهم ما يشغل عالمنا المعاصر وعالمنا العربي على وجه الخصوص ونحن قوم لا نتحيز في الفكر .. فقد تعلمنا منذ فجر نهضتنا أن لا نعرف الحق بالرجال .. ولكن نعرف الحق فنعرف رجاله .. وان كان توينبي يخالفنا دينا فلا يمنعنا ذلك من أن نتبين وجه الحق في كلامه .. وأن نستشهد به لعلمه وشهرته في قضية أصبحت تشغل حيزا هاما في حياتنا العربية المعاصرة .. فلعل بعض المخدوعين من بنى قومنا يقتنعون بالرأي اذ يأتيهم من عالم غربي له مكانته العلمية .. وخصوصا بالنسبة لمثقفينا المولعين بآراء علماء الغرب .. ومن ثم كان الاستشهاد برأيه .. وابراز التحليل الذي اعتمد عليه لينتهي الى ما انتهى اليه ..

الأمر الثالث أن توينبي وهو ينتمي الى الحضارة الغربية الطاغية التي تفرض على العالم نظمها وقيمها بطرق متعددة .. والتي تسعى الى توحيد العالم تحت شعاراتها ومبادئها .. وان كانت قد انقسمت على نفسها بين الأيدولوجيات المتصارعة الا أنه معذور لأنه — بحكم اعتزازه بحضارته — لم يستطع أن يحسن تفهم الدين الاسلامي ليتبين كيف يوفق في روعة خلاقة — تعلو على قدرة البشر — بين مختلف الاتجاهات

الايدولوجية ، وكيف يستوعبها جميعا ويصهرها في بوتقة واحدة على اساس متين من الأخلاق والقيم الفردية والاجتماعية الثابتة التي لا يعتورها التغيير ما بقي الدين اساسا لتكوينهم الفكري ولتعاملهم الاجتماعي . .

ويجب هنا أن نفصل بين الدين وبين معتنقيه ، فالدين الاسلامي في قواعده العامة واصوله الثابتة يتضمن من القيم والاحكام ما يصلح شأن الفرد والمجتمع ، ولكن من الضروري أن يستخرج معتنقوه من هذه الأصول والمبادىء العامة نظرية في الحياة والمجتمع تستطيع أن تقارع الحجة بالحجة . . نظرية تستطيع ان تفسر عوامل التقدم والتخلف . . فالفكر لا يقاومه الا الفكر . . لقد اسلمت الشعوب المسيحية قيادها الى الايدولوجيات لأن الدين المسيحي لم يستطع أن يمدها بالبناء الفكري الكامل الذي يستطيع أن يفسر الأوضاع الاجتماعية في المجتمع ، وان يمنحها الأمل والمثل الأعلى في مستقبلها . . وهو ما عملت الأيدولوجيات الحديثة على تقديمه على الخلاف المعروف بينها . .

والحق أن الموضوع أعمق من أن يكون مفاضلة أو مناظرة بين الأيدولوجيات من جانب والأديان السماوية من جانب آخر . . كل منها يجند الانصار ويدعو التابعين وان رجحت في ميزان التحليل بالمنطق والعقل كفة الأديان لأنها تغذي الجانب الروحي في الانسان ، وتمنحه من الراحة والاطمئنان الفردي والاستقرار الاجتماعي ما لا تمنحه له هذه الأيدولوجيات . نقول ان الموضوع أعمق من هذا وخصوصا بالنسبة لنا نحن المسلمين وعلى الأخص بالنسبة للشعوب العربية التي تعاني من مواجهة حضارية منذ بداية هذا القرن بينها وبين الأيدولوجيات الغربية (سواء كانت رأسمالية أو شيوعية) فالاثنان على السواء ماديو النزعة والمنطلق . . وان هذا الذي نشهده هذه الأيام لهو الأزمة الحضارية بكل أبعادها . وكان لا بد أن نتعرض لها حتى نفيق من سباتنا . . وحتى نتبين موقفنا من العالم وموقف العالم منا .

ولقد طال علينا الأمر ونحن نجتر ذكريات تراثنا المجيد . . وأن كنا في الواقع لا نعرفه حق المعرفة . . فبينما كانت أوروبا تستيقظ كنا نحن نياما . وحينما نهضت فتحنا أعيننا . . ثم حينما بدات تلتفت نحونا تريد أن تلتهمنا كنا قد بدأنا نستيقظ . . واذ بنا دويلات تخضع كل منها لنفوذ معسكر أو دولة أوروبية . . واذا بنا أشد ارتباطا — خصوصا من الناحية الاقتصادية — بهذه الدول من ارتباطنا بعضنا ببعض . .

وبينما نحن نمسح النوم عن عيوننا كان العملاق قد انتصب واقفا وكان لا بد أن يقع الاصطدام لنفيق ، ونعيد التفكير في حضارتنا في مواجهة الحضارة الغربية .

واجهتنا الايدولوجيات الغربية وكل منها يريد أن نندمج فيه ، ونعتنق مبادئه اعتمادا على الفراغ الفكرى الذى وجدنا عليه أنفسنا . . لقد واجهونا ليس فقط بحضارة مادية متقدمة استطاعت أن ترفع مستوى معيشة الفرد ، ولكن أيضا — وهو الاهم — بنظرية متكاملة تفسر الواقع وترسم طريق المستقبل . . ولم يكن العالم الاسلامى مستعدا لهذه المواجهة ، فقد طال عليه الامد ، وهو يجتر ذكريات مبهمة من تراث مضى لم يستطع أن يستخرج منه نظرية تقف على قدم المساواة جدليا ومنطقيا مع ما واجهه من فكر ، أو تستطيع أن ترسم له بوضوح واقعى طريق المستقبل . .

يقول احد المستشرقين ان الحضارة الاسلامية ، حين كانت هى الحضارة الغالبة — فالحضارة تفرض نفسها بقوتها — كانت تمتلك فرصة الاختيار

من تراث الحضارات المنهارة ما تدعم به حضارتها من علوم وفنون ونظم . ففى عصر الدولة العباسية نشط المسلمون للترجمة يطلون من خلالها على حضارات غيرهم من الفرس والروم والهنود .. وكان اختيارهم لما يثرى حضارتهم مبنيا على انتقاء ما لا يتصادم في أى جانب من جوانبه مع عقيدتهم ودينهم ، الذى حقق لهم هذه الغلبة .. فأخذوا مايشاءون ، وتركوا ما يريبهم ، فالاسلام لم يكن في ذلك الوقت في موقف دفاعى ، ولكنه تبنى تلك الامكانيات الاجنبية لمصلحته هو ، وفعل ذلك في ريث وأناة ، وان كان قد وقع تحت تأثير ضغط فلم يكن ذلك من الخارج ، ولكن بدافع من مرحلة التطور التى كان يمر بها .

الا أن الحضارة الاسلامية الآن (في رأى كثير من المستشرقين) ليست لها هذه الخيرة .. فهى في موقف الحضارة المغلوبة التى لا خيار لها الا أن تأخذ من الحضارة الغالبة مقومات حياتها ونهضتها .. والا ظلت متخلفة نهبا لأطماع المتخطفين من كل جانب . ومن ثم كانت دعوة المثقفين ــ الذين أطلوا على الحضارة الغربية فبهرتهم أضواؤها ــ أن نأخذ من هذه الحضارة ما يعيننا على اللحاق بهم ــ بحيث لا يصطدم مع عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا .. وخالفهم في هذا الاتجاه سلفيون نادوا بالتمسك بتراثنا بكل ما فيه .. نتعمقه أولا قبل أن نفتح نوافذنا لرياح قد تطيح بنا ..

وقد يستدل بعض المقاومين للحضارة الغربية برأى لأرنولدتوينبى يقول : ان الأخذ بماديات حضارة ما لا بد أن يتبعه بالضرورة ، ومن خلال الزمن تبن للقيم والنظم التى تتفق مع هذه الماديات .. فنحن نسرع في اتخاذ السيارة مثلا وسيلة للانتقال .. لأنها أسرع وأترف .. ثم نأخذ بالتدريج ما يتصل باستعمال السيارة من قيم ونظم .. فنضطر الى تغيير هندسة مدننا .. فبدلا من تقارب البيوت وضيق الشوارع الذى كان الطابع الغالب لمدننا استجابة لمناخنا الحار .. اضطررنا الى اتخاذ الشوارع الواسعة ، وقوانين المرور .. وقواعد القيادة .. وهكذا . .في كل المنتجات المادية للحضارة . فالاخذ بالتكنولوجيا الحديثة « سيجلب بالضرورة تغيرات في المواقف الاجتماعية والفكرية ، وتلك التغيرات ستجر الى ألوان أخرى من الاستمدادات العلمية والفلسفية ، وربما وصلت أخيرا الى المستوى الدينى » ومن ثم كان رأى توينبى (أو تنبؤه) بامكانية توحيد العالم ــ مطبوعا بطابع الحضارة الغربية بالطبع ــ فالمنتجات جميعا تتجه الى أهداف وقيم متشابهة ، ومن هنا أيضا كانت دعوته الى نبذ الايدولوجيات والعودة الى الاديان السماوية بعد أن يسودها التعاون والتفاهم بدلا من الصراع حتى يمكن أن يتم توحيد العالم أيضا من الجانب الروحى الذى لا حياة ولا غنى ولا استقرار للبشرية الا بوجوده ، ولا يعنينا هنا أن يكون مخلصا أو غير مخلص فيما ينادى به ويدعو اليه .

لقد كان على الجانبين المتصارعين منذ البداية أن يجيبوا أولا على عدة أسئلة أساسية قبل الوصول الى ما وصلا اليه من فكر يقود ويغذى صراعهم ، الذى لم ينته حتى الآن الى اتجاه واحد يجمعهما على طريق المستقبل الذى تتطلع الى تحقيقه كل شعوب العالم الاسلامى .. وهو ما سنحاول أن نعرضه في الحلقة القادمة.

---

* فون جونباوم « تأثر الأمم الاسلامية بمدنية الغرب » . الثقافية الاسلامية والحياة المعاصرة تقديم محمد خلف الله ــ مكتبة النهضة ١٩٦٢

* فون جونباوم « تأثر الأمم الاسلامية بمدنية الغرب » . الثقافية الاسلامية والحياة المعاصرة ــ تقديم محمد خلف الله ــ مكتبة النهضة ١٩٦٢ ص ١٨٦ .

نصيب دوشي
محمد السباعي
الكرم الابا الصحة

أوضاع الأقليات الإسلامية في العالم

المسلمون في تايلند «سيام»

اعداد : ادارة الشؤون الاسلامية

الوضع الجغرافي :

تايلاند دولة مستقلة ، تقع فى الجنوب الشرقى من آسيا ، حدودها من الشرق والشمال الشرقى ، كمبوديا ولاوس ، ومن الغـرب والشمال الغربى بورما ، ومن الجنوب ماليزيا . مساحتها (١٩٨/٤٥٦) ميلا مربعـا ، وتغطى الغابات حوالى ٧٠٪ من مساحتها والباقى سهول ووديان خضراء خصبة وحقول أرز غنية ، ولذلك كانت الزراعة هى عصب الحياة الاقتصادية للبلاد ، فالتربة خصبة والمياه وافرة ، ويشكل الارز الغـذاء الرئيسى الذى يفيض عن الحاجة فيشكل مصدرا هاما للحصول على العملة الاجنبية ، ومن أهم صادراتها بالاضافة الى الأرز ، المطاط والصفيح وغير ذلك .

يبلغ عدد السكان (٣٠) مليون نسمة ، منهم ثلاثة ملايين ونصف المليون مسلمون يعيش معظمهم فى المقاطعات الجنوبية الاربع التى تتاخم حدود ماليزيا ، أما بقية المسلمين فهم موزعون فى شتى أنحاء البلاد وعلى الاخص فى أيوديا العاصمة القديمة وفى بانكوك العاصمة الحالية ، كما يعيش بعض المسلمين فى



الشرق والشمال الشرقى ، وينتشر آخرون فى منـاطق مختلفة ، الا أن عدد المسلمين الحقيقى غير معروف اذ ليس هناك احصاء رسمى صحيح والارقام التى تبين عددهم مشوهة وصغيرة لأسباب سياسية كما هو الحال فى تنزانيا وأثيوبيا وسيراليون ولبنان .

نظام الحكم :

تقوم الادارة فى تايلاند على أساس ديمقراطى ملكى والملك يمارس سلطته عن طريق موافقـة المجلس الشعبى وتصديقه والملك الحالى هو « بوميبول ادرلياويج » وهو ملك دستورى يرعى كافة الأديان فى المملكة ، وتعترف الدولة بالبوذية كدين رسمى ويشكل البوذيون الاغلبية الساحقة ويعيشون بسـلام مع الأقليات الأخرى .

لمحة تاريخيـة :

بدأ اهتمام الأسرة المالكة بالاسلام فى تايلاند منذ ثلاث مئة وستين سنة عندما حضر الى عاصمة البلاد اخوان من بلاد فارس هما الشيخ أحمد والشيخ

سعيد وكانت العاصمة ايوديا مدينة مزدهرة واشتغل الاخوان فى التجارة ، ثم التحق الأخ الاكبر الشيخ أحمد فى خدمة الملك واصبح مسؤولا عن الشؤون الاسلامية ومنحه الملك وظيفة عالية فى البلاد .

وقد تقدم الاسلام بخطا سريعة فى عهد الملك ناراى الكبير (١٦٥٦–١٦٨٨) فعلى الرغم من مقاومة الملك لجهود رسل الحكام المسلمين فى سومطرة والهند لدعوته الى الاسلام ، فقد سمح للسفير الهندى المسلم ببناء مسجد فى عاصمة ملكه ، ثم دفع نقودا لبناء المساجد ، واستمرت حماية الملوك للاسلام رغم انتقال العاصمة أولا من أيوديا الى ذنورى ثم الى بانكوك العاصمة الحالية ، وكانت الشؤون الاسلامية من اختصاص أحد المسؤولين فى المحكمة العليا كان يعرف بالفباخولارا جمونترى ، وفى عام ١٩٠١ أصدر الملك شمولالونج كورن قانونا يقضى بالفصل فى كافة القضايا المدنية المتعلقة بمسائل الزواج والميراث بين المسلمين على يد قضاة مسلمين ، ووضع خلفه الملك فاجيرانوذ مجموعة من القوانين تتناول علاقات حكومته برعاياها المسلمين ، كما ضمن الدستور الذى تبع الغاء الملكية المطلقة فى عام ١٩٣٢ التسامح وحماية الأديان فى تايلاند بمادة تنص على أن الملك « يساند كافة المعتقدات الدينية » .

حالة المسلمين الدينية :

يتمتع المسلمون فى تايلاند بحريتهم الدينية الكاملة وبممارسة شعائرهم الدينية واقامة الاحتفالات الاسلامية فى المناسبات وفى حالات معينة يسمح لهم بعقد احتفالاتهم فى الاماكن العامة ، فيجرى الاحتفال بالمولد النبوى فى ميدان عام دائما ويدعى لحضوره الملك والملكة وقد أكدت السلطات التشريعية منذ القرار الملكى الذى صدر فى عام ١٩٤٥ ضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية فى قضايا الاحوال الشخصية ، بالنسبة لزواج المسلمين وتوارثهم وما يتصل بذلك ، كما اعفتهم من ضريبة ذبح الحيوانات لأغراض التضحية الدينية ونظمت ادارة شؤون المساجد ، وخصصت قطعا من الاراضى لبنائها ، كما تتولى الحكومة تسهيل السفر للحجاج الى مكة المكرمة ، كاعطاء موظفى الحكومة من المسلمين الراغبين بأداء فريضة الحج أجازة براتب كامل ، ويبلغ عدد الذين يؤدون فريضة الحج من التايلانديين كل سنة حوالى الفى مسلم ، فالمسلمون التايلانديون مغرمون بأداء فريضة الحج ، وكثيرا ما يرهنون ممتلكاتهم ويبيعونها كى يتمكنوا من أدائها ، وتتكرر هذه الحوادث نظرا لجهلهم بروح الاسلام وتعاليمه ، كما يعطى للمسلمين اجازات براتب للعطل الدينية كعيدى الفطر والاضحى ويسمح لرجال القوات المسلحة والبوليس من المسلمين بوقت كاف كل يوم جمعة لأداء الصلاة فى المسجد .

ويتمتع المسلمون فى تايلاند بحرية تشكيل المنظمات الاجتماعية ، ويوجد حوالى « ٣٠ » منظمة فى البلاد ، غير أن معظمها ليس نشيطا ، وكل منها يعمل بشكل مستقل فلا تتحد كلمة الجالية الاسلامية حتى فى مناسبات الفرح والجنازة والاحتفالات ، فهناك حزبان من المسلمين فى تايلاند أولهما قديم يقوم على البدع والخرافات والثانى حديث يعرف بالوهابى أو (قوم الجديد) والذى له اتباع قلائل ، ويتبع كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد دخل النظام الاخير فى صفوف الجماهير منذ أربعين سنة خلت بفضل العالم الاندونيسى العظيم الشيخ أحمد وهاب ، وكان هذا الرجل يتعاون مع المرحوم السيد رشيد رضا ، ومما يؤسف له أن هذه الجماعة تضعف يوما بعد يوم .

المساجد :

يبلغ عدد المساجد الرسمية فى تايلاند (١٢٦٧) مسجدا منها (١٠٤) مساجد فى العاصمة (بانكوك) وتتركز أكبر مجموعة من المساجد بما فيها المسجد المركزى فى المقاطعات الجنوبية الاربع وهى باتانى وبالاونا ، واثيغاز وساتول ، حيث يبلغ عدد المساجد فيها حوالى النصف من المجموع العام ، واما المسجد المركزى الكبير فهو فى مقاطعة باتانى ، وتنتشر باقى المساجد فى أكثر من (٣٢) مقاطعة ، وبعض هذه المساجد تعمل على بناء مدارس ملحقة بها لتدريس العلوم الاسلامية لطلاب المدارس وبعد انتهاء دروسهم النظامية . هذا وتخصص الحكومة ميزانية سنوية لاصلاح المساجد وبنائها .

الحالة الثقافية :

يوجد فى تايلاند حوالى (٢٥) مدرسة عادية يديرها أصحابها من المسلمين وقليل من هذه المدارس يعلم الدين الاسلامى ، ومعظمها يوجد فى العاصمة ، كما أن هناك مدارس دينية محضة للعلوم الاسلامية فقط ، غير أنه لم يجر احصاء لعددها لأن معظمها غير مسجل رغم أن عددها كبير . . الا أن المسلمين فى تايلاند يفتقرون بشكل عام الى التعليم والوعى السياسى فهم متأخرون فى ميدان التعليم الاسلامى والتعليم العام على السواء ، وليس هناك اى مؤسسة اسلامية كاملة تضمن مستقبل الاجيال القادمة ، ولذلك يقتصر الاسلام على أداء الصلاة والصوم والحج ، ولا يتم تطبيقه كمنهج حياة ، كما أن من يهتم بالتعليم الدينى يتلقى تعليمه من مؤلفات مكتوبة بلغة غير اللغة التايلاندية أو العربية ، وضعها علماء فى القرن الخامس عشر او السادس عشر ولا ترتكز على أساس النظرية الاصلية من القرآن والحديث ، وباستثناء عدد قليل من الرسائل ينعدم وجود أدب اسلامى باللغة التايلاندية ، ولذلك ينتشر الجهل بمبادىء الاسلام الصحيح وشعائره ، كما أن الحاجة ماسة الى مجلة اسلامية قوية باللغة المحلية فى سبيل نشر المعرفة الصحيحة عن الاسلام ومعالجة قضايا الانقسام والشقاق ، أما من يبحث عن تعليم عام فيذهب الى المدارس العامة المنعزلة عن الاسلام والتى يكون فيها التعليم البوذى اجباريا ، وأما المدارس الاسلامية القليلة العدد اجمالا فقد تبنى قسم منها نظام التعليم الحكومى الذى تعترف به وزارة التربية والتعليم ، ومن ثم هناك درس للدين البوذى يحضره الطلبة المسلمون وغير المسلمين وفى تلك الحالة يثقل كاهل الطلبة المسلمين بتعليم الجانب الاسلامى خارج قاعة الدرس مدة ساعة ليست كافية ولا مؤثرة .

ويتكلم المسلمون التايلانديون اللغات المحلية الى جانب العربية بالنسبة للمتعلمين أما فى الجنوب فيتكلمون لغة خاصة بهم وهى لهجة ملاوية ، وهم متأخرون فى التعليم لدرجة أنهم لا يجيدون الكتابة ولا القراءة أو التحدث باللغة التايلاندية التى هى لغتهم الاصلية ولذلك ليس فى مقدورهم تولى نصيبهم الشرعى من وظائف الحكومة ولكن بعضهم يجيد العربية الى جانب الملاوية .

والجدير بالذكر أنه فى عام ١٩٥٠ تم انشاء كلية اسلامية فى بانكوك وهى مؤسسة حديثة حسنة الاثاث ، يزيد عدد طلابها عن ثمانمائة طالب ، وتقدم المنح الدراسية الحكومية لاستئناف الدراسة فى الجامعات المحلية والمؤسسات الدينية فى الخارج .

الارتباط الادارى للمسلمين :

يسمى المسئول الاول عن المسلمين بشيخ الاسلام ويصدر قرار بتعيينه من

(البقية ص ٨٥)

قصة

الظن

قال محدثى وهو يقص على أحداث هذه القصة الرهيبة التى هى شر ما يمكن أن يتعرض لأهوالها انسان .

توجست خيفة من ذلك الشاب الرهيب ، الذى كان يجلس الى جوارى ، وكانت الشمس تجنح للمغيب ، وقد راحت تجمع شتات أشعتها الواهنة المبعثرة فى الافق ، لتختفى خلف حاجز الامواج البعيـــدة اذ كان مجلسى عند شاطىء البحر ، وكنت راغبــا فى الترويح عن النفس ، بعــد عناء يوم مفعم بعوامل الاجهاد ، وكنت قد اتخذت مجلسى عفوا فوق المقعد الرخامى من مقاعد الشاطىء، وحانت منى التفــاتة فاذا بى الى جواره ، الى جوار ذلك الشاب الذى ينضح وجهه بكل معانى القسوة ، والمرارة ، والحقد والذى يكاد البصيص المنطلق من عينيه يتحول الى شواظ من نار .

ومع ذلك فقد كان فى ريعان الشباب ، حسن البزة ، أنيق المظهر ، بل وقد كان مثقفا على طريقة شباب العصر ، اذ كان الى جواره كتاب ، من هذه الكتب التى تحوى بين صفحاتها علما من ذلك النوع الذى يعتبر حجة الله على ابن آدم .

وكان الشاب يقبض أصابعه ثم يبسطها فى عصبية ظاهرة ، ثم لا يلبث أن يقرع ركبتيه بيديه فى انفعال ، ويحدق فى صمت فى الفراغ البعيد عبر الامواج .

وكان خير ما يمكن أن يصنعه محدثى هو أن ينهض ، أن يبتعد عن مثل هذا المجال ، فقد ظن أن بعقل الشاب لوثة أو جنــة ، وأنه قد لا يلبث بعد قليل أن يؤذيه ، وهم صاحبى أن يتسلل فى هدوء ولكن الشاب تنبه اليه فقبض على يمينه وشده اليه فى عنف .

ومرت برهة صمت رهيبة مخيفة مشحونة بجميع التوجسات والاحتمالات ، ولكن صاحبى ما لبث أن رأى فى عينى الشــاب دموعا تترقرق بين جفنيــه ، وتحولت ملامح وجهه الى شىء ينضح بالرجاء ، وقال الشاب :

ألست فلانا ..؟

قال محدثى : بلى

قال الشاب فيما يشبه التوسل الذى تعجز عن وصفه الكلمات .. وكان حديثه أشبه بالهمس المتقطع المبهور الانفاس .

أعرفك يا سيدى .. اننى من جيرانك ـــ كنت أراك تتلو الآيات فى شرفة دارك .. فاجلس وأستمع ، انك من ذلك النوع الذى يستطيع أن يرشدنى .

بقلم : الاستاذ محمد لبيب البوهى

والعذاب

فوجد صاحبى نفسه الى جوار انسان بائس يستجدى المودة ، ويلتمس النصح فاقترب منه وقد فارقه الروع بل أخذ يهدىء من انفعـــال الشاب الذى انفجر يقول بصوت حاد قوى مرتفع .

ماذا لو أننى أمسكت بقطعة من حجر فشججت بها رأسى حتى ينفجر منه الدم ..؟

أو ماذا لو أننى جئت بثقل من حديد فشددته الى قدمى ، وألقيت بنفسى فى أغوار اليم لأكون طعاما للأسماك ..؟

ماذا يا سيدى لو أننى فعلت بنفسى شيئا من ذلك ، أو أوقعت بنفسى ما هو أشد فظاعة وهولا ، هل يمكن أن يكون ذلك التعذيب لنفسى سبيلا الى نيـــل المغفرة ..؟

أخذ صاحبى يطيل النظر فى ذهول الى الشاب ، وقد أخذ ظنه يتحول الى ما يشبه اليقين بأن الشاب به جنة أو خبل ، وهم أن يتباعد الى طرف المقعد لولا أن الشاب ارتمى فى بؤس على كتفه وانفجر فى بكاء مرير .

وغمرت صاحبى موجة العطف من جديد ، وكان عليه أن يطامن من هـــذا الانســـان الذى يحترق لسبب لا يدريه ، والذى بدا كأن بركانا يتفجر فى أعماقه فأخذ يتلطف اليه .

هون عليك يا أخى .

فشد الشاب من قبضته على يد الصديق . وقال فى عنف وهو يتراجع ويشد من قامته فى تصلب عنيف . لا تحاول أن تهون على أو تتلطف ، اذا كانت بك ذرة من عطف فأمسك برأسى وأضرب به فى الجدار ، أو ارشدنى الى أفظع ما يمكن لانسان أن ينزله بنفسه من العقاب ، فالعذاب قصاص ، لا تحدثنى عن الحرام والحلال ، ان كل ما أبغيه هو أن أعذب نفسى جزاء وفاقا عن جرم لا أعتقد اننى أستحق عنه مغفرة فى الارض ولا فى السماء ، ذلك ظنى ولا يهمنى أن يكون حقا أو باطلا ، اننى لا أريد المغفرة ، لأننى لا أستحقها ، وسوف أفر من كل باب من أبواب الرحمة ولو مكثت ألف عام فى هول الجحيم .. اننى مجرم .. مجرم .. مجرم من [illegible]ع شاذ مريع وعجيب .

و[illegible] يقص على صاحبى قصته فقال :

اننى اقترب من منتصف عامي الرابع والثلاثين ، ولم أتخذ لى زوجة الا من

نحو أربع سنوات فحسب ، وما أظن انسانا قضى أيام شبابه أسود مما قضيته ، أو غاص فى أعماق الوحل الى أكثر من العمق الذى غصت اليه ، وخرجت من تجارب الفسق والفجور وزمالة الابالسة وزبانية الهوى والشهوات ، خرجت من كل هذا بفكرة شيطانية هى أنه لا توجد على الارض امرأة تستعصى على الاغراء . لقد وقر فى خيالى الاحمق المريض أن كل بنات حواء مهيآت للخطيئة ، كل ما هن فى حاجة اليه هو الوقت والوسيلة ، وهى كلمات ليست من عندى وانما أنت تسمعها على أفواه أولئك الذين لهم مثل تجاربى والذين عاثوا فى الارض كما عثت ، وقد ظل أبى عشر سنوات يحاول بكل وسائله أن يدفعنى نحو الزواج ، ومات وهو عنى غير راض .. ترى هل اللعنة التى أصابتنى بعد ذلك هى لون من جزاء عقوق الوالدين والتردد عن طاعتهما ؟. يجوز .. انما ذلك ليس موضع تفكيرى الآن ، ولما مرضت أمى مرضها الاخير خشيت أن تموت هى الاخرى وهى عنى غير راضية فأسلمت الى ارادتها زمامى وتزوجت ..

نعم تزوجت من أربع سنوات ..

وما أشد ما تكشفت لى الحقائق من روعة ، لقد شعرت بالخزى والعار من ظنونى الابليسية نحو النساء فلو أن كل ما كتب أهل الفضل والمثل والقيم العليا فى فضائل النساء ، لو أن كل ما كتب عن ذلك قد تجسد فى صورة امرأة لكانت هى تلك التى دفعت بها الاقدار فى طريقى . وصمت الشاب قبل أن يسترسل وأرسل نظراته البئيسة الملتهبة فى أعماق ذكرياته النارية ومسح دمعة تحجرت فى مآقيه واستطرد .

لقد دفعت بها الاقدار فى طريقى ، وعلى حد معرفتى وتعبيرى فانى أتمنى لو رحمتها الاقدار ورحمتنى فأبعدت كلا منا عن الآخر . اننى أقول ليت .. ولكن ماذا تنفع ليت الآن ..؟

وترك الاسترسال فى الحديث وعاد الى البكاء البئيس المرير ، ولم يشأ صاحبى أن يحلف عليه ، أو يدفعه الى ما لا يريد ، بل رأى أن يتركه على سجيته حتى التفت اليه وقال :

لا أستطيع أن أصف ما جبلت عليه امرأتى من الرقة والنبل ، لقد كانت حورية هبطت الى من علياء السماء ، حتى قدر لها أن تلقى شر مصير على يدى هاتين ..

وفى غرة من صديقى استجمع الشاب قبضته ثم سدد ضربتين الى رأسه فى عنف عنيف ، وهو يود لو استطاع أن يدس أصابعه الى داخل جمجمته ليحطمها بينما استرسل يقول وهو يشير الى رأسه : هنا تكمن تلك الآلة اللعينة التى يسمونها العقل ، ذلك العقل القذر الذى لم يعصمنى من الهول ، ترى لماذا استمعت الى نصح الناصحين فتزوجت ؟ لماذا لم أدع نصحهم يذهب الى الجحيم ؟ لقد كان ذلك أهون مما صار اليه أمرى ..

وسمر نظراته النارية فى عينى صديقى وهو يقول :

لعلك ترانى شديد الانفعال ، كثير الهياج ، ذلك هو طبعى منذ البداية ، وهكذا كنت مع امرأتى .. آه .. ولكنها كانت بلسما لكل الجراح ، كانت لها قدرة ملائكية عجيبة على احتمالى ، حتى كنت فى كثير من الاحيان أهم أن أنشب يدى فى عنقها لأخنقها ، ثم أشعر بالخزى والعار أمام ابتساماتها ، وأعود بعد لحظات طالبا منها الصفح والعفو والغفران ، فكانت بطبيعتها العجيبة تزداد ابتساما ، وهى تضم رأسى الى صدرها فى حنان لم أعرف له مثيلا .. لقد كانت تعرف كيف تهدهد رغباتى وتروض ضراوتى .

ولكن أصهارى .. أهلها واخوتها .. نالهم منى الكثير من الاذى وفحش الهجاء ولم يكن لديهم ما يدعوهم الى احتمالى كما كانت تفعل ،

القطيعة بيني وبينهم ، لقد دب بيننا الخصام بل على وجه أكثر دقة رأوا فى هدوء أن يتباعدوا عن انسان لا يعرف لـكرامة الآخرين وقارا ، وغاظنى منهم ذلك الاحتقار الصامت لانفعالاتى فأقسمت أن تعمل امرأتى على قطيعتهم ، وقلت لها فى صوت عال كانت تردد صداه الجدران : اما أنا واما هم .. اذا وقع اختيارك على أهلك فاليك الباب فاخرجى منه ولا تعودى ..

فابتسمت ولم تجب .

ومرت شهور .. وشهور .. وشهور .. وأنا أتذوق حلاوة الحياة التى لم تكن ترقى اليهـا أحلامى فى يوم من أيام عزوفى عن الزواج ، حتى حدث ذلك الحادث المذهل الرهيب ، الحادث الذى أطلق عقال ظنونى السوداء الحبيسة ، وضرب عقلى بمطرقة الجنون ، وحصد كل هنائى بمنجل قاس لا يرحم .

كنت فى سفر ورحت أستعيد فى وحدتى البعيدة ذكريات سعادتى الزوجية مع امرأتى ، وتذكرت دعواتها الملحة لى الى الصلاة ، وفكرت فى تنفيذ هـذا الرجاء ، أن أعمل على تنفيذ رغبتها كانت تقول لن تكمل سعادتى حتى أراك تتوضأ كما يفعل الصالحون وتصلى، حينئذ سأشعر أننى تزوجت انسانا أفخر به ، صممت على أن أتيح لها الفرصة ، أن أجعل من نفسى انسانا تفخر به امرأته ، انسانا يعرف ربه فقد كانت تقول : طوبى للذين يعرفون الله ..

لم أكن على وجه اليقين أدرك لماذا كانت تدعونى دائما أبدا وفى الحـاح الى الصلاة ، ربما لأن الصلاة كانت ستخلصنى من الهياج الانفعالى الذى كان ياخذ بخناقى فانقاد له كوثنى يعبد صنمه .

مهما يكن من أمر فقد فكرت أن أحقق لها هذه الامنية والآن .. فقد أدركت كيف ينتهز الشيطان الفرص العجيبة المؤاتية ، لقد رأى الرجيم اننى أوشك أن أفلت من قبضة يده فسلط على أشد أعوانه خبثا وأفكا ، لقد فجر ينابيع الظنون السوداء فى رأسى .. تلك الظنون التى كانت ثمرة تجاربى القديمة مع الفحشاء ، حين كنت أستريب فى وجود العفة على الاطلاق ، انبثق فى خاطرى ظن أسود عن امرأتى يقول : وما يدريك أنها ليست هى الاخرى كاللواتى عرفت ..؟

كنت قد شمرت عن يدى للوضوء ولم أكن أعرف وقتذاك أن هذه وساوس ابليس ، بل انبرت لى الظنون تعربد فى عقلى وتدق جدران رأسى ، وخيل الى أن شيئا ما .. ربما يدور الآن من خلفى .. هنالك فى بيتى ..

وقررت أن أعود من فورى الى دارى ، فأسرعت فى غير روية وفعلت ، حريصا على عنصر المفاجأة ..

ويا للهول مما حدث .. مما لم يكن فى حسبان .

هنالك فى غبشة المساء عند وصولى تحققت أوهامى التى بعثت فى كيانى كله شعلة من نار لا يوصف لسعها .

رأيت رجلا لم أتبين ملامحه يتولى مسرعا من خلف أشجار حديقة دارى .

وأدركت على الفور أن المجرمة اللئيمة قد رأتنى قادما بسيارتى من الشرفة الشرقية المواجهة للطريق فأوعزت اليه أن يفر ..

وددت فى هذه الساعة لو كنت أحمل « مسدسى » ولكنى على كل حال وقبل أن تفلت منى اللحظة المؤاتية قررت أن أستعمل أصابعى وأظافرى ، ان أجداد أجدادنا الذين عاشوا فى الادغال منذ آلاف السنين كانوا يستعملون أظـافرهم وأسنانهم كأسلحة حادة عند الضرورة ، وهذه هى فرصتى وقد انبثقت هـذه الروح فى أعماقى . اندفعت من سيارتى وجريت خلفه ولحقت به وأمسـكت بطرف من ردائه وشددته بعنف فتمزق الرداء وبقى جزء منه فى يدى وانطلق اللعين ، انطلق المجرم بعد أن قفز الى سيارتى وفر بها .. كنا فى الليل ــ وكانت كل الاشياء تبدو كالاشباح .

رحت أجرى خلفه وأصرخ وأشد شعرى وانا ممسك بيدى بالقطعة التى انتزعتها من ردائه .

ولكن المجرم استطاع ان يفر ، بل كان فراره بسيارتى ، وما اخال منظرى فى تلك الساعة الا كان أشد فظاعة مما يتصور الناس عن أشكال الابالسة والشياطين .

وعدت الى الدار وانا اتميز من الغيظ ، وكانت المجرمة اللئيمة عند درجات السلم العليا فى بهاء روعتها وزينتها تبتسم تلك الابتسامة التى فجرت فى صدرى بركان النار ، فلم ألبث أن شددتها من شعرها ودفعتها بكل قوة وعنف فانهارت تتدحرج على الدرجات الرخامية كانها كرة من المطاط قذف بها طفل من عل ، لم انظر نحوها ، ولم أبال بها ، ولست أدرى اذا كانت قد ارسلت صيحة .. ام انهارت دون أن تتمكن من الصياح .. فقد قررت من فورى أن اذهب الى دار ذويها لأواجههم بالفضيحة والعار .

وهنالك عند باب دارهم طالعنى شيء غريب ، فقد وجدت سيارتى هناك ، فاخذنى من ذلك عجب شديد ، وانفجرت ضاحكا فى سخرية هستيرية أمام امعان الاقدار فى السخرية منى .. اذن فعشيقها هو أحد اقاربها .. هيه ..

وأخذت أصعد درجات بيتهم قفزا بغير اناة ، وفى صدر الصالة لقينى اخوها الاكبر وهو يبتسم ، كان جالسا وفى يده خيط يعالج رداءه الممزق ، ونظرت الى الرداء والى قطعة القماش التى فى يدى ..

وكانما لحظ أخوها ما يجول بخاطرى فقال وهو يعانقنى :

اعف عنى وسامحنى ، لقد خاصمتنا ولكن الشوق دفعنى الى رؤيتها .. لقد ذهبت فى غيبتك لأراها ـ انك تعلم انها الاخت الوحيدة .

واعتمدت رأسى بكلتا يدى ، واستندت الى الجدار احمى راسى من هول الدوار ، وبدت الارض كانما تميد بى وتدور ، ورحت فى صمت قاتل مريع انظر فى الفراغ لعلى أرى الجحيم فارتمى فيه .

قال أخوها ليقطع حبل الصمت :

ستشرب معنا القهوة ، ولعلك تراجع نفسك ، فتفتح لنا صدرك .

كان لهذا الكلام السهل البسيط على نفسى وقع شواظ النار فصرخت من اعماقى :

لا .. لا استطيع .

ورحت أهرول عائدا الى الدار ، وتبعنى اخوها ماخوذا بما بدا فى تصرفى من شذوذ ، كنت أسرع وأسرع فى المسير ، أود أن اقع تحت قدميها الطاهرتين وابللهما بالدموع وألتمس عندها التوبة وأرجو الغفران .

ولكن وا أسفاه .. لقد وجدت كل شيء قد انتهى ..

كان رجال الشرطة قد جاءوا واخذوا اقوالها قبل أن تلفظ آخر انفاسها .

لقد كتبت بخطها الذى أعرفه .. ان قدمها قد زلت فوقعت وطلبت اليهم ان يبلغونى حبها .

لم استطع ان اقف او اجلس .. ولم اعد قادرا على مواجهة الحياة ، فان استطعت أن تدلنى على أبواب الجحيم فافعل .. اننى مجرم .. مجرم من نوع شاذ وفظيع .. اننى لا أريد الرحمة ولا استحقها .. واياك أن تنظر الى بهـذه النظرات التى فيها العطف والرثاء اننى أريد العذاب .. والمزيد من العذاب .. وكل ما أبغيه أن تصبح قصـتى عظـة للآخرين .. والويل ثم الويل للذين لا يتذكرون .

الملك مدى الحياة بعد أن يتم ترشيحه من قبل مشايخ وجمهور المسلمين ويكون مستشارا للحكومة فى شؤون المسلمين ويتبع من الناحية الرسمية لوزارة التربية التى لها ادارة خاصة بالشؤون الدينية ويجرى له راتب شهرى محدد ، ويرأس لجنة تعرف باللجنة المركزية للمسلمين ، أما أعضاء اللجنة المركزية للمسلمين فليس لهم راتب ، ويتبعون وزارة الداخلية ، ولهم الحق فى تعويض مالى عندما يدعون لحضور اللجنة وتتألف من أربعة عشر عضوا يتم انتخابهم فى الغالب من أئمة المساجد الرسمية أو بتوصية من شيخ الاسلام .

ويلى اللجنة الاسلامية المركزية فى الاهمية والتسلسل الادارى اللجان الاقليمية التى يبلغ عددها (٢٤) لجنة ، وهى تشكل فى المناطق التى تعيش فيها مئة أسرة مسلمة على الاقل والتى فيها مسجد مسجل على الاقل ، ويرأس هذه اللجان عادة امام أحد المساجد الاقليمية ، وتتبع اللجنة المركزية بصفة مباشرة ، ولا يتقاضى أعضاء هذه اللجان مرتبات ولا مكافآت ، وهم يشغلون وظائفهم مدى الحياة ، وشيخ الاسلام الحالى هو الحاج اسماعيل ، وهو يحتل مركزا رئيسيا فى جميع الامور التى تتعلق بالاسلام وهو ممثل الملك فيما يخص حماية الحرية الدينية للمسلمين .

وبالرغم من أن للمسلمين الحق فى تولى الوظائف الادارية الحكومية ، الا أن كثيرا منهم لا تتاح لهم الفرصة لتولى الوظائف العالية كوزير أو وكيل وزارة أو سكرتير وزير رغم ثقافتهم العالية ، ومؤهلاتهم الممتازة وذلك بسبب الدين حيث يفضل البوذيون على سواهم فى الوظائف العالية .

الحالة الاجتماعية والاقتصادية :

يعيش المسلمون فى الجنوب كزراعيين يزرعون المطاط أو يشتغلون فى مزارع المطاط ومناجم الذهب كعمال ، وكثير منهم أصحاب أعمال ، وقليل منهم يمتلك المزارع ، وليس لدى المسلمين فى الجنوب شركات مهنية كبيرة ودائمة ولكنهم يمتلكون محلات تجارية صغيرة يديرونها بأنفسهم ، ويعيش فى بانكوك حوالى (٢٥٠) ألف من المسلمين (٢٠٪) منهم مثقفون و (٥٪) وصلوا الى المرحلة الجامعية ، وقد كان معظم المسلمين فى العاصمة مزارعين وبعضهم موظفون فى الشركات المهنية ومكاتب الحكومة وقليل منهم ملاك وتجار خشب ، وقد افتتح بعضهم شركات مهنية حرة ، ولما كانت البلاد تسير فى طريق التقدم والنمو فقد شقت طرق عديدة فى المزارع فى بانكوك فارتفعت أسعار الاراضى والمزارع التى يملكها المسلمون مما ساعد كثيرا من ذوى الحظ السعيد من المسلمين أن يصبحوا من أصحاب الملايين والملاك ، وقليل جدا من هؤلاء المسلمين يفكر فى انشاء شركة مهنية كبيرة ، الا أن القاعدة العامة هى أن المسلمين فى تايلاند فقراء ويعمل كثير منهم فى الصيد ، وأما الذين يتمتعون بأوضاع اقتصادية حسنة فهم قلة وهم فى تناقص وانخفاض .

هذه نبذة عن حياة المسلمين فى تايلاند ، وان المسلمين فيها فخورون بدينهم ومتحمسون لاتباع تعاليمه ، فهم يشتركون بانتظام فى المنافسات الدولية لتلاوة القرآن الكريم التى تجرى فى كوالالمبور بماليزيا يحضرها ممثلون عن باكستان والهند والفلبين وكمبوديا والبلد المضيفة ، وفى عام ١٩٦٣ نال قراء تايلاند الجائزتين الاولى والثانية .

الفتاوى

يسر المجلة ولجنة الفتوى بالوزارة أن تتلقى أسئلة القراء وتجيب عنها .

مس المصحف وحمله

السؤال :

هل يجوز حمل المصحف الشريف من غير وضوء وهل يجوز وضعه فوق سجادة الصلاة ؟

خضر سـليمان

السودان ــ الخرطوم

الاجابة :

ذهب جمهور الائمـة الى انه يحرم على المحدث حدثا اكبر أو أصغر مس المصحف وحمله استنادا الى قوله تعالى « لا يمسه الا المطهرون » والى حديث ابن عمر « ألا يمس الا على طهارة » ــ واستثنى الجمهور مسه بحائل منفصل بناء على أن المحرم هو المس مباشرة باليد بلا حائل ــ

وذهب بعض الفقهاء الى أنه يجوز لضرورة التعلم أو التعليم للمحدث حدثا أصغر أو أكبر ولو حائضا مس المصحف وحمله ، أما وضع المصحف فوق سجادة الصلاة فلا مانع منه شرعا اذ أنه موضوع فى مكان طاهر .

فى النكاح

السؤال :

انجبت عائشة بنتا تدعى خديجة ثم تزوجت خديجة برجل يدعى على وكان على متزوجا بامرأة أخرى له منها ولد ــ فهل يجوز لهذا الولد أن يتزوج عائشة أم زوجة أبيه ؟

راتب الشويكى

بمعهد الامامة والخطابة

الاجابة :

المحرمات بالمصاهرة أربعة أنواع :

١ ــ فروع زوجته المدخول بها .

٢ ــ أصول زوجته .

٣ ــ زوجة فروعه وان نزلوا .

٤ ــ زوجة اصوله وان علوا .

فيحرم بالاول أن يتزوج الرجل بنت زوجته التى دخل بها وبالثانى أم زوجته وجدتها مطلقا دخل بزوجته أو لم يدخل وبالثالث والرابع تحرم زوجة ابنه وزوجة أبيه وان بعد الاب والابن فتحرم الزوجة على أصول الزوج وفروعه ويحرم الزوج على أصول الزوجة وفروعها فقط وأما فروع الزوجة وأصولهـا فلا تحرم على أصول الزوج وفروعه ومن ثم فيجوز أن يتزوج رجل امرأة ويتزوج ابنه أو أبوه أمها أو بنتها من غيره .

وبناء على هذا يجوز شرعا أن يتزوج ابن على عائشة أم زوجة أبيـه المذكورة .

السؤال :

رجل تزوج امرأة وبعد مدة تزوج امرأة ثانية وطلقها ثلاث مرات بين كل مرة حوالى سنة — ثم تبين أنها رضعت مع زوجته الاولى مدة شهر ولم يكن الزوج يعرف موضوع الرضاع وقت زواجه بالثانية — وقد توفيت زوجته الاولى وله رغبة فى اعادة زوجته الثانية المطلقة — وقد قال له أحد العلماء أن زوجته الثانية لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره لانه طلقها ثلاث طلقات متفرقات وقال له آخر أنه يجوز له أن يتزوجها .

فما حكم الشريعة فى ذلك ؟

م. ص — الكويت

الاجابة :

لا يجوز شرعا الجمع بين أختين رضاعا ، كما أن المطلقة ثلاثا لا يحل لزوجها أن يعيدها الى عصمته حتى تنكح زوجا غيره — والطلاق هو رفع قيد النكاح الصحيح ولا يلحق النكاح الفاسد ، ونظرا لأن العقد على الثانية كان عقدا فاسدا لكون الاولى أختا من الرضاع للثانية فكل طلاق صدر منه عليها غير معتبر شرعا لعدم مصادفته محلا لابتنائه على عقد زواج فاسد ومن ثم فلا أثر للطلاق الذى أوقعه عليها ، ويجوز له أن يعقد عليها قبل أن تتزوج بغيره لوفاة الاولى اذ الجمع بسبب الرضاع أصبح غير قائم .

فى الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وأم وجد وأخ شقيق وأخ لأم .

فما نصيب كل وارث ؟

ح. ح — الكويت

الاجابة :

اذا لم يكن للمتوفى ورثة غير ما ذكر فيكون توزيع التركة على النحو الآتى :

للزوجة الربع فرضا ٦/٢٤ لعدم الفرع الوارث وللأم السدس فرضا ٤/٢٤ لوجود الاخوين الاخ الشقيق والاخ لأم لأنها حجبت بهما حجب نقصان من الثلث الى السدس ولا شىء للأخ لأم لحجبه بالاصل الذكر وهو الجد ومع كونه محجوبا حجب حرمان فقد كان سببا فى نقصان نصيب الام الى السدس — والباقى للأخ الشقيق والجد مناصفة لكل منهما ٧/٢٤ والجد ورث هنا بالمشاركة لأن نصيبه بها أكثر من فرضه السدس ويكون كل ذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين يكون على الميت .

السؤال :

توفى رجل عن أختين لأب وعمين شقيقين ، واخوين لأم وجدة لأم .

فما نصيب كل وارث ؟

محمد أحمد الكحلانى
بمعهد الامامة والخطابة — الكويت

الاجابة :

اذا لم يكن ورثة للمتوفى غير المذكورين فيكون توزيع تركته على النحو الآتى :

الثلثان فرضا ٤/٧ للأختين لأب مناصفة والثلث فرضا ٢/٧ للأخوين لأم بالتساوى بينهما والسدس فرضا ١/٧ للجدة لأم ولا شىء للعمين الشقيقين لأنهما من العصبات وقد استغرق أصحاب الفروض التركة وعالت المسألة ولم يبق شىء .

والله أعلم .



الحرب خدعة

دار بيننا نقاش حاد حول تحديد مصدر هذه الحكمة « الحرب خدعة » فقال احدنا : انها حديث نبوي ، وقال ثان : كلمة ماثورة عن علي بن ابي طالب ، ونفى آخر هذين القولين ، وذهب الى انها ترجمة كذا الالمانية ، وهي منقولة عن « هتلر » وانتصر احد الحاضرين لهذا الراي الاخير ، وانكر نسبتها الى الرسول او الامام لما تنطوي عليه من معاني الغدر والخيانة التي تاباها عصمة المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وما اثر عن بطولة علي كرم الله وجهه .

وقد انهينا النقاش على ان نكتب الى هذا الباب نستوضحه ما ياتي :

قائل هذه الكلمة . المناسبة التي قيلت فيها — ان صح انها حديث شريف . المعنى المقصود بهذه العبارة . ضبط لفظ « خدعة » المراجع التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع .

ع . س
مدرس ثانوي بالكويت

وردت هذه العبارة « الحرب خدعة » منسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل روي في غزوة الخندق ، وهو مدون في أمهات كتب التاريخ والسيرة الموثوق بها . نذكر منها : النهاية والبداية لابن كثير والسيرة النبوية لابن هشام ، وزاد المعاد لابن قيم الجوزية ، واستشهد المسعودي بهذه الجملة في الجزء الثاني من كتابه مروج الذهب على بلوغه عليه الصلاة والسلام في البلاغة والفصاحة مبلغا يصعب ادراكه ، ويعز مناله ، لما تضمنه هذا اللفظ اليسير والكلام الوجيز من مفاهيم ضخمة ومعان كثيرة .

واذا كان لفظ الخديعة يتسع لأكثر من معنى . فالمعنى المقصود منها هنا لا يمت بصلة الى الغدر ، ولا تشوبه من قريب ولا من بعيد رائحة الخيانة ، فالاسلام هو يكافح لأسمى الغايات — لا يبيح الغدر فى سبيل الفوز ، ولايستخدم الاساليب الخسيسة للوصول الى الغاية الشريفة ، اذ الوسيلة من الغاية والغاية من الوسيلة .



والمناسبة والظروف التى حدث فى جوها هذا النطق النبوى الكريم هى وحدها الاسلوب المنطقى لتحديد المراد بالخديعة فى الحديث . واذا كان أهل التأويل والتفسير يستعينون فى فهم المراد من النص القرآنى بأسباب النزول لما تلقيه من أضواء كاشفة تنير للفكر طريقه ، وتحدد للعقل مسيره فى معرفة المعنى المقصود من اللفظ الذى يتسع لأكثر من معنى — فينبغى أن يتبع هذا فى فهم السنة النبوية وشرحها . . وكثيرا ما أدى القصور عن اتباع هذا الاسلوب السديد فى الفهم والادراك لمعانى الكتاب والسنة — الى الشطط بالمقصرين فى التأويل ، أو السطحية فى الشرح والتفسير ، فان النظر المجرد الى النص الكريم مبتورا عن ظروفه وملابساته ، بعيدا عن أسبابه وموحياته قد أدى الى الخلط فى فهم تعاليم الاسلام . والاخطاء التي تورط فيها المسلمون فى العصور المتأخرة نتيجة سوء الفهم للكتاب والسنة كثيرة . ومن اجل هذا فاننا نحمد للسيد ع. س كاتب هذه الرسالة ، مسلكه الرشيد فى مطالبته بذكر المناسبة التى قيلت فيها هذه الجملة ان صح أنها حديث شريف .

ان الخدعة فى الحرب التى وردت فى الحديث تعنى تثبيط العدو ، وتخذيله وتوهين عزمه وكسر شوكته ، وتفويت غرضه عليه ، وذلك بسلوك مسلك الحيلة لايجاد ثغرة بين صفوفه ، وايقاع الفرقة بين أحزابه حتى يكفوا عن القتال ، وينقلبوا خائبين وقد أشار القرآن الكريم الى هذا حيث قال سبحانه « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفي الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » .



أما المناسبة التى قيل فيها هذا الحديث فهى غزوة الخندق — كما أشرنا الى ذلك — والحديث نفسه فيه بيان واضح للخديعة الحربية ، وصورة تنفيذية لها وهى خدعة اغنت المسلمين أيما غناء عن معركة لا يعلم عواقبها الا الله ، وما ظنك بمعركة يجد المسلمون فيها أنفسهم فى المدينة محاصرين بعشرة آلاف جندى من قريش وكنانه وغطفان وعرب تهامة وعرب نجد وغيرهم . فضلا عن وجود عدد كبير من يهود بنى قريظة داخل المدينة لا يوثق بعهدهم ولا يؤمن جانبهم ، لا شك أن كسب هذه المعركة يعتمد اكثر ما يعتمد على الراى والمكيدة أو قل الخديعة اكثر مما يعتمد على الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمى بالنبال ، وهذا هو الذى أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله الحرب خدعة . اذن ما هى الخدعة وكيف تمت ونجحت ؟

كان من تدبير الله وصنعه لنبيه أن أسلم نعيم بن مسعود سيد غطفان بعد أن أحاطت أحزاب الشرك بالمدينة وطوقتها من جميع الجهات . قال ابن اسحاق :

جاء نعيم ، وقال يا رسول الله انى اسلمت ، وان قومى لم يعلموا باسلامى ، فمرنى بمـــا شئت . . وتستطيع ان تدرك مبلغ الخطــر الذى كان يتعرض له المسلمون ، وعظم المسئولية التى كان يستشعرها الرسول فى هذه الظروف من رده صلى الله عليه وسلم على نعيم حيث قال له : انما انت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ـــ ان استطعت ـــ فان الحرب خدعة ، وعسى الله ان يصنع لنا .

فهم نعيم فى الحال الدور الذى يجب أن يقوم به ، فخرج لفوره حتى أتى يهود بنى قريظة ، وكان لهم نديما فى الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم .

قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم .

فقال : ان قريشا وغطفان ليسوا مثلكم ، فأنتم البلد بلدكم . فيه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم ، ولا تقدرون على أن تتحولوا منه الى غيره ، وأن قريشـــا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وأموالهم ونساؤهم وابناؤهم فى بلادهم ، فليسوا مثلكم . فان انتصروا فلهم النصر والمغنم ، وان انهزموا لحقوا ببلادهم ، وتركوكم للمسلمين ، ولا طاقة لكم بهم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون تحت أيديكم ثقة لكم حتى تضمنوا أن يثبتوا فى قتال محمد ، ولا يفروا .

فقالوا له جميعا : لقد اشرت بالرأى .

ويترك نعيم بنى قريظة ، ويتوجه الى مشركى قريش ، فيقول لهم : قد عرفتم ودى وفراقى محمدا .

قالوا : نعم .
قال : وانه بلغنى امر قد رايت حقا على ان ابلغكموه نصحا لكم ، فاكتموا عنى .

قالوا : نفعل .
قال : تعلمون ان معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا اليه يقولون : انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن ناخذ لك من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم ، فنعطيكهم ، فتضرب اعناقهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم ، فنقتلهم حتى نستاصلهم ، فارسل اليهم ان نعم . فان بعث اليكم بنو يهود يلتمسون رهنا من رجالكم ، فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج من عندهم واتى غطفان ، وقال لهم مثل ما قال لقريش .
وهكذا اتقن نعيم دوره فى تمثيل دور الصديق الوفى لكل من اليهـــــود والمشركين ، ونجح فى حيلته وخديعته .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس من الهجرة ارسل أبو سفيان ابن حرب ورؤوس غطفان بعكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان الى

بنى قريظة ليقولوا لهم : لقد طال حصارنا للمدينة ، ونفدت ميرتنا ، وهلك الخف والحافر ، فاستعدوا غدا (السبت) للقتال .

فكان رد اليهود : ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ، ولن نقاتل محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون تحت ايدينا ، فانا نخشى ان خسرتم الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تفروا الى بلادكم وتتركونا لمحمد واصحابه . ولا طاقة لنا بهم .

فلما رجع عكرمة الى قومه بهذا الجواب . قالوا والله ان الذى حدثنا به نعيم بن مسعود لحق ، وأرسلوا الى بنى قريظة انهم لن يعطوهم رجلا واحدا من رجالهم . عندئذ تحقق بنو قريظة من صدق نعيم .

وهكذا نجح نعيم فى تمزيق شمل الحلفاء ، وفعلت خديعته ما لا تفعله السيوف والرماح وأتم الله صنعه لنبيه فارسل على اعدائه الريح فى ليلة شاتية باردة كفأت قدورهم وخلعت خيامهم ، وقذفت الرعب فى قلوبهم فانقلبوا خائبين .



واما ضبط لفظ ((خدعة)) فقد جاء فى محيط المحيط . وفى الحديث الحرب خدعة اى تنقضى بخدعة . قال ثعلب والحديث باللغات الثلاث – فى حركة الخاء – فالفتح على أن الحرب ينقضى امرها بخدعة واحدة ، والضم على انها آلة الخداع والكسر لأنها تخدع أصحابها لكثرة وقوع الخداع فيها .. ثم قال والفتح افصح .

ويقال : ان معنى كون الحرب خدعة ان الظفر بها يكون بحسن التدبير والحزم ، لا بمجرد ،الشجاعة والاقدام كما قال ابو الطيب المتنبى :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى الى شرف من الانسان
ولربما طعن الفتى أقرانه
بالرأى قبل تطاعن الاقران

ومن هذا القبيل ما حكى عن عنترة العبسى انه قيل له : انت اشجع العرب واشدهم بطشا ، فقال : لا . فقيل له : كيف شاع لك هذا الاسم بين الناس ؟ قال : انى اقدم اذا رايت الاقدام عزما ، واحجم اذا رايت الاحجام حزما ، ولا ادخل مدخلا الا اذا رايت لى منه مخرجا .. والحرب خدعة .

فالخدعة غير الخيانة والغدر . وفرق كبير بين خدعة وخدعة .

بأقلام القراء

اليهود ... اليهود

طالعتنا مجلة لواء الاسلام القاهرية بمقال تحت هذا العنوان جاء فيه :

الق بنظرات سريعة على اوربا وأمريكا ومن وراءهما — هل ترى فى مواخير اوروبا وحاناتها الا انها تدار بأموال يهودية ، ويوجهها يهود ؟ وهل ترى دور أنواع الخيالة التى تشيع الفاحشة ، وتنشر الفساد وتحل النخوة ، وتقتل العزيمة الا انها تدار بشركات يهودية ، وهل ترى الآراء التى تحل عرا الجماعات وتقطع صلاتها ، وتفك كل رباط خلقى ، وتثير الاحقاد بين الامم الا صادرة عن رؤوس يهودية ؟ وهل ترى المذاهب التى تهدم الاديان ، وتقطع وشائج المودة ، وتهدم شكائم الاخلاق الا نابعة من الاوساط اليهودية ومن يمالئونهم او يقاربونهم او ينتمون الى اصول لهم ؟ انهم يريدون أن تكون الانسانية بورا دائما ، وأن تكون أمورها فرطا فى كل الاحوال ، ولا تماسك الا فى جمعهم ، ولا قوة الا فيهم .

ان اليهود هم خلفاء ابليس فى هذه الارض ، وهم اداته التى يستخدمها لاغواء البشر ، وهم الطغمة التى يتخذ منهم اعوانه ، وحزبه ، يحادون اهل الخير ودعاته .

وانهم فى كل بلد دخلاء فيه ، لا ينتمون اليه ، ولا يتخذون جنسيته ، بل لهم رباط يربطهم ، يجتمعون به على عداوة الناس اجمعين .

وان القرآن لم يخاطب الاخلاف بما كان عليه الاسلاف الا اليهود ، فما خاطب المشركين بجرائم من سبقوهم ولا خاطب النصارى بأخطاء اسلافهم ، ولكن خاطب اليهود بما كان عليه من سبقوهم فهو قد نسب عبادة العجل اليهم جميعا ، مع أن عبادة العجل كانت من السابقين ، ولم تكن من الحاضرين ، ونسب قتل النبيين اليهم جميعا مع أن القتل كان من اسلافهم ، ولكن قال سبحانه وتعالى :

« أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

ولماذا اختص القرآن اليهود بذلك ؟ السبب فيما يظهر انهم لعدم اندماجهم فى الناس ، وبعدهم ، وانحيازهم عنهم جعلهم مهما تتخالف عصورهم ، وتتباين أزمانهم يعيشون فى جو نفسى واحد ، وهم مترابطون برباط جماعى واحد ، فكل الناس تحول احوالهم ، وتتغير تقاليدهم وبيئاتهم الا اليهود ، فان بيئتهم واحدة واجتماعهم واحد ، يتخذون الناس مطايا لأهوائهم ، ولا يعملون لنفع غيرهم الا اذا كانت العقبى لهم وكل ما فيهم من شرور وحرص على الحياة ، ومادية وحسد وأثرة لا ايثار فيها ، هو نحلة لحاضرهم ولماضيهم ، ويتشابه الماضى والحاضر فيها على سواء .

واذا كان القرآن الكريم قد نعى عليهم أكلهم الربا وقد نهوا عنـه ، فانك واجد فيهم الربا اساسا لمعاملتهم مع الناس ، ولا يتعاملون به فيما بينهم ، فاليهودى لا ياخذ الربا من اليهودى ولكن ياخذه من غير اليهودى وقد نشروه فى العالم ، وتحكموا فيه عن طريقه ، والمدنية الربوية نستطيع ان نسميها مدنيـة يهودية والاقتصاد القائم على الربا هو اقتصاد يهودى من كل وجوهه ، وبذلك سيطروا على العالم الاقتصادى الذى يقوم على الفـائدة ، لأنهم اربابهـا ، وحماتها .

وان القرآن الـكريم قد جعل اليهود موضع الدراسـة للآفات النفسية والاجتماعية التى تئوف الخلق الانسانى ، وكما أن ابليس جعل موضع دراسة لأصل الشر فى هذا الوجود ، جعل القرآن اليهود موضع الدراسة للآفات التى تعترى الجماعات وتسكن فيها مع كثرة الدعوة الى الخير من المبعوثين اليهم .

ورابطوا واتقوا الله

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية فى كلمتها الافتتاحية تحت هذا العنوان ، تقول :

ان على الطريق الرائدة التى تطل منها اشراقة الامانة والهـدى صوى وأمارات كان منها قول الله القادر القاهر : « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

وهذا يعطى أن الصبر والمصابرة والمرابطـة وتقوى الله عز وجل امور وعناصر اساسية تأخذ بالامة الى طريق الفلاح والنصر ، وهى عوامل تشـكل وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة ولا الانفصام .

والذى يبدو للناقد البصير ، على ضوء تجاربنا الرائدة ، ان هذه العوامل الاساسية المشرقة ، لا بد أن تنتظم كيان الامة فكرا وعملا . فالصبر فى هذا الاطار ليس استكانة ولا خضوعا ، ولكنه ايمان بأن العاقبة للحق ، وثقة بما عند الله من نصر للمؤمنين المجاهدين ، ومثابرة على العمل بهمة لا تعرف الكلال .

أما المصابرة فهى مغالبة ، وهى نزال ، وهى عراك وكفاح لتغيير واقع الم ، وكارثة نزلت ، واعتقاد أن العمل اذا لم ينجح اليوم فهو بذرة طيبة فى أرض طيبة ، لا بد أن تؤتى أكلها ولو بعد حين ، وانك لتشم من التعبير بالمصابرة وفيه المفاعلة والمشاركة رائحة الجد والعرق والنصب ، وتفكر وكأنك تلمح المحاولة الصادقة للتغلب مع العقبات ، وتثبيت الاقدام للصمود ، والمعاناة الجادة الواعية لتحطيم الاغلال وفك القيود .

أما المرابطة وهى شقيقة الصبر والمصابرة . فهى الوقفة العنيدة المؤمنة على الثغر أمام العدو ، واليقظة بعين ساهرة على الحدود ، وهى تعنى كل معـانى التأهب الحقيقى ، ووعى القلب ويقظته ، والادراك العميق لأبعاد السهر والضنى فى هذا المكان أو ذاك .

ولن تجد المرابطة فى الاسلام قاصرة على الخارج ، وانما هى أيضا مرابطه للشر وعوامل الانحراف والتخلخل فى الداخل ، كيما تكون الامة بكامل طاقاتها المادية والروحية ، العملية والاخلاقيـة والسلوكية ، معبأة تعبئـة كاملة غير منقوصة تعمل عملها من أجل يوم لا بد أن يكون .

وملاك ذلك كله التقوى . . الامر الذى يقفنا أمام المسئولية والواجب ويعطى للعوامل السابقة معناها ، ويوجهها بأمانة نحو اهدافها ويضع كل واحد منهـا موضعه ، بحيث يتكامل البناء ، ويأخذ العمل طريقه الى النصر .

بأقـــلام القـــرّاء

يعبرون فيـه عن أفكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم ..

اقوال تحتاج الى اعمال

من مقال تحت هذا العنوان للأستاذ خليل الهنداوي يتحدث فيه عن شقاء الانسانية نتيجة اغراقها في المادة وحاجتها الماسة الى المعانى الروحية التى تصلها بالله ، وتسعدها في الحياة نقتطف ما يأتى :

ان الانسانية اليوم لا تشكو شيئا كفقدها « المعانى الروحية » ، واكتفائها بظواهر الأشياء دون أن تدرك البواطن منها . . .

هذا هو داء العصر فى كل مكان . . . فالعلم — مثلا — نؤمن بتقدمه ، ولا نؤمن بغرضه النبيل لتقدم الانسان . . . والحضارة نؤمن بآلاتها التى يسرت لنا الحياة ، ولا نؤمن بمعناها الروحى الذى يجب أن يكون غاية الانسان ، والدين نقوم بتعاليمه دون أن تنفذ الى أرواحنا معانيه المشرقة السامية . . . والمثل العليا انما تحيا بأصحابها ، لأنها ليست معانى مجردة ، وانما هى قبل كل شىء معان مجسدة ، تتجسد بأعمال أصحابها ، وتتمثل بالذين يعيشون من أجلها ، وعندما تخلو المثل العليا من « المعنى الروحى » الذى هو غايتها تصبح تقاليد جامدة ، لا روح فيها ولا حياة . والمثل العليا التى لا تتجسد في الأعمال لا يمكنها أن تبنى الانسان ، أو ترفع المجتمع السامى . . .

اننا في حاجة الى أن نعود بمعنى الدين الى غايته الحقيقة التى نزل من أجلها ، أن نرفعه من المظاهر الى البواطن . . . واذا لم نفهم من الدين جانبه الروحى والانسانى فان الذنب ذنبنا ، لا ذنب الدين ، لأننا لم ندرك معناه الحقيقى . . .

اننا في سبيلنا الى أن نفهم أن الصلاة ليست قياما وحده ، وانما هى انقطاع عن الأرض ، لتهبط علينا روحانية السماء السخية ، والتفات الى الجانب الروحى الذى لا تتحقق الانسانية الا به . . . وما كان معنى الوقوف بخشوع أمام الله الا التمرد على المادة التى تريد أن تقيدنا بأهوائها وملذاتها . . . والانطلاق من قيود الانسان الذي يستمتع بتقييد الانسان .

وهؤلاء الذين نصبوا أنفسهم أئمة وهداة ما كان أجدرهم بأن يذكروا قول على « من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن

تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم . »

وهنا . . . يصيب القائل الحكيم الداء الذى ينخر فى نفوسنا . . . فان المثل العليا لا تحيا بمعانيها المجردة . . . وانما تحيا بالأمثلة الحية التى يرمز اليها اصحابها . ونحن لا تنقصنا الأقوال ، وانما تنقصنا الأمثلة الصادقة الحية التي يرمز اليها الرجال . . . وما كان لدعوة مهما بلغت من التسامى ــ ان تجد طريقها الى الناس ، اذا لم تحمل هذه الدعوة روح صاحبها الى الناس . . .

بهذه الروح بشر الانبياء ، وعاشوا من أجلها ، وكانوا مثلا صادقا لها ، ورحمة الله ، بعد ذلك ، واسعة لمن شاء رحمته ، وروح الله شامل لمن طلبه ، والفقيه كل الفقه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤيسهم من روح الله .

وهل يطمع المسلمون في أكثر من هذه المعانى الروحية التى عللها (على) كرم الله وجهه في العبادات المفروضة اذ قال « فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك ، والصلاة تنزيها عن الكبر ، والزكاة تسبيبا للرزق ، والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق ، والحج تقوية للدين ، والجهاد عزا للاسلام ، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام والنهى عن المنكر ردعا للسفهاء ، والقصاص حقنا للدماء ، وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ، وترك الزنا تحصينا للنسب ، وترك الكذب تشريعا للصدق ، والسلام أمانا من المخاوف ، والأمانات نظاما للأمة » .

هذا هى المعانى الروحية التى جعلت الأرض تطلبهم حين طلبوا السماء .

ليكن شعارنا القوة

ويتحدث الدكتور سعيد محمد الخطيب ــ بيروت ــ تحت هذا العنوان فيقول .

نحن المسلمين عين ماء تجرى مياهها منذ الأزل غزيرة صافية رقراقة ... وعلى مرور الزمن تراكمت الرمال عليها ، وها نحن اليوم نزيل تلك الرمال بقوة وايمان ، وها قد بدأت المياه تنساب من جديد .. تجرى لتسقى العالم الحضارة والعلم الصادق الأصيل الذى نبع من أرضها أول ما نبع .

وهناك بقعة من أرضها .. قطعة من أكبادنا تشويها المرارة وينغصها الأسى والألم والحرمان فان تلك الأرض هى أعز بقعة من قلب الأمة العربية المسلمة اغتصبها الصهاينة من أهلها الحقيقيين .. لكن عزمنا على استرجاعها وطيد والتاريخ علمنا أن الأمة لا تقهر اذا احتمت بالله .. وأن الأمة العربية أصيبت بكدمة شديدة من جراء ما منيت به من هزيمة وعار وخذلان ، لكن العدو لن يفلت من يدها هذه المرة لأن العرب أدركوا أن القوة والنيران والضراوة هى السلاح الوحيد الفريد الناجع الذى يقنع الاعداء ويكفهم عن عوائهم وعدوانهم .. انهم ذئاب لا ينفع معها اللين بل القوة والحزم .

ها قد بدأت حجب الظلام ترتفع وترتفع رويدا رويدا ــ وتدريجيا عن دنيا العرب والمسلمين ، وغدا سيستعيدون مجدهم الغابر التليد ..

غدا ستعلو صيحات الشهداء والأبرياء واليتامى والمشردين .. والأرجاء ... وغدا ستتحول الأمة الاسلامية فى حربها مع الاعداء المغتصبين الى قوة .. لن تبقى ولن تذر .. وغدا سينسل سيف العدالة الحاسم ليقطع رؤوس الغاصبين .. وسندحر الصهاينة الى غير رجعة .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت

● **يقضي حضرة صاحب السمو الأمير المعظم فترة للراحة والاستجمام فى مصيفه بلبنان بعد أن حضر سموه مؤتمر القمة العربى الرابع فى الخرطوم ، وأجرى بعض الفحوصات الطبية فى باريس .**

● تبادل حضرة صاحب السمو الأمير المفدى وفضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر برقيات التهنئة والشكر بمناسبة جهود سموه حفظه الله فى القضايا العربية الراهنة .

● **بحث مجلس الوزراء فى جلسة استثنائية التطورات العربية الراهنة وتأمين مبلغ (٥٥) مليون دينار للواجب المقدس نتيجة العدوان الصهيونى .**

● رأس سعادة وزير الخارجية وفد الكويت الى اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، فى دورتها الحالية .

● **رأس معالى وزير الارشاد والأنباء الوفد الكويتى الى مؤتمر الاعلام العرب فى تونس .**

● ألقى رئيس وفد الكويت في المؤتمر البرلمانى الدولى خطابا دعا فيه الى ادانة اسرائيل وضرورة انسحابها من الأراضي العربية .

● **تبدأ الدراسة في الكليات الجامعية الأربع في الرابع عشر من الشهر الحالى ، ويتوقع قبول عدد كبير من الطلبة هذا العام .**

القاهرة

● **قرر مجلس الجامعة العربية بالاجماع تجديد مدة شغل السيد عبد الخالق حسونة لمنصب الأمين العام حتى ١٥ مارس القادم .**

● وجه مجلس الجامعة العربية نداء الى جبهة تحرير الجنوب المحتل والجبهة القومية وجميع الفئات الوطنية من أجل وحدة الصف في هذه المرحلة الحاسمة التى يمر بها شعب الجنوب من أجل الاستقلال .

● **رفعت الحراسة عن أموال وممتلكات الرعايا السعوديين ويبلغ عددهم (٨١) عائلة وشركتين وستسلم هذه الأموال والممتلكات لهم فورا .**

● ينتظر أن يقوم الامام الأكبر بزيارة المسلمين في آسيا الوسطى تلبية لدعوة وجهها اليه زعيم المسلمين هناك .

● **قرر مجلس الجامعة العربية تخصيص مبلغ (٢٠٠) ألف جنيه استرلينى لمساعدة الطلبة الفلسطينيين من ضحايا العدوان الاسرائيلى .**

● تقرر تأجيل الدراسة فى المعاهد الأزهرية في منطقة القناة شهرا ينتهى فى الثالث والعشرين من هذا الشهر .

● **وجهت الجامعة العربية الدعوة الى الدول الأعضاء والى امارات قطر وأبى ظبى والبحرين لحضور مؤتمر وكلاء وزارات الاقتصاد العربية الذى يعقد في الجزائر فى هذا الشهر .**

الريـــاض

● قام جلالة الملك فيصـــل بزيارة الصومال بدعوة من رئيس الجمهورية الصومالية .

● وافقت وزارة المعارف على تقديم (٨٠) منحة دراسية لطلاب الجنوب العربى فى مختلف مراحل التعليم وتقديم ٨ منح للطلبة الأندونيسيين .

● يدرس المسئولون مشروعا لاقامة مدرسة ثانوية نموذجية اسلامية فى احدى مناطق لندن تقدر تكاليفها بربع مليون جنيه استرليني .

● وصل الى الرياض وفد من الخبراء لدراسة مواقـــع تقام عليها كليـــة الطب لامداد البلاد بما تحتاج اليه من الأطباء السعوديين .

بـــغـــداد

● يتوقع أن يوجه فخامة الرئيس العراقي الدعوة للملوك والرؤساء العرب لعقد مؤتمر القمة القادم فى بغداد .

● ذكرت صحيفة الجمهورية العراقية أن الرئيس العراقى أرجأ الزيارات التى كان متوقعا أن يقوم بها الى عدد من الدول العربية والصديقة .

● وافق مجلس الوزراء على فرض عقوبـــة الاعدام علـــى جميع أعمـــال التجسس سواء فى السلم أو الحرب وذلك بسبب الظروف التى تمر بها الأمـــة العربيـــة .

عمـــان

● دعا جلالة العاهل الأردنى الصحافة الى معالجة القضايا العربية بعيدا عن الانفعال والسطحية وقال ان مؤتمر القمة العربى الأخير أكد ضرورة العمل الاعلامى لكسب أكبر عدد من الدول فى العالم .

● عقد مؤتمر اسلامى كبير شهده ممثلون من جميع أنحاء العالم الاسلامى لمناقشة وسائل انقاذ المسجد الأقصى والأماكن المقدسة الأخرى من الاحتـــلال الاسرائيلى .

● نشرت وزارة الاعلام بيانا وقعه (٨٠٠) من الزعماء الدينيين وأساتذة الجامعات والمحامين والكتاب فى الولايات المتحـــدة يعلنون فيه تأييدهم للدول العربية فى موقفها ضد الصهيونية المعتدية .

● قامت السلطات المحتلة بحملة اعتقالات وقد اعتقلت الشيخ عبد الحميد السايح وأبعدته الى الضفة الشرقية .

الخـــرطـــوم

● سيقوم فخامة الرئيس السوداني بزيارة موسكو فى أوائل العام القادم بدعوة من الاتحاد السوفييتى .

● أعلن وزير المالية والاقتصاد السودانـــى أن الولايات المتحدة تمـــارس سلسلة من الضغوط الاقتصادية على البلاد بسبب موقف السودان من القضية العربيـــة .

● ذكر وزير الداخلية أن لدى الحكومة تقارير تؤكد وجود معسكر للاجئين فى منطقة (ترفولا) الأثيوبية المتاخمة للحدود السودانية حيث يتم تزويد المتمردين بالأسلحـــة .

● تدرس الحكومة اقتراحا بالغاء جوازات وتأشيرات السفر بين القاهرة والخرطوم اكتفاء بالبطاقات الشخصية .

أخبـــار متفرقـــة :

● تبرعت الجالية اللبنانية فى نيجيريا بثلاثة آلاف كيلو من الأقمشة لضحايا العدوان الاسرائيلى.

● بدأ العمل فى طشقند لاصدار طبعة جديدة من القرآن الكريم على نسق المصحف العثمانى تلبية لحاجة المسلمين فى المنطقة .

اقرأ في هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راســـا مع متعهد التوزيع عنـــدهم ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ــ ٧ شارع الصحافـــة
مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـــاض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢
جـــــده : مكتبة الصلاح العالمية ــ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥
بغـــداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المـــكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـــدودة
دبـــى : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ــ السيد رجا العيســـى
دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨
الســـودان : ــ الخرطوم ــ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤
بور سودان : السيد عطا المنـــان . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣
مراكـــش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى
ليبـــيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



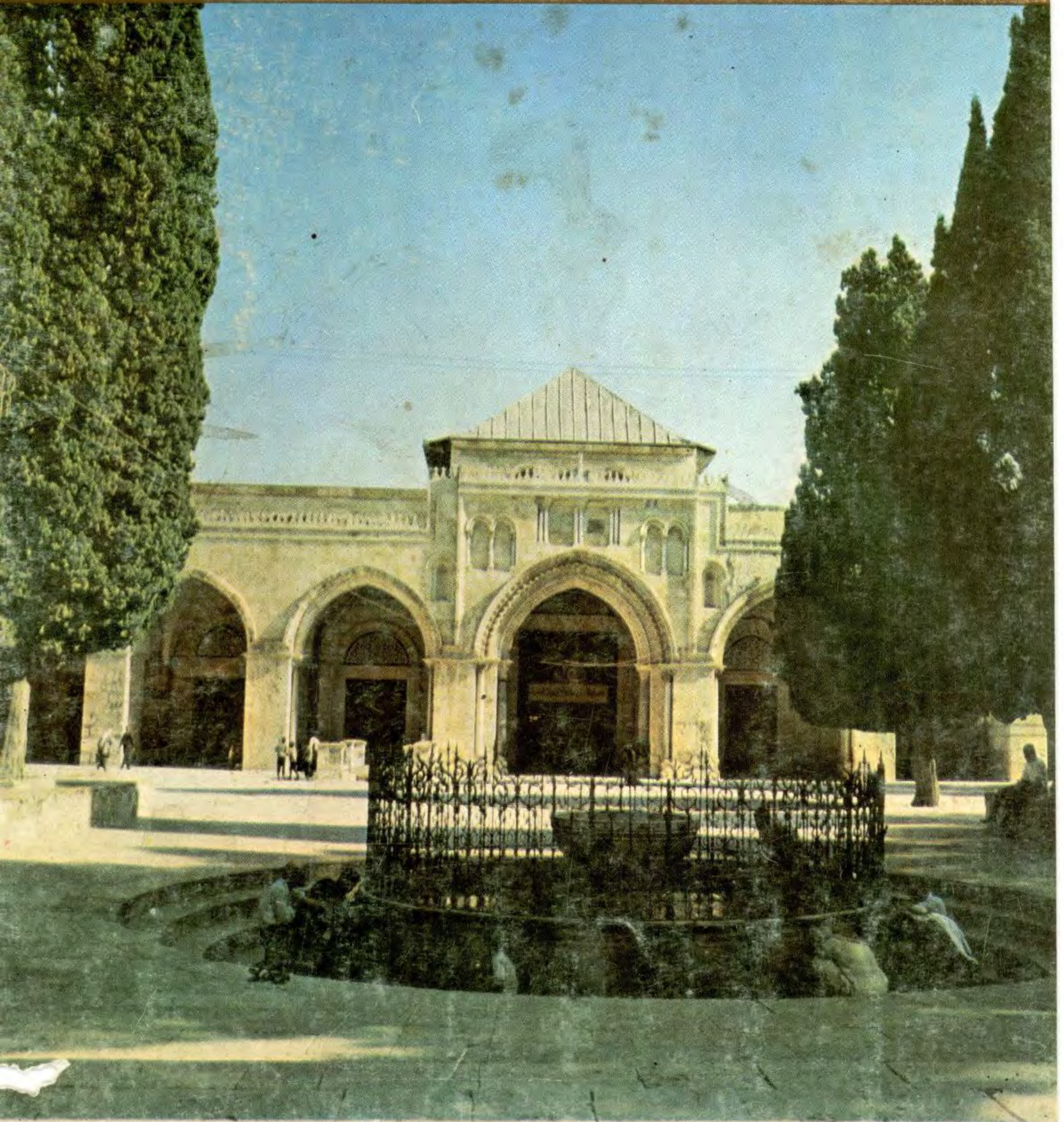
صلاح الدين الأيوبى
بطل العروبة والاسلام منقذ بيت المقدس ومحرر فلسطين

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة • العدد الثاني والثلاثون • غرة شعبان ١٣٨٧ هـ — ٣ نوفمبر ١٩٦٧ م





سعادة السيد عيسى العبد اللطيف العبد الجليل سفير دولة الكويت يقدم أوراق
اعتماده للعاهل المغربى .

اقرأ في هذا العدد

المسجد الحزين

صورة الغلاف



ينتظر قائدا وجيشا كصلاح الدين وجيوشه . في الرابع من شعبان سنة ٥٨٣ هـ أكتوبر ١١٨٧ م صلى صلاح الدين والمسلمون أول جمعة في بيت المقدس بعد تطهيره من أيدي الصليبيين . .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثاني والثلاثون

ـ السنة الثالثة ـ

غرة شعبان سنة ١٣٨٧ هـ

٢ نوفمبر ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

آيات من آيات الله البينات كانت مما عالج به القرآن الكريم حالة مرت بالمسلمين كثيرة الشبه بما يمر بنا الآن ، يقول الله تعالى :

« وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » .

صور الله في هذه الآيات حال المؤمن بربه ، وشانه في قتاله عدوه ، لحماية الحق الذي يؤمن به ، ويتخذه نهجا له في حياته. ليذكر بها المسلمين الذين اصابت نفوسهم مرارة الهزيمة في احد ، وهزتها الاشاعة التي اطلقت يومذاك ، بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل .. .

ومع أن هزيمة المدافعين عن الحق امام الباطل تتضاعف مرارتها على النفوس ، ومع ان تعلق الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وحبهم له ، وتفانيهم فيه ، أمر طبيعي ، وممدوح من الله ، واشاعة قتله — بالتالي — لا بد ان يكون لها آثارها في نفوس المؤمنين ، الا ان الله سبحانه — مع كل ذلك — لم يرض من المؤمنين وهم يجابهون عدوا ضاريا ان تلم بهم حالة ضعف ، بسبب ذلك ، او ان تنال منهم الحوادث ، فتفقدهم توازنهم ، وتجعل من السهل لعدوهم ان يجتاحهم ،ويضاعف هزيمته لهم ،ويستأصل الحق الممثل في وجودهم ،المرفوع اللواء بأيديهم وكواهلهم .

ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي هداهم للحق ، وغرسه كالشعلة الملتهبة المضيئة في قلوبهم ، الا ان الله سبحانه لم يرض منهم ان يكون دفاعهم عما آمنوا به ، ووهبوا حياتهم له ، معلقا على شخصيته ، ووجوده حيا بينهم .. بل وجههم الى أن يكون ثباتهم على الايمان ، وجهادهم من اجله ، نابعا من ايمانهم الخالص بالله .. ليس مرتكنا على وجود شخص ، ولو كان الرسول ، ولا متوقفا على ظروف . بل يكون اندفاعهم ذاتيا ، وجهادهم ربانيا .. ولهذا لم يرض منهم الحالة التي المت بهم حين انهزموا ، وحين اثرت الاشاعة فيهم حتى

قال قائلهم : ما نعمل بعد موت الرسول ؟ فقال لهم يعاتبهم ويوجههم « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » .

وتابع القرآن الكريم بعد ذلك علاج هذا الضعف الذى يسرى فى بعضهم ، فقص عليهم قصة من سبقوهم ، ممن لم تؤثر الشدائد فى نفوسهم ، ولم تهز صلتهم بربهم أو تضعف من قوة ايمانهم ، فقال لهم يعلمهم ويرشدهم « وكاين من نبى قاتل ــ وفى قراءة قتل ــ معه ربيون كثير فما وهنوا لمــا أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . يقول لهم هذا ليعلموا موقفهم ، ومدى اخلاصهم لربهم ، وشجاعتهم فى دفاعهم عن قيمهم ، وثباتهم عندما تلم الشدائد بهم : كثير من الانبياء قبل نبيكم قاتلوا (أو قتلوا) وقاتل معهم أصحاب لهم ، مخلصون لربهم ، متفانون فى عقيدتهم ، فما اثرت الشدائد على نفوسهم ، وما خارت لهم عزيمة ، ولا اصـــابهم ضعف ، ولا تسرب الى قلوبهم خوف من اعدائهم ، ولم يفكروا فى الاستسلام لهم . بل كانوا اقوياء بعقيدتهم ، ارتفعوا بها ــ أو رفعتهم ــ فوق الشدائد ، واستعذبوا فى سبيل الحق الذى اعتنقوه ، ووهبوا حياتهم له كل المصائب ، فكانوا لذلك موضع الرضا من الله .. لأنهم احبوا الله فاحبهم ، وصبروا على المكاره فى سبيله فقربهم ونصرهم .

وهؤلاء المؤمنون المخلصون لربهم ، الثابتون على ايمانهم ، الصابرون على ما اصابهم ، لم يكن شانهم شان بعض الذين يفقــدون صوابهم ، حين تصيبهم الهزيمــة ، او تحيط بهم الشدائد ، وتضعف صــلتهم بربهم اذا لم يتحقق لهم ما يريدون ، ولم يقعدوا يتساءلون ــ وكانهم يحاسبون ربهم ــ كيف نهزم ؟ ولماذا يغلبنا اعداء الله ؟ الى غير ذلك من الاسئلة او التساؤلات التى تنبثق من النفوس المريضة ، والقلوب المزعزعة ، فتبعدهم عن رضا الله . وتزيدهم ضعفا على ضعف ، بل كان شانهم شان المؤمنين الذين تزيدهم النكبات صلة بربهم ، وتحملهم على البحث عن أسباب الهزيمة فى نفوسهم . ليصلحوا أخطاءهم ، ويرجوا الله أن يغفر لهم زلاتهم ، ويزيدهم قربا اليه ، وثباتا على الحق الذى يدافعون عنه ، ويهبهم أسباب النصر على اعدائه واعدائهم ..

ذلك المنهج الذى يعيد الثقة الى النفوس . ويضع الاصابع على موضع الالم ، ويهيىء مريض القلب ضعيف الروح الى القوة والشفاء .. منهج يرسمه الله لأوليائه واحبابه ، وليس صورة خيالية لا يستطيع البشر تحقيقها ، بل انه منهج واقعى ، سار عليه من قبلكم من المؤمنين المخلصين . وعالجوا به أسباب ضعفهم وهزيمتهم ، فتبدل ضعفهم قوة ، وضيقهم فرجا ، وذلك كله تجده حقيقة يعبر عنها العليم الخبير فى قوله عن هؤلاء الربانيين « وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنــا فى أمرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القــوم الكافرين » .

لم يشغلهم شيء عن الاتصال بربهم ، ودعائه ، ومناجاته ، والعيش فى رحابه . لم ينقلبوا على اعقابهم خاسرين دنياهم واخراهم .. ولم يلقوا اللوم على غيرهم ، وانما فتشوا عن العيب فى نفوسهم ، واستغفروا الله منه ، وعملوا على تطهير انفسهم من ادرانه .

فكان الله معهم ..
رجعوا اليه فاحسن استقبالهم .
واستعانوا به فاعانهم .

ولم يكن كل همهم الدعاء والقول .. بل انهم فعلوا وثبتوا ، وقاتلوا ولم يهنوا ، وصبروا على الشدائد ولم ييأسوا ..

اتبعوا سنة الله فى خلقه : عمل وكد وتعب ، وبذل وتضحية ، وهم فى هذا كله على صلة بالله يدعونه ويضرعون اليه ..

ومن اجل هذا استجاب الله لهم « فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة » وهبهم النصر الذى طلبوه وعملوا له ، وأعطاهم العزة التى دفعوا ثمنها اخلاصا وتضحية ، وذلك هو جزاء الدنيا لأمثالهم ، ولهم فى الآخرة عند الله احسن الجزاء .. جزاء المجاهدين العاملين المخلصين .. الذين جملوا دنياهم بحسن اعمالهم « والله يحب المحسنين » الذين يتقنون ما يعملون ، ويتقون الله فى كل ما يأتون ويذرون ..

ذلك اخى هو منهج المؤمنين عندما تلم بهم الشدائد .

وهذا هو علاج الله للنفوس عندما تنزل بها المكاره .

علاج أخبر الله عنه — فوق أنه من عنده وهو الحكيم الخبير — انه علاج مجرب . جربه السابقون من أصحاب الانبياء فنجح فى علاج أمراضهم ، واكسبهم عز الدنيا وسعادة الآخرة ، وارشد الله اليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجربوه ونجح ، فكان لهم النصر بعد الهزيمة ، وهو — بعد — علاج لكل من يأتى بعدهم ، ويقتفى آثارهم ، وتمر به أحداث كأحداثهم .

افلا تجد — اخى المسلم — اننا الآن أحوج ما نكون الى هذا العلاج الربانى ، ننتصر به على محنتنا القاسية التى تمر بنا .. ونكون اهلا لعون الله وتأييده ؟

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة.

من هدي السنة :

نداء الإسلام

عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاول ، ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا ، ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا اليه ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا »

(رواه البخارى وغيره)

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

ا — الاسلام هو الدين عند الله ، أراده باقيا خالدا ما بقى الكون وخلد . وارسى اسسه على قواعد ثابتة عجيبة ، لا تقبل النقض ، ولا يتطرق اليها الخلل . تنهض بالبشرية وتسعد الانسانية ، سهلة هينة يسيرة ، تعالج المشكلات المستعصية ، بوسائل غاية فى اليسر ، ونهاية فى اللطف ، قاطعة للداء ، وجالبة للشفاء .

تامل قليلا : قول سيد الخلق : (لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الاول . .) قال الشارحون السابقون — والفضل للسابق على اى حال — لو يدرى المسلمون ما فى الاذان من الفضيلة والاجر العظيم والثواب الجزيل . . وانتهوا الى هذا الحد . . وهذا شرح وقول لا غبار عليهما . ولكن : اتساءل ! لماذا استحق الاذان والصف الاول الهروع اليهما ؟ ولاى شىء كان اجر المؤذن المحتسب ، والواقف فى الصف الذى يلى الامام كبيرا ؟ الان المؤذن يجمع الناس للصلاة وحسب ، ولان الوجود فى الصف الاول يعنى المبادرة الى الاستجابة لداعى الله وكفى ؟

الجواب : قد يكون الامر كذلك ! ولكن الدراسة الواعية للاذان والفهم العميق للمبادرة الى الصف الاول ، يعطى معنا دقيقا رائعا ، لو ان الناس فهموه لتكاملت انسانيتهم ، ولعمروا الدنيا كما يريد رب الاسلام رب كل شىء ! ذلك : ان الفاظ الاذان ، تحمل فى طياتها دعوة صريحة واضحة جلية الى التحرر من كل عبودية عدا الله ، واللجوء الى الواحد الاحد وحده ، **فالله اكبر : تهز** القلوب المؤمنة هزا عنيفا لتصرفها عن بهيمية عمياء ، وتنزع بها الى تحسس وجودها ، ومكانها من هذا الوجود ، **فالله اكبر** ولا كبير غيره ، لا تلجا الى سواه ، ولا تلذ بحمى من دونه ، وبالتالى كن عبدا مخلصا خالصا له ، تنطق بالحق ، وتتحامى الكذب ، **لا يغرنك** ما جمع فلان من مال ، فالله اكبر ، وان من شىء الا عندنا خزائنه ، فالواهب هو ولا معطى غيره ، وقد يميل بك المال عن طريق الحق

لو اعطيته (بضم الهمزة) ، ان من عبادى من لو اغنيته لفسد حاله ، (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء) ، **ولا يهولنك** عدد او عديد **فالله اكبر** له الغلبة **وان راقك** علم عالم **فالله اكبر** — ولا يحيط بشيء من علمه الا بما شاء (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) فهو واهب العلم ومن اتقى الله علمه ، **فالله اكبر** اليه مرجع كل شيء وهو على كل شيء قدير ، تفكر فيما خلق وابدع — بل في بعض ما أوجد لا على مثال سبق — فانك لن تستوعب الوجود بعقلك الحادث وقدرتك الضعيفة الواهية الواهنة الا بمدد من الله ، تأمل : هذه الارض تجد ما حوت قد تعدد اشكالا ، وتباين الوانا ، فهذا ماء عذب ، وذاك ملح اجاج ، وتلك صحارى ورمال ، ووهاد ونجاد ، واخرى تنبت الحب الحضير ليطعم الناس ويعيش الحيوان ، وسل البحار عما حوت ، وتحدث الى خبراء طبقات الارض عما اشتملت ، تسمع العجب العجاب مما علموه . فكيف بهم لو ادركوا ما لم يدركوا مما غاب عنهم . مما استأثر الله بعلمه . وما سيفتح به على الآتين من بعدهم — اذا — لوقفوا حيارى مشدوهين . وما استطاعوا جوابا . ولأدركوا انهم لم يدركوا شيئا . وما أوتيتم من العلم الا قليلا .

بعد هذا يتناهى الى من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد — يتناهى اليه ان لا اله الا الله ، فلا بشر ولا حجر ، ولا شجر ولا مدر ، ولا شمس ولا قمر ، ولا تمثال ولا صنم ،ولا مال ولا ولد ، وانما هو اله واحد يعبد ، وفي ظل وحدانيته تتوحد القلوب ويأتلف الناس . ويتداعى بعضهم الى نصرة البعض ويعيشون اخوة متحابين ، فلا خصام ولا جدال . ولا شقاق ولا نزاع ، ولا شك ولا اتهام ، **وهكذا** تمضي الفاظ الاذان التى تتكرر كل يوم خمس مرات ، بل ان رمت الحق عشر مرات . تجذب القلوب المستعدة الى واجب الوجود ، الذى ارسل محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، ما تعالى ، ولا قال انى ملك أو ملك (بفتح اللام في الاولى وكسرها في الثانية او العكس) ولا طغى ولا استكبر . وانما هى رسالة هادية هادفة موجهة الى الخير الى السلام الى الامن الى الطمأنينة الى الاخوة العالمية الى الاستقرار النفسى والعملى الى الركون الى الديان . لا عنجهية فيها ولا التواء ولا غش ولا خداع ، ولا كذب ولا نفاق . ولا تجبر ولا ادعاء . سبحانك ربى برأت محمدا على غرار اسلاف له سبقوه : ابراهيم وموسى ونوح وعيسى ، وسائر اضرابهم الذين رددوا دائما (قل . اسألكم عليه من اجر ان أجرى الا على الذى فطرنى) ولم يدعوا الى عصبية . ولم يرضوا بجهالة جاهلية . وانما وضحوا السبيل الى الله وسبيل الله خير دائم في الدنيا ونعيم مقيم في الاخرة .

٢ — **حى على الصلاة حى على الفلاح** : اقبلوا ، تعالوا ، هلموا الى صلاة جامعة لتتلاقوا في رحاب الله لتفلحوا في مسالككم الدنيوية . وتجنوا ثمارها طيبة دانية القطوف . فلاح ونجاح . وسعادة ورضى وهدى ورحمة ومودة ، وتعاطف واخاء ومحبة ، فيها تزكية للنفوس ، وتطهير للقلوب ، وقد افلح من زكاها وطهرها وسما بها عن سفاسف الامور وحقارات الاهواء . ونظر بعين البصيرة الى افق الوجود الممتد عبر الماضى ، والسائر في طريق الغد دون توقف . فلك دائر ، وبشر حائر . ولكن هنا الفلاح ، وهنا سفينة النجاة ، ربانها ربها ، وداعيها هاديها ، باسم الله تجرى وباسمه ترسو .

يعجب كثيرا عالم عالمى عظيم القدر في الدنيا قديمها وحديثها(١) افنى عمره في

(١) القديم غير أمريكا والحديث هى — والمراد بالحداثة او الحدوث هنا الاكتشاف في العالم (بفتح اللام) عالمان قديم وجديد وهكذا مسيرة الحياة وارادة رب الحياة .

التجوال الهادف واتخذ من علم الاجتماع مرفقاته . فهو أستاذه في أرقى جامعات الدنيا ، لقيته وتحدثت اليه أو تحدث هو الى طويلا ، وفي الواقع كانت مناجاة لرسول الاسلام عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، وليس حديثا كما يعرف الناس الحديث ، قال الرجل العلامة : انى أعجب لماذا صار الامر الى ما اليه صار ، وما الداعي لما دعي اليه الداعي الغفل الذى أوصد باب قلبه وحاول نفس الشيء مع قومه — أهله وعشيرته — آه لو تأمل المسلمون نداء الاسلام للصلاة ، ودرسوه وفلسفوه ، ولقنوه الابناء نورا ، وهدى وتجاوبا مع الخير — لو فعلوا — لانقادت اليهم تلك القطعان الضالة في دروب الحياة ، ولغدوا حديث اليوم والغد في المفاخر وحسن المآثر ولكن .. وهنا يستولى على الجميع صمت رهيب يعلم الله ما وراءه لأن كشف الحجاب عنده وحده .. وما يعلم الغيب الا الله ..

٣ — **والصف الاول** : يستحق الاستهام لانه نتيجة — عملية — رائعة لفهم النداء ، وهروع في هرولة وخشوع ، واستجابة للداعي ، ولياذ بجناب الله ، ولجوء الى حماه ، فالفاعل الى الفضل سباق ، والى الخير نزاع ، عظم ثوابه ، وتضخم أجره ، صار قدوة عملية ، وصورة واقعية محسة لما يجب أن يكون عليه المطيع للخالق المطاع ، يحمل قلبا عامرا بالايمان ، مليئا بالثقة بالرحمن فمن احب استجاب ومن استجاب لبى ومن لبى بادر ، قالوا : من لا يأتى في المؤخرة ، وانما يتصدر دائما في كل مسلك يوصل الى الله ، ويبادر الى تلقى رحمته في سكينة وأدب ، ووقار واعتزاز .

والنداء والصف الاول جديران بالاهتمام مستحقان للاستباق ، فمالكهما قد ملك ناصية الخير ، وفاقدهما فهما وادراكا وتحصيلا وفعلا قد ظلم نفسه — وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

٤ — والاسلام يبنى أمة ، ويقيم دولا ، والرخاوة والميوعة واتباع الهوى تهدم المجد التليد وتودى بالقوى الى الحضيض فلبس مؤمنا من تراخى وتوانى ، لأن التراخى والتواني ينجمان عن ضعف وخور ، يعقبان انحطاطا واسفافا ، ومن أضرته الهاجرة عن الاستباق الى الخير ، أو عاقته العتمة عن تلبية الداعي فهو من الهوان على الله بمكان لا يغبط عليه لانه أضعف الروح وانمى الجسد ، والروح بقاء ، والجسد فناء ، ومع قليل من حرية الكلمة تستطيع أن تلوى أعناق القوم الى ملاحظة التاريخ حيث يجدون اناسا قد نسوا أو تناسوا قوة الروح وعظمتها ، وركنوا الى ما مآله العفن والاندثار ، فجعلوا ارواء حيوانيتهم حياة لهم ، فانهاروا ومضوا تتابعهم اللعنات ، وستلاحقهم الى حيث دلفوا تحت الصفائح والجنادل ، فمن تغلب على النفس الخوارة وحاول شد أزرها ، سما بها الى النفس الواعية للحقيقة المدركة لما يفيد في العاجل والآجل ، فلا يستوى قاعد قابع خائف من حر الهاجرة ، أو من أقضته رهبة الظلام عن الهرولة الى المساجد لصلاة جامعة ، مع آخر رأى سعادته في طاعة الله فأرهق الجسد ، وأربى الروح ، ورثت حبال مودته مع الفاني لتتجدد مع الباقي . ووراء ظاهر القول الشريف على جماله غيب أجمل وأقوى اشعاعا أدركه العاقلون المحبون لله ، العالمون به ، العارفون لسلطانه ، فجاهدوا الهوى ، ولم يركنوا الى الراحة والدعة ، فما أهمتهم أنفسهم ، وانما همتهم رضا الله فساروا في القيلولة الى بيوت الله ، طائعين راضين آملين في رحمته سبحانه ورضوانه ، **وهؤلاء** اذا حزبهم أمر أو جابهتهم نازلة — وما اكثر نوازل الايام — استعانوا بقيوم السماوات والارض ، صاحب الحول والطول ، ومضوا يخوضون المعامع ، وينازلون في الحلبات ، ويتقدمون

الصفوف ، لا ينكصون ويتألمون ولا يتداعون (١) أمام الهول مهما كان ، فنوق كل قوة قوة الله ، ودون سلطانه كل سلطان ينصر بالتأييد أكثر مما ينصر بالعديد ، ويوهن كيد المعتدين بما لا يرى ولا يشاهد حسيا ، أقوى وأشـــد مما يدافعهم بالجحافل ، والقنا والقنابل .

فالاسلام قواعده وتوجيهاته اشاراته وتعبيراته في أصوله الثابتة ، دعوة صريحة جلية لبناء الانسانية الحقة الواعية المنبعثـــة من روح الله ، المدركة لفعاليتها مع الوجود الذي يجب أن تعمره بالخير والفضائل ، حتى لا يخشى انسان حيوانية الآخر ، ولا يرهبه رهبة تمحو شخصيته ، وتعفى آثار مروره بدروب الحياة القيمة الاصيلة ، وانما يشد أزره ، ويكون عضدا له يسانده ويقويه ، وتتـــكامل الاجزاء في كتـــل تتراص ، وتتجمع اتحقق ما اعتقـــده الخوارون مستحيلا أو قريبـــا من المستحيل ، ونظرة أخرى الى فحوى هـــذا التوجيـــه النبوي الكريم تبدى للناظر الفاقه المتدبر أن عابد الفناء المستجيب للدعة لا يستحق الرضى من الله ، ولا يلتفت اليـــه لأنه آثر غير ذي اثير (٢) وأحب من يستحق البغض ، بل وضع يده في يد خصم عنيف عنيد لدود ليأكل روحه ، ويفنى فضائله ويلاشيه كما تلاشى ذكاء الجليد . . وفي موضعي ـــ حيث أنا الآن ـــ رأيت توأمى عمل ، وصنوى (٣) مسلك . بدا (٤) أحدهما للرائى شبحا هزيلا يسير الى جوار من امتص منه الحياة ، ثم ها هو ذا يمضى عنه الى فريسة أخرى ، ويتركه هملا نادما ولات حين مندم ، وأما الآخر الصنو في الفسيلة والاصل فقد بهر الرائى لآلاء روحه ، وشموخ انفه ، وارتفاع هامته ، لأنه جافى مسلك صاحبه ، وكان نداء الفناء عند دبر (٥) أذنه ، اذ أدرك ـــ قبل الوقوع ـــ انه فناء وواصل حتى وصل الى هدفه ، وسيصبح غدا من قادة الفكر وسادة العقل في الدنيا مع رصيد ضخم من الحيوية الروحية الفعالة والخلق الهادىء الرصين ، والعلم الراسخ الاكيد المستمد في جوهره من صلته الوثيقة بالباقى الدائم ، وبمثل هذا وأضرابه تعتز الانسانية ، وتبنى المجتمعات الفاضلة ، وتنتصر الامة وتتصدى للقيـــادة والسيادة في كل ميدان اصلاحى هادف .

واحسبني قد قطعت من الزمن كثيرا في فكر ، ومضى بى صاحبى رفيقا ، ولن استقل رفقه فيما لا يجدى على الانسانية الجداء المفيد ، وانما استأذنه في العودة مرة أخرى قبل أن يطول الحديث ويتشعب ، وافارقه الى موعد لقـــاء بعون الله تعالى وكلاءته ـــ وقد وعيت تماما انه لا حول ولا قوة الا بالله ، وان من ارضى الفناء فنى معه ، ومن لاذ بالباقى بقى وصمد وخلد كما يشاء الله ، والكل يسعى لصيد فخائب يحمل في جعبته (سربانا) (٦) وموفق يقود في معيته غزلانا . . والكل ماض في الطريق . . وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر . . وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

---

(١) من التداعى بمعنى الانهيار والانحلال (من قولهم تداعى البناء اذ آل الى السقوط) .

(٢) أى اهتم بما لا يستحق الاهتمام .

(٣) بفتح الميم وما قبلها في الأولى ، وفتح الواو واسكان ما قبلها في الثانية .

(٤) بدا بمعنى ظهر .

(٥) بسكون الباء وفتح ما قبلها .

(٦) سربانت : كلمة أعجمية مدلولها المطابق في اللغة العربية الثعبان الفتاك (Le sek pent) ومعنى العجمة هنا أنها غير عربية وكفى .

بحث مقارن بين الاقتصاد الإسلامى والاقتصاد المعاصر

للدكتور محمد عبد الله العربى
عميد معهد الدراسات الاسلامية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

التكليف الثالث

الانفاق في سبيل الله وما يتفرع عنه من حق الدولة في فرض الضرائب الحديثة

التكليف الثالث هو تقييد حق مالك المال بالزامه الانفاق فى سبيل الله .

وقد اطلعنا فى المقال السابق على أسانيد الكتاب والسنة فى الحث على الانفاق فى سبيل الله ، وانذار المجتمع بالهلاك اذا أحجم عن أداء هذه الفريضة حتى احالتها من فريضة خلقية الى فريضة الزامية لا تختلف عن الزكاة الا فى ترك الخيار لمالك المال فى تحديد مقدارها .

وقد رأينا اجماع التفسير الفقهى على أن التعبير « فى سبيل الله » ينصرف الى تحقيق كل ما تتطلبه مصلحة المجتمع على وجه الدوام والاستمرار والمجتمع الاسلامى مجتمع خير ، والدولة التى تقوم فيه دولة خيرة .

وأعباء الدولة الخيرة تتسع الى ما لا نهاية ، ومسئولية ولى الامر فى النهوض بهذه الاعباء مسئولية شاملة تمتد الى تحقيق مقاصد البشر جميعها . وظاهر أن نطاق هذه الاعباء ــ ومسئولية ولى الامر عنها ــ يختلف من عصر الى عصر حسب الظروف التى تجتازها الدوله المسلمه ، والاوضاع التى آلت اليها فى وقت معين .

واذا كان الانفاق فى سبيل الله فى صدر الاسلام يجرى سماحة وتطوعا ، حتى كان الغنى « كعبد الرحمن بن عوف أو عثمان بن عفان » يخرج عن أكثر من نصف ماله وأكرم ماله فى سبيل الله ، وكانت حصيلة الزكاة فى عصور أخرى تفيض عن حاجة المستحقين لها ، وقد لا نجد فى موطن جبايتها من تنطبق عليه شروط استحقاقها ، فان ظروف العصر الحاضر تختلف عن ظروف تلك العصور .

واذا كان ولى الامر يومئذ لم يجد حاجة للتدخل فى ملكية الافراد لاقتطاع حصة المجتمع من أموالهم « فى سبيل الله » فانه فى هذا العصر يصير مفروضا عليه أن يتبع نهجا آخر ، تطبيقا لقاعدة « تغير الاحكام بتغير الازمان » .

فهذا تكليف مشروع على مال الفرد فى المجتمع الاسلامى وتكليف غير محدود الا بما توجبه مصلحة المجتمع .

وأرشد نهج يتبعه ولى الامر هو وضع نظام ضريبى عادل يلتزم خطة التصاعد ، بحيث يرتفع سعر الضريبة كلما عظم دخل المكلف ، ولا تسرى الضريبة على وعائها من مال الفرد الا بعد أن تطرح منه حصة الزكاة .

واذا كان الفن المالى فى الظروف العادية ينصح بقصر الضريبة دائما على وعاء الدخل الذى ينتجه رأس المال ، بحيث لا يجوز اقتطاع شىء من رأس المال ذاته ، لأن الدخل هو الوعاء المتجدد الامتلاء ، فان سلامة المجتمع قد تقتضى فى الظروف غير العادية — ظروف الخطر الداهم على الوطن الاسلامى — مخالفة توجيهات الفن المالى ، والالتجاء الى فرض ضريبة استثنائية وقتية على رأس المال ذاته . واذا كانت القاعدة الشرعية « الضرورات تبيح المحظورات » تسرى حتى فى الشئون الدينية ، فكيف فى شأن دنيوى محض كتوجيهات الفن المالى .

ولا شك أن اقتطاع جزء من رأس المال يتجاوز الدخل السنوى الناتج منه قيد ثقيل على حق الملكية الفردية ، ولكنه بالرغم من ذلك حق ثابت لولى الامر اذا قضت به مصلحة المجتمع ، وقد أشار اليه وأيده الكثير من أعلام الفقه الاسلامى .

قال القرطبى : « واتفق العلماء أنه اذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة يجب صرف المال اليها » . قال مالك رحمه الله : « يجب على الناس فداء أسراهم وان استغرق ذلك أموالهم » . وهذا اجماع أيضا (١) .

وقال الغزالى : « اذا خلت الايدى (أيدى الجنود) من الاموال ولم يكن من مال المصالح (أى خزينة الدولة) ما يفى بخراجات العسكر (أى نفقات الجيش) وخيف من ذلك دخول العدو بلاد الاسلام أو ثوران الفتنة من قبل أهل الشر (أى حدوث الفتن الداخلية) جاز للامام أن يوظف على الاغنياء مقدار كفاية الجند ، لأنا نعلم أنه اذا تعارض شران أو ضرران دفع أشد الضررين ، وأعظم الشرين وما يؤديه كل واحد منهم (الاغنياء) قليل بالاضافة الى ما يخاطر به من نفسه وماله لو خلت شوكة الاسلام (أى البلاد) من ذى شوكة (أى الجيش) يحفظ نظام الامور ويقطع مادة الشر . ومما يشهد بهذا أن لولى الطفل عمارة القنوات (قنوات الارض الخاصة بالطفل) واخراج أجرة الطبيب وثمن الادوية (أى العائدة للطفل) (٢) .

وقال الشاطبى : « أنا اذا قررنا أماما مطاعا ، مفتقرا الى تكثير الجنود لسد حاجة الثغور وحماية الملك المتسع الاقطار ، وخلا بيت المال ، وارتفعت حاجات الجند (أى نفقات الجيش) الى ما لا يكفيهم فللامام اذا كان عدلا أن يوظف على الاغنياء ما يراه كافيا لهم (أى للجيش) فى الحال ، الى أن يظهر (يوجد) مال بيت المال ثم اليه النظر فى توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك . وانما لم ينقل مثل هذا عن الاولين (فى العصور الاسلامية الاولى) لاتساع بيت المال فى زمانهم ، بخلاف زماننا فان القضية فيها أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهرة ، فانه لو لم يفعل الامام ذلك بطلت شوكة الامام وصارت دياره عرضة لاستيلاء الكفار . وانما نظام ذلك كله شوكة الامام فالذين يحذرون

---

(١) جامع أحكام القرآن جزء ص ٢٢٣ .
(٢) المستصفى جزء أول ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

من الدواعى لو تنقطع عنهم الشوكة (أى لو ضعف الجيش عن الدفاع) يستحقون بالاضافة اليهـا اموالهم كلها فضلا عن اليسير منها فاذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق بهم بأخذ البعض من أموالهم فلا يتساوى فى ترجيح الثانى عن الاول ، وهو ما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر فى الشواهد (١) .

التكليف الرابع

الامتناع عن الحاق الضرر بالغير

التكليف الرابع ، يرد على حرية مالك المال فى استعماله ماله فهو مقيد فى هذا الاستعمال بالامتناع عن الحاق الضرر بغيره أو بالمجتمع ، ذلك لأن جميع الحقوق التى أثبتها الشارع مقيدة بمنع الضرر عن الغير لأن الحقوق المطلقة لا يمكن أن تثبت فى شريعة تستمد أحكامها من شريعة السماء لأنها تنظر الى الرحمة بالناس كافة لا بآحاد الناس خاصة ، فكل الحقوق الثابتة فى الشريعة أساسها دفع المضار وجلب المصالح والموازنة بينها ، فمن أساء استعمال حقه بأن ترتب عليه الضرر بغيره ، فانه فى هذه الحالة يمنع اذا كان الضر أشد . ومن المقررات الشرعية أن الحقوق فى الاسلام تصدر عن الشارع ، فالعقود لا تنتج آثارها الا بحكم الشارع ، وهى فى اثباتها لهذه الحقوق أسباب جعلية وليست أسبابا طبيعية . فمعطى الحقوق هو الله تعالى فحق المالك والامتلاك والاختصاص والاستغلال والاستيلاء على الاشياء المباحة بأصل الخلق والتكوين — مستمد من أحكام الشرع الاسلامى ، وأن الله تعالى عندما أعطى هذه الحقوق قيدها بعدم الضرر ، لأنه ان كان فيها ضرر بالغير كان فيهـا اعتداء . والاعتداء منهى عنه بقوله تعالى : « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٢) وفى ذلك يقول ابن القيم :

« اذا تأملت شرائع دين الله تعالى التى وضعها بين عباده وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخاصة أو الراجحة ، وان تزاحمت قدم أهمها وأجلها وان فات أدناها كما لا تخرج عن تعطيل المفاسد الخالصة والراجحة بحسب الامكان وان تزاحمت عطل أعظمها فسادا بتحمل أدناها . وعلى هذا وضع احكم الحاكمين شرائع دينه ، دالة عليه شاهدة له بكمال علمه وحكمته ، ولطفه بعباده واحسـانه اليهم (٣) .

وقد قدمنا فى أول الكلام عن القاعدة الشرعية « لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام » وعن القواعد الفرعية المشتقة منها . وقد أجاد الفقه الاسلامى اجادة لا يرتقى اليها أى فقه وضعى فى التمييز بين الضرر الذى يلحق بالكافة وبين الضرر المقصود والضرر غير المقصود وميز بين مراتب الضرر الى ضرر مقطوع به وضرر قليل وضرر كثير غير غالب الى آخر هذه الذخائر الثمينة التى حفل بها تراثنا فى الفقه الاسلامى والتى تجرى فيها الموازنة العادلة بين جلب المصالح ودفع المفاسد .

وما دمنا بصدد الحديث عن هذا الموضوع فاننا نكتفى هنا باثبات المبادىء الثلاثة الآتية :

الاول : ان كل ضرر يلحق الكافة هو فى دائرة المنع ، ويعد مسيئا لاستعمال حقه كل من ادى

---

(١) الاعتصام — جزء ٢ ص ١٠٤ .

(٢) اساءة استعمال الحق للأستاذ محمد أبو زهرة — موسوعة جمال عبد الناصر فى الفقه الاسلامى ص ٨٥ .

(٣) مفتاح دار السعادة ص ٣٥٠ .

استعماله لحقه الى الحاق الضرر بالكافة ، ولذلك يتجه الفقه الاسلامى الى منع أمور قد يكون منها ما يحتمل اساءة استعمال الحق . وحينئذ ينتقل الفعل من مأذون فيه الى ممنوع لان الضرر العام ضرر كبير دائما ، ومن أجل ذلك يتحمل الضرر الخاص فى سبيل دفع الضرر العام .

الثانى : ان الاضرار العامة لا ينظر فيها الى قصد الضرر أو عدم قصده انما ينظر فيها الى المآلات . فالافعال ان كانت تنتهى الى مفاسد كثيرة تمنع ، ولو لم يقصد صاحبها . فان النظر الى المآل لا يلتفت فيه الى مقصد العامل ونيته بل الى نتيجة العمل وثمرته . فالامر الجوهرى بالنسبة للفعل الذى يكون استعمالا لحق مأذون فيه ، ثم ترتب عليه ضرر عام هو مقدار الضرر المترتب لا النية التى قوامها العمل فقط . ويضيف الشاطبى الى ذلك . « اذا كان الامر يتعلق بالعامة فان الضرر حينئذ يكون عاما ، ومهما يكن مقدار الضرر النازل بصاحب الحق فانه قليل بالنسبة لما يصيب العامة ولذا قدم حق العامة ولكن يجب تعويض صاحب الحق عما ناله من ضرر بسبب فوات جلب المنفعة الشرعية له (١) .

الثالث : انه عند النظر الى الضرر الواقع بالآحاد لا يعد الشخص مسببا فى استعمال حقه الا اذا كان معتديا فى استعماله بأن قصد الى الاضرار بالفعل كما يدل على ذلك الامر الثابت وهو أن لا يكون ثمة مصلحة له فى الاستعمال أو لا يتعين هذا الطريق لجلب المصلحة له أو تجاوز الحد المقرر لمثله بأن كان يستعمل حقه استعمالا غير عادى كان يسقى الارض فى وقت كان يمكنه أن يؤجل وجاره أو شريكه فى المسقى لا يمكن أن يؤجل وهكذا ، أو يكون قد قصد بعمله تفويت نفع ثابت لمن يعامله وظاهر الحال يدل على ذلك القصد (٢) .

ومراجع فقهنا حافلة بتطبيقات عملية كثيرة لهذا التكليف سواء فى مجال الضرر الخاص أو مجال الضرر العام ، وكلها تفرض على القضاء وعلى ولى الامر تنفيذ هذا التكليف .

هـــذا ومن الاضرار التى تلحق بالمجتمعات احتبـــاس أكثر الثروة القومية فى أيدى قلة قليلة من أبناء المجتمع ، ووجود الكثرة الساحقة فيه على حافة المتربة . ولا شك أن هذا يتنـافى مع الهداية القرآنية التى فرضت تداول المال فى المجتمع ، ويؤدى حتما الى أضرار اقتصادية ومساوىء اجتماعية وسياسية كثيرة . لذلك نقرر أن لولى الامر فى كل بلد اسلامى ، بل يجب عليه وعلى المجتمع الذى يرعاه ، أن يحمى المجتمع من هذه الاضرار ويتخذ الاجراءات الكفيلة لتحقيق هذه الحماية مع التزام العدالة . وهذه الاجراءات لا شك تختلف من بلد الى بلد على ضوء ظروف كل بلد والملابسات الخاصة به ، وعلى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة فيه ، وعلى ضوء مدى تغلغل هـذا الداء فى كيانه الاجتماعى ، على أن يكون ذلك كله فى نطاق أحكام السياسة الشرعية .

التكليف الخامس

الامتناع عن تنمية المال بغير الوسائل المشروعة

التكليف الخامس هو منع مالك المال من تنميته بغير الوسائل التى أجازها الشارع فى تنمية المال .

وفى مقدمة الوسائل التى حرمها الاسلام . الغش والاحتكار والربا ، وهى وسائل أصبحت شائعة ومألوفة فى الاقتصاد المعاصر حتى صارت مهمة ولى الامر فى مقاومتها مهمة عسيرة .

---

(١) الشاطبى . الموافقات جزء ٢ ص ٣٦٦ .

(٢) اساءة استعمال الحق للأستاذ محمد أبو زهرة — موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الاسلامى ص ٨٩ ، ٩٠ .

وقد قلنا من قبل أن من رسالة الفقه الاسلامى المعاصر العمل على تذليل مهمة ولى الامر – النائب عن الجماعة – فى اقامة حدود الله وتنفيذ أوامره ونواهيه .

أما الغش ، فمجال ولى الامر فى منعه ميسور . فالكشف عن الغش كفله نظام الحسبة الاسلامى ، وأما ردع الغاشين فلولى الامر تعزيرهم كما له تغريمهم بمثل الكسب الخبيث الذى حصلوا عليه أو باضعافه .

أما الاحتكار ، فقد بسط فقهنا لولى الامر سبيل الضرب على أيدى المحتكرين ، وذلك بفرضه بيع المال المحتكر بالسعر المعقول أو بتعزير المحتكرين حتى يبيعوا به .

صحيح أننا نجد اختلافا بين فقهائنا فى تحديد المواد التى يكون محتكرها آثما فمنهم من قصر الاحتكار المحرم الذى يسوغ لولى الامر التدخل لمنعه على أنواع من الطعام ، وهى الحنطة والشعير والتمر لأنها كانت أطعمة العرب يومئذ ، ففسروا الطعام فى قوله عليه الصلاة والسلام : « جالب الطعام مرزوق والمحتكر عاص وملعون » بأن الاحتكار الذى فيه عصيان واثم هو الذى ينصرف الى هذه الاصناف من الطعام . ومنهم من رأى أن طعام الناس لا يقتصر على الانواع السابقة فمن الناس من لا يقتات بالتمر ويقتات بالذرة أو الارز ، وكلمة الطعام تشمل كل الاقوات ، ومنهم من أضاف قوت البهائم لأن الاثم واقع على كل من يحرم حيا من الاحياء من قوته .

ولكن الرأى الراجح هو رأى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة اذ يقول :

« كل ما أضر الناس حبسه فهو احتكار وان كان ذهبا أو فضة ، ومن احتكره يعد قد أساء استعمال حقه فيما يملك ، لأن كل ما يضر حبسه كالثياب مثلا لا يقل أذى للناس عن الاحتكار باطلاق غير مقصور على الطعام ، ولأن المقصود من منع الاحتكار هو منع الضرر عن الناس ، والضرر كما ينزل بمنعهم القوت ينزل أيضا بمنعهم الثياب وغيرها ، فللناس حاجات مختلفة والاحتكار فيها يجعل الناس فى ضيق » .

وهكذا اتسع رأى أبى يوسف لكل السلع التى يكون فى حبسها ضيق أو ضرر اجتماعى أو حبس لموارد الرزق .

وخطر الاحتكار على الاقتصاد العالمى أصبح فى غير حاجة الى مزيد من البيان فكلنا نعلم كيف تغلغل الاحتكار – الظاهر والخفى – فى أكثر ميادين الانتاج العالمى وكيف تحالف المحتكرون من أقطاب المال عبر حدودهم مع زملائهم فى بلاد أخرى ونجحوا فى تحديد الاسعار التى تؤتيهم الربح الفاحش ، وخلقوا الازمات وتآمروا على بخس أثمان المواد الخام التى تنتجها البلاد النامية اضرارا بأكثر من ثلثى سكان الارض . ولا زالت جهود الامم المتحدة – العناصر الطيبة فيها – تتوالى وتتعثر فى محاولة التخفيف من ويلات هذا الداء الوبيل .

أما الربا فهو الآفة الكبرى التى سيطرت على الاقتصاد العالمى المعاصر وامتدت حبائلها الى معاملات البشر فى أقطار الارض ، فأصبح الربا فى رأيهم ركنا أساسيا فى التنظيم الاقتصادى الحديث ، وبالرغم من ايمان أكثرهم بأوزاره ومعقباته يئسوا من أن يجدوا منه بديلا واعتبروه ضرورة حتمية لن يجدوا عنها مصرفا .

ولكن الهداية الاسلامية مهدت للبشر مخرج صدق من حيرتهم ، والبرء من هذه الآفة ونزعاتها الشيطانية ، وان على المجتمعات الاسلامية أن تأخذ بيد البشر جميعا الى صراطها المستقيم .

وان فى شريعتنا الغراء ما يهدينا الى اجراءات توفق بين تحريم الاسلام للربا – أسوة بتحريمه فى جميع الشرائع الالهية – وبين الضرورات الاقتصادية المعاصرة (١) .

---

(١) وما هذه الاجراءات ؟ أصبحنا فى حاجة الى حل عملى سريع يخرج المسلمين من هذا التناقض بين دينهم وضرورات حياتهم . (الوعى)

التكليف السادس

قيود على كيفية التصرف في المال

التكليف السادس يقيد حرية المالك فى التصرف فى ماله — فى رأس المال أو فى الداخل الناتج عنه — فيحرم عليه التقتير والاسراف على السواء ، وقد رأينا فى تعاليم الاسلام الخلقية النهى الصريح عن الامرين .

ولكن مهمة ولى الامر فى سعيه الى تنفيذ هذا التكليف بشطريه تختلف فى أحدهما عن الآخر .

أما فى الاسراف فان تدخل ولى الامر فى منعه ظاهر لا خفاء فيه ولا جدال ، فحقه فى الحجر على السفيه مقرر بالنص . والسفه يحتمل أوسع التفسير اذا قضت بذلك ظروف المجتمع وأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية فى عصر معين . فما لا يعتبر سفها فى ظروف معينة يجب أن يعتبر سفها فى ظروف أخرى ، وقد رأينا ابان الحرب العالمية الثانية دولا لا تدين بالاسلام تعتبر الامعان فى كثير من المباحات المتاعية سفها تردع رعيتها عنه ، ولا زالت تشريعات دول كثيرة تفرض قيودا على ما يجوز لمواطنيها أن ينفقوه فى سياحاتهم خارج أوطانهم . واذن فصفة السفه لا تقتصر على انعدام الرشد فى تصرف السفيه فى ماله ، وما يلحقه من الضرر بنفسه ، بل له صلة وثيقة بظروف المجتمع الذى يعيش فيه السفيه .

وأما فى التقتير والاكتناز فقد يجد ولى الامر فى منعهما مشقة كبيرة تجعله يضيق بالمقترين والمكتنزين ذرعا . ولكن ما أشرنا اليه من قبل من فرض التصاعد الضريبى على الاموال قد ينجح فى اقناع المقتر بالكف عن غل يده الى عنقه اذ لن يزيده التشبث بشحه الا حرمانا من متع الحياة وأما محاربة الاكتناز فلولى الامر حرية اتخاذ ما يراه من وسائل ادارية ، وقد يلجأ فى الكشف عن الاكتناز الى دراية المحتسب ويلجأ الى التعزير فى النهاية .

التكليف السابع

منع استخدام المال في حيازة نفوذ سياسي

وهنا فطنت تعاليم الاسلام الى آفة خبيثة انتشرت فى الديمقراطيات الغربية المعاصرة . بدأت هذه الديمقراطيات — طوال القرن التاسع عشر — باحتكار الحق السياسى فى الانتخاب لمن عنده نصاب معين من المال ولما اضطرت خلال القرن العشرين تحت ضغط شعوبها الى رفع هذا القيد لم يكن رفعه ليمنع أقطاب المال من حيازة نفوذ سياسى ضخم بما يملكونه من وسائل التأثير فى الناخبين طورا بالوعد وطورا بالوعيد . وبخداعهم بكل وسائل الاعلام التى يملكونها وبسيطرتهم على موارد البلاد الاقتصادية التى يقتات منها جموع الناخبين .

ومهمة ولى الامر هنا هى العمل الجاد على انفاذ هذا التكليف وذلك بأن يجمع — بما يفرضه

البقية على صفحة ٢٥

تحديد أوائل الشهور العربية

للشيخ محمد على السايس

مقدمة البحث

طال الجدل بين العلماء قديما وحديثا فى شأن الشهور القمرية ، وتحديد اوائلها واواخرها ، واختلفت كلمتهم فى ذلك اختلافا كثيرا ، وفى كل عام يتجدد النزاع ، وتحتدم المناقشة فى هذا الشأن ، لا سيما فى شهرى رمضان وذى الحجة ، لارتباط الصيام والحج بهما ، وكثيرا ما تطلع الناس الى علماء الشريعة ، وراودهم الامل فى ان يطلعوا على الناس برأى يجمع كلمة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، ويوحد صفوفهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، ويقضى على هذا التفرق والتنازع .

ولا شك أن توحيد مبدأ الشهور العربية فى البلاد الاسلامية يعد من اقوى العوامل على تمكين الروابط بين الشعوب الاسلامية فى جميع اقطار الارض ، وجمعهم على كلمة واحدة وطريقة واحدة .

وقد تبين لى والحمد لله بعد الاطلاع على كثير من المراجع ، والرجوع الى اهل الذكر فيما ليس لنا به علم من علماء الفلك ، أن هذا المطلب ليس بعزيز المنال ، وأنه أيسر مما كنت أظن ويظن كثير من الناس ، لكثرة اختلاف العلماء طوال الازمان الخالية ، دون أن تتلاقى وجهات نظرهم ، ويتفقوا على رأى واحد يريح المسلمين من هذا التنازع ، ويجمعهم على كلمة سواء .

ولا تثريب على من اختلفوا قديما من العلماء ، فلم يكن لديهم تلك الوسائل التى من الله بها على عباده فى هذا الزمان .

وأول تلك الوسائل تقدم علم الفلك وبراعة علمائه فيما يعالجونه من شئونه ، وذلك بالحساب الدقيق القطعى المبنى على قواعد هندسية مبرهنة ، والذى يضبطون به أحوال القمر ومنازله ومواقفه ، ويحددون به أوائل الاشهر القمرية ونهايتها ، مما يستعان به على رؤية الهلال رؤية عينية ، هى غاية العلم وهى عين اليقين .

وثانيها : ما اخترعه العلماء فى هذا العصر من الآلات الحديثة التى يسهل بها كشف الهلال فى ليلته الاولى مهما كان صغيرا ، دقيقا ، من المراصد المجهزة بأحدث الوسائل العلمية مما ييسر أمر الرؤية فى هذا العصر .

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد على السايس الاستاذ بكلية الشريعة بجامعة الازهر ، بحث طويل حول تحديد اوائل الشهور العربية ، وما اذا كان من الجائز ان نعتمد على الحساب الفلكى فى هذا التحديد او لا . ونظرا لان هذا الموضوع يشغل الكثيرين ولا سيما عند دخول رمضان من كل سنة فاننا نقدم للقراء ملخصا وافيا لهذا البحث فيما يلى :

وثالثها : تقدم وسائل الاذاعة والاعلام فى هذا الزمان ، فالراديو والتلفزيون واللاسلكى وغير ذلك مما يسهل اعلام جميع البلاد الاسلامية بالرؤية فور ثبوتها .
ويشتمل هذا البحث على اربعة فصول وخاتمة :

الاول : فى اقوال علماء المذاهب الاربعة فيما يثبت به هلال رمضان وشوال وغيرهما فى حالتى الصحو والغيم ، مع بيان وجهة كل منهم ومناقشة الادلة وترجيح المختار منها .

الثانى : فى بيان آراء علماء الاسلام فى مطالع القمر ، وهل يؤثر اختلافها فى اثبات الشهور ؟ أو لا عبرة باختلافها فيمكن توحيد البلاد الاسلامية واجتماعها على مبدأ واحد ؟

الثالث : فى بيان أنواع الحساب الفلكى وما جرى عليه العمل قديما وحديثا فى التقاويم الرسمية وغيرها ، حتى يتميز ما يصح التعويل عليه وما لا يصح .

الرابع : فى بيان آراء العلماء فى الاخذ بقول اهل الحساب والفلكيين فى تحديد الشهور القمرية .

اما الخاتمة ــ فهى فى بيان ما يجب على الدول الاسلامية القيام به فى شأن اثبات الشهور القمرية ، لنصل الى هذه الغاية المنشودة من أقرب سبيل .

اقوال العلمـــاء
فيما تثبت به الشهور القمرية

مذهب الحنفية :

المقرر فى معتبرات الكتب عند الحنفية انه يجب على المسلمين وجوب كفاية أن يلتمسوا هلال رمضان وغيره فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر السابق ، لأن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوما ، فيجب طلبه لاقامة الواجب ، فان رأوا الهلال ثبت الشهر الجديد ، وصاموا ان كان رمضان ، لقوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وان غم عليهم أكملوا عدة الشهر ثلاثين يوما ، لقوله صلى الله عليه وسلم « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عـــدة شعبان ثلاثين يوما » .

وبعد أن عرض البحث أقوال علماء الاحناف فى اثبات هلال رمضان وغيره. هل تثبت بخبر واحد أو اثنين ، وبعد أن أتى بتحقيق المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعي حول هذه الاقوال قال :

وخلاصة ما تقدم :

١ ــ ان الخبر الخاص برؤية الهلال من قبيل الاخبار الدينية ، فيجب وجوبا كفائيا على من رآه ، أو بلغه الخبر بطريق شرعي أن يعلنه قياما بالواجب الديني.
٢ ــ ان ثبوت الاهلة كلها لا يدخل تحت الحكم قصدا ، وان حكم القاضي بالنسبة للهلال من قبيل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو من قبيل الفتوى .
٣ ــ ان اى شهر من الشهور الاثنى عشر يثبت شرعا برؤية هلاله أو بعد الشهر السابق عليه ثلاثين يوما .
٤ ــ أنه يكفى فى ثبوت اى شهر خبر واحد عدل عدالة رواية فى حالتى الغيم والصحو ، ما لم يكن تفرده مظنة الغلط أو الكذب فلا بد من عدد يتحقق به غلبة الظن .
٥ ــ أنه لا يشترط نصاب الشهادة ، ولا لفظ أشهد ، ولا تقدم الدعوى ، ولا مجلس الحكم ، ولا قضاء قاض ، ولا أمر وال ، الا ان يكون المقصود باثبات الشهر حقا من حقوق العباد ، فيشترط فيه ما يقتضيه هذا الحق مما هو مقرر فى كتب الفقه .

مذهب الشافعية

قال الامام النووى يجب صوم رمضان بأحد أمرين : الاول اكمال شعبان ثلاثين يوما ، والثانى رؤية الهلال ليلة الثلاثين منه ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين) .

والراجح انه يكتفى بعدل واحد فى ثبوت هلال رمضان احتياطا للعبادة . وكذلك لكل شهر اشتمل على عبادة كشوال والاضحى بالنظر الى العبادة فقط . ولا تثبت الرؤية لأى شهر بشهادة العدل بالنسبة لغير العبادة كحلول دين مؤجل وطلاق وعتق علقا به .

والراجح عندهم على القول بالاكتفاء بعدل واحد انه بطريق الشهادة لا الرواية ، فلا يقبل فيها قول العبد والانثى ، ويشترط فيها لفظ أشهد ، وهى شهادة حسبة لا تفتقر الى الدعوى ، ولكن لا بد فى وجوب الصوم على العموم من ثبوتها عند قاض ينفذ حكمه .

مذهب المالكية

يثبت رمضان اى يتحقق فى الخارج سواء حكم بثبوته حاكم ام لا بأحد امور ثلاثة :
الاول : اتمام شعبان ثلاثين يوما .
الثانى : رؤية عدلين الهلال .
الثالث : رؤية جماعة مستفيضة لا يمكن تواطؤهم عادة على الكذب .

مذهب الحنابلة

يقبل فى هلال رمضان قول عدل واحد ، ولا فرق بين الغيم والصحو والمصر وخارجه .

ولا يقبل فى رؤية هلال رمضان خبر مستور ولا صبى مميز لعدم الثقة بخبره ، ولا يقبل فى بقية الشهور كشوال وغيره الا رجلان عدلان بلفظة الشهادة .

اختلاف مطالع القمر

وتحت هذا العنوان تحدث فضيلة الشيخ السايس عن اقوال الفقهاء فى اختلاف مطالع القمر حسب البلاد ، وهل تصوم كل بلد حسب رؤيتها ، أو يلزم المسلمين الصيام متى رئى الهلال فى أى بلد من بلادهم فقال :

الثابت واقعيا وعلميا والمشاهد حسيا أن الهلال يرى فى بعض البلاد بعد غروب الشمس ، ولا يرى فى بعضها الا فى الليلة التالية ، معنى هذا أن رؤية الهلال اول الشهر قد تكون متيسرة لبعض الاقطار دون بعض ، فاختلاف مطالع القمر أمر واقعى مشاهد وظاهرة كونية لا جدال فيها ، لكن الذى اختلفت فيه أنظار الفقهاء ، هو أنه : هل لهذا الاختلاف فى المطالع تأثير فى ثبوت الاهلة والاحكام المتعلقة بها كالصوم والافطار والحج والاضحية ؟ أو أنه لا عبرة باختلاف المطالع ، فاذا ثبت الهلال فى أى بلد اسلامى ثبت فى حق جميع المسلمين اذا بلغهم ثبوته بطريق موثوق بصحته .

مذهب الحنفية

ظاهر مذهب الحنفية كما قال صاحب الدر المختار أنه لا عبرة باختلاف المطالع ، فيلزم اهل المشرق برؤية اهل المغرب ، وذلك لأن عموم الخطاب فى قوله « صوموا لرؤيته » معلق بمطلق الرؤية من أى مسلم .

وعلى هذا الرأى أكثر المشايخ وهو الذى عليه الفتوى .

مذهب المالكية

أما المالكية فلهم ثلاثة آراء :

الاول : انه لا عبرة باختلاف المطالع قربت البلاد ، أو بعدت .

الثانى : انه يعتبر اختلاف المطالع اذا ثبتت الرؤية عند حاكم خاص ، فانه لا يعم الحكم الا من فى ولايته فقط .

الثالث : يعتبر اختلاف المطالع بالنسبة للبلاد البعيدة جدا كالاندلس من خراسان .

ثم قال ان عدم اعتبار اختلاف المطالع هو المشهور ، وهو المعتبر وما عداه لا ينهض ، ولا يقاوم ما هو المشهور ، وما عليه الفتوى .

مذهب الشافعية

وكما اختلف الحنفية والمالكية فى اعتبار اختلاف المطالع وعدم اعتبارها اختلف الشافعية .

فكان لعلمائهم فى هذا الموضوع آراء :

أحدها ـــ يلزم أهل الارض برؤيته فى موضع منها .

الثانى ـــ يلزم أهل اقليم بلد الرؤية دون غيرهم .

الثالث — يلزم كل بلد يوافق بلد الرؤية فى المطلع دون غيره ، وهـــذا أصحها .

الرابع — يلزم كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيرهم .
الخامس — يلزم من دون مسافة القصر دون غيرهم .
السادس — لا يلزم غير بلد الرؤية .

ثم نقل عن تقى الدين بن السبكى فى رسالته العلم المنشور فى اثبـــات الشهور قوله : والقول بأن لكل بلد رؤيته على اطلاقه ضعيف واعتبار مسافة القصر فى هذا المحل ضعيف ، واعتبار كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم جيد ، واعتبار الاقليم ضعيف ، والزام جميع البلاد اذا رئى فى بلد ضعيف جدا ، لأن عمر ابن الخطاب وسائر الخلفاء الراشدين لم ينقل أنهم كانوا اذا رأوا الهلال يكتبون الى الآفاق ، ولو كان لازما لهم لكتبوا اليهم لعنايتهم بأمور الدين ، ولانا نقطع بأنه قد يرى فى بعض البلاد فى وقت لا يمكن رؤيته فى بلد آخر ، وبأن الله لا يخاطب قوما الا بما يعرفونه مما هو عندهم .
ثم وعد فضيلة الشيخ بمناقشة هذه الحجج الثلاث فى نهاية البحث .

مذهب الحنابلة

جاء فى المغنى والشرح الكبير ص (٧) جزء ثالث ، « واذا رأى الهلال اهل بلد لزم جميع البلاد الصوم ، وهذا قول الليث وبعض أصحاب الشافعى .

مذهب الشيعة الامامية

اختلف فقهاء الشيعة الامامية وكذلك علماء الزيدية فى اعتبار اختلاف المطالع فى ثبوت هلال رمضان ، فظاهر كلام الحلى أن اختلاف المطالع معتبر ، فلا يعم ثبوت الشهر برؤية من اختلف مطلع بلده عن بلد الرؤية ، كما ذكره العاملى فى الحبل المتين فى أحكام الدين ، وهو مذهب الهادوية والامام يحيى من الزيدية ، بل لا يعمم عنده فى الاقليم الواحد والجهة الواحدة ان اختلفت ارتفاعا وانحدارا ، كما فى البحر الزخار ، وقال الصنعانى فى سبل السلام : والاقرب لزوم بلدة الرؤية ، وما يتصل بها من الجهات التى على سمتها ، واختار المهدى وجماعة من الزيدية تعميم الحكم والشهادة بالرؤية جميع البلاد ، وقال الشوكانى وهو الذى ينبغى اعتماده ، وذهب اليه جماعة من الامامية .

الرأى المختـــار

وبهذا انتهى فضيلة الشيخ من عرض آراء المذاهب فى هذا الموضوع — ثم انتقل الى ابداء رأيه فيما عرضه فقال :
وبعد أن استمعنا الى آراء علماء المسلمين وحججهم ومناقشاتهم لا يسعنا الا ترجيح القول بعدم اعتبار اختلاف المطالع ، لا لأن هذا هو ما تصبو اليه نفوس الكثيرين من العلماء والمصلحين ، حتى تتوحد كلمة الامة الاسلامية ، ولا لأن القائلين به هم الكثرة الغالبة وهم الجمهور ، ولكن لأن سنده من الكتاب والسنة قوى متين ، وشبه المخالفين مردودة .
ثم أخذ يفند آراء المخالفين فقال :

ما قاله السبكي من ان عمر والخلفاء الراشدين لم يكتبوا الى الآفاق بثبوت الرؤية لانهم حريصون على امر الدين ، مردود عليه بأنهم لم يكتبوا لصعوبة المواصلات فى زمنهم ، فقد لا يتيسر وصول المكتوب الا بعد انقضاء رمضان . بينما وصول الخبر متيسر الآن بواسطة الاذاعة واللاسلكى .

وما قاله السبكي وغيره من قياس اختلاف مطالع القمر على اختلاف مطالع الشمس ، مردود عليه بأنه انما اعتبر اختلاف مطالع الشمس لئلا يلزم الحرج ، وتؤدى العبادات قضاء ، ولا يلزم من عدم اعتبار اختلاف المطالع القمرية اى حرج . لانه من المتيسر جدا بعد الاختراعات الحديثة تبليغ ثبوت الرؤية فى لمح البصر ، وقبل ان يطلع النهار الجديد فى اى بلد اسلامى مهما كان نائيا عن بلد الرؤية ، فقد ثبت علميا انه ليس بين اى بلدين اسلاميين فى مشارق الارض ومغاربها اكثر من تسع ساعات فلكية ، فاذا ثبتت رؤية الهلال فى مراكش وهى اقصى بلد فى المغرب ، فانه من الممكن ان يبلغ ثبوت الهلال لأقصى بلد فى المشرق بعد مرور تسع ساعات من غروب الشمس عندهم . اى قبل طلوع الفجر عندهم بنحو ساعة ونصف . لأن الليل عندهم اثنتا عشرة ساعة دائما . لانهم على خط الاستواء تقريبا . وهذا القدر الباقى من الليل كاف لاثبات انهم فى اول ليلة من رمضان . وكذلك هو كاف لتبييت النية والسحور بدون حرج ولا مشقة . هكذا قال اهل الذكر والعهدة عليهم . والله يقول « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » .

وما قاله السبكي ايضا من ان الله لم يخاطب قوما الا بما يعرفونه عندهم مردود عليه بأنه ما دامت رؤية كل فرد من افراد المكلفين ليست شرطا لثبوت الهلال وما يتعلق به من الاحكام فى حقه اجماعا . بل الشرط العلم بها بمعنى غلبة الظن بأى طريق يفيد ذلك . فلا مناص من ترجيح القول بعدم اعتبار اختلاف المطالع ، لأنه متى ثبتت الرؤية عند قوم عم ثبوتها جميع اهل الارض متى نقلت اليهم ، وعلموا بها بأى طريق من طرق الاعلام ، ولو انه تيسر للخلفاء والولاة فى صدر الاسلام ما هو متيسر الآن من اذاعة الاخبار فى جميع انحاء المعمورة فى اقل من لمح البصر لما ترددوا فى ابلاغ ثبوت الاهلة الى جميع الولايات الاسلامية ، ليتوحد مظهرهم الدينى ، ويتفقوا فى بدء الصيام والافطار وسائر اعيادهم ومواسمهم الدينية .

والخلاصة

انه ما دامت مسألة اختلاف المطالع القمرية من حيث اعتبارها او عدم اعتبارها محل اجتهاد الفقهاء ، ذلك الاجتهاد الذى اختلفت فيه أنظارهم ، فلا يكون بدعا ان يرجح أحد النظرين على غيره ، ويفصل فى المسألة بعدم التعويل على اختلاف المطالع لما قدمنا من أسباب الترجيح .

ولأن الامام الشافعى الذى يقول باختلاف بدء الصوم باختلاف المطالع يوافق الائمة الثلاثة فيما اذا ثبتت الرؤية عند حاكم يرى أن لا عبرة باختلاف المطالع ، فأمر به وابلغه الى أهل المطالع الاخرى ، كما حكاه عنه ابن حجر ، وارتضاه ، وبذلك يتقرر اجماع الائمة الاربعة على ان اختلاف مطالع القمر لا يعتبر شرعا ، اذا حكم الحاكم الشرعى ببدء الشهر ووجوب الصيام والافطار والحج والاعياد .

راى المختصين فى علم الفلك

ومن الخير ان ننقل هنا بعض ما كتب الاستاذ الشيخ محمد أبو العلا البنا ، مدرس الفلك بكلية الشريعة بجامعة الازهر ، بصدد بيان أن العلوم الفلكية تؤيد توحيد اول الشهر الشرعى بين الحكومات الاسلامية .

قال ان جميع الحكومات الاسلامية تقع ما بين شـــاطىء آسيا الشرقى وشاطىء افريقيا الغربى اعنى من خط ١٢٠ شرق جرينتش الى ١٥ غرب جرينتش مقدار ٩ ساعات من ٢٤ تتم دورة اليوم بقسميه الليل والنهار حول الارض من الشرق الى الغرب .

اذا علمنا ذلك تأكدنا أن بدء الدورة اليومية الاسلامية من هذا الخط يكون طبيعيا بالنسبة لبدء حكومات الاسلام من جهة الشرق فتجتمع كلها فى يوم واحد دون تفرقة ، اذ يبدأ اليوم الاسبوعى والتاريخ للعالم الاسلامى كله من ابعـــد البلاد الاسلامية شرقا وهى الفلبين واندونيسيا والملايو قبل جرينتش بـ ٨ ساعات ، وقبل العراق والباكستان بـ ٥ ساعات ، وقبل مصر والسودان بـ ٦ ساعات ، وقبل تونس بـ ٧ ساعات ، وقبل مراكش التى هى ابعد البلاد الاسلامية غربا بـ ٩ ساعات .

ومعلوم أن تأخيراعلان وجوب الصيام او الافطار بقدر هذه الاجزاء من اليوم لا يقدح فى مشاركة جميع هذه الحكومات فى نفس اليوم والتاريخ ، بمعنى انه لو فرض أن الهلال لم يتكامل لصلح للرؤية الا فى مراكش آخر الحكومات الاسلامية جهة الغرب ، وفيها رئى وشهدت الشهود ، وأثبت قاضيها الشهر ، وابرقت حكومتها بذلك الى جميع الحكومات شرقا ، وهى الفلبين واندونيسيا والملايو بعد المغرب فيها بنحو ٩ ساعات ، بمعنى أن اذاعة الرؤية وثبوت الشهر من مراكش عقب مغربها انما تسمع فى اندونيسيا بعد مغربها هى بتسع ساعات ، اى قبل شروق الشمس فيها بثلاث ساعات ، ضرورة ان ليلها دائما ١٢ ساعة ، لوجودها على خط الاستواء تقريبا ، اعنى قبل الفجر عندهم بنحو ساعة ونصف ساعة ، ومعلوم أن هذه المدة كافية لمـــا يلزمهم من سحور وعقد النية على صيام هذا اليوم مع مراكش ، وأما غير اندونيسيا من كل حكومة شرق مراكش كالعراق ومصر والجزائر فمن باب أولى ، وأما وحدة هذا اليوم فى باقى بلاد الدورة من سطح الارض كأمريكا فأمرها ظاهر ، اذ انهم وقت هذه الاذاعة من مراكش كانوا فى عصر اليوم السابق أو فى ظهره او فى شروقه مثلا ، وحينئذ يستقبلون هذا اليوم الجديد من أوله دون تغيير فى اسمه او فى تاريخه .

وأما اهل البلاد القطبية التى تتقدم فيها بعض علامات أوقات الصـــلوات اليومية لدوام النهار او الليل اكثر من ٢٤ ساعة فى بعض السنة ، فيقدرون بدء الشهر عندهم بزمن بدئه فى العواصم المشهورة على خطوط اطوالهم كخط طول القاهرة مثلا ، فالبلاد القطبية التى عليه تجعل مبدأ الشهر عندها كأهل القاهرة .

للبحث بقية

من تنظيم اقتصادى للمجتمع ــ بين ما نسميه بلغة العصر : الحرية السياسية والحرية الاجتماعية ، لأنهما أصبحتا فى عصرنا ، جناحى الحرية الحقيقية وبدونهما أو بدون أى منهما لا تستطيع الحرية أن تحلق فى آفاق العدل المرتقب .

التكليف الثامن

قيد على المالك في توجيه ماله بعد الوفاة

فليس مالك المال فى المجتمع الاسلامى حرا فى الخروج على ما فرضه الشرع فى نظام الارث والوصية . واذا عصاها أبطل القضاء تصرفه الجائر ، ونفذ ولى الامر أحكام القضاء .

وبعد فهذه جملة القيود التى فرضها الاسلام على الملكية الفردية . بدأ بفرضها على صــورة تعاليم خلقية يذعن لها المسلم طائعا مختارا بتأثير عقيدته فى ملكية الله للمال ولكل ما خلقه فى الارض والسماء ثم فرض على المجتمع الاسلامى اقامة نظام حكومى يتولى ولى الامر فيه مسئولية تنفيــذ تعاليم الاسلام الخلقية على كل من لم يذعن لهذه التعاليم بمحض اختياره وأحاط هذا التنفيذ بقواعد وضوابط من شريعته تكفل جلب المصالح ودرء المفاسد واقامة موازين القسط والعدل بين الناس جميعــا .

هداية الهية ، لو رعاها البشر لمــا ظهر الفساد فى الارض ، ولا اشتعلت فيها حروب مدمرة ولا قامت فيها شيوعية جاحدة ولا رأسمالية باغية .

والآن أريد أن أنتقل الى بيان نظرية الاسلام فى الدعامة الثانية لكل تنظيم اقتصادى : « دعامة العمل » .

ولكنى أوثر أن أبدأ مباشرة فى الحلقة القادمة عن ملكية المال فى الاقتصاد الغربى وأرجىء الكلام عن الدعامة الثانية فى كل تنظيم اقتصادى : « دعامة العمل » .

ذلك لكى يبرز للقارىء الفارق الجوهرى بين الاقتصادى الاسلامى وغير الاسلامى ، وليرى أن القيود التى فرضها الاسلام على ملكية المال ليست قيودا بالمعنى الحرفى ، وليست أغلالا ينوء بحملها مالك المــال ، بل هى ــ كلمــا تأملنا فيها على ضوء ما يجرى فى العــالم غير الاســلامى ــ نعم أنعم الله بها على مالك المال ، نعم لا تقل فى شأنها عن نعمة المال ذاته الذى ســخره الله لمالك المال . وأودعه بين يديه .

لقد سميناها قيودا ترد على حق الملكية ، وكان يصح أن نسميها دروعا تحمى ملكية المال أن تصير وبالا على مالك المال ووبالا على الانسانية جمعاء ، كما سيتضح لنا من عرض آثار اطلاق حق الملكية فى الاقتصاد الغربى .

ركائز التفكير الإسلامي

موقف العقل من الإيما[ن]

وجود الله

ارجح أن الجدل بيننا الآن ، ليس عن وجود الله أو عن عدم وجوده . فانك وأنت أستاذ الفلسفة ، لا بد أن تكون عند الحق من قول (فرنسيس باكون) « ان القليل من الفلسفة يبعد عن الله والكثير منها يرد الى الله » . والظاهر من كلامك أنك تؤمن بأن الله هو خالق الكون ، ومؤمن — بالتالى ، وبالبداهة — بأن خالق الكون هو خالق النواميس ، وبأنه خالق الحياة ، وخالق الذباب ، الذى قال عنه القرآن ، فى سورة الحج (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) وقد نزل هذا قبل أن يقول (روجر باكون) و (توماس اكويناس) بقرون طوال توليهما المشهورين « ما من عالم قد عرف حتى اليوم حقيقة ذبابة » . .

وانما أنت تستصعب تصور الذهن لهذا الاله ، على طريقة القرآن الذى يقول عنه (ليس كمثله شىء) وتستشكل فى خلق الله لآدم من تراب ، وتقطع كل علاقة لله فى خلق الاجنة ، حتى تخرج من هذه الصعوبات والاستشكالات الى ما يكاد يكون الغاء لوجود الله . . وهذا ما يحيرنى فى أمرك . . والا فقل لى : كيف نوفق بين كونك مؤمنا بأن الله خالق الكون ، وخالق الحياة ، وخالق الانسان ، وخالق النواميس ، وكونك تغفل — وأنت العالم الالمعى — عن تفسير آيات خلق آدم ، وخلق الجنين فى بطن امه بأنها قد تعنى الخلق التطورى للخلية الانسانية بطريق النواميس التى خلقها الله ، مثلما قد تعنى فى الظاهر الخلق الدفعى المباشر ، مع أن كلا الخلقين داخل فى قدرة الله ، وليس احدهما بأدل على هذه القدرة والحكمة من الاخر . .؟

كان احد اساتذة الفلسفة في جامعة كبرى كتب يتساءل — كالمنكر — عن بعض آيات القرآن الكريم ، ثم يدعي أن التفكير الاسلامي المعاصر مشدود الى الوراء شدا يمنعه من الانطلاق في آفاق العلم والمعرفة . فاجابه الشيخ نديم الجسر بجواب اوضح فيه ركائز التفكير الاسلامي القائم على (الحق) في باب العقل والعلم ، توضيحا امتاز به فضيلة الشيخ في مخاطبة الشباب والعلماء المتفلسفين بلغة العلم والفلسفة نفسها ، وقد رأينا - تقديرا منا لهذا البحث ان نضعه بين ايدي القراء الكرام وبخاصة الشباب منهم

الوعي الاسلامي

وموقف القرآن من العلم والمعرفة

للشيخ نديم الجسر
مفتي طرابلس — لبنان

ومهما يكن الامر ، فاننا لا نسوق الحديث اليك وحدك ، بل نسوقه الى من وراءك من الشبان العلماء الذين يؤمنون بوجود الله وبأنه خالق الكون ، ويرددون في صدورهم بعض الاسئلة التي طرحتها وأمثالها . والحوار مع هؤلاء لا يدور اذا ، حول وجود الله . وانما يدور الحوار حول القرآن الكريم وما فيه من آيات متشابهات ، يبدو لك ولهم — في الظاهر — انها تتناقض مع العقل أو مع العلم ، ويدور أيضا حول تفكير المسلمين في العالم المعاصر ، وزعمك أنه مقيد ومشدود الى الوراء شدا يمنعه من الانطلاق والتلاقي مع التفكير العقلي العلمي الحديث .

فعلينا ، اذن ، أن نكشف تراب الظنون الباطلة عن ركائز التفكير الاسلامي ، لنرى ان كانت تتعارض مع العقل أم تعتمد عليه ، وتتنافى مع العلم — كما زعمت — أم تؤيده . وبهذا الكشف والتبيين يستكمل الرد على شكوكك وشكوك غيرك — مهما كان نوعها وموضوعها — حججه وبراهينه بدون تطويل ، ويصبح هذا الرد المركز الذى نضعه كالجعبة فيها السهام ، بل كخزانة الدواء في البيت ، نجد فيها العلاج لكل شك وزيغ .

ركائز التفكير الاسلامي

١ — القرآن والعقل :

ان القرآن يجعل للعقل السلطان الاعلى في ادراك كل معاني الحق والخير ، من اتفه الامور كاماطة الاذى عن الطريق ، الى أعظمها وهو وجود الله وصفات كماله .

وفي القرآن أكثر من (٣٠٠) آية تدعو الى تحكيم العقل ، وتزرى ازراء شديدا ، بالذين لا يحكمون عقولهم . وابلغ هذه الآيات وأوجعها قوله (ان شر

الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) . وكل ايمان لا يبنى على العقل لا يبعد من الايمان الكامل . أما (ايمان العجائز) فانما هو مقبول من باب العذر ورفع الحرج من العاجزين (١) .

والقرآن يكره الجمود على تقاليد الآباء والاجداد ، اذا كانت هذه التقاليد تناهض أحكام العقل القاطعة ، ويهزأ بهؤلاء الجامدين ، ويسخر من الخرافات والاساطير ، وليس فيه اسرار يحدث تصورها تناقضا عقليا فى الذهن . وكل نص فى القرآن يحدث تصوره ، فى الظاهر ، تناقضا عقليا فى الذهن يجب تأويله حتى يرتفع التناقض .

فالاسلام ، اذن ، هو الدين السماوى الذى يجعل (الجدل العقلى) الصارم طريقا للوصول الى الحق .

هذه حقائق يقينية مقررة ، حتى تكاد تكون معلومة من الدين بالضرورة . ومن جهلها أو أنكرها فهو جاهل لحقيقة القرآن والاسلام .

٢ ـ القرآن والحرية :

ان حرية الانسان ، فى نظر القرآن ، هى أمر طبيعى وضرورى وبديهى . وان حرية الفرد مطلقة الى آخر حدود الاطلاق ولا تقف الا اذا اصطدمت بالحق أو بالخير .

وهذا المفهوم الجامع ، كما أنه يشمل كل أنواع الحريات ، من حرية التفكير وحرية العقيدة والقول والعمل والتملك والتصرف . فانه يشمل ، كذلك ، كل أنواع الحق والخير ، بالنسبة للفرد ذاته ، وبالنسبة لغيره من الناس ، وبالنسبة الى المجتمع . لا فرق ، فى ذلك كله ، بين أن يكون الفعل أو القول مباحا بذاته للفرد ، أو حقا من حقوقه المشروعة ، أو ضربا من القربات الى الله . فلو أسرف الفرد فى أكل الطيبات اسرافا مضرا بصحته انقلب المباح حراما ، ولو اسرف فى اساءة استعمال حقه وقف حقه ، ولو أسرف فى الزهد والتقشف والتبتل بل فى العبادة نفسها ، بل فى الصدقات والمبرات ، الى الحد الذى تصطدم عنده حريته بخير نفسه أو زوجه أو ولده أو وارثه أو المجتمع ، لانقلبت قرباته هـذه كلها الى محظورات يمنعها القرآن (٢) .

٣ ـ القرآن والعلم :

ان القرآن يجعل لحقائق العلم الطبيعية القاطعة . نفس القوة التى للحقائق الرياضية القاطعة ، أى نفس السلطان الذى للعقل . لأن العلوم الطبيعية انما

---

(١) يكاد الناس جميعا يتجهون فى فهم ايمان العجائز الى انه الايمان التلقائى الذى لا يقوم على دليل أو تعقل .. فلماذا لا يفهم على أنه الايمان الراسخ الذى دعمته الدلائل وتجارب السنين حتى صار ثابتا لا يتزعزع وهنا يصبح رجاء لكل انسان « اللهم ايمانا كايمان العجائز » اذ لا يعقل ـ فيما ارى ـ ان يطلب المؤمن من الله أن يجعل ايمانه ايمانا غير قائم على دليل ولا تعقل ..

(الوعى الاسلامى)

(٢) نذكر فى هذا قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » من سورة المائدة، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه من يريد أن يتصدق بماله كله فمنعه الرسول واجاز له أن يتصدق بالثلث وقال له « والثلث كثير انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس » .

(الوعى الاسلامى)

هي انكشاف للنواميس التي خلقها الله في الكون ؛ فانكارها ، هو بالضرورة ، انكار للعقل الذي يدرك النواميس ، وانكار للذي خلق النواميس ، ومعارضة للقرآن الذي استدل ، في آيات كثيرة ، بهذه النواميس على وجود الله وقدرته . وهذه الانكارات تؤلف بذاتها تناقضا عقليا صارخا بين الايمان والعقل .

وليس صحيحا قولك (ان العلم الذي حث على طلبه الاسلام هو في جوهره العلوم الدينية والشرعية وما يتعلق بها وليس الفيزياء والكيمياء) . بل الحث عام يشمل علم الدين ، الذي هو أعظم العلوم وانفعها للمجتمع ، ويشمل علم الطب ، وكل علم ينفع الناس والمجتمع . وليس أدل على ذلك من الآية ٢٨ من سورة فاطر ، التي يخلع بها القرآن وصف (الخشية الكاملة) على علماء الطبيعة ، ويكاد يحصرها فيهم حين يقول (الم تر ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء) فهل العلماء هنا هم علماء الشريعة والفقه أم هم علماء الطبيعة العالمين بأسرار النواميس في الحياة والنبات والحيوان والمطر وطبقات الارض الذين يهديهم علمهم الى معرفة الله وخشيته .

٤ ــ القرآن ليس بموسوعة :

ولكن القرآن ليس بموسوعة للعلوم والفنون . وما فيه من الاشارات لبعض النوامس الطبيعية انما هو للتدليل على وجود النظام المحكم ، ثم الاستدلال الفعلى بهذا النظام على وجود الله وأما قول القرآن (ما فرطنا في الكتاب من شيء) فليس معناه أنه موسوعة لعلوم الاولين والاخرين ، كما يقول بعض البلهاء . بل معناه أنه لم يترك أصلا من الاصول ولا مبدأ من المبادىء التي يرتكز عليها الحق والخير الا ذكره وبينه .

٥ ــ نهج القرآن في الخطاب :

ان اعجاز القرآن اللغوى لا يقوم على بلاغته المعروفة عند بلغاء العرب فحسب ، وانما يقوم أيضا على قدرة عجيبة في التعبير عن الحق بشأن النواميس الطبيعية والاجتماعية ، التي لم تكن معروفة للعرب أو معروفة للبشر ، ببيان يفهمه البدوى الساذج على قدره ، ويفهم اسراره المدهشة العالم او الفيلسوف على قدره . لأنه ما كان لله العليم الحكيم ان يخاطب الناس بأمور تفصيلية لا يفهمونها ولا سمعوا بها ولا تتسع لادراكها معارفهم .

فاذا قال لهم سبحانه (والفلك تجرى في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه) سورة الحج الآية ٦٥ ــ أو قال لهم (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) الاسراء ١٢ ــ أو قال لهم (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) الزمر ٥ ــ أو قال لهم (وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) النمل ٦٠ ــ أو قال لهم (أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) الواقعة ٧١ ــ أو قال لهم (الم نجعل له عينين) البلد ٨ ــ أو قال غير ذلك من مئات الآيات الدالة على قدرته ، المشيرة الى النواميس التي وضعها في مخلوقاته ، فانه يقول لهم

البقية على صفحة ٦١

داعي الجـ

قم يامحمد جدد الاسلاما — فالغدر في بلد العروبة قاما

زحف اليهود بجبنهم وبغدرهم — وتبادروا يتقاسمون الشاما

وهناك في القدس الشريف تطاولوا — وتألهوا واستعبدوا الأقواما

علمتنا الدين الحنيف كرامة — فالله يمقت فيه الاستسلاما

يامعشر الاسلام ذلك دينكم — جعل الحياة مع الخضوع حراما

هذي دياركم فموتوا دونها — لاتتركوها للعدو مقاما

داعي الجهاد دعا الغداة جموعكم — فتهيأوا واستنفروا النواما

وتخيروا للموت كل وسيلة — ضل الذى حسب الجهاد كلاما

يافارس الأوهام حسبك جانيا — أن تحصد الأضغاث والأوهاما

ان الذى طلب المكارم نائما — وجد المكارم كلها أحلاما

يانائما ان الجهاد فريضة — فوق الفرائض كلها تتسامى

أنعيش بين مضيع ومضيع — وأخى العمى فينا ومن يتعامى

وحقائق الاسلام تسطع فوقنا — وتشد في عليائها الأفهاما

جهاد

للاستاذ محمد التهامي

ان لم يقم للحــــق شعب مؤمن ... جعل الشهادة في الجهـــاد مراما

أكلوه وهو على المذلـــة نائم ... ورمـوه في عرض الطريق حطامـا

صنعوا لنـا الوهـم الكبير خرافة ... وتصايحوا واستجلبوا الأصنامـــا

لوقام ذو الايمان مزق سترهـــم ... ورأي الدمى رفعت لها أعلامـــا

ورأى البوارج خدعـــة مكشوفة ... نصبت لتوحي الخـوف والايهـاما

ورأي المدافع لعبـــة يلهـو بهـا ... ورأي العساكر كلهـم أرقامـــا

ورأي حمـــاه اذ تصـايح فوقه ... يغدو عليـه الغـاب والضرغامـا

مس الغريب وكيف يجـرؤ فوقه ... أن يستبيح له الغـداة ذمامـــا

والأرض فيـه لو تصايح أهلهـا ... صارت رجوما للعدا وقتامــــا

والمـــاء فيه لو يقوم حمـــاته ... صـــار الصديد على العدا والجـاما

لله في اليوم الشـــديد عساكر ... قد لاتري وتؤيد الاسلامـــــا

أنسيتم ؟ والفيـل في أصحـابه ... يرمون بيتا في الحجاز حرامــــا

كيف ارعوي والطـير في أعقـابه ... يرمى من الحجر الأصم سهامـا ؟

شيخ البيان العربي

للدكتور عبد الرحمن عثمـــان
كلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر

الامة العربية اليوم فى مستهل نهضة فتية ، فقد وضعت قدميها الثابتتين على الطريق الذى هداها اليه وعيها الجديد ويقظتها الكاملة ، ودفعها نحوه ما ذاقت من محن وخطوب بعد أن تنكبت عن الجادة فى ليل الاســـتعباد التركى والاستعمار الاوروبى ، واطار هذه النهضة المباركة هو الحياة العربية كلها ، وما يجد فيها من أحداث ، ونظم اجتماعية ، ومناهج اقتصادية فنحن فى عصر تقوم نهضاته على أسس علمية وفنية دقيقة يحسب فيها لكل شىء حساب ، ولا مكان للمصادفة ولا الاحلام فى دور الانشاء والبناء ، بل هو اعداد واع ، وعزم لا يتردد ، فالنهضات فى عصرنا تعنى أشد العنـــاية بالمواءمة بين الفكر الحديث والبنـــاء الحضارى ، اذ لا بقاء للتقدم فى جيلنا الحاضر الا بسند من الفكر ، وحيـــاطة ذكية من النضجين العقلى والعاطفى .

والاهتمام بالنتاج الفكرى والفنى أولى درجات التقدم الاجتماعى ، لأنه يدل على حياة متطورة تتجه بالوعى الشعبى الى آفاق فسيحة من العيش الـــكريم والمجد المأمول .



وما دمنا على أول الطريق فى بناء نهضتنا العربيـــة فاننا فى حاجة الى الاتجاه بأفكارنا ومشاعرنا نحو الينابيع الثقافية الثرة ، بحيث يصير ـ منهـــا واليها ـ غدونا ورواحنا ذلك لأن الثقـــافة تراث انسانى أسهمت فيـــه الامم والشعوب منذ أن درج الانسان على وجه الارض حتى عصرنا هذا ، فالثقافة على هذا الفهم بناء متكامل أو « كل » تداخلت أجزاؤه ، فقد اشتركت فيه عقـــول وعقول ، وأسهمت فى اقامته شعوب وأمم عبر التاريخ الطويل ، حتى كأن الثقافة حلقة مفرغة ، لا يدرى احد من أين تبدأ ، ولا أين تنتهى .

واقبالنا على الثقافة العالمية وحده فى مرحلة نهوضنا لا يحقق الغـرض المنشود من تثبيت حياتنا الفكرية والحضارية ، فمما استقر فى العقول وتحقق بالتجارب الحسية أن الاجسام لا تستفيد بالغذاء الا بعد أن تهضمه المعدة ، ثم يتحول اثر ذلك عصارة مفيدة تمد الاعضاء بالحركة ، وتعينها على تأدية وظائفها ، والامر لا يختلف بالنظر الى الاغذية الفكرية والشعورية ، بل ربما كانت الحاجة الى هضم المعارف قبل حشدها فى الفكر وتكديسها فى الشعور أشد وأمس . اذ لا بد من براعة فائقة ، وحذر شديد فى انتخاب الاغذية الثقافية المناسبة ، مع التأكد من مجانسة الوافد الجديد ، وما هو مركوز فى النفس المستقبلة من عادات وتقاليد وعقائد ، حتى يتم الامتزاج بينه وبين كل عنصر من العناصر التى تكونت منها هاتيك النفس ، وحينئذ تستطيع الامة الناهضة أن تضع طابعها « المحلى » على ما اختارته من ازاهير الثقافات المختلفة ، وبهذا تشعر أنها قدمت شيئا الى الفكر الانسانى ، بل تحس انها اضافت جديدا الى الثقافة العالمية .

وبهذا الجهد الذكى استطاعت الامة العربية — فى العصر العباسى — أن تضع وسمها على ما لقفته من ثقافة الفرس والفراعنة والاغريق ، وعلى هذا النسق سار الرواد العرب أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من أمثال الامام محمد عبده والبارودى وحسين المرصفى وعلى مبارك ، فقد استطاعوا أن يعطفوا الشعور العربى الذى قبس من فن أوروبا الى الاضواء المتألقة فى تراثنا القديم ، تلك الاضواء التى ظلت محجوبة قرابة خمسمائة عام خلف ضباب العجمة التركية المتكاثف ، وبفضل هذه الرجعة الى القديم أعاد الشاعر الموهوب محمود سامى البارودى باشا ، الى الشعر العربى شبابه ، وتخلص الفن النثرى على يد الامام محمد عبده من قيود التكلف والاسفاف .



واذا كنا فى جيل أصيب — منذ أكثر من ربع قرن — بطائفة من طـلاب الثقافة كفرت بماضيها الذى كان لها شرفا وعزة ، واستهانت بحاضرها الذى عاشت فيه قلقة مضطربة ، ويئست من مستقبلها الذى من شأنه أن يصوغ شباب الامة على مثاله . . فاننا قد نلتمس لها المعاذير بما شهدت من تخـاذل فى المجال السياسى والاجتماعى أفقدها ثقتها فى نفسها ، وزين لها الانسلاخ عن الماضى ، والاستخفاف بالحاضر ، والعبوس للمستقبل ، بل ربما جرها الى أن تتنكر لكل ما هو عربى ، ظنا منها انها ستجد العوض والبديل فى رحاب الحضارة الغربية ، وعلى هدى ثقافة اوروبا . .!! ولهذا أوغلت فى تمجيد الافـكار المستوردة حتى لو كانت تهدف الى جحد عالم الشعور جحدا يقوم على منطق الايمان بالمادة وحدها دون أى اعتبار آخر !

ولهذه الطائفة القلقة صولات وجولات ، تدور كلها حول هذا المذهب الفج ، وكنا نرى لهم من خلال ما كتبوا فقدان الثقة بأمتهم وبأنفسهم ، لأنهم جهلوا كل

شيء عن ماضي الامة العربية وخصائص النفس العربية ، واكتفوا بأن وضعوا أيديهم على أبصارهم ، فما عادت ترى مطالع الفجر العربي ، الذي بدأ يرسل اضواءه على أمة اخذت تستيقظ ، لتستحدث نهضة تفسح لها مكانا في العالم المجد الى بلوغ أسمى غايات التقدم والرقي .

وظني أن التماس المعاذير لأمثال هؤلاء السذج سوف لا يكلفنا الكثير ، فان معالم الطريق العربي الجديد ستجذبهم اليها ، بلافتات من الضوء ، الذي يخطف ابصار الشاردين عن سواء السبيل ، وينير بصائر المهتدين الى الصراط المستقيم .

فالعرب اليوم في أول المرحلة ينشدون غايات لا تحدها غاية ، ومن عادة العربي في أسفاره : اختيار الرفيق قبل الطريق ، فالرفيق مؤنس في الوحشة ، وربما كان ايناسه بمثابة الحداء الذي يحيل وعثاء السفر الى رياضة تقبل عليها النفس أيما اقبال .



وسأختار للشباب العربي المنفلت الى غاياته حداة وسمارا نعرف لهم سحر البيان ، وعذوبة المنطق ، وصواب الرأي ، وكمال الملكة ، فاذا ما لقفت أسماعهم شهي أحاديثهم التي لا تخلق جدتها جيلا اثر جيل ، اهتدى الى وجوده ، واستيقن انه يمضي في طريق عربي لا ميل فيه ولا عوج .

والصوت الوافد من البصرة للشباب الناشيء هو صوت أبي عثمان الجاحظ ذي الصوت الحلو على أنه أجش ، وصاحب العقل الذي يحسن كل نوع من انواع المعرفة الانسانية . ان أبا عثمان يستطيع ان يصرفك بفكره عن نفسك . ويملك ان يحلق بك في شتى الاجواء ، ويملك كذلك ان يدفع عنك همومك بظرفه وهزله ، فكأن مفاتيح النفس الانسانية قد اجتمعت اليه كلها ، فما يكاد يغلق منها بابا حتى يفتح من أبوابها ما يريد ..!!

ويعتبر الجاحظ بحق شيخ البيان العربي غير مدافع ، اذ هو في الكتابة الفنية صاحب طريقة خلصت له ، وامام مذهب استحدثه فيها ، وجرى على سننه الكتاب من بعده ، وهو في الكتابة العلمية ذو نهج فريد مبتكر ، سار عليه في جميع مصنفاته الكثيرة الممتعة ، حتى صار الاسلوب طريقة الكتاب النابهين في عصره وفي غير عصره ، وأصبح نهجه العلمي سمة ظاهرة على كثير من أمهات الكتب التي ظهرت في أواخر العصر العباسي .

ولا يستطيع احد أن يزعم أن الاحاطة بفن الجاحظ ميسورة في صفحات أو بضع مقالات ، وان كان له أن يزعم في تردد غير قليل ، أنه يستطيع القاء أضواء على بعض جوانب من عبقريته النادرة ، عسى أن تكشف عن بعض منها ، فشيخ البيان عالم فسيح الجنبات ، أو هو نسيج وحده ، وأمة في الادب والعلم على السواء .

وتلك كلمات على ايجازها تضم لمحات خاطفة مما يتصل بهذا العالم العربى الامام :

- ١ -

من المؤسف حقا أن تجىء الروايات متضاربة فى نسب الجاحظ على نحو ما جاءت فى نسب أبى تمام الطائى الذى كان يعاصره ، فهو عند محبيه والمعجبين به عربى صميم ، وهو مولى لدى حساده ومبغضيه .. ومهما يك من أمر هذا الاختلاف الذى أظنه مقصورا فى نسبه ، فان العرب يذكرون لأبى عثمان مواقفه الرائعة فى الدفاع عنهم ضد الشعوبية واحقادها ، كما يحمدون له بعثه التراث الادبى على النحو الذى تفخر به اللغة العربية ، وتعتز به فى تاريخها الطويل ، ويستوى فى هذا الجهد الكبير عندنا ، أن ينتسب الى قبيلة كنانة ، أو يكون مولى من مواليها ، ويكفيه فخرا أنه : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، وحسبه انه البحر الهادر والجدول المتدفق ، والعقل العميق ، والمزاج الرقيق ، وانما لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ، ويلقب — لهذا — بالحدقى أيضا .

ولا يقدح فى نبوغ صاحبنا أنه نشأ فقيرا يبيع الخبز والسمك فى سوق « سيحان » بالبصرة ، فقد استطاع بأدبه وعلمه أن يظفر بالتقدير والحب فى قصور الخلفاء ، وأن ينال المال على وجه كريم من كف : الخليفة ، والامير ، والوزير ، فى عصور : المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل .
ومن الخير ان نقرأ ذلك للجاحظ نفسه حين يفخر به فى كتابه : « البيان والتبيين » .

يقول ابو عثمان : « ... ولما قرا المامون كتبى فى الامامة فوجدها على ما امر به ، وصرت اليه — وقد كان امر اليزيدى بالنظر فيها ليخبره عنها — قال لى : قد كان بعض من نرضى عقله ونصدق خبره يريد (اليزيدى) خبرنا عن هذه الكتب باحكام الصنعة ، وكثرة الفائدة ، فقلنا : قد تربى الصفة على العيان ، فلما رايتها ، رايت العيان قد اربى على الصفة ، وهذا كتاب لا يحتاج الى حضور صاحبه ، ولا يفتقر الى المحتجبين عنه ، قد جمع استقصاء المعانى واستيفاء جميع الحقوق ، مع اللفظ الجزل ، والمخرج السهل ، فهو : سوقى ملوكى ، وعامى خاصى » .

وحينما سال الجاحظ سائل : هل لك صنيعة بالبصرة ؟ اجابه : اهديت كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك الزيات فاعطانى خمسة آلاف دينار ، وكتاب البيان والتبيين الى ابن أبى داود فاعطانى خمسة آلاف دينـــار ، وكتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولى فاعطانى خمسة آلاف دينار ، فانصرفت الى البصرة ومعى صنيعة لا تحتاج الى تجديد ولا تسميد .

وسوف نحدد صحبتنا بالجاحظ فى المقال القادم .

التربية القرآنية (١)

إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

للأستاذ على عبد العظيم
كلية المعلمين العليا ـ الجامعة الليبية

مقـــــدمة :

فى أواخر القرن السادس الميلادى انحدرت الانسانية الى هوة سحيقة لم تعرف لها من قبل مثيلا ، فقد انقسم العالم المعروف فى ذلك الوقت الى دول متناحرة متدابرة والى حكام مستبدين طاغين يسوقون شعوبهم الى الحروب الطاحنة استجابة لشهوة القهر وتلبية لامتداد الحكم وسعة السلطان ، وكانت الامم مغلوبة على أمرها تساق كقطعان الاغنام الى المجازر الرهيبة لا دفاعا عن حق ، ولا نصرة لوطن ، ولا تثبيتا لعقيدة ، وانما ارضاء لشهوة حاكم مأفون ، واستجابة لأهواء حاشية منحلة ، واشباعا لجشع تجار الحروب وتلبية لغرور القادة المتجبرين وكانت كل أمة تنقسم الى طوائف عديدة يتحكم بعضها فى بعض وتستعلى طائفة منها على الآخرين .

وكانت الدولة الرومانية حاملة لواء الحضارة فى هذا الزمان أسوأ مثال للأخلاق المنحلة والضمائر العفنة التى طمسها الفساد والتشويه ، فقد أحرق أحد أباطرتها روما عاصمة الدولة ليتلهى بمنظرها وهى طعمة للنيران وكان ـ وهو يشاهد هذا المنظر الرهيب ـ يوقع على قيثارته شتى الالحان ابتهاجا منه بمنظر الاجسام المحترقة والبيوت المنهارة والخراب الشامل والفزع الذى يعتصر قلوب الرومان ، وبلغ من استهانة امبراطور آخر بالكرامة الانسانية أن هم باصدار مرسوم امبراطورى بتعيين حصانه عضوا بمجلس الشيوخ وهو أعلى هيئة تشريعية فى هذه الامبراطورية العظيمة ، وكان الاباطرة والحكام يجدون أكبر تسلية لهم فى قذف العبيد او المسجونين الى الاسود الضارية والفهود الشرسة ، ويجدون أعظم اللذة فى الاستمتاع بهذا المنظر الرهيب .

ولم تكن الامبراطورية الفارسية أحسن حالا من امبراطورية الرومان فالطبيعة الانسانية اذا انحرفت وصلت فى انحرافاتها الى مدى لا تتصوره

العقول ، والمجال لا يتسع لضرب الامثلة على مدى ما وصلت اليهــا الفطرة الانسانية فى هذا المجتمع من فساد وانحلال وحسبنا ان نذكر أن احد حكام الفرس اصدر أمرا ملـكيا باستباحة الاموال والاعراض بحيث تصبح اعراض الرعية وأموالها مباحة لمن يشاء بعد ان ينال منها نصيبه الموفور استجابة لدعوة «مزدك» الذى ادعى لنفسه النبوة وزعم أن هذه هي تعاليم السماء .

واذا كانت هذه الفوضى البهيمية هى مقومات أكبر دولتين متحضرتين فى القرن السادس للميلاد فمــا بالك ببقية الدول والشعوب الغارقة فى ظلمات الجهالة والضلال ؟

أما الديانات السماوية التى تهدى الى الحق وتدعو الى الرشاد فقد حرفها دعاتها من التوحيـــد الى الشرك ومن الحق الى الضلال ومن الاســـتقامة الى الانحراف . فاليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ». وزعموا أنهم « أبناء الله وأحباؤه » دون البشر اجمعين ، وجعلوا هذه العقائد السماوية مصدرا للربح وموردا للاســـتغلال وأداة للاستعلاء وحرفوا وبدلوا « يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » ، « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى . تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » أما النار فقد زعموا أن الله أعدها لغيرهم من جميع الشعوب أما هم فانها لن تنالهم الا مسا خفيفا لأيام معدودة « وقالوا لن تمسنا النــار الا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون » .

ولقد جاء موسى عليه السلام بالتوراة فيها هدى ونور ولكن اليهود فى حياته بعدما رأوا من الآيات البينات اعرضوا عن دعوته واستجابوا لشيطان الغواية حينما رأوا قوما يعكفون على اصنام لهم وقالوا « يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون » وذهب لمناجاة ربه فاتخذوا من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار » وعكفوا على عبــادته ، واســـتمروا مع موسى فى صراع رهيب ، حتى انتقل الى جوار ربه ، ففتكوا بمن أرسله الله اليهم من الانبياء ، وأصبحت طبائعهم ممسوخة كطبائع القردة والخنــازير فكتموا ما أنزل الله ، واخترعوا طقوسا وثنية زعموها من عند الله « فويل للذين يكتبون الــكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنــا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

وبهذا شوهوا تعاليم التوراة ، واستحقوا ان يطبع الله على قلوبهم ، وأن يمسخ عقولهم ، وأن يضرب عليهم الذلة والهوان والخزى فى الدنيا « ويــوم القيامة يردون الى أشد العذاب » وما الله بغافل عن هؤلاء المنحرفين ، « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف . . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » (١) .

أما ثانى الديانتين المعــروفتين فى ذلك الزمان فهى المسيحية ، وهى فى

---

(١) سورة النساء الآيات ١٥٥ ــ ١٦١ .

اساسها دعوة الى التوحيد ، والى الاخلاق الكريمة ، سواء كانت متعلقة بالافراد أو الجماعات ، ولكن اتباعها حرفوها ، ومسخوا كثيرا من تعاليمها السامية ، فحولوها من التوحيد ، الى الشرك العجيب حيث زعموا أن المسيح عليه السلام ابن الله مقلدين فى هذا الزعم اليهود « وقالت اليهــود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » ونادى فريق من المسيحيين بالتثليث حيث زعموا أن الآلهة ثلاثة : الاب والابن والروح القدس وبعد جهود عنيفة وأبحاث عــديدة حاول فيها زعماء المسيحية تقريب هذه الدعوى الى العقول انتهوا الى القـــرار التالي « نعبد واحدا فى ثلاثة ، وثلاثة فى واحد ، من غير جمع بين الاقانيم ، ولا تفرقة بينها ، لا نقول ثلاثة ازليون ، ولكن ازلى واحد ، ولا نقول ثلاثة قادرون ، بل قادر واحد ، على ان الاب فى حد ذاته اله ، والابن فى حد ذاته اله ، وروح القدس فى حد ذاته اله ـــ ولــكن لا نقول لنا آلهة ثلاثة ، بل اله واحد ، لأن الكنيسة تمنع من القول بأنهم ثلاثة ، وفى هذا الثالوث الثلاثة متساوون فيمـــا بينهم وأزليون » !! (١)

وحسبنا ان نعقب على هذا التناقض العجيب بقول فولتير الفيلســـوف الساخر الشهير « انى لا أيأس من أنه سيكون للانسان من الفهم بقدر ما يميز أن الواحد ليس ثلاثة ، وأن الثلاثة ليست واحدا » .

ومن العجيب أن الكتاب المقدس ليس فيه نص على عقيدة البنوة وليس فيه نص على عقيدة التثليث وما أشار السيد المسيح عليه السلام انه ابن الله وكان المسيحيون فى أول أمرهم يؤمنون بالوحدانية ويعتقدون أن المسيح عليه السلام بشر وأنه رسول من عند الله وأنه مجرد من العنصر الالهى وزعيم هذا المذهب هو آديوس العالم اللاهوتي الشهير ، وكانت كنيسة الاسكندرية تتبنى هــذه العقيدة وظلت هذه العقيدة حتى تم عقد مؤتمر نيقيا سنة ٣٢٥ ميلادية وكان قساوسة هذا المؤتمر يدينون بعقيدة التوحيد ، ولكن القيصر قسطنطين تدخل فى هذا الموضوع وفرض عقيدة « أن المسيح ابن الله » ، فســادت هذه الفكرة ، وسيطرت على المسيحيين الا قليلا ، ثم تطورت الى ان المسيح هو الله ، او ان الله ثالث ثلاثة .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذا التحريف فى كثير من آياته البينات قال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنـــة ومأواه النار » وقال تعالى : « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ، وما من اله الا اله واحد ، وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عــذاب اليم » .

ولم يكتف رجال الكهنوت بهذا التحريف والانحراف بل زعموا لأنفسهم حق احتكار أبواب السماء فلا يلجها احد الا عن طريق وبوساطة ما يمنحونه من صكوك الغفران ، أما من يوقعون عليه الحرمان فقد أغلقوا فى وجهه ملكوت السموات ، فالمغفرة لا تتم الا عن طريقهم والتوبة لا تقبل الا بعد الاعتراف لهم ، والثواب والعقاب فى الآخرة مرهون بمشيئتهم ، وتفسير الكتاب المقدس وقف عليهم ، والمثل الاعلى عندهم هو الرهبانية وهى نظام انتحارى يجعل أصحابه يعيشون أمواتا وهم على قيد الحياة .

---

(١) كتاب تاريخ الديانات العامة للعلامة بيار رهم طبعة باريس ص ١٩٠ .

هذه حال اليهودية والمسيحية فى هذا الزمان ، وأسوأ منهما البقايا المطموسة لما سبقهما من ديانات سماوية لم يبق من أضوائها الا ومضات خاطفة كاد يمحوها الظلام .

أما التفكير الفلسفى وهو اسمى ما استطاع الفكر البشرى أن يصل اليه فقد حام فترة من الزمان حول الحقيقة المطلقة ولم يستطع جناحاه أن يحلقا به طويلا فى هذه الآفاق ، فالعقل البشرى — مهما تطلع وتشوف ونقب وبحث — محدود محصور المجال .

وأعظم المدارس الفلسفية على الاطلاق هى المدرسة الاثينية ، وزعماؤها العباقرة هم سقراط وأفلاطون وأرسطو » سنة ٤٦٩ — سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وقد اهتدى سقراط بتفكيره الفلسفى الى وجود الاله وآمن بخلود الروح وسلامتها من الفساد مع الجسد بعد الموت ، ولكنه تكلم تارة عن الاله وتارة عن الالهة ، وان كان ينزهها جميعها عن آلهة الاساطير الاغريقية ، ولا يرى للانسان عبادة مقبولة عن طريق الضحايا والقرابين وانما عن طريق خلوص النية وصفاء الضمير ، وهو — فى أسمى ما وصل اليه تفكيره الفلسفى — تلتبس عنده فكرة الشرك بعقيدة التوحيد .

وقد تابع أفلاطون أستاذه سقراط فردد فى كتبه اسم الاله كثيرا ونعته بأسمى أنواع العظمة والجلال ولكن تفكيره الفلسفى خلط بين وثنية الاغريق وعقيدة التوحيد ، فالوجود عنده طبقتان متقابلتان طبقة العقل المطلق وطبقة الهيولى ، وبينهما كائنات تسمو بمقدار ما تتصل بالعقل المطلق وتهبط بمقدار ما تتصل بالهيولى ، وهذه الكائنات بعضها أرباب وبعضها أنصاف آلهة ، وبعضها من البشر ، والعقل المطلق عنده كمال لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يصدر عنه الا الخير ، أما الكون فمصدره الكائنات المتوسطة لأنه حافل بالشرور .

أما الاله عند أرسطو فهو سرمدى ازلى كامل منزه عن النقص وهو علة العالم ، ولكنه يقرر أن العالم أزلى قديم لأنه صادر عن الاله القديم صدور العلة عن المعلول وقادته هذه الفكرة الى أن الله لا يعلم الموجودات لأنها أقل من أن يعلمها ، ولا يريد العالم لأنه لا يحتاج اليه ، وقاده هذا التفكير الى نفى الارادة والتدبير عن الله ، وقد دحض القرآن الكريم فيما بعد — هذا التفكير ، قال تعالى « ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين » وقال جل شأنه « يدبر الامر يفصل الآيات » وهو سبحانه « يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه » الآية — وقد انتكس التفكير الفلسفى بعد هذه الفلسفة ، وبخاصة فى عهد الابيقوريين الذين استغرقتهم مبادىء اللذات .

ومن جميع ما ذكرناه يتضح أن البشرية انحدرت فى القرن السادس الميلادى الى مهوى سحيق كادت تفقد فيه كرامتها الانسانية وفضائلها الروحية وتلتصق بالغرائز البهيمية وتصبح بين الانعام كالانعام أو أضل سبيلا .

ان الحضارات القديمة أفلست كل الافلاس ، والديانات السماوية لحقها التحريف والتشويه وأصبحت وسيلة لمشروعية طغيان الحكام والرهبان ، والافكار الفلسفية التى انحدرت من مجالها المعنوى الى مجال تبرير الشهوات والاقبال على اللذات .

فلم يبق امام العالم كله من وسيلة للانقاذ الا قبس من السماء ينقذه من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ومن البهيمية الى الروحية ، على ان يكون هذا القبس محفوفا بما يعصمه من التحريف والتبديل .

وهذه هى رسالة الاسلام .

« للبحث بقيـــة »

بين اسلوب القرآن

الفرق بين الاسلوب التشريعي للقرآن الكريم .. وبين منطق القانون في فرض سلطانه على المجتمع .. هو الفرق بين روحانية الدين ، وجحود المادة .. أو بين مرونة المغزى ، وحرفية النص .. أو بين أعماق العواطف الانسانية ، وسطحية الظواهر الكونية .. وهذا ما تمليه طبائع الاشياء ، وتقرره حقائق الواقع الملموس .

فاذا كان التشريع الوضعي تعبيرا عن رغبات وأفكار واضعيه ، وعاكسا ملامح الزمان والمكان الذي يعيش فيه ، وحاملا بصمات الثقافة والسياسة التي يسير في زمامها ، وطوع ارادتها .. فان القرآن الكريم في معالجته للشريعة قد استهدف سعادة الانسان أصيلة أبدية .. فهو معه في سره وعلانيته ، ودنياه وآخرته ، وفكره وارادته .. وهو يصوغ من مبادئه الخالدة دستورا للنظام والعمل ، مكيفا بحيوية متجددة ، ومزودا بطبيعة متطورة .. تكفل له النمو والاتساع في ظل الحق والعدل ومكارم الاخلاق كلما تعاقبت الازمان .

واذا كان القانون الوضعي قد اقتصر في نشاطه على علاج المفاسد داخل اطار المجتمع .. فان القرآن الكريم قد أضاف الى تشريعه بيانا مفصلا عن جوانب الخير والشر على السواء ، وعالج المفاسد بقدر ما أرشد الى المصالح .. فأمر بكل حسن وجميل ، ونهى عن كل شر وخبيث ، مراعيا حسن الافعال وقبحها مما يفيض به منطق العقل السليم والطبع المستقيم .. مع ما استأثر الله بعلمه .. مما يعز على البشر الترقي اليه ، ولذا امتدت رسالته الاصلاحية الى زوايا الفرد ، وجوانب المجتمع ، فنظم علاقة الانسان بنفسه ، ومع خالقه ، ومع أخيه الانسان .

واذا كان القانون الوضعي في عرف الفقهاء القانونيين يعني كل نظام معين يتحدد به التصرف بعد أن يقترن به جزاء مباشر .. تقوم بتوقيعه السلطة الحاكمة .. أو من يمثلها .. في صورة عقوبة أو جزاء مدني ، ويسعى الى تحقيق السلام في ظل القوة التي يمثلها الجزاء المقترن بالقاعدة القانونية ..

.. فان القرآن الكريم يعتمد في بلوغ هدفه التشريعي على قوة الدفع التلقائي في نفسية المؤمن ، ويصوغ من البواعث الذاتية للمرء .. أداته لتحقيق

ولغة القانون

الاستاذ : محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد القويرى الدينى ـ ليبيا

اهدافه .. ويخاطب الضمير والوجدان والعقل .. قبل أن يرفع فوق الجسد سياط العقوبة فى الدنيا ، وشواظا من نار يوم القيامة .

ولذا كان نطاق الحساب فى القانون الوضعى لا يتعدى الاعمال الخارجة المتصلة بالغير .. أما نطاق المسئولية القرآنية فينتظم خوالج النفس المصممة ، وظواهر الحس الواقعة .. سواء منها ما كان مقصودا بذاته ، أو كان وسيلة الى ذلك المقصود .

وفى ضوء ما تقدم نجد تباينا واضحا بين أسلوب القرآن فى توجيه اوامره ونواهيه .. وبين لغة القانون فى سوق موادها المنظمة للمجتمع .

فالقرآن الكريم قد تلونت أساليبه فى التشريع وتعددت أضواؤها البلاغية ، حتى صارت مثاليتها فى الذوق الادبى ، والجمال التعبيرى .. سر اعجاز القرآن ومناط التحدى به .. بما تشتمل عليه من ضروب القول ، وروائع المعنى ، وعمق الحكمة ، وسمو الغاية .. فلم يلتزم القرآن صيغة واحدة أو متقاربة فى التعبير عن مطالبه كما هو شأن واضعى القانون .. كما لم يتقيد بتكرار الفاظ ذات مفهوم اصطلاحى عند المشتغلين بالفقه والقضاء .. وذلك حتى لا يورث النفس مللا أو سآمة ، ويصرفها عن التأسى والقدوة والاعتبار .

.. والمتأمل فى تعبيرات القرآن المشوقة يراها متجددة متعددة ، باعثة على القبول وحب الامتثال .. تعمل على تذليل القصى ، وابانة الحق .. ومن هنا اكتست الاساليب القرآنية أثوابا قشيبة من التبشير والتذكير ، والوعد والوعيد ، والامتاع عن طريق الاقناع ، وقد أدت المواعظ دورها فى اسلاس قياد النفس الجموح .. وترويض الطبع الناشز .. حتى تأخذ الارادة طريقها فى رفق وهوادة الى شاطىء السلام والاستقامة ، وتعزف عيونة قالية عن طريق الانحراف والغواية .. فى ظلال أطياف ترف من جنات يبشر بها الطائعون ، وأشباح مخاوف تطل من افق الغيب على العصاة والمذنبين .

كل ذلك بأسلوب أخاذ أعجز أئمة البلاغة ، وتحداهم ان يأتوا بمثله أو بأقصر سورة منه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

فحين صاغ القرآن تشريعه فى جانب الاوامر .. سـلك فى التعبير عنه مسالك متنوعة ، وطرائق مختلفة . فمرة يستعمل صريح الامر فى تقرير وجوب العمل كما فى قوله تعالى : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها) (وامر اهلك بالصلاة) (قل أمر ربى بالقسط) .

.. ومرة اخرى .. يدعو الى فعل الصالحات عن طريق الاخبار بالفرضية او الكتابة . (كتب عليكم القصاص فى القتلى) (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) (ان الصـلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم) .

.. واحيانا يسوق التكليف فى صـورة عامة شاملة لكل مخاطب فتتناول الفرد ضمن المجموع . (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .. واحيانا اخرى .. يوجهه الى صـنف اختص بوصـف مثل (وعلى الوارث مثل ذلك) بعد قوله تعالى فى شأن نفقة المرضـعات . (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) .

وطورا يعبر بنفس الصيغة التى وضعها اللغويون للطلب على سـبيل اللزوم وذلك كفعل الامر ، والمضارع المقرون باللام . (واقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة) (اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير) (ثم ليقضـوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق) .

وطورا آخر يضفى على الفعل نعت الخير .. او البر .. او التوصـيل الى البر . (ويسألونك عن اليتامى ، قل اصلاح لهم خير) (ولكن البر من اتقى) .. (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .. وفى بعض العبـارات يسـتخدم اسلوب الشرط ، ويرتب الواجب على فعل الشرط . (فان احصرتم فما استيسر من الهدى) .. (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) ومعنى آية الاحصـار نقلا عن الكشاف . « ان منعتم من المضى الى البيت الحرام وانتم محرمون بحج او عمرة .. فعليكم اذا اردتم التحلل ما اسـتيسر من الهدى من بعير او بقرة او شاة » ومعنى آية الانظار . « وان وجد غريم من غرمائكم ذو اعسـار .. فالامر انظاره وامهاله الى يسار » .

وفى بعض العبارات الاخرى يذكر الفعل المطلوب عقيب ذكر المكلفين او المكلفات . (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) .

قال صاحب الكشاف فى تفسيره هذه الآية « هو خبر بمعنى الامر ، واصل الكلام وليتربص المطلقات بأنفسـهن ثلاثة قروء اى حيض ، واخراج الامر فى صورة الخبر تأكيد للامر ، واشـعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسـارعة الى امتثاله ، فكأنهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه بعد وجوده » .

فتلك نماذج من صياغة القرآن التشريعية فى قطاع اوامره ومطـالبه ..

وعلى قدر ما فيها من تنوع فى الاسلوب ، وتجدد فى الاداء .. جاءت نواهيه تحمل سمات متعددة الملامح .. متنوعة المذهب .. فمنها ما استعمل فيه النهى الصريح أو التحريم البواح . (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) .. (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين) .. (حرمت عليكم امهاتكم ..) .. (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق) .

ومنها ما عبر عنه بصيغة الفعل المضارع المسبوقة بلا الناهية .. (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن) .. (ولا تقربوا الزنا ..) .

وفى بعضها يؤتى بمادة الامر الدالة على الترك والخطر . (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) .. (ودع أذاهم) .

.. وقد ينفى الحل عن بعض الامور فيكون هذا النفى تعبيرا عن النهى عنها .. (لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها) . وهو نهى عن عادة جاهلية كانت تورث بها المرأة كما يورث المتاع وهى كارهة فكان الرجل اذا مات له قريب القى ثوبه على امرأته ، وقال : أنا أحق بها من كل أحد ، ومن هذا الاسلوب (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) .

وقد يعبر بلا النافية عن تحريم الافعال . (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) .

وقد يرفع البر عن الفعل ، أو يلصق به وصف الشر .. فيكون فى ذلك دلالة على حظره (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) .. (لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم .. بل هو شر لهم) .

وفى بعض الاساليب يقترن العمل باستحقاق الاثم أو العذاب فينتسب العمل الى الحرمة (فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه) .. (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) .

ولم يقتصر الاسلوب القرآني بألوانه البلاغية المتعددة ، واضوائه البيانية المشرقة .. على صوغ الاوامر والنواهى فى رسالته التشريعية .. بل ان توجيهاته الاختيارية بالنسبة لحرية العمل ايجابا أو سلبا قد حملت ذلك الطابع المعجز ، وسرت فيها روح السلاسة والعذوبة .. والناظر فى تضاعيف التشريع القرآنى من تلك الزاوية .. يجد أن كلمة الحل .. قد استعملت بصراحة لتجويز بعض الاعمال .. فمن ذلك (أحلت لكم بهيمة الانعام) .. (واليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم) .. كما يجد لونا آخر للتعبير عن الاباحة .. وذلك فى رفع الجناح أو الحرج كما فى قوله تعالى . (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) .. أى اذا تخلفوا عن الجيش المحارب ، وقعدوا عن الغزو .. لمكان العذر منهم ، ومثل قوله تعالى . (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وان يستعففن خير لهن) .. والآية الكريمة .. تأذن للنساء اللاتى بلغن من العمر حدا متقدما أن يتخففن من ملابسهن الظاهرة اذا احتجن لذلك لا بقصد الزينة

وابداء ما خفي منهن .. ومع هذا فلو آثرن التستر بالملابس والاحتشـــام في الازياء لكان خيرا لهن .. فقد عقب ذكر الجائز بالمستحب تمييزا لافضل الاحوال واحسنها (كما ذكر الزمخشري) .

ولقد ادى تنوع الاساليب القرآنية في مجال التشريع على هـــذا النحو البلاغي الرائع .. الى انعام النظر من المجتهدين في خصائص الاسلوب لاستنباط احكام فقهية متفاوتة .. فان كانت الصيغة تحمل طابع الحتمية .. نشـــأ عنها ما سماه الفقهاء فرضا .. او واجبا .. او ركنا ، وان رجحت جانب العمل على جانب الترك سموه سنة .. او مندوبا .. او مستحبا . واذا اتجهت اتجـــاها عكسيا بالنسبة الى التحتم اطلقوا عليه .. الحرام .. وان اشعرت بتفضيـــل الترك على الفعل تولد عنها المكروه ، وان لم يستنبطوا منها امرا بفعل ولا نهيا عن ترك استخلصوا منها المباح .. او الجائز .. وهكذا تمخضت الاســـاليب القرآنية عن بلورة معينة في الاحكام .. فصارت خمسا . الفرض والســـنة والحرام والمكروه والمباح .. وما كان لتلك البلورة ان تســـتكمل عنـاصرها الخمسة .. لو لم تتجدد تلك الانماط البلاغية في عبارات القرآن على هـــذه الانحاء التي تحمل في تضاعيفها ايحاءات تشريعية ، تحـــدد مطالب الشرع في دقة واحكام ، وترسل أضواءها على اهدافه في كل اتجاه .

واذا يممنا وجهنا قبالة تعبير القانون .. وجدناه ينحو بمواده المســـلسلة نحوا متميزا بطابع فقهي عام لا يســـتهدف الا الوضــــوح من اخصر طريق .. ويتوخى الحد الادنى من الفصاحة .. ولا اقول البلاغة .. في تحديد الفاظه ، وتســـاوق معانيه .. فهو لا يلقي بالا لتحريك الهمم ، ولا يحفـــل بشـــحذ العزائم ، أو تحريك الدوافع الشخصية في كيان الانســـان ، وانما يجعل همه الاول والاخير في صياغته .. شحن المواد المرقومة بالفكرة القـــانونية .. في صورة يبدو فيها جمود اللفظ ، وحرفية النص ، ومن امثلة ذلك ما جاء في كتاب مرشد الحيران في المعاملات الشرعية على مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه .. خاصا بحكم مرور الزمان على الحقوق .

مادة ٢٥٦ ـــ دعوى الدين ايا كان سببه لا تسمع على منكر الدين بعـــد تركها من غير عذر شرعي خمس عشرة سنة .. فان تركها المدعي بعذر بأن كان غائبا مسافة القصر .. أو كان صـــبيا او مجنونا وليس له ولي .. او وصي ، فانها تسمع .. ما لم تمض هذه المدة بعد حضور الغائب من سفره ، أو بلوغ القاصر رشيدا ، او افاقة المجنون من جنونه .

مادة ٢٥٧ ـــ الاستحقاق في الوقف من قبيل الملك المطلق فلا تسمع دعوى المستحق باســـــتحقاقه على ناظر الوقف اذا تركها من غير عذر خمس عشرة سنة .

مادة ٢٥٨ ـــ يعتبر ابتداء المدة المقررة لعدم سماع دعوى الدين المؤجل من تاريخ حلول الاجل لا من تاريخ عقد الدين ، ويعتبر مبدأ المدة المذكورة في دعوى المهر المؤجل من وقت الطلاق ، أو من تاريخ موت احد الزوجين .

مادة ٢٥٩ ـــ كما لا تسمع دعوى الدين ممن ترك المطالبة به من غير عذر خمس عشرة سنة فكذلك لا تسمع من ورثته بعد موته .

مادة ٢٦٠ ـــ انما تعتبر المطالبة في مجلس القضـــــاء لا في غيره ، فان طالب الدائن غريمه في مجلس القضاء ، ولم تفصـــل الدعوى حتى مضت المدة

فانها تسمع بعدها ، وان طالبه في غير مجلس القضاء مرارا فلا تعتبر مطالبته ، ولا تسمع دعواه بعد مضى المدة المذكورة .

مادة ٢٦١ — اذا ترك بعض الورثة الدعوى بدين مورثهم من غير عذر خمس عشرة سنة وكان لباقى الورثة عذر بأن كان قاصرا .. فبلغ رشيدا تسمع دعواه على الدين بقدر حصته التى تخصه من الدين .

وهذه نماذج من القواعد المتعلقة بالنظام العام فى القانون المدنى المعاصر .

المادة ١٣١ — يجوز أن يكون محل الالتزام شيئا مستقبلا .. غير أن التعامل فى تركة انسان على قيد الحياة باطل ، ولو كان برضاه .. الا فى الاحوال التى نص عليها القانون .

المادة ١٣٢ — اذا كان محل الالتزام مستحيلا فى ذاته كان العقد باطلا .

المادة ٤٢٧ — لا يجوز الطعن بالغبن فى بيع تم كنص القانون بطريق المزاد العلنى .

المادة ٧٨٤ — لا يجوز للوارث قبل أن تسلم اليه شهادة التوريث المنصوص عليها فى المادة ٩٠١ أن يتصرف فى مال التركة .. كما لا يجوز له أن يستولى على ما للتركة من ديون .. أو أن يجعل دينا عليه قصاصا بدين التركة .

المادة ٩١٦ — كل عمل قانونى يصدر من شخص فى مرض الموت ويكون مقصودا به التبرع يعتبر تصرفا مضافا الى ما بعد الموت وتسرى عليه أحكام الوصايا .. أيا كانت التسمية التى تعطى لهذا التصرف .

المادة ١٠٣١ — لا ينعقد الرهن الا اذا كان بورقة رسمية .

المادة ١٠٣٤ — يقع باطلا رهن المال المستقبل .

وبعد ..

فقد ظهر من المقارنة السابقة بين اسلوبى القرآن ولغة القانون فى مجال التشريع أن كلا منهما ينحو فى تخطيطه التنظيمى نحوا متميزا بطابع خاص فالقرآن الكريم يعتمد فى طريقته الالهية .. على توليد البحث الذاتى فى نفسية الجماهير ، عن طريق التدبر .. والتعقل .. وادارة الفكر فيما خلق الله من شىء ، وتوجيه النظر المنصف الى اختيار الحق والخير فى المعركة الازلية الابدية بين الفضيلة والرذيلة وعن هذا السبيل وحده .. تبرز الافكار الى حيز الوجود ، وتوضع المعانى السامية موضع التنفيذ .. ثم يأتى تطبيق الحاكم عملا مكملا ومؤكدا .. أما القانون .. فانه لا يأبه لتحريك العواطف .. أو تنبيه الافكار .. أو اثارة عوامل الانفعال النفسى بقصد التأثير فيها ايجابا أو سلبا .. وانما كل همه .. أن يفرض نظامه فرضا على الهيئة الخاضعة له .. بلغة روتينية لا تكاد تبلغ درجة الفصاحة .. ولذا يبدو فى نظر الجماهير وكأنه قدر دخيل عليها .. أو مفروض فوقها .. ولولا قوة الجزاء .. وسلطة التنفيذ لما واتته امكانية التطبيق ..

وهذا على العكس من الاعجاز البيانى .. والسحر البلاغى الذى يتميز به القرآن الكريم .. والذى يستهوى التالى والسامع الى معاودة تلاوته .. المرة تلو المرة بحيث يستشعر حلاوة مجددة .. مع كل تلاوة مرددة .. يستسيغها الصغار والكبار والشيب والشباب ، والسراة والعامة .. ويجد فيه كل منهم غايته المرتجاه ، وطلبته المنشودة .. وصدق الله تعالى حين قال : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » .

ورقات من تاريخ النكبة

يوم الاثنين الواقع في ٧ جمادى الثانية من سنة ١٣٨٧ هـ (١١ ايلول ١٩٦٧ م) زرت الشيخ على شيخ العرب في بيته بطرابلس الشام برفقة اخى فؤاد الولى استاذ التاريخ بكلية التربية والتعليم في المدينة المذكورة ، فتلقانا الشيخ بما فطر عليه من ادب اسلامى عريق ، مقبلا علينا مستندا الى عصاه ، يستعين بها على مساعدة كاهله لحمل السنوات التسعين التى ادركها عمره المديد ان شاء الله .

كانت هذه الزيارة بقصد الافادة من معلومات الشيخ على شيخ العرب عن المدارس الدينية الاثرية في طرابلس الشام ، ذلك بانه كان الى أمد قريب مسئولا عن هذه المدارس في دائرة الاوقاف الاسلامية في المدينة المذكورة . لذا فانه ، من غير شك ، وبالاضافة الى ثقافته الشخصية ، يعرف الشيء الكثير عن هذه المدارس ، تاريخها وبانيها وواقفها والذين تناوبوا على نظارتها والتدريس فيها .

بيد أن الشيخ بارك الله له في صحته وعمره ، بادرنا بالحديث عن ذكرياته التى علقت بذهنه الوقاد خلال خدماته السابقة في الوظائف الدينية ، والسياسية ، والعسكرية ، سواء في العهد العثمانى ايام عبد الحميد الثانى ، أو اثناء حكم الاتحاد والترقى ،أيام محمد رشاد الخامس ، أو في العهد الفرنسي وما تلاه بعد

للشيخ طه الولي : بيروت

ذلك ، بعد زوال الانتداب عن سورية ولبنان ، على اثر الحرب العالمية الثانية .

وشيخنا الفاضل الشيخ على شيخ العرب ولد سنة ١٨٧٩ م وتدرج فى أول عمره بالوظائف الحكومية فى مختلف اجهزة الدولة العثمانية ما بين دينية وعسكرية وسياسية وادارية ، مما أتاح له التنقل عبر البلدان التى كان يظللها تاج بنى عثمان فى حينه ، كما هيأ له هذا التنقل الاطلاع على الوان مختلفة من الشعوب ، بعاداتها وتقاليدها واعرافها .

ورافق حفظه الله ، تطور الحضارة من ظلمات القرون الماضية الى المركبات الفضائية فى العصر الحاضر . فركب الجمل والحصان والبغل والحمار ، كما ركب القطار والسيارة والطيارة ، وتنقل بين البحار فوق البواخر التجارية ، والعمائر الحربية والغواصات ، وانه اليوم يركن الى جهاز التليفزيون حيث تنقله الشاشة الى آخر تطورات الابداع البشرى لتتركه يربط ما بينها وبين أخيلة الماضى ، التى تزدحم فى خاطره ، بعد ان اصبحت هذه الاخيلة ملكا للتاريخ . قال :

ــ لقد كنت مفتش اسطول فى العهد الحميدى ، ثم مفتش اسطول قبيل الانقلاب (١٩٠٨ م) ثم مديرا للاستخبارات العربية مع دولة القائد احمد جمال باشا ، ثم رئيس المجلس الادارى بالاوقاف الاسلامية بطرابلس . ثم ها أنذا بين يدى التسعين من عمرى تجدنى معتكفا فى بيتى ، ألملم من ذاكرتى ما ادونه من الحوادث والاحداث التى مرت بى فى مختلف مراحل حياتى ، لتكون تحت تصرف الناس ، علهم يجدون فيها عبرة أو تذكرة مما ينفع أولى الالباب .

ثم أطرق الشيخ شيخ العرب صامتا لا يتكلم ، وكأنى به قد عاد بفكره الى نصف قرن مضى وزده بضع عشرة سنة ، ثم رفع هامته واردف يقول لى :

كأنى بك تريدنى على التحدث فيما انتهت اليه الحال بالاسلام والمسلمين ، بعد الذى أصابهم من الذل والهوان بفلسطين . وعن مقدمات ما صرنا اليه من نتائج ؟

قلت : اجل يا فضيلة الشيخ ، فان ابناء جيلنا الذين كتب عليهم أن يعيشوا هذه الحياة ، قد غشيت أفكارهم معلومات كاذبة ، شحنها الغرب بالاضاليل ، تمهيدا لما أوقعنا به من احابيل ، لاسيما فيما يتصل بموقف السلطان عبد الحميد الثانى ، الذى كان آخر الحصون التى دافع بها الاسلام عن وجوده العالمى ، وبعد انهياره تحت مؤامرات الغرب وربيبته الصهيونية اضطرب هذا الوجود ، واخذ العرش الذى رفع سادنوه راية محمد صلى الله عليه وسلم ٦٠٠ سنة أخذ يترنح تحت الجالسين عليه ، ابتداء من السلطان محمد رشاد ، حتى سقط مقضيا عليه

هو والسلطان محمد وحيد الدين ، ثم زال نهائيا مع آخر سلاطين بنى عثمان والسلطان عبد المجيد خان سنة ١٩٢٣ ميلادية حين الغى مصطفى كمال باشا السلطنة ، ثم الخلافة ، ليتمكن من ابعاد شرور اوروبا عن البلاد التركية يوم ذاك .

عرض يهودي

ثم قال الشيخ شيخ العرب :

ــ كان ذلك سنة ١٩٠٢ ميلادية ، ونحن في اسطمبول عاصمة الخلافة الاسلامية ، وفى قلب قصر يلدز قصر السلطان خليفة المسلمين بالذات .

العبد الفقير ، والى جانبى الشيخ محمود الجيزاوى امام جامع العرب فى دار السعادة ، واذا بثلاثة من اليهود يطلبون مقابلة مولانا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد الثانى . ولما كانت مثل هذه المقابلة تخضع لاصول التشريفات المتبعة فى القصر السلطانى ، فقد استقبلهم بادىء ذى بدء تحسين باشا رئيس كتاب السلطان ، مستوضحا منهم غرضهم من هذه المقابلة ، وكان هؤلاء الثلاثة اليهود هم :

١ ــ مزراحى افندى ــ مدير احد البنوك .

٢ ــ جاك ــ لم اعد اذكر باقى اسمه .

٣ ــ ليون ــ لم اعد اذكر باقى اسمه .

وعلى الرغم من ان هؤلاء الاشخاص اصروا على الانفراد بمولانا السلطان ، الا ان تحسين باشا اقنعهم باستحالة مثل هذا التصرف ، وان باستطاعتهم البوح بما يريدون اليه شخصيا ، وهو ينقله بالحرف الواحد الى صاحب الجلالة الخليفة فلم يجد اليهود الثلاثة بدأ من قبول الامر الواقع ، والنزول عند رغبة تحسين باشا الذى استمع اليهم يقولون :

ان اليهود مستعدون ان يقوموا :

اولا ــ بوفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية .

ثانيا : بناء اسطول لحماية الامبراطورية العثمانية .

ثالثا : تقديم قرض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لانعاش مالية الدولة ، وانماء مواردها وذلك مقابل :

اولا : اباحة دخول اليهود الى فلسطين فى اى يوم من أيام السنة للزيارة .

ثانيا : السماح لليهود بانشاء مستعمرة ينزل بها ابناء جلدتهم الى قرب القدس الشريف اثناء وجودهم فى فلسطين للزيارة .

جواب الخليفة

ونقل رئيس الكتاب تحسين باشا الى سيد القصر ما سمعه من اليهود الثلاثة ، وما لبث أن سمع من الجالس على عرش الخلافة الجواب التالى :

ــ تحسين . قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلى :

اولا : ان ديون الدولة ليست عارا عليها لأن غيرها من الدول مثل فرنسا هى الاخرى مدينة ، وذلك لا يضيرها .

ثانيا : ان بيت المقدس الشريف قد افتتحه للاسلام اول مرة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولست مستعدا لأن أتحمل فى التاريخ وصمة بيعها لليهود ، وخيانة الامانة التى كلفنى المسلمون بحمايتها .

ثالثا : ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الاسلام .

واخيرا مرهم فليخرج هؤلاء من عندى ، ولا يحاولوا بعدها مقابلتى او الدخول الى هذا المكان ابدا .. »

وتابع الشيخ شيخ العرب كلامه معى ، وقد أخذته الحمية الدينية

وتملكته رغبة عميقة لتصحيح الوقائع التى اريد بها تشويه سمعة السلطان عبد الحميد الثـانى ، تابع كلامه قائلا : ثم انى علمت بأن السـلطان عبد الحميد ارسـل على التوالى ناظر الداخلية فى عهـده : ممدوح باشا بأن يطلب بالشيفرة الى رءوف باشا متصرف القدس ليقوم هـذا بالتحرى عن اليهود فى فلسـطين ، ولاسيما القـدس الشريف ولا يبقى فى الارض المقدسـة أيا من الطائفة اليهودية غير الذين قدموا اليها بقصد الزيارة العابرة والا يسـمح لهم بالمكوث فيها الا بمقـدار هـذه الزيارة ، ثم تابع شـيخ العرب حديثه المتهدج برنة مثقلة الجـرس بآلام الذكريات .

(وفى سنة ١٩٠٨ نجح اليهـود باخراج جمعية الاتحاد والترقى الى ملعب أهوائهم السياسية ، وقد كانت هذه الجمعية القناع الخارجى الذى تقنعت به جماعة الدونما (المتظاهرين بالاسلام من يهود اسـبانيا الذين اتخذوا من مدينة سلانيك مقاما لهم ، بعد فرارهم من محاكم التفتيش التى نصبها ملوك تلك البلاد لمخالفيهم فى العقيدة الدينية سواء من المسـلمين او من اليهود) .

ونزل السلطان عبد الحميد الثانى عند طالبى (الحريات الدستورية) واعلن ما سمى بـ (المشروطية) .

بيد أن غاية اليهـود لم تـكن المشروطية بما فيهـا من نص على الحريات العامة ، وانما كانت غايتهم ازاحة عبـد الحمـيد من طريقهم للوصول الى فلسطين ، بعد أن تبين لهم أن هذا السلطان سيبقى وجوده حائلا دون تحقيق اغراضهم العدوانية على الارض المقدسة ، ولهـذا فانهم تمكنوا من رشوة بعض رجال الدين ، واوعزوا اليهم بالخروج فى الشـوارع والمناداة (بتطبيق الشريعة المحمدية) وهو ما سمى يومئذ بحركة (الارتجاع) قاصـدين من وراء ذلك احـراج السلطان ، ودفع الاتحـاديين الى الثورة عليه ، والتخلص نهائيا منه ، تمهيدا للتخلص من الاسلام نفسه .

مؤامرة خلع السلطان

وقد آتت هذه الحركة (الارتجاعية) اكلها الشهية بالنسـبة لليهود مع الاسف ،وتم لاعداء الاسلام ما ارادوا فقام الجيش بحركته الحاسمة متقدما نحو يلدز بخيله ورجله ، طالبا ازاحة العرش من تحت سيده الذى رفض النزول عند مغريات اليهود ، لتحقيق مطامعهم فى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وفى ٧ مارس آذار ١٩٠٩ تقدم الى رحاب القصر المنيف (يلدز) ثلاثة من اعيان البلاد العثمانية وهم :

١ ــ عارف حكمت (ياور وفريق بالبحرية) .

٢ ــ مزراحى افندى قراصـوه (اياه) عضو أعيان .

٣ ــ ارستيدى باشـا (رومى) وزير النافعة سابقا .

ثلاثة اعيان ، مسـلم ماجور ، ويهودى حقود ، ورومى موتور .

دخل هؤلاء على السـلطان الذى اسـتقبلهم بما عرف عنه من هيبة ورجولة وكبرياء . وكانت وقفتهم بين يدى مولاهم على ابشع ما يكون من قلة الادب وجفاف ماء الوجه ، غير انهم أمام عظمة عبد الحمـيد وقوة شخصيته لم يسـعهم الا التظاهر باللياقة والاحتشام .

عارف حكمت ، أخذ لمولاه التحية الرسمية بكل ادب واحترام . عندما تذكر هذا الضابط المسلم فى ساعة من ساعات يقظة الضمير أنه فى حضرة ولى أمر المسـلمين الذين هو احد ضباطهم .

وأما اليهودى ، القذر ، فقـد مد يده بكل وقاحة الى جلالة السـلطان الاعظم وفيها وثيقة الخلع من الولاية الشرعية . بينما بقى ارسـتيدى

الرومى ساكنا فى وجوم ، كأنه من غير أبناء هذه الدنيا .

رد السلطان عليهم

وهنا قطع السلطان الوتور حبل الصمت المهيب بلهجة الحاكم الواثق من نفســـه موجها كلامه الى الذين وقفوا باهتين بين يديه :

ـ هل انتم من الاعيان ؟

فاجابوا : نعم ..

تابع الســـلطان كلامه التقريعى اليهم :

ـ ومن عينكم فى الاعيان ؟

فســـكتوا جميـــعا ولم يحيروا جوابا ..

عندها التفت الســلطان كالجريح من قشاعم النسور (أى المسن منها) ووجه كلامه الى عارف حكمت قائلا :

انت ؟ ألم تترب فى هـــذا القصر يتيمـــا (فقد كانت أم عارف المذكور احدى الخادمات بالقصر السلطانى) ثم أدخلتك المدرســـة البحـــرية العسكرية ، ثم أرسلتك الى أوربا ، حتى تخرجت برتبة أركان حرب ؟

وتابع السلطان كلامه الى عارف بسخرية جديرة بان تقتل من يتلقاها ، لو كان عنده مثقال ذرة من كرامة .. فمهمتك التى جئت بها لا باس بها !

والتفت جلالته الى ارســـتيدى الرومى (النصرانى) قائلا : (مـــن جعلك مستشارا للمالية سابقا ، ثم وزيرا للنافعة ثمعضوا فى الاعيان ؟) قال ذلك بلهجة كلها توبيخ وتبكيت ، وقال اخيرا لليهودى مزارحى كلاما ذكره فيه يوم جاءه من سنوات ست بطلب الســـماح لليهود باحتـــلال فلسطين ، مقابل ثمن يدفعونه لامير المؤمنين .

وكأن السلطان اراد افهام اليهودى الوقح بأن هذه الوقفة التاريخية التى تحمل خلع امير المؤمنين فى لحظاتها الحاسمة ، انما هى صـــدى لتلك الوقفة التاريخية الســـابقة ، التى انكفا فيهـــا اليهود على اعقـــابهم مذمومين مدحورين امام صـــلابة السلطان فى الدفاع عن حرم الله وبيته المقدس فى فلسطين !

ولكم كانت كلمات الســـلطان المظلوم قوية وبليغة وهو يتلقى خلع ولايته من امرة المؤمنين عـــلى يد اثنين : احـــدهما نصرانى يونانى ، والآخر يهودى صـــهيونى ، ومعهما ذلك المســلم الذى كان الى جانبهما كالطرطور فى مؤخرة بردعة الحمار .

وكان ختـــام حديث الســـلطان الجـــريح قوله للذين اقتحموا عليه حرمته :

(ان مجيئكم لتبليغ سلطان الدولة العثمانية ، وخليفة المســلمين قرار الخلع عمل سيندم عليه من أرسلكم به ..) .

ودون أن يمد يده الى اليهودى ، ليأخذ منه ورقة التبليغ ، التفت الى ياوره (على جودت) (الذى ظهـــر فيما بعد أنه من الاتحاديين) وأمره بأن يأخذ الورقة من اليهودى ، وأن يستلمها منه ، ثم يسلمها بعد ذلك لابنته عائشة سلطان (التى ما تزال تحتفظ بأوراق « عبد الحميد » وهى ما تزال على قيد الحياة ، وتقيم فى تركيا بعد أن تركت سويسرا حيث كانت من قبل . ولعائشـــة المذكورة كتـــاب على جانب عظيم من الاهمية عنوانه : (بابام عبد الحميد) (أى : ابى عبد الحميد) .

هذه المحاولة التى قام بها اليهود لدى الباب العالى ، فى دار السعادة فى اســـطمبول ، لم تكن يومها سـرا محجوبا عن المتتبعين للنشـــاط الصهيونى المسعور ، سواء فى اوربا

او فى آسيا . فلقد اشـــارت اليه اقلام الـكتاب ، وبعض الجـرائد والمجلات مما كان يصدر فى أواخر القــرن الماضى ، وأوائل القــرن الحالى .

ومن ذلك ما نشرته مجلةالمشرق ، اذ قالت هــذه المجلة الكاثوليكية الكبرى فى الصفحة ١٠٩٤ من المجلد الثانى الصادر سنة ١٨٩٩ ما يلى :

« لما كان اللورد غوش الاسرائيلي سفيرا بالآستانة عرض على الحكومة الســنية ان يجعل تلك النــواحى (جلعـاد ومؤاب فى عبر الاردن) التى مساحتها نحو ستماية الف هكتار مستعمرة لليهود ، تحت نظارة الباب العالى ، يسوسونها كما يشاءون ، بشرط ان يدفعوا لمولانا الســلطان مبلغا عظيما من الدراهم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات .

غير أن الدولة الســنية لم تلب دعاء غوش واغنياء اليهود ، فذهبت آمالهم ادراج الرياح ، وكانت غايتهم ان يمهدوا الطريق لابنــاء جلدتهم لانشاء مملكة مســتقلة بالاراضى المقدسة كما كانت قبل المسيح) .

ويظهر أن محــاولة غوش التى اشــارت اليها « المشرق » ، وهى سابقة على محاولة اليهود الثلاثة ، الذين اشار اليهم الشيخ شيخ العرب فى مذكراته ، يظهر أن هذه المحاولة نبهت المســلمين ودار الخــلافة العثمانية الى ما وراءها من الاخطار الجسام ، فبادرت جرائد الاســتانة العلية الى توجيه انظار الحــكومة والاهالى الى الاحتراز مــن تلبية مطالب اليهود ، وعدم تمــكين هؤلاء اللصوص من التسلل الى فلسطين ، والقــدس الشريف بالذات ، فنشرت جريدة المعلومات ونقلت عنها جريدة ثمرات الفنون ، فى الصفحة ٣ من عدد صفر رقم ١٣١٧/١٢٣٤٠ و ١٢ حزيران ١٨٩٩ ما يلى تحت عنوان :

(اليهود فى سورية وفلسطين) .

لليهود ميل شديد تقــادم فيهم لمجاورة القــدس ، لأن تلك الاقطار كانت مهدا لاعتلاء مجدهم فى الازمنة الغــابرة .. وقد جذبتهم معتقداتهم الدينية الى لحد مجد اسلافهم ، فعزم الكثيرون منهم على المهــاجرة الى انحاء القدس ، وتوطن فريق منهم فى تلك الجهات ، وصار لهم قسم كبير من الاراضى ، وما زال الــكثيرون يرغبون بالهجــرة وشراء الاراضى ، وهذا مما يضر بصوالح الدولة والامة معا ، اذ تصبح القــدس فى يوم من الايام وهى بيد اليهــود فقط (لقد اصبحت القدس فعلا بيد اليهــود فقط بعد ثمانية وستين عاما من كلام الجريدة مع الاسف الشــديد ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم) فينشأ من هذا مســائل جمة . ولا تخفى أهمية القــدس الدينية لانها ثالث الحــرمين الشريفين . وتتابع الجريدة كلامها قائلة :

(لقد سمعنا ان الدولة شــعرت بالخطر ، فاصدرت امرا الى متصرف القــدس ، حظرت فيه بيع الاراضى الاميرية الى اولئك المهاجرين ، كما نصحت الاهالى بان يحــافظوا على اراضيهم والا يبيعوها لليهود ..) .

وانى لاخال هذه الكلمة كانها اول صيحة بانذار المســلمين مما انتهوا اليه اخيرا ، وهى صيحة تلتها الوف اكثر منها تحذيرا وتذكيرا وانذارا ، ولكن المسلمين تصاموا عن الاصغاء اليها ، واغمضوا عيونهم عن النظر الى عواقبها ، فاصــبحوا اليــوم ينظرون الى قبة الصــخرة المشرفة والمسجد الاقصى المبارك ، وهما فى اسر اليهــود ، وأيديهم قاصرة عن الثار لكرامة الامة والدين .

(للبحث بقية)

الفضائح
الكامنة بين دفتي التوراة

للاستاذ : عابد توفيق الهاشمي
المدرس بكلية التربية . بغداد

مقدمة البحث ..

لليهود ــ أشد الناس عداوة لنا ــ صــفات ثابتة لا تتغير فى كل زمان ومكان . القرآن الكريم بين أيدينا يحــدثنا عنهم الكثير ، ويثبت لهم صــفات واحدة ، وذلك التاريخ قديمه وحديثه يجسد تلك الصفات واقعا واضحا للعيان ، وهذه الاحداث الاخيرة المفجعة وضحت الصورة وشفت عن نفسية اليهودى كما حدث عنه القرآن الكريم والتاريخ .

لقد حيرنى التماثل القائم بين اليهود المشــــتتين فى الآفاق ــ تماثلا فى الاخلاق والنفوس والصفات ــ لا يختلف يهودى المشرق عن يهودى المغرب ، ولا يهودى القرون الخالية عن يهودى القرن العشرين ، فقمت أبحث عن السر فى هذا التماثل العجيب فى نفسية اليهود ، فانطلق بى الخيال يهيم فى أجوائه ، ثم استقل بى العقل يبحث فى مجالاته فاستوقفنى اسم اسرائيل ــ نبيهم الاكبر يعقوب ــ الذى تتسمى به دولتهم الباطلة وذكرت لغتهم الحالية ــ العبرية ــ لغة كتابهم التى طمست معالمها منذ آلاف السنين فأحيوها وذكرت القــدس ــ مكان الاسراء والمعراج ــ وتغيير اليهود اليوم اسمها كما فى كتابهم (أورشليم) ، وذكرت تمسك كل يهودى بيهوديته حينما كنت أسأل بعضهم فى أمريكا وأوربا ــ فى دراستى وجولاتى ــ كنت اســأله عن جنسيته ، فيجيبنى على الفور بأنه يهودى ، لا امريكى ، ولا انكليزى ، ولا ألمانى .

حدت بى هذه الالتفاتات الى الوقوف أمام عامل مهم جــدا قد يكون هو الجواب الذى يكشف السر عن تماثل نفوس اليهود فى كل زمان ومكان . ذلك هو العامل الدينى المتمثل بتوراتهم ، لان العقيدة ــ أية عقيدة كانت ــ من أقوى دوافع السلوك الانسانى ــ كما هو المقرر فى علم النفس .

ومما لا شك فيه أن هنالك عوامل أخرى الى جانب هذا العامل الرئيسى ولكنه لا شأن لى بها فى موضوعى هذا .

فاندفعت أبحث فى التوراة بلهفة لأرى الجواب . بدأت بقراءتها من سفر التكوين ، وهو أول سفر فيها ، كلمة كلمة ، حتى انتهيت منها فى سفر ملاخى — الى كلمة (واضرب الارض بلعن) وهى الكلمة التى ختمت بها التوراة !!

لقد وجدت ضالتى فى الجـواب ، وكشفت لى التوراة القناع لحل هـذا اللغز الذى لم يهتد الى حله الكثيرون ، لقد اقتنعت قناعة تامة أن اليهـود قد طبعوا بطابع كتابهم ، والى هذا يرجع العامل الاكبر فى تماثل اليهود فى جميع بقاع الارض .

اننى اذ اتصدر الكتابة فى موضوع كهذا ، لا اتجنى على التوراة — توراة اليهود — وانما أنقل نصوصا منها نقل أمانة علمية ، أنقلها بحروفها وحركاتها وسكناتها ، مع تسمية السفر والاصحاح ورقمه ورقم آياته ، من غير اعتماد على تأويل ولا تعليل ، وانما هو النقل الحرفى .

كذلك فانى لا أجد حرجا فى نفسى أن أبحث فى توراتهم ، لأننى — مسلما — مؤمن بتحريفها (يحرفون الكلم عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به) . وان ما سأعرضه من نصوصها ليجعل كل انسان حتى الابله فاغرا فاه ، منكرا نسبتها الى الله العزيز الحكيم .

تقع التوراة فى ١٣٥٨ صفحة ، وحجمها يقارب أربعة أضـعاف حجم القرآن الـكريم . وان من يقرؤها يجد ثلاثة أرباعها حروبا ومعارك دامية ، وسـفك دماء ومجازر رهيبة من حرق وابادة وتمثيل وقتـل بالفؤوس ونشر الخصوم بالمناشير وهتك للأعراض — يتعرض لذلك خصـومهم الغرباء واليهود انفسهم في حروب الابادة مع بعضهم البعض . ولو احصى مجموع القتلى في توراتهم لبلغت الملايين ، قتل ابادة واسـتئصال . اما الربع الآخر من التوراة ، فنصفه مجون واستهتار وغزل وتحدث بالزنا والدعارة ووصف لجسـد المرأة والرجل وقصص أقرب الى الخيال منه الى التصديق عن الزنا بالمحارم — ودور الانبياء ورجالهم المقربين الى الله فى ذلك . اما ثمن التوراة — وهو النصف الثانى من الربع — فيحدث عن الخليقة والتـكوين وقصص مقبولة عن الانبياء والملوك ووصـايا خلقية ، ولكنها موجزة ومتناثرة تتضـاءل وتفقد قيمتها ازاء الاباحية وحروب الابادة ومواقف أنبيـائهم المخجلة كذبا عليهم وكفر بنى اسرائيل وطرد الله اياهم من رحمته .

لقد وجدت فى التوراة نصوصا سطرتها فى مسـودات وصنفتها للكتابة عنها فى حلقات ، ولكنك أخى القارىء — لا تطمع أن أقرأ عليك كل ما نقلت من نصوص ، لأن فمى وشفتاى تأبى على النطق بها — وان فيها ما لو نشر فى أية صحيفة لأغلقت فى يومها ،فكيف بى أعلنها من على منبر الصحافة ! ولكنه نكفيك الاشارة والتورية .

واننى سأتناول ، نظرة التوراة الى الله فالله تعالى عند اليهود غيره عند المسلمين فى القرآن . فهو فى التوراة نار آكلة ، ومنتقم ، وهو اله الجنود . واله بنى اسرائيل وليس ربا للعـالمين ، كما أنه فى نفس الوقت محطم بنى

اسرائيل وبرىء منهم ، ومبيد من لا يطلبه ، وهو فأس وأدوات حرب ، لسحق الطفل والمرأة والشيخ . وهو الآمر بتحطيم الاطفال وشق بطون الحوامل ، كما أنه يأمر بالزواج بالزانيات .

وسـنظهر لك طبيعة العلاقة بين اليهود وبين الله ، من تحد له وتجرؤ عليه وابتعادهم عنه وعبادتهم العجل دونه ، وغرقهم فى الشهوات وكذبهم على الله وغضبهم عليه . أما موقف الله تعالى منهم فيظهر فى توراتهم كذلك . فهم مع كونهم شعب الله المختار ، كما تزعم التوراة ، شعب غضب الله عليه ، وطوقه بالذلة والمسكنة بطوق من حديد ، واثبت عليه النقمة ، ونزع منه الرحمة ، وحكم الله عليهم بابادتهم وقطع نسلهم ، وتوعدهم بالقتل بالسيف والجوع والوباء ، حتى تأكلهم الطيور والوحوش ، ويأكل المحاصرون منهم لحوم أبنائهم وبناتهم من الجوع ، ويأكل كل واحد لحم ذراعه ، ويعلن الله الحرب عليهم . ولا سلام معهم ، ولا تعزية على فنائهم .

وسنكشف النقاب عن وصفها لأنبيائهم — كذبا عليهم — بصفات يترفع عنها ابن الشارع من كذب صريح على الله وعلى الناس ، ومن زنا بالمحارم ، وأمر الله لهم بالزواج بالزانيات واتصافهم بحيل الثعالب فى الحرب ، وقيادة حروب ابادة ، يشيب لهولها الولدان ، لا تبقى انسانا أو حيوانا أو شجرا ، ومن مصارعة اسرائيل — وهو النبى يعقوب مع الله !!

وهذا كله يكشف عن نفسية اليهودى ويثبتها عليه كتابه التوراة ، من نفاق ، وكذب على الله ، ومكر وخديعة ، ومادية ونفعية ، وكونهم رمز الخصام والنزاع لكل الارض . وهم لعنة كل انسان كما تنص عليها توراتهم ، وانهم كتبت عليهم العبودية ، كما انهم قساة القلوب خالية نفوسهم من الرحمة ، كلهم حقد وضغينة ، يأخذون الرشوة ويسفكون الدماء ويكشفون العورات ويزنون بالمحارم بالبنت والاخت . كذلك فان كتابهم يقرر أن روح الزنا متأصلة فى باطنهم ، وأنهم فطروا على كره الصلاح والتمرد على الله ، وأن غريزتهم قد جبلت بالتنكر لله والكفر به . حتى قالت فيهم التوراة (نجست بنو اسرائيل اسم الله فى الارض) و (ليسوا شعب الله ولا هو لهم) ، وشبهتهم التوراة بأنهم (أرجاس كما أحبوا أن يكونوا) .

وكذلك مكانة المرأة عندهم . ونجاسة من يلمسها بعد الولادة ، وفى الطمث ، ونجاسة البنت الولود ، وزواج الرجل الالزامى بأخت زوجته ، بعد وفاة زوجته ، وقصص غريبة فى هذا الباب ، كما سنعرج على آداب أنبيائهم مع آبائهم كذبا عليهم ، من مقاتلة ابن النبى أباه النبى ومطاردته والفتك بجنوده شر فتك ، والزنا بجوارى أبيه النبى على ملأ من الأشهاد !! كذا تفترى التوراة عليهم ! وأنبياء الله كلهم مبرؤون عن الدنايا (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

هذه اشارات عابرة عما فى التوراة من مخاز وآثام ،تمهيدا للاستطراد بها وبجوانب الحياة الاخرى الخلقية والتعبدية والاسرية والنفسية والتربوية والعسكرية ، تعتمد فيها على كتابهم التوراة . ومن كتابك أيها اليهودى ندينك ونفضحك ، ونزيد فى فضيحتك الواقعية فضيحتك الدينية من خلال دينك الذى أقمت له دولة دينية باطلة آثمة على هذا الاساس الحاقد الفاجر ، ولأطلع العالم

على ما بين دفتى كتابك التوراة من خزى وعار ، تندى له جباه الانسانية ـ الا أنت .

وانى سوف لا أزيد عن نقل صادق لنصوص صريحة من التوراة ، بحروفها وكلماتها ، من غير اعتماد على تأويل أو تعليل ، ولا أحمل النص اكثر مما يتحمل ، ليكون الموضوع حياديا خاليا من العاطفة التى لا تفتأ تقحم ارادتها فى الموضوع ، ولكن الاسلوب الموضوعى العلمى سيغلبها ، ويتحكم فيها ويعرى اليهودية وكتابها بنصوصها الصريحة الواضحة .

خلق اليهود ..

وأحب أن أشير ـ قبل الدخول فى الموضوع ـ الى ان كل ما سأورده من نصوص التوراة ، انما هى تمثل وجهة نظر اتباعها والمؤمنين بها وهم اليهود ومن يقدسها معهم . والا لحذفوها من كتابهم ، أو لارتدوا عن دينهم الى دين غيره ، واننى ـ مسلما ـ لا اومن بجميع ما سأتناول من نصوص التوراة ، وانما أعتقد بصحة ما يتفق منها مع القرآن الكريم ، لأن القرآن هو الميزان فى كل أمر ، ولكننى أردت بذكر نصوص التوراة هذه أن اقيم عليهم الحجة من كتابهم فى أمور تنزل بهم الى الحضيض من البشرية .

وان ما لا يتفق مع القرآن الكريم ، سأشير اليه فى مكانه ، واثبت راى الاسلام فيه . من ذلك أتهامهم كثيرا من الانبياء والرسل بما لا يليق من الموبقات وقساوة القلب ، مما لا يصدقه المسلم ، فالمسلم يضع جميع الانبياء فى القمة من البشرية (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ، (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) .

مكانة الامة فى كتابها ..

وانه لمن البديهى ان يسمو كل كتاب بأمته ، وينزلها المكانة المرموقة بنظر غيرها من الامم ، ويضعها بموضع اعتزاز دائم وثقة وتقدير ، لتحرص هى على البقاء فى المنزلة التى أنزلها ربها وكتابها ، ولتستلهم منها العزيمة فى الشدة ، والقوة فى الضعف ، والامل فى اليأس ، ولتحث الاجيال القادمة على الحفاظ على منزلتها السامية ، والارتقاء اليها اذا انحدروا عنها ، ولكى تكون هذه الامة فى كتابها وسيلة ايضاح ومرآة تعكس صورة جذابة للغير ، تحملهم على الاقتداء بها والنزول على قواعد أحكامها وطيب أخلاقها .

ومن الغريب بمكان أننا نجد التوراة كتابا يضع اليهود ـ أتباعها ـ فى الدرك الاسفل من البشرية ، ويجمع فيهم أرذل الصفات ، ويذهب الى أبعد من ذلك فيجعل خلقهم طبعا وفطرة فى نفوسهم ، وصفة لاصقة بهم جميعا ، وبنسلهم أبد الدهر ، وليس مجرد خلق ردىء ورذيلة عابرة .

ولو أنك ـ أخى القارىء ـ عددت الرذائل التى اتفقت البشرية على تسميتها (منكرا) ، ووضعت لها قائمة مطولة بين يديك ، ثم انتظرت ما سأتلوه عليك من قائمة الرذائل التى وصفت التوراة بها اليهود ، لما شذت رذيلة واحدة من قائمتك عما أحصاها عليهم كتابهم ، بل ستذكرك التوراة بما لم يخطر ببالك من رذائلهم وبها تستكمل قائمة بشعة ، لا تليق بانسان الا اليهودى بشهادة كتابه عليه .

تعسا لأمة حقرها خالقها ، واثبت عليها اللعن والشتم . (فدنست رؤساء القدس ، ودفعت يعقوب الى اللعن واسرائيل الى الشتائم) (١) ، ورفض **انتسابها** اليه (.. لانكم لستم شعبى ، وأنا لا أكون لكم) (٢) وطردهم من رحمته (.. لأنى لا أعود أرحم بيت اسرائيل أيضا ، بل أنزعهم نزعا) (٣) **واحتقرهم ورذلهم وأذلهم ونسلهم الى الابد** (فرذل الرب كل نسل اسرائيل وأذلهم ، ودفعهم ليد ناهبين حتى طردهم من أمامه) (٤) ، الى أن ينتهى بقوله (حتى نحى الرب اسرائيل من أمامه) (٥) .

كل ذلك لاتصافهم بأرذل الصفات ، ولتجرئهم على الله واساءتهم اليه . (لذلك فقل لبيت اسرائيل . هكذا قال السيد الرب . ليس لأجلكم أنا صانع يا بيت اسرائيل ، بل لأجل اسمى القدوس الذى بخستموه فى الامم حيث جئتم) . فأقدس اسمى العظيم المنجس فى الامم الذى نجستموه فى وسطهم ، فتعلم الامم انى أنا الرب) (٦) .

يا للوقاحة ! (كيف ينجس اسم الله) !! لئن اقرت توراتهم هذا التعبير فان المسلم يأباه ويرفض أن يسمعه ، لأن الله تعالى لن تبلغه اساءة مخلوق ، مهما تذر وسف كاسفاف اليهودى فى توراته ! فالله عز وجل فى عليائه لن يناله الضر والاذى ، ففى الحديث القدسى فيما يرويه النبى محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل (.. يا عبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا . يا عبادى لو أن اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا ..) رواه مسلم .

ففجور الانسان وسوء خلقه لن ينقص من ملك الله شيئا ، فكيف ينتقص من اسم الله تعالى أو ينجسه !! ولكنه أسلوب اليهود فى كتابهم كأسلوبهم فى حياتهم وكخلقهم فى تعاملهم — تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

بعض اخلاق اليوهد : اهمال الآخرة وحرصهم على الحياة الدنيا ..

لعل ابرز صفات اليهودى حبه للحياة ، وكراهيته الموت ، ولعل اليهود لا يعتقدون بوجود الجنة والنار ولا بيوم القيامة ، اذ لم تعط التوراة — على سعتها — باليوم الآخر الا اشارة عابرة ولعلها **هى الاشارة الوحيدة فى جميع التوراة اذ يقول** (لو عقلوا لفطنوا بهذه ، وتأملوا آخرتهم) (٧) .

---

(١) سفر (أشعياء) الاصحاح (٤٣) الفقرة (٢٨) .
(٢) سفر (هوشع) الاصحاح الاول الفقرة الثامنة .
(٣) سفر (هوشع) الاصحاح الاول الفقرة السادسة .
(٤) سفر (الملوك الثانى) الاصحاح ١٧ الفقرة ٢٠ .
(٥) سفر (الملوك الثانى) الاصحاح ١٧ الفقرة ٢٠ .
(٦) سفر حزقيال الاصحاح (٣٦) الفقرة (٢٢ — ٢٤) .
(٧) سفر التثنية الاصحاح (٣٢) الفقرة (٢٩) .

ولهذا يصف القرآن الكريم حرصهم على حياة — اى حياة كانت (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون) (١) .

عبادة المال والكذب على الله ..

ولما كانت الحياة الدنيا غاية همهم ، فقد صاروا ماديين نفعيين ، يسلكون كل سبيل ملتو ، ويكذبون وينافقون للحصول على المال .

تتحدث عنهم التوراة فتقول ما نصه (لأنهم — اى اليهود — من صغيرهم الى كبيرهم مولع بالربح ، ومن النبى الى الكاهن ، كل واحد يعمل بالكذب) (٢)

النفاق والتضليل وعدم الرحمة ، والجشع ..

ومن وسائل عبادة المال وجعله غاية الحياة اتخاذ شعار (الغاية تبرر الواسطة) ، ووسيلة المال غاية للحياة عندهم . خداع وتمويه ، وعدم انفاق فى وجوه الخير ، فتقول التوراة (وصار مرشدو هذا الشعب — يعنى اليهود — مضلين ، ومرشدوه مبتلعين . لأجل ذلك لا يفرح السيد بفتيانه ، ولا يرحم يتاماه وأرامله ، لأن كل واحد منهم منافق وفاعل شر ! وكل فم متكلم بالحماقة (٣) ، حتى تنتهى الى قولها (بسخط رب الجنود تحرق الارض ، ويكون الشعب كمأكل للنار . لا يشفق الانسان على أخيه . يلتهم على اليمين فيجوع ، ويأكل على الشمال فلا يشبع يأكل كل واحد لحم ذراعه) (٤) .

ولما كانت الحياة الدنيا غايتهم فلا عجب أن يكونوا كذلك . حرص قاتل ، وطمع وجشع ، لا رحمة ولا خير فيهم ، هم مصدر الشر والحماقة ، الكذب والنفاق وسيلتهم لادراك المال ، والالتواء والغموض سبيلهم فى هذه الحياة . استمع معى الى تسفيه التوراة لهم وتحقيرها اياهم (.. جيل أعوج ملتو . الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم) (٥) ؟ !!

مما مضى ، يتبين بعض ما أثبتته التوراة على أتباعها اليهود من صفات تشمئز منها الانسانية ، وتعافها الا اليهود ، فانهم لم يرتضوها صفة مجردة مكتوبة فى كتابهم ، بل تمثلوها واقعا لاصقا بهم منذ أن ظهرت اليهودية على مسرح الحياة حتى يومنا هذا . وبذا استحقوا الطرد من رحمة الله ، وانكر الله كونهم شعبه وانتسابهم اليه ، تقول التوراة (على أمة منافقة أرسله ، وعلى شعب سخطى أوصيه ، ليغتنم غنيمة ، وينهب نهبا ، ويجعلهم مدوسين كطين الازقة) .

« وللحديث صلة »

---

(١) سورة البقرة — الآية ٩٦ .

(٢) سفر (أرميا) الاصحاح السادس/الفقرة (١٣) .

(٣) سفر (اشعياء) الفصل التاسع/الفقرة (١٦ ، ١٧) .

(٤) سفر (اشعياء) الفصل التاسع/الفقرة (١٩ ، ٢٠) .

(٥) سفر (التثنية) الاصحاح ٣٢/الفقرة الخامسة .



يكتبها : عبد المنعم النمر

احذروا رد الفعل :

ظاهرة بارزة فى هذه الايام ، تجدها فى بعض الكتب الحديثة والمقالات ، التى تكشف للقارىء عن ألاعيب اليهودية قديما ، والصهيونية حديثا فى الاحداث والانقلابات التاريخية — حتى ليخيل للقـــارىء أن هؤلاء وراء كل حدث ، وكل جمعية ، وكل انقلاب ..

ومع أن هذا قد يكون صحيحا كله أو بعضه من الناحية التاريخية ، الا أننى أشعر بان التركيز الآن على هذه الناحية وتصوير هؤلاء بهذه الصورة ، واعطاءهم هذا الوضع ، أو الكشف عنه ، قد يؤدى فى النهاية الى صورة أو حالة ليست من صالح القارىء المسلم ، ولا الامة العربية فى حربها مع اسرائيل ، وليست فى الوقت نفسه مما يقصده هؤلاء الكتاب العرب . فهى تصور اليهود عمـــالقة ، وقادرين على صنع الاعاجيب ، فى أى عصر من العصور ، وهذا بالتالى قد يؤدى الى تكوين عقدة فى نفس العرب ، تضعف موقفهم تجاه أعدائهم ، وتعجزهم عن ملاقاتهم ، والانتصار عليهم ..

ولهذا أود لو أن الكتاب اقتصدوا قليلا من سيرهم فى هـــذا الاتجاه .. ويكفى اليهود أو الصهاينة سبة تاريخية ، ما دمغهم الله به فى كتابه الكريم ، من صفات الغدر واللؤم والخسة ، ثم ما نراه نحن المعاصرين من أفعالهم الدنيئـــة وتصرفاتهم المخزية ..

نعم . يكفى اثارة لحماس العرب ما فعله هؤلاء من الاستيلاء على أرضهم ، وطردهم من ديارهم ، ثم ما تبع ذلك من تصرفات حتى حاضرنا المؤلم .. هذا اذا كنا قوما نثار ، ونثار لكرامتنا وعزتنا ..

وهناك شىء آخر أود أن ألفت النظر اليه .. فقد لاحظت فى موجة السخط العارمة على الاسرائيليين ، أن هذه الموجة زادت وفاضت ، حتى لتكاد تمس أنبياء بنى اسرائيل ، الذين كرمهم القرآن الكريم ، وأمرنا بالايمان بهم « رسلا مبشرين ومنذرين » وعنواننا نحن المسلمين ما ذكره الله تعالى فى كتابه الكريم : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورســـله لا نفرق بين أحد من رسله » .

فلا يجوز ــ اذن ــ فى تيار هذه الموجة من السخط على بنى اسرائيل ، أن يمتد لساننا بشىء يهز ايماننا برسلهم ، الذين علمنا قرآننا ان ايماننا لا يكون الا بالايمان بهم وتكريمهم ، وقد كان بنو اسرائيل حربا على هؤلاء الرسل فى حياتهم وبعد مماتهم ، وقتلوا كثيرا منهم كما حدثنا القرآن فى كثير من آياته الكريمة ..

فلنقتصد ــ اذن ــ فى كلامنا ، ولنفرق بين رسل كرمهم الله ، وبين أقوام لهم لعنهم الله بكفرهم وقتلهم أنبياءهم ، وذرية لهم ورثت كل صفاتهم الخبيثة .. ثم لنكن عمليين نثار لأنفسنا بالعمل لا بالكلام ..

لماذا النغمة الحزينة دائما ؟

من أجل رغبتنا السريعة فى النهضة بكل مظاهرها .. ومن أجل حماسنا للقضاء على كل ظاهرة تخلف فى أوساطنا ، يشتد نقدنا لأنفسنا ، ولكل ما نراه معوقا لنهضتنا السريعة .. حتى لنجدنا أحيانا نشتط فى النقد ، ونطلب ما هو فوق الطاقة ، وكأننا نريد مجتمعا بلا عيوب ، وتجدنا ونحن فى هــذه الموجة القاسية من نقدنا لأنفسنا ومجتمعاتنا ، نضع فى ذهننا دائما صورة براقة للأمم التى سبقتنا فى مضمار الحضارة والتقدم ، كأنها مبرأة من كل عيب !!

ونحن بلا شك فينا عيوب ، وعيوب قد لا تكون كلها موجودة عند الامم الراقية ، ولذا كنا فى حاجة لنقدها ، والتبرم بها ، حتى نتخلص منها .. ولكن يجب مع ذلك أن نضع فى حسابنا أن لهذه الامم الراقية عيوبا ليست فينا والحمد لله ..

ليس عندنا مثلا رأى عام قوى يقف وراء رذيلة الشذوذ الجنسى ويحبذها ، حتى يظفر من البرلمان بقانون يبيحها ، ثم يصفق لما أقره النواب ، ويقيم له الافراح والزينات !!

ليس عندنا مثلا جنود رسميون يقفون لحماية حفلات او اجتماعات شاذة يغشاها كبار القوم ليرضوا شذوذهم ، ويختاروا من هؤلاء الجنود عمالقة ليشبعوا هذا الشذوذ !!

ليس عندنا ــ ولله الحمد ــ ما أثبتته الاحصائيات أيضا من وجود كثير من فتيات المدارس وقد غشيهن الحمل من جراء العبث المباح لهن !!

وليس عندنا هذا التفكك الاسرى الى حد أن تطلب الام من ابنتها اجر رعاية بنتها التى هى حفيدتها لبضع ساعات !!

وليس عندنا ، وليس عندنا كثير من الرذائل الاجتماعية التى ابتليت بهــا الامم المتقدمة ، وبرأنا الله منها بفضل عقيدتنا ، وتعاليم ديننا التى لا تزال لهــا السيطرة على مجتمعاتنا ، برغم ما يبدو من تمرد أحيانا عليها .

وفى هذه الامم كذلك كثير مما عندنا من عيوب .

وليس معنى هذا اننى ابرر فينا وجود هذه العيوب ، ولكنى اريد ان اقول للمتشائمين : خففوا قليلا من تشاؤمكم .. وخففوا قليلا من شدة الحملات على مجتمعاتكم ، فقد يولد ذلك عقدة النقص فيهــا ، أو يوئسها من امكان مداواة أمراضها ..

واذا كنت احيانا اقوم بهذه الحملات واشتد فيها ، فليس ذلك الا كما يضع الطبيب مشرطه المشحوذ ليزيل مرضا تعلق بموضع فى الجسم ، دون أن يغفل ما يتمتع به الجسم فى غير هذا المكان من صحة وسلامة ، يجب الحفاظ عليها وتقويتها ..

ان الضرب على النغمة الحزينة دائما ، يحيل الانسان الى كتلة من الحزن تتحرك ، دون أن يتفتح للحياة ولو بابتسامة .

كذلك الضرب على نغمة التخلف والتأخر دائما ، يجعل الانسان ، أو الشعب كله يشعر بتفاهته ، فلا ينهض لعظائم الامور ، ولو كان أهلا لها ..

والامم كالاطفال فى وجوب الحذر فى تربيتها ..

ان الطفل لو ظللت تصب فى أذنه أنه بليد ، شرس الطباع ، وأن زملاءه أحسن منه ، فستكون النتيجة أن يحس نقصا فيه ، غير طبيعى ، ولكنه نتيجة لما يسمعه . فلا يجلس مع زملائه واذا جلس فانه يتهيب الكلام معهم ، ومع مدرسيه ، ويتلعثم كلما تكلم ، وقد يكون فاهما ، ولكنه لا يحسن الاجابة . فيقضى عليه ، وعلى مواهبه ، بهذا الاسلوب الخاطىء فى التربية ..

وكذلك الامم ، أو الطائفة من الامة ..

وينساب الى خاطر يلح على وأنا أكتب هذا ..

حالتنا التى نعيش فيها الآن بعدما حدث — مما لم يكن أشد الناس تشاؤما ينتظره — أصبحت حديث كل لسان ، وخاطر كل قلب ، فان ما حدث أظهرت الايام وتظهر أنه كان نتيجة نقص وعيب فينا كان من الممكن تلافيه ..

هذا صحيح .. ومن الحق أن نلوم أنفسنا ، ويتحمل المسئولية كل من ساهم فى هذا المصير .

وهذا ضرورى .. حتى لا يتكرر ما حدث مرة أخرى .

ولكن .. أن نكرس كل حديثنا على الاخطاء ، ولا نرى أمام عيوننا الا القاتم من الالوان ، ولا نسمع الا الموسيقى الحزينة ، هذا ليس من العدل فى الحديث ، وليس من مصلحة أمة تحاول النهوض من كبوتها ، ولا يزال عدوها جاثما على صدرها ..

هناك وسط الالوان القاتمة والحقائق المحزنة ، ألوان أخرى فاتحة ، وحقائق أخرى مشرقة ، تبعث الامل ، وتحيى الهمم .. ولابد من أن نفتح النوافذ عليها ..

لقد فاز العدو بمفاجاته ولغفلتنا .. هذه حقيقة ..

ولكن : ماذا لو فاجاناه نحن فى هذه المعركة أو فى معركة أخرى مقبلة ؟

ماذا لو لم تكن هناك غفلة أو خيانة أو ما شئت فسمه ؟

الاسرائيليون أنفسهم يجيبون بلسان قادتهم : بأنهم كانوا قد وضعوا خططهم للتسليم ، لو لم تنجح مفاجاتهم ، ولم يثمر غدرهم ..

رئيس الوزراء الاسرائيلى نفسه اعترف فى برلمانهم ، بانه جاء وقت على جيشهم فى الميدان كاد يسلم ، ويتحول مجرى المعركة ضدهم ، لولا حركة طيرانهم ، ونجدته لجيشهم .

وحقائق أخرى كثيرة مشجعة تبدو من خلال كل ما حدث ، وان كانت فى الوقت نفسه تضاعف حزننا وأسانا ، لأن النصر كان قريبا منا ..

اذن .. لا ياس من المستقبل ، ولا داعى لأن نهد النفوس بكثرة المعاول التى تنهال عليها ..

لقد كانت غلطة — على اقل تعبير — ندفع جميعا ثمنها الآن ..

ولكن هل نخطىء كل مرة ؟ وهل يدعو هذا الخطأ الفاحش الذى حصل ، الى أن نظل مطروحين على الارض ، نلقى على أنفسنا التراب والطوب والحجارة ؟ أو أن سنة الحياة أن نقف ، ونستعيد قوانا ، ونتقى أخطاءنا ، ونعوض ما فاتنا ؟!

هذا هو المعقول .

والا تحولنا كلنا الى ما يشبه القواعد من النساء النادبات فى المآتم !!

ما يفهمونه على ظاهره ، من غير أن يشوش أفهامهم ويذهل عقولهم بذكر ما لا يفهمون من أسرار نواميس (الجاذبية ، والنور ، والبصريات ودوران الارض على نفسها امام الشمس ، وقانون أرخميدس ، أو اسرار عملية المطر ، أو أسرار ناموس الاحتراق عند اتحاد الكربون مع الاوكسجين .. الخ) ولكنه سبحانه يقول لمن سيأتى من العلماء الذين يطلعون على هذه الاسرار (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقد جاء الوقت ، وانكشفت بعض الاسرار ، وتبين الحق ... والبقية تأتى ..

٦ ــ قانون العلية :

من ركائز التفكير العقلية فى القرآن امر الفطرة ، ومن جملتها (قانون العلية) . ذلك ان فى عقولنا قوانين فطرية وهى التى سماها الفيلسوف (كانط) (قوانين العقل المنظمة) Leslois Reglatrices de La Raison، ومن جملتها ، بل من اعظمها قانون العلية ، الذى يتطلب ، بالبداهة ، لكل معلول علة ، ولكل مسبب سببا . هذا مقرر وليس لنا أن نشك فيه ، كما انه ليس لنا أن نتطلب عقولا وراء عقولنا التى فطرنا الله عليها (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) الروم ٣٠ ــ وبهذه الفطرة من (قانون العلية) ندرك وجود الله . ومهما اختلف المتفلسفون فى هذه الفطرة وكونهــا مكتسبة من تجارب الانسان الطويلة ، أو كونها من خلق الله ، فان قانون العليـــة الذى اعتبره (ديكارت) صادقا وغير خادع ، واستدل به على الله ، وعلى صفات كماله ، هو ، على كل حال ، القانون العقلى الذى يتحكم فى ادراكنا لكل ما فى الوجود ، وعليه يقوم العلم ، وعليه تقوم المعرفة ، وعليه تقوم الحياة ، وعليه يقوم الايمان بالله .

٧ ــ ميزان التناقض :

ان النظر العقلى يدور فى كل شىء من الماديات والمعنويات ، والمشاهدات والمغيبات ، حول احكام ثلاثة . الوجوب والامكان والاستحالة . هذا مفهوم عند ابسط الناس علما وفهما ؟ ولكن الذى يشتبه ويخفى احيانا ، على بعض أرقى المثقفين من الشباب ، هو التفريق بين نوعين من المستحيل .

المستحيل العقلى : وهو الذى يشكل تصور وجوده ، أو تصور عدمــه (تناقضا عقليا) فى الذهن ، كقولنا الواحد ربع الاثنين لا نصف الاثنين ، أو قولنا جزء الشىء اكبر من الشىء ، أو قولنا ان جبل لبنان يدخل فى الفنجـــان . أما المستحيل العادى فهو لا يحدث تناقضا عقليا فى الذهن ، ولكننا بحكم العادة نظن انه مستحيل ، وما هو كذلك ولكننا تعودنا أن نراه مستبعدا كالمستحيل ، ثم عرفتنا الايام انه ليس بمستحيل عقلى . مثل الصعود الى السماء ، والتخاطب والتناظر من اقاصى الارض ، والوصول الى القمر .

والميزان الضابط فى تكذيب الخبر ليس استبعاده واستغرابه ، بل هو كونه يحدث تناقضا عقليا ــ يقول (لايبنتز) ــ فان أحدثه نفيناه ، وان لم يحدثه توقفنا عن التكذيب . فلا يغفلن الشاب المثقف عن التفريق بين هذين النوعين من المستحيل اذا هو تورط فى جدل ، حول الله والدين واخبار القرآن .

(للحديث بقيــة)

محمد بن جرير الطبري

محمد مؤذن

الفـ

فى فترة من أخصب فترات النمو الثقافى فى الدولة الاسلامية ، وأغزرها نتـاجا ، وأوسعها أفقا ، وأقربها الى النضج والتكامل ، بعد القرن الثانى الهجرى ، وعلى وجه التقريب فى النصف الثانى من القرن الثالث ، وأوائل القرن الرابع الهجرى ، حيث كانت الحركة الثقافيـة فى أوج عنفوانها ، فعلوم العربية من لغة وأدب ، قد أرسى قواعدها ، وجمع شاردها الاصمعى وأبو عبيدة . والسير والمغازى أوضح معالمها ابن اسحق ، وأثرت علوم التفسير بأقوال ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وابن جريج ، ومقاتل بن حيان ، واستقرت علوم الفقه بظهور الائمة المجتهدين : مالك بن أنس ، وأبى حنيفة والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، وتبلور فن الحديث بتـأليف الصحاح المشهورة جمعا ، وثبوتا ، ورواية ، وبدأ فن التاريخ يخطو خطوات سريعة نحو النضوج والوضوح ، وحيث امتدت مدارس الفكر والثقافة الاسلامية بفروعها لتصبح مراكز مشعة ، فى العراق ومصر والشام والمغرب وفارس ، وخراسان ، والاندلس ، لتغطى رقعة الدولة الاسلامية ، وتهيىء ظروف النمو الخير لجميع المسلمين ، فى هذا الجزء المفعم بشتى ألوان المعرفة الانسانية ، نشأ عالمنا الـكبير « أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى » ليجد الظروف مواتية ، والاجواء ملائمة لنمو ملكاته ومواهبه ، نموا سريعا ، ولنضج عقله ، متكشفا عن عقلية من أقدر العقليـات على الفهم والهضم والاستيعاب والعطاء ، ويقوم بتأدية دور خطير ، يحمل فيه راية النور ، مبرزا فى أكثر من فن ، ومجليا فى ثلاثة من أعقد تلك الفنون ، وأوسعها مجالا ، ومضطربا : الفقـه والتفسير ، والتاريخ ، فيقدم لنا ثروة ضخمة من تراث لا تزال آثاره ماثلة للعيان . ولا تزال تؤثر فى حياتنا الثقافية ، والفكرية التأثير الكبير .

مولده :

ولد « محمد بن جرير الطبرى » سنة أربع وعشرين ومائتين هجرية أو سنة خمس وعشرين ومائتين ، والسبب فى حصول هذا الشك الطفيف فى تعيين السنة التى ولد فيها ، ما رواه أحد تلاميذه الذين أرخوا له : القاضى « أحمد بن كامل » قال سألت الشيخ الطبرى كيف وقع لك الشك فى تاريخ مولدك ؟ فقال : كان أهل بلدى يؤرخون بالاحداث دون السنين . فأرخ مولدى بحادث وقع فى البلد ، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث ، فاختلف المخبرون قال بعضهم كان ذلك فى آخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقال آخرون . كان فى بداية سنة خمس وعشرين ومائتين هجرية .

أما بلدته التى ولد فيها فهى « آمل » حاضرة اقليم « طبرستان » . و « آمل » هذه مشهورة بانها خرجت العديد من مشاهير العلماء والاعلام ، وكلهم عرف بالطبرى ، أما طبرستان الاقليم ، فمتسع ممتد ، تشغل الجبال أكثر مساحته ، ومما يعرف عن سبب تسميته بهذا الاسم ، أن أهله يتميزون بحمل سلاح ، بشكل دائم ، ويستعملونه فى حروبهم الكثيرة ، يعرف « بالطبر » فعـرف الناس فيه ، بحملة الاطبار ، وأطلق على الاقليم « طبرستان » وبه اشتهر . وهو اقليم كثير المياه ، متهدل الاشجار ، متنوع الفاكهة ، والعيش فيه موفور ، ميسور .

الاستاذ احمد محمد مصطفى السفاريني - الطائف

المجتهد وشيخ المفسرين وعمدة المؤرخين

نشـــاته :

كان بيت الطبرى يجمع الى تقوى أهله ، اليسار ، وسعة ذات اليد ، فنشأ مكرما ، تحوطه اليد الكريمة الحانية ، وتحمله على المكارم نفوس برة ، رحيمة فمهد به أبوه الى علماء « آمل » يثقفونه ، ويؤدبونه ، وكانت مخايل الذكاء والفطنة مبكرة ، قد ارتسمت سماتها فى وجه الصبى . فحفظ القرآن وهو ابن سبع وصلى بالناس وهو ابن ثمان ، ولم يبلغ التاسعة حتى كتب الحديث . فما بلغ سن الرشد حتى قطع شوطا بعيدا فى الدرس والتحصيل . ويروى أن أباه رأى له رؤيا تفاءل بها ، فقد رآه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مخلاة مملوءة بالاحجار ، وهو يرمى بين يديه ، وفسر المعبرون له تلك الرؤيا . بان هذا الابن سيكون ناصحا فى دينه ، ذابا عن شريعته الاسلام . فاستبشر الوالد ، وحرص على تعليمه ، والوصول به الى غاية بعيدة فى العلم ، وحثه على الرحلة فى طلب المعرفة ، ولم يبخل عليه بمال أو زاد ، وجهزه بكل ما يحتاج اليه ، فلما أن استنفد من «آمل» ما عند مشايخها ، تنقل بين مدن طبرستان ، والرى ، فاخذ الفقه عن «مقاتل» ، وعلوم العربية عن « أحمد بن حماد الدولابى » ، وعن « محمد بن حميد الرازى » الفقه ، والادب ، والتاريخ ، وأخذ عن سلمة بن الفضل المغازى والسيرة ، ثم لم يجد فى نفسه المتعطشة للمزيد من التحصيل ، رضى واكتفاء ، فعول على الرحلة الى بغداد ، وكانت المركز الاكثر ازدحاما بالعلماء ، وعلى راسهم الامام الجليل « احمد بن حنبل » وهو علم من أعلام رجال الحديث ، طار فى الآفاق ذكره ، فلم يلبث أن يمم شطر العراق الى بغداد ، وتشاء المصادفات ، والاقدار أن يتوفى ابن حنبل قبل أن يدخل الطبرى الى بغداد ، فلا يستقر بها ، بل يتركها الى البصرة المركز الثقافى الذى كان يضاهى بغداد ، فينقطع الى شيوخها كابن القزاز ، والصنعانى ، والحرشى ، وغيرهم ، عابا من مناهل علمهم ، ويذهب بعدها الى واسط ومنها الى الكوفة ليلقى علماءها فى الحديث وعلوم القرآن « كالهناد بن السرى » و « اسماعيل بن موسى » و « ابن كريب محمد بن العلاء الهمذانى » وهذا الاخير سمع منه البخارى أكثر من مائة الف حديث ، والذى يبدو أن رحلته هذه الى الكوفة جعلته يقرر التخصص فى علوم القرآن والحديث والفقه دون غيرها ، فنراه يعود الى بغداد التى ازور عنها فى بداية رحلته ، ويأخذ عن أئمتها . أحمد بن يوسف التغلبى المقرىء ، والحسن بن محمد الصباح ، وابن سعيد الاصطخرى ، ولم يكتف بهذا ، بل نراه يرحل الى مصر حيث الكثيرون من أصحاب الشافعى . كالربيع بن سليمان ، واسماعيل بن ابراهيم المزنى ، ومحمد بن عبد الله بن الحكم ، وكانت رحلته الى مصر سنة ثلاث وخمسين ومائتين هجرية ، وتنقل بين مصر والشام ، مستمعـا ومحدثا ، ويجلس الى علماء المالكية فى مصر ، بعد أن كان منقطعا الى المذهب الشافعى ، كما أنه يزيد من اهتمامه بالقراءات ، ويحن بعد ذلك الى مسقط راسه ، وبلده فيغادر مصر الى طبرستان ، ولا يلبث ان يعود الى بغداد عازما على الاستقرار ، والتفرغ للدرس والتاليف ، فيبنى بهـا دارا لنفسه ، ويقضى بها بقية حياته ، جادا غير مغتر بمباهج الحياة ، ولا مفتون ببهارجها ، ولا ساع للمزيد من متاعها ولا من حطامها ، وقد عاش حياته لم يتزوج ، وتؤثر عنه كلمته المشهورة « ما حللت سروالى على حلال ولا حرام قط » . أما مذهبه فكان فى بداية عهده شافعيا ، حتى انه أفتى به عشر سنوات فى بغداد ، الى أن اختار لنفسه ، مذهبا خاصا به ، أما موقفه من المذهب الحنبلى ، فكان

مختلفا ، ذلك أنه كان يعتبر الامام « أحمد بن حنبل » رجل حديث ، وعالم أسانيد ، ذا اطلاع واسع بعلوم الحديث ولكنه لا يعتبره مجتهدا ، ولا من رجال الاختلاف فى الفقه . وكان لموقفه هذا رد فعل عنيف من جانب الحنابلة ، فسخطوا عليه ، ثم تفاقم الامر بينهم بعد أن أصبح الطبرى مجتهدا ، صاحب مذهب ، عرف « بالجريرية » نسبة اليه ، مما اضطره الى طلب حمــاية صاحب الشرطة ، وبلغ بالحنابلة الامر ، محاولة تقديمه للقضاء بتهمة المروق من الدين ، ولكنهم فشلوا ، فان علم الرجل ، وتقواه اللذين كانا مضرب الامثال ، ولا يتطرق لهما أدنى شك ، يشهدان له شهادة صادقة بالاستقامة والفضل . وظل مقيما فى بغداد حتى لاقى ربه فى يوم السبت فى الثامن والعشرين من شهر شوال سنة عشر وثلاثمائة هجرية .

ثقافتـــــــه :

ان من الامور الملفتة للنظر عند علماء هذه الفترة فى القرنين الثالث والرابع الهجرى هو عدم الوقوف عند حد التخصص فى مجال معين ، وان كان غلب على أحدهم أن برز فى علم أو فن ، فانما هو جزء من ثقافته ، وليس كل ثقافته . فكان الالمام الواسع بمعظم فروع المعرفة عند الجميع على وجه العموم ، ولم يكن الطبرى العالم الفذ ، ليشذ عن هذه القاعدة ، بل كان الاوسع اطلاعا ، الاغزر مادة ، الاكثر نفعــا وعطاء ، حتى قيل : ان الطبرى فقط هو الاكثر تصانيف ومؤلفات من ابن حزم العالم الاندلسى الكبير . لقد جمع « ابن جرير الطبرى » ثقافة عصره ، من اسلامية ، ومترجمة الى العربية ، من فارسية ، وهندية . وكان حافظا للقرآن الكريم ، وله فى قراءته قراءة مدونة ، اختارها لنفسه ، وأقرأ بها بعض تلامذته ، وناهيك بها سعة اطلاع ، وتوقد ذهن ، واعتداد بالنفس . وكان فقيها بلغ مرتبة الاجتهاد بمذهب مستقل كغيره من المجتهدين ، وكالعادة فقد وضع كتابا فى علم الاصول سماه : « اختلاف الفقهاء » أثبت فيه قواعده الاصولية ، مستقصيا آراء الائمة فى هذا الباب ، ومتتبعا اجتهاداتهم ، مناقشا اياها ، ناقدا لما لم يتفق ورأيه ، ليصل بعد ذلك الى تقرير قواعده التى اختارها ثم اتبعــه باجتهاداته الفقهيــة التى بناها على قواعده الاصــولية ، وجمعهــا فى كتــاب « لطيف القول فى شرائع الاســلام » . وهذا الكتاب من أشهر مؤلفــاته الفقهية الكثيرة التى فقدت جميعها . وفيه تفصيل للاحكام الشرعية وأدلتها ، وطريقة استنباطها ، ويصف ياقوت هذا الكتاب بقوله : « هو مجموع مذهبه الذى يعول عليه أصحابه ، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء ، وأفضل أمهات المذاهب ، وأسدها تصنيفا » . وأضاف فيه زيادة عن كتــاب الاختلاف السابق ثلاثة كتب وهى كتاب أمهات الاولاد ، وكتاب اللباس ، وكتاب الشرب . ولا تعنى تسمية الكتاب باللطيف ، كما يتبادر الى الذهن صغر حجمه ، كما يقول « أبو بكر بن راميك » بل أراد بتسميته تلك الاشارة الى دقة معانيه ، وكثرة ما فيه من النظر ، والتعليلات ، ومع أن تلاميذه كانوا كثيرين ، وقد نقلوا مذهبه هذا فى الفقه ، الا انه لم يعمر أكثر من نهاية القرن الرابع ثم انقرض .

وكان من أئمة الحديث وحفاظه ، وواسع المعرفة بمتونه ، وأسانيده وأحوال رجاله ، حتى أن الذهبى يعد الطبرى فى الطبقة السادسة من رجال الحديث . وتاثره الشديد بعلم الحديث يبدو بارزا فى أسلوبه الذى اتبعه فى تدوين كتابه فى التاريخ . كما أن له كتابا فى الحدبث اسمه « تهذيب الآثار » لا زال مخطوطا فى احدى مكاتب اسطمبول . وهو كتاب مشهور ، يدل على طول باع الطبرى فى مصطرع هذا الفن الدقيق.

ولعل أكثر ما اشتهر به الطبرى كتاباه فى التفسير والتاريخ ، فهما الكتابان اللذان لا يذكر التفسير ، والتاريخ ، كعلمين ، الا كان لهما ذكر عريض . فقد كان الطبرى عالما بروايات الصحابة والتابعين وباقوالهم فى تفسير القرآن ، وتاريخ رواته ، وطرقهم الى الصحابة ، وكتابه « جامع البيان فى تفسير القرآن » واحد من أمهات كتب التفسير المعتمدة . وقد جعله فى ثلاثين جزءا بعدد أجزاء القرآن الكريم . وهو تفسير ذو نهج خاص ، وسباق فى التأويل يذكر الآية وبذكر أشهر الاقوال التى أثرت عن الصحابة والتابعين من سلف الامة فى تفسيرها ، ثم يورد روايات أخرى عمن جاء

بعدهم ، بناء على خلاف فى القراءة ، ويعقب بعد ذلك كله بترجيح أحد هذه التأويلات ، أو يجتهد فى ذلك رأيه ، ثم ينتقل الى غيرها ، عارضا ، فناقدا ، فمرجحا . أما المقاييس التى يعتمدها فى النقد والترجيح ، فهى اما أن تكون تاريخية من حال رجال السند ، قوة أو ضعفا ، واما أن تكون علمية فنية . من الاحتكام الى اللغة التى نزل بها الكتاب ، ومن نقد القراءة أو تصحيحها ، أو بالرجوع الى أصول العقائد التى أقر بها العلماء ، وهو يستشهد كثيرا بالشعر للتدليل على الاستعمالات اللغوية .

وقد ابتدأ تفسيره بمقدمة طويلة تعرض فيها لكل النقاط الرئيسية العامة التى يمكن أن تواجه المتصدر للتفسير ، لنستمع اليه يقدم كتابه : « ونحن فى شرحنا لتأويله ــ القرآن الكريم ــ وبيان ما فيه من معانيه منشئون ان شاء الله ذلك كتابا مستوعبا لكل ما بالناس اليه حاجة من علمه ، جامعا ، ومن سائر الكتب غيره فى ذلك كافيا ، ومخبرون فى كل ذلك بما انتهى الينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الامة ، واختلافها فيما اختلفت فيه منه ، ومبينو علل كل ما أمكن من الاختصار ، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك » . وأول الامور التى أثبتها بعد نقاش وبحث اتفاق البيان القرآنى ، ومعانى منطق من نزل القرآن بلسانه ، مع الفارق الكبير المتمثل فى الاعجاز . كما تحدث عن الكلمات غير العربية من مفردات القرآن الكريم ، وأجاد هنا اجادة الفاهم المتقن ، والبحث هنا عقلى ، اعتمد على دقة ملاحظة الطبرى ، وصدق تصوره للمشكلة فبعد أن أورد بعض الالفاظ من مثل سجيل ، وكفلين ، قال : « والصواب فى ذلك عندنا أن يسمى عربيا عجميا ، أو حبشيا عربيا ، اذ كانت الامتان له مستعملتين ، فى بيانها ومنطقها ، استعمال سائر بيانها ومنطقها ، فليس غير ذلك من كلام كل امة منهما باولى أن يكون اليها منسوبا منه ، فكذلك سبيل كل كلمة ، أو اسم ، اتفقت الفاظ أمم اخرى ، ومعناها ، ووجد ذلك مستعملا فى كل جنس منها ، استعمال لسائر منطقهم .. » . فكذلك ما قلنا فى الاحرف التى ذكرنا وما أشبهها . غير مستحيل أن يكون عربيا بعضها أعجميا ، وحبشيا بعضها عربيا ، اذ كان موجودا استعمال ذلك فى كلتا الامتين فناسب ما نسب من ذلك الى احدى الامتين أو كلتيهما . محق غير مبطل . ثم أردف ذلك بمسالة اللغة التى نزل بها القرآن من لغات العرب ، مبينا أن الالسن انما هى اللهجات المرادة فى حديث الاحرف السبعة ، وكانت خمسة منها لهوازن . وسعد بن بكر ، وخيثم بن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، والاثنان الباقيان هما لهجة قريش ، وخزاعة ، نافيا أن يكون معنى الحروف هنا أنواع الاحكام والتى قال بها بعض المفسرين ، أما الحديث « كان الكتاب الاول نزل من باب واحد ، وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف ، زجر ، وأمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه . وأمثال ، فاحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به ، كل من عند ربنا » . فمعناه كما يقول أبو جعفر : ان ما نزل من كتب الله على من أنزل من أنبيائه ، كان خاليا من الحدود ، والاحكام ، والحرام ، كزبور داود الذى انما هو تذكير ، ومواعظ ، وانجيل عيسى ، الذى هو تمجيد ومحامد ، وحض على الصفح ، والاعراض ، دون غيرها من الاحكام والشرائع ، وما أشبه ذلك .

أما وجوه التفسير فهى عند أبى جعفر ثلاثة . فوجه لا يجوز تفسيره الا ببيان من الرسول الكريم ، ولا يتعدى فى ذلك اطلاقا ، فلا يمكن ادراك تاويله الا بنص منه عليه ، أو بدلالة قد نصبها ، دالة أمته على تاويله ، وذلك النوع هو تأويل جميع ما فيه من أمره ، وواجبه ، وندبه ، وارشاده ، وصنوف نهيه ، ووظائف حقوقه ، وحدوده ، ومبالغ فرائضه ، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ، وما أشبه ذلك من أحكام آيه . ووجه لا يعلم تاويله الا الله تعالى ، وذلك ما فيه الخير عن آجال حادثة ، واوقات آتية ، كوقت الساعة ، والنفخ فى الصور ، وما أشبه ذلك .

ووجه ما يعلم تاويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن ، وذلك اقامة اعرابه ، ومعرفة المسميات باسمائها اللازمة ، غير المشترك فيها ، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون سواها . ولا يفوت الطبرى فى نهاية مقدمته ، أن يحدد الذين تقبل رواياتهم فى التفسير فيذكر ابن عباس ومجاهد

البقية على صفحة ٧٧

مائدة القارئ

أعدها : ابو نزار

ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا • انهم لايعجزون •

« قرآن كريم »

من حرس من وراء المسلمين فى سبيل الله تبارك وتعالى متطوعا لا يأخذه سلطان — لم يجبره حاكم — لم ير النار بعينه الا تحلة القسم فان الله تعالى يقول : وان منكم الا واردها .

حديث شريف

جند المسلمين

وصف رسل المقوقس جند عمرو ابن العاص فقالوا :

رأينا قوما الموت أحب الى احدهم من الحياة ، والتواضع احب اليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، وانما جلوسهم على التراب ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد فيهم من العبد .. واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد . يغسلون اطرافهم بالماء ، ويخشعون فى صلاتهم .

كان ويكون

اترى مناما ما بعينى أنظر
القدس بفتح والفرنجة تكسر
ومليكهم فى السجن مأسور ولم
يك قبل ذاك لهم مليك يؤسر
قد جاء نصر الله والفتح الذى
وعد الاله فكبروا واستبشروا

بين الاعرابى وضيفه

نزل اعرابى ضيفا على صديق له ، فاكرم وفادته وقدم له طعاما ، واخذ يســـأله عن اهله فقال صاحب البيت لضيفه :

ما حال ابن عمير ؟ قال : على ما تحب قد ملأ الارض والحى رجالا ونساء .

قال : فما حال أم عمير ؟ قال : صالحة .

قال : فما حـــال الدار ؟ قال : عامرة باهلها .

قال : وكلبنا (ابقـــاع) ؟ قال : قد ملأ الحى نبحا .

قال : فما حال جملى زريق ؟ قال : على ما يسرك .

والتفت صاحب البيت الى خادمه ، وقال له : ارفع الطعـــام . فرفعه ولم يشــبع الضيف ، ثم قال المضيف لضيفه :

يا مبارك الناصية . أعد على ما ذكرت .

قال : سل عما بدا لك .

قال : فما حال كلبى (ابقـــاع) ؟ قال : مات . اختنق بعظمة من عظام جملك زريق .

قال : أومات جملى زريق ؟ قال : نعم من كثر نقل الماء الى قبر أم عمير .

قال : أوماتت أم عمير ؟ قال : نعـــم من كثرة بكائها على عمير .

قال : أومات عمير ؟ قال : نعم ســقطت عليه الدار .

فجرى وراءه بضربه بالعصـــا . فهرب منه وولى .

ابو حنيفة والمغنيات

مر ابو حنيفة على جماعة يتنزهون فى بستان ، وكان معهم مغنيات يغنين ، فلما وقف عليهن سكتت المغنيات . فقال : قد احسنتن . فعوتب فى ذلك كيف تستحسن غناءهن . هذا رضاء منك بمعصية الله . فقال : قلت لهن أحســنتن حين غنين أو حين ســـــكتن ؟ فقيل : بل حين سكتن . قال الله أكبر . أردت احسنتن فى السكوت ، لا فى الغناء .

فراسة سائل

طاف سائل ضرير بشــــوارع (أصفهان) يســـأل الناس على عادته ، فأعطاه رجل رغيفا ، فدعا له السائل ، وقال : رد الله غربتك . فقال المتصـــدق : كيف عرفت أنى غريب ، وأنت أعمى ؟ قال : لأنى أســـأل الناس فى هذه المدينة ثلاثين سنة ما أعطانى احد رغيفا صحيحا .

لا أدرى

قيل للشعبى : أما تستحى من كثرة ما تسأل ، فتقول : لا أدرى ، فقال : لكن ملائكة الله المقربين لم يستحوا حين سئلوا عما لا يعلمون ان قالوا : « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم » .

وصـــية

عاد رجل مريضا ، فقا له : ما تشتكى ؟ قال : وجع الخـــاصرة . قال : والله كانت علة ابى فمات منها ، فعليك بالوصية يا أخى ، فدعا المريض ولده ، وقال : يا بنى أوصيك بهذا . لا تدعه يدخل على بعد هذه .

صوت من الحرم الشريف

في كل شــبر من بلادي ، فوق الجبـــال .. وفي الوهاد
صــوت يرن .. بمســمعي ويقول : حي على الجهـــاد !

* * *

صــوت مــن الماضي سرى عبر القــرون .. مزمجــرا
مــلأ الدنى حــولي وأترعهــا .. لظــى .. متفجــرا

* * *

صــوت من الحــرم الشريف وذؤابــة الشرف المنــيف
من منبــع المجــد التلــيد.. ومــأرز الدين الحنــيف

* * *

دوى صــداه مع الصــباح فوق الربى .. وعلى البطــاح
فاذا بــ (طيــبة) كلهــا نشــوى بألحــان الكفــاح

* * *

نشــوى بماض خــالد يزهو .. بــكل .. مجــاهد
وبحــاضر .. متطــلع يهفو .. لجيــل .. صــامد

* * *

جيل توشــح بالبطــوله ومشى على ســنن الرجــوله
يشـــدو ويصــنع يمينه لا بالعمــومة .. والخــؤوله

* * *

ويعــيش .. ما بين الامــم كالنسر .. في الجبــل الأشم
تطــوى جنــاحاه الجــوا ء .. وتستريح .. على القمم !

الاستاذ : محمد هاشم رشيد

صـــوت من الماضى البعـــيد دوى مـــع الصـــــبح الوليد
القيت ســـمعى .. نحـــوه وســـبحت فى الأفـــق المديد

* * *

ارنو الى دنيـــا العـــرب حـــيرى .. تمزقهـــا الريب
صرعى .. بشـــؤبوب من الأهواء.. فى دمهـــــا انســـكب

* * *

غـــرقى بطـــــوفان خبيث مسخ القـــديم مع الحـــديث
طـــوفان الحـــــاد تجلبب .. بالـــكتاب .. وبالحـــديث

* * *

وأظـــل أرنو .. باكتئـــاب لمصـــيرنا .. عبر الضـــباب
عبـــر الضـــياع الأكمـــه .. المشـــدود .. خلف خطى السراب !!

* * *

ويرن فى أذنى الصـــــــدا مســـتصرخا .. مســـتنجدا :
القـــدس تنهشـــــها الوحوش.. وتســـتبيح المســـجدا !

* * *

فتعـــــود تعصـــف فى دمى روح البطـــولة .. والفـــدا
واقول . يا أرض القداســـــة .. والشــــهامة .. والابا

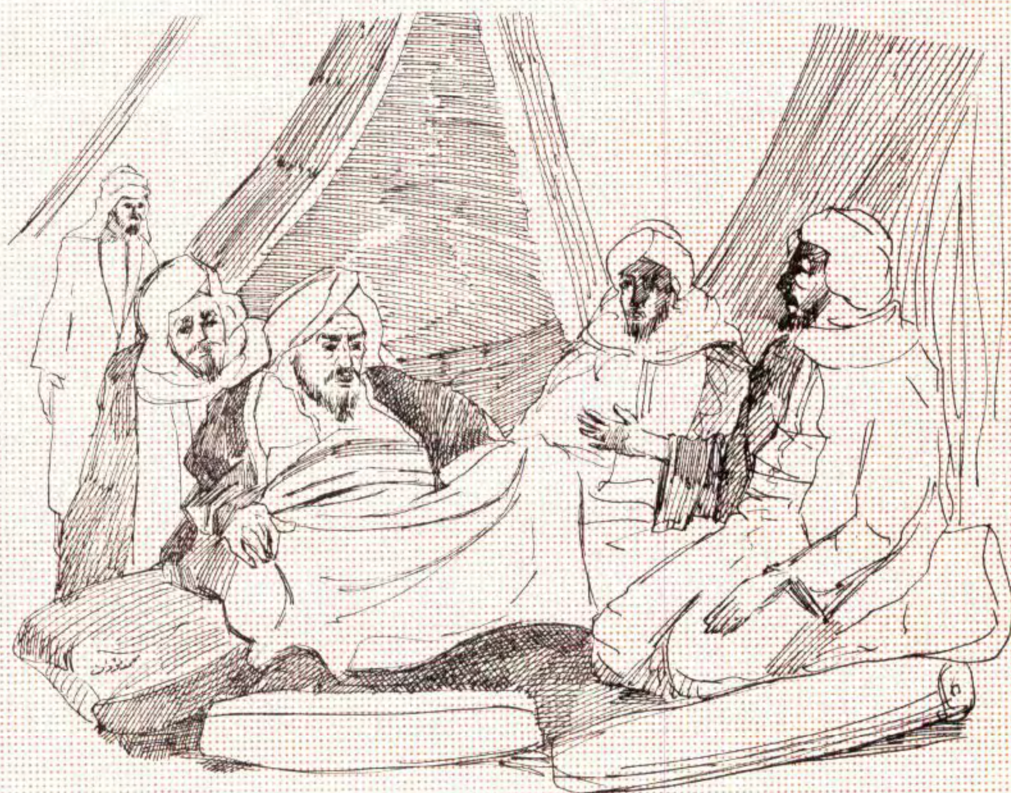
* * *

ســـنعود رغـــم الغاصـــبين .. ورغم .. تجـــار الفنـــا
ســـنعود .. فانتظـــرى مواكبنـــا .. فقـــد حان اللقـــاء !!

صراع

مسرحيّة إسلاميّة من وحي القرآن

بقلم عبد الحميد جودة



الشخصيات :

★ سفان بن مسعود ... مولى عمر بن الخطاب
★ مداح بن ثابت ... سيد من الخزرج
★ هلال بن امية ... من المهاجرين
★ صفوان بن مرة ... سيد من الخزرج
★ عبد الله بن ابي ... زعيم الخزرج
★ زيد بن ارقم ... فتى من المهاجرين
★ اسيد بن حضير ... سيد من المهاجرين
★ عبد الله بن عبد الله بن ابي ... ابن زعيم الخزرج .

المنظر الأول

المنظر : صحراء مترامية بها خيام متناثرة .. وفي زاوية من الزوايا عين ماء .. والمسلمون يملأون جرارهم منها وسفان بن مسعود ومداح بن ثابت يتنافسان على ملء جرارهما من العين ..

سفان : يدفع بيده مداحا بعيدا عن الماء .

مداح : (ينظر اليه في غضب) تدفعني عن الماء يا سفان بن مسعود ..

سفان : (في سخرية) هه .. لم لا .. وأنت تزاحمني يا مداح بن ثابت ؟

مداح : من حقي أن ازاحم لأملأ جرتي .. فماء العين قليل .. واخشى أن ينضب الماء ..

سفان : (مقاطعا) أن تأخذ حاجتك من الماء .. أما أنا فلا يعنيك أخذت من الماء ما أنا في حاجة اليه أم لا ؟..

مداح : ينحيه من طريقه في احتقار ويتقدم من العين وينحني لملء الجرة .

سفان : (يجذبه من ثيابه) لا .. لا .. لن أدعك تملأ الجرة قبلي ..

مداح : (باحتقار) انت .. انت أيها العبد تمنعني عن الماء .. هه .. هذا والله اكثر مما يحتمله انسان من عبد لا يساوى شروى بعير ..

سفان : (ملوحا بالجرة) اذا لم تتركني والله لأحطمن هذه الجرة فوق راسك ..

مداح : (متهكما في غيظ) تحطم الجرة فوق راسي يا عبد الشؤم .. انك اجبن من ان تفعل ذلك .. (متوعدا) واذا فقدت عقلك وجرؤت .. لتكونن نهايتك على يدي أيها العبد .. القذر ..

سفان : (متحديا في سخرية) تهددني بالقتل يا هذا .. ها .. ها .. تظن أن مولاي عمر بن الخطاب يسكت .. انه والله سينتقم لي .. ولن يدعك تمشي بين الناس وأنت قاتل مولى من مواليه ..

مداح : (يدفعه الى الأرض فيسقط) تحسبني اخاف من مولاك .. انك لواهم أيها العبد .. فما خاف مداح من احد حتى ولو كان سيدك عمر بن الخطاب ..

سفان : (يقوم من سقطته ويندفع ناحية سفان ويمسك به) لقد جاوزت الحد يا مداح بن ثابت .. والله لأؤدبنك (ينهال عليه بالجرة فتتهشم وتتناثر) وليكن بعد ذلك ما يكون ..

مداح : (صائحا) يا معشر الأنصار .. يا معشر الأنصار ..

يهرول عدد من الانصار فيمسكون بسفان .. فيصيح هو الآخر .. يا معشر المهاجرين .. يا معشر المهاجرين .. فيسرع اليه عدد من المهاجرين .. ويتماسك المهاجرون والأنصار بالأيدى .. بينما يظل مداح ينادى يا معشر الأنصار .. وسفان ينادى يا معشر المهاجرين ..

هلال : (يفرق بين المتعاركين ويصيح فيهم) ما هذا يا قوم .. كفاكم عراكا يا قوم .. انكم والله بنداءاتكم .. وتماسككم بالأيدى .. تعودون بنا القهقرى الى أيام الجاهلية التى قضى عليها الاسلام .. وعفى عليها القرآن .. ونهانا عنها رسول الله .. هيا أفيقوا الى انفسكم قبل أن يتطور العراك الى قتال ...

(يكف المتعاركون ويلتفون بهلال بن أمية)

صفوان : لقد اعتدى مولى عمر بن الخطاب على سيد من ساداتنا يا هلال ابن أمية ..

هلال : لهذا السبب يقتتل المهاجرون والأنصار بعد أن آخى بيننا الاسلام يا صفوان بن مرة ..

صفوان : الاعتداء على واحد من الانصار .. اعتداء على كرامتنا وعزتنا .. وشرفنا .. ولن يغسل هذه الاهانة الا السيف ..

هلال : لا تهول الأمر الى هذا الحد .. انه خلاف بين اثنين من المسلمين ..

صفوان : (في غيظ) تقول خلاف بين اثنين من المسلمين .. انك بهذا تسوى بين عبد وبين سيد من سادة الخزرج ..

هلال : لست أنا الذى سوى بين العبد والسيد .. انما هو ديننا الذى سوى بين الناس جميعا لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ..

صفوان : لا يمنع هذا من تأديب هذا العبد كيلا يتمادى في اعتداءاته .. وحتى يكون عبرة لغيره من العبيد ..

هلال : لا أنكر عليك ذلك يا أخا العرب .. انما الذى يؤدبه هو مولاه .. اما أن تؤدبه أنت فقد يؤدى الى التنابذ بين المسلمين .. وربما يتطور التنابذ الى لمتشاق السيوف .. ونحن فى موقف حرب وجهاد مع اليهود والمشركين والكفار .. والاسلام في حاجة الى كل قطرة دم من دمائنا ..

صفوان : (مهددا وملوحا بسيفه) والله لنشعلنها حربا بيننا وبين المهاجرين اذا لم يؤدبوا عبيدهم ..

المنظر الثاني

المنظر : خيمة مؤثثة الرياش .. عبد الله بن ابى يتصدرها وحوله نفر من الخزرج يتحدثون .. ويجلس على باب الخيمة زيد بن أرقم في تكاسل واسترخاء .. بينما اذنه تتصنت الى أحاديثهم ..

عبد الله : (في غيظ مكتوم) علمتم ما كان من العبد سفان بن مسعود ؟

صفوان : (يزفر في ألم وغيظ) ايه .. كنت والله سأشعلها نارا بيننا وبين المهاجرين لولا هلال بن أمية ..

عبد الله : ما هكذا تساس الأمور يا صفوان .. المهاجرون كثرة ونحن

قلـــة ..

صفوان : اذا ما الذى تراه يا عبد الله بن أبى ؟ .
عبد الله : ما ترونه يا بنى الخزرج ..
صفوان : ليس لنا أن نرى غير ما تراه .. فأنت سيدنا .. وزعيمنا ..
عبد الله : (يضرب كفا بكف) عبد يمنع سيدا من سادة الخزرج عن الماء الذى احتفرناه بأظافرنا .. ثم لا يعاقب ..
صفوان : ومن ذا الذى يؤدبه ؟
عبد الله : سيده ومولاه ..
صفوان : تعنى عمر بن الخطاب .. (متهكما) لا اظنه يفعل ذلك ..
عبد الله : لم يا صفوان ؟
صفوان : تراه الآن فخورا بما فعله العبد مع سيد من سادة الأنصار ..
عبد الله : هذا ما فعلتم بأنفسكم .. لقد أفسحتم لمحمد واصحابه مكانا بين ظهرانيكم يوم أن طردتهم قريش وجاءوكم المدينة مهاجرين .. لا يملكون قـــوت يومهم .. فتكاثروا علينا وبدأوا ينافروننا في ديارنا .. ويتجـرون بأموالنا .. ويتملكون الأرض والدور .. وها هم أولاء يتحكمون فينا .. ويعاملوننا معاملـــة السيد للعبيد .. لا يقيمون لنا وزنا .. ولا لحرماتنا قدرا .. ولم يبـــق الا أن يطردونا من ديارنا ..
صفوان : ما العمل اذا يا سيد الخزرج ..
عبد الله : نجليهم عن ديارنا ..
صفوان : (غير مصدق) نحن .. لا اظننا نستطيع بعد أن اصبحت لهـــم الغلبة والزعامة في المدينة ..
عبد الله : ليس هناك مستحيل تحت الشمس .. ما عليكم عندما نرجـــع الى المدينة الا أن تمسكوا ايديكم عـــن مساعدة محمـــد واصحابه .. تلقوهـــم بوجوه مغلظة .. لا تحيوهم ولا تقبلوا منهم تحيـــة .. وتمسكوا بناتكم اللاتى تزوجنهم في دوركم .. ومن أبت منهن الا أن تعود لزوجها .. اقتلوها دون رحمة أو شفقـــة ..
صفوان :
ومداح :
وبقيـــة : معا . نعاهدك ان نفعل ذلك واكثر منه ..
الموجودين :
عبد الله : (حذرا) اذا تقاعستم ولم تفعلوا ما أشرت به عليكم .. فـــلا تلومن الا أنفسكم فانهم والله عندما نعود الى المدينة ليخرجن منها الأعز الأذل ..
زيـــد : (يقتحم الخيمة ويلوح بيده في وجه عبد الله) انك والله لأنت الذليل .. أما محمد فهو في عز من الرحمن .. ومنعة من المسلمين .. وقوة من الايمان .. و ..
عبد الله : (مقاطعا في غضب) من تكون يا هذا ؟
زيـــد : (في تحد) زيد بن أرقـــم ..
عبد الله : (باحتقار) ما سمعت بهذا الاسم .. ما علينا .. الا تعرفنى يا فتى ؟
زيـــد : اعرف انك سيد الخزرج ..
عبد الله : تعرف .. ثم تبلغ بك الجراة فتقول ما تقول ..
زيـــد : ما قلت غير الحقيقة ..

عبد الله : اية حقيقة هذه التى تجعلك تتطاول على سيدك . .

زيـــد : (في سخرية) سيدى . . ها . . ها . . لا سيد لى غير الله . . اما انت فلا تعدو ان تكون انسانا مثلى . . ومثل بقية الناس . .

عبد الله : (منفعلا) اخسأ ايها الوقح . .

زيـــد : الوقح من يسب الناس . . ويرمى الأشراف بما ليس فيهم . .

عبد الله : لقد غرك والله حلمى يا هذا . . لئن تمسك عليك لسانك لقطعته اربا . . اربا . .

زيـــد : (ممعنا في سخرياته) انت . . ها . . ها . . لا تقدر ان تصيـــب بعوضـــة . . فما بالك بزيد بن ارقم . .

عبد الله : يخرج عن وقاره ويقوم من مجلسه ويمسك بزيد . . ويحـــاول الاعتداء عليه . . . . فيدفعه زيد فيسقط عبد الله الى الأرض . . بينما يندفع زيد مسرعا من الخيمة وهو يصيح والله لأبلغن رسول الله بما تقولت عليه وعلـــى المسلمين . . ايها المنافق المخادع . .

عبد الله : (صائحا في انفعال ومشيرا بيده الى من معه) امسكوا الفتـــى يا قوم . . لا تدعوه يذهب الى محمد . . ائتونى به حيا أو ميتا . . هيا هيا . .

(يسرع صفوان ومداح خلف زيد بن ارقم بينما الباقون يساعدون عبد الله ابن ابى على القيام والعودة به الى مكانه) .

عبد الله : (في غضب ظاهر) لقد جاوز هذا الفتى الأحمق حده . . والله لئن عادوا به لأقتلنه حتى ولو ادى ذلك الى قتال محمد واصحابه . .

(يعود صفوان ومداح ومن تابعهما دون زيد بن ارقم)

عبد الله : لم تقبضوا على هذا اللعين . .

مداح : ضيقنا عليه الخناق . . وطاردناه من مكان الى مكان . . فكان يفلت منا كما تفلت الظباء . . واصبناه بسهامنا . . فكان يتلقاها دون ان يتوقف عـــن الجرى . . ثم دخل خيمة النبى .

عبد الله : تبا لهذا الشقى . . سيثير محمدا علينا . . وانها الحرب . .

صفوان : سأذهب الى محمد لأكذب مقالة هذا الشقى . . وسأعرف كيف اخرس لسانه . . ولأجعلنه سخرية الساخر . . واضحوكة الضاحك . .

المنظر الثالث

خيام متناثرة . . هلال بن امية يجلس امام خيمته . . زيد بن ارقم واسيد بن حضير يخرجان من خيمة النبى . .

هلال : (مناديا وملوحا بيده) يا زيد . . يا أسيد . . تعاليا . .

(يتجه زيد وأسيد ناحية هلال . . ويسلمان عليه . . ويجلســـان بجواره)

هلال : (يوجه الحديث الى زيد) ما كنت احب يا زيد ان تنبىء النبى بما كان بينك وبين عبد الله بن ابى . .

زيـــد : (متعجبا) لا أنبىء النبى بما كان بينى وبين سيد الخزرج . . لقـــد اقسمت ان ابلغ رسول الله . . وما كان لزيد ان يحنث في قسمه . . ثم لم تعاتبنى في هذا الأمر يا هلال بن امية ؟

هلال : خشيت من الفتنة بين المسلمين . . ونحن في موقف لا نحســـد عليه . . فهاهم أولاء اليهود والمشركون والكفار يجمعون جموعهم لينقضوا علينا . . ويطفئوا كلمة الله . . ونحن أحوج ما نكون الى وحدة الصف . . ووحدة الكلمة .

زيـــد : لقد قدرت الموقف . . فوجدت أنه من صالح المسلمـــين ان يعـــرف

رسول الله ما كان من أمر عبد الله بن أبي . . حتى يرى النبي رأيه في هذا المنافق قبل أن يستفحل أمره . . ويمشي بالوقيعة بين المهاجرين والأنصار . . والأنصار هم سندنا وعضدنا . . وحماة ظهورنا وأعراضنا . . واذا انكشفت ظهورنا . . سهل على العدو ان يأتينا من الخلف . .وينال منا ما يريد . .

أسيد : ليتك معنا . . وسمعت ما دار في مجلس رسول الله من هذا الأمر .

هلال : (في لهفة) حدثني بربك . . ولا تخف عني شيئا يا أسيد بن حضير .

أسيد : ما أن انتهى زيد بن أرقم من قص ما حدث من سيد الخزرج حتى صاح صفوان بن مرة . . لا تصدق يا رسول الله هذا الفتى الغر الأبله الذى لا يدرك مغبة افترائه وكذبه على سيدنا ومولانا .

زيـد : كدت والله أستل لسان صفوان عندما وصفني بالكذب والافتراء . . لكن رسول الله وصاحباه الصديق وعمر بن الخطاب أشاروا على بالتزام الهدوء . . فسكت على مضض وكشفت لهم عن صدرى وظهرى . . وقلت لو كنت كذبا كما يقول صفوان . . ما الذى يدعوهم لأن يرمونى بسهامهم فى مقتل ويطاردونى ليحولوا بينى وبين المثول بين يدى رسول الله . .

هلال : ما عرفنا عنك الكذب يا زيد بن أرقم . .

زيـد : وزاد غضبى وثورتى أن صفوان بن مرة لم يتورع أمام النبى وصحابته أن يمتن على المهاجرين بما فعله سيد الخزرج يوم أن جئنا المدينة مهاجرين . . وما قدمه للمسلمين من أموال ومساعدات . . وما أسهم به وقدمه في حرب اليهود والمشركين والكفار . .

هلال : (فى سخرية) ها . . ها . . لم نر والله من هذا الرجل ما ينبىء عن صدق ايمانه . . وحسن اسلامه . . انه يعمد الى محاربتنا في أرزاقنا . . وفي أموالنا . . وفي أنفسنا . . واثارة الفتنة بيننا وبين الأنصار أبناء عمومتنا واصهارنا . . ولو استطاع أن يلقى بنا الى مهاوى الصحارى لفعل دون أن يرعى حرمة الاسلام ولا حرمة القرابة أو حرمة النسب . . وموقفه في غزوة أحد خير دليل على ما أقول . .

أسيد : كان موقفه مخزيا كل الخزى . . انصرف هو وقومه عن قتال المشركين الى جمع الغنائم والاسلاب مما مكن قريشا من ظهورنا . . وكادوا يغلبوننا على أمرنا . . لولا نصر الله ورعايته . .

زيـد : لا تنسيا موقفه المخجل بالعار من مواليه اليهود عندما رفض رسول الله أن يشركهم معه في القتال الا اذا أسلموا . . حتى يأمن جانبهم . . ويطمئن اليهم . . . . وكان على هذا المنافق أن يدعو مواليه الى الاسلام . . لكنه أمرهم بالانسحاب .

هلال : ليته أمر اليهود بالانسحاب وبقى هو يقاتل معنا . . لقد انسحب هو الآخر ومعه قومه والحرب على أشدها . . أملا في أن يفت ذلك في عضدنا . . وتهزمنا قريش . . ونتفرق في الأرض وتخلو له المدينة يحكمها . . ويتحكم فيها حسب أهوائه الدنيئة . .

زيـد : (يوجه الحديث الى هلال) كنت أحب أن تكون معنا . . وترى الغضب الذى بدا في عيون المسلمين . . وهياج عمر بن الخطاب . . وثورته العارمة . . لو كان ابن أبى أمامه لحظتها . . لكان حطمه . . ومزقه قطعا . . قطعا . .

هلال : الى هذا الحد بلغت ثورة ابن الخطاب . . ترى ما الذى أثاره وأغضبه ؟

زيـــد : عندما قلت لرسول الله أن هذا الرجل قال لقومه فيما قال .. والله اننا ومحمدا واصحابه كما قال الألون سمن كلبك يأكلك ..

هلال : (في غضب ظاهر) تبلغ القحة والنذالة بهذا الرجل هذا المبلغ .. وامام من ؟ أمام رسول الله وسيد المرسلين .. انه والله لا يستحق أقل مـــن القتـــل ..

زيـــد : هذا ما دعا اليه عمر بن الخطاب .. طلب من رسول الله أن يأمر بلالا ليقتله ..

أسيد : خشيت أن يستجيب رسول الله .. فتدخلت في الأمر .. ودعوت عمر بن الخطاب الا يثير ثائرة النبي .. وقلت له انك لتذكر يا أبن الخطاب اننا يوم ان جئنـــا المدينـــة مهاجرين .. أعـــدت الخزرج تاجا مـــن الجواهر والزمـــرد واليواقيت ليتوجوا عبد الله بن أبى ملكا عليهم .. وأنه ليرى أن المهاجرين استلبوا ملكه .. وانتزعوا سلطانه و ..

هلال : (مقاطعـــا في ضيـــق) كل هذا لا يبرر مـــا يفعله ضد الاســـلام والمسلمين ..

أسيد : لم اكن ابغي تبرير جريمته .. انما أردت الرفق به .. والصفـــح عنه .. عله يتوب الى الله .. ويحسن اسلامه .. ويصدق ايمانه ..

هلال : ما كان جواب رسول الله عندما طلب منه ابن الخطاب أن يأمر بلالا ليقتلـــه .

زيـــد : خفق برأسه الى الأرض طويلا .. ثم رفعها وتلا علينا ..

« هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وللـــه خزائن السموات والأرض .. ولكن المنافقين لا يفقهون .. يقولون لأن رجعنـــا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .. ولكن المنافقين لا يعلمون » .

الجميع : (في ايمان) صدق الله العظيم ..

زيد : تدرى ما الذى فعله بعد ان سمع هذه الآيات البينات .. لم يتمالك نفسه ... وصاح يا رسول الله .. ليس بعد قول الله تعالى الا أن تأمر بـــلالا ليأتينا برأسه هذا المنافق الآن ..

هلال : (متسائلا) ووافق النبى ..

زيـــد : نظر الى ابن الخطاب طويلا .. ولم يتكلم .. فآثرنا الانصراف دون أن نعرف .. ما الذى استقر عليه رأى رسول الله ..

هلال : لا أقل من قتل أس النفاق أو ابعاده عن المدينة ..

أسيد : ارى على البعد عبد الله بن سيد الخزرج قادما نحونا .

زيـــد : ربما يكون قد علم ما كان من أمر أبيه ..

(يتقدم ابن ابن أبى من مجلسهم فيحييهم .. ثم ينتحى به اسيد بن حضير ويسر في أذنه ما نزل من القرآن في حق أبيه)

ابن ابن أبى : انى لأخجل والله من لقائه بعد ما كان من أبى .. لقد وضعنى أبى بين شقى الرحى ..

أسيد : (يربت على كتفه) لا عليك يا بنى .. اذهب الى رسول اللـــه .. والتمس منه الصفح والمغفرة ..

ابن ابن أبى : لأنى لأخجل والله من لقائه بعد ما كان من ابى ..

أسيد : (يدفعه بيده في رفق) هيا .. هيا سأكون في صحبتك .. ولن يضن

(البقية ص ٩٢)

بالخير والفقه ، والذين لا تقبل منهم كالضحاك والسدى . ويختم مقدمته ببحث عن الحروف فى أوائل سور القرآن الكريم .

هذا هو السفر الجليل الذى قدمه الينا محمد بن جرير الطبرى ، وهو شاهد صدق على فضل هذا العالم الكبير ، ومظهر خير من مآثره الخالدة .

بقى لنا من الطبرى جهده القيم فى فن التاريخ ، وهو جهد رائع ، حقق الكثير ، مما قصر عن تحقيقه ، ورسم صورة واضحة المعالم ، لعهد مشرق للامة الاسلامية ، لولاه لضاع معظمها فى مجاهل النسيان . وكتابه تاريخ الرسل والملوك أو « تاريخ الامم والملوك » هو أيضا عمدة الابحاث التاريخية ، فقد دخل الطبرى ميدان التاريخ مفسرا ومحدثا ، طبق على جزئيات بحثه التاريخى ، وكلياته ، كل ما اتبعه من قواعد فى تفسيره ، فجاء كتابه تتمة للتفسير ، وأراد أن يوضح فى تاريخه ، مشيئة الله فى الخلق وأحوالهم ، وأن يجعل منه دليلا على فعاليات الامة التى يكتب تاريخها ، وهو قد كتب تفسيره أولا ثم اتبعه بكتابه التاريخى هذا ، وانتهى من تاليفه سنة ثلاث وثلاثمايةهجرية ، والدليل على ذلك أنه قد ضمنه من الاحداث ما وقف به عند نهاية سنة اثنتين وثلاثماية . ويروى أن كتابيه هذين كانا أكبر مما هما عليه الآن حجما ومادة ، وأن الذى بين أيدينا مختصران للاصلين الكبيرين وهو من خيرة ما كتب فى مادته حتى يومه ، فبالاضافة الى اتساعه وشموله : فقد اتبع فى تأليفه نظام السنين ، وهو نظام فى التاريخ أكثر دقة ، وأظهر للفترة التى يؤرخ لها ، أما امانته فى النقل فانها تبرز فى طريقته فى البحث ، فهو يختص كل صاحب اختصاص بمرحلة تاريخية ، أو أمة من الامم وينقل عنه مشافهة أو كتابة متبعا طريقة الرواية بالسند الذى يوصل الى الراوى ، وهى نفس الطريقة المتبعة فى اثبات الاحاديث النبوية ، ولكنها ليست بنفس المستوى من الدقة ، فقد كان يتجوز بعض الروايات الضعيفة ، وكان أحيانا لا يصرح بأسماء رواة ، مكتفيا بحسن ظنه بهم ، أو معرفته بصدقهم ، ويمكن تقسيم الكتاب الى قسمين ، يتناول القسم الاول فترة ما قبل الاسلام ، فبعد المقدمة يبدأ بذكر آدم ، وأصل الخليقة ، ويتعرض للانبياء حسب ترتيبهم فى التوراة مسجلا أخبارهم ، ثم يخصص للساسانيين فصلا ، وللرومان ، والعرب ، واليهود فصولا ، فيروى تاريخ الفرس منذ أقدم الازمنة ، حتى عهد كسرى ابرويز ، وهو الذى حدثت فى زمنه معركة « ذى قار » ثم يتابع الى عهد يزدجرد بن شهريار بن كسرى ، وهو الذى انتهت به أيام الفرس على أيدى المسلمين . ويؤرخ للملوك الروم منذ دخلت اليهم المسيحية ، واتخذوها دينا لهم ، الى عهد الاسلام ، وبتفصيل يكاد يكون تاما . أما العرب فهو يتحدث عن تاريخ ثمود ، وطسم ، وجديس ، وجرهم ، كما يذكر غزو بختنصر ، للعرب فى زمن معد بن عدنان . وأرخ لملوك اليمن ، وعلاقتهم بالاحباش وبالفرس . ولبعض المشهورين مثل عمرو بن الظب ، والزباء . ويتناول فى القسم الثانى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخباره وغزواته ، ثم سيرة الخلفاء الراشدين وفتوحهم ، فتاريخ الدولة الاموية ، فالعباسية حتى سنة اثنتين وثلاثماية ، وقد جاء من بعد الطبرى محمد بن عبد الملك الهمذانى المتوفى سنة ٤٨٧ هجرية ، فألف ملحقا سماه « تكملة تاريخ الطبرى » تابع فيه تسجيل الاحداث التاريخية حتى سنة سبع وثمانين وأربعمائة هجرية . وذيل له أيضا عريب بن سعد القرطبى بذكر حوادث سنة ٣٦٥ هجرية . كما اختصره تلميذه أبو محمد الفرغانى بكتاب سماه « المذيل » أو « أصلة التاريخ » . وبقى لمن جاء بعده مصدرا نقل عنه الكثيرون الاحداث كما أوردها كابن مسكويه ، و « ابن الاثير » .

هذه اللمحة الموجزة عن الامام الفقيه ، والمفسر الكبير ، والمؤرخ النابه ، ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تعطى صورة قد لا تكون محددة المعالم الى الحد الذى تبرز فيه بكل أبعاده صورة هذا العالم الجليل ، الذى خدم الثقافة الاسلامية خدمة لا مزيد عليها .

ولعل المجال المتسع لتناول الجوانب المتعددة من حياة الطبرى ، متسع جدا ، تنتظر المنصفين ، والغيورين على سمعة الامة الاسلامية ، عسى أن تبعث أمثال تلك الدراسات الجادة الهمة فى نفوس الشباب المسلم ، وتقدم لهم نموذجا لطراز كثر أمثاله فى أمتنا .

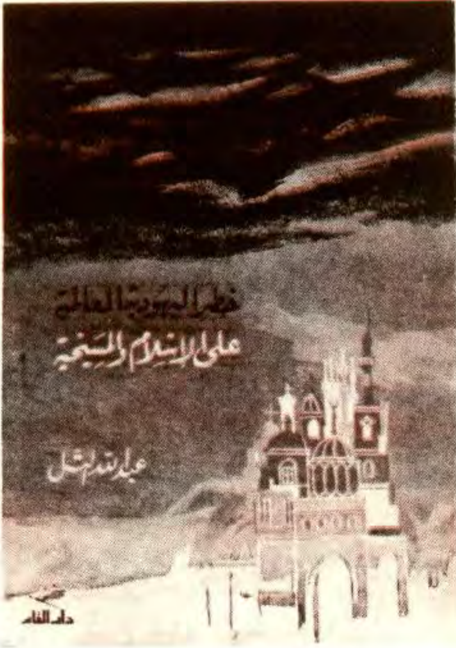
خطر اليهودية العالمية على الا...

تاليف : عبد الله التل

عرض وتلخيص الاستاذ : بسام الاسطوانى
المساعد العلمى لخبير الموسوعة الفقهية ــ الكويت

من المؤسف المؤلم حقا أن نغمض اعيننا ونتشاغل بالخلافات والمشاكل الداخلية عن الاعداد والاستعداد على كل صعيد وفى كل ميدان عن تعبئة امكانيات الامة العربية الاسلامية وجميع طاقاتها الروحية والمادية والفكرية لمواجهة خطر اقتحم علينا ارضنا ومقدساتنا ونال من كرامتنا ووجودنا منذ اكثر من عشرين عاما وما يزال .. ومن اكبر دواعى العجب ان يكون هذا الخطر الصهيونى مكشوف الخطط واضح الاهداف ثم لا نعيره الاهتمام الذى يستوجبه ويستحقه .. واغرب من كل ذلك أن نعين عدونا على انفسنا ونتيح له الفرصة الكافية ليخطط ويستعد بكل عزم وتصميم ويضع خططه بعد ذلك موضع التنفيذ .. ونحن غافلون او متشاغلون عنه ، بل معينون له بالخلافات والمظالم المتنوعة التى شتت وحدتنا الوطنية ، وصدعت قوانا الروحية ، واضعفت قوانا المادية والعسكرية حتى تمكن عدونا او حتى مكناه من انزال ضربته الثانية المفجعة ، هذه الضربة الموجعة المذهلة التى اجبرت قادة العرب على الاعتراف بأننا فى المعركة الاخيرة قد واجهنا التنظيم المحكم والعلم والتكنولوجيا بما لا يفوقه ، ولا يماثله ، فحلت بنا النكبة الفاجعة كنتيجة طبيعية لذلك ..

ان الحقيقة الاولية التى تناسيناها ولا بد من تسجيلها فى هذا الصدد للذكرى ، هى أننا نسينا الله فحق علينا العذاب ، واهملنا تنمية القوة الروحية التى خلدت بطولات أجدادنا بأروع معانى الخلود والمجد ، واستبدلنا بها شعارات جافة فارغة وفلسفات مادية مستوردة غريبة كل الغربة عن روح امتنا المسلمة وطبيعتها ومصالحها . وهى بمعظمها من نتاج الفكر اليهودى المكشوف المعروف .. فلا غرابة أن تفشل هذه الشعارات والافكار فى قيادة جماهيرنا المؤمنة بدينها وقيمها ، وان تقوم العزلة الموحشة بين



لام والمسيحية

اصحاب تلك الشعارات والافكار وبين جموع الشعب العربى المسلم ، فكانت النتيجة الطبيعية أن خسرنا الجولة الثانية وتجرعنا كأسها المر وغصتها الخانقة ..

وسيكون هذا شأننا فى كل جولة مقبلة ما دمنا متنكبين لطريق الاسلام الذى فيه لا فى غيره وحدتنا وقوتنا وعزنا . ومادمنا مهملين قوانا الروحية الفعالة وهى القوة التى لا تغلب لأنها قوة من عند الله جبار السموات والارض ورحمانها .. فهل نتعظ ؟! وهل نستيقظ ؟!

وبعد هذه المقدمة أعيد القول انه لمن المؤسف المؤلم حقا ان تكون خطط عدونا مكشوفة واضحة بل معلنة منشورة منذ زمن طويل وفى الشرق والغرب وبلغات متعددة ثم لا نعيرها الاهتمام اللازم لمقاومتها قبل تمكنها من السير الى غاياتها المعروفة المرسومة ، ولقد جهد كثير من مفكرينا وعلمائنا المخلصين بتتبع خطط الصهيونية وكشفها بجهود صادقة أمينة واعية ليضعوا هذا الخطر أمام أعين القادة والمسئولين وأمام أعين الشعوب عساهم يدركون ابعادها وخطورتها .. فيتحركون لاحباطها قبل فوات الاوان .. ومن هؤلاء المفكرين العاملين قائد عربى مؤمن اكتوى بنار الجولة الاولى فخاض معارك الشرف مدافعا عن القدس ومسجدها الاقصى المبارك وجميع مقدساتها ، وقدر له العيش بعد ذلك الى أيامنا هذه ، فظل أمينا على رسالة الامة العربية الاسلامية ، ومجاهدا لقضيتها ، فأشرع قلمه المؤمن الجرىء بعد أن أجبر على اغماد سيفه ليتابع جهاده المبارك ضد اليهودية العالمية بفكره وقلمه ، وقد يفعل الفكر والقلم فى بعض الاحيان أكثر مما يفعله السيف والبارود .. ذلك هو عبد الله التل قائد معركة القدس عام ١٩٤٨ الذى قدم كتابه القيم للأمة العربية الاسلامية ولبنى البشر جميعا بعنوان « خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية » وهو الكتاب الثانى الذى اخرجه المؤلف بعد كتابه الاول عن « مذكراته فى حرب فلسطين » واذا كان هذا الكتاب العظيم الشأن ليس من كتب هذا الشهر بل هو صادر قبل ذلك ولكنه بما يتضمنه من معلومات ذات اهمية ثابتة جدير بأن يعتبر جديدا بعد الكارثة الاخيرة وأن تسلط عليه الاضواء من جديد . ولذا نقدمه اليوم لقراء هذه المجلة .

صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب فى القاهرة عام ١٩٦٤ ، وهو بحق يعتبر احسن واكمل دراسة واعية عن قضيتنا الكبرى .. فلسطين .. يبدأ بهـا من اصولها وجذورها متسلسلا معها فى حلقاتها الدولية والمحلية الى حاضرها الاليم .. ومنتهيا الى مقترحات وآراء صريحة وجريئة وقيمة جديرة بالاهتمام كله لانها اصدق تعبير عن الوعى السليم للقضية وابعادها .. فلنسر مع المؤلف فى كتابه الخطير هذا خطوة خطوة لنتعرف على مجمل موضوعاته وأبحاثه :

يقع الكتاب فى ٤٥٠ صـفحة من القطع الـكبير الابيض الصقيل ومزود بالخرائط والوثائق الهامة وهو جيد فى ترتيبه وتبويبه وفى اخراجه وطباعته ، يبدأ بمقدمة قصيرة وينقسم بعدها الى قسمين كبيرين :

فالقسم الاول :

مكون من ثلاثة عشر فصـلا تبدأ بالعـدوان اليهودى الاول القديم على فلسطين وقد أوضح المؤلف فى هـذه الفصول الصـلات الاولى بين اليهـود والمسيحية ، وبينهم وبين الاسلام ، وشرح حقيقة الدين الذى يمارسه اليهود من توراتهم وتلمودهم ومقررات حكمائهم ، موضحا كيف حرف أحبار اليهود التوراة بعد قرون من نزولها ، وحشوها بأفحش القول وابشع الحقد ضد المسيح عليه السلام والمسيحية وضد الاسلام والانسانية وما ضمنوها من التعاليم والمبادىء الخطرة الاجرامية والقيم الفاسدة التى ينكرها ويأباها كل ذى ضمير حى ووجدان سليم ، مستشهدا لكل ذلك بنصوص صريحة من التلمود والتوراة ووقائع التاريخ الغابر والحاضر وكلها تقشعر له الابدان استفظاعا ، وتتقزز النفوس من خستها وبشاعتها وهولها ، وكثير منها لولا صدق النقل وامانته ودعمه بالارقام والتواريخ والاسماء والامكنة والازمنة والمراجع لخاله القارىء مجرد تشنيع ومبالغات من نسج الخيال ولكنه الواقع المدعوم بأصدق الادلة القاطعة الواضحة ، وقـد استعان المؤلف لذلك بذكر بعض خطط اليهودية العالمية ومبتكراتها التهديميـة وأدواتها التنفيذية من ماسونية وصهيونية ولا سامية وشيوعية للسيطرة على العالم ، ويختتم المؤلف فصول القسم الاول بالحديث عن نجاح اليهودية العالمية وحكومتها المستورة فى تدمير القيم الاخلاقية فى دول الغرب الاعمى الضال ، وسيطرة اليهود على اغلب دول امريكا واوربا وعلى عصبة الامم ومن بعدها على الامم المتحدة ، ويثبت المؤلف لبيان مدى هذه السيطرة الفعلية اسماء الشخصيات اليهودية الصريحة التى شغلت وما تزال اهم المراكز والمناصب الحساسة والقيادية فى كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتى وغيرها من الدول وفى الهيئات الرئيسية فى عصبة الامم وهيئة الامم المتحدة ومحكمة العدل الدولية وسائر المنظمات الدولية .

والقسم الثانى :

مكون من عشرة فصول تبدأ من العدوان اليهودى الثانى الذى بدأ منـذ الاحتلال البريطانى ١٩١٧ م وتنتهى بالعدوان اليهودى السادس لاغتصاب المياه العربية فى الايام الاخيرة ، وتضمنت هذه الفصول مراحل تنفيـذ الاعتداءات اليهودية الستة وما لازمها من غدر بريطانى ووحشية يهودية واجرام امريكى

خبيث ساعد على قيام الدولة المجرمة « اسرائيل » وجاء الفصل العاشر والاخير متضمنا رأى المؤلف فى الحل الصحيح للمشكلة . موضحا سبيل النجاة مما تعانيه الامة العربية وتعانيه الانسانية جمعاء من ويلات واخطار على يد اليهودية العالمية ، وهو رأى كما قلت آنفا جدير بكل عناية واهتمام لأنه تعبير صادق عن وعى تام للقضية وحقيقة أبعادها وخطورتها ، كما أنه أصدق تعبير عن الادراك العميق لروح الامة العربية الاسلامية وامكانياتها وطاقاتها الجبارة الهائلة التى أهملت أشد الاهمال مع شدة الحاجة اليها ، فكانت النكبة وكانت الهزيمة .

والجدير بالذكر فى موضوع هذا الكتاب الهام القيم ما أبداه المؤلف فيه من اهتمام عميق بالجانب المقدس للقضية . . وقليل هم الكتاب والمؤلفون الذين أعطوا هذا الجانب ما يستحقه من الاهتمام ، ومرد ذلك حسب تعبيره الى ايمانه الذى لا يتزعزع بأن قضية فلسطين دينية مقدسة فى المقام الاول ، وأن أية معالجة لها لا تكون على أساس دينى جهادى ، مكتوب عليها الاخفاق لا محالة ، وأن ايمانه هذا مبنى على تجارب عسكرية عاشها وحقائق تاريخية لمسها ووعاها ، وقد استشهد لذلك بمعارك الحرية الحديثة والقديمة التى خاضها المسلمون ضد الغزاة المستعمرين وكسبوا فيها النصر المؤزر بهتاف « الله أكبر » ومن هذه المعارك الحديثة ثورة الجزائر الكبرى التى هزمت الاستعمار الفرنسى وقضت على خرافة فرنسة الجزائر ، يوم خيل للاستعمار أنه استطاع القضاء على عروبة الجزائر واسلامها فجاءت الثورة ، وسلاحها الاول جهاد دينى فى سبيل الله ، مخيبة لآمال الغرب ومؤكدة عظمة الطاقة الكامنة فى الاسلام فتمت المعجزة واستقلت الجزائر بعد استعمار فرنسى بشع دام ١٣٠ عاما كاد خلالها أن يهلك الحرث والنسل ، وأن يقضى على اللغة العربية ، بيد أنه أخفق فى القضاء على الاسلام ، فحرر الاسلام الجزائر .

ويوجه المؤلف اللوم الى دعاة العلمانية (لاييك) فى الوطن العربى الذين تناسوا وأسقطوا من حسابهم العامل الدينى فى قضية فلسطين ، وأنها القضية الوحيدة التى قامت فى العالم منذ ثلاثين قرنا وما زالت تقوم على أسس دينية روحية وقد أوضح المؤلف بالحجة الدامغة أنه ان صحت معالجة أية مشكلة على أسس مادية ، فان قضية فلسطين لا تعالج الا على اسس دينية بالدرجة الاولى ، وأسس مادية بالدرجة الثانية ، كما وجه اللوم الشديد الى قادة الاحزاب والحركات العربية العلمانية التى تناست أن جميع المعارك الحاسمة فى تاريخ العروبة والاسلام من القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت الى بور سعيد والجزائر ، كانت صيحة الحرب فيها دينية مقدسة . . الله أكبر . .

ويختم المؤلف ذلك بقوله : ان الامة العربية تمر اليوم بمرحلة تنوير واعداد وتخطيط لمعركتها الكبرى من اجل استرداد فلسطين ، وواجب كل فرد أن يسهم بجهده فى هذا المجال ، وهو يرجو أن يكون بهذه الدراسة — الموفقة — التى قدمها فى هذا الكتاب قد أسهم ولو بجهد المقل فى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة لما فيه خير أمته ووطنه .

ونحن نشهد بأن السيد عبد الله التل القائد المؤمن ومؤلف هذا الكتاب قد أسهم فعلا بجهد طيب مبارك جزاه الله عنه كل خير آملين أن يفتح كتابه هذا بصائر قادة العرب وحكامهم وشعوبهم على الحقيقة ويغريهم بكلمة الحق التى صدع بها هذا القائد المؤلف المؤمن لكى يتمكنوا من التغلب على ضعفهم وأهوائهم وانحراف بعضهم عن جادة الحق متناسين جانب الله تعالى ، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وما النصر الا من عند الله القوى العزيز .



أخى المسلم أختى المسلمة ..

نحن على موعد معك لنتـلاقى هنـا .. فهـذا البـاب الجديد لك . لمشاكلك . نتلاقى فيه معك على طريق الله الذى تحبـه ونحبه ، ونحن ــ أنا وأنت ــ لا نحب أبداً أن نتخلص من مشكلة تجابهنا فى حياتنا على حساب ديننا ومستقبلنا عند الله . فاننا قوم يستقر فى أعماقنا مراقبة الله ، والحرص على رضاه ويشرح صدورنا دائما أن تكون فى ظل من رعايته ، ولو تحملنا فى ذلك الصعاب . فراحة الضمير هى الراحة الحقيقية .. وشعور الانسان بأنه مع الله يسبغ عليه دائما الرضا والاطمئنان حتى فى أحلك الساعات وأشدها قسوة .

وهؤلاء الذين يحاولون الهرب من مشكلاتهم وحلها على حساب دينهم طمعا فى الراحة انما يزيدونها تعقيدا ، لأنهم يؤثرون الراحة الظاهرة ، والعلاج المسكن المؤقت الذى يتيح للمرض أن يستفحل ، وللعـذاب أن يزداد .. فكن مع الله دائما .. وتعرف اليه فى الرخاء يعرفك فى الشدة . واكتب لنا بمشكلتك نتعاون معك على حلها فى هدى من نور الله ..

ولقد كنت أريد من مدة أن أقدم لك هذا الباب ، ولكن زحمة العمل والمواد كانت تؤجله من عدد الى عدد ، حتى جاءتنى رسالة من أخ فى العراق أزعجه ما كان يزعجنى دائما من جرأة بعض المجلات غير المتخصصة على الافتاء فى أمر الدين بدون علم .. فلم أجد بدا من التعجيل والتنفيذ .

التلقيح الصناعى :

يقول السيد / صبحى الراوى من بغداد فى رسالته هذه :

« لقد قرأت فى مجلة (طبيبك) الدمشقية فى العدد ١٢٧ السنة الحادية عشرة آذار (مارس) ١٩٦٧ فى الصفحة (١١٥) فى أسفل الصفحة السؤال الموجه الى المجلة المذكورة وكان السؤال هو من (س + ق) من دير الزور ، يسأل هل يعتبر الالقاح الصناعى زنا ؟

أما جواب المجلة المذكورة فكان هو :

كلا ! طالما هو جار بعلم الزوج والزوجة وبدون شهوة ... الخ »

الى هذا الحد من الاستهتار وعدم المبالاة يقذف الدكتور برأيه دون احتياط ، كأنه ليس مهما عنده الا أن تحمل المرأة وتنجب . أما من أين حملت ؟ ولمن ينسب الولد الذى جاء عن طريق هذا التلقيح ؟ .. فهذا أمر لا يهمه .. لأنه لا يهمه ــ كما قلنا ــ الا أن تحمل الزوجة وتجىء بولد !!

ولو أن الدكتور الذى أجاب عن السؤال كان يهمـه التحوط لأمر دينه ،

وللأنساب التى يحرص الاسلام على الحفاظ عليها وعدم اختلاطها ، لكان له جواب غير هذا الجواب . .

اننى أعرف أن بعض البيوت تعيش فى سعادة ، ولا ينقصها لكى تكمل سعادتها الا أن يدرج فيها وليد وقد يكون السبب من الزوج ومع ذلك تظل الزوجة وفية له ، محافظة على عشرته ، وهنا تظهر المشكلة ، وتشرئب النفوس الى طريقة لعلاجها . .

هناك زوجات يتحايلن ويظهرن أنهن حوامل ثم تعمل بحيلها للحصول على طفل وليد تدعى انه وليدها ، وتدخل الحيلة على الزوج .

وهناك من قد تدفعها الرغبة فى الولد الى سلوك الطريق الشائن وترتكب الوزر وتأتى بولد قد تخدع الزوج بأنه ابنه .

ولا شك أن كلا الطريقين جرم تبوء به المرأة أمام الله وعليها وزره وهناك من تتعفف عن هذا وذاك وتلجأ الى التلقيح الصناعى . . وهى الطريقة التى كانت موضع السؤال والجواب فى المجلة الطبية !!

وجواب الدكتور فى المجلة يشبه تماما ما جاء فى بعض القوانين الخاصة بارتكاب الزنا أو جاء متمشيا معها حيث أن هذه القوانين لا تعاقب الطرفين ما دام الامر قد تم برضاهما فى بعض الحالات !!

فسيادته قد أفتى فتوى فرنسية لا فتوى اسلامية !!

والا لو فكر قليلا وتروى لأمكنه أن يصل بطريق عقله الى أن التلقيح الصناعى له حالتان :

الحالة الاولى : أن يتم بمادة ليست مأخوذة من الزوج بل من رجل آخر لأن مادة الزوج غير صالحة للاخصاب وهذه الحالة لا فرق بينها وبين الاتصال الجنسى المباشر بالرجل الآخر من حيث النتيجة ، فالولد ليس له صلة ما بالزوج . فكيف يمكن عقلا أن ينسب اليه ويكون ابنه ويأخذ حكم الابناء ؟! . . ودعونا من الشهوة فهى شىء وقتى وعارض ، ومن العلم وعدم العلم فهذا لا أثر له فى الموضوع . الامر فى هذا واضح لكل من يحكم عقله . وهو الذى يحكم به الاسلام ويعلن أن هذه الطريق حرام ولا يمكن نسبة الولد الى الزوج .

الحالة الثانية : أن تكون مادة الزوج صالحة للاخصاب ولكنه لأمر ما لم تحمل الزوجة منه مع خلوها من موانع الحمل . ورأى الأطباء المختصون أنه قد يتم الحمل بطريق التلقيح الصناعى بواسطة مادة تؤخذ من الزوج نفسه . . وهذه لا مانع من تجربتها فلو نجحت كان الولد شرعيا وابنا حقيقيا للزوج له حكم الابناء الشرعيين . .

هذا هو الحكم الشرعى وهو الذى يهتدى اليه العقلاء بفطرتهم السليمة البعيدة عن المؤثرات الغريبة . . ولا أدرى ماذا يكون موقف (صاحب الفتوى) لو أخذ هو دور (الزوج العاجز) عن الاخصاب . هل كان يقبل أن تحمل زوجته بمادة رجل آخر ويرى أن الولد ولده ؟!!

كنت أود أن تقتصر المجلة الطبية على الفتاوى الطبية ولا تدس انفها فى غير اختصاصها وتفتى فى الاحكام الشرعية بغير علم فتضل وتضل . .

ماذا يكون موقف المجلة الطبية لو أصدرت أنا فتوى طبية ونشرتها على الناس ؟

أما كانت تنبرى لى وتتهمنى بالدجل وتضليل الناس في الطب وتعريض حياتهم للخطر ؟!

وهذه مشكلة أخرى تحملها الينا رسالة من الاخ ط. ع من العراق وهى فى

الحقيقة مأساة تعيش فيها أسرته بسبب تصرف والده الذى يبلغ من العمر سبعين سنة وتصرفهم معه كذلك . وأرجو القارىء أن يعفينا من ذكر التفاصيل اكتفاء بما يفهمه من الجواب .

ونقول للأخ ط. ع. قرأنا رسالتك بامعان وتأثرنا كل التأثر للحالة النفسية التى تعيشون فيها بسبب تصرف الوالد . ومع ذلك فقد كنا نود ان تنظر أنت واخوتك واخواتك ووالدتك لتصرف الوالد على ضوء الظروف التى تلمسونها والتى ذكرتم لنا شيئا منها . . فالوالد — كما ذكرتم — يبلغ من العمر سبعين سنة ويصاب كل سنة « بحالة مرضية عقلية فى فصل الربيع ولا يشفى منها الا بذهابه للمستشفى » فهو اذن مريض مرضا عقليا وما تتصورونه انتم أو المستشفى من شفائه التام من هذا المرض أمر مبالغ فيه . . فاذا كانت تذهب عنه بعض الاعراض بعلاجه بالصدمات الكهربائية فى المستشفى فان المرض لا يزال موجودا بصورة اخرى ولذلك يعاوده ويشتد عليه كل ربيع كما تقول . . وتصرفاته هذه التى ذكرتها هى أكبر دليل على أنه لا يزال مريضا بعقله اذ لا يقبل على مثل هذه التصرفات انسان وهو سليم العقل .

فلماذا تحاسبون الوالد على تصرفاته كما تحاسبون رجلا عاقلا ؟ . . وترتبون على هذه التصرفات ما ترتبون مما ينغص عليكم حياتكم . . ويقضى على الاسرة ويشتت شملها ويسىء اليها والى سمعتها ؟ ثم تستثيرك هذه التصرفات الى حد انك تفكر فى الاقدام على جريمة القتل . . **وقتل من ؟! قتل الوالد . . لا لشىء الا لأنه مجنون سلبه الله نعمة العقل .**

واذا كان قد حرم نعمة العقل فتصرف هذه التصرفات الشاذة فلماذا لا تتصرفون أنتم تصرف العقلاء فبدلا من أن تحملوا تصرفاته محمل الجد كنتم ترونها عارضا من عوارض الجنون فترثون لحاله ، وتسرعون لعلاجه . . وكان على اختك الكبيرة أن تسارع فتخبر والدتها بهذا العارض وتتدبروا جميعا أمركم وتسارعوا لعلاجه بدلا من أن تسكت وتخفى الأمر عنكم ويتكرر منه هذا التصرف الشاذ وتصدم هذه الاخت وتصاب هى الاخرى بحالة نفسية . .

ان الخطأ خطؤكم . . خطؤكم فى اهمال علاج الوالد ثم محاسبته على تصرفاته حساب العقلاء . والوالد . . والد . . أحاطه الله بعنايته وأمر ببره وتكريمه والعناية به ولا سيما اذا كبر واحتاج الى عناية أبنائه الذين رباهم « اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » . . وتعبير القرآن بقوله (عندك) له مغزاه اذ يدل على أنك أصبحت ترعاه وهو عندك وفى رعايتك فلا بد أن تحوطه بعنايتك كما كان يحوطك وأنت عنده صغير وتحت رعايته . .

فقبل أن تلوموا الوالد المريض الذى بلغ من العمر سبعين سنة . وتحاسبوه ، عليكم أن تحاسبوا أنفسكم وتلوموها على تقصيركم ، وعلى تفكيركم ومحاسبتكم الوالد على أنه فى كامل قواه العقلية . .

وقد عرضنا مشكلتك هذه على الدكتور محمد طلعت مدير مستشفى الامراض العصبية بالكويت فقرر أن ما صدر عن الوالد دليل على أنه فاقد لقواه العقلية وان مرضه العقلى الذى يزوره كل ربيع مستمر معه ولكن على صورة اخرى وانه يحتاج الى علاج مستمر مع اشعاره بالعطف عليه والعناية به .

يا اخ ط. ع. ابحثوا عن الوالد ، وادخلوه المستشفى وحوطوه برعايتكم فهو فى آخر أيامه . وفى أشد الحاجة للعناية والرعاية . وأنت رجل متدين تخشى الله . والله معكم . .

حول مقال

حصار المسلمين في شِعب أبي طالب

سبق أن نشرنا في العدد السابع والعشرين من المجلة مقالا للشيخ عبد الرحمن الصوالحي تحت عنوان « حصار المسلمين في شعب أبي طالب » ، وقد أرسل الينا الاستاذ محمد المجذوب ملاحظات على هذا الموضوع ، بعثنا بها الى السيد كاتب المقال الذى قام بالرد على هذه الملاحظات ، وننشر فيما يلي الملاحظات والرد عليها .

الملاحظـــات

****

قال الأستاذ محمد المجذوب :

قرأت مقالة الشيخ عبد الرحمن الصوالحي في عدد ربيع الأول ١٣٨٧ من الوعي ، وهـي التي جعلتم عنوانها (حصار المسلمين في شعب أبي طالب) فوقعت فيها على بعض الهفوات لعلها فاتت قلم الكاتب دون انتباه ، فرأيت أن أتداركها بهذه الأسطر التي أرجو نشرها خدمة للتاريخ الاسلامي .

١ ــ ذكر الكاتب في فقرة (امداد المسلمين سرا) اسم حكيم بن عدي ابن أخي خديجة .. والصحيح انه حكيم بن حزام ويكنى أبا خالد القرشي الأسدي وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين ، كما حققه صاحب المشكاة .

٢ ــ وقال الكاتب في الفقرة (الأرضة تأكل الحلف) « توصل أحد أصدقاء الرسول الى الكشف عن وثيقة حلف المقاطعة فوجد الأرضة قد أكلت كلماتها ! .. » وهي رواية غريبة لا تعرف عن أي من كتاب السيرة ومؤرخيها .. ولعلها وثبت الى قلمه عن طريق أحد المستشرقين دون انتباه ، اذ المعروف بما يشبه الاجماع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ذلك عن طريق الوحي ، فأخبر به عمه أبا طالب ، فأنبأ أبو طالب به قريشا .. ولا يشفع بهذه الهفوة اشارة الكاتب الى رواية ابن هشام هذه ، بدليل ما ينسبه بعد ذلك الى أبي طالب ، اذ يجعله يقول لقريش : (قد وصلني أن وثيقتكم قد أكلتها الحشرات فاكتشفوا عنها ، حتى اذا تحقق قولي كان عليكم أن تكفوا عن مقاطعتكم ، وان لم يتحقق فاني أعدكم بتسليم ابن أخي اليكم تفعلون به ما تريدون) .

وها هنا أمران « أولا أن أبا طالب لم يقل هذا الكلام قط ، بل أن الروايات متضافرة على أنه قال : ــ كما في طبقات ابن سعد ــ (ان ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط ان الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فلحست كل ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم ، وبقي منها كل ما ذكر به الله ، فان كان ابن أخي صادقا نزعتم عن سوء رأيكم ، وان كان كاذبا دفعته اليكم ..) وقد تختلف بعض الكلمات

بين رواية وأخرى ولكنها لا تخرج عن هـــذا المعنى أبدا .

ثانيا « ان مجرد وصول خبر عن أي طريق غير الوحي لا يمكن أن يدفع أبا طالب الـى المغامرة بمصير محمد صلى الله عليه وسلـم وهو أحب اليه من نفسه ، بل المعقول فقط أن يفعل ذلك اذا اعتمد على خبر المعصوم دون غيره لما جربه من صدقه .. وكلا الأمرين كاف للقطع برد ذلك التعليل الشخصي ، وما نسب الى أبى طالب من كلام لا يدخل في عقل أنـه قاله . ومع ذلك فسنكون شاكريـن للسيـد الكاتب اذا سمى لنا المصـــدر المحترم الذي أخذ عنه كلا الخبرين ، لأن الموضوع مـــن النوع الذي لا يقبل الا معتمدا على السنـد

٣ ـ كذلك في عبارة الكاتب ما يقطع بأن الحشرة قد أكلت الصحيفة كلها أو كل كلماتها ، والمعلوم من الروايات المعتبرة أن الذي أكل أو لحس انما هو كلمات الظلم فقط دون اسم الله وهو الظاهر من قول أبي طالب الذي نقلنـــاه آنفا ..

٤ ـ ويروى الكاتب في فقرة (تشجع الباقون بهذه المعجزة) ان أبا لهب هو الذي رد علـى زهير بن أمية دعوته الى نقض الصحيفة .. وكرر ذلك في الفقرة التالية أيضـــا اذ قـــال « فطأطأ أبو لهب رأسه .. » والقارىء الذي يتتبع الموضوع في مظانه التاريخية لا يجد ذكرا لأبى لهب في هذا الموقف وانما كان صاحـب الرد هو أبا جهل كما أشـــار الى ذلك ابن هشام وغيره .

وهذا هو رد الشيخ الصوالحـي

■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■■

ننشره كما هو : ـ

■■■■■■■■■■■■■■

اطلعت على ملاحظـــات الأستـــاذ محمـد المجذوب بخصوص مقالي المنشور في المجلـه تحت عنوان (حصار المسلمين في شعب أبي طالب) في عدد ربيع الأول سنة ١٣٨٧ والمحول الى بخطاب من ادارة المجلة الغراء .

واليكم الرد على هذه الملاحظات .

حصر الأستاذ المجذوب ملاحظاته على المقال المذكور في ثلاثة أمور :

فيما ذكر عن اسم حكيم ابن أخت خديجـة بنت خويلد زوج الرسول عليه السلام .

ثانيا . في حقيقة العبارات والجمل التـي جاءت في كتب السيرة عن واقعة أكل الأرضة لكل ما في الصحيفة أو بعضها .

ثالثا : عن أن أبا لهب لم يحضر شيئا من تفاصيل هذه الحوادث التي تضمنتها قصـــة الحصار وما يدور حولها .

ونرد على ذلك بترتيب ما ذكـــره الأستـــاذ المجذوب فنقول :

أولا : عن اسم حكيم بن حزام أن اسمه ذكر خطأ على أنه حكيم بن عدى مع شكرنا للأستاذ المجذوب الذي نبهنا الى ذلك . وقد كان هذا الخطأ سبق قلم أو اشتباه نسب بين حكيـم ابن حزام ـ ومطعم بن عدى الذي كان حاضرا تفاصيل واقعة الحصار .

ثانيا : عن حقيقة الجمل والعبارات التـي رويت بها قصة الحصار بتفاصيلها ،

١ ـ فكلنا نعلم أن كتب السيرة المعتمد عليها في تفاصيل هذه الوقائع كلها معتمـدة علـى الروايات الكثيرة المختلفة ، ولا ضير في ذلك ينقص من قيمتها ، لأن هذه الروايات مـــع اختلافها معتمدة في كتب الأحاديث الصحيحة ، بل ان الأستاذ المجـذوب يسلـم بذلـك في ملاحظاته .

حول مقال حصار المسلمين

****

****

****

على أن ذلك لا يعفينا ويبرىء ساحتنا اذا لم نذكر المصدر الذي نقلنا عنه ، وهذا المصدر هو كتاب الدكتور محمد مصطفى زيادة أستاذ التاريخ الاسلامي بجامعة فؤاد (جامعة القاهرة حاليا) طبع دار الطباعة الحديثة سنة ١٣٥٣ هـ - سنة ١٩٣٤ م .

حيث ذكر الدكتور زيادة ما قلناه بالنص في كتابه ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ وهو ما يطالب به الأستاذ المجذوب لبراءة ذمتنا .

وكان علينا كناقلين لرواية تاريخية أن نلتزم بالنقل عن دكتور وأستاذ في التاريخ الاسلامي عملا بالأمانة العلمية . فضلا عن أن الدكتور زيادة أشار في ص ٥٩ من مذكراته ، ص ٦٣ بعد انتهاء قوله في الكلام عن موضوع الحصار ، أشار الى الكتب والمصادر التي نقل عنها بحثه حيث ذكر في ص ٥٩ من كتابه الى أن مرجعه في ذلك هو سيرة ابن هشام ص ٢٨٩ والواقدي من غير أن يدون رقم الصفحة عن الواقدي . كما أشار الى مصادر بحثه في ص ٦٣ الى ابن سعد ص ٢٤١ - والطبرى جزء أول ص ١١٧٠ وابن هشام ٢٣٣ .

٢ - أما استبعاد تسليم أبى طالب لابن أخيه عليه السلام اعتمادا على رواية شخص - استبعاد ذلك عقلا مردود ومع ذلك فقد ذكرنا عن رواية ابن هشام أن ذلك كان وحيا للنبى من أن الأرضة أكلت الصحيفة .

٣ - كما أن أبا طالب لم يكن مسلما يؤمن بالوحى حتى يكون لهذا الخبر قيمته عنده اذا نسب للوحي .

٤ - ما ذكره الأستاذ المجذوب من ان كلام النبي مصدق عنده لا دخل له في عدم تسليم ابن أخيه ، وانما الذي له دخل هو محبته لابن أخيه وعصبيته له ، وهو ما دعاه لحمايته طول عمره .

٥ - على أن العبرة بالنتيجة وهو عدم تسليم ابن أخيه لأن تسليمه معلق على أن الأرضة لم تأكل الصحيفة أو لم تأكل بعضها على اختلاف في الروايات . وما دام أبو طالب قد تأكد من أن الأرضة أكلت ما في الصحيفة فتسليم النبي لن يتم . واذا فلا داعي للافتراض والتخمين في أنه كيف يسلم ابن خيه بناء على رواية شخص لا سند لها من وحي أو من قول الرسول عليه السلام . (!!)

ثالثا : بقي أن أبا لهب حضر هذه الوقائع في قصة الحصار أم لا .

ونحن نجزم بأن أبا لهب حضر وقائع هذه القصة وننفي غيابه بدليل ما يأتي .

١ - ما ذكره الدكتور زيادة في كتابه نقلا عن كتب السيرة .

٢ - غير معقول أن يتخلف أبو لهب عن مجرى الأمور في موضوع يتصل بمصير الاسلام والشرك ، ومصير المسلمين والمشركين ، وكان معروفا بشدة عدائه للاسلام والمسلمين .

٣ - نغلب الظن أن الأستاذ المجذوب اشتبه عليه تخلف أبى لهب دون بني هاشم جميعا في مشاركتهم في حصارهم في الشعب اشتبه عليه ذلك ، فنسب الى أبي لهب أنه تخلف أيضا عن حضور حوادث فك الحصار رغم ما ذكرته كتب السيرة عن حضوره .

الفتاوى

التعصيب

السؤال :

لماذا لا يعصب ابن الاخ اخته فى الميراث ـ ولماذا لا يحجبها ؟

زكى محمد

بصرة ـ سوق الدجاج

الاجابة :

التعصيب النسبى ثلاثة اقسام :

الاول : العصبة بالنفس : والعاصب بنفسه هو كل قريب للمتوفى من الذكور لا تدخل فى نسبته اليه انثى .

الثانى : العصبة بالغير : وهى كل انثى صاحبة فرض احتاجت فى عصوبتها الى الغير وشاركت ذلك الغير فى تلك العصوبة وهن اربعة : البنت وبنت الابن والاخت الشقيقة والاخت لأب ، وذلك كالبنت مع الابن ، وبنت الابن مع ابن الابن والاخ الشقيق مع اخته الشقيقة والاخ لأب مع اخته لأب .

الثالث : العصبة مع الغير : وهى كل انثى صاحبة فرض احتاجت فى عصوبتها الى الغير ولم يشاركها ذلك الغير فى العصوبة . وهما اثنان فقط : الاخت الشقيقة والاخت لأب كالبنت أو بنت الابن مع الاخت ، فان البنت تأخذ فرضها والاخت تأخذ ما بقى من أصحاب الفروض بالتعصيب .

ويظهر مما تقدم أن التعصيب بالغير انما يتحقق لانثى صاحبة فرض بعاصب نسبى ، فاذا لم تكن صاحبة فرض لا تعصب بمن فى درجتها وقوتها من العصبة النسبية . ولهذا لا تعصب بنت الاخ بابن الاخ لانها ليست صاحبة فرض بل هى من ذوى الارحام ، وأيضا لا يحجبها لانها فى درجته وهى غير وارثة متى وجد صاحب فرض أو عاصب .

ولذلك نجيب :

بان ابن الاخ لا يعصب اخته لكونها ليست صاحبة فرض مطلقا ، ولا يحجبها لانها غير وارثة متى وجد صاحب فرض أو عاصب .

في الرضاع

السؤال :

تزوجت من امرأة كان أبوها قد رضع من والدتى ، وقالت والدتى أن عدد الرضعات مرتان أو ثلاث مرات .

فما حكم الشريعة ؟

مصباح عبد العزيز عبد القادر

الاجابة :

بما أن والد زوجتك لم يرضع من والدتك سوى ثلاث رضعات ، والذى عليه الفتوى أن الرضاع

المحرم هو خمس رضعات متفرقات مشبعات على ما ذهب اليه الامام الشافعي .
فاننا نجيبك :
بأن الرضاع المذكور لا يوجب الحرمة شرعا عليك ولا يجب التفريق بينك وبين زوجتك .

في الميراث

السؤال :
أولا : مات شخص عن :
ابن وزوجة وأخت شقيقة وأخ لأب .
ثانيا : ثم ماتت الاخت الشقيقة عن :
أخ لأب وابن أخ شقيق .
فما نصيب كل وارث ؟

سالم العريمي
شركة الشريعان ــ الكويت

الاجابة :

أولا : بوفاة المتوفى الاول عن ابنه وزوجته وأخته الشقيقة وأخيه لأبيه يكون توزيع تركته على الوجه التالي :

للزوجة الثمن فرضا والباقي للابن تعصيبا ولا شيء للاخت الشقيقة والاخ لأب .

ثانيا : بوفاة الثانية الاخت الشقيقة عن :

أخ لأب ، وابن أخ شقيق ، تكون تركتها جميعها لأخيها لأبيها ولا شيء لابن الاخ الشقيق ، لأن الاخ أقرب درجة من ابن الاخ .

في الوصية

السؤال :

أوصى أ٠ م٠ ر٠ اخاه ر٠ م٠ ر٠ على ثلث ماله من جميع مخلفاته لصرفه في وجوه الخيرات والمبرات وعمل الاحسان ، وفي كل عمل خير يعود نفعه على الموصي بعد موته ــ وقد توفي الموصي .

وقد صرف الوصي بعض الثلث على اعمال الخير وشئون بعض الاقرباء المستحقين من العائلة ــ وفي ــ خلال الفترة الماضية واجه ضغطا من الورثة برغبتهم في توزيع الثلث وهو يود القيام بتوزيع القسم الاكبر من الثلث على جميع الورثة كل بنسبة حصته مع ابقاء قسم صغير للصرف منه على أعمال الخير .

فهل يجوز ذلك شرعا ؟

م٠ ع ــ الكويت

الاجابة :

الوصية شرعا تمليك مضاف الى ما بعد الموت ــ وهي من الاحكام الشرعية التي ورد بها القرآن الكريم قال تعالى (كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه) .

وبما أن الوصية تمليك مضاف الى ما بعد الموت فتكون لازمة وتامة بموت الموصي ومن ثم تنتقل ملكية الثلث الموصى به الى الموصى لهم واختيار وصي من الموصي للقيام على تنفيذ وصيته بعد موته لا يجعل له حقا في تغيير مصرفها ، لأن الموصي نفسه حدد المصرف وأصبح القدر الموصى به ملكا للجهات الموصى اليها ، فهو ليس الا منفذا لشرط الموصي ويلزمه أن يكون أمينا في ذلك .

ولا مانع شرعا أن يعطى الفقراء المحتاجين من الورثة حسب حاجتهم الضرورية ويفضلون على غيرهم من الفقراء ولو يستغرق ذلك الثلث ، أما اذا كانوا غير محتاجين فلا يصح اعطاؤهم شيئا من الثلث والله أعلم .



اشراف رضوان البيلـي

اول جمعة في الاسلام

بعث الاخ مسلم الرشيد من العراق رسالة يســـأل فيها عن أول جمعة اقيمت فى الاسلام واين أقيمت ، ومتى ، ومن خطيب القوم وامامهم فيها ؟

وأول جمعة أقيمت فى الاسلام لم تقم بالمسـجد الحرام بمكة ، ولا فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، ولم يكن خطيب المسلمين وامامهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن اقامتها بعد فرضـــها مباشرة . بل لبث المسلمون فترة طويلة لا يقيمون صلاة الجمعة مع أنها كانت مفروضة عليهم ، وذلك لعدم تمكنهم من ادائها . فقد كان فرض صلاة الجمعة مع فرض الصلوات ليلة الاسراء والمعراج ، وذلك قبل الهجرة بسنة واحدة ، ولـكن رسول الله ومعه المسلمون لم يستطيعوا أن يقيموا هذه الشعيرة الجامعة بمكة لانها تعتمد على اجتماع المسلمين ، وتذكيرهم بالله بالقاء خطبتين قبل الصلاة ، وهذا أمر يحتاج الى العلانية ، ولم تكن ميســـورة ولا مأمونة فى هــذا الوقت ، لأن المسلمين كانوا يواجهون فى هذه الفترة من ظروف الاضـــطهاد والارهاب ما يحول بينهم وبين اقامة هذه الفريضة .

وحدث بعد بيعة العقبة الثانية أن أرسل رسول الله قبل هجرته أسعد بن زرارة الى المدينة مع المبايعين من أهلها ، وعقد له لواء الامامة فيها ، فجمعهم أسعد ، وصلى بهم الجمعة بعد أن خطبهم وذكرهم بالله ، ثم ذبح لهم شـــاة للغداء ، وأخرى للعشاء وكانوا أربعين رجلا . وهـــذه أول جمعة تقام فى الاسلام ، وقد أقيمت فى مكان يســمى هزم النبيت وهو يبعد عن المدينة بنحو ميل .

ولما خرج رسول الله ــ بعد ذلك ــ من مكة مهاجرا ، وصل الى قباء ، ونزل فى بنى عمرو بن عوف ، وأسس مسجدهم الذى يقول الله فيه « لمسجد

اسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقـــوم فيه ، فيه رجال يحبـــون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » . وقد أقام فى قبــاء أيام الاثنين والثــلاثاء والاربعاء والخميس ، وغادرها يوم الجمعة فادركه وقتها فى وادى ســـالم بن عوف فصلاها الرســـول مع أصحابه فى بطن وادى رانوناء بعد أن قام فيهم خطيبا ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

أما بعد : أيها الناس ، فقدموا لانفسكم تعلمن ، والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقــولن له ربه ليس له ترجمان ، ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا ، وافضلت عليه ، فما قدمت لنفسك . فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يتقى بوجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى ســـــبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فهذه أول جمعة صلاها رسول الله ، وهذه أول خطبة خطبها للصلاة .

لقمان الحكيم

والأخ سعدون الانصارى من الظهران يســـــتفسر عن لقمان الذى سميت السورة باســـــمه فى القرآن الـــكريم : هل هو نبى من الانبياء ، أو ولى من الاولياء ؟

ونجيب الأخ سعدون بأن المؤرخين اختلفوا فى شأن لقمان ، فمنهم من قال انه نبى ومنهم من قال انه عبد صالح ، والجمـــهور على أنه حـــكيم عرف فى الجاهلية قبل أن يعرف فى الاسلام ، وتنسب اليه حكم وأمثال شـــتى ، وفى سورة لقمان ما يشهد له بذلك ، قال سبحانه « ولقد آتينا لقمان الحـــكمة » ووصيته لابنه فى هذه السورة تشهد له بسداد الفكر وصـــواب الرأى ورجحان العقل .

ومما أثر عنه ما رواه ابن جرير قال : كان لقمان عبدا حبشــــيا نجارا ، فقال له مولاه ، اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها ، فقال له : اخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال له : اذبح لنا هذه الشاة فذبحها ، فقال له : اخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرجهما .. فسئل عن ذلك ، فقال لقمان : أنه ليس من شىء أطيب منهما اذا طابا ، ولا أخبث منهما اذا خبثا .

علينا رسول الله بحياة ابيك .. فالنبى أرحم الناس بالمسلمين .. وطالما عفا عن كثير .. (يتجهان الى خيمة رسول الله) .

المنظـر الرابـع

المنظر السابق .. زيد بن أرقم وهلال بن امية لا يزالان في موضعهما .. ابن ابن ابى واسيد بن حضير يقبلان ناحيتهما .. ويجلسان الى جوارهما ..

زيـد : ترى ما كان بينكما وبين رسول الله .

ابن ابن ابى : دخلت على النبى ولم يكن معـه غير صاحبه ابى بكـر .. وتقدمت من مجلسه .. وفى عينى دموع لم أستطع ان احبسها .. وقلت فى كلمات صادق .. وايمان عميق يا رسول الله .. انه بلغنى انك تريد قتل ابى فيما بلغك عنه .. فان كنت فاعلا .. فمرنى به .. فأنا أحمل اليك راسه .. فوالله لقد علمت الخزرج .. ما كان بها من رجل أبر بوالده منى .. وانى لأخشى ان تأمر به غيرى فيقتله .. فلا تدعنى نفسى انظر الى قاتل ابى .. يمشى في النـاس فأقتله .. فأقتل رجلا مؤمنا بكافر .. فادخل النار ..

أسيد : لم أتمالك نفسى عندما سمعت هذا الحديث الا ان اتجه الى رسول الله وصاحبه الصديق ورحت اشهد أمامهما بهذا الموقف الذى يقفـه ابن هـذا المنافق .. لقد اضطربت في قلبه عوامل البر بأبيه وصدق ايمانه .. والنخـوة العربية والحرص على سكينة المسلمين .. حتى لا تتواتر الثارات بينهم .. انه لا يطالب الا بقتل ابيه.. لأنه يؤمن أن النبى عندما يأمر بالقتل انما يصدع لأمر ربه.. كل ما يريده أن يحمل هو رأس ابيه الى النبى حتى ..

ابن ابن ابى : (مكملا الحديث) لا يدفعنى حبى لأبى والبر به الى قتل من قتله .. فأكون بذلك قد قتلت مؤمنا بكافر .. عندئذ سيكون مصيرى نار جهنم ..

زيـد : يا لروعة ايمانك .. وصدق اسلامك .. انك والله لتضرب الأمثال للمسلمين أن ايمانك بالله اقوى من برك لأبيك ..واعظم من حبك له ..

ابن ابن ابى : (في تواضع) لم أفعل غير ما يفعله أى انسان يحب اللـه ورسوله .. وقست عليه الظروف .. فوضعته في موقف كله صراع بين الحـق والباطل .. وبين الايمان وعاطفة البر بالأب .. والحرص على وأد الفتنة بـين المسلمين قبل مولدها .. وقد هدانى الله للتمسك بالايمان .. وكـان جـزاؤه كبـيرا ..

زيـد : (مرددا في لهفة) جزاؤه كبيرا .. ترى ماذا كان ؟

ابن ابن ابى : ما أن انتهيت من حديثى لرسول الله حتى اطرق براسه قليلا .. ثم التفت الى وعلى فمه ابتسامة مشرقة وقال « انا لا نقتله » .. لم اصـدق اذناى .. فعاودت السؤال كثيرا .. أحقا لن تقتل ابى يا رسول الله .. أحقا لن تقتل أبى يا رسول الله ..

زيـد : ما كان جوابه ؟

ابن ابن أبى : (ربت بيده الشريفة على كتفى وقال) انا لن نقتله .. بـل نترفق به .. ونحسن صحبته ما بقى معنا ..

« ستار ختـام »

قالت صحف العالم

الدين

نشرت مجلة الشباب البيروتية مقالا تحت هذا العنوان نقتطف منه ما يأتى :

لقد كان لنا مع عدونا جولات ثلاث ، تعلمنا خلالها أن عدونا لدود ، وانه يصدر فى اعتدائه علينا وتصديه لنا عن « عقيدة » ملأت نفسه وملكت عليه جوارحه ، بغض النظر عن صـلاح هذه العقيدة أو فسادها . وقد أفلحت الصهيونية العالمية فى حمل يهود العالم على أن يضـعوا تحت تصرفها كل ما يملكون فى سبيل أن تقيم لهم « دولة » على أرض الميعـاد التى تمتد من النيل الى الفرات ، وأن تعيد بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الاقصى .

المحارب اليهودى يقاتل اذن فى سبيل عقيدة ، يهاجر من أجلها من أطراف الدنيا لينتصر بها أو يموت ، وهذا النوع من المحاربين لا يستطيع الصمود له الا جنود عقيدة ، لا يحـاربون فقط لنصرة جارة صديقة ، أو ازالة قاعدة للامبريالية العالمية .. وما الى ذلك ، وانما يحاربون للدفاع عن مقدسات تنتهك حرماتها ، وعن حق شعب مؤمن تربطهم به وشيجة العقيدة فى أن يعيش على أرضه عزيزا كريما .. وهنا ، اذا ما قضى الجندى فى المعركة فانما يقضى شهيدا ينتظره مقام الشهداء ، ولن يعرف الخذلان الى نفسه سبيلا .

يجب مراجعة الحساب

ومن مقال تحت هذا العنوان كتبت مجلة « السياسة » الكويتية تقول :

قد يقول قائل متسائلا : ما الفائدة من سرد الاخطاء الماضية ؟ عفا الله عما مضى ؟ والجواب ان هذا صحيح ، لكن اذا كان الله عفى عما مضى ، فانه لا يعفو عما سيأتى . واذن يجب مراجعة الحسـاب ، والاخطاء ليست حوادث مضت وانتهت . الاخطاء هى أعمال وأفعال تحمل هويتنا وطابعنا ، وانها تشكل تاريخنا الذى ننطلق منه الى مستقبلنا .

الاخطاء عثرات وحفر ، واذا كنا لا نرى الحفر جيدا فاننا لا نقدر أن نتجنبها أبدا ..

واذن لنفتح أعيننا وقلوبنا جيدا على هذه الاخطاء ، لا لتتسـلط علينا عقدة الذنب والاثم ، بل لتأخذنا صحوة العظة والعبرة ، ولا لنتهم أو ندين بعضنا بعضا ، بل لنعقد مصـالحة عامة شاملة تضعنا فى البداية الصحيحة للطريق الصحيح ، نتصالح مع أنفسنا مع بعضنا ومع العالم .

يجب دائما ان نذكر هذه الاخطاء ، ويجب أن نذكرها بالخير مع الاسى ، بل يجب أن نتعاطف مع هذه الاخطاء .

قلت سابقا ان الاخطاء اعمال وأفعال تحمل هوية اصحابها .

اذن الاخطاء كائنات حية ، بل انها كائنات مريضة معتلة ، وازالة المرض تكون بالعناية والدراية والحكمة .

أخطاؤنا هى أعمالنا التى فرطنا فيها ، ولم ناخذ بالنا منها .

كمثل الأم التى تهمل احد ابنـــائها فيمرض ، ويعتل ويحتـــاج الامر الى الطبيب ، ويحتاج الى سهر الام ، فتتالم وتحزن وتذرف الدمع السخين .

لقد أصبنا فى الآونة الاخيرة بنكسة مصـــيرية وجودية لأن اخطاءنا هى اخطاء مصيرية وجودية .

هذه الاخطاء كان من اسبابها الاولى نقص فى العلم او انحراف فى العلم عن اهدافه ،وكان من اسبابها نقص فى الثقة أوفساد الثقة . ولو أردنا أن نعدد الاسباب لبلغت بنا القائمة امتارا ، انما يمكن ان نلخص هذه الاسباب ونضع لها عنوانا موحداً ، هو المعرفة والحرية .

الفدائيون

وتتحدث صحيفة الاخبار القاهرية عن أعمال الفدائيين فتقول :

قبل ٥ يونيو كانت اسرائيل تشكو من أعمال الفدائيين ، وكانت تزعم أنهم يتسللون اليها من سوريا ، وطالما وجه زعماؤها وســـــاستها التهديدات الى سوريا ، ثم بلغت هذه التهديدات قمتها بقولهم انهم سيهاجمونها . وكان ظنهم ان مهاجمة سوريا ستريحهم من اعمال الفدائيين ، وســـتكفل لهم الامن داخل اسرائيل . وها هم قد هاجموا لا ســـوريا وحدها ولكنهم هاجموا معها الاردن والجمهورية العربية المتحـــدة ، واحتلت قواتهم أراضى جديدة من الاراضى العربية ، فهل كف الفدائيون عن العمل ، وهل أمنت اسرائيل ؟

الجواب نعرفه مما تذيعه وكالات الانبـــاء ومما يذيعه المســـئولون الاسرائيليون انفسهم .. لقد امتدت أعمال الفدائيين حتى بلغت قلب اسرائيل ، واشتدت حتى أصبحت أشبه بالمعارك الحربية بينهم وبين القوات الاسرائيلية ، وما من مكان سواء فى اسرائيل أو فى الارض العربية التى احتلتها بعد يوم ٥ يونيو يمكن أن يعد آمنا ، ويستطيع الاسرائيليون أن يسيروا فيه أو يعملوا من غير حراسة ومن غير حذر شديد .

الحرب اذن ليست ســـبيل الامن لاسرائيل ، واحتلال الارض ليس هو سبيلا للامن ، واذا أرادت اسرائيل أن تلتمس السبيل الصحيح للامن فعليها ان تسأل نفسها أولا ، لماذا يرفض العرب وجودها ؟ فاذا استطاعت أن تجيب على هذا السؤال اجابة صادقة تتفق مع الواقع ، فستعرف ان لا ســـبيل لها كى تشعر بالامن ابدا ، لانها جسم غريب أقحم على كيان لم يســتطع هضمه ولا امتصاصه طوال عشرين سنة ماضية ، ولا يمكن هضمه ولا امتصـــاصه مهما يطل الامد ، لأن الجسم الغريب بطبيعته مرفوض .

هذه حقيقة يحسن أن تعرفها اسرائيل ، فلا تذهب فى خيـــال بعيد عن الواقع ، ان الحرب لا تحل المشكلات ، والعدوان ليس ســـبيلا للســـلام ، واغتصاب أرض الآخرين وحقوقهم وديارهم جرح لن يندمل ابداً .

بأقـــلام القـــرّاء

يعبرون فيه عن افكارهم دون أن تلتزم المجلة بآرائهم ..

التراث الحـافل

ويتحدث الاستاذ زيد بن فياض مدير عام المكتبات بالسعودية تحت هذا العنوان فيقول :

التراث الحـــافل

فى المؤلفات التى خلفها الاقدمون ثروة هائلة ، وكنوز ثمينة ، وثقافة رصينة ، وفيها من العلوم والآداب والثقافات المتنوعة ما لا يمكن حصره ، ولا يطاق استيعابه . وما على المرء الا أن يستفيد من وقته فى مطالعة تلك الكتب ، والاستزادة من مناهلها الثرة ليكون لديه حصيلة طيبة من العلم والمعرفة.

وقد توفرت الوسائل الكثيرة فى العصر الحديث وسهل اقتناء الكتب والبحث والمراجعة وتنمية الثقافة . فآلات الطباعة ، وجودة الورق ، وتزيين الكتب بالترقيم والعلامات والفواصل . والتأنق فى الغلاف والكتابة وسائل جذابة لتشويق القارىء وحثه على الاستزادة من المعرفة .

هذا بالاضافة الى ما وفرته الدول من مدارس ومكتبات ، وما بذلته فى سبيل اعداد التلاميذ وحشد المدرسين وتهيئة الاجواء المريحة . والتسهيلات الكثيرة للوصول الى العلم من أقرب طريق ، وأحسن سبيل .

كل ذلك ينبغى أن يكون حافزا للمرء على الجد فى البحث والقراءة بلا كلل ولا ملل . ومما يؤسف له أن بعض الوسائل العصرية قد استغلت استغلالا سيئا . فبعض الكتاب والصحفيين قد انصرفوا الى نواح تشتت الوقت وتبدد الجهد فى غير طائل أو فيما فيه ضرر على عقلية الانســان وعواطفه .

وذلك ككتب الالحاد والمجون والآراء المخربة وكالصحف والمجلات التى يطمع منشئوها فى الرواج واستثارة الغرائز للوصول الى المال عن طريق افساد الشباب وتفكك المجتمع .. وارضاء النزوات الطائشة .

والمطابع التى تشجع هذا اللون وتسهل انتشاره قد أصبحت بلاء على المجتمع وخطرا يهدد كيانه . واذا فان الانتقاء واختيار الجيد أمران لابد منهما لمن يريد أن يتثقف ثقافة رصينة . ويوسع مداركه وينمى معلوماته .. وان فى الكتب القديمة التى يسميها بعض المكابرين أو الاغبياء الكتب الصفراء — من عظيم الثقافة ما لا يجحده الا منكر للحقيقة ومشبع بالهوى .

ومن المحزن صدوف كثير من الشباب عن هذه الكتب ، وركونهم الى مطالعات الصحف ذات اللون التافه والمواضيع السطحية ، والتى تقتل الوقت وتضيع العمر فى غير فائدة ، وهكذا دواليك يذهب كثير من الشباب ضحية أوهام وتشككات ، وضياع بين المذاهب والنحل ، وميل الى الكسل والتبلد ، بعيدين عن الجد والعزيمة ، والبناء القوى المتماسك ..

واذا كان هناك مربون وأساتذة وغيورون ينادون بالاتجاه نحو الثقافة الصحيحة والابتعـاد عن الصحف والمجلات والكتب الضارة .. فان أصواتهم غالبا تختنق وسط الضجيج والعجيج من المخدوعين والماكرين ..

ومن لازم المربين ورجال العلم ان يبينوا ما يعنيه التخبط من وبال وخسارة على الامة .. وان يرشدوا الى الكنوز القريبة ، والثقافة الجاهزة فى الكتب التى لا تكلف عناء فى طلبها ، ولـكنها تحوى الغذاء الفكرى القويم ، والتى هى امتداد لمجد عظيم يريد المغرضون أن يبعدوا النشء عنـه . حتى لا يعرف اين يتجه ، ولا كيف يسير . ومع ما أصاب المجتمعات الاسلامية من أضرار بعد أن ضلت بها السبل ، فان الامل ما يزال قويا بأن تتضافر الجهود للسير فى الطريق السوى .
فعسى أن تفعل ..

اهلا بمعركة المصير

وتلقينا من الأستاذ أحمد محمد عبد الهادى ـ ج٠ ع٠ م ـ قصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي :

الأرض تغلـي كالسعير ... والبحـر يغمـره الهـدير
والجـو تملـؤه النسـور ... والشعب يدفعـه النفير

أهـلا بمعركـة المصير

اهـلا بمعركـة البقـاء ... ورجـوع أرض الأنبيـاء
وزوال حلـم الأغبيـاء ... وابادة الخصـم الحقير

أهـلا بمعركـة المصير

اهـلا بمعركـة الخـلاص ... ومجيء ساعـات القصـاص
ضربـا وقـذفـا بالرصـاص ... ونصيرنـا المولـى القدير

أهـلا بمعركـة المصير

أهـلا بمعـركـة الخلـود ... وفنـاء أحـلام اليهـود
مـن دنسـوا كل الوجـود ... ولقـد دنا وقت المسير

أهـلا بمعركـة المصير

أهـلا بمعركـة الحيـاة ... سيخوضهـا جنـد الالـه
ضـد الخفـافيش الشـراه ... والمفسديـن ومـن يغير

أهـلا بمعركـة المصير

سنخوض معركـة البقـاء ... مهمـا بذلنـا مـن دمـاء
فالعـرب أوفـى الأوفيـاء ... لعهودهم يـوم النفير

أهـلا بمعركـة المصير



أخبار العالم الإسلامي

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت

● عاد حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فى رعاية الله وحفظه الى الوطن بعد أن قضى فترة للراحة والاستجمام فى الخارج .

● وجه سمو الامير المعظم كلمة سامية بمناسبة الاحتفال بالعيد العالمى لمحو الامية جاء فيها : ان مكافحة الامية هى المنطلق الى التربية وهى التى تفتح أبواب العلم للجميع وهى الدليل الهادى من المتاهة والضلال الى النور واكتشاف الذات .

● صرح معالى الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية أن الامم المتحدة ستفقد فعاليتها ما لم تتبن قرارا يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضى العربية التى احتلتها بعدوانها الاخير .

● تبرعت الكويت بمبلغ ألفى دينار كويتى وكمية من المواد الكيماوية للجمهورية العربية اليمنية لمكافحة الجراد الصحراوى .

● عقد مجلس الامة فى العاشر من أكتوبر ٦٧ جلسة غير عادية فى دور انعقاد غير عادى وافق فيها على الدعم الاقتصادي للدول العربية المتضررة من العدوان الاسرائيلى كما وافق على مد العمل بالاحكام العرفية فى البلاد ثلاثة شهور أخرى . وقد قامت الكويت بتقديم القسط الاول من هذا الدعم .

● بدأت جامعة الكويت عامها الدراسى الثانى يوم ١٤ أكتوبر الماضى بافتتاح كليتين جديدتين هما : كلية الشريعة والقانون وكلية التجارة والاقتصاد فأصبح فيها أربع كليات . والبقية تأتى ان شاء الله .

الجمهورية العربية المتحدة

● تسلمت الحكومة من الكويت والسعودية وليبيا القسط الاول من المبلغ الذى قرره مؤتمر القمة العربى الرابع لمساعدة الدول العربية المتضررة بالعدوان الاسرائيلى .

● استقبل فضيلة شيخ الازهر نائب رئيس المركز الاسلامى فى ولاية كلمنتان بماليزيا الذى سلمه رسالة من رئيس حكومة كلمنتان يطلب فيها دعم المركز الاسلامى حتى تقوم جامعة ماليزيا على نظام جامعة الازهر .

● قرر المجلس الاعلى للفنون والآداب الاحتفال بمرور ١٢٠٠ عاما على وفاة الامامين الجليلين الشافعى وأبى حنيفة بالقاء المحاضرات والبرامج فى الاذاعة والتليفزيون ، وسوف تجمع كل المعلومات عن الامامين الكبيرين كل فى كتاب .

● وجه فضيلة شيخ الازهر بيانا الى أبناء مدن قناة السويس قال فيه أن المؤمن كلما قويت عقيدته وعظم ايمانه هانت أمامه الشدائد واستبسل فى سبيل الله وفى سبيل هدفه الاعظم ، وقال فضيلته ان الاسلام يكره الاستسلام ويأباه فاياكم أن تلين لكم قناة .

المملكة العربية السعودية

● وجه جلالة الملك فيصل نداء الى الشعب والوافدين للمملكة يهيب بهم أن يتمسكوا بشعائر الاسلام وتقاليده .

● واصلت لجنة السلام الثلاثية جهودها لحل مشكلة اليمن وقد اجتمع أعضاء اللجنة مع جلالة الملك فيصل كما أجرت عدة اجتماعات مع المسئولين السعوديين واليمنيين الموجودين فى السعودية .

● نقل سمو الامير خالد بن عبد العزيز ولى العهد رسالة من جلالة الملك فيصل الى الرئيس الفرنسى شارل ديجول وقد بحث ولى العهد والرئيس الفرنسى قضية فلسطين .

الاردن

● زار جلالة الملك حسين القاهرة ـ كما قام جلالته بزيارة الجزائر وذلك ضمن جولة في البلاد الاوربية .

● شكل السيد بهجت التلهونى حكومة جديدة منها ٧ وزراء من الضفة الغربية بينهم الشيخ عبد الحميد السائح الذى أبعدته اسرائيل لتزعمه المقاومة العربية في الضفة الغربية .

العراق

● أصدر الرئيس العراقى عفوا عن الذين اشتركوا فى بعض الاحداث السياسية السابقة ..

● زار العراق الدكتور نور الدين الاتاسى رئيس الدولة فى سوريا وقد جرت مباحثات بين الرئيسين حول الوضع العربى الراهن .

سوريا

● اصبح الانتقال بالبطاقة الشخصية بين العراق وسوريا

● استولت الحكومة على المدارس الخاصة الاجنبية لمعارضتها اشراف الدولة عليها وتدريس المناهج الحكومية فيها .. وبذلك أقامت دليلا جديدا على خطورتها فى البلاد الاسلامية عامة .

السودان

● أعلن وزير الداخلية السودانى أن الوقائع تجمعت لديه على أن القسيس الامريكى مار كرويل يباشر نشاطا عدوانيا ضد السودان وهو فى أثيوبيا !!

لبنان

● توفى الى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ محمد علايا مفتى لبنان السابق بعد عمر طويل قضاه فى خدمة الاسلام والمسلمين . والمجلة تقدم أجمل العزاء لأسرته ، وخلفه ، والاسرة الاسلامية كلها فى لبنان .

● عقد الشيخ عبد الحميد السائح وزير الشئون الدينية والاماكن المقدسة مؤتمرا صحفيا فى بيروت صرح فيه بأن المقاومة العربية فى الضفة الغربية التى تحتلها اسرائيل نابعة من الشعب وليست من الخارج وان الشعب هناك يرفض اقامة حكومة فلسطينيه فى الضفة الغربية .

الجزائر

● احتفلت البلاد يوم ٣١ أكتوبر الماضى بالذكرى الثالثة عشرة لاندلاع الثورة الجزائرية .

تونس

● وضع مؤتمر الاعلام العربى خطة اعلامية جديدة للمرحلة الراهنة وقد أوصى بتخصيص مليونى جنيه استرلينى لهذه الخطة تدفع منها امارات ودول الخليج مليونا وتدفع الدول العربية الاخرى الباقى.

أخبار متفرقة

● باكستان : قام الرئيس أيوب خان بزيارة فرنسا ورومانيا وتركيا وبحث مع الرئيس ديجول قضية فلسطين وطلب شراء أسلحة فرنسية .

● ماليزيا : احتفلت ماليزيا بعيد استقلالها الوطنى وقد هنأ سمو الامير المعظم الملك ناصر الدين شاه بهذه المناسبة .

● شيكاغو : قتل فى شيكاغو السيد سام حمود صبح أحد زعماء الجالية الاسلامية هناك قرب مسجد الامين الذى بناه .

البرازيل : أنشأت الجالية الاسلامية مسجدا كبيرا ومدرسة ثانوية واعدادية وناديا رياضيا وفى سبيل انشاء مستشفى وقد قابل وفد منها فضيلة شيخ الازهر أخيرا .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـــا فى تســـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـــاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـــول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأســـا مع متعهد التوزيع عنـــدهم ، وهـــذا بيـــان بالمتعهديـــن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـــار ـ ٧ شارع الصحافـــة

مكة المكرمـــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـــاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائـــف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢

جـــــده : مكتبة الصلاح العالمية ـ عمارة البنك الاهلى ص‌ب ٦٣٥

بغـــداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـــر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـــدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـــكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـــدودة

دبـــى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مســـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـــة ـ السيد رجا العيســـى

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الســـودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنـــان . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣

مراكـــش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبـــيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـــازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



جامع بيت لحم وأمامه كنيسة المهدفى يد أعداء الله . .

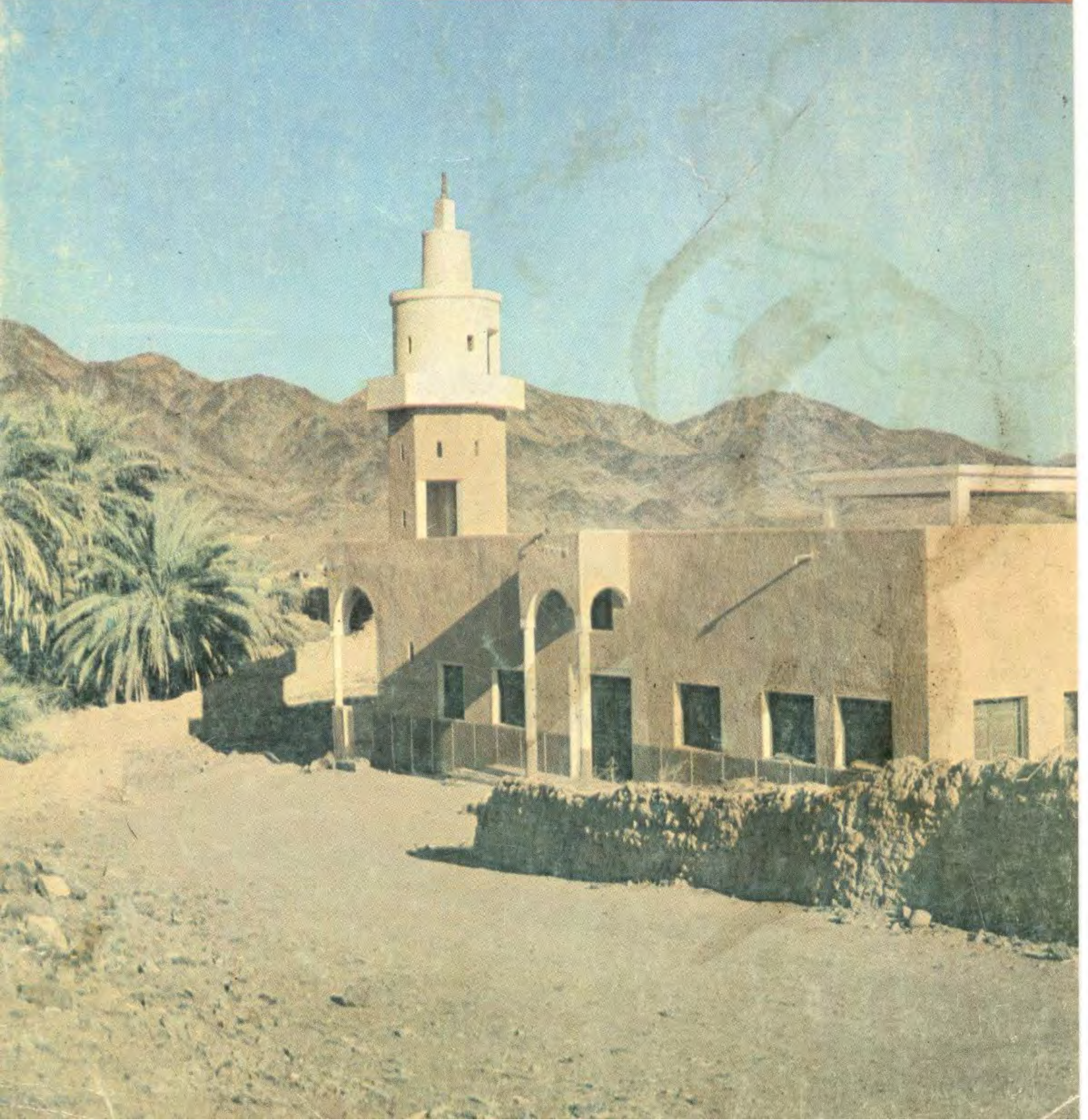
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة ـ العدد الثالث والثلاثون ـ غرة رمضان سنة ١٣٨٧ هـ ـ ٢ ديسمبر سنة ١٩٦٧

رسالة الصيام والزكاة هديتك مع هذا العدد





يستقبل صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الجابر ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء يستقبل بمكتبه سعادة السيد محمد ابراهيم عقال رئيس وزراء الصومال والوفد المرافق لسعادته أثناء زيارته للكويت .

صورة الغلاف





مسجد بــدر

أقيم حيث كـان العريش الـذى نصب للرسول صلى الله عليه وسلم أثناء معركة بـدر التى كانت أول معركـة انتصر فيها الاسـلام علـى أعدائه . وهو يقوم الآن فى قريـة بدر على الطريق الجديد بين مكـة والمدينة .

تصوير : عزمت شيخ

الوعي الإســلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث والثلاثون

ــ السنة الثالثة ــ

غرة رمضان سنة ١٣٨٧ هـ

٢ ديسمبر ١٩٦٧ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسيــة

الثمن

الكويت	٥٠ فلسـا
السعودية	١ ريــال
العــراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويـت ١ دينـار

في الخليج ٢ دينـاران

(أو ما يعادلهما بالاسترليني)

أما الافراد فيشتركون رأسـا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلاميـة
ص. ب ١٣ هاتـف ٢٢٠٨٨
الكويـت

سنستعيد أمجادنا ونثأر لكرامتنا

صاحب السمو أمير البلاد المعظم يلقى كلمته السامية فى حفل افتتاح دور الانعقاد الثانى للفصل التشريعى الثانى لمجلس الأمة الذى جرى فى الساعة التاسعة من صباح اليوم ..

تفضل حضر صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد العادى الثانى من الفصل التشريعى الثانى لمجلس الامة فى صباح السبت ٢٤ من رجب سنة ١٣٨٧ هـ الموافق ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٧ وقد القى سموه ــ حفظه الله ــ فى مستهل الجلسة هذا التوجيه الكريم ..

ابنائى أعضائى مجلس الأمة ..

حياكم الله ، وقواكم ، وانه لما يسعدنى ، اذ افتتح باسمه تعالى هذه الدورة العادية الثانية من الفصل التشريعى الثانى للهيئة النيابية ، ان ألمح على وجوهكم ، ووجوه من شاهدناهم من ابناء أسرتنا الكويتية الكبيرة ، التى أولتكم ثقتها ، واختارتكم لتمثيلها ، دلائل الجد والعزم . ذلك الجد الذى زادته الأحداث المتتالية الداخلية والخارجية التى عشناها فى الأشهر الأخيرة صلابة وتعبيرا .. وهذا العزم لتحمل المسؤولية الضخمة التى تفرضها علينا المرحلة الحرجة الحالية لأمتنا ، التى لم تمتحن فى تاريخها الحديث بمثل ما امتحنت به فى الحرب الأخيرة المشؤومة ، وما خلفته وراءها من آثار فى اكثر من بلد عربى شقيق .

لكن هذه الأمة التى هزتها النكسة من الخليج الى المحيط ، رفضت الاستسلام .. وقررت فى مؤتمر القمة الأخير أن تزيل آثار العدوان ، مهما كلفها ذلك من ثمن . والا تفرط فى أى حق من حقوقها ، مهما بلغت الضغوط الخارجية .. وهى قادرة بنفسها ، وبأيدى بنيها على أن تعيد بناء أمجادها ، وتسترد أراضيها المغتصبة وتثأر لكرامتها الجريحة .. ما بقيت موحدة الارادة ، متماسكة البنيان .. واستفادت من دروس الأحداث



الأخيرة .. وجعلت منها حافزا لمزيد من التصميم ومزيد من العمل الصالح الواعى ، لتصحيح ما ظهر فساده من أوضاع . واستئصال نقاط الضعف التى سهلت العدوان . للانطلاق بعد ذلك بعقلية جديدة ، متفتحة لمتطلبات العصر الحاضر وأساليب واقعية مدروسة .. نحو النهوض بقواتنا وشعوبنا فى كافة المجالات ، والمضى بها قدما نحو تحقيق أهدافنا ورسالتنا فى العالم ..

ومن ثم فعلينا جميعا ، فى كل بلد عربى ، أن نسمو . حكومة وشعبا .. الى مستوى المسؤوليات .. لا يشغلنا عن تحقيق تلك الأهداف شاغل من عارض الأمور ، ونحن هنا فى بلدنا الكويت ، قد عشنا فى قلب المعركة ، متجاوبين مع الأحداث ، غير متخلفين عن اى واجب من واجباتنا ، قبل العدوان وبعده ، ثم فى الاجتماعات والمؤتمرات التى أعقبته ..

وانى باسمى واسمكم ، وكواحد منكم ، روحه من روحكم .. اعلن عن عزمنا على مواصلة السير صفا واحدا فى هذا السبيل بقدر ما تستطيعه طاقاتنا وامكانياتنا ، واننا لن ندخر جهدا لانجاح المجهود العربى المشترك ، الذى تتعلق به الآمال ، وترنو اليه الأبصار داخل العالم العربى وخارجه ، واتوجه الى الله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعا لما يحبه ويرضاه ، ويؤيد بعونه وقدرته مساعينا ومقاصدنا لخير بلدنا وأمتنا والمسلمين أجمعين .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

تحية رمضان

لصاحب الفضيلة
شيخ الجامع الازهر

دار الفلك دورته ، وودع العالم الاسلامى شهرا كريما ، هو شهر شعبان المعظم ليستقبل شهرا عظيما . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هـدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وقد تعود المسلمون أن يحتفلوا بقدوم هذا الشهر ، وأجدر بهم أن يحتفلوا برؤية هلاله ، فانــه حينما يهل رمضان تظـل العالم كله رحمات من السماء ، فأول رمضان رحمة ، ووسطه مغفرة ، وآخر عتق من النار .

وحسب رمضان فضلا على سائر الشهور انه الشهر الـذى أنزل فيـ القرآن ، هدية الله الى عباده ، ودستور السماء الى الأرض . من عمل بـ سعد ، ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم . أرسل الله فيه للبشرية رحمة من عنده ، تتمثل فى بعثة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، الذى أرسله الله رحمة للعالمين ، بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أحيا به موات النفوس ، وفتح به مغاليق القلوب ، فكان رحمة من الله سبحان للناس جميعا . « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

وفى شهر رمضان ليلة من أجل الليالى ، بل هى أكرم الليالى ، ليلة شرفها الله ، ورفع قدرها بهذا الكتاب المنير الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال تعالى « انا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وهكذا أعزنا الله بالاسلام ، وأكرمنا بالقرآن ، وكان ذلك كله فى شهـ رمضان ، فكان حقا لرمضان أن يكرم ، وكان رمضان أهلا لأن يحتفى المسلمو به ، فقد احتفى الله به وجعله من أعظم الشهـور وأولاها بهـذه الفريضـ الاسلامية ، بل الفريضة الانسانية ، فريضة الصوم الذى هو عبادة ورياضة عبادة لله ، ورياضة للروح ، وسمو بها الى مصاف الملأ الأعلى .

قال تعالى : « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين م قبلكم لعلكم تتقون » وهكذا كان الصوم فريضة علينا ، كما كان فريضة على م سبقنا . وقد جمع القرآن حكمة هذه الفريضة فى هذه العبارة الموجزة « لعلك

تتقون » فما اوجزها ، وما أشملها : انها التقوى ، جماع الفضائل كلها ، فضائل للانسان في نفسه ، وفي أسرته ، ومع مجتمعه الذى يعيش فيه .

وهكذا الشريعة الاسلامية شرعت للناس ولاسعادهم -- فالاسلام دين الحياة ، دين الخلق ، دين الكمال ، يعطى الانسان دروسا عملية ليعيش سعيدا ، ويسعد من حوله من الناس .

والصوم أحد أركان الاسلام ، وهو الامساك نهارا عن حاجة البطن ، ورغبة الجسد ، وليس لله حاجة فى أن يجوع الانسان ، ويحيا حياة الحرمان ، من طلوع الفجر حتى غروب الشمس ، كلا انما هو التعليم الآلهى ، والتهذيب الربانى ، انما هو الهدى المحمدى يعلمنا كيف نشارك اخواننا مشاعرهم ... وحياتهم ، كيف نحيا حياة التعاون والمحبة ، كيف نتعلم خلق التعاون والبر ، كيف ننفذ قول الله سبحانه « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

فالصوم يعلمنا المحبة ، والتعاون ، والحياة الطيبة كما يريدها الاسلام ، يعلمنا كيف نسمو على هذه الماديات ، وكيف نكبح جماح أنفسنا ، ويعلمنا ما نحن فى أمس الحاجة اليه اليوم « خلق الاقتصاد » والاقتصاد نصف المعيشة ، والاقتصاد فضيلة بين رذيلتين . الافراط والتفريط -- الاسراف والتقتير ، فالصوم هو المعلم الأكبر ، الذى يهدينا الى القصد فى الحياة ، والتوسط فى الأمور ، وخير الأمور الوسط .

يعلمنا الصوم أو يجب ان نتعلم منه كيف نقتصد فى كل الأمور ، فان الله تعالى يقول . « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » وينهى القرآن الكريم عن التبذير ويجعل المبذرين اخوان الشياطين -- قال تعالى . « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » . وقال تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » .

ابنائى المسلمين :

اننى من منبر « مجلة الوعى الاسلامى » أحييكم فى مستهل رمضان المبارك ، وأذكركم بأنه شهر الجهاد . جهاد النفس لمقاومة شهواتها ، والجهاد ضد أعداء المسلمين ، ففى رمضان كانت المعركتان الفاصلتان فى حياة الدعوة الاسلامية . معركة بدر ، وفتح مكة ، ومعارك أخرى بعد ذلك كان لها أثرها الحاسم فى التاريخ الاسلامى ..

ولقد أراد الله أن يهل علينا شهر رمضان هذا العام ، ونحن فى معركة فاصلة مع أعدائنا : أعداء الانسانية ، واذا كان قد جرى ما جرى فلأننا لم نحسن التغلب على أهوائنا ، ولأننا فرطنا فى كثير من واجباتنا ، تلك الواجبات التى من شأنها أن تبنى الأمة القوية ، وتشد من عضدها ، وتبارك لها فى اهدافها ..

فلعلنا فى شهر رمضان -- شهر العبادة الخالصة ، والعيش فى ظلال رعاية الله ورحمته -- نحسن صلتنا به ، ونجمل أعمالنا بصلاح نوايانا وسرائرنا ونتخذ من درس الصوم دروسا نافعة لنا فى توحيد القلوب ، وجمع الصفوف حتى نسترجع ما فقدنا ، ونعوض ما خسرنا ، ويعيش المسلمون فى ديارهم أعزاء كرماء .

والله يهدينا جميعا سواء السبيل .

حسن مأمون

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

في هذه الحياة المتشعبة المسالك ، المتنوعة المشاق والمتاعب ، يحتاج الانسان لكي يخوض غمارها ، ويتغلب على متاعبها ومشاقها ، أن يتسلح بأسلحة متنوعة ، تناسب ميادين الحياة التي يخوضها .. ولعل هذه السنة الكونية تنطبق كذلك على ما عدا الانسان من حيوان ونبات .. فالله سبحانه قد زود كل حيوان ونبات ، بالخواص الملائمة لجنسه وبيئته ، كي يستطيع أن يحيا وينمو ، ويتغلب على كل ما يصادفه من عقبات ، أو يقف حائلا بينه وبين أدائه لوظيفته التي خلقه الله لها ..

وعلى هذا قامت السموات والأرض ، وانتظم شأن الحياة ، وجاءت الآيات الكريمة تقرر هذه السنة الكونية ، أو الحكمة الالهية ، فتقول في صدد تعريف فرعون بالله : « ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » وتقول في موضع آخر : «سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى» ويقول : « انا كل شيء خلقناه بقدر » ، ويقول : « الذي أحسن كل شيء خلقه » .

واذا كان ما عدا الانسان من مخلوقات ، قد زوده الله بالخصائص المادية الطبيعية الملائمة له ، والتي يستطيع أن يحيا بها ، وينمو نموا ماديا طبيعيا .. فان الانسان الذي سخر الله له (ما في السموات وما في الأرض جميعا) كان لا بد أن يودع الله فيه من الخصائص والاستعدادات والتوجيهات المادية والروحية ما يلائم وظيفته واستخلافه .. ومكانته بين خلقه .

والانسان جسم أو مادة فيها روح ، أو روح ركبت عليها مادة .. ومن هنا كان لا بد له من عوامل تقوي جسمه وتحفظه ليؤدي وظيفته ، وعوامل تنشط روحه ، وتقويها لتؤدي وظيفتها .. وكان التوازن بين الاثنين ضروريا في دين الفطرة — الاسلام — حتى لا تقوى الروح على حساب المادة ، ولا تقوي المادة على حساب الروح . وبهذا التوازن يهيىء الله الانسان ليصل الى الغاية السامية الكريمة التي خلقه الله لها .. ولهذا جاءت التكليفات الالهية للانسان وهدفها اقامة هذا التوازن فيه وكان الاسلام بذلك هو الدين الوسط ، وكانت الأمة أمة وسطا .

حتى العبادات التي فرضها الله عليه تهذيبا لنفسه ، وتقوية لروحه ، جاءت متلائمة في غايتها وهدفها ومفعولها مع ما يحتاجه الانسان في خضم هذه الحياة من أسلحة تتيح له النصر على كل ما يعوقه عن غايته ..

فالصلاة : تصفي الروح ، وتغسلها من شوائب الأكدار المادية ، بوقفات خاشعة تصل انسان الأرض بالسماء ..

والزكاة : تعود الانسان على الروح الجماعية ، وتخلصه من الشح والبخل ..

والحج : يربى فيه روح الامتثال وتحمل المشاق ..

والصوم : يربى فيه روح المراقبة القوية لله ، فى الوقت الذي يدربه تدريبا شاقا على اجتياز الصعوبات والتغلب على النزوات والشهوات ، ليجعل منه انسانا له ارادة تنتصر كلما اصطدمت ..

وهكذا نجد أهداف العبادات واتجاهاتها فى تربية الانسان ، وتهيئته لوظيفته في الأرض تأخذ كل نواحيه ، وتحيطه بسياج من التربية النفسية ، تسلحه بها ، ليكون كما أراده الله ، سيد ما عداه من مخلوقات ، وعبدا مخلصا لله .. فيه صفاء الروح ، والحب للجماعة ، والسمو على المادة ، والامتثال للخالق ، وقوة الارادة .. وكلها صفات متلازمة ، يغذى بعضها بعضا ، وهى ضرورية لايجاد الانسان ، الذى يحبه الله ، والذى يحقق بانسانيته معنى وجوده وغايته ..

ومن اجل هذا جاءت الأديان السماوية بهذه التكاليف ، على اختلاف فى صورها واشكالها ، مع اتحاد فى الغاية والهدف منها .. كما حرصت عليها الأديان الوضعية ، كوسيلة من وسائل التهذيب والتقويم للانسان ..

والآن ونحن نستقبل شهر الصوم .. أحس للصوم معنى ، أو بالأصح أحس معانيه تتجسم فى نفسى ، تجسما لم يكن فى الأعوام التى مرت بنا ، واشعر بحاجتنا الضرورية اليه . ولعل ذلك يعود الى الأحداث التى نعيش فيها ، والى الجروح التى اصبنا بها ..

ولعلك تتساءل وما علاقة هذا بذاك ؟

واقول لك : الم تجلس وتتحدث بما نحتاج اليه من قوة الارادة ، ومن التغلب على الشهوات ؟ .

الم تناد الانسان المسلم العربى بأن يتخلص من حبه لنفسه ، وخضوعه لنزواته ؟ .

تلك هى العلاقة بين هذا وذاك ..

فان الصوم فى معناه الاصلى حزم النفس ، وتجميع الارادة ، ليحرم الانسان نفسه ما يحبه ، وما تعود عليه ..

يأخذ نفسه بعدم التكلم .. ويمسك لسانه عن عادته التى اعتادها . وذلك يحتاج الى قوة ارادة والى صبر .. فيكون ذلك صوما عن الكلام : (فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) .

ويأخذ نفسه بألوان خاصة من الطعام ، ويحرمها ألوانا أخرى طيبة يحبها .. وذلك يحتاج الى قوة ارادة وصبر ، وهذا هو الصوم عند المسيحيين ..

ويمتنع عن الطعام والشراب ، والشهوات الجنسية ، فترة طويلة من اليوم ، من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، فى الحر ، أو فى البرد ..

يجوع ، ويسيل لعابه على ما أمامه من طعام ، وتلعب بخياشيمه رائحة الشواء ، ولكنه لا يستجيب لنداء الجوع ، بل يغالبه حتى يغلبه ، وهذا يحتاج الى ارادة قوية ، ان لم يكن متحليا بها .. فان خوف الله يحمله على اصطناعها ، فتتربى فيه شيئا فشيئا حتى تشب وتقوى ..

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

يجف لسانه وحلقه من الظمأ ، وأمامه الماء البارد ، وليس عليه رقيب من الناس ، ولكنه لا يستجيب لداعى الظمأ ، ويظل صابرا ، مغالبا لشهوة الشراب ، حتى يأذن الله .. وهذا تمرين على قوة الارادة ، والسمو على الشهوات .

يتعرض له اخوه او زميله بكلام جارح ، يستفز الحليم ، فلا يندفع كعادته فى الرد عليه ، بل يكظم غيظه ، ويلجم لسانه ، ويتذكر أنه صائم ، فيتركه ، ويقول : « اللهم انى صائم .. » وهذا تدريب على قوة الارادة .. وسمو المسلم على نزواته ..

تثور فيه غريزته الجنسية ، وتناديه مغرياتها ومثيراتها .. ولكنه لا ينساق معها ، ويغالب شهوته حتى يغلبها . وهذا فى حاجة الى ارادة قوية .

شهر كله تدريب ، وتمرين ، تدريب للجسم ليتحمل الحرمان ، وتمرين للروح لكى تسمو دائما على نزوات الانسان .. وامتحان للارادة وابتلاء .. كى تقوى وتنتصر ..

هذا هو الصوم ..

أفلا تجدنا يا أخى الآن ، وفى ظلال الغيوم السود التى تظللنا ، فى أشد الحاجة الى مثل هذا التدريب والتمرين ؟ !

ان عيبنا أننا لا نتحمل الحرمان !!

تعودنا على الدعة ، وعلى أننا نجد ما نريد .. ولذلك يشق علينا أن يطلب منا التنازل عما تعودناه ، أو نطلبه فلا نجده متوفرا أمامنا ، وان كان شيئا تافها .. نعم يشق علينا هذا الحرمان ، ولو كان من أجل عزتنا وانتصارنا !! فنسخط ونتبرم ، ونتحايل للحصول عليه ، وان كان على حساب مصالحنا ، وان كان فيه خيانة أو تفريط لقضيتنا !!

وعيبنا الذى أورثنا هذه الحال ، أننا قوم ضعاف الارادة أمام نزواتنا النفسية .. نثور لما لا يثار له ، وان ثرنا فلا حد لثورتنا ، نحرق ، ونقطع الحبال .. ونجرى دون لجام وراء شهواتنا ، ويجرفنا حبنا لذاتنا . ويستهوينا التعالى على من سوانا ، ولو كان أخانا . نغضب باسم الكرامة الفردية ، ولو مزيفة ، ونضحى بالكثير من أجلها ، ولا نغضب للكرامة الجماعية : كرامة الأمة وشرفها !! ونضن بالتضحية فى سبيلها !! حتى أصبحنا أمة تقودها شهواتها ، وتسيطر عليها نزواتها ، وتفرقها أهواؤها .. وليست كذلك الأمم التى تبنى نفسها ، وتطلب النصر على أعدائها ، المتربصين بها ، الجاثمين على صدرها ، الذين يملئون الدنيا تفاخرا عليها . وشماتة بها .

ان أمة مثلنا تحتاج — قبل كل شىء — الى ارادة تتحكم فى أهوائها ، وتجمع ما تشتت منها ، الى ارادة تسمو على الصغائر والكبائر ، وتفرض

الحرمان مما تعودناه ، طلبا لحقنا الذى أضعناه .. ارادة تفتت الجبال ، وتصنع المحال .

وان فينا لقوة ، واننا لكثرة .. ولكن تنقصنا الارادة القوية ، والتحرر من الذاتية .. وهما الطريق الوحيد الى كل تجمع قوى ، يذلل الصعاب ، ويحطم الأعداء ، ويحقق الآمال .. أرأيت لو جمع الجـراد أو الذباب أو البعوض أو النمل شمله ، وهاجم الناس ماذا يكون مصيرهم ؟ ..

وتقول .. وهل يحقق لنا الصوم شيئا من هذا ؟ .

وأقول : نعم . الصوم الذى أراده الله تربية وتمرينا للانسان ، جسـما وروحا ، لا الصوم الذى تخذناه عادة امتناع عن مجرد الطعام والشراب ، وبذلك مسـخناه ، وجردناه من روحه ، وأصبح مجرد هيكل للصيام ، ففقدنا أثره فى نفوسنا !! وماذا يفعل الهيكل الانسانى فى مختبر ، الا أن يكون مجرد تمثال لا روح فيه ، تهزه فيقع ، ويتحطم ، دون أن يتحرك أو يتكلم ..

اننا الآن فى أشد الحاجة الى الصوم نتعلم منه كيف ننتصر على شهواتنا وأهوائنا ، حتى يحقق الله لنا النصر على أعدائنا ..

فى حاجة الى الصوم عن الكلام الكثير ، وعن الغمز واللمز والمهاترات ، فى حاجة الى أن نصرف جهودنا للعمل ، لا للكلام ..

فى حاجة الى الصوم عن النزوات والأهواء ، وعن الاستجابة للشهوات ، لتندمل جراحات النفوس ، وتتجمع القلوب والصفوف ..

فى حاجة الى الصوم الذى يعلمنا التضـحية بالكثير مما نحبه ونحرص عليه ..

فى حاجة ـ لا الى صوم شهر واحد ، بل الى صوم شهور ، حتى تقوى ارادتنا ونفطم نفوسنا عن (البزازة) التى لا تزال ملازمة لنا فى حياتنـا .. نرضع بها اللبن الفاسد ،ونعيش عليه !!

فى حاجة الى شهور نعيش فيها حياة التقشف والحرمان ، لنتعـلم فيها الانتصار على أنفسنا وملذاتنا .. حتى ننتصر على أعدائنا ..

فى حاجة الى شهور نتدرب فيها على الصفاء الروحى ، وعلى القرب من الله ، والعيش فى رحابه ، ليـكون ذلك طريقا الى تنظيف مجتمعاتنا ، والى مراقبة الله فى كل ما نباشره من عمل ، يتطلب الوطن والمصلحة اتقانه ..

فى حاجة الى شهور من الصوم نفطر بعدها فى يوم العيد ..
عيد تملأ بهجته كل قلب ، وكل بيت ، ويعم أرض الاسلام .
عيد الكرامة المردودة ، والحق المصان .

عيد نرفع فيه علم الاسلام الخفاق .. على الديار السليبة ، ونستعيد فيه الذكريات المجيدة ذكريات عمر بن الخطـاب ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ومن بعدهما صلاح الدين .

عيد النصر الكبير ..

« ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

عبد المنعم النمر
مدير ادارة الدعـوة

الملائكة تشهد الصلوات

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادى ، فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)
— رواه البخارى —

للشيخ : على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

١ — الله تبارك وتعالى ربنا ورب كل شىء وهو على كل شىء وكيل ، بيده وحده الحفظ والحياطة ، (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) والبشر هم أحب خلق الله الى الله ، فقد سخر سبحانه للانسان كل ما خلق (١) ، واختاره ليكون موضع رحمته ومظهر عظمته ، حيث تركز فيه واستكن سر كل شىء ، فهل يتركه هملا غفلا من رقابته ؟ حقا انه وحده يعلم السر وأخفى ، ومع هذا — لحكمة يعلمها هو سبحانه فى حقيقتها وندرك نحن البشر مظاهرها ، فمهما بحثنا ونقبنا فنحن على الشاطىء شاطىء المعرفة ، **أقول** مع احاطته سبحانه بكل شىء علما ، قد جعل الملائكة شهودا على أعمال عباده

(١) قارىء الآيات الكريمة من أول سورة النحل ، المتدبر لها السابر غورها الغائص على دررها يعرف أخبارا ، ويستطلع أسرارا لا تستجيب للعابر دون تفهم أو تبصر حيث يصل ، ولا يمكن أن يصل انما يقف على شاطىء المعرفة ، فأسرار القرآن لا تتناهى للبشر ، وكما قلت سابقا وكما أعتقد أن فى الكتاب العزيز حكما وأى حكم واعجازا وأى اعجاز ومقاصد وأى مقاصد ، لا تنجلى دفعة واحدة لواحد من الناس ، وانما تمضى مع الزمان لتضىء كل زمان ، ومن أراد مزيدا فى هذا الصدد فليطالع ما كتب الأولون حيث يجد بين علماء متعاصرين فى الادراك ادراك ما وراء اللفظ القرآنى اختلافا قد يصل الى التناقض أحيانا ولا تناقض الا فى فهم الانسان ، ولمحة يسيرة ، ومرور سريع بالآيات الكريمة من أول سورة النحل : أتى أمر الله عن ، ولماذا نزلت الملائكة ؟ وما هو الروح وهذا خلق السماوات والأرض وما فيهما والانسان داخل فى طى ذلك ، ثم ايجاد الحيوان وما هو الطريق ؟ وأنزل من السماء ماء أنبت به الزروع وأنمى الضروع وسخر لكم الليل والنهار والبر والبحر ، ولمن هذه النجوم والتخوم .

وخص المؤمنين بالاسلام (١) بتعاقب الملائكة فيهم وملاحظة أعمالهم ، يلازمونهم ويرفعون الى مولاهم (٢) — وهو أعلم — احوالهم ، والمرء حين يشعر ويدرك ويتحقق بايمانه انه فى حفظ الله وأن ملائكة الله معه لا يفارقونه قيد انملة اذا ذهبت طائفة اعقبتها أخرى ، حالتئذ يعمل مطمئنا ويسير هادئا وينام آمنا .. ويسافر أو يقيم فى رعاية الله وامان منه ، لا يعكر صفوه اضطراب الوجود ولا اختلاف الجديدين .. وقد حدثنى من لا يكذبنى حديثا واقعيا له بنفسه قال : شاء الله — ولا راد لمشيئته — لأمور خارجة عن ارادة الحاكى — فهو عبد والعبد طوع ارادة مولاه ، ان انزل بلدا لا عهد لى به ، ولا معرفة لى بلسانه ولا الفة مع سكانه ، سرت يوما فى شارع غاص بالناس من كل حدب وصوب ، ماذا آتى وماذا أدع ، كيف اتحدث والى اين أسير ؟ .. وهنا بدر الى القلب .. هؤلاء الذين ترى يمشون فى واد نشأوا فيه لهم صلة قرابة وقربة ، وأنت مع من تسير ؟! وفى رعاية من تتحرك ؟ تذكرت وما كنت ناسيا أن مسيرى فى رعاية من لا تأخذه سنة ولا نوم ، فى رحاب بارىء الكون ، وان له ملائكة طوافين ، جعلهم حرسا دائما لعباده ، وما أنا الا عبد لرب له قدرة هى فوق كل قدرة ، وعلم دونه كل علم وعين لا يقف أمامها حجاب ، فما دمت عالما به منتهجا نهجه ، فكيف اخاف وهو ربى يسمع ويرى . وأكرر القول ولا اكذبك الحديث . هنا تبدل حالى وشملتنى قوة روحية عارمة ، ومضيت لطيتى هادئا آمنا ، ووصلت الى ما رمت فى يسر ورفق ، واستقبلنى من لا أعرف كأنى معه نشأت ودار الحديث صادرا من احن تلب بأرق الفاظ وأدق عبارة يرسم الطريق من سابر لها خبير بدوربها ! دائما صدق الله « وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله » **قلت** : لقد ذكرتنى بقول قراته منذ سنين وسنين لرحالة مصرى (٣) جاب الصحارى واكتشف المجهول قال : لا يمكن لعابر الصحراء ان يجوس خلالها الا اذا كان مؤمنا بالله وعظمته وقيوميته واذكر دائما قوله تعالى : « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله » فهل فكر الخلق فى نعم بارئهم ؟! عجبا للقلوب القاسية ، ولا اقول : « ويل » حتى أعدو مكان العبودية ، فهو سبحانه الذى قال : « فويل للقاسية قلوبهم » ..

٢ — يتعاقبون فيكم ملائكة (٤) :

الملائكة هم الذين يتعاقبون — أى يجىء بعضهم عقب البعض — ويتعاقبون فى المؤمنين ، وتدور أمام هذا التعبير معركة نحوية تحمل بعض شراح هذا الحديث الشريف على القول بأن الراوى قد أوجز الرواية ، حيث ورد الحديث بألفاظ أخرى : (ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم) و (.. الملائكة يتعاقبون فيكم) ومن الشراح من رأى اللفظ الشريف فى موضعه ، وأورد له

---

(١) ان الدين عند الله الاسلام ...

(٢) ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ، لان الذين كفروا اتبعوا ما اسخط الله وارتدوا بعد ما تبين لهم الهدى فأضلهم الله وأحبط أعمالهم ..

(٣) المرحوم (احمد محمد حسنين باشا) مكتشف واحة جغبوب فى صحارى مصر .

(٤) الملائكة : اجسام نورانية — من النور — تتشكل بالأشكال الحسنة ، خلافا للجن فانه اجسام نارية — من النار — تتشكل بالأشكال الحسنة والقبيحة .

حلولا لغوية (١) تجعله حيث هو فى مرتبته الكريمة من القمة اللغوية لأنه صادر من قمة البشرية ، وتعاقب الملائكة مستمر بالليل وبالنهار ، ويستفاد من تنكير (ملائكة) أنهم مختلفون فمراقبو أعمال الليل مراقبى أعمال النهار ، وضريب ذلك وارد بالقرآن الكريم فى قوله سبحانه (فان مع العسر يسرا . ان مع العسر يسرا) حتى بشر المسلمون فقال قائلهم : (لا يغلب عسر يسرين ؛ وورد أيضا فى الآية الكريمة : « غدوها شهر ورواحها شهر » .. ومن الملائكة من يلازم كل انسان فى كل زمان ومكان يحفظونه ويحصون اعماله ، ولهذا ورد سؤال أجاب عنه المتقدمون فى بحث مستفيض .. هل هم الحفظة ، وهل هم المعنيون بقوله عز وجل « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » .. وسواء كانوا متفقين فى الكيفية والوظيفة أم مختلفين ، فليس هذا هدف بحث اليوم ، اذ بكل قيل ولكل قول دليل ، وكنه البحث هنا متجه الى ما وراء هذه الرقابة أو الرعاية الالهية للمؤمنين ، فهى تحملهم على الاخلاص ،والدءوب والمواصلة ،فقد برأ الله العباد على نسق يجعلهم اذا شعروا بملاحظة الغير لهم أحسنوا وأجادوا واتقنوا ، واذا علمنا نحن البشر أن ملائكة الله معنا يكتبون أخبارنا ويحصون احوالنا ويبلغون مولانا — وهو العليم الحكيم — كل ما يصدر عنا ، كان هذا داعيا قويا ، وسببا أصيلا موجبا للاستزادة من الخير والبعد عن الشر ، وادامة محاسبة النفس والوقوف بها عندما يرضى الله حتى تنال رضاه .

أ — **يجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر :** والتعاقب لا يمنع الاجتماع لأن التعاقب أعم من أن يكون معه اجتماع أو لا يكون ، وورود ذكر صلاة الفجر وصلاة العصر فيه تكريم للمؤمنين ولطف بهم لتكون الشهادة مقرونة بأفضل الأعمال وأحسن الذكر ، وقيل لفضل العمل فى هذين الوقتين عند الله تبارك وتعالى ، فمن ترك مضجعه ولبى نداء ربه وقت العصر ووقت الفجر كان فعله هذا دليلا على ايمانه القوى وعلامة رسوخ عقيدته ، وشدة استجابته لداعى مولاه ووقوفه عند حدوده ، ومواظبته على العمل بأوامره والبعد عن نواهيه .. وقوله صلى الله عليه وسلم : ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيه اكتفاء بتذكر أحد المتماثلين عن الآخر ، ونظير ذلك من الذكر الحكيم قوله تعالى : (سرابيل تقيكم الحر ..) اى والبرد ، وقيل : استعمل لفظ (بات) بديلا عن (أقام) استعمالا مجازيا ، وحينئذ يزول اختصاصه بالليل أو النهار ، فكل من صعد من الملائكة يسألهم ربهم ، وقد ورد ما يرجح هذا فى رواية النسائى .. (ثم يعرج الذين كانوا فيكم) والعروج مطلق غير مقيد بليل او نهار ...

---

(١) قال ابن مالك : تحمل الرواية على لغة بنى الحارث المشهورة بلغة (أكلونى البراغيث) فالواو علامة الجمع وملائكة فاعل . وقال سيبويه : ملائكة خبر لمبتدأ محذوف اى هم الملائكة — سبق جوابا لسؤال مقدر — من هم ؟ فقيل : هم ملائكة .. الى آخره ، فهذا بحث يطول يرجع اليه فى أمهات الكتب اللغوية .

٤ ــ فيسالهم وهــو اعلم بهـم : يسأل الله سبحانه الملائكة ــ وهو أعلم بعباده ــ كيف تركتم عبادى ؟ ،

ولم يسألهم كيف لقيتوهم ؟! ففــى هذا اشعار بأن الأعمال بخواتيمها ، ولهذا ورد فى الدعاء « اللهم أحسن

عاقبتنا فى الأمور كلها » .. فمهمــا احسن (بالبناء للمجهول) البـــدء

فسينسى احسانه اذا صار الختــام سيئا . والحساب لا يتجه الى الماضى

بقدر ما يتجه الى النهايات . حتــى الكفر سوف يعفى عما فيه اذا آمن المرء ، قال الرسول صلى الله عليه

وسلم (.... الاسلام يجب مــا قبله) فمن أسلم مخلصا ومات فور اسلامه لن يعذب على ما سلف منه

أيام كفره . وكذلك من تاب من جرائم ارتكبها قبله الله وغفر له يقول جل شأنه « وانى لغفار لمن تاب وآمــن

وعمل صالحا ثم اهتدى » (١) ، وفى حديث شريف يصور رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم (توبة العبد) بصورة تحببها الى النفس وتباعد بين

المذنب وبين القنوط من رحمة الله ، وتجعله فى وضع كريم حين يتــوب

وحين يتحاشى الذنوب ، ويقبل على مولاه بقلب سليم بعد قطيعة ونكوص عن الهدى ، وأصخ سمعا ودع النور

يلج الى قلبك حين تتلو هذا الحديث الشريف (فعن عبد الله بن مسعــود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه ، فوضع راسه فنام

نومة فاستيقظ ، وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش او ما

شاء الله قال : ارجع الى مكانــى ، فرجع فنام نومة ، ثم رفع راسه فاذا

راحلته عنده) (٢) ، فهذا الحديث الشريف يشير بل يعلن فى وضوح ، أن العبرة دائما بالخاتمة ، وبــاب

التوبة مفتوح على مصراعيه لا يوصد الا اذا اقتربت الساعة أى صارت قاب قوسين او ادنى ، وقال العلماء :

هذا يكون فى نهاية الزمان وهو مــا تشير اليه الآية الكريمة (.. يــوم

يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفســا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا) (٣) ، واشهد الله

ملائكته على اعمال بنى آدم ، اظهارا لحكمته فى خلق الانسان (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) . وفــى

هذا رد على اعتراض سابق ورد من الملائكة حكاه القرآن الكريم فى سورة البقرة فى قوله تعالى : « واذ قــال

ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها

ويسفك الدماء) .. الآيات ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، والله سبحانه أعلم بكل شــىء وهو على كل شىء شهيد .

٥ ــ تركناهموهم يصلون واتيناهم وهم يصلون : ودائما يطول الحديث عن هذا الركن العظيم من اركــان الاسلام (الصلاة) فهى من اهــم

الأركان ان لم تكن أهمها ، فيها يجتمع كثير منها ، فالركن الأول : وهو كلمة التوحيد متحقق فى أعمال الصــلاة مرات ومرات ، والثانى هو هــى ،

---

(١) الآية : ٨٢ من سورة طه .

(٢) رواه البخارى وغيره .

(٣) الآية : ١٥٨ من ســورة الانعام .

والثالث وهو الزكاة : تدعو اليه الصلاة وتذكر به فيما يتلى فيها من الذكر الحكيم ، والمؤمن اذا ولج المسجد وشاهد اختلاف الناس بين

غنى وفقير ، وصحيح ومريض ، ومعافى وسقيم ، حمله ذلك على بذل العون لاخوانه والبحث فى

شؤونهم ، والعمل السريع على اغاثة ملهوفهم واعطاء محتاجهم ، وبذل كل ما يستطيع على حسب مقتضيات الأحوال ، ومنها أن البعض فقير عار

جائع غير طاعم ، فالمسلم المصلى ذو الغنى والجاه يحمل ماله ليدفع جوعة ويكسو عاريا ويرحم ضعيفا ، والزكاة

مظهر كريم من مظاهر التعاون العملى فى الاسلام بين المسلمين . والرابع وهو الصيام : متحقق ممن

يعتاد المساجد ويقبل على الله فلا بد أن يكون محافظا على صيامه ، وان شذ البعض فالشذوذ لا يدوم ، لأن الصلاة المستوفية لشروطها تنهى

عن الفحشاء والمنكر ، وغالبا ما يدور الحديث حول ما يهم المسلمين فى كل احوالهم ، فاذا حل موسم الحج تحدثوا فيه وعنه وتلاقوا عليه وعملوا

على تنفيذه ، وبهذا تكون الصلاة سببا ومدعاة لتنفيذ كل اركان الاسلام ، والصلاة الحقة هى التى

تحمل صاحبها على الاستجابة لله تعالى ، وأما الصلاة التى تؤدى عادة واعتباطا فليست موضع حديث ولا ذات بال ، وقد ورد فى بعض الآثار

الشريفة (من لم تنهه صلاته فكمن لا صلاة له) وقول الله تبارك وتعالى

(واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (١) يعطى : أن من لم ينته لم يصل وان صلى ! وقد

اهتم بها كثيرا سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم فى كل احواله واقواله ، وجعلها فيصلا بين الكفر

والايمان فى بعض احاديثه الشريفة وكان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ، واذا تجاوزت الشدة طورها قال :

أرحنا بها يا بلال ، وما دامت هناك حياة ووجود يسبح فيه الانسان ،

فهناك آمال وآلام ، ولا بد من الاستعانة على المسالك المتشعبة بمدد الله العليم الحكيم ، وقد وجهنا سبحانه الى ذلك فى قوله تعالى : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) (٢) . . وحديث الصلاة حديث يطول . . .

قالت الملائكة لرب العالمين : تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم

يصلون فهذا افضل حالات المؤمن وخير اعماله ، واخيرا كلما ازداد

الباحث عمقا فى دراسة الاسلام ازداد ايمانا ورسوخا بأنه لا صلاح للدنيا ولا قيام لمجتمعات فاضلة فيها الا بتعاليم الاسلام تعاليم الله تبارك

وتعالى الى مبلغها سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين

صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم . فاللهم وفقنا دائما لاتباعه وسلوك

طريقه واجمع كلمة المسلمين على تنفيذ وصايا الاسلام انك سميع مجيب .

---

(١) الآية الشريفة رقم ٤٥ من سورة العنكبوت : والآية بتمامها : « اتل ما أوحى اليك من كتاب ربك واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون » .

(٢) الآية : ٤٥ من سورة البقرة .

التوحيد أولاً

محمد مؤذن

للشيخ عبد الحميد السائح
وزير الشئون الدينية والأماكن المقدسة – الأردن –

في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بنى الاسلام على خمس ، وذكر منها أولا الشهادتين وذلك لأن من شهد بلسانه ، وآمن بقلبه ، أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، استولت عليه فكرة راسخة غير متقلبة وعقيدة ثابتة غير مضطربة جماعها ، انه لا يستحق العبادة في هذا الكون الا الله حتى محمد أفضل الخلق على الاطلاق ان هو الا رسول الله وسفيره ، لا يستحق شيئا من أنواع العبادة « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » (١) « ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » (٢) .

ومن استولت عليه عقيدة التوحيد لا يلجأ في الحقيقة لغير الله ، ويعلم يقينا أنه لو اجتمع من في الأرض ، ومن في السماء على أن ينفعوه بشىء ، لم يمنحه الله اياه فلا يستطيعون ، أو أرادوا أن يضروه بشىء لم يكتب عليه فلا يقدرون . وهذه العقيدة تعتبر الأساس الأول في قلعة الاسلام ، فاذا تركزت أمكنك أن تنشىء عليها بناء شامخا ، ولا تخشى أن يصيبه تصدع او انهيار .

وفكرة التوحيد اذا كانت سليمة حملت صاحبها على الا يستعين بغير الله ، فاذا كانت المعونة مما ينتظم في سلسلة الأسباب ، كان طلبه بسببه طلبا من الله ، وما كان غير داخل فيها يتوجه في طلبه الى الله بلا واسطة ولا حجاب ، « اياك نعبد واياك نستعين » (٣) .

وقد اخرج البزار بسند صحيح عن أبى سعيد ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال : « من قال لا اله الا الله **مخلصاً** دخل الجنة » .

وليس المراد ان يردد هذا اللفظ بلسانه وحسب ، وانما المقصود أن يذكره بلسانه ، ويصدقه بجنانه ، ويترجم هذا وذاك بأعماله .

اخرج البخارى في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قال:« لن يوافى

(١) الآية / ١١٠ من سورة الكهف .
(٢) الآيات / ٤٤ – ٤٧ من سورة الحاقة .
(٣) الآية / ٥ من سورة الفاتحة .

عبد يوم القيامة ، يقول : لا اله الا الله ، يبتغى بها وجه الله ، الا حرم الله عليه النار » .

وواضح من هذا الحديث الشريف ان ذلك الجزاء الأوفى انما يترتب على من يقول كلمة التوحيد يبتغى بها رضا الله ، ولا يكون كذلك الا اذا حقق معناها في نفسه ، وصدقته بجوارحه وافعاله ، فكان مثال المؤمنين الموحدين .

واخرج البخارى في صحيحه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ : « هل تدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت . الله ورسوله اعلم ، قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » .

ولا يمكن للمسلم أن يفى التوحيد حقه الا اذا عبد الله وادى فرائضه وتمسك بشرائعه ، وتأدب بآدابه ، ولم يشرك به أحدا .

معنى الاشراك

وليس القصد من عدم الاشراك الا يتخذ لله شريكا في الوهيته وحسب بل ان من الاشراك أن يتخذ الرؤساء اربابا من دون الله ، يشرعون ما لم يأذن به الله ويحرمون ما أحل الله أو يحلون ما حرم الله .

ومن الاشراك أن يتخذ الانسان الهه هواه ، فيصده عن شرع الله ، وسلوك مسلك العدالة والانصاف ، سواء كان واليا ، أو قاضيا ، أو شاهدا أو غير ذلك . ومن الاشراك ان يخنع الانسان لسلطة انسان آخر أقوى منه ، فيذل له ويدين له بالعبودية ، في مال أو جاه أو سلطان .

ما يهدف اليه التوحيد ؟

اذن فالتوحيد الذى دعا اليه الاسلام ليس الفاظا براقة جوفاء ، ولا كلمات مجردة تردد ، وانما هو عقيدة يصدقها عمل ، « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل » .

فالتوحيد انقاذ للبشرية من رق العبودية، لكل أحد من البشر ، مهما سما مركزه ، وعلت سلطته ، أو لأى شىء من الأجرام السماوية أو الأرضية .

والتوحيد يهدف الى أن يجعل الانسان حرا كريما ، لا يخضع خضوع عبودية ، الا لمن خضعت لسننه الكائنات ، بما أقام فيها من النظام ، وربط الأسباب بالمسببات « وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما » (١) .

ولا يعنى هذا أن يتمرد الموحدون على طاعة الولاة والحكام ، ولا أن يعلنوا العصيان والخروج على النظام ، فان طاعة الحكام المؤمنين فيما يأمرون به من صلاح هو من طاعة الله ، والاذعان للنظام من مقتضى الايمان .

قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (٢) .

وفي الحديث الشريف . « صلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وادوا زكاة أموالكم ، واطيعوا ولاة اموركم تدخلوا جنة ربكم » .

---

(١) الآية / ١١١ من سورة طه .
(٢) الآية / ٥٩ من سورة النساء .

غير أن مما يجب التنبه له أن طاعة الحكام لا تعنى تقديسا لسلطة ذاتية لهم ، ولا ذلا ولا استخذاء لأشخاصهم ولا بيعا للذمم ، وخروجا عن القيم من اجلهم ، وانما تعنى أنهم ولاة الأمور ، وحفاظ النظام ، وحراس شريعة الله فيجب أن ندعمهم في مهمتهم ، ونؤيدهم في مواقفهم ، ما استقاموا على شريعة الله وسبيله الذى ارتضاه .

فان زاغوا عن ذلك يجب أن يستعان بذوى الراى والحكمة لتقويمهم ، حرصا على السلامة العامة ، كما قال أبو بكر خليفة رسو لالله صلى الله عليه وسلم : (انى وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فان احسنت فأعينونى ، وان زغت فقومونى) .

فالموحدون هم الذين يدعون الى وحدة القلوب والاتجاهات ، ومقاومة الفتن والاغراءات ، وسد أبواب الشر والفساد .

والموحدون هم الذين يتجردون في اعمالهم وتصرفاتهم لتوفير المصالح العامة ، وتحقيق ارضاء الله ، ويلحظون أن الرسول قال . « الخلق كلهم عيال الله ، واحبهم اليه أنفعهم لعباده » .

والموحدون هم الذين ينأون بأنفسهم عن أن يستغلوا مصالح الجماهير وأموالهم وحقوقهم ، أو يتحينوا الفرص لايقاع الظلم والعدوان عليهم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب .

والموحدون لا يرتضون لأنفسهم وأمتهم أن يسودهم تشريع لا يمت الى شريعة الله بصلة ، ولا أن تظللهم راية قوانين تجافى الاسلام ، وتنافى الحق والعدل والانصاف .

والموحدون هم الذين يجردون انفسهم ، ومجتمعاتهم من الأخلاق الفاسدة ، والتقاليد الغريبة الضارة .

والموحدون هم الذين يعملون بجد واخلاص ، ودأب واستمرار ، وبذل وتضحية على تخليص بلادهم ، أو بلاد أية فئة ، أو جماعة من المسلمين من براثن المستعمرين والدخلاء ، حتى ينعم أهلها بنعمة الحرية ، ويعملوا على استثمار ما خلق الله لهم في أرضها من خيرات وكنوز ، ويتمتعوا بما منحهم الله .

أيها القارىء الكريم .

اذا تمعنت في ما للتوحيد من آثار عظيمة ، ونتائج خيرة ، في نفسك ومجتمعك ، واذا علمت أن التضحيات العظيمة تتطلب نفوسا عظيمة ، مؤمنة تدفع لها ، واذا قلبت صفحات تاريخ أمجاد الأمة الاسلامية في القديم والحديث ، تحققت أن هذه الأمة لا ينقذها من ويلاتها ، ولا يخلصها من شرورها وآثامها ، ولا يقضى على تفكك أجزائها الا المؤمنون الموحدون ، الذين يربطون قلوبهم ونفوسهم بالله وحده العلى الكبير .

وان ما اصاب هذه الأمة الاسلامية من ذلة وضعف ومهانة وضياع لأقطارها ، واغتصاب لمقدساتها لم يكن الا حين أشركوا مع الله بعض المخلوقات من المستعمرين وغيرهم ، وحين ساروا وراء أطماعهم الشخصية وأهوائهم الذاتية ، وأنه لا سبيل لاسترداد الأرض المغتصبة وغيرها من الأقطار الاسلامية ، الا برفع علم الايمان والتوحيد ، في قلوبنا ، ونفوسنا ومجتمعاتنا وتصرفاتنا ، أفرادا وجماعات ، أشخاصا وحكومات ، وحينئذ نكون قد نصرنا الله ، واعلينا شانه ، فننتظر عاجلا نصر الله وتاييده لنا ، مصداق قوله تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) (١) .

---

(١) الآية / ٤٠ من سورة الحج .

الكبرياء الإسلامي
بين الهزيمة والنصر

لا تنظروا لسلطانكم . قاتلوا على حريمكم ودين نبيكم (ابن قلاوون)

ابن تيمية يخوض المعركة مع المجاهدين

للدكتور ابراهيم على شعوط
استاذ التاريخ الاسلامى بجامعة الأزهر

ليس هذا اول العهد بالهزيمة ، ولا آخر العهد بالنصر :

من يوم أن امتدت يد المولى للأمة العربية بالرحمة المهداة ، والنعمة المزجاة ، فى شخص اصطفاه منهم . هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من يومها وعين خالقهم ترعاهم ، وعنايته لا تنساهم . فاعتادوا منه بفضله أن ينصرهم كلما نصروه ، ويؤيدهم اذا أيدوه ، ويذكرهم دائما ما داموا يذكرونه ، يعلم منهم أنهم فوضوا أمرهم اليه ، واعتمدوا عليه ، يمدهم بالمدد الالهى ، فلا يبالون بأنهم قلة ، ولا يخشون صولة الأعداء وهم فى ضعف ، لأنه أكد لهم دائما أنهم ان عزوا به ، وذلوا له ، نصرهم بجنده على عدوهم وعدوه : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » .

ووعد الله لا يتخلف لأمة محمد عليه الصلاة والسلام . يظهر لهم البرهان تلو البرهان ، على الصدق والوفاء فى كل زمان ومكان . فلم يقصر نصره على رسوله فى معاركه ومغازيه ، ولم يجعل وعده للصحابة فى عصرهم ، والفتوحات التى تمت على أيديهم فحسب ، بل تابع نصره دائما للجيوش المحاربة فى سبيله ، الواهبة نفسها له ، الذاهبة على طريق العزة والكرامة .

وأبرز مظاهر العناية الالهية بالأمة المختارة ، أنه اذا وقعت لهم هزيمة ، فانما يراد بها الاختبار والابتلاء وشحذ الهمم ، لتتخذ من الهزيمة شحنة من الحماس والغيرة ، فتثأر لنفسها بعنف ، وتعيد كرامتها بشدة .

ولقد عود الله عباده من أمة محمد أن يهبهم النصر على عدوهم اذا تحداهم فى رمضان ، وتصدى لهم وهم جياع .

ولعل السر فى ذلك أن للصائمين نفوسا طائعة ، وقلوبا ضارعة ، وأرواحا شفافة ، قد رأت من وراء الغيب أن الله يدافع عن الذين آمنوا .

ونحن هنا امام هزيمة ساحقة قد منى بها المسلمون على ايدى جيش وثنى بربرى ، تحالف مع الصليبية العالمية ضد الاسلام ، وانحـدر فى أخلاقه الى أخبث من اليهود والصهيونية ، وبلغ فى وحشيته ما بلغته اسرائيل فى عصرنا الحاضر ، وفقد كل المعايير الانسانية والخلقية فى حربه وسلمه .

موقعة وادى الخازندار :

الجيش جيش المغول الوثنيين ، الذين احتلوا رقعة الأرض الاسلامية من الصين الى الشام ، واقاموا دولة فى بغداد باسم دولة المغول ، وكانت الخطة المرسومة أن يستولوا على كل البلاد الاسلامية ، ولكن جيش مصر حطم آمالهم كلها فى موقعة « عين جالوت » ، وبقيت العداوة مشبوبة بين الوثنيين الذين غلبوا على بغداد ، وبين القاهرة ، التى حملت لواء الدفاع عن حرمة الاسلام ، وحلت فى قلوب المسلمين محل بغداد التى لوثها عنصر المغول .

ومن يوم « عين جالوت » والضغينة تزداد ، والبغض يشـتد فى قلوب حكام المغول فى العراق على مصر وحكامها ، ودارت المعارك المتتالية ، كان النصر فيها دائما للجيش المصرى على قوة المغول .

فلما ضاق المغول بالقوة الهـائلة فى مصر ، وادركوا أنهم لن ينتصروا ابدا ، ما داموا على وثنيتهم ، وهم يحكمون شعبا مسلما كانت له زعامة العالم الاسلامى ، ويحاربون أمة مسلمة ، يسكن حبها فى قلوب اهل العراق ، حب الأخوة الدينية ، والصلات الروحية بين أمة الاسـلام فى كل مكان . ادرك الوثنيون حينذاك أنهم صاروا وحدهم عدوا مشتركا بين شعب يحـكمونه ، وشعب يحاربونه .

العنصر الدينى واثره فى الهزيمة والنصر ..

اراد المغول أن يستعملوا سلاحا جديدا فى المعركة ، فأعلن سـلطانهم « غازان » انه دخل فى الاسلام ، وجمع جنده ، الذى بلغ مائة الف ، واتجه بهم الى سوريا .

وهناك فى (وادى الخازندار) الذى يقع الآن بين (حمص) و (حماة) ، ويسمى (مجمع المروج) التقى جيش « غازان » الذى خدع شـعب العراق باسلام مزيف — مع جيش الناصر محمد بن قلاوون ، الذى كانت سنه اذ ذاك أربعة عشر عاما .

كان هذا اللقاء فى شهر ربيع الأول عام ٦٩٩ هـ الموافق ١٣٩٩ م .

ما اشبه الليلة بالبارحة :

حمل « غازان » على قلب الجـيش المصرى فحطمه ، وفرت الخيـالة المدربة ، وهرب كبار القواد ، وركب المغول أقفيتهم ، ووقف السلطان الشاب يبكى من شدة الهول ، ولم يجد حوله سوى اثنى عشر أميرا من أمرائه ، ووقعت « حمص » فى أيدى التتار ، ثم اتجهوا الى دمشق ، والذعر يسبقهم الى كل بلد .

ويصف (المقريزى) فى كتاب (السلوك) صورة المعركة ، وأثرها فى نفوس أهل الشام فيقول : « وقع الرعب ، وازداد الفزع فى نفوس الأهلين ، وخرجت النساء سافرات ، وترك التجار حوانيتهم وأعمالهم ، وازدحموا على أبواب (دمشق) ، طلبا للفرار والنجاة الى جهات بعيدة ، وانقسم الناس الى طوائف : طائفة تغلب عليها الخوف ، فحملوا ما استطاعوا حمله من مال ومتاع وساروا بأهليهم الى مصر ، وطائفة بقيت ترجو حقن الدماء ، وطائفة طمعوا فى أكثر من ذلك من عدل وحسن سيرة) .

وتمخضت الأحداث عن تزييف فى اسلام « غازان » ، وظلم ووحشية فى معاملة أهل البلاد المغلوبة ، فساموهم كل ظلم ، وفرضوا عليهم ضرائب تستغرق كل أملاكهم .

ولعل السر فى هزيمة الجيش المصرى أمام جيش التتار والمغول فى هذه المعركة — وهى الأولى التى انتصر فيها المغول وانهزم فيها المسلمون — .

لعل السر فى ذلك هو شعور المحاربين المصريين انه لا داعى لحرب المسلمين ، ما دام المغول قد أعلنوا اسلامهم ، وتنقل لنا المصادر التاريخية صور استفتاء العامة لرجال الدين عن شرعية قتال المسلمين بعضهم لبعض !

وفوق ذلك : فان عدد الجيش المغولى كان خمسة أمثال جيش المصريين . لكن اتضح بعد المعركة ان الاسلام لم يعرف طريقه الى قلب أحد من المغول ، بدليل اعمال صدرت من هؤلاء القوم ، لم تكن لتصدر ابدا من مسلم ، أو فى طريقه الى الاسلام :

ا — فقد ظهر ان (غازان) محمود ، الذى قيل انه اسلم ، كان يريد ان ينكح زوجات ابيه ، فلما قيل له ان الاسلام يمنع ذلك اراد ان يرتد .

ب — ارتكب الجيش المغولى من ضروب الوحشية ما يجعلهم خارج نطاق الاسلام ، بل والانسانية ، حيث ارتكبوا الفاحشة ، فى مسجد بنى أمية بدمشق ، كما شربوا الخمر على أبواب المسجد ، وصاروا يلقون القاذورات داخل المسجد ، كما أعلنوا احتقار المصاحف بكافة الوسائل .

ج — فرضوا على اهل الشام غرامات حربية أعجزتهم عن الوفاء ، فكان جزاء المتخلف القتل والتعذيب ، حتى يقال : ان مجموع القتلى من العامة والفلاحين بلغ مائة الف !!

كانت هذه هى معركة (وادى الخازندار) التى انهزم فيها المسلمون ، وخرجوا من ديارهم لاجئين من الشام ، الى مصر ، وصار الشعب يتندر برجال الجيش ، ويتهمهم بالجبن والفشل . ولما اشتد الضيق بالناس ، سجل شعراؤهم معاناة الشعب فى هذه الأبيات :

رمتنا صروف الدهر حقا بسبعة ... فما احد منا من السبع سالم
غلاء ، « وغازان » ، وغزو وغارة ... وغدر واغبان وغم ملازم

رد الاعتبار فى الموقعة الفاصلة :

لم تمر خمسة اشهر على تلك الهزيمة المنكرة ، والكارثة المؤلمة (من ربيع الأول الى رمضان) حتى أفاق المصريون من أثر الصدمة ، وعاد اليهم صوابهم ، ووضعوا أيديهم على الجراح الدامية ، فاذا الجرح غائر ، والدماء غزيرة

متدفقة . وايقنوا أنهم خدعوا فى اسلام التتار ، وأدركوا أن رد الاعتبار يحتاج الى تضحية ومجهود وتدبير محكم ، فبدءوا باعادة بنـــاء الدولة من جديد ، وتطهير الأرض من الألغام قبل الدخول فى المعركة الحاسمة ، فكان التدبير على هذه الصورة :

١ ــ تطهير أرض المعركة الجديدة من أعوان الخصوم وعيونهم .
٢ ــ التدريب الشامل على استعمال السلاح لكل قادر على حمله ، فصـــار الشباب والرجال والنساء يتدربون على استعمال السلاح ، والرمى بالنشاب ، وفى مقدمتهم الفقهاء والقضاة .
٣ ــ بالرغم من حملة الـكتاب المســـيحيين ضد الدولة المصرية أمثال (بركارو) ، (بيير دى بوا) فان المصريين استطاعوا أن يقضوا على دعايات كتاب أوربا ضد الاسلام ، حيث كان الحكام المسيحيون يدركون أن صداقة مصر خير لهم من ممالأة المغول .

سجل النصر فى رمضان ..

فى المعركة الحاسمة كانت الأفواه الباسمة ، والوجوه المشرقة بنور الايمان ، المشتغلة بالعبادة الكبرى فى الاسلام وهى الصيام فى رمضان .
كان التوقيت الربانى لهذه المعركة يحمله القدر لحكمة عرفها المســـلمون منذ قديم ، حيث ظهرت نفحات رمضان فى بدر ، فى السنة الثانية ، وفى فتح مكة على مصراعيها ، والقضاء على آخر مقاومة لقريش فى رمضان ، من السنة الثامنة ، ثم تحقيق الله وعده لرسوله فى غزوة تبوك ، التى هزت كيان دولة الروم ، فى رمضان من السنة التاسعة .

ولم يعد خافيا على المسلمين سر الأسرار فى رمضان ، بعـــد أن تحقق نصرهم على الفرس والروم مجتمعين لأول مرة فى التاريخ ضد المسلمين عـــلى نهر الفرات عام ١٢ هـ .

وعاد رمضان ليقتحم بالمسلمين حدود آسيا وافريقيا ، ويحملهم الى أوربا نفسـها ، حيث فتحت الأندلس بأنفاس الصائمين فى رمضان بقيادة طارق بن زياد عام ٩٢ هـ .

البطولة المصرية فى معركة مرج الصفر فى رمضان عام ٧٠٢ هـ ــ ١٤٠١ م :

وصل جيش المغول الى مرج الصفر ، فى الجنوب الشرقى لدمشق ، فى نفس الوقت الذى وصل فيه الســـلطان الناصر محمد بن قلاوون ، والخليفة العباسى الى مكان القتال ، **وصار السلطان والخليفة ، يشقان صفوف الجند ، ومعهما القراء ، يتلون كتاب الله ، ويحثون على الجهـــاد ، ويشـــوقون الى الجنة ، واتجهت القلوب كلها الى الله فى خشوع وضراعة ، وصوت الخليفة يدوى بين الصفوف المجاهدة ، مرددا هذه الكلمات : « يا مجاهدون : لا تنظروا لسلطانكم ، قاتلوا على حريمكم ، ودين نبيكم » ، والناس فى بكاء شديد لشدة الموقف .**

وكان لرجال الدين دور خطير فى هذه المعركة ، وعلى رأسهم الامام تقى الدين ابن تيمية ، الذى أفتى بالفطر فى رمضان ، وأفطر هو ايضا ، ليقوى عزم المسلمين على القتال .

ولما التحم الجيشان : ثبت السلطان الناصر محمد بن قلاوون أمام الجند فى ميدان المعركة ، وأمر بجواده فقيد ، حتى لا تحدثه نفسه بالهرب اذا هزم المسلمون .

وانتهى يوم السبت الثانى من شهر رمضان سنة ٧٠٢ هـ وكفة المصريين راجحة ، فلما جاء الليل ، لجأ التتار الى اقتحام التلول والآكام والجبال ، فأحاط بهم المصريون يحرسونهم من الهرب ، ويرمونهم عن قوس واحدة ، الى وقت الفجر . وجعلوا يجيئون بهم فى الحبال فتضرب أعناقهم .

ولما ضاق الأمر على التتار ، صمموا على فك الحصار ، واقتحام صفوف المسلمين طلبا للنجاة ، وعلم السلطان بعزمهم ، فأمر الجنود بأن يفسحوا لهم الطريق ، ثم يأخذوهم هم من الحلف بسيوفهم .

وقد نجحت هذه الخطة الى ابعد حد ، وركب المسلمون اقفيتهم ، حتى كانوا يتساقطون فى الأودية ، والمهالك ، وقد كلت خيلهم ، وأعياهم الجهد ، والتعب ، حتى القوا اسلحتهم ، واستسلموا للقتل ، وأخذ العامة يسخرون منهم ، حتى ان الأعراب كانوا يضللونهم فى الصحارى ، والفيافى ، ثم يتخلون عنهم ، فيموتون عطشا .

وبمثل هذه الهزيمة المنكرة ثأر المسلمون لأنفسهم من موقعة (وادى الخازندار) .

افراح النصر فى مصر :

كان من أبهى مظاهر الفرح فى جميع المدن والقرى ، تلك الحفاوة التى استقبل بها السلطان حين عودته الى القاهرة ، فأقيمت الزينات ، واقواس النصر ، التى بلغت سبعين قوسا ، من باب النصر الى القلعة ، ونصبت الاعلام من قطع الحرير على جدران المنازل ، وارتفع كراء البيوت المطلة على الطريق ، التى يمر بها موكب السلطان ، وفرشت الأرض بالبسط الحريرية من باب النصر الى باب القلعة ، واصطف المغنون والمغنيات على جانبى الطريق ومر السلطان بحيث لم يطأ حافر جواده أرضا غير مفروشة بالحرير .

وكان يتقدم الفصائل المصرية الف وستمائة أسير ، مكبلين بالسلاسل والأغلال ، وفى عنق كل اسير رأس قتيل يتدلى أمامه .

هذا عدا الف رأس مشرعة على الرماح ، وأمامهم طبول الحرب المغولية مشققة ، وأعلامهم منكسة ، فكان يوما لم تشهد مصر مثله من الأيام .

خاتمة :

هذه نفحات رمضان ، وتلك شواهد قوة الايمان ، ونحن نقول لمن لم يصدق :

الله رب الأزمنة كلها ، والاسلام للناس كافة .

والوعد صادق ، ولا يزال المسلمون يمتحنون فى درجة ايمانهم بالاسلام .

والنصر فى النهاية لأمة القرآن .

واحة روحيّة

للشيخ : محمد الغزالى

فى هذا العصر اختفت تقريبا المذاهب الداعية الى الانطواء على النفس والعزلة عن المجتمع ، وربما بقيت فى ميدان الرهبانية ، أو فى مجال النزعات الخاصة بعض آثار الاستيحاش من الخلق ، والابتئاس بالخلطة . لكن هذه البقايا لا تؤثر فى قيمة الاتجاه الانسانى العام الى التعاون والاختلاط ، وبناء السلوك البشرى على الايلاف والاستئناس ..

ونحن راضون عن هذا الاتجاه الجماعى الودود ، فان الانكماش عن الحياة العامة ليس شارة صلاح ، ولا طريق اصلاح بل قد يكون دليل ضعف وانهزام ، أو نشدانا للراحة مع ترك الدنيا تموج بما تموج به .

ورسل الله لم يتركوا الجماعات البشرية تسير حبلها على غاربها ، ويقبعوا فى صوامع قصية يتأملون ويتألمون . كلا ..

لقد عاركوا الشر وعالجوا أسبابه ، وتحملوا بجلادة ما تركه هذا العراك فى انفسهم وأهليهم من أحزان وكروب ..!

ولم يكن هناك بد من هذا المسلك .. فان الافراد يعيشون غالبا وفق التقاليد والعادات الشائعة فى الامة ، ويبنون مكانتهم ووجاهتهم على الانسجام معها ..

وهذه التقاليد والعادات كثيرا ما تغلب فطرة الله فى الانفس ، وتعمى عن رؤية آياته فى الآفاق ، فتنشأ الاجيال المقبلة بعيدة عن الصلاح والاستقامة ، بحكم منابتها التى خرجت منها ..

ومن ثم فلا طريق لنصرة الحق ، وغلبة الخير الا بالجهاد المضنى ، لجعل عادة حسنة ، تغلب عادة رديئة ، وتقليدا صالحا يغلب تقليدا فاسدا ، وتيارا نقيا يغلب تيارا ملوثا ..

وتلك هى الغاية من جهاد الدعوة ..

ولعل الثواب الاعظم المرصد لخطوات المجاهدين يرجع الى عظم آثارهم فى الحياة ، وامتداد النفع بكفاحهم المادى والادبى ..

ومن ثم فان العباد العاكفين على طاعة الله فى قمة جبل ، أو جوف غابة ، يطالعون من بعد غبار المعركة بين الحق والباطل ، أو ييأسون من نتائجها ،

ويستريحون من متاعبها .. هؤلاء فى الحقيقة ناس واهنو العزم والايمـــان ، هابطو المكانة فى الدنيا والآخرة .

بل ربما لقى بعضهم الله باثم الفار من الزحف ، أو القاعد وراء المجاهدين..
ان الاسلام يمد أبناءه بفيض من اليقين يتجاوز أشخاصهم الى ما حولها ، فهم يتركون طابعهم كله او بعضه على بيئتهم ..

واذا استعصت مواطن الشر على هذا الايحاء الكريم ، فهى أعجز من أن تبسط ظلمتها على القلوب المشرقة ، وهى أعجز من أن تكرههـــا على الفرار والتوارى عن الاعين ..

وسيبقى أهل التقى فى جنح الليل السائد منارات قائمـــة تومض بالحق فتهدى وتنجى .

ومع هذه المعانى التى شرحناها ، نقرر أن المرء تمر به فترات يحتـــاج فيها الى أن يخلو بنفسه ، وينأى عن الناس بجانبه ، ويراجع فى صمت العزلة ما له وما عليه ، ما أحسن وما أساء ، ما يفعل وما يترك ..

ان ضجيج المجتمعات أحيانا يفقد الانسان وعيه أو يكاد ..

وأظن أنه قد ثبت علميا أن مستوى الذكاء فى زحام الجماهير يهبط ، وأن التجمعات المنطلقة يحكمها رأى عام يشبه « متوسط المحصول » ..

ومتوسط المحصول يتلاشى فيه الانتاج العالى فى جوار الانتاج الردىء اذ تذهب زيادة هذا فى نقص ذاك ..

ومن ثم وجدنا كثيرا من الناس ينشدون أن يخلوا بأنفسهم ، ليستعيدوا فى خلوتهم حدة بصيرتهم ، وتألق أذهانهم ..

وما يستغنى أولو النهى عن هذه الساعات الغالية ، لا ليستجموا فيها ، بل لتثوب اليهم مواهبهم ، وترجع لهم خصائصهم ثم يواجهوا الدنيـــا بحقيقتهم الكاملة ..

وفى الجاهلية الاولى رغب النبى صلى الله عليه وسلم فى العزلة ، فكان يهجر أم القرى الى غار منفرد فى جبل أشم ، ينقطع دونه لغو الناس واثمهم .

وكأن النبى الكريم يحاول فى سكينة الغار ، أن يقترب من الحقيقة ، التى ضل عنها عالم غريق فى الشرك والعصيان ..

وقد طلع عليه فجر الوحى فى أيام تحنثه ، واستراحة فؤاده الشريف الى حياة التأمل العميق ، فلما حمل أعباء الرسالة ، وشرع يخلص العالم من قيود الخرافة ، وآصار البغى ، كان يستعين على جهاد الجماهير الشكسة النافرة ، بالساعات التى يخلو فيها الى ربه ، ويبصر فيها نفسه ، وما يعمل وما يلقى ..

وقد استحب لأصحابه رضـــوان الله عليهم ـــ أن ينسحبوا بين الحين والحين من مشاغل العيش ، ومشكلات الاهل والولد ، وأن يفروا الى الله فى بيته ، ويعكفوا على ذكره وعبادته .. والاعتكاف فى المسجد اطراح موقوت لشئون الدنيا ، واقبال مضاعف على شئون الآخرة ، وانابة جادة الى الله ، يشترك فيها الشعور واللسان ، والظاهر والباطن ..

واذا كانت أيام رمضان قد اجتذبت الرسول صلى الله عليه وسلم الى غار حراء ، راغبا راهبا ذاكرا قانتا ، فان هذه الايام نفسها قد علقت قلبه ـــ بعد الوحى ـــ بالمسجد ، يأوى اليه ، ويتحنث فيه ، هو وصحبه الابرار .

وقد شهد المسجد النبوى بالمدينة المنورة ليالى وضيئة ، لأولئك العابدين المنقطعين الى الله ، الآملين فيه ، المعتزين به ..

فلنطالع هذه الصورة الطريفة من مرويات البخارى ومسلم . قال ابو سعيد الخدرى : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العشر من رمضان واعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال له : ان الذى تطلب أمامك ، فاعتكف العشر الاوسط ، فاعتكفنا معه ، فأتاه جبريل فقال : الذى تطلب أمامك .

ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال : من كان اعتكف معى فليرجع ، فانى رايت ليلة القدر ، وانى أنسيتها ، وانها فى العشر الاواخر فى وتر ، وانى رايت كأنى اسجد فى طين وماء .

قال ابو سعيد : وكان سقف المسجد جريدا من النخل ، وما نرى فى السماء شيئا ، فجاءت قزعة فمطرنا ، فصلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم حتى رايت اثر الطين والماء على جبهته ، تصديق رؤياه ..

اى ليلة سمحة مباركة كانت هذه الليلة التى اتصل فيها الذكر والتسبيح ؟
وصاحب الرسالة ورجاله الاقربون عكوف على الطاعة والتلاوة يركعون ويسجدون ، حتى جاءت سحابة تصب على اكناف المسجد ما شاء الله من رحمته ، والمتهجدون دائبون على نسكهم ، لا يلفتهم عن صلاتهم المطر النازل ، فاذا سجد النبى صلى الله عليه وسلم رفع وجهه الشريف وبه آثار من الماء والطين !!

لقد كانت هذه ليلة القدر وهى كما قال الله « خير من الف شهر » .

رب عمر طال بالرفعــــة لا بالسنوات ..
وقطيرات زمان .. مــلأت كأس حيــاة ..

وقد مضت السنة باستحباب اعتكاف المؤمنين فى العشر الاواخر من رمضان ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل الثلث الاخير شد مئزره ، وأحيى ليله وايقظ أهله ..

وربما قال قائل : ان الاعتكاف على هذا النحو ليس عزلة ، انه عبادة جماعية ، يؤديها المؤمن مع غيره ، وذاك شىء غير العزلة التى حدثتنا عنها آنفا !!

ونجيب بأن الاعتكاف عبادة قوامها العزلة ، فان الانسان عندما ينوى الاعتكاف يتفرغ لطاعة الله ، والاقبال عليه ، ويدع زوجته وشغله ولهوه .

وقد جعل الاسلام هذه العزلة فى اطار المسجد ، فلم يسمح بانقطاع فى غار او غابة ، وذلك حتى لا تهى صلة المسلم بالجماعة .

والمسجد بقعة توحى بالعبادة والتبتل ، وعلى العاكف أن يلم شمل نفسه ، ويديم ذكر ربه ، ولا يأذن لقطاع الطريق او لصوص الاوقات أن يغلبوه على أمره ..

ان المساجد قطع من هذه الارض مساوية لها فى المعدن ، ولكنها ارتفعت قدرا عند الله وعند الناس برفعة الغاية التى بنيت من أجلها ، والعباد الذين يصطفون فوقها « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار » .

ورأيى ان الاعتكاف ليست له مدة معينة ، وأن الصوم حسن فيه اذا طال أمده .

وفترات الاعتكاف القصيرة فرصة متاحة لكل مسلم يريد بين الفينة والفينة ان ينعطف الى ربه ، لكن الفترات القصار تشبه التمارين الرياضية المحدودة

من سباحة وجرى ، لها بلا ريب اثرها فى الصحة العامة ، غير انها لا تدل على بطولة وتفوق . .

والاعتكاف الذى يستغرق اياما لا يطيقه الا قوم لهم مع الله معاملة ، ولهم به الف ، وهل يتفاوت أهل الايمان والعبادة الا فى ذلك المضمار ؟

ان ما يسأم منه البعض قد يستلذه آخرون .

تدبر هذا الحديث عن ربيعة بن كعب رضى الله عنه قال : كنت اخدم النبى صلى الله عليه وسلم نهارى فاذا كان الليل اويت الى باب رسول الله فبت عنده ، فلا أزال اسمعه يقول (سبحان الله . سبحان الله . سبحان ربى) ، حتى أمل ، أو تغلبنى عينى ، فأنام ، فقال يوما : يا ربيعة سلنى فأعطيك ، فقلت انظرنى حتى أنظر . . وتذكرت ان الدنيا فانية فقلت : يا رسول الله ، اسألك ان تدعو الله أن ينجينى من النار ويدخلنى الجنة ؟ وفى رواية أسألك مرافقتك فى الجنة . . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : من أمرك بهذا ؟ قلت : ما امرنى به أحد ، ولكنى علمت أن الدنيا منقطعة فانية ، وانت من الله بالمكان الذى أنت منه فأحببت أن تدعو الله لى . قال : انى فاعل ، فأعنى على نفســـك بكثرة السجود . . » .

لقد كان رسول الله لا يفتر من ذكر حتى يمل كعب او ينام ، فلما طلب من رسول الله أن يصحبه فى الجنة طلب منه أن يرشح نفسه لهذه المنزلة بادامة الصلاة .

والانسان الذى يكثر السجود يقبل على الله بنفس محب ، ورغبة مشتاق ، والاعتكاف على مثله يسير ، طال أو قصر . .

والاعتكاف اليسير أو الطويل ليس جلوس بطالة فى المسجد كما يتوهم البعض ! فانك اذا قلت : شاطىء البحر متعة عنيت ان ذلك لمصطاف يستعين بالراحة على العمل ، وبالاستجمام على استئناف الكفاح . .

والمرء فى مكابدته للمعايش ، ومخالطته للخلائق قد يتيه فى أودية الحياة ، وينسى ما بعدها ، فاذا انتزع نفسه ليذهب الى المسجد مصليا ، فهو يذهب ليستعيد صوابه . .

فاذا بكر فى الذهاب قليلا ، وقصد ان يفتح اقطار قلبه لايحاء المسجد فهذا اعتكاف مشكور ، وفى الحديث : (فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه : اللهم اغفر له . اللهم تب عليه ، ولا يزال فى صـــلاة ما انتظر الصلاة) .

اننا فى عصر ينشد الانسان فيه المتاع المادى من الف وجه ، ويظن ما ناله منه حظا جسيما ، فلنلو زمامه الى لون آخر من الكمال الانسانى الاسمى . .

ان غدوة الى ناد للقاء الزملاء متعة . . لا بأس !

ومن المتع التى لها مذاق آخر غدوة الى المسجد لمناجاة الله ، واللبث فى حضرته .

فاذا استمكنت هذه العادة فى القلب رفعت صاحبها الى السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله . .

فمن هؤلاء السبعة (رجل قلبه معلق بالمساجد) . .

ان الاعتكاف سنة مهجورة ، أو لعله سنة غير مفهومة ، خصوصا هذه الايام التى دارت فيها الاهواء بالرؤوس كما تدور الخمر بشاربها . .

وهو فى حقيقته واحات روحية مزهرة على درب الحياة الطويل . .

المعنويات في مصير الجيش والأمة

بقلم اللواء الركن :
محمود شيت خطاب ـ بغداد

تمهيـــد

١ ـ قبيل معركة اليرموك الحاسمة بين العرب المسلمين والروم فى العام الثالث عشر من الهجرة (١) (٦٣٤م) ، قال رجل من المسلمين لخالد بن الوليد : (ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! ، فقال خالد : (ما أقل الروم وأكثر المسلمين ! انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان (٢)) .

ومعنى ذلك ، أن الجيش ليس بعدده وعدده بقدر ما هـــو بمعنوياتـــه ، والجيش الذى لا يتحلى بالمعنويات العالية لا قيمة له في الحرب ، والفئة القليلة ذات المعنويات الرصينة ، تغلب الفئة الكثيرة ذات المعنويات المنهارة .

وقد كان نابليون بونابارت يقول : « قيمة المعنويات بالنسبة للقوى المادية تساوى ثلاثة على واحد » ، أى أن الجيش تكون قيمته ٧٥٪ في الناحية المعنوية و ٢٥٪ في الناحية المادية .

وقد أيد نابليون فى قولته هذه كبار القادة العسكريين فى الماضى . والكثير من القادة العسكريين في الوقت الحاضر .

غير أن الجنرال فوللر فى كتابه : الأسلحة والتاريخ ، يخالف هذا الرأى ، لاختراع الأسلحة النووية والهيدروجينية ، وللتحسينات الهائلة التى طرأت على وسائل تذف هذه الأسلحة وعلى أساليب استعمالها .

وليس هناك شك ، فى أن الأسلحة الحديثة ذات تأثير على الناحية المادية فى الجيوش الحديثة ، اذ جعلت نسبة هذه الناحية بالنسبة الى الناحية المعنوية ٥٠٪ لكل منهما .

اى أن الناحية المعنوية لا تزال ذات قيمة عظيمة ، حتى بعد ظهور الأسلحة الجهنمية الحديثة ، وان المعنويات كانت ولا تزال وستبقى عاملا حاسما من عوامل النصر .

لقد كان الجيش الايطالى فى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)

(١) ابن الأثير (٢/١٥٧)
(٢) الطبرى (٢/٥٩٤)

مجهزا بأحسن التجهيزات ، ومسلحا بأفتك الأسلحة ، ومنظما وفق احدث اساليب التنظيم ، ومدربا وفق أحدث أساليب التدريب . الا أن معنوياته لم تكن عالية بالرغم من كل ذلك ، لهذا كان الحلفاء يعتبرون المواضع التي يحتلها الجيش الايطالي فراغا عسكريا ، وكان هذا الجيش يستسلم بسهولة ويسر للحلفاء في كل معركة يخوضها .

لقد كانت الناحية المادية في الجيش الايطالي متميزة جدا ، ولكن الناحية المعنوية فيه كانت ضعيفة ، لذلك لا يمكن اعتباره جيشا ذا قيمة عسكرية ضاربة . وما يقال عن الجيش الايطالي ، يقال عن كل جيش قديم أو حديث ، لا يتحلى بالمعنويات العالية .

٢ — وفي الحروب القديمة ، اى الحروب التي خاضتها الشعوب قبل الحرب العالمية الثانية ، كان الجيش هو المسؤول الأول والأخير عن احراز النصر .

أما في الحروب الحديثة ، ابتداء من الحرب العالمية الثانية ، فقد أصبحت الحرب اجماعية (١) ، تحشد لها الأمم كل طاقاتها المادية والمعنوية ، لذلك اصبح الشعب كله مسؤولا عن احراز النصر وليس الجيش وحده ، ولو أن الجيش النظامي والاحتياطي بقي رأس رمح في الحرب .

ان الحرب الاجماعية ، تقتضي زج كل قادر على حمل السلاح في الحرب ودعم المحاربين بكل طاقات الشعب المادية ، لذاك كان اعلان الحرب معناه ، أن يكون الشعب كله — لا قواته المسلحة وحدها — في الصفوف الامامية ، وخاصة بعد تطوير القوة الجوية ، واختراع الأسلحة النووية ، فقد أصبح كل مكان في البلاد المحاربة ساحة حرب ، لا تقل أهمية وخطرا عن الجبهة الأمامية في ميدان القتال .

لذلك أصبحت اهمية المعنويات في الشعب كاهميتها للجيش سواء بسواء .

كما أن الجيش من الشعب ، فاذا كانت معنويات الشعب عالية ، كانت معنويات الجيش عالية أيضا ، والعكس صحيح .

من هنا تاتي أهمية المعنويات للشعب كله ، وتبرز ضرورة ادامة المعنويات في الشعب والجيش على حد سواء .

تعريف المعنويات :

١ — كان تعريف المعنويات قبل الحرب العالمية الثانية : بأنها الصفات التي تميز الجيش المدرب المنقاد الى أسس الضبط (٢) عن العصابات المسلحة ، وتتجلى بهذه الصفات الطاعة القائمة على الحب ، وتنمي الشجاعة ، وتظهر الصبر على المشاق ، وتبدي كل المزايا التي تجعل الجندي مطيعا باسلا صبورا (٣) .

وهذا التعريف يشمل الجيش وحده كما نرى ، لأن الحروب كانت حروب جيوش لا حروب أمم ، كما أصبحت في الوقت الحاضر .

٢ — أما تعريف المعنويات اليوم ، فهو : القوى الكامنة في صلب الانسان ، التي تكسبه القابلية على الاستمرار في العمل ، والتفكير بعزم وشجاعة ، مهما اختلفت الظروف المحيطة به .

---

(١) تسمى الحروب الاجماعية في قسم من الجيوش العربية الشقيقة : الحرب الشاملة أو الحرب الاعتصابية .

(٢) الضبط : الطاعة العمياء . ويطلق عليه في قسم من الجيوش العربية الشقيقة : تعبير الانضباط .

(٣) الجغرافية العسكرية (١٨/١) طه الهاشمي — بغداد — ١٩٣٤ .

وهذا التعريف يشمل الشعب كله لا الجيش وحده .

واذا أردنا ايضاح هذا التعريف وتبسيطه ، فيمكن القول بأن الفرد فى الشعب ، يجب أن يكون شجاعا لا يجبن ، قويا لا يضعف ، عزيزا لا يهون ، صامدا لا يتراجع ، صابرا لا ينهار ، متفائلا لا يقنط ، مستعدا للتضحية بماله وروحه من أجل مثله العليا .

٣ ــ وكلمة : المعنويات : ترجمة لكلمة (Worale) الانكليزية ، وقد ترجمت فى أول الأمر الى : القوى الأدبية ، والى : الروحيات ، ثم شاع استعمالها فى الجيش وخارجه بتعبير : المعنويات .

عوامل القوى المعنوية :

١ ــ الدين :

عامل الدين من أهم عوامل رفع المعنويات فى الشعب ، خاصة بالنسبة للعرب يقول ابن خلدون : « ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم » (١) .

لقد غرس الاسلام فى نفوس العرب حب الضبط والنظام ، وحبب اليهم الاستشهاد فى سبيل الحق ، وجعلهم يرون هذا الاستشهاد نصرا دونه كل نصر ، كما بعث فيهم الاعتزاز بالنفس ، والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الأداء للعالم (٢) .

وحد الاسلام عقائد العرب ، ووحد اعمالهم ، ووحد صفوفهم ، ونظمهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهر نفوسهم ، ونقى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاما ماديا ومعنويا (٣) .

لقد وجد الاسلام بتعاليمه ــ التى تغرس الضبط والنظام فى النفوس ، وتدعو الى توحيد الله تعالى ، وتوحيد الصفوف ــ أرضا خصبة فى العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة فى الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشقون الحرية ، فكان من فضل الاسلام على العرب ، انه جمع شملهم ، ووحد قلوبهم ، واشاع فيهم النظام والضبط ، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفسا) فى توحيد الجزيرة العربية أولا ، وفى الفتح الاسلامى ثانيا ، فحملوا رايات الاسلام شرقا وغربا الى أقصى الشرق ، وغربا الى أقصى الغرب ، وحملوا أعباء الفتح الاسلامى وحدهم ، فكان لهم بتوفيق الله وتسديده فضل نشر الاسلام فى البلاد المفتوحة شرقا وغربا . (٤)

ولكن كيف رفع الاسلام معنويات العرب ؟

غرس الاسلام عقيدة الايمان بالقضاء والقدر ، وان النفس لن تموت الا بأجلها ، والمرء يموت فى يومه ، سواء كان ذلك فى ساحات الوغى أو على فراشه الوثير .

وأمر الاسلام بالشجاعة والثبات والاقدام : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا) (٥) ، وقال تعالى : (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا) (٦)

---

(١) انظر التفاصيل فى مقدمة ابن خلدون (١/٢٦٦) ــ بيروت ــ ١٩٦٧ .

(٢) قادة فتح العراق والجزيرة (١٩) القاهرة ١٩٦٤ .

(٣) قادة فتح الشام ومصر (٢٧٢) ــ بيروت ــ ١٩٦٦ .

(٤) قادة فتح الشام ومصر (٢٧٤) .

(٥) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٤٥) .

(٦) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٥٠) .

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (١) .

وحث الاسلام على (الطاعة) ، والطاعة هى روح الجندية : (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) (٢) .. وقال تعالى : (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) (٣) .

وأمر الاسلام بالصبر : (ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم) (٤) . وقال تعالى : (اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله) (٥) ، وقال تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا) (٦) .

ذلك بايجاز ما أمر الاسلام به من مزايا (فردية) هى نفسها مزايا الجندى الخالدة فى كل مكان وزمان ، وهى فى نفس الوقت لها أثر على (المجموع) لأنها تبنى جيشا مقاتلا من الدرجة الأولى ، وشعبا قويا صامدا لا يقهر أبدا .

ولكن الاسلام لم يقتصر على تربية (الفرد) ليتحلى بالمعنويات العالية ، بل شملت تعاليمه الأمة كلها ، فأمر بالوحدة وهى أساس القوة ، وحث على الاستعداد الحربى ، وهو أساس النصر ، وأمر بالجهاد — وهو أساس القوة والنصر معا .

أمر بالوحدة : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) (٧) . وقال تعالى : (ان هذه أمتكم أمة واحدة) (٨) .

وحث على الاستعداد الحربى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم) (٩) .

وأمر بالجهاد بالأموال والأنفس : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله) (١٠) ، وهو بالاضافة الى كل ذلك ، حث على اليقظة والحذر : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) (١١) ، وقال تعالى : (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) (١٢) .

ذلك هو أثر الاسلام قبل الحرب وفى أثنائها فى اعداد متطلبات النصر ، ومن أهم عوامل رفع المعنويات هو احراز النصر فى ميدان القتال .

ولكن أثر الاسلام يمتد الى ما بعد الحرب ، فلا يفسح مجالا لانهيار المعنويات ، وذلك بالعمل على احباط محاولات العدو لاحراز النصر فى مجالات الحرب النفسية ، لاكمال انتصاراته فى الحرب .

ولعل آثار الحرب النفسية — كما هو معلوم — تستهدف تحطيم المعنويات لأن الأمة التى تخسر فى الحرب وتحتفظ بمعنوياتها سليمة لا بد وأن تعيد الكرة

---

(١) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ١٥ — ١٦) .
(٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٨٥) .
(٣) الآية الكريمة من سورة النور (٢٤ : ٤٧) .
(٤) الآية الكريمة من سورة النحل (١٦ : ١١٠) .
(٥) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ٢٠٠) .
(٦) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٤٦) .
(٧) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٣) .
(٨) الآية الكريمة من سورة الأنبياء (٢١ : ٩٢) .
(٩) الآية الكريمة من سورة الأنفال (٨ : ٦٠) .
(١٠) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٤١) .
(١١) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٧١) .
(١٢) الآية الكريمة من سورة النساء (١٠٢) .

على أعدائها ، وتنتصر عليهم فى المدى البعيد او القريب .

وليس هنا مجال تفصيل أهداف الحرب النفسية ، لأن ذلك يخرجنا عن الموضوع الذى نتصدى له اليوم .

ومع ذلك فان الحرب النفسية ، لكى تحقق أهدافها فى تحطيم المعنويات تستهدف بث الاشاعات المغرضة ، وتعمل على تفرقة الصفوف ، وتجعل اليأس والقنوط يدب فى نفوس أبناء الشعب ، وتضخم نتائج نصر العدو ، وتخوف من استئناف القتال على اعتبار أنه يؤدى الى الموت والدمار والفقر والفاقة .

والاسلام يحارب الاشاعات ويأمر بمكافحة مروجيها وأخبار السلطات عنهم : (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا) (١) . وقال تعالى : (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة ، لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) (٢) وقال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (٣) .

والاسلام يعمل على رص الصفوف ، ويحارب التفرقة محاربة لا هوادة فيها : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) (٤) وقال تعالى : (فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) (٥) .

والمسلم لا ييأس أبدا ولا يقنط من رحمة الله : (لا تقنطوا من رحمة الله) (٦) ، وقال تعالى : (ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) (٧) ، وقال تعالى : (ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) (٨) .

والاسلام يذكر المسلمين بأن الأيام دول بين الناس ، يوم لك ويوم عليك : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) (٩) وقال تعالى : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) (١٠) وقال تعالى : (الذين قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (١١) .

والاسلام يقرر أن الموت قدر ، وأن المرء لا يموت الا بأجله الموعود : (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) (١٢) .

وهو يقرر أن الذى يموت مجاهدا فهو شهيد ، ومقام الشهداء من أعظم المقامات فى الجنة : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون) (١٣) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٣) .
(٢) الآية الكريمة من سورة الأحزاب (٣٣ : ٦٠) .
(٣) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ٦) .
(٤) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٠) .
(٥) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٣) .
(٦) الآية الكريمة من سورة الزمر (٣٩ : ٥٣) .
(٧) الآية الكريمة من سورة الحجر آية (٥٦) .
(٨) الآية الكريمة من سورة يوسف (١٢ : ٨٧) .
(٩) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٠) .
(١٠) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٧٢) .
(١١) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٧٣) .
(١٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٤٥) .
(١٣) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٦٩) .

تلك هى معالجات الاسلام للحرب النفسية التى يريد بها العدو تحطيم المعنويات .

ولست اشك فى ان العقائد الأخرى ، لا تطمع أن تصل الى ما وصل اليه الاسلام فى رفع المعنويات قبل الحرب وفى أثنائها وبعدها .

من هنا يجب أن يحرص المسؤولون الرسميون والمسؤولون عن اهليهم ، ان يغرسوا مبادىء الدين الحنيف فى النفوس والعقول معا .

فهل نحن فاعلون أم على قلوب أقفالها ؟

٢ ـ القيادة :

القيادة المتميزة ترفع المعنويات ، والقيادة الضعيفة تحطم المعنويات . ولا تقتصر القيادة على الناحية العسكرية فحسب ، ولو أن هذه القيادة لها القدح المعلى فى الحرب ، بل تشمل القيادة بالاضافة الى القيادة العسكرية ، القيادة السياسية ، والقيادة الصناعية ، والقيادة الفكرية ، والقيادة العائلية .. الخ . فاذا كان كل أولئك الرعاة موضع ثقة رعيتهم ، فان معنويات تلك الرعايا بخير ، والا فاقرا على المعنويات الفاتحة .

لقد استيقظ الشعب العربى ، فهو يعرف قادته كل المعرفة ، واستيقظ الجنود العرب ، فهم يعرفون قادتهم أعمق المعرفة ، واستيقظ العمال العرب ، فهم يعرفون قادتهم أوثق المعرفة ، واستيقظ المثقفون العرب ، فهم يعرفون مزايا قادة الفكر العربى غاية المعرفة ...

والعائلة فى الدار ، تعرف رب العائلة ، وتضعه فى المكان الصحيح .

والقادة الذين يظنون أنهم يخفون حقيقة أمرهم ، مخطئون كل الخطأ ، أو واهمون كل الوهم ، فأمرهم مكشوف ، وحقيقتهم معروفة .

ولكن كيف يحوز القائد ثقة رجاله ؟

يجب أن ينسى نفسه لأجلهم ، ويجب أن يفعل ما يقول ، وينفذ أوامره على نفسه ، قبل أن يطالب غيره بتنفيذها ، ويجب أن يكون عالما بواجباته ، نزيها كل النزاهة ، متمسكا بأهداب الخلق الرفيع ، حريصا على أداء أعماله كل الحرص بأمانة وشرف ، حريصا على مصير الذين هم تحت قيادته ، سريع القرار صائبه ، يتحمل المسؤولية ، ولا يحاول القاء تبعاتها على الآخرين ، يبادل رجاله حبا بحب وثقة بثقة ، يعرف مزاياهم فيولى الرجل المناسب العمل المناسب ، دون تحيز أو انحراف ، له مبادىء معروفة سليمة ، يؤمن بها كل الايمان ، ليست له شخصية مزدوجة ، يضحى بمصالحه من أجل رجاله ، ولا يضحى برجاله من أجل مصالحه ، لا يكل ولا يمل من العمل ، يساوى نفسه برجاله فى حياته الشخصية ، ولا يستأثر دونهم بالغنم ، ويلقى بالغرم عليهم ، له شخصية قوية نافذة ، ورأى واضح سليم ، وله ماض مشرف مجيد ..

مثل هذا القائد ، يسير رجاله معه حتى الموت عن طيبة خاطر ودون تردد .

ومثل هذا القائد ، يرفع المعنويات الى عنان السماء .

ومثل هذا القائد ، يقود رجاله الى النصر بسهولة ويسر .

كان رجال خالد بن الوليد ، يفعلون الأعاجيب فى ميدان القتال تحت رايته ، ذلك لأنه كان : (لا ينام ولا ينيم) بالاضافة الى مزاياه القيادية الأخرى . وصدق الله العظيم : (ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الذين

ان مكناهم فى الأرض ، اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور) (١) .

فى هذه الآية الكريمة ، صفات القائد المنتصر ، باسلوب رائع معجـز ، ولكنه شامل كامل .

واشهد أننى لم أقرأ حتى فى الكتب المعتمدة الحديثة . بحثا عن صفـات القائد المنتصر فيه كل هذه الروعة والدقة والايجاز والشمول .

٣ ـ النصـر :

النصر فى ميدان الحرب ، والنصر فى ميدان العلم ، والنصر فى ميـدان العمل ، وكل نصر فى اى ميدان من المبادىء يؤدى الى رفع المعنويات .

ولكن النصر له تكاليف ، وأولها التخطيط له ، والعمل الدائب ، لوضـع ذلك التخطيط فى حيز التنفيذ .

ولم يكتب النصر فى أى ميدان لأحد . دون الاعداد الكامل السليم لكـل متطلبات النصر .

ان النصر لا يتحقق مطلقا بالكلام الفارغ ، وبالادعاءات الكاذبة ، بـل ان هذا الكـلام وتلك الادعاءات بعـد انكشاف حقيقتهـا ، تلحـق أبلغ الضـرر بالمعنويـات .

الوعد بالنصر السريع مثلا ، ثم تثبت الأحداث العكس ، يؤدى الى انهيار المعنويات .

وفى القضايا العسكرية ، يجب انـذار الجيش والشعب بمـا يمكن أن يحدث فى الحرب فعلا ، حتى لا يؤخذ الجميع على حين غرة ، فيؤدى ذلك الى زعزعة الثقة والمعنويات .

ان النصر يكون بالعرق والدموع والدماء ، ويكون بالبـذل والتضحيـة والفداء .

اما الكلام وحده ، فلا يؤدى الا الى الهزيمة .

ان الأعمال وحدها هى التى ترفع المعنويات . اما الأقوال بدون أعمـال فتدمر المعنويات . والعرب فى هذه الظروف يحتاجون الى كثير من العمـل وقليل من الكلام .

وقد سألنى صديق قبل أيام قائلا : لماذا سكت وقد ارتفعت الأصوات ؟

فقلت له : أخدم أمتى بصمت ، حين يضرها غيرى بالكلام .

وما عسى أن تفيد الأقوال ، خاصة اذا كذب الواقع الأفعال ؟

وصدق الشاعر :

السيف أصدق أنباء من الكتب　　　فى حده الحد بين الجد واللعب

ان انتصارا واحدا للعرب على اسرائيل ، كفيل أن يبدل معنوياتهم من حال الى حال . وكل ادعاء يخالف ذلك هراء وافتراء .

الخاتمـة :

قرأت فى مذكرات المرحوم الهاشمى ، ان « المس بيل » فى العشرينيات من هذا القرن ، طالبت باستخدام الضباط المتقاعدين الذين خدموا فى الجيش العثمانى سابقا فى الجيش العراقى الذى كان فى ابتداء تشكيله .

وأجابها المسؤول البريطانى الذى كان يعمل فى السفارة البريطانية فـى

---

(١) الآيتان الكريمتان من سورة الحج (٢٢ : ٤٠ ـ ٤١) .

حينه : كيف نستخدم هؤلاء الضباط فى الجيش العراقى الجديد ، وهم من هم وطنية واخلاصا ؟؟..

انهم سينشئون جيلا وطنيا لا غبار عليه .

وابتسمت « المس بيل » بخبث وقالت : لا تخش شيئا !. ان المستر « فلانا » فى المعارف !!!. وهو المسؤول عن تربية الجيل الجديد !!

ان العرب يمتلكون عقيدة سامية تصون معنوياتهم فى أيام السلام والحرب .

وقد حارب الاستعمار بوسائله الجهنمية هذه العقيدة ، وبذل كثيرا من الجهد والمال لتحقيق أهدافه الهدامة ، لأنه يعلم أن الأمة بدون عقيدة لا قيمة لها فى الحياة ، ولا خطر منها على الاستعمار .

وكان من المتوقع أن يتبنى العرب عقيدتهم بعد نيل حريتهم ، ولكنهم لم يفعلوا شيئا مذكورا فى هذا المجال !

هل يبنى الشعب العربى باشاعة الفحشاء والمنكر بين ابنائه ؟.

هل يبنى هذا الشعب بالأغانى الخلاعية ، والأفلام الداعرة ، وقصص المخدع ، والاستهتار بالقيم الروحية ؟

ماذا فعلنا لغرس مبادىء الدين الحنيف فى قلوب التلاميذ والطلاب فى المدارس والجامعات ؟

ماذا فعلنا لغرس هذه المبادىء بين ابناء الشعب ؟

ماذا فعلنا لغرسها فى نفوس العسكريين ؟.

لقد كان انتصار العرب المسلمين أيام الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ، وفى أيام الفتح الاسلامى العظيم ، انتصار عقيدة لا مراء .

لم ينتصر العرب والمسلمون مطلقا بكثرة العدد ، وقد كان أعداؤهم متفوقين عليهم بالعدد والعدد فى كل معركة خاضوها ، وقد انتصرت الفئة القليلة من العرب المسلمين على الفئة الكثيرة من العرب غير المسلمين ، ومن الفرس والروم وحلفائهم . بالعقيدة وحدها ، واتحدى من يثبت خلاف ذلك . فلماذا نستبدل الذى هو ادنى بالذى هو خير ؟

ان المعنويات عامل مهم من عوامل النصر ، بل هى اهم عامل من عوامل النصر على الاطلاق ، وهى التى تصون العدة وتجعل لها فاعليتها فى يد الجيش .

ولا نصر بدون عقيدة منشئة بناءة ، تصاول فى أيام السلام ، وتصمد فى أيام الحرب ، وتكافح عوامل الحرب النفسية التى يشنها الأعداء .

ان الاسلام بالنسبة للعرب ، هو السلاح السرى الذى جعلهم يقودون العالم قرونا طويلة فى ميادين السياسة والحضارة والحرب .

فهل نستعمل هذا السلاح اليوم ، كما استعمله أجدادنا من قبل ، لننتصر كما انتصروا ولنقود العالم كما قادوه ، أم نبقى فى مهب الرياح العاتية تتقاذفنا المبادىء والأفكار التى قد تنجح فى الأمم الاخرى . ولكنها لن تنجح فى الشعب العربى لأنها تنزعه من جذوره ، وقد أثبت الواقع العربى المرير هذه الحقيقة ؟

ان الوقت مع العرب على أعدائهم ، اذا سلكوا الطريق السوى ..

واننى لأبشر العرب بالنصر عاجلا أو آجلا . ولكننى أطالبهم بتكاليف النصر . وأولها البذل والتضحية والفداء .

اننى أبشر العرب بالنصر ، ولكنى لا ابشرهم بالراحة . والأيام القادمة ستكشف للعرب الحقائق الناصعة ، وكل آت قريب . وصدق الله العظيم : (يا أيها الذين آمنوا ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) (١) .

---

(١) الآية الكريمة من سورة محمد (٤٧ : ٧) .

طرائف

صوم الصبيان

عن الربيع بنت معوذ ، قالت : « أرسل النبى – صلى الله عليه وسلم – غداة عاشوراء الى قرى الأنصار من أصبح مفطرا فليتم بقية يومه ، ومن أصبح صائما فليصم » .

« قالت : فكنا نصومه بعد ، ونصوم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن ، فاذا بكى أحدهم على الطعام ، أعطيناه ذلك ، حتى يكون عند الافطار »

(رواه البخارى)

قال القرطبى : وصنع اللعب من العهن (وهو الصوف الأحمر) بصوم رمضان ، ولعل النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك .

ثم قال : وبعيد أن يكون أمر به ، لانه تعذيب لصغير بعبادة شاقة غير مكررة فى السنة .

واختلف أصحاب الشافعى فى تحديد السن التى يؤمر عندها الصبى بالصيام ، فقيل : بالسبع والعشر كالصلاة ، وبه قال أحمد :

وقيل : اثنتا عشرة سنة ، وهو قول اسحاق بن راهويه .

وقال الأوزاعى : اذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعا ، لا يضعف فيهن عن الصوم .

ويقول الغزالى : ومهما بلغ الصبى سن التمييز ، فينبغى الا يسامح فى ترك الصلاة والطهارة ، ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان .

وقال عروة : اذا أطاق الصبيان الصوم وجب عليهم !

قال عياض : وهذا غلط يرده قول الرسول عليه الصلاة والسلام : (رفع القلم عن ثلاثة . .) فذكر الصبى حتى يحلم فى رواية .

وفى رواية : حتى يبلغ .

وقال ابن الماجشون : اذا أطاقوا الصيام ألزموه ، فاذا أفطروا بغير عذر ولا علة ، فعليهم القضاء ! وهو قول أشد غلوا من سابقه ، والا فما الفرق بين الصبى والبالغ ؟

وذكر الهادى فى (الأحكام) : انه يجب على الصبى الصوم بالاطاقة لصيام ثلاثة أيام ! وحمل المرتضى كلام الهادى على التأديب . وحمله السادة الهارونيون على أنه يؤمر

غاب الأستاذ الكبير على الجندى عن قراء « الوعى الاسلامى » فترة طويلة ، وها هوذا يتحفهم فى شهر رمضان بطرفتين مناسبتين عن صوم الصبيان وكعك العيد ..

بذلك تعويدا أو تمرينا .

والمشهور عند المالكية : ان الصوم لا يشرع فى حق الصبيان .

والجمهور : على أنه لا يجب الصوم على من دون البلوغ ، ولكن استحب جماعة من السلف أمر الصبيان بالصوم للتمرين عليه اذا اطاقوه ، منهم : الحسن ، وابن سيرين ، والزهرى ، وعطاء ، وعروة وقتادة ، والشافعى .

ويقول ابن بطال : اجمع العلماء انه لا تلزم العبادة والفرائض الا عند البلوغ ، ولكن أكثر العلماء استحسنوا تدريب الصبيان على العبادات ، رجاء البركة ، وان من فعل ذلك منهم مأجور ! ولأنهم باعتيادهم عليها ، تسهل عليهم اذا لزمتهم .

راى الطب فى ذلك :

ورأى الطب فى ذلك يوافق راى الجمهور ، يقول الدكتور محمد محفوظ : اثبت الطب قديما وحديثا : أن صيام الأطفال دون البلوغ ضار بهم ! فان اجسامهم الناشئة فى حاجة الى التغذية المستمرة ، حتى تستطيع أن تنمو وتترعرع ! وان لم تتعهد بالغذاء والتغذية والا وقف نموها أو تعطل ! وفى هذا من غير شك اضرار بالصحة الجسمانية والعقلية للطفل ! ومن اجل ذلك فانى أنصح الآباء والأمهات ، الا يشجعوا اطفالهم على الصيام ، فاذا رأوا اجسامهم قد نمت وترعرعت ، فلا بأس عليهم ان يشجعوهم على الصيام تدريجا حتى ينشئوا على حب الدين ، وتتربى فى نفوسهم عاطفة الحدب على الفقراء والمعوزين ، فليس اجلب لرفقك بالجوعان أو العطشان من أن تحس انت ألم الجوع والعطش ، حتى تشعر بوقعه على غيرك من البائسين وقديما قال الشاعر العربى :

لا يعرف الشوق الا من يكابده
ولا الصبابة الا من يعانيها

وقديما ايضا قالوا : الصلاة عادة والصوم جلادة .

هذا هو الحق الذى لا ريب فيه ، والذى يطابق قوانين ملتنا السمحة البيضاء ، والدين يسر لا عسر ! ولا خلاف انه مما لا يستحسن فى التربية الخلقية ، اكراه الصبية على فعل امر دينى يشق عليهم ! لان ذلك يبغضهم فى العبادة ، ويعمى قلوبهم ويضعف عزائمهم !

واذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقول فى الكبير : (ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) فما الظن بالصبى الصغير ؟ وأما

تمرينهم عليها باللطف واللين وحسن التأنى فمطلوب ومحبوب ، فان اعتياد الشىء يذلل صعبه ، ويرقق قسوته ويمهد سبيله ، وقد جاء فى الحديث الشريف : (تعودوا الخير فان الخير عادة ، والشر لجاجة) ، ومعنى (عادة : اى دربة ، وهو أن يعوده نفسه ، حتى يصير سجية له .

ومعنى (لجاجة : اى أن النفس تلج فى ارتكابه لا تكاد تخليه .
ويقول الحكماء : العادة طبيعة ثانية .
ويقول الشاعر فى معنى ذلك :

اذا المرء اعيته المروءة ناشئا

فمطلبها كهلا عليه شديد

ويقول آخر :

وينشا ناشىء الفتيان فينا

على ما كان عوده أبوه

ويقول الآخر :
ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

والعبادات اذا ووظب عليها يحسها الانسان وكانها لون من الوان العادات ، قويت واستمرت ، وسهل اداؤها بالمواظبة عليها ، وذلك لا يحتاج الى دليل ! والله الموفق الى سواء السبيل .

٢ ــ كعك العيد

بين الأمس واليوم

فى اللغة :

جاء فى الصحاح والقاموس : الكعك : خبز ، وهو فارسى معرب . وقال الليث أظنه معربا .

وقال الأزهرى : الكعك : الخبز اليابس .

وهذا الكعك الذى اشار اليه اللغويون لا يزال يصنع حتى يومنا هذا ، وهو نوع ساذج ليس فى تناوله ضرر للأجسام فليت الأمر وقف عنده . ولم يتطور الكعك الى هذا النوع المعقد المأدوم بالسمن والسكر ، والمحشو بالملبن والعجمية والمكسرات !

ومن السنة فى عيد الفطر ، ان يوسع أرباب الأسر على الأهل والأولاد ، بما يختارون من أنواع المأكولات ، لأن الشرع الشريف أمر بالتوسعة ، ولكنه لم يأمر بشىء معين .

ويجوز لهم ان يتخذوا طعاما معلوما ، بشرط الا يخرجوا فيه الى حد الاسراف أو التكلف ، فالله لا يحب المسرفين ولا المتكلفين ! .

وبشرط الا يصير ذلك سنة تتبع ، حتى لا ينسب الى الشرع ما ليس منه ! كهذه العادات التى يفعلها العامة ويظنونها امرا مشروعا وهى من البدع السيئة التى تدخل فى نطاق الحديث الشريف (.. ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) .

ويرى ابن الحاج : ان الكعك المحشو بالعجوة يجوز شراؤه ، لأن ما فى باطنه تبع لظاهره ، بخلاف ما يسمى بالخشكنان (١) . والبستندود مما لا يعرف باطنه من ظاهره ، فلا يجوز شراؤه على مذهب الشافعى الا ان يكسر كل واحدة ويرى جميع ما فى

---

(١) الخشكنان ــ بضم فسكون ففتح ــ نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شكل حلقة مجوفة يملأ وسطها باللوز أو الفستق ويعرف بالخشنان فى مصر ، والبستندود ــ بكسر فسكون ففتح فسكون ــ طعام فارسى مصنوع من دقيق وبلح .

باطنها ، وعلى مذهب مالك — وهو مذهب ابن الحاج — يجوز بيعه بغير كسر ، بشرط أن يكسر واحدة ويعاين جميع ما فى باطنها ، ثم يشترى الباقى على مثل ذلك .

ثم ذكر ابن الحاج ما فى عمل هذا الكعك من البدع فقال :

البدعة الأولى : انهم يبخونه بماء الورد .

والبدعة الثانية : انهم يفعلون ذلك وهم صيام ، وحال فم الصائم كما قد علم !

ثم يقول : وكذلك فعلهم فى بخ الكعك بالشيرج — بأفواههم — يعنى زيت الشيرج — وهم صيام ايضا ، فيعرض الصائم نفسه للفطر ، ويصير بذلك مستقذرا ! وكثير من اليهود يعملونه ويبيعونه للمسلمين ، ولا يؤتمنون ان يبخوه كما يفعل المسلمون ! وهذا لا ينبغى بوجوه :

الأول : أن سؤر اليهودى مكروه ، ان لم يعلم أن فى أفواههم نجاسة وقت الفعل لذلك ، أو كانت قبله ولم يطهر فمه بعدها ، فما اصابه بريقه متنجس !

الثانى : انه مستقذر اذا كان من مسلم ، فكيف به من يهودى ؟

الثالث : انه مخالف للاقتداء بالسنة والسلف والخلف لما فيه من عدم الاحتراز من المستقذرات !

ثم يقول : ولو كان هذا المأكول على سبيل السلامة مما ذكر ، لكان بعيدا من جهة الشرع والطب !

أما الشرع فانه لم يرد فيه شىء معين .

واما الطب ، فان الصوم يجفف الرطوبات غالبا ويعصم ، فاذا خرجوا من الصوم افطروا على الكعك الذى يزيدهم جفافا ، وامساكا ، فيتضرر البدن ، وقد يحتاجون الى الأدوية والأشربة والأطباء ، وكانوا فى غنى عن ذلك !

سمك العيد

ثم عقب على ذلك بقوله : ثم العجب من استعمالهم السمك المشقوق فى هذا اليوم الفاضل الذى يعتق الله فيه — عز وجل — من الرقاب بقدر ما أعتق فى شهر رمضان كله ، فكان ينبغى أن يبادر المرء فى هذا اليوم الى كسب الحسنات وأفضل من كل ذلك اتقاء المحارم ! فاتخذ هؤلاء فطرهم فى هذا اليوم الشريف على شىء ممسك ، والذى ينبغى أن يعد الانسان فى هذا اليوم لافطاره شيئا حلالا من جهة يرضاها الشرع لعله يلحق بالقوم !

هذا راى عالم جليل من علماء المالكية ، ترجم له فى كشف الظنون ، وطبقات الشعرانى ، وحسن المحاضرة ، وقيل فيه :

انه كان فاضلا عارفا يقتدى به وكان مع ذلك من كبار المتصوفة !

والشىء الذى يلفت النظر فى كلمته هذه ، ويجعلنا نعجب اشد العجب : ان اسلافنا منذ : مئات السنين ، عرفوا هذا الكعك الذى

نصنعه الآن ، وتكلفوا فيه ما نتكلفه .

ثم عرض لهذا السمك الذى يعنى الناس بشرائه فى يوم عيد الفطر ، وسماه السمك المشقوق ، ولا أدرى ما يريد به ؟ ولعله يريد ما يسمى بالملوحة او الفسيخ ، أو سمك البكلاه مثلا .

ولا غرابة أن يذكر هذا الامام راى الشرع فى كعك العيد — فهو شىء خارج من معدنه — فيبين لنا أن صنعه على هذه الصفة التى ذكرها قد يصل به الى درجة الحرمة ، ولا سيما أن اصبح عادة يتكلف الناس لها فوق ما يطيقون !

واما الشىء الغريب حقا ، فهو رايه الطبى فى الكعك الذى يوافق احدث آراء الأطباء فى عصرنا .

والمهم : اننا سمعنا صوتا يرجع الى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة — هـ — ينادى مع اصوات المصلحين فى عصرنا الراهن : ان هذا الكعك الذى اغرمت به نساؤنا فى اعياد الفطر ، واصبح عبئا من الأعباء الثقيلة على عواتق ارباب البيوت من فقراء الناس واوساطهم ! وكثيرا ما كان سببا للشقاق بين الزوجين ، مما يؤدى الى الطلاق ، وهدم الأسر ، وتشريد الأولاد ، ونشر العداوة والبغضاء .

ان هذا الكعك ليس له سند من شرع سماوى ، ولا شرع بشرى ، ولا قانون طبى !

والحق : ان كعك العيد واخته « الغريبة » — وهى اشد منه فتكا بالأجسام ، واتلافا للمال ، مما عمت به البلوى ، وبات مثارا للشكوى !

وحتم من الحتم أن نتخلص منه ، ولو ادى الأمر الى حظر حكومى . وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن كما قال الخليفة عثمان !

ويكفى ان نعلم انه يكلف الأمة المصرية وحدها اكثر من مليون جنيه ، كما قرات فى بعض الاحصاءات ، يذهب كله هدرا وضياعا ، بل يذهب بالصحة والمال ، وكان اولى أن يدخر لينفق فيما ينفع الناس !

ومن الغريب ان المسحراتى المصرى العامى فطن الى ضرر هذا الكعك ، فقال ينصح فى تسحيره :

جوعوا تصحوا حديث عن سيد السادات

له العيان بينة والتجربة اثبات

ان كنت تسمع نصيحتى والنصيحة تفيد

قلل من الأكل ما امكن بدون ترديد

واكلك الكعك بعد الصوم نهار العيد

يجيب عيا الكبد ويخسر المعدة

وكل ما يزيد دسم يكتر ضرور ويزيد .

ولقد شكا منه فيما تقدم من العهود الامام البوصيرى ، كما شكا منه فى العصر الحديث ، كثير من الشعراء . كان فى مقدمتهم المرحوم الشيخ محمد الأسمر ، والمجال يضيق عن ايراد اشعارهم فيه على ما حوت من جدة وطرافة وبداعة ، وحسبك من القلادة ما احاط بالجيد .

تحديد أوائل الشهور العربية

طرق اثبات الشهر بالحساب الفلكى

تحت هذا العنوان عرض فضيلة الكاتب آراء الفلكيين فى تحديد أوائل الشهور العربية ثم قال :

ومما لا شك فيه ان الفلكيين الشرعيين فى النهضة العلمية الاسلامية استعملوا قواعد حسابية مبرهنة ، لمعرفة كل حالة من حالات الهلال ، فى اول كل شهر ، حتى مقادير نوره ، ونسبتها الى البدر ، وفتحة قوسه نحو الشمال او الجنوب أو الأعلى ، ومقدار مكثه وارتفاعه عن الأفق ، وغير ذلك مما يحدد كل حالة من هذه الحالات الثلاث مما يصحح الاعتماد على حساب الوضع الهلالى الحقيقى فى اثبات كل من الحالات الثلاث بشروط : الاول : ان يكون من النوع الهندسى التحديدى المبرهن . الثانى : ان ينتج احدى حالات الرؤية الثلاثة الاستحالة والامكان والوجود بحدودها وشروطها . والثالث : ان يتفق على استخراج هذه النتيجة عدد من الحاسبين يؤمن تواطؤهم على الخطأ بحيث يثق القضاء بها ولو ظنا ليتمكن من تطبيق حكمه عليها من رد الشهادة أو قبولها او اجتهاده بثبوت الشهر .

آراء العلماء فى الاعتماد على الحساب

ثم انتقل بعد ذلك الى عرض آراء ائمة الفقه الاسلامى فى صحة الاعتماد على الحساب الفلكى أو عدم صحته ووجهة نظر كل منهم ، وخلص الى اختيار القول بالعمل بالحساب الصحيح ، ونقل عن المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى من كبار علماء الأزهر السابقين قوله :

مما يؤيد القول بالعمل بالحساب الصحيح أن أهل الشرع من الفقهاء وغيرهم يرجعون فى كل حادثة الى أهل الخبرة وذوى البصارة فيها ، فانهم

نشرنا فى العدد الماضى ملخص القسم الأول من هذا البحث الذى كتبه فضيلة الشيخ محمد على السايس حول تحديد أوائل الشهور العربية ، وما اذا كان من الجائز ان يعتمد على الحساب الفلكى فى هذا التحديد . وننشر فيما يلى ملخصا لما بقى من هذا البحث القيم الذى نلفت اليه الأنظار ونأمل ان تأخذ به الدول الاسلامية حتى تحل تلك المشكلة المزمنة .

« الوعى »

يأخذون بقول أهل اللغة فى معانى الفاظ القرآن والحديث ، وبقول الطبيب فى افطار شهر رمضان وغير ذلك كثير . فما الذى يمنع من بناء اكمال شعبان ورمضان وغيرهما من الأشهر على الحساب والرجوع فى ذلك الى أهل الخبرة العارفين به اذا اشكل علينا الأمر فى ذلك مع كون مقدماته قطعية وموافقة لما نطقت به آيات القرآن المتقدمة ؟

الا ترى ان الحاسب اذا قال بناء على حسابه أن الخسوف أو الكسوف يقع ساعة كذا ، وقع . كما قال قطعا ، ولا يتخلف ، خصوصا وأن مبنى الحساب على الأمور المحسوسة والمشاهدة بواسطة الأرصاد وغيرها ، وقد يبلغ المخبرون بوجود الهلال وامكان رؤيته عدد التواتر ، فيفيد خبرهم القطع بوجود الهلال وامكان رؤيتهلولا المانع ، أولا يبلغ المخبرون عدد التواتر ولكنهم يكثرون الى أن يفيد خبرهم غلبة الظن التى تقرب من اليقين ، فيطمئن القلب الى صدق الخبر ، ويبقى احتمال غيره كالعدم .

— ومما يؤيد ذلك أيضا قوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وشهود الشهر اما بمعنى الحضور فيه وعدم السفر ، وأما بمعنى العلم بوجوده ، وهذا الثانى هو الظاهر من الآية . فان الشهود بمعنى العلم هو سبب وجود الصوم .

وقوله تعالى : (فليصمه) جاء خبرا لمن أو جوابا للشرط ، فيكون الظاهر من الآية أن كل من علم منكم بوجود الشهر المعهود ، وهو شهر رمضان ، وجب عليه صومه . ووجود الشهر شرعا كما هو مقتضى الأحاديث بوجود هلاله بعد غروب الشمس ، بحيث يرى للناظر . فمن علم بوجود هلال الشهر بعد الغروب بأى طريقمن طرقالعلم الشاملة لغلبة الظن ،سواء كان ذلك العلم برؤيةنفسه ، أو باخبار من يثق برؤيته ، أو بأمر القاضى بذلك وعلمه بأمره ، أو بحساب فلكى دل على وجوده ، وامكان رؤيته ، بلا عسر ، لولا المانع وجب عليه الصوم .

وبعد أن أفاض الشيخ فى نقل أقوال السابقين والتعليق عليها ، وذكر ما اجمع عليه الفقهاء من جواز الاعتماد فى الصلوات الخمس على الحساب الفلكى قـــال :

ولعلك بعد هذا البيان الواضح لا تجد فى صـــدرك حرجا مـــن صحـــة الاعتماد على الحساب الموثوق بصحته والمبنى على قواعد هندسية مبرهنة لا سيما اذا قام به من يؤمن تواطؤهم على الكذب واتفقوا عليه ، وان ذلك الحساب يفيد علما لا يفيده خبر واحد يجوز ان يكون مخطئا أو كاذبا ، لحاجة فى نفسه ، وأن بناء الأمور الدينية على المتيقن الموثوق به خير من بنائها على ما هو دون ذلك بكثير مما يعتريه الوهم والغلط لا سيما وأن الاعتماد على الحساب المستوفـــى للشروط التى تنتج صحته والوثوق به يجمع المسلمين على كلمة سواء ويوحـــد صفوفهم ، ويؤلف بين قلوبهم ويجنبهم مغبة التنازع والاختلاف .

ثم تعرض الشيخ بعد ذلك للرد على من يذمون علم النجوم الحسابـــى ويستشهد بقوله تعالى : « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » ويرى أن هذه الآية تحثنا على تعلـــم الحساب والعمل به ، يروى عن صاحب الهداية « أن علم النجوم الحسابى هنا موافق لما نطق به الكتاب . . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « من اتى كاهنا أو منجما فقد كفر . . الحديث » فهو خاص بالتكهنات والتخرصات التى يسمونهـــا طوالع ويوهمون بها السذج من الناس .

ثم ينقل عن الامام الغزالى قوله :

فأما علم النجوم الذى يعرف به سير الكواكب والشمس والقمر وكذلك علم الهيئة فلن يكذبه الشرع بل يهتدى به الى معرفة السنين والشهور وأوقـــات الصيام والحج ، ومواقيت الصلاة فانكار هذا قصور وجهل ، ولعل الذى حمل بعض العلماء على عدم التعويل على ما يقوله الحاسبون والمنجمون ما قدمنا من اختلاف طرائقهم مما جعله يرجع هذا الاختلاف الى أن مقدماتهم ظنية غيـــر يقينية ، وأنهم يخطئون ويغلطون كثيرا . وهذا ما صرح به كثير منهم فى تعليل رده لأقوالهم كما قدمنا .

وهذا ان صح بالنسبة للمنجمين والحاسبين فيما قبل عصر النهضة فى الدولة العباسية فلا يصح فى هذا العصر وما تلاه من الأعصر التى ظهرت فيها الاكتشافات العلمية الحديثة وأنشئت المراصد المجهزة بأحدث أجهزة الكشـــف فـــى العواصم الاسلامية وغيرها ، فقد تقدم علم الفلك وعلم الهيئـــة تقدمـــا ملحوظا ، وتمكن العلماء من وضع قوانين هندسية مبرهنة لانتـــاج مقاديـــر الحركات الظاهرية للشمس والقمر وسائر الكواكب بالتحديد ، مضربين عـــن القواعد الفلكية الحسابية القديمة لابتنائها على الأوساط التقريبية .

ثم قال : وقد ادركت الأمة من قديم أن الشهادة برؤية الهلال كثيرا ما يعتريها الشكوك وتمازجها الأوهام ، فهذا أنس بن مالك يرى شعرة بيضاء ساقطة من حاجبه فظنها الهلال ، فلما رفعها اياس بيده قال : لا أنظره . ومن الشهود من يتعمد الكذب ليشتهر ، أو لاثبات عدالته ، أو للتقرب الى الله جهلا ، ومنهم المخطئون لضعف الحاسة او الوهم أو غير ذلك فاستحسنوا الأخذ بالحساب ليتبينوا ما اذا كانت الرؤية ممكنة أو غير ممكنة ليكون ذلك حصنا يقى من غلط الحس ، أو تعمد الكذب ، ومن التنطع بالشهادة تقربا الى الله ، وغير ذلك .

وقال : واذا فلا مناص لنا بعد الذى تقدم من الاعتماد على الحساب الفلكى ان لم يكن لاثبات الشهر به بادىء ذى بدء فلاثبات ان رؤية الهلال ممكنة أو غير ممكنة لنقبل الشهادة برؤيته ممن يشهد بذلك أن قرر علماء الفلك والحساب أنها ممكنة مع عدم المانع من غيم ونحوه ، ولنرد هذه الشهادة ان قرروا ان الهلال يغرب قبل غروب الشمس أو معها أو بعدها بقليل ، بحيث تتعذر رؤيته ، ولو بالنظارات المكبرة ، او بآلات الرصد فى أبعد البلاد نحو الغرب ، وهى مراكش كما يقولون .

حقا ان تقدم علم الفلك وبراعة علمائه ، وحسابهم الدقيق ، الذى يضبطون به احوال القمر ومنازله ، ويحددون به وقت ميلاده ، ومقدار ارتفاعه وغاية مكثه فوق الأفق ، ويعرفون به بعد ما بينه وبين نقطة مغيب الشمس ، يمينا أو شمالا ، مضافا الى ذلك ما اتيح لنا فى هذا العصر من المخترعات الحديثة ، التى يسهل بها كشف الهلال فى ليلته الأولى ، مهما كان صغيرا ودقيقا . كل ذلك مما يساعد على اثبات الأهلة فى ضبط ويسر وبسهولة .

واذا كانت الشريعة السمحة لم تكلف الناس الا بما يطيقون ، ولم تفرض عليهم فى تحرى الهلال اكثر من التماسه بالعين المجردة ، ولم تحتم عليهم أن يتكلفوا البحث عنه بوسائل اخرى ، رحمة بهم ، وتخفيفا عليهم ، فان ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل التى تسهل رؤيته ، والتثبت منه ما دامت موفورة ميسرة ، بل انى اذهب الى ابعد من ذلك فأقول : **انه يجب على الحكومات الاسلامية وجوبا كفائيا بمعنى أنه اذا قام به البعض سقط الاثم عن الباقين — ان تلتمس الهلال بعد غروب يوم ٢٩ من كل شهر بحساب الرؤية ، مستخدمين كل الوسائل التى يسر الله بها أمر الرؤية فى هذا الزمان . فانهم ان قاموا بهذا الواجب الدينى ، مسترشدين بآراء الفلكيين السديدة الموثوق بها ، لا يمكن ان تفوتهم جميعا رؤية الهلال ، متى كان نظام دورته يسمح برؤيته . وبهذا يقضى على عوامل الاضطراب فى اثباته ، وتتوحد كلمة المسلمين فى جميع انحاء المعمورة بشان اثبات الشهور العربية ، وتحديد أوائلها ونهاياتها ، وتنحل تلك المشكلة المزمنة وتزول أسباب التفرق والاختلاف .**

خلاصة البحث :

ثم قال : تبين من كل ما تقدم فى هذا البحث أن الراجح ما يأتى :

أولا : ان اثبات الشهور فى حد ذاته من غير نظر الى ما يتعلق بـه مـن حقوق العباد من باب الاخبار لا من باب الشهادة وانه لا يدخـل تحت الحكـم والقضاء ، فلا تلزم فيه شروط الشهادة ، ويستوى فى المخبر ان يكون ذكرا او انثى حرا او عبدا ، ولا يشترط مجلس الحكم ، ولا تقدم الدعوى ، ولا قضـاء قاض ، ولا أمر حاكم ، ولا لفظ اشهد ، ويكفى أن يكون المخبر مستورا غيـر ظاهر الفسق .

ثانيا : ان الشهور جميعا سواء فى حالة الصحو او الغيم يكفى فى اثباتها خبر الواحد ، متى غلب على الظن صدقه ، ولم يكذبه الحساب الموثـوق به ، القاضى باستحالة الرؤية ، وانه لا تشترط الاستفاضة ، ولا العدد الجم الا عند مظنة الغلط أو الخطأ أو رجحان تهمة الكذب .

ثالثا : انه لا عبرة لاختلاف المطالع ، فاذا ثبت الشهر فى اية حكومـة اسلامية ، ونقل هذا الثبوت الى سائر البلاد الاسلامية بطريق موثوق به ، فانه يعم حكمه الجميع ، ما داموا مشتركين مع بلد الرؤية فى جزء ولو يسير من ليلة الرؤية .

رابعا : انه لا يصح التعويل فى اثبات الشهور علـى قواعد الفلكييـن القدماء ، فيما قبل عصر النهضة الاسلامية فى العصر العباسى لأنها قواعـد تقريبية ظنية غير متقنة ، ولا منضبطة ، كما لا يصح التعويل على الجـداول الفلكية التى تجعل بعض الشهور ثلاثين يوما ابدا ، وبعضها ٢٩ يوما ابدا ، فقد تبين خطؤها ، وانه قد تتوالى اشهر كلهـا ثلاثون ، وأشهـر كلها تسـع وعشرون .

كما ثبت أن الحساب الفلكى المعمـول به الآن فـى التقاويم الرسميـة وغيرها ، لا يتفق مع الحساب الشرعى الذى يعتمد على القطع بالرؤيـة ، أو امكانها على الأقل ، لأن التقاويم الحالية تعتمد فى تعيين أوائل الشهور علـى اجتماع الشمس والقمر ، فيجعلون اول ليلة يغرب فيهـا القمر بعد غـروب الشمس هى أول الشهر ، ولو استحالت الرؤية . ومن المقرر انـه قد يتفـق الحسابان ، وذلك فيما اذا غرب القمر بعد الاجتماع قبل الشمس أو معها ، فيكون أول الشهر الليلة التالية لليلة الواقعة بعد الاجتماع وقد يتقدم اول الشهر بالحساب الفلكى الاجتماعى ، على أوله بالحساب الفلكى الشرعى المبنى علـى امكان رؤية الهلال بيوم فى الأكثر أو بيومين فى الأقل .

ويلزم على الأخذ بهذه التقاويم تغيير أوقات العبادات عما حدده لهـا الشارع ، وبالتالى يلزم احلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله فقد حرم اللـه صوم أيام العيدين ، وأيام التشريق ، وأحل الفطر فى شعبان ، كما يلزم عليه أن يكون الوقوف بعرفة فى غير التاسع وأن تذبح الأضاحى قبل وقتها .

خامسا : ان الحساب الفلكى الشرعى المبنى على الوضع الهلالى وامكان رؤيته بعد غروب يوم ٢٩ من الشهر السابق بحساب الرؤية يصلح مناطا مستقلا لاثبات الشهر ، كما اختاره طائفة من العلماء ممن ذكرنا كالسبكى وابن سريح وابن مقاتل وغيرهم ورجحه الشيخ بخيت المطيعى . وأن ذلك لا يتنافى مع احاديث اثبا تالشهور بالرؤية ، او الاكمال بناء على أن المراد العلم بالرؤية لا حقيقتها ، بدليل وجوب الصوم على الأعمى والمحبوس فى المطمورة ، وسكان القطبين والبلاد التى فى حكمها ، وهم محرومون من الرؤية حتما .

ويدل على ذلك ايضا ما جاء فى بعض روايات الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم « فان غم عليكم فأقدروا له » فقد فسر من يرى من العلماء الآخذ بالحسا بالقطعى قوله صلى الله عليه وسلم : (فأقدروا له) بمعنى فانظروه ، وتدبروا فيه ، من قولهم قدرت الأمر نظرت فيه وتدبرته ، وذلك بالحساب عند من خصهم الله بهذا العلم . قال السبكى والبحث فى الحديث فى موضعين : أحدهما قوله : فاقدروا له . قا لبعض من يقول باعتماد الحساب : معناه احسبوا له . أ. هـ. ويكون معناه قدروه بالحساب والمنازل كما قال تعالى « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » . قاله مطرف بن عبد الله من التابعين وابن قتيبة من المحدثين وابن سريح من الشافعية ، وابن مقاتل من أصحاب محمد بن الحسن ، وطائفة من المتأخرين قالوا : ولا يلزمنا مقال المازرى من أن الناس لو كلفوا بالحساب ضاق عليهم ، لأنه لا يعرفه الا أفراد قلائل ، لأنه انما يلزم ذلك لو كلف عامة الناس بالحساب ، ولم يقل بذلك أحد ، بل الذى قلناه : أن قوله صلى الله عليه وسلم (فاقدروا له بالمعنى الذى اخترناه خطاب لمن خصه الله بهذا العلم . وقوله (فأكملوا العدة ثلاثين يوما) كما فى الرواية الأخرى خطاب للعامة .

فالذين خصهم الله بهذا العلم يكون نظرهم بالطريق المقدور لهم ، وهو طريق الحساب ، ويكون نظر العامة الذين لا يعرفون الحساب أولا يقلدون من يعرفه بالطريق المتيسر لهم ، وهو الرؤية ، أو اكمال العدة ، فلا تنافى بين الروايتين بل نحن ننزلهما على حالين مختلفين فنكون عاملين بهما .

سادسا : يجب وجوبا كفائيا كما قلنا أن يكون فى كل حكومة اسلامية هيئة شرعية لاثبات الشهور العربية بوجوه الاثبات المعتبرة شرعا ، مع مراعاة الاتصال بالمراصد والفلكيين العدول الموثوق بهمفى دينهم وعلمهم ، ليتحققوا من جواز الرؤية او استحالتها حتى لا يقعوا فى الخطا ، ويثبتوا الشهر قبل موعده ، كما حصل فى بعض السنين من قاضى الرؤية المنفرد بهذا الاثبات وترتب عليه صيام المسلمين يوما من شعبان وفطرهم يومين من رمضان .

سابعا: ليتحقق الأمل المنشود وهو توحيد أوائل الشهور العربية فى جميع البلاد الاسلامية ، يجب أن ينبه ناشرو التقاويم الرسمية وغيرها ، الى أنه يلزمهم أن يبنوا تحديد أوائل الشهور القمرية على الوضع الهلالى الحقيقى ، فيكون اول الشهر هو اول ليلة يمكن أن يرى فيها الهلال ، بعد الاجتماع ، وأن يراعوا خط عرض مراكش ، وهو ١٥ درجة (غرب جرينتش) لتكون تقاويمهم هلالية شرعية عالمية مساعدة ومنظمة لعملية الرؤية فى جميع الحكومات الاسلامية . والله الموفق للصواب .

بالعمل الصالح تطيب الحياة

للشيخ عبد الله النورى

دعت الأديان كلها للعمل الصالح .

وتتابع رسل الله يحملون رسالته الى عباده فى مختلف الأزمان — يبشرون الناس بأن (من عمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا) .

والقرآن الكريم يحكى لنا عن قوم يونس : (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين) .

ويخبرنا عن نوح أنه قال لقومه : (استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) .

ويقص قصة هود عليه السلام فيقول هود لقومه : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) .

وبفعل الصالحات استخلف الله فى الأرض أمما عمروها ، ولكنهم بعد أجل عاثوا فيها فسادا وطغوا وظلموا ، فأهلكهم الله بذنوبهم ، وكأنهم لم يعمروا أرضا ، ولم يبسطوا بها يدا ، ولا سلكوا فيها سبيلا .

ثم ختم الله رسالات السماء ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء . يدعو الناس الى الخير فاتبعته أمة كان منها الشهداء على الناس ، وكانت خير أمة أخرجت للناس عبادة لله ، ودعوة الخير ، ونهيا عن المنكرات وعدها الله (ومن أوفى لعهده من الله ؟)

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

ووفى الله لهذه الأمة وعده واستخلفها فى الأرض ، فتكسرت من هيبتها عروش الطغاة ، وهوت رهبة منها تيجان البغاة ، ودالت أمام فتحها دول الظلم . وكانت الشعوب المظلومة تستقبل جيوش المسلمين الفاتحة بالترحيب .

لماذا .. ؟ والجيش الفاتح لا يرحب به .

ذلك لأن فتح المسلمين أمن وسلام ، وجيش المسلمين الفاتح لا يقتل شيخا ولا امرأة ولا طفلا ولا متعبدا تفرغ لعبادته ، ولا يقطع شجرا ولا يهدم دارا ، ولا يصطحب معه فى الفتح الظلم والعدوان . والشعوب المفتوحة بلادها تعلم أن جيش المسلمين جاء ليحمى الحرية لا ليعتدى عليها وليكرم الانسانية لا ليهينها ويحطم قيمتها ، وليصون الملكية والأموال لا لينهب ويغتصب ، وليصون الأعراض لا ليهتكها .

ودخل تلك البلاد مع الفاتحين كتاب الله العربى المبين . دخل باسم الله واسم رسوله وفيه الدين والدنيا . دستور دولة . وقانون حكم . ومعاملات . ونظام مجتمع . وعبادة . يهدى للتى أقوم ، كرامة تطيب للانسان بها الحياة . وعلم يعرف به الانسان قيمة الحياة .

وذاق الناس حلاوة الحياة فى ظل الاسلام . وعرفوا ما هى الكرامة التى كرم الله بها الانسان وعاش الناس فى ظل الاسلام كراما أعزة .

وطال على المسلمين الأمد كما طال على غيرهم من الأمم قبلهم . وأعرضوا عن القرآن وتعاليمه وقست قلوبهم على بعضهم فتفرقوا . وكانت النتيجة فشل وذهاب ريح . وصدق الله العظيم . (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) .

وبعد :

فما زلنا ندين بالاسلام (والحمد لله) ولن نزال ان شاء الله مسلمين نؤمن بالله ربا ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا .

والقرآن كتاب الله ما زلنا نقدسه ، ونعتنى به ، ولكنا (وأقولها بألم) أعرضنا عنه ، فلا هو دستور دولة ولا قانون حكم ولا نظام مجتمع .

بالقرآن كنا مسلمين ، هدى الله به أسلافنا ، وعلمهم ، وزكاهم ، وبه مكن لهم فى الأرض ، واستخلفهم فيها ، ومحابهم ظلم الناس للناس .

وفى ظل القرآن أقام المسلمون دولة الاسلام بين مشرق المعمورة ومغربها .

وظل القرآن أبدا لا ينحسر . ولكم الخلف الذى اتبع دعاة الضلال وباعة الشهوات هو الذى ابتعد عن ظل القرآن وانحسر عنه .

ختاما أقول لاخوتى أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) أن الباب ما يزال مفتوحا لمن أراد دخوله ، والظل ما يزال ممدودا لمن أراد أن يستظل به ، والله جل جلاله حى باق يستجيب لمن استجاب له .

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا) .

(ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) .

(ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) .

الصيام

حيا الاله موقف الاسلام ... بتحية الاجلال والاعظام
دين تكفل بالسلام . فهل ترى ... من نعمة تجزى بغير سلام
وضع النبى حدوده فى عسكر ... حكمت عقولهم على الاجسام
فاستنصروا الله القوى ، فاحرزوا ... نصرا يؤيد عزة الاسلام
وتمسكوا منه بدين قيم ... اضحى لهذا الكون خير قوام
الصوم من اركانه . فتتبعوا ... ما فيه من حكم ومن احكام
قال النبى . ولى بحكمة قوله ... عمل نجوت به من الأسقام
(صوموا تصحوا) ، فاتبعنا حكمه ... حتى لمسنا حكمة العلام
فاذا الصيام مجس عاطفة ترى ... ما بالفقير العيش من الآم
واذا الصيام طبيب علة مسرف ... تبع الهوى فى مشرب وطعام
واذا الصيام منار مشهد عصمة ... كم حال بين القلب والآثام
تصفوا الجوارح باحتمال عنائه ... صفوا يميل بها عن الأوهام
فليظهرن المسلمون بمظهر ... يزهى بعرش فى السعادة نامى
وليرجعوا التاريخ وهو محدث ... عما حوته صحائف الأيام
من مجد آثار النبى وشرعة ... ثبتت بحق ظاهر الاعلام

* * *

للاستاذ مرسي شاكر طنطاوي

يا قوم « احمد » فزتم بسعادة ما نالها قوم من الأقوام
هذا هلال الصوم فى لفتاته غيران يقتحم الدجى بحسام
مستقبلا تلك الوجوه ببسمة كتبسم الأزهار فى الأكمام
يهدى بنى الدنيا عطير تحية من كل قلب بالمحبة طامى
ويصوغ من اسنى العهود قلائدا بيد تتوج هامة الأهرام
ويتيه بالجد السعيد مكانة تسمو من العز المكان السامى
ويجوز اقطار النجوم الى مدى لا يرتقى الا بعزم همام
ويرى المحال من المطالب ممكنا بهدى السياسة . لا بضرب الهام
ويعود ما صعب اتجاه حدوده سهل المنال بريشة الرسام
فى جدة تهفو على تكوينها روحان : روح غنى وروح سلام
يتناوبان العصر معتمدا على سر الغمام يبين فى الآكام
فى صحوة تحيى الرجاء كانها عزمات كل مجاهد مقدام
متمثلا فى الروض يزهو كلما لبس الغلالة من نسيج غمام

تاريخكم يا شباب الإسلام



للاستاذ احمد محمد جمال - مكة المكرمة

نعود الى الباعث الثانى الى اختيار هذا الموضوع . وهو : انصراف الجيل المسلم الناشىء (أو الصاعد) عن معرفة التأريخ الاسلامى ، بكل مجالاته ، وفنونه التشريعية ، والفكرية ، والاجتماعية ، والعلمية ، وبالتالى : اهتمامه بأفكار (الغير) وآدابه ونظرياته ، واعتناقه لها ، وتغنيه بها .. دون ادارك منه او وعى بأن قومه العرب المسلمين هم (السابقون) الى هذه الأفكار والآداب والنظريات والى ما هو خير منها ..

وجزى الله خيرا مجلة (الوعى الاسلامى) اذ أتاحت الفرصة ، وافسحت المجال لتنبيه الشباب المسلم وتذكيره وتوجيهه الى تاريخه المجيد ، وحضارة أسلافه الراشدة .. ليستمد منهما روح الاستقلال الذاتى ، ويستقى منهما رى عقله وقلبه وجوارحه ، ويكون من التلمذة عليهما شخصيته العربية الاسلامية الفريدة المجيدة .

....

ان بين أيدينا الآن بعض الأمثلة ، وقليلا من الأدلة ، على سبقنا الحضارى فكريا واجتماعيا وعلميا . ففى الحضارة الاسلامية سوابق من العلوم والآداب والمبادىء والنظريات والشعارات الحسنة .. لا الشعارات الخادعة الزائفة والمضللة ..

لقد ظهرت في الغرب حديثا نظرية (القيم) في علم النفس . وصاحب هذه النظرية هو العالم النفسانى (بيبر) . وهى باختصار : نظرية تقوم على أساس الوعى بالقيمة التى يتأثر بها سلوك الفرد . أى أن (القيمة) هى علة السلوك عند الانسان . وليس الجنس كما ذهب الى ذلك خطأ فرويد .

وعلى هذا المفهوم لنظرية القيم يكون مصدر السلوك عند الفرد انسانيا وليس طبيعيا . ويضرب شراح هذه النظرية مثلا عليها : « المفكر » الذى يجوع ويرتدى الثياب الرديئة ، ليشترى بما معه من مال كتبا يقرؤها ، وينتفع بها علما وفهما . ويعلقون على ذلك : بأن قيمة العلم عند رجال الفكر أعظم من الأكل الهانىء والثوب الأنيق .

بعد فراغى من دراسة هذه النظرية العلمية الحديثة ، التى ردت للانسان كرامته ، وحقيقة نفسه العاقلة ، بعد ان أهانها فرويد حين الصقها بالتراب ، ولوثها بالجنس الحيوانى ، ونسب اليه كل سلوكها وتصرفاتها واطماعها . . . .

اقول : بعد انتهائى من مطالعة بحث مطول في نظرية القيم هذه ، تداعت المعانى في ذهنى ، وتتابعت الذكريات لما قد أنسيته من أقوال وأمثال عربية واسلامية ، حملت معنى نظرية القيم ، التى طلع بها الآن العالم النفسانى (بيبر) . .

اجل حملت الأقوال والأمثال العربية والاسلامية هذا المعنى بأسلوب تصويرى رائع ، يحمل القارىء أو السامع على التأثر والانفعال بالمبدأ الشريف ، أو الخلق الانسانى السامى الذى ينطوى عليه ، أو يدعو اليه . . .

. فالمثل العربى المعروف (تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها) ، يعنى في وضوح وجلاء أن قيمة الشرف عند الحرائر اسمى وأولى بالطلب والحرص والحفاظ ، من قيمة المال أو الطعام الذى تحصل عليه المرضعة أجرا على ارضاعها أولاد غيرها .

. وموقف خالد بن الوليد القائد الاسلامى المعروف ، بعد عزل عمر بن الخطاب الخليفة الراشدى الثانى له من قيادة الجيش في موقعة اليرموك صورة مشرقة لنظم القيم . فقد جاءه أنصاره ، وغداة عزله ، يتحدثون اليه عن شجاعته وبطولته وحسن بلائه ويستنكرون رضاءه بما حدث له ، ويحرضونه على عصيان أمر الخليفة ، ويعدونه بأنهم سيكونون معه . . فيأبى عقل خالد الراشد ، وايمانه الوثيق ، واخلاصه العميق لدينه ، وادراكه السليم لقيمة الجهاد في سبيل الله . يأبى خالد أن يشق عصا الطاعة على أمير المؤمنين ، ويرضى بأن يبقى جنديا من عرض الناس يقاتل في جيش المسلمين تحت قيادة أبى عبيدة عامر بن الجراح . ويقول قولته المشهورة والتى ذهبت مثلا رائعا حقيقيا وواقعيا ، على نظرية القيم : « أنا لا أقاتل في سبيل عمر . ولكن في سبيل رب عمر . . »

. وللقاضى الجرجانى قصيدة ميمية معروفة كانت مقررة للتدريس والحفظ على عهدنا الغابر . . وهو يتحدث فيها عن كرامة العلم ومكانة العلماء الرفيعة ، وعن عزة النفس واباء الضمير ، ومن أبياتها الروائع بيت يحمل معنى نظرية (القيم) ويصورها ويفسرها أيضا ، فهو يقول :

اذا قيل هذا منهل قلت : قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظمى

ويزيد هذا المعنى القيمى تصويرا وتفسيرا بقوله :

ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتى لاخدم من لا قيت لكن لاخدما

أأشقى به غرسا واجنيه ذلة اذا فاتباع الجهل قد كان احزما

ان القاضى الجرجانى ، في قصيدته هذه يرى ان (قيمة) عـزة النفس وكرامة العلم : أكبر وأجدر بالحفاظ عليها من (قيمة) الماء يطلبه الظمآن اذا كان لا يناله الا بذلة وهوان ، أو في أى صورة أخرى من صور النفاق والتقرب الى الأمراء والكبراء . وليس (الماء) مقصودا على الحقيقة ، وانما ضربه مثلا لأهم ما يحتاجه الحى . فكيف بما دونه ضرورة واحتياجا من مطالب الدنيا واحتياجات الحياة ؟.

وكما عبر الجرجانى عن نظرية (القيم) بمسلكه في اعتزازه بنفسه ، وفي ابائه على علمه ان يبتذله فى خدمة الكبراء والأمراء وفى تصويره لهذا المعنى السلوكى الكبير باحتمال الظمأ دون التماس الماء الراوى على ذلة وهوان — كما فعل الجرجانى ذلك فعل من قبله الشاعر العربى الشنفرى فقال عن نفسه :

واستف ترب الأرض كى لا يرى له   على من الطـول امرؤ متطول

وهكذا يصور الفكر العربى والاسلامى نظرية (القيم) في أروع صورها خلقية عملية ...

● فالقائد المجاهد المخلص يقاتل في سبيل اللـه ، لا في سبيل الحاكم ، او الخليفة أو أمير المؤمنين .

● والمراة الحرة تجوع ولا تأكل من تأجير ثدييها .

● والعالم الكريم يرتفع بنفسه وبعلمه الذى شغى في بذره وغرسه عن ان يجنيه ذلة وهوانا !

● ويستف العزيز الأبى تراب الأرض ، ولا يطلب طعاما يتطول به المطعم عليه .

ولحاتم الطائى قصيدة رائية ترويها الألسنة ، وتشدو بها الاذاعات بأصوات المغنين — يقول فيها :

اماوى ان المال غاد ورائـح   ويبقى من المال الأحاديث والذكر

اماوى ان يصبح صداى بقفرة   من الأرض لا ماء هنـاك ولا زهر

ترى ان ما انفقت لم يك ضرنى   وان يدى ممـا بخلت بـه صفر

في هذه الأبيات الثلاثة تتجلى نظرية القيم بأجلى واجمل صورها ومعانيها . فسلوك حاتم في طريق الكرم ، ذلك السلوك الذى يضرب به المثل ، وتروى عنه القصص — كانت نتيجة لتصويره أن المال غاد ورائح ، وان ما يبقى ويخلد هو الذكر الحسن والسمعة الطيبة . وقد صور حاتم في البيتين الأخيرين أدق تصوير حالة الانسان بعد موته حيث لا يضره ما أنفقه في سبيل البر والخير ، ولا ينفعه ما بخل به .. وقد انتهى الى حفرة من الارض وودعه اهله وولده وذوو قرباه ، فرحين بميراثه الذى بخل به في حياته . ويصف حاتم الحفرة — اى القبر — بأنها قفراء ، لا ينبت فيها زهر ، ولا يجرى عليها ماء .. ترويعا في تمثيل المصير ..

هذه خمسة أمثلة روائع ، وصور حسان لنظرية (القيم) الحديثة في علم النفس — كان العرب المسلمون بها وبأمثالها الكثير سابقين (لبيبر) — في تقرير (قيمة) السلوك الانسانى نتيجة للعلة الباعثة الى اختيار هذا المسلك او ذاك .

....

ومن نفس الوادى .. وادى علم النفس وعلماء النفس نسوق نموذجا آخر . فقد عرف سيجمند فرويد على أنه أبو التحليل النفسى . وقد عاش المنتصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى . أى أنه توفى منذ نصف قرن تقريبا . والتحليل النفسى هو معالجة مرضى العصبيات ، عن طريق محادثتهم وارخاء العنان لهم في هذه المحادثة واعطائهم الحرية التامة في الحديث ... من أجل استخراج أسرارهم الدفينة في أعماق نفوسهم ، حتى يتبين للمحلل النفسى سر العلة العصبية التى يشكو منها المريض : كقسوة الأب مثلا ، أو عنف الأم في تربية أو في معاملة عندما كان طفلا أو حدثا ، أو خيبة أمل المريضة في الزواج بمن كان فتى أحلامها ، أو نكد الحياة الزوجية التى كان يعيشها الأبوان .. الى غير ذلك من أسرار نفسية يكتمها المريض في صدره حياء أو خوفا ، فتنشأ منها العلل العصبية التى تعيى معالجتها أطباء الأجسام .

ولكن سيجمند فرويد ، هذا .. الذى يعدونه أبا للتحليل النفسى ، قد سبقه الى فكرة هذا التحليل والى ممارسته عمليا الطبيب العربى (الحارث بن كلدة) الذى عاش في الجاهلية قبل الاسلام ، وهو من مدينة الطائف ، المصيف الحجازى المعروف .

فقد روى الأصمعى : انه كان فتى من ثقيف ، شديد الحياء ، كريم الأدب ، فوجىء أهله بمرضه ونحول جسمه ، فالتمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه شيئا ، ولم يعرفوا له علة . وعندما أعياهم أمره واشتد سقمه ، سلمه أهله الى الحارث بن كلدة .

ونظر الحارث الى الفتى نظرة الطبيب الفاحص ، فلم يجد به داء ينكر . فظنه عاشقا . وطلب من أهله أن يخلو به . وفي خلوته بالفتى سأله عن حقيقة أمره ، فأبى أن يعترف له بشىء . فجعل الحارث يسأله عن أسماء رجال قومه وأسماء نسائهم وهو ينظر الى وجهه .. حتى جاء اسم زوجة أخيه ، فارتاح الفتى وتنفس وادمعت عيناه . وهنا عرف الحارث سر مرض الفتى ، واكتشف علته ، فأفضى بها الى أهله . ووافق أخوه أن يطلق زوجته ليتزوجها بعده . ولكن حياء الفتى منعه من ذلك ، ودفعه الى الهجرة عن أهله وبلده .

وهكذا عرف العرب ، منذ الجاهلية التحليل النفسى ومارسه أطباؤهم وفي مقدمتهم الحارث بن كلدة الثقفى . وانه لسبق عربى رائع في علم النفس الذى يحسبونه علما حديثا ، وهو قديم وانما الحديث فيه هو التأليف والتنظيم .

ولا يفوتنا ، ونحن نذكر قصة الفتى الثقفى الذى أحب زوجة أخيه ، وأصابه ما أصابه من مرض عصبى ونفسى ، بسبب كتمانه وحرمانه لا يفوتنا أن نشير الى الأدب الاسلامى الذى شرعه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في بعض أحاديثه لحماية الأسرة من عواقب الصلات والعلاقات المحرمة المؤثمة . فقد حذر عليه الصلاة والسلام من سفور المرأة واختلاطها بغير محارمها ، وأكد التحذير من أخ الزوج وقال عنه : انه هو الموت .

فكيف بالأجانب الذين تختلط بهم الزوجات ، في صورة زيارات متبادلة بين الأسر تتكشف فيها مواطن الفتنة من المرأة ومباعث الاشتهاء منها ، أو اجتماعات عامة .. على شواطىء البحر ، أو زوايا المقاهى والمنتزهات ؟!.

....

ونجد سابقة فكرية أخرى . في شعر لمتمم بن نويرة يرثى به اخاه مالكا . ولا يعجب القارىء من استدلالنا ببعض الأشعار العربية ، على السبق الفكرى العربى .. فمعروف أن الشعر كان ديوان العرب ، أى سجل تاريخهم ، ومحتوى اخلاقهم وخواطرهم وافكارهم ، ومناط فخرهم واعتزازهم . وكان الآباء والوعاظ والمربون يوجهون الأبناء والأحداث والفتيان الى حفظ (الشعر) وفهمه لأنه هو (التاريخ) . . .

يقول متمم بن نويرة :

وقال : اتبكى كل قبر رايته لقبر ثوى بين اللوى فالد كادك
فقلت له : انالشجا يبعثالشجا فدعنى .. فهذا كله قبر مالك

وعبارة (الشجا يبعث الشجا) هى مثل عربى معروف ، وقد ضمنه الشاعر بيته ليجمع بين الفكرة والصورة في تعبير شائق مثير .

والناس في واقعهم الاجتماعى يمارسون أو يتمرسون بهذه (النظرية النفسية) عمليا . ولكنهم لا يلتفتون اليها كعلم نفسى أصبحت له قواعد وأصول واسباب ونتائج .

فالنساء ــ بصفة خاصة ــ عندما يحضرن مأتما يبكين بحرارة وغزارة ، ولو لم يكن الميت قريبا اليهن ، ولا عزيزا عندهن . وربما فعل بعض الرجال مثلهن .. ممن ألان الله قلوبهم ، وارهف احساسهم ، واضعف مقاومتهم للذكريات المماثلة .

واقول : (الذكريات المماثلة) لانها هى سر البكاء ، بغزارة وحرارة على (ميت) لا يهمنا من قريب ولا بعيد . بل هى ــ تلك الذكريات المماثلة ــ : « الشجا الذى يبعث الشجا » ، كما يقول المثلُ العربى ، الذى اورده متمم بن نويرة فى شعره وأوضحه أروع ايضاح فى قوله :
(فهذا كله قبر مالك) !.

فكل ميت نبكيه ــ وتبكيه النساء بصفة خاصة أخص ، وصورة اكبر ــ في مأتم ، أو جنازة ، أو مقبرة .. يذكرنا بموتانا . ونحن ــ فى الحقيقة ــ لا نبكيه ، وانما نبكى موتانا السابقين .

ولا لوم ــ في نظرى ــ على النائحات في مأتم الغير ، ولسن كواذب أو نوادب محترفات أو مجاملات (١) ، الا اذا تجاوزن الحدود المشروعة للنوح والبكاء من لطم الخدود وشق الجيوب .

فذلك هو (الشجا يبعث الشجا) أو هو الميت الحاضر يذكر بالاموات الغابرين .

هذا ما حضرنى ــ في تلك الحلقة ــ من سوابق عربية ، في مجال الفكر والنفس والسلوك . وفي المقالات القادمة ــ ان شاء الله ــ سنسوق الأمثلة والنماذج على السبق العربى الاسلامى في مجالات العلم والاقتصاد ، والعمران والاجتماع ، والصحة .

---

(١) جاء في حديث بيعة النساء ان امراة ذكرت، للرسول عليه الصلاة والسلام : ان فلانة اسعدتها ــ اى بكت على ميتها ، وهى تريد أن تجاملها بالبكاء على من يموت لها الخ .. فهذا نادر بالنسبة للاكثر والاعم وهو أن النساء يبكين في مآتم الغير تذكرا لموتاهن .



يكتبها : عبد المنعم النمر

مع المفتى

مع فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ حسن خالد مفتى لبنان وفى البيت الذى يقضى فيه فترة الصيف فى « بحمدون » والذى يقع بجوار المسجد الفخم الذى بناه المحسن الكويتى المرحوم الشيخ عبد الله عبد اللطيف العثمان فيما بنى من مساجد ومدارس تقرب بها الى الله ، ونرجو ان يجزيه خيرا عليها .

مع فضيلة الشيخ قضيت فترة قصيرة كنت اود ان تطول لتتسع للحديث الذى فرض نفسه علينا منذ بدأنا جلستنا . كان حديث الذى يكتب الفكر ، ويسجل الامل ، ويهيب بالناس للعمل ، الى الرجل الذى يحمل عبء الفكر وعبء العمل معا .. وما اكثر ما يحتاج اليه المسلمون من عمل — وما اكثر ما يحمله هذا الرجل من أعباء ، تحمله اياها روحه الطموح وشبابه المتوثب ، ويحمله اياها كذلك طموح المسلمين الى الوضع الذى يحبونه ويرتضونه لأنفسهم ..

ولقد حدثنى فضيلته عن الكثير مما أمامه من مشكلات تتطلب الحل .. ومن أوضاع تستدعى التصحيح ، ومن أعمال تدعو الى بذل الكثير من الجهد والمال .. وكنت قد تجمع لدى من أحاديث الناس ضخامة الآمال التى يتجهون بها اليه ويحملونه اياها .

والمفتى هناك ليس رجلا يصدر الفتاوى فقط ، ولكنه مع هذا راع لأمور المسلمين ومشكلاتهم وقائم على حقوقهم وواجباتهم ، رأيت فى يده خطابا يقرؤه بتأثر ، ثم قال لى هذا كتاب من أحد المسلمين الذين يحملون شهادة دينية عالية ، ولم يستقر فى عمل أسند اليه يقول فيه : ان لم توجد لى عملا مناسبا بمبلغ كذا فانى ... وكتب بعد ذلك تهديدا يعد عارا على هذا الشخص وعلى المسلمين جميعا .

ومن خلال حديثه وأحاديث الناس أيقنت أن الرجل — مهما أوتى من القوة ومن الحكمة والصبر — لا يمكن أن يحتمل كل هذا وحده ، وليس يكفينا أن نتحدث عن الآمال ، أو نكتب بها اليه ، أو نلقى بمطالبنا بين يديه ، ثم يقول كل واحد : قد بلغت ، وقد طلبت ..

لا .. انما على كل واحد ممن يعلقون عليه أملا . أن يكونوا بأعمالهم وبذلهم على مستوى هذا الامل .. المشروعات والاصلاحات التى حدثنى عنها ، والتى ينتظرها الناس تتطلب جهدا ومالا .. وتتطلب قبل ذلك تجميع الراى واخلاص النية من الجميع .

فهل يمكن أن يتم عمل اذا لم يجد التضافر والبذل واخلاص النوايا ؟ المساجد الكبرى التى لا تزال مشروعات على ورق المهندسين منذ زمن ، والتى نظرت كما نظر الناس الى الاماكن المنتظرة لها ؟ لم تظل سنين عديدة مجرد مشروعات ؟

والذين يتوقون الى ان يأخذوا وضعهم الذى يأملونه فى مجتمعهم ، لم لا يبذلون بذلا مساويا لآمالهم فى سبيل انجاز مثل هذه المشروعات وغيرها ؟ واذا كان الكثيرون قد حدثونى عما ينتظرونه من مساعدات خارجية كما يتلقى غيرهم.. فانى معهم فى انتظار هذه المساعدات ، وأعتقد أن بعضها قد تقرر أو صدر به وعد ، ولكنى مع ذلك لم ينشرح صدرى للتكاسل البادى بين الصفوف ، ولا سيما من جهة البذل .. انهم كثيرون وكثيرون وفى يدهم أن يعملوا الكثير ، لو اتفقت كلمتهم على اعطاء مشروعات المساجد والمدارس والنهوض بمراكز الفتوى فى المدن الكثيرة جزءا من عنايتهم ، ومما ينفقونه فى ترتيب حياتهم العادية .

ان النهوض بالمستوى الاسلامى فى لبنان امر يتعلق بالمسلمين فى لبنان أولا ، وباخوانهم المسلمين فى خارج لبنان ثانيا .. وأعتقد أن الخيرين هنا او فى اى بلد اسلامى لا يضنون ببذل فى سبيل النهوض بالمستوى الاسلامى فى لبنان ، سواء على مستوى الحكومات ، أم الخيرين من الافراد ، ولكن على اخواننا الكثيرين على ارض لبنان ان يعطوا آمالهم من انفسهم ومن اموالهم ما ينهض بها ، ويمهد الارض امام هذا الرجل الذى يحمل اعباء العمل الاسلامى ، ومع كل هذا فان الانصاف يقتضينى ان اذكر هنا أن غيرهم يتلقى الكثير من المساعدات والمعونات من خارج بلادهم .. ولعل هذا هو الذى جعل اخواننا يتطلعون الى أن يضموا الى جهدهم جهد اخوانهم فى خارج لبنان .

ومثل واحد أذكره مما سمعته .. الارض التى تملكها الاوقاف ، وتحتاج الى المال لكى يقوم عليها بناء يدر دخلا ملموسا يضاف الى دخل الاوقاف ، ويساعد على تحقيق بعض المشروعات الاخرى .. هذه الارض يمر عليها الكثيرون ويقولون لم لا تبنى ؟ وقد سألت انا أيضا هذا السؤال فقيل لى : ومن أين للأوقاف بالمال الكثير الذى تبنى به ؟ ودخلها الآن لا يكفى ما تنهض به على تواضعه ؟ ولا نريد ان نلقى بأنفسنا فى يد الشركات الاستغلالية التى تفرض ثمنا عاليا وفوائد باهظة مما يذهب بزهرة المبانى وعمرها . وبما أحسسته من حاجة ماسة لهذا العون او حتى لقرض حسن . ومن أجل الآمال الكبيرة التى سمعتها ، وشاركتهم فيها ، رأيت من الضرورى أن أتحدث عن متاعب اخوان لنا وآمالهم ، وعن واجباتهم لعل ذلك يكون له صداه وآثاره والله الموفق المعين .

نعـم كيف ؟

فى غير هذا المكان من المجلة تحدث الاستاذ على الجندى عن كعك العيد حديثا ممتعا ، وقد أثار هذا الحديث فى نفسى أثناء قراءته كثيرا من الشجون .

ترى كيف نستقبل رمضان ثم نستقبل العيد ؟
هل نستقبلهما كما كنا نفعل فى الماضى بما لذ وطاب من أصناف الطعام ، وبالجديد الفاخر من انواع الثياب ؟

احس — وفى اعماق نفسى اسى يملك عليها كل جوانبها ، واعتقد انى لست فى ذلك وحدى بل يشاركنى فيه كل من قاسى مثلى مرارة الماضى القريب ، والحاضر الماثل ، والمستقبل الملبد بالظنون والاحتمالات — احس أن استمرارنا على ما كنا نستقبل به الاعياد الماضية يشبه الى حد كبير اقامة معالم الافراح والزينات فى الجو المكتئب الحزين . .

وهل فى القلب مكان ؟ وهل لدى النفوس استعداد ؟ كيف ؟
ولست فى حاجة لأن استرسل فى الكلام . فالقارىء يحس ما احسه ، ويدرك ما اريد أن اقوله ، واذا كان من حق أولادنا أن يفرحوا ويمرحوا ، فمن من واجبنا نحو تنشئتهم ان نجعلهم يشعرون وهم فى هذه السن ، بما يمر به وطنهم العربى الكبير وبما يقاسيه اخوانهم ، ونعلمهم ونغرس فيهم الحقد على العدو الذى انتهك مقدساتنا ، وعبث بحقوقنا ، وكان هذا هو السبب فى حرمانهم مما تعودوه .

وليس هناك من سبيل ناجح كما اظن — لتعليم هؤلاء الصغار ما نريد ان يتعلموه الا هذا الاسلوب الذى يتصل اتصالا وثيقا بنفسياتهم ورغباتهم .
اليس هذا هو الواجب ان يكون ؟ وهو الطبيعى لكل من يمر بالدور الذى نمر به ولكن هل اخذنا انفسنا نحن الكبار بمثل هذا فى أسلوب حياتنا حتى أريد تطبيقه على الصغار ؟ ! هذا هو الذى صدمنى ، وجعلنى افكر فى تمزيق ما كتبت والقائه بعيدا عن طريق الحياة . ولكنى ابقيته اخيرا ، وقلت : لعله يفيد فى توجيهنا نحو الكبار ويجعلنا نفكر كثيرا فيما لا نزال نفعله ، وكأننا نعيش فى ايامنا العادية ، وليس فى قلوبنا جروح .

ماذا يا عرب ؟

اخواننا فى الجنوب العربى الذين تزحف عليهم الايام القليلة الباقية ليتسلموا مقاليد الحكم فى بلادهم . ما لهم يستعدون للاحتفال بيوم الاستقلال فى بحر من دمائهم ، ولا يريدون لهم ولا لاخوانهمفى البلاد العربية والاسلامية كافة أن يفرحوا باستقلالهم ؟ لقد أدمى قلبى وقلب كل عربى ومحب للعرب أن يسمع فى نشرة واحدة اعلان وزير خارجية بريطانيا سعيه لتقريب يوم جلائهم عن عدن والجنوب ، ونبأ القتال الذى دار بين انصار الجبهتين والذى ذهب ضحيته عشرات القتلى ومئات الجرحى !!

فلماذا التقاتل والتطاحن ؟!! أمن أجل السلطة والنفوذ الشخصى او الحزبى تضيع هذه الدماء ، وتستمر الحزازات بين المسلمين وهم قادمون على فرحتهم بالاستقلال ؟! اتخضبون أرضكم بدمائكم بدلا من أن تفرشوها بالزهور يوم الفرحة بالاستقلال ؟! أتبدءون العهد السعيد بهذه الرصاصات تصوبونها الى صدوركم بعد أن كنتم تصوبونها لصدور أعدائكم . . ؟ ماذا يقول عنكم أكثر الناس قربا لكم وعطفا عليكم . . لا أعداؤكم فقط ؟!

يا مسلمون . . يا عرب . . لا الدين ولا العقل ولا مصلحة البلاد ولا مصلحتكم يقر هذا الذى يجرى بينكم . فلحساب من كل هذا ؟ انه كله للشيطان . .

العروبة أو مَوقعة الزلاّقة

رمضان ليشهد انتصاراً حا...

اذا كان شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة قد شهد انتصار المسلمين على المشركين فى غزوة بدر الكبرى ، فان شهر رمضان من سنة ٤٧٩ هـ أو سنة ٤٨٠ هـ قد شهد أروع انتصار للعرب المسلمين على الاسبان ، او على الروم كما يسميهم المؤرخون العرب فى الاندلس .

• ومهما كان الخلاف فى اليوم الذى وقعت فيه غزوة بدر الكبرى من رمضان فان أصح الاقوال انها كانت فى اليوم السابع عشر من هذا الشهر المبارك . وقد لقى فيها النبى من اجماع المسلمين على خوض المعركة ما يؤيده عزم الانصار على دخول الحرب ، مما يتضح من عهد (سعد بن معاد) سيد الاوس وزعيم الانصار للنبى قبيل الموقعة قائلا : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : اجل ! قال : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، واعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله لما أردت . فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا) .

وقد اجتمع فى خلال غزوة بدر من صبر المسلمين على الصيام ، وعلى الجوع والظمأ ، وعلى حر الجهاد ، وعظم البلاء ، وشدة اللقاء ما ادخر الله به للمسلمين العزة بعد الذلة ، والكثرة بعد القلة ، حتى كانت الملائكة تمد المسلمين بالنصر بشرى لهم ، وتطمينا لقلوبهم .

ومضى خمسمائة عام ـ الا عشرين عاما ـ على معركة رمضان فى غزوة بدر الكبرى ليلتقى العرب المسلمون ـ فى رمضان المكرم ايضا ـ لقاء آخر مع أعدائهم من نصارى الاسبان والروم فى الاندلس ، فيعيد التاريخ البطولى نفسه ، ويصبر العرب والمسلمون فى الجهاد ، صبرا شهد لهم به عدوهم ، فينتقل ميزان القوى من يد الاسبان الى يد العرب ، ويجمع المسلمون والعرب فى موقعة (الزلاقة) أو فى (يوم العروبة) بين صبر الصيام ، والصبر على القتال ، وكأنهم كانوا يستلهمون غزوة بدر الكبرى اجمل معانيها ، واورع مشاهدها . وكأنهم كانوا يستعيدون ـ وهم فى غمرات القتال ـ ذكريات بدر فى شهر الصيام حيث نذر المسلمون انفسهم لله ، ولقضية الحق التى قاموا لأجلها ، ومضوا فى سبيلها .

للاستاذ محمد عبد الغني حسن

يوماً للمسلمين على الاسبان

ولقد كانت موقعة الزلاقة فى أحد أيام الجمع من شهر رمضان سنة ٤٧٩هـ. ولما كان يوم الجمعة من أيام الاسبوع يسمى (يوم العروبة) ، فقد اصطلح بعض المؤرخين على تسمية موقعة الزلاقة بموقعة العروبة ، والى هذا المعنى يشير الشاعر ابن حمديس الصقلى ، فى قصيدته الجزلة ، التى مدح بها الامير المعتمد ابن عباد ملك اشبيلية ، واحد ابطال العرب والمسلمين فى هذه الموقعة ، التى انتقم الله فيها من أعداء الاسلام أشد انتقام .

ولقد أبلى المعتمد بن عباد فى يوم الزلاقة بلاء حسنا حتى أثخنته الجراح من كل جانب ، ولكنه استهان بها ، وعدها يسيرة فى جنب الله ، حتى كتب الى ابنه الذى استخلفه بأشبيلية يقول له مهونا من شأن جراحه (١) : (الحمد لله على ما يسره وسنّاه من هزيمة اذفونش — اى الفونس — أصلاه الله نكال الجحيم ، ولا أعدمه الوبال العظيم ، بعد اتيان النهب على محلاته ، واستئصال القتل فى جميع أبطاله وأجناده ، وحماته وقواده . حتى اتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها . . فلله الحمد على جميل صنعه ! ولم يصبنى بحمد الله تعالى الا جراحات يسيرة الم ، لكنها قرحت بعد ذلك . .) .

ويقول الشاعر ابن حمديس فى تهنئة المعتمد بسلامته من تلك الجراح :

نذرت نذورا فاقتضانى قضاءها ... ايابك من يوم العروبة سالما
ولما وجدت الوفر أعوز راحتى ... سجدت لربى ، ثم اصبحت صائما

على ان شاعرا معاصرا آخر لهذه الموقعة الفاصلة ، هو محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز يشير الى جراحات فى يد ابن عباد قائلا :

وقالوا : كفه جرحت ، فقلنا ... اعاديه توافقتها الجراح
وما اثر الجراحة ما رايتم ... فتوهنها المناصل والرماح
ولكن فاض سيل الجود فيها ... فامسى فى جوانبها انسياح

ومهما يكن من أمر ، فيبدو أن الكلوم كانت تغطى جسد ابن عباد ، ويشير المؤرخ الحميرى صاحب (الروض المعطار) الى أن جراحات ابن عباد كانت تثغب (تسيل) ، وهو يمشى فى صحبة القائد المجاهد الافريقى يوسف بن تاشفين امير دولة المرابطين عقب النصر وان كَلْم رأسه قد تورم .

---

(١) ارسل المعتمد بن عباد هذه البشرى الى ولده الامير الرشيد عن طريق حمام الزاجل الذى قطع الرحلة بين ارض المعركة واشبيلية فى بضع دقائق كما ذكر ابن خلكان فى وفيات الاعيان .

ويقودنا ذكر الامير المرابط يوسف بن تاشفين هنا ، الى الافاضة فى الدور الذى قام به فى معركة الزلاقة ، وهو دور يعزى اليه فضل النصر الحاسم فى هذه الواقعة الفاصلة بين المسلمين وبين الاسبان والروم . فقد كان يوسف هذا اميرا على دولة المرابطين التى قامت فى المغرب الاقصى سنة ٤٤٢ هـ ، وكان يتأهب — بما أوتيه من مواهب فى الخلق والخلق — لزعامة العرب والمسلمين فى الشمال الافريقى ، وفى الاندلس ، وخاصة بعد ان أخذ سلطان المسلمين فى الاندلس يتقلص قليلا قليلا ، وبعد أن سقطت طليطلة سنة ٤٧٨ هـ فى يد الفونس السادس ، ملك قشتالة ، وأكبر زعماء الاسبان المتآمرين على العرب والمسلمين فى وقته . ووجد يوسف بن تاشفين الفرصة مواتية ، لكى يعبر من بلاد المغرب الى الاندلس ليتزعم قيادة الجيوش الاسلامية ، ويقود حركتها ضد المعسكر الاسبانى .

والحق ان موقف الاسبان اخذ يتقوى فى الاندلس ، بعد استيلاء الفونس السادس على امارة طليطلة الاسلامية . فقد كان المعتمد بن عباد يتعهد بدفع مبلغ من المال كل عام لألفونس السادس ، نظير ان يعاونه هذا ويمده بالجنود المرتزقة ليستعين بهم على محاربة خصومه من أمراء الاندلس !! وهى سياسة كان يستعملها الاسبان ، ليضربوا بها بين الاخوة من المسلمين ويذيقوا بعضهم بأس بعض . .

وقد ظل المعتمد يدفع هذه الضريبة المفروضة عليه للملك الفونس ولا يجد مهربا منها . واجترا الفونس على حليفه ابن عباد ، واخل بالمعاهدة بينه وبينه ، وصرح للمعتمد فى جراة وقحة ، بأنه ينوى افتتاح الولايات الاسلامية كلها فى الاندلس . واعلن الفونس الحرب على المعتمد بن عباد حليفه بالامس ، كما اعلنها على بقية ملوك المسلمين فى الاندلس . وبهذا شهد العرب والمسلمون بأعينهم نتيجة السياسة التى تورطوا فيها ، بالسماح للعدو بتفريقهم ، وبث الخلافات بينهم ، ليقوى فى النهاية سلطانه عليهم . .

ولقد تعلم الاسبان من الظروف التى احاطت بهم ، منذ فتح العرب بلادهم ، اكثر مما تعلم العرب والمسلمون انفسهم من ظروفهم . فحين شبت الخلافات والفرقة بين العرب اخذ الاسبان ينبذون منذ ايام الفونس السادس خصوماتهم وخلافاتهم ، فيما بين أنفسهم ، ويكونون جبهة موحدة ضد العرب والمسلمين . واتفقت كلمة الفونس السادس ملك قشتالة ، وسانشو الاول ملك اراجون ونافارا ، والكونت برنجار ريموند على طرد العرب من الاندلس .

وهنا أفاق العرب والمسلمون من غشيتهم ، ورأوا ان ينسوا ما بينهم من خصومات صغيرة ومن خلافات ، وأن يتجهوا نحو أمير المرابطين بالمغرب — وكانت قد بلغتهم انباء بطولته وقوته وشخصيته وآماله البعيدة لتوحيد العرب والمسلمين — ويلتمسوا منه معونته ، بالعبور الى أرض الاندلس ، ليتولى قيادة الصف العربى الموحد ضد الاسبان .

وعلى الرغم من أن بعض أمراء الاندلس من المسلمين كان يخشى من طموح يوسف بن تاشفين المرابطى ، ومن احتمال سطوته عليهم بعد انتصار العرب على الاسبان ، فان المعتمد بن عباد قد اقتنع — بعد جهد شديد — بعض أمراء المسلمين بالاندلس ، بضرورة الاستظهار على الاسبان بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين. وقد بلغ من خوف أمراء المسلمين بالاندلس من مطامح ابن تاشفين انهم انذروا اخاهم المعتمد بن عباد بأن الملك عقيم ، وأن ابن تاشفين قد تتسع مطامعه الى ما لا حد لهم بايقافه ، وأن السيفين لا يجتمعان فى غمد واحد !

فاجابهم المعتمد بن عباد قائلا كلمته السائرة وجملته المشهورة : ان رعى الجمال خير من رعى الخنازير ! اى ان كون العرب المسلمين ماكولين لابن تاشفين المسلم يرعون الجمال فى الصحراء ، خير لهم من ان يكونوا ماسورين لألفونس السادس يرعون الخنازير فى قشتالة !

وصحت عزيمة العرب والمسلمين هذه المرة على نسيان خصوماتهم مرة فى سبيل قضيتهم الكبرى ، وفى سبيل كيانهم العربى الموحد ضد الاسبان .. فأرسلوا رسلهم الى يوسف بن تاشفين بالمغرب ، يجددون له دعوته الى معاونتهم .. واستجاب ابن تاشفين وعبر البحر الابيض المتوسط ، عبورا هينا ، حتى بلغ الجزيرة الخضراء من أرض الاندلس ، فاستقبله اهلها أروع استقبال ، وأثار موكب المجاهد الافريقى الحماسة فى نفوس العرب بالاندلس ، فتسابق اهل الاندلس الى التطوع فى الجيش الذاهب الى ملاقاة خصوم المسلمين . وامتلأت المساجد والرحبات بالمتطوعين ..

والتقى الجيشان : جيش العرب والمسلمين ، وجيش الاسبان لقاء هائلا فى يوم من أيام رمضان كما يذكر بعض المؤرخين من أمثال بن الاثير وعبد الواحد المراكشى صاحب كتاب (المعجب) .

ولم يستطع حتى مؤرخو غير المسلمين أن ينكروا شجاعة العرب فى الموقعة ، وصبرهم النادر على القتال ، كما لم يستطيعوا — على الرغم مما قد يفعله التعصب — أن يهونوا من شأن المسلمين .

فقد اشاد المؤرخ الالمانى المعاصر جوزيف اشباخ بالدور العظيم الذى قام به داود بن عائشة قائد فرسان المرابطين ، كما أشاد بالدور البطولى الرائع الذى استطاع به الامير الشجاع المعتمد بن عباد مع رجاله : « أن ينقذوا شرف مسلمى الاندلس) .

أما دور الزعيم المرابطى يوسف بن تاشفين ، فقد اشاد به المؤرخ الالمانى فى نصفة نادرة ، ووصف شجاعته وجرأته ، وهو على فرس يمر بين ساقات المسلمين يحرضهم ، ويقوى نفوسهم على الجهاد والصبر قائلا : (يا معشر المسلمين . اصبروا لجهاد أعداء الله الكافرين . ومن رزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومن سلم فقد فاز بالاجر العظيم والغنيمة) .

وما كان أشد انصاف المؤرخ الالمانى جوزيف اشباخ وهو يشير الى غضاضة مؤرخى الاسبان من تناول أنباء هذه الموقعة التى كتب الله فيها النصر للعرب والمسلمين ، فيقول فى صراحة : **« ويبدو من الايجاز الذى يلتزمه الرواة النصارى ازاء هذا النصر العظيم للاسلام على النصرانية فى شبه الجزيرة الاندلسية مرة اخرى كيف يتناول المنهزمون سير هزائمهم فى غضاضه واحجام ..) .**

ولقد رفع انتصار العرب والمسلمين فى (يوم العروبة) ، أو فى يوم موقعة الزلاقة بالاندلس من معنويات المسلمين جميعا ، وجعلوها من أيام العرب والاسلام الكبرى ، وأفاض المؤرخون فى وصفها والاشادة بها ، حتى لقد نسى الحميرى صاحب (الروض المعطار) المنهج الذى الزم به نفسه من الاختصار فى كتابه ، فاطال فى وصف هذه المعركة العربية الاسلامية الحاسمة ، وهو يتحدث فى معجمه الجغرافى عن أرض (الزلاقة) ، والتمس لنفسه العذر فى الاطالة ، قائلا — يذكر العرب والمسلمين فى عصره فى القرن التاسع الهجرى — : (قد خالفت بشرح هذه الوقيعة شرط الاختصار ، لحلاوة الظفر فى وقت نزول الهموم ، ووقوعها فى الزمن الخامل ..) .

ولقد صدق مؤرخنا الامير ، فان الذكرى تنفع المؤمنين .

فاتقوا الله فى أنفسكم وفى بلادكم ولا تكونوا كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله ..

عمل مشكور :

كان حجاج بيت الله يجدون كثيراً من العنت والارهاق حين يبلغون فى مطافهم حول الكعبة المكان المحاذي لمقام ابراهيم .. حيث تضيق دائرة المطاف كثيرا فى هذه المنطقة ، بينما تتسع كثيرا فى غيرها ، فكان يمثل عنق الزجاجة يندفع اليه الطائفون ، ويمرون به سبع مرات تكاد تحطم ضلوعهم وتذهب بأنفاسهم .. ولقد عانيت كما عانى الملايين رهبة المرور من هذا العنق حين الطواف .. ولقد عرفت من قبل أنه كان هناك مشروع لزحزحة المقام عن مكانه قليلا لتتسع الدائرة ، ولكن بعض الآراء أوقفت هذا المشروع فى ذلك الوقت ..

ولقد سرني وسر كل مسلم العودة مرة ثانية لتوسيع الدائرة ، وان كان بشكل جمع بين الآراء حيث أزيح البناء القائم على الحجر الموضوع بالداخل ، والذى كان يقوم عليه خليل الله ابراهيم ومعه ابنه اسماعيل عليهما السلام ، حين بناء البيت فأعطى الدائرة شيئا من الاتساع ، فى الوقت الذى اقيم فيه على الحجر غطاء بلورى يكشفه للمشاهدين ، ليروا فيه اثرا باقيا بعد أن كانوا يتمسحون بالبناء وبالشبابيك الحديدية للبركة ، ويرمون بداخله النقود والرسائل التى تحمل شكواهم مما يتنافى وتعاليم الاسلام ..

انه عمل جليل يشكره كل مسلم للحكومة السعودية وللرابطة الاسلامية ، وسيلمس كل حاج أثره الطيب وهو يطوف ببيت الله .. وأرجو أن يوفقنى الله لالمس ذلك بنفسى هذا العام ، واعيش أياما بجوار بيت الله أجدد فيها طاقتى الروحية واغسل نفسى بالتوبة والاستغفار ..

مع القراء والكتاب :

اخواننا الذين كتبوا الينا من الخارج يشكون من تأخر وصول المجلة اليهم ، نشاركهم نحن كذلك هذه الشكوى .. فالمجلة تخرج من المطبعة قبل هلال شهرها .. ويصبح وصولها اليك بعد ذلك رهنا بنظام الطائرات التى تحملها اليك ، والرقابات التى تسمح بتوزيعها ، وما يأخذه ذلك كله من وقت يمر علينا — كما يمر عليك — ثقيلا .

واخواننا الكتاب الذين يشاركوننا النهوض بمجلتهم أرجوهم الا يقلقوا لتأخر نشر بحوثهم .. فنحن حريصون كحرصهم على نشرها .. ولكن ذلك رهن بنظام وظروف لا بد لنا من الخضوع لهما .. ولعل له عذرا وأنت تلوم . ولهذا أرجو الا يقلقوا والا ينشر كاتب مقالا أرسله الينا قبل أن يخبرنا حتى لا يتكرر نشره ..

ولقد دعوت الكتاب، من قبل أن يختاروا الموضوعات الحية التى تلمس حياة الناس وتربطهم بثقافتهم وتراثهم وتعاليم دينهم .. واننى أرحب بمقالات من هذا النوع وأقدمها على غيرها ، وان لم يحمل كاتبها اسما مشهورا ، وأؤخر مقالات لكتاب كبار تكرر موضوعات شبعت المجلات من عرضها ، وشبع القراء من قراءتها ، وليس لها الهدف الذى نريده فالعبرة — اذن — بالموضوع وهذا ما أرجو أن يراعيه كتابنا الافاضل ..

شباب الإسلام في شعر أحمد محرم "١"

للدكتور احمد الشرباصى
المدرس بكلية اللغة العربية ـ جامعة الازهر

« الخير كله فى الشباب » هكذا قال حبر الأمة المؤمنة عبد الله بن عباس رضى الله عنه .

« روائح الجنة فى الشباب » هكذا قال الشاعر العلم ابو العتاهية .
ولقد ادركنا الشاعر « على الجارم » وهو يهتف :

هات عهد الشباب ان غاص فى الما ء ، وان غاب فى السماء فهاته
همسات الشباب فى النفس أحلى من حديث الهوى ، ومن همساته
ناره تطرد الهموم ، فتمسى خافقات الجنان من جمراته
ناره تصهر العزيمة سيفا تتوقى السيوف لمع شباته
الشباب الشباب ، نور من اللا ه ، وريح تهب من جناته !

هذا بعض ما قيل عن الشباب على السنة السلف والخلف ، فلا عجب اذا خصصنا الشباب المسلم فى شعر أحمد محرم بحديث فى هذا المجال ، ثم من ذا الذى لا يحب الحديث عن الشبيبة والشباب ؟

لقد عاش أحمد محرم قرابة سبعين عاما ، ولكن شبيبة قلبه لم تكن تقاس بالاعوام ، فقد كان من قوم تشيب نواصيهم ولا تشيب قلوبهم ، ولذلك كان يمثل ـ حتى فى أثناء شيخوخته ـ قوة الشباب فى الذهن ، وتوثب الفتوة فى العزم . وكان يعنى بالشباب ، ويحدو لهم ، ويرسم أمامهم مناهج العزة والكرامة ، وحسبنا أن الفكرة الاساسية التى دفعت بمحرم الى انشاء ديوانه « مجد الاسلام » هى نظم مفاخر التاريخ الاسلامى فى مقطوعات خالدة ، ليطالعها شباب الاسلام ، فتتوثق رابطتهم بماضيهم المزهر المجيد ، فأخذ محرم فى هذه المقطوعات يلفت هؤلاء الشباب الى مفاخر تاريخهم وعظمة آبائهم . ويدفع عنهم عقدة النقص التى تجعلهم ينظرون الى الأمم الأخرى نظرة الاقزام الى العمالقة .

سمرة ورافع

ونتناول ديوان « مجد الاسلام » ماذا فيه للشباب اخبار وآثار ، ومواقف ولطائف ، وها نحن أولاء مثلاء أمام الحديث عن غزوة بدر ، حيث نرى فتيانا دون الخامسة عشرة من أعمارهم ، وكل منهم حريص على ان يشهد المعركة ويسهم فيها ، ولكن الرسول يترفق بهم ، فيردهم لصغر أسنانهم ، ويستثنى منها رافع بن خديج ، فقد قيل له أنه يحسن الرماية ، فغضب من ذلك زميله سمرة ابن جندب ، وقال محتجا : أيقبل رافع وارد ، وأنا اصرعه ؟ فبلغت مقالته رسول الله عليه صلوات الله ، فجعلهما يتصارعان ، فتغلب سمرة على صاحبه ، فقبلهما النبى معا ، وصور شاعرنا هذا الموقف فقال :

وفى الأبطال فتيان رقاق ... بأنفسهم الى الهيجا اشتياق
لهم فى الناهضين لها انطلاق ... دعا داعى الجهاد فما اطاقوا
بدار السلم مثوى أو مقيلا (١)

اعادهم النبى الى العرين ... شبولا سوف تصلب بعد لين
يضن بها الى اجل وحين ... رعاك الله من سمح ، ضنين
يسوس الامر يكره أن يعولا (٢)

وقيل لرافع : نعم الغلام ... اذا انطلقت لغايتها السهام
تقدم أيها الرامى الهمام ... اذا الهيجاء شب لها ضرام
فامطرها سهامك والنصولا (٣)

ونادى سمرة : ايرد مثلى ؟ ... ويقبل صاحبى وانا المجلى ؟
اصارعه ، فان اغلب فسؤلى ... وكيف أذاد عن حق وعدل
وامنع ان اصول وان اجولا

وصارعه فكان اشد أسرا ... وأكثر فى المجال الضنك صبرا
وقيل له : صدقت فانت أحرى ... بأن ترد الوغى فتنال نصرا

الا اقبل فقد نلت القبولا (٤)

* * *

عبد الله بن عبد الله

وننتقل الى موقف آخر :

عقب غزوة بنى المصطلق تزاحم اثنان من عامة المسلمين على الماء ، فتنازعا وصاح الأنصارى منهما : يا للانصار . وصاح المهاجرى : يا للمهاجرين ، وكادت تقع فتنة لولا حكمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان بين المسلمين رأس المنافقين عبد الله بن أبى بن سلول ، فأراد أن يثيرها فتنة ، فقال لمن معه : لقد كاثرنا المهاجرون فى ديارنا ، والله ما أعددنا واياهم الا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، يعنى بالأعز نفسه « لعنه الله » ، وبالأذل : رسول الله عليه الصلاة والسلام والمهاجرين .

وكان لهذا المنافق ولد اسمه « عبد الله » وكان صادق الايمان شديد الحب لرسول الله ، فلما بلغه عن أبيه المنافق ما قال ، غضب لدينه ونبيه ،

---

(١) المثوى والمقيل : يراد بهما المقام .

(٢) يعول : يجوز ويميل . وعاله الأمر شق عليه .

(٣) النصول : جمع نصل وهو حديدة السهم .

(٤) ديوان مجد الاسلام ص ٧٢ .

وســـارع فوقف فى وجه أبيه على أبواب المدينة قائلا له : والله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ، لتعلم الأعز من الأذل .

فجعل ابن أبى المنافق يقول خوفا وجبنا : أنا أذل من الصبيان ، أنا أذل من النسـاء .

وجاء النبى الى عبد الله المؤمن وقال له : خل عن أبيك فخلى عنه .

تناول محرم هذا الموقف الرائع فصوره بشعره فقال :

هذا ابنه جاء ، غضبان يمســـكه — دون المدينـــة للمختـــــار ينتصر
يقـــول : تلك ديار لست تدخلهـــا — حتى تفىء ، وحتى يعـــلم الخـبر
أنت الأذل ، فقلهــــا غــير كاذبة — ان كنت حرا ، فبئس الكاذب الأشر
فقـــالها مرة حرى ، وأرســــلها — كأنها روحه من فيـــه تنحــــدر
مشى أعز بنى الدنيــــا وأشرفهم — قدرا ، وأرفعهم ذكـرا اذا ذكـروا
حل المدينـــــة منه ليث ملحـــمة — لا النصر يخطئه فيهـــا ، ولا الظفر
فليعرف الحق قوم ضـــل رائدهم — وارتد قائدهم خزيان يعتـــــذر !

وهكذا عرض علينا محرم هذا الموقف الذى رأينا فيه كيف يقدم الشـــباب المؤمن عقيدته على كل شىء ، وكيف ينتصر للحق أينما كان !



أسامة بن زيد

وهذا أسامة بن زيد ــ حبيب رسول الله وابن حبيبه ــ يتولى قيـــادة الجيش الاسلامى فى أخريات أيام الرسول ، وهو شاب صـــغير السن ، وفى الجيش كهول وشيوخ ، ولكن الرسول أراد أن يكرم ذكرى أبيه زيد الشهيد ، فنصب ابنه قائدا ، ولم يكن ليوليه القيـــادة مع ذلك لولا كفاءته لها ، وقبل أن يتحرك القائد الشاب بجيشه ، لحق الرسول بربه ، وتولى أبو بكر الخـــلافة ، وأراد بعض المسلمين ــ جريا على العادة المتبعة ــ تغيير القائد الشـــاب ، وتعيين قائد من أصحاب الأعمار الكبيرة ، ولكن الخليفة أبى ، وأقســـم أنه لو تخطفته الطير من كل مكان ، ما حبس جيشا أعده رسول الله ، ولا عزل قائدا عينه ! . .

وخرج الجيش فى طليعته قائده فوق جواده ، وخرج الخليفة يودعه ماشيا على قدميه ، فقال له أسامة : يا خليفة رســـول الله : أما أن تركب ، وأما أن انزل ، فأجاب أبو بكر : والله لا تنزل ، ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة ! . .

وأحس الشاعر محرم ما فى قصة أسامة من تقدير للشـــباب وتـكريم لبطولته ، فقصها علينا شعرا ، وفيها يقول :

سار ابن زيد بالـــكتائب ، ما لوى — من عزمه الحدث الجليل العازم (١)
يمشى الخليفـــة لائـذا بركابـــه — وكأنما هو ســـائق أو خـادم
وأبـــى الأمير ، فقال : دون مركبى — لا تمشى انـــى ان فعلـت لغانـم
ولئـــن أبيـت لأنـــزلـــن كرامـــة — لـــك فاقض أمـــرك لأنبـالك صارم
قال الخليفة : ما أراك بمنصـــفى — دعنى فللاســـــلام حـــق لازم
أنا من جنــــودك ، لو ملكت رأيتنى — تحت اللواء ، فهالك أو ســـالم !

---

(١) العازم : الامر المعزوم على فعله .

وندع ديوان « مجد الاسلام » الى حين ، وننتقل الى ديوان محرم لنجد فيه للشباب مكانة ملحوظة وعناية بادية ، فها هو ذا محرم يتحدث عن الشباب واصفا لهم بأنهم مناط الأمل ومعقد الرجاء ، وأنهم فى مختلف أحوالهم فلذات الأكباد ومهج الصدور ، فيقول :

الا انهم لأمانى البـــــلاد ... تــرف عليهــا بقلـــب صـد
وانهم المهج الفـــــاليات ... على الجـــد من أمرهم والدد (١)

والشباب المائع

ثم يشير الى صنف من الشباب مائع خانع ، تستحى منه الفضيلة ، ويطول من آثامه الخجل ، فلا فتوة ولا رجولية ، بل خلاعة وميوعة ، فمشية متخاذلة . والفاظ نابية ، وتشبه بذوات الحجال ، ويؤمن محرم بأن الفتى اذا كان على مثل هذا فلا خير فيه ولا نفع منه ، ولذلك يصرخ الشاعر قائلا عنه :

لبئس الفتى حـــين تمسى الديار ... من الحـــادثات على موعـــد
وبئس الفتى يوم تهفـــو بهـــا ... ظمـــاء الأمانى الى المـــورد
ولا نعمت نفســـــه اذ يروح ... لغـــير المعـالى ، واذ يغتـــدى
واذ يرتدى من مخـــازى الفعـــال ... وســـــوء الأحـــاديث ما يرتدى
حيـــاة من العـــــار لا تنتهى ... بغـــير الهـــوان ، ولا تبتـــدى
ونفس ترامى بهـــا القـــاذفات ... فتهـــوى الى الدرك الأبعـــد !

ويمضى شاعرنا فى تصوير الواقع الأليم على عهده لطوائف من شــباب مجتمعه ، ضلوا الطريق فخابوا ، وخيبوا الآمال فيهم ، وجهلوا الايمان والهدى ، فلا فضيلة عندهم ولا تقوى ، وأمامهم هدى الله العلى الاكبر ممثلا فى كتـابه الأمجد ، وهدى نبيه محمد ، ولكنهم يعرضـــون عن النور الى الظلمات ، وعن الهدى الى الضلال ، وعن الصراط الى الهاوية ، ولا نجاة لهؤلاء ولقومهم الا اذا استضاءوا بنور ربهم ، واغترفوا من منهل رسولهم ، وحفظوا العهد وصـــانوا الوعد ، ومضوا على طريق الايمان صالحين مصلحين :

يقول محرم عن هؤلاء الضالين المعرضين :

ايامرهم بتقـــــوى الله قـــوم ... وما عـــرفوا الاله فيتقـــــوه
شـــباب العــــار ما تركوا رجاء ... لنـــا فـــى مصـــر الا خيبـــوه !
اناس ريعت الغـــــبراء منهـــم ... وضـــج العرش مما احـــدثوه
اتى (التنزيل) بالمثـــلات تترى ... وبالحـــق المبين ، فـــكذبوه
الا لا يطلب الاصـــــلاح قومى ... ولا الانصـــاف حتى ينصـــفوه
فيا أســــفى لعهـــد الله فيهم ... وعهـــــد محمد اذ ضـــيعوه
عسى أن تذهب الغمـــرات عنـــا ... فيصـــلح قومنا ما أفســـدوه !

ويتطلع محرم الى الشباب الناشـــئين من حوله ، فيلمح ظاهرة خبيثة خطيرة ، هى ظاهرة الانتحار بين الطلاب ، بســـبب الفشل فى الامتحانات ، وعدم الحصول على الشهادات، وهى جريمة تدل على ضـــعف النفس وخور العزيمة ، والفرار من تبعات الحياة ، وعدم الرضا بقضاء الله ، ولذلك يذوب قلب محرم ويتفطر ، ويعد هذه الظاهرة سبة كبرى فى جبين المدارس وابنائها ، ويطلق على التلميذ المنتحر لقب « شهيد الشهادة » وكأنه يقصد شـــهيد الفشل فى نيل الشهادة (الدراسية) ، فلنستمع اليه يقول :

افى كل عـــام للمدارس حـــادث ... تذوب له الأكبـــاد او تتفطـــر
نعيد الذى نبدى من اللوم عنـــده ... ونعلن ما تخفى القلوب وتضـــمر !

(١) الدد : اللعب .

كفى سبة أن المدارس أصــبحت ... تموت بهـــا آمال مصر وتقــبر
فكم طاح فيها من شهيد « شهادة » ... رأى الموت فى العيش الذى يتصور
فاغمض جفنـــيه ، وآثر ميتـــة ... لأمثـالها من يبغض العيش يؤثر !

واذا كان محرم فيما مضى من شواهد قد عنى بتصوير السيئات والمآثم التى يرتكبها الشباب ، فانه فى مواطن أخرى يمزج بين النقد والتوجيه ، وبين المحاسبة والتحريض ، فهو يذكر جوانب من العيوب ، ويقـابلها بوجوه من النصح والارشاد ، وها هو ذلك مثلا يتحدث الى شـباب النيل ، فيحمل على الحكم الفاسد القائم فى عهده ، ويعرض بجهل الحاكمين والمالكين تعريضـا موجعا ، ثم يأخذ على قومه اتباعهم للهوى الضال المضـل ، ومع هذا يدعو الشباب الى النهوض والوثوب ، والى طلب الحرية والعلم ، والى انتهاج طريق الجد والنضال ، حتى تزول الغمرة ، وتتحقق الثمرة .

ويؤكد لهم أن طريق الجد والنضال ، هو سبيل العزة والكرامة ، ولذلك يؤكد لهم النصر الذى يؤملونه اذا سمعوا كلامه واتبعوا نصيحته ، ويعطى على نفسه عهدا بضمان النتيجة ، ولذلك يذكرهم بكلمة عتبة بن ربيعة سيد قريش وكبيرها المطاع فى الجاهلية ، حين نهى قومه عن محاربة النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر ، وقال لهم يا قوم ، اعصبوها اليوم برأسى .. أى اسمعوا كلامى واتبعوا نصيحتى ، واجعلوا تبعة الأمر على عاتقى .

فلنصغ الى شاعرنا حين يصرخ فى شباب النيل لينهضوا الى واجباتهم نحو بلادهم ، فيقول :

يا بنى النيـــل ما عسى ان تريدوا ... صـــدع الدهر ملككم فاضـــمحلا
أكثر النـــاس بالممالك جهـــلا ... من يرى الجـــاهلين للملك أهلا
واحق الشـــعوب بالمجد شـــعب ... عاش حرا فى أرضه مســـتقلا
املأوا الارض ــ يا بنى‌النيل ــ سعيا ... واغمروا العالمين علما وفضـــلا
تجعلون الهـــوى المضل دينـــا ... وتعـدون باطل الامر شـــغلا !
احســـبتم حرب الليالى ســـلاما ... وظننتم ظلم الحـــوادث عـــدلا
اتبعوا الجد ، واعصـــبوها برأسى ... حســـبكم ما مضى من الدهر هزلا
ان بالنيـــل غمـــرة تتمـــادى ... وأرى كل غمـــرة تتجـــلى !

***

وبعد ان يستوفى محرم خط النقد والمحاسـبة للشـــباب على اخطائهم وعيوبهم ، ينتقل الى تصوير الشباب الطاهرين المؤمنين العاملين ، الذين تفخر بهم بلادهم وأقوامهم، لأنهم يعرفون انفســـهم ، ويدركون واجبهم ، ويفقهون تاريخهم ، ويتوجون ذلك كله بالايمـــان بربهم ، والاعـــتزاز بدينهم ، والوفاء لعقائدهم ومبادئهم ، ولذلك نراه حينما يضع نشيدا للشباب يعنى فيه بتقديـم صورة كريمة لهؤلاء الشباب ، فيقول فيما يقول :

نحن للنيـــل الشـــباب المجتبى ... ننصر الله ، ونـــابى مـــا ابى
ولنا بين العـــوالى والظبـــا ... نسب فى النـــاس وضـــاح الأثر
همـــة النسر اذا ما نهضـــا ... من ســـجايا قومنا فيمـــا مضى
زلزلوا الدنيـــا فريعت وانقضى ... صـــلف الدهر ، وطغيان الغـــير
ارايت القـــوم مما غلبـــوا ... عنـــدهم من كل عصر ســـبب
ولهـــم فى كل جيـــل أدب ... عبقـــرى الذكر رنان الخـــبر
طلع الاســـلام نورا وهـــدى ... وقضى الأمر حيـــاة وردى
ان فى الســـيف وان جل الفـــدى ... لحيـــاة تنقضى (١) أو تدخر

« للحديث بقية »

---

(١) تنقضى : تستل .



ربيــع القـــلوب

اللهم انا عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك . وفى قبضتك . ناصيتى بيدك . ماض فى حكمك . عدل فى قضاؤك . أسألك بكل اسم هو لك . سـميت به نفسك . أو أنزلته فى كتابك . أو اعلمته احدا من خلقك ، أو استأثرت به فى مكنون الغيب عندك ــ ان تجعل القرآن الكريم ربيع قلبى ، وضـياء بصرى ، وذهاب حزنى . وجلاء همى وغمى .

◆ ◆ ◆ ◆

قال مظفر الدين الابيوردى فى تخاذل المسلمين عن محاربة الصليبيين :

فليتـــهم اذ لم يذودوا حميـــة عن الدين ضنوا غيرة بالمحـــارم

◆ ◆ ◆ ◆

الاختبار الالهى

قال لى صديق : ان الاختبار الالهى يصل الى أن يوضع الانسان تحت السكين فى انتظار الذبح .

قلت له : اذن ينبغى الا يزيغ اليقين ولو تحت حد السكين .

قال : وفى ثباته يكون الفرج العاجل .

قلت : وكان . اقرأ معى قول الحق فى الخليل والذبيح . . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم .

◆ ◆ ◆ ◆

الثوب الأحمر

قال ناصح لأبى جعفر المنصور : كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى الصين ، فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكهم بسمعه ، فبكى بكاء شديدا ، فحثه جلساؤه على الصبر ، فقال لهم : أما انى لست أبكى للبلية النازلة ولكنى أبكى لمظلوم يصرخ

بالباب فلا اسمع صوته ، ثم قال : أما اذ قد ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب ، فنادوا فى الناس الا يلبس ثوبا احمر الا متظلم ، ثم كان يركب طرف النهار ليرى متظلما .

• • • •

المتاعب

المتاعب هى وحدها سبيل التفاوت والتفاضل ، ومحك المبادىء والفضائل ، وهى كذلك الأحجار التى يتعثر فيها الضعاف فيسقطون ، وينتهى عندها الأدعياء فيقفون :

لولا المشــــقة ســـاد الناس كلهم   الجــــود يفقر والاقدام قتـــــال

• • • •

فى ضيافة الله

خرج الحجاج ذات يوم فبلغ الصـــحراء ، وتوغل فيها ، ولما حضر غداؤه قال : اطلبوا من يتغدى معنا ، فطلبوا ، فلم يجدوا الا اعرابيا فى شملة ، فأتوه به .

فقال له : هلم .
قال : قد دعانى من هو أكرم منك فأجبته .
قال : ومن هو ؟
قال : الله تبارك وتعالى . دعانى الى الصيام فأنا صائم . .
قال : صوم فى مثل هذا اليوم على حر ؟ !
قال : صمت ليوم هو أحر منه !!
قال : فأفطر اليوم وتصوم غدا .
قال : او يضمن الأمير لى أن اعيش الى غد ؟ !
قال : ليس ذلك الى .
قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس اليه سبيل ؟ !
قال : انه طعام طيب .
قال : والله ما طيبه خبازك ولا طباخك ، ولكن طيبته العافية .
قال الحجاج : تالله ما رأيت كاليوم . أخرجوه عنى .

• • • •

اقتراح

اقترح أن ترسم خريطة الوطن الاسلامى رسما موضحا بالنسب الصحيحة للسكان ، مذيلا بشروح موجزة عن العواصم والبلدان ، ثم تنشر هذه الخريطة فى حجرات الدراسة ، وأمكنة العمل ، وفى صدور الاحتفالات والمجتمعات .

• • • •

نكتة لاذعة

اشتهر أحد الشعوب الاسلامية بالنكتة اللاذعة ينفس بها عن نفســـه فى مأمن من عقاب الظالمين ، وفى عصر من العصور تولى الحكم فيه حاكم ظالم . اغتصب أموال الناس ، وبنى منها مسجدا فخما فكانوا كلما مروا بهذا المسجد اشاروا الى أبهته وعظمته ، وقالوا هذا هو المسجد الحرام .

ذكرى بدر

أى فجر قد شـع فى الصحراء　عبقرى الســنا بهى الرواء
أى نور عـم الـدنى فتغنت　يوم ميـلاده باحلى غنـا
أى بشر وأى فيض مـن اللـ　ـه جميل لاحت طيوف الرجـا
انه مولد الحبيب المفدى　أكرم الرسـل خاتم الأنبيـ

* * *

ولد المصطفى فدكت صروح البغى　دكا وغيبت فى الخفـ
وتباهت رحـاب مـكة بالبشـ　ـرى وتاهت عـلى ذرا الجـوز
واذا الكون طافح البشر نشـ　ـوان تهـادى فى تيهة الخيـا
« واذا الأرض والسماء شـفاه　تتغنى بسـيد الحـكـ
جاء للنـاس رحمة وبشـيرا　ونذيرا وداعيـا للاخـ
فدعاهم الى العبادة والتوحـ　ـيد والحـق فى طريق العـ
ركبت رأسـها عنـادا وولت　تزرع الرعب فى ربى الصـحر
خشـيت دعـوة الأمين فراحت　تتحـدى بغـارة شـعو
وأبو جهـل ركن قاعدة الكفـ　ـر يعنيه فى صبحه والمسـ
سـاخرا منـه داعيـا لأذاه　ولـكم ناله مـن الايـذ
لم تزعزع جحـافل البغى طـه　لا ولا أثرت بذاك المضـ

للاستاذ : ضياء الدين الصابونى

ان من صـــانه الاله محـــال ان تراه ضـحية الجهـــلاء
كل شىء يهـــون من قصص الآلا م الا عمـــاية الأشـــــقياء
قد تهـــون الحيـــاة وهى جحيم ويعود الصـــفاء رغم الشـــقاء
يالبـــدر وهل ســـمعت كبـــدر يوم دكت معـــاقل الظلمـــاء
يوم خرت قريش صرعى امام الحـ ـق حـــيرى قتيلة الـــكبرياء
قضى الأمر فى ســـحابة يوم واصـــيبت بطعنة نجـــلاء
والطواغيت يهرعون ســـكارى دحرتهم عزيمـــة الأتقيـــاء
هكذا تخضـــع الجبـــابر للحـــ ـق وتعنو الجبـــاه للعظمـــاء
كان نصر المجـــاهدين ببـــدر هو نصر الشريعة الســـمحاء
بعثت فى النفـــوس بارقة ألفـــ وز واحيت مواتهـــا بالرجـــاء
واتى نصره المبـــين وكانـــوا قبـــل حين بذلة وعنـــاء
ايه يا بدر انت معجـــزة الدهـ ـر ووحى الكتاب والشـــعراء
انت بدر الزمان يســـطع بالنـــو ر ويقضى عـــلى دجى الظلمـــاء
انت الهمتنى القـــريض وكم فتقـ ـت قبلى قرائح البلغـــاء
واســـلت القصـــيد منى غنـــاء عبقـــرى الايقـــاع عذب الأداء
كلمـــا عـــادنى تذكـــر بدر طاولت عزمتى ذرا الجـــوزاء

زكاة الصوم

جزء من التكافل الاجتماعى فى الاسلام

للأستاذ/عبد الحميد المشهدى

الزكاة فى الاسلام تكافل اجتماعى . وتعاون أخوى بين طبقات المسلمين . وقد لا تقف ـ فى نظر بعض التابعين ـ على النصاب الذى حدده الشارع . مستدلين بقول الله تبارك وتعالى (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) قائلين ان آية الزكاة لم تنسخ مثل هذه الآية . وقد سئل بعضهم . كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم . فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم . وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع ، واعتبروا اخراج نصاب الزكاة ادنى درجات الواجب . وأقرب الى البخل . ورددوا قوله تعالى (أن يسألكموها فيحفكم تبخلوا) .

واذا كانت دورة الحول . وموسم الحصاد ـ ميعادا لاحتساب الزكاة وصرفها لمستحقيها . فان شهر رمضان ميدان لاخراج زكاة الفطر ، وموسم لتقديم الفدية عن المصابين بأمراض مزمنة . تعجزهم عن اداء فرض الصوم اداء أو قضاء . واذا كانت الصدقات سنة فى كل زمان ومكان . وعند كل مناسبة . وصدى صوت القرآن الى نهاية الدهر .

نعم اذا كان كتاب الله قد أهاب بها فى كل وقت . فان بذلها فى شهر رمضان أحق وأجدر ، لتكون عونا لمستحقيها على أداء الصوم . ومستلزمات العيد ، وكانت صدقة الفطر واجبة لا يرفع صوم الصائمين الا بأدائها على الوضع الذى سنه الشارع .

والتكافل الاجتماعى فى هذه الزكاة ليس الا جانبا من جوانبها ، وزاوية من زواياها ، فاعلان الوحدانية باللسان تشهدا . لا يكفى فى اكتمال ايمان المرء . بل لا بد له من تطبيق عملى . يؤيد ما يتحرك به اللسان بالشهادتين فى كل صلاة . وهذا التطبيق العملى يتم فى صورة تنازل عن كل ما يحبه الانسان فى سبيل المحبوب الأعظم . وفى مقدمته حب المال يتنازل عنه ، ويقدمه راضيا قريرا لمستحقيه ، حبا فى الله ، وشوقا الى ثوابه وجنته ، وتطهيرا لعقيدته من شوائب الحب لما سوى الله .

وحينما أدرك أصحاب رسول الله هذا المعنى الجليل تبرع أبو بكر بكل ماله ، وتبرع عمر بنصف ماله وتبرع عثمان بمعظم أمواله ، وتبرع عبد الرحمن ابن عوف بثلث ماله . وكان رسول الله يتبرع بكل ما كانت تصل اليه يده ، وكان

فى رمضان كالريح المرسلة كرما وجودا ، وعنـــدما وافته منيته تذكر أن لديه سبعة دنانير فأمر بها أن توزع للفقراء ، وقال لمن حوله « ما ظن محمد بربه أن لو لقى الله وهذه عنده » .

أما الجانب الثانى من فضائل الزكاة ، فهو تطهير النفس من صـــفة البخل ، والبخل احد المهلكات . قال الرســـول الكريم (ثلاث مهلكات . شح مطاع . وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه) وقال تعالى (ومن يوق شـــح نفسه فأولئك هم المفلحون) ان البخل مجبنة مزرية ، تدع صاحبها بين الناس مسلاة وسخرية . وتضعه فى سجن من الحرمان مظلم الجنبات ، متماســك اللبنات ، وتحله من أولاده وأقاربه ومعارفه مـــكان البغض والــــكراهية . يستعجلون رحيله ويستبطئون حياته ، ويتمنون وفاته ، ولا أدرى لمن يعيش البخيل ؟ ! وما فائدة وجوده فى هذا الجو المشحون حوله بالذل والـــــكراهية والضياع ، وهيهات ان يصبح شجرة مديدة الظلال مشرقة الثمر والايناع ، الا أن يصطنع الجود والسماحة والصلة والبر والتعاون بين الناس ، ولا يشـــده الى هذه الجداول الصافية ، والمزايا السامية ، الا اذا اعتاد تقـــديم الزكاة واعطاء الصدقات لاسيما فى شهر رمضان .

أما الجانب الثالث من فضائل الزكاة فهو تقديم صـــورة من الشـــكر صادقة ، وفاء لما أنعم الله به من قدرة على أداء الزكاة فى المواسم المناسبة لها ، وترجمة مادية عن احساسه بصنيع الله . وجعل يده أداة ارســـال لا أداة استقبال . يد تبعث الاطمئنان والرضا ، وتمسح القلق ومضاضة الانتظار عن نفوس الجوعى والمحرومين ، فى شهر حرم الكل فى نهاره ما كان مباحـــا ومستساغا وشهيا .

أما الجانب الرابع . فان الوفاء بالدين قبل حلول أجله ـــ أدب رفيـــع لا يستأهله الا من خصهم الله برضاه . وجملهم بتوفيقه . وزكاة الصـــوم من رمضان لها نهاية لا تصلح بعدها لسد باب الفريضة . قال الرسول الـــكريم صلوات الله عليه (فرض رســـول الله زكاة الفطر طهرة للصـــائم من اللغو والرفث . وطعمة للمساكين ، من اداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة . ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات) والمراد بالصـــلاة فى الحديث الشريف صلاة عيد الفطر ، ووقت اخراجها يبتدىء مع هلال رمضان . ورمضان كله وقت لها . فمن بادر باخراجها قبل نهاية الشـــهر ، اظهارا للرغبة فى الامتثال ، وفرحا بأداء ما عليه من دين . وتخلصا مما عساه يحدث من مفاجآت الأحداث ، وغوايات الشيطان ، وخروجا من حرج العصـــيان عند التأخير . وادخالا للسرور على نفوس الفقراء ، وتطهيرا لقلوبهم من الحقد على الأغنياء والمقتدرين ، ومكافحة لعوامل الخمول والكسل وتعاطفا وارتباطا بين طبقات المسلمين . وتجميعا لهم حول مائدة العيد اخوانا متحابين . لا يشغلهم فى يوم العيد الا لقاءاتهم فى مواكب التكبير وتجمعات الصـــلاة . وتصـــافحهم فى الزيارات والطرقات باسمين هانئين .

فمن تعود التبكير فى أداء الزكاة تعود التبكير فى أداء واجباته فى مختلف شئونه الدينية ، ومعاملاته الدنيوية . ومن استطاع التخلص من حب المال ، وآثر حب الله عليه . وقدم الوديعة لأصحابها قبل أوانها ، صـــار فى حياته مطبوعا بطابع الوفاء . ومثالا كريما لتعاليم الاسلام ، وحسبنا فى هـــذا المقام حديث قدسى عن رب العزة حيث يقول (الفقراء عيالى والأغنيـــاء وكلائى . فمن بخل بمالى على عيالى أذقته النار ولا أبالى) .

ولعل بعض المتصوفين لم يرتكب شططا حين قال : ان الفقراء اصحاب فضل على الأغنياء حين يقبلون منهم الزكاة ، لأن الزكاة ثمالات الذنوب ، فاذا

البقية ص ٨٠

المزي

ومكانته من علم الرجال

لماذا كان المؤرخون في الإسلا

لتراثنا الاسلامى روعته وجلاله ، وصدقه ورشاقته ، لأن الباعث الاول على بنائه الشامخ هو الدين ، الذى قوامه مكارم الاخلاق ، ولقد روى عن الامام البخارى انه لوى عنان دابته بعد رحلة شاقة ، بحثا عن رجل يروى حديثا عن رسول الله ، اذ رآه يخدع فرسه وقال : « والله لا آخذ حديثا عن رجل يكذب على البهائم » ، ومن اجل الصدق فى الرواية قام (علم الرجال) ، فالعبرة بالسند اولا ، والى ان يصح الحديث عن رسول الله فهو خبر ، يحتمل الصدق والكذب ، و (الاخباريون) الذين مهمتهم فحص الخبر للفصل فى صحته وبطلانه ، هم القادرون بمقاييسهم ومناهجهم على تقرير درجته من (الرفع) أو (الوضع) فى الحديث ، ومن هنا كان المؤرخون فى الاسلام او (الاخباريون) من الحفاظ أو المحدثين او المسندين ..

سنن الرسول (صلى الله عليه وسلم)

« أما بعد فان أولى ما نظر فيه الطالب .. بعد كتاب الله عز وجل سنن الرسول ، فهى المبينة لمراد الله من مجملات كتابه ، والدالة على حدوده ، والمفسرة له ، والهادية الى الصراط المستقيم .. ومن أوكد آلات السنن المعينة عليها والمؤدية الى حفظها معرفة الذين نقلوها عن نبيهم .. الى الناس كافة ، وحفظوها عليه ، وبلغوها عنه ، وهم صحابته الذين وعوها وأدوها ، ناصحين محتسبين ، حتى كمل بما نقلوه الدين .. (١) »

من هذه الفقرة الموجزة التى نقلناها عن (ابن عبد البر) نرى الى اى حد كان النقلة يتحرون فى علم الحديث ، وهو الاصل الثانى للدين الاسلامى الحنيف ، واذا كان ابن عبد البر قد جمع بين دفتى كتابه ثلاثة آلاف وخمسمائة

---

(١) مقدمة ابن عبد البر (— ٤٦٣ هـ) لكتابه « الاستيعاب فى أسماء الاصحاب » ..

اسم ، فقد جمع الذهبى فى « التجـريد » ثمانية آلاف ، وجمع ابن الاثير فى « أسد الغابة » سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسين ، اما ابن حجر فى « الاصابة فى تمييز الصحابة » فكان غير معنى بالعدد قدر عنـــايته بالمفهوم الصحيح للصحابى ، والطريقة التى يتعرف بها عليه وحال الصـــحابة من العدالة ، غير مشترط فيهم رؤية النبى أو زيارته أو الاجتماع به ، فقد صرح الجمهور بالقول بالتعميم انضـــواء تحت قول الله عز وجل « واتبعوا النور الذى أنزل معه » ..

واذا كانت سنة النبى عليه السلام قد اشتملت على كل ما صح عنه من قول أو فعل أو اقرار ، فقد امتدت الاسرائيليات ، الى حصون السنة للدس عليها والتشكيك فيها : ولولا صحة المقاييس التى وضعها الاوفياء الامناء لكان عدد المرتدين اكثر من الذين يدخلون فى دين الله افواجا ..

طبقات النقلة

وبلغ الحرص من علماء الحديث الى الحد الذى اخذ فيه الســـلف عن الخلف عبء التفرغ لفحص الجواهر ممـــا قد يعلق بهـــا من الشوائب ، وتمييز

علمـــاء الحديث ؟

للأستاذ
محمد محمود زيتون

الاصيل من الدخيل ، والصحيح من الزائف ، وامتدت الرســـالة عبر القرون الطوال ، ولا يزيد المسلمين تباعد الزمان ،الا قربا من مناهل الدين الصحيح ، اصفى ما تكون مصادرا ومواردا ..

وقام « علم الرجال » على أساس (الطبقات) صاعدة فى علو الاسناد الى صدر الاسلام ، هابطة كلما انحدرت عن شرف « الصـــحبة » على أن يكون الاجماع بالتعـــديل معيار الثقة فى كل من ينتمى الى طبـــقات هؤلاء « النقلة » ..

وكان لا بد أن يرتبط ذلك بحفظ الانساب ، فكان « النسابة » يعتمد على الحفظ ، كما كان يعتمد « القائف » على الفراسة فى المشاهدة لمقارنة الملامح بغيرها ، مما سبق أن شاهده فى الآباء والاجداد والاعمام والاخوال ، وعلى ذلك عنى اهل الحديث بسلامة النسب وحسن السيرة ، واقاموا لذلك موازين التجريح والتعديل ضمانا — كما قلنا — للاخذ عن الثقات ، اذ النظر فى الاسناد أولى واحق من النظر فى المتن خلال القرون الطوال التى حرمت من الـــكتابة ، فكان المعول فى المعارف كلها على الرواية والاجماع على توثيقها ، ولهـذا جاءت الوثاقة لكتاب (فتوح مصر) لابن عبد الحكم ، لانه رواية الحافظ الاشـــهر الامام السلفى ..

حافظ الديار المصرية

وكان شيخ الاسلام الحافظ الكبير الامام عبد العظيم المنذرى من الاعلام الافذاذ فى علم الرجال ، وضعه السيوطى فى قائمة (حفاظ الحديث ونقاده) وقال عنه بعد ثلاثة قرون على وفاته مؤكدا أنه « كان عديم النظير فى معرفة

علم الحديث على اختلاف فنونه متبحرا فى معرفة احكامه ومعانيه ومشكله ، قيما بمعرفة غريبة ، أماما حجة فى الفقه والعربية والقراءات ورعا متبحرا » (١) ، وكان ماهرا فى معرفة الرواة ، وجرحهم وتعديلهم ، ووفياتهم ، ومواليدهم ، واخبارهم ، كما يقول الشريف عز الدين ، كما انه كان حجة ثبتا يتحرى فيما يقول ، ويتثبت مما يروى ، وشهد له ابن دقيق العيد عالم قوص (من صعيد مصر) فقال : « كان ادين منى ، وانا أعلم به » وقال عنه الذهبى « لم يكن فى زمانه احفظ منه » . .

ولد زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذرى الشامى ، ثم المصرى الشافعي بمصر غرة شعبان سنة ٥٨١ هـ ، ومات فى الرابع من ذى القعدة سنة ٦٥٦ هـ عن خمسة وسبعين عاما ، وطلب العلم والادب وهو صغير وتفقه وبرع ، ومن شيوخه أبو عبد الله الارباحى ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد القرشى ، وابو الحسين بن يحيى النحوى ، وعبد المجيد بن زهير ، ومحمد بن سعيد المأمونى ، والمطهر بن ابى بكر البيهقى ، ورحل فى سبيل الحديث الى مكة ودمشق وحران والرها ، والاسكندرية والقاهرة ، وتخرج بالحافظ ابى الحسن على بن المفضل بن على المالكى المقدسى ، ثم السكندرى ، احد حفاظ الحديث الاعلام ، وأمام المذهب وتلميذ مسند الدنيا الحافظ أبى الطاهر السلفى عالم الاسكندرية الاشهر : ودرس مدة بالجامع الظافرى بالقاهرة . .

ولما انشأ الملك الكامل الايوبى دار الحديث الكاملية بالقاهرة سنة ٦٢٢ هـ ، ولى مشيختها الامام المنذرى ، وانقطع بها عشرين عاما ، التقى فيها بأئمة العصر ، كأبى الحسن الشاذلى ، وابى العباس المرسى ، وعز الدين بن عبد السلام ، وابن الحاجب ، وابن الصلاح ، وابن عصفور ، وابن عوف ، وابن سراقة الشاطبى ، ومكين الدين الاسمر ، ويكفى أن كل واحد منهم كان أمة وحده ، فى أحد جوانب المعرفة الاسلامية ، ان لم يكن كلها ، ومع ذلك التقت مشاربهم جميعا حول علم الحديث على تعايش فكرى نادر المثال فى هذا العصر . .

مؤلفاته فى الحديث

ومن مؤلفات المنذرى « الترغيب والترهيب » فى علم الحديث و « تكملة وفيات النقلة » فى ستين جزءا . وهو فى علم الرجال ، وله شرح التنبيه و (زوال الظما فى ذكر من استغاث برسول الله من الشدة والعمى) وله ايضا مختصر لصحيح مسلم ، شرحه عثمان الكردى ومحمد الاسنوى وهما من اهل القرن الثامن ، وله كذلك (المجتبى) وهو مختصر سنن أبى داود وشرحه السيوطى بعنوان (زهر الربى على المجتبى) ثم قام بتهذيبه من بعده ابن قيم الجوزيه . .

وقد نقل ابن خلكان فى (وفيات الاعيان) كثيرا عن المنذرى ، وكان يذكره احيانا فيقول عنه (شيخنا) وأحيانا أخرى يقول (حافظ الديار المصرية) ومع ذلك فان ابن خلكان للأسف الشديد — لم يترجم المنذرى كغيره ، مع أنه توفى سنة ٦٥٦ ، وابن خلكان قد توقف فى وفياته عند سنة ٦٥٥ أى قبل وفاة

(١) حسن المحاضرة . .

المنذرى بعام ، كما أن السيوطى فى تصـــــانيفه المختلفة كان يرجع كثيرا الى وفيات المنذرى ويجله ويحترمه ، ويشرح مؤلفاته كما تبين ذلك من العبـــارات التى نقلناها عنه ، وقد ذكره الكثيرون فى التراجم كابن العماد والـــكتبى وابن تغرى بردى ، وابن كثير ، والسبكى ، وابن الوردى . .

وفى الحق أن المنذرى فى كتابه « تكملة وفيـــات النقلة » يعتبر امتدادا لمدرسة الحافظ السلفى المعروفة بالاسكندرية باســـم (المدرســـة العادلية) ، والسلفى صاحب (معجم السفر) و (المشيخة البغدادية) التى تضـــم وحدها أكثر من مائة جزء ، ولهذا لم تخل ترجمة عنـــد المنذرى من ذكر الامام الحافظ السلفى ، رواية عن تلميذه المقدسى صاحب كتاب (وفيات النقلة) الذى قام المنذرى بالتذييل عليه فى ســـتين جزءا مرتبة على النمط المرســـوم ، وهو التسلسل بسنوات الوفاة الى ٦٤٢ حيث توقف المنذرى . .

سلسلة موصولة

نقول النمط المرسوم ، ونعنى بذلك استمرار هذا النهج منذ القرن الرابع الهجرى من لدن أبى ســـليمان محمد بن عبد الله ومن بعده الـــكتانى ، ثم الاكفانى ، ثم المقدسى فالمنذرى ، ومن بعـــده تلميذه عز الدين الحلبى ، وابن أيبك الدمياطى ، ثم الزين العراقى والزركشى ، والسيوطى وغيرهم ، ممن لا يحصى لهم عد ، حتى لقد ترجم البرزالى (٧٣٨ هـ) لنحو الفى شـــيخ كما كتب ابن عساكر (معجم النسوان) الى آخر ما قام به كبار الحفاظ والمحدثين . .

ولقد عرف المنذرى فى (تكملة وفيات النقلة) بالايجاز والاعجاز معا فى جمع البيانات الوافية عن كل ناقل ، فيذكر الاسم والكنية واللقب والمولد والمنشأ والاقامة والوفاة والرحلة والاجازة والســـماع والمكانة العلمية والســـيرة الشخصية والتصنيف والتأليف والاشـــتغال كل ذلك بدقة وعن ثقة ، بحيث لا يدع زيادة لمســـتزيد ، وكان كتابه « تكملة وفيات النقلة » نموذجا يحتذى فى التحرى والتبويب وسعة الاطلاع على سابقيه فى هذا الباب ، كما كان كتـــابه (الترغيب والترهيب) نموذجا آخر فى علم الحديث . .

وظل المنذرى خلال القرون التى تلته موضـــع الاكبار والاجلال . ومن أشهر تلاميذه الذين صاروا من بعده أساطين العلم : الحافظ الدمياطى ، وأبو الحســـين اليونينى ، وابن عســـاكر ، والعلم الداودارى ، وابن دقيق العيد وغيرهم ، بينما امتدت سهام النقد الى ما قام به ابن خلكان فى (وفيات الاعيان) فقد ذيل عليه تاج الدين عبد الباقى المخزومى المكى (٧٤٣ هـ) وعقد مقارنة بين ابن خلكان وابن الاثير فرجح كفة هذا الاخير ، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى تمكن المنذرى من علمه وتثبته فى نقله واحاطته الواسعة بكل ما يلزم المحـــدث الذى يتصدى لخوض هذا البحر المحيط حتى صار يقال على الســـنة المنصفين « ما على وجه الارض من مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وما على وجه الارض مجلس فى علم الحـــديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبد العظيم المنذرى ، وما على وجه الارض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلس أبى العباس المرسى » . .

حقا لقد كان المنذرى من جلة الاعلام فى « علم الرجال » . .

بقية زكاة الصيام

لم تجد هذه الثمالة من يقطعها عن أصحابها شربوا من الماء الآسن ، وعاشوا فى ضباب قاتم .

لهذا لا ينبغى لمخرجى الزكاة أن ينظروا اليها بعين المبالغة والاستعظام حتى لا يكتنفهم الزهو والعجب ، والزهو مهوى الضياع ، وطريق التهلكة . فما أحقهم بالتواضع ، وأجدرهم بالخجل حين يقدمون للفقراء النصاب المحدود فى أقل مراتب البذل ، وهم يعلمون أن من المسلمين من تبرعوا بكل ما لهم ، غير تاركين لأولادهم واهليهم شيئا ، وفى مقـــــدمتهم أبو بكر .. ويرضى الله عن عائشة . فقد جاءها يوما مئة الف درهم فوزعتها جميعها على الفقراء . وهى يومئذ صائمة ، فقالت لها أم ذرة . أما استطعت فيما أنفقت أن تشترى بدرهم لحما تفطرين عليه ؟ فقالت لو كنت أذكرتنى لفعلت .

واذا كانت الزكاة عينية فيجب أن تكون أجود أنواعها قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وقال أيضا (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولسـتم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه) ناهيا ومحذرا من التصدق بالتالف والخبيث .

ولعل تطور أساليب الكسب ، وتغيز الأنظمة الحكومية . واســتخدام الآلة قد غير من صفات الاستحقاق وأسقط من الحساب بعضا آخر . وأمن قسما ثالثا على عيشه ورزقه . مما جعل مخرجى الزكاة فى وضع يحملهم على الدراسة والبحث عن حالة المستحقين ، ولعل أقربها الى الرضى والقبـــول والثواب ، اعطاء الفقراء المســـتقيمين الأتقياء الصـــادقين فى تقواهم . المخلصين فى عبادتهم . المتفرغين لتجارة الآخرة . قال الرسول صلوات الله عليه (أطعموا طعامكم الاتقياء . وأولوا معروفكم المؤمنين) وقال أيضا (لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى) .

وكذلك اعطاء أهل العلم الفقراء . لاشتغالهم بأشرف انواع العبادة ، وقد كان رسول الله صلوات الله عليه يتعهد أهل الصفة . ويكفلهم من ماله . ويقوم على خدمتهم بنفسه اجلالا لتقواهم .

ولعل افضل المســـتحقين وأحقهم بعد ذلك من صان ماء وجهه عن ذل السؤال ، ومنعته عزة نفسه من التسول . لا يسأل الا ربه ، ولا يشــكو بثه وحزنه الا لخالقه . قال تعالى فى أمثالهم (يحســـبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يســألون الناس الحافا) .. فأين هؤلاء المتعففون من هذه المخلوقات التى تتخذ السؤال وسيلة للكسب ، وطريقا للعيش ، بل جادة للادخار والاثراء ، رغم تظاهرهم بالفقر واسرافهم فى مظاهره ، وقد يصبح العطاء زكاة وصـــلة رحم ، وذلك عندما يعطى المزكى صدقة الفطر وغيرها لقريب فقير « والأقربون أولى بالمعروف » .

وعلى الرغم من أن الزكاة حق معلوم ، فرضـــه الله فى أموال الأغنياء للفقراء ، دون من أو أذى . وأن اخراجها أمر لا بد منه ، لتطهير رأس المال من شوائب الاستثمار وأدران حب المال .

على الرغم من كل ذلك . فانه ينبغى لمستحقى الزكاة شكر المخرجين لها ، تشجيعا وتأدبا وتوثيقا لوشيجة الأخوة ولحمية الاسلام . وعملا بحديث سيد الأنام (من أسدى اليكم معروفا فكافئوه . فان لم تستطيعوا فادعوا لله حتى تعلموا أنكم كافأتموه) وقال أيضا (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) .

أما شكر المستحقين لربهم على ما ساقه الله اليهم على يد أغنياء المسلمين فهو فى غير حاجة الى تنبيه أو حث للقيام به . فالله الخالق الرازق . وحول وحدانيته يجب أن تتجه القلوب بالعبادة وتلهج الألسنة بالشـــكر على نعمائه وآلائه .

قصة

خروجا بغير رجعة

للاستاذ : محمد الخضرى عبد الحميد

(ستار ينفرج . جانب من ســـوق بنى قينقاع بالمدينة (يثرب) محال للصاغة) .
(على الجانبين . الصائغ اليهودى يتحدث من الوسط الى احد صنائعه)
(دافعا اليه صرة من المال) .

الصائغ : خذ . وخذ ما هو اكثر من مال . كل ما أملك أهبه راضيا قريرا ، ليكون وقودا ، ليندلع نارا تحرق . تبيد وتدمر ، لا تبقى ولا تذر ، ويعود الحال رخيا ! .

الرجل : سيأتيك من الأنباء ما يشـــفى الغلة . ان (محمدا) وصــحبه باتوا يقاسون ويلات ما أضرمناه حولهم من نيران حرب نفسية ! .

الصائغ : ماذا ؟ ! حرب نفســـية ؟ ! يا فرحتى بحروبك النفسية ! أنا أدفع ذهبا لأجل : ضروس ماحقة ، وأنت تقول لى : نفســـية ؟ ! نريد نارا . لهبا . ها نحن صاغة بنى قينقاع نذكى الاوار ، ولا أوار ! نسلب العرب هنا فى يثرب ، وهناك فى مكة ، أموالهم . . ونستنزف بكل الحيل ثرواتهم ، ونغدق منها عليكم . . و : النتيجة ؟ تقول لى : حرب نفسية ! . لم لا تقومون على (محمد) ومعســـكره بغتة ، قومة رجل واحد ؟ . أيعجبكم كل ذاكم العز وتلكم المنعة ، للمسلمين ، وللاسلام ؟ !

الرجل : لا تنس أن بيننا وبين (محمد) عهدا . وصحيفة مكتوبة ، والقتل جزاء من يخرج عليها .

الصائغ : ليكن ! انا لا نقيم كبير وزن لشىء من هذا ، طالما أن الظروف مواتية ، والريح رخاء .

الرجل : دينه قوى . الاسلام . لمحمد وصحابه عقيدة خارقة القوة . آه لو أنهم ليسوا على تلك الدرجة من الحفاظ والغيرة على اسلامهم ذاك ؟ ! اذن لأريناك فيهم عجبا . ومع ذلك فانك لا تنكر اننا فعلنا بهم الكثير . . اما سمعت أصداء ما تلفظ به المجالس فى المجتمع اليثربى عن بساط (محمد) الفاخر ؟ ! .

الصائغ : لا اريد ان اسمع ! . وددت ان لو (ارى) ! . بحق موسى وهارون أى كثير هذا الذى فعلتموه ؟ . . قسما بالتوراة . . لولا أن (عبد الله ابن ابى) ، وعداوته المتأصلة لمحمد ، ووقوفه الى جانبكم طموحا الى السيادة على يثرب ، لما كنتم بقادرين على أن تفعلوا شيئا . حكاية (البساط الوثير) الذى دسستموه على (عائشة) زوج محمد كهدية ، أعرف أن (عبد الله بن أبى) هو الذى قام بها . انه موتور لسيادة (محمد) دونه باسلامه ، وبسلطانه الروحى . تلك السيادة المطلقة التى بددت احلام عبد الله فى أن يزين مفرقه — يوما — تاج يثرب ! وأعلم أن (محمدا) غضب ، ورد الفراش المترف ، وعاد الى (الحصيرة) تنكأ أشواكها لحم جنبيه ! .

الرجل : لكن . . كاد بعض الناس يصدقون أن محمدا نزع الى الرفاهية . . حتى عمر بن الخطاب نفسه ، لولا أن (عمر) دخل عند نبيه ، ورأى بعينيه آثار الحصيرة مسطورة على جنب صاحبه ، فبكى ، لأنه استسلم لسماع اللغط المشاع ! ارأيت ؟ تلك هى مزية الحرب النفسية .

الصائغ : كفى . ما عدت أثق بفاعلية حربكم النفسية هذه ! . النار ذات اللهب ! لا تهمنا صحائف ولا معاهدات . منذ متى كنا نقيم وزنا لكلمات الشرف كأولاء البدو الأقحاح ؟ يا بنى نحن يهود . الذهب وحده دستورنا . انظر . تأمل سوقنا . . سوق بنى قينقاع الذى كان كعبة القصاد . ها هو خاو مقفر كما ترى . نافسنا المسلمون فيه بالسوق التى أنشأوها . ما عدنا نطيق تعاليم (محمد) الذى صدع رؤوسنا وأفسد القوم علينا . شرف ! مساواة ! ذمة وضمير ! تقوى ! أمانة ! بسالة . أشياء غريبة يا أخى ! و . . هكذا نفقت سوقهم ، وبارت تجارتنا ! .

الرجل : لا بأس . علينا بالدهاء . لقد أشعنا البلبلة حتى بين آل بيته . ماذا تريد أكثر من هذا ؟ . ألا تعلم كم كان تدبيرا محكما أن تنتشر شائعة (السحر) الذى جعل محمدا يعتزل نساءه ؟ كان ضبط التوقيت موفقا كالعادة فقد نفثنا النفثة وهو يستنفر رجاله الى (بدر) .

الصائغ : كفى بحق التوراة . محال أن تكون اسرائيليا قحا . أعد قراءة سفر التثنية من توراتنا (اصحاح ٣٠) وستجد الكلمات تقول لك : (اضرب جميع الذكور بحد السيف . أما النساء والاطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها ، فتغنمها لنفسك ، وتأكل كل غنيمة أعدائك ، التى أعطاك الرب الهك) ! .

الرجل : بل أنا يهودى صميم . سلاحى الخفى . الخبث والدهاء . المكر والخديعة . نشر الشائعات ، وبذر الأراجيف . تلك وسائلنا نفت بها فى العضد ، الى أن تواتينا الريح .

الصائغ : حرب نفسية ، كما تقول هه ؟

الرجل : تماما . فلا قدرة لنا اليوم على مجابهة سافرة مع (محمد) . وأنا معك فى انه لا اعتبار للصحيفة المكتوبة بيننا وبينه . لكن : هاك اسلامه ينتشر ، ويظلل أقاصى البقاع ، ثم الا تقر بأننا كدنا نوقع الاضطراب فى معسكر (محمد) لولا خيانة واحد منا ؟ ثم اننا نكاتب قريشا سرا من وراء ظهورهم .. وسنؤلبها عليهم . ولن تكون (بدر) هى الأخيرة .. آه لولا ذلك الخائن الذى شذ من بيننا لنجحت أحبولة (بسرة) ! .

الصائغ : انكم لم تحسنوا الحبك . اخذتم الفتاة الجميلة (بسرة) وعاشقها الى (محمد) وقلتم : يا محمد هذا عاشق ضبطناه مع معشوقته ومعنا شهود ، فاقض فيهما بما يراه اسلامك . اليس كذلك ؟ . لكن ..

الرجل : هو ذاك . كنا نعلم ان اسلامه حاسم الراى يقضى برجمهما حتى الموت . حبذا لو كان قال ! لكنه ردنا الى التوراة . رحنا نلح عليه ليقول ، ولننفر قبيلة (بسرة) منه ، وهى تميل اليه والى تعاليمه ، لولا أن الفتى اليهودى الخائن ، الذى أصابته عدوى (المثالية) من طول صحبة محمد ، صاح فى حضرته : (يا أبا القاسم انك لصادق ، ولكنهم يحسدونك ويحرجونك) . وهكذا ، و .. ما هذا ؟ ما هذه الضجة ؟ .. (صيحات فتية من فتيان اليهود ، منهم ابن الصائغ ، الذى دخل يقول) :

الفتى : يا ابت . قادمة اليك امراة عربية ، محجبة ، واحدة من أولات الـ .. المسلمات .

الصائغ : اين ؟ ! .. وحق موسى ان فى قلبى غصة لكل ما فيه رائحة اسلام ! .

الرجل : انى منصرف . فالقوم هناك ينتظرون . (ينصرف) .

الصائغ : انصرف انت بذهبى ، ذوب عمرى ! .. بدده على شائعاتك الصبيانية ، وحربك النفسية عقيمة الجدوى ! . (يشمر اكمامه) . اما انا فسأجرب مع ولدى ذكائى (الحربى) قدر المستطاع ! . هه .. أين تلك المسلمة ذات الحجاب ؟ اين هى يا ابنى يا زين الفتيان ؟

الفتى : باعت حوائج فى السوق ، واقبلت تبغى شراء حلية . تمنا وراءها بزفة صاخبة . ها هى ذى (تدلف فتاة عربية عليها خمارها . تهم بالرجوع ، وقد لمحت الفتى الماجن الصفير . لكنها بشجاعة تصيح فيه باحتقار) :

الفتاة : أخرج أيها الشرير القذر ، والا حطمت رأسك .

الفتى : انا فداء سحر اهداب العيون ! . انزعى هذا الخمار . لماذا الاسلام يحجب عنا هذا الجمال ؟ .

الصائغ : (متكلفا) صمتا يا هذا ! مرحبا بالفاتنة البدوية . أمسلمة انت ؟

الفتاة : نعم ، بحمد الله ، وهذا العتل الزنيم راح وأضرابه يزفوننى فى السوق ، وانشأ يسخر من الاسلام باللغو الذى لقنتموه اياه يا معشر يهود قينقاع .

الصائغ : (بدهاء) : حاشا يا أختاه ! . كيف ؟ والاسلام عزيز علينا ،

وبيننا وبين أهله معاهدة وصحيفة مكتوبة ؟ اذهب أيها الولد ! اذهب وسأعلمك كيفتكون الأخلاق ! . . (يغمز له بعينه موحيا . يتوارى الفتى مع أترابه جانبا خارج الدكان) . . ماذا تريد الفتـــــاة ؟ . اجلسى وتفحصى الحليات هناك . تخيرى منها ما يروقك ، حتى أخرج لك غيرها من كل رائع وفريد .

(تجلس الفتاة تتأمل باســــتغراق جانبا من المعروضـــات . . بينما هو بخفة تذرة ينثنى على أطراف أصـــابعه ، ويميل فيعقد طرف ردائها الى ظهرها ، من حيث لا تشعر . وطرف الرداء الآخر شبكه بدبوس صغير الى مقعدها من خلاف . . ولما همت فجأة بالوقوف لتلتفت الى القسم الآخر ، ارتفع الثوب بغتة عنها ، فانكشف جانب من جسدها . وارتبكت فوقعت ، وهنا هلل الفتية المختبئون ، وهم يبرزون من مخبئهم صاخبين . صرخت عاليا) :

الفتاة : واشرفاه ! . واشرفاه ! . (يدخل رجل مسلم ، مشرعا سيفه) ، هاتفا :

المسلم : لبيك يا أختاه ! أهذا هو الخلق واحترام العهد يا نفايات يهود ؟ أعطنى الآن عنقك النجس . (الفتية يفرون . الفتاة تنسل بسرعة) .

الصائغ : (مولولا نائحا) : لا ! أنا عبدك . كان مزاحا . خذ مالى . كل جواهرى . كل ذهبى . لكن . . لا تقتلنى ! .

المسلم : هــكذا يا جبان يا ابن الجبناء . ما أصــــــدق قول الله فيكم : (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) . ولكن لا حياة لمثلك . خذ . (يهوى عليه بالسيف فيخر صريعا صارخا كالنســاء . ضوضاء ويتكاثر اليهود من حوله ، وهو يعمل فيهم ذؤابة السيف ، لكن أحدهم يغدره بطعنة فى الظهر ، فيســــتشهد راضيا وهو يهتف : (أشهد أن لا اله الا الله . . وأن محمدا رســول الله) . (يفر البعض مذعورين . يعــود (الرجل) الذى كان قد انصرف من قبل واخذ صرة المال ، يلطم خديه نادبا) :

الرجل : ماذا فعلتم يا مناكيد قينقاع ، الا فاستعدوا إذن لفناء ما حق لا قومة لكم بعده . لا تنفك جبلتكم التى فطرتم فيها على الشر وحب العدوان وسوء الخلق ، تدفعكم دفعا الى هلاك ناجز . المرأة المسلمةذهبت تنبىء محمدا وصحبه وجنده ، فهلموا واستقبلوا الطوفان ! (يرتعد كل اليهود) . .

ترتعدون الآن فرقا ؟ ! . فأين الشجاعة التى بها تتشـــــدقون ؟ ! قلت لكم لا تسفروا الآن ، ودعونا نحن لمحفل الكيد والدس حين تحين ساعة ســفور . . ها قد صــــارت لكم جولة ما أهونها . . لكن أولاء قوم لا يعرفون غير (النصر والسؤدد) رفيقى طريق . واضيعتاه ! واضيعتاه !

الجميع : (يرددون وراءه نائحين) : واضيعتا لبنى قينقاع ! . واضيعتا

لبنى قريظة ! واضيعتا لبنى النضير ! واضيعتا لكل آل يهود . (يدخل عبد الله ابن أبى) .

عبد الله : ويحكم . بدأتم بالعدوان ونقض الصحيفة . بئس الذى ينتصر بكم او يناصركم . واضيعتا لى أنا ايضا بكم .

الرجل : (يهب منحنيا له بذلة وضراعة) : سيدي عبد الله بن ابى ! هل بعدها الطوفان ؟ هل من طريق الى (محمد) وصحبه وجنده ؟ .

عبد الله : كاد يتدفق السيل . بعد اذ قال (محـــمد) ان : طفح الكيل . نشفعت لكم لدى (محـــمد) . قلت انهم ناصرونى فاعف عنهم ، حتى أذن لى فيكم . ألا تعسا لكم . جئتم نازحين فقامت لكم هنا تجارة ، صرتم بأســاليبكم سادتها . الا فاخرجوا واخلوا هذه الديار . اخلوها من فحيح أنفاســكم جزاء نقضكم الصحيفة ، وايثاركم للدس والغدر والوقيعة .. اخرجوا من كل يثرب الآن . هذا هو حكم (محمد) الحليم فيكم ، وانه وأيم الحق لمن أعدل الاحكام .

الجميع : انه (التيه) ثانية ! . انه (الخــروج) مرة اخرى . هلموا الى القدر المحتوم .

(يلملمون بعض الحوائج ، يولولون فى خروجهم المهين . يتســاندون فى تأهب لمسيرة التيه ، وهم ينسلون مطأطىء الرءوس يســتدير عبد الله بن أبى وهو يضرب كفا بكف صامتا ، ثم يرمقهم بغيظ ويقول :

عبد الله : اخرجوا . خروجا بغير رجعة . يا عباد البعليم والعشتاروت . يا من تخــذلون كل من يزل فيركن اليــكم بشىء من ثقة .. ضيعتم أحلامى فاذهبوا وانتم الضائعون . وحقا صدق رب محمد فى قرآنه : (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) .

(ويطرق عبد الله بن أبى ، وهو يقلب كفيه فى أسى يائس)

(.. وبينما تنزل الستار تدريجيا يعلو من بعيد صوت جليل الصــدى ، لقارىء يتلو الآية الكريمة :)

(واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون . الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .) صدق الله العظيم .

الفتاوى

فى النكاح :

رجل تزوج امراة ولم تنجب منه أولادا ، فطلقها وتزوجت بغيره وانجبت منه اولادا كما تزوج هو بغيرها وأنجب منها ، فهل يجوز لأولاد احدهما ان يتزوج من بنات الآخر .

(م.ش)

الاجابة

لا مانع شرعا من زواج اولادهما لبعضهما ، ولو فرض ان الزوجة فى عصمة زوجها ولها بنت من غيره وله ابن من غيرها فلا مانع من ان يتزوج ابنه بنتها .

القتل الخطا

انقلبت امراة على وليدها وهى نائمة حتى مات ..
فهل عليها دية ولمن تدفعها وهل عليها عقاب آخر دنيوى او اخروى ؟

(ع.ا.ح)

الاجابة

اذا انقلب انسان على آخر او وقع عليه من شجرة مثلا وترتب عليه وفاته فان هذا يعتبرمن قبيل القتل الخطأ ، لأنه لم يقصد قتله — وموجبه شرعا الدية والكفارة . قال تعالى : (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا) .

وكفارة القتل الخطأ تحرير رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، وليس فيها اطعام لعدم ورود نص بذلك .

والدية مال يجب بقتل آدمى عوضا عن دمه — وتدفع لورثة المقتول حسب الفريضة الشرعية .

وليس على المراة عقاب آخر لانه بالكفارة والدية قد سقط ما عليها ولا يعاقب الانسان على شىء مرتين .

فى الطلاق

حدث نزاع بينى وبين زوجتى وحلفت عليها بقولى طالق ، طالق ، طالق ، بالتوالى فى مكان واحد ، وسبق لى ان طلقتها مرة واحدة من مدة سنتين واليمين الحالى منذ يومين . فما حكم الشريعة .

(ك.ع.ر — الكويت)

الاجابة

ذهب بعض العلماء الى ان الطلاق بلفظ الثلاث او اشارة مقترنة بالثلاث

او بالتكرار فى مكان واحد يقع واحدة وقال ابن القيم : انه راى أكثر الصحابة ــ وقد أخرج البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال طلق ركانة امراته ثلاثا فى مجلس واحد فحزن عليها حزنا شديدا ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف طلقتها ، قال طلقتها ثلاثا فى مجلس واحد ، قال نعم . فانما تلك واحدة فأرجعها ان شئت فراجعها . هذا وقد كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله عليه السلام وابى بكر وسنتين من خلافة عمر يقع واحدة . وقد جرت الفتوى الآن فى أغلب البلاد الاسلامية على انه لا يقع الا واحدة .

وبما أن السائل طلق زوجته قبل ذلك مرة واحدة فيعتبرطلاقته فى هذه المرة طلقة ثانية رجعية ، وله مراجعتها بالقول او بالفعل ما دامت فى العدة .

فى الزكاة

رجل اشترى عقارا ثم اجره شهريا وقبل ان يحول الحول على المبالغ المحصلة من الايجار ، اشترى عقارا آخر . فهل فى هذه الحالة تجب عليه الزكاة ؟

(ف.ق.و)

الاجابة

الزكاة : احد الفروض الدينية والأركان الخمسة التى بنى عليها الاسلام قال تعالى : (وآتوا الزكاة) وقال عليه الصلاة والسلام : (بنى الاسلام على خمس) الحديث ، وعد منها الزكاة فهى ركن يؤديه المسلم بمقتضى ايمانه وتدينه ومن ثم فيجب على الانسان محاسبة نفسه عليه متى ملك النصاب ملكا تاما وحال عليه الحول القمرى ــ والمعتبر فى ذلك طرفا الحول ــ فلو اشترى انسان منزلا ونوى به الاستغلال أو الاقتناء لينتفع به ، فلا تجب زكاته الا اذا اكتمل لديه النصاب من ريعه وحال عليه الحول ، أما لو نوى التجارة فتجب الزكاة على قيمته وريعه . بعد تمام الحول على ملك النصاب ، اذ انه يشترط لوجوب الزكاة فى المال ملك النصاب وحولان الحول .

فاذا كان الشخص المذكور اشترى بريع العقار عقارا آخر قبل ان يحول عليه الحول ولم ينو التجارة فليست عليه زكاة .

فى الرضاع

ابناء عم رزق احدهما بثلاثة أولاد ذكور ، ورزق الآخر بنتا ، وارضعت أم الأولاد البنت مع الابن الأصغر .

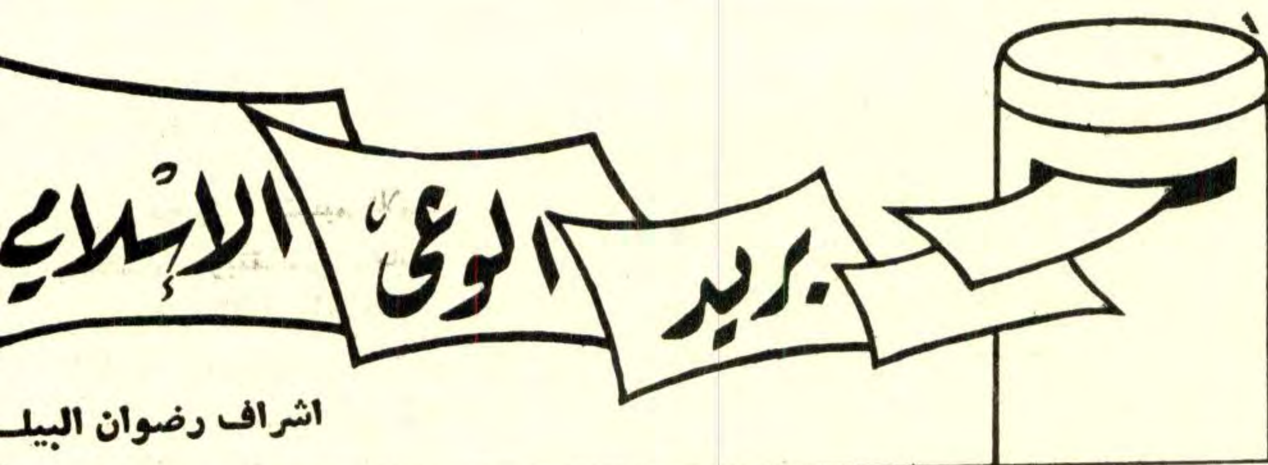
فهل يحل لابنها الأكبر أن يتزوج من البنت ؟

(م.ص.ع ــ السعودية)

الاجابة

المقرر شرعا انه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب ، فلا يجوز لانسان أن يتزوج أخته من الرضاع ، قال تعالى : فى آية المحرمات : (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم) الى قوله .. (واخواتكم من الرضاعة) .

وبما أن البنت رضعت من أم الأولاد ، فلا يحل لأحد أولادها الأصغر أو الأكبر أن يتزوج من البنت ، لأنهم جميعا اخوتها من الرضاع ، لأن المرضعة أم لهم جميعا لاجتماعهم على ثدى واحد بشرط أن يكون خمس رضعات متفرقات مشبعات فأكثر وفى سن الرضاع .



تحقـــيق

سبق أن نشرنا فى مائدة القارىء من العدد التاســع والعشرين ان أعزل يجمع على عزل بسكون الزاى ، وان ما يدور على الألسنة من جمعه على عزل بتشديد الزاى خطأ ، واستندنا فى هذا الى القاعدة الصرفية التى تقول : ان أفعل الذى مؤنثه فعلاء ، كأحمر حمراء يجمع على فعل بسكون العين ، وأوردنا الشاهد على ذلك من الفية ابن مالك .

وجاءنا من الأخ أبو أسامة بادارة المناهج والكتب بوزارة معارف قطر انه قد ورد سماعا جمع أعزل على عزل بالتشديد وعلى اعزال فلزم التنبيه .

أم الخبائث

والأخ م.م.ح.ع من الكويت يطالب المجلات الاسلامية وخطباء المساجد ورجال الدعوة والارشاد بالرد على ما ينشر فى الصحف من الدعــوة الى رفع الحظر المفروض قانونا فى الكويت على شرب الخمر وتداولها وبيعها وشرائها .

ونقول للسيد الأخ ان الدعاة الى الله لم يألوا جهدا فى بيان أحكام الله ، وتوضيح ما أحل وما حرم ، والمطالبة بوجوب تطبيق الشريعة الاســـلامية ، وتحذير المسلمين من الانحراف عن صراط الله الذى وضحه لعباده ، كما انه لا يكاد يوجد مسلم يجهل حكم الخمر ومضارها العقلية والاجتماعية والمادية .

وان الكويت البلد المسلم قد سارعت الى مرضاة الله وحماية شعبها من أم الخبائث .

وان الذين يقتلون أنفسهم بتناول المواد الكحولية الضارة والذين يحتالون على الخروج من طائلة القانون بالتهريب ، والذين يخرجون الى ما وراء الحدود ليشربوها . على هؤلاء وهم قلة قليلة . اذا لم يرضخوا للقانون ولم يستمعوا الى الموعظة الحسنة ، أن يتحملوا عاقبة جنايتهم على أنفسهم ونتيجة طيشهم ونزواتهم .

وان المبررات التى يسوقها دعاة رفع الحظر عن الخمر لا يمكن ابدا ان تقف أمام هذه الآية الكريمة « انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » صدق الله العظيم .

وبعث الحاج (ع.ع.س) مدرس التربية الفنية باحدى مدارس الكويت — رسالة يقول فيها :

انه يقوم بتعليم تلاميذه كيفية رسم الأشـخاص والحيـوانات والنباتات والجماد ، ويتقاضى معاشه على هذا العمل ، وهو فى حيرة وشك من حل عمله وحل راتبه الذى يأخذه على هذا العمل ، ومن قبول حجه الذى أنفق عليه من هذا الراتب ، ويبدى كامل استعداده وتام رضاه لترك هذا العمل اذا كان محرما ، وهو يثق كل الثقة فى الله الذى لا يضيعه ، ويؤمن كل الايمان بأن رضوان الله عليه اغلى عنده من الدنيا وما فيها .

ونحن نحيى فى الأخ هذا الحرص على الدين وشدة الخشـية من الله . ونبادر الى طمأنته لحل عمله وحل راتبه وطيب نفقته على نفسه وأسرته وحجه من راتبه ، ولا نحب بعد هذا أن نخوض مع الأخ فى متاهات هذا الموضـوع الذى تتله العلماء بحثا ودرسا ، ونكتفى بالقول بأن الاسلام انما حرم على المسلم الاشتغال بصناعة التماثيل ، ورسم الصور والأشكال التى يكون موضـوعها منافيا للعقائد والآداب الاسلامية كرسم العاريات من النساء أو الأوضاع المثيرة للغرائز الدنيا .

اما مجرد رسم الحيوان فلا بأس به . يقول المرحوم الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الجمهورية العربية المتحدة الأسبق : ان مصور شكل الحيوان لا يوجد صورة مجسدة له ، بل انما يرسم شكله وصـورته من غير تجسـيم ، والصورة على هذا الوجه قد فقدت الجرم ، فليست هى صورة الحيوان التى يكلف مصورها يوم القيامة نفخ الروح فيها — كما جاء فى الحديث — لأن الظاهر أن الصورة التى يقال فيها ما ذكر هى الصورة المجسمة ذات الظل (التمثال) التى لم تفقد عضوا لا تعيش بدونه حتى تكون قابلة بذاتها لنفخ الروح فيهـا ، فيكون عجز المصور عن النفخ راجعا اليه ، لا لعدم قابلية الصورة للحياة .

وكذلك لا بأس برسم اللوحات والنبـاتات وكل شىء لا روح فيه ، روى البخارى عن سعيد بن أبى الحسن قال : كنت عند ابن عباس — وهو من نعلم فقها وعلما — اذ جاءه رجل فقال : يا ابن عباس : انى رجل انما معيشتى من صنعة يدى ، وانى اصنع هذه التصاوير (التماثيل) فقال ابن عباس : لا أحدثك الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : « من صور صورة فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها ابدا ، فربا الرجل ربوة — انتفخ من الضيق — فقال ابن عباس : ويحك . ان ابيت الا ان تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شىء ليس فيه روح) .

وفى هذا التأويل من ابن عباس رضى الله عنه وفى رأى المرحوم الشيخ بخيت فسحة ورخصة لصاحب الرسالة وأمثاله .

قالت صحف العالم

نهج وعمل

كتبت مجلة الرسالة الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

يمكننا القول ، والثقة تملأ النفس ، أن الخطـــاب الاميرى قد جاء فى مستوى المرحلة العصيبة التى تجتازها أمتنا العربية وفى مستوى المسؤوليات الكبيرة التى التزمت بها الكويت ازاءها ، أميرا وشعبا وحكومة .. هذا الخطاب ليس تقريرا عاديا يتناول انجازات الحكومة وما ستقوم بانجازه فى المجـــالات الداخلية والعربية .. انه وثيقة سياسية رفيعة واضحة الرؤية ، مركزة الفكر ، بينة الأهداف ..

وهو الى هذا ، وفوق هذا تعبير عما يجـيش فى نفوس الـــكويتيين واخوانهم المقيمين وسائر أبناء العروبة من آمال عريضة بصدد دور الـــكويت فى معركة الأمة الواحدة ، معركة فلسطين ..

فى الخطاب الاميرى نهج عمل رائده الاخلاص والبصيرة الســـياسية الواعية .. وهما أبرز متطلبات المشاركة فى النضال العربى الواحد .

ولعله من حق الكويت ، على هذا الصعيد بالذات — وان كنا فى مقـــام التباهى — أن تتبدد من بعض الأذهان فكرة خاطئة ، وهى أن التزامها يقتصر على البذل المادى ، فهذا ، والحق يقال ، أضعف الايمان ، ان الالتزام شامل لا انفصـــام بين جوانبه وهو يتناول النفس والنفيس ويقضى بعطاء الدم قبل المال ، وهو الى هذا جهد ضد الاثرة والفرقة ودعوة الى اخوة صادقة مكافحة والى وحدة صف وهدف .. وكل هذا يعبر عنه الخطاب الاميرى أبلغ تعبير . وغنى عن البيان ان الكلمة المكتوبة أو المعلنة قولا عند قادتنا لها — بحمد الله — قدسيتها وشرفها ، لها الترجمة عملا حيا .. (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .

فى منطق الوعى

نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية فى افتتاحيتها كلمة تحت هـــذا العنوان جاء فيها :

الذين يعيشون أحداث الأمة فيما يعترض سبيلها من عقبات وفيما يهب عليها من نســـيم الخير .. الذين يحملون بعقولهم وقلوبهم همومها وآلامها ، ويقض مضاجعهم ما يكيد لها الأعداء ، وما يجنح بها عن الطريق الســـوى .. الذين يكونون على هذا المستوى ، وعيا لمكمن الداء ، وشعورا بالمســؤولية ، وقلقا على الغاية والمصير .. يجدر بهم أن تتسم نظرتهم الى الحوادث بالتكامل والشمول ، بمعنى أن توضع كل حادثة موضعها الطبيعى ضمن الاطار الكلى

العام ، فهى جزئية من جزئيات ينتظمها هـــذا الكلى العام ، لا حادثة مبتورة دفعتها المصادفة لا ترتبط بأصول ، ولا تصنف كجزء من كل .

والوعى الاسلامى فى كل سماته وخصائصه يحملنا الى هذه الساحة من الاعتقاد ومعه الف دليل ودليل من التاريخ القديم والحديث ومجالات الفـــكر والعمل والسلوك . . فعندما نغلق الابواب دون ربط الحـادثة بجـــذورها واصولها ، يكون هذا دليل ان التفكير بعيد عن التساوق والشمول ، وأن البصر حسير كليل .

وعلى سبيل المثال : مأساتنا الحاضرة لا يصح فى ميزان المنطق الاسلامى ان ينظر اليها مقطوعة عن سلسلة من الاحداث تمتد الى عدة قرون من الزمان . هذا من الناحية الزمنية . . أما من الناحية الفكرية فهى نتيجة طبيعية لنظرات معينة ينظرها الأعداء الى فكرنا وعقيدتنا ومبادئنا ، نظرات أقل ما يقال فيهـا انها بعيدة عن كل موازين المنطق والعلم ، وهى ظاهرة عداء كثـيرا ما تحمل هؤلاء على مجافاة الحق وكل المثل التى يزعمون أنهم أبناؤها ودعاتها .

الاسراء الجديد

وكتبت مجلة الشبان المسلمين القاهرية تحت هذا العنوان تقول :

تمر بنا هذه الذكرى والمسجد الأقصى بين أيدى اليهود ولسنا ندرى أهى غضبة الجبار على شعب اضاع العزة وافتقد مقومات المجد يوم ابتعد عن نور الحق وكتاب مبين وراح تلهث أنفاســـه جريا وراء أضـــواء المدنية الزائفة وما اقتبس منها الا أسباب العجز والضياع وما أخذ عنها الا معان الهدم والخراب فكانت الغضبة وكانت النكسة وضاع البيت وذلت أعنـــاق الرجال وعلا فوق الرؤوس علم الهوان .

أم هى الهزة للنائم الذى رقد طويلا وتخلف عن ركب القـــوة والمنعة فلما طال به السبات لعبت به احلام الخيــــال وعاش يتقلب بين حلم باهت وأمل موهوم حتى أراد الله للمارد أن يصـــحو قبل أن يفوت الأوان ونحن فى عصر السباع والذئاب ولو استمر النائم فى نومته لضاع وضاعت رسالته وصارت نهبا لكل غادر ومفترس فكان ما كان وحدثت الهزة ليفيق الغـــافل من رقدته ويعود الى سلاحه ، وسلاحه لا اله الا الله والله اكبر ، وبذا يعود مرة ثانية ليأخذ دور المعلم فى دنيا هى أشد ما تكون اليـــوم حاجة الى ما بين أيديه من اضواء وحقائق حتى تجتاز أخطر محنة تمر بها البشرية منذ وجـــدت محنـــة الضلال والضياع .

قد يكون الأمر هذه او تلك ، ولكنه على كل حال حادث اليـــوم وكارثة الساعة ، وهو على كل حال دوى النفير لكل مسلم ولكل مؤمن . ان اليوم يوم الجهاد وان الساعة ساعة العمل والفداء .

وعلى المسلمين اليوم فى كل مكان حق الجهاد . جهاد النفس بشهواتها واهوائها وعوامل ضعفها ، حق التعاون والتكاتف أمام عدو الله وعدو المسلمين حق العمل والسهر والعرق من أجل بناء الأمة القوية فى كل مكان اســـتعدادا لمعركة طويلة مريرة فالمسألة ليست مسألة مليونين من عصابات الأفاقين ولكنها مؤامرة قديمة اجتمعت لها عقول مدمرة اعتمدت على الأساليب العلمية أعدت عدتها منذ وقت طويل وخططت لغدرها الخطط .

وبعد هذا يأتى الواجب الكبير والجهاد المقدس يأتى يوم السلاح وضربة السلاح .

بأقـــلام القـــرّاء

موقفنا فى ضوء القرآن

تلقينا من الأستاذ حيدر زين العـــابدين المحاضر بكلية الهندسة جامعة الخرطوم كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلى :

ان كنا مؤمنين بالله تعالى وبكتابه حقا فلا بد أن يكون كتاب الله مرجعنا الأول فى الملمات وغير الملمات فلنلتمس أسباب هزيمتنا فى كتاب الله ولن يخيب من يرجع لكتاب الله فى كل صغيرة وكبيرة فقـــد قال الله فيه « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

فى سورة آل عمران الآية ١٢٦ يقول تعالى : « .. وما النصر الا من عند الله » ونصرة الله تعالى لنا فى الحـــروب مشروطة بنصرتنا لله فى الآية (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) والآية (ولينصرن الله من ينصره) ونصرتنا لله ما هى الا طاعته أى فعل ما أمرنا به وترك ما نهانا عنه . ولكن المسلمين اليوم كأمة خالفوا أمر الله فى ثلاثة أمور هامة :

ـــ أولها الحكم بما انزل الله وقد أمروا به .

ـــ وثانيها العزوف عن التبشير بالاسلام ، وقد أمروا به . .

ـــ وثالثها الركون الى الظالمين الكاذبين . وقد نهوا عنه .

لم يبق شك فى أننا سنظل من الآن فصـــاعدا منهزمين ما لم نطع الله ما وسعنا فنحكم بما أنزل الله ونبشر للاســـلام فى ديار الكافرين ونثق نحن معشر المسلمين فى بعضنا البعض ، ونتصادق ونتعامل تجاريا وصناعيا ودفاعيا أكثر مما نثق فى الكفار ، ونعاملهم خصوصا فى اعداد القوة لأعداء الله وفى عتادنا الحربى لا بد أن يكون اعتمادنا على أنفسنا أولا وقبل كل شىء .

فلعلنا معشر المسلمين نتعظ جماعات وأفرادا ونتخذ كتاب الله وســـــنة رسوله نبراسا لنا فى كل مسائلنا وحينئذ وعدنا الله بالنصر المؤكد ولينصرن الله من ينصره ان الله قوى عزيز .

كن هكذا

وتلقينا من الاستاذ عبد الغفار الباز من الجمهورية العربية المتحدة كلمة تحت هذا العنوان قال فيها ،

كما أراد الله للكون ان يكون جميلا غير قبيح ، نظيفا غير ملوث ، لا يجدر

بك ان تكون وانت المسلم ، على غير ما يريد الله لهذا الاطار البديع ، فكن صالحا كأحسن ما يكون الصلاح . مؤمنا كأحسن ما يكون الايمان ، وكذلك المصلح ما دام ضميره فى تيقظ . وقلبه فى وعى . ونفسه غير عطشى لما فى الحياة من رجس وما فيها من اوهام واباطيل ، كان جديرا بأن يعيش مع الأيام وأن يحيا فى تلوب الناس . ما دام فى الحياة الدنيا أناس ينهلون من عذب الحياة ويسقون انفسهم من ينابيع الخير ، مترفعين عن سفاسف الأمور ودناياها .

وهكذا مثل المصلح العظيم لا تتغير نفسه بتغير الناس ، وانما هو (كالمعدن النفيس المطمور فى باطن الأرض) لا يعلوه الصدأ . ولا يمحو صفاءه تقادم الزمن ، وما حياة الناس الا الوان متعددة !!

كل يتلون على شاكلته . ولكنها فى النفس الكريمة عطر يفوح فى كل مكان تحل فيه ، واصحاب المثل العليا من يتلونون مع الحياة كما ينبغى لهم أن تكون الحياة . لا كما تنبغى الحياة أن تكون ، فان شخصية تسيطر عليها زخارف الحياة الدنيا اشبه بريش الطير فى مهب الريح ، اما الحياة فى الدنيا فى يد المصلحين فكالحديد فى يد نافخ الكير يشكله حسبما تكون منه حاجة الطالب . غير انها فى يد المصلح فن رفيع . خالص من كل عوج وما غاية الفن الرفيع الا ان يقدم للناس حياة ابدع كأجمل ما تكون عليه طبيعة هذا الكون .

خير الشهور

ومن قصيدة بهذا العنوان للأستاذ محمد اسماعيل العيسوى المدرس بمدرسة التجارة الثانوية للبنات بالاسكندرية نقتطف الأبيات الآتية :

رمضان أقبل مشرقا وضاحا ... يهب الوجود كرامة وصلاحا
هو درة فى العام بين شهوره ... والله أوضح قدره ايضاحا
فيه الجنان تفتحت ابوابها ... لما بدأ شهر الصيام ولاحا
وتنزل القرآن نورا هاديا ... يحمى الحياة وينشر الاصلاحا
هو خير دستور ، فان نعمل به ... عم السلام روابيا وبطاحا
والله فضله باعظم ليلة ... نالت به دون الشهور وشاحا
فيها الملائكة الكرام وروحهم ... يتنزلون عشية وصباحا
فرض الصيام على العباد مطهرا ... والله يرجو للعباد فلاحا

لا تبغوا سوى الله غاية

ومن قصيدة للأستاذ : مأمون فريز جرار بالجامعة الأردنية نقتطف ما يلى :

نعم صدقت عينى لقد كنت غافلا ... وانى عن الدرب الجلى بعيد
لقد أذهلتنى يا لعقلى مصائب ... اذا نزلت بالراسيات تميد
ضياع بلاد ، ثم بعد عن الحمى ... وتشتيت شمل ان ذا لشديد
ومسجدنا الأقصى تدوس رحابه ... ومسجد جد الأنبياء ، يهود
لقد ماجت الأرض الحزينة ، والسما ... يلوح بها برق هنا ، ورعود
تضج ولكن ليس فى العرب سامع ... وتحمى البلايا والجميع رقود

مكتبة المجلة

اعداد : عبد الستار محمد فيض

الأيام الحاسمة قبل معركة المصير

فى هذه الظروف العصيبة القاسية التى تجتازها الامة العربيـــة لا بد للعرب ان يزجوا بكل طاقاتهم المادية والمعنوية فى المعركة لنيل النصر على الاعداء . ولعل مهمة التوعية فى المجـــالات المختلفة والعسكرية منها خاصة من أهم عوامل رفع المعنويات وتقويتها . وفى هذا الكتاب دراسات وافية وبحوث عميقة تفيد المدنيين والعسكريين على حد سواء .

وقد ألفه اللواء محمود شيت خطاب وقدمته وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ضمن سلسلتهـــا السياسية التى تقدمها الى القراء العرب فى كل مكان ، والكتاب يقع فى (١٦٧) صفحة وثمنـــه (١٥٠) فلسا .

***

قـــدر ورجل

ديوان شعر للأستاذ الشاعر محمد حسن فقى ، وهو لوحة شرف نمسكها باعتزاز وفخر ونباهى بها وبصاحبها الشاعر الكبير الذى اســـتطاع باول مجموعة شعرية يصدرها أن يخرج بشعرنا الى الآفاق الرحبة الواسعة آفاق العالم الكبير غير المحدود والديوان يقع فى (٣٨١) صفحة ، وقامت بطبعه الدار السعودية للنشر وثمنه (٥) ريالات سعودية .

***

مباحث فى علوم القرآن

من تأليف الاستاذ مناع قطان المدرس بكلية الشريعة بالرياض وهو كتاب يبحث فى علوم القرآن بما يحتاج اليه الشاب المسلم فى ثقافته مع وضوح المعنى وســـهولة اللفظ وجودة السبك وحسن الترتيب ويشتمل الكتاب على مائتى صفحة وثمنه (١٥) ريالا سعوديا وهو الكتاب الاول من سلسلة كتب « ثقافتك الاسلامية » التى تصدرها الدار السعودية للنشر .

***

ركائز الايمان بين العقل والقلب

كتاب من تاليف فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، وضعه لخدمة الثقافة الاسلامية مستهدفا فى ذلك أمرين :

أولاهما : انارة العقل والضمير باشعة الوعى ومعالم النبوة .

ثانيهما : تبديد الغيوم التى تراكمت خلال قرون الضعف من تاريخنا .

والمؤلف غنى عن التعريف ومؤلفاته التى تبلغ ثلاثين كتابا تعتبر مكتبة اسلامية قيمة تمتاز بالفكرة النيرة والعاطفة المشبوبة والاسلوب الرصين .

وهذا الكتاب يقع فى (٣٦٤) صفحة وقامت بنشره مكتبة الامل بدولة الكويت .

***

عدى بن زيد العبادى الشاعر المبتكر

كتاب من تاليف الاستاذ محمد على الهاشمى يكشف فيه عن شخصية شاعر جاهلى كبير تميز شعره بالأصالة والطبع والصدق والانسانية ، وقد تناول المؤلف بيئة الشاعر وحياته واغراضه وفنه بما استقطره من شعره وأخباره وما درسه من مناهج شخصيته وفنه فخرج الينا باسلوب عذب مشرق متين يجمع بين جمال الفكرة وحسن الاداء . والكتاب يقع فى (٣٢٤) صفحة وهو من نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب ــ سوريا ، وثمنه (٥٥٠) قرشا سوريا .

***

تاريــــخ الكــويــت

تالفت من قبل لجنة رسمية لكتابة تاريخ الكويت برئاسة سعادة الشيخ صباح الأحمد الصباح وعضوية كل من الأستاذ عبد الحميد الصانــع . نصف اليوسف النصف . أحمد البشر . عبد العزيز الصرعاوى . بدر الخالد البدر . وسكرتيرية الأستاذ ابراهيم الشطى .. وهذا الكتاب الذى صدر فى هذه الأيام هو أول انتاجها ، وقد قام بتاليفه الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه أستاذ التاريــخ بالجامعة الأردنية على نهج علمى جديد ، وهو مكون من (٣٨١) صفحة مزودة باللوحات التاريخية ومطبوع طباعة فاخرة فى مطبعة حكومة الكويت .. وفى انتظار الجزء الثانى ..

***

الامــام عــلى

للأستاذ روكس بن زائد العزيزى وهو الكتاب الذى اشترك فى المباراة الكتابيــة عام ١٩٦٦ حول شخصية أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

وكتب مقدمة الكتاب الأستاذ جواد شبر ، والكتاب يقع فى (٢٢٧) صفحة ، وقامت بطبعه مطبعة النعمــان بالنجف ــ العراق .

***

مفكــرون وأدبــــاء

كتاب من تاليف الأديب المعروف الأستاذ أنور الجندى ، تحدث فيه عن تسعة وثلاثين مــــن الأدباء العرب المعاصرين الذين لمعت أسماؤهم فى هذه الفترة من خلال آثارهم ، ويقع فى (٢٩٦) صفحة ، وقامت بطبعه ونشره دار الارشاد ببيروت ــ ص. ب (٤٣٤٧) .

أخبار العالم الإسلامي

الكويت : تفضل صاحب السمو امير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد الجديد لمجلس الامة وقد

= تفضل صاحب السمو أمير البلاد المعظم بافتتاح دور الانعقاد الجديد لمجلس الأمة وقد القى سموه توجيها كريما ثم ألقى سمو الشيخ جابر الاحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء البيان الأميرى .

= بعث سمو أمير البلاد المعظم برقية الى رابطة العالم الاسلامى ردا على برقيتها الى سموه ، يؤيد فيها القرار الذى اتخذه مؤتمرها فى اعلان الجهاد من أجل قضية فلسطين واعتبارها قضية عربية واسلامية .

= زار البلاد السيد محمد عقال رئيس وزراء الصومال ، وقد صدر بيان مشترك عبر فيه الجانبان الكويتى والصومالى عن العلاقات الطيبة التى تربط بين البلدين المسلمين .

= تلقى معالى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية مذكرة هامة من رئيس المجلس الاسلامى الأعلى بالجزائر فى نطاق الاتصالات الجارية بين الهيئات الاسلامية لتعبئة الجهود لاعلان الجهاد المقدس .

= زار الكويت وفد من الوزارة اليمنية الجديدة لشرح خطة العمل القادمة ، لاحلال السلام فى ربوع اليمن .

= تقرر تأجيل مؤتمر وزراء التربية العرب الذى كان مقررا عقده فى الكويت فى ١٩٦٦/١١/١٨ م . لبحث توحيد مناهج الدراسة فى الدول العربية .

= صرح سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع بأن اسرائيل ستكون مخطئة اذا فسرت محاولات العرب للوصول الى حل سلمى بأنها تعنى أنهم عاجزون عن الدفاع عن أرضهم وحقوقهم .

= فى منتصف شعبان هطلت أمطار غزيرة لم تعهدها الكويت منذ سنين .

القاهرة : تستعد وزارة الأوقاف لاقامة احتفال اسلامى كبير فى القاهرة والأقاليم فى ليلة القدر من شهر رمضان بمناسبة مرور (١٤) قرنا على نزول القرآن الكريم .

● صرح السيد محمد عقال رئيس وزراء الصومال أثناء زيارته للقاهرة ان ملايين الصوماليين يقفون الى جوار أشقائهم العرب لا كأصدقاء أو أشقاء وانما كأصحاب قضية .

● قرر المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين تعميم هذه الجمعيات فى المدن بدلا من عواصم المحافظات وحدها .

● ستصدر جمعية المحافظة على القرآن الكريم سلسلة جديدة من الكتب الاسلامية بعنوان (كتب قرآنية) .

● تقرر الافراج عن ألف من المعتقلين فى قضايا الاخوان ومئات من الذين تحددت اقامتهم بسبب قضايا الاقطاع . كما رفع العزل السياسى عن أكثر من ألف شخص .

● ستوفد وزارة الأوقاف مائة من مشاهير القراء الى البلاد الاسلامية لاحياء ليالى شهر رمضان المبارك .

الرياض : قام جلالة الملك فيصل فى احتفال كبير بازاحة الستار عن الغطاء البلورى الذى وضع على حجر سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعد ازالة البناء الذى كان يحيط به .

• استقبل جلالة الملك فيصل السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة للتباحث فيما يهم البلدين ، وتم الاتفاق على تشكيل لجنة وزارية بين البلدين تتولى معالجة اى موضوع يطرأ بينهما .

• اجتمع المجلس التاسيسى لرابطة العالم الاسلامى ووجه نداء الى العالم الاسلامى بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج أعلن فيه الجهاد المقدس ونبه الى ان قضية فلسطين عربية اسلامية . وتلقت رابطة العالم الاسلامى برقيات تاييد من سمو امير الكويت وحاكمقطر ودبىردا على برقياتها .

• زار البلاد الرئيس شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية وصدر بيان مشترك عقب انتهاء الزيارة .

العراق : زار العراق الرئيس اللبنانى شارل حلو. وقد اجرى مباحثات هامة مع الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف حول الوضع العربى والدولى الراهن .

× صدر قرار بالافراج عن بعض المحكوم عليهم من ابناء الشمال .

× يقيم الرئيس اليمنى السابق عبد الله السلال فى بغداد .

الاردن : افتتح الأمير حسن ولى العهد الدورة الاولى لمجلس الأمة فى اول نوفمبر الماضى وقد قرر نظام التجنيد الاجبارىواعلن انه يجرىاعادة تنظيم القوات المسلحة الاردنية وتزويدها باحدث الاسلحة .

= يوالى الفدائيون العرب مقاومتهم للاحتلال الصهيونى وقد احدثوا منذ اول اكتوبر الماضى حوالى ٢٥ غارة على المستعمرات الاسرائيلية . وقد قامت معركة بينهم وبين الجيش الاسرائيلى فى منطقة الخليل اسقطوا فيها ثلاث طائرات هليوكبتر وأعطبوا بعض الدبابات والسيارات المصفحة .

= تقوم السلطات الاسرائيلية باجبار المواطنين فى غزة على مغادرتها الى الضفة الشرقية لنهر الأردن وتلزمهم بالتوقيع على بيانات عبرية دون أن توضح لهم مضمونها .

اليمن : عزل الرئيس السلال فى انقلاب قامت به القيادة العامة للقوات المسلحة وقد كون مجلس جمهورى من ثلاثة اعضاء يتولون رئاسته بالتناوب وقد استقال السيد نعمان من عضويته وسيبدأ المجلس تحقيق المصالحة الوطنية وانهاء الحرب .

• قام رئيس الوزراء محسن العينى بزيارة للقاهرة كما قام وفد يمنى بزيارة البلاد العربية .

السودان : اجتمع الرئيس الأزهرى مع رئيس جمهورية اوغندا لبحث العلاقات بين البلدين تمهيدا لاجتماع يضم رؤساء دول وسط افريقيا .

المغرب : زار البلاد الرئيس هامانى ديورى رئيس جمهورية النيجر وقد اجرى مع جلالة الملك الحسن مباحثات استهدفت تحسين العلاقات بين البلدين وقد صرحا بأن انسحاب القوات الاسرائيلية شرطضرورى للسلام .

الجنوب العربى : حصل الجنوب العربى على استقلاله يوم ٢٣ نوفمبر الماضى .

• جرت حوادث مؤسفة راح ضحيتها الكثير فى قتال بين الجبهة القومية وجبهة التحرير لاستلام السلطة وقد سلمتها بريطانيا للجبهة القومية وحدها بعد أن أيدها جيش الجنوب العربى !!

اخبار متفرقة :

لندن : اقيم فى لندن ابتداء من ١٠ نوفمبر الماضى أسبوع للثقافة العربية والقومية لشرح قضية فلسطين وخصصت حصيلة المشروع لصالح اللاجئين العرب .

الهند : أعلن الرئيس الهندى ذاكر حسين فى مؤتمر حكام الولايات الهندية أن وفد الهند فى الأمم المتحدة اتخذ موقفا يهدف الى ايجاد حل لقضية فلسطين دون المساس بالكرامة العربية .

• اجتمع فى الهند مؤتمر دولى ضم مندوبى نحو ٧٠ شعباً من أجل تأييد حقوق العرب .

قبرص : قام صدام مسلح بين القبارصة الأتراك وقوات الجيش والبوليس القبرصى .

اقرأ فى هذا العدد

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ـ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ـ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ـ ص‌ب ١٩ ـ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ عمارة ابن الملوح ـ ص‌ب ٢٢

جـدة : الدار السعودية للنشر ـ ص. ب : ٢٠٤٣

بغـداد : مكتبة المثنى ـ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص‌ب ٧٦ ـ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ـ المنامة ـ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ـ حضرموت ـ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ـ ص‌ب ٢٦١ ـ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ـ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

السـودان : ـ الخرطوم ـ السيد حسن نجيله ص ب ٤٢٤

بور سودان : السيد عطا المنـان . مكتبة كررى ص‌ب : ٣٠٣

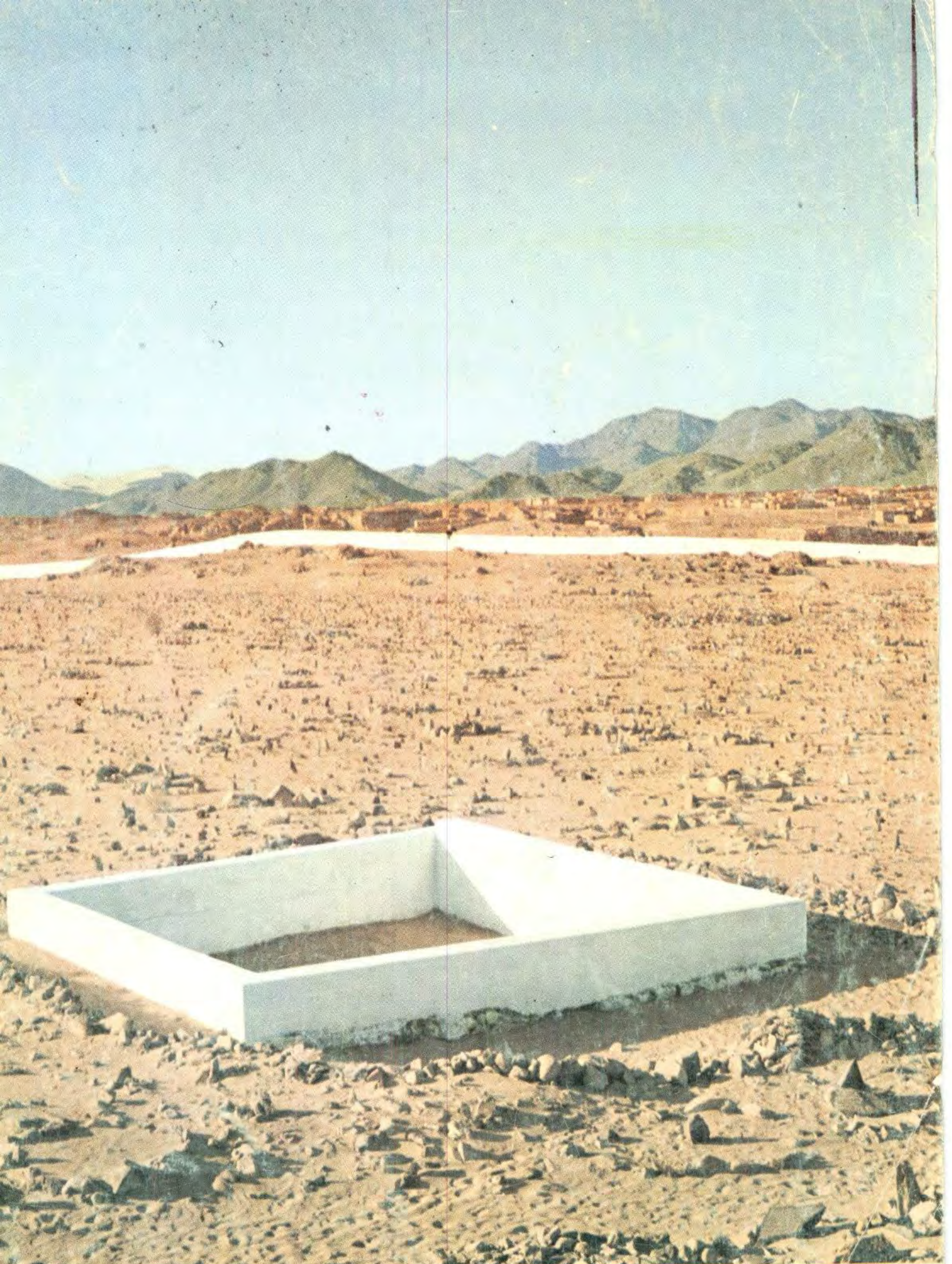
مراكـش : الدار البيضاء ـ مكتبة الوحدة العربية ـ السيد احمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ـ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ـ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



هنا يرقد فـــى فراديس الجنـــاتالشهداء فى غزوة بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدان أزيلت القباب التى كانت فيها .

تصوير : عزمت شيخ

مطابع مؤسسة فهد المرزوق - الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

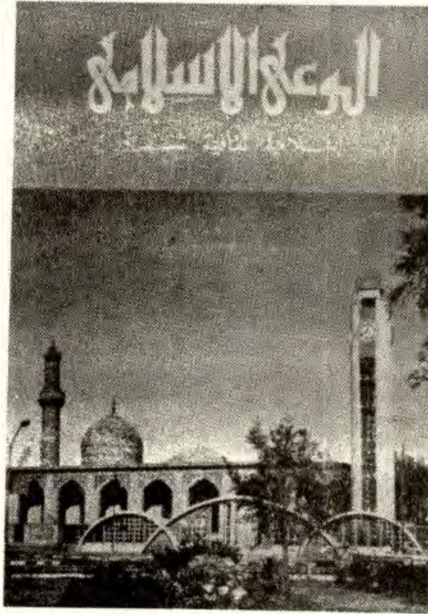
السنة الثالثة — العدد الرابع والثلاثون — غرة شوال سنة ١٣٨٧ هـ — أول يناير سنة ١٩٦٨ م





سمو الأمير المعظم يقابل بالبشاشة وبعاطفة الأبوة جموع المواطنين الذين وفدوا الى الديوان الأميرى لتهنئة سموه بحلول شهر رمضان المبارك .

صورة الغلاف



« صورة لمسجد الامام الاعظم أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه بمنطقة الاعظمية فى بغداد »

تصوير « عزمت شيخ »

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الرابع والثلاثون

ـ السنة الثالثة ـ

غرة شوال سنة ١٣٨٧ هـ

أول يناير سنة ١٩٦٨

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

عيد !! باية حال عدت يا عيد ؟

وجواب السؤال نعرفه ونحسه ونعيش فيه .. والعيد يوم يعود لنا كل عام ، نستقبله بالبشر والسرور كما نستقبل المسافر الحبيب عندما يعود .. وهو كذلك في ظاهره للناس .. ولكنه قد يكون عند بعضهم مثيرا لذكريات مرة .. يلبس أهلها السواد ، ويعلوهم الاكتئاب ، وتتساقط دموعهم ، وتتفطر قلوبهم على عزيز فقدوه ، أو عائل لهم لم يجدوه .. أو حال طرأ عليهم لم يتعودوه ..

ولقد عشنا كثيرا من الأعياد .. كنا صغارا ننتظر قدومها ، لنفرح بها ، لا يهمنا الا لبس الجديد ، ومصروف العيد .. كنا نعيش باحساسنا الذاتى القاصر ، فلا يمتد خارج نفوسنا ، ولا يعنى بأمر غير أمرنا .. ولربما كنا نفرح ونقفز هنا وهناك ، مزهوين بما نلبسه من جديد ، وما تعمر به جيوبنا من نقد غير معهود ، ومن حولنا من الكبار مهمومون بأمورهم ، غارقون فى شجونهم !

حتى اذا كبرنا وفهمنا ، وأدركنا مسئولياتنا ، ونما فينا الاحساس الجماعى ، تحول العيد في نفوسنا من مظهر الى مخبر ، ومن مادة الى معنى ، واتسعت دائرته ، فلم تعد كما كانت شخصنا ، أو حتى شخص المحيطين بنا من أهلنا ، أو من جيراننا وسكان قريتنا ، بل امتد قطرها وترامت اطرافها ، حتى ضمت كل انسان جمعتنى به عقيدة ، أو وصلنى به أمل أو ألم ، وصرت كلما جاء العيد لا أنظر الى ما ألبسه من الثياب ، ولا الى ما فى جيبى من المال .. ولكنى أنظر الى من حولى ، ومن اتصل بهم احساسى وقلبى ، وأعيش معهم فى يوم العيد ، قريبين كانوا أم بعيدين ..

هذا معنى أدركته ، وغذاه الاسلام فى نفسى وقواه ، حين علمنى ان المسلمين جسد واحد ، اذا اشتكى بعضه اشتكى كله .. فما مر على عيد الا تذكرت فيه المحرومين من مباهجه ، وشعرت – وأنا أرى البعض منا يمرحون ، ويتيهون بما يملكون أو بما يلبسون – أن الأمة الاسلامية فى عيدها تلبس ثوبا مرقعا ، وتمشى بين الأمم تتوكأ على عصا !!

فكيف اذن تشعر بالعيد ، وتحس الفرحة به كلما عاد ؟ !

ان الأسرة فينا حين تفقد عزيزا عليها ، ويمر على فقدانه شهور ، يأتى العيد فيذكرها به ، ويوقظ مصيبتها فيه ، ويجدد حزنها عليه . فتتحاشى مظاهر العيد السارة . وربما تهيأت لاستقبال المعزين فيه من جديد ..

بينما ترى أطفالها حولها يمرحون ، لا يشعرون بشىء مما يعانيه الكبار ..

ولقد كان أجدادنا العرب قديما – اذا أصيبوا بنكبة – يحرمون على أنفسهم كل أنواع المتع ، ويمضون أيامهم كلها يفكرون ، ويعملون للانتقام لأنفسهم ، حتى تتهيأ لهم الفرصة ، فينقضوا على عدوهم ، ويأخذوا بثارهم ، ويستردوا مكانتهم .. وحينئذ يفرحون ، ويعوضون بفرحتهم فى أيام – بل فى لحظات – تلك الأيام الحزينة التى مرت بهم .

فكيف اذن نستقبل نحن العيد الآن ؟

ان طريقة استقبالنا له ، هى فى الحقيقة امتداد مضاعف لطريقة حياتنا الأيام والشهور قبله ، وكلاهما يعكس صورة تفاعلنا مع أحداثنا ، ومدى

احساسنا بهذه الحوادث ، وتأثيرها على مجرى حياتنا .. ثم هى فى النهاية تعبير صادق على ما وصلنا اليه من نضج ، وما حصلنا عليه من وعى ، وما نتخذه من مقاييس لتقييم حياتنا ، وما يعترضنا فيها من عقبات أو نوازل .

ان اى انسان يمكن أن نزنه وزنا دقيقا بكيفية تلقيه لأحداثه ، وتصرفاته ازاءها .

فهناك من تفقده الأحداث صوابه ، ويصاب بصدمة يختل فيها توازنه ، فلا يعود صالحا للعيش فى تيار الحياة فيعزل عنها فى مصح ، يسترد فيه اعصابه وتوازنه ، أو يقضى عليه فيه ..

وهناك كذلك من تفقده الفرحة توازنه ، فلا يتصرف تصرف العقلاء ، ولكنه يشتط هناك وهناك ، وقد يكون مصيره كذلك الى المصح للعلاج .

وهناك عدا هذا وذاك ، انسان يعلو بعقله واتزانه وارادته على مستوى الأحداث ، فيملكها ولا تملكه ، ويسيرها ولا تسيره ، ويظل صاحب السيطرة عليها ، لا تذهب الصدمة بلبه وعقله ، ولا تطغيه الفرحة أو تسوقه للاستهتار .

والأمم فى ذلك كالأفراد ..

فاذا كان الانسان الذى ينطلق بالضحك والقهقهة ، ويعنى بزينته ومباذله فى جو الحزن والكآبة . أو اذا كان الانسان الذى ينفجر بالبكاء والصراخ ، ويلتزم مظاهر الحداد فى جو الفرح والسرور ، اذا كان هذا أو ذاك انسانا شاذا غير متلائم مع طبيعة الأمور ، ولا مع منطقها ، وهو الى الجنون اقرب منه الى العقل ، فان الأمة التى تقيم الأفراح وتنصرف الى الملاهى ، وتعكف على الملذات ، وهى مصابة فى سمعتها وكرامتها ورجولتها هى أمة فاقدة الرشد ، مسلوبة الوعى ، وهى تمثل بموقفها هذا دور الصبى الذى فقد أباه ، وخيم على بيته جو الكآبة والحزن ، وملأه الصراخ والعويل ، فلم يدرك شيئا من ذلك ، بل انطلق الى لعبه وأخذ يلعب بها ، ويجمع أقرانه كما كان يجمعهم كل يوم ، ليلهوا معا ويلعبوا ، ويجروا هنا وهناك وسط الباكين والمعزين .. دون ان يدرك الصبى ما حل به ، وبمستقبله ومصيره بعد مصيبته فى أبيه !!

اخى .. هل نرضى لأنفسنا ان تكون أمة على شاكلة هذا الطفل ؟

.. ثم هل تضيق ذرعا بهذه النغمة الجادة الحزينة فى يوم العيد ؟

لا يا اخى ، لا تضق .. فانت مسلم عربى لا ترضى الهون ، ولا تقعد بك همتك عن معالى الأمور ، ولا تقبل ان تظل حيا تلعق الصبر ، وتسمع من هنا وهناك شماتة الشامتين ، وتفاخر هؤلاء الأراذل الأفاكين . ولطالما تغنيت بقول شاعرنا :

عش عزيزا أو مت وانت كريم تحت طعن القنا وخفق البنود

الا وان للكرامة ثمنها الغالى ، لا يدفعه فرد ، ولا دولة من دول المسلمين وحدها ، وانما يدفعه المسلمون جميعا ، والعرب فى مقدمتهم بذلا وتضحية ، وهم ان صدقوا الله صدقهم ، وان نصروه أعزهم ..

ماذا يقول بعضنا لبعض فى يوم العيد ، وقلوبنا مجروحة . واخواننا فى العراء ، وأرضنا محتلة ؟ !

تذكر هذا كله وأنت تصافح اخاك ، وتذكر معه اسلافا لك كانوا رجالا مؤمنين ، أشاد الله بهم ، وهو يقول عنهم :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

وانتظر معى يوم عيدنا .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

الاختبار الالهى

عن أسامة بن زيد (١) رضى الله عنهما قال : أرسلت ابنة (٢) النبى صلى الله عليه وسلم اليه ، أن ابنا لى قد قبض (٣) ، فارسل يقرىء السلام ويقول : ان لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب (٤) فارسلت اليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال (٥) فرفع (٦) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبى ونفسه تتقعقع (٧) قال (٨) ، حسبت انه قال ، كأنها شن (٩) ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله : ما هذا ؟ (١٠) ، قال هذه الرحمة (١١) جعلها الله فى قلوب عباده ، فانما يرحم الله من عباده الرحماء (١٢) .

(رواه البخـــارى) (١٣)

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

١ — الحياة الدنيا ممر ، والدار الآخرة مقر ، (وان الدار الآخرة لهى الحيوان) ، والأيام تمضى بنا سراعا الى نهاية محتومة ، وكل راحل غير مقيم ، وسائر الى لحده طال به الزمان أم قصر ، وهذا من البدهيات التى لا تحتاج الى طول بحث واستقصاء وقد تكلم العلماء كثيرا عن الموت ، لأن من الناس من أهمتهم الحياة الدنيا فأخذوا يعملون لها عمل الخالدين ، ويستمسكون بها كأنهم لن يفارقوها ،

ومثل هؤلاء تصدر عنهم فعال شائنة يربد لها وجه الانسانية ، تراهم يتكالبون على المتاع الزائل ، ويدخلون اليه من كل باب ، ولا يضيرهم أخالفوا قوانين الاخلاق او وافقوها ، كما لا يهتمون باجابة داعى الله او مجاهرته العداء ، وقد لا يجدى معهم قول ولا ينفعهم توجيه ، يعادون ويصادقون ، ويتفقون ويختلفون حسب هواهم ومقتضى منفعتهم العاجلة ، أولئك الذين أصمهم الله

(١) هو الحب ابن الحب (هكذا كان يدعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى المحبوب ابن المحبوب للنبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

(٢) اختلف الرواة فى تعيين اسمها رضى الله عنهن جميعا .

(٣) قد قبض : أى فى حالة مفارقة روحه للجسد وتسمى (حالة النزع) ولها علامات ودلائل يدركها بعض الناس ممن سبروها ، وان كانت تلك العلامات غير قطعية دائما ، ولم يكن الصبى قد فارق الحياة فعلا بدليل أنه جاد بنفسه بين يدى جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

(٤) ولتحتسب : أى تطلب ثواب صبرها من الله تعالى على مفارقة ولدها ، وهذا يجعل فى ميزان عملها الصالح يوم القيامة .

(٥) رجال : لم يسمهم الراوى ، اكتفاء بمن ذكروا منعا للتطويل ، أو لم يعرف أسماءهم جميعا فاكتفى بمن عرف .

(٦) فرفع اليه : وفى رواية أنه وضع فى حجره الشريف .

←

واعمى ابصارهم ، فلا مقال لنا معهم ولا حديث ، وانما هو الشرح والتوضيح (انما عليك البلاغ وعلينا الحساب) .

٢ ــ مرت بالشرق عصور اسيء فيها فهم دعوة الدين ــ والدين عند الله الاسلام ــ الى الايمان بالاخرة ، فتواكلوا ، وتوانوا وتخاذلوا حتى وهنوا وضعفوا ، وتلاشوا أو كادوا واغتنم الفرصة السانحة غيرهم فوثب عليهم فى غفلة منهم ، واستولى على مقدراتهم ، بأساليب وطرائق تددا ، ولو انهم ادركوا الحقيقة ــ لا اقول المستترة ــ وانما الواضحة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ، وهى ان الايمان بما عند الله يستوجب الاهتمام بالعمل الدائب فى الأيام القصيرة التى يقضيها المرء على ظهر البسيطة ، فيجب أن يفنى فى الله ، ومعنى الفناء فى الله أن يؤمن بقضائه وقدره خيره وشره حلوه ومره ويعمل جاهدا آناء الليل وأطراف النهار لخير الانسانية ، فيبحث ويدقق ويكشف ويبدى ويعيد حتى يصل الى بعض اسرار الكون الخافية ويجاهد وان لاقى فى الجهاد عنتا والما وشدة ، فكل عمل ، يقوم به نقيرا أو قطميرا ، أو يضيع لبنة فى بناء انسانية فاضلة يحتسب له عند الله ولا يضيع سدى أبدا (ان الله لا يضيع اجر من احسن عملا) .

والمؤمن بالآخرة حقا وبلقاء الله صدقا لا ينى ولا يتكاسل ولا يتقاعس عن خير ابدا ، يجعل حياته الدنيا كفاحا متواصلا وعملا جادا وسعيا حثيثا للوصول بالانسانية الى اسمى ما تصبو اليه فى الماديات والمعنويات فأولئك الكاشفون لأسرار الكون لهم عند الله اجر عظيم متى حسنت نياتهم وعملوا صالحا ، وتوضيحا لما اقصد اليه اضرب مثلا ، ولا مثل عندى ولا اسوة اعظم من المثل العليا التى رسم طريقها لنا اولوا العزم من الرسل ، فهم الصفوة والقدوة للانسانية التى يعز وجودها ، سلكوا كل دروب العمل فى ضنى والم وشدة ومشقة ولين حينا وعنف أخرى ، ليقودوا الناس قيادة حسنة صحيحة منظمة منتجة فعالة ، بتوجيه من العلى الكبير العزيز الحكيم ، يرجون ما عند الله واليوم الآخر ، ولا ننسى عقلاء البشرية والصفوة بعد الرسل ممن سلكوا طريقهم وانتهجوا نهجهم .

٣ ــ ويخطىء من يظن أن دعوة السماء دعوة اتكالية حين ترد عبارات متشابهة مشكلة لا يرقى الى حلها العقل القاصر الحادث المخلوق ، ولا هى دعوة متناهية بزمان أو مكان ، وانما هى دائما مستمرة ، وحامل المشعل جاد السير ، وحادى العيس لا يتوقف بابله فى صحراء الوجود ، ولا يتوانى حتى يدركه الظمأ ، ويلاحقه فناء القوت ،

---

(٧) تتقعقع : تتحرك وتضطرب ، وهى حشرجة الموت .

(٨) قال : اى الراوى عن زيد ، حسبت أنه قال ، أى أسامة .

(٩) كأنها شن : الشن يطلق عند العرب على القربة الخلقة (القديمة) اليابسة ، يحركها الريح أو محرك فتحدث صوتا معروفا ومن أمثالهم المعروفة (ما هذه القعقعة بالشنان ! ، وما هذه الوعوعة باللسان !) وتتخذ القرب من جلود بعض الحيوانات .

(١٠) ما هذا ؟ : يشير الى ما رآه من الدمع يترقرق فى عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فاضت بالدمع عيناه الشريفتان .

(١١) هذه الرحمة : أى ان ما تراه اثر من آثار الرحمة وهى الرقة والقلب الحانى العطوف ، لا المعترض على قضاء الله وقدره .

(١٢) الرحماء : وفى رواية أخرى الراحمون يرحمهم الله ، والراحمون من فيهم اصل الرحمة ، لأن القساوة والفظاظة والغلظة صفات لا يحبها الله ، تبارك وتعالى .

(١٣) رواه البخارى فى باب (تعذيب الميت ببكاء أهله) .

وانما يسير حثيثا مهما لاقى من زوابع الصحراء ،وثورة رمالها وضياع معالم طريقه فيها ، والعاقل يردد دائما : ما دمت فانيا يوما ما فليكن فنائى فى صالح الانسانية وما دمت راحلا ولا مناص فليكن رحيلى فى اكمل صورة واقوى مسير ، ولهذا عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يحاولون ترك الحياة لغيرهم جبنا وضعفا ، وبين ما أعد الله لهم من السعير والنكال يوم القيامة .

هذا عالم يقضى ليله باحثا دارسا فاحصا فى الوجود حوله حتى يخرج على الملأ بأسرار من عجائب الكون مما اكنه الله فيه ، هل يستوى هو ومن يؤثر الراحة والدعة ، ومن ينام ملء جفنيه غير مبال ولا عابىء الا بمعدة امتلات أو خوت ، وشهوة ظمئت أو ارتوت ، هل يستوى من يقضى على الآلام الحسية والمعنوية بالدلالة على ادوائها الناجعة وعلاجها الحاسم مع غر جاهل غلف لا يدرك ما يدور حوله ، مدعيا أنه ما دام فانيا فلا حاجة الى مقاساة البحث عن حلول المشاكل وطول العناء فى معالجتها .

الفاقه لدعوة السماء فقها حقيقيا يجد ولا ينى ، لا يهن ولا يلين ، لا تزيده الشدة الا صبرا وجلدا ، يصقله الابتلاء صقلا عجيبا ، والرمح لا يستقيم الا بالنار .

والزاعبية لا يقيم كعوبها
الا الثقاف وجذوة تتوقد

فكلما ضاق الأمر اتسع ، وقديما قيل : (اشتدى ازمة تنفرجى) . وكيف يميز الناس الخبيث من الطيب الا بالكوارث والنوازل ، لا يطير لهولها لب الحليم ، وانما يصمد الصنديد المؤمن الجاد المثابر ، تزيده الخطوب قوة على قوة ، والمشاهد فى العوامل الطبيعية والمظاهر الكونية البدائية أن الغبار يثور ويتطاير لأنه خفيف ضعيف لا يستطيع الصمود لكر الريح الرخاء بله الصرصر العاتية .

كريشة فى مهب الريح طائرة
لا تستقر على حال من القلق

بينما الجبال الرواسى لا تنال منها الأعاصير الهوج ولا تزحزحها العواصف ولا القواصف .

٤ ــ لم اذهب بعيدا عن معنى الحديث الشريف ، فالحديث فى جملته يدعو الى الصبر عند الشدة والتسليم لله عند البلاء ، وليس معنى التسليم الالتزام ، وانما الصمود والسعى الى جولة جدية جديدة والباحث فى معمله أو مختبره كلما تعقدت معه بعض المواد اضاف اليها جديدا أو خالف بينها حتى يصل منها الى ما يريد ، وقد لا يصل فيجىء سائر على دربه فيصل ، وهكذا الرقى فى مدارج الانسانية الكاملة ، واحيانا تضعف المواد موضع الدرس فتلين طبيعتها أمام تصميم العالم المثابر ، فتبدى له من اسرارها ما لم يكن فى حسبانه ، وهذا ما كان مع كثير من العلماء المكتشفين ، بحثوا عن شىء يهدفون اليه رأسا ، فانكشف القناع لهم عن ما هو اهم واجدى على الانسانية .

ولو أن من مات له ولد او فارقه حبيب ، مات غما وفنى كمدا لأضاع الموجود فى غير طائل ، واهمل ما يستحق الاهتمام فى غير نتيجة ، ولو ان الأم قضت مع وليدها لهلك من بقى لها من ولد ، ولكن لو صبرت واحتسبت لأدركت أن من مضى مضى ولن يعود ، وأن من بقى بقى الى اجل لن يطول مهما طال ، وكل بقضاء الله وتقديره .

٥ ــ نخلص من كل هذا الى ان المصائب من أعظم دروس الحياة اختبارا للرجال ، فالقوى المؤمن لا يطيش عقله لنازلة ولا تهن قوته لحادثة لان الحياة اخذ واعطاء ، وكفاح ونضال (ولله ما اخذ وله ما اعطى) وتلك اختبارات يفوز فيها المتماسك الجلد الصبور . ويرسب الخوار الضعيف الواهن ،

وما من مشكلة الا ولها حل ، ولا معضلة الا ولها من يزيلها ، ولو أن ريح الحياة أجرت رخاء دائما ، ما نما زرع ولا اثمر شجر ولا تفوق انسان ، ولتساوت الأقدار أقدار الرجال ولما عرف القاعد من المجاهد .

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والاقدام قتال

والتاريخ يحدث ولا احب الى من تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، يحدث تاريخه الشريف انه كلما اشتد عليه قوم صمد وبحث فى المأزق عن مخرج مستعينا بربه متوكلا عليه ، حتى أرسى قواعد الخير ووضع اسس حضارة انارت الدنيا وأنتجت حضارات يقف أمامها العلماء العقلاء مشدوهين ، يأخذهم العجب لرجل لم يدرس كما درسوا ولم يسلك مسالكهم التى سلكوا ، ولكن كان فذا لا مثيل له ولا ضريب فى ابناء آدم جميعا ، ولا عجب فقد علمه الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم .

٦ ــ بعد هذا : نجد فى الحديث الشريف اشياء واشياء ، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوذ به عند الشدة ولا شدة عند الأم كفقد وليدها وفلذة كبدها ، ونرى رسول الله يسلم الأمر لله ويدعوها الى الصبر والاحتساب ، ولكنها لا ترضى الا أن يحضر اليها أبوها رسول الله عليه أفضل الصلاة وازكى السلام ، ويبر قسمها ، ويدخل عليها ومعه صفوة أصحابه رضى الله عنهم جميعا فترفع اليه وليدها وهو يجود بنفسه فى لحظة قاسية عند الأم يتأهب فيها ولدها لمفارقة دار الفناء الى دار البقاء وصوت نفسه تتقعقع كأنها تقول للحياة الدنيا وداعا كريما ، وتقول للآخرة مرحى مرحى ولقاء طيبا مباركا وينظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الأم والى الوليد فتفيض عيناه الشريفتان بالدمع ، دموع الرقة والرحمة والعطف والحنان ، ويرى ذلك صحابى جليل مؤمن لكنه مدرك لظاهر من القول وهو عن الخافى غافل ، يدرك نهى رسول الله الكريم عن البكاء ادراكا فجا بدائيا لا ادراك الداعى المستنير ، فيقول : بكى رسول الله وقد نهى عن البكاء ، ويجىء الجواب ، ليس هذا بكاء من يشق الجيوب ويلطم الخدود ويدعو بدعوى الجاهلية ، وانما هى الرحمة وتلك كلمة مدلولها فاق غاية الخفاء ، وان كان باديا واضحا للنفوس الكريمة الطيبة الطاهرة الزكية المتصلة بالرحمن الرحيم سبحانه ، ويخرج الجميع الى حيث يهال التراب على احب الناس الى أحب الناس الى الله تعالى ، ويخلص الباحث الواعى من هذا الدرس بنتائج طيبة تخدم الانسانية ، وتنير لها دروب الحياة المعتمة القاسية ، يخلص الى أن الحياة الدنيا حافلة بالاختبارات الالهية ، وان عدة النجاح فيها الصبر وهو صبر مأجور عليه اذا احتسب عند الله زادت آثاره الطيبة فى الدنيا والآخرة ، ويدرك أن المصائب مهما اشتدت فلا تلين لها قناة المؤمن بالله ولا يهتز أمام بلواتها عوده ، وانما يجابهها بصدر رحب ورأس عالية وفكر ثاقب ، ويبحث فى الخلاص منها والتغلب عليها ، وبهذا ينشأ جيل مكافح مناضل لا تزيده الرزايا الا قوة ، ولا تمنحه البلايا الا أيدا وعنفا فى مواجهتها ، والعود لا يظهر طيبه الا بالنار المحرقة (١) ، (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) صدق الله العظيم .

---

(١) اكتب هذا بمناسبة كارثة الحرب الأخيرة مساهما ــ جهد المقل ــ مع الداعين الى البناء القوى الفعال ، وترك الخور والضعف والتثبيط والتواكل ، فعند الشدائد تظهر اقدار الرجال ، والله مع العاملين ولن يترهم اعمالهم والحرب دائما ال . ومن ظن من يلاقي الحروب بأن لن يصاب فقد ظن جهلا .

ركائز التفكير الإسلامي

موقف العقل من الإيما

٨) نطاق العقـــل .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الراسية على أصول القرآن ، التفريـــق في الادراك ، بين عالم الغيب وعالم الشهادة . وهذا نفس ما عرفته الفلسفـــة ، واوضحه (كانط) . فهنالك نوعان من الادراك للموجـــودات . ادراك لكنـــه الشىء بذاته . وادراك لوجوده بالدليل ، مع العجز المطلـــق عن ادراك كنـــه ذاته . فالعقل البشرى قد يستطيع ادراك كنه الشىء بذاته ، الى حد ما ، ضمن نطاق محدود ، وهو نطاق العالم المادى المحسوس (عالم الشهادة) أما في عالم الغيب غير المحسوس ، فالعقل يستطيع ادراك وجود الشىء بالاستدلال ويســـتطيع ادراك بعض صفاته من آثار ، ولكنه يعجز عن ادراك كنه ذاته . هذا مقرر لا يحتمل الجدل . وبهذا الادراك نستدل على وجود الله ، وعلى بعض صفات كماله ، من آثاره ، بدون أن نستطيع ادراك كنه ذاته .

٩) التصور والتعقل .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الذى ينبع من أصول القرآن أن نفرق بـــين التعقل والتصور . وهكذا يقول العلم ، وهكذا تقول الفلسفة الصحيحة . فليس كل ما يمكن تعقله يمكن تصوره . لأننا قد نعقل وجود الشىء بالدليل ، ولكـــن لا نستطيع أن نتصوره . وليس عجزنا عن تصور الشىء الذى تعقلناه مبـــررا للقول بعدم وجوده . اترانا نستطيع أن نتصور أن ورقة من ورق السجايـــــر الرقيق ، الرقيق ، اذا قطعت بالتضعيف ٤٥ مرة (١) ثم ركمت صعودا فانها تصل القمر . .؟ ولكننا بالحساب البسيط يمكن أن نتعقله .

---

(١) أى مرتين ، فأربعة ، فثمانية ، فستة عشر ، فاثنتين وثلاثين فأربعة وستين وهكذا .

كان أحد أساتذة الفلسفة في جامعة كبرى كتب يتساءل ـ كالمنكر ـ عن بعض آيات القرآن الكريم ، ثم يدعى أن التفكير الاسلامي المعاصر مشدود الى الوراء شدا يمنعه من الانطلاق في آفاق العلم والمعرفة . فاجابه الشيخ نديم الجسر بجواب أوضح فيه ركائز التفكير الاسلامي القائم على (الحق) في باب العقل والعلم ، توضيحا امتاز به فضيلة الشيخ في مخاطبة الشباب والعلماء المتفلسفين بلغة العلم والفلسفة نفسها ، وقد رأينا ـ تقديرا منا لهذا البحث ان نضعه بين أيدى القراء الكرام وبخاصة الشباب منهم .

وقد قدمنا لك القسط الاول من هذا البحث فى عدد شعبان ونقدم لك الآن بقيته .

الوعي الاسلامي

وموقف القرآن من العلم والمعرفة

للشيخ نديم الجسر
مفتى طرابلس ـ لبنان

واذا القى الينا من المجرة مثلا جهاز تلفزيون أفلا نستدل به على وجود صانع ، ثم نستدل به على بعض صفات ذلك الصانع ، التى منها أنه عاقل وذكى وعالم ؟ ولكننا مع تعقل وجوده ، وتعقل بعض صفاته ، لا نستطيع تصور كنه ذاته ، لأننا لم نشاهده ولم نحسه ، ولكن هل يصح ، في حكم العقل ، ان ننكر وجوده ، لأننا لا نستطيع تصور كنه ذاته ، بعد أن تعقلنا وجوده وبعض صفاته بالدليل العقلى القاطع ؟

١٠) غايات الأشياء .

ومن ركائز التفكير الاسلامى الراسية على أصول القرآن كذلك اننا محجوبون عن ادراك كل بدايات الأشياء ونهاياتها . هذا مقرر . وهكذا خلقت عقولنا . بل هكذا خلقت حواسنا ، حتى في عالم المادة الذى نعيش فيه ، كما يقول (باسكال) . فالصوت اذا أفرط في الشدة يصم اسماعنا ، أو على الأصح لا نسمعه ، والنور اذا أفرط في الشدة يغشى ابصارنا ، بل يصعقنا كما صعق موسى ، والقرب يمنعنا من الرؤية اذا أفرط ، كما يمنعنا البعد . هذا هكذا في عالم الشهادة ، فكيف اذا كان الأمر الذى نريد معرفة أولياته وبداياته ونهاياته وغاياته من عالم الغيب ..؟

١١) الظن والحق .

ومن ركائز التفكير الاسلامى (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا (١) وهذا هو نفسه منطق العقل فى اثبات الشىء ونفيه . هنالك فرق كبير

(١) سورة يونس آية ٢٨ .

عند القطع والجزم ، بين الاثبات والنفى . فنحن نجزم بثبوت الشىء الذى يقوم الدليل العقلى أو العلمى القاطع على وجوده . ولكن لا يحق لنا أن نجزم بنفى الشىء أو الخبر الذى لم يقم لدينا الدليل على وجوده . الا اذا كان تصور وجود هذا الشىء ، أو هذا الخبر ، يشكل تناقضا عقليا في الذهن ، كما يقول لايبنتز) . أما اذا لم يكن الأمر كذلك ، وكان الشىء أو الخبر من النوع الممكن ، فاننا نقف أمامه موقفنا من كل ممكن غير مستحيل ، فلا نقطع بثبوته عقلا ، ولا نقطع بنفيه عقلا .

١٢) نواميس الله لا تتخلف

(ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) (١)
وكذلك يقول العلم ان النواميس الكونية ثابتة ولا تتعطل ولا تتخلف . ولكن الانسان يستطيع أن يوقف تأثير ناموس بناموس آخر . ولا يقال هنا ان الانسان عطل فعل الله ، أو عطل خلق الله . ولكن يقال : ان ناموس الله تعطل بناموس الله ، كما في تأخير نمو الخلية الانسانية في الجنين ، أو افسادها ، أو تشويهها بالمواد الكيماوية ، أو بالأشعة ، كما ذكرت في سؤالك .

هذه أهم الركائز في التفكير الاسلامى النابع من معين القرآن ، وهى تكاد تكون كالبديهيات في منطق العقل ، ومنطق العلم ، ومنطق القرآن . وهى الكفيلة بالرد على كل التساؤلات والشكوك والصعوبات التى أثيرت ، وبالرد على كل صعوبة يجدها الشاب الثقيف في بعض آيات القرآن ، حتى يفهمها ، أو يكف عن تكذيبها على الأقل . ويكفى الشاب الثقيف اذا كان يسأل للاستفهام حقا ، لا للجدل والمراء (بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) يكفى أن يعرض شكه على هذه الركائز ، وينعم النظر فيها ، ليجد الجواب الذى يرضاه العقل السليم ، والمنطق القويم ، والقرآن الكريم .

في الرد بايجاز على تساؤلاتك

أ ــ أما تساؤلك عن موقف المسلم من الثقافة والحضارة المعاصرة ، والانقلاب العلمى ، والثورة الصناعية ، وكتاب (دارون) في أصل الأنواع ، ومؤلف (ماركس) في (رأس المال) ، ونظرية (آنشتاين) في (النسبية) ، فانك تجد جوابه في الركائز الثلاث الأولى التى اوضحنا فيها أن القرآن يقدس العقل والعلم والحرية . ولن يكون موقف المسلم ، من هذه المستجدات التى ذكرتها ، الا كموقف كل انسان ذى عقل سليم . يدركها ويفهمها ، ويأخذ منها بكل ما يتلاءم مع الحق والخير على أساس مفهوم الحرية في الاسلام .

أما مذهب (دارون) فقد بينا فى كتابنا (قصة الايمان) (٢) ، نقلا عن (الرسالة الحميدية) انه عند ثبوته الثبوت القاطع ، لا يتنافى مع القرآن .

وأما نظرية (أنشتاين) في النسبية فقد بينا في قصة الايمان ايضا انها لا تتعارض مع القرآن في شىء ، لأن القرآن يؤيد كل ما هو حق في باب العقل والعلم .

ب ــ وأما تساؤلك عن خلق آدم من طين فتجد جوابه في كلامنا عن مذهب (دارون) في نفس الكتاب ...

ومثله سؤالك عن المعجزات ، فانك تجد جوابه في الركائز (٧ ، ٨، ٩ ، ١٠ ، ١١) . ــ فالمعجزات التى قد ورد ذكرها في كل الكتب السماوية لا في

---

(١) سورة آية ٤٣ .

(٢) من أحسن ما كتب لهداية النفوس الى خالقها ولعلنا نستطيع فى المستقبل تقديم عرض لهذا الكتاب القيم الى القراء ..

القرآن وحده ، ما هي في الحقيقة الا خرق للناموس من قبل الله . فاذا كنا نؤمن بأن الله هو خالق الكون وخالق نواميسه ، فبداهة العقل تحكم بأن الذى خلق الناموس قادر على خرقه . والقول بنفى هذه القدرة هو الـذى يشكل تناقضا عقليـا .

وكذلك سؤالك عن الملائكة والجن ، فانك تجد جوابه في الركائز الخمس المذكورات . لقد كان تصور الملائكة والجن ــ لعمرى ــ أكثر صعوبـة قبـل اكتشاف نواميس الضوء ... أما اليوم ، بعد معرفة أمواج الضوء وأنواعها من المنظورة وغير المنظورة ، وسلالمها الكثيرة التى يقع العالم المنظور في سلـم واحد منها فقط ، فقد اصبح من قبيل التعنت والمراء أن نقف من الملائكة والجن موقف الانكار .

والخلاصة ان هذه الأمور الغيبية كلها ، من خلق آدم ، وخرق النواميس ووجود الملائكة والجن انما يقع تصديقها أو تكذيبها تحت تمحيص مبدأ التناقض الذى ذكرناه في الركيزة (٧) وبما انها من النوع الممكن ، ولا يحـدث تصـور حدوثها أو وجودها (تناقضا عقليـا في الذهن) ، فـلا مجال للجزم والقطـع بتكذيبها .

جـ ــ وأما تساؤلك عن الآية الواردة في سورة (المؤمنون) التى تتعلـق بخلق الانسان من نطفة وعلقة ومضغة .. وقولك عنها أن ظاهرها يفيد الخلق الدفعى المباشر ، وان هذا يتنافى مع علم الأجنة ، وما ثبت فيه من تطور الخلية الانسانية ، وتحيرك في كيفية التوفيق بين خلق الله المباشـر المتكرر للنطفـة فالعلقة فالمضغة فالجنين في أطواره المذكورة ، وبين كوننا نستطيع أن نتحكم في نمو الخلية ، ونستطيع تأخيره أو تشويهها ، ونكون بالتالى المعطلين لعمل الله في الخلق ، فانك لتجد جوابه في الركيزة (١٢) ، وفي كـلامنا عن خلـق آدم ومذهب (دارون) ، وقولنا فيه ، ان الخلق يمكن أن يكون بالطريق التدريجـى التطورى ، على مقتضى نواميس وقوانين وضعها الله في الكون . واحسب أن علم الأجنة مما يؤيد هذا الخلق التطورى ، ويقدم عنه مثالا محسوسا ، وان كان الخلقان يقعان تحت قدرة الله ، وليس أحدهما أدل على القدرة من الآخر .

وأما تعجبك مما يعطيه ظاهر الآية من معنى الخلق المباشر المتكرر ، فتجد جوابه في الركيزة (٥) التى بينا فيها أن نهج القرآن في مخاطبة الناس انما يكون على قدر أفهامهم ومعارفهم وما كان لله العليم الحكيم ، الذى هو الخالـق فـى الحقيقة على كل حال ، ان يحير الناس ، في عهد نزول القرآن ، بذكر تفاصيل الخلق عن طريق الخلية ، ونموها التطورى بقوة النواميس التى وضعها اللـه في الكون ، وهم لا يفهمون معنى الخلية ، ولا معنى النامـوس ، ولا معنـى التطور . وهذا ما قلنا عنه انه من اعجاز القرآن ، حين يعبر عن المعنى بعبارة يفهمها البدوى الأمى على ظاهرها ، ويفهمها العالـم الفيلسـوف في أعمـاق أسرارها .

وآخر الأجوبة عن أمر الخلية هذه تجده في الركيزة (١٢) التى قلنا فيها : ان نواميس الله لا تتخلف ، ولكن يمكن توقيف أثرها بتسليـط ناموس علـى ناموس . فنحن عندما نتحكم في نمو الخلية أو افسادها أو تشويهها لا يقال : اننا عطلنا عملية الخلق التى يقوم بها الله بيده ، ولكن يقال : ان أحد نواميس الله قد توقف بأحد نواميس الله ، طبقا لما اراد الله في الناموسين أن يتفاعلا ، وطبقا لما أراد الله للانسان من التصرف في استعمال النواميس ، والانتفاع بها ، وطبقا لما قدره الله في عمله الازلى ، من خلق الجنين ، أو عدم خلقه . وهذا أظهر من أن يحتاج الى جدل .

د ــ وأما كلامك عن مخالفة الله لجميع الأشياء ، وعن قول القرآن عـن

الله (ليس كمثله شيء) وقولك انت عنه في آخر الكلام عن لسان المسلم (كيف أومن بكائن يقال لى : انه فى الحقيقة لا يوصف ؟ وهل يكون ذهنى خاليا من كل معنى أو تصور حينما أصفه بالعدل والرحمة مثلا ؟ ألا يكون عندئذ وجود مثل هذا الاله او عدم وجوده سيين بالنسبة الى) .

فانى اسألك ، في جوابه . ما لك يا دكتور ...؟

انه ليبدو انك تكاد تضع المشكلة في طريق مسدود ... أو تكاد تطلقها (الى ظل ذى ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب) . .فأما أن تنكر وجود الله .. وأما أن تقول بالتجسيد للاله .. وأما أن تقول بوحدة الوجود .. وما احسبك تريد شيئا من هذا .

ثم . هل القرآن وحده قال بهذا التنزيه لله عن مشابهة الحوادث ، أم اجمعت عليه كل الكتب السماوية المنزلة الصحيحة ، كما اجمع عليه كل الفلاسفة الالهيون ؟

الا تذكر ما قلناه في الركيزة (التاسعة) عن الفرق بين التعقل والتصور ، وان ليس كل ما يمكن تعقله بالدليل القاطع يمكن تصوره ؟.. ثم ، ألا تذكر ما قلناه في الركيزة الثامنة عن عجز عقولنا عن ادراك كنه الشيء بذاته الا في المحسوسات ؟ ثم . من الذى زعم ان القرآن قال عن الله بأنه لا يوصف ؟ أمثلك يقول هذا، والقرآن مملوء بصفات كمال الله سبحانه ؟ ولو لم ترد صفات كمال الله في القرآن السنا نستطيع أن نعرفها من آثاره ...؟ الم يعرفها (ديكارت) بعقله لما رجع عن شكه ، واستنتج من وجود نفسه ، وجود ربه وخالقه ، ثم استنتج من آثاره أكثر صفات كماله (١) ؟

هـ ــ وأما قولك (انه يفترض في المسلم ان يعتقد بايمانه وقلبه لا بعقله وذهنه) فغير صحيح . بل عكسه هو الصحيح . فليس في الاسلام ايمان قلبى روحانى يكتفى بالتخيل أو الالهام أو التلقين أو التقليد ، دون أن يعتمد على أدلة العقل اذا نضج العقل ، وبدأ بالتفكير ، أما الذى يسمونه (ايمان العجائز) فانه ليس بالايمان الكامل الذي يقف على رجليه اذا عصفت زوابع الشك وأعاصير الشبهات . ولكنه يقبل من العجائز والعاجزين عن الاستدلال العقلى ، من باب رفع الحرج والتكليف بالوسع ، وهما من أهم وأحكم مبادىء القرآن . بل ان هذا الايمان العجائزى ، (الذى نحسبه قلبيا روحانيا الهاميا تلقينيا تقليديا) ينبع ، في الحقيقة ، من العقل الباطن الذى تكمن فيه ــ من غير شعور منا ــ أدلة العقل ، بالفطرة التى فطر الله الناس عليها ، ومن بعضها قانون العلية الذى يتطلب العقل فيه لكل معلول علة ، ولكل مسبب سببا .

ولو اكتفى ايمان الاسلام بأن يكون من الظن والخيال والالهام والتلقين والتقليد ، لما كان يختلف ، في هذا عن ايمان المشركين وعبدة الأوثان !! . ان ايمان الاسلام هو ايمان الحق واليقين ، لا ايمان الظن والخيال (وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) واذا كان ايمان المسلم يقع أخيرا ، في القلب والضمير ، فانما ينحدر اليهما من قمة العقل ، طاهرا من أدران الظنون والأوهام ، بعد أن يمر بمصفاة العقل السليم ، ويصبح صالحا لمقاومة الشكوك والشبهات ، كالدم الذى يرده القلب الى حيث يصفى من سمومه ، ليصبح قويا وصالحا لمقاومة الجراثيم ... هذا هكذا . ومن ظن أن في الاسلام ايمانا كاملا غير هذا الايمان العقلى البرهانى اليقينى ، فانه يشوه معنى الايمان بالله ، الذى يمتاز به دين الاسلام عن الوثنية المشركة بكل أشكالها .

---

(١) فليس معنى الآية كما فهم الدكتور أنه لا يوصف بالعدل ولا بالرحمة . بل انه يوصف بهما ولكن علي أن نعلم أن الصفات التي يوصف بها غير صفاتنا نفسها التي نوصف بها .

« الــوعي »

صفات قرآنية لليهود عبر التاريخ

الاستاذ : صلاح عزام

ولنحاول ان نتعمق فى التاريخ لنتعرف على متابعة اليهود للدين الاسلامى حتى نستطيع ان نحكم على هذه الطائفة .. فى وضـــوح .. وعدل .. وعلى الدوام .. ومن خلال حياتهم عبر العصور لا من خلال فترة ما بعد البروتوكلات .. وفقط ..

لقد اثبتت الوثائق العلمية ان اليهود ترقبوا الدين الاســـلامى .. ومطلع الدعوة المحمدية .. حتى أنهم تركوا الأرض .. واتجهت عناصرهم المفـــكرة والرئيسية الى الصحراء القاحلة فى المدينة ، وبالقرب من مكة .. وزعموا أنهم جاءوا الى هذه المنطقة .. تاركين خلفهم الأرض الســـهلة والبلاد الخصبة .. انتظارا لنبى سيظهر فى هذه الأرض .. فيتبعونه لأن كتبهم تنبئهم بذلك ..

قالوا هذا لقبائل العرب .. فتركوهم وشأنهم اذ انهم اهل ايمان بالله .. والعرب قوم وثنيون ..

ولكن اليهود .. بعد ان استقر بهم الأمر .. بدءوا يقيمون الحصون .. ويوســـــعون فى رقعة أرضهم .. ويعملون فيما لا يعمله العرب ، ويــكونون الثروات ، ويتدربون على القتال واستعمال الأسلحة من داخلها ..

ولما اثار هذا شك العرب .. واستفسروا عنه .. خاصة وان احـــدا لم يحتك بهم ، أو يحاول الاعتداء عليهم .. كانوا يجيبون بما لا يضمرون ..

اما الحقيقة .. فهى ملاقاة محمد ورســــالته .. وحتى يمثلوا مع النبى دورهم مع المسيح .. يقاتلونه .. ويشرعون فى قتله ان استطاعوا .. لكيلا ينتشر دينه ، وليخلو لهم الجو مع الدين الجديد يصارعونه ويقتلون قادته ، ثم يقضون عليه تماما .. لأن الاسلام دين آخر .. يختلف عنهم .. وعن المسيحية وفى انتشاره وتعمقه فى النفوس .. قضاء على ما سواه ..

هكذا كانوا يفكرون .. ومن أجل هذا كانوا يعملون ويستعدون ..

ولم يتبع اليهود النبي .. ولم يؤمنوا بالاسلام .. وانما كانوا حربا عليه من اللحظة الأولى .. ودهش العرب لهذا الموقف .. حتى ليقول سعيد بن جبير عن ابن عباس ان يهودا كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . فوقف سلام بن مشكم احد بني النضير يرد عليه في سفسطة . وانتهى الأمر بهم من غير طائل ، حتى ليقول القرآن في ذلك « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .. »

وانتشر الاسلام ..

وقويت جماعة المسلمين ..

وتحرك اليهود يكشفون عن نياتهم .. ومؤامراتهم .. ويواجهون المسلمين في وضوح وصراحة بالعداء .. ويؤلبون عليهم العرب .. وينضمون اليهم في قتالهم للمسلمين ..

وفي القرآن الكريم .. وصف لخطى هذه المؤامرة العريضة ورصد دقيق لنفسياتهم ، تنبيها للمسلمين على مر الزمان لهذه الفئة .. وتحذيرا لهم منها .

ومن خلال المرور العاجل لوصف القرآن لهم ، تبرز بعض جوانب مؤامرة اليهود ضد المسلمين الأول وقد قضى الله سبحانه وتعالى على هؤلاء اليهود في حروب المسلمين معهم سواء مع بني قينقاع ، أو بني النضير ، أو بني قريظة ، واخيرا في خيبر .. وانتهت جميعها بنصر الله لدينه ، والقضاء على قوة اليهود .. وبتبعيتهم للمسلمين .. وبقيت لليهود صفاتهم كما تلنا تعريفا كاملا وواضحا للمسلمين بصفات خصومهم الألداء وطبائعهم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود .. »

ومن هذا المنطلق والوضع .. تجد صفات اليهود التي يحذر القرآن المسلمين منها ويعلمهم اياها .

فمن هذه الصفات الكثيرة التي ذكرها لنا القرآن الكريم :

مغرورون

انهم مغرورون .. فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة الى حيث يتعبد اليهود ويتدارسون كتابهم ، ودعاهم النبي الى الاسلام فصمتوا ، ولم يتحدث واحد منهم ، ثم بدد الصمت النعمان بن عمرو ، والحارث بن زبير اثنان من أحبار اليهود ليسألا سؤالا غريبا : (على أي دين انت يا محمد ؟)

فيقول لهم الرسول (على ملة ابراهيم ودينه ..)

فيجيبان : (ان ابراهيم كان يهوديا ..)

فيسألهما النبى عن اى سند لهما فيما يقولان . وعمن تعلماه ، واين وجداه ؟ فيجيبان انهما يجدانه فى كتابهما المقدس ، فيرد عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهلم الى التوراة فهى بيننا وبينكم ..) فرفضا .. لينتهى هذا اللقاء كما بدأ من غير طائل .. ولينزل قول الله تعالى « الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون .. » .

و .. سفهاء

ويصفهم القرآن مرة أخرى بانهم سفهاء اذ عندما استجاب الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه وتحولت القبلة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام .. صعق اليهود ، وسارع وفد من أحبار اليهود الى لقاء النبى صلى الله عليه وسلم ليساوموه على ان يعود الى القبلة الأولى ، وهم يدخلون فى الدين الاسلامى .. وظلوا يساومون النبى .. والنبى يقول لهم : أن هذا هو أمر الله .. ولا يملك هو الا اطاعته .. ولم يقتنعوا ولم ييأسوا ، وانصرفوا غاضبين مقهورين ، لينزل فيهم قول الله تعالى « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » .

واتباع شياطين

واشمل الأوصاف .. من بين أوصاف عديدة يذكرها القرآن الكريم لليهود .. أنهم أتباع شياطين .. وكان هذا اثر محاورة مع النبى صلى الله عليه وسلم يذكرها عبد الله بن عبد الرحمن عن شهر بن حوشب الأشعرى فيقول : ان نفرا من أحبار اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنها ، فان فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقنى . قالوا : نعم . قال : فاسألوا عما بداكم .

قالوا : فاخبرنا كيف يشبه الولد أمه . وانما النطفة من الرجل .

قال : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ونطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما علت صاحبتها كان لها الشبه .

قالوا : اللهم نعم . .

قالوا : فاخبرنا كيف نومك ؟

فقال : أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمون ان نوم الذى تزعمون انى لست به تنام عينه وقلبه يقظان .

فقالوا : اللهم نعم . .

قال : فكذلك تنام عينى وقلبى يقظان .

قالوا : فاخبرنا عما حرم اسرائيل على نفسه . .

قال : انشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل . . هل تعلمون أنه كان أحب

الطعام والشراب اليه البان الابل ولحومها وانه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه الطعام والشراب اليه شكرا لله حرم على نفسه لحوم الابل ولبنها فقالوا اللهم نعم .

قالوا : فاخبرنا عمن يأتيك بالوحى . .

قال : أنشدكم بالله وبآياته عن بنى اسرائيل هل تعلمونه جبريل وهو الذى يأتينى .

قالوا : اللهم نعم ولكنه يا محمد لنا عدو وهو ملك انما يأتى بالشدة ويسفك الدماء ولولا ذلك لاتبعناك .

فانصرفوا . لينزل الله قوله تعالى « قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » الى قوله تعالى « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون . ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » . الآية

و . . أوصاف أخرى . .

ومع هذه الأوصاف لتحديد موقف اليهود ضد الاسلام . . والمسلمين . . « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود . . »

صدق الله العظيم

لماذا الإسلام ؟

أسرار الكنيسة السبعة

للأستاذ : احمد حسين المحامي

ليس باستطاعة أي مسلم أن يدرك ما تعنيه كلمة الكنيسة من معنى عميق ، فالكثيرون قد يتصورون أنها المكان الذي يقابل الجامع عند المسلمين ، أو مكان العبادة عند أي دين من الأديان . وليس أبعد عن الحقيقة من هذا التصور فالمسجد عند المسلمين لا يخرج عن كونه مكانا ليصلي فيه المسلمون صلاة الجماعة ، حيث يؤمهم أكثرهم حفظا للقرآن ، أو أكبرهم سنا ، أو من يختارونه لدى كل صلاة . وصلاة الجماعة تؤدى في أي مكان ، في البناء والعراء ، والأرض كلها مسجد لله حيث يقول الرسول صلوات الله عليه « جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا » وليس بين المسلم وربه أي وسيط ، على ما سوف نشرحه بالتفصيل فيما بعد .

أما كلمة الكنيسة فهي شيء يكاد يعز على التصور والتصديق ، فهي ليست كما يتصور الكثيرون مجرد هذا المبنى المعين الذي تقوم فيه الطقوس على سبيل التخصص والتحديد ، **ولكنها في معناها العام تشمل مجموع المسيحيين ، بل انها المسيح نفسه ، انها جسده ولحمه ودمه ، وهم يستندون في هذا على ما جاء في انجيل يوحنا : الحق اقول لكم ان لم تاكلوا جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في أنفسكم . من ياكل جسدي ويشرب دمي هو مشرب حقيقي . من ياكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وانا فيه (الاصحاح السادس ــ انجيل يوحنا) .**

فالمسيحيون اذن هم جسد الله الحي ، ولما كانت الكنيسة هي وحدها القادرة على أن تمد المؤمنين بجسد المسيح ودمه ، لأن عملية الفداء قد تمت لحسابها ، فلا عجب اذا وصلت الكنيسة الاوروبية في العصور الوسطى الى هذه الدرجة من الهيمنة على شئون المسيحيين ، فهي وحدها الحياة والجنة والنعيم ، وخارجها الموت والجحيم .

اسرار الكنيسة السبعة (١) :

وتتمثل سلطة الكنيسة في أسرارها السبعة التي لا يمكن أن توجد خارجها وهذه الأسرار السبعة هي : المعمودية ــ الميرون ــ والتناول ــ

(١) نلفت النظر الى اننا في عرض هذه الأسرار قد استعملنا نفس الالفاظ التي تستعملها كتب الأصول .

والتوبة ـ والاعتراف ـ والمسحة ـ والزواج ـ والكهنوت .

واليك تفصيل هذه الأسرار السبعة :

١ ـ المعمودية (او الصبغة) :

هي الولادة الجديدة التي يتطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم ، فمن لا يتعمد ، يظل حليف الخطيئة واقعا في براثن الموت . وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة في صورة منظورة ، وهي رش الماء في بعض المذاهب ، وبالتغطيس في الماء ثلاث مرات (المذاهب الشرقية) .

وقد جرى الخلاف حول وقت التعميد ، فالبعض يرون ضرورة تعميد الطفل المسيحي بمجرد ولادته حتى لا يموت قبل الحصول على هذه النعمة والبعض يرى وجوب تأخيرها لانها كفارة من الذنوب ، وطهارة . والاتفاق على أن أي مسيحي يجب أن يعمد على الأقل مرة في حياته .

٢ ـ الميرون :

هو حلول روح القدس على الانسان الذي نال المعمودية المقدسة وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة على يد كهنتها بمسح المؤمنين بدهن الميرون المقدس . والأصل في الميرون أنه الحنوط والطيب الذي دهن به جسد المسيح عند دفنه . وقد اقتسمها الرسل بعد القيامة وتوارثها الآباء عن الرسل ، ثم رتبوا شعائر خاصة يؤدونها كلما وجدوا أن ما بقي لديهم من الميرون لا يفي بحاجة الكنائس . أي أنهم يحتفظون دائما بخميرة من الموجود لديهم ويضيفون عليها حنوطا وطيبا جديدين ، لتظل البركة الأولى الناتجة عن ملاصقة الحنوط لجسد الرب باقية على مر الأجيال .

٣ ـ التناول :

أو العشاء الرباني وهو سر الأسرار لأن المؤمن يتناول فيه جسد الرب ودمه الأقدسين . فعندما يتلو الكاهن على القربان والخمر يتحول القربان الى جسد الرب المقدس والخمر الى دمه الزكي تحويلا فعليا حقيقيا .

٤ ـ التوبة او الاعتراف :

وهذا السر معناه الحصول على المغفرة بعد أن يبوح المعترف للكاهن بما اقترفه من ذنوب .

٥ ـ المسحة :

وهي سر ينال به المؤمن الشفاء الجسدي والروحي بعد أن يتلو الكاهن صلاة القنديل ثم يدهن المريض بالزيت المقدس .

٦ ـ الزواج :

وهو ربط الزوجين برباط الزواج المقدس الذي لا ينفصم . وكل زواج خارج الكنيسة لا تعترف به . وبالتالي لا يكون زواجا بل علاقة آثمة .

٧ ـ الكهنوت :

هو السر الذي ينال به الانسان النعمة التي تؤهله لأن يؤدي رسالة السيد المسيح بين اخوته من البشر ـ اي انه السر الذي يمكن صاحبه من اتمام الأسرار الستة الأخرى . فليس في الكنيسة من يستطيع ان يتمم شعائر المعمودية (الصبغة المقدسة) أو مراسيم الزواج ، او غيرها من الأسرار ، غير الكاهن الذي وضعت عليه اليد وتليت عليه الصلوات الخاصة برسامة الكهنة .

والكهنوت في الكنيسة خلافة رسولية أخذه الآباء الأولون عن الرسل أنفسهم ، وسلموه لمن بعدهم والرسل بدورهم أخذوا هذا السر المقدس من المسيح (١) .

عصمة البابا :

وتنفرد الكنيسة الكاثوليكية بسر ثامن مارسته طوال تاريخ وجودها وهو عصمة البابا واستحالة ارتكابه اي خطيئة ، لأن روح القدس ينطق من خلاله ، فهو خليفة بطرس الرسول الذي اعطاه المسيح مفاتيح السماء والأرض ، فكل ما ربطه على الأرض يكون مربوطا في السماء وكل ما حله على الأرض يكون محلولا في السماء .

ولم تكن عصمة البابا محل اي اعتراض من المسيحيين الغربيين خلال القرون العديدة الأولى ، وليس الا عندما قامت البروتستانتية في العصور الحديثة نسبيا ، أن وجد من انكر هذه العصمة ، ولذلك فقد احتاج البابا الى مجمع مسكوني كاثوليكي انعقد في روما عام ١٨٦٩ ليؤكد هذا السر من جديد .

ولسنا نسمح لأنفسنا أن نعلق على هذه الأسرار الا بان ننقل ما يقوله عنها « ول دورانت » وهو في ذلك يلخص قول مفكري الغرب وكتابه المحدثين .

« ان المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها ، ذلك ان العقل اليوناني المحتضر عاد الى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة اداة الأدب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية الى طقوس القداس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على أحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف . فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب وخلود الانسان في هذه أو تلك ، ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفي بالله ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة واللاادرية وطمس معالم العقيدة المسيحية » ويختم دورانت بحثه بقوله :

وقصارى القول ، ان المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم (قيصر والمسيح ص ٢٧٦).،

اثر التعاليم الكنيسية على مسيحيي الشرق والغرب :

كان طبيعيا وهذه تعاليم الكنيسة المسيحية ، أو بالأحرى ما صارت اليه التعاليم المسيحية ، ان يكون لها أثر عميق في نفوس معتنقيها وظروفهم وأحوالهم المعاشية والحضارية . ولكن هذا الأثر لم يأخذ طريقا واحدا في الشرق والغرب .

فحيث ظلت الكنيسة المسيحية الشرقية ـــ وقد كان الشرق هو مهبط الديانات كلها ـــ عنوانا على أعظم ما تمثله المسيحية وهو الدعوة الدائمة الى المحبة والرحمة والوداعة

---

(١) من كتاب أسرار الكنيسة السبعة ـــ لحبيب جرجس ـــ مدير الكلية الاكليرية ـــ نقلا عن كتاب قصة الكنيسة القبطية .

والزهد ، وحيث تحتفظ الكنيسة الشرقية بصفحة نقية خلت من ضروب العسف والانحراف والاضطهاد والعنف والقسوة او محاربة العلم والتقدم ، فان الكنيسة الغربية سارت في طريق مضاد لكل ما تمثله المسيحية الأصلية من المعاني .

ويرجع سبب هذا الافتراق الى ان المسيحيين في الشرق وعلى راسهم مسيحيو مصر ، شغلوا في القرون الاولى بنشر العقيدة المسيحية الأصلية في وجه الوثنية الرومانية ، فتعرضوا لما تعرضوا له من محن واضطهادات خلال القرون الثلاثة الأولى ، فقدموا للمسيحية شهداءها وتديسيها حتى انتصرت المسيحية على الوثنية الرومانية واصبحت هي دين الدولة الرسمي .

على أن ذلك لم يكد يتم، حتى انقسمت الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية ، وقد ظلت الامبراطورية الشرقية تنعم بحكم مستقر حضاري في ظل الأباطرة الشرقيين ، الأمر الذي جنب الكنيسة الشرقية او بالأحرى مسيحيى الشرق التورط في اخطبوط الحكم والادارة والسياسة ، فظلوا يلوذون بقيم المسيحية الروحية ويبشرون بل ويحيون حياة السلام والزهد والتجرد لله ، حتى لقد انتشر بين صفوفهم نظام الرهبنة والأديرة والنسك والتبتل لله (١) .

ولم يكن لذلك اثر في سير الحياة العامة التي ظلت تنطلق في طريقها في ظل السلطة الزمنية ، تعلم وتبنى وتنشىء وتعمر ، ثم كان قيام الدولة الاسلامية في هذا الجزء من العالم ، وما أعقب ذلك من قيام الحضارة الاسلامية المزدهرة . ولما كان من خصائص الاسلام التي سنعرض لها عند الكلام عنه ، اعترافه بالأديان الأخرى وخاصة بالمسيحية ، فقد استطاعت الكنيسة الشرقية أن تعيش في ظل الدولة الاسلامية ، متابعة حمل رسالتها المسيحية الأصيلة التي تتلخص في التبشير بالسلام والحب ، واضطلع المسيحيون الشرقيون بنصيبهم في بناء هذه الحضارة الجديدة ، فكان منهم المترجمون الذين نقلوا فلسفة الاغريق وعلومهم ، وكان من بينهم الأطباء والفلكيون والاداريون والماليون .

أما بالنسبة للمسيحية الغربية ، مسيحية أوربا الغربية ، حيث سقطت روما عام ٤٧٥ م في يد القبائل المتبربرة من الجرمان والقوط والوندال ، وحيث لم تستطع موجة الحضارة الاسلامية أن تنفذ الى غرب أوربا بعد موقعة بواتييه عام ٧٣٢ م فقد أصبح بابا روما هو السلطة الزمنية الوحيدة في أوربا ، وأصبحت الكنيسة هي المنظمة الوحيدة التي تستطيع ان تبث شيئا من النظام ، وتقيم حكم القانون ، وكان أن ترتب على ذلك تبدل حياة أوربا الغربية تبدلا عجيبا ، فبعد الحضارة الاغريقية والرومانية التي لا تزال تروعنا حتى الآن بآثارها الفكرية والفنية ومنشئاتها ومبانيها الاعجازية ، تردت أوربا فيما يوصف بأنه خمول تاريخي وذبول حضاري ، وغرقت أوربا فيما يسميه علماؤها ومؤرخوها بالعصور الوسطى المظلمة ، حيث توقف كل علم وكل تفكير وكل تقدم أو تطور ، وجمدت الحياة وأصيبت بالشلل .

وحسبنا أن ننقل لك فقرة واحدة من مئات وألوف الفقرات بل الكتب

---

(١) الاجماع على أن نظام الرهبنة قد خرج من مصر .

التي وضعها الأوربيون وصفا لحالة أوربا طوال خمسة قرون ، وهي من قول العلامة الأمريكي المؤرخ درابر :

« لقد كانت أوربا في ذلك العهد غاصة بالغابات الكثيفة بعد أن أهمل الناس الزراعة ، وكانت المستنقعات قد كثرت حول المدن ، فكانت تنتشر فيها روائح قتالة اجتاحت الناس حيث يستغيثون ولا مغيث . وكانت البيوت تبنى في باريس ولندن من الخشب والطين المعجون بالقش والبوص ، ولم يكن لها نوافذ أو أرضيات خشبية أما الأبسطة فكانت مجهولة لديهم ، وكان يقوم مقامها القش فينشرونه على الأرض ، ولم يكونوا يعرفون المداخن ، فكان الدخان يطوف بالبيت ثم يتسرب من ثقب صغير صنعوه له في السقف فكان الناس في هذه البيوت معرضين لكل انواع الاصابات الخطيرة . وكان الناس لا يعرفون النظافة ، فيلقون بأحشاء الحيوانات واقذار المطابخ أمام بيوتهم اكواما تتصاعد منها روائح قاتلة ولا رقيب ولا حسيب . وكانت الأسرة الواحدة تنام في حجرة واحدة من رجال ونساء وأطفال وكثيرا ما كانوا يؤون معهم حيواناتهم المنزلية » .

« وكان السرير عندهم عبارة عن كيس من القش فوقه كيس من الصوف يستخدم كمخدة . وكانت النظافة معدومة لديهم فلا يعرفون لها رسما ، وكان الغني منهم لا يأكل اللحم الا مرة في الأسبوع . ولم يكن للشوارع مجار ولا بلاط أو مصابيح ، وكان من أثر الجهالة المنتشرة في ارجاء أوربا أن عمتها الخرافات والأوهام ، فانحصر التداوي في زيارة الأماكن المقدسة ، ومات الطب وراجت أحابيل الدجالين ، وكان اذا دهم البلاد وباء فزع رجال الدين الى الصلاة ، ولم يلتفتوا الى أمر النظافة فكانت الأوبئة تفتك بهم فتكا ذريعا ، حتى أنها زارت أوربا عدة مرات فاجتاحت ملايين من أهلها في أيام معدودة (١) » .

ويضيق بنا المجال لو حاولنا ان نحدثك عن الحروب الدينية التي غرقت فيها أوربا ، وعن محاكم التفتيش التي أحرقت عشرات الألوف من الأحياء بدعوى الهرطقة والكفر والالحاد . وحرق جان دارك التي أنقذت فرنسا من الاحتلال الانجليزي هو نموذج لمن كانت تحرقهم الكنيسة ، وحرق برونو وهوس ، نموذج آخر لمن كانت تحرق من دعاة الاصلاح ، وطالبي العلم .

ولا نريد أن نستطرد فنحدثك عن الحروب الصليبية ، والتي كانت وبالا على المسيحيين الشرقيين انفسهم قبل ان يصلى بحرها المسلمون ، وليس هناك ما هو آلم على انفسنا من أن يضطرنا البحث العلمي أو التاريخي ، لأن نشير الى ما فعله الصليبيون عندما أقسموا أن يخوضوا في بحار من دم المسلمين وأن يقيموا جبالا من الجثث والجماجم ، وكيف بروا بقسمهم فكانت النساء يقتلن طعنا بالسيوف والحراب والأطفال الرضع يختطفون من فوق أثداء أمهاتهم ويقذف بهم من فوق الأسوار أو تهشم رؤوسهم بدقها بالعمد . وذبح السبعون الف مسلم الذين ظلوا في المدينة ، اما اليهود الذين بقوا أحياء

---

(١) وذلك في الوقت الذي بلغت فيه الحضارة الاسلامية في الاندلس الذروة (اقرأ للمؤلف « تاريخ الانسانية ») .

فقد سيقوا الى كنيس لهم واشعلت النار فيهم وهم أحياء .

ثم توجه المنتصرون وعيونهم تفيض بالدمع وقلوبهم تخفق بالعرفان بالجميل للمسيح المخلص الحمل الوديع رب الحب والسلام (١) .

تلك كانت حالة أوربا المسيحية الغربية ، عندما كانت الكنيسة هي صاحبة الحكم المطلق ، وهذا هو مدى تطبيقها تعاليم المسيحية واثر هذه التعاليم في المجتمع الأوربي . ويصبح السؤال الآن :

متى وكيف نهضت اوربا المسيحية ؟

ذلك أنه اذا كان هذا هو ما انتهت اليه أوربا تحت حكم الكنيسة الغربية من جهل وتعصب وعنف وحروب وقسوة ، فمتى وكيف نهضت أوربا بعد ذلك ؟ .

يجمع المفكرون والمؤرخون الأوروبيون ، أن اول اشعاع من نور في ظلمات العصور الوسطى ، قد جاء عبر الأندلس الاسلامية وعبر صقلية ، وجاء من خلال احتكاك الأوربيين بالمسلمين من خلال الحروب الصليبية .

وجاء ثانيا نتيجة حركة الاصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر عام ١٥١٧ ، حيث أنكر مارتن لوثر حق البابا في بيع صكوك الغفران ، بل وأنكر عليه حق منح الغفران بأي وجه من الوجوه، وحطم احتكار الكنيسة لقراءة الانجيل وتفسيره ، فترجمه الى اللغة الألمانية وخول لكل مسيحي حق مطالعة الانجيل ، ومن هنا تطلق الكنائس البروتستانتية على نفسها اسم الكنائس الانجيلية ، وتتابعت حركات البروتستانت تقوض من سلطان الكنيسة وأسرارها وترفض فكرة العشاء الرباني وأن الخبز والخمر يتحولان الى جسد المسيح ودمه حقا وصدقا ، وترفض عبادة الصور والتماثيل ، وتنكر على الكنيسة غفران الذنوب .

وقد صادفت هذه الحركة هوى في نفوس بعض ملوك أوربا وأمرائها فحموا القائلين بها لأول مرة من الموت على المحرقة . واستقلت كنائس كل دولة تحت زعامة ملكها وسيدها .

ثم كانت سلسلة الثورات ضد الكنيسة ، والتي شملت العقيدة من اساسها ، ابتداء بالثورة الفرنسية وانتهاء بالثورة الشيوعية ، واخيرا بسيادة التعاليم المادية والاغراق فيها، كما هو الشأن في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تضاد حياة الأمريكيين كل حرف من حروف المسيحية ، فبينما تدعو المسيحية للفقر والزهد فيقول السيد المسيح للرجل الغني :

« ان كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب وبع كل شيء لك واعطه للمساكين فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . فلما سمع الشاب هذا الكلام مضى حزينا لأنه كان ذا مال كثير . فقال يسوع لتلاميذه الحق اقول لكم انه يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات . وايضا اقول لكم انه لأسهل أن يدخل الجمل من ثقب الابرة من أن يدخل غني في ملكوت السماوات . (متى الاصحاح التاسع عشر) .

---

(١) المؤلف — تاريخ الانسانية .

وفي مقابل هذه الصورة ، ترتفع صورة التسامح الاسلامي التي أذهلت الاوربيين عندما أعاد صلاح الدين فتح بيت المقدس وحقن دم كل من كان فيه .

تقول حيث يدعو المسيح للفقر والزهد ، فيكاد كل من في الولايات المتحدة يحارب من اجل الغنى ، وهو على استعداد ان يفعل كل شيء من اجل الحصول على هذا الغنى ، ولا يقاس اي انسان او اي امر من الأمور الا من خلال الدولار ، حتى قيل بحق ان الدولار هو معبود الكثرة الغالبة من الأمريكان .

وحيث يطلب المسيح من اتباعه ان يحبوا أعداءهم وأن يحسنوا الى مبغضيهم فان الطائرات الأمريكية تدق بلا شفقة ورحمة شعب فيتنام الصغير الذي يبعد عنهم عشرات الألوف من الأميال ولم يعتد عليهم .

بل ان المجتمع الأمريكي ليقف على النقيض من أدق تفاصيل الشريعة المسيحية ، فحيث يقول السيد المسيح : قد قيل لكم ان من طلق امراته الا لعلة الزنا فقد جعلها زانية ومن تزوج مطلقة فقد زنا .

فقد أصبح الطلاق في الولايات المتحدة من أيسر الأمور ، بل انه ليحصل عليه لأسباب تدعو في كثير من الاحيان الى السخرية .

ولعل هذا التباين الشديد بين ما تدعو اليه المسيحية وما أصبح يحيا عليه الأوربيون والأمريكان ، هو الذي جعل دائرة المعارف البريطانية والمفروض فيها أنها أعظم كتاب معارف لدى الأوربيين والأمريكان تقول تحت عنوان كلمة « مسيحية » في المجلد الخامس « ان تاريخ المسيحية وتعدد الكنائس وشيع المسيحيين وفرقهم ، ولد الشعور لدى بعض الباحثين أن ليس **للمسيحيين شيء يشتركون فيه سوى الاسم »** .

ومما يزيد في تقوية هذا الشعور محاولة بعض الشراح تلخيص جوهر المسيحية في أنها « أبوة الله وبنوة الانسان » ومثل هذه العبارة قد تعنى الكثير جدا كما قد تعنى القليل جدا كذلك حسبما يستخلصه الانسان منها .

لا ارتباط بين المسيحية وبين ما عليه اوربا وأمريكا

يخلص من كل ما سبق انه لا ارتباط بين ما يمكن ان يكون عليه الاوربيون والأمريكان من قوة وتقدم مادى وبين المسيحية كدين ، فهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه الا بعد ان انسلخوا عن المسيحية كما تصورها الكنيسة الغربية » ، والا بعد أن القوا تعاليم المسيح الأصلية وراء ظهورهم .

وذلك على خلاف الاسلام كما سوف نرى ، فحيث تشرب المسلمون عقيدته وجوهر تعاليمه كانت لهم هذه الحضارة الزاهرة التي فاقت كل ما سبقها من حضارة .. ولم يتدهور المسلمون الا بعد أن فقدوا الروح الاسلامية الأصيلة ، وسوف نرى كيف أن لا سبيل لاستعادتهم ارقى درجات الحضارة الا من خلال الروح الاسلامية مرة اخرى ، ولكن لا يزال علينا ان نستعرض قبل ذلك ديانة اخرى عالمية هي الديانة البوذية فالى المقال القادم ان شاء الله .

- الشكر على نعمة الماضي امل في نعمة المستقبل .
- الأشياء العظيمة لا ترى الا على بعد .
- اذا تحققت كل رغباتنا ضاعت أكثر لذائذنا .
- الجهل لا يحسم نزاعا .

صلاة المسلمين

لماذا لا تجوز إلا بالعربية فقط؟

ترجمة الاستاذ مصطفى الزرقا
خبير الموسوعة الفقهية
بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

من المعلوم أن المسلمين يعتمدون اللغة العربية حتما في القيام بعمل الصلاة ، التي تشتمل أيضا فيما سوى الأقوال على حركات فيها تعبير رمزى ، وأنهم يتلون مقاطع من القرآن ، ويتلفظون بصيغ كلامية ، تؤكد عظمة الله وخضوع الانسان ، يفعل ذلك العرب وغيرهم على السواء ، حتى الذين لا يفهمون كلمة من العربية ، كان ذلك من عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال كذلك ، مهما اختلفت الظروف والمواطن واللغة الوطنية الأم للمسلم .

قد يبدو لأول نظرة طبيعيا ومستحسنا أن يوجه المؤمن صلواته وادعيته من أعماق ضميره وشعوره بما يقول ، ولغة الأم هى الوسيلة الأفضل لهذه الغاية . وقد يتصور من هذه الناحية أفضلية لتأدية الصلاة باللغة التى يتكلمها المسلمون في الزوايا الأربع من العالم . ولكن اعتبارا ونظرا أعمق من ذلك ، يظهر منه أن هناك أسبابا وجيهة تناقض هذا التفكير والتصور ، أى توجب الاقتصار على اللغة العربية ، وذلك للاعتبارات التالية .

١) فهنالك اولا مبرر اعتقادى (ميتافيزيكى) أو نفسى . ذلك انه بمقتضى نص القرآن (١) (٣٣ — ٦) تعتبر زوجات الرسول أمهات للمسلمين ، ونحن نعلم أن جميع زوجاته المكرمات يتكلمن العربية . فبذلك تعتبر اللغة العربية هى لغة الأم لجميع المسلمين . وحينئذ لا يبقى مجال لأية ملاحظة قائمة على أساس ضرورة اداء الصلوات بلغة الأم .

٢) واذا اعتبر هذا المبرر غير كاف للاقناع ، فاننا ننطلق بالنظر الى ابعد ، فنلاحظ انه بمقتضى العقيدة الاسلامية يعتبر القرآن كلام الله (سبحانه) وان تلاوته معتبرة بمقتضى نصوصه نفسها من القربات المطلوبة . فمن الناحية الروحية يسيح المؤمن سياحة الى الله (تعالى) بواسطة تلاوة كلامه المقدس . والنص الأصلى لهذا الكلام الموحى به الى رسول الاسلام هو عربى . فمهما تكن الترجمة له من الدقة بمكان فانها لا تخرج عن كونها من صنعة الانسان وكلامه . وهذا لا يمكن ابدا ان يؤدى الغاية من تلك السياحة الروحية التى تتحقق بالصلاة .

٣) وبالنسبة لمن يفتشون عن سبب مبرر اقوى نقول انه يجب التمييز الدقيق بين الصلاة بمعنى الدعاء ، والصلاة بمعناها الخاص في صورة عبادة الله ، فأما الدعاء وهو المعنى الأصلى العام للصلاة غير الصورة الخاصة بعبادة الله ، وهو ما يسمى (مناجاة الله) ، فانه لا اعتراض ابدا على حرية الانسان ، في ان يوجه حاجاته وتوسلاته الى ربه بأية لغة يختارها ، واى وضع يكون عليه . ذلك لأن هذه صلة شخصية خاصة بعلاقة فردية بين المخلوق والخالق .

اما الصلاة (بمعناها الخاص) ، اى العبادة المفروضة في صورتها الاسلامية المشروعة ، فهى عمل عام ذو صفة جماعية ، يجب النظر فيه الى بقية الرفاق المصاحبين في صلاة الجماعة . فصلاة المسلم هذه يجب مبدئيا أن تؤدى بصورة مشتركة مع الآخرين (جماعة) ، ذلك لأن أداء الصلاة فرديا صحيح ، ولكن المطلوب المفضل اداؤها بقيادة امام (جماعة) .

٤) لو كان الاسلام دينا اقليميا أو قوميا أو مرتبطا بعرق بشرى ، لكان من المحتم فيه أن تستعمل في الصلاة لغة ذلك الاقليم أو العرق أو القوم . أما في ديانة عالمية فالأمر بالعكس تماما حيث يتكلم المؤمنون بها مئات اللغات المحلية ؛ ولا يفهم احدهم لغة سواه من الأجناس البشرية الاخرى .

ان حياتنا تزداد كل يوم اتساعا نحو الصفة العالمية ، وان كل بلد فى الأرض يستقبل فعلا ويؤوى الكثير من المسلمين من مختلف المجموعات اللغوية .

٥) في الواقع لا يوجد دين واحد على وجه الأرض سوى الاسلام يملك اليوم النص الاصلى للوحى الذى يقوم على اساسه ، والنصوص الأصلية لتعليمات مؤسسه . فالمسيحيون واليهود والمزدكيون ، وسواهم من الجماعات

---

(١) قوله تعالى « النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتهم ... »

الدينية ، لا يوجد لدى فئة منهم سوى ترجمة للنص الأصلي في ديانتهم ، أو سوى قطع متفرقة منه على الأكثر . فأي سعادة او ثقة تعادل ما للمسلمين الذين هم الاستثناء الوحيد من هذا الواقع ، اذ يملكون النص الأصلي لوحي الاسلام وهو القرآن الكريم ؟!

٦) علاوة على ما تقدم يلحظ ان القرآن — وان كان نثرا — هو مشتمل على جميع خصائص الشعر وعذوبته من الجرس اللفظي ، وتوافق الفواصل ، وجزالة التعبير وبلاغة الأداء ... بحيث أن حذف حرف واحد من جملة ، او اضافة حرف اليها ، يورث فيها خللا واضطرابا ، كما لو حصل ذلك الحذف او الاضافة في بيت من الشعر الموزون .

٧) يرى كاتب هذه السطور شخصيا ان اى مسلم لا يمكن ان يعطى اى ترجمة للقرآن من الاحترام الديني ما يعطيه لنص القرآن الأصلي الموحى به من الله سبحانه الى رسوله . ذلك لأن الترجمة هى صياغة شخص عادى ، وليست صياغة جهة معصومة محمية من الخطأ كما هو الشأن فى نبى .

٨) وختاما نشير الى انه يوجد فريق من الكتاب يحتجون بأن بعض المجتهدين الكبار ، كالامام ابى حنيفة ، كان يرى جواز تلاوة ترجمة القرآن فى اداء الصلاة . ولكن هؤلاء الكتاب ذكروا جانبا وأغفلوا جانبا آخر . فان الامام ابا حنيفة ، وان كان قد رأى هذا الرأى في بداية أمره ، قد رجع عنه بعد ذلك ، ووافق رأى الائمة الآخرين (وهذا هو المذكور في كتب المذهب الحنفى ، ككتاب الهداية للمرغينانى ، وكتاب الدر المختار للحصكفى ، وغيرهما ..) وان ابا حنيفة أيضا يقول بأنه في الحالات العادية الطبيعية لا يجوز في الصلاة تلاوة القرآن بغير العربية .

وفي الواقع يوجد حكم استثنائى للضرورة كما في حال الشخص الذى يسلم من جديد ولا يعرف العربية . فهذا يجب عليه أن يبدأ فورا بأداء الصلوات الخمس يوميا ، وهى تشتمل على تلاوة الزامية لقسم من القرآن حفظا عن ظهر قلب . فيرخص له بتلاوة معانى بعض الآيات باللغة التى يعرفها ، الى أن يتعلم ما يكفى للصلاة بالنص العربى . وفي هذه المسألة يوجد سابقة هامة من سلمان الفارسى الذى ترجم سورة الفاتحة الى الفارسية ، لكى ترسل الى اناس من المؤمنين الفرس ، وذلك بترخيص من الرسول نفسه (كما فى كتاب تاج الشريعة ، والنهاية حاشية الهداية : فصل الصلاة) . وهؤلاء الأعاجم استعملوا هذه الترجمة الى أن ائتلفت السنتهم ، ومرنت على النص العربى . وهكذا يمكن للمسلمين الجدد أن يستعملوا ترجمة القرآن بصورة مقبولة كأصله العربى لمدة أيام أو لمدة ساعات بحسب الحاجة والحال .

يستخلص من كل ما تقدم أن كل مسلم بمقتضى الوحى القرآنى يختار دائما اللغة العربية ، اللغة الأم للرسول . وهكذا يظل الاسلام المصدر الحى الخالد للغة العربية .

مترجمة عن المجلة الفرنسية
« فرنسا والاسلام »
عدد آذار / ١٩٦٧ م

٤

قضية المرأة

حول مبررات عمل المرأة

الأستاذ البهى الخولى

- ١ -

لقضية عمل المرأة في الغرب مشاكل اقتصادية واجتماعية لا تنتهى . فمنظمة الامم المتحدة — مثلا — عجزت الى اليوم عن تحقيق المساواة (العملية) فى الاجور بين الرجل والمرأة ؛ ورجال الاعمال ومؤسساتها يرفضون تلك المساواة بمنطق الانتاج الذى لا يحتمل مكابرة .. ورجال الاجتماع والادب وعلماء النفس يرون أن العمل على ضوء النتائج التى انتهى اليها — معطل لأسمى خصائص المرأة ، ووظائفها الطبيعية والاجتماعية ، وان المجتمع بدأ يجنى من ذلك انحلال الروابط وابتذال كثير من القيم ..

وقد بدأنا — نحن العرب والمسلمين — ندخل تجربة عن المرأة ويوشك ان يكون لنا من مشاكله ما للغرب ، فتركنا قضية الحجاب والسفور ، وأخذنا فى قضية العمل ، وما له من مبررات ، وما تحتمل من نتائج .. وقد يكون من مفاتيح الوصول الى لب هذه القضية بالنسبة لنا أن نسأل : لماذا تعمل المرأة بعد أن لم تكن تعمل ؟.. أى لماذا تترك البيت وتتكسب فى الخارج ؟.

وقد يمكن تلخيص ما يقال من المسوغات لذلك ما يأتى :

١ — ان عمل المرأة يوسع آفاقها ، ويبرز وينمى مقومات شخصيتها ، ويقيها السأم القاتل الذى يورثها اياه بقاؤها الطويل ، أو فراغها الذى تقضيه بين أربعة جدران ..

٢ — ان مجد الامة فى كثرة الايدى العاملة ، وان المرأة نصف المجتمع ، وليس مما يتحقق به هذا المجد أن يكون نصف المجتمع عاطلا ..

٣ — مساعدة من يعولها .. وقد تكون لا عائل لها ، فتعول نفسها بالعمل .. وقد يتوفى زوجها ، ويترك لها أطفالا عاجزين عن العمل ، ولا شىء لهم ولا لها ، فتجد فى العمل عصمة لها ولاولادها من الضياع ، وهى مع ذلك « انسان » ومن كرامتها أن تستقل بطلب عيشها ، فلا تكون عبئا على سواها ، وانما يكفل لها تلك الكرامة أن تعمل ..

ومن الضرورى لمناقشة تلك المبررات ان نستعيد في الذهن ما قررنا لها من اهلية اقتصادية واجتماعية لا تقل عن الرجل .. وكذلك علينا أن نبين ما قرره لها الاسلام من حق فى التعليم ، هو واجب عليها فى الوقت نفسه فى قوله عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (١) وهو نص يشمل الرجل والمرأة باتفاق علماء الاسلام .

ولقد القى الاســلام على كل من الرجل والمرأة امانة الدين ، وهى اوكد امانات الحياة بل عمادها ، وجعل كلا منهما مسؤولا مسئولية خاصة عن تصحيح عقيدته وعبادته وخلقه وعمله ــ كما تدمنا فى بعض المقالات ــ فما لم يتعلم كل منهما أحكام العبادات ، وما يتضمن من روابط الصلة بالله ومناهج التهذيب .. وما لم يتعلم أصول العقائد ، وما تتضمن من فلسفة الحق ، وسنن الاجتماع ، وامهات الاخلاق ، وغايات الحياة ، ومبادىء السلوك ، ما لم يتعلم ذلك ، وكله من لباب العلم الذى تتضح به دقائق الكون ويبرأ المرء من شقوة الحس وظلمة المادية وقع فى اثم التقصير ، وعرض نفسه لمهانة التخلف فى الدنيا والآخرة ، والله تعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » وكلمة الذين شاملة للمؤمنين والمؤمنات بصفة قاطعة ، ولن يستطيع أحد منهم أو منهن أن يقى نفسه واهله النار الا اذا تعلم حق ربه وحق حياته ، ولا جرم كان التأهيل لذلك من حقه وحقها قبل المجتمع .

ذلك الى ان القرآن الكريم نظم العلاقة بين الزوجين على قاعدة من قوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » وهى قاعدة تذهب فيها المرأة بطائفة من الحقوق والواجبات ، ويذهب الرجل بمثلها ، فهل تنجح الحياة الزوجية دون معرفة تلك الحقوق والواجبات ؟

ان قانون (القوامية) وحده ــ مثلا ــ فى قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء » أو قانون السكن فى قوله « لتسكنوا اليها » يتطلب دراسات نفسية واجتماعية دقيقة لبيان مكانه من الحياة الزوجية وضرورته لها .. فاذا كان لذلك ونحوه أثره العملى فى التقارب الفكرى والوجدانى بين الزوجين ، فهو يعنينا من ناحية انه باب من المعرفة له أثره فى شحذ ملكات الفكر ، وتعدد جوانب النفس ، وجه الاسلام اليه كلا من الرجل والمرأة لتنظيم الحقوق والواجبات .

ويقول عليه السلام : « والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها » وهى مهمة متعددة الجوانب ، منها الاقتصادى ومنها الطبى ، ومنها الاجتماعى ، ومنها التربوى الفلسفى ، ومنها الادارى .. فكيف تسوس ــ مثلا ــ دخل زوجها وماله ؟ وهو موضوع نجرى فيه على الارتجال ، ونعتبر من ترتب لنفسها « ميزانية » شهرية ربة بيت مثلى ، بينما التخطيط المقتضب هو كالارتجال لا يدرك خطورة العامل الاقتصادى ، وارتباطه الحسى باستقرار الاسرة ومصيرها ، اذ هو العامل الاول الفاصل فى الاستقرار والمصير ، وتخطيطه الحق يقتضى اعتبارات وثقافات لا بد من تيسيرها وتوفيرها للمرأة لتسلم لها مسؤوليتها عن هذا الجانب ..

---

(١) رواه ابن ماجه .. وقال العراقى فى تخريج الاحياء : صحح بعض الائمة طرقه .

وكيف تسوس الطفل ؟.. ولا أعنى سياسته فى رضـــاعه ، وطعامه وشرابه ، ولباسه ونومه ومرضه فحسب ، بل اعنى الى ذلك سياسة عقـله وخلقه . فالطفل جهاز حى لاقط ــ بغير وعي ــ لكل ما يبدر منها من ســمات الفكر والخلق ، فكيف تجعل سلوكها سياسة تربوية مرتبة للايحاء بأقوم مناهج الفكر والخلق ؟..

ان مكانها منه وهو فى دور امتصاص الايحاء بلا حساب هو اخطر موقف يقومه انسان من انسان ، فكيف توحى اليه ــ وهو فى هذا الطور الخطير ــ افضل العقائد والقيم والسلوك ؟.. ان ذلك وحده يقتضى منها دراسات جادة متعددة الجوانب فى الدين ، والفلسفة ، وعلم النفس ــ ولا سيما الطفولة ــ والاخلاق ، والفن ، والاجتماع .. على الا تكون دراسات نظرية للتكمل بالمعرفة ، بل لتزكى نفسها وخصائصها ، وتترجمها التزامات تندمج فيها بفكرها ووجدانها ، حتى تحقق نموذج القدوة الكامل الذى يكون سلوكه صورة غير متكلفة كما يراد ايحاؤه للطفل .. ولا نطيل بمناقشـــة جوانب تلك المهمة ، فحسبنا ما قدمنا ، ولكنا بصدد مسئولية (ربة البيت) عن عامة اماناتها ، فان الاسلام لم يقرر تلك المسئولية الا وهو يقدر ، ما تقتضيه من الوان الثقافة والعلم ، ويفترض مسئولية المجتمع عن تيسير ذلك ، أما حقها فيه فمفروغ منه لا يحتاج الى تقرير .

هذا واعتبار المراة (ذات مسئولية) له اثره فى حياتها الفكرية والنفسية ، فان الاحساس بالمسئولية هو فى الواقع (احساس بالذات) وباعث الاستجابة الى الواجب ، ومن ثم فهو مناط الاحساس بالكرامة واهمية الوجود .. ذلك الى انه ينبه فيها جوانب غافلة او خاملة الى التزامات فى آفاق عدة ، فتدب فى نواحى النفس الوان من النشاط والحركة ، ويمتاز الفكر بتعدد جوانب النظر ، فهو اعتبار له اثره فى دعم الوجود واكتمال الشخصية ..

- ٣ -

على ضوء هذا يمكن ان نناقش مبررات عمل المراة بشىء من التحليل يبين ما فيها من اصالة او زيف متجردين من العصبية للقديم ، والهــوى للحديث ، معتمدين العقل والفطرة ، وسنن الله .

فأما ان عمل المراة ــ بصفة عامة ــ يوسع آفاقها .. الخ ، فحق لا تنازع فيه ، بل يجب أن نوفره لها .

والذين نظروا فى هذا المبرر ، استنبطوه من جهل المراة فى الجيل الماضى والاجيال السابقة له ، وبقاياه الماثلة بيننا الآن ، اذ لم يكن لها من الالمام بعلوم الحياة والدين ، والوان الثقافة والادب والفن ما ينير ذهنها ، ويصقل ذوقها ، ويصلها بآفاق من الحياة ، ويعرفها بقيمتها وحقها ، ورسالتها فى داخل البيت وخارجه ، فأورثها هذا الجهل ضيق المجال الحيوى ، والافق الذهنى وضمور الشخصية ، حتى لم يكن لها من قدر فى نفسها ــ غالبا ــ الا انها كائن للحمل

والولادة . وعمل البيت . في أسلوب آلي محجوب عن الاستنارة التي تنظم ذلك . وتتبين أهدافه السامية التي ينطوي عليها أو تستتر خلفه .

ومن المعروف ان وراء زوجية الجنس زوجيـــة اخرى روحيـــة ، ثمارها السكن ، والمودة والرحمـــة .. وان وراء الامومة التي هي مجرد حمل وولادة ورضاعة ، امومة اخرى روحية يبث الله بها في فطرة الولد ـــ جنينـــا وغير جنين ـــ استعدادا روحيا يعظم به قدر الوالدين ، وينبعث الى حبهما ، والمبادرة بخدمتهما وبرهما ، ويتبع ذلك في المجتمع من آثار وروابط سامية ما يتبعه .

وقررنا ايضا أن حقيقة وجودها هو انسانيتها ، التي تتضمن جوهر فضائل النفس والقيم العليا ، وان عليها رسالة في الاصلاح الاجتماعي والسياسي تحرس بها قيم المجتمع ، وتقوم سياسته في كل شأن من شئون الدولة .

وبينا ان طلب العلم ليس مجرد حق للمراة ، بل هو فريضة عليها يجب على المسئولين عنها ـــ وليها او المجتمع ممثلا في الدولة ـــ أن يمكنوها منه .. وان العلم المطلوب ، هو العلم بدينها وكل معرفة تنير ذهنها وتقوم ضميرها وتصلها بآفاق الحياة العامة ، وتبصرها بأصول مهمتها ..

قدرنا ذلك كله باعتباره بعض الخطوط الاصيلة التي ينظم بها الاسلام وضع المراة في الحياة .. ولا شك في انه لو جنب المجتمع الاسلامي عوامل الدمار والتخلف التي اعترضته في الماضي . واتيح له في كل عصر ان يقيم وضع المراة على تلك الاصول بقدر ما يتيسر له من ثقافة وعلم ، لكانت المراة المسلمة اليوم بين نساء العالم قاطبة مثالا فرداً لا يسامى . ولا يداني في كرامتها وثقافتها ، وعلو منزلتها وقيادتها . وعمق أثرها ووضوحه في الحياة . بمـــا تحقق داخل البيت وخارجه من اهداف وقيم سامية . ولكانت مضرب المثل . ومنار القدوة في الشرق والغرب .. فاذا كنا صادقين في نشدان العلاج الحق لما تعاني المراة من ضيق الذهن وضمور الشخصية ، وعزلة عن الحياة . وسأم من الفراغ . فان ما قدمنا من منهج الاســـلام الجامع يحقق فوق ما يدور بأحلام المصلحين من غايات وآمال ..

نعم ليس فيه ان تخرج المراة الى مصنع او بنك . او مؤسسة أو نحوها . ولكنا ننشد علاج علة . فاذا تيسر لنا ذلك العلاج على اوفاه وافضله مع اقامتها على شأنها الطبيعي . وواجبها نحو المجتمع فهو اولى ـــ بلا نزاع ـــ من أي علاج يقتضي تغييرا ما .. والا طلبنا غيره .

وهذا منهاج الاسلام يكفل لها ـــ بل يفرض عليها ـــ من الثقافة والعلم ما لا نجده في شريعة من الشرائع . ونحسب ذلك ليس موضع خلاف .. وعملها الاصلاحي والسياسي في حراسته قيم المجتمع وتنميتها ، وتقويم الاتجاه العام ، ومراقبة اداة الدولة ، كتابة ، وخطابة ، ومشاركة في الاندية ، والجماعات .

والمنظمات ، العاملة لذلك نيابية وغير نيابية .. وما تكسب فيه من خبرة ، وما تلقى من اجله من رجال ونساء من نماذج شتى ، ذوى مواهب وامزجة متباينة ، وتجارب كثيرة — ذلك كله جدير بأن يملأ فراغ نفسها ووقتها بمشاغل قيمة ، تشعرها بنفسة الحياة ، وبأنها فى نفسها ذات قدر واهمية ، ويوسع آفاقها وصلتها بالحياة ، وينمى مقومات شخصيتها ابين واقوم ما تكون ، على مثال لا يبلغه — قطعا — عملها فى ديوان أو نحوه ، فضلا عن اننا لا نجد من يقول : ان قيامها بطرق الحديد فى مصنع ، او لف البضاعة فى الورق للزبائن فى متجر ، او عرض الملابس فى المعارض والصالات او قبض اثمان المشتريات ، او نحوه هو اجدى من ذلك — عقلا ، وروحا واحساسا بالسعادة والأهمية — فى العلاج الذى ننشده .

ذلك الى ان قيام المراة فى بيت زوجها راعية لماله ، مدبرة لأمره ، مدركة لاهداف زوجيتها وأمومتها ، عاملة لها فى ثقافة وصدق ، كاف لملء الفراغ .. فراغ قلبها ، وعقلها ، ووقتها الذى تشكوه .. وقد يكون هذا مدعاة جدل اذا انفردنا بتقريره ، ولكن اذا قررته امراة مثقفة باملاء واقعها وتجربتها ، فهو تقرير من ذات اختصاص ادرى بمهام الأنثى وفطرتها عن وعى ، واجدر الا ترمى بالرجعية او عداء للمراة ..

فهذه كاتبة امريكية — فيليس ماكنجلى — تقول فى مقال لها بعنوان : « البيت مملكة المراة بدون منازع » « وهل نعد نحن النساء — بعد ان نلنا حرياتنا اخيرا — خائنات لجنسنا اذا ارتددنا لدورنا القديم فى البيوت ؟ » .

وتجيب على هذا السؤال بقولها : « ان لى آراء حاسمة فى هذه النقطة فاننى أصر على ان للنساء اكثر من حق فى البقاء كربات بيوت .. واننى اقدر مهنتنا واهميتها فى الحقل البشرى الى حد أدنى اراها كافية لأن تملأ الحياة والقلب (١) » .. فهذه كاتبة تتكلم باعتبارها امراة « هل نعد نحن النساء خائنات لجنسنا » « اننى أقدر مهنتنا فى الحقل البشرى » وهى مع ذلك غربية امريكية . اى من مجتمع أصبحت فيه المراة العاملة حقيقة من حقائقه . فهى تتكلم بلسان الانوثة والتجربة . ولهذين الاعتبارين وزنهما فى تأييد قولها اذا قالت : « ان مهمة ربة البيت فى الحقل البشرى كافية لأن تملأ فراغ الحياة والقلب » .

فاذا كان ثمة من يرى فى الاعتبار الاخير — بعد ذلك — موضع جدل له . فانا نعتقد انه لا جدال فى ان عمل المراة الاصلاحى والسياسى فى حراسة قيم المجتمع وتنميتها .. الخ .. على المثال الذى اوردنا . وبآثاره التى تتحقق به كاف لملء الوقت ، وعلاج آفة ضمور الذهن والشخصية .. اى كاف لزوال المبرر الاول من المبررات التى رتبوا عليها خروج المراة للعمل .

« للحديث بقية »

---

(١) مجلة المختار عدد مارس ١٩٦٥ .

موقف السلطان عبد الحميد من توطين اليهود في فلسطين

ورقات من تاريخ النكبة

٢

نعود الى حديث المحاولات اليهودية التى حدثنا عن بعضها الشيخ على شيخ العرب ، فنقول : ان التاريخ حفظ لنا محاولة أخرى تلت تلك التى قام بها السفير اليهودى (غوش) ، وسبقت تلك التى قام بها اليهود الوقحون الثلاثة ، وعلى رأسهم (مزراحى قراصوه افندى) وهذه المحاولة يحدثنا عنها الصحفى البريطانى (كريسبى) فى جريدة أقشام (المساء) التركية ، كما نقلتها جريدة « المعرض الاسبوعى » البيروتية فى عددها ١٩٣٦ المجلد العاشر ، فى كانون ثانى (يناير) ١٩٣٣ ص ١٩ قالت الجريدة :

« ارسل المسيو « كريسبى » الى جريدة « أقشام » التركية مقالا حول القضية الصهيونية ، بمناسبة الحوادث الأخيرة التى مرت بفلسطين ، ومما جاء فى هذا الحديث بتاريخ ٢٩ تشرين الأول سنة ١٩٣٠ هذه الفقرات التى ننقلها فيما يلى الى قراء المعرض ، والتى يشير فيها الكاتب الى حادث وقع خلال سنتى ١٩٠٠ — ١٩٠١ قال :

(.. كان الدكتور هرتزل فى ذلك العهد رئيس تحرير القسم الأدبى فى جريدة (نيوفرى) فى فينا ، فأرادنى أن أسعى له فى مقابلة السلطان عبد الحميد ، بعد أن بسط لى بحزن شديد كيف أن غليوم (امبراطور المانيا) والبرنس دو بيلوف خدعاه لما رافقهما فى رحلة الامبراطور الى فلسطين . فقد وعده هذا الأخير أن

يقدمه الى السلطان . فلما وصلوا الى الآستانة اكتفى البرنس بأن عرفه الى عزت باشا (العابد) . الذى ما كاد يسمع القضية الصهيونية حتى غرق فى بحر من اللذات ، ووجد انها مزراب من الذهب (سبق لهذا الشخص ان ارتشى بمبلغ مليون فرنك لاقناع الدولة بالتنازل عن كريت دون حرب) . وقد قبلت ان أهتم شخصيا بقضية الدكتور هرتزل ومطالبه ، خصوصا وأن هذه المطالب لم تكن تعاكس المساعى التى كنت أقوم بها يومئذ .

وبدات بكل شجاعة عملى ، فاصطدمت بالبداية بصعوبات خفية ، ولولا مساعدة شيخ الاسلام (جمال الدين أفندى) ، « وكنت على صلة دائمة به » ، لفقدت كل أمل بنجاح مساعى ، فان هذا الشيخ اخذ على نفسه مهمة رفع كتابات الدكتور (هرتزل) وتقدماته الى الأعتاب السلطانية ، وكانت هذه التقدمات (الاقتراحات والعروض) باهرة واليك بيانها :

هرتزل يقول : ان الصهيونيين يتعهدون لقاء نزول اليهود المضطهدين فى أنحاء العالم بفلسطين ، أن يدفعوا الدين العثمانى البالغ (اذا لم تخني الذاكرة ٣٣ مليون ليرة انكليزية) ، ويتعهدون كذلك ببناء اسطول كامل للدفاع عن أراضى الدولة العلية .

وفى هذه الأثناء قبل ان يعقد للدولة التركية قرضا بمبلغ مائة مليون فرنك تصرف فى سبيل التسليح العام .. ولكن هذه .. حبطت ولم تنجح ! ..) انتهى .

والذى كتبه مستر كريسبى فى هذه المذكرات هو فى الواقع تتمة لما كان يبذله هرتزل شخصيا لمواجهة السلطان عبد الحميد ، والتقدم اليه بمقترحاته الخداعة ، توصلا الى تحقيق غايات اليهودية العالمية بالاراضى المقدسة . وها نحن نقدم للقارىء ما كتبه هرتزل نفسه فى مذكراته التى طبعت بالالمانية فى تل ابيب سنة ١٩٣٤ ميلادية حول هذا الموضوع الذى اثاره مسيو كريسبى بعد الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) قال هرتزل :

(بعث السلطان الى وساما عالى الدرجة ومع الوسام جواب مفزع فى هذه العبارة :

« بلغوا الدكتور هرتزل الا يبذل بعد اليوم شيئا من المحاولة فى هذا الأمر (التوطن بفلسطين) فانى لست مستعدا لأن اتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب الى الغير . فالبلاد ليست ملكى بل هى ملك شعبى ، روى ترابها بدمائه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب ..) ا. هـ.

ان مذكرات هرتزل لا تحتمل المناقشة فيما تضمنته من راى الدولة العثمانية ، وموقف السلطان عبد الحميد بالذات من محاولات اليهود ومشروعاتهم ، لاغتصاب فلسطين ، وتهويدها وتبديد سكانها وتدمير مقدساتها ! .

وأخيرا تمكن اليهود من غرز أظافر أطماعهم في قلب فلسطين . بعد أن ازاحوا من دربهم العائق الرئيسي الذي كان متمثلا بيقظة السلطان عبد الحميد ، وانتباهه الى اساليبهم المجبولة بالمكر والخداع والتضليل .

وباعلان الدستور (المشروطة) . ثم زوال الحكم من يد السلطان عبد الحميد ، فتحت مصاريع ابواب فلسطين أمام تدفق اليهود ، وتقول مجلة الكلمة في عددها الصادر بتشرين ١٩١١ ص ٤٢٣ التي نقلتها مجلةالمشرق المجلد ١٥ سنة ١٩١٢ ، ص ٨٠ .

« ان الدستور العثماني .. منح اليهود حق المساواة ، فلم يلبث اليهود في تركيا ان اخذوا يظهرون للملأ ماذا يصنعون بهذه المساواة

فقبل كل شيء انسلوا الى الوظائف العالية في المملكة ، ثم لم يمض وقت طويل حتى ظهر ان مديري دفة جمعية (تركيا الفتاة) هم يهود .. وبوجه الاجمال فان اعلان الدستور في تركيا قد ملأ قلوب بني اسرائيل اجمعين فرحا عظيما ، واخذوا بواسطة اعوانهم يثيرون كوامن البغضاء بين الأتراك المسلمين ، وبين سائر الشعوب المسيحية في المملكة العثمانية .. ومما يؤكد هذه الحقيقة أن جريدة (التايمس) الانكليزية ، احدى الجرائد المشهورة عمالتها لليهود ، رأت أن تذكر اليهود بالدور الذي لعبوه في تهييج النصارى ضد الاسلام »

« على أن تظاهرهم بنياتهم اليهودية لم يلبث ان اهاج سكان فلسطين ، ولاسيما المسلمين ، ضد الدولة العثمانية وخصوصا ضد تركيا الفتاة التي امست من جراء استسلامها لليهود مكروهة في أكثر أنحاء المملكة العثمانية .. » ا. هـ.

وفي معرض الحديث عن تأييد (جمعية الاتحاد والترقي) لليهود في بلوغ مـ بهم داخل الحكومة العثمانية للوصول الى مآربهم داخل فلسطين منذ تلك الأيام ، يقول عارف العارف في كتابه : (المفصل في تاريخ القدس ج.١.ص ٩٩) :

اندس عدد غير قليل من الدونمة (الذين سبقت منا الاشارة الى اصلهم ومنشأهم (١)) في حكومة الاتحاد والترقي امثال (جاويد بك) وزير المالية من سلانيك . بساريا افندي وزير النافعة من رومانيا ، ونسيم مازلياخ وزير التجارة والزراعة ، وكان ممثلا للجمعية الصهيونية ، وحسين جاهد (باتيش) رئيس تحرير جريدة طنين التركية ، فتغلغل هؤلاء في اداة الحكم حتى اصبحت كلمتهم هي العليا .. وعن طريقهم وغيرهم من رجال الاتحاد والترقي ، سنت الحكومة قانونا يجيز للجمعيات ان تمتلك الاراضي في فلسطين ، وسنت ايضا قانونا آخر ، اجازت بموجبه بيع المزارع السلطانية (الجفتلك ، وكانت مسجلة باسم السلطان عبد الحمد وهي كثيرة) بالمزاد العلني . وعن طريق هذه القوانين وامثالها تمكن الصهيونيون من شراء اراضي فلسطين قبل وقوع الحرب العالمية الاولى ..) ا.هـ .

وقبيل الانتهاء من تسجيل هذه الخاطرات عن البصمات الاولى لمخالب اليهود وأنيابهم في زحفهم المتوحش نحو فلسطين ، نرى أن

(١) هم اليهود الذين تستروا بالدخول في الاسلام .

نرجع بالقلم الى ما سمعناه من الشيخ على شيخ العرب عن ذكرياته خلال الحرب العالمية الاولى فيما يتصل بموضوعنا ، فهو يقول بارك الله له فى صحته وعمره :

(سنة ١٩١٦ ، خلال الحرب العالمية الأولى ، كنت فى جبهة بئر السبع مع القائد الألمانى (فون كريس) وجاءت شكوى من يهود يافا على قائد المنطقة المرحوم حسن بك الجابى ، فأرسلنى الجنرال (فون كريس) الى يافا للتحقيق فى شكوى اليهود على هذا القائد .

فذهبت ، ونزلت ضيفا على السيد على افندى المستقيم من اعيان يافا . وسألت مضيفى وغيره عن حالة حسن بك الجابى ، وعلمت ان عداوة حسن بك لليهود اسبابها علمه بخيانتهم وتجسسهم لدولة الانجليز ، واعطائهم المعلومات للانكليز عن طريق شريف مكة من نواحى العقبة .

وذهبت مع حسن بك الجابى الى تل أبيب ، فوجدتها حيا مستجدا فيه كثير ممن جاء بعد سنة ١٩١٠ م اى فى فترة أربع سنوات قبل اعلان الحرب وتحقق عندى أن مجموع اليهود بفلسطين بعد أن كان فى عهد عبد الحميد بين أربعين الى خمسين الفا اصبح الآن فوق الثمانين الفا .

وعدت الى بئر السبع ، وقدمت تقريرا الى (فون كريس) وكتبت فى التقرير أن شكوى اليهود من حسن بك الجابى اسبابها احتكارهم لأسباب المعيشة . ولم اذكر (لفون كريس) شيئا عن تجسس اليهود واعمالهم الحقيقية ، وذلك بالاتفاق مع رئيس الأركان الحربية التركى (رشدى بك ثم باشا) الذى يعلم بأن القطعات الالمانية عندها يهود يقومون بأعمال الترجمة بين الألمان والأتراك والعرب ، وانهم يشغلون وظائفهم التى تمكنهم من الاطلاع على الأسرار للتجسس على حركة الجيوش العثمانية فى جبهة سيناء ، ويرسلون ما يحصلون عليه من المعلومات الى الانجليز » .

اما بعد . .

فلقد لعبت سياط سبتيموس سفيروس (الليبى الذى تزوج عربية من حمص اسمها جولياد منة ، ثم اعتلى عرش روما على اثر انقلاب تام به ضد سلفه) فى اقفية اليهود سنة ١٣٥ للميلاد ، فغادروا القدس الشريف ، ولم يكونوا يدخلون هذا البلد الا حينما يتوجهون الى حائط المبكى (البراق الشريف) ويدندنون قائلين مع البكاء والنحيب والأمل واليأس بالعبرانية :

(من اجل القصر الذى اصبح خاليا ، نجلس فى الوحدة وننوح) .
(ومن اجل القصر الذى هدم) .
« ومن اجل عظمتنا الراحلة »
ومن اجل رجالنا العظام المائتين
ومن اجل الحجارة الثمينة التى احرقت .
ومن اجل ملوكنا الذين كرموه

نتضرع اليك ، كن رحوما بصهيون
اجمع شمل أبناء أورشليم
عجل الينا يا مخلص صهيون
انزل رحمتك فى قلب أورشليم
فلتكلل صهيون بالمجد والجمال
واعد الينا مملكة صهيون حالا
وامنح العزاء الى النائحين على أورشليم » .

« البقية على ص : ٤٨ »

شمس الحقيقة

اســــــقيانى وأترعـــا اكوابى ودعــــانى فذاك يوم متـــابى
اســـــقيانى فان ســـكرت فزيدوا ان صـــــحوى بان تزيدوا شرابى
كل كاس كانمـــا نحتـــــوها من قلوب العبــــاد فى المحـــراب
احتسى راحهـــا وانسى لديهـــا نســــبا قام لى بهـــذا التراب
وارانى ارف الافق العـــــالى رفيف الورود غب الســـــحاب
وارى الشـــــمس خير ما لاحت الشمس تبث الضياء فى اعصـابى
ما هدت مقتلى الى ســـنن الحق ولـــكن هـــدت عصى رغـابى

* * *

ايه يا شمس نحن عشــاقك الهيم فبينى ولو وراء نقـــــــــاب
هل ســمعت القصيد الا نســـيبا فى ســـناك المطهر المســـتطاب
غــزلا للهـــوى به ومضــــات مثل ومض الضحى على الاعشـــاب
نقطع اللـــيل فى رجاوة لقيـــاك وندعـــو بابعـــد الاســـباب
وكان السماء تصـــغى الى النجوى وصـــمت النجـوم جد عجـــاب
وكان الصـــبا تراوح منهـــا خفقـــات ملأن افـق الروابى
ما لهذا الظـــلام يفهم نجـــواى ويبـــدو كانه متغـــاب ؟
اسقيانى من خمرة الامل المنشـــود فى منزه فســـيح الرحـــاب
اســـقيانى فان ظفـرت بسر فســـكوتى عن الجـواب جوابى
التمست الرضـا فلا باس ان القاه بين الســـهود والاوصـــاب
ورجـــوت الذى تذوق بـــه روحى ســــلافا تســـمو على الاعنـــاب
ونشـــدت الهـــوى يظلل احلامى فياســــو براحـــة الحب ما بى

روحية

للاستاذ الشاعر :
العوضي الوكيل

الى حبيب الله

لك يا حبيب الله خـــير تحـــية — وعلى سـناك من القلوب ســلام
فاءت اليك الروح بعـد ضـلالها — وهفت الى انوارك الاحــلام
مثل الشـجاعة والبطولة والحجا — والحــزم .. لو يتـدبر الاقوام
جاهدت فى الرحمن حق جهـاده — فســما بعز جهادك الاســلام

* * *

ولقـد دعانى نحو أرضـك هاتف — عـذب الهتـاف كانه انغـام
تتلهف الاشـــواق بين جوانحى — ويمر عــام بالرجـاء وعــام
ويـكاد يعصرنى الحنين لروضـة — فيهـا الحجـيج الى ثراك زحام
يا نعمة الله الـكريم لخلـقه — بى لهفة مشـبوبة وهيــام
ان همت فى هـذا الجلال وقدسه — وبهــاه فالعشــاق قبلى هاموا
لم امتــدح يوما ســواك وانه — ابدا لشدوى فى الزمان وســام

* * *

يا رب بالهـادى الامين وبالـكتاب — القـدس قد عـزت به الايام
صـلنا بحبلك انه الحـبل الذى — لا يعـتريه على الزمان فصـام
وابعث لنـا من نور وجهك رحمة — تسقى كما ســقت الرياض غمام
وامســح جراحات النفوس براحة — جرح النفـوس بلمسـها يلتام

الطريق إلى مجتمع عصري

للأستاذ : محمد جلال كشك

عندما روعت الجماهير العربية بالخامس من يونية .. وما جرى فيه ، ذلك الذى وصفته صحيفة كبرى بأنه نصر حققته اسرائيل ، نصر لم يسبق له مثيل فى التاريخ .. ولا يمكن أن يجود الزمان بمثله فى مستقبل الأيام ..

وعندما أطلت الجماهير العربية على جيش أذلاء الأرض يعربد كيف شاء فى أرض ثلاث دول عربية ، تعدادها يصل الى عشرين ضعفا من تعداد اسرائيل ..

عندما روعت بهذا الذى فاق كل تخيل وتخطى كل تحليل .. كان من الطبيعى أن تفتش عن جواب وأن تتساءل عن تفسير لهذه القارعة ! .

وعرفت الجماهير الجواب .. بفطرتها الصادقة ، وغريزتها التى لا تخطىء .. فأمتنا لا تجمع على باطل ابدا .. شهد لها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تثبت النظريات وعبرة التاريخ ، وقبل أن يكتشف دعاة الديموقراطية أن الشعوب على حق دائما ..

أعلنت الأمة رأيها واضحا لا غموض فيه ، عندما صفقت وهتفت للاشارة الى القيم الدينية فى احتفال ٢٣ يوليو الأخير ، تصفيقا من نبضات القلب وصحوة الضمير ومرارة عجز القادرين على التمام ..

ان هذه الاشارة التى نبهت كل من كان له عقل يفقه به ، قد أكدت أن فطرة الجماهير سليمة ، وأن مؤامرات التشويه والافساد التى تكالبت عليها بتحريض الاستعمار والصهيونية وتمويلهما وتدريبهما وتدبيرهما .. قد باءت بالفشل ، فلم تفسد غرائز الجماهير ، ولا شوهت فطرتها ، فما زالت مسلمة مؤمنة صادقة فى اسلامها ، واعية بما يدبر لها ، تهفو بقلبها لمن يستصرخ اسلامها .. لمن يعرف أن الطريق الوحيد للخلاص يبدأ بقولة : لا اله الا الله محمد رسول الله ..

ولكن .. ذلك الذى حدث فى الخامس من يونية .. لم يكن مصادفة ، وان كان أعجب من المصادفة ، ولا كان ضربة حظ جاءت عفوا ، وان فاقت كما قال الاسرائيليون أقصى أحلامهم .. وما كان بالحادث العارض ، الذى أفضت اليه أحداث الأيام أو حتى الاسابيع والشهور التى سبقته .. بل هو يوم موقوت ، وحلقة جاءت فى موضعها الذى رسم لها ، ضمن سلسلة طويلة من الأحداث ، نفذ بعضها ، ويعد لتنفيذ بعضها الآخر .. من أجل مخطط رسم له واعده شر استعمار عرفته الدنيا .. استعمار الرأسمالية اليهودية العالمية التى تسمى

للسيطرة على العالم ، من خلال السيطرة على الوطن العربى ، قلب الـــكرة الأرضية ومركز السيطرة الاستراتيجى على العالم ..

ولكى يأخذ الخامس من يونية مكانه المرتجى ضمن هذا المخطط فلا بد أن يتحقق هدفان :

● أن تزيف على الأمة العربية عبرة هذا الحدث ، فتمنع بكل وســائل التضليل من استخلاص الجواب الصحيح الذى يمكنها من مواجهة التحــدى المصيرى الذى تكشف فى ذلك اليوم المشئوم ..

● أن يدلس على الأمة العربية ، فتقدم لها تفاسير مضللة ، لكى تســاق الأمة العربية فى متاهات جديدة من الضـــلال تجرها الى خامس جديد ، والى العديد من ذلك .. حتى يبلغ المخطط الصهيونى غايته ..

ولا شك أن أعداء أمتنا قد روعهم اكتشاف الجماهير واعلانها أن الحل هو الدين .. لذلك فقد سارعوا بما يملكون من وسائل دعاية وتضليل الى تزييف التفسيرات .. وسرعان ما سقط بعض المخلصين .. وغيرهم فى شراك هذه التفسيرات .. فسمعنا بحكاية المجتمع العصرى .. وضرورة أن نصبح مجتمعا عصريا ان شئنا أن نغلب اسرائيل ، وأن الهزيمة ترجع الى اختلاف مســتوى التعليم بين العرب واسرائيل ! ..

لم تكن محتومة !

وأول ما يتبادر الى الذهن ، انه بطرح القضية على هذا المستوى ، يعنى أننا نحول الهزيمة الى قانون طبيعى ، ما من سبيل الى تفاديه ، وأن هذا القانون سيظل يعمل لفترة طويلة من الزمن ، حتى نصبح مجتمعا متحضرا عصريا .. والقضاء على الأمية ، مجرد محو الأمية فى الوطن العربى ، يحتاج لعشرين عاما على الأقل .. فما بالك ببناء مجتمع عصرى فى مستوى أوروبا وأمريكا ؟ !

هذا التفسير (المجتمع العصرى ؟ !) يجعل من الهزيمة قدرا محتـــوما ويحمل التخلف وحده مسئولية ما جرى .. وانتظروا يا عرب حتى يســـوق الدبابة مهندس ! ..

بل بالعقيدة

والخطورة الحقيقية فى هذا التفسير ، تكمن فى أنه يحاول أن يضـــلل الجماهير عن القضية الرئيسية ، قضية العقيدة .. الدين ..

فليس ثمة خلاف على أهمية الآلات ، ولا أظن أن مجتمعا من المجتمعات لا يعرف أهمية أن تكون لديه طائرات ودبابات من أحدث طراز ، حتى ولو لم يبذل أى جهد فى امتلاكها .. وشهد الله وشهد التاريخ أن الجماهير ما بخلت بشىء فى سبيل أن تمتلك ، وما رفضت يوما أن تتعلم ..

ولا نظن أن الجنس البشرى بحاجة الى من يعلمه فضل التــكنولوجيا ، وأهمية المخترعات الحديثة .. وليس فى العرب اليوم من يفضـــل الحمار على السيارة .. أو (لمبة الغاز) على المصباح الكهربائى .. ولو كان لثوار فيتنام من سبيل الى قنبلة ذرية .. لدفعوا فيها ملايين من أرواح شعبهم ..

لماذا اذن هذا الجدل ؟ وأين هو الكشف المبقرى الذى اكتشفوه .. وهل كنا بحاجة الى مثل هزيمة ٥ يونية لنكتشف أهمية العلم ؟

وما الذى حال بيننا وبين « العصرية » طوال هذه السنوات ؟ وهل عرفنا

من العصرية ، الا منع الطلاق وتعدد الزوجات ، وانشـــاء الفرق الراقصة ، والهوس فى النقاش حول الاختلاط فى المدارس كأنها قضية مصيرية ؟ !

لماذا لم ننتبه الى أن « المجتمع العصرى » فى اسرائيل الذى اكتشــفوه فجأة ، يحرم الزواج المدنى ، وتلقى الجماهير فيه الأحجـار على من يعمل يوم السبت .. لماذا لم ينتبهوا وهم ينشرون ساخرين فى الصحف المبرية هذا الخبر الذى انقله بحروفه من جريدة عربية :

(العقيدة اليهودية

(فى جنازة تشرشل !

(لندن ـــ ا.ب ..

اضطر شازار رئيس جمهورية اسرائيل (٧٦) سنة وبن جوريون (٧٨ سنة) الى السير مشيا على الأقدام مسافة ميل ونصف ميل ، وذلك اثناء تشييع جنازة تشرشل أمس الاول حيث وافق اليوم الذى تحرم فيه الديانة اليهودية على اليهود استخدام وسائل النقل ..)

الصحيفة اكتفت بوضع علامة تعجب .. ربما من قلة « العصرية » فى زعماء اسرائيل .. والى الآن لم يحاول أحد أن يفسر لنا هــذا اللغز .. كيف يكون هؤلاء الزعماء غير العصريين ، المتدينين ، يديرون مثل هــذا المجتمع العصرى ؟ ! ولماذا كتب علينا وحدنا أن نتنكر لديننا ان شئنا ان نصبح عصريين ؟

هل ديننا من طراز أقدم من اليهودية .. يا أولى الألباب ! ..

لا .. بل لأن الذين وضعوا المؤامرة الصهيونية قد عرفوا ومنذ سنوات إن « شعب اسرائيل » لم يحافظ على السبت فحسب ، بل ان الســبت هو الذى حافظ على شعب اسرائيل (١) .

وما دام البعض قد اختار ان يتعلم من اسرائيل .. فلماذا لا يحســنون الاختيار ..

لقد تحدث بن جوريون اخيرا عن دروس الخامس من يونية ، فماذا قال ؟

« لقد كان من نصيب شعبنا دائما أن يقف كاقلية امام الاكثرية ، ولذلك ذكر انبياؤنا (لم يخجل بن جوريون من الاستشهاد بأنبياء بنى اسرائيل .. ولا يرى فى ذلك ما يتنافى مع العصرية !) **منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة .. « انكم اقل الشعوب جميعا » .. ولذلك يجب على شعب اسرائيل أن يكون شــعب قدرات وتفوق من الناحية الروحية ، بحيث يستطيع ان يقف بعظمته امام شعوب اكبر منه ، وبدون التفوق الروحى لم يكن شعبنا يستطيع ان يبقى الفى سنة ، ولا استطاع احياء وطنه » .**

هــذا ما قاله بن جوريون .. فهل يعنى ذلك أن بن جوريون ، درويش مجذوب ؟ .. وهل صحيح أن اسرائيل بعد الحرب لم تستورد طائرات ومدافع ودبابات ؟ .. هل اوقفت اسرائيل التعليم وعكفت على تلاوة التوراة عند حائط المبكى تنشد التابوت الذى ضاع ! ..

لا .. بن جوريون سفاح أشر ، يعرف جيدا أهمية المدافع والصواريخ .. وضرورة ضرب مدرجات الطيران قبل ضرب الطائرات ، ولا يترك صــغيرة فى التقدم العلمى الا استغلها ، ولكنه أيضا .. بل واولا ـــ يعرف كيف تأتى المدافع والصواريخ .. وكيف تنطلق فتصيب .. وبماذا تنتصر ؟ ! .. يعرف أنها تنتصر بالقيم الروحية وحدها ..

بالايمان يدفع اليهودي ويتبرع .. ويخترع ، ويسرق الاختراعات .. ويتحمس ويموت .. وبالايمان يقاتل ..

---

(١) من كلمات « آحادها عام » فيلسوف يهودى وصهيونى ١٨٩٨ .

وما ابشع أن يصدف الناس عن اللحم الطازج ويعكفون على مضغ المنتن ! ..
ما اعجب أن تعمى قلوبنا عن تاريخنا ، فلا نستخلص منه العبرة والتجربة .
فعندما خرج الحفاة العراة ، رعاة الشاء من الجزيرة العربية يدكون ملك كسرى ، ويجبرون قيصر على القاء نظرة كسيرة على سوريا ، وهو يقول : وداعا يا سوريا .. وداعا لا لقاء بعده ..
هل كان العرب متفـــوقين تكنولوجيا على فارس وروما .. ؟ ! هل كان المجتمع الاســـلامى بالمقاييس المادية أكثر عصرية وتمدينا من المجتمع الرومانى بكل حضـــارته وعلمه ومدنيته ؟ . أم كان أكثر تقدما وتفوقا على عرش فارس ومدنية الفرس ، وعلم الفرس ، وصناعة الفرس ؟ ..
لا .. فالعربى الذى أسر ابنة كسرى ، افتدوها منه ، فطلب ألف درهم ! .. قالوا لو طلبت مائة ألف لدفعنا .. رد العربى المنتصر .. كنت أحسب أن الألف نهاية العدد !
وحكى عبيد بن جحش السلمى ، قال : (لقد رأيتنا وانا لنطأ على ظهور الرجال ، من جيش الفرس ، ما مسهم سلاح ، قتل بعضهم بعضا ، ولقد رأيتنا اصبنا جرابا من كافور ، فحسبناه ملحا لا نشك انه ملح ، فطبخنا لحما ، فجعلنا نلقيه فى القـــدر فلا نجد له طعما ، فمر بنا رجل معه قميص فقـــال يا معشر العرب ، لا تفسدوا طعامكم فان ملح هذه الأرض لا خير فيه ، هل لكم أن تأخذوا هذا القميص ؟ فأخذناه منه واعطيناه منا رجلا يلبسه . فجعلنا نطيف به ونعجب منه ، **فلما عرفنا الثياب** (تأمل) ! ، اذا ثمن ذلك القميص درهمان) .
بهؤلاء الذين لا يعرفون فى العـــدد أكثر من الف .. والذين لا يعرفون الكافور من الملح .. والذين ما كانوا قد عرفوا بعد الثياب .. انتصر الاسلام ، ودك ملك كسرى ، وانتشروا يحكمون الأرض من البحر الأبيض المتوسط الـــى اواسط آسيا .. أفكان نسبة هؤلاء للحضارات العريقة المحيطة بهم .. أقرب من نسبة الفلاح العربى للجندى الاسرائيلى ؟ ..
فلماذا انتصر هؤلاء .. وعجزنا نحن ؟ . لأن العـــرب الأوائل كان معهم الايمان .. فقهروا به الدنيا ..
لقد فاجأهم الفرس بسلاح ما عرفوه ولا جربوه .. الفيل .. حتى أنه لما جىء به الى المدينة بعد ذلك .. طافت به النسوة متعجبات ، وهن يقلن (هذا من صنع الفرس) !! ولم يصدقن انه من مخلوقات الله ! .. ظنوه آلة او حيلة فارسية ؟ ! .
ومع ذلك لم يجبنوا ولا فروا أمام الفيل ..
يروى الطبرى (ولما رأى سعد الفيلة تفرق بين الـــكتائب ، أرســـل الى اولئك المسلمة واصحابهم من الفرس الذين اسلموا فدخلوا عليه ، فســـألهم عن الفيلة ، هل لها مقاتل ؟ فقالوا نعم ، المشافر ، والعيون لا ينتفع بها بعدها .. فأرسل الى القعقاع وعاصم ابنى عمرو : اكفيانى الأبيض ، وكانت كلها آلفة له ، فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمين لينين ودبافى خيل ورجل فقالا : اكتنفوه لتحيروه ، وهما مع القوم ، فلما خالطوهما اكتنفوهما ، فنظر كل واحد منهما يمنة ويسرة ، وهما يريدان ان يتخبطا والفيل متشـــاغل بمن حوله ، فوضعا رمحيهما معا فى عينى الفيل الأبيض ، فقبع ونفض رأسه ، فطرح سائسه ، ودلى مشـــفره فنفخه القعقـــاع ، فرمى به ، ووقع لجنبه ، فقتلوا من كان عليه .. » .
ما الذى يدفع القعقـــاع وعاصم الى مواجهة الفيل الذى ما عرفوه ولا قاتلوه .. بالرماح .. وكيف تقوى أعصابهما الى حد أن يضعا معا وفى وقت

واحد الرمح فى عينى الفيل ! .. وفوقه عشرون مقاتلا ؟ ! ، وما الذى يجعل القعقاع وعاصم اليوم يغادران دبابة زنة ستين طنا من الصلب لو آوى اليها ابن نوح لعصمته من الماء والنار .. الا من أمر الله ..

لماذا .. لأن قعقاع الأمس كان يملأ قلبه الايمـــان فقهر ايمانه الفيل .. وقعقاع اليوم بلا عقيدة .. ولو استتر بألف طن من الصـــلب لما حمته ولا أمن لها .

كانت روما سيدة البحار بلا منازع ، وكان البحر الأبيض بحيرة رومانية حقا وصدقا .. من سيطرة كاملة على الشـــواطىء جميعها الى التفرد بامتلاك الأسطول الوحيد العامل فى هذه المياه .. وعمر بن الخطاب .. قاهر روما .. لم ير البحر ، ولا ركب سفينة فى حياته .. بل يطلب من فصـــيح أن يصف له البحر ، فيصفه بعبارات بليغة ، تفزع عمر رضى الله عنه ، شفقة على رعيته .. فيقسم الا يحمل المسلمين عليه أبدا ..

ومع ذلك طردت روما ، من شواطىء البحر الأبيض .. وما تــكاد تمضي سنوات ، حتى يكون للمسلمين الأسطول الأقوى ، وحتى ينزلوا بروما هزيمة بحرية ساحقة فى موقعة ذات الصوارى التى لا تقل اهمية عن موقعة الارمادا .

ماذا كان يملك العرب .. لا شىء سوى العقيدة « التفوق الروحى » .. الاحساس بأنهم يقاتلون من اجل قيم افضل ، ونظرة للوجود .. للانسان .. للحياة .. افضل من نظرة خصمهم وأحق بأن تنصر ..

انظر الى قيصر يرسل جاسوسا الى معســـكر المســـلمين يتجسس له ليعرف سر انتصار هؤلاء الحفاة الذين صبروا عليهم فى حصـــار حمص وقالوا هؤلاء الحفاة اذا جاء الشتاء .. تجمدت اقدامهم وانهزموا .. فما راعهم الا أنهم أكثر ثباتا على الصقيع منهم فى نعالهم الثقيلة وملابسهم الغليظة ! ..

يروى الطبرى نقلا عن شيوخه .. أن قيصر بعث جاســـوسه فعاد اليه بصفة المسلمين قال : « بالليل رهبان .. وبالنهار فرســـان .. ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رجم ، لاقامة الحق فيهم » .

لا أريد أن اناقش الجانب التاريخى من الواقعة ، فربما بعث قيصر ، وربما لم يبعث ، ولكن القصة تعكس فهم المسلمين لسر انتصارهم .. انه أبدا ليس التفوق التكنولوجى .. بل التفوق الروحى ..

بالعقيدة .. بها انتصروا .. وتعلموا .. وصنعوا واخترعوا .. واثروا التاريخ البشرى ..

نقطة البدء فى كل حضارة هى .. العقيدة .. هى القيم الموجهة للجماهير .. هى الأفكار التى توجه سلوك قيادتها ..

والذين تسمموا بالغزو الفكرى ، يظنون انه مما يتنافى مع التقدم الآلى ان يتمسك المرء بدينه .. ناسين ان الباب المفضى الى المخابرات الامريكية منقوش عليه آية من الانجيل (١) .. وأن أول دبابة اسرائيلية دخلت سيناء كانت تحمل نصا من التوراة ! ..

يستخلصون لنا من أحداث الخامس من يونية .. عبرة التكنولوجيا .. ثم لا يتساءلون ما الذى جعل هذا المجتمع الذى يضم أخلاط الشعوب أكثر وحدة وأكثر تماسكا واكثر اصرارا على الباطل ، وأكثر قدرة على انجاز التكنولوجيا والتفوق الآلى ..

لأن شازار وبن جوريون يرفضان ركوب سيارة فى لندن يوم السبت لأنه محرم فى الديانة اليهودية !

---

(١) من كتاب الحكومة الخفية .

وعندما اقترح أحدهم يوم الثامن من يونية ان يلغى الاحتفال بالمولد النبوى حتى لا يتعطل المجهود الحربى .. ! صحيح أن اقتراحه قد رفض ، ولكن مجرد الاقتراح يكشف طبيعة التفكير العصرى الذى قادنا الى ما صرنا اليه ..

ويقول مؤسسو الصهيونية :

« الحياة الدينية اليهودية هى دون سواها سر خلود اسرائيل ، وسيظل اسرائيل خالدا طالما بقى متعلقا بالتوراة ، فاذا هجر اسرائيل التوراة ، اندثر تاريخه فى رمال الصحراء ولو ظل مقيما فى أرضه وبلاده » .

ويقول شختر « ان نهضة اسرائيل القومية واحياء الدين اليهودى أمران لا ينفصلان » .

ونحن تركنا من يتطاول على قرآننا ، وأمكن أن يطبع فى بلد عربى مقال فيه سب لله سبحانه وتعالى قبيل النكسة بأيام ! ..

العصريون فى بلادنا كانت لا تشغلهم مشكلة مثل مشكلة اللغة العربية ، اللغة الحية العريقة ، التى تنفرد وحدها دون لغات العالم أجمع باتصالها الثقافى .. فأنا أقرأ وأنقل لكم من كتاب الطبرى عبر ألف سنة أو تزيد ! .. ما تغير فيه حرف ، ولا صعب علينا فهم جملة ! .. أمة بهذا الاستمرار وهذا الاتصال ، تجعل لغتها هدفا للسخرية ، ومحاولات العامية ، وادعاء صعوبتها وتخلفها ..

أما فى اسرائيل فهم يقولون : « طالما سنظل يهودا وطالما سننادى بأن التوراة كتابنا يجب أن نقدس اللغة التى كتبت بها تقديسا لا حد له » .

« الذين يبعدوننا عن اللغة العبرية يضمرون الشر لشعبنا ومجده الخالد (١) » .

اسرائيل احيت من الحفريات ، لغة انقرضت منذ ٢٠٠٠ سنة ، وسمت كل منشآتها بها .. « كنيست .. كيبوتيزم .. هستدروت » كل المصطلحات التى لم تسمع بها العبرية قبل أن تختفى من الحياة ، نحتت لها الألفاظ العبرية ، بل وتشترط اسرائيل على كل مهاجر اليها أن يتخلى عن اسمه القديم ويتخذ اسما عبريا أو « يعبرن » اسمه ..

وشمويل يوسف عجنون ، يكتب بالعبرية ويصفها بأنها لغة الله .. ويتقدم بها للحصول على جائزة نوبل ويفوز بها ..

هل حالت العبرية التى تدرس بها اسرائيل فى معاهدها دون دراسة الطب والذرة والصواريخ ومعادلات الشفرة وحلها ؟ ! ..

هل العبرية لها فى العلوم تاريخ أعرق أو أحدث من العربية .. لماذا يتوقف العصريون عندنا وحدنا ويصرون على أن العلوم لا يمكن أن تدرس بالعربية ويحذروننا من التخلف .. فزادهم الله تخلفا ؟ ! ..

ليس الخلاف يا قوم — اذن — على الآلات ، فلا بد من امتلاكها ، بل على الروح التى تمكننا من امتلاك الآلات ..

الروح التى تمكننا من ادارة هذه الآلات وصنع النصر بها ..

يقول بن جوريون فى عام ١٩٤٩ : « كل ما يجىء به العلم الحديث ، لا يكفى وحده ، ولن تكون الكلمة الأخيرة للدبابة ولا للمدفع أو الطائرة المقاتلة لكسب الحرب ، انما تكون للانسان الذى يسخر هذه الوسائل لارادته » .

وقال فى نفس الخطاب أمام الضباط المتخرجين من الكلية الحربية : « سنفوز على العرب بفضل تفوقنا فى القوة والخلق والعقل ، ان جيشنا الذى

---

(١) جوزيف موريس .. يهودى انجليزى ١٩٠٧ (من كتاب الفكر اليهودى) .

شاءت الظروف المادية أن يكون جيشا صغيرا ، سيكون فى المستقبل فى طليعة الجيوش الممتازة سواء من الناحية التقليدية الروحية أو الصناعية الفنية » .

اليهود الذين عبدوا عجل الذهب .. عندما أرادوا أن يبنوا دولة ، ويقاتلوا .. عرفوا قيمة القيم الروحية ..

اليهود الذين لا تاريخ حقيقيا لهم كأمة .. جعلوا من توراتهم التاريخ الذى يتعصبون له ، ويستصرخونه وقت الشدائد ، ويبنون له مستقبلا ..

اليهود الذين اندثرت لغتهم ، أعادوا بعثها ، وفرضوها على العــالم ، ونالوا بها جائزة نوبل .

لأن الصهيونية تعرف أنه لا يمكن اقناع اليهودى الامريكى بمغادرة واشنطن والهجرة الى صحراء النقب .. من أجل العيش فى مجتمع عصرى ! .. وانما يهاجر اليهودى من أمريكا حيث كل شىء عصرى ، الى فلسطين بدافع العقيدة الذى يتسمم به ، وبحمى العقيدة هذه يقاتل ، ويبنى مجتمعا عصريا ، ويصبر على التخلف فيه ..

وبعد :

فنحن لا نهون من شأن الآلات ، ولكن نركز على حقيقيتين :

● انه بالنسبة لمجتمعنا الذى يخرج من مرحلة تخلف قاســية ، تصبح فلسفة استسلامية تلك التى تعلق استقلالنا الوطنى ، وقدرتنا على مقــاومة الغزو الاسرائيلى المتبجح ، تعلق ذلك على تفوقنا التــكنولوجى على اسرائيل والغرب الذى يساند اسرائيل !!

ان معنى ذلك ، قبول المذلة لســنوات عديدة ، بل اننا نرى أن رفض الاستسلام والاصرار على القتال هو بداية التطور العلمى والفنى للدول العربية .. ونرى أن حساب القوة ، بحساب التكنولوجيا .. هو حســاب مقبول بين الدول المتقدمة : كم صاروخا لدى كل منها .. ومدى كل صاروخ .. ولكنه فى حالتنا نحن ليس بالعامل الحاسم ، لأننا ما زلنا نســتطيع أن نسحق اسرائيل بتفوقنا البشرى ، شرط أن يحرك هؤلاء البشر ، عقيــدة حقيقية ، كتلك التى حركت المسلمين الاوائل ، فيقتنع المقاتل العربى أن الاستشهاد ينقله الى دار أعز وأكرم ، فيصبح أحرص على الموت من حرص خصمه على الحياة .. عندئذ .. وعندئذ فقط تكتب لأمتنا الحياة ..

فنحن نرفض هذه النظرية التى تحكم على الحرب من مجرد حساب الفرق التكنولوجى بين مجتمعين .. والا لما خافت روسيا ، فى الوقت الذى قاتلت فيه فيتنام .. ولما هزمت فرنسا من الجزائر .. ولا سقطت من قبل روما وفارس تحت ضربات العرب المسلمين .. وقد كان عرب الأندلس أكثر تفوقا فى الحضارة المــادية من كاثوليك أســبانيا ، وهزمهم المتخلفون لأنهم كانوا الأكثر حمية لعقيدتهم . بينما دق الأتراك العثمانيون أسوار فينا ، وما كانوا قد عرفوا من الحضارة شيئا كبيرا .. ولكن لأنهم كانوا أكثر تعصبا لعقيدتهم .

أما عندما تتخلى الأمم عن عقائدها ، فالنصر يصبح حينئذ للآلة الاقوى .. فان جمع خصــمها بين التفوق فى الآلات والايمــان بالعقيدة .. اية عقيدة .. عندئذ يهزم أصحاب العقيدة الفاسدة ومن لا عقيدة لهم ..

● النقطة الثانية : أن التقدم الحضارى ليس مجــرد قرار يتخــذ .. او مرسوم يصدر باستيراد الحضارة .. هذه هى مأساة التفكير المنجرف الذى ظن أن التقدم يتحقق باستيراد الآلات والنظم .. لا .. التقدم هو انقلاب فى صميم تكوين المجتمع .. وفوق أرضه ، ومن مكوناته الذاتية ..

وما من سبيل الى خلق الدفعة التى تسوق المجتمعات فى طريق التنمية ،

الا من خلال عقيدة كفاحية تسيطر على المجتمع وتوجهه ، وتطلق كل امكانياته ..

ما الذى يجعل الفرد القادر ينفق أمواله على تقدم المجتمع بدلا من انفاقها على التمتع برفاهية التقدم المستوردة ؟ لا بد من فلسفة تربط المجتمع كله وتوجهه فى طريق التضحية والبناء ..

ولا نريد هنا أن نناقش الأسباب التى تجعل من الاسلام هو وحده العقيدة القادرة على اطلاق طاقات الأمة العربية .. ولكن يكفى أن نستقرىء التاريخ ، فما من مجتمع متخلف عبر التاريخ كله استطاع أن يحقق الانقلاب الآلى ، ويصل الى مجتمع الأقوياء من خلال اعتناق فلسفة المجتمعات المتقدمة ..

أبدا ..

العرب بدءوا برفض عقيدة وفلسفة ونظام حكم المجتمعات المتقدمة حولهم .. حتى كان من تعبيرات النقد والسباب عندهم أن يوصف نظام الحكم أو السلوك بأنه « قيصرية أو كسروية » .. فلم يتنادوا بالاقتداء بهم ونقل نظامهم ليصبحوا أغنياء ومتحضرين مثلهم ! انهم لو فعلوا ذلك لما عرف العالم شيئا يسمى الحضارة الاسلامية ..

والحضارة الغربية ، رغم كل ما تعلمته واقتبسته من المسلمين ، قامت على أساس رفض العقيدة الاسلامية ، واختراع صورة بشعة للشرق .. حتى أصبح من المصطلحات المتعارف عليها فى القاموس الايدلوجى للغرب .. « الاستبداد الشرقى » .. « الحاشية الشرقية » « الحريم » .. « الخضوع » .. « القدر » .. الخ من الأكاذيب ..

روسيا لم يمكنها أن تحقق التقدم الصناعى ، الذى انجزه الغرب قبلها ، ولا كان بوسعها أن تفرض نفسها على العالم كدولة كبرى .. الا برفض ايدلوجية الغرب وقيمه ، واعتناق نظرية تبشر بانهيار الحضارة الغربية ، وتدينه بكل موبقة ، ثم تحولت هذه النظرية على يد لنين وستالين الى عقيدة روسية خالصة .

وواجهت الصين هذه المشكلة .. فقد كان يمكن لها فى ظل اعتناق فلسفة ونظم الغرب الراسمالى أن تحقق تقدما بطيئا كذلك الذى تحققه بعض الدول المجاورة لها .. وكان بوسعها أن تحقق معدلا أسرع فى ظل الفلسفة الشيوعية الروسية .. ولكن الصين ، لأنها تريد انجاز المستحيل ، وتصر على أن تصبح دولة كبرى خلال سنوات قليلة ، تعتقد انها الفسحة التى تنتزعها من خصومها قبل أن يهجموا عليها .. لذلك لجأت الصين الى الطريق الوحيد الذى يحقق التفوق الآلى .. وهو الاستقلال الروحى .. فانفصلت عن الغرب والشرق ، وقطعت كل تبعية روحية لها بالمعسكرين .. واصطنعت لها نظرية خاصة وفلسفة خاصة تكون فيها أمام شعبها رائدة لا تابعة .. فالتابع روحيا لا يحقق تفوقا ماديا ..

فلا سبيل أمام مجتمع متخلف ينشد الانقلاب الصناعى الا اعتناق فلسفة خاصة ، وعقيدة خاصة مستقلة ..

فابدءوا بالعقيدة ، قبل أن تتحدثوا عن العصرية ..

واذا كان الجميع يعترفون اليوم بأن ما طرح بيننا من وسائل ايقاظ القوى المعنوية لم يثمر ثمرته المرجوة .

فان من حق الأمة العربية أن تطالب اليوم وتقول : التفتوا هنا .. فان هذه الأمة لا يصلح آخرها الا بما صلح به أولها .. عودوا .. الى الاسلام .. وامنحوا الجماهير عقيدة تقاتل تحتها .. وتنتصر من أجلها وبها ..

محمد جلال كشك

كان ذلك منذ ١٣٥ بعد الميلاد .

نحن اليوم فى سنة ١٩٦٧ بعد الميلاد ، وانا لنجد دولاب الدهر يدور حاملا فى الخامس من شهره السادس القرار للتائهين ، والفرار لأبناء فلسطين المستقرين ، واذا باليهود الذين تقرحت أجفانهم من طول البكاء ، يمسحون دموعهم بالخناجر التى ضرجوها بدماء المسلمين ، ويهرعون الى الحائط بأهازيج النصر ، بعد أن كانوا لا يستطيعون بلوغه الا مسربلين بعار المذلة والخسر ، بينما أمتنا المسلمة ، فى عربها وعجمها ، التى ما عرف بنوها على مر السنين بكاء ، ولا نواحا ،تتحول فى مدى ايام قلائل الى اشباح ذليلة ، تتسكع على ابواب الأمم ، تسأل هذا القائد ، وذلك الرئيس ان يعيد لها الأرض السليبة ، بما فيها القدس الحبيبة من أجل عيون مبادىء الأمم المتحدة ، والقوانين التى وضعت لاجارة المستضعفين من بغى المعتدين ! ! !

يا له من موقف ما كان لنا ان ننتهى اليه لو كنا صادقين ! ! !

وانا اليوم لنتساءل فى لهفة جازعة :

ـ هل جفت دموع اليهود لتفيض من عيون المسلمين الدموع ؟ !

لقد جعل اليهود من اطلال سور بقى من هيكلهم الذى دنسوه يوم بنوه بالرذيلة والخنا . حائطا للبكاء طوال مدة بدأت سنة ١٣٥ ميلادية ، وانتهت فى منتصف سنة ١٩٦٧ ميلادية .

فهل رضى المسلمون ان يستحل هؤلاء المسجد الاقصى الذى جبله بالطهر آباء لهم واجداد كرام ؟ وان يستحيل انقاضا تغيب تحت حطامها كلمة الله الخالدة فى اولى قبلتيه وثالث حرميه ؟ !

أيها المسلمون فى مطالع الشمس من الأرض ومغاربها تحت كل سماء وفوق كل تراب :

ان امجاد آبائكم فى الأيام الخالية ، وآمال ابنائكم فى الأيام الآتية ، تتطلع اليكم ، ومعها مقدسات تراثكم فى فلسطين ، وللجميع نداء واحد ، صادر من اعماق الثرى الذى توسدته ارواح الضحايا من شهداء الاسلام وابطاله ، عبر الأجيال والقرون .

انه نداء الشهيد المجهول من اجل الاسلام والمسلمين من اجل المقدسات فى فلسطين :

فاما حياة تسر الصديق

واما مماة يغيظ العدا

ونفس الشريف لها غايتان

ورود المنايا ونيل المنى

الإنسان العربي بين الجاهلية والإسلام

للاستاذ : محمود استانبولى
« دمشق »

عاش الانسان العربى قبل الاسلام فى جاهلية عمياء ، وفى ظلمات بعضها فوق بعض ، فكانت العصبية القبلية على أشدها ، شعارها : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » بمعناها الضيق البغيض ، فكانت الحرب — على الرغم من ويلاتها — ملهى لهذا الانسان ، وسفك الدماء من اعظم الهياته . كما كانت الوثنية والخمر والقمار من ابرز مظاهر حياته .

وكان يعامل المرأة معاملة سيئة فيعبث بها ، ويأكل حقوقها ، ويرثها كما يرث الدابة والمتاع ، بل يروح أيضا يكرهها على (١) الزنا — كما وصفه القرآن — ويأخذ أجرها . قال تعالى فى النهى عن ذلك : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

وقد خضع الانسان العربى فى الجاهلية للاستعمار الفارسى فى العراق واليمن ، وللاستعمار الرومانى فى الشام ، فى أبشع صوره وأذل أشكاله .

وما كانت حال الانسان العربى فى الحجاز بأحسن من حاله فى الشام والعراق ، فكان شبه مستعمر للراسمالية اليهودية عن طريق الربا اضعافا مضاعفة حتى استولت على كثير من اراضيه ، علاوة على الفتن التى كانت تثيرها بين القبائل العربية لاشعال نيران الحروب بينها حتى كادت تهددها بالفناء .

انحراف وفراغ مخيف ..

هذا وصف مجمل للانسان العربى فى الجاهلية الاولى . انحراف فى العقيدة ، انحلال فى الأخلاق ، فكان فى طريقه الى الاحتضار والانتحار .

انا لنتصور هذا العربى المضطرب الضال ، وهو يضرب فى صحرائه

---

(١) لا نعتقد أن ذلك كان يمثل ظاهرة عامةفى العرب حتى ندمغهم جميعا بهذا العيب ، وقد كانوا غيارى على محارمهم ، كما كانوايحترمون المرأة وينزلون عند رأيها بل ان من كبارهم من كان ينتسب الى أمه ، وهذا لايمنع من وجود بعض الصفات التى ذكرها الكاتب فى بعض الافراد كما فى كل مجتمعمما جعل القرآن الكريم يعني باجتثاثها لتطهير المجتمع الاسلامي تطهيرا كاملا . (الوعى)

على غير هدى ، حائرا من هذا الكون الذي يحيط به ، مقصرا فى استعمال طاقته على هــذه الأرض ، لا يعرف كيف يحيى حيــاته ، أو يســتغل وجــوده ، ولكنه يتمنى لو خرج من هذه الحيرة ، وجلا عنه هذا الظلام ، فما هـــذه الحـــروب التى كانت تشتعل دونما أدنى تفـكير أو وعى ، الا هربا من هذا الفراغ ، وقتلا للوقت الذى يحــويه .. وما هــذه العــادات المتطرفة لدرجة القبح والشر التى ألمت بالعربى حينا من الزمن الا محاولة لقهر هـــذا الفراغ الذى لا يحصل ضمن أجوائه أدنى معنى للوجــود ، وأية غاية للحياة .

تصوروا هذا الانسان وقد أفرغ نفسه الا من تأملاته ، وجرد عقله الا من تفكيره الخاص ، وأبقى قلبه وروحه فى صفاء غريب ، لا ينعكس عليهما الا احســاسات حب عابر ، وتشوفات تأملية .. سريعا ما تتحول الى وجد وبكاء وذكرى ، وأناشــيد تصدح فى الصحراء ، على الســنة الحداة .. لم يزل صداها يرن فى أعماقنا الى اليوم .

فى رحاب الاسلام ..

تصوروه بعد هذه الشكوك التى ألمت به ، وبعد هذه الاضطرابات التى عصفت بشخصه ، وقد رأى أمامه فجأة كل ما يريد .. وكل ما يشبع ميوله ونزعاته الى الحرية والجهاد والسمو .. ان المفاجأة لا شك قد أخذته ولم يستطع أن يصدق كل ما يرى ، فهب لمقاومته ، ثم وقف على شــاطئه حذرا ، ثم اقترب رويدا رويدا ، حتى اذا اطمأن اليه وأنس له ، عب منه بامتلاء ، فأصبح الحياة التى تعاش ، والرسالة التى تخدم ، والمصير الذى يريد .

لقد كان العـــربى فارغا . فاذا بالاســـلام يملؤه ، ويفيض مــن جوانبه ، واذا به يمنحه شــخصية جديدة كل الجدة ، كانت شخصيته القــديمة أساسا لها ، ويظل ثلاثا وعشرين سنة ، مدة البعــثة ، فى كفاح مرير وعلم مســتزيد وتطور مستمر ، حتى ينتهى ذات لحظة الى ما يشبه الكمال ، وهو الذى تاقت نفسه للكمال المطلق ، بعد أن امتلأ هذا الامتلاء الثرى بالاسلام .

ان أى شخص فى العــالمين وجد على الأرض ما استطاعت فلسفة أو عقيــدة أو دين أن يعطيه عشر ما اســتطاع الاســلام أن يعطيه للعربى (١) .

من الضعف الى القوة ..

لما بعث الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأشرقت على هذا الانســان العربى شــمس الاسلام ، انقلب شركه الى ايمان ، وانحلاله الى قوة ، وذله الى عزة ، فسارع الى تحرير بلاده من اليهودية فى الحجاز ، ثم من الفرس والرومان فى سورية والعراق ..

فى طريق المجد ..

وتقدم بعد ذلك شرقا وغربا حتى فتح الهند والصين ، وأسبانيا وقسما كبيرا من فرنسا .. كل ذلك بسرعة عجيبة أدهشت علماء الغرب فراحوا يطلقون على هذه الحادثة التاريخية اسم « المعجزة العربية » .

لم تقتصر مهمة الانسان العربى على هذا الفتح المبين بل أنشــأ دولة عربية امتدت حدودها من المحيــط الكبير شرقا ، الى المحيط الأطلسى غربا ، وبلاد القفقاس شــمالا الى أندونيسيا جنوبا ، وقد قامت هــذه الدولة بأعظم نصيب فى اشــادة الحضـــارة ، بما قدمته من العلوم

---

(١) مأساة العربى المسلم ص ٤٣ — ٤٤

الرياضـــــية والطبيعية والكيميائية والفلـــكية والجغرافية ، على ايدى علماء ، ما زالت تدرس نظـــرياتهم وكتبهم فى الجـــامعات العلمية الى عصــــور متأخرة ، وكانوا من أعظم اســـــباب يقظة الغرب والجيد من مدينته الحاضرة ، كما شـــهد بذلك كثير من علماء الغرب أنفسهم .

والفضل ما شهدت به الأعداء .

قال بريفولت فى كتـــــابه « تيار الانسانية » :

« لقد كان العـــلم أهم ما جاءت به الحضارة الاسلامية على العـــــالم الحديث .. ان ما يدين به علمنـــا لعلم المسلمين ليس فيما قدموه الينا من كشـــوف مدهشـــــة لنظريات مبتكرة ، بل يدين هـــذا العلم الى الثقافة الاســـلامية بأكثر من هذا : انه يدين لها بوجود نفسه .. » .

ثم ضرب الامثلة الكثيرة على فضل العرب والمســـلمين ولم يقتصر علماء الغرب المنصفون على الاشادة بفضل الانســـــان العربى على المدنية ، بل راحوا يألمون لانتصار شارل مارتل على عبد الرحمن الغافقى فى معركة بواتيه فى فرنسا .

يقول كلودفارير فى المقدمة التى كتبهـــا للترجمة الفرنسية من رواية العباسية أخت الرشيد تأليف جورجى زيدان « أصيبت الانســـانية والعالم الغربى عام ٧٣٢ بـــكارثة عظمى لم تصب بمثلها فى القرون الوسطى ، وبقى اثرها ظاهرا فى العـــالم مدة سبعة قرون أو ثمانية قرون ، ان لم يكن أكثر من ذلك لأن روح التجدد كانت يومئذ قد بدت للعيان ، حتى وقعت تلك الكارثة ، فكان من نتائجها تأخر سير الحضارة ، ورجوع العالم الى الوراء ، هذه الكارثة هى الانتصار المؤلم الذى أحرزه وحوش (الكاركا) من جيــــوش الأفرنج ، التى كان يقودها « شارل مارتل » ســــليل الكارلنجيين . محــــاربا بها كتائب العرب التى لم يحسن عبد الرحمن جمعها وحشدها بالمقدار الـــكافى ، فكان ذلك سبب خذلانها وتقهقرها .

(فى ذلك اليوم المظـــلم تقهقرت الحضارة الى الوراء ثمانية قرون) .

ظهور الاسلام خاتمة العصــــور القديمة .

لم يقتصر الغربيون على الاشادة بفضل الاسلام على المدنية ، بل راح الأســــــتاذ (بيرون) يعـــلن فى المؤتمر الدولى للعلوم التاريخية الذى عقـــد بمدينة (أوســـلو) عاصمة النرويج فى ١٤ آب ١٩٢٩ دعـــوته التى أعلنهــــا فى المؤتمر الخامس الدولى ، الى اعتبار ظهور الاسلام هو خاتمة العصور القديمة ، وبداية ايقاظ الانســــانية فى أول عصورها المتوسطة حيث بدأت أوربا الغربية تكون مدنية جديدة وحيـــاة جديدة، يجب معها اعتبارهذا الحادث العظيم هو بداية الوسيط (١) .

مبادىء قوية .

وقد كان الانســـــان العربى فى ظلال الاسلام ايجابيا يؤمن بالقـــدر كقوة للاندفاع والنضال والعمل ، فلا يخشى أحـــدا الا الله ، ويثور على التواكل وينكر الجـــبر ، ويعتقد أنه مسئول وحر ، كما يعتقـــد أن الله سخر له ما فى السموات والأرض اذا هو قام بدوره بحق .

(١) ومما يؤسف له أن جميع مؤرخينا ومؤلفينا بحكم فقدان الشخصية العربية وبحكم التقليد الأعمى للمؤرخين الغربيين المتعصبين لا يزالون يعتبرون انقسام الدولة الرومانية الى شرقية وغربية يتطرقون الى ظهور الاسلام كأعظم حادثة تافهة ولا يتطرقون الى ظهور الاسلام كأعظم حادثة تاريخية في العالم كما ينادى المؤرخ العربي نفسه ! فيا لقلة الوعي وضعف الشخصية !!

اصغى هذا الانسان الى النداء الالهى ، ومثل دوره فى ميدان الجهاد والحضارة اعظم تمثيل ، فدخل التاريخ بدور بطولى وقيادى وتبوأ سدرة المجد ، والفخار والسؤدد .

صورة الانسان العربى المسلم .

وقد احببت بمناسبة الكلام على الانسان العربى المسلم أن انقل صورة رائعة من الوف صوره التى تمثل مبلغ قوة شخصيته وشجاعته ، واحتقاره للمظاهر الجوفاء ، ومبلغ فهمه لمبادىء الاسلام .

ارسل سعد بن ابى وقاص قبل معركة القادسية (ربعى بن عامر) رسولا الى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه ، وقد زينوا مجلسه بالنمارق والزرابى الحريرية ، واظهروا اليواقيت واللآلىء الثمينة العظيمة ، وكان على رستم تاجه وغير ذلك من الامتعة الثمينة ، ليدهش الرسول وينقل اخبار عظمته الى المسلمين ليهابوه .

ودخل ربعى بثياب صفيقة وترس وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، واقبل وعليه سلاحه ودرعه ، وبيضته فوق رأسه .

فقالوا له : ضع سلاحك .

فقال : انى لم آتكم ، وانما جئتكم حين دعوتمونى ، فان تركتمونى هكذا والا رجعت .

فقال رستم : ائذنوا له .

فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها ..

فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ .

فقال ربعى : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده .. ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » .

ثم خرج ربعى وقد ملأ قلب قائد الفرس وجنده هلعا ورعبا ، بقوته المعنوية التى غرسها فيه الاسلام .

راحت العصور تمر ، ونجم الانسان العربى يتألق ، وجيوشه تهزم الأعداء فى كل المعارك ، واساطيله تشق عباب البحر ، وتستولى على الممالك ، ومدنيته تعم الخافقين .

مؤامرات الشعوبية .

وعلى حين غفلة ، استيقظت الشعوبية الغادرة اللئيمة ، وقد ساءها مجد هذا الانسان العربى الذى ملأ الدنيا ، وشغل الناس ، وقضى على ملكها وجبروتها ، فأكل الحسد والحقد قلبها فراحت تنسج الخطط ، وتدبر المؤامرات ، وتحيك الدسائس على توالى السنين ، لم تمل ، ولم تهدأ ، فعمدت الى مصدر هذا المجد ، فعكرت نبع الاسلام الصافى ، واثارت الفتن ، وحولت تياره القوى نحو الداخل ، بعد ما قهر امبراطوريتين من اعظم امبراطوريات التاريخ .

تخدير المارد .

ولم تكتف هذه الشعوبية بكل ذلك ، بل اخذت تسعى لتخدير المارد العربى بسموم الأوهام والبدع والخرافات وغيرها من المبادىء الوثنية الميتة ، وزهدته بالعلم والجهاد ، ورغبته بالخلوات المظلمة ، والتشرد بالبرارى والقفار ، وانشأت له الزوايا والتكايا بدلا من حلقات المعرفة والدراسة ، ليخلد الى الكسل والبطالة والفسق ، وزينت له عقيدة الجبر والخضوع ليستسلم للأحداث ، وصرفته عن عبادة الله وحده مصدر قوته وعظمته ، الى عبادة الأنبياء والأولياء ، فراح هذا الانسان العربى يرتمى على عتباتهم ، ويتمسح بتراثهم ، ويقدم لهم النذور والقرابين مستعينا بهم فى الملمات ، وفى قضاء الحوائج ، وقلبه يرتجف

خوفا وجزعا منهم .

هذا فى ميدان العقيدة ، اما فى ميدان العبادات ، فقد زينت هذه الشعوبية لهذا الانسان العربى التعصب المذهبى والتقليد الأعمى ، مما قضى على البقية الباقية من تفكيره وشخصيته ، فاتخذ شيوخه وائمته أربابا من دون الله ، يحللون له ويحرمون ، فبعد عن الاسلام وعن الله ، وهو يحسب انه لا يزال يعبده .

وكان من نتيجة بعده عن كتاب ربه وسنة نبيه ، انقسامه الى فرق وشيع يقاتل بعضها بعضا ، وهذا جزاء من يترك النور الهادى والصراط المستقيم (فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) .

حملات الصليبيين والتتار .

وبعد تخدير الشعوبية للانسان العربى ، عمدت الى تأليب الصليبية والتتار عليه وعلى بلاده ، فجاسوا خلال الديار واعملوا القتل والذبح فى صفوفه ، وهدموا مدنيته والقوا تراثه الفكرى والعلمى فى اليم .

فاستفاق انساننا العربى على هذه الضربات الشديدة يستحس الخطا ويثير العزائم ، فاستطاع طرد هذه الزحوف الأجنبية حقبة من الزمن ، ولكنه ما لبث أن عاد الى غفوته بتأثير أفيون الشعوبية ، فعاش بعيدا عن مثله العليا الاسلامية ، زاهدا فى الحياة مستسلما للأحداث ، غارقا فى الأوهام ، يوجه ــ حتى فى المساجد وفى دروس الوعظ والارشاد ــ توجيها بليدا ومخدرا ، وما زال على هذه الحال حتى فاجأه الغرب فى العصور الحديثة بقواه المادية ، فتقهقر أمام حملات المستعمرين ودسائس المستشرقين الذين زينوا له الالحاد وحببوا اليه الاباحية ، ورغبوه بترك تراثه وتقليد الغرب فى تقاليده ، فسقط صريعا وانطمرت شخصيته تحت ركام المؤامرات ، وخدعوه واوهموه أن اسلامه هو الذى كان سبب نومه وانحطاطه ، كل ذلك ليزهدوه بهذا الدين العظيم الذى حول فى القديم طاقاته وخاماته الى قوى جبارة قيادية ، فتحت الدنيا ، ومدنت العالم .

على مفترق الطرق .

ان الانسان العربى اليوم على مفترق الطرق . فاما أن يختار طريق المستعمرين والمستشرقين ، فيصغى الى دسائسهم عن الاسلام ، فيضيع شخصيته ، ويدفن تراثه ، ويفقد ذاته ، ويضيع فى متاهات الغرب ، كما يضيع الجدول فى رمال الصحراء ، بل يشقى الى الأبد كما يشقى الغرب نفسه اليوم بسبب أنظمته الوضعية التى تقوده الى الهلاك والى انهيار الحضارة كما تنبأ بذلك كثير من فلاسفته .

وقد جرب هذا الانسان العربى بذاته هذا الطريق ، فغدا العوبة بين هذا وذاك ، وفقد كثيرا من اجزاء بلاده ، وغدا مهددا بضياع الأجزاء الأخرى .

واما ان يستيقظ ، ويفهم اسلامه فهما جديدا ، كما فهمه أسلافه المجاهدون ، ويعمل حسب منهاجه ، ولا يرضى بديلا من التشريعات والأنظمة الوضعية مهما قويت الدعاية لها ، وينطلق من قيوده ، غير مصغ لدسائس الشعوبيين والمستعمرين والمستشرقين .

وبذلك يعيد سيرته الأولى كقوة مستقلة ، ومعسكر لا شرقى ولا غربى ، فيقود قافلة الانسانية كما قادها من قبل ، وينقذ الحضارة من السقوط والانهيار .



للدكتور : محمد كامل الفقى

اكثر الأفراد والجماعات ، واغلب الأمم والشعوب ، عرضة لوقوع الشر ، وشيوع الخلاف ، وتفاقم النزاع ، وضراوة الصراع ، فاعنة النفوس بيد اهوائها ، وازمتها باكف غرائزها وشهواتها .

وفي طبيعة الحياة ان يفتن الأحياء بما يفتح عليهم من زهرة الدنيا ، وقد « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث » .

والمجالدة على النفوذ والسلطان وارتكاب الاثم في الكيد والقهر ، أمر اعيا البشرية علاجه . ولو اهتدى الناس — وبايديهم أن يهتدوا — الى ان ينتصروا على ما استحر بينهم من خلاف ، وما شجر بينهم من نزاع ، لغدوا ملائكة وقديسين . وأظلتهم السكينة والرحمة ، ورأينا بدل الحروب والمعارك التى تفنى البشر ، وتستنفد طاقات الأفراد والأمم ، سلاما ووئاما ، وحبا ومودة .

لكن ذلك شأن الحياة ، فلا بد من علاج هذا الداء والطب له ، وفى دين الله وسنة رسوله شفاء من كل داء . وبرء لكل سقام ، وما على الناس الا ان يفتحوا قلوبهم لخير هذا الدين ، وما تواصى به من الأخوة والحب والمودة ، فاذ ذاك تغمرهم السعادة في الحياتين جميعا .

ولقد وضعت القوانين وأقيمت المحاكم . وكثر المحامون ، واعدت الدول رجال القضاء والادارة والنيابة وغصت مجمعات المحاكم بالمتخاصمين وازدحمت ساحاتها بالمتقاضين ، وسهر كل خصم على بذل الجهد لينال النصر ، ويضمن الغلب ، وحرص كل اشد الحرص على ان يكون الحن بحجته بلسانه أو بمحاميه من صاحبه فيقضى له ، وزيفت الحجج وصنعت البراهين ، وجلب الشهود ، وما حلت المحكمة خلافا واحدا ، قضت به على كيد او خصومة ، بل خرج كل من طرفى الخصومة ، وفي نفسه ان

يستأنف النضال . ان لم يكن في ساحاتها ففى ساحة الأيام ، فبينهما عداء مشبوب ، ونزاع يورث ولو ذهبت أسبابه ، وهان موضوعه ، وتتسلل القطيعة والعداوة من الأجداد الى الأحفاد ، فيقضى على العائلات بالتفرق ، وعلى العلاقات بين الأقرباء بالتمزق ، وتهون الصلات ولو كانت جوارا أو قرابة أو صلة رحم أو اخوة أو أبوة .

وما تجد اكثر المتقاضين راضيا بقضاء المحاكم وحكمها . وما يخلو احد المتقاضين من بذل مال ، واعداد عدة ، واحكام خطة ، وسهر وتدبير لو انفق بعضه في غير هذا لأفاد المرء والبشرية ، ويحيا طرفا الخلاف في هذا الجو الوبىء شهورا وسنين عددا .

لكنها حمى نزاع ، وشهوة خلف ، وداء استحكم في قلوب المتخاصمين .

وفي غمرة النزاعات التى اشتد أوارها . واستحكم خطرها ، وتفاقمت آثارها . تحن الانسانية الى عمل جليل . وتهفو الى صلح نبيل ، واطفاء للنار المتقدة ، واخماد للثورة المشبوبة ، وتنبض عروق الأخوة في اجساد المؤمنين ، ويتنادى أكثرهم حبا للخير ، وبغضا للشر ، أما للسلم والتسامح والصفح والتآخى من سبيل ؟

لقد راقنى ما يقوله الامام محمود ابن عمر الزمخشرى فى الكشاف بصدد قول الله تبارك وتعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

يقول الزمخشرى : هذا تقرير لما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين ، وبيان ان الايمان قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما أن لم يفضل الأخوة ويبرز عليها لم ينقص عنها ، ولم يتقاصر عن غايتها ، ثم قد جرت عادة الناس على انه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الأولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه وازاحته ، ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح ، وبثا للسفراء بينهما ، الى ان يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه ، وما استشن من الوصال من يبله (١) ، فالأخوة في الدين احق بذلك وباشد منه ، وعن النبى صلى الله عليه وسلم : (المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار (٢) قدره .. ثم قال : احفظوا ولا يحفظ منكم الا القليل .

فصلة الايمان كصلة الأخوة تدفع المؤمن ان يسعى لاصلاح ذات البين بين المتخاصمين كأنه أخ لهما . ويسهر على ازالة الجفوة بينهما . وجمع كلمتهما . ولم شعثهما . وبذلك تقوى أواصر المحبة بين المسلمين . ويسود التراحم والتعاطف فيهم ، ويمسون كلمة واحدة ، يتكون منهم مجتمع اتحاد ومودة . لا مجتمع تنابذ وخصام وفرقة ، وما ينفذ العدو الى

---

(١) استشنت القربة اخلقت وبليت .

(٢) القتار بضم القاف ريح القدر والشواء .

المسلمين الا من خلال تفرقهم . وشتات امرهم ، فانهم يكونون مشغولين بالتخاصم والتقاضى ، والكيد والتدابر ، عن وطنهم الذى يحنو عليهم ، فيفرطون في صيانته . ويلوون وجوههم عن النظر اليه ، وبذلك يكون هوانهم ، وتسنح الفرصة لعدوهم الذى لا ينام عن انتهازها .

وقد عنى الاسلام اشد عناية بهتك سحائب الخصومة بين المسلمين ، وازالة ظلمات الجفوة بين المرء واخيه ورغب فى ذلك وحض عليه . ودعا له دعوة قوية بأساليب مختلفة ، وتراكيب متعددة . فالله سبحانه وتعالى قرن الأمر بتقواه بالأمر باصلاح ذات البين . لما يترتب على ذلك من اصلاح المجتمع الاسلامى ، والتمكين له من السيادة ، فذلك حيث يقول : (فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم) .

وفي الحق ان الدعوة الى فض المنازعات ، وتبديد السخائم ، والترغيب في الوحدة ، والتلاقى ، سلوك واضح الى الهدى الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه ابو هريرة رضى الله عنه : (من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا . ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا) . وذلك فيما يظهر من بعض وجوه الهدى ، فحينما تبدر بادرة بين المسلم وصاحبه ، من الناس من يحتفل بأمرهما ، ويجند نفسه للم شملهما ، والفصل بالعدل فيما بينهما فتلك والله دعوة الى هدى وحق وخير . .

ومن الناس من يلقى بنار الفتنة بين هذين ، ويحبذ لكل منهما ان يكون شاكى السلاح ، معتمدا على القضاء والشرطة ، وما يلزم للنصر في ذلك من جهد وطاقة ، فذلك والله انما هو دعوة الى ضلالة وباطل وشر .

والذين لا يعبأون بتمزق العلاقات بين الناس ، ويصمون آذانهم عن الخلف في حياتهم ، انما هم قوم فقدوا حس المؤمن وحبه لأخيه ، وما كثير عليهم أن يقال ان فيهم بلادة ايمان . وبرود رجولة . .

وفي الدعوة الى اصلاح ذات البين يقول الله في محكم كتابه : (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) .

وفيما يرويه ابو هريرة رضى الله عنه عن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم انه قال ... (كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة (أى تصلح بينهما بالعدل) وتعين الرجل في دابته صدقة . وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة) .

ذلك ما نسميه محكمة الخير . ومحكمة الخير هذه شرعها الله في طائفتين من المؤمنين اقتتلوا كما سلف لك ، وشرعها للفصل بين الزوجين

المتنازعين فذلك حيث يقول : (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) ومتى كانت نية الحكمين اصلاح ما بين الزوجين ، وكانت قلوبهما مشغولة بذلك بارك الله في وساطتهما ، وأوقع الله بطيب نفسهما ، وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة . والقى فى نفسهما الحب والمودة .

وشرعها الله كذلك في كل ما يحقق الصفو والوئام . ويدفع الظلم والتباغض ، ويصون الحق لصاحبه ، ومتى تعقدت شئون الحياة ، وتشابكت المصالح فيها ، وكثر النزاع على مواردها ، وشاع التحاسد بين الأقرباء والمتناظرين . مست الحاجة الى هذه المحاكم ، ودعت الضرورة الى جماعة يدعون الى الخير ، ويحكمون بالعدل . صفت من الأهواء نفوسهم ، وخلصت من الأغراض مقاصدهم ، ينهضون براب الصدع ، ودفع الظلم ، ويقربون بين المتباعدين ، ويجمعون بين المتنافرين .

فهذه رسالة الأصفياء من المؤمنين وذلك عمل أهل الضمير والشرف من سادتهم ، وهم حملة اللواء حين يثق الناس بهم لحسن سلوكهم وعدالتهم ، واتشاحهم بوشاح الشرف والتقوى . فتستقر بهم الأمور تشتد الفتن . وتستشرى الأطماع وتنجاب برأيهم الظلمات ، وتبقى علائق الحب والوئام بين من كانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله منها .

ان محكمة الخير تنجح فيما تخفق في علاجه المحاكم ، وان الدعوة لقيامها في القرية والمدينة اقرب الطرق لسلامة الأمن وحقن الدماء .

ورب داء برىء بالحكمين لم يبرا بقانون ولا بذى جاه وسلطان .

ومجلس الأمن ما لم يعبث به المستعمر الضارى محكمة خير ،

والجمعية العامة للأمم المتحدة ما لم يعبث بها المستعمر الضارى محكمة خير .

ومؤتمرات القمة في مستوى الملوك والرؤساء او ما دون ذلك محكمة خير .

ولئن عملت المحاكم والقوانين في نطاق محدود ، فنطاق محاكم الخير أوسع مدى وأكثر سلطانا ، واشد اثرا وأعز نفرا .

حبذا لو عمق الوعي بضرورة هذه المحاكم — ولو باسم آخر — ودعا الواعظ والخطيب لقيامها . والتبصير بعظيم خطرها . ونشرت وسائل الاعلام الايمان بها ، والخير العظيم الناشىء منها ..

اذن لكثرت حمائم السلام ، وحمل الناس بدل الرماح والسيوف باقات الورود والأغصان .

وسادت الأخوة الفاضلة ، وقام المجتمع الفاضل . والله يهدى الى صراط مستقيم .

المسلمون في جمهورية داهومي

- الامام يجمع ابنـــــاء المشركين ويعلمهم الاســـلام ويرعاهم على نفقته .
- بعض المســـيحيين يهدون ابناءهم للبعثة العربية لتعلمهم الاسلام .
- لـــماذا كانت داهومى الجمهورية الافريقية الوحيدة التى ليس لها طلاب فى البلاد العربية والأزهر الشريف .. ؟

جمهورية الداهومى مـــن الدول المستقلة حديثا فى غرب افريقيا . بعـــد أن اســــتعمرتها فرنسا مدة طويلة — وهى تطل مثل التوجو على المحيط الأطلنطى الذى يحدها شرقا — ومن الغرب تحيط بها جمهوريتا فولتا العليا والنيجر . اما فى الشمال فتقع جمهورية نيجـــيريا ويحـــدها جنوبا جمهورية التوجو .

ويرجع تســـمية هذه الجمهورية الى أســـطورة قديمة يتناقلها الناس حتى الآن ويؤكدون صحتها . وذلك انه فى سنة ١٦١٠ م كان لمنطقة فون « Fon » ملك اســـمه دان « Dan » وكان للمنطقة المجاورة لها واسمها الدا « Alda » أمير اسمه أبو « Abo » ويقال ان هـــذا الثانى نزل ضيفا على الأول « دان » وبحكم الصداقة اخذ منزلا خاصا ليقيم فيه مدة ضيافته ، ولكن الضـــيافة طال وقتها واخذ « أبو » يستحضر بعض أتباعه شيئا فشيئا . ويستولى على بعض اراضى دان — فضاق هذا به ذرعا وذات يوم قابله وقال له ساخرا : الا تريد بناء منزل على بطنى ؟ بعد ان اســـتوليت على كثير من أراضى مملكتى — فاستشاط « أبو » غضبا . واقسم أن يجعل هذا الـــكلام حقيقة . وذات يوم استحضر قواته ، وباغت بها جيوش دان فانتصر عليها وقتل دان نفسه اثنـــاء المعركة . فوضعه فى أرض فسيحة ، وبنى على بطنه اول قصر فى هذه البلاد ، التى عرفت باسم « داهومى » والتى حرفت عن كلمة « دان هومى » ومعناها « بطن دان » كما أن معنى دان « الثعبان » اى ان معناها « بطن الثعبان » .

ويبلغ ســـكان هذه الجمهورية حوالى المليونين والنصف تقريبـــا وعاصمتها «برتنوفو» ولكن العاصمة الفعلية التى بهـــا دور الحـــكومة والسفارات الأجنبية ومركز التجارة هى « كوتونو » — كما انه يوجـــد كثـــير من المدن الشـــهيرة مثل « أبومى ، يدا ، باركو ، ساتيتى » ولـــكن الشىء الذى يثير الانتباه كالعـــادة فى الدول الافريقية ، هو كثرة اللغات واللهجات وتعددها . وقد تجد لـــكل مدينة بل لكل قبيلة

للأستاذ : طلعت غنام — توجو

لغة خاصة بها . وهذا نشأ من تشجيع الاستعمار ليمكن تفريقهم والظفر بهم . واللغة الأولى هنا المستعملة فى دور الحكومة ، ودور التعليم هى الفرنسية ، وبعدها لغة فون « Fons » ثم لغة اليوربا التى يتكلمها المسلمون اليوربا — والذين يرجعون أصلهم الى العروبة من قبيلة يعرب ، والتى حرفت بتداول اللغات . وقد يطلقون عليها « اناجو » كما يوجد ايضا لغة أجا وبربر والفلانية ولغة زونبا . هذا كما قلت بخلاف اللهجات واللغات الداخلية لكل قبيلة .

عدد المسلمين

ويبلغ عدد المسلمين الحقيقى فى داهومى حوالى ٥٠٪ من عدد السكان ، وهم متمسكون بالدين الاسلامى ، بالرغم مما يدخلونه فيه من الجهالات والعادات الضارة — ويوجد فى العاصمة « برتنوفو » كثير من الجمعيات الاسلامية . أشهرها : جمعيات «أنصار الاسلام» « وأنوار الدين » ، ويتمثل نشاطها فى بناء المدارس العربية ، التى يدرس بها مدرسون من نفس البلاد ، لم تصل اليهم بعد الطرق العصرية والنطق الصحيح .

وأشهر هذه المدارس وأقدمها « مدرسة الحاج مجدد التى تخرج فيها طلاب كثيرون يختار الممتازين منهم لمساعدته فى المدرسة ، وتوجد مدرسة أخرى عربية فرنسية تعرف باسم « كولج آراب فرنسية » لها مصاريف خاصة ، والغرض من تدريس الفرنسية مع العربية فيها هو فتح باب عيش للخريجين منها ، حيث لا تعترف الدولة ولا تعطى عملا الا لمن يجيد الفرنسية ، فضلا عن ربطه بالمجتمع الذى يعيش فيه .

لا كيان لهم !!

والمسلمون هنا ليس لهم اى كيان سياسى معترف به فى الدولة ، من ناحية المساعدة المادية لبناء مدارس أو مساجد ، الا ما يستطيعون جمعه من التبرعات والاشتراكات فى الجمعيات السالفة ، بخلاف الفئات الاخرى ، فان الحكومة تتكفل بكل احتياجاتهم ، بالرغم من أن المسلمين — كما قلت — يمثلون نصف الدولة !! وحتى استدعاء

الأساتذة لهم من الخارج ، لا يراد ان يكون بطريق رسمى .

وذلك يرجع لعدم وجود القيادات القوية ، وربما الصراع الداخلى على الزعامة فيما بينهم — هذا بالرغم من وجود مسلمين فى مراكز هامة فى الدولة مثل السكرتير العام لرئاسة الجمهورية ، ومثل رئيس مجلس الأمة قبل الانقلاب الأخير . ولهذا السبب ربما يرجع عدم وجود أى تلاميذ لهم مبعوثين للعالم العربى والأزهر الشريف ، لتعلم اللغة العربية والدين — وتكاد تكون داهومى هى الجمهورية الافريقية الوحيدة فى هذا المجال — وبعد الانقلاب اتفق المسلمون على انشاء اتحاد يضم كل الجمعيات برئاسة الزعيم عبد الوهاب .

ويتناقل مؤرخوهم المسلمون أن الاسلام دخل الى داهومى فى القرن الحادى عشر الميلادى ، عندما جاء الى غرب افريقيا من الجهات الساحلية حتى بلغ نيجيريا الى حدود الكونغو على يد الصحابى الجليل عقبة بن نافع رضى الله عنه . كما يقال ان من اتى بالاسلام الى داهومى هو أبو بكر بن عمر على أصح الأقوال .

حاصلاتها

وأما حاصلات هذه البلاد فكثيرة وان كانت الاستفادة الاقتصادية معدومة ، ذلك أن الاستعمار كعادته ، ينظر الى المستعمرات على انها مزارع لأخذ المواد الخام منها ، وأسواق لتصدير المنتجات اليها باضعاف اثمانها .

ومن أهم المحصولات هنا : البن والكاكاو والزيتون وجوز الهند ، وتوجد هذه الزراعة بشكل هائل ، وبأرخص الاثمان ، حيث لا يصدر منها الا ما يحتاج اليه المستعمرون ، والباقى يتداوله المواطنون ، ثم يلقون بالباقى فى المزارع حتى يشاء الله .

كما يوجد فى داهومى القطن والفول السودانى ونبات المنيوك « وطعمه كالبطاطس وحجمه ضخم جدا » وتوجد الذرة والبقول ، ويلاحظ فى هذه البلاد ان المسلمين يتمركزون فى العاصمة « برتنوفو » وفى كوتونو وزوجو وأيضا فى الشمال .

من عادات المسلمين

ويستلفت النظر ما لهم من عادات تستحق التأمل من ذلك مثلا أن كل حاج قبل أن يسافر الى البلاد المقدسة ، يدعو العلماء وكبار القوم ، يطعمهم ويسقيهم ، ثم يطلب دعواتهم له أن يعود بسلامة الله ، وقبيل سفره يقدمون له ما يستطيعون من الهدايا ، ويودعونه بالبكاء والحزن ، كأنه اللقاء الأخير .

وعند عودة الحجاج ترى جموعا حاشدة فى استقبالهم يرقصون ، ويدقون الطبول ، وهم يرتدون فاخر الثياب ، بينما الحجاج أيضا فى افخر الثياب الحريرية اللامعة ، وقلنسواتهم الخاصة التى يسمونها « الميكية » نسبة الى مكة المكرمة ، وينسجون حولها الكثير من الحكايات الخيالية ، ويدعون أن من يرتديها من غير الحجاج يموت بمرض فى رأسه .

وفى كل مسجد تجد للحجاج الصفوف الأولى ، والكلمة المسموعة ، وعند اقامة احتفالات الاستقبال لهم يحضرها كبار مسئولى الدولة ورئيس الجمهورية بنفسه ، احتراما وطلبا لدعواتهم المستجابة .

ولهم اجتماعات مقفلة لا يحضرها غير الحجاج فقط ، حيث يكون الجميع فى ملابس موحدة ، متفق عليها من الحرير المزركش اللامع ، وقلنسوات خاصة بهم . ومثل هذه الأمور هى التى تشعر الكثيرين بالرهبة والخضوع الدينى ، وتحبب الكثير فى زيارة بيت الله ، كما أنها تجذب كثيرا من غير المسلمين للدخول

فى الاسلام . ولهم جمعيات خاصة بهم تقيمها طائفة اليوربا « يعرب » كما يقولون لا يقبل فيها غير الحاج — وويل لمن ينسى او يخطىء لينادى حاجا مجردا من لقبه ، فانه يعطى درسا بالغا فى احترام الحاج وقلنسوة الحاج التى فوق رأسه !!
وفى الاحتفالات بمولد النبى الكريم يذبحون الأبقار والطيور ويوزعونها مع الحلوى على الفقراء والمساكين . ويقرعون سيرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

ويروى لى احد المعلمين اليوربا واسمه عبد العزيز اقوش وهو ممن يهتمون باللغة العربية « أن من العادة عند دفن الميت أن يشترى كل من له صلة نسب به ثيابا جديدة يلبسونها وهم يشيعونه الى مثواه الأخير ، بينما أولاده من حوله فى افخر الثياب وأحلاها .

وعادات الخطوبة والزواج عندهم لا تقل غرابة عن هذا ، حيث يطلقون على طالب الزواج «الرنا» اى الدليل او الهادى — وعندما تعجبه أحد الفتيات ، يخاطبها مباشرة ، ودائما ترد عليه بأنها ستفكر فى الأمر ، وتذهب للمشاورة مع امها التى تنصحها بالكتمان ، ثم يأتى الخطيب بنفسه الى دارها ، ويطلبها من أمها التى ترده أكثر من ثلاث مرات ، بينما هو مستمر فى كل مرة فى تقديم الهدايا . ثم يقولون له : سوف نسأل عن نسبك وحسبك . فاذا ما رأوا بعد البحث الطويل ان ليس هناك عداء بين العائلتين ، او ليس فى نسبه مشرك أو فاسق ، وافق اهل العروس ، وعملوا احتفالا ضخما بيوم العرس يحضره اقارب الأسرتين ، ومعهم الوعاظ ، لبيان أمور الزواج لهم والطلاق . وبعد ذلك تضرب الدفوف ، وتوزع الحلوى حتى الصباح .

مكانة الأئمة

ومن الجدير بالتنويه به تلك المكانة الكبيرة التى يحتلها الامام فى نفوس المسلمين من التقديس والاحترام . ومن عادته فى كل عام ان يقوم بجولة فى الريف ، يعظ فيها الناس عموما ، ويدعو غير المسلمين الى الاسلام ، وفى نهاية الجولة يعود بحصيلة ضخمة من عبدة الأوثان ، أو النصارى صغارا وكبارا . فهناك بعض الطاعنين فى السن الذين لا يستطيعون الذهاب معه ، فيعطونه أبناءهم ليعلمهم الاسلام واللغة العربية — كما حدث أثناء زيارتنا لأحدهم ، وشرحنا لهم بعضا من مبادىء الاسلام فقد قام أحدهم ليعلن أنه قد تبرع لأعضاء البعثة العربية بولدين لتعلمهم الاسلام واللغة العربية اقتناعا منه بالدعوة .

وان العجب ليأخذ المرء كل مأخذ عندما يدخل بيت الامام فيرى منزله مكتظا بهؤلاء الأطفال الذين احضرهم ، وكلهم فى زى واحد ، وعمل لهم مدرسة واحدة ، يطعمهم ويكسوهم من نفقته الخاصة وبعض تبرعات أهل الخير — وان منظرهم ليشرح الصدر ، وهم فى صلاتهم يركعون ، ويسجدون لله ، وهم فى هذا الزى الواحد ، يناجون الله الواحد . وفى الصباح ينتظمون فى طابور المدرسة كأنهم أبناء رجل واحد .

وبالرغم مما رأيته ولم يعجبنى فقد حمدت الله وشكرته على أن الاسلام ما زال بخير يحميه الله ويرعاه — ينتشر من تلقاء نفسه ، ويقيض الله له من يرعاه ، ولو فى مجاهل البلاد ، من غير دعاية او امكانيات تبشير « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » صدق الله العظيم .



يكتبها : عبد المنعم النمر

مع حرية التفكير والتعبير ..

« التفكير والتعبير معا هما الدورة الدموية الصحية للديموقراطية .
اقصد ان اقول ان التفـــكير وحده نصف ديمقراطية ، لا يكتمل ولا يحقق قيمته بغير النصف الآخر .. وهو التعبير » .

« وكلا الوضعين ـ وضع مراكز القوة ، ووضع الأجهزة المتحكمة ـ فرض قيودا على امكانية التفكير والتعبير بطريقة منظمة أى بطريقة جماعية ، ولم يعد هناك ـ فى بعض الأحيان ـ غير التفكير والتعبير الفردى ، الذى يقف وحده فى الجو الموحش ، وأمام العواصف .. وهذه مغامرة غير مأمونة ، لأنه لا يمكن أن يطلب من كل الناس أن يبلغوا مرحلة القديسين والشهداء » .

« ويقال أحيانا فى منطق التبرير : ان مراكز القوة كانت تخدم الثورة ، وان الأجهزة المتحكمة كانت تحميها . وليس ذلك صحيحا فيما اتصور . واغلب الظن ان مراكز القوة كانت تخدم نفسها ، كما ان الأجهزة المتحكمة كانت تحمى نفسها » .

« ويبقى ان نضيف أن الديموقراطية ليست هى حق الشـــكوى من الخدمات مثلا . كبطء الاجراءات الحكومية . ومشـــاكل المواصلات واحوال المستشفيات .. تلك كلها مســـائل لم يغلق باب الكلام عنها فى أى وقت من الأوقات » .

« كذلك فان الديموقراطية ليست هى مناقشـــة خطة التنمية مثلا ، او خطة الصناعة أو الزراعة او التعليم . تلك كلها قضايا أصبحت فى اختصاص العلماء والخبراء ، ووضع دقائقها أمام الفرد العادى أصبح نوعا من التعجيز » .

« وانما مجال الديموقراطية الكبير هو العمل السياسى فى كل ناحية من النواحى الداخلية والخارجية » .

« ولقد عشـــنا مرحلة ســـابقة ـ كما قلت مرة من قبل ـ فى تجربة ديموقراطية بالموافقة ، ونحن ندخل الآن مرحلة لا يمـــكن أن تتحقق فيهـــا الديموقراطية الا بالمشاركة . وذلك ضرورى لحماية خط تطورنا العام ، كما انه ضرورى للمحافظة على التوازن الوطنى بينما هو يمشى على هذا الخط » .

« اننا لا نستطيع الحفاظ على توازننا الوطني الا اذا كانت اكبر كمية من الحقائق متاحة لاكبر عدد من الناس يشتركون في المناقشة ، ويشتركون في صنع القرار .. ومن هنا يتحملون مسئوليته » .

تلك فقرات من مقال الأستاذ (محمد حسنين هيكل) في اهرام الجمعة (١٩٦٧/١٢/١) ، رايت ان اضمها هنا في (خواطر) لأنها خواطري وخواطر كل انسان ينشد لأمته الخير عن طريق الحرية .. ويحرص على ان يشارك برايه وجهده في بناء الشوامخ في بلاده .. ويضيق ذرعا بكل قيد يحول بينه وبين ما يحرص عليه او يحد منه .. ويرى ان كل قيد يفرض عليه ، يجمد مواهبه وقدراته ، ويحرم بلاده منها ، ويميت فيه التطلع لخدمتها ، ويحوله الى شبح انسان ، ويجعله مواطنا اتكاليا ينفض يده من مسئوليته تجاه بلاده ، ان لم يجعله يتربص لكل عمل ، وكل رأى ، وينقض عليه في مجالسه ، ويصبح بذلك اداة تخريب .

ولقد علمنا الاسلام تقديس حرية الفكر وحرية التعبير ، حين لم يقبل ان يتخذ الاكراه وسيلة لاعتناقه ، وهو الحق الذى لا شك فيه .. وسجل ذلك في آياته الخالدة : (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى) ، « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ؟

وفي الآية الاولى حقيقة لا بد ان نتنبه اليها جيدا ، فقد بنت عدم الاكراه او بنت الحرية على أساس العلم والمعرفة ، على معرفة الحق من الباطل والخطا من الصواب . « قد تبين الرشد من الغى » والمعنى الواضح لهذا الا تكون هناك حرية ، بدون فهم ووعى للموضوع ، بدون ان نضع الحقائق كاملة امام الناس ونبين لهم الضار من النافع ، والخطا من الصواب ، ولعل هذا هو الذى دعانى الى ان انادى في افتتاحية سابقة بفتح النوافذ الداخلية والخارجية وقلت « افتحوا النوافذ الداخلية والخارجية لنعيش في الأضواء ونبصر امامنا الطريق دون ضباب او خداع » وهذا هو الذى يقوله الاستاذ هيكل من جعل « أكبر كمية من الحقائق متاحة لأكبر عدد من الناس » وبذلك تقوم الحرية على عمدها الطبيعية بناء شامخا تسعد به الأمة ، وتجنى خيره .

وكذلك علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حرية الفكر ، وحرية التعبير عنه ، في كل خطوة خطاها بفكره وتدبيره .. واقتدى به الخلفاء الراشدون ، وجعلوا القاعدة العامة في سياستهم لرعيتهم ، « ان رأيتمونى على حق فاعينونى وان رايتمونى على باطل فقومونى » وتلك هى اسمى ما يمكن ان تصل اليه حرية الفكر وحرية التعبير . وصل اليها اجدادنا الصالحون وعاشوا في ظلها مع رعيتهم اقوياء كرماء ..

والى ما وصلوا اليه نتطلع ، وعلى خطواتهم نحب ان نسير ..

حرية الفكر وحرية التعبير .. روح سرت فينا مع اشراق الاسلام في نفوسنا .

حرية الفكر وحرية التعبير .. هى أول حق من حقوق الانسان حتى ولدك الصغير لا تستطيع أن تحرمه منها بل تشفق أن تسد عليه منافذها .

حرية الفكر وحرية التعبير .. تجعل منك انسانا يشعر بوجوده وانسانيته ، ويحس واجبه ومسئوليته نحو بلاده ..

نعمة جعلها الله حقك الطبيعى في الحياة ، كنعمة التنفس ، ونعمة الشمس والهواء ، وهى حقا كما يصفها الأستاذ هيكل : « الدورة الدموية الصحية للديموقراطية » .

ولا صحة او لا حياة لأمة بغير الديمقراطية الصحيحة ، او بغير الشورى كما سماها القرآن الكريم .

مع تاريخنـــــا

من مطالعاتى فى تاريخ الاسلام فى الهند ، وسيرة الملوك المسلمين الذين حكموها ، اقدم لك هذه الباقات و .. العظات .. :

مخالى الشعير ..

كان شهاب الدين ابو المظفر محمد الغورى قد زحف بجيوشـــه من غزنة الى الهند ، وانتقل فيها من نصر الى نصر ، حتى خشيه ملوك الولايات الهندية فتجمعوا لقتاله وصده فى مكان قريب من دلهى بثمانية اميال . وامام القوة الكثيرة التى جمعها هؤلاء الملوك انهزم محمد الغورى ، وجرح حتى أشيع انه قتل .. ولكنه كان قد نقل الى مكان مامون ، بعيد عن المعركة ..

وكان اول ما فعله بعد ذلك ، أن اخذ الأمراء الغوريين الذين انهزموا عنه واسلموه ، فملأ مخالى خيلهم شعيرا ، وحلف لئن لم ياكلوه ليضربن اعناقهم ، فاكلوه ضرورة » ابن الأثير ص ٦٥ جـ ١٩ .

هذه واحدة ..

اما الثانية فقد اتجه بها لنفسه لشدة وقع الهزيمة عليه .. فاقسم الا يقرب النساء ، ولا يغير ملابسه حتى ينتصر ، وينتقم ، ويغسل ما لحقه من عار .

ولم يمكث على ذلك طويلا اذ لم تمض سنة ، حتى تلاقى مع اعدائه سنة ٥٨٨ هـ ــ ١١٩٢ م فى مكان الموقعة الأولى ، وهزمهم شر هزيمة .. واسر ملك (اجمير) الذى كان يهدده وينذره من قبل ، وضرب عنقه .. واســـــتولى على بلاده .

نساء مجاهدات ..

فى حملة من حملات السلطان المجاهد محمود الغزنوى على الهند واجه جمعا من الهندوس يفوق جيشه ، ورأى النساء المســلمات أن يشـــتركن مع السلطان المجاهد فى جهاده باسلوبهن ، فتبرعن بحليهن ، وبما استطعن جمعه من المال للجيش الاسلامى المجاهد فى الهند .. وبهذه الروح التى شملت الجيش المحارب ومن وراءه حتى النســـاء كسب الســــلطان الحرب واوقع باعدائه الهزيمة ..

علماء وملوك ..

ويذكر ابن بطوطة عن رحلته للهند « انه لما مات الملك قطب الدين ايبك استبد بالملك بعده مملوكه شمس الدين التمش ، واخذ الناس بالبيعة ، فاتاه الفقهاء يقدمهم قاضى القضاة اذ ذاك (وجيه الدين الكاسانى) فدخلوا عليه ، وقعدوا بين يديه ، وقعد القاضى الى جانبه كالعادة ، وفهم السلطان عنهم ما ارادوا ان يكلموه فيه ، فرفع طرف البساط الذى هو قاعد عليه ، واخرج لهم عقدا يتضمن عتقه ، فقراه القاضى والفقهاء وبايعوه جميعا » . وكلنا يعرف انه كان لهـــذا الموقف من العلماء شبيه له بمصر على صـــورة اروع وكان بطله عالما من افذاذ العلماء واحد الملوك من المماليك .

مصير الصغار عند ارتداد آبائهم

للأستاذ : نعمان عبد الرزاق السامرائي
كلية الشريعة ــ بغداد

تمهيـــد :

نود أن نورد هنا أولا توضيحا موجزا لمعنى الردة في المدلول اللغوى ، وفي المتعارف عليه عند الفقهـــاء ، ونورد لتعريف الردة في اللغة عبـــارة ابن منظور في لسان العـــرب ونصهـــا :

« .. وقد ارتد ، وارتد عنه : تحول : وفي التنزيل « ومن يرتدد منكم عن دينه » (١) والاسم : الردة ، ومنه : الردة عن الاسلام ، اى الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه : اذا كفر بعـــد اسلامه .. » (٢) أما في اصطلاح الفقهاء فقد عرف الفقهاء الـــــردة بجملة تعاريف متقاربة لعل من أشملها تعريف الباجـــورى في حاشيتـــه : (الردة : قطع الاسلام ، بنية كفر ، أو قول كفر ، أو فعل كفر ، أو فعـــل كسجود لصنم ، سواء كان على جهة الاستهزاء أو العناد أو الاعتقاد .. » وبعد هذه اللمحة .. نعالج أثـــــر الردة على الأولاد الصغار ، علـــى اعتبار تبعيتهم لآبائهم في حالة الاسلام فاذا كان الولد يعد مسلما تبعا لاسلام ابيه ، فهل يصير الولد مرتدا كذلك ، اذا غادر الأب المسلم دين الاسلام ، وارتد عنه ، ولـــه أولاد صغار ؟ أم يبقون على الاسلام ويكون لهم حكم مستقل في هذه الحال ؟ ما الحكم اذا كانت الزوجة (أم الولد الصغـــير) مسلمة وظلت على اسلامها رغم ردة الأب ؟ وهل تختلف النتيجة اذا كانت كتابية ؟

لا يخلو الأمر حين يرتد مسلـــــم وامراته ولهما ولد صغير ــ أو اكثر ــ من أن يكون الحمل به وولادته قـــد حصلا في حال اسلام الأبوين ، أو أن يكون الحمل به حدث في حال الاسلام ثم ولد في حال الردة ، أو أن يكـــون حصول الحمل والولادة في الردة .

ومن جهة ثانية فالردة قد تقع من الأب وحده ، أو منه ومن امراته معا ، وهذه المرأة اما مسلمة واما كتابية .

---

(١) البقرة آية : ٢١٧

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٤ ص ١٥٣ وجمهرة اللغة لابن درين جـ ــ ١ ــ ص ٧٢ وتاج العروس للزبيدى ج ٢ ص ٣٥١ والصحاح للجوهرى جـ ١ ص ٤٧٠ .

ومن حصيلة هذه الاحتمالات يمكننا أن نستعرض ما يتكون منها من قضايا متعددة لبيان الحكم الشرعي لها :

١ ــ من ولد في الاسلام قبل ردة أبويه :

مما لا نزاع فيه ان من ولد في الاسلام فهو مسلم ، لأنه ولد بين مسلمين ، فيحكم باسلامه تبعا لأبويه فان ارتد الأبوان فان الابن يبقى على اسلامه ، ولا يتبعهما في ردتهما ، لأن التبعية تتحول حينئذ الى الدار وهى دار اسلام . قد يقال : ان الدار لا تصلح لاثبات التبعية ابتداء فكيف نحكم باسلامه تبعا للدار ؟ والجواب انها تصلح للابقاء ، وفقا للقاعدة الفقهية القائلة : « يصح في البقاء ما لا يصح في الابتداء » .

ولعل الحكم باسلام من ذكرنا من الصغار محل اتفاق بين الفقهاء ــ فيما أعلم ــ وفي ذلك يقول الكاسانى الحنفى (.. فولد المرتد لا يخلو من أن يكون مولودا في الاسلام أو في الردة ، فان كان مولودا فى الاسلام بأن ولد للزوجين ولد وهما مسلمان ثم ارتدا : لا يحكم بردته ما دام في دار الاسلام ، لأنه لما ولد وأبواه مسلمان فقد حكم باسلامه تبعا لأبويه ، فلا يزول بردتهما لتحول التبعية الى الدار ، اذ الدار ــ وان كانت لا تصلح لاثبات التبعية ابتداء عند استتباع الأبوين فهى تصلح للابقاء ، لأنه أسهل من الابتداء ، فما دام في دار الاسلام يبقى على حكم الاسلام تبعا للدار ..) الا انى وجدت تعميما للزيدية يقولون فيه ان الصغير يتبع أبويه في الاسلام والكفر ، من غير أن يفصلوا في المسألة بما يوضح رأيهم جيدا .

٢ ــ من كان حملا والأبوان مسلمان ثم ولد في ردتهما :

اما من حمل به في اسلام ابويه ، لكنه ولد بعد الردة فحكمه الاسلام . وسبب ذلك أنه عند ابتداء الحمل كانا مسلمين فيحكم باسلامه ، ولا يتبع والديه في ردتهما لأن الاسلام يعلو كما يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وفي هذا يقول الصباغ الشافعى (.. ان أولاد المرتدين ان كانوا ولدوا قبل ردتهم أو ارتدوا ولهم حمل فانهم محكوم باسلامهم ولا يتبعونهم بالردة ، لأن الاسلام يعلو ، وقد تبعوهم في الاسلام فلا يتبعونهم في الكفر) .

وبمثل ما تقدم قال الزيدية (ويحكم لمن حمل به في الاسلام به لقوله تعالى (الحقنا بهم ذرياتهم) ولا حكم لردة أبويه من بعد) كما نقل هذا الراى الشيرازى الشافعى .

٣ ــ من حمل به في حال الردة وولد فيها :

أما من حمل به وولد بعد ردة أبويه فهو كافر ، لأنه ولد بين أبوين كافرين ، لا نعلم في ذلك خلافا ، الا ما حكاه المرداوى الحنبلى من رأيين في اقراره على الكفر أو عدمه ، ثم أوضح أن المذهب هو الاقرار على الكفر ، (١) وما حكاه بهرام المالكى في احد الأقوال من انه يجبر على الاسلام (٢) .

---

(١) الانصاف للمرداوى جـ ١ ص ٣٤٧ .

(٢) الشامل لبهرام مخطوطة جـ ٢ ورقة ١٧١ .

٤ ـ اذا ارتد الأب دون الأم المسلمة :

اذا ارتد رجل مسلم دون امرأته المسلمة ، وولد له بعد ذلك ولد ، فانه يكون مسلما تبعا لأمه ، ولعل السبب في ذلك ان المرتد لا ملة له ولا دين ، وهو ملزم بالتوبة ، والعودة للاسلام أو القتل ، ولهذا الحقوا الطفل بأمه المسلمة وفقا للقاعدة القائلة : (يتبع الابن خير الأبوين دينا) . وفي هذا يقول العلامة الشيخ احمد ابراهيم بك : (.. واذا ولد للمرتد ولد من امرأة مسلمة علقت به بعد الردة فان هذا الولد يعتبر مسلما تبعا لأمه ، فاذا مات المرتد ورثه هذا الولد ، لأن المسلم يرث المرتد ..) .

٥ ـ اذا ارتد الأب وكانت الأم كتابية :

اذا كان الأب مسلما فارتد ، والأم كتابية : يهودية أو نصرانية ، وولد لهم ولد فهو كافر ، لأنه ولد بين أبوين ليسا مسلمين ولا احدهما ، لذلك يحكم بكفره ، وفي ذلك يقول الشيرازى الشافعى (.. وان ولد له ولد بعد الردة من ذمية فهو كافر ، لأنه بين كافرين ..) (١) .
ويقول العلامة الشيخ أحمد ابراهيم بك : (.. اما أن كانت أمه كتابية يهودية أو نصرانية فان هذا الولد المولود له منها بعد ردته لا يرثه ، لأنه يجعل تبعا للمرتد لا لأمه ، وذلك لقرب المرتد الى الاسلام ، لأنه يجبر على العودة اليه ، وبهذا يصير الولد فى حكم المرتد ..) (٢) .

٦ ـ اذا قتل الأب المرتد هل يحكم لابنه الصغير بالاسلام ؟ :

المرتد اما ان يتوب فيعود للاسلام ، أو يصر على ردته فيقتل ، فان قتل والد الطفل لردته ، فما مصير ابنه الصغير ؟ أيكون كافرا تبعا لوالده ؟ ام يكون مسلما تبعا للدار ؟

قال المالكية ببقاء الولد مسلما ، سواء ولد قبل الردة أو بعدها ، وعللوا ذلك بأن التبعية للأب انما تكون في دين يقر عليه ، يقول الخرشى : (وبقى ولده مسلما) يعنى أن المرتد اذا قتل على ردته فان ولده الصغير يبقى على الاسلام ، ولا يتبع اباه في ردته ، لأن التبعية للأب انما تكون في دين يقر عليه ، ويقصد بعبارة : « وبقى ولده مسلما » اى حكم باسلامه ، صغيرا كان أو كبيرا ، ولد قبل الردة أم بعدها على المذهب .. ولعل التبعية هنا صارت للدار ، وهى دار الاسلام التى تصلح لاثباتها بقاء ، أو بسبب بقاء الأم مسلمة وان اهمل (الخرشى) بيان ذلك ، وقد أيد ما ذهب اليه الخرشى كل من عليش (٣) والقرافى (٤) من المالكية .

ويمكن اجمال ما تقدم من صور ، بأن كل مولود ولد لمسلمين حال اسلامهما فهو مسلم ، ومن حمل به في الاسلام ثم ولد في الردة فهو مسلم واما من حمل به في حال الردة من ابويه وولد فيها فهو كافر ، ومن ولد لأب مرتد وأم كتابية فهو كافر ، أما من ولد لأب مرتد وأم مسلمة فهو

---

(١) المهذب للشيرازى جـ ٢ ص ٢٢٤ .
(٢) مجلة القانون المصرية : العدد الأول السنة الاولى ص ١٣ .
(٣) شرح منح الجليل ج ٤ ص ٤٦٦ .
(٤) الذخيرة للقرافي مخطوطة جـ ٢ ورقة ٢١٤ .

مسلم ، وكذلك من قتل ابوه مرتدا فهو مسلم .

ولعل من تتمة الحديث ، ولو من وجه ، أن نختتمه بالكلام عمن كان مولودا بين كافرين في دار الاسلام فماتا وهو صغير ، فهل يحكم باسلامه ؟ وان مات احدهما دون الآخر فما حكم الصغير في دار الاسلام ؟؟؟

لندع الحديث لابن قدامة (١) يجلى المسألة قائلا : (وكذلك من مات من الأبوين على كفره قسم له الميراث وكان مسلما بموت من مات منهما) يعنى اذا مات احد ابوى الولد الكافرين صار الولد مسلما بموته وقسم له الميراث ، واكثر الفقهاء على أنه لا يحكم باسلامه بموتهما ، ولا موت أحدهما ، لأنه يثبت كفره تبعا ولم يوجد منه اسلام ، ولا ممن هو تابع له فوجب ابقاؤه على ما كان عليه ، ولانه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من خلفائه انه اجبر احدا من اهل الذمة على الاسلام بموت ابيه ، مع انه لم يخل زمنهم عن موت بعض اهل الذمة عن يتيم .

ويستدل ابن قدامة على رأيه فيقول : ولنا — اى للحنبلية — قوله صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) متفق عليه . نجعل كفره بفعل أبويه ، فاذا مات احدهما انقطعت التبعية ، فوجب ابقاؤه على الفطرة التى ولد عليها . لأن المسألة مفروضة فيمن مات ابوه في دار الاسلام ، وقضية الدار الحكم باسلام أهلها ، ولذلك حكمنا باسلام لقيطها ، وانما ثبت الكفر للطفل الذى له ابوان ، فاذا عدما او احدهما وجب بقاؤه على حكم الدار لانقطاع تبعيته لمن يكفر بها ، وانما قسم له الميراث ، لأن اسلامه انما ثبت بموت ابيه الذى استحق به الميراث فهو سبب لهما فلم يتقدم الاسلام المانع من الميراث على استحقاقه ، ولأن الحرية المعلقة بالموت لا توجب الميراث ، فيجب ان يكون الاسلام المعلق بالموت لا يمنع الميراث ، وهذا فيما اذا كان في دار الاسلام ، لأنه متى انقطعت تبعيته من ابويه او احدهما ثبت له حكم الدار . .)

ولعل من المعقول أن نقول باسلام الصغير في دار الاسلام حين يموت والداه وهما غير مسلمين ، فنجرى عليه حكم الدار لقصوره حفظا له من الضياع ، ولئلا يصير كافرا في المستقبل ، ولكن عند وفاة احد الوالدين وبقاء الآخر فكيف نحكم باسلام الصغير وهو لم تنقطع تبعيته للباقى منهما ؟.

ثم أين هى الأدلة النقلية للرأى المعاكس غير الحديث المتقدم ، وهو محتمل أن ينصرف الى حال وفاة الوالدين كليهما لا احدهما ، خصوصا ان الحديث أسند التأثير للاثنين لا لأحدهما (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) .

لذا . . فان ساغ الحكم باسلام الصغير بوفاة ابويه الكافرين في دار الاسلام ، فلن يسهل التسليم بالحكم نفسه في حال وفاة أحدهما وبقائه في كنف الآخر وولايته ، اذ من الطبيعى ان يتبع الباقى منهما في دينه .

---

(١) المغنى لابن قدامة الحنبلى ج ٨ ص ٥٥٥ .

الاسلام في مستوى الصعيد الدولي

حماية الدولة للأجانب

للأستاذ على الخطيب

فى عصرنا الحاضر تبلغ الدولة مكانتها المرموقة بين الدول ، وتكتسب سمعة طيبة بقدر ما تتمتع به من أمن داخلى متين ، لا يقوم على ارهاب ، ولا ينبثق عن جبن ، بل بفضل ما ينتشر فى الدولة من نظم سياسية ، تقوم على توفير الثقة بحريات الشعب ، والايمان بقدرته على الاحتفاظ بتلك الحرية ، وحسن ممارستها ، ووعيه بحقوق الآخرين فى الدول الاجنبية .

على أن الدولة ترتقى الى الذروة من السمعة الطيبة ، حين يمكنها أن تحفظ لمواطنيها — عن ايمان ورغبة — حقهم فى الامن والحرية داخل بلادهم وخارجها على السواء ، وأن الدولة التى تبلغ بشعبها هذا المستوى من الرقى ، وتدفع به الى هذه الذروة من الحضارة لدولة قوية تستطيع — بجانب « ديمقراطيتها » وحبها للسلام — أن تفرض هيبتها على الآخرين ، فلا يكون أبناؤها عرضة للعبث بهم اذا حلوا بينهم .

ولقد أصبحت الدولة — أية دولة — ذات حق مباشر ، ومسئولية أولية فى حفظ حياة أبنائها ، وكرامتهم وأموالهم فى داخل البلاد وخارجها ، وارتفع هذا الحق الى مستوى الصعيد الدولى ، فأقرته المجالات الدولية ، وأصبح نافذ المفعول بين الدول الصديقة ، أو الدول التى تترابط مع آخرين بمعاهدات واتفاقات ، بواسطتها يتمكن « ممثل » أى بلد أن يباشر عمله فى حفظ حياة مواطنيه ، وأموالهم وكرامتهم ، أينما حلوا .

وانه لمن الواضح أن هذا الحق لم ينظم فى المجال الدولى بصورة فعالة الا فى العصور الحديثة ، ولا نستطيع أن نخدع أنفسنا ونقول : ان الامم جرت على هذا العرف منذ زمن قديم . فالواقع مخالف لهذا المنطق ، وان كانت هناك حوادث فردية تشير الى وجوده فيما سبق من سنين .

فمنذ تفتت الدولة الرومانية ، وابتدأت القوميات تستقل بأراضيها ، وتعلن سيادتها — برزت هذه المشكلة وتضخمت دون ما علاج ، بينما طابع الغدر بأفراد الجنسيات الاخرى قائم برا وبحرا ، ولا تغيب عن أذهاننا وقائع القرصنة فى البحار ، ولا قطع الطرقات فى القفار ، وان نجا ناج من ذلك فقد يتسم بصفة (عامة) كقنصل أو سفير . أما أفراد الناس العاديين فهم هدف الهلاك من أيد تبطش ، وهى تعلم أنها بمأمن من العقوبة .

وان هذا الوضع الذى كانت عليه الانسانية قبل تاكيد هذه الحقوق فى اطار دولى ليصمها ــ حين تشرع لنفسها ، وتنأى عن السماء ــ بالتأخر ، وان ارتفعت فيها الوان الحضارة ، واطنبت لها ابواق الدعاية ، ويكفى أن نعلم هنا أن القانون الدولى الحديث ــ فى هذه المسألة ــ جاء متأخرا أربعة عشر قرنا هى حياة الاسلام ، الذى نظم هذا الجانب ، وأقام حدوده ، ومارس تطبيقه على ضوء من شرعة الله الصائبة التى لا يمكن أن تضل ، واستطاع أن يعلم الدول الاخرى كيف تحافظ ــ فى هذا الجانب ــ على حقه وحق رعاياه .

واذا قلنا : ان الاسلام هو اول من نظم هذا الامر ، وجعله حقا دوليا ، فلسنا نريد بذلك خطف الاضواء له ، أو التبجح بما يبرأ الاسلام منه ، لذلك نقدم (قانون الاسلام) فى هذا الجانب مصحوبا بوقائعه ، حتى لا يشعر القارىء اننا اقتحمنا فكره عابثين مغرورين مغررين .

١ ــ ففى المهد عندما كانت دولة الاسلام هى رقعة المدينة ليس غير ، ولم تكن تلك الدولة ــ ان صح التعبير ــ تمثل قوة (فارس) أو عظمة (الرومان) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بجمع من أصحابه يريد مكة (معتمرا) وارسل عثمان بن عفان رضى الله عنه سفيرا له الى أهل مكة ، يبلغهم رغبة رسول الله وصحابته ، ويبين الهدف من مجيئهم ، وذهب عثمان وغاب ، واشيع بين المسلمين ــ مجرد اشاعة ــ أن عثمان قتل ، فثارت ثائرتهم وجمعهم الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ، فبايعهم فردا فردا على الموت ، وعدم الفرار ، وقال عليه السلام : لا نبرح حتى نناجز القوم .

وسكنت ثورتهم حينما أدركوا أمر الاشاعة ، وعلموا أن سفيرهم سليم معافى . وتلك هى الحادثة التى نزل فيها قوله تعالى : «لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة . . الآية » وفى كتب التفسير تفصيل الحادثة لمن أراد . وهنا يتجلى حق الفرد فى حمايته لدى الآخرين .

وثمة حادثة أخرى ، تبرز هذا الدور .

فقد جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من عكل وعرينة ، وطلبوا اليه ايواءهم ورفدهم ، فأنزلهم الرسول صلى الله عليه وسلم منزلا طيبا خارج المدينة ، وترك لهم ابلا يغتذون منها ، كى تتوفر لهم الصحة والعافية ، حتى اذا برئوا كروا على رعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم ، واستاقوا الابل ، وفروا بها فى الصحراء ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمطاردتهم فلما عادوا بهم أمر بهم فقتلوا جميعا عقابا لهم على غدرهم (١) .

ولم يتوقف معاوية رضى الله عنه أمام وكزة وكزها « بطريق » عند ملك الروم لأحد الاعراب ، وأسرها معاوية فى نفسه ، ثم احتال حيلة كلفته المال الكثير ، حتى اتى بالبطريق أمامه مخطوفا من بلاده ، واوقفه أمام الاعرابى وقال له : أهذا صاحبك . . ؟ قال الاعرابى : نعم . قال معاوية : افعل به ما فعل بك ولا تزد ، فوكزه الاعرابى . . ثم رد معاوية البطريق الى بلاده بعد أن لقنه هذا الدرس العادل .

ولا ينس المسلمون سبب فتح (عمورية) الذى قام به المعتصم الخليفة العباسى الثامن ، فقد كان سببه روميا صفع امرأة عربية فاستغاثت وصرخت . وامعتصماه ونقل الخبر عربى الى المعتصم فلباها بجيش فتح عمورية ، وأتى بالرومى فجعله (عبدا) للاعرابية . وكانت بدورها كريمة الطبع ، سخية السجايا فتركت (العبد) .

ان هذه الحوادث لتقرر فى وضوح حق الدولة الاسلامية فى رعاية ابنائها

---

(١) انظر صحيح البخارى باب قصة عكل وعرينة ، وباب المحاربين من أهل الكفر والردة .

فى الخارج ، والدفاع عنهم ، وتوفير أمنهم وكرامتهم وأعراضهم .. دون غصب ، ولا اعتداء من رعاياها ، ولا ينسى الاسلام أيضا وجوب تربية ابنائه على احترام مشاعر الغير ومقدساتهم ، فلا يجوز للمسلمين بأوطانهم ، أو بأوطان غيرهم أن يسبوا هذه المقدسات ، أو ينالوا منها ، يقول تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله — ١٠٨ — الانعام .

كما لا يجوز للمسلم بوطن آخر أن يرتكب جريمة ، ثم يطلب الى الاسلام حمايته ، ويعنى هذا أن حق الفرد فى حمايته فى الداخل والخارج مصون ، طالما كان هو نفسه مستقيم السيرة ، مستقيم السلوك ، غير هدام للآخرين .

واذا كان الاسلام قد قرر لنفسه هذا الحق ، فهل حفظه للآخرين من رعايا الدول الاخرى الذين يقيمون بأرضه ..؟

ان الاسلام منح هذا الحق — حق الأمن وتوفير الكرامة فى بلاده حتى للأفراد من رعايا الاعداء فى بعض الاحوال .

وان الاسلام هنا « لا يعقد » الاجراءات التى تسمح بهذا الحق ، فقد كان الجندى — أى جندى — من المسلمين (١) يستطيع اعطاء هذا الحق لفرد أو افراد من الاعداء لمصلحة عامة ، فلا يستطيع الحاكم الا أن يمضيه ، فالمسلمون (سواسية) تتكافأ دماؤهم ، ويأخذ بذمتهم أدناهم .

وان هذه البساطة بما اشتملت من وعى ، وهدف لاظهار روح الاسلام ، لا تضيق أبدا برعايا الاجانب على أى وجه كانوا ، سواء كانوا :

ا) أعضاء بعثات سياسية ، أو تجارية ، وما يلحق بهم من موظفين مختلفى الدرجات لشؤون واجباتهم .

ب)أو كانوا أفراد جاليات متعددة الاجناس .

جـ) أو افرادا لجأوا الى الدولة .

د) أو طلبة .

فكل هؤلاء آمنون مطمئنون ، طالما دخلوا البلاد بناء على (معاهدة) أو حصلوا على (اذن خاص) بالاقامة ، ولو كان الحاصل على الاذن عدوا جاء البلاد لمفاوضة فى تبادل الاسرى أو غير ذلك . يقول تعالى :

... فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين — ٤ — التوبة

« بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين » (٢) .

فكل عهد يجب الوفاء به ، ولا يشترط الاسلام من هؤلاء الا أن يحترموا مقدسات اهله ، وعرفهم ، ولا يسعون لضرر بهم ، فان نكثوا هذا العهد ، وطعنوا فى الدين ، وهزءوا بالعرف ، وسعوا الى الهدم ، وجب القصاص منهم تماما كأبناء البلاد .

اما اذا سلكوا بالحسنى ، فالدولة مسئولة عنهم ، وعما يقع لبعض افرادهم من حوادث ، لا تخلو منها دولة ، كان يغتال احدهم ، أو يقتل خطأ ، وتسعى الدولة الى محاكمة الجانى من أبنائها ، وتعويض أسرة القتيل .

قال تعالى فى آية القتل : « وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله ، وتحرير رقبة مؤمنة » — ٩٢ — النساء .

هذا جانب من جوانب « دولة » الاسلام ، وحسب الاسلام فخرا ان القانون الدولى حين قرر وحدد فى هذا الجانب ، كان متاخرا ، ولم يات بجديد ، وكان الاسلام وحده ممهد الطريق ورافع أعلامه . صنع الله الذى اتقن كل شىء .

---

(١) بل أعطاه الافراد العاديين من الرجال والنساء وحديث « قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء » عند فتح مكة معروف واضح الدلالة على هذا . (الوعى)

(٢) ٧٦ آل عمران .

جلّ من أبدع الوجود فنونا

للاستاذ : ابراهيم محمد نجا

ايه دوكان قد أتيتــــك والافـــــ   ـــق جميل السمات .. حلو السفور
والطـــــريق الجميل .. زهر وعطر   وغنـــــاء من جـدول أو غـــدير
يلتـــوى تارة .. ويمتد أخـــرى   مثل ســـطر يمتد بين الســـطور
والروابى خلف الســـــهول عذارى   يتراءين مـــن وراء الســـــتور
وضـياء الصباح يرقص نشـــوا   ن ويشـــــــدو للنرجس المنثـــور
وعبيـــر الزهــور يصـدح فى الرو   ض بلحن من الشـــعاع المنيـــر
ونســـيم المروج منــــديل عذرا   ء ينـــاجى روحى بهمس مثيـــر
عطر الحب نســجه .. وكســـاه   رقة الزهر والنـــدى والحـــرير
وغنـــاء الميـــاه همس شـجى   يسكب السحر فى حنايا الشـعور

* * *

من أعلى الذرى يجىء .. ومن نبـــ   ـــع تغنى فيــه بنـــات الحـور
فهنـــاك المجهـــول يبـدأ من حيـ   ـث تــوارت معـــالم المنظـــور
وهنـــا المـــاء .. والجبـــال حواليـ   ـــه نطـــاق من عـــالم مســحور
وانا جـــالس أطـــل عـــلى النهـ   ـــر الذى يرتمى بحضـــن الصـخور
وادعا لا يـــكاد يصـــــدر منه   غير خفق مـــن قلبـــه المسرور
مثـــل طفـــل قد لاذ بالأم جذلا   ن .. فغطتـــه بالحنـــان الوفيـــر
أنا من حالق أراه .. كمـــا أبـــ   ـصر عينـــا عميقـــة التعبيـــر
وأرى الســـد شامخا .. من بعيد   يتراءى كالمارد الاســـــطورى
جالســـا فوق عرشـــه ، والرعايا   شـــاخصات من رهبة التـــوقير
يملك النهـــر .. فهو يمنح منـــه   ما تراه ســـــجية التـــــدبير

« زار الشاعر ناحية دوكان .. مركز قضاء السليمانية فى شمال العراق .. وفيها سد دوكان الكبير وذلك اثناء عمله بالعراق ففاضت شاعريته بهذه القصيدة التصـويرية الجميلة » ..

يدفق المـاء كالنضـار مذوبا ... وهو أصـفى من رائق البـلور
صـنعة تبهر العقـول .. وفن ... أبدعتـه روائع التفـكير
اعجزت كل صـنعة .. غير ما قد ... أبدعته يد العـلى القـدير
جل من أبـدع العقـول التى تبـ ... ـدع ما فوق قـدرة التصـوير

* * *

ها هنـا رقة الجمـال تجلت ... فى سـهول صـداحة بالطيور
وغـدير يجتـاز بالسـهل نشـوا ... ن يغنى غنـاء طفـل غـرير
وزهـور كانهن عـذارى ... تتلقـاك بالرحيق الطهـور
وسـماء تحلق الروح فيهـا ... وهى ترقى على جنـاح الاثير

* * *

ها هنـا رهبة الجمـال تجلت ... فى جبـال تعلو مطار النسـور
آخذ بعضـها بجـانب بعض ... فهى سـد يصـد كل مغـير
كللت هامها بقـايا ثلوج ... كسنا الفجـر أو كزهـر نضـير
تتبـدى شـم القصـور اذا قا ... مت على السفح .. مثل كوخ صغير
ووهـاد كانهـا الافق المقـ ... ـلوب فى القاع .. من قديم العصور
أو جبال معكوسـة الوضع جوف ... نسـقتها يد الحـكيم الخبـير
جل من ابدع الوجـود فنـونا ... من جمال .. لـكل قلب شـكور
ايه دوكان .. حان وقت رجـوعى ... فاعذرينى .. وسـامحى تقصيرى
واذكرينى كمـا سـاذكر يوما ... مر بى فيـك مثـل حـلم قصـير
ولأودع هـذا الجمـال وارجع ... لحيـاتى .. بين الزحام الـكبير

مائدة القارئ

اعدها : ابو نزار

ما من ليلة يهدى الى فيها عروس أنا لها محب ، او ابشر فيها بغلام احب الى من ليلة شـــديدة الجليد فى سرية من المهاجرين اصبح بهم العدو ، فعليكم بالجهاد .

خالد بن الوليد

فى الجاهلية الاولى

فى الجاهلية الاولى كانت القبـــائل المنهزمة تدع الملذات التى الفتها حتى تدرك النصر ، فاذا نالت ثأرها ، ومحت عارها ، عادت الى ملذاتها وشاعرها يقول :

فســـاغ لى الشراب وكنت قبـــلا   اكاد أغص بالمــــــاء الفـــرات

حقيبة أغرب من الخيال

قال الواقدى : حضر العيد وكنت فى ضائقة شديدة . فقالت امراتى . اما نحن فنصبر ، واما صبياننا فكيف نعمل فى كســـــوتهم . قلت صبرا وكان لى صديقان ، فكتبت الى احدهما أساله العون والمساعدة ، فوجه الى كيسا مختوما فيه ألف درهم ، فما استقر فى يدى حتى بعث الى صـــديقى الثانى يطلب منى العون والتوسـعة ، فارسلت اليه الكيس بخاتمه ثم اخبرت امراتى بما فعلت ، فاستحسنته ، ولم تعنفنى .

وبعد قليل حضر صديقى الأول ومعه الكيس بخاتمه . وقال اصدقنى عما فعلت بالكيس الذى بعثت به اليك . فعرفته الخبر . فقال انك حين طلبت منى العون لم أكن أملك الا هذا الكيس الذى بعثت به اليك ، وارسلت الى صديقى فلان (الصديق الثانى) أساله المواساة ، فبعث الى بهذا الكيس الذى ارسلته اليه .

ابو حازم

روى ان سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموى قدم المدينة للزيارة ، وبعث الى ابى حازم ، فلما دخل عليه قال : تـــكلم يا أبا حازم .. قال : نعم يا أمير المؤمنين أتكلم :

لا تأخذ الأشياء الا من حلها ، ولا تضعها الا فى اهلها .

قال : ومن يقدر على ذلك .

قال : من قلد من امر الرعية ما قلدت .
قال : عظنا يا ابا حازم .
قال : اعلم ان هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من قبلك ، وهو خارج من يديك بمثل ما سار اليك .
قال : مالك لا تجيء الينا .
قال : ما اصنع بالمجيء اليك يا امير المؤمنين . . ان ادنيتني فتنتني ، وان اقصيتني اخزيتني ، وليس عندك ما ارجوك له ، وليس عندى ما اخافك عليه .
قال : فادفع الينا حاجتك .
قال : قد دفعتها الى من هو اقدر منك عليها ، فما اعطاني منها قبلت ، وما منعني منها رضيت .

منهج حياة

اكره الظهور ، وامقت الدعوي ، واجتنب الفضـــول ، اعمل فى صمت ، وامشى فى قصد وهذه الخلال قد تعوق عن الوصـــــول فى عصر كهذا العصر ، اعماله تظاهر ، واقواله هتاف ووسائله اعلان ، وغاياته شـــهوة ، ولكن الذين يندفعون الى الأمام بهذه الدوافع لا يلبثون ان يفقدوا الأجنحة المصنوعة والمحركات المستعارة .

حكيم

فى محيط الاسرة

فى شعوب اسلامية كثيرة لا حرج من تأخير الزواج وتطويل امر الفوضى الجنسية التي تسبقه حتى يمكن اعطاء مهر باهظ ، ودلالة هذا السلوك ان رعاية التقاليد الموروثة ، والوجاهات المنشـــودة ، احظى لدى الناس من رعاية الدين وابتغاء مرضاة الله . وفى الحديث «اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»

***

ان الزواج وحده هو الحل الاول والاخير للمشـــكلة الجنسية ، وهو انبل صلة عرفتها الانســــانية لتكوين الاسرة وتربية الأولاد فى جو زكى طهور . والله يقول : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

***

ان المراة المطروحة وراء سجن من الجهل والعمى يموت معها نصف الأمة ، ويمرض النصف الأخير .
والمراة المتروكة للغى والهوى تضطرب معها الأمة كلها ، ويلعب بزمامهم الشيطان .

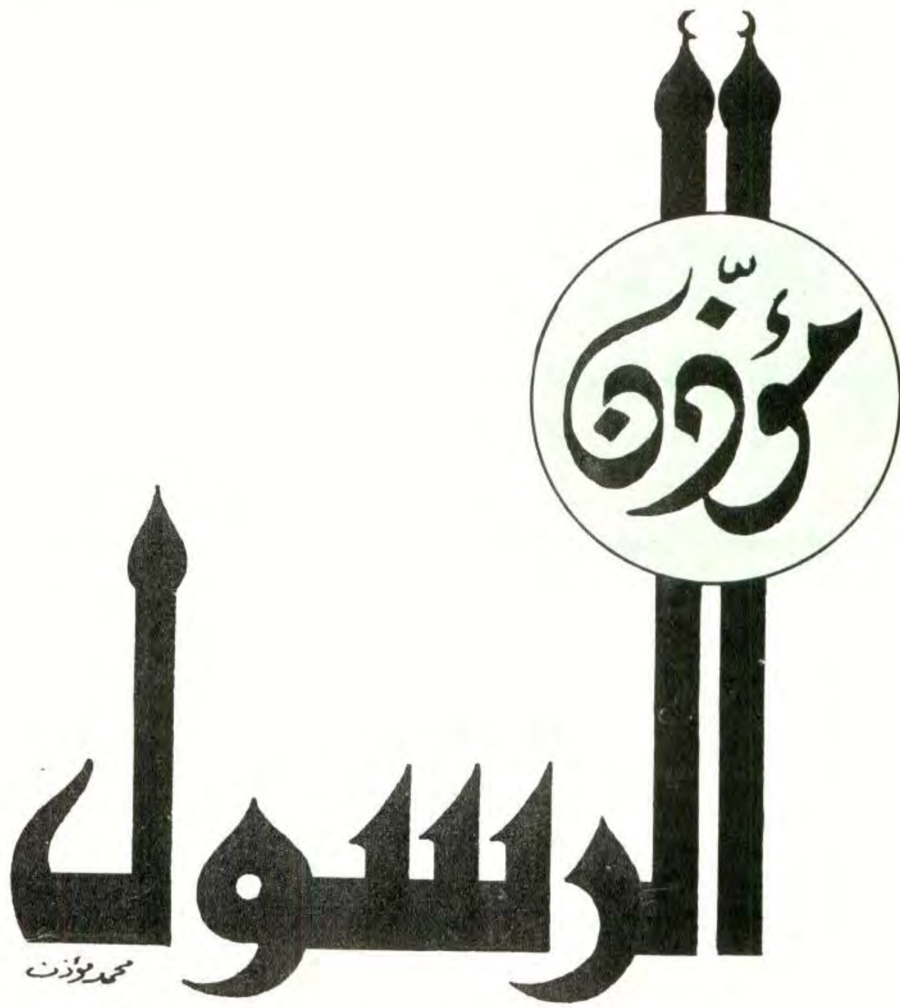
الأيدى الثلاثة

يد بيضاء ، ويد خضراء ، ويد سوداء ، فاليد البيضاء هى الابتداء بالمعروف واليد الخضراء هى المكافأة على المعروف ، واليد السوداء هى المن بالمعروف .

خلق السيادة

نظر المأمون يوما الى ابنه العبـــاس واخيه المعتصم ، فراى ابنه العباس يتخذ المصانع ، ويبنى الضياع ، والمعتصم يمتلك الرجال ، فقال فى المعتصم :

يبنى الرجال وغـــيره يبنى القرى ... شـــتان بين قرى وبين رجـــال
قلق بـــكثرة ماله وضــــياعه ... حتى يفــرقه على الأبطـــال



للاستاذ : احمد حسن قضاة ــ الأردن

نموذج من النماذج الطيبة ، وصحابى عظيم من أولئك الصحابة البررة ، الذين لاقوا الكثير من العنت والاضطهاد فى سبيل العقيدة والثبات على المبــدا ... انه بلال بن رباح رضى ألله تعالى عنه .

نشــاته :

ولد بلال من ابوين حبشيين ، كان قد جىء بهما من الحبشة وبيعا فــى سوق الرقيق بمكة . فنشأ بلال فى قبيلة بنى جمح عبدا لأحد اشرافها هو امية ابن خلف .

وكان بلال عبدا مدللا لدى سيده . فهو مطيع وامين ، حتى ان امية كثيرا ما كان يسيره بقوافل التجارة للقبيلة من مكة الى الشام ، ويخصه مرارا كثيرة بمسئولية القافلة نظرا لأمانته ومهارته .

وعرف عن بلال أنه كان ذا صوت ندى ، يغنى لشباب مكــه فى أكثــر الأوقات ، ويطربهم بحلو نغماته . وكان اكثر ما يتجلى غناؤه ، فى كل مـــرة

يذهب بها مع قوافل التجارة الى الشام ، فينساب غناؤه عندئذ عذبا ، وينسكب فى آذان القوم الذين يرافقون القافلة ، فينعش أفئدتهم ، وينسيهم ما يكونون فيه من تعب الطريق ووعثاء السفر . .

اول الغيث :

وفى احدى سفراته الى الشام كان ابو بكر رضى الله تعالى عنه احد رفاقه فيها . فلما نفقت تجارة قريش ، وكادت القوافل تعود الى مكة ، لمح بلال أبا بكر يجد فى السير فلحقه وسأله . « الى اين يا أبا بكر ؟ » فقال ابو بكر . « الى راهب استفسر منه عن رؤيا رأيتها « . ودعاه أبو بكر ليذهب معه ، فانطلقا حتى أتيا الراهب . وهناك قال الراهب لأبى بكر : « ان صدق الله رؤياك فانه يبعث نبى من قومك ، تكون أنت وزيره فى حياته وخليفته بعد مماته » . فسأل بلال . « وما النبى ؟ » فقال الراهب . « هو رسول من عند الله ، يرسله الله خالق السموات والأرض هدى للناس ، ويأمر ذلك النبى الناس بعبادة الله وحده ، ووصل الأرحام ، وتحطيم الأصنام » .

احدث قول الراهب وقعا عميقا فى نفس بلال ، وراح يتساءل . لم يعبد الأصنام ، ؟ فألفى نفسه لا يدرى . اذ شب بين قوم رآهم يعبدونها ، فعبدها مثلهم . ونشبت معركة بينه وبين نفسه انجلت عن تزعزع ايمانه بالأصنام ، والتشكك فى عقيدته .

النبى المنتظر :

وفى احدى الليالى ، والناس فى مكة نيام ، اذا بصوت خافت من جانب حجرة بلال يهتف به ، فيفيق مشدوها ليجد أبا بكر يزف اليه بشرى ظهور نبى هذه الأمة ، محمد بن عبد الله ، يدعو الناس الى التحرر من عبودية الأصنام الى عبادة الله خالق كل شىء ، والى المساواة بين السادة والعبيد ، والى الاخاء بين الناس جميعا ، فيطرق بلال مفكرا ، فيقنعه ابو بكر باعتناق هذا الدين معددا فضائله ومزاياه ، فلا يلبث هذا أن يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فيسر ابو بكر لذلك ، ويذهب به فى اليوم التالى سرا الى محمد ، فيبايع بلال النبى وهو لا يدرى أنه سيعذب فى هذا الدين ، ويمتحن فيه امتحانا شديدا ، يجعله سيد الممتحنين ، وامام المعذبين الصابرين . . .

العـذاب :

وأصبح يختلف الى الرسول الكريم ، يتلقى منه تعاليم الدين الجديد . وقد أثرت فيه روح محمد القوية ، فحولته من عبد ذليل ، الى انسان ذى مثل عليا .

ووشى به الواشون الى مولاه ، فوقف أمية يوما على باب حجرة بلال يسترق السمع ، ليتأكد من الأمر ، فقرع أذنيه صوت بلال ، وهو يترنم بآيات الله البينات . وأرهف أذنيه فسمع كلاما ما سمع مثله من قبل قط ، فما هو

بالشعر ، وما هو بالسجع . فغمغم فى نفسه : هذا ما سحر العبد ، هذا قرآن محمد . وهنا ثار غضبه ، وضرب الباب بشدة ، ثم اندفع الى الداخل ، فلم يجزع بلال ، ولم يرتجف ، بل حلت فى قلبه السكينة ، وانتظر مصيره المحتوم .

قال له امية : ما كنت تقرأ يا بلال ؟ فقال . كنت أقرأ كلام الله . قال : اى اله ؟ فقال : رب السموات والأرض وما بينهما سبحانه . قال : أكفرت بآلهتنا ، واتبعت رجلا مسحورا ؟ فقال . ما كفرت ، بل هدانى الله الى صراط مستقيم . فثارت ثائرة امية ، ولطمه وصاح به : متى كان للعبد أن يتبع هواه ، او يتخذ له الها غير آلهة سادته ؟ فقال بلال بلهجة الواثق : انى أعرف جيدا أنى عبدك ، ولكن اعلم يا مولاى أن ما تملك منى هو جسدى فقط ، اما عقلى ، اما ما يكنه صدرى ، فهذا جميعه لى وحدى ، ولا شأن لك به .

احـد .. أحد :

وبذل امية ما وسعه ليرد هذا الصابىء ـــ فى نظره ـــ عن دينه الجديد . وهدد وتوعد ، ولكن دون جدوى . وأسرع الى الباب هائجا يصيح بالخدم . انضوا عن هذا الكافر ثيابه ، وألبسوه الأسمال البالية ، وقيدوه . فالتفت بلال الى امية ، وقال : ها هى ذى ثيابكم الغالية ، فلا حاجة لى فيها . وخلع ثيابه ولبس الأسمال ، ثم قيدوه ، ووقف ينتظر العذاب بقلب ثابت ، ونفس راضية ، مما زاد ـــ ذلك من غيظ امية ، فتقدم منه مغضبا ، ووضع فى عنقه حبلا غليظا ، ثم جذب الحبل جذبة شديدة ، آلمت بلالا ، ولكنه لم يتكلم . ونادى امية صبيان القبيلة ، وأمرهم أن يعدوا به فى شوارع مكة ، ليكون عبرة للصابئين ، فخرجوا به يتصايحون ، وهو يردد . احد .. احد . ونال التعب آخر الأمر من الصبيان ، فعادوا به الى الدار ، وهو اقوى على الحق مما كان ، فقد هان لديه كل شىء بعد أن ذاق حلاوة الايمان ..

وعاد اليه امية ، راجيا أن يكون ما صادفه فى يومه من بلاء ، رادعا له . فأقبل عليه يلاطفه : عسى أن تكون قد ثبت الى رشدك يا بلال ؟ فيجيبه . احد .. أحد . وكلما تكلم معه امية بشىء ، يجيبه بشعاره الخالد : احد . احد . فركله هذا ركلة شديدة واتجه صوب الباب ، فصاحبه بلال .. « احد .. احد . والله لو اعلم كلمة هى أغيظ لكم منها لقلتها » .

وتتابع العذاب عليه ، وهو صامد ثابت ، لا تضعف له قناة ، ولا يلين له جانب . وقد تفنن امية فى تعذيبه ، فقيده يوما واضجعه على الرمال ، وتركه للشمس يلفحه حرها ، ثم أمر بوضع صخرة كبيرة فوق صدره ، فازداد الكرب على بلال ، ولكنه ازداد مع ذلك صلابة وعنادا .

أبو بكر يشتريه ويعتقه :

وسمع ابو بكر ـــ وكان جالسا عند النبى ـــ ما بلغ بصاحبه من العذاب . فخرج مسرعا الى المكان الذى يعذب فيه ، وصاح مغضبا بأمية . الى متى

تعذب هذا العبد ؟ فيجيبه أمية : انه يعذب بسببك يا ابن ابى قحافة ، فما افسده سواك . وحدث رد واخذ فى القول بين الرجلين قال له أبو بكر اخيرا . انى على استعدادا لشرائه . فقبل أمية — تخلصا منه — واشتراه ابو بكر ، ثم ازاح الصخرة عن صدره ، وانطلق به الى الرسول . وفى الطريق التفت بلال الى أبى بكر وقال « ان كنت انما اشتريتنى لنفسك فأمسكنى ، وان كنت انما اشتريتنى لله فدعنى وعمل الله » فأطلق أبو بكر سراحه .

راحت قريش تطارد المسلمين وتفتن فى ايقاع الأذى بهم ، وزال ما كان فيه بلال من نعيم عند أمية ، وأقبل بدلا منه التشرد والجوع ، فما نال هذا التبدل من نفسه شيئا ، بل زادها صفاء وصقلا ..

الحنين الى الوطن :

ولما هاجر المسلمون سرا من مكة الى المدينة ، بعد ان ضاعفت قريش اذاها لهم ، هاجر بلال مع من هاجر ، تاركا وراءه مكة الحبيبة .. مكة التى نشأ فيها ، ودرج فى رحابها ، وتربطه بها ذكريات عزيزة عليه ، وان لم تكن جميلة كلها بسبب ما لقى على أرضها من عذاب . ثم لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى المدينة ، كان الوباء منتشرا بها ، فأخذت الحمى كثيرا من المسلمين . وكان بلال كلما اقلعت عنه الحمى فترة ، ينتقل به خياله من يثرب الى مكة ، فتجيش نفسه بالحنين ، فيرفع عقيرته ينشد بصوته العذب الحنون .

الا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل (١)

ثم يقول : اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من مكة .

ولما وصل خبر ذلك الحنين الى سمع النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أحبب الينا المدينة حبنا مكة أو اشد » .

مؤذن الرسول :

وعندما اهتدى المسلمون الى ما يدعوهم الى الصلاة من اذان كان قد أسند الى بلال بايعاز من الرسول — أمر الأذان ، لعذوبة صوته كما قدمنا ، فكان ينساب الأذان من حنجرته فى أجواء يثرب ، حلوا نديا ، يسحر القلوب ويخلب الألباب ..

مقتل امية :

وانجلت غزوة بدر الكبرى عن هزيمة المشركين وانتصار المسلمين كما هو معروف ، وقد قتل فيها أكثر سادات قريش واشرافها ، وفيهم أمية بن خلف مولى بلال . قتله بلال وهو يقول : أمية بن خلف لا نجوت ان نجا » .

اين انتم من بلال :

ولما جاء آل هند الخولانية — زوج بلال فيما بعد يستمعون رأى رسول الله فى بلال ، بعد أن كاشفهم بحاله لما جاءهم خاطبا . قال لهم رسول

---

(١) أسماء أماكن وجبال بمكة وما حولها .

« البقية ص ٨٧ »

لالا.. خديجة

محمد مؤذن

قصة من نضال الجزائر عاش رجالها أروع أيام الحياة

للاستاذ : محمد صبيح

مقدمة :

« من دق الطبول ورقص الخيول .. من أزيز الرصاص ومروق الحراب والسهام ، صاغت أوروبا خيالاتها عن الشرق .

ومن الاناء الكبير ، وموقد الحطب ،والطاهى الاسود ، والرجل الأبيض موثوق الكتاف ، قدمت اوروبا فكاهاتها ، لتقول ان اهل القارة الافريقية ، لا شيء يبهج زعيمها غير وجبة دسمة من لحم البشر !

وتجاهل الرجل الأبيض ، فى القارة الاوروبية الصغيرة ، ان كل فكرة تعيش فيه ، وكل علم تعتز به ، انما حمله اليها أقوام عاشوا فى افريقية وآسيا ، وعبروا لها المضيق الذى يحمل اسم واحد من أبنائهم – مضيق طارق – وأشعلوا فى ظلام الفكر الاوروبى ألف شمعة وشمعة ، حتى خلص هؤلاء البيض من جهالتهم العمياء ، ولكن شيئا لم يتخلصوا منه بعد ، وهو التعصب الأسود ضد كل ما هو شرقى .

والحرب الدائرة الآن ، فى فلسطين ، وماحولها ، هى قمة هذا التعصب ، تعود بالانسان العربى الى صراعه الأكبر منذ عشرة قرون ضد ملايين الاوروبيين الذين رفعوا شعار الصليب ظلما للصليب وتعاليم صاحبه عليه السلام ، لكى تخوض خيولهم الى بطونها فى دماء المسلمين ، ولكى يشقوا طريقهم الى مكة المكرمة والمدينة المنورة !! ولكنهم خابوا بالأمس ، وارتد سعيهم خذلانا وعارا ، وانتقلت المعركة على أيدى العثمانيين الى عقر دارهم حتى نهر الدانوب ..

وهذا الانسان العربى .. وهذا العالم الاسلامى ، ان يترك المغتصب يفوز اليوم ، بما عجز عن الفوز به بالامس .. فالطاقات تتجمع ، والمعركة توشك أن تتجدد ..

ولنا فى معركة الجزائر الباسلة أسوة .. وهذه صفحة من صفحات نضالها تفىء بأروع المعانى .. »



« الفصل الاول »

المكان : منطقة صخرية من جبال الاطلس ، تعلوها أعلى قمم هــذه الجبال ، التى اســمها « لالا .. خديجة » اى السيدة خديجة .

الأشـــخاص : الرجال : رزق البشـــير ــ عبدون ــ بن مهدى العربى ــ آخرون ..
النساء : زهرة ــ رضـــا ــ امينة ..

(**الريح** : يسمع صوتها تزار بين قمم الأطلس .. ثم تهدأ وتســكن تدريجيا) ..

رزق البشير : (هامسا فى اناة) يا شباب .. امسكوا حبالكم جيدا .. خمس دقائق باقية على الفجر . ونصل الى قمة « لالا .. خديجة » .

الرجال : « لالا .. خديجة » .. ويتردد النغم .

الصدى : « لالا .. خديجة » .. « لالا .. خديجــة » .. (يخفت الصـــوت من بعيـــد) « لالا .. خديجة » ..

أصوات : (تسمع انفاس الرجال .. ووقـــع اقدامهم) .. هوب .. صوت بنادق .. وصناديق توضـــع على الأرض .

رزق البشير : هيا يا شباب .. نحمل صناديق الســـلاح والذخيرة داخل المخبأ قبل ان تكشف الطائرات مكاننا ..

(تســـمع حركة نقل ، وهمهمة اصوات) .

حسنا .. والآن .. هيا نصـــلى الفجر (صمت قليل) الله اكبر .

صوت : (موســيقى مثل دقات الساعة)

الجميع : الســلام عليكم ورحمة الله ..

رزق البشير : يا شـــباب انا

تجاوزت الستين ، ولكنى احس انى فى عافية ابن العشرين .. فهـذا الجبل الجبل (الجرجورة) كأنه جزء منى ، او انا جزء منه .. عال .. طاهر .. قوى .. يرفع رأســه دائما .

عبدون : استـرح قليلا يا عمى رزق ، فان لدى أسـئلة عن هذا الجبل ، من جبال الأطلس .. ولماذا سميت قمته « لالا .. خديجة » .

رزق : انت يا عبـدون يجب ان تستريح .. فستنزل بعد الظهر الى نصـف الجبل ، تنتظـر اخواتنا المجـاهدات أمينة وزهرة ورضا وتحضر لنا منهن التموين ، وشقيقتك أمينة تحضر لنا معهـا تعليمـات القيادة ..

بن مهدى : هواء الجبل النقى ، ملأ قلوبنا نشاطا ، وعيوننا يقظة .. واحاديثك معنا عن كفاحنا وذكريات ماضينا ، تملأ نفوسنا عزما ..

رزق : حسنا يا اخوانى .. قصة « لالا .. خديجة » سـمعتها من أستاذى عبد الحميد بن باديس ، طيب الله ذكره ..

الجميع : رحمة الله عليه .

رزق : نعم .. انه شيخنا الذى جدد لنا شباب الايمان ، فى جمعية العلماء التى أنشأها ونماها ، ودفع حياته ثمنـا لها ، لكنه ترك وراءه رجالا مؤمنين بداعى الاسـلام .. قال لنا ان العرب عندما وصلوا الى هذه البلاد ، صـعدوا الى هذه القمة ، ورفعوا فوقها راية الاسلام . وكانت راية سيدى عقبة بن نافع ، قيل انها كانت من رايات سيد الخلق سـيدنا محـمد عليه أزكى صلاة وتسليم .

الجميع : صلى الله عليه وسلم

رزق : ونصب هؤلاء المجـاهدون الأول رايتهم فى هذا المكان ، واطلقوا عليه اسم أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها .

عبدون : اى ان «لالا .. خديجة» هى سيدتنا خديجة .

رزق : نعم .

عبدون : يا له من جهد ان يصعد هؤلاء البواسل الى هذا المكان .

رزق : ولقد صـعدوا ايضا الى جبال الألب بعد ذلك ، واقاموا فيها ثمانين سنة كانوا سـادتها ، وقمم الألب اعلى من هذه القمة وتكسوها الثلوج ..

بن مهدى : ان اختى امينة دائما تدرس لتلميذاتها سيرة السـيدة خديجة ، وتقول انهـا بصـبرها وايمانها تلهم بنات الجزائر ، ويكفى انها وهى فى الستين احتملت حصار قريش ثلاث سـنين فى شـعب الجبل ..

رزق : نحـن دائما نكتب تاريخ الرجال .. اما دور نسائنا من اجل الحياة والحق ، فطالما نسيناه .. ولكن الذين سبقونا لم ينسوه أبدا .

عبدون : نريد أن نسـمع ايضا قصة سيدى عقبة .

رزق : سـأحكى لـكم قصته . وقصة نساء الأطلس ، قبل الاسلام ودورهم فى كفاح غزو الرومان .. والآن نستريح قليلا .

(يسـمع صـوت الريح ، تنقل نغمة : (لا لا خديجة وصداها) .

— ٢ —

صوت : (صوت صفارة يأتى من بعيد)

صوت نسائى : زهرة .. زهرة .. هل سمعت صوتا !

زهرة : نعم يا امينة .. هذه صفارة اخيك عبدون .. اختنا رضا تستطيع ان تقلد صفارته وترد عليه (تنادى) : رضا رضا .. أين انت .. كانت وراءنا من دقيقة .

امينة : انتظرى يا زهرة مع هذه الأشياء لأعود باحثة عن رضا .. (فترة صمت) رضا .. رضا .. يا سلام عليك يا رضا .. لماذا لا تردين ؟ هل تعبت ؟

رضا : (فى همس) هس .. س .. س .. هذا زوج من فراخ الحمام الصغير ينتظر امه .

أمينة : وهل انت أم الحمام ؟ حتى تجلسى معه هكذا ؟

رضا : ايوه انه يرقد بين يدى مطمئنا ، بعد ان اعطيته فتات طعام كان معى .

امينة : حسنا .. اتركيه الآن ، فأمينة وحدها .. وعبدون فى طريقه .

رضا : نفسى اصير مثل هذا الحمام الطاير .. فى حرية .. فى امان .. اغنى .. واعبد الرحمن .. (تقلد صوت الحمام فى نغمة قريبة من لفظ الرحمن) .. ها انذا اعيده الى عشه حتى لا اغضب امه .

امينة : لقد قدموا يبحثون عنا ..

عبدون : انا عارف زميلتنا رضا ، انها تجمع زهورا جبلية .

امينة : تقريبا .. انها مثل الغزال الشارد .. تعيش فى شعرها ، وأحلامها ..

رضا : (تغنى) ..

المجموعة :

هيا بنا هيا بنا
نزف مجد أمنا
هيا نوادع المنى
بشدونا وحبنا
ونملأ الدنيا غنا
لالا خديجة

الصدى : لالا ..

المجموعة :

هيا بنا الى الجبل
نرقى الوهاد والقمم
وعند اشراق الأمل
هيا نثبت العلم
نقيم أيدى أمنا
لالا خديجة

الصدى : لالا خديجة ..

المجموعة :

هيا نصافح السحاب ..
والجليد .. والمطر
وبالزهور والربيع ..
والنجوم .. والقمر
نقيم أيدى امنا
لالا خديجة

الصدى : لالا .. (1)

عبدون : يا جماعة .. ما احلى اصواتكن .. يا ليت اخواتنا هناك فى القمة كانوا معنا الآن .

رضا : نحن قررنا ..

أمينة : نعم قررنا ان نصعد الى القمة .. فمعنا علم جيش التحرير ، نسلمه لكم فى المكان الذى سيرفع فيه يوم النصر ، وهو قريب .

رضا : (فى شدو) نعم نرفعه .. فوق .. فوق .. فوق ..

عبدون : هذا غير معقول .. تعليمات رزق الشير أنى آخذ منكن التموين هنا .. وتعدن .

امينة : مرة واحدة نطلع الى القمة .. نشعر اننا اقرب الى ربنا .. والى أرواح شهدائنا ..

زهرة : ان لم تاخذنا .. لن نبرح هذا المكان .

---

(1) الشعر من نظم الشاعر القاهرى احمد سويلم .

عبدون : انا اعلم ان الرحلة خطرة .. لكننا نسينا الخطر من زمن .

رضا : (تغنى : فوق .. فوق .. فوق) .

— ٣ —

رزق البشير : انت يا عبـــدون احضرت الطعام ، ومن عمل الطعام ؟

عبدون : كان هناك تصـــميم .. وانت تعلم امينة ، وفرقتها !

البشير : اهلا بهن على كل حال .

بن مهدى : انت وعدتنا بقصتين عن نساء بلادنا ايام الرومان ، وعن سيدى عقبة .

البنات : نعم . نريد ان نسمع !

البشير : حـــدث مرة ايام حروب الرومان ضدنا ، وكان هـــذا قبل الاســـلام بقرن ونصف قرن ، أن ارسلوا جيوشا جرارة ، للاستيلاء على أكبر مدننا ، وهى قرطاجنة .

رضا : أيام هانيبال ، البطـــل العظيم ؟

البشير : تأملى يا بنتى يا رضا ، ننطق اسم واحد من أبطالنا مثل ما يكتبه وينطقه الأعاجم .. هـــذا البطل ، أصله من الشام ، واسمه (حن بعل) يعنى الاله القديم بعل عطف عليه .

زهرة : غريبة .. بطلنا هـــذا من الشام .

البشير : جدودنا القـــدامى . وأصولنا كلها من الشام .. كان فيه مملكة اسمها صور ، وحدثت مظالم اضطرت أهلها للهجرة فجاءوا الى هنا .. وحتى (حن بعل) عنـــدما خسر آخر معاركه مع روما ، رحل الى أرض أجداده ، ومات ودفن فى انطاكيه .

عبدون : يعنى نحـــن عرب من الأزل .

البشير : نعم . وبعد (حن بعل) ابنه اســـتمر فى الحـــرب ، ورد الرومان عن قرطاجنة ، وقد مات فى هذه المعارك أكثر من نصـــف مليون قتيل .. وفى احدى المعارك بليت الحبال التى يتســـلق بها المغاربة للحصول على تموين المدافعين ، ولم يجدوا الا مطلقا نتيجة الحصار .

أمينة : وكيف تصرفوا اذن ؟

البشير : جاء دور النســـاء لانقاذ الموقف ، اذ قص النساء شعورهن ، وجدلن منها حبالا ، وكانت هـــذه تضحية عظيمة ، فان الشعر الطويل كان زينة نساء ذلك الزمان .. أليس كذلك يا رضا ..

أمينة : رضا غابت فى خيـــالها الشاعرى .

رضا : (تغنى .. وموســـيقى أشبه بحركة المقصات .. وأصداء المعركة) ..

صوت :

لا وقت للعطـــر
والســـحر والزهر

أصوات :

جدتم بما يغـــلو
بالروح .. والعمر
ونحن نهديـــكم
جدائل الشـــعر

صوت :

حبـــائلا طالت
تضيق بالصـــبر
شدوا بها الشـــما
من مفرق الفجـــر
وأســـمعوا الدنيا
تـــكبيرة النصر

البشير : ما أكثر تضحيات بلادنا ضـــد أوربا .. معـــركتنا الآن ضد فرنسا ليست الا حلقة من سلسلة معـــارك اســـتمرت الفين من السنين .

أمينة : وقصة سيدى عقبة يا عم رزق .

البشير : حسنا . اســـمعوا يا

اولادى : لما جاء العرب ، رحب بهم كثير من اهلها المغاربة لاتحاد الاصول كما ذكرنا ، ولكن البلاد واسعة ، وكانت الحملات لها محدودة العدد ، ومعاركها ضارية جدا بسبب تغلغل الرومان فيها .. ومن هذه المعارك ما يوازى ما قام به خالد بن الوليد ، وسعد بن أبى وقاص وعمرو بن العاص .. وكانت مصر هى مركز الغزو كلما سمحت ظروف الحكم فى دمشق .

امينة : سيدى عقبة جاء مرتين الى المغرب .

رزق : نعم فى المرة الاولى بنى مدينة القيروان لتكون عاصمة البلاد بعيدا عن المدن الساحلية ، ولكنه استدعى الى دمشق .. فترك خلفه أحد رجاله ، وهو أبو المهاجر .

زهرة : وهل تابع أبو المهاجر الحرب .

رزق : انهمك فى بناء عاصمة جديدة له ، وترك القيروان تنعى من بناها .. وما هى الا فترة من الزمن حتى عاد عقبة ، فقيد أبا المهاجر فى معسكره ، حتى لا يفسد عليه الأمر ، وتابع الغزو حتى وصل الى طنجة ومراكش .

رضا : نعم . انا اعرف انه واجه المحيط الاطلنطى بخيله .

البشير : انه ما تزال صورة شيخنا عبد الحميد بن باديس ماثلة أمامى الآن وهو يردد خطبة عقبة ، وأمواج المحيط تزمجر أمامه وهو يقول :

« اللهم انى لم اخرج اليك بطرا .. ولا اشرا

« انك سبحانك لتعلم انما نطلب ان تعبد ولا يشرك بك شىء

« اللهم انا معاندون لدين الكفر ، ومدافعون عن دين الاسلام

« فكن لنا يا ربنا ، ولا تكن علينا يا ذا الجلال والاكرام » .

رضا : لقد تحركت نفسى بشعر يردد اقوال سيدى عقبة .

الجميع : قولى يا شاعرة الجزائر قولى .

رضا :

أيها الأطلسى ماذا وراءك
آه لو اننى علمت انتهاءك
آه لو كانت الجبال .. لدكت
ولعكرت بالرمال صفاءك
ولأجريت بالدماء الرواسى
ولبددت بالهدى ظلماءك

امينة : يا عمى البشير .. وماذا حدث لسيدى عقبة ، بعد ذلك .

البشير : عاد جيشه منصورا ، وفى ركابه كسيلة أمير البربر الذى تظاهر بالاسلام .

رضا : وما أصل البربر ؟

البشير : انى احب مقاطعتك يا بنتى .. البربر كلمة أطلقها الاغريق القدماء على اجدادنا ، لأنهم كانوا لا يفهمون لغتنا القديمة .. وليس معناها أننا همج .. ثم اختلط بنا نحوا من ثمانين ألفا من الوندال النازحين من المانيا الى أسبانيا الى المغرب .

امينة : ولكن الفرنسيين حاولوا أن يبحثوا عن أصول قديمة للغة البربر .

البشير : ووجدوا الكثير من الفاظها أصله عربى .

زهرة : وماذا حدث لسيدى عقبة ؟

البشير : عاد منصورا ، وقرب القيروان ، أمر الجيش أن يسبقه ، وظل هو فى المؤخرة مع ثلثمائة من رجاله ، ومنهم أبو المهاجر وكسيلة .. ولكن كسيلة هذا هرب ، وجمع بسرعة قوة من انصاره ، وحاصر معسكر عقبة .. ففك قيد أبى المهاجر ، وأوعز له أن يتسلل

ويهرب ، ليدبر الامر فى القيروان ، وهنا حدث حادث من أروع صور البطولة .

رضا : (فى لهفة) ماذا حدث ؟

البشير : رفض ابو المهاجر ، ان ينجو بنفسه ، وعزم على أميره ان ينجو هو ، اذ كيف يترك ميدان الفداء والاستشهاد ليصبح أميرا .. ان مركز الشهادة اعلى وأعز من كل ما سواه ..

رضا : هذا عظيم .

البشير : وحارب الاثنان واستشهد الجميع ، وهناك قرب بسكرة توجد أضرحتهم ، وهى كما تعلمون اعظم مزار اسلامى فى شمال افريقية كلها ..

امينة : عندما تفتح مدارسنا بعد النصر ستكون دروسى عن هذه الامجاد ، ونريد أن نسمع تاريخنا أيام دولتنا العربية ، ودولتنا التركية .

بن المهدى : اننا جئنا هنا نحارب ، لا لنسمع التاريخ .

عبدون : حربنا اليوم ، جزء من تاريخنا القومى .. وكلامنا هذا جزء من حربنا ، وعدة نضالنا وطريقنا للنصر .

البشير : تمام يا ولدى . انت تعرف مثلنا الجزائرى الذى يقول : « ما ينكر اصله الا البغل » .

صوت : (أزيز طائرة) .

عبدون : هس .. هذا صوت طائرة .. ادخلوا المغارة .. هات الرشاش يا ابن المهدى ، خذ حافة الجبل الشرقية ..

صوت : (الطائرة تقترب) .

رضا : أريد ان ارى اخوانى ، وهم يصطادون العدو فى الجو .

صوت : ارجعى يا مجنونة الطيار شافك وشاور عليك .

الطائرة : (تطلق مدفعها الرشاش) .

رضا : (تصاب . وتقول فى أنين) أضربوا .. اضربوا يا اخواتى .

صوت : (طلقات موجهه نحو الطائرة .. صوت انفجار) .

عبدون : (فى فرح) صدناها .. صدناها .

صوت : (ارتطام ضخم فى سفح الجبل) .

بن المهدى : (يحضر من مركزه) مالكم ساكتون ؟

رضا : (بصوت ضعيف) الحمد لله .. رايت نصرنا .. رايت عدونا نازل تحت .. تحت .. تحت ..

عبدون ــ بن المهدى : (فى ذعر) رضا أصيبت ..

زهرة : (فى صوت باك) يا ليتنى كنت المصابة .. رضا مدرسة ، ولازمة لبلدنا اكثر منى .

رضا : (فى صوت خافت) .. يا عم البشير .. احكى حكاية بابا عروج .. وخير الدين .. روحى ستكون معكم وتسمع .

البشير : حاضر يا رضا .. يا اعز المجاهدات ..

رضا : انا ذاهبة للشهيدات .. زاهية .. وحسيبة .. ووديدة .. وبهية .. وكلنا ذاهبون عند ام المؤمنين آمنت بربى ونبيى .. وعروبتى ووطنى ..

البشير : استريحى يا بنتى .. ربنا يلطف بك وبنا جميعا .

رضا : اشهد الا اله الا الله .. وان محمدا رسول رسول .. انا ذاهبة (.. لا .. لا .. خديجة .. لا .. لا

الصدى : (يردد) لالا خديجة .. لالا .. خديجة) ..

الله صلى الله عليه وسلم . « اين انتم من بلال ، اين انتم من رجـل من اهـل الجنـة ؟ » .

بعد وفاة الرسول :

وعندما توفى الرسول الكريم عليه السلام ، ترك فى نفوس الناس لوعـة واسى . فهذا بلال لا يفتأ بعد وفاته يتذكر حب النبى له وعطفه عليه فيقول . ان فى موته خسارة ، ولكن هذا قضاء الله ، فصبرا جميلا . ثم يأبى أن يـؤذن لأحد ـ ما استطاع ـ بعد رسول الله . .

جهاده فى سبيل الله :

دارت المعارك الطاحنة بين الجيوش الاسلامية ، وجيوش الفرس فـى العراق وجيوش الروم فى الشام ، فهب المسلمون يتسابقون الى الشهـادة . ولحق بلال بأبى عبيدة فى الشام ، اذ خرج وزوجه من يثرب ، تاركين الأهل والوطن ابتغاء مرضاة الله ، فانضما الى الجيش ، وراحا يزحفان معه صوب بيت المقدس .

واتجه أبو عبيدة الى الجابية ، وصحب بلالا معه ، وجاء عمر فأقبل عليه الناس ، ثم حان وقت الصلاة ، فطلب الناس من عمر أن يأمر بـلالا بالأذان . فانطلق صوت بلال الذى طالما سرى فى المدينة على عهد الرسول ، فأهـاج الذكريات ، وبكى الحاضرون لذكرى الرسول الحبيب ، وبكى عمر حتى بـل لحيتـه .

فتح القدس :

وفتح المسـلمون بيت المقـدس ، وراح بلال يجـوب المدينة التى أورثهم الله اياها . وتذكر يوم قال لهم النبى . أن الله سيورثهم ملك الفرس والروم ، فقال . صدقت يا رسول الله ، أين من كانوا يكذبونك ليروا اليـوم جيوشك المظفرة وهى تكتسح جيوش الفرح والروم ؟ أين من كانوا يسخرون كأمية وأبى جهل وشيبة ليروا نصرك المبين ؟؟ »

رؤيـا :

ورأى بلال ليلة فى منامه النبى الحبيب يعـاتبه ليذهب لزيارته ، فخرج من الشام قاصدا يثرب حيث قبر الرسول عليه السلام ، وهناك وقف أمام القبر هاتفا بصوت تخنقه العبرات . السلام عليك يا رسول الله . ثم مكث بالمدينـة ما شاء الله له ان يمكث . وأخيرا قرر العودة الى الشام فاتجه قبل عودته الى اصحابه مودعا باكيا كأنه يودعهم الوداع الأخير . . .

وفاتـه :

واسـتأنف بلال حياته فى الشـام ، الى أن حضرته الوفاة . ولحق بحبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبصحبه الكرام الذين سـبقوه الى الجنة . . رضى الله عنهم أجمعين .

الفتاوى

في الزكاة

السؤال :

١ ـ هل يجوز الصرف من الزكاة على مستحقيها قبل وبعد وجوب استحقاقها ؟

٢ ـ وهل يجوز ان يصرف منها للهيئات الخيرية لاغاثة ومواساة المسلمين المتضررين من الحروب والنكبات ـ ولبناء مساجد ومدارس ومساعدة الدعوة الاسلامية لمقاومة الاحتلال الصهيونى ؟

٣ ـ وهل يجوز ان يصرف منها لمنكوبين مسيحيين ؟

محمد العبد الله ـ الكويت

الاجابة :

١ ـ بالنسبة لتعجيل الزكاة : يجوز تعجيل الزكاة واداؤها قبل الحول ولو لعامين فعن الزهرى انه كان لا يرى بأسا ان يجعل زكاته قبل الحول وسئل الحسن عن رجل اخرج زكاة ثلاث سنين ايجزيه . قال يجزيه . قال الشوكانى والى ذلك ذهب الشافعى واحمد والاحناف . وقال مالك انه لا يجزى حتى يحول الحول واستند الى الاحاديث التى بها تعلق الوجوب بالحول . وتسليم ذلك لا يضر من قال بصحة التعجيل لأن الوجوب متعلق بالحول ، فلا نزاع وانما النزاع فى الاجزاء قبله ، وسبب الخلاف نشأ عن كون الزكاة هى عبادة أو حق واجب للمساكين ، فمن ذهب الى أنها عبادة كالصلاة لم يجز اخراجها قبل الوقت ومن قال أنها حق واجب للمساكين أجاز اخراجها قبل الوقت على جهة التطوع استنادا الى حديث على رضى الله عنه . ان النبى صلى الله عليه وسلم استسلف صدقة العباس قبل محلها .

٢ ــ بالنســبة للجهات التى تصرف اليها الزكاة : قال تعــالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليهــا والمؤلفــة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

هناك اشخاص لا يجدون ما يكفيهم ولا يقدرون على تحصيل ما به يكتفون ، وهناك مصالح ضرورية لا بد منها فى اقامة الدولة والدين وقد ورد فى الآية من الافراد . ابن السبيل وهو الشخص الذى انقطع عن بلده واحتاج الى المال ــ ويعتبر كل مسلم تضرر من الحروب والنكبات ممن تجوز صرف الزكاة اليه ــ كما ورد فى الآية أن من الجهات التى تصرف لها الزكاة « وفى سبيل الله » وهذه تشمل سائر المصالح التى هى اساس الدولة واولها الاستعداد الحــــربى بجميع لوازمه من مستشفيات ومعدات كما تشمل انشــاء المســاجد فى الجهات التى لا توجد فيها المساجد الكافية ، وانشاء المدارس والمعاهد ومساعدة الهيئات الاسلامية التى تدعو الى اقامة الدين وشعائره ومقاومة اعداء الدين كاليهــود وهؤلاء ، لا مانع من دفع الزكاة اليهم ، ونقل عن بعض الفقهاء ــ انهم اجازوا صرف الصدقات الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد ، لأن سبيل الله عام فى الكل . وذهب بعض الفقهاء الى انه لا يجوز صرف الزكاة فى بناء مســجد أو مدرســــة أو فى حج أو جهاد أو نحو ذلك لأن ذلك تمليك لغير مستحق الزكاة ــ والتمليك ركن للزكاة .

٣ ــ بالنسبة لصرف الزكاة للمنكوبين المسيحيين :

الزكاة المفروضة لا يجوز دفعها لغير المسلم بالاجماع لأن النبى صلى الله عليه وسلم جعلها لفقراء المسلمين فقط فى حديثه لمعاذ حين بعثه الى اليمن وقال له «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» . واما صدقة الفطر فذهب جمهور الفقهاء الى عدم الجواز وذهب البعض الى جواز دفعها الى غير المسلم واما سائر صدقات التطوع فجمهور الائمة على جواز دفعها لغير المسلم ــ والافضل دفعها الى القريب لما فيه من صلة الرحم .

السؤال :

رضعت والدتى من اختها الكبيرة (خالتى)
فهل يجوز لى الزواج من بنت خالتى التى رضعت منها امى ؟

م. ع. ا.
الكويت

الاجابة :

المقرر شرعا انه يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب . وبرضاع والدتك من اختها الكبيرة صارت أما لها من الرضاع وبالتالى يصير أولاد المرضعة اخوالا لك من الرضاع وخالات . ولا يجوز لرجل أن يتزوج خالته من النسب او الرضاع .



التعليم الجامعي

أما في رسالة من الكاتب الكبير والمؤلف الاسلامي المعروف الاستاذ محمود مهدى استانبولي وجهها الى السادة مديرى الجامعات العربية واساتذتها من اجل تجديد الارادات وشحذ الهمم والسير في دروب الاصلاح الصحيح لانشاء جيل جديد يتحمل التبعات واعادة المجد الضائع . وقد صدر هذه الرسالة بقوله : ان التعليم الجامعى فى الحالة الراهنة لا يستطيع أن يقوم بهذا الدور القيادى والعمل المصيرى . ما لم تحـدث انقلابا جذريا في مناهج الجامعـة واساليبها وامتحاناتها . وما لم نعد الى ذاكرتنا اهداف هذا التعليم بصورة واضحة .

وتناولت الرسالة بشيء من التفصيل اهداف التعليم الجامعى الذى ينشد اعداد صفوة من الشباب الطموح الوثاب لقيادة أمتهم فى الميادين المادية والروحية .. وهذا لا يتم الا بتعليم يقوى فى الطلبة الشعور بالتبعية ، ويدفعهم الى الحرية فى البحث والاستقلال في الراى . يتعرفون على مشـكلات امتهم ووطنهم ، ويساهمون فى وضع الحلول لها بابداع ودراسة وتخطيط .. كل ذلك بموضوعية وشمول خاليين عن التعصب والهوى ، وبروح جامعية بعيـدة عن السطحية والغرور .

وتطالب الرسالة بان تعمل الجامعات على تشجيع البحث العلمى والعمل على تقدم المعارف الانسانية والكشوف العلمية . وتسنيع التعليم فى مختلف درجاته وخاصة التعليم الجامعى ، كما تركز الرسالة على ضرورة السمو بالقيم الروحية لدى الطالب الجامعى .

ويستثير الواقع المؤلم الذى تعيش فيه الامة العربية صاحب الرسالة ، فيقول فى خاتمتها : آمل أن توقظ هذه النكسة النائم . وتنبه الوسنان ، وتشحذ الهمم شأن الامم الحية التى تحيى النكسات نفوسها ، وتثير عزائمها . وقد قال أحد الكتاب : لا شيء يجعلنا عظماء كالالم .

لنذكر الاعداء والاحزاب من يهود وكفرة الذين احاطوا بالعروبة المسلمة من الداخل والخارج فى غزوة الخندق فاستعدت وصبرت وصابرت حتى تم لها النصر .. لنذكر هذه العروبة فى غزوة أحد يوم انقض عليها الاعداء من اعلاها واسفل منها ؛ فاصيبت بنكسة رهيبة ؛ فجمعت شملها ؛ وشحذت ارادتها ، وجددت عزيمتها فعاد لها النصر .

لنذكر الوقفة البطولية للامام ابن تيمية يوم انقذ الشام من غزوة التتـار بايقاظه للنفوس اليائسة حتى حقق النصر .

لنذكر فى العصر الحديث ما أصاب فرنسا فى أول الحرب العالمية الثانية .

وما اصاب المانيا واليابان فى نهايتها من نكسات قاصمة حتى ظن الكثيرون أنه لن تقوم لهذه الدول قائمة ولكن سرعان ما غالبت الصعاب ، وصارعت النكبات ، وسخرت بالمصائب ، وقدمت التضحيات حتى اعادت قوتها ، واسترجعت مكانتها بين الدول الكبرى .

ان حياتنا فى سباق بين العلم والجهل .. بين الجهل والعلم .. بين التخطيط والتخليط .. بين المنهج والغرض .. بين المجد والدمار .

ترى أن يكون لنا تربية قوية وتعليم صحيح ، يجعلاننا نسخر من النكبة ، ونضحك للنكبة ، ونبعث أمتنا من جديد . ؟

□□□

مائدة المسيح

ويطلب السيد جعفر ابو سن من القضارف بالسودان ايضاحا عن مائدة عيسى عليه السلام التى ورد ذكرها ، فى القرآن الكريم فيقول فى رسالته : هل نزلت لعيسى من السماء حافلة بألوان الطعام اكل منها حواريوه فعلا ؟

— الحديث عن هذه المائدة ورد فى السورة التى سميت بها فى الايات (١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨) وهى « اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » .

والنص القرآنى صريح فى ان الحواريين وهم اصحاب عيسى المخلصون الذين آمنوا بالله ورسوله عيسى ، واشهدوا الله على ايمانهم — طلبوا من عيسى ان يسأل الله لهم أن ينزل عليهم مائدة من السماء تسد حاجتهم من الطعام ، وتزيدهم ايمانا واطمئنانا بالمشاهدة بعد ايمانهم بالنظر والفكر والدليل على قدرة الله عز وجل ، وعلى صدق نبيه عيسى ، ويشهدون بهذه الآية عند بنى اسرائيل ، فيؤمن المستعد للايمان منهم .

والنص القرآنى يفيد ان المسيح عليه السلام بعد ان امرهم بتقوى الله ، التى تستوجب عدم اقتراح الآيات عليه سبحانه ، وبعد ان تيقن من صحة تصدهم ، وانهم لا يريدون بهذا تعجيزا ولا تجربة — دعا الله تعالى وطلب منه ان ينزل مائدة من السماء — ونضع تحت كلمة السماء هنا خطا عريضا — تكون عيدا ومتاعا للمؤمنين دون غيرهم ، وآية واضحة على صدق نبوته ورسالته .

فالمائدة التى طلبها الحواريون مائدة حسية ، والمائدة التى سأل عيسى ربه ان ينزلها عليه مائدة حسية .. بقى القول بعد ذلك : هل نزلت هذه المطلوبة فعلا ام لا ؟.. فذهب بعض المفسرين الى انها لم تنزل . قال الحسن : لما قيل لهم (فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) خافوا وقالوا : لا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل ، ونقل هذا الرأى عن مجاهد أيضا ، ويميل الى الاخذ به كثير لأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى ، وليس هو فى كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لتواتر نقله عنهم ، وروى عن بعض المفسرين انها نزلت بالفعل ، وتكلموا فى الوان الطعام الذى كان عليها فقيل خبز وسمك وقيل خبز ولحم ، وقيل من ثمار الجنة ، وقيل انه من نوع ما كان ينزل على بنى اسرائيل فى التيه من المن الذى يجمعونه عن الحجارة وورق الشجر ، واستند القائلون بنزولها الى أن الله قال لهم « انى منزلها عليكم » ووعد الله حق .. والله أعلم .

بأقـــلام القـــرّاء

التعدد والطلاق

تناول السيد محمود سليم دوعر ــ الكويت ــ موضوع الزوجات والطلاق فقال :

والتعدد فى الاسلام ، مباح ، فهو ليس واجبا ولم يلزم به المسلم ، ان شاء تزوج بالأربع وان شاء أمسك على واحدة .. ولكن كونه مباحا لا يعنى تحريمه من قبل زيد أو عمرو .. قال تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النســـاء مثنى وثلاث ورباع) .. (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى الا تعولوا) .

ولكن الذين أعمى الله قلوبهم عن الحقيقة الناصـــعة ، يهاجمون التعدد المباح للمسلم ويقبلون تعدد الخليلات والصاحبات . هاجموا ما يبعث فى المجتمع الستر والخلق الرفيع ، وأباحوا الزندقة والفاحشة الحيوانية .

ونذكر أسبابا لا يزيلها الا التعدد ولا يحل مشاكلها الا هذه الشريعة السمحة الطاهرة مثل :

١ ــ الحروب وما تحصده من الرجال حصدا .. حيث تترك زوجات كثيرات بلا أزواج .

٢ ــ مرض الزوجة مرضا لا يسهل على الزوج الجماع .

٣ ــ أن تكون الزوجة عاقرا لا تلد .

٤ ــ الشهوة الجامحة لدى بعض الرجال .

أما الطلاق فكما نعق الناعقون على التعدد ، فقد نعقوا حول الطـــلاق أيضا ، قالوا : ان الطلاق هدم للأسرة وتشتيت للأولاد وعيب فى هذا العصر ، ولكن الحق يقال ، العيب فى تفكيرهم . قال سبحانه وتعالى : (الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) وقال سبحانه (يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فشرع الله سبحانه الطلاق للمســـلم ، وهل نجبر الزوجين على حياة كلها نكد وعـــدم اطمئنان أو أن يطلقها باحسان ؟ هل نجبر الزوجين على حياة طويلة مرهقة اذا مرضت المرأة مرضا معديا أو أصابها مس من جنون تعذر معه العيش فى بيت واحد ؟ هل نجبر الزوج على ابقاء زوجة زلت ولم ترتدع ؟ وهل نحكم بالسجن المؤبد على الزوجين اذا تعذر الصلح بينهما ؟ هل نبقى الزوجين فى جحيم أبدى لا يطاق أو أن الطلاق خير لهما والله العالم بالسرائر وهو علام الغيوب يقول : (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) .

اثر القرآن فى صيانة اللغة

وكتب الأخ عبد الخالق عبد الرحمن من بغداد تحت هذا العنوان يقول :

كان من أثر القرآن فى صيانة اللغة العربية ان اتخذت المساجد دار ثقافة لا تقتصر البحوث فيها على الأمور الدينية بل تتناول اللغة والأخبار والشعر ، وقد كانت تقام فى المساجد الاجتماعات العامة وتلقى الخطب ويتقاضى الناس ويتعلمون مختلف العلوم ويشهدون مجالس الدرس والوعظ ، وكتب الأدب وأسفار التاريخ مملوءة بحوادث كبار الفقهاء والعلماء والأدباء حيث كانوا يعقدون حلقاتهم فى أروقة المساجد ، فحلقة للعلوم الدينية ، واخرى للعلوم اللسانية ، وثالثة للكلام والمناظرة ، وغيرها للشعر والأدب ، وكانت حلقة للمعتزلة فى مسجد المنصور فى بغداد ، وقد أملى الطبرى ، شعر الطرماح فى مسجد عمرو بمصر وتذاكر الكميت وحمادا الراوية فى الشعر وأيام العرب فى مسجد الكوفة .

والمجال كان واسعا للراغبين فى ارتشاف مناهل العلم ، والتنقل من حلقة الى اخرى ولهم ملء الحرية فى التعلم والتثقيف .

لقد كان هم العرب تلاوة القرآن وتفسير آياته وفهم أساليبه ودراسة الأحاديث النبوية كتبيان للكتاب ومصدر من مصادر التشريع .

ولم تكن دراسة الأحاديث النبوية كافية لاستجلاء مواضع الغموض والابهام فى القرآن فكان لا بد لهم ان يرجعوا الى اللغة فيتدبروا ما فيها من الأشعار والحكم والأمثال السائرة التى انشدها شعراء العرب أو القاها فصحاؤهم وحكماؤهم فى ايام الجاهلية ليستعينوا بها على فهم ما ورد فى القرآن من الالفاظ الفصيحة .

قال ابن عباس : (اذا قرأتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه فى اشعار العرب لأن الشعر ديوان العرب) .

قرض لم يسدد

ويوجه الشاعر الاستاذ احمد ابو المجد عيسى المفتش بوزارة التربية بالجمهورية العربية هذه الابيات الى الذين يقترضون ولا يسددون :

يا صاح انت اخذتها ... لتردها من بعد يوم
لكن أراك تسومنى ... فى نيل حقى شر سوم
خلفتنى فى حاجة ... قد حملتنى كل هم
مثل الذى قلبت سفينته ... رياح فى خضم
لو كنت أملك غيرها ... ما كان دفعك بالمهم
قد كنت أرجو أن تكو ... ن الصون فى الخطب الملم
فغدوت تبعث للصدا ... تة من مطالك اى سهم

. . . . . .

ولقد هززتك بالملا ... م فلم يفدنى اى لوم
وذهبت فى وفد اليـ ... ـك مؤلف من خير قومى
من بعد وعد سابق ... اكدته فى صبح يوم
لأرد حقا ضائعا ... من اجله قد طار نومى
فلجأت للصمت العميـ ... ـيق ولست بالرجل الأصم
وهضمت حقى اذ قصد ... تك يا صديقى أى هضم
ان كنت لا تنوى السدا ... د فاننى جربت صومى

قالت صحف العالم

القرآن وأحداث الساعة

تحت هذا العنوان كتبت مجلة (رابطة العالم الاسلامى) بمكة تقول : يا أخى المتسائل : لا بد للمسلمين لكى ينتصروا كما انتصر أسلافنا رضوان الله عليهم اجمعين من أمور هامة :

اولا : ان يقاتلوا عدوهم باسم الاسلام لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ولا يقاتلوا أعداء الله باسم عصبية ولا وطنية ولا شجاعة ولا حمية ولا رياء فكل ذلك لغير الله وقد قال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » .

ثانيا : من أهم أسباب النصر فى القتال : الثبات أمام الاعداء وكثرة ذكر الله تعالى اثناء القتـــال وعدم الفرقة والصبر وعدم الفرار . والاعتمـــاد على الله فلا تتركن النفس لغير الله . فالايمان بالله والتوكل عليه من اهم اسباب النصر فى ميادين القتال يقول تعالى مبينا كل ذلك : « يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » . ولا بد للنصر من اقامة الشعائر الدينية وعدم التفريط فيها كما كان يفعل جنود الاسلام الاولون فى ميادين القتال . وقد ذكر الشيخ رشيد رضا رحمه الله فى تفسيره المنـــار الجزء العاشر هذه الكلمة نوردها هنا للعبرة والذكرى : قال : وثبت انه كان من أسباب انتصار الجيش البلغارى على الجيش التركى فى حرب البلقان المشهورة ما كان من ابطـــال القـــواد والضـــباط من التـــرك للأذان والصـــلاة من الجيش . والدعـــاية التى بثوهـــا فيـــه من وجوب الحـــرب للوطن وباسم الوطن ولشرف الوطن . فلما علموا بهذا أعادوا المؤذنين والائمة بعمائمهم الى كل طابور وأقاموا الصلاة فيهم ، وقد روت الجرائد أن العساكر لمـــا سمعت [illegible] بمثل هذا بتشجيع [illegible] كان له تأثير عظيم . وكان تأثير ذلك بعود الكرة على البلغار ا هـ .

فوعد الله لا يتخلف وسنته فى العالم لا تتغير ولا تتبدل « ولن تجد لسنة الله تبديلا » فاذا أراد المسلمون العزة والكرامة والتأييد والنصر من الله سبحانه فطريق ذلك بين واضح الاخلاص لله والجهاد فى سبيله والاعتماد عليه والالتجاء اليه وازالة الشقاق والفرقة والوقوف صفا واحدا أمام عدونا المشترك . فعلى بركة الله ايها المسلمون وكونوا جنود الله فجند الله لا يغلب « وان جندنا لهم الغالبون » .

معوقات انتشار الاسلام فى افريقيا

ونشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تحت هذا العنوان تقول : وان هناك صراعا عنيفا ، تدور رحاه فوق أرض افريقيا ، وذلك من اجل

جذب القارة الافريقية الى الاسلام أو النصرانية ورغم أن الدين الاسلامى يحرز تقدما لا بأس به فى افريقيا ، الا ان هذا التقدم غير مرض بالنسبة لنا ، وذلك بسبب عدم وجود الاهتمام اللازم والكافى بهذا الامر . ولذلك ، فاننا نجد أن عدد أتباع الاسلام فى افريقيا ، اليوم لا يزيد عن (١٥٠) مليونا من أصل (٢٥٠) مليونا وهم سكان افريقيا . وان البعثات التبشيرية ، الغنية بالوسائل المادية والدعائية ، والتى تؤيدها حكوماتها القوية ، ومنظماتها الخيرة والمعطاءة للأموال بسخاء ، هذه البعثات نشيطة جدا فى التبشير بالنصرانية فى افريقيا ، وقد أدى نشاطها هذا الى اعاقة سير الاسلام وانتشاره ، وذلك بسبب الهجمات الضارية على الاسلام ، أضف الى ذلك سكوت المسلمين وتقاعسهم عن مواجهة هذا الخطر الداهم .

وبالامكان معرفة رجحان كفة البعثات التبشيرية فى الوسائل المادية والدعاية من وجود (٣٥٪) من البعثات التبشيرية البروتستانتية فى العالم ، تعمل بنشاط فى افريقيا . كما أن الكاثوليك ليسوا أقل من البروتستانت فى هذا المجال . وان هذه الصورة المفزعة التى تبرز من افريقيا ، وتعرض لنا النقص المؤلم الذى يعانيه الاسلام فى افريقيا ، من حيث ضآلة عدد جماعات الدعوة للاسلام وصغر حجم الامكانيات المرصودة من أجل ذلك . وأن هذا النقص ، مع ضخامة الامكانيات المضادة ، يشكل تهديدا كبيرا للاسلام والقوى الاسلامية فى افريقيا ، كما يشكل مسؤولية ضخمة لا يجوز التغافل عنها .

الايثـــار والتضحية

ومن مقال بهذا العنوان كتبت صحيفة الاهرام القاهرية تقول :

البذل والايثار والتضحية هى المعايير التى توزن بها انسانية الانسان ويعرف بها حظه من الخير .. ونصيبه من الفضل .

والبذل والايثار والتضحية هى العمد التى تقوم عليها المجتمعات .. وتستظل بظلها الجماعات والامم . فلا تنضح نفس بخير .. الا بوحيها .. ولا يظهر فى الحياة عمل صالح الا من غرسها .. فهى (لحمة) ما بين الانسان واهله من عواطف التواد والتراحم .. وهى (وصلة) ما بين الانسان ومجتمعه .

وقد جلت الامة العربية معالم هذه الصفات .. وأبرزت كرم خصائصها .. بما ظهر فيها — على مر التاريخ — من (فدائية) و (بذل) و (تضحية) .

فللأمة العربية فى جاهليتها واسلامها عدد عديد من الاجواد ، والابطال والفدائيين ممن أصبحوا مضرب المثل فى هذه الصفات .

وتستطيع الامة العربية أن تذكر من هؤلاء الابطال مئات ومئات لا تزال اسماؤهم وأعمالهم تملأ الاسماع .. وتثير مواطن الاعجاب .

لقد كانت حياة الامة العربية فى جاهليتها تدور على هذه الصفات .. فلا مجد لمن لم يأخذ بنصيبه منها .. ولا شرف لمن خذلته وتخلت عنه ..

وجاء الاسلام فزكى هذه الصفات الكريمة ..

وتولاها بأسلوبه الحكيم فصرفها الى الخير .. ورصدها على النفع العام .. واصبحت رصيدا عظيما من القوى التى انتفع بها الاسلام فى نشر رسالته وحماية دولته .. وبناء مجتمعه المثالى الاول الذى لم تعرف الانسانية مجتمعا مثله .

وغنى عن البيان أن بذل النفس فى مواطن البذل هو غاية الغايات فى الايثار والتضحية .. فليس بعد النفس عزيز ولا وراءها شىء يضن به ويحرص عليه .

وفى هذا المجال تظهر خفايا النفوس وتعرف معادن الرجال .. وتتكشف حقائق الافراد ..

أخبار العالم الاسلامي

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكـويـت :

● صرح سمو الشيخ جابر الأحمد ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء بأن التزامات الكويت تجاه الدول العربية الشقيقة أمر ضرورى تحتمه المصلحة العربية العليا والمصير المشترك بغض النظر عن تأثير ذلك فى مشاريعنا الانمائية .

● عقد بالكويت مؤتمر وزراء العمل العرب ومؤتمر الصيادلة العرب ، وقد اتخذ كل من المؤتمرين عدة قرارات هامة لدعم التعاون العربى فى مجالى العمل والصيدلة .

● قام وفد لجنة التبرعات الشعبية الكويتية بتسليم التبرعات التى جمعتها اللجنة الى كل من العراق والاردن وسوريا والعربية المتحدة .

● تم اعداد جميع الدراسات لاقامة مصنع كبير للأسمدة بالكويت تساهم الكويت بتكاليفه التى تقدر بمليونى دينار وتساهم فيه العربية المتحدة بتوريد الخامات وتوفير الخبرات الفنية كما اتفق على انشاء خط ملاحى بين البلدين .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة العراق عقب مؤتمر القمة العربى الخامس .

● سيزور معالى الشيخ سعد العبد الله السالم كلا من باريس ولندن والهند على رأس وفد عسكرى وينتظر أن تسفر نتائج هامة .

● سيقوم سمو أمير البلاد المعظم بزيارة لايران فى العاشر من يناير القادم .

● صرح أمير البلاد المعظم لمجلة السياسة الكويتية .. أن على الدول العربية أن تقف صامدة وعلينا أن نضحى مهما كانت التضحية .

الجمهورية العربية المتحدة :

● ألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطابا فى ٢٣ نوفمبر الماضى أوضح فيه أنه لن نكون تصرف فى القضية الفلسطينية الا للشعب الفلسطينى ، وان مرور اسرائيل فى قناة السويس جزء من قضية فلسطين ، وان الحرب ضرورة ان لم تنسحب اسرائيل .

● صدر قرار جمهورى باعادة تنظيم الأزهر وينص على احداث بعض التعديلات على نظم وسنى الدراسة فى القسمين الاعدادى والثانوى .

● أصدر وزير الشباب قرارا بايقاف كل نشاط فى النوادى الرياضية أثناء صلاة الجمعة .

● أهدى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية مكتبات اسلامية الى الهيئات والجمعيات والوزارات الدينية فى ٢١ دولة اسلامية .

● وزعت وزارة الأوقاف مبلغ ١٩٠٠ جنيه مصرى مكافآت للذين نجحوا فى حفظ القرآن من الاطفال التى تقل سنهم عن ١٢ سنة .

السعـوديـة :

● يزور جلالة شاه ايران البلاد فى الثانى من فبراير .

● ابلغ جلالة الملك فيصل السيد حسن عباس زكى وزير الاقتصاد المصرى انـه قرر دفـع التزامات المملكة لازالة آثار العدوان بسعر الجنيه الاسترلينى قبل التخفيض .

● تم الاتفاق على انشاء بنك مصرى سعودى لدعم التعاون الاقتصادى بين البلدين .

● أرسلت رابطة العالم الاسـلامى الى المدرسة الدينية الاسلامية فى ممباسا بعض الكتب الدينية مساهمة منها فى نشر الوعى الاسلام .

العـــراق :

● صدر قرار بعدم اقامة الاحتفالات المعتادة فى عيد الفطر للظروف القائمة .

● أعلن الرئيس عارف عن تشكيل مجلس تشريعى بمثابة البرلمان وجهاز يشرف على أعمـال الحكومـة .

● قررت فرنسا بيع أسلحة للعراق منها ٧٣ طائرة مع منع تصدير الأسلحة الفرنسية لاسرائيل وقد أحدث هذا القرار رد فعل فى اسرائيل والكونجرس الامريكى .

● صدر قرار بالغاء الرقابة على الصحف العراقية وانشاء مؤسسة الصحافة العراقية التى ستصدر خمس صحف يومية هى : الجمهورية . الثورة . المواطن . المساء . الاوبزرفر .

● من المنتظر أن يزور الرئيس الفرنسى ديجول العراق فى بداية العام القادم .

● تقرر اقامة معسكر دائم لتدريب الفلسطينيين على أعمال المقاومة والدفاع .

المغرب : سيجتمع مؤتمر القمة العربى الخامس فى مدينة الرباط ابتداء من ١٧ يناير ١٩٦٨ ، وسينضم اليهم السيد قحطان الشعبى رئيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

ليبيـا : زار البلاد السيد حسين الشافعى نائب رئيس العربية المتحدة وقد عقد اجتماعات هامة مع جلالة الملك ادريس والسيد البكوشى رئيس الوزراء .

● قامت وكالة المخابرات الامريكية خلال الأسابيع الأخيرة بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية بامداد المتمردين فى جنوب السودان بالسلاح واعدادهم فى بلد مجاور ويتوقع قيام هؤلاء بهجـوم واسع خلال الأسابيع القليلة القادمة .

● قبلت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية عضوا فى كل من الأمم المتحدة وجامعـة الـدول العربية بالاجماع .

الأردن : صرح جلالة الملك حسين بأنه سيتجه الى الاتحاد السوفياتى لاستيراد السـلاح اذا استمرت الولايات المتحدة الامريكية فى موقفها من وقف تصدير السلاح للأردن .

● تصاعدت عمليات الفدائيين الفلسطينيين ضد الاحتلال الصهيونى واشتدت هجماتهم على المستعمرات الاسرائيلية خاصة .

● تقوم اسرائيل بطرد المواطنين العرب من الضفة الغربية لنهر الأردن الى الضفة الشرقية وقد قامت الأردن بابلاغ الأمم المتحدة .

● رفضت سوريا استقبال جونار يارنج ممثل الأمم المتحدة فى الشرق الاوسط .

لبنـــان : أعلن فى بيروت مجلس لقيادة الثورة الفلسطينية وقد بعث السيد أحمد الشقيرى رئيس منظمة التحرير يهنىء المجلس بوصفه القيادة الأمامية لمنظمة التحرير .

اقرأ فى هذا العدد

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبار ــ ٧ شارع الصحافة

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الرياض : مكتبة المدينة ــ ص ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص ب ٢٢

جدة : الدار السعودية للنشر ــ ص . ب : ٢٠٤٣

بغداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحدودة

دبى : ساحل عمان ــ ص ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية ــ السيد رجا العيسى

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبة بحرى ص.ب ٥

مراكش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



(ا) منظر داخلي لمسجد الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان في بغ

تصوير « عزيز

مطابع فهد المرزوق - كويت

رسالة الح

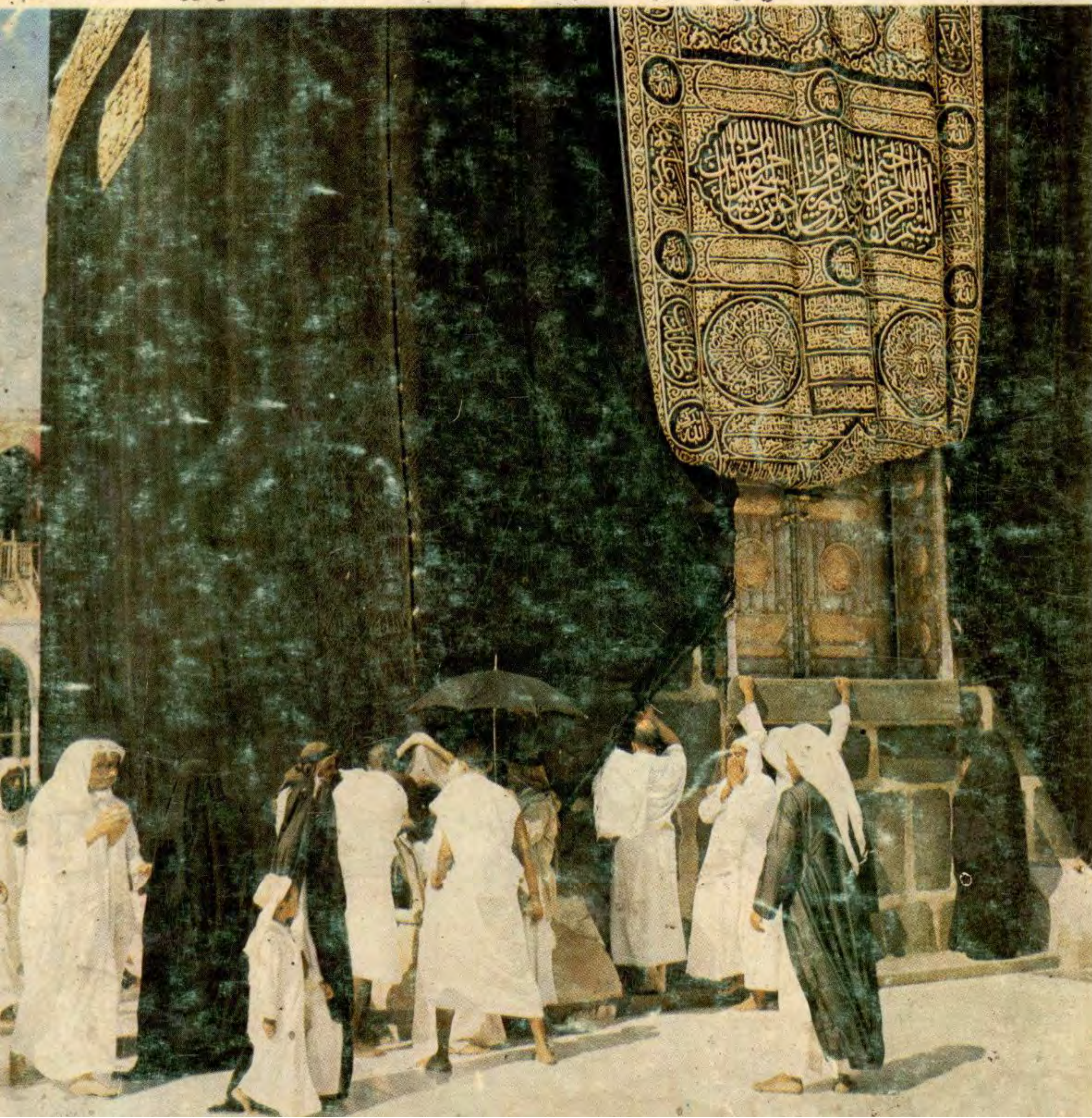
هديتك مع

هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة – العدد الخامس والثلاثون – غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٧ هـ – يناير سنة ١٩٦٨ م





سمو أمير البلاد المعظم وجلالة الامبراطور الايرانى يستقلان المركبة الملكية عند وصول سموه الى العاصمة الايرانية .

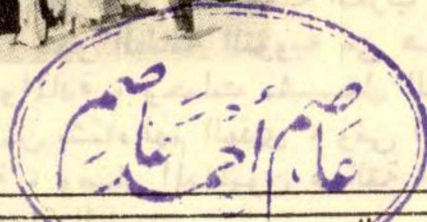
صورة الغلاف



باب الكعبة المشرفة

هنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات ويقف المسلمون خاشعين لله رب العالمين ..

تصوير « عظمت شيخ »



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الخامس والثلاثون

— السنة الثالثة —

غرة ذى القعدة سنة ١٣٨٧ هـ

ينساير سنة ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ

احتفلت البلاد الاسلامية فى شهر رمضان بذكرى مرور ألف واربعمائة سنة على افتتاح نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك البدء الذى كان ايذانا بافتتاح عهد جديد للبشرية ، تسير فيه على رشد وهدى ، ولا تجد فى طريقها ما يوئدها ، أو يعطل سيرها نحو السمو الانسانى ..

وحين جاء القرآن ، واستوعبه العرب ، فتح الطاقة الكامنة فيهم ، أو بلغة العصر الذرية ، فجر الطاقة النووية فى هذه الامة ، فصنعت الاعاجيب فى ميدانى الروح والمادة ، وحملت مشعل الهداية الربانى الجديد للأمم حولها ، فهدى الله بها من يشاء لهم الهدى ، وفى المجال النووى للطاقة الجديدة تكونت الأمة الاسلامية ، وصار المسلمون عمالقة التاريخ : أساتذة العالم ، وصناع الحضارة ، وهداة الطريق ..

ووقف التاريخ صفحاته على العرب وعلى المسلمين فى كل مكان ، يسجل مفاخرهم ، وينقل بطولاتهم ، ويشيد بمآثرهم فى كل ميدان من ميادين الحياة ..

ولم يصنع كل هذا المجد لأمة العرب وللمسلمين جميعا الا القرآن الكريم ، وصدق بهذا قول الله العليم الخبير يخاطب رسوله الامين « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » وقوله يخاطب العرب الذين نزل القرآن فيهم وبلغتهم « لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون » .

ولقد كانت الميزة لهؤلاء الاول الذين خاطبهم القرآن ، واستنهض فيهم العقول ، كى تفكر وتعمل ، أنهم اجابوا جوابا عمليا عن هذا الاستنهاض « أفلا تعقلون » فكان حالهم يقول : بلى يا رب عقلنا وفهمنا ، وخطونا على الطريق ، وعملنا بما أردت أن يكون ، وبما امرت أن نعمل ، فتحقق فينا وبنا وعدك سبحانك ، وصرنا بذلك سادة الدنيا ، بعد أن كنا رعاة ابل وشياه ، واصبحنا معلمى الدنيا ، بعد أن كنا امة أمية لا تعد ولا تحسب . وصارت كلمة العرب او المسلمين كلمة لها وقعها ، ولها صداها فى النفوس ، ولها مجالها فى سجل التاريخ .. وكان كتابك الكريم هو الذى صنع منا كل هذا ، ولك الفضل والمنة .

وسار التاريخ فى ركاب العرب والمسلمين من غير العرب ، ما ساروا مع هذا الكتاب ، وفى ظل هديه وحمايته ، فاذا ما ابتعدوا عن ظله لفحتهم نار الحياة ، وتاهوا فى الظلمات ، فتلقفتهم الايدى الحاقدة ، وعضهم الناب المسعور ، وظل القرآن كما هو ، يحفظه الله الذى أنزله ، وكأنه يمد شعاعه اليهم ليهتدوا به فى متاهاتهم ، وليحفظ لهم ما بقى من حياتهم .. وهم كلما

اقتربوا منه ابعدهم الشيطان والغرور عنه ، وقذفهم الموج ، لأنهم لم يحسنوا السباحة اليه ، ولم يصوبوا النظرة نحوه . . وكأنه يناديهم بصوت جهير : الى ابنائى ، الى شاطىء الامن ، لتبدءوا حياتكم الجديدة ، قوية سعيدة كما بدأها الذين من قبلكم ، وكأنهم لا يسمعون الا صدى ، وكأنهم عمى عليهم مصدر النور ، فظلوا يتخبطهم الموج من كل مكان . . وتحيط بهم سباع البحر ، تفتح افواهها لتجد فيهم غذاءها ، وهم يصرخون ، يطلبون الانقاذ ، وصراخهم يضيع ، وينكسر على الموجات العاتية ، لأنهم بعيدون عن الشاطىء ، ولأن هممهم فاترة ، ولو انهم ابصروا الشاطىء والضوء الذى ينبعث منه ، وشدوا عزائمهم ، لاقتربوا شيئا فشيئا من شعاعه ، ووجدوا حبال النجاة تسعفهم ، وتنقذهم من الأخطار المحدقة بهم .

ان الفنار هو الفنار . نوره من نور الله . . لا ينال منه عبث العابثين ، ولا للتائهين والمشرفين على الهلاك « فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها » .
ان الفنار هو الفنار نوره من نور الله . . لا ينال منه عبث العابثين ، ولا حقد الحاقدين ولا اعراض المعرضين . . « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

لقد عز المسلمون بالقرآن ، وعاشوا بعد ضعفهم عالة على القرآن ، ولم يعش القرآن عالة عليهم ، ولو كان بقاء القرآن منوطا بهم ، لما ظل بيننا كما هو ، من كثرة المؤامرات عليه من أهله ومن غير أهله !!

ولقد عاشت لغة العرب وازدهرت بالقرآن ، وظلت برغم المحن التى احاطت بها ، والضربات التى نزلت عليها ، صامدة بالقرآن ، ولولاه لاندثرت وبادت ، كما اندثرت لغات قديمة ، كانت لغات حضارة وأمم قوية .

لولا القرآن لما كان العرب أمة لها وزنها حتى فى ابان ضعفها ، وما جاوزت لغتهم جبال الجزيرة ووديانها وصحاريها ، وما صارت كما هى الآن : لغة أمم لم تكن أصلا أمما عربية ، ولكنها صارت عربية بالقرآن ، وأحبت العربية وعشقتها من أجل القرآن ، وما صارت لغة حية بين أمم العالم فى المؤتمرات والاذاعات من كل مكان .

وصدق الله العظيم « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .
لقد احتفلت الامم الاسلامية بنزول القرآن . . وانها لبادرة طيبة كانت « مجلة الوعي » أول من نبه اليها فى عدد ربيع الاول من هذا العام — وانها لمناسبة كريمة ، نرجو أن تفتح القلوب وتنير العيون . .

اننا نحيي هذه الظاهرة التى تسابقت اليها الدول والامم الاسلامية .

ولكن لا بد لنا مع سرورنا بهذه الظاهرة من كلمة ، لا أعتقد أنهـا فاتت الكثيرين ممن احتفلوا أو تحدثوا أو سمعوا لما القى فى هذه الاحتفالات من كلمات طيبة ، تحدثت عن القرآن ، وهديه ونوره وفضله .

ان القرآن الذى نحتفـل بذكرى نزوله هو اولا واخيرا هداية ودستور ونظام ، لم ينزله الله لكى نلتمس به البركة ، او نترحم بـه على الاموات ، أو نجعل بعض آياته احجبة وتمائم .

ان القرآن ليس نصبا تذكاريا لقبر جندى مجهول ، انه حياة .. نظام .. مبادىء ، افهم أن الذين يحتفلون به يتعصبون لمبادئه . ويتمسكون بهـديه ، ويلتزمون بنظامه ، ويعضون على ذلك بالنواجذ .

لا اريد أن ادخل فى تفاصيل ، وانمـا الذى اريده وانادى به ، أن نكون متجاوبين فى عملنا مع كلامنا عنه ، القرآن هداية ونظام ومبادىء سليمة للحياة ، هذا بالطبع حق وصحيح .. فما الذى يحول بيننـا وبين رعاية هـذه النظم والمبادىء ؟!

الا يجد القرآن الكريم كلام الله من أتباعه والمؤمنين به حماسا كحمـاس الشيوعيين لملهمهم الاكبر « ماركس » وكتبه ومبادئه ؟!

الا يجد القرآن منا نحن المسلمين من يحمى مبادئه ونظمه ، كمـا تحمى الدول ذات الانظمة الخاصة مبادئها ونظمها ، وتدافع عنها ، وتسخر كل قواها فى الحفاظ عليها ؟!

الا يجد القرآن منا عناية مركزة لتنشئة أبنائنا على هديه وآدابه ، كمـا يعنى اهل المذاهب الاخرى بتنشئة الصغار على مبادئهم ونظمهم ؟!

الا يجد القرآن ومبادئه غيرة عليه ، وحماية لحرماته ، كما تجد بعض المذاهب من اصحابها غيرة عليها ، وحماية لها من الانحراف عنها ؟!

اننى لا اطالب الآن بشيء فوق الطاقة ، ولكنى اطالب فقط أن نغار على مبادىء القرآن وآدابه ، كما نغار على النظم المسنونة ، ونؤاخذ كل من يخرج عليها .

اريد فقط أن نأخذ من مبادىء القرآن وآدابه خطا نسير عليه ، ونلتزم به ، ونضع قوة الدولة واجهزتها للمحافظة على هذا الخط ، وهذا الاتجاه .

ان من يشتم من كلامه أو من سلوكه مخالفة للتعاليم الماركسية فى الدول التى اتخذت من تعاليم ماركس نظاما لها ينال عقابه ، ويحرم من وسائل الحياة المعتادة ، ان لم يحرم كليا من حياته ..

لا أريد أن تأخذ طائفة على عاتقها وحدهـا مهمة الحفـاظ على الدين ،

أو احتكار الغيرة عليه ، وتوعد المخالفين له بالويل والثبور . . وكأن حفظ الدين ، والغيرة عليه ، والمحافظة على آدابه قد ألقى عبؤه عليهم وحدهم !!

بل أريد أن يكون الجميع : الحاكم والمحكوم ، الصانع والزارع ، الموظف والتاجر ، أريد أن يكونوا كلهم مسئولين عن هذا الدين ، غيورين على تعاليمه ، عاملين ما استطاعوا على الحفاظ عليه .

ان الدين دين الجميع ، وكل واحد منا مسئول عنه ، وعما يعمله في بيته ، وفي دائرة نفوذه من أجله . . واذا كانت الضرورة تقضى بالتخصص العلمى فيه للارشاد وللتعليم ، فان رعايته والعمل على تنفيذه من مسئولية كل واحد منا ، مهما يكن مركزه ، ومهما يكن عمله . .

بل قد تكون المسئولية على من يقدر على العمل والتنفيذ مسئولية مضاعفة ، على قدر حظه من النفوذ « وان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » كما قال الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه .

ان عدم تقدم أصحاب النفوذ لحمل مسئولياتهم كاملة تجاه القرآن ومبادئه في أممهم ، يجعل فريقا في الامة يسير وحده لتحمل مسئولياته ، في الوقت الذى يجعل فيه من الامة الواحدة شطرين ، فتعيش بروحين وشخصيتين : شخصية حين تدخل المسجد ، أو تقرأ ، فتسمع كلاما ، وتتصور حياة ، وشخصية حين تترك ذلك فتسمع كلاما آخر ، وتعيش حياة أخرى ، وتجد فرقا كبيرا بين هذا وذاك !!

فكيف تتــوحد الامة ــ اذن ــ في شعورها ، وفي ولائهــا واخلاصها واتجاهاتها ؟ ولأى اتجاه تدين بالاخلاص ؟

لست أعنى بذلك قطعا أن كل نظم الحياة التى نحياها بعيدة عن مجــال الاسلام ، ولكنى أريد أن نلتزم خطا في حياتنا ونظمنا يتفق مع مبادئنا ، كمــا تلتزم دول أخرى خطا يتسق مع مبادئها ، وأن نستهدف في كل ما نعمل أو نقول روح الاسلام فعلا ، وان نعلن ذلك للناس ، ولا نستحى أو نجبن أن نعلن أن ولاءنا الوحيد هو للاسلام . ونسير ــ ولو بالتدريج ــ حسب هذا الولاء ونحو التمام .

ذلك ما يوحيه منطق احتفالنا وعنايتنا بنزول القرآن ، وما ألقى فيه من كلمات ، حتى لا نكون ممن قال الله فيهم : « يا يها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

ولقد أعزنا الله بالاسلام ، ومن راح يلتمس العزه بغيرة أذله الله .

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة والارشاد

من هدي القرآن

متى يكون نصر الله ؟

محمد مؤذن

للشيخ عبد الجليل عيسى
شيخ كليتى اصول الدين واللغة العربية سابقا
جامعة الأزهر

يقول الله تعالى :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » صدق الله العظيم .

(آيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من سورة الحج)

تسربت فى هذه الأيام وسوسة جنود ابليس الى بعض صدور رق ايمانها هامسة : أين نصر الله الذى وعد به المؤمنين ؟ فأحببت أن أسهم فى ذود هذه الوساوس عن هذه الصدور ، التى يعز على عنتها وحيرتها ورأيت أن أضع أمامهم شرح هذه الآيات الكريمات :

ولعله ينبغى لنا أولا أن نتعرض لتوضيح ما حوته الآية الاولى من مفردات وهى :

(ان) التى للتوكيد ، و (يدافع) ، و (الذين آمنوا) ، و (خوان) ، و (كفور) .

اما التاكيد الذى يهمنا هنـــا ، وهو توكيد وعد الله بنصر المؤمنين ، فهو متبوع بتوكيدات أخرى فى هذه الآيات الثلاث ، فالثانى والثالث فى الآية (٣٩) والرابع والخامس والسادس والسابع فى الآية (٤٠) . وما هذه التوكيدات السبع فى موضوع واحد الا لأنه موضوع خطير ، تتقاعس عن ولوجه كثير من النفوس المريضة ، التى يلوى اعناقها حب الدنيا وزينتها ، ذلك الموضـــوع هو القتال فى ســـبيل الله والدفاع عن العقيدة . اقرأ فى ذلك قوله تعالى : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون » آية ٢١٦ من سورة البقرة .

ومما جاء فى القرآن فى هذا المجال مؤيدا لما جاء فى هذه الآيات الاربع من نصر الله قوله تعالى فى هذه السورة نفسها : (ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) (آية ٦٠ سورة الحج) ، وقوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون **وعدا عليه حقا** فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعـــكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (آية ١١١ من سورة التوبة) .

وقوله سبحانه : « ولقد ارســـلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان **حقا علينا نصر المؤمنين** » (آية ٤٧ من سورة الروم ، وكذلك آيات ٤٠ الأنفال و ١٠٣ يونس و ٩٦ النحل ، و ١٧١ ، ١٧٢ الصافات) .

(يدافع) هذه الصـــــيغة اصلها للدلالة على المدافعة بين جانبين ، تقول العرب :

ضارب على زيدا اذا كان الضرب حصل من كل منهما ، وهذا المعنى هنا مستحيل ، لأن الله سبحانه لا يقدر مخلوق على دفعه عما يريده . واذن يكون المراد منها هنا الدلالة على تكرار الدفع المرة بعد المرة كلما حاول عدو المؤمنين ايذاءهم . ويدل على ذلك القراءة السبعية الأخرى لابن كثير وعاصم (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) . فالمعنى أن الله يدفع عن الذين آمنوا شر اعدائهم كلما حاولوه ، ومهما تكرر .

(عن الذين آمنوا) : من هم المؤمنون الذين ضمن الله ســـــبحانه الدفاع عنهم ؟ اذا علمنا ما هو الايمان الحق علمنـــا من هم المؤمنون حقا ، واذا علمنا ذلك نعلم سبب ما نحن فيه اليوم .

وأنا واثق أننا اذا أعملنا الفكر ، ودققنا النظر ، فانا نكف عن بعثرة اللوم على الناس شمالا ويمينا ، ونكدسه على رؤوسنا نحن ، لأننا نحن الذين بأعمالنا كنا السبب فى كل ما حصل ، عند ذلك نسارع بجد واخلاص الى تغيير ما نحن فيه من انحراف عن تعاليم ربنا ، فاذا نحن فعلنا ، أصلح الله أحوالنا : (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفســـهم وأن الله سميع عليم) آية ٥٣ الأنفال .

ان الايمان الذى رضيه الله لعباده الصادقين جاء بيانه فى القرآن الكريم مرارا ، وشرحه صلى الله عليه وسلم على اتم وجه ، روى البخارى والنسائى وأبو داود عن أبى ذر وأبى هريرة قالا : سأل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال : الايمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وفى رواية حلوه ومره :

أما متى يتحقق هذا الايمان ؟ فقد رأى البخارى انه لا يكون الا اذا أثمر عملا صالحا . وأخذ ذلك من أمور . منها : أنه صلى الله عليه وسلم قال : « الايمان

بضع وستون شعبة اعلاها شهادة أن لا اله الا الله . وأدناها اماطة الأذى عن الطريق » رواه مسلم أيضا .

قال البخارى : ويدل على ذلك قوله تعالى : (وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم **تعملون**) (آية ٧٢ من سورة الزخرف) وقوله : « ان المتقين فى جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم **تعملون** » (آيات ١٧ و ١٨ و ١٩) من سورة الطور .

ومنها جوابه صلى الله عليه وسلم لمن سأله (أى العمل أفضل ؟) قال : الايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله .. الخ .

وقال البخارى أيضا فى (باب خوف المؤمن أن يحبط عمله) : قال : عن ابراهيم التيمى (١) قال ما عرضت قولى على عملى الا خشيت أن أكون مكذبا .

ومنها ما رواه البخارى ايضا عن أبى مليكة (٢) قال : « أدركت ثلاثين من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، كلهم يخاف النفاق على نفسه ، ما منهم احد يقول : انه على ايمان جبريل وميكائيل » .

ومنها قول الحسن : ما خاف الله الا مؤمن ، ولا أمنه الا منافق .

ومنها ما روى عن ابن مسعود : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ثلاثا ، فقالوا من هو يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه . قالوا : وما بوائقه ؟ قال صلى الله عليه وسلم غشمه وظلمه » .

ومعنى ذلك فى نظر البخارى أن ما ورد من التفرقة بين الايمان والاسلام ، انما هو تفرقة اصطلاحية لفظية فقط ، أما اذا اعتبرنا ما ينجى عند الله فانه لا بد من العمل والا كان الموجود فى القلب مجرد تصورات لا تتغلغل فى القلب ولا تحمل على العمل ، وفى هذا جاء حديث « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وان قوما الهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا . لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل » (أخرجه البخارى فى تاريخه وأخرجه ابن أبى شيبة عن الحسن) .

ومما قيل فى تأييد رأى البخارى : ان الله سبحانه وتعالى قلما يذكر فى القرآن الايمان المنجى من العذاب الا وهو مقترن بالعمل الصالح .

فلنضع المصحف امامنا ، لنجد ذلك فى احدى وثلاثين سورة من اول سورة البقرة الى سورة العصر .

ومما يلفت النظر اننا نجد هذا المعنى يتكرر حتى فى السور غير الطوال عدة مرات ، من ذلك سورة الحج فانه تكرر فيها اربع مرات ، وفى سورة الشورى ثلاث مرات . فأول ما جاء فى البقرة قوله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » آية ٢٥ ، وكذا فى آيتى ٨٢ ، و ٢٧٧ من السورة نفسها ، وقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم » (آية ٩ من سورة المائدة وكذا آية ٩٣) ، وقوله سبحانه : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا

---

(١) هو من فقهاء التابعين .

(١) وهو من التابعين أيضا .

الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون » (آية ٤٢ من سورة الأعراف) وقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم) (آية ٩ من سورة يونس) وقوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (آية ٢٣ من سورة هود) . وهكذا فى جميع الآيات التى تعرضت لجزاء الايمان .

وترى من هذا كله قيمة العمل مع الايمان بحيث لا يكون هناك ايمان ينجى صاحبه ويهيئه لدفاع الله عنه الا اذا كان مقترنا بالعمل ، وميدان العمل واسع .

وبعد ما وعد الله بالدفاع عن المؤمنين عقب بقوله : « ان الله لا يحب كل خوان كفور » وما ذلك الا لأن صفتى الخيانة والكفر تحولان بين صاحبهما وبين رضاء الله سبحانه ورحمته ، ومن حرمه الله رضاه فمن ذا الذى يدفع عنه شرا ، او يجلب له خيرا ؟ ، فما هى اذن الخيانة التى تستجلب كل هذا الشقاء ؟!

قال الراغب ما معناه : الخيانة والنفاق توأمان ، فالخيانة فى الأصل تقال اعتبارا بالعهد ، والنفاق يقال اعتبارا بالعقيدة ، فالخيانة مخالفة الحق بنقض العهد ، ونقيضها الأمانة ، ومن ذلك فى القرآن : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم » آية ٢٧ من سورة الأنفال ، فمن ضيع شيئا مما امر الله به ، او ارتكب شيئا مما نهى عنه ، فهو خائن ، ومن اهمل ارشاد الرسول صلوات الله عليه فهو خائن ، ومن ضيع حقا على مسلم ائتمنه عليه فهو خائن .

ومن ذلك أسرار الدولة ، فمن اضاعها ، اى افشاها للعدو ، وخصوصا الشئون الحربية منها فهو افجر الخائنين .

ولما سمع ابو عبيدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة ، قال لا أراه صلى الله عليه وسلم خص بذلك الخيانة فى أمانات الناس دون ما افترض الله على عباده وائتمنهم عليه ، وفى ذلك قال السلف : من الخيانة ان يستنصح الانسان أخاه فلا ينصحه ، أو أن يسر اليه حديثا فيفشيه ، وفى هذا قال صلى الله عليه وسلم : « اذا حدثك الرجل ثم التفت فهى أمانة » يريد صلى الله عليه وسلم أن الرجل اذا حدث غيره منفردا ثم التفت حوله حذر أن يسمعه احد ، فلا يجوز للسامع أن يفشى هذا الحديث ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يطبع على كل خلق الا الخيانة والكذب » رواه أحمد .

ومن ذلك قول العرب عن الأسد : انه خائن العين ، اى لأنه ينظر الى فريسته فى فتور ، كأنه لا يريدها .

ومنه قوله تعالى : « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » آية ١٩ من سورة غافر . فخائنة الأعين هى ما تسارق النظر نظرة مريبة الى ما لا يحل . قال بعض العلماء ، ومن الخيانة أن يكف الرجل لسانه عن أخيه ولكنه يومىء لجليسه بطرف عينه غامزا له بما يعيبه .

فاذا كانت هذه هى خطورة الخيانة ، واذا كان اخطبوطها انشب اظافره فى جل معاملة المسلمين بعضهم لبعض اليوم ، وفى معاملتهم لله ورسوله فى شريعته ، فيجب أن يكون عندنا من الشجاعة ما يمكننا من ان نقول : لا أمل لنا فى نصر الله الا اذا رجعنا الى شرعه ، وغيرنا ما بأنفسنا ، لأنه سبحانه قال : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فهل نحن فاعلون ؟

قال الله سبحانه فى مثل حالنا هذه : « ولقد أرسلنا الى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون . فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا

ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون » آيتى ٤٢ ، ٤٣ من سورة الأنعام .

ثم قال سبحانه : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » أى أذن الله بالقتال للمؤمنين الذين يقاتلهم الكفار ، دفاعا عن أنفسهم وأموالهم وأهليهم بسبب أن المشركين بمكة ظلموهم ، وكانوا يأتون النبى صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ، ومشجوج رأسه ، يشكون اليه صلى الله عليه وسلم ، فكان يصبرهم ، ويعدهم النصر من الله ، ونزل عندئذ قوله تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ». (آيتى ٢ ، ٣ من سورة العنكبوت) . ثم أردف سبحانه اذنه للمؤمنين بالقتال بوعده لهم بالنصر تأكيدا للوعد السابق بالدفاع عنهم ، ولبيان أنه ليس المراد تخليصهم من أيدى عدوهم ، بل المراد اظهارهم عليهم ، والظفر بهم ، حتى يخوضوا الحرب وهم واثقون بالنصر . فقال سبحانه فى ذلك : « وان الله على نصرهم لقدير » ثم بين سبحانه هؤلاء الذين قاتلهم الكفار ظلما بأنهم هم الذين أخرجهم المشركون من وطنهم بغير حق ، ولا موجب لاخراجهم فى نظر المشركين الا توحيدهم لله وقولهم ربنا الله وحده ، لا رب لنا سواه ، فقال فى ذلك : « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » .

ثم أراد سبحانه أن يحرض المؤمنين على قتال المفسدين ، فبين لهم أن سنته جرت فى كل الأمم الماضية أن يسلط من عباده من يدفع شر طغيان الظالمين على المصلحين الآمنين ليبقى ميزان العدل الالهى قائما ، ولتبقى دور العبادة عامرة بما يربط العبد بربه ، ويؤلف بينه وبين بنى جنسه ، وتنمو فى روحه عوامل الخير ، فينتظم الأمر ، ويهنأ الناس بحياة مستقرة سعيدة ، لا يزعجها خوف من ظالم ، ولا يقلقها طغيان جبار ، اذ لولا رحمة الله هذه لخربت دور العبادة التى يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولضل الناس جميعا طريق الصواب ولكانوا كالوحوش يأكل قويها ضعيفها ، فتفسد الأرض لا محالة ، قال سبحانه فى ذلك : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » الصوامع جمع صومعة ، وهى متعبد رهبان النصارى فى الصحارى ، ويسمى الآن فى مصر بالدير ، وجاء الاسلام بابطال الرهبنة كما فى آية ٢٧ من سورة الحديد ، والبيع جمع بيعة بكسر أوله وسكون ثانيه ، وهى متعبد النصارى عامة ، وتسمى الآن بالكنيسة ، والصلوات جمع صلاة ، وأصلها بالعبرية (صلوتا) بالتاء المثناة ، وهى معبد اليهود ، والمساجد هى معابد المسلمين ، هذه الأماكن التى هى أماكن العبادة قديما وحديثا هى التى يذكر فيها اسم الله كثيرا ، فلا يجرؤ على تخريبها الا كل طاغية مفسد عنيد

ثم أقسم سبحانه على أنه ينصر من ينصر دينه ، والعاملين به على المفسدين الذين لا يريدون الا العلو فى الأرض ، واستعباد الخلق ، ومن تكفل الله بنصره عز وفاز ، لأنه سبحانه قوى على كل ما يريد تنفيذه ، عزيز غالب لا يعجزه شىء فى السموات ولا فى الارض ، قال سبحانه : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

ثم بين سبحانه هؤلاء الذين ينصرون دين الله وأولياءه ، بأنهم هم الذين ان مكن الله لهم فى الأرض وجعلهم أصحاب التصرف فيها ، شكروا فضله سبحانه عليهم بأن جمعوا بين خصال أربع ، هى عماد كل دين وركاز كل سعادة ، وسنتحدث عنها فى المقال التالى ان شاء الله .

مبدأ الاسلام في القضاء والدفاع

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى
لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« انما انا بشر ، وانه ياتينى الخصم ، فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض ، فاحسب انه صادق فاقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فانما هى قطعة من النار ، فلياخذها او ليتركها » .

(رواه البخارى)

١ ــ من سنة الكون وطبيعة الوجود ان يكون بين الناس خلاف واختلاف (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين) فلكل استعداده الفطرى ، وقد شاء الله سبحانه أن يتفاوت الناس فى العلم والمعرفة ، والرأى والعمل ، والطاعة والعصيان ، والقرب من الحق او البعد عنه ، ولهذا تشعبت أمور الحياة وتنوعت ، وكل يحاول أن يبرهن على صحة اتجاهه وأن يثبت قوة ادعائه ، واستقامة سلوكه ، كما أن من الناس من لا يقيم وزنا لمصالح الغير ولا يهتم الا بنفسه ولا تعنيه الا مصلحته الخاصة ، يحاول الوصول الى ما يراه صالحا لنفسه غير عابىء بالمقاييس الخلقية أو الروابط الاجتماعية ، أو التوجيهات الالهية ، ولكل رأى أنصار وأعوان مهما كانت مكانته من الحق أو الباطل ، ومهما كان قربه أو بعده عن الصواب أو الخطأ ، ومن رحمهم الله هداهم للصواب ، وجعلهم يتفقون على تحكيم كتاب الله فى خلافاتهم ، ومن سنة الله فى خلقه أن يفصل عقلاؤهم فيما يختلفون فيه مسترشدين بأعمال الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائرين على نسق معين يوصل الحقوق الى أصحابها فى غير عنت او مشقة ، ومن هذا كان القضاء ووجد القضاة ، والقاضى بشر ، والبشر يخطىء

ويصيب وربما كان أحد المتقاضين الحن بحجته ، وأكثر قدرة على اقامة البراهين مدللا على صحة دعواه ولو بغير حق ، فيقضى له بحق غيره تحت تأثير فصاحته وقوة بيانه .

٢ — ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه المسلمين الى اتباع سبيل الله ، وايثار الباقى على الفانى والتمسك دائما بالمنهج المستقيم فى كل شىء ، وقد حدث يوما أن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة احدى زوجاته رضى الله عنهن جميعا (١) قيل فسمع جلبة وصياحا بالباب ، واذا بقوم يختصمون اليه ، فخرج اليهم ، وقبل ان يجلس منهم مجلس القضاء ، نصحهم ، وخوفهم عقاب الله ، وحذرهم من الكذب وادعاء احدهم ما ليس له . فقال لهم : انى بشر من البشر ، لا أعلم ما يجول فى نفوسكم ولا ما تنطوى عليه سرائركم ، فعلم الغيب عند الله وحده وقد يكون احدكم اقوى بيانا ، وافصح لسانا ، واكثر قدرة على الادلاء بحجته وهو غير محق ، فأحكم له بما يبدو لى من ظاهر القول ومقتضى الحال ، بينما يكون الآخر عييا وهو صاحب الحق ، لا يحسن الدفاع عن حقه ، متهيبا مجلس القضاء ، مضطربا لا يستطيع الافصاح عن ما يريد ، ولا يمكنه أن يبين عن حقه ، فأحكم عليه فليحذر كل من المتخاصمين عقاب الله ، وليخف سطوته فلا يحاول الوصول الى اخذ حق غيره ببلاغته ، فهذا غش وخداع ، وظلم للنفس ، واتباع الهوى يودى بصاحبه الى غضب الله عليه ويبعده عن رضا ربه ، فتسوء حاله فى الدنيا والآخرة .

٣ — وكلما بعد الناس عن تعاليم الله ، وانبتت صلتهم بهدايته ، رثت حبال مودتهم وعفنت نفوسهم وركنوا الى المادى البحت ، فتجافوا ، وتقاطعوا ، وأهمتهم انفسهم وسلكوا كل سبيل يوصلهم الى شهواتهم فتكثر الخصومات ، ويشتد النزاع ، وتهدر الحقوق وتطمس معالم الصراط المستقيم ، وتصبح الغلبة للقوة فتنطوى القلوب على الاحقاد والضغائن وبالتالى تفسد المجتمعات ، وتصبح الحياة جحيما لا يطاق ، وعذابا لا يحتمل ، وألما ممضا ، وعناء دائما ، وذلك حين يغنى كل على ليلاه ، ويحاول صيدا بشباك الزيف والضلال ، لا يستمع لأنات المحرومين ، ولا يلين قلبه للثكالى والمصابين .

والعاقل من آثر الحق ، وحاول التغلب على هوى نفسه ، ونظر الى الحياة نظرة واقعية على انها تسير الى فناء محقق ، وأيقن بما عند الله ، وادرك ان سعادة الغير سعادة له ، واحب لعشرائه ما يحب لنفسه ، وابتعد عن الجدال والخصومات التى تؤذى مجتمعه ، وتعكر صفو الآخرين فتحرمهم نعمة الهدوء والراحة ، وتحملهم حملا قويا على التفنن فى العداوات والمنازعات .

٤ — ولما كان الكثير من أمور الحياة خافيا غير واضح ، فرب مقبل والخير من ورائه ، ورب مدبر والخير امامه ، لم يترك الله البشر دون هداية ، فأرسل

---

(١) قيل انها ام سلمة .

رسله مبشرين ومنذرين ، واختارهم من صفوة خلقه ، ليبلغوا عنه ، والرسل دائما يحثون على التوكل على الله وايثار الآجلة مع الاخذ فى أسباب المقاصد دون تواكل او وهن ، قال تعالى : « وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » لأن الايمان لا يكون يقينيا الا اذا صدقه العمل ، فالتوكل على الله من أعظم علامات الايمان وهو لا يكمل الا بالصبر على الشدائد ، والدعاء لا يستجاب الا اذا كان مقرونا باتخاذ الاسباب وذلك بعمل ما يستطاع عمله ثم نطلب من الله أن يسخر لنا ما لا نستطيع ، ودلت التجارب والوقائع الماثلة أمامنا على ان سوء حال المسلمين من ضعف وفقر تجعلهم موطنا لافتتان الكفار بهم باعتقادهم انهم خير منهم . قال تعالى « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة » ومن أعظم ما جر على المسلمين البلاء هو عدم انصياعهم لأوامر الله ، وحرصهم على ان يصلوا الى متاع الدنيا من وجوهه غير المشروعة ولو كان حقـا للآخرين ، ويرفع المسلم خلافه مع أخيه الى القضاء ويحلف أنه على حق وهو كاذب ، ويدلى بما لا صحة له ولا أصل له ليهضم حق أخيه وليحكم له غير عابىء بأوامر الله وغير مقيم للآخرة وزنا ، والقاضى بشر من البشر لا يمكنه اكتشاف العبث ومعرفة الحق من المبطل الا بالادلة الماثلة أمامه ، وقد يقضى بناء على بيان الخصوم وقوة بلاغتهم ولا ضير عليه فى هذا ، وانما الضير والوبال على من أخذ ما لغيره دون أن يكون له وجه حق فى هذا الاخذ .

٥ ــ الظلم دائما يجر الى الخراب وفساد المجتمعات ، ولولا لطف الله لهلك الناس بظلمهم يقول جل شأنه « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة . . » ومن أشد الظلم اغتيال حقوق الآخرين والاصرار على ذلك وقد أخرج البيهقى وغيره عن أبى هريرة أنه سمع رجلا يقول (ان الظالم لا يضر الا نفسه ، فقال لا والله بل ان الحبارى فى وكرها لتموت من ظلم الظالم) وعن ابن مسعود رضى الله عنه : كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم ثم قرأ قوله تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة . .) ، واخرج احمد عن أبى هريرة انه قال : ذنوب ابن آدم قتلت الجعل فى جحره ، والبعد عن الهداية الربانية يجعل الانسان أنانيا بحتا لا يتجه تفكيره الا الى ذاته ولا يرى الا وجوده هو ، وهذا من تزيين النفس الامارة بالسوء ، وعمل شياطين الانس والجن ، ومن نسى الله وكله الله الى نفسه (نسوا الله فأنسـاهم أنفسهم) وحينئذ يضل ابن آدم الضلال البعيد قال تعالى : « تا لله لقد أرسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم) فقد مضت سنة الله فى خلقه انهم متشابهون فى كل الاعصر والازمان ، فقد أرسل الله الى الامم التى سبقت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسـلا مبشرين ومنذرين ، وأمرهم بتوحيد الله واخلاص العبادة له ، ولكن شياطينهم حسنوا لهم ما هم عليه من كفر وفسوق ، فكذبوا رسـلهم ، وما دعاهم الى ذلك الا شياطينهم وبئس الناصر والمعين الشيطان ، وكانت رسالة خاتم الانبياء والمرسلين زيادة فى توضيح الحق من الباطل ، ودعوة صريحة الى البشرية أن تحرر من عقال الكفر وان تسير فى ركاب الخير والحق ، وان يعمل الناس بما أوحى الى رسلهم من الله العزيز العليم ، قال تعالى : « وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين

لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » فرسالته عليه الصلاة والسلام اقامة للحجة على العباد وهى هدى للقلوب الضالة ورحمة لقوم يؤمنون ليصدقوا بما تضمنته من أوامر الله ونواهيه ، فكتاب الله هو الفيصل بين الناس فيما يتنازعون فيه وهو الهادى الى سبيل الرشاد .

٦ — وفى الحديث الشريف الذى تصدر هذا البحث يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخاصمين الى الايمان بالآخرة ، والثقة بما أعده الله فيها للطائعين من رحمة وللعاصين من عقاب . فما يحمل الناس على اغتيال الحقوق ، وأكلها بالباطل والادلاء بها الى الحكام الا بعدهم عن الايمان بالآخرة ، والآخرة حق والبعث لا ريب فيه ، وان أمر البعيد عن رحاب الله وهدايته على الانكار ، وقد قال قوم فى عهده عليه السلام ومن قبله ومن بعده : ان الحياة الأخرى غير ممكنة ولا معقولة ، وقد رد الله عليهم ما قالوا وهو سبحانه العليم الخبير قال تعالى : « واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين . انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون »(١) واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن العالية قال : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذى أرجوه بعد الموت انه لكذا وكذا ، فقال المشرك : انك لتزعم انك تبعث من بعد الموت ، واقسم جهد يمينه لا يبعث الله من يموت ، فأنزل الله (واقسموا بالله جهد ايمانهم ..) الآية .. واخرج هؤلاء عن أبى هريرة قال : (قال الله سبنى ابن آدم ولم يكن ينبغى له أن يسبنى ، وكذبنى ولم يكن ينبغى له أن يكذبنى ، فاما تكذبيه اياى فقال (واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) وقلت (بلى وعدا عليه حقا) وأما سبه اياى فقال (ان الله ثالث ثلاثة) وقلت (هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) .

٧ — والاسلام جد لا هزل ، وعمل واتقان للعمل ، وانصياع لأوامره ونواهيه ، وما ترك القرآن شيئا يهم البشرية أمره وتلزمهم معرفته الا وضحه وشرحه ، وجاءت كتب السنة مفصحة عما أجمل فيه ، فلا رأى مع النص ، وقد جدت مذاهب ونحل فى خلال مرور الاسلام فى مختلف الأعصر وكان منها النافع ومنها البعيد عن الصواب ، والعقلاء المؤمنون يحكمون الله ورسوله فيما شجر بينهم ، ولا يجدون فى أنفسهم حرجا من حكم الله وحكم رسوله الذى لا ينطق عن الهوى .

وكثير من الناس يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، ويخرجون فى احوالهم عن الصراط المستقيم الذى رسمه رسول الله بوحى من الله ، ونسأل الله السلامة ، كما نرجوه آملين فى رحمته ، أن يهدينا سواء الصراط انه نعم المولى ونعم النصير .

---

(١) الآيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ من سورة النحل .

أربع قواعد للإيمان

للأستاذ : علي الطنطاوي

مقدمة :

اذا كنت فى مكة ، وسالك سائل : هل فى الطائف الآن مطر ؟ تقول : لا ادرى ، لا تستطيع ان تجيب بـ (نعم) ، لأنه ليس عندك دليل الوجود ، ولا تقدر أن تجيب بـ (لا) لأنك لا تملك دليل العدم .

وهذا ما يسمى (الشك) : خمسون فى المئة « ايجاب » وخمسون «نفى»
فان ابصرت فى جهة الشرق غيوما ، تلوح على حواشى الأفق من بعيد ، رجح عندك رجحانا خفيفا ، أن فى الطائف مطرا .
وهذا هو (الظن) : ستون فى المئة (نعم) ، واربعون (لا) .
فان ازداد الغمام وتراكم ، واسود وتراكب ، وخرج البرق من خلاله ، ازداد ظنك بنزول المطر .
وهذا ما يقال له (غلبة الظن) : سبعون او خمس وسبعون فى المئة نعم .
فان كنت ماشيا فى طريق الطائف ، وبلغتها ، فرايت المطر بعينك ، واحسست به على وجهك ، (أيقنت) انه نازل ، و (علمت) بنزوله **علم اليقين** .
العلم (اليقين) : فالعلم (١) منشؤه الأول الحس : ما ادركه بحواسى أوقن بانه موجود (٢) .

ولكنى أمشى فى الصحراء ، ساعة الظهيرة ، فارى بركة ماء ، تبدو ظاهرة للعين ، فاذا جئتها لم اجد الا التراب ، لان ما رايته (سراب) .
واضع القلم المستقيم ، فى كأس الماء ، فأراه منكسرا ، وهو لم ينكسر . فهل اشك فيما ادركه بالحواس ؟ اذا شككت فى المحسات لم يصح فى الذهن شيء ، واستوى العاقل والمجنون الذى ينكر ما هو كائن ، ويتوهم ما لا يكون ،

---

(١) عندنا العلم بالمعنى المطلق ، وهو الذى يقابل الجهل ، والعلم الذى يقابل الفن والفلسفة ، والعلم الذى يقابل الشك والظن ، وهو الذى يراد فى هذا البحث .

(٢) وهذا هو العلم الضرورى . ومنشؤه الثانى الخبر المتواتر . ثم العلم النظرى ومنشؤه الدليل العقلى .

لا ، ولذلك أزيد شرطا آخر لحصول العلم بالحس ، وهو الا يحكم العقل بالتجربة السابقة ، ان هذا وهم او خداع حواس .

الحواس: ما الحواس ، وما مداها ؟

النفس سجينة فى هذا الجسد ، ولكن لها نوافذ تطل منها على العالم ، وهذه النوافذ هى (الحواس) فهل ترى منها كل ما فى العالم ؟

(الحواس) اولا ليست كاملة ، لان الكامل لا يقبل الزيادة ، ولقد (كنا) نعرف — ان الحواس خمس — ثم أدركنا بالملاحظة والنظر فى أنفسنا انها فى الواقع تزيد على خمس ، فنحن نحس (مثلا) التعب عقب المشى الطويل ، أو الجهد المبذول ، ونحس الجوع والعطش والغثيان — فكيف احسسنا به ، وما رايناه ولا سمعناه ، ولا لمسناه ولا شممناه ؟

احسسنا بحاسة سادسة يصح ان نسميها (الحاسة المشتركة) (١) .

ونغمض عيوننا ، فنحس بأن أيدينا مبسوطة أو مقبوضة ، وانها ممدودة او مرفوعة ، وهذه حاسة سابعة (هى الحاسة العضلية) .

وحاسة الحرارة والبرودة ، وحاسة التوازن — حتى ان العلماء قد كشفوا (المركز) الذى فيه حاسة التوازن ، وهو (سائل) أوجده الله فى الأذن الداخلية ، جربوا أن يستخرجوه من حيوانات المختبر (الأرانب والفيران) ، فصارت تمشى بعد فقده مترنحة مثل مشية السكارى .

فلو كانت الحواس الخمس كاملة لما قبلت الزيادة عليها .

ثم ان البصر ندرك به (عالم الالوان) ، والسمع ندرك به (عالم الأصوات) ، افليس من الممكن ان يكون بينهما عالم ، لا ادركه ، لأنى لا أملك حاسة ادركه بها ؟ ولم تعط النفس نافذة تطل منها عليه ؟

عالم موجود ولكنى لا أحس وجوده فهو منى كعالم الألوان للأكمه ؟

الأكمه (الذى ولد أعمى) قد يعرف بالسماع ان السهل اخضر ، والبحر ازرق ، والورد احمر ، ولكنه لا يعرف ما الخضرة ، وما الزرقة ، وما الحمرة — لأن النافذة التى تطل منها نفسه على عالم الالوان مغلقة .

والأصم ، الذى لم يسمع أبدا ، قد يعلم ان فى الدنيا انغاما ، لها اسماء ، وقد يحفظ اسماءها ، ولكنه لا يعرف ما البيات وما الرصد وما الصبا .

بل ان لدينا دليلا اظهر ، هو أن الغرفة الساكنة التى نكون فيها ، فلا نسمع فيها همسة ولا نأمة ، لا نحس فيها الا السكون الكامل — فى جوها ، جميع الأصوات (الخطب والمحاضرات والأغانى) التى تذيعها اذاعات الأرض

---

(١) لهذه القواعد قصة ، أرويها كما وقعت ، وهى انى كنت سنة ١٩٣٧ (او ١٩٣٨ — نسيت) مدرسا للادب العربى فى بغداد (بعد الزيات وقبل زكى مبارك) فكان الطلاب فى الفصل على غاية من الهدوء والاصغاء ، فكلفت مع الأدب بدرس الدين ، واذا بالفصل يضطرب ، والفوضى تعم ، فأدركت أن للدين فى نفوسهم صورة مشوهة ، فشرعت بمقدمة القيها بلا اعداد لها ، ولا عزم سابق على القائها ، فألهمنى الله هذا البحث الهاما ، وما رأيته فى كتاب ، ولا قرأته لأحد ، ونشرته ملخصا فى الرسالة من تلك الأيام (من ثلاثين سنة) . ولما كانت الوحدة بين مصر والشام وكلفت اعداد مناهج المدارس الشرعية أعددتها وحدى ، وأدخلت هذا البحث فى درس العقائد وأحلت على ما كتبت فيه فصار تدريسه مقررا فى مدارس سوريا الشرعية ودخل فى كتبها الرسمية وان كان من مؤلفيها من انتحله واوهم انه من نتاج فكره .

كلها موجودة ، ولكنا لا نحسها ، لانا لا نملك حاسة تدركها بها ، فاذا جئت بالراد (الراديو الذي يردها عليك) سمعتها واضحة .

ولا تعجبوا — فالجماد يدرك احيانا ما لا يدركه الانسان : ميزان الحرارة (الترمومتر) ، يدرك زيادة الحرارة درجة واحدة ، وانت لا تدركها ، وميزان الضغط (البارومتر) ، والرادار ، والبوصلة ، كلها تحس ما لا تحسه ، وتدرك من أوضاع الكون ما لا تدركه .

والعوالم التي سلطنا عليها ، واعطينا الحواس لادراكها ، هل ندركها كلها ؟ ان البصر ، يدرك عالم الالوان ، ولكن هل يطلع على كل ما فيه ؟ هل يرى بعينه النملة وهي تمشي على بعد الف ذراع ؟

ان لهذه النملة صوتا . فهل يسمع باذنه صوتها ؟ ان في كأس الماء الذي يبدو للعين عذبا صافيا ، آلاف الآلاف من الحيوانات الصغيرة . فهل يراها ؟

وهل يحق له ، ان ينكر وجودها لأنه لا يراها ؟

هل يحق له أن يجحد الموجات الصوتية ، لانه لم يسمعها ؟

فالقاعدة الأولى :

هي انه : **لا يحق لنا ان ننكر وجود اشياء لمجرد اننا لا ندركها بحواسنا .**

وهذا ما عبر عنه علماؤنا بقولهم : لا يشترط من عدم الوجدان عدم الوجود (١) . وهذه القاعدة ، نرد بها اعتراض الماديين ، على الايمان بالمغيبات ، يقول احدهم : انا لا اصدق بوجود الملائكة ولا الجن ، لانى لا اراهم ولا احس بهم ، فنقول له :

كيف صدقت بوجود الموجات الصوتية في جو الغرفة ، ولم تكن (قبل الراد) تسمعها ، ولا تدرك وجودها ، ونفيت امكان وجود الملائكة ، لمجرد انك لا تراهم ولا تحس بهم ؟

القاعدة الثانية :

ان الله اعطانا قوة نصل بها الى حيث لا تصل الحواس . وهي قوة (الخيال) ان غابت عني داري في دمشق وانا في مكة ، تخيلتها فاذا هي أمامي ، أرى بيوتها ومرافقها ، وان نأى عني صديقي تخيلته فرأيته . .

. . أفلا يتمم الخيال نقص الحواس ؟ وما مدى الخيال البشري ؟

الخيال بنوعيه ، هذا (الخيال المرجع) الذي اشرت اليه ، و (الخيال المبدع) خيال الشعراء والأدباء واخوانهم من اهل الفنون ، كله مقيد بالحس .

ان أقصى ما يعمله رجل الفن ، مهما كان عبقريا ، أن يؤلف صورة جديدة من الأجزاء القديمة . . فالذي نحت تمثال (فينوس) لم يأت به من العدم ، ولا مما وراء المادة ، بل نظر الى اجمل عين ، واجمل وجه ، واجمل جسم ، فالف بينها ، فجعل منها تمثال امراة ، لم يجدها كاملة ، ولكن وجد أوصالها فجمعها .

والقزويني في (عجائب المخلوقات) (٢) ، تصور او زعم بأنه راى : حيوانا جسمه كفسطاط الأمير ، وفمه كباب الدار ، واسنانه كأسنة الرماح .

---

(١) فعل (وجد) يتبدل معناه بتبدل مصدره ، فالوجود وجود الشيء بذاته ، والوجدان شعورك بوجوده ، والوجد العشق والموجدة الغضب ، وكلها يقال فيه (وجد) (يجد) .

(٢) أو غيره ، فقد شكلت ، وضعفت الذاكرة ، وضاع مني المرجع .

وهو يطير فى الجو ، ويخطف برجليه الفيل ، وهذه الصورة على غرابتها ، لم يزد فيها على أن اخذ جسد الفيل ، وفم الحوت ، وأسنان النمر ، وجناحى النسر ، فكبرها وركبها .

والمذهب الخيالى فى القصة .. انظروا اغرب ما جاء به اهله من قصص (ولز) الى قصص الحياة على القمـــر ، وفى المريخ — وما جاء به المعرى فى رسالة الغفران ، و (دانت الايطالى) وابن شهيد الأندلسى تروه كله منتزعا من الحياة الأرضية ، حتى الذين كتبوا عن المريخ ، بل الذين تصوروا الحياة الآخرة لم يستطيعوا أن يخرجوا عن حياة الأرض التى عرفوها .

فالقاعدة الثانية هى ان الخيال لا يقدر ان يجاوز هذه الحياة المادية .

فنحن لا نستطيع ان نتخيل نغمة عطرة ، ولا رائحة حمراء ، ولا نتصور الا الأبعاد الثابتة (الطول والعرض والارتفاع) لا نستطيع ان نتصور بعدا رابعا (١) ، ولا دائرة ليس لها محيط ، ولا مثلثا ليس له زوايا .

فكيف (اذن) نتخيل الآخرة ، وما فيها ؟

ان ابن عباس يقول : (ما فى الدنيا مما فى الآخرة الا الأسماء) ، وهذا حق ، فلا خمر الآخرة كخمرة الدنيا ، ولا حورها كنسائها ، ولا نار جهنم كنارها ، ولا الصراط الممدود على جهنم كالجسور الممدودة على الأودية والأنهار .

ولكنها شىء آخر ، شىء لا يمـــكن ان نتصـــوره ولا أن نتخيله ، كما ان الجنين فى بطن امه لو اعطى العقل والفهم ، وقيل له ، ان ها هنا شمســـا وقمرا ، وبرا وبحرا ، وسهلا وجبلا ، لا يســـتطيع أن يتصور ذلك او يتخيله — ونسبة الآخرة الى الدنيا ، كنسبة الدنيا الى بطن الأم الذى فيه الجنين .

العقل :

لما ابصرت العين العود المستقيم ، منكسرا ، وهو فى كأس الماء ، لم ينخدع العقل بما رأت العين ، وعرف انه لم يزل مستقيما ، ولما رأت التراب ماء ، فى الصحراء ، عرف أنه سراب ، وانه ليس ماء ولكنه تراب ..

فالعقل اصح حكما ، وحكمه ابعد مدى ، ولكن هل يحكم على كل شىء ، ويمتد مداه الى غير ما نهاية ؟

ان العقل لا يستطيع ان يـ[illegible]ـلى شىء ، حتى يحصره بين اثنين : الزمان والمكان ، فيقول : متى ؟ واين ؟ فما لم ينحصر بينهما ، لم يـــكن للعقل عليه سلطان .

فلو قال لك مدرس التاريخ ، ان حربا وقعت بين العرب والفرس ، ولكنها لم تقع قبل الاسلام ولا بعده ، ولم تقع فى زمن من الأزمان ، ولكنها وقعت فعلا ، لم تدرك ذلك ، ولم تصدقه ، ولم تقبله .

ولو قال لك مدرس الجغرافية ان مدينة ليست فى سهل ولا جبل ، ولا فى شرق ولا فى غرب ، ولا فى ارض ولا فى ســـماء ، ليست فى مـــكان ، ولكنها موجودة فعلا ، لم تدرك ذلك ، ولم تصدقه ولم تقبله .

ومعلوم بالضرورة أن الله عز وجل ، وصفاته وآلاءه ، لا تخضع للزمان ولا للمكان ، والله لا أول له ولا آخر ، ولا يشتمل عليه مكان — فالعقل لا يستطيع أن يحكم على الله ولا على صفاته ، ولا على قضائه وقدره — كل عمله فيها فهم نصوص الوحى ، الذى جاء من خارج العقل .

---

(١) أعنى بعدا حقيقيا ، لا بالمعنى الاعتبارى الذى جاء به آنشتاين .

والعقل محدود ، لا يستطيع أن يتصور غير المحدود ، ولا يحكم على غير المتناهي ، جرب أن تتصور حقيقة معنى الخلود في الجنة ، أو في النار تجد العقل يحكم بالبقاء فيها مليون سنة ، وعشرة ملايين ، وأضعاف ذلك ، ثم يقف ، ويقول : وبعد ؟ انه يريد أن يصل الى النهاية ، انه لا يتصور الخلود .

والله عز وجل ، غير محدود ،فالعقل لا يستطيع أن يحكم عليه .

واذا بحث العقل فيما ندعوه (اللانهاية) انتهى بحثه الى الوقوع في التناقض الذى يحكم العقل ببطلانه . أى ان العقل عند بحثه في غير المحدود يحكم على نفسه بالبطلان .

الفيلسوف الالماني (كانت) له كتاب اسمه (نقد العقل) جاء فيه بأربع عشرة مسألة تثبت هذا ، وقد عجب منها الفلاسفة والعلماء ، ثم وجدت أن علماء الكلام في ادلتهم على ابطال الدور والتسلسل قد سبقوه اليها .

ومن ادلة علمائنا ، أن تخرج من نقطة (م) مثلا خطين مستقيمين متباعدين ، وتفترض امتدادهما الى (اللانهاية) . وتصل بينهما خطوطا معترضة هي (ب ج) ، (ب ١ ج ١) ، (ب ٢ ج ٢) ، (ب ٣ ج ٣) ، وهكذا حتى تصل الى اللانهايتين ، وتسأل هل الخط الأخير (ب ٨ ج ٨) . محدود أم هو غير محدود ؟

اذا قلت انه محدود ، رد عليك انه بين لا نهايتين فكيف يكون محدودا ؟

وان قلت انه غير محدود ، رد عليك بأنه بين نقطتين ، فكيف يكون غير محدود ؟ فهو محدود وغير محدود ، وهذا تناقض .

فثبت أن العقل يختل ميزانه ، ان حاول الحكم على غير المحدود ، ويقع في التناقض المستحيل .

فالعقل اذن لا يستطيع ان يحكم ، ولا يصح حكمه الا في الأمور المادية ، اما (ما وراء المادة) أى عالم الغيب (الميتافيزيك) فلا حكم للعقل عليه .

وهذا الذى اثبته (كانت) في كتابه ، قال به علماؤنا من قبل ، انظر كتاب شرح المواقف للسيد ورسالة المقصد الأسنى للغزالي (١) .

القاعدة الرابعة :

هي أن الايمان بالله عقيدة بديهية ، لا تخلو منها نفس ، ولكن الانسان قد يكون صحيح الجسد ، مستوفى الأمن ، رخي العيش ، فيمر به وقت لا يحس بها ، وربما أنكرها ، فهو (كافر) بها ، أى مغط لها ، لأن الكافر في اللغة هو الساتر ، فاذا هزته المصائب ، أو زلزلته الخطوب ، أو شارف اليأس ، ألقى عنها غطاؤها ، فظهرت وقد شرحت ذلك في مقالتي في عدد الشهر الماضي ، من مجلة (رابطة العالم الاسلامي) فلا أكرره هنا .

وهذه القواعد الأربع ، أساس للعقائد فيها الرد على جميع الشبه التي تعرض لعقول الملحدين وتظهر على ألسنة الخصوم .

---

(١) بقيت هذه الرسالة (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) في مكتبتي أكثر من ثلاثين سنة ، لم أجد دافعا الى قراءتها ، ثم أخذتها يوما فوجدت فيها شيئا عجيبا ، من عبقرية الغزالي ، فهو يتكلم عن الاسم والمسمى والصلة بينهما ، ويربط بين أسماء الله وسلوك المسلم في الحياة ، ويأتي بما لم يأت بمثله أحد .

الضمان لتطبيق الأحكام في الشريعة الإسلامية ودوام سريانها

للأستاذ محمد محروس
الأعظمية ـ بغداد

توضع الأحكام ، وتشرع القوانين لكي تسود وتنفذ مضامينها ، توسلا لتحقيق ما ابتغى لها من أهداف . لذا فاننا نرى انه لا يولد قانون الا وضمان تطبيقه قد ولد معه ، وما شرعت شريعة الا وحفت بما يؤمن دوامها ، ويصون كيانها ، ويحقق سريانها ، باختلاف ظاهر بين الشرائع .

وانطلاقا من الفهم الصحيح للنفس البشرية ، والجبلة التى فطر عليها الانسان ، فانه لن يرضخ لكل ما يجب عليه أن يرضخ له ، ولا يطبق كل ما كان الواجب عليه أن يطبقه ، ولن ينتهى عن كل ما وجب عليه الانتهاء عنه .

ويقينا فان النفس البشرية لا تقدم على عمل ، أو تنتهى عن آخر ، الا اذا كانت ترتجى نوال منفعة ، أو تنزجر بعقوبة ، ويعيينا البحث ان نحن فتشنا عن غير هذين الأمرين دافعا وحافزا ، لاتيان عمل أو ترك آخر . لذا نجد العقوبات الرادعة فى شتى القوانين لمن اقترف عملا خلافا لما جاءت به ، ويقابل ذلك ما نجده من امتيازات ومنافع وضعت لمن جاء بعمل طلب منه الاتيان به . فالقاتل يقتل ، والمهرب تصادر بضاعته ، والمخبر عن الأموال المهربة يكافأ ، والموظف المجد يجازى ، والمتقاعس يعاقب .. وهكذا .

ان هذا الطريق لضمان تنفيذ الاحكام والانصياع لها ، قد يكون مجديا فى بعض الأحيان ، الا انه غير مضمون فى أحايين أخرى ، لأن « الانسان حريص على ما منع » ، وقد يقترف العمل المحظور قانونا ، المحرم عرفا ، الممقوت عقلا ، حتى وان كانت عاقبته وخيمة وثمنه باهظا ، والواقع الملموس زاخر بالأدلة على صحة ما قلناه فى كثير من وقائعه واحداثه .

هذا ويلاحظ أن الكثير من الشرائع والقوانين انعدم أثرها بزوال القــوة او الدولة التى تدعمها وتؤيد تطبيقها ، بل وقد يهجر العمل بحكم من الأحكام ، والدولة الراعية لتطبيقه لا تزال قائمة راغبة فى سيادته مصرة على دوامه وبقائه ، وهى تملك مــن الحــول والطول ما يمكنها من ذلك .

اذن فما الطريق الأكثــر امانــا لتحقيق المقصود ، ونوال المطلوب ، فى ضمان سيادة الأحكام ؟.

ان ذلك لا يتم فى رأيى الا بخلــق (دافع ذاتى) فى النفس ، وهو مــا يسمى (بالوازع) ، يكون نابعا عن عقيدة معينة ، يبعد النفس عن مزالق الشر ، ويقربها الى مسالك الأمان ، ذلك الدافع الذاتى النابع عن الايمان يجعل من نفس المرء رقيبا على ذات نفسه ، ينتهى عن الفعل المنهى عنه ــ وان لم يخش عقــابا ــ ويلتزم بالفعل المطلوب ــ وان لم يرج نوالا ــ ذلك لأنه آمن ــ عن تفكير وبصيرة ــ بوجوب اتيان هــذا ، وضــرورة الانتهاء عن ذاك وهو ما يسمى الآن (بوخز الضمير) ، ورسول اللــه صلى الله عليه وسلم يقول : الحلال بين والحرام بيــن وبينهمــا امــور مشتبهات الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كلــه واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهــى القلب (١) .

ولا آتى بجديد اذا قلت : ان الايمان بالنظم والقوانين المطبقة ، واعتقــاد الأمة بصلاحها ، يسهل على الماسكين بناصية الأمور تنفيذها ، ولا يشــق عليهم شىء من أجل ذلك ، ويخفــف عن كاهل الدولة أعباء كثيرة : مادية وزمنية ، ويوصل الى المجتمع الصالح والغرض المرجو ، بيسر وسهولــة بالغين ، ويتم جنى ثمرة تلك الأحكام بأقل جهد ، وعلى اكمل وجه ، واوفى حال .

والشريعة الاسلامية .. كشريعة متكاملة ، أريد لها البقاء ، وطلب من معتنقيها التطبيق ، ولأحكامها السيادة والاحترام ، لم يفتها شىء مما ذكرنا فنجد أحكامها خالدة باقية ، راسخة فى النفوس متمكنة منها ، حتى وان فقدت القوة التى تدعمها ــ كأى قانون من القوانين ــ واذا كان عظم الأثر يدل على عظم المؤثر وقوته وفعاليته فــى الوجود ، فان بقاء كثير من أحكام هذه الشريعة ، رغم ابتعاد المؤثر ، ليدل دلالة واضحة على مدى فعاليته فى النفوس ، ومدى جدوى ضماناته التى استند عليهــا لــدوام التطبيــق والاستمرار فى السريان لآثاره .

فهذه الشريعة حين آمنت بأن رجاء النفع ، وخوف المهانــة والســوء ، ضمان قوى للالتزام بكل حكم أو أمر ، فما ذلك الا دلالة على اصابتها حقيقة النفس البشرية فى تحليلها الموفــق لها ، وما انطوت عليه ، ويظهر هذا الأمر واضحا جليا فى قوله تعالى :

« فاستجبنا له ووهبنا له يحيــى واصلحنا له زوجــه انهــم كانــوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعيــن » (٢) .

ويقول جل وعلا : « ولا تفســدوا فى الأرض بعد اصلاحها وادعــوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حنبل ، عن الشعبى عن النعمان بن بشير رضى الله عنهم انظر راموز الأحاديث لمؤلفه أحمد ضياء الدين الكمشخانوى والنقشبندى والخالدى المجددى ص (٢٠٤) الطبعة الثانية سنة ١٣٢٦ هـ مطبعة خلوصى بالاستانة .

(٢) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء .

المحسنين » (١) . فلا شيء غير الرغبة والرهبة ، والخوف والطمع من دافع في الوجود كله .

ومن شأن الفرد المسلم انه لا يقصر رجاءه من عمله على النفع الحاضر او يخشى فقط العقاب العاجل ، بل انه دائما يرجو نفعا مؤجلا ، ويخشى عقابا مؤخرا ، فيطمع في نوال رضا الرب ، والفوز بالجنة وما يقربه منهما ، ويبتعد عن كل ما يغضب الاله ويقربه من النار .

والجنة والنار ورضا الاله وغضبه هما المحركان الدائبان ، والموجهان الصائبان لأفعال العباد ، ولا فائدة في عمل لا يرجى منه رضوان الله في نظر الشريعة الاسلامية .

وانطلاقا من هذه النقطة الحساسة فان الشريعة الاسلامية جعلت ضمانات تطبيق احكامها نوعين : ــ

اولهما : عقوبات مادية دنيوية آنية زاجرة ، شأنها في ذلك شأن القوانين الوضعية .

وثانيهما : ايمانها بالدافع الذاتي ، او (الوازع) ضمانا للتطبيق ، وهذا هو مرتكزها ، وعليه غالب اعتمادها .

فمن امثلة الضمانات التي من النوع الاول ، شتى العقوبات التي يوقعها ولي الأمر حسب التفصيل الوارد فيها كعقوبة السرقة ، وقطع الطريق ، والزنا ــ . . الخ . .

أما الضمان الثاني فهو ما أردناه من كل ما قدمنا به ، حيث توصلت الشريعة الاسلامية الى تحقيقه في نفوس معتنقيها بطريق سليم معقول مقبول ، بعد خلق مقوماته في النفس

فهي تؤكد على أن العمل الحرام ما حرم الا لما احتواه من ضرر ، ومرتكبه ــ اضافة الى ضرره عليه ــ ستكون النار له يوم القيامة شر جزاء ، ولن يغنيه الافلات في الدنيا عن عقوبة الآخرى ، وان الفعل الواجب والمندوب ما وجب الا لمنفعتهم ، وليس لفاعله جزاء الا الجنة وفي تركهم له عقاب النار وغضب الاله .

ذلك لأن الله هو خالق هذا الكون ، وهو اعرف بمخلوقاته منها : « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (٢) ، ولما كان هو الاعرف بهم ، كانت احكامه التي أرادها لهم لا بد هي الملائمة لحياتهم ، فاذا ارادوا لمجتمعهم الاستقرار ، وجب تطبيق ما يلائمه من احكام شرعت بما يوافق الطبيعة البشرية . ومن جهة اخرى فان الله هو الآمر المطاع في ملكوته ، فما أمر به وجب ، وما نهى عنه حرم ، والمخالف لذلك على كلا الحالين آثم ، يغضب الله عليه ، ويخرجه من رحمته .

ومن زاوية أخرى ، تؤكد الشريعة الاسلامية أن الحياة الدنيا ما هي الا وسيلة للآخرة وهي حياة زائلة ، سيعقبها الخلود الأكيد ، اما الى الجنة واما الى النار ، والعامل لسعادته يجب أن ينظر الى نهايته فيستعد لها ، بأن يجعل حياته وفق أوامر من سينزل الناس في الآخرة منازلهم حسب افعالهم في الدنيا .

ومما تقدم تتضح أمامنا بوضوح مقومات الدافع الذاتي التي تؤكد عليها الشريعة الاسلامية ، لكي تغرزها في النفوس ، وتثبتها في الجنان ، فان هي توصلت الى اقرار ذلك وتثبيته في النفوس ، اقدم المرء على تنفيذ كل ما امرت به وهو راض مطمئن ، مهما عسر أو صعب ، وانتهى عن كل قبيح مهما احتوى من لذة محرمة ، أو نفع مؤقت زائل .

فعلى سبيل المثال : الفرد المسلم يخرج من أمواله الآلاف ، يواسي بها

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الاعراف . وفي سورة السجدة الآية (١٦) يقول تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون » ، وفي نفس المعنى وردت اللفظتين في سورة الروم الآية (٢٤) وفي سورة الرعد الآية (١٢) .

(٢) الآية (١٤) من سورة الملك .

الضعفاء ، لا لكي يتلقى مديحا ، أو يقبض نفعا عاجلا ، لأنه يدفعها ولا حاث له على ذلك الا وازعه المتمكن من نفسه .

ان الدافع الذاتي او الوازع الذي تحرص الشريعة الاسلامية على خلقه في كل نفس مؤمنة ، لا تسميه هذه الشريعة بهذا الاسم ، كما وانه لا يتحقق لدى كل امرىء بنفس الدرجة والقوة ، لذا كان الاصلاح الذي يمكن ان يقابل هذا المعنى في الشريعة الاسلامية تختلف تسميته تبعا لدرجة قوته في النفس البشرية ، وكل درجة منه تجعل المرء اما ممتنعا عن نوع معين من الأمور التي نهى عنها ، او ممتثلا لنوع معين من الأوامر المطلوب منه تنفيذها .

نبدأ بأول منزلة وهي منزلة الانسان (الكافر) وهو الذي يجحد ما جاءت به الشريعة الاسلامية ، ولا يعترف بوجودها . والدافع الذاتي عند هذا النوع من البشر — بالنسبة لأحكام الشريعة الاسلامية — مفقود تماما ، فقد يأتي من الأفعال ما نهت عنه وقد يترك التي أمرت به . نعم قد يوافق فعل الكافر حكم الشرع ، لا عن اعتقاد به ، وانما لمجرد الاعتقاد بصلاحه ، وهذا العمل المنفصل عن العقيدة لا يؤبه به ، لأنه لا يخرجه عن كفره ، وذلك لأن الأعمال بالنيات ، كما ان التزامه بجانب واحد ولو عرضا سوف لا يمنعه عن التفريط بالجوانب الأخرى عملا واعتقادا .

اما النوع الآخر من بني الانسان فهو (المؤمن) أو (المسلم) (١) ، وان مجرد الايمان يشكل حرزا او مناعة لدى الانسان يعصمه عن الكفر ، ويخرجه من نطاقه ، وهذا الايمان يشكل دافعا ذاتيا للالتزام بالفكرة الاسلامية عموما ، والتمسك بأصولها الاعتقادية ، (والمسماة بأصول الدين) فالمؤمن او المسلم مهما بلغ من تحلل في أعماله لا يرضى الكفر بالله ورسوله وكتابه ، وما جاءت به الشريعة من اصول في الدين ، ونرى اشد الناس فسقا يثور اذا انتقصت عقيدته ، لأن ايمانه يعصمه عن الكفر .

وقد يعمل هذا المؤمن او المسلم عملا محرما ، أو يترك واجبا ويسمى بالفاسق لخروجه احيانا على الشريعة الا ان ذلك لا يخرجه عن حظيرة الاسلام ، وتأتي مرتبة التقوى والورع والاحسان وهو : ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك . ولعل الصائم في رمضان اشد الناس شعورا بهذا الأمر .

وكلما تركز الايمان في النفوس كلما كان الدافع الذاتي اكثر فعالية ، واشد قوة وتمركزا ، بحيث لا يكتفي المرء بكف نفسه عن المحرمات ، وتطبيق الواجبات ، بل يتقي الشبهات ، وهي الأمور التي منزلتها بين المحرمات والمباحات ولم ينص على تحريمها ، ويدفعه الى المواظبة حتى على المندوبات ، وذلك غاية الايمان ، وذروته ، والتسامي فيه حتى سنامه وعلياء هامته .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في المشتبهات وقع في المحرمات ،

---

(١) قد يفرق بين المؤمن والمسلم ، والذين يميزون بينهما يستندون الى قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ..) الآية ١٤ من الحجرات - ويعرفون الايمان بأنه : الاعتقاد بالجنان والتصديق باللسان بكل ما علم مجيئه من عند الله تعالى ، أما الاسلام فهو : أن تشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا (راجع الدرر المباحة في الحظر والاباحة لخليل بن عبد القادر الشيباني مطبعة الاعتدال — دمشق سنة ١٩٤٧ ص ١٤٧)

كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .. » (١) ، وترك ما يريب الى ما لا يريب أمر مطلوب في الشرع ، روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا اختلفت عليك الأشياء ، وكثرت الأحاديث فان الهدى ان تدع ما يريبك الى ما لا يريبك » (٢) ولا يصل هذه المنزلة الا من كانت صفته على ما ذكرنا . ويقول الشيخ ابو عبد الله محمد الشيباني في منظومته :

وايماننا قول وفعل ونية
ويزداد بالتقوى وينقص بالردى(٣)

ويشكل (الزهد) وهو فراغ القلب من الدنيا مع عدم فراغ اليد منها ، يشكل دافعا قويا لتطبيق الاحكام ، ولا سيما في الأمور التى لها كبير اتصال بأمور المال ، فالزاهد لا يطمع ، ولا يحتكر ، ولا يكنز المال ، ولا يدخر الا ما يسد رمقه .

ان الأمور المتقدمة اذا اجتمعت في النفس كان حصيلتها الانسان الكامل الذى تصبو اليه الفلسفات قديمها ومحدثها ، والشرائع آبدها وباديها ، والحضارات تالدها وطريفها

ان الشريعة الاسلامية وان كانت قد ميزت بين المسلم الفاسق والمسلم التقى الكامل وما الى ذلك ، الا أن هذا لا يعنى ارادتها من اتباعها الالتزام بجزء من احكامها وترك قسم آخر ، أو تقرهم عليه أن هم فعلوه ؛ بل أن القرآن الكريم يعنف أمثال هؤلاء بقوله : « .. افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب » (٤) .

ولما كان الناس غير مستوين في اعمالهم ، بل يستحيل تساويهم ، فلا ينبغى أن تتساوى منازلهم ، والأحكام التى تخص كلا منهم ، وهذا ما لا نجده في اية شريعة أخرى ، ولعلنا نعود الى هذا الموضوع بتفصيل اكثر ان شاء الله تعالى . لذلك فان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا » (٥) فيه دلالة على أن الأحكام الاسلامية متكاملة ، والتمسك بها جميعا دون تمييز أمر مطلوب .

وللتدليل على قوة الدافع الذاتى واثره في النفوس يمكننا أن نجد في الجيل الأول من المسلمين ، وهم صحابة رسول الله والصفوة الممتازة من هذه الأمة ، ما يشفى الغليل ، ويقيم لنا أوضح برهان ودليل ، حيث تمكنت الشريعة الاسلامية من تكوين اشخاص كان الدافع الذاتى ، والوازع الدينى قد بلغ منهم أقصى غاياته .

فهذه الغامدية ، تأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما تناهى اليها تحريم هذا الدين للزنا ، وتقر على نفسها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها قد خالفت أمر الله ، فيردها الرسول لكى تراجع نفسها ، وتتفكر في مغبة ما أقرت به على نفسها ، فتعود اليه ثانية وثالثة ، حتى عادت اليه في المرة الرابعة ، فكان اقرارها على نفسها أربعة اقرارات مختلفة في أربعة

---

(١) راجع هامش رقم (١) . (٢) رواه الديلمى ، راجع الكمشخانوى ص (٢٥) المرجع السابق .

(٣) راجع منظومة الشيبانى في العقائد الاسلامية على المذهب الشافعى وشرح أبو البقاء الاحمدى عليها المسمى (المعتقد الايمانى شرح منظومة الشيبانى) ص ١٧ مطبعة شفيق سنة ١٣٨١ هـ ـ بغداد) .

(٤) الآية (٨٥) من سورة البقرة .

(٥) رواه ابن أبى حاتم والطبرانى في الكبير وابن مردوية عن ابن عباس رضى الله عنه .

مجالس مما يقوم مقام شهـــادات الشهود . فلم ير رسول الله صلـــى الله عليه وسلم بدا من اقامة الحـــد عليها ، وهو الرجم حتى الموت ، لانها كانت محصنة اى متزوجة ، فتتقبـــل العقوبة عن طيب نفس واطمئنـــان خاطر ، وكـــان بامكانهـــا دفعهـــا بالسكوت ، ولكنها العقيدة ورسوخها فى النفس ، تعمل ما يعجز عنــــه كل بشر .

وهذا سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه تأتيه تجارة فى عير له قادمة من الشام ، فى وقـــت اشتد فيـــه الغلاء ، وشحت الأرزاق ، وعظمت الحاجة الى الأقوات ، والناس فـــى ضيق شديد . فما ان وصلت العير حتى أتاه تجار اليهود ، فأعطوه مثل قيمتها ثمنا لها ، فقال أعطيت أزيـــد من هذا ، فأعطى مثلاها ، فرفض ، وهم يزيدون وهو لا يحيد عن جوابه ، فما كان منهم الا ان قالوا : يا ابـــن عفان ، ما نعلم أن هناك فى المدينـــة من تاجر غيرنا ، فمن الذى أعطـــاك اكثر مما أعطيناك ، فيجيبهم : ان ربى أعطانى بالحسنة عشر أمثالها (١) ، الا فاشهدوا انى قد تصدقت بهــــذه العير على فقراء أهل المدينة .

وفى موقعة بدر الكبرى يقـــوم رسول الله صلـــى الله عليه وسلم ليأخذ آراء الناس فى مقاتلـــة أهـــل الشرك ، فيقوم اليـــه المقداد ابـــن الأسود رضى الله عنه فيقول : « يا رسول الله امض لما امرك اللـــه . فوالله لا نقول لك كما قالت بنــــو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون . ولكـــن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكمـــا مقاتلون ، والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتـــى تبلغه . (٢) . وحين يشتد القتال ، وتحتدم الحرب يقوم النبى صلى الله عليه وسلم محرضا مشجعا فيقـــول (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة : فيقوم عمير بن الحمام رضى الله عنه وبيده تمرات يأكلها فيقول : « بخ بخ ، مـــا بينى وبين ان أدخل الجنة الا أن يقتلنى هؤلاء ، ثم تذف التمرات من يـــده ، وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل » (٣) .

واخيرا ان النظم التى سادت ، والتى لا تزال سائدة ، يعيبها ، بل ان اكبر عامل في زوالها ، انها لم تتوصل الى تحقيق الدافع الذاتى ، أو الوازع النفسى ، وانما اكتفت بفرض احكامها فرضا ، وحفتها بالقوة لأجل التطبيق ، لذا كان التهرب من احكامها ظاهرا وبشتى السبل ، ومهما تفننت الدول فى مراقبة من تطبق عليهم الأحكام ، ومهما فرضت على المخالفين مـــن عقوبات ، فان النـــاس تفننـــوا فى التهرب من قبضتهـــا وأكثـــروا من مخالفتها والخروج على احكامها .

فى حين أن المسلم الذى نال مـــن هذه الخصلة أيسرها ، وبلغ مـــن هذه المرتبة أدناها ، يطبق مـــن الأمور أصعبها واشدها ، من غيـــر رقيب او حسيب الا رقابة اللـــه ، فيمتنع عن الأكل والشرب فى رمضان ولا حائل بينه وبين الطعام الا الايمان ويخرج من أمواله الآلاف من غيـــر اكراه ليوزعها على الفقراء . فـــى حين ان أشد المتمسكين بالقوانيـــن يتهرب من دفع (الضريبة) وان كانت اقل بقليل مما يخرجه الفرد المسلم .

وما أصدق الشاعر حين يقول :

لا تنتهى الأنفس عن غيهـــا
ما لم يكن منها لها زاجـــر

---

(١) يشير الى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون) (الآية ١٦١ من سورة الأنعام)

(٢) نور اليقين ، سيرة سيد المرسلين للخضرى ص ١١٥ الطبعة الثالثة عشرة .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩ .

من النعمان بن بشير رضي الله عنهم انظر راموز الاحاديث لمؤلفه احمد ضياء الدين الكمشخانوي

الإسلام بين العقل والقلب أو الاقتناع والحب

للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطى
المدرس بكليتى الشريعة والآداب
جامعة دمشق

القلب قوة مهملة فى حياتنا

خلق الله الانسان ، وجهزه بحقيقتين عظيمتين ، هما : العقل والقلب ، وأقام كلا منهما على وظيفة لا يتأتى أن يقوم بها غيره ، ولا يصلح من دون تحقيقها شيء من أمر الدنيا او الآخرة .

اما العقل ، فوظيفته أن يقبل على الأشياء فيدركها على حقيقتها ، وأن يستدل بظواهر الامور على ما وراءها ، وأن يتوصل من وراء ذلك الى معرفة الله عز وجل ، والى الايمان بوحدانيته وربوبيته المطلقة .

وأما القلب ، فوظيفته أن يسير من وراء هدى العقل ، فيحب الخير الذى اثبت العقل انه خير ، ويكره الشر الذى اثبت العقل انه شر ، ويجعل ملاك ذلك كله فى محبة الله عز وجل ومحبة رسوله .

ولا بد لعمارة الكون وتحقيق النظام فيه ، من عمل كل من هذين الجهازين ، فلولا العقل لامتزجت نزوات النفس وأهواؤها ، بخفقات القلب وعواطفه ، ولتلاقى السفل والعلو على ايقاد شر مستطير من شأنه أن يفسد كل شيء : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ..)

ولولا القلب ، لما وجد الخير الا فى دنيا الوهم والخيال ، ولظل بنيان الفضائل والمثل العليا مجرد رسوم وخطوط على الورق ، أو كلمات وجمل حلوة على الشفاه ..

فالعقل اذا هو القدرة الكاشفة والمخططة ، والقلب هو القوة الدافعة والمحركة . ولا بد فى كل عمل أو بناء من التخطيط المنظم له أولا ، ثم الاداة المنفذة له ثانيا .

وبسبب أن الاســـلام هو جامع الفضائل كلها ، فقد كان لا بد لتحقيقه من الاعتماد على كلا هذين الجهازين العظيمين . فمن اجل ذلك جاء الاسلام يخاطب العقل والقلب معا : يخاطب العقل ليدرك ويتدبر ، ويخاطب القلب ليحب ويتأثر .

وانك لتجد آيات الكتاب المبين تتجه الى تحريك نياط القلب فى الوقت الذى تتجه فيه الى ايقاظ مدارك العقل ، وذلك لينهض كل بعمله ، وليسهم كل منهما فى تحقيق انسانية الانسان ، ثم فى اقامته على صعيد من العبودية التامة لله عز وجل .

وانك لتجد ذلك ايضا فى احاديث رسول الله صلى الله عليه وســـلم . فقد كان يأبى عليه الصلاة والســـلام دائما الا أن يقرن الايمان العقلى بالمحبة القلبية . الم تسمعه يقول فى الحديث المتفق عليه : (لا يؤمن احدكم حتى أكون احب اليه من ماله وولده والناس أجمعين) .

وفى الحديث الآخر المتفق عليه أيضا : (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه الا الله ، وان يكره أن يعود فى الكفر ، بعد ان أنقذه الله منه . كما يـــكره أن يقذف فى النار) .

ثم انك تجد هذا المعنى ايضا متمثلا فيما اتفق عليـــه جمهور علمـــاء المسلمين من أن الايمان يزيد وينقص ، وأن المســـلم مطالب بالعمل على تقوية ايمانه وزيادته .

وبدهى أن مجال هذه الزيادة لا يمكن أن يكون العقل . ذلك لأن العقل اذا ارتقى فى ادراك الشىء الى درجة التصديق والاذعان ، فقد وصل الى النهاية التى لا يمكن أن يتجاوزها ، اذ الادراك للشىء لا يعدو أن يـــكون تصـــورا أو تصديقا ، والتصديق نهاية عقلية عليا لا تقبل التفاوت والتشكيك ، لا جرم اذا أن التصديق العقلى غير قابل لأى زيادة او نقصان .

ولكن مجال هذه الزيادة انما هو القلب . . ففى القلب سلم من العواطف لا تـــكاد تتناهى درجاته ، وفيه وقود هائل من الاشـــواق العارمة لا يقوى على وصفه أى قلم أو بيان . ففى هذه البوتقة ينضج الايمان ويترعرع ، وفيه تتوالد معجزات الايمان التى طالما سمعنا بها قديما وأجدبت منها حياتنا حديثا .

وانظر الى البيان الالهى ، كيف يصور هذا المجال القلبى لتقوية الايمان وزيادته ، تأمل فى قوله تعالى : (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون) وأنت خبير ان كلمتى : حبب وزين انما يعرفها قاموس القلوب ، فهما يأتيان من وراء يقين العقل واذعانه .

ثم ان هذه المحبة ليس معناها الحقيقي الاتباع والسلوك العملى ، كما قد يتصور بعض الناس ، بل هى مســـتعملة فى معناها الحقيقى نفسه ، وليس الاتباع الا أثرا من آثارها .

وكيف تكون محبة الله ورسوله هى الاتباع العملى ؟ انما الاتباع نفسه يحتاج من وراء اليقين العقلى الى محبة قلبية دافعة ؟ . . ومن البداهة بمكان أن شيئا من صور التضحيات الرائعة التى قدمها الصحابة بالنفس أو المال لم يكن هو المحبة نفســها ، وانما كان أثرا من آثار المحبة العـــارمة التى فاضت بها قلوبهم ، والا لكان مجرد التصديق بشىء ما هو وحده سر التضحية فى سبيله ، واذا لكان من اللازم العقلى أن يتساوى المسلمون كلهم فى صفة البذل والتضحية

والفداء . ومن الذى يقول هذا ؟ . . ومن الذى زعم ان المسائل العقلانية (١) وحدها من شأنها أن تؤثر فى العواطف والقلوب ؟ وهل سمع احد من الناس ان رجلا ضحى بحياته ايمانا منه بقاعدة رياضية او مسألة من مسائل الجبر ؟ . .

ولعمرى كم كان جان جاك روسو على حق يوم اخذ يسخر ممن يظن ان الايمان المجرد بالفضيلة يعتبر انتصارا لها وتحقيقا لمبادئها . فنراه يقول : (كم قيل وأعيد القول عن الرغبة فى اقامة الفضيلة على العقل وحده ، ويا له من أساس متين . . اى اساس هذا ؟ !! . . ان الفضيلة كما يقولون هى النظام ، ولكن هل يستطيع الايمان بالنظام ان يتغلب على مسرتى الخاصة ؟ ان هذا المبدا المزعوم ليس الا لعبا بالالفاظ ، فالرذيلة هى حب النظام بشكل مختلف) .

وانظر ، فلقد ادركت أمريكا يوما ما ، ما فى الخمر من الاضرار الجسيمة المختلفة . وآمنت بذلك ايمانا عقلانيا قائما على مختلف الادلة التجريبية والعلمية القاطعة . واقدمت الحكومة الامريكية بناء على ذلك على اصدار قانون بتحريم الخمر . . ولكن ما الذى تم بعد ذلك ؟ . لم تمض فترة حتى اخذت رؤوس أولئك المقننين انفسهم تتمايل من الم الحرمان . . ثم ما هو الا ان عادوا فنكصوا على أعقابهم ، فمزقوا القانون الذى كانوا قد اصدروه ، وراحوا يعكفون على اقداحهم يترعونها من جديد . . أما فى المدينة المنورة ، وقبل اربعة عشر قرنا ، حيث جماعة من الأميين قامت حياتهم منذ أمد طويل على الخمر والشمس والماء والهواء ، يقتاتون دنان الخمر كما يقتات الناس زكائب الحنطة ، فقد وقعت المعجزة هناك بسر آية واحدة لم تزد على بضع كلمات .

ما كاد أولئك المؤمنون يسمعونها ، ويسمعون قول ربهم جل جلاله فى ختامها : (فهل أنتم منتهون) ؟ حتى أريقت الدنان ، وحطمت الأقداح ، وتعالت الصيحات : انتهينا يا رب ، وفى ساعة واحدة تحولت الخمر من عنصر من عناصر الحياة كانت ضرورتها من ضرورة الشمس والماء والهواء الى رجس مستقذرة شنيع وفى ساعة واحدة . . نسخت عادة متمكنة أصيلة كأن لم تكن بالأمس وكأن لم تكن لها جذور بعيدة راسخة . .

فما الفرق بين أمريكا التى آمنت عن تجربة ودراية وعلم ، وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين استقبلوا الامر تلقيا وآمنوا به غيبا ؟ . .

هنالك ، يقين فكرى أعزل ، لا تشايعه النفس ، ولا يؤيده الهوى ، وهنا شىء وقر فى القلب بعد أن استقر فى الفكر . والقلب — كما تعلم — سيد هذا الكيان الانسانى كله ، يقوده كما يحب ، وفى السبيل التى يريد .

ثم ان القلب كالمرآة ، لا يمكن أن يخلو من صورة تظهر على صفحتها . . فاما أن تثبت فيه صورة من عكر الدنيا وأهوائها ، واما أن يشرق بالمحبة الالهية الصادقة . واذا فاض القلب بعكر الشهوات والاهواء ، فهيهات أن يصبح الاعتقاد وحده حاملا لصاحبه على اى عمل من اعمال التضحية او الفداء .

---

(١) لعل البعض يقول : ان هذه النسبة الى العقل غير صحيحة فى اللغة ، والنسبة الصحيحة : عقلى . ولكنى لا أجد أن غير كلمة (عقلانى) تدل فى هذا الباب على المعنى الذى اريد ، فلتشفع للكلمة دلالتها ووهيها . .

ولعلك تسالنى الآن : فما هو السبيل الى غرس المحبة الالهية فى القلب وتزكيتها حتى يزداد بذلك الايمان ، وتتوفر مقومات التضحية والبذل والجهاد ؟

والجواب يا أخى المسلم ، ان لك الى ذلك سبلا كثيرة .

فمن اهم هذه السبل أن تخلو الى نفسك بين كل فترة وأخرى مدة من الزمن ، تتأمل فيها نفسك وحقيقتها ومنشأها ، ومدى حاجتها الى عناية الله وتوفيقه ، فى كل لحظة من لحظات الحياة ، وفى الناس ، ومدى ضعفهم أمام الخالق عز وجل ، وفى عدم أى فائدة من وراء مدحهم أو قدحهم ، ثم تتفكر فى مدى عظمة الخالق جل جلاله ، وفى مظاهر آلائه ونعمه المختلفة التى لا تحصى ، وكيف أسبغ عليك رداء ستره ، فحجز عن الناس عيوبك ، وابقاها سرا بينك وبينه ، ثم اشاع فيهم مناقبك وفضائلك . ثم ان تتبع ذلك بالاكثار من ذكره ، وتسبيحه بالقلب واللسان ، والاكثار من تلاوة القرآن .

ومن اهم هذه السبل ايضا أن تكثر من التأمل فى سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ..

واخلاقه ، وطريقة حياته ، ومعاملته للناس ، فان ذلك كله جزء من مظهر نبوته عليه الصلاة والسلام ، ومن شأن التأمل فى ذلك تقوية الايمان وترسيخه فى القلب ..

ثم ان القلب من شأنه أن يخفق بحب الفضائل ، والمثل العليا ، ومهما بحثت ، فانك لن تجد الفضيلة والمثل العليا والرقة والجمال النفسى والخلقى مجتمعة كلها فى كيان واحد ، الا كيان حبيب الخالق العظيم محمد عليه الصلاة والسلام . فلا غرو أن يكون مهوى افئدة المفكرين والمتأملين ، وقدوة جميع العقلاء المنصفين .

ومن أهم هذه السبل ايضا ، الاكثار من العبادات عامة والصلوات خاصة ، والاستقامة عليها فى خشية وحضور ، فذلك هذا الغذاء الذى يبقى على العقيدة وينميها ، ويقوى جذورها فى النفس والقلب .

ولا والله لن تتساقط الآفات المختلفة التى تعلق بالنفس ، ولن يحيا القلب بنور المحبة والعرفان ، الا بعد أن يزداد التعبد والتبتل فى حياة المسلم ، حتى يمتد اثرهما الى النفس والقلب فيهزهما هزا ، ويدفعهما جيئة وذهابا ، بين طرفى الخوف والرجاء ، فعند ذلك تتساقط تلك الآفات العالقة بالنفس ، وتتبدد تلك الغاشية العكرة الممتدة على صفحة القلب .

فاذا سار المسلم فى هذا السبيل ، وتهيأ له القيام بهذه المهام ، نبتت له من ذلك فى قلبه محبة الهية عارمة ، تجعله لا يخشى اى عظيم ، ويحتقر كل مغرية من المغريات ، ويستهين بكل ايذاء وعذاب ، ويستعلى فوق كل اذلال أو استهزاء . ولعمرى تلك هى العدة الكبرى التى جهز الله بها حبيبه محمدا عليه الصلاة والسلام ، للقيام بأعباء الدعوة الاسلامية ، وهى العدة التى ينبغى أن يتسلح بها من بعده كل مسلم .

مكمن الداء فى حياتنا

أريد أن اضع يدك يا قارئى الكريم بعد هذا الذى ذكرت ، على مكمن الداء العضال فى حياتنا الاسلامية اليوم .

ان داءنا المستحكم العضال ، هو اننا مسلمون بالفكر والعقل فقط ، لا بالحب والقلب ايضا ، اى اننا نمارس اسلاما عقلانيا مجردا ، بعيدا عن جواذب القلب ومؤثراته .

ومثل هذا النوع من الحياة الاسلامية قد يثمر ثروة فكرية عظيمة ، أو مكتبة اسلامية واسعة ولكنه لن يثمر ابدا السعادة الاسلامية المنشودة .

ان اقل تجسيد لهذه الحقيقة التى اقولها ، انك قد تلتقى مثلا بجماعة من المسلمين لهم مركز الصدارة فى الفكر والقيادة الاسلامية فى المكان الذى يوجدون فيه ، ويبدأ الحديث بينهم عن الاسلام ، وكيفية الدعوة اليه ، والنهوض به ، وواجب المسلمين فى هذا العصر ، ويغوصون فى هذا الحديث فى نشاط ولذة وحماس ، ويتعالى صوت مؤذن على مقربة منهم يؤذن للصلاة ، والحديث لا يزال موصولا !! وينتهى صوت الآذان ، ويذوب فى ضوضاء الحديث وصخبه !! . .

ويمتد وقت طويل بعد ذلك ، والقوم مشغولون عن الاستجابة للأذان ، والقيام الى الصلاة ، بالحديث عن الاسلام والاهتمام بشأنه . . ويوشك وقت الصلاة ان يخرج وهنا ربما يقترح احدهم استراحة دقائق ليقوموا الى الصلاة . . وتبدأ صلاة سريعة ، قد لا تزيد على ركعات الفرض وحده ، وتتأمل فى مظهر صلاتهم ، فلا تشك ان كل واحد منهم منصرف بتفكيره الى الحديث الذى قاموا لتوهم عنه !!

وما هو الا ان يسلموا يمنة ويسرة ، حتى يلتفتوا الى بعضهم البعض مرة اخرى ، وقد تذكر هذا فى الصلاة ما كان قد نسيه اثناء الحديث ، وقام فى ذهن الآخر اشكال تصوره عند قراءة الفاتحة . . ويعود الحديث بينهم عن الاسلام ومشاكله ، وما يتعلق به ، وقد نسوا أن من وراء الصلاة التى فرغوا منها تسبيحا وذكرا ودعاء ، وان لها تتمة من الرواتب والنوافل ، وان كل هذا الذى يخوضون فيه من الحديث انما هو وسيلة الى هذه الغاية العظيمة !

وهكذا دواليك . . وقس على هذه الصورة غيرها من اشباهها .

غير ان الذى هو اهم من هذه الصورة نفسها ، ان الكثيرين من المسلمين اليوم يدافعون عنها ، ويتفلسفون فى الدعوة اليها ، ويقتنعون ويقنعون أن الاسلام ليس الا هذا المظهر الحركى الذى ينطبع شكله فى البحوث الفكرية ، والمناقشات النظرية ، والتنظيمات الشكلية ، ويظلون يقللون من أهمية العبادة ، والتبتل والأذكار ، ويوهمون انها بضاعة العامة والجهال الذين لا شغل لديهم يملؤون به فراغ وقتهم .

وانى لأذكر حفلا حاشدا فى احدى بلادنا العربية ، كنت أحد الحاضرين فيه ، وأذكر ان أحد المفكرين من العلماء الفضلاء قام فى ذلك الحفل ، فكان مما قال : ان مشكلة كثير من المسلمين اليوم أنهم يحسبون أن الاسلام هو أن يكثر الانسان من الصلاة . . أو أن يكثر من التعبد . . مع أن الاسلام هو العمل والبناء .

ولقد أخذت التفت اذ ذاك بهدوء عن يمينى ويسارى أنظر فى وجوه الحاضرين ، ثم رحت أتأمل فى نفسى طبيعة أهل تلك المدينة كلها ، فما هدتنى عيناى ولا أرشدنى خاطرى الى ان ثمة أقواما انقطعوا عن الحياة الدنيا فى كهوف قاصية للعبادة والصلاة . . وتأملت ، فوجدت أن أعظم متعبد فيهم هو ذاك الذى يحافظ على فرضه يؤديه جماعة فى وقته ، وقد يتبعه بركعات خفيفة من نوافله المتممة . . فما وجه الحاجة الى هذا الكلام وما الضرورة الداعية

الى التكريه بالصلاة أو الدعوة الى التخفيف من العبادات ، وما فى الحاضرين كلهم والبلدة بأسرها الا مقصر عن الحد الادنى فى ذلك (١) ؟ . .

والعجيب أن ندعو بعد ذلك الى العمل . . والبناء . . والتضحية . .

فما الذى ينهض بالمسلمين الى القيام بذلك كله ، وهم مقيدون بأثقال واغلال من الشهوات والأهواء والمطامع الدنيوية المختلفة ؟ . ما الذى يحملنى على استدبار شهواتى وأهوائى ، وان قلبى ليخفق بحبها والتعلق بها ؟ .

ان الامر يحتاج ولا ريب الى مساعد ومعين ، فأين هو المساعد والمعين وما هو ؟

لقد أجاب البيان الالهى عن ذلك ، ووضع بين يدينا المساعد والمعين ، وذلك فى قوله جل جلاله (واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين) وطالما وضع البارى جل جلاله هذا الدواء المساعد بين يدى حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كلما حزبه أمر ، أو أطبقت عليه شدة ، أو استيقظت فى نفسه بعض المشاعر البشرية ، تأمل مثلا قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام : (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل فسبحه وأدبار السجود . .) .

وأمعن النظر معى فى هذه الآيات الاخرى : (فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا . واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا . ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) .

ومعاذ الله أن يكون اسلافنا من المسلمين الذين شادوا صرح هذا الدين ببطولاتهم وجهادهم وتضحياتهم ، قد اقبلوا على ذلك الا بعد أن ازاحوا عن أنفسهم أثقال الشهوات ، واغلال الاهواء ، بسلاح من العبادة والتبتل ، والوقوف على الاقدام بين يدى ربهم الساعات الطوال ، فى جنح الليل ، يسكبون دمعا ساخنا ويناجونه فى دعاء خاشع ، ويذكرونه بقلب واجف . .

ولا والله ، لن يستطيع مسلمو اليوم ، أن يسيروا وراء خطى اجدادهم بالأمس ، الا اذا غمرت اللوعة قلوبهم ، وتلظت الاشواق الالهية بين جوانحهم ، وملئوا أكوابهم بتلك الخمرة العلوية التى تنشلهم من قتام هذه الشهوات والاهواء ، وتعالوا بوجدانهم الى مستوى الحقيقة العليا .

الا أن لوعة الحب وحدها هى السوط السائق ، والتيار المحرك . والمحب هو وحده الذى يبذل الجهد شوقا الى المحبوب ، فيسهل بذلك عليه الصعب ، ويقرب له البعيد ، وتفنى لديه القوى ، وتذوب فيه الحياة ولا يرى انه قد أوفى بعهد المحبة ، أو قام بواجب شكر النعمة .

ويوم يعمر هذا الحب قلوب المسلمين اليوم ، يتكامل البنيان كله ، ويتوفر العمل جميعه ، وتتجلى معجزات التضحية والبذل والجهاد ، وتتنزل معجزات النصر والعزة والتأييد .

---

(١) لا أظن أن العالم المتحدث كان يرمى الى شىء مما أخذه عليه الكاتب ، وانما يرمى الى تصحيح فكرة خاطئة قاصرة عند كثير من المسلمين هى أنهم يجعلون الصلاة فقط مظهر التدين ناسين النواحى العملية السلوكية فى الحياة وهى التى يوجه اليها الاسلام عناية خاصة حتى جعل الصلاة والصيام وسيلة من الوسائل المؤدية اليها . . والمسلمون جميعا فى حاجة الى أن يفهموا تماما أن الاسلام عبادة ومعاملة وكل منهما لا بد منه لتكوين المسلم الصحيح . وكل أمر من أمور الاسلام له وضعه وله منزلته والصلاة طبعا فى المقدمة على ألا يجعلها المسلم هى كل شىء فيتوفر عليها وينسى أو يهمل ما عداها مما عده الله ثمرة من ثمراتها « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

« الوعى »

الطريقة العلمية عند علماء المسلمين

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

ظهر من علماء المسلمين من دعا الى الدقة فى العمل ، واجراء التجارب ، والاحتياط فى الاستنتاج . ومن هؤلاء « جابر بن حيان » من اعلام علماء المسلمين الذين أسدوا أجل الخدمات الى الكيمياء والعلوم الطبيعية .

لقد دعا « جابر » الى الاهتمام بالتجربة ، وحث على اجرائها ، مع دقة الملاحظة ، كما دعا الى التأنى وترك العجلة وقال : « .. ان واجب المشتغل فى الكيمياء هو العمل ، واجراء التجربة ، وان المعرفة لا تحصل الا بها .. » وطلب من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية ألا يحاولوا عمل شىء مستحيل ، أو عديم النفع . وعليهم أن يعرفوا السبب فى اجراء العملية ، وأن يفهموا التعليمات جيداً (لأن لكل صنعة أساليبها الفنية) على حد قوله ، وطالبهم بالصبر والمثابرة والتأنى باستنباط النتائج .

وكان لجابر هذا ، فضل كبير على من أتى بعده من كيميائى العرب والمسلمين ، حتى أن بعض العلماء اعتبر الكتابة غير دقيقة ان لم تسبقها تجارب .

وقال الجلدكى عن الطغرائى .. كان الطغرائى رجلا على جانب عظيم من الذكاء ، ولكنه لم يعمل الا قليلا من التجارب ، وهذا أمر يجعل كتاباته غير دقيقة ..) .

ومن علماء المسلمين الذين اشتهروا بالتدقيق — حين البحث فى النبات — رشيد الدين بن الصورى . فقد كان يستصحب معه مصورا (حين البحث عن الحشائش فى منابتها) ومعه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها .

دستور البحث العلمى

وننتقل الآن الى الدستور الذى وضعه بعض علماء المسلمين للبحث العلمى

والفلسفى ، كما ورد فى رسائل « اخوان الصفا » . وقد وصف بعض العلماء المحدثين بأن هذا الدستور محكم ورائع ، ويرى الباحثون انه وليد المنطق الذى اقتبسه المسلمون عن اليونان ، ويدللون على ذلك بالمقارنة بين مواده والمقولات العشر المسماة عند اليونان (قاطيغورياس) . فلقد شرح الاستاذ « مظهر » فى مقال ظهر له فى كتاب (نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية) أبواب دستور البحث العلمى ، ثم أعقب ذلك بشرح المقولات ، فثبت له « ان اسلوب البحث عند أسلافنا أصله يونانى ، أو بالحرى مستمد من أصل يونانى » ولا يخفى أنه ليس فى هذا ما يغير أو ينقص من قدر المسلمين العلمى ، فالانسان دائما وأبدا يأخذ ما عمله غيره ، ويزيد عليه اذا استطاع . وزيادات المسلمين فى هـذا الميدان اساسية .

ومن الرسالة السابعة من رسائل اخوان الصفا التى تبحث فى الصنائع العلمية ، يتبين أن المسلمين اتبعوا دستورا محكما فى البحث العلمى ينحصر فى تسعة أحكام وها هى كما يلى :

السؤال الاول : هل هو ؟ يبحث عن وجدان شىء أو عدمه ، والجواب : نعم أولا .

السؤال الثانى : ما هو ؟ يبحث عن حقيقة الشىء .

السؤال الثالث : كم هو ؟ يبحث فى مقدار الشىء .

السؤال الرابع : كيف هو ؟ يبحث عن صفة الشىء .

السؤال الخامس : اى شىء هو ؟ يبحث عن واحد من الجملة أو عن بعض من الكل .

السؤال السادس : اين هو ؟ يبحث عن مكان الشىء أو عن رتبته .

السؤال السابع : متى هو ؟ يبحث عن زمان كون الشىء .

السؤال الثامن : لم هو ؟ يبحث عن الشىء المعلوم .

السؤال التاسع : من هو ؟ يبحث عن التعريف للشىء .

وتدل هذه الاسئلة على الاتجاه العلمى الذى كان يسير عليه بعض العلماء المسلمين فى بحوثهم وكتاباتهم ، وهو يحصر اتجاهات العقل (.. ولكن لا يقر المتجه الذى ينبغى أن يتجه فيه العقل ازاء كل بحث بعينه ..) .

ولا يقف الامر عند هـذه الحدود ، بل نجـد انه وجد فى المسلمين وبين علمائهم من كشف عناصر الطريقة العلمية المعروفة الآن ، والتى تميز هـذه الحضارة عن التى سبقتها . وقد جعلنا بحثنا يدور حول السؤال الآتى :

هل وجد فى المسلمين من سار على الطريقة العلمية وسلك فى اصولها ؟

ما كنت اظن أن للمسلمين اثرا فى كشف عناصرها ، والتمهيد الى اصولها ، حتى بحثت فى مآثر المسلمين فى الفيزياء ، واطلعت على كتـاب (الحسن بن الهيثم) . بحوثه وكشوفه البصرية للأستاذ مصطفى نظيف .

ويشتمل هذا الـكتاب النفيس القيم على بحوث علم الضوء الموجودة فى كتاب المناظر لابن الهيثم ، وفى مقالات اخرى ، وبعد أن درسها الاستاذ مصطفى نظيف ، وفحصها ، واعمل فيها التحليل والموازنة والمناقشة ثبت له أن ابن الهيثم (.. قد توافرت فيه (مميزات التفكير العلمى الصحيح) ، وهى تدل على مدى نضج الفكر ، وعمق النظر فى عصر ابن الهيثم على النحو الذى وردت فى بحوثه فى الضوء) .

وأرى قبل التدليل عليها ، أن الفت النظر الى أن علماء المسلمين لم يتوسعوا فى الطريقة ، ولم ينقلوها على النحو الذى توسع فيها واستغلها علماء أوروبا وأمريكا الآن ، كما أنهم لم يدركوا ما لهذا الاسلوب من شأن خطير ، كما أدركه علماء هذا العصر . ولكن يمكن القول أن كتاب (المناظر) لابن الهيثم يدل على

انه وجد فى المسلمين من سار فى بحوثه على الطريقة العلمية ، كما وجد بين علمائهم من سبق (بيكون Bacon) فى انشائها ، بل ومن زاد على طريقته التى لا تتوافر فيها جميع العناصر اللازمة فى البحوث العلمية .

اما العناصر الاساسية فى طريقة البحث العلمى الحديث فهى : الاستقراء ، والقياس ، والاعتماد ، والمشاهدة ، او التجربة والتمثيل .

ولقد ادرك (ابن الهيثم) الطريقة المثلى ، وقال بالاخذ بالاستقراء والقياس والتمثيل ، وضرورة الاعتماد على المواقع الموجودة على المنوال المتبع فى البحوث العليمة الحديثة .

ففى كتاب (المناظر) عند البحث مثلا فى كيفية الابصار ، واختلاف العلماء فيه يقول :

« ونبتدىء فى البحث باستقراء الموجودات ، وتصفح احوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات ، ونلتقط باستقراء ما يخص البصر فى حال الابصار ، وما هو مطرد لا يتغير ، وظاهر لا يشتبه من كيفية الاحساس . ثم نترقى فى البحث والمقاييس على التدريج والتدريب ، مع انتقاد المقدمات والتحفظ من الغلط فى النتائج ، ونجعل غرضنا فى جميع ما نستقريه ونتصفحه استعمال العدل ، لا اتباع الهوى ، ونتحرى فى سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق الذى به مثلج الصدر ، ونصل بالتدرج واللطف الى الغاية التى عندها يقع اليقين ، وتظهر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التى يزول معها الخلاف ، وتنحسم به مواد الشبهات .. وما نحن مع ذلك براء مما هو فى طبيعة الانسان من كدر البشرية ، ولكننا نجتهد بقدر ما هو لنا من القوة الانسانية . ومن الله نستمد العون فى جميع الامور » .

ومن اقواله هذه تتجلى لنا الخطة التى كان يسير عليها فى بحوثه ، وان غرضه فى جميع ما يستقريه ويتصفحه (استعمال العدل لا اتباع الهوى) . وبعد ذلك نراه قد رسم الروح العلمية الصحيحة ، وبين أن الاسلوب العلمى هو فى الواقع مدرسة للخلق العالى ، فقواعده التجرد عن الهوى ، والانصاف بين الآراء ، فيكون قد سبق علماء هذا العصر فى كونه لمس المعانى وراء البحث العلمى الحديث .

وكان يرى فى الطريق المؤدى الى الحق والحقيقة (ما يثلج الصدر) — على حد تعبيره — وهذا ما يراه ؟احثو هذا العصر من رواد الحقيقة العاملين على اظهار الحق . فان وصلوا ؟ى ذلك فهذا غاية ما يبغون ويؤملون ..

يسبقه ويتفوق عليه

وابن الهيثم فى طريقته العلمية التى اتبعها فى بحوثه وكشوفه الضوئية قد سبق (بيكون Bacon) فى طريقته الاستقرائية . وفوق ذلك سما عليه . وكان أوسع منه أفقا وأعمق تفكيرا . وهو وان لم يعن كما عنى (بيكون) بالبحث النظرى ، وبتأليف المؤلفات التى يعرض فيها الآراء النظرية فى طرق البحث ويلزم العلماء بها الزاما ، فحسبه انه اتبع الطريقة الصحيحة فى بحوثه ، وجرى عليها عملا وفعلا . وان الامر جاء منه على بينة وروية ، وامعان فكر وحسن تقدير .

ويذهب الاستاذ مصطفى نظيف الى اكثر من هذا فيقول : « .. بل وان ابن الهيثم قد عمق تفكيره الى ما هو ابعد غورا مما يظن أول وهلة ، فأدرك ما قال به من بعده (ماك) و (كارل بيرسون) ، وغيرهما من رجال العلم الحديث فى القرن العشرين . ادرك الوضع الصحيح للنظرية العلمية ، وادرك وظيفتها الحقة بالمعنى الحديث .

ويمكن القول — من نصوص أقوال ابن الهيثم — ان تفكيره اتجه الى الوجهة التى يتجه اليها التفكير العلمى الحديث « . . وانه ليس من المغالاة أيضا القول بأنه قد ادرك عن بينة الطريقة الحديثة فى البحث العلمى ، وأدرك الاوضاع الصحيحة لما نسميه الحقائق العلمية . . »

وفعلا سلك ابن الهيثم فى بحوثه الطريقة الحديثة فى البحث . وقد وصل بسلوكه الى الحقيقة التى ينشدها بالمعنى الذى رآه . وهذا يتجلى بأوضح بيان ، وأبلغ صورة فى الكتاب النفيس (الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه البصرية) تأليف الاستاذ مصطفى نظيف .

يعتمد على التجارب

ومن الحق أن أشير اشارة بسيطة الى موضوعات كتاب (المناظر) . فلقد استدل ابن الهيثم فى جميع بحوثه فى الضوء على القواعد والقوانين الاساسية بتجارب ، واستعان باجراء التجارب بالمعنى الذى نعنيه الآن . وذهب الى أبعد من ذلك ، فلقد ادرك قيمة التجربة فى البحوث العلمية ، فهو لا يعتمد على التجربة فى اثبات النتائج التى تستنبط بالقياس بعد ذلك من تلك القواعد والقوانين .

ومن مميزات ابن الهيثم انه كان يشرح الجهاز ، ويبين وظيفة اجزائه المختلفة ، واستعمل اجهزة مبتكرة لشرح الانعكاس والانعطاف ، وتدل تجاربه وحساباته على أنه استطاع أن يجمع بين مقدرته الرياضية وكفايته العلمية الممتازة (. . يدل عليها صنع الاجهزة واستعمالها فى الاغراض المختلفة . .)

وكذلك يمتاز كتاب (المناظر) بعناية (ابن الهيثم) بالقياس . فهو بعد أن يثبت المبادىء الاولية بالتجربة ، يتخذ تلك المبادىء قضايا يستنبط منها بالقياس النتائج التى تفضى اليها ، ويشرح على هذا النمط كثيرا من الظواهر الهامة فى الضوء .

ويتبين من بحوث الكتاب أيضا أن « ابن الهيثم » ادرك قيمة التمثيل فى البحوث العلمية ، ولهذا استعان به فى بعض المواضع ، وكان فيها موفقا ، وفى بعضها كان مبتكرا وملهما . والذى نستخلصه من مآثر « ابن الهيثم » ونتاجه الفكرى ، أنه سلك فى البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمى .

وقد خرج الاستاذ مصطفى نظيف من دراسته « بحوث ابن الهيثم فى الضوء » بالآتى : « . . ليكن ابن الهيثم قد استفاد بمعلومات من تقدموه ، وبحوث من نقدوه ، فقد استفاد حتما طوعا أو كرها ، ولكنه أعاد البحث عن كل هذه الامور من جديد ، ونظر فيها جميعا نظرا جديدا لم يسبقه اليه احد من قبله . واتجه فى هذا النظر وجهة جديدة لم يؤتها احد من المتقدمين ، واصلح الاخطاء ، واتم النقص ، وابتكر المستحدث من المباحث ، واضاف الجديد من الكشوف ، وسبق فى غير قليل من ذلك الاجيال والعصور ، واستوفى البحث اجمالا وتفصيلا ، وسلك فى البحث سبيلا تتوافر فيه خصائص البحث العلمى ، مع ما فى هذه الطرق من قصور ، ومع ما فيها من ميزات ، واستطاع ان يؤلف من كل ذلك وحدة مترابطة الاجزاء ، على قدر ما كان يمكن ان ترتبط به أجزاؤها فى عصره ، وان وجدنا فيها عيبا او نقصا فتلك سنة الله فى المباحث العلمية . وهو فيها لم يبدع ولم يبتكر فحسب ، بل هو ايضا اقام بها الاسس التى انبنى عليها صرح علم الضوء من بعده . . » .



يكتبها : عبد المنعم النمر

حديث ذو شجون :

مضى العيد ، وستأتى اعياد ، ويبقى الحديث عنها ذا شجون .

فقد بدت الامة العربية فى احتفالها بالعيد كما بدت فى الاعوام السابقة ، كأنه لا شىء يمر بها ، ولا احزان تصيبها فى كيانها ، وتلف كثيرا من اسرها !! وقد كانت أغانى العيد السارة ، واعلانات الصحف عن الاحتفالات بالعيد ، تصدم سمعى وبصرى ، وتثير فى نفسى كثيرا من الاسى واللوعة .. لا لأننى أكره الفرح ومظاهره ، ولكن لأن ذلك كله غير مناسب لحالنا وواقعنا كأمة مصابة فى عزتها .. وكأسر مصابة فوق ذلك بفقد اعزائها ، وفقد أمنها وأوطانها واستقرارها ، وقد كان الذى يثير فى نفسى الاسى اكثر من هذا كله واشد ، أن أرى بعض الذين أصيبوا بفقد وطنهم ودورهم وتشريد أسرهم يقبلون على مظاهر العيد كأن لم يكن شىء .. وكأنهم فقدوا حاسة الألم لفقد ما فقدوه ، أو كأنهم يعيشون للقمة العيش التى توفرت لهم ، وليذهب كل شىء بعد ذلك الى الجحيم . واقول بعض الذين أصيبوا لا كثرتهم .. وكنت أعزى نفسى بأن فى كل شىء سقطا ، وفى الناس سقط كذلك ، وكما قيل : الناس معادن ..

وشىء آخر أثار شجونى ، فقد وجدت العيد يتمزق ، أو وجدت المسلمين يتمزقون فيه ، بعد ما قرت عيوننا بتجمعهم فى بدء شهر الصوم ، وقد شغل الناس هذا التمزق أو هذا الاختلاف وأثار تعليقاتهم بشكل ملحوظ ، حتى لم يكن حديث للناس فى يوم العيد الا هذا الحديث .. وفى كل مجلس تجد الاخذ والرد .

جماعة يقولون لقد اجتمعنا فى بدء الصيام اخذا برؤية جهة من الجهات ، وقلنا ان المسلمين امة واحدة ، ولذلك نعلن بدء شهر الصوم ، فلماذا لم نأخذ بذلك فى انهاء شهر الصوم ؟

وآخرون يردون ويقولون : ولكن هل يصح علميا ان يكون رمضان ناقصا باستمرار لمدة خمس سنوات أو عشر مثلا ، فلا نصومه نحن وبعض البلاد

المجاورة لنا الا تسعة وعشرين يوما طوال هذه المدة ؟ وما صمناه كاملا ابدا فيهـــا .؟

وهل يمكن الاعتماد على رأى من يتقدم للشهادة ، حتى ولو كان مؤدى شهادته لا تتفق مع العلم الموثوق به ؟ وحتى لو احاطت بهذه الشهادة بعض المغريات المادية التى قد تحمل بعض المجازفين على الادلاء بشهادته طمعـــا فى هذه المغريات ؟

ويقومون من مجالسهم ، وينتهى حديثهم ، وفى صدر كل منهم أشياء . . وهذا هو ما يستدعى النظر فعلا ويوجب علينا تحديد هذه الامور . فانها تتصل بركن هام من أركان الاسلام ولا يصح دينا ولا عقلا أن يترك المسلمون فى أمر كهذا يتخبطون فيه هكذا . . ونقول : المسئولية على من أعلن . .

قد يكون من المقبول شرعا أن نختلف فى بدء الصيام ونهايته ، حسب اختلاف المطالع ، لان هذا راى بعض الائمة الذين نجلهم ونقلدهم ، وان كنـــا نفضل الاخذ بالراى الآخر . ولكن اذا اقترن هذا مثلا بظاهرة تثير الشك ، والاخذ والرد ، كظاهرة استمرار شهر رمضان وحده ناقصا لمثل هـــذه المدة الطويلة ، فان الامر لا يصح تركه يفعل فى نفوس الناس ما يفعل من الريب والحيرة ، ومن التعليقات المرة ؟

وتبدأ مجلة « الوعى الاسلامى » من جانبهـــا بتحمل واجبها ازاء هـــذا الموضوع ، فتوجه الى علماء الفلك فى جميع البلاد الاسلامية هذا السؤال :

هل يمكن من وجهة نظر علم الفلك أن يجىء شهر من الشهور العربيـــة ناقصا باستمرار لمدة تزيد عن خمس سنوات ؟

وسؤال آخر توجهه الى رجال الفقه والتشريع :

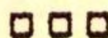
هل يمكن الاعتماد ــ ولاسيما فى نهاية شهر رمضان ــ على شـــهادة رصدت لها بعض المغريات المالية ؟

ثم أليس من المناسب الآن أن ندقق فى نصاب الشهادة باكثر مما كان الامر عليه فى الصدر الاول حين كانت النفوس عامرة بالايمان ، مملوءة بالخشية من الله ؟

ثم أليس الاعتماد على رؤية المراصد بجانب الحساب الفلكى الدقيق الصادر عن العلماء الفلكيين الموثوق بهم أفضل وأحوط لديننا من الاعتماد على شـــهادة شاهد أو شاهدين مستورين لا ندرى من باطن كل منهما وبواعثه شيئا ؟

ذلك هو ما أحب أن يشترك معنا فى بحثه علماء الفلك ، وعلماء الفقه والتشريع أداء لواجب دينى نتحمل جميعا مسئوليته ..

ونحن فى الانتظار ..



ســؤال :

جـاء فى حديث نشر لرئيس وزراء اسرائيل الســابق يوم ٢٠ اكتوبر واطلعت عليه اخيرا : « كل ما ذكر فى التوراة (من الاراضى) هو من حق اسرائيل ، وانه لا بد من الاستيلاء عليه » .

مطامع غريبة لكن يظهر انها عقيدة أو بمنزلة العقيدة عند هؤلاء ما داموا متمسكين هكذا بتوراتهم ، وقد دلتنا الحوادث أنهم يعيشون ويتصرفون فعـلا بمقتضاها .. وهم اصحاب حق فى أن يتمسكوا بعقيـدتهم ويتصرفوا حسب توراتهم أو حسب ما يفهمونه ، ويستغلونه لصالحهم منها .

لكن يبقى نحن على الطرف الآخر .. هل قدرنا هذا الموقف منهم ، وهل نعد انفسنا لاحتمالاته ، وهل عنينا بشحن النفوس بالروح والطاقة الاسـلامية التى تجعل كل مسلم صاروخا منطلقا يدمر كل هدف يقف فى طريقه ؟

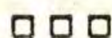
ان الذين ينطلقون من عقيدتهم الى مجالات الحياة فى السلم والحرب ، وفى الاعتداء على غيرهم لا يمكن أن يصدهم الا أناس ينطلقون من عقيدة قوية تربطهم بالله فى كل حركاتهم ، وفى سلمهم وحربهم ..

وعلى اساس هذه القاعدة يجب أن نعد انفسنا لملاقاة هذا العدو وردعه والقضاء عليه .

سلاح من جنس السلاح .. ولدينا عقيدة تدفع المسلم الى الموت حبـا فى الحياة ..

فلماذا لا نعنى بها .. لماذا لا نجهز أنفســنا بهذا الســلاح ، وهو أمضى وافتك من كل الاسلحة اذا كنا فعلا جادين ، ولنا ثأر يؤرقنا ويقض مضاجعنا ..

هذا هو السؤال !!



منطق واضح :

اسرائيل غلبتنا وكسبت الجولة بالسلاح الجوى الذى دمر السلاح الجوى المصرى فى اول لحظة . هذه حقيقة لا يختص بمعرفتها رجال الحرب الآن ..

وعلى حسب ظنى ـ ولست بالطبع من رجال الحرب ولكن لى عقل يقدر الامور ـ أقول حسب ظنى أن اسرائيل لن تستطيع الانتصار علينا بغير المفاجأة بسلاحها الجوى ، أو بغير سلاح جوى متفوق وكاسح ..

وهذه ـ حسب ظنى أيضا ـ حقيقة مفهومة ، وتكاد تكون لدينا بديهية ..

فماذا فعلنا تجاه هذه الحقيقة استعدادا لاحتمالات المستقبل ، واستفادة من دروس الماضى القريب ؟

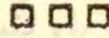
أظن أيضا انه لو كان لدى الدول العربية سلاح جوى فعال وقت الحرب لـكان من الممكن أن يعوض العجز الذى أصـاب السلاح الجوى المصرى .. ولأسرع لميدان المعركة ، يضرب اسرائيل فى داخلها ويضرب جيوشها ، ويغطى جيوشنا ويحميها ، ويمهد لها طريق الزحف ، و .. الانتصار .. ولـما وقعت أخيرا هذه النكبة أو النكسة التى نعانى آثارها اللعينة ..

أظن أن هذا مفهوم .

ومفهوم أيضا أنه لا أمل لنا فى غير قوتنا ووحدة قلوبنا . وتكتل قادتنا ونحن من ورائهم لمحو هذا العار ، وقد تحملوا مسئوليته أمام الله والشعوب والتاريخ .. فلم نعد نفرح بالكلام الكثير ، بل أصبحنا نصاب بالغثاء والدوار كلما سمعناه أو قرأناه .. ونصاب بالفجيعة أيضا كلما أحسسنا خلافا أو تهاونا ..

اننى انصح الآن بقراءة تاريخ الحروب الصليبية ، وما كتب عن العرب المتخاذلين ، الذين كانوا يتعاونون مع أعدائهم ، أو الذين كانوا يتخـــاذلون ، ويثيرون المشاكل والخلافات مع اخوانهم ، جريا وراء مصالحهم .. انصح بقراءة هذا التاريخ ليروا مع كل كلمة تكتب عن هؤلاء لعنات عليهم تتجدد دائما بتجدد قراءتها والاطلاع عليها ..

أنصح بقراءة هذا حتى نحذر جميعا لعنات الاجيال المقبلة ، ولعـــذاب الآخرة أشد وأبقى ..



الذين قال لهم الناس

لا اريد أن أتحدث فى مسائل سياسية ، فما لنا هنا بها شأن ، ونعوذ بالله من شرورها بالنسبة لأمثالنا ..

وانما اريد ان اقول لاخوانى ، الذين يسمعون الاصوات العالية الصادرة هناك ، من أقصى الغرب ، تنادى وتصرخ ، وتضغط لمد اسرائيل بكل ما تحتاجه من أدوات التدمير ، لتواصل عمليتها فى كبت أنفاسنا .

وأقول للذين يقرءون أن المدد المالى الذى يأتى لاسرائيل من هناك من أقصى الغرب بلغ سبعة آلاف مليون دولار فى شكل مساعدات حربية ومدنية !!

وللذين يقرءون أن الطائرات الحربية الفتاكة التى تفوق سرعتها ضعف سرعة الصوت تأتى لاسرائيل من هناك من أقصى الغرب لتضمن النصر المستمر على العرب !!

وللذين يقرءون آثار الحرب الباردة والاعيب المخـــــابرات الاجنبية فى الصفوف العربية ..

أقول لاخوانى .. ان ذلك كله لا يفزعنا ما دمنا مؤمنين بالله الايمان الذى يهد الجبال ويزحزحها ، وما دمنا رجالا نؤمن بأن كرامة الامة من كرامة أفرادها ، ونعمل بمقتضى هذا الايمان ..

ان ذلك مدد بسيط يأتى لاسرائيل ، بجوار ما تسلطه هذه القوة الجبارة — التى تمد اسرائيل — على شعب فيتنام من أدوات الفتك والتدمير .. ومع ذلك فنحن نعرف كيف قابل هذا الشعب القوى — وهو لا يزيد فى عدده عن خمسة عشر مليونا من النفوس — هذه القوى الجبارة .. على مدى السنوات التى مرت بها ..

لقد بلغ عدد ضحايا الغارات الجوية من ابناء هذا الشعب الصغير حتى الشهر الماضى ، أربعمائة الف قتيل حسب احصاء الخبراء الامريكان ..

نعم .. أربعمائة الف قتيل .. كل قتيل وراءه أسرة بل اسر تتفتت اكبادها عليه .. وكل قتيل كان له عمل يؤديه .. وذلك عدا ضحايا الغارات البرية وقصف المدفعية الخ ..

فهل رأينا هؤلاء قد ضعفوا او خارت لهم عزيمة ؟ أو لان لهم جانب ، أمام هذه القوة العاتية ، وأمام الضحايا الكثيرة منهم ؟!

لقد اسقطوا من الطائرات المغيرة حسب آخر احصاء أيضا (٣٠٣٧) طائرة ، وهم فى كل وقت يقضون مضاجع المغيرين المدلين بقوتهم ، ويبيدون الكثيرين من جيوشهم ..

فاذا كان خمسة عشر مليونا يقفون هذا الموقف الصامد أمام القوة الاصيلة الجبارة التى تمد اسرائيل بشىء من الطائرات او الاسلحة الاخرى .. فهل ترانا – ونحن حسب التعداد مائة مليون واكثر – هل ترانا نفزع او يخيفنا مثل هذا المدد ؟!

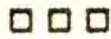
ان الجبان جبان يخاف حتى من العصا بل من شبحها ..

والشجاع شجاع لا يخشى شيئا ولو كان الموت .

والمهم الايمان .. الايمان الذى يملأ القلوب ، ويسيطر على الانسان . والذى تهون أمامه كل قوة بل تزيده قوة العدو ايمانا بحقه وتغريه بعدوه وسيان لديه يموت أو يرجع لأهله ..

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » .

هؤلاء هم اسلافنا .. ونحن أولادهم .. فهل نحسن الاسوة بهم ؟



بدون تعليق :

جاء فى عريضة السادة رؤساء الطوائف المسيحية فى سوريا الى رئيس الدولة بمناسبة المشكلة التى قامت حول مدارسهم الخاصة ، وتمسك الحكومة بضرورة خضوعها لمناهج وزارة التربية واشرافها التام ما يأتى :

« ان اعتقادنا الراسخ هو أن المدرسة هى جزء جوهرى من كياننا الدينى ، وقد اثبت التاريخ منذ أول المسيحية الى اليوم أنه قلما قامت كنيسة دون أن تقوم الى جانبها مدرسة تساعدها على ترسيخ العقيدة الدينية بحيث ان المدرسة قد أصبحت فى اعتبار الكنيسة جزءا لا يتجزأ منها » !!

شكرا

أصدقاؤنا الذين تفضلوا بارسال تهانيهم وتمنياتهم الطيبة بمناسبة عيد الفطر المبارك نسجل لهم هنا خالص الشكر ، ونرجو من الله العلى القدير ان نتبادل التهانى جميعا بعيد النصر على اعدائنا وتحقيق ما نرجوه من العزة والحرية ووحدة الكلمة .

نساء سبقن الرجال في الاسلام

للاستاذ : الغزالى حرب

ليس عجيبا لدى الشرقيين بعامة ، والمسلمين منهم بخاصة ، أن يسبق الرجل المرأة ، فذلك أمر طبيعى ، وما جاء على اصله لا يسأل عن علته — كما يقولون — وانما العجب العاجب ، أن تسبق المرأة الرجل وتفوقه فى ناحية من النواحى ، التى هى مظنة اسبقية الرجال . .

ومقالنا هذا مقصور على ما تيسر من أمثلة تاريخية اسلامية لأسبقية بعض النساء فى العصر الاسلامى الأول :

ا — أما اسبقية المرأة الى الاسلام : فقد مثلتها السيدة خديجة بنت خويلد التى شهد لها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بالأسبقية الى الاسلام والايمان ، قائلا فى معرض الوفاء لها بعد انتقالها الى جوار الله « آمنت بى اذ كفر بى الناس ، وواستنى بما لها اذ منعنى الناس » وهكذا أقر لها الرسول فى هذه الشهادة المحمدية بالأسبقية الى الاسلام اعتناقا وايمانا ، وسلوكا وعملا ، فكانت بذلك المثل الأعلى ، والاسوة الحسنة ، التى استنارت بها الآنسات والسيدات الفضليات السباقات :

١ — أسماء بنت أبى بكر الصديق التى سبقت الى الاسلام جميع اخوتها الذكور ، وجدها أبا قحافة . .

٢ — وفاطمة بنت الخطاب التى سبقت جميع أهلها حتى عمر بن الخطاب الذى كانت هى من الأسباب المباشرة لاسلامه . .

٣ — وسودة بنت زمعة العامرية التى سبقت معظم قومها .

٤ — وأم الفضل لبابة بنت الحارث التى سبقت أهلها ، كما سبقت زوجها العباس بن عبد المطلب على الرغم من أنها لا تمت الى رسول الله بصلة القرابة الوشيجة كزوجها ، وحسبها صلة القربة من الله ورسوله ، وفى التفرقة بين

القرية والقرابة ، قال عمر بن الخطاب كلمته الخالدة (.. القرابة لحم ودم ، والقرية نفس وروح) .

٥ — وأسماء بنت عميس التى سبقت معظم أهلها ، وكانت جديرة بشرف زوجيتها من جعفر بن أبى طالب طيار الشهداء الأبطال ..

٦ — وأم الخير التى هى أم أبى بكر الصديق ، وقد سبقت زوجها أبا قحافة الذى لم يسلم الا عام الفتح . وشتان ما بين ايمانها وايمانه ..

٧ — وأم كلثوم بنت عقبة التى سبقت أهلها وأباها .

٨ — وأم حبيبة بنت أبى سفيان التى سبقت زوجها وأباها واخوتها ، ومنهم معاوية بن أبى سفيان أحد كتاب الوحى لرسول الله ..

٩ — وأميمة بنت بشر الأنصارية التى سبقت زوجها حسان بن الدحداح .

١٠ — وأم سليم سهلة بنت ملحان التى سبقت أهلها وزوجها مالك بن النضير الذى بقى على كفره حتى قتل بالشام ، تاركا لها صغيرها أنس بن مالك فترملت بعده قائلة : لا أتزوج حتى يكبر ابنى انس ويجلس مجلس الرجال ويأمرنى .. ولما بلغ انس مبلغ الشباب تقدم لخطبة أمه أبو طلحة زيد الذى كان مشركا حينذاك فقالت له : كيف تعبد حجرا لا يضرك ولا ينفعك ؟ لا أرضى بك زوجا حتى تسلم ، ولا أريد منك صداقا غير الاسلام .. وقد كان ..

١١ — والسيدة سبيعة بنت الحارث القرشية التى حدثنا عنها صاحب « الاصابة » فى الجزء الرابع بأنها أول امرأة أسلمت لله عقب عقد معاهدة الحديبية بين الرسول وقريش ، دون أن تخشى جبروت قومها ، أو عدوان قريش ، ثم هاجرت الى رسول الله حيث امتحن ايمانها فنجحت فى الامتحان نجاحا باهرا سجله وحى السماء بقوله فى السورة التى سميت بصفتها (الممتحنة) (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن) ورد الرسول على زوجها المشرك المتمسك بشركه مهر مثلها ، فتزوجها فاروق الاسلام عمر ..

ب — وأما أسبقية المرأة للرجل فى الايمان بالله ، والثبات عليه حتى الرمق الأخير .

فنتقدم بين يديها بأن علماء السيرة والتاريخ ، يكادون يجمعون على أن جميع المستضعفين من الرجال حاشا بلال بن رباح ، قد نزلوا على حكم الضرورة ، ولوثوا ألسنتهم بكلمة الكفر ظاهرا ، دون أن يشرحوا بالكفر صدرا ، على حين أن جميع المستضعفات من النساء او معظمهن ، أبين فى بسالة رائعة أن يترخصن فى عقيدتهن ، فينزلن على حكم الضرورة ، وآثرن العزيمة على الرخصة ، واستعذبن العذاب ، واستسهلن الصعاب ، واحتملن من الشدائد والأهوال ، ما ناءت به شم الجبال وعزائم الرجال ..

١ — هذه سمية بنت خباط ، عرضوا عليها أن تلفظ بكلمة الكفر ولو ظاهرا — كما صنع ابنها عمار بن ياسر مرغما — ولكنها أبت — بالرغم من مضاعفة العذاب الشديد لها — الا أن تزداد ايمانا على ايمان ، مما دفع أبا جهل ، الى اغلاظ القول لها ، وطعنها بحربة فى أخطر وأعف موضع من جسمها الطاهر .. فراحت أول شهيدة فى الاسلام ، كما حقق ذلك كثير من علماء الاسلام ..

٢ — وهذه لبينة جارية بنى مؤمل بن حبيب بن كعب ، كان عمر بن الخطاب نفسه يعذبها فى جاهليته أشد العذاب ، ولا يريحها من العذاب الا سآمة ومللا — كما اعترف هو بذلك — وأخيرا اشتراها أبو بكر الصديق ، ثم اعتقها لوجه الله ، فصارت تنعم بالحرية والكرامة والاسلام ..

٣ ــ وهذه « زنيرة » جارية عمر بن الخطاب ، الذى عذبها فى الجاهلية ، حتى فقدت نور بصرها وحسبها نور البصيرة هاديا الى سواء السبيل . .

٤ ــ وهذه غزية بنت جابر بن حكيم القرشية العامرية الشهيرة بأم شريك ، التى نشأت فى بنى عامر بن لؤى قريبا من مكة ، ولما تزوجت من أبى العسكر الدوسى ، انتقل بها الى مكة قريبا من رسول الله ، فسبقت قومها جميعا الى الاسلام ، ثم وهبت نفسها لرسول الله ، فشهد لها القرآن قائلا فيها « وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى . . » وقد ثبتت هــذه المراة المؤمنة على ايمانها القوى الراسخ ، غير عابئة بما لاقته من اضطهاد وتعذيب وحرمان من الطعام والشراب ــ كما قال ابن عباس ــ فلا عجب أن بهرت بايمانها وثباتها من كانوا يعذبونها ويضطهدونها ، فاذا هم يســلمون على يديها لله رب العالمين ــ كما حدثنا بذلك ابن حجر فى الجزء الثامن من (الاصابة) . .

٥ ــ وهذه أم حبيبة بنت أبى سفيان ، هاجرت الى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، الذى ارتد فى هجرته عن الاســلام الى النصرانية ، فقاطعته وغاضبته معتصمة بدينها ، وفية لعقيدتها ، فى دار غربتها ، حتى اختارها رسول الله زوجا له وصارت من أمهات المؤمنين والمؤمنات . . !!

ج ــ واما اسبقية المراة الى الهجرة ، فقد شهد به رسول الله نفســه ،

حينما جاءته أسماء بنت عميس قائلة له ــ وهى احدى المهاجرات السابقات الى الحبشة ــ يا رسول الله ، ان رجالا يفخرون علينا ، ويزعمون اننا لســنا من المهاجرين الأولين الســابقين . . تعنى بذلك قول عمر بن الخطاب لها مازحا : يا حبشية . . سبقناكم بالهجرة الى المدينة . . فقال الرسول لأسماء . بل لكم أنتم أهل السفينة هجرتان : هاجرتم الى أرض الحبشة ، ونحن مرهنون بمكة ، ثم هاجرتم بعد ذلك الىَّ . .

وعقب معاهدة الحديبية التى كانت فى السنة الســادسة من الهجرة ، ســبقت أم كلثوم بنت عقبــة قومها جميعــا الى الاســلام بمــكة ، ومبايعة الرسول قبل عودته الى المدينة ، ثم سبقتهم الى الهجرة من مكة الى المدينة ماشية على قدميها ، وبصحبتها رجل عف أمين من خزاعة . . فاستحقت بذلك شرف الانخراط فى سلك المؤمنات المهاجرات الممتحنات اللاتى نزلت فيهن سورة الممتحنة كما مرت الاشارة الى ذلك آنفا فى معرض الحديث عن السيدة سبيعة بنت الحارث القرشية . .

وبلغ عدد المهاجرات السابقات الى الحبشة فى الهجرتين اثنتين وعشرين مهاجرة ، ركبن البحر للمرة الاولى فى تاريخ المراة المسلمة ، بل فى تاريخ المراة العربية ــ فيما نعلم ــ واليهن يرجع الفضل الأول فى نشر الدعوة الاســلامية بالحبشة . . كما يرجع الفضل ــ فيما يرجع ــ الى السيدتين المهاجرتين الى المدينة نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو ، فى تهيئة الجو لاستقبال الرسول بالمدينة فى حفاوة بالغة يفيض بها النشيد الحفى المحبوب الذى مطلعه :

طلع البــــدر علينا   من ثنيــــات الوداع

وكما سبقت المراة الى الهجرة ، سبقت الرجل الى الاخلاص فى الهجرة ،

ممثلة فى الصحابية المهاجرة السيدة أم قيس التى سبقت خطيبها المسلم الى الهجرة حبا لله ورسوله ، وبقى خطيبها بمكة ، ثم اضطر الى الهجرة رغبة فى رضاء هذه السيدة المهاجرة ، حتى يتزوج منها . . فلا عجب أن عرف هذا الرجل المهاجر فى التاريخ الاســلامى بلقب (مهاجر أم قيس) ، وفى الموازنة بين

هجرة أم قيس في اخلاصها ، وبين هجرة زوجها في ريائه يقول الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره عن عمر بن الخطاب « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » وشتان ما بين الهجرتين ..

د ــ وأما النســـاء اللائى تفوقن على كثير من الرجال فى ميدان الوغى

فاشهرهن : عمرة بنت علقمة الحارثية . وصفية بنت عبد المطلب . ونسيبة بنت كعب الشهيرة بأم عمارة المازنية ، وأم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وغزالة الخارجية ..

١ ــ **أما عمرة الحارثية ،** فقد جبن رجال قومها فى غزوة احد عن رفع لوائهم الذى أسقطه المسلمون ، فتقدمت هى ورفعته غير هيابة ولا وجلة ، وتحت لوائها قاتل الرجال مستبسلين حتى انتصروا على المسلمين انفسهم ، وفى لواء هذه المرأة وشجاعتها قال حسان بن ثابت بيته المعروف :

ولولا لواء الحارثية أصبحوا يباعون فى الأسواق بالثمن البخس

٢ ــ **وأما صفية بنت عبد المطلب ،** فقد جمعها هى وحسان بن ثابت حصن حربى يسمونه (حصن فارع) أو (حصن بنى حارثة) فى غزوة الخندق ، ولما شاهدت يهوديا يحوم حول الحصن ، توجست منه خوفا ، فأوعزت الى حسان أن ينزل اليه ليقتله ، ويكفى المسلمين شره ، ولكن حسان بن ثابت لم ينزل له قائلا لها : لقد علمت يا بنت عبد المطلب انى لست بصاحب هذا .. فما كان منها الا أن نزلت هى اليه ، حيث قضت عليه بضربة من عمود .. فكان عمود صفية خيرا من أشعار حسان ، ولسان حسان فى مثل هذا الميدان الرهيب ..

٣ ــ **وأما نسيبة بنت كعب** أو أم عمارة المازنية ، فقد فاقت بشجاعتها كثيرا من رجال قومها بنى النجار وغيرهم فى غزوة أحد التى ثبتت فيها حول رسول الله ، مدافعة عنه فى ثبات رائع عز على كثير من الرجال . حتى قال فيها الرسول « ما التفت يمينا ولا شمالا الا رأيت نسيبة تقاتل دونى » .. وقد أصيبت ثلاث عشرة اصابة فى هذه الغزوة الرهيبة ، التى انبثقت فيها دماؤها الطاهرة من مواضع متفرقة فى جسدها ، فقال الرسول لابنها محييا مباركا : « يا حبيب .. أمك أمك .. اعصب جرحها .. بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أمك خير من فلان وفلان » ..

٤ ــ **وأما أم الفضل زوج العباس ،** فكان من حديثها أنها شاهدت أبا لهب الذى تخلف عن غزوة بدر هائجا كالكلب المسعور يعض من يصادفه ، حينما بلغه انتصار المسلمين فى تلك الغزوة المشهورة ، ولم يكد أبو لهب يرى أبا رافع الصحابى الجليل منبسط الأسارير ، منشرح الصدر بهذا النصر المبين ، حتى طرحه أرضا فى ضراوة وعنف ، وأخذ يضربه بشدة بالغة ، محاولا القضاء عليه والفتك به ، دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب منه ، الا أم الفضل الباسلة ، التى عاجلته بضربة قوية من عمود صلب كانت تحمله فوق أم رأسه ، فهوى مصابا باغماء شديد ألزمه الفراش حتى هوى به الى قبره آسفا غير مأسوف عليه .. وهكذا أراح الله الاسلام والمسلمين من الد أعدائهم على يدى أم الفضل .. وان فضلها لفضل عظيم ..

ه ــ **وأما غزالة الخارجية** زوج شبيب بن يزيد ، فقد تفوقت على كثير من فرسان الحجاج بن يوسف الثقفي ، بل تحدت الحجاج نفسه أن ينازلها ، فأبى مشفقا على نفسه من بطولتها الفذة ، وفى ذلك يقول عمران بن حطان الخارجي أبياته المعروفة ، التى يهجو بها الحجاج ، ويعايره بجبنه أم شجاعة غزالة :

أســـد على وفى الحـــروب نعامة   فتخاء تنفر من صـــفير الصـــافر
هـــلا برزت الى غـــزالة فى الوغى   بل كان قلبك فى جنـــاحى طائر

وظلت غزالة هذه شبحا رهيبا ترتعد له فرائص الحجاج ورجاله ، وتقض مضجع الدولة الأموية ، حتى قتلت غيلة وغدرا فى معركة الكوفة ، بين طعن القنا وخفق البنود . .

هـ ــ **وأما تفوق المرأة على الرجل فى المواقف العاطفية الخطيرة** فحسبنا من أمثلته الاسلامية الرائعة ما يأتى :

١ ــ هذه السيدة حمنة بنت جحش ، تفجع دفعة واحدة فى أعز الناس عليها أخيها عبد الله . . وخالها حمزة سيد الشهداء . . وزوجها مصعب ابن عمير ، فلا تزيد عن قولها فى ايمان ويقين . انا لله وانا اليه راجعون . .

٢ ــ وهذه أخت الشهيد الاسلامى العظيم . أنس بن النضر ، حينما وقفت أمام جثته التى مثل بها المشركون شر تمثيل ، ولم تعرفه الا باصبع من أصابعه لم تزد هى الأخرى عن الاسترجاع والاحتساب ، فى هذا الموقف الرهيب ، الذى تطيش فيه العقول . .

٣ ــ وهذه أم سليم الأنصارية ، يختار الله ولدها الوحيد العزيز أبا عمير ، بعد مرض أقض مضجع والديه ، وكان زوجها أبو طلحة غائبا ، فقامت الى فلذة كبدها الفقيد ، حيث غســـلته وكفنته وغطته فى ناحية من البيت ، ثم هيأت لزوجها وأصحابه ما تيسر من الطعام والشراب عندما عاد ، ولما ســـألها عن ابنه المريض . كيف حاله ؟ فأجابت جوابها الرائع الحكيم . هو أسكن مما كان . . وما كانت الأم المؤمنة ، والزوج الصالحة تعنى بالسكينة الا سكينة الموت والأبد ولكنها لم تفاجئه بالكلمة الصريحة واختارت هذا الجواب المحتمل للشفاء حتى حسبها زوجها تريد سكينة الشفاء من الداء . . فاطمأن . .

وبعد انصراف أصحابه الى النوم طاعمين مرتوين . . قام هو الى فراشه ، وقد أصلحت له زوجه من أمرها . . وفى جنح الظلام وهدأة الليـــل ، وظلام السكينة ، والألفة بين الزوجين ، سألت أم سليم زوجها أبا طلحة فى هدوء : الم تر الى آل فلان استعاروا عارية فتمتعوا بها ، فلما طلبت اليهم شق عليهم ؟

قال أبو طلحة : ما أنصفوا . . أليس لصاحب الوديعة أن يسترد وديعته ؟

وهنا انتهزت أم سليم الفرصة قائلة له : فان ابنك أبا عمير ، كان عارية من الله ، فقبضـــه الله اليه !! فانتفض زوجها مذعورا من مفاجأة زوجه ، التى فاقته فى ايمانها ، وتسليمها لأمر الله ، وراح شاكيا الى رســـول الله ما كان منها ، فحيا فيها الرسول ايمانها القوى ، وثباتها الرائع ، وصبرها الجميل ، داعيا لهم بالبركة والخير ــ كما روى البخارى وغيره ــ . .

وقد أضربنا صفحا عن قصة الخنســـاء مع أولادها الاربعة فى معركة القادسية لأن من رواة هذه القصة الحلوة المشوقة محمد بن الحسن المخزومى المعروف بابن زبالة ، وهو احد الوضاعين المتروكين كما نص على ذلك ابن حجر فى الاصابة ج ٨ ص ٦٧ وان انطلت هذه القصة الوعظية المزعومة على كثير من المؤلفين والمتحدثين قديما وحديثا .

والعصمة لله وحده ، وسبحان من أحاط بكل شىء علما .

هَذه الحَياة!

اى سر حائر تلك الحيــــــاه
ضــل فى طيــاتها العقــل وتاه

انا فيهــــا غارق فى لجـــة
وسط بحر غاب عنى شـــاطئاه

وســــــفينى مزقتهــــا صرصر
وطواها الياس فى جوف الميــاه

فتعـــلقت بلوح ســــــابح
لا أنا ميت ولا ذقت النجـــــاه

وانيسى الرعب يــكوى خاطرى
ورفيقى الهـــــول تدعونى يداه

لا أرى غـــير ظـــــلام هائج
كل تمســــــــاح به يغفــر فاه

والمنى نجـــم هـــوى فى برهة
كيف أحيا بعد ما غاب ســـناه

اين منى بســـــــمة كانت هنا
لم تعد تعرفها منى الشــــفاه

* * *

هــــذه الدنيـــا سراب زائف
يخدع النــــاس ولا تدرى مداه

ان يـــــكن غر عيـــونا برقه
وتدنت خلفه حر الجبيــــــاه

وتمـــادت وتغـــانت وجرت
خطوها يلهث فى شــوك الفلاه

فانا ارقبهـــــــا فى حسرة
أرى موكبها ضـــلت خطـــاه

* * *

هبك يا صـــــاح بلغت المنتهى
وســـــلبت النجم أسرار ضــياه

وغصــبت الدر من أصـــدافه
وتربعت على عــــرش وجـــاه

وشربت الصـــفو كأسا مترعا
ترقص الأفراح من خمـــر هواه

اترى ما أنت فيـــــه مانعـــا
عنك « عزرائيل » يجتث الحيــاه

فابك ايامك واعـــــرف سرها
ان خلف الورد أشــواك الوفاه

* * *

انا لا اضـــــحك والموت معى
حيثمـــــا سرت يرانى وأراه

بعـــــــد ما راح بأمى وأبى
وأخى فى زهرة العمـــر طواه

للاستاذ محمّد هاشم عبد الدايم
كلية البنات . جامعة عين شمس

ثم عمى وهو راعى أملى   هدنى فى غربتى ناع نعاه
ورفاقى غالهم فى قسوة   والى حين تخطتنى يداه
سرت فى دربى شريدا هائما   أنسج الأوهام من خيط دجاه
وأناجيهم ويروى مدمعى   كل قبر شد من قلبى صفاه

* * *

رب جسم كان بضا ناضرا   يلبس الديباج لا يرضى سواه
باسم الآمال وثاب المنى   تعزف البشرى له لحن مناه
صار للدود غذاء طيعا   سالب منه وما رد أذاه
عابث فى مقلتيه مفرغ   ما حوى الرأس وبالترب حشاه

* * *

رب هيفاء من الدل ارتوت   يسجد الحسن لها كل صلاه
تخجل الورد بخد هائم   يُعبث الشعر فتكويه لظاه
تحسب الدنيا شبابا وهوى   وجمالا ليس تدرى منتهاه
بغتة يخطفها غول الردى   ظامئا لا يرتوى مما استقاه
زفها للقبر فى رونقها   تحضن الترب وتدميها الصفاه
جيفة قد راح عنها عطرها   أين عشاقك ؟ كل فى اتجاه

* * *

هذه الدنيا فماذا تبتغى   من هوى الرقطاء تستل الحياه
لمسها مثل حرير ناعم   ومن الأنياب سم لا تراه
ان أفراحا وحزنا عبث   حلوها مر وان طاب جناه
أنا لا تطربنى أمجادها   مجدها رقم على سطح مياه
سوف أحياها بقلب ساخر   من قطيع سار يحدوه عماه
لا تقل لى : سر مع الركب وقل   مثل ما قال ، وبارك ما اشتهاه
أنا لا أنضم للركب الذى   تخذ الأطماع والشر هواه
فادع للحب وللخير معى   وازهد الدنيا ففى الزهد نجاه
وغدا نلقى أحباء لنا   فى جنان الخلد ، ان شاء الاله

كيفَ نصنع الرجالْ

للأستاذ : توفيق الفيل
الــكويت

النكسة العسكرية التى ألمت بأمتنـــا فى الخامس من يونيو (حزيران) الماضى .. خلفت فى كل قلب أعمق الجراح ، ذلك أن الامة العربية ، ومن ورائها شعوب العالم الاسلامى كله .. كانت ترى قرب نهاية الظلم الكبير الذى أصاب الامة فى كيانها .. ووقف حائلا دون تحقيق أعز أمانيها . بعد أن استمر هــذا الظلم طوال عشرين عاما .. شرد فيها شعب عربى مسلم ، وانتزع منــه حقه الطبيعى فى الحياة .. لذلك كان وقع الهزيمة مرا وقاسيا .

ولقد أخذ الــكتاب والمعلقون فى شرح وتحليل ما حدث ، وأسهبوا فى القول . ولا زالت الصحف فى كل يوم تتخذ من ذلك ، ومن العناوين المثيرة مادة لجذب أنظـــار القراء . ولست أدرى لمــاذا تكونت لدى فكرة تختلف عن أكثر ما كتب حول هذا الموضوع .. وان كنت أتفق مع الكثيرين بأن من اسباب النكسة المبــاشرة أن بعض الاشخاص لم يكونوا على مستوى الامانى القوميــة ، ولم يستطيعوا أن يرتفعوا الى الاحداث التى يمر بها العالم العربى والاسلامى .. وعدت من فورى الى كتاب الله والى تاريخ الاسلام أنظر اليهمــا نظرة جديدة فاحصة .لعلى أستطيع ان أصل الى السبب الذى جعل المسلمين وهم قلة يرمون الكفار فى القليب يوم بدر ، ويهيلون عليهم تراب الهزيمة والنسيان .. والحقيقة أننى وجدت الطريق الواضح البين .. فليس كل رجل يصلح للقتال .. أو يعتمد عليه فيه . بل ان القرآن الكريم حدد هؤلاء الذين تناط بهم مسئولية من أشرف

المسئوليات وأرفعها فقال : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة .. ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » تلك اذن أوصافهم .. باعوا دنياهم بآخرتهم .. فى سبيل مبدأ . هو رفع راية الحق واعلاء لوائه .. وهم يذهبون الى ميدان القتال وهم على ادراك تام بأنهم مقبلون على صفقة رابحة فى كل صورة من صورها ..

ولكن كيف يتم اعداد هؤلاء الناس الذين يجدون الحياة رخيصة فى سبيل العقيدة والمبدأ !

ان نظرة الى تاريخنا المجيد تجعلنا نجد امثلة حية للبطولة ، ونماذج فريدة فى التضحية والفداء . وقد تحملوا فى وقت عصيب مسئولية الدعوة وهم قلة قليلة . وهبت عليهم أنواء وعواصف ، ولكنها لم تنل منهم شيئا .. وتصدوا للحوادث ، وهم لا يملكون فى حياتهم سوى شموخ المسلم فى عظمته وبطولته . وصغرت لهم عقيدتهم كل شيء أمامها ، فصنعوا سيرة عطرة ، وبطولة نادرة .. وركعت الحياة تحت اقدامهم تكبر فيهم الجراة والاقدام .

لقد اعلنوها ثورة عاتية على الوثنية الباغية . والقيصرية المتجبرة والكسروية الطاغية .. ووراء كل منها ما وراءها من الاتباع والانصار . وقف محمد صلى الله عليه وسلم أمام قريش وتحدى سفهها وطيش افكارها . وأمام اليهود ، وكشف غدرهم وخيانتهم .. وأمام كل احزاب الشرك واتباعه .. ومن حول الرسول العظيم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . وجاهدوا الجهاد الحق فما وهنت لهم عزيمة . ولا ضعفت لهم قوة .. لقد كانوا لا شيء فى مجتمع مكة .. لا مكانة ، ولا جاه ، ولا سلطان .. فأصبحوا بعظمة الاسلام كل شيء .. وأى انسان يستطيع أن يكون فى مكان خباب .. هذا الذى كان يصنع السيوف فى الجاهلية . ويلمس نور الاسلام شغاف قلبه ، فيعلن كلمة التوحيد .. واذا العتاة الطغاة يسلطون عليه النار يكوون بها جنبه وجبهته .. فيغيب عن الوعى . وما أن يفيق حتى يضمد جروحه ، انتظارا لعذاب جديد يقول الشعبى : « لقد صبر خباب ، ولم تلن له بين يدى الكفار قناة ، فجعلوا يلصقون ظهره العارى بالرضف (١) حتى ذهب لحمه » .

وعمار بن ياسر ، لم يكن يقل فى قوة ايمانه وشموخه عن ذلك .. فقد وهب هو واسرته الانسانية كلها من اولها الى آخرها شرفا لا ينفد ، وكرامة لا ينتهى جلالها وبهاؤها . ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر على آل ياسر وهم مقيدون بالاغلال ، وسفهاء القوم يجرونهم على وجوههم ، وسط حر الهجير ، والمسلمون فى ضعف لا يستطيعون منه رد الاذى عنهم . فلا يملك رسول الله سوى أن يقول : صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة .. ولقد كان ذكر الجنة كاف وحده لأن تحلق الروح فى عوالم عليا ، ولتفعل قريش بالجسد ما تريد .. حقيقة فدح العذاب ظهر عمار بن ياسر ، ومزق قواه ، ولكنه لم يكن ليفدح روحه المؤمنة . مهما اشتد وقسا . يقول عمرو بن الحكم : (كان عمار يعذب حتى لا يدرى ما يقول) .

ولقد انتهزت قريش فرصة غياب وعى عمار . وقالت له اذكر آلهتنا بخير ، واخذوا يقولون وهو يردد وراءهم . فلما أفاق تذكر ما حدث فطار صوابه ، ورأى أن ما فعل لا شيء يغفره أو يكفر عنه .. وعذبه شعوره بالاثم والخطيئة

---

(١) الرضف — بسكون الضاد — الحجارة المحماة .

أصحاب ما عذبته قريش .. وشتان بين هذا العذاب وذاك .. ولولا أن تدارك الوحي عمارا لهلك . فقد لقي الرسول الحاني صاحبه عمار ووجده يبكي وينتحب . فمسح على رأسه . وقال : أخذك الكفار فغطوك بالماء . فقلت كذا وكذا ؟ أجاب عمار وهو ينتحب : نعم يا رسول . فقال الرسول « ان عادوا ، فقل لهم مثل قولك هذا » ثم تلا عليه ما نزل في شأنه من القرآن « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » عندئذ تهلل وجه عمار .. وعلاه البشر . وعادت اليه السكينة والاطمئنان .. وروحه كما هي لم تمسها الهزيمة ..

لقد مر هؤلاء الابطال بفترات عصيبة كانت اختبارا لمعادنهم ، فاذا هي معادن اصيلة لا زيف فيها ولا دخن .. ولا بد لمن كان في عظمتهم أن يصل الى نهاية الطريق .. ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام — وقد صنعهم على يديه .. وأدبهم بأدبه .. وأعدهم الاعداد المطلوب للايام العظام — واثقا من نصر الله لهم .. وما هي الا فترة من الزمن تمر .. حتى يصبح هؤلاء سيوفا تحصد رؤوس الشرك ، وهي التي تحكمت فيهم ، وعذبتهم ، وسامتهم الخسف والهوان ، ولم يكن ذلك لأحقاد في نفوسهم ، فالنفوس الطاهرة لا تحمل الحقد ، ولا تعرف الضغن ، ولكنهم يريدون أن ينصروا دين الله ، ولا شيء سوى أن تعلو راية الحق .. هكذا علمهم المربي العظيم .. وهكذا ضرب لهم الامثلة العملية على ذلك ..

الم يقبل بين المسلمين يوم فتح مكة هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، وقبل منها الرسول اسلامها وعفا عنها ؟ وهي التي اخذت كبد عمه حمزة في غزوة احد ، ووضعتها في فمها ، واخذت تمضغها ، ولو استطاعت أن تبتلعها لما ترددت !

وحين اقبلت الدنيا على المسلمين .. وامتدت فتوحهم شرقا وغربا .. وملأ المال خزائنهم . وللمال ما له من سحر وسيطرة على النفوس . لم يؤثر كل ذلك على نفوسهم لأنه لا أثر للمال على قلوبهم ولا سلطان .

ولنسر مع الحوادث وحدها تنشر نورها على كل الارجاء .. ولنضرب الامثال بخباب بن الارت ، وعمار بن ياسر ، حيث جعلناهما النموذج في هذا الحديث ..

أما أول الرجلين فتحضره الوفاة فيقول له من حوله « يا أبا عبد الله أبشر . فانك ملاق اخوانك غدا » .. فيجيبهم وهو يبكي **(أما انه ليس بي جزع من لقاء الله .. ولكنكم ذكرتموني أقواما واخوانا ، مضوا باجورهم كلها ، لم ينالوا من الدنيا شيئا ، وانا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا ما لم نجد له موضعا الا التراب) واشار الى داره المتواضعة التي بناها ، ثم اشار الى المكان الذى فيه ماله وقال : (والله ما شددت عليها من خيط ، ولا منعتها من سائل . ثم نظر الى كفنه . وكأنه رآه كثيرا عليه .. فقال (انظروا . هذا كفني . لكن حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يوجد له كفن يوم استشهد الا بردة ملحاء ، اذا جعلت على رأسه . قلصت عن قدميه ، واذا جعلت على قدميه قلصت عن رأسه)) .**

وأما عمار فقد تولى أمر الكوفة . ويقول عنه أحد معاصريه (رأيت عمار ابن ياسر ، وهو أمير الكوفة ، يشتري من قثائها ، ثم يربطها بحبل ويحملها فوق ظهره ، ويمضي بها الى داره) ..

نعم . انهم رجال صنعهم الرسول !

والامثلة كثيرة . لا تتحملها مثل هذه الصفحات .. وقد سقت منها هذا الذى سقت لأرسم صورة كاملة الابعاد . أو بالاحرى ، حاولت بها أن أرسم صورة لنماذج من الرجال .. أمتنا فى محنتها القاسية فى حاجة الى أمثالهم .

كيف صنعهم ؟

ولنسأل أنفسنا كيف صنع محمد بن عبد الله هؤلاء الرجال ؟ كيف استطاع أن يخلق فى نفوس العبيد والضعفاء والمهملين ، قوة تسخر من تعذيب قريش ، وصلفها وغرورها ؟

كيف تحول ضعف هؤلاء الى قوة ترهب أعداء الاسلام ومناوئيه ؟ كيف جعلهم لا يأبهون بالنار ، وهى تكوى الجباه والجنوب ؟

كيف استطاع محمد بن عبد الله أن ينزع من قريش ميراث أجيال ، ويجعلهم يتخلون عن دين قالوا له عنه ذات يوم « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

كيف جعل السادة والعظماء يجدون لذة وسعادة فى مجالسة عمار وصهيب ومن على شاكلتهم ، وهم الذين ترددوا فى دخول الاسلام .. بل حاربوه لانه يسوى بينهم وبين الارقاء ! لقد كانوا يستنكفون من مجالستهم أو التحدث اليهم .. حتى لقد جاءوا فى مساومة يعرضون اسلامهم على أن يجعل لهم الرسول يوما حتى لا يجلسوا مع هؤلاء .. ولكن القرآن الكريم رد عليهم محاولتهم وخاطب النبى محذرا : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء ، فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم الشاكرين ؟ » بل ان هؤلاء غلا بهم الصلف فاستكبروا أن ينزل القرآن على رسول الله لأنه ليس من الاغنياء .. فقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » فكيف تحول هؤلاء عن طبيعتهم وموروثهم ؟

والمجتمع العربى .. هذا المجتمع المفكك .. المتقاتل .. المنغمس فى الشهوات .. الغارق فى التمزق والتناحر .. هذا المجتمع الذى ينام على خوف .. ويستيقظ على قتال .. المجتمع الجاهل الجهول .. كيف صار مجتمعا فاضلا .. ينشر فضله لاجيال واجيال ؟

كيف ذابت الكيانات القبلية المتناحرة فى كيان واحد .. لافرقة ولا خلاف .. اصبح أمنا وسلاما بعضهم لبعض .. وحربا على من يقف فى سبيله أو يتحدى مده العظيم (اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) .

هذا هو السبيل

لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ساحرا ، فتمس يده القوم فتغير ما بهم بين عشية وضحاها « وما علمناه السحر وما ينبغى له » وقد كان الرسول يدرك من غير شك ثقل المهمة الملقاة على كاهله .. ووجد أن القرآن وحده بما اشتمل عليه من مثل وأخلاق يتكفل بهذا العبء الثقيل . ولهذا جمع الرسول العظيم المسلمين فى حجة الوداع . وقال لهم : « لقد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدى .. كتاب الله .. ألا هل بلغت اللهم فاشهد .. وليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

اذن هذا هو الاساس .. واذا تمكن من قلوب المسلمين ، فانهم لا شك سيجدون فيه كل شيء يهمهم في دينهم أو في دنياهم .

ثم تأتى بعد ذلك السنة قولا وعملا شارحة ومبينة لهذا الدستور القويم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولقد وضع القرآن مبادىء الوحدة بين المسلمين موضع التنفيذ حين قال : « انما المؤمنون اخوة » وحين قال : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . وترجم النبى صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ عمليا .. عندما جمع أهله وقال لهم : « لا يأتينى الناس بأعمالهم ، وتأتونى بأنسابكم . يا فاطمة بنت محمد انى لا اغنى عنك من الله شيئا » .

ثم يقيم الرسول المساواة المطلقة بين المسلمين .. على اختلاف طبقاتهم ومنزلتهم الاجتماعية .. فذات يوم يأتيه أسامة بن زيد يتشفع لرجل سرق .. فيستنكر الرسول ذلك من أسامة ، ويقول له أتشفع فى حد من حدود الله ؟ والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ويغضب الرسول من خالد بن الوليد لانه عاير عمار بن ياسر . فيقول الرسول العظيم لخالد ، وهو القائد المظفر فى كل معاركه « من عادى عمارا عاداه الله ، ومن أبغض عمارا أبغضه الله » . وما لنا نذهب بعيدا فالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو المصطفى من قبل ربه يقول لرجل تهيب لقاءه : « وأنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » يا لها من عظمة لا تدانيها عظمة .. هل يصبح عند القوم مجال للتفاخر باحسابهم وانسابهم ؟ كلا وألف كلا ..

هل من شك فى أن صانع الرجال ومعلمهم محمد بن عبد الله قد اختط بتوجيه الله وعلى أساس هديه أعظم الطرق وأمثلها ؟ ولئن ذهب الرسول لقد بقى الطريق الذى سلكه فى تربية هؤلاء العظماء ينادى كل انسان « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

كانوا اذا حاربوا اقتحموا الحرب اقتحاما من يبحث عن الموت ، لا من يبحث عن النصر « واذا كانوا أمراء حلبوا شياه اليتامى (١) .. واذا كانوا خلفاء لا تغفوا عيونهم ، يستمعون الى مظالم الناس وشكاياتهم .. ثم يحملون الدقيق على أكتافهم ليوصلوه الى بيوت المسلمين .. ثم لا يشتط بهم الغضب من نقد يوجه اليهم مهما كان مصدره وقائله . وان هم أخذوا من بيت المال شيئا لمعاشهم فهو ما يقيم الاود ويحفظ الحياة .. وكثيرا ما فضلوا أن يناموا على الطوى ، أو يجدلوا من الخوص اوعية يعيشون من أثمانها ..

واذا كانت صناعة الرجال جد شاقة وعسيرة .. فان محمد بن عبد الله وضع بين أيدينا أعظم التجارب ، وأخصبها .. وأرشدنا الى النبع الذى صنع به جيلا من الرجال كانوا كما قال عنهم : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ..

فلنعد الى قرآننا وديننا ، ففيهما صلاح أمرنا ، واعادة ما تهدم من بنياننا .. ولنعلم أن ما نجح فيه الاستعمار هو فصلنا عن قيمنا الروحية ، وعزلنا عن هذا التراث الخالد العظيم .. لنعد فى محاولة جادة نصفى فيها الزيف من مجتمعنا وعند ذلك يأتى نصر الله الذى وعد به عباده المؤمنين . فلنعد والعود أحمد .

---

(١) عن كتاب خالد محمد خالد .



والتمييز العنصري

للشيخ : احمد العجوز ـ لبنان

قرر الاسلام مبدأ المساواة بين الناس ، وأعلن أنهم سواسية كأسنان المشط على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، وقضى على النظام العنصرى والأساس الطبقى ، وجعل التفاضل بينهم على درجات التقوى ، والكفاءات العلمية ، وما يقوم به الانسان من أعمال صالحة ، وما يقدمه من خدمات طيبة نافعة .

فجميع الناس في نظر الاسلام اخوان على سواء ، نشاوا من أصل واحد ، من اب واحد ، ومن أم واحدة ، هما آدم وحواء ، فلا تفاضل بينهم في حقيقتهم الانسانية ، فالانسان الأبيض لا يفضل أخاه الأسمر أو الاسود ببياضه ، ولا يمتاز عنه بعنصره ، فلون البشرة ليس من الفوارق بينهما في شيء ما دامت الحقيقة الانسانية واحدة ، فلا تختلف في افرادها بما يلابسها من أعراض لونية ، واصطباغات اقليمية .

اسباب اختلاف اللون :

ولقد كان اللون واحدا في الأصل في جميع الأفراد ، لا يتفاوت الناس فيه ، وبانتشارهم في أنحاء الأرض وأرجائها ، أثرت فيهم أجواؤها المتباينة ، وطبائعها المختلفة من حرارة ، وبرودة ، وجفاف ، ورطوبة وغذاء ، وماء ، وما يتبع ذلك من صفاء الجو وشفافيته ، وتلبده بالضباب والغيوم واختلاف الهواء باختلاف المناطق ، وتباين الضغط الجوى ، ونحو ذلك فكان التفاعل بين هذه العوامل ، وبين حساسية جلد البدن ، على تقادم العهد الطويل ، ومرور الزمن المديد ، فأكسبه اللون الذى يناسب محيط هذه العوامل ، ومن ثم اختلفت ألوان البشرة من البياض الناصع الى الصفرة الى السمرة ، الى الحمرة الى السواد .

ولئن اختلفت بذلك ألوانهم ، فان حقيقتهم لم تختلف ، فانها واحدة ومن طينة واحدة ، وذات طبيعة واحدة .

لا تفاضل باللون :

لا تفاضل باللون ، ولا تمايز فيه ، ففضل الانسان انما هو بمفاخره لا بمظاهره ، وبأعماله لا بأمواله ، وباحسانه لا بألوانه ، لذلك قد يفضل الملون بالسمرة أو السواد كثيرا من اخوانه البيض بصلاح دينه ، وكرم خلقه ، وحسن علمه ، وطيب نشأته وسعة علمه ، وصدق خدمته .

وقد يلاقى الانسان الأبيض من اخوانه البيض تعبا وعناء ، واضطهادا وايذاء ، وقد يكون أخوه الأسمر ارحم منهم واعطف ، وارق قلبا والطف .

فذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه اول ظهور الاسلام ، لاقوا من قومهم ومن عشائرهم كثيرا من المقاومة والاضطهاد ، ومن الظلم والايذاء ، ولا ذنب لهم الا ان آمنوا بربهم الذى خلق السموات والأرض . ولما اشتد بهم الايذاء قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو خرجتم الى ارض الحبشة . فان بها ملكا لا يظلم عنده احد . وهى ارض صدق . حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه » . فهاجر اليها عشرة رجال . وخمس نسوة في السنة الخامسة للنبوة . فاقاموا فيها آمنين على انفسهم . بعيدين عن أذى قومهم . والاحباش هم سمر اللون . وقد فضلهم الرسول صلى الله عليه وسلم حينذاك لانسانيتهم . وحسن معاشرتهم ، وعدالتهم . وما هم عليه من الايمان بالله ووحدانيته . والخضوع اليه . ولما اتفقت قريش على مقاطعة بنى هاشم . وبنى المطلب ، والتضييق عليهم . ودخل بنو هاشم ، وبنو المطلب شعب أبى طالب ما عدا أبا لهب ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم جميع المسلمين ان يهاجروا الى الحبشة ليساعد بعضهم بعضا على الاغتراب . فهاجر اكثرهم وكانوا ثلاثة وثمانين رجلا . وثمانى عشرة امرأة . ولحق بهم الذين اسلموا من ناحية اليمن . فكان الاحباش السمر خير ملجأ لهم . وحينما ارسلت قريش وفدا الى ملك الحبشة ، ليرد اليهم هؤلاء المسلمين المهاجرين . رد الوفد على اعقابه . عندما عرف صدق اسلامهم . وابقاهم في حمايته . واحسن معاشرتهم . وقد وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم وفد حبشى بعد فتح مكة . فقام بخدمه بنفسه . فقال له أصحابه : نكفيك . قال : انهم كانوا لأصحابى مكرمين واننى احب ان اكافئهم » .

مقاومة الاسلام للتمييز العنصرى :

كان التمييز العنصرى عند اكثر الامم . وكان اكثر ما يسترقون ويستعبدون من الملونين . فكانوا يعاملونهم اسوأ معاملة ويتخذونهم سلعا تباع وتشرى . واذا اساء أحدهم عذبوه بالضرب . او بقطع الاذن . او بجعل النار في فمه . او بالقتل . من غير رأفة ولا رحمة . ولا يؤاخذ المجرم على اجرامه .

فجاء الاسلام بالخير والرحمة ، والشفقة والرأفة ، والعدالة والمساواة . واعلن الوحدة الانسانية وتكافؤ جميع أبنائها . في حقوق الحياة ، وانكر التمييز العنصرى . وعده جريمة نكراء . وعامل جميع الناس على اختلاف الوانهم واجناسهم معاملة واحدة . في التكليف والقضاء ، وفي حقوق الحياة . وصان حريتهم وكرامتهم . وراعى حرمتهم . ومواهبهم الفطرية .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس : ان ربكم واحد . وان اباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم من تراب . اكرمكم عند الله اتقاكم . وليس لعربى على عجمى . ولا لعجمى على عربى . ولا لأحمر

على ابيض ، ولا لأبيض على احمر فضل الا بالتقوى ، الا هل بلغت ! اللهم فاشهد ، الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) .

فوجد اولئك الأرقاء المعذبون أن الاسلام الذى هو دين الحق . هو سبيل النجاة والسعادة . وهو منطلق الحرية والعدالة ، وهو الصراط السوى الذى يلاقى المؤمن به رضاء الله . ويفوز بنعيم الدنيا . وسعادة الآخرة ، فطفقوا يدخلون في دين الله ، مستلذين التعذيب في سبيله . مؤثرين فيه حياة التقشف والخشونة والفقر والقلة على ما كان عليه اسيادهم من نعمة ورخاء ومتعة .

والرسول صلى الله عليه وسلم يحث كل من يملك ارقاء على حسن معاملتهم . وعلى عتقهم وتحريرهم . ويقول : (اخوانكم خولكم (أى خدمكم) جعلهم الله تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل . وليلبسه مما يلبس) . ويقول : (ايما امرىء مسلم أعتق امرأ مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار) .

ولأبى داود من حديث كعب بن مرة رضى الله عنه : (وايما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار) .

وقد مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمكة . فرأى العبيد وقوفا لا يأكلون مع ساداتهم ، فغضب . وقال : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟! .. ثم دعا الخدم ، فأكلوا مع السادة في جفان واحدة .

وقد بلغ من عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبيد السود ، والمحافظة على كرامتهم ، واخوتهم الانسانيه أن كان لعبد الله بن رواحه راعية تتعهد غنمه . وهى عبدة مملوكة له . فعدا الذئب على واحدة منها فاكلها ، فجاء عبد الله يبحث في الغنم . فلم يجد الشاة . فأخبرته الراعية بأمرها . فلطمها على وجهها . ثم ندم على ما وقع منه . وعدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بما فعل بجاريته . فاشتد بالرسول صلى الله عليه وسلم الغضب . حتى احمر وجهه . وهاب أصحابه أن يكلموه . ووقف عبد الله واجما لا يتحرك . ثم قال عليه الصلاة والسلام عند ذلك : (وما عسى أن تفعل الصبية بالذئب ! وما عسى أن تفعل الصبية بالذئب !) وما زال يكررها ثم قال : (ان خدمكم اخوانكم جعل الله لكم الولاية عليهم) . فلم يجد عبد الله بن رواحة مخرجا مما وقع فيه الا بعتق جاريته التى لطمها فاعتقها .

وكان قد اختلف في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم مرة أبو ذر الغفارى وبلال . فاحتد عليه ابو ذر . وقال له : يا ابن السوداء . وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم منه ذلك . فأخذه الغضب الشديد . وقال (طف الصاع ، طف الصاع (١) . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى ، أو بعمل صالح) . فوضع أبو ذر خده على الأرض . وقال لبلال : قم فطأ عليه .

المسلم أخ لكل مسلم :

لا يفرق بين المسلم والمسلم لون ، ولا يميزه جنس . فالمسلم هو هو بجميع الوانه . وهو أخ لكل مسلم

---

(١) أي تجاوز الأمر حده .

على اختلاف اجناسه ، في اى زمان ومكان ، له ما لأخيه المسلم من حق وحرية ، ونصر وحماية ، ونصح ومحبة ، ومعونة وولاء ، يساويه في العقيدة والتكليف ، والمثوبة والعقوبة ، والحق والحرية ، والمسئولية والقضاء والكفاءة والعدالة . فالمساواة العامة مبدأ الاسلام ، وميزة المسلم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم) الحديث .

كان عقبة بن عامر الجهنى صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقودها له في الأسفار ، وقد روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينزل عن دابته ويركبه اياها ، والرسول يمشى على قدميه .

وذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سار الى بيت المقدس كان معه عبده وناقته ، فكانا يتناوبان الركوب على الناقة ، وهو خليفة المسلمين ، ولما وصلا الىبيت المقدس كان غلامه الراكب ، وهو ساع خلفه ، وكان الأمير على بيت المقدس ابو عبيدة بن الجراح ، رأى أبو عبيدة ذلك فخشى أن يحقره الناس ، وهو في بلد من بقايا حكم الرومان . فقال ابو عبيدة : يا امير المؤمنين : اراك تصنع أمرا لا يليق ، فان الأنظار متجهة اليك ، فقال عمر : لم يقل احد ذلك قبلك ، وقد كنا اذل الناس ، وأحقرهم فأعزنا الله بالاسلام ، ومهما طلبنا العز بغيره أذلنا الله .

رفع الاسلام شان الأرقاء الملونين :

حظى الأرقاء الملونون في الاسلام بالحرية التامة ، والعزة والكرامة . ونال بعضهم الرتب الرفيعة .

فذلك بلال بن رباح الحبشى . فانه كان عبدا مملوكا لأمية بن خلف الجمحى ، يرهقه في أعماله ، ويذله في اشغاله ، ويعذبه لاسلامه ، ولا حيلة له في نجاته ، ولا أمل في هناء حياته ، مر به أبو بكر رضى الله عنه فرآه يعذبه لاسلامه . فقال : يا أمية : أما تتقى الله في هذا المسكين ؟ حتى متى تعذبه ؟ فقال أمية : أنت الذى افسدته ، فأنقذه مما ترى . فاشتراه منه ، واعتقه ، ثم صار مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلوات الخمس ، فاعتز بالاسلام ، وسعد به .

وقد قضى الاسلام بأن تصير العبدة المملوكة حرة ، اذا تزوجها سيدها ، وأتت منه بولد ، ويصبح الولد حرا .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لوليته ، وسالم انما هو عبد أسود .

وقد تقلد كثير من العبيد السمر المناصب العالية في الاسلام ، بعد أن حررهم من ذلة العبودية .

فذلك اسامة بن زيد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرا على جيش عظيم ، فيه الكثير من المهاجرين ، والأنصار واجلاء الصحابة .

وذلك كافور الاخشيدى اشتراه الاخشيد من بعض أهالى مصر بثمانية عشر دينارا وحرره ، ولما أعجب بذكائه أخذ يرفع من شأنه ، حتى صار بيده زمام المملكة المصرية التى كانت من أنفس الممالك الاسلامية .

وهذا السلطان المؤيد : كان من الأرقاء السمر ، فاشتراه محمود شاه اليازدى بثمن بخس ، ثم قدمه الى الظاهر برقوق ، فأعجب به ، وبذكائه فحرره ، ثم قلده عدة وظائف في مصر والشام ، الى أن صار سلطانا على مصر ، حتى وافاه الأجل المحتوم ، وقد دامت سلطنته زهاء تسع سنوات ، وهو الذى بنى جامع المؤيد المشهور باسمه في باب المتولى بالقاهرة ووقف عليه أوقافا كثيرة ، ويعد هذا المسجد من أفخم الآثار المصرية الى الآن .

الخلاصة :

والخلاصة أن الاسلام لا ينظر الى لون المسلم وصبغته ، ولا يفرق بين العناصر والأجناس ، ولا ينظر الى الفوارق الاقليمية ، واللغوية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من دعا الى عصبية) وانما ينظر الى دين المرء وخلقه ، وعمله الصالح وادبه ، ويعمل على ايصاله الى أعلى الدرجات ، وأسمى المراتب في الحياة ، ويعنى كثيرا بتحرير المماليك ، وترقية شؤونهم واعزازهم .

وقد بلغت جماعة منها أعلى المناصب في البلاد الاسلامية ، واسسوا دولتهم المعروفة بدولة المماليك . فنشرت العدالة والطمأنينة بين الناس . وأنشأت الكثير من المساجد لعبادة الله تعالى . وساست الأمة سياسة حكيمة رشيدة . وخدمت البلاد خدمات طيبة .

هذه أعمال الاسلام ، وهذه ثمراته في المملوكين الملونين ، وفي مقاومة العصبية ، والتمييز العنصرى ، فلم يكن بين المسلمين ، ولا في البلاد المفتوحة لهم ، ولا البلاد المجاورة لهم في اى عصر من العصور نزاع عنصرى ، ولا خصام تعصبى ، فى جميع العصور المتلاحقة الى وقتنا هذا ، بل كان بين الجميع حب ووئام ، وتعاون واخاء ، وخدمة وايثار . وذلك بتأثير هداية الاسلام وعدالته ، واصلاحاته ومعاملته ، بينما تراق الدماء البريئة بسبب التمييز العنصرى الجائر في أميركا ، وجنوب افريقيا وتقوم الاضطرابات فيها لذلك آنا بعد آن ، ونحن في القرن العشرين ، وفي عصر الرقى ، والتقدم الفنى ، فليس كالاسلام مبدأ يشيد بعزة الانسانية ، ويصون حرمتها في المساواة بين ابنائه . هذا دين الحق ، وان الدين عند الله الاسلام .

الحج

عبادة العمر ومؤتمر المسلمين العام

الأستاذ احمد مسلم ابراهيم

للاسلام غايات نبيلة واهداف سامية تكمن وراء تشريعاته وتقنين قوانينه وسن احكامه وكلها لسعادة الانسان وخير المسلمين ، ومن بين هذه التشريعات التى لها هذه الاهداف فريضة الحج ، تلك الفريضة التى هى عبادة العمر ومؤتمر المسلمين العام .

واذا كان لكل عبادة فى الاسلام هدفها الكريم وغايتها المثلى فان هدف الحج الاسمى . وغايته العليا أن يطهر صاحبه من الرذيلة ، وان يجمله ويحليه بالفضيلة ، ويزوده بزاد من التقوى والخير والبر .

ولكن للأسف الشديد فان الكثير من الناس يحجون البيت الحرام من غير نظر الى معنى الحج ومغازيه ، بل ينظرون اليه على أنه مناسك تؤدى . وزيارات تقصد ، من غير نظر الى الغاية الاجتماعية منه ، ومن غير تعرف لما كان عليه السلف الصالح ، مع أن القرآن الكريم وجه الى ما يكون فى اجتماع الحج من منافع اجتماعية واقتصادية واسلامية فقال تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير » .

لم ينظروا فى الحج الى المعانى الاقتصادية التى بها يعرف اهل كل اقليم ما عند الآخر من خير ليس عندهم ، وما عندهم مما ليس عند غيرهم ، وبذلك يتبادلون المنافع ، وتكون خيرات الامة الاسلامية فى جملتها للمسلمين فى جملتهم ، فلا حواجز بينهم ، ولا ضيق عند قوم ، ورخاء عند آخرين ، ولهذا المعنى الاقتصادى أبيح الاتجار فى أثناء الحج ، وصرح بذلك القرآن الكريم فقال : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا

جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولى الالباب . ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » ، والمقصود بابتغاء الفضل فى الحج هو الاتجار .

نعم ان المسلمين لا ينظرون الى الدين الا على انه علاقة نفسية ، تكون فى الصلاة والصوم والحج فى أضيق صوره ، حتى صاروا يظنون أن الاسلام دين المعابد والصوامع ، ومع ذلك لا يؤدون العبادات وقلوبهم خاشعة ، ونفوسهم خاضعة لله تعالى وحده ، ولو انهم فعلوا ذلك فى تقوى صادقة لأدركوا كل معانيه . فان تقوى الله توجه المؤمن الى صلاح حاله ، وصلاح حال المؤمنين جميعا ، والشعور بأن اهل التوحيد جماعة واحدة ، فالاتجاه الى القبلة هو اتجاه الى الوحدة الاسلامية فى اسمى غاياتها .

عبادة جامعة

ان الحج عبادة جامعة لكل العبادات ففيه من الصلاة مناجاة الرب جل جلاله والوقوف بين يديه فى بيته الاول المعظم الذى قال فى شأنه « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

وفيه من الصيام الصبر على المشاق والخروج عن مألوف العادات .

وفيه من الزكاة معنى التضحية بالمال ، وبذله فى سبيل الله ، بل فيه نسيان المال عامة ، والخروج من جميع مشاغله ، لأن الحاج يترك أهله وأمواله وأعماله فى بلده ، ولا يأخذ معه من المال الا ما يكفيه فى رحلته ، وما يجود به فى صدقته .

وفيه من القرب اراقة الدماء ، تعظيما لمناسك الله ، وتوسعة على عباده ، وتذكرا لسنة أبينا ابراهيم ، عليه وعلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وفيه قبل ذلك كله — وبعد ذلك كله — الاساس الاكبر للاسلام وهو شهادتان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . يتجرد الحاج لها ، ويتفرغ ، وينادى بالتلبية مرة بعد مرة قائلا « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

وبذلك يعتبر الحج المبرور عبادة العمر ، ويكون بمثابة التطهر من جميع الذنوب ، والتزود بالكثير من الفضل والرضوان ، وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه) .

مؤتمر عام

لقد شرع الاسلام للمسلمين هذا الاجتماع العام ، ليجتمع فيه المسلمون من انحاء العالم حول الكعبة الشريفة . وجميعهم على دين واحد ، ولغرض واحد ، حيث يقوم العلماء بتعليم الجهلاء ، ويخطب الخطباء ، ويتحدث الحكماء لوعظ المسلمين ، وارشادهم الى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم . ويتبادل الجميع الآراء والافكار ، ويعود الحجاج الى بلادهم ، وهم مزودون بكثير من الاخبار عن اخوانهم فيقوى الاخاء بين المسلمين . ويزول التباغض والتحاسد . فضلا عما يكون فى زيارة تلك الاماكن الطاهرة من تقرب الى الله . وعظة وعبرة ، والتجاء الى خالق الكائنات . ونخلق باخلاق السلف الصالح ، وتنبيه للنفس الغافلة ، وحملها على ذكر الله الواحد القهار . حيث يجتمع المسلمون فى مكان واحد ، ويتجهون الى الله بقلوبهم رافعين اكف الضراعة اليه بالرجاء ، مبتهلين اليه بالحمد والدعاء ، قلوبهم مؤمنة ونفوسهم راضية طيبة ، فلا يخيب الله لهم رجاء ، ولا يرد لهم دعاء ، بل يشملهم بفضله ورحمته . فيندمون على ما فعلوا من ذنوب ، ويقفون بين يدى الله خاشعين من هول اليوم الذى « يفر المرء فيه من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه » .

التهيؤ للحج

وينبغى على المسلم اذا عزم على السفر لأداء فريضة الحج أن يبادر الى التوبة النصوح ، ورد المظالم الى اربابها . وقضاء ما عليه من الديون ، واعداد النفقة لجميع من تلزمهم نفقته . الى وقت الرجوع من رحلته ، وأن يختار لحجه وعمرته نفقة طيبة . لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول (ان الله طيب لا يقبل الا طيبا) ويقول عليه السلام (اذا خرج الحاج بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز (الركاب) فنادى : لبيك اللهم لبيك — ناداه مناد من السماء — لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال . وحجك مبرور غير مأزور . واذا خرج بالنفقة الخبيثة ، فوضع رجله فى الغرز ، فنادى — لبيك — لبيك — فاذا مناد من السماء يقول — لا لبيك ولا سعديك — زادك حرام ونفقتك حرام ، وحجك مأزور ، غير مبرور .

كما ينبغى على المسلم أيضا أن يلتمس رفيقا صالحا ، محبا للخير ، معينا على فعله . ان نسى ذكره ، وان ذكر اعانه ، وان عجز قواه ، وان ضاق صدره ثبته وفرج كربته ، وينبغى أن يودع أهله واخوانه وجيرانه ، ويلتمس دعاءهم ، فان الله جاعل فى دعائهم خيرا كثيرا . ولهذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان دائما يدعو لمن أراد السفر بقوله « فى حفظ الله وكنفه ، زودك الله التقوى ، وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما كنت) .

وعلى الحاج أيضا اذا ركب مركبا أيا كان نوعه أن يقول (اللهم انت الصاحب فى السفر ، وانت الخليفة فى المال والاهل والولد ، اللهم انا نسألك فى سيرنا هذا أن تطوى لنا الارض ، وتهون علينا السفر ، وتبلغنا حج بيتك ،

وزيارة مسجد نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون) .

والحج ـ كما لا نحتاج أن نقول ـ ركن من أركان الاسلام الخمس لا يكتمل اسلام المسلم الا به ، غير أن الله سبحانه وتعالى رحمة بعباده قد فرضه مشروطا بالقدرة والاستطاعة ، حيث قال (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) . والمراد بالاستطاعة هنا أن يكون المسلم حرا راشدا صحيح البدن ميسور الزاد والراحلة قادرا على نفقة عياله مدة سفره فى حجه مع أمن الطريق وحل المال . فمن لا يتوافر له هذا كله فلا وجوب عليه .

أما مع الاستطاعة المتكاملة ـ فهو فريضة واجبة الاداء فى غير تردد ولا ابطاء ولا انساء لمرة واحدة فى ميقاتها الزمنى المعروف من كل عام . فان وسع المسلم أن يكرر أداءها فذاك مزيد من الخير مشكور ، ومحمدة مثاب عليها ، لما يقترن بالحج من أعمال صالحات ، تزداد بها الارواح طهرا وصفاء . روى أبو هريرة فقال ـ خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن نزلت آية الحج فى أواخر السنة التاسعة من الهجرة ـ فقال : ايها الناس : ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا . فقال رجل ـ أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت النبى حتى قالها الرجل ثلاثا ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (لو قلت نعم لوجبت عليكم وما استطعتم) .

وينبغى على المسلمين أن يعلموا أن هناك فى هذا اللقاء الكبير والمؤتمر العام مقاصد انتظمتها شرعته السماوية ، حيث يستعرض المسلمون مجريات الاحداث في بلادهم وشعوبهم كأمة واحدة ، فينظروا فيها نظرا واسعا ، منزها عن الاهواء الشخصية ، مبرءا من المنازع الشعوبية ويدرسونها دراسة وافية ، ويضعون لها الحلول العاجلة ، التى تحقق الخير للأمة العربية والاسلامية على السواء ، ففى الحج يلتقى رجال المال والاقتصاد لوضع أسس التعاون الاقتصادى والتبادل التجارى ، حماية للانتاج الاسلامى من أن تعبث به أصابع الاستعمار والصهيونية ، كما يلتقى أيضا أمجاد العروبة والاسلام فى وطن الاسلام الاول ، حيث نزلت الآيات البينات نورا وهدى للناس اجمعين ، ومشى فيه الانبياء والابطال الذين كانوا يفجرون ينابيع العلم اذا فكروا ويبسطون لواء العدل اذا حكموا ، ويحملون لواء النصر اذا دافعوا ، وبذلك يصل المسلمون حاضرهم المشرق بماضيهم الخالد المجيد .

معنى اعمال الحج

وللحج أعمال أربعة يجب على الحاج ان يحرص على أدائها وهى الاحرام والطواف حول البيت الحرام والسعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة . ولو دققنا النظر فى هذه الاركان الاربعة لوجدنا أن لكل منها فلسفته وتوجيهاته ذات الصلة الوثيقة بحياة الفرد والجماعة .

الاحــــرام

فالاحرام عبادة قوامها التجرد ، ونسيان النفس ، والانخلاع من المظاهر المألوفة ، ومن ابهة الحياة ، ومن غريزة العدوان على الاشـياء وعلى الحيوان والانسـان ، لأن المسلم اذا احرم أخذ وصفا جديدا . ليس له ان يحارب احدا ، او يقتل صيدا ، أو يقطع شجرا ، أو يشاحن ، او يجادل ، بل عليه ان يسـلم نفسـه الى الله ، وينظر الى انه ضيف فى رحابه .

الطــواف

والطواف حول البيت الحرام يوحى للمؤمن بأن واجبه ان يلتزم النطـاق الذى حدده الله له فى حياته ، كما يلتزم الدوران حول بيته ، والطائف حول البيت يدور حوله سبع دورات ، وهو يدعو ربه ، متجها اليه بقلبه وسـمعه وبصره ، يرجو رحمته ، ويطلب توفيقه ، ويخشى عذابه ، ويبرأ اليه من كل ذنب واثم اقترفه ، ويعلن فى صدق واخلاص ان أعظم أمانيه فى موقفه هذا ان يرزقه الله النجاة من النار ، ويدخله جنة تجرى من تحتها الانهار .

السـعى

والسعى بين الصفا والمروة فيه ايضا ايحاء للمؤمن بأنه حين يسـعى فى حياته ، وينشط رائحا وغاديا ، انما يسـعى وينشط فى ظل من عناية الله ، وفى نطاق معونته وتوفيقه . والمؤمنون منا يشعرون بأنهم فى هذا السعى محققون لأمر الله ، مستظلون بظله ، فدنياهم العملية مرتبطة بما يؤمنون به من عقيـدة صادقة فى ان الله سبحانه وتعالى هو رب هذا الكون بما فيه ، ومن فيه ، وانه هو الذى هيأ لكل مخلوق مسعاه ومراحه ومغداه (كل ميسر لـما خلق له) .

واذا كان يجد فى مسعاه وينشط ، ويبذل ما منحه الله من جهود مادية ، فانه لا ينسى مع ذلك ما عليه لله من واجبات ، وما هو فيه من فضله ونعمته . وبذلك تتصل ماديته بروحه ، وروحيته بمادته ، فيكون مؤمنا عاملا يخدم نفسه ودينه وامته ، ينطبق عليه قول الله تعالى (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

الوقـــوف

والوقوف بعرفة فى يوم الحج الاكبر له توجيهـاته الباقية ، وتاريخـه وذكرياته الماضية ، فمن توجيهاته وايحاءاته ما يوحى به الموقف العظيم الذى اجتمع له الناس من كل فج عميق . من وحدانيـة الله التى يؤمن بهـا هؤلاء الخلق ، المختلفو الاجناس والالوان والالسنة ، وقد تركوا اموالهم واولادهم ، وجميع مظاهر حياتهم واعمالهم ومتاعهم من اجلها ، ورضوا باحتمال المشاق . وتكبد الاسفار ، ولا يكون هذا الا عن ايمان عميق ، وروح طيبة طاهرة ، خاشعة لمالك الملك والملكوت ، فضلا عن أن المؤمن الواقف بعرفات وسط هذا الجمع

ـماشد ، يدرك تماما معنى التوحيد والايمان حسا وتطبيقا ، كما عرفه من قبل ـمعنى وقولا . ويشهد ايضا بصورة عملية وحدة الامة الاسلامية ، متجلية فى اجتماع وفودها بمكان واحد ، وفى وقت واحد ، وهى تدعو ربا واحدا ، وتؤمن بكتاب واحد ، ورسول واحد ، وتتجه بقلوبها الى الله تطلب منه تحقيق هـذا الهدف الموحد وهو نصر الاسلام ، واعلاء كلمته ، ولو كره الكافرون .

ذكريات يوم عرفة

اما من ناحية ذكريات هذا الموقف فحسبنا ان هذا اليوم هو الذى اتم الله فيه نعمته على المسلمين ، وفيه نزل قول الله تبارك وتعالى « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ، وقد قال اهل الكتاب عندما انزلت هذه الآية « لو انزلت علينا هذه الآية لجعلنا يوم ... عيدا لنا . فقال عمر بن الخطاب : اشهد لقد نزلت فى عيدين : نزلت ... ـول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ، وكان يوم جمعة وكلاهما عيد » .

وقد جاء فى بعض الاحاديث تصويرا لموقف الشيطان حين راى رحمات الله تنزل على عباده يوم عرفة ، انه لما علم ان الله سبحانه وتعالى استجاب لرسوله صلوات الله وسلامه عليه دعواته لأمته بالمغفرة الشاملة ، اهوى يدعو بالويل والثبور ، ويحثو التراب على راسه . وقد قيل ايضـا فى حديث آخر « ما رئى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ـــ اى اشد اندحارا ـــ ولا احقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفة » ، وما ذاك الا لما يرى فيه من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام .

وحسبنا ايضا من ذكريات هذا الموقف الخالد ان رسول الله صلى الله عليه و ـلم خطب فيه خطبته الكبرى ـــ خطبة الوداع ـــ التى قرر فيها المبادىء العامة للحقوق والواجبات فى الاسلام حيث قال : « ايها الناس : ان دماءكم واموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . . الا هل بلغت . اللهم فاشهد . ايها الناس : ان لنسائكم عليكم حقا وان لكم عليهن حقا ـــ ايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب . اكرمكم عند الله اتقاكم . ليس لعربى فضـل على عجمى الا بالتقوى ـــ الا هل بلغت اللهم فاشهد » .

وهكذا فان الاسلام يتابع سيره بالفرد المسلم او بالجماعة المسلمة فى طريق الوحدة والتجمع بعد ان عرف الطريق الى الله ، وانطلق لسانه وعقله وقلبه وكل جوارحه تعلن أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . وبعد ان اخذ بيده ليسير فى التطبيق العملى لمعنى ذلك التوحيـد حتى لا تستبد به مع الايام شـهواته فينحرف عن الطريق السوى لمعنى التوحيد وبعد ان حصنه بالصلاة والصيام والزكاة فختم اركانه الخمسة بفريضة الحج الى بيت الله الحرام ليخلص الانسانية من طبقية جامحة غاشمة ما كان مقدرا لها ان تتخلص منها بغير ذلك التوجيه .

ولهذا فاننا نرى رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه يقول (من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج . فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا) .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم ان يرزقنا حج بيته وشفاعة نبيـه ويهدينا جميعا سواء السبيل .

سبحان الله

كل شيء هو نفسه الا الانسان فكثيرا ما يكون غير نفسه : شجرة الورد والتفاح والحنظل تعبر عن طبيعتها فى صدق دائما . وتنتج ثمارها من جنس طبيعتها دائما ، ولا تخرج شجرة التفاح حنظلا يوما ما .

اما الانسان فلا يعبر عن حقيقته دائما . فقد يعبر عن جوعه وهو متخم ، وعن حبه وهو كاره ، وعن اخلاصه وهو يخفى الاجرام ، وان يقول غير ما يفعل .

□□□

امانة الحاكم

استدان ولد لعمر بن الخطاب من ابى موسى الاشعرى حين كان واليا على الكوفة — اموالا من خزانة الدولة ليتاجر بها . على ان يردها بعد ذلك كاملة غير منقوصة ..

واتجر ولد عمر ، فربح ، فبلغ ذلك عمر فقال له :

انك حين اقترضت من ابى موسى انما اعطاك لانك ولد امير المؤمنين ..

انك حين اشتريت انقص لك البائعون فى الثمن لانك ولد امير المؤمنين ..

ولما بعت زاد لك المشترون فى الثمن لانك ولد امير المؤمنين ..

لا جرم ان كان للمسلمين حق فيما ربحت ، فقاسمه نصف الربح ، واسترد منه القرض .

واشتد فى العتب على ابى موسى لانه اسلف ولد امير المؤمنين من اموال الدولة ما لا يفعله مع غيره من الرعية .

□□□

وزير لا تقبل شهادته

شهد الفضل بن الربيع وزير الرشيد عند ابى يوسف القاضى . فلم يقبل شهادته ، فعاتبه الخليفة فى ذلك ، وقال له : لم رددت شهادته ؟

قال ابو يوسف : لانى سمعته يوما يقول للخليفة : انا عبدك . فان كان صادقا فلا شهادة للعبد ، وان كان كاذبا فلا شهادة للكاذب ، واذا لم يبال فى مجلسك بالكذب ، فلا يبالى به فى مجلسى ، فعذره الخليفة !!

□□□

حماة مثالية

قالت اسماء بنت خارجة الفزارى لابنتها عند الزفاف :

يا بنية : انك خرجت من العش الذى فيه درجت ، فصرت الى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تالفيه ، فكونى له ارضا يكن لك سماء ، وكونى له مهادا يكن لك عمادا ، وكونى له أمة يكن لك عبدا .

لا تلحفى به فيقلاك (لا تلحى عليه فيكرهك) ولا تباعدى عنه فينساك .

ان دنا منك فاقربى منه ، وان نأى عنك فابعدى عنه .

واحفظى انفه وسمعه وعينه ، فلا يشمن منك الا طيبا ، ولا يسمع منك الا حسنا ، ولا ينظر الا جميلا !!

الوالد العــاق

جاء رجل الى عمر بن الخطاب يشكو اليه عقوق ابنه ، فاحضر عمر الولد ، وانبه على عقوقه ، فقال الولد : يا امير المؤمنين اليس للولد حقوق على ابيه ؟ قال : بلى ، قال : فما هى يا امير المؤمنين ؟ قال عمر : ان ينتقى امه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن) .

قال الولد : يا امير المؤمنين : ان ابى لم يفعل شيئا من ذلك . اما امى فانهـا كانت امة لمجوسى .. وقد سمانى (جعلا : خنفساء) ولم يعلمنى من الكتاب حرفا واحدا ، فالتفت عمر الى الرجل ، وقال له : جئت تشكو الى عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك ، واسات اليه قبل أن يسيء اليك .

□□□

كيف أصبحت ؟

قيل للشافعى : كيف اصبحت ، فقال : كيف اصبح من يطلبه ثمان : الله تعالى بالقرآن ، والنبى صلى الله عليه وسلم بالسنة ، والحفظة بمــا ينطق ، والشيطان بالمعاصى ، والدهر بصروفه ، والنفس بشهواتها ، والعيال بالقوت ، وملك الموت بقبض روحه .

□□□

حق الجــار ولو ...

كان لأبى حنيفة جار يشرب طول الليل ويكثر صياحه وترداده لهذا البيت .

اضاعونى وأى فتى اضاعوا ليوم كريهــة وســداد ثغر

حتى يأخذه النوم ، وابو حنيفة يسمع كل يوم جلبته ، ثم فقده ليلة ، وعلم أن العسس اخذه ، فركب أبو حنيفة ، واستأذن على الامير ، وسأله أن يخلى سبيله ، فقال له الامير : وكل من اخذ فى تلك الليلة ، فلما خرج ألفتى قال له « اضعناك ؟؟ » وأعطاه ما يستعين به على نقصان دخله فى أيام حبسه ، فكشف الله بهذا الاحسان الغمة عن عقل الفتى حتى تاب ، وتتلمذ على أبى حنيفة .

□□□

ذكاء مفــرط

شكت امراة الى الخليفة المــأمون فقالت : يا امير المؤمنين . مات اخى وترك ٦٠٠ دينار ، فحكم القاضى لى بدينار واحد . فقال لها المأمون : هــذا نصيبك . قالت وكيف ذلك ؟ قال : الرجل ترك ابنتين ووالدة وزوجة واثنى عشر اخا . قالت : نعم . قال : فللبنتين الثلثان ٤٠٠ وللوالدة السدس ١٠٠ وللزوج الثمن ٧٥ ولكل اخ ديناران ولك دينار .

□□□

فى مكتبة المعــز

قال المقريزى : دخل احد السياح مكتبة المعز لدين الله الفاطمى بالقاهرة فرأى فيها مقطعــا من الحرير الازرق غريب الصنعة فيه صورة اقاليم الارض وجبالهــا وبحارها ومدنها وانهــارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر ، مكتوبة أسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادهــا وانهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة ، فقال يكفينى بن العجائب هذه .

□□□

ثمانية ملوك فى الأسر

لم يجتمع لخليفة ما اجتمع للمعتصم من الظفر والنصر !!

اسر ملك أذربيجان ، وملك طبارستان ، وملك استتسيان ، وملك اشباصح ، وملك فرغان ، وملك تخارستان ، وملك الصفه ، وملك كابل .

جلال الدين الرومي

أعظم شاعر صوفي عرفه العالم

الأستاذ : لطفي ملحس
عمان : الكلية العلمية الاسلامية

ولد محمد بن حسين البلخي المعروف بجلال الدين الرومى ، فى السادس من ربيع الاول سنة ٦٠٤ للهجرة (٣٠ سبتمبر ١٢٠٧ للميلاد) فى مدينة بلخ ، التى لم تعد اليوم اكثر من قرية فى شمال افغانستان .. وقد كانت « بلخ » مقرا اداريا وتجاريا ، كما كانت مركزا دينيا شهيرا ايضا .. فقد بنى فيها الزرادشتيون ما لا يقل عن خمسة هياكل لعبادة النار ، واسس البوذيون بها كذلك ديرا سمى « النوبهار » وظل قائما حتى فتحها « الاحنف بن قيس » عام ٣٢ للهجرة (٦٥٣ للميلاد) .. وقد استمرت صلة المدينة الطويلة بالعبادة الى ما بعد مجىء الاسلام .. وقد تولى امارتها عدد من الامراء ، **كان من أبرزهم « ابراهيم ابن ادهم » الذى ترك الامارة به توليتها مدة قصيرة ، لينشغل فى أمور الدين والتصوف ..**

نسب جلال الدين الرومى :

اختلف الادباء والمؤرخون فى نسب جلال الدين الرومى ، فمنهم من رده الى ولد أبى بكر الصديق ، ونسبه آخرون الى ابراهيم بن أدهم ، كذلك تنازع نسبه الفرس والترك ، كما تنازعوا ابن سينا وغيره ، وقد رحل به أبوه المعروف ببهاء الدين ، والملقب بسلطان العلماء وهو فى سن الرابعة ، وصحبه فى حله وترحاله . وقد تلقى جلال الدين العلم عن والده الذى عرف عنه تضلعه فى العلوم الاسلامية التقليدية ، وفى آرائه الصوفية .

ومما يذكر أن بهاء الدين كان قد هرب مع عائلته قبل وصول المغول الى « بلخ » التى دمرتها جحافل جنكيزخان تدميرا كاملا عام ١٢٢٠ م . وكانت قد توقفت جماعة النازحين الصغيرة « بهاء الدين وعائلته » أولا فى نيسابور ، حيث

أكرمهم الشاعر الصوفى الفارسى العظيم « فريد الدين العطار » الذى ذهب بعد ذلك ضحية المغول ، ويقال ان فريد الدين تبين فى الصبى جلال الدين جميع معالم الولاية اللاحقة ، وأنه قدم له نسخة من خير كتبه المعروفة « أسرار نامه » اى كتاب الاسرار ، وقد اقتبس ابن الرومى فى كتاباته اللاحقة عن العطار ، كما تأثر بكتابات « سنائى » وهو شاعر صوفى فارسى ، تعرف على كتاباته عن طريق عضو بارز فى حلقة والده ، وهو برهان الدين محقق الترمذى الذى أصبح فيما بعد مدرسا لجلال الدين كما سنرى .

استقرارهم فى الاناضول :

سار بهاء الدين بعائلته من نيسابور الى بغداد ، ولكنهم لم يمكثوا فى العاصمة العباسية طويلا ، بل تابعوا السير الى سوريا ثم تركيا . واخيرا استقروا فى قونية « فى الاناضول » . حيث حظى بهاء الدين برعاية الحاكم السلجوقى كيقباد . . ومات بهاء الدين عام ٦٢٧ هـ — ١٢٣٠ م ، بعد عمر طويل شاهد فيه ابنه وقد تعلم ، واستقر ، وتزوج ، وأنجب فى المحيط الجديد .

وفى العام التالى وصل الى قونية برهان الدين محقق الترمذى ، وتابع محاولاته فى تدريب جلال الدين على التصوف ، وشجعه على السفر الى حلب ودمشق ، لاتمام تعليمه ، وليس هناك ما يدعو للشك فى ان الرومى قابل فى دمشق محيى الدين بن العربى ، المتصوف الاندلسى العظيم ، وأنه تتلمذ عليه . . ولما عاد جلال الدين الى قونية عينه (غياث الدين كيخسرو) معلما وواعظا ، وهى الوظيفة التى شغلها أبوه من قبله ، وكان عمره اذ ذاك (٢٤) سنة ، وهو مركز لا يتمتع به الا من كان على سعة من العلم والثقافة ، والمواهب النادرة ، وعليه امارات التصوف الصحيح . .

من مدرس الى متصوف :

تولى جلال الدين الدرس فى أربع مدارس فى مدينة قونية فى الاناضول ، وكثر طلابه ، وقد وقع له وهو بين الخامسة والثلاثين والاربعين حدث غير اتجاهه ، وهو لقاؤه بالدرويش المجيب « شمس الدين التبريزى » فانقطع بعد لقياه عن التدريس ، وانصرف الى الرياضة الصوفية ، ونظم الشعر ، وسماع الموسيقى ، وقد شعر الرومى أنه وجد فى هذا الرجل تجسيد الحكمة كلها والرجل الكامل ، فالتحق بصحبته فى حماس بالغ ، وتخلى عن وظائفه الاخرى ، ليتمكن من ملازمته فى وجدانه الروحى .

وقد كان ذلك سببا فى اغاظة أصدقاء الرومى وطلابه ، فثاروا على ذلك الدرويش ، واضطروه للهرب من قونية الى دمشق ، فأرسل الرومى اليه ابنه « سلطان ولد » ليعود به ، ثم ذهب اليه جلال الدين نفسه ، لانه لم يصبر على فراقه ، فأرجعه الى قونية ، وساد التفاهم الجو حينا ، ولكن سرعان ما أعقبه انفجار آخر لحقد المريدين القدماء وحسدهم ، فاختفى شمس الدين عن قونية ثانية ، ولم يسمع عنه بعد ذلك .

هوايات جلال الدين الرومى :

شغل جلال الدين بالرياضة ، وشغف باستماع الموسيقى والغناء ، ونظم الاشعار ، وانشادها ، وردد فى كثير منها اسم شمس الدين التبريزى ، ومع انه ـ اى جلال الدين يعتبر اعظم شاعر صوفى فى العالم فقد وقفت على بعض اقوال له فى بعض كتبه ، ويفهم منها بصراحة أنه كان كارها للشعر ، غير مهتم به ، وانه لا يحفل الا للنثر الرصين المتزن ، فمما قاله مثلا « .. ولكنى حساس لدرجة انى اخشى على اصدقائى من الارهاق عندما يأتون الى هنا ، ولذلك أتكلم الشعر حتى اشغلهم به ، والا فمالى وللشعر ؟ انى والله ما اهتم بالشعر ، وما هناك ما هو اسوأ فى نظرى من ذلك . ولكن الشعر واجب على ، مثلما هو واجب على المرء ان يغوص بيديه فى الكرش لينظفها ارضاء لشهية ضيف طابت له الكرش » .

كلمات غريبة تصدر عن رجل قد اتفق العلماء على انه اعظم شاعر صوفى فى العالم . وان اشعاره التى نظمها فى كتبه « التى سيأتى ذكرها » قد حسبت بما يزيد عن الخمسين الف بيت عدا رباعياته التى تزيد على الف وستمائة رباعية .

ومن اقوال ابنه « ابن جلال الدين » عن ابيه قوله « انه لم ينقطع عن السماع للموسيقى ، وعن الرقص ، ولم يسترح قط ، لا فى ليل ولا نهار ، كان مغنيا فأصبح شاعرا ، كان متقشفا فأصبح ثملا بالوجد . ولكنه لم يثمل من خمرة العنب . فان النفس المستنيرة لا تعاقر الا خمر النور » .. وعلى هذا فقد اجتمع اليه المريدون ، فراضهم على طريقته التى عرفت من بعد باسم « المولويه » ولا يزال قسم غير قليل من المولويين فى دمشق حتى الآن يمارسون طريقتهم بحركات أشبه بالرقص ..

وفـاته :

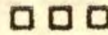
واستمر جلال الدين على تلك الهوايات الى ان توفى فى مغرب يوم الاحد (خامس جمادى الثانية سنة ٦٧٢ هـ ـ ١٢٧٣ م) ودفن بجانب أبيه فى قونية ، وقبره فى القبة التى شادها له علاء الدين السلجوقى . وخلفه فى مشيخته وطريقته ، خدينه ونجيه « حسام الدين جلبى » الى ان توفى هذا سنة (٦٨٣) هجرية ..

من آثار جلال الدين الصوفية :

ترك جلال الدين أثريه الخالدين على الدهر « المثنوى ، والديوان » وتنسب اليه رسالة منثورة اسمها « فيه ما فيه » توجد منها نسخ فى مكتبات استانبول ، أما كتابه ، المثنوى ، فهو منظومة صوفية فلسفية عظيمة تضم (٢٥٧٠٠) بيت من الشعر ، وتقع فى ستة أجزاء ، وهو قوى البيان ، فياض الخيال ، بارع التصوير ، يوضح المعنى الواحد فى صور مختلفة ، وتأتيه المعانى ارسالا ، وفى المنظومة اى « المثنوى » تعليم بين تفسير آية ، وشرح قصة ، وضرب مثل ،

وكله يتصل بمقصده الاخير : حب الله والفناء فيه .. فجلال الدين فى المثنوى أستاذ معلم ، مختلف الاساليب ، يخاطب وينصح ، وينتقل بتلاميذه من فن الى آخر ومن كتاب « المثنوى » اذكر للقارىء المعزيز الابيات التالية :

استمع للناى غنى وحكى — شفه البين طويلا فشكا
اين صدر من فراق مزقا — كى ابث الوجد فيه حرقا
كل ناد قد رآنى نادبا — كل قوم تخذونى صاحبا
ظن كل اننى نعم السمير — ليس يدرى اى سر فى الضمير
ان سرى فى أنينى قد ظهر — غير أن الاذن كلت ، والبصر
ليس بين الروح والجسم حجب — غير أن الروح عنا تحتجب
ان صوت الناى نار ، لا هواء — كل من لم يَصْلَهَا فهو هباء
من راى كالناى سما ودواء — من راى كالناى غما وعزاء
حارت الأيام فى آلامنا — ليس الا النار فى أيامنا
كل ظمآن سوى الحوت ارتوى — من يفته الزاد أعياه المدى
من يمزق ثوبه العشق صفا — وزكا كالدر خلىّ الصدفا
مرحبا يا عشق ، يا خير امل — يا طبيب النفس من كل العلل



كتاب الديوان :

وكتابه « الديوان » فن آخر من النظم ، هو قصائد قصيرة متفرقة ، كل واحدة مستقلة عن الاخرى ، يغلب فيها فورة الشعر وخياله ، اختار لها وزنا خاصا ، وقافية ، وان كانت المعانى متشابهة متقاربة أو متماثلة ، وهى فيض فى العشق والفناء ، وغيرهما من المطالب العالية فى نحو (٤٦) الف بيت .. واليك هذه المقطوعة من « الديوان » قد وضع امامك ، منذ جئت عالم الوجود سلم الخلاص ، كنت جمادا ، فصرت نباتا ، ثم صرت حيوانا ، كيف خفى هذا عليك ؟ ثم صرت انسانا ذا عقل وعلم وايمان ، فانظر اى زهرة صار هذا الجسم الترابى .

واذا جاوزت الانسان تصير ، ولا ريب ، ملكا ، فتترك هذه الارض الى السماء .

جاوز الملكية أيضا ، وادخل ذلك أليم تصير قطرتك بحرا هو مئة بحر .

كتاب « فيه ما فيه » :

استغل الرومي موهبته الروائية فى عرضه وتفسيره لما كان يجيش فى صدره من أمور معقدة فى مذهبه ، وهى طريقة كان قد انتهجها المعلمون ، والكتاب الصوفيون من قبله ، وكانت شائعة عند سائر المفسرين فى الاسلام ، سواء كان موضوعهم شعرا أو فصاحة ، أو اخلاقيات ، أو تاريخا . غير أن الرومى كان راوية للنوادر بالفطرة ، وفيما يأتى نورد بعض هذه النوادر التى وردت فى كتابه « فيه ما فيه » « أخذ رجل يهز شجرة مشمش ، ويأكل ثمرها ، فعنفه صاحب البستان قائلا : الا تخاف الله ؟ فأجاب الرجل : لماذا أخافه ؟ الشجرة لله ، وأنا خادم الله .. خادم الله أكل من ملك الله ..

فصاح صاحب البستان : اليك جوابى اذن : احضروا حبلا ، واربطــوا الرجل الى هذه الشجرة ، واضربوه حتى يبين الجواب جيدا .. فقال الرجل : الا تخاف الله ؟ فأجابه صاحب البستان : لماذا اخافه ؟ أنت خادم الله ، وهذه عصا الله ، وأنا أضرب خادم الله بعصا الله !!

ومن اقوال جلال الدين فى كتاب « فيه ما فيه » هذا القول : « كلا الكافر والمؤمن يعلن حمد الله . فقد أعلن الله تعالى أن كل من يتبع الصراط المستقيم ، ويعمل الخير متمثلا بالشرع والانبياء والاولياء يمنح سعادة وضياء وحياة . أما اذا فعل عكس ذلك ، لقى ظلاما ورعبا وعثرات وعذابا ، وما دام كلا المؤمن والكافر يسلك طريقه ، وما وعد به الله تعالى يتحقق بدقة وبلا زيادة ولا نقصان ، فان كليهما يصرح بحمد الله .. الواحد بلسان والثانى بلسان .

ولنأخذ مثلا بلص سرق فشنق ، انه أيضا واعظ للمسلمين يقول : « هذا مآل من يسرق » ، ورجل آخر خلع الملك عليه ثوب الشرف لبره واستحقاقه . هو ايضا واعظ للمسلمين . غير أن اللص يعظ بذاك اللسان ، والرجل الامين بهذا اللسان » .

ولطريقة الرومى فى العرض نورد مثلا آخر من نفس المصدر : « لنفرض انك البست كلبا طوقا من ذهب . انك لن تعتبره كلب صيد ، لمجرد وضع ذلك الطوق حول عنقه . فصفة كلب الصيد صفة معينة فى الحيوان نفسه سواء كان طوقه طوقا ذهبا أو حبلا .. والرجل لا يصبح عالما بفضل العمامة والقفطان ، بل العلم فضيلة فى جوهره ، ولا فرق اذا كان لباسه عاديا أو رسميا .

اسع وراء الانسانية . ذلك هو المقصد الصحيح أما ما عداه فهو عبث ومضيعة للوقت . واستخدام الحلى اللفظية يذهب بالمقصد .

أحب بائع خضار امرأة ، فأرسل لها مع خادمتها يقول « هذا الشعور يخالجنى ، ويخالجنى ذاك . احبك . يضطرم فؤادى ، ويكتوى بنار الحب ، اتألم من قسوتك واتعذب . امس شعرت بهذا ، وليلة امس مر بى هذا وذاك .. واستطرد فى أوصاف مطولة . فذهبت الخادمة وقالت لسيدتها : « بائع الخضار يبعث بتحياته ويقول لك تعالى لأفعل بك كذا وكذا .. وسألتها السيدة : « أتكلم بمثل هــذا البرود ؟ » فأجابت الخادمة : لقد تكلم بالتطويل . ولكن هذا كان مقصده » . فالمقصد هو لب الامر أما الباقى فمجرد صداع ..

وكثيرا ما تجرأ الرومى فى تعابيره شأن متصوفين آخرين كثيرين كما يبدو ذلك فيما يلى :

« عندما يسمع انســان أن فى مدينــة ما رجلا كريما يوزع العطــايا والاحسانات . فمن الطبيعى أن يذهب اليــه أملا فى الحصول على نصيب من جوده . وما دام جود الله ذائع الصيت ويعلم به كل انسان ، فلماذا لا تستجديه أملا أن يخلع عليك رداء شرف وعطاء سخيا ؟

أنت تجلس متكاسلا وتقول : يعطينى الله ان شاء ، ولا تلح فى الطلب ابدا . أما الكلب وهو الذى لم يوهب العقل والفهم ، فانه يأتيك عندما يجوع ، ويحرك ذنبه كأنه يقول : اعطنى خبزا مما لديك ، وليس لدى منه .. الكلب نفسه يتمتع بادراك الى هذا الحد وانت على أى حال ، لست بأقل من كلب ، يأبى أن ينام على الطوى ، قائلا لنفسه ان شــاء أن يعطينى خبزا فعل ذلك بنفسه .. بل يستعطف ، ويحرك ذنبه .

فهل تهــز ذنبك وترجو الله ؟ ان الرجاء فى حضرة الله الوهاب فرض لازم » .

قادة فتح المغرب العربي

تاليف اللواء الركن محمود شيت خطاب
٣٥٢ صفحة من القطع الكبير
نشرته دار الفتح للنشر والطباعة ــ بيروت

عرض وتلخيص
الاستاذ سعيد زايد بمجمع اللغة العربية

الاستاذ اللواء محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمى العراقى ، والعضو المراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والوزير السابق فى العراق الشقيق . ومؤلف هذا الكتاب ، عالم عربى أصيل ، ملك عليه اسلامه وعربيته كل زمام نفسه ، فأصبح يتغنى بهما فى كل محفل . ويظهر آثارهما فى كل مجال ، وقد ابلى فى سبيلهما فى ميدانى السيف والقلم ، فتطوع فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ حيث عين ضابط ركن اللواء المرابط فى مدينة جنين ، وحارب فى سبيل الحق المقدس ، واشترك فى حروب أخرى ، دفاعا عن العروبة والاسلام ، وله مواقف عسكرية كثيرة تشهد باخلاصه فى ميدان الاسلام ، والذود عن الوطن العربى ، والى جانب ذلك كله اشترك فى أربع وعشرين دورة عسكرية ، ونشر عدة بحوث فى كافة المجالات العسكرية ، وألف بعض الكتب فى ذلك ، مثل كتاب « القضايا الادارية فى الميدان » ، وكتاب « التدريب الفردى ليلا » ، وكتاب « المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم » وهو عمل ضخم صدر منه الجزء الاول ، وجزؤه الثانى فى سبيله الى الظهور ان شاء الله .

وللأستاذ خطاب غير المؤلفات العسكرية ، مؤلفات اخرى جليلة القدر ، فهى أبحاث علمية تظهر ما للاسلام والمسلمين ، وما للعربية والعرب من أثر جليل على الانسانية ، وهذه الكتب هى : الرسول القائد ، قادة فتح العراق والجزيرة ، قادة فتح بلاد فارس ، قادة فتح الشام ومصر ، الفاروق القائد ، المهلب بن أبى

صفرة الازدى ، الاحنف بن قيس التميمى ، قتيبة بن مسلم الباهلى ، طريق النصر ، قادة فتح المغرب العربى فى جزأين .

ويقع الجزء الاول من كتاب قادة فتح المغرب العربى فى ٣٥٢ صفحة من القطع الكبير ، أهداه مؤلفه الى ذى النورين عثمان بن عفان ، وقدم له بالآية الكريمة « قل لله المشرق والمغرب ، يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » ، واستهله بفصل كبير عن البلاد والسكان والتاريخ قبل الفتح الاسلامى وفى أيامه ، ثم عرض حياة سبعة من القادة ، سماهم القادة العامين .

يبدأ الاستاذ خطاب كتابه بالاشادة بحركة التعريب فى المغرب العربى ، تلك الحركة المباركة التى تهدف الى اعادة المكانة السامية للغة القرآن الكريم فى ربوعه ، بعد أن حاول المستعمر فرض لغته ، ثم يتحدث عن بلاد المغرب وهى البلاد التى تبدأ من حدود مصر الغربية الى المحيط الاطلسى ، وكان يسكنها البربر ، وهم أقدم أمة عرفها التاريخ فى الشمال الافريقى ، ولم تكن لهم أديان ثابتة قبل الاسلام ، فقد كانوا وثنيين تارة ، ويهودا تارة أخرى ، واعتنقوا المسيحية فى القرون الاولى ، ثم نسوها حين استعادوا استقلالهم من الروم .

ولم يعرف تاريخ المغرب الا من عصر الفينيقيين ، أما ما قبل ذلك فلم يعرف منه الا القليل ، ويتحدث المؤلف باختصار عن الفينيقيين ، ويذكر أنهم أسسوا مدينة قرطاجنة سنة ٨٤٠ قبل الميلاد فى البقعة التى تسمى الآن بتونس ، وقد قضى الرومان على قرطاجنة فى ثلاثة حروب ، وعاملوا المغاربة معاملة قبيحة ، وخسر المغاربة على أيديهم ما كانوا قد اكتسبوه من حضارة فى عصر القرطاجنيين . وكانت سياسة الروم فى افريقية — كما قلنا سابقا — سببا فى القضاء على المسيحية التى انتشرت بين أهلها ، حيث وقف الاهلون موقف العدو من كل ما يتصل بهم من دين وحضارة ، حتى بدأ نور الاسلام ينشر الويته على ربوع المغرب ، بفضل جنوده البواسل وقادته الشجعان .

وقد ذكر الاستاذ اللواء خطاب ثمانية من القادة ، تحدث عن سبعة منهم ، وأحال القارىء على كتابه « قادة فتح الشام ومصر » لمعرفة أخبار القائد الثامن ، وهو عمرو بن العاص السهمى .

عبد الله بن سعد بن أبى سرح

وأول قائد تحدث عنه بالتفصيل هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى العامرى ، ويكنى : أبا يحيى . وهو أخو سيدنا عثمان بن عفان بالرضاعة . وقد أسلم قبل فتح مكة ، وهاجر الى المدينة ، وكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه افتتن وعاد الى مكة مرتدا ، فأنزل الله فيه آيته الكريمة : « ومن قال سأنزل مثلما أنزل الله » . ورجل هذا شأنه كان من الطبيعى أن يكون من النفر الكفار الذين عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين بقتلهم أينما وجدوا . ولكن عبد الله فر الى أخيه عثمان بن عفان ، الذى غيبه ، ثم أتى به بعد أن اطمأن أهل مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستأمنا ، فصمت الرسول صلى الله عليه وسلم طويلا ، ثم قال : « نعم » . وأسلم عبد الله فى ذلك اليوم . ولقد كان عبد الله يتوارى من الرسول صلى الله عليه وسلم خجلا كلما رآه . ولما سمع المصطفى عليه الصلاة والسلام بذلك قال : « الاسلام يجب ما كان قبله » .

وقد حارب عبد الله مع جيوش المسلمين فى فتح الشام ، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص فى فتوحاته فى مصر ، وكم بعث به عمرو الى أطراف افريقية غازيا فكان له النصر دائما . وولى عبد الله صعيد مصر بعد فتحها من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم ولى مصر كلها من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد عزل عمرو بن العاص ، ثم ولى المغرب وبعد قليل من ولايته استأذن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى غزو افريقية ، وأذن له عثمان بعد استشارة الصحابة وأمده بجيش اشترك فيه الحسن والحسين رضى الله عنهما ، وسمي جيش العبادلة لكثرة من اشترك فيه ممن سموا بعبد الله . وقد لقيه فى برقة عقبة بن نافع فاستولوا على طرابلس . ثم سار جيش عبد الله نحو افريقية والتقى بجيش جرجيرويوس فى موقعة (عقوبة) ، ونشبت بينهما معركة حامية . وأرسل ابن سعد الى ملك الروم يدعوه الى الاسلام أو الجزية فأبى واستكبر ، فاستأنف القائد العربى القتال ، وقوى عضده بوصول مدد عربى بقيادة عبد الله بن الزبير ، وتم للمسلمين فتح افريقية ، وعاد ابن سعد الى مصر بعد أن أمضى بافريقية سنة وثلاثة أشهر . ولكنه رجع اليها مرة ثانية حين نقض أهلها العهد فأرجع للاسلام مجده . ثم انتصر المسلمون فى غزوة (ذات الصوارى) سنة أربع وثلاثين هجرية ، وبذلك بعد خطر الروم عن أرض مصر والشام .

وبعد أن عاد عبد الله بن سعد من تلك الغزوة سنة خمس وثلاثين هجرية عاد بالتالى الى أرض الحجاز ليحضر اجتماع الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه بوزرائه وعماله . وما لبث أن عزل من منصبه بعد مقتل عثمان . ولم يبايع ابن سعد لعلى أو معاوية ، واعتزل الفتنة . ويظهر انه كره الحياة كرها شديدا فدعا على نفسه — ذات ليلة — قائلا : « اللهم اجعل خاتمة حياتى صلاة الصبح » . واستجاب الله لدعائه ، فقبضت روحه قبل ان يسلم على يساره فى صلاة الصبح سنة ست وثلاثين هجرية .

معاوية بن حديج

أما القائد الثانى فهو معاوية بن حديج السكونى . شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص ، وكان موضع ثقته ، فأرسله عمرو الى الخليفة عمر رضى الله عنه ليبشره بفتح مصر والاسكندرية . وحارب معاوية فى بلاد النوبة تحت قيادة عبد الله بن سعد ، فأصيب فى عينه فى احدى المواقع ، وقد غزا ابن حديج افريقية عدة مرات ، كما ذكر المؤرخون ، ثلاثا منها مهمة هى : غزوة أثناء خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وغزوتين فى خلافة معاوية بن أبى سفيان . ويعد ابن حديج أول من غزا جزيرة صقلية سنة ست وثلاثين هجرية .

لقد كان معاوية مجاهدا كبيرا فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، وكان يتمثل دائما بأحد الأحاديث الأربعة التى رواها هو عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والذى يقول : « غدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها » .

وولى ابن حديج مصر سنة سبع وأربعين هجرية من قبل معاوية بن أبى سفيان ، ثم عزل سنة احدى وخمسين هجرية ومات سنة اثنتين وخمسين هجرية . وكان رحمه الله من الثقاة ، واسع العلم ، حازما مقداما . ولقد حاول

جهده أن يبتعد عن الفتن التي وقعت بين المسلمين منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ولكن نيران الفتنة أصابته بشرررها ، فحورب واتهم بما ليس فيه مما لا سبيل الى ذكره الآن .

عقبة بن نافع

والقائد الثالث هو عقبة بن نافع الفهرى القرشى . ولد عقبة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة ، ونشأ فى بيئة ذات طابع عسكرى بحت ، وهو آخر من ولى المغرب من الصحابة ، وقد تولى عقبة بن نافع منصب القيادة فى أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فشهد فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص . وقاد جيش العرب المسلمين الذى فتح زويلة وبرقة ، فولى قائدا لحامية برقة واشترك مع عبد الله بن سعد فى فتوحاته الافريقية ، وأبلى تحت رايته أعظم البلاء . والى جانب هذا كان لعقبة القدح المعلى فى غزو الروم بحرا .

ظل عقبة حاكما لبرقة الى ما بعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى أيام الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وقد استعمله عمرو بن العاص سنة احدى وأربعين هجرية على افريقية ، فغزا قبيلة لواتة التى كانت من أشهر القبائل البربر ، وكانت قد نقضت عهد الصلح أيام معاوية بن أبى سفيان فأبى صلحهم ، وفعل نفس الشىء مع قبيلة هوارة ، وهى من أشهر قبائل البربر . وسار عقبة فى فتوحاته حتى فتح بلاد ودان ، وبلاد فزان ، وبلاد خاور وبلاد كاوار ، ونشر الاسلام فى ربوعها .

وقد حدث أن استعمل معاوية بن أبى سفيان مسلمة بن مخلد الأنصارى الخزرجى على مصر وافريقية ، وعزل عقبة عن افريقية ، وكان ذلك سنة خمس وخمسين هجرية . فعين مسلمة مولاه أبا المهاجر دينارا على افريقية ، فأساء الأخير عزل عقبة وسجنه ، فظل عقبة فى السجن حتى أتاه كتاب من معاوية بن أبى سفيان بالافراج عنه . وعاتب عقبة معاوية فاعتذر له ، وقيل انه وجد معاوية قد توفى . والمهم أنه رجع واليا على افريقية سنة اثنتين وستين هجرية ، من قبل معاوية أو من قبل ابنه يزيد . وكانت الخطوة الاولى بعد ذلك هى سيره على رأس عشرة آلاف فارس الى القيروان ، وغزا أبا المهاجر وقبض عليه واستولى على ماله ، ثم جدد بناء القيروان وعمرها .

وتابع عقبة جهاده فى سبيل نشر كلمة الله ، فخرج مع أصحابه وبكثير من أهل القيروان الى المغرب ، ففتح مدينة (باغاية) ومدينة (تلمسان) ومدينة (أربة) ومدينة (تاهرت) ومدينة (طنجة) ، وكاد أن يفتح الاندلس ، لولا أنه رأى أن ينشر الهداية بين البربر فى بلاد السوس الادنى والسوس الاقصى .

ورأى عقبة بعد ذلك الرجوع الى القيروان ، واطمأن الى الطريق ، حتى أنه أذن لأصحابه بأن يتفرقوا فوجا فوجا ، فلم يكن يدرى أن فى عسكره من أضمر له الغدر والخيانة ، ولكن (كسيلة) الذى كان قد أسلم على يدى أبى المهاجر دينار ، وانضم الى جيش المسلمين ، غلبته العزة بالاثم ، فجمع من الروم من جمع ، وغدر بعقبة ، ومن كان معه من المسلمين وكانوا حوالى ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين ، فاستشهدوا جميعا سنة ثلاثة وستين هجرية ، استشهدوا بعد أن أشعلوا — وعلى رأسهم عقبة بن نافع — جذوة الايمان بين سكان افريقية .

والقائد الرابع هو أبو المهاجر دينار ، وهو مولى الانصارى مسلمة بن مخلد ، وكان من التابعين . وقد ولى أبو المهاجر — كما ذكرنا — افريقية بعد عقبة بن نافع سنة خمس وخمسين هجرية . وكان ذلك مكافأة له من مسلمة بن مخلد . وقد سار أبو المهاجر بجيشه الى قرطاجنة عاصمة الروم فى شمال افريقية ، فأجبر الروم بعد حصار دام مدة على طلب الصلح . ولكن عبقرية أبى المهاجر الحربية أملت عليه أن يكون الصلح باخلاء جزيرة (شريك) ، وبذا حرم الروم من قاعدة كانت تحتشد فيها جيوشهم لماجمة المسلمين ، وتم تطهير المنطقة من أعداء الاسلام . وكذلك تجلت عبقريته الحربية فى اختيار مدينة (ميلة) مقرا له ، بعد أن هزم البربر الذين تحصنوا فيها ، وذلك لموقعها الوسط بين المغربين الادنى والاوسط ، فكانت بذلك أحسن مكان لمراقبة أحوال البربر والروم .

وقد استشهد أبو المهاجر مع عقبة بن نافع ، ونفر كرام من الصحابة والتابعين بلغ عددهم زهاء ثلاثمائة سنة ثلاث وستين هجرية بأرض الزاب بـ (تهوذة) ، فخسر المسلمون بفقده قائدا عظيما ، وداعية دأب على نشر الاسلام بالسياسة والمنطق والحجة البالغة .

زهير بن قيس

أما القائد الخامس فهو زهير بن قيس البلوى ، ولد فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، روى عن بعض الصحابة وروى عنه ، وشهد فتح مصر سنة عشرين هجرية تحت لواء عمرو بن العاص . وقد غزا افريقية ووليها ، واستخلفه عقبة بن نافع سنة اثنتين وستين هجرية على القيروان . وقد أراد مقاتلة كسيلة سنة ثلاث وستين ، ولكن صاحبه حنش الصنعانى انشق عليه عائدا الى مصر ، فاضطر زهير الى العودة ، ولما وصل برقة أقام بها .

وبقى زهير ببرقة حتى استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة ، فحشد لزهير جيشا عظيما سار به لمقاتلة الروم فى افريقية سنة تسع وستين هجرية . والتحم جيش المسلمين بجيش الروم والبربر فى (ممس) ، وانهزم الاعداء وقتل قائدهم كسيلة ، وفتح المسلمون مدينة تونس أيضا . ولقد كانت موقعة (ممس) قصمة لظهر الروم ، اذ قضت على كل آمالهم فى الاستعانة ببعض قبائل البربر والوقوف بهم فى وجه العرب .

ولكن الروم لم ييأسوا وسعوا من ناحية البحر ، وجهزوا مراكبهم وخرجوا من القسطنطينية وجزيرة صقلية ، بعد أن بلغهم نبأ عزم زهير فى العودة الى مصر مع جمع من أصحابه . وأراد الله لزهير الشهادة فلقى الروم فى برقة ، لقيهم بقوة غير متكافئة عددا وجهدا نتيجة سفر طويل شاق ، ولم يتيسر له الوقت لاعداد خطة عسكرية ، أو لتلقى الامدادات من المشرق ، ولكنه لم يجبن ، واندفع هو ورجاله فى أتون المعركة ، فخسروا أرواحهم ، ونالوا شرف الجهاد ، وعزة الاستشهاد سنة احدى وسبعين هجرية .

حسان بن النعمان

والقائد السادس هو حسان بن النعمان الازدى الغسانى . ينسب الى الغساسنة وهم ملوك الشام الذين والوا الامبراطورية البيزنطية قبل الفتح الاسلامى ، ولقد كان حسان من التابعين ، وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان مرموقا عند بنى أمية وغيرهم من المسلمين ، وقد أطلق عليه لقب الشيخ الامين . أمره الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين هجرية بالذهاب الى افريقية . ورأى حسان أن يجهز جيشه فى مصر ، فجهز أربعين الفا من المقاتلين وسار بهم سنة ست وسبعين هجرية ففتح قرطاجنة وبرقة وطرابلس الغرب . ثم انتصر على الروم أيضا فى مدينتى صطفورة وبنزرت . وبذلك تم للعرب تطهير افريقية من الروم وبعض حلفائهم من البربر فى تلك المنطقة . ولكن المسلمين هزموا أمام البربر بقيادة الكاهنة فى موقعة نينى ، وارتد حسان وجيشه الى القيروان ، وظل حسان يضمد جراحه ، ويبعث فى جيشه العزم ويبث فى جنوده روح النصر الى أن أذن الله بأن ترفع راية المسلمين ثانية على أرض افريقية .

موسى بن نصير

اما القائد السابع والاخير فهو موسى بن نصير اللخمى ، ولد سنة تسع عشرة هجرية فى خلافة عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، ونشأ فى بيت يتصل اتصالاً مباشرا بالجندية ، تحت رعاية أبيه نصير اللخمى الذى امتاز بالجرأة والصراحة والورع . وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان تولى موسى بن نصير البحر ، فغزا قبرص ، وبنى فيها بعض الحصون ، وحكمها نائبا عن معاوية ، وشهد موسى معركة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهرى سنة أربع وستين هجرية ، فلما قتل الضحاك وانتصر عليه مروان بن الحكم ، لجأ موسى الى عبد العزيز بن مروان الذى حماه ، وتوطدت بينهما الصلة بعد ذلك ، وفى سنة خمس وستين هجرية عاون موسى مروان بن الحكم فى تملك مصر ، فلما استعمل مروان ابنه عبد العزيز عليها جعل له موسى وزيرا ومشيرا ، ثم عينه عبد الملك ليكون وزيرا ومشيرا لأخيه بشر الذى كان قد ولاه البصرة والكوفة ، وكان ذلك سنة احدى وسبعين هجرية . ولما مات بشر سنة خمس وسبعين هجرية عاد موسى بن نصير الى مصر عند عبد العزيز بن مروان .

وقد تولى موسى بن نصير افريقية والمغرب فى أواخر سنة خمس وثمانين هجرية ، فكان أول ما فعله أن أكمل استعدادات الجيش ، وناقش مطالب الجنود وساوى نفسه بهم . وسار بعد ذلك بجيشه فاستعاد فتح جبل زغوان ، وجعل من منطقة القيروان قاعدة أمينة لتنفيذ خططه الحربية فى الفتوحات الاسلامية . ومنها أغار على قبائل البربر أمثال هوارة وزناتة وكتامة ليؤدبها ، ثم غزا المغرب الاوسط وتبعه بالمغرب الاقصى . وتطلع بعد ذلك الى ولاية طنجة ففتحها بمساعدة مولاه طارق بن زياد ، الذى استخلفه عليها ، حين عاد الى القيروان . وفى طريق عودته فتح مدينة مجانة وكانت قلعة تحصن أهلها مخافة منه . وهكذا خضعت بلاد المغرب جميعها لحكم العرب ، ودخل أهلها الاسلام وتعلم البربر القرآن على أيدى العرب ، وتفقهوا فى الدين على أيديهم أيضا ،

وخاصة بعد التصالح على تسليم مدينة سبتة مع يوليان . ثم اهتم موسى بن نصير بالبحر ، فأصاب صقلية ، وفتح احدى مدنها ، ثم بعث عياش بن أخيل ففتح مدينة أخرى هي سرقوسة . وفتح بعد ذلك سردانية وجزيرتى ميورقة ومنورقة وتم له بعد ذلك الفتح العظيم للأندلس بمساعدة طارق بن زياد وعبد العزيز بن موسى .

وفى سنة ست وثمانين هجرية استدعى الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير الى دمشق . وعزل موسى قبل وفاة الوليد بأيام قليلــة . ولم يكن سليمان بن عبد الملك الذى خلف أخاه الوليد بأقل من أخيه غضبا على موسى بن نصير ، ولذا لم يرده ، الى مكانه فى القيادة .

وبعد ، فهذه حياة سبعة من القادة العامين من قادة العرب المسلمين فى افريقية والمغرب ، عرضناها باختصار من خلال الوقائع التاريخية ، كما وردت فى كتاب الاستاذ اللواء محمود خطاب . وقد عرض الاستاذ اللواء ســيرهم بأسلوب مشرق جذاب رصين البناء بليغ التراكيب وضع لنفسه منهجا ثم التزمه بكل دقة ، فتناول كل قائد بالحديث عن نسبه ومولده ونشأته ، وعن جهاده فى سبيل الله لنشر دين الاسلام ، وعن حياته كانسان ، وما يتخللها من عواطف انسانية وأحاسيس بشرية ، ثم يضع قيادته فى الميزان ، فيتعرض لها تعرض خبير بالفنون العسكرية ، وأخيرا يضعه تحت مجهر التاريخ واحكامه الصارمة التى لا تعرف تحيزا أو ميلا مع الاهواء .

وقد تسلح الاستاذ اللواء محمود خطاب أمام الروايات التاريخية بسلاح المؤرخ النزيه الواعى ، فلم يأخذ كل ما كتب قضية مسلمة ، بل قابل الروايات التاريخية ، بعضها ببعض ، وربط بين الخبر وبين البيئة الاجتماعية ، وما سرى فيها من ظروف اقتصادية ، وبذا استطاع أن يعرض هذه الحقبة من تاريخ الامة الاسلامية عرضا موفقا . وان أخذ عليه شيء فهو بعض التكرار الذى تمثل فى اعادة بعض عبارات بأكملها سبق له كتابتها فى أمكنة أخرى ، وأحسب أن الذى حمله على هذا هو التشابك الذى حصل فى حياة القادة الذين كتب عنهم .

ولقد خلصت من قراءة كتاب الاستاذ اللواء بحقيقة هامة جدا ، وهى أنه من الواجب ألا يكتب تاريخ أبطال الحروب الا من ألم بالثقافة العسكرية ، وتثقف فى تكتيك الحروب ونواحيها الاستراتيجية ، فان المناقشات التى أوردها المؤلف لبعض الانباء الحربية ، وتصويره الدقيق لما يكتنف المعركة الحربية من الجوانب والامكانيات التى كانت فى عهد بطل المعركة ، ليؤيد ما نذهب اليه .

وقد اعتمد الاستاذ اللواء فى اخراج كتابه على مصادر كثيرة ، ولقد كان من الامانة العلمية بحيث لم يترك نبأ تاريخيا عظم أم هزل الا ورده الى أصوله التاريخية . ولقد بلغ من حبه فى الرجوع الى المصادر التاريخية القديمــة أنه اعتمد عليها كلية حين أراد أن يعرف ببعض الاماكن من الناحية الجغرافية ، وحبذا لو أضاف الى هذه التعاريف آراء كتب الجغرافيا الحديثة ، فان ذلك يتمم الفائدة المرجوة ، خاصة وأن اهتمامه بالجغرافيا — وهى مكملة للتاريخ — جعله يورد احدى عشرة خريطة لينير السبيل أمام القارىء .

وقد ذيل الاستاذ كتابه بفهارس تحليلية دقيقة للاعلام والاماكن والقبــائل والملل والنحل ، تشهد بعظم المجهود الذى بذل فى اعدادها ، وتيسر السبل أمام القارىء الذى يريد أن يرجع الى ما كتب عنها .

ولعلنا — أخيرا — نكون قد وفقنا فى اعطاء القارىء الكريم نبذة عن كتاب عظيم وأرجو أن يتاح لنا تقديم جزئه الثانى ان شاء الله تعالى .

الشباب المريض

شباب بآثامه مولع … يضر البلاد ولا ينفع
تراه مدى الدهر مستهترا … عن الاثم والعار لا يرجع
تفسخ من دينه ملحدا … وصار لأهوائه يخضع
وجافى تقاليد آبائه … فهام على وجهه يهمع
وقلد غيرهمو فانبرى … يعمل ما العقل يستبشع
شباب مريض اذا جئته … تراه بآلامه يصرع
تملكه الشك حتى غدا … بكل الحقائق لا يقنع
وبات بأوهامه مثقلا … عن الوهم والهم لا يقلع
يحس الفراغ فتنتابه … مخاوف من ظلها يفزع
شقى غريب بأفكاره … شقاؤه من ذاته ينبع
ضعيف جبان فلا غيرة … لديه ، ولا همة ترفع
ثقافته سخف أهل الهوى … فليس الى غيرهم ينزع

في مجتمعاتنا شباب متمرد
على تقاليده ، وهذه صــورته
كما يراها الشاعر ، نســال
الله لهم الهداية ..
« الوعى »

للاستاذ المدنى الحمراوى
المستشار بوزارة العدل
المملكة المغربية

وقتــــل العقـــــول له غاية ... عليهـــــــا مداركه تطبـــع
يظـــــــل ويمسى عـــلى لذة ... حيـــاته بالاثم مســـــتنقع
تنـــكر للرّوح ـ جهـــلا ـ فلا ... يصــــدق دينــا ولا يتبـــع
اذا ما رأى مؤمنــــــا لم يزل ... يقـــــول : لمن يا ترى يركع ؟
وكيف يصـــــــدق ما لا يرى ؟ ... وما الرب ؟ والغيب والمرجـــع ؟
وهل يعــــبد المرء من لا يرى ؟ ... وهل فيــه ذو فـــكرة يطمع ؟
وما للأنام ســـــوى عيشـــة ... هنــا بدؤها ، وهنــا تقطــع
شـــباب البــــلاد ، الا رجعة ... الى الحق ؟ أم أنت لا تســـمع
الى كم تطـــاوع أهل الهـــوى ... ويخـــدعك المنظــــر الأروع ؟
ويبصرك الغــــرب فى كل حـــين ... بعيش ، له مظهــــر يخـــدع
وباطنه ســـــفه مفــــرط ... وســــم زعاف به يفجـــع
شـــباب البـــلاد على حالـــكم ... بـــكينا ، وهل فى البـــكا مقنع

لالا .. خديجة

محمد فؤاد

قصة من نضال الجزائر
عاش رجالها أروع أيام الحياة

القسم الثاني

تلخيص لما نشر

« كلفت قيادة جيش التحرير الوطنى فى الجزائر — اثناء حرب التحرير — بالاستيلاء على اعلى قمة فى جبال الأطلس ، واسمها قمة « لالا .. خديجة » وكان قائد الحملة — رزق البشير — وهو اسم لشخصية حقيقية عاشت حرب الجبال ، اكبر اخوانه سنا ، وكان تلميذا لابن باديس ، رئيس جمعية العلماء . وهو على علم بتاريخ بلاده ونضالها . وكان الشباب مغرما بسماع هذا التاريخ منه ، وقد قص عليهم لمحات عن الأصل العربى لأهل المغرب ونضالهم ضد الرومان ، وعن تاريخ سيدى (عقبة بن نافع) الذى دفع رايات المسلمين الى المحيط الأطلنطى .. وفى هذه الأثناء دارت معركة بين هذه المجموعة المناضلة ، وطائرة فرنسية استشهدت فيها الشاعرة « رضا » واسقطت طائرة العدو » .



— ١ —

رزق البشير : عبدون .. هل وضعت الألغام عند الطريق فى سفح الجبل . فلا بد أن العدو سوف يرسل حملة لاسترداد القمة ، بعد أن يعرف ما حدث .

عبدون : نعم .. وكشفت أيضا طريق انسحابنا من الجنوب اذا تجاوز العدو منطقة الألغام .

البشير : عندما يعود زميلنا محمد بن المهدى ، بعد أن تصل زهرة وامينة الى بر الأمان سوف أذهب معه بدورى لنكشف الطريق الخلفى ، حتى نعرفه جميعا . وقد أبلغت قيادتنا بما حدث .. وأنا فى انتظار تعليماتها بجهاز اللاسلكى .

صوت : (دقات اللاسلكى) ..

البشير : اكتب يا عبدون .

عبدون : (يقرأ قراءة متقطعة) عزاؤنا فى الشهيدة العزيزة رضا .. سنجمع أشعارها فى كتاب .. وافونا بما عندكم منه .. حافظوا على قمة « لالا .. خديجة » من أجل الوطن .. ومن أجل الشهيدة رضا .. خذوا سلاح الطائرة التى سقطت ان كان سليما — القيادة .

البشير : نعم سنحافظ على القمة العالية .. وانت عندما تذهب لاحضار الطعام من امينة وزهرة ، حاول ان تصل مع ابن المهدى الى مكان الطائرة للمعاينة .

صوت : (يسمع صوت صفارة طويلة ..) .

عبدون : هذه اشارة ابن المهدى .. لقد حضر .

محمد بن المهدى : عادت امينة وزهرة للبلد بقلب كسير .. ان

الشهيدة رضا ، كانت العصفور المفرد ، ولم تعد معها .

البشير : انها معنا دائما . . ان أرواح شهدائنا تعيش معنا .. اقول لكم الحق .. ان أرواح اجدادنا معنا فى كل لحظة يا أولادى .

ابن المهدى : انا احب الآن جبلنا هذا ، أكثر من كل يوم مضى .. يا عم البشير انت سارح فى مكان بعيد .. يا ترى اين ؟

البشير : والله فكرى وخيالى الآن مع موسى بن نصير .. مع طارق بن زياد .. مع آل رستم .. مع الادارسة مع آل الاغلب العظام الذين علموا أوروبا الشىء الكثير .

ابن المهدى : كيف علمناهم .. هل جاءوا الى بلادنا .

البشير : لقد ذهبنا نحن بجيوشنا واساطيلنا البحرية وعلمائنا اليهم .. استولينا على جزيرة مالطة — ونصف كلامها عربى الى الآن — واستولينا على صقلية ، ودخلنا ايطاليا من عند مدينة بارى الحالية .. وكان البابا يدفع جزية سنوية ، ليتفادى غزو روما نفسها ، وذلك فى أوائل القرن الثالث .

عبدون : واظن جاءت دولة الفاطميين بعد ذلك .

البشير : نعم . وقد جمعت هذه الدولة المغرب مع مصر تحت راية واحدة .. واهم من هذا ان الحكم العربى وصل جنوبا الى بحيرة شاد وانهار النيجر والكونجو ، واصبحت افريقية مع الأندلس مركز حضارة عظيمة .

عبدون : معنى هذا ان الاسلام دخل غرب افريقية ، ووصل الى خط الاستواء فى وقت مبكر .

البشير : .. نعم .. نعم .. والفضل فى ذلك للأمراء المرابطين ، الذين اسسوا دولة السنغال ، ومدوا وجودهم جنوب الصحراء الكبرى الى المحيط . ولم يكن مضى على ظهور الاسلام غير خمسة قرون .. أين زميلنا ابن المهدى ؟

ابن المهدى : كل شىء هادىء فى الطرف الغربى ، وان كنت أشم بأنفى رائحة العدو من بعيد على بعد أميال .. ماذا كنتم تقولون ؟

البشير : عبدون يقص عليك دور الجزائر القديم فى الوصول بالاسلام الى افريقيا كلها .. والآن جاء دور الحفصيين .

عبدون : متى حكموا ؟

البشير : من ٧٥٠ سنة تقريبا .. وقت أن كان الصليبيون بقيادة لويس التاسع يهاجمون دمياط ، وقد حبسه المصريون فى المنصورة . وبعد أن عاد مخذولا ، فكر فى أن يجدد حملته عسى أن يظفر بالنصر .

محمد بن المهدى : وهل ذهب الى الشرق مرة اخرى .

البشير : لا .. جاء باسطوله وسفنه وجيوشه الى هنا .. الى بلادنا !!

عبدون : عجيب .. وماذا حدث ؟

البشير : هزمناه .. ولم نأخذه هذه المرة أسيرا ، ولكن دفناه مع جيشه تحت أرضنا ..

عبدون : .. وهكذا ربط التاريخ منذ الأزل بين مصر والجزائر فى معركة واحدة .

البشير : ولم تكن الحرب وحدها هى صناعتنا .. فمن ٦٠٠ سنة ، أقام ابن خلدون المفكر العظيم فى قلعة بنى سلامة ، جنوبى وهران ، وكتب مقدمته المشهورة ..

والآن هيا بنا نكتشف طريق الجبل الجنوبى ، وفى وقت آخر اقص عليكم قصة اعظم رجال البحر فى تاريخنا كما أوصتنا الشهيدة رضا ..

الجميع : رحمة الله على الشهيدة الف رحمة ...

عبدون : سوف أنزل لاحضار صندوق الطعام من امينة وزهرة ، وتعليمات القيادة ..

البشير : احذر من موضع الألغام ..

● ● ●

— ٢ —

صوت : (ريح تهب هادئة .. مع موسيقى خفيفة)

عبدون : (محدثا نفسه) .. نتوكل على الله ، وننزل

صوت : (صفارة طويلة رفيعة .)

عبدون : (يمسك سلاحه فى سرعة .. ويحدث نفسه) لا بد أن العدو عرف مكاننا واشارتنا .

امينة : عبدون .. عبدون .. لا داعى للسلاح !.

عبدون : (فى دهشة) امينة .. ماذا جاء بكما ؟. التعليمات الا تحضرا الى هنا مرة اخرى .. وكيف نجوتم من الألغام .

زهرة : رأينا مكانها وانت تضعها ، وتفاديناها .. وقد جئنا ببعض الزهور البرية نضعها على قبر اختنا رضا .. كانت تحب هذه الزهور .

عبدون : وما هذا الحبل الذى فى ايديكم ؟

امينة : ساعدنا .. لقد ذهبنا الى مكان الطائرة واحضرنا منها السلاح السليم ؟!

عبدون : يا الهى .. هذه مخاطرة عظيمة .

زهرة : وجدنا فى جيب قائد الطائرة مفكرة لم تحترق ، وفيها كلام كثير ، ربما تستفيد منه القيادة .

عبدون : البشير ، وابن المهدى قد وصلا .

البشير : (يرى الفتاتين) ماذا ارى ؟ زهرة وامينة هنا مرة أخرى ؟!!

امينة : واحضرنا تعليمات القيادة وسلاح الطائرة .. هدية مناسبة .

رزق : بلد فيه نساء مثلكن لن يهزم باذن الله أبدا . سأدخل المغارة لأنام قليلا .

● ● ●

صوت : (دقات ساعة متوالية ..)

صوت جماعى منخفض : الله ينصر سى خالد .. الله ينصر سى خالد .

البشير : (يظهر من المغارة فى دهشة) يا له من حلم .. كأنى كنت أسمع هتافا قديما أيقظنى من النوم .

الصوت الجماعى : (كالسابق) الله ينصر سى خالد .. الله ينصر سى خالد .

زهرة : انا اصغركم يا عم البشير .. ما حكاية سى خالد هذه .

البشير : تسمعونها ، ام تسمعون ابطال البحر .

الفتاتان : (فى صوت واحد) الاثنين .

البشير : امرى لله .. الأمير خالد يا اولادى هو حفيد بطلنا العظيم ، الأمير عبد القادر الجزائرى ، وفى

مرة رشح نفسه فى الانتخابات البلدية لمدينة الجزائر .. وكانت هذه فرصة للشعب يعبر عن نفسه بهذا الشعار : الله ينصر سى خالد . فجن جنون الاستعمار .

زهرة : ماذا عمل ؟

البشير : اصدر قرارا بأن الأمير خالد الجزائرى ليس جزائريا ، وحرموه من حق الترشيح ، ولكن الشعار ظل باقيا علامة المقاومة الوطنية .

الجميع : الله ينصر سى خالد .. الله ينصر سى خالد ..

ابن المهدى : وحكاية أبطال البحر ؟

البشير : نعم يا اولادى .. من ٤٥٠ سنة استولى الأتراك العثمانيون على مصر ، وانتقلت اليهم الخلافة . فطلبت الجزائر ان تنضم تحت راية الخلافة ، وهى أول مرة ترضى بلد بهذا الانضمام الاختيارى . وفى هذه الفترة كان المسلمون فى الأندلس يشهدون أيامهم العصيبة الأخيرة ، فى وجه موجة من المظالم التى لم يسمع بمثلها .

عبدون : محاكم التفتيش !

البشير : نعم .. وحتى يساعدهم المسلمون ، ذهب اثنان من قواد البحر العثمانيين . بابا عروج ، واخوه خير الدين ، على رأس حملة بحرية ، لانقاذ المسلمين فى الأندلس ونقلهم الى افريقية . ووقعت بعض بلاد ساحلنا فى أيدى الاسبان ، فساعد الاخوان على طرد الاسبان منها .. ولم تبق الا المؤامرة ، فقد كان بابا عروج فى بلدة تلمسان ، ففاجأه الاسبان وقطعوا راسه ، وطافوا بها جميع مدن اسبانيا .

امينة : يظهر ان غلهم منه لم يشف الا بهذه الطريقة .

البشير : وواصل اخوه خير الدين العمل ، وحصل من السلطان سليم الأول على مدد ، صد به هجوما اسبانيا طليانيا فرنسيا عن شواطئنا يشبه الهجوم الصليبى على بلاد المشرق تماما ، وكان ذلك فى القرن السادس عشر .

زهرة : اى ان اوربا كلها كانت ضدنا ..

البشير : ونضيف لهؤلاء المانيا . فقد أرسل امبراطورها شارل الخامس حملة هائلة لاحتلال الجزائر ولكن الجزائر تحت قيادة حسن بن خير الدين هزمتهم . وذلك بعد ان استدعى السلطان العثمانى خير الدين وعينه قائدا عاما لاسطوله .

عبدون : وماذا حدث بعد ذلك .

البشير : حدث امر لا يدور على خاطر انسان .. اخذت الجزائر تعد مشروعا كبيرا لاستعادة الأندلس بعد تخليص البلاد من مواطىء اقدام الاسبان .

زهرة : هذا مشروع ضخم .

البشير : وعرف البابا فى روما بالأمر ، فحشد أكبر تجمع أوروبى ، وضم كل أساطيل الدول الأوروبية تحت قيادة واحدة ، وهاجم الأسطول العثمانى فى بلاد اليونان . ولكن الجزائر كونت أسطولها ، واخذت تهاجم ، وتتحكم فى الطرق البحرية للبحر المتوسط ، حتى ان الشاعر الاسبانى سيرفانتس وقع فى أسرنا .

امينة : الذى الف قصة دون كيشوت ؟..

البشير : نعم .. وظل فى أسرنا سنوات .. وظلت دول أوربا تدفع جزية ، ورسوم مرور للجزائر . ولما ارادت الولايات المتحدة ان تقتحم البحر المتوسط عنوة ، فى عهد جورج واشنطن ، خرجت لها سفن الجزائر

فى المحيط الاطلنطى ، ولقنتها درسا ، فاضطرت الى دفع الجزية أسوة بغيرها ، وكانت جزيتها مليون دولار فى السنة .

عبدون : ومتى كان هذا ؟

البشير : فى العام الذى كانت مصر فيه تهزم حملة الانجليز بقيادة فريزر ، كانت الجزائر تهزم أسطول الولايات المتحدة وذلك من عام ١٨٠٥ الى عام ١٨٠٧ م .

زهرة : لقد ملأنا هذا التاريخ فخرا بأجدادنا وبلادنا .

البشير : والآن يا بناتى انزلوا .. وعليك يا امينة أن تلبسى ملابسك الوطنية ، وتسلمى مفكرة الضابط الفرنسى للقيادة عن طريق نقطة الاتصال .

امينة : لا داعى لأن يصحبنا احد ، فقد عرفنا الطريق .

● ● ●

— ٢ —

عبدون : يا جماعة .. يا جماعة لمحت بالنظارة نقطا سوداء تتحرك .. العدو يتقدم نحونا من ناحية السفح الشرقى .

البشير : كم يمر من الوقت على وصولهم لمكان الألغام ؟

عبدون : خمس دقائق .. هذا محمد بن المهدى .

ابن المهدى : رأيتهم أيضا قادمين من الطريق الجنوبى .

البشير : اذن سدوا طريق انسحابنا .. حسنا .. بكم تقدرون عددهم ؟

عبدون : حوالى ٢٠٠ عسكرى وضابط نصفهم فى الطريق الأمامى والباقى من الخلف .

البشير : عبدون وابن المهدى انتبهوا للطريق الأمامى ، وانسفوه عند وصولهم تماما .. وسأذهب انا لنسف الطريق الجنوبى كله بالقنابل اليدوية .

عبدون : وحدك ؟. سوف تنهار عليك الصخور .. ان اى انفجار فى الجنوب يؤدى الى هذا .

البشير : حسنا يا بنى .. وماذا يحدث أن اذهب انا الى لقاء ربى ، ومعى مائة من اعدائنا . .سأسوقهم مكبلين بظلمهم امام عزة الله وجلاله .

صوت : (كلاب تنبح من بعيد) .

البشير : لقد اقتربوا .. استودعكم الله .

عبدون : سوف آتى

البشير : ولا كلمة .. نحن فى معركة (يعانقهم) .

عبدون — ومحمد بن المهدى : مع سلامة الله .. كتب الله لك السلامة

البشير : ولكم يا أولادى .

عبدون : بقيت ستون ثانية على اشعال فتيلنا .. هيا اشعل .

صوت : (انفجار ضخم .. وانهيار متكرر .. وصيحات جنود وعواء كلاب) .

ابن المهدى : هذه تنابل عمى البشير .. يا له من بطل .

صوت : انفجار ثان ..)

عبدون : ونجحنا نحن ايضا والحمد لله .

صوت : لاسلكى .. دقات متوالية .

عبدون : بلاغ من القيادة .. اليوم ٣ يوليو سنة ١٩٦٢ تنزل جميع اعلام فرنسا .. وترتفع أعلام الجزائر .. يوقف القتال فى جميع الميادين .

ابن المهدى : هذا علمنا .. نرفعه .. نرفعه عاليا .. فوق « لالا .. خديجة » .

الصدى : (يدوى) « لالا .. خديجة — لالا .. خديجة » .

الفتاوى

السؤال :

١ ــ هل تجب الزكاة على الاوراق النقــدية المتداولة بين الناس وهل ما يجرى عليها يجرى على الشيكات ؟
٢ ــ هل يجوز لخطيب الجمعة أن يخطب بغير العربية ان كان المصلون لا يفهمون العربية ؟
٣ ــ هل يجوز الاقتداء بالامام عن بعد بواسطة صوت المبلغ ؟
(م٠ أ ــ السودان)

الاجابة :

□ عن الاوراق النقدية وهى المعروفة (بالبنكنوت) فان التعامل بها من قبيل الحوالة على البنك فمالكها يملك قيمتها دينا على البنك والبنك مدين قوى ومستعد للدفع فورا ، ويمكن صرفها فضــة او ذهبا فيجب فيهــا الزكاة . اما الشيكات فمنها ما هو على البنك بمعنى أن البنك مستعد لدفعها فورا وهذه تأخذ حكم الاوراق النقدية ، ومنها ما هو على الافراد الذين لهم حسابات بالبنك وهذه لا تدفع زكاتها الا اذا قبض قيمتها من البنك فعلا او اضيفت الى حسابه ان كان له حساب فى البنك .

ومن ثم فيجب فى الاوراق النقدية والشيكات . الزكاة بشرط ان تتوافر فيها شروط الزكاة من تكامل النصاب وحولان الحول وفيها ربع العشر .

□ أما عن خطبة الجمعة : فقد ذهب الاحناف الى أن خطبة الجمعة تجوز بغير العربية ولو لقادر عليها سواء كان القوم عربا أو غيرهم ، وقال الحنابلة لا تصح الخطبة بغير العربية ان كان قادرا عليها ، فان عجز عن الاتيان بها اتى بغيرها مما يحسنه سواء كان القوم عربا أو غيرهم ، لكن الآية التى هى ركن من الخطبة لا يجوز له ان ينطق بها بغير العربية ، فان عجز سكت بقدر قراءة الآية ، وقال الشافعية : يشترط أن تكون أركان الخطبتين باللغة العربية ولا يكفى غيرها متى أمكن تعلمها فان لم يمكن خطب بغيرها هذا اذا كان القوم عربا أما ان كانوا عجما فانه لا يشترط أداء اركانهما بالعربية مطلقا ما عدا الآية فلا بد أن تكون بالعربية ، فان عجز فعليه أن يثبت بقدر قرار الآية .

□ أما عن الاقتداء عن بعد : فانه متى اتحد المكان وتمكن المأموم من ضبط افعال امامه رؤية أو سماعا ، صح الاقتداء ، وصحت صلاته بشرط الا يكون بين الامام والمأموم حائل .

السؤال :

عندما اقوم بتادية الصلوات الخمس جماعة أو منفردا أتضايق من انفلات الريح ، فقد يؤدى احيانا الى انتقاض وضوئى وانا فى الصــلاة ، وقليل جدا التغلب على هذا ، علما بانى اتوضا لكل صلاة ويحدث هذا عندى بنسبة لا تقل عن ٨٠ أو ٨٥٪ .
فما حكم صلاتى فى هذه الحالة ؟
(ع٠ س ــ جدة ــ المملكة العربية السعودية)

الاجابة :

لا حرج ولا مشقة فى الدين قال تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقال : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » والقاعدة الاصولية « الضرورات تبيح المحظورات » فكل شيء فيه عسر وحرج لا يجب على المكلف فعله ، ومن ذلك المرضى بسلس البول الذين يتقاطر البول منهم معظم الوقت أو كله ، وكالمرضى بانفلات الريح الى غير ذلك من الامراض التى لا يمكن التحرز منهـــا ، فهؤلاء يعاملون فى الوضوء وسائر انواع الطهارة معاملة خاصة تتناسب مع أمراضهم وتجعلهم يتمكنون من القيام بما هم مطالبون به من فرائض .

ولقد ذهب جمهور من العلماء الى أن المعذور يجب أن يتوضأ لوقت كل صلاة ولا ينتقض الوضوء الا بناقض آخر غير الحدث المريض به ، كمـــا يجب عليه الموالاة بين افعال الوضوء بعضها مع بعض وبين الوضوء والصلاة ، وأن تكون الاعمال كلها بعد دخول الوقت . وله أن يصلى بالوضوء الواحد مع الفريضة ما شاء من النوافل قبل وبعد — وينوى عند الوضوء الاستباحة لا رفع الحدث لأن وضوءه لا يرفع حدثا وانما يبيح له العبادة فقط .

السؤال :

توفى رجل عن : اخ لأب ، ثلاث بنات ، زوجة ، ابن اخ شقيق . فمـــا نصيب كل وارث ؟

(ا٠ م٠ غ — عدن الجنوب العربى)

الاجابة :

بوفاة المتوفى المذكور عن المذكورين يكون توزيع تركته على النحو التالى : للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث ، وللبنات الثلثان فرضا بالتســـاوى بينهن — والباقى للأخ لأب تعصبا ، ولا شيء لابن الأخ الشقيق لكونه انزل درجة من الأخ لأب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين يكون على المتوفى .

السؤال :

توفيت امرأة عن : زوج هو ابن عم شقيق لها ، وابناء عم شقيق غير زوجها ثلاثة ذكور وثلاث بنات .
فما نصيب كل وارث ؟

(خ٠ ع٠ م)

الاجابة :

بوفاة المرأة المذكورة عن زوجهـــا وأبناء عمهـــا المذكورين ، يكون توزيع تركتها على الوجه الآتى :

للزوج النصف فرضا لعدم الفرع الوارث ، والباقى وهو النصف لأبناء عمها الاربعة بما فيهم زوجها ما داموا بدرجة واحدة تقسم بينهم مرابعة تعصبا ولا شيء لبنات الاعمام لأنهن من ذوى الارحام ، فالزوج يأخذ النصف بطريق الفرضية وربع النصف الباقى بطريق التعصيب ، وذلك بعد نفاذ وصية وقضاء دين . والله اعلم .



اشراف رضوان البيلي

مرور (١٤) قرنا على نزول القرآن الكريم :

تميز شهر رمضان هذا العام على رمضانات السابقة التى عاشتها الأجيال المسلمة المعاصرة ـ بأنه كان متمما للقرن الرابع عشر على بدء نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد احتفلت الأقطار الاسلامية بهذه الذكرى العزيزة الغالية ، فكتب الكتاب فى الصحف والمجلات ، وتحدث المتحدثون فى الاذاعة والتلفزيون عن القرآن الكريم وأثره فى حياة البشرية ، وكان طابع الكتابة والأحاديث طابعا وصفيا تاريخيا . لم يتجاوز هذه العبارات المألوفة (كان العرب قبل الاسلام فأصبحوا بالاسلام .. وكانت البشرية قبل القرآن ثم صارت بعد القرآن) وأحيانا يناشد الكاتب والمتحدث المسلمين العودة الى كتاب الله فى كلمات مجملة طالما رددها خطباء الجمعة .

ومرت الذكرى وانتهت الاحتفالات كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر ، وقد كنت اتوقع أن يسفر الاحتفال بهذه الذكرى عن نتائج عملية ايجابية فى واقع المسلمين وحاضرهم فما رايكم ؟ وهل فاتت الفرصة ، وماذا تقترحون ؟

(م ـ س ـ طالب بمعهد الكويت الدينى) .

....

كانت هذه المناسبة يا سيدى ولا تزال فرصة مواتية أمام الغيورين على الاسلام والمسلمين للقيام بعمل أكثر جدية وايجابية من كل ما نشر أو قيل ، ومن كل ما ينشر أو يقال مما يتسم بطابع التمدح بالأمجاد والتغنى بجهود السابقين ، وترداد كان وكنا ، والاكتفاء بالجمود والتلفت الى الوراء دون التحرك والتطلع الى الأمام ، ولعل ذلك راجع فيما يبدو الى أن التنبه الى هذه الذكرى جاء متأخرا ، ومن ثم لم يكن الوقت كافيا لاخراج الاحتفال بها اخراجا يتناسب مع ما لها من مكانة ومنزلة ، وما يتكافأ معها من ثمار ونتائج . على أن هذه الفرصة كما قلت لم تنته بعد وأنها لا تزال سانحة أمام المسلمين للقيام بعمل ايجابى يغير حاضر المسلمين ويتغلغل فى صميم حياتهم . .

وقبل أن يستطرد بنا الحديث ونتورط فيما تعيبه يا سيدى من الوقوف عند القول المجرد الذى لا يلبث أن يتبخر فى الهواء ـ نؤكد أن العمل المرجو لا ينهض به فرد أو أفراد ، وانما يحتاج الى جهود متواصلة يتوفر عليها جماعات وهيئات علمية ضخمة على مستوى اسلامى عالمى . وهذه الهيئات التى

يشترك فيها أقطاب الفكر الاسلامى تجتمع على هيئة مؤتمر . ينقسم الى عدة لجان : لجنة الأقتصاد الاسلامى ، ولجنة القانون الاسلامى ، ولجنة التربية الاسلامية ، ولجنة الحكم الاسلامى . .الى غير ذلك من اللجان التى يقررها المؤتمر لتسد حاجة المجتمع الاسلامى النظيف ، ويعهد الى كل لجنة من هذه اللجان بانجاز مشروع محدد المواد واضح الأهداف متلائم مع تطور الحياة مستقى من الكتاب والسنة ، ويقوم هذا المؤتمر بعد انجاز هذه المشروعات برفعها الى الحكومات الاسلامية المختلفة لتطبيقها وتنفيذها .

هذا نموذج لما أراه واجبا على المسلمين فى كل وقت وخاصة فى هذه المناسبة الكريمة ، وفى هذه الظروف التى يعانى فيها المسلمون مرارة الانحراف عن كتاب الله ، ولدى الغيورين على الاسلام ، والمسلمين مناهج جادة متنوعة للاحتفال بهذه المناسبة العزيزة التى لا تتاح الا لأحفادنا واحفاد أحفادنا .

الحجر الأسود ومقام ابراهيم :

وردا على رسالة مستفيضة من النيجر بعث بها الأخ محمد الهادى استودعها أشواقه مع عدد من اخوانه لأداء فريضة الحج هذا العام وزيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، واستفسر فيها عن أصل الحجر الأسود وعن مقام ابراهيم وهل يضم رفاته كما يشيع عندهم نقول لصاحب الرسالة :

انه قد وردت عدة روايات مختلفة فى الحجر الأسود : قيل جاء به جبريل عليه السلام من السماء ، وقيل جاء به من الهند حيث هبط به آدم من الجنة ، وقيل أحضره من جبل قبيس ، ويروى أنه كان أبيض ناصعا يكاد سنا ضوئه يخطف الأبصار ، فسودته انجاس الجاهلية وخطايا الناس ، وليس فى وسع المؤرخ المحقق أن يقطع بشىء من هذا الروايات .

وجاء فى قصة بناء البيت التى رواها المؤرخون على وتيرة تكاد تكون واحدة أن ابراهيم عليه السلام زار ابنه اسماعيل للمرة الثانية بعد أن شب وتزوج ، وقال له : يا اسماعيل ان الله امرنى أن أبنى بيتا هنا ، وأشار الى أكمة مرتفعة عما حولها ، وتعاون الوالد والولد على البناء ، فكان اسماعيل يجىء بالأحجار وابراهيم يبنيها حتى ارتفع البناء الى قرابة قامة الرجل ثم جاء جبريل بالحجر الأسود ووضع مكانه .

وأما مقام ابراهيم فقد ورد عنه فى القرآن الكريم قول الله تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وقوله سبحانه « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم . . » . . وليس مقام ابراهيم هذا قبرا يضم رفات الخليل عليه السلام ، وانما هو ـ كما قال ابن كثير ـ الحجر الذى استعان به على رفع قواعد البيت وجدرانه حيث كان يقف ، ويناوله ابنه اسماعيل ، وقد كان ملتصقا بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى امارته الى ناحية الشرق ليتسع المكان للطائفين .

ونظرا لتضاعف عدد من يؤم البيت الحرام لأداء فريضة الحج أضعافا مضاعفة عما كان عليه فى الماضى حتى أصبح المسجد الحرام يضيق بالوافدين على رغم من التوسعة العظيمة الأخيرة ، وهذا الزحام يشتد فى الجزء الذى يقع فى المكان بين الحجر الأسود وبين مقام ابراهيم ، رأت المملكة العربية السعودية ـ تحت هذه الضرورة الملحة ـ حل هذه المشكلة ، فأزالت البناء القائم على بناء ابراهيم ، ووضع بدلا منه صندوق بلورى قوى سميك على قدر الحاجة فقط وبارتفاع مناسب لئلا يتعثر به الطائفون ، وقد نفذ هذا العام ، وأقيم بهذه المناسبة احتفال فخم مهيب .

بأقـــلام القـــرّاء

الاقتصاد التعاونى فى الاسلام

جاء فى مقال للأستاذ عبد الحميد الحلبى بالمصرف الصناعى بحلب بهذا العنوان ما يلى :

يقوم الاقتصاد التعاونى فى الاسلام على مبادىء ديموقراطية بناءة لتحقيق العدالة الاجتماعية بين الافراد وفق مبادىء الحرية الفردية المنظمة ، بعيدا عن جشع النظام الرأسمالى ، وتطرف النظام الشيوعى ، وكلمة تعاون محببة للنفس البشرية ، جميلة فى لفظها ، جليلة فى معناها ومغزاها ومرماها ، ولذلك سطعت شمس هذا النظام مع بزوغ فجر الحضارة الانسانية ، واستمد قوته من اشهار سلاحه فى وجه الانانية الفردية ، وهو فى الوقت ذاته سبيل الى التقارب فى النفوس ، والتآلف فى الشعور الموحد ، وبث الروح التعاونية الجماعية واستثمار كامل للطاقات والجهود الانسانية الصادقة فى خدمة الخلية الاجتماعية ، وصهر القطاع العام والقطاع الخاص فى قالب واحد يعاضد بعضه بعضا .

ويمكن تلخيص بنيان الاقتصاد التعاونى فى الاسلام بما يلى :

١ ــ اعتبار المال الصالح قوام الحياة وعصبها الحساس ، ووجوب الحرص عليه ، وحسن تدبيره وتثميره بما يعود على المجموع بالخير والسعادة .

٢ ــ كفاية المحتاج بتأمين وسائل الكسب الطيب من أفراد وجماعات ومؤسسات وجمعيات .

٣ ــ تحريم موارد الكسب الخبيث ، حتى لا تفسد النفوس ، وتأكل لحوم أبنائها .

٤ ــ تقريب التفاوت بين الطبقات ، بحيث يقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع .

٥ ــ الضمان الاجتماعى لكل مواطن ، وتأمين حياته والحرص على سعادته .

٦ ــ فرض التعاون بين جميع المواطنين ، والحث على الانفاق فى الوجوه المشروعة .

وبذلك يكون الاقتصاد التعاونى الاسلامى هو النظام الوحيد الذى استطاع ــ بكل هدوء وحكمة ورزانة ــ أن يوجه الشعب توجيها كريما انتاجيا يحفزه لاستخراج المكنونات والطاقات المستترة ، واثارة المواهب الانتاجية وبالتالى توزيعها على الافراد توزيعا عادلا يؤمن رفاهية جميع أفراد الدولة من مسلمين وغيرهم ، حتى لم يبق فى الدولة الاسلامية الرحيبة فقير يقبل الصدقات ، فانهارت الطبقات بنفسها ، وأصبح المجتمع الاسلامى الكبير اشبه بالطبقة الواحدة المتراصة الاجزاء والاطراف .

التيار الغربى واثره على المجتمع الشرقى

وتلقينا من الاستاذ محمد أحمد محمد ابراهيم مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

كان للتيار الغربى أثر كبير على مجتمعنا الشرقى ، فغير فى افكار البعض

وعقائد الآخرين مما نتج عن ذلك تفسخ اخلاقى ، وانحطاط فى السلوك لدى بعض شبابنا وشاباتنا ، ولقد كان للمرأة النصيب الاوفى فى ابراز ودعم وتزيين هذا التيار لما يكمن فيها من مظاهر الاغراء والجاذبية .

ان فضائح الغرب الجنسية التى هزت الانسانية هزا ، لهى اكبر حجة ممكن ان تلقيها على مسمع فتياتنا الشرقيات وعلى الاخص العربيات حفيدات خولة والخنساء (ها هى ممثلة الاغراء العالمية التى قامت بدور البطولة فى كثير من الافلام العالمية وقد حصلت على شهرة لم تحصل عليها ممثلة مثلها ، نجدها تمر فى مأساة مرة وحادة نغصت عليها عيشها واقضت مضجعها وحرمتها من نعيم الحياة الباذخة ولذة المجد) .. تجدها تكتب وصيتها الى كل فتاة تطلب المجد عن طريق السينما والشاشة البيضاء .. « احذرى المجد .. احذرى كل من يخدعك بالاضواء .. انى اتعس امرأة على هذه الارض .. انى امرأة افضل البيت .. الحياة الشريفة على كل شىء .. ان سعادة المرأة الحقيقية فى الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل ان هذه الحياة العائلية لهى رمز سعادة المرأة » .

وتقول فى نهاية وصيتها « لقد ظلمنى كل الناس .. وان العمل فى السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة .. انى انصح الفتيات بعدم العمل فى السينما والتمثيل ان نهايتهن كنهايتى ان كن عاقلات » .. وانتحرت تخلصا من العار وهروبا من الفضيحة والحياة التعيسة لأنها لم تستطع أن تحقق لها سعادتها . فهل تعى ذلك بناتنا ونساؤنا .

العالم الاسلامى غنى

وكتب السيد عبد اللطيف الخميس من تطوان تحت هذا العنوان يقول :

يشكل المسلمون ٢٢٪ من سكان العالم تقريبا ، والقارة الوحيدة التى يمكن أن تسمى قارة اسلامية هى افريقيا لأن فيها ما لا يقل عن (١٥٠) مليون مسلم من مجموع السكان البالغ عددهم (٢٥٠) مليون نسمة ، وفضلا عن الطاقات البشرية الهائلة للمسلمين فان بلادهم تعتبر من اغنى بلاد العالم واوفرها ثروة ، وعلى الرغم من الفترة الطويلة التى رزح المسلمون فيها تحت نير الاستعمار فانهم يقومون بدور فعال فى اقتصاديات العالم ، وفى الارقام التالية التى اخذ معظمها من بحوث واحصائيات الامم المتحدة لسنة ١٩٦١ أكبر دليل على اهمية هذا الدور وايجابيته .

٢٦ ٪ من نفط العالم يستخرج من البلاد الاسلامية .
٩٠ ٪ من نفط روسيا يوجد فى الاقسام الاسلامية جنوب تركستان .
٦٦ ٪ من نفط العالم الذى لم يستخرج موجود فى البلاد الاسلامية وخاصة الكويت والسعودية وايران والعراق .
٧٠ ٪ من المطاط الطبيعى يستخرج من الملايو واندونيسيا ونيجيريا .
١١ ٪ من الالومنيوم .

ومع أن رقعة الوطن الاسلامى اكثرها صالح للزراعة ولم يستصلح منها الا القليل فاننا ننتج :

٩٣ ٪ من التمر ، ٥٦ ٪ من زيت البلح ، ١٠ ٪ من الحنطة ، ١٤ ٪ من الارز ، ١٣ ٪ من الذرة الصفراء ، ٧٣ ٪ من الشعير ، ٢٣ ٪ من الكاكاو ، ١٠ ٪ من الشاى ، ٥ ٪ من البن ، ٢٤ ٪ من الفول السودانى ، ٩ ٪ من السكر ، ١٣ ٪ من القطن .

وتستخرج كذلك (٥٠٤١٠٠٠) متر مكعب من الغاز الطبيعى و (٦٦٠٣٠٠٠) طن من الفحم ، و (٣٧٥٠٠٠) طن من الحديد .

قالت صحف العالم

نشرت مجلة (القبس) الجزائرية مقالا بهذا العنوان جاء فيه :

ان المسلمين الأوائل لم ترهبهم قوة الفرس ولا قوة الرومان عندما آمنوا بعقيدتهم واعتمدوا على أنفسهم مجابهين لأكبر القوى البشرية والمادية فى ذلك الوقت ، انهم كانوا يعتزون ببساطتهم ويثقون بأنفسهم وهم يعلمون أن العدو أكثر علما وعددا وتنظيما ، وانما شعور المسلم بمسؤوليته فى المجموعة التى ينتمى اليها واعتماده على امكانياته الذاتية هو الذى حقق له الانتصار والسيادة فى ذلك التاريخ ، ولذلك عندما بدأ المسلم يفكر فى نفسه ويعتمد على غيره ويحاول أن يعيش هو لا أن يعيش الآخرون من بنى مجتمعه كانت الكارثة على يد الذين جاءوا معتمدين على أنفسهم وهم التتار فى كارثة بغداد عندما كان خليفة المسلمين فى ذلك الوقت يقول : ان بغداد تكفينى وأسرتى ولم ينتبه الا وقد ذهب هو وأسرته وبغداد أيضا ، وانهار نظام اجتماعى كامل نتيجة للتواكل والاعتماد على الغير والتهاون بالمسئولية فى المجتمع .

واذا نحن لم نتعظ بالتاريخ البعيد فلننظر الى تاريخ بلادنا الى ثورة نوفمبر بالذات ان أسباب النصر فيها كانت ذاتية أكثر منها خارجية أن الذين بدأوا الثورة فى أول نوفمبر ببنادق الصيد ضد الجيش المجهز بالمدافع والدبابات والطائرات وكل وسائل الحروب المادية والنفسية لو لم يكونوا قد اعتمدوا على امكانياتهم الذاتية وايمانهم العميق بالنصر وانتظروا الى أن يصبحوا فى مستوى الجيش الذى يريدون محاربته لما بدأت الثورة ولما تحررت الجزائر اليوم ، وهذا هو الذى نشاهده فى كل محاولة للانتصار .

....

اليهود .. اليهود ..

ومن مقال نشرته مجلة « حضارة الاسلام » الدمشقية تحت هذا العنوان نقتطف ما يلى :

ان أخلاق اليهود كما جاء فى كتبهم وفى القرآن فساد فى فساد .. ضيق بالحق ، وايمان بالباطل ، والشهوات تتنزى من أجسامهم وألسنتهم وكل جوارحهم ، وفساد قلوب ، وتحلل أخلاق ، وانمياع وكراهية للخلق ، ومادية شرسة تسيطر عليهم ، وفزع من كل ذى قوة ، واستئساد على كل ذى ضعف ، أو من يحسبونه كذلك .

واليهودية خلق هو شر ما فى الوجود ، وقد يكون من اخلاقهم من ليس منهم ، كما ترى فى الولايات التى هى عبر المحيط ، فان اليهودية جعلت منهم يهودا خلقا ونحلة ، وان لم يكونوا جنسا وارومة ، ولذلك يحق للمؤرخ الذى يدرس النفوس أن يقول عن الأمريكان انهم يهود ، وان لم يكونوا من بنى اسرائيل .. الم تر نائب كبيرهم الذى يزعم أنه مسيحى يقول عن اليهود انهم رسل الهداية فى الأرض . قال ذلك واناجيله تبين له محاولتهم قتل المسيح عليه السلام ، واخبار الكتب المقدسة تقول انهم قتلة الأنبياء ، ولكنه يهودى النزعة والأخلاق .

وان الله تعالى قرر فى كتابه الحكيم ضرب الذلة عليهم فقال : « ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس » وحبل الناس هم من نرى من أمريكا ، وحبل الله هو اختياره للمسلمين لتركهم دينهم ، فابتلاهم باعداء الانسانية ليعودوا الى ربهم ، فان عادوا فان الله سيعيد اليهود الى مكانهم (ان تنصروا الله ينصركم) .

المقاومة فى الأرض المحتلة :

نشرت « فتى العرب » العراقية مقالا تحت هذا العنوان جاء فيه :

المقاومة التى تلقاها سلطات الاحتلال الاسرائيلى فى الأراضى العربية المغتصبة ، امر طبيعى ، لا يمكن الهروب منه ولا حتى تلافيه بأى اجراء ، غير الخضوع لارادة الشعوب ، واحترام حريتها ، وافساح المجال امامها لممارسة وجودها على أرضها ، تعيش تاريخها وحياتها متمسكة بحضارتها وقيمها .

فالتاريخ لم يحدثنا على امتداده ، عن شعب خضع للاحتلال واستكان له ، وانما كل فصوله ، نضال وتضحيات ، وقوافل شهداء لتحرير أرضه ، والخروج من الظلام المفروض عليه وممارسة وجوده من غير عوائق أو قيود .

والشعب العربى ، وهو يعيش فى منطقة بالغة الحساسية والأهمية على خريطة الدنيا ، تعرض لكثير من الحملات والغزوات ، كما عرف على شكل واسع حلاوة الانتصارات وكتب الكثير من سجلات البطولة والفتوحات ، يدرك تماما كيف يحطم القيود ويزيل الحواجز ، ويعود لأحضان الحرية ، يصنع تاريخه ، ويزيل عن أرضه معالم العدوان ، وكأن شيئا لم يتغير الا مضاعفة الايمان بالمستقبل ، ومتابعة العمل من أجل حياة أفضل .

وأبناء الضفة الغربية ، هم من هذه الأمة العريقة لا يمكن ان يغيروا من طبعهم أو يتنازلوا عن جزء من وجودهم وتاريخهم ، وارتباطاتهم بحضارة عريقة ولا يمكن — لطبيعة فيهم — أن يخضعوا للاحتلال الاسرائيلى أو يتجاوبوا معه ، وهم يعرفون طريق المقاومة ، وحياة النضال .

وسوف تظل اسرائيل تلاقى المتاعب وتجد نفسها فى المواضع الصعبة ، ما دامت تقيم على الأرض العربية ، وهى لن تجد الاستقرار مهما طال بقاؤها ، فأبناء فلسطين والشعب العربى الذين دمروا الكثير من أساطير الاحتلال ، وقضوا على أعتى الحملات التخريبية ، والأم الفاتحين يعرفون الآن كيف يتخلصون من شىء اسمه الاحتلال الاسرائيلى ، والوجود الاستعمارى كله على أرضهم .

أخبار العالم الاسلامى

اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت

● قام سمو أمير البلاد المعظم بزيارة لايران ابتداء من ١٠ يناير الماضى .

● قام السيد طاهر يحيى رئيس وزراء العراق بزيارة البلاد لمدة أربعة أيام وقد حمل رسالة الى سمو الأمير المعظم من أخيه الرئيس عارف وقد أكد البيان الصادر عن المحادثات دعم التعاون العربى وضرورة عقد مؤتمر عاجل للقمة .

● صدر مرسوم أميرى بالغاء العمل بالأحكام العرفية ابتداء من أول يناير ١٩٦٨ بعد العمل بها منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ .

● سلمت وزارة الأشغال ستة مساجد الى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى احياء مختلفة من الكويت .

● تلقت وزارة الارشاد والانباء دعوة من اللجنة الثقافية الوطنية التونسية لاقامة أسبوع ثقافى كويتى فى عدة مدن تونسية ضمن الموسم التونسى الذى ينتهى فى ١٩٦٨/٥/٣١ .

● بعثت الأمانة العامة للجامعة العربية مذكرة تطلب ترشيح الجهات الحكومية للمفكرين الذين تراهم للاشتراك فى الحلقة التى سيقيمها المستشرق الفرنسى المعروف جاك بيرك فى الخريف القادم حول النزاع العربى الاسرائيلى .

● احتفلت وزارة التربية فى يوم ١٨ يناير ١٩٦٨ بعيد العلم وقد أعطيت المكافآت للمتفوقين .

● طلبت مديرية التعليم السعودية تزويدها بأفلام تليفزيونية عن الثقافة والتعليم فى الكويت .

● زار البلاد وفد أعلامى ايرانى ردا على زيارة سعادة الشيخ جابر العلى السالم وزير الارشاد والأنباء .

الجمهورية العربية المتحدة

● تأجل انعقاد مؤتمر القمة العربى الذى كان مزمعا عقده فى ١٧ يناير ١٩٦٨ الى أجل غير مسمى بناء على اقتراح تقدمت به الجمهورية العربية المتحدة .

● احتفلت البلاد فى شهر رمضان الماضى بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن وقد أقيم احتفال رسمى كبير بالأزهر حضره الرئيس عبد الناصر وكبار المسئولين ورجال السلك السياسى العربى والاسلامى .

● وجه فضيلة شيخ الأزهر بيانا الى الأمة الاسلامية بمناسبة عيد الفطر دعا فيه المسلمين لتوحيد الكلمة وجمع الشمل ومساعدة اللاجئين كما وجه بيانا الى العالم المسيحى داعيا الى التعاون والعمل على رفع العدوان على المقدسات الاسلامية والمسيحية .

● اعتمد السيد حسين الشافعى نائب الرئيس منهج التعليم الابتدائى بالأزهر وهو يقوم على تحفيظ القرآن الكريم وتدريس المناهج الثقافية المؤهلة للالتحاق بالمعاهد الأزهرية الاعدادية وتدرس وزارة الأوقاف مشروعا لتعميم تحفيظ القرآن وعلومه .

● أفرج عن عدد كبير من الاخوان المسلمين كما رفع تحديد الاقامة عن ٩٠٠ شخص من المبعدين عن الريف وسمح لهم بالعودة الى دورهم .

● ستقوم هيئة قناة السويس باخراج السفن المحتجزة فى القناة وستتم هذه العملية تحت حماية عسكرية عربية .

السعودية

● قام وفد فلسطينى لزيارة البلاد وجمع التبرعات لحركة المقاومة العربية ومساعدة أسر الشهداء ..

العراق

● كونت لجنة كويتية عراقية لتدعيم التعاون الاقتصادى بين البلدين .

الأردن

● قام جلالة الملك حسين بزيارة الى السعودية والقاهرة بعد تأجيل مؤتمر القمة العربى ..

● ألقت اسرائيل عدة قنابل على مخيمات اللاجئين فى الضفة الشرقية لنهر الأردن فى ساعات الصباح والضحى أيام العيد ثم كررت الاعتداء على الأردن .

● قطع راديو اسرائيل اذاعة صلاة عيد الفطر عندما بكى الخطيب وهو يقول هل هناك داع للشعور ببهجة العيد . وصاح المصلون صبرا صبرا فى جو ملىء بالانفعال والتوتر .

● يوالى الفدائيون العرب مقاومتهم الشجاعة للاحتلال الصهيونى .

● الغيت احتفالات عيد الفطر وعيد الميلاد واقتصر فيهما على اداء الشعائر الدينية كما الغيت كذلك فى عدد من الدول العربية .

● صرح الشيخ عبد الحميد السائح بأن وفود ٢٣ دولة اسلامية اجتمعت بمناسبة مرور ١٤ قرنا على نزول القرآن وقد كونت لجانا لتنظيم الجهاد المقدس .

دمشق ـ أصدر مكتب جبهة التحرير الاريترية فى دمشق بيانا مصورا أبرز فيه اضطهاد الحبشة للمسلمين فيها كما بين مساعداتها المادية لاسرائيل وتدريب الضباط الاسرائيليين لفرق الفدائيين الأحباش لقمع الارتيريين المسلمين .

الرباط ـ دعا جلالة الملك الحسن علماء الاسلام لقضاء العيد فى ضيافته وأهدى الدكتورة بنت الشاطىء وسام الكفاءة الفكرية .

أخبار متفرقة

باريس : ندد الرئيس الفرنسى ديجول بالعدوان الاسرائيلى مرة أخرى فى مذكرة أرسلها ردا على بن جوريون وقد أكد الرئيس الفرنسى ديجول ضرورة انسحاب اسرائيل من الأرض العربية التى احتلتها كخطوة أولى للسلام .

الهند : أطلق سراح الشيخ محمد عبد الله الملقب بأسد كشمير الذى يتزعم حركة تقرير المصير لشعب كشمير وقد اعتقل منذ ١٩٦٥ وقد قال لمستقبليه الـ ٤ آلاف : انه لم يغير رأيه بسبب الاعتقال .

لندن : يقوم المركز الاسلامى فى لندن مع بعض الرجال المسلمين هناك بالاتصال مع هيئة التعليم فى لندن لتدريس الدين الاسلامى للطلاب المسلمين بالمدارس .

اندونيسيا : طلب وزير الخارجية من الولايات المتحدة الامريكية الحد من المبشرين الامريكيين .

اقرأ في هذا العدد

صفحة

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ــ ٧ شارع الصحافـة

مكة المكرمــة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص ب ١٤٦

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء

الريـاض : مكتبة المدينة ــ ص ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح

الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص ب ٢٢

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص. ب : ٢٠٤٣

بغـداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢

عـدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد

المـكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة

دبـى : ساحل عمان ــ ص ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى

مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ــ السيد رجا العيسـى

دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب : ٢٣٦٦

بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبـة بحــرى ص.ب ٥

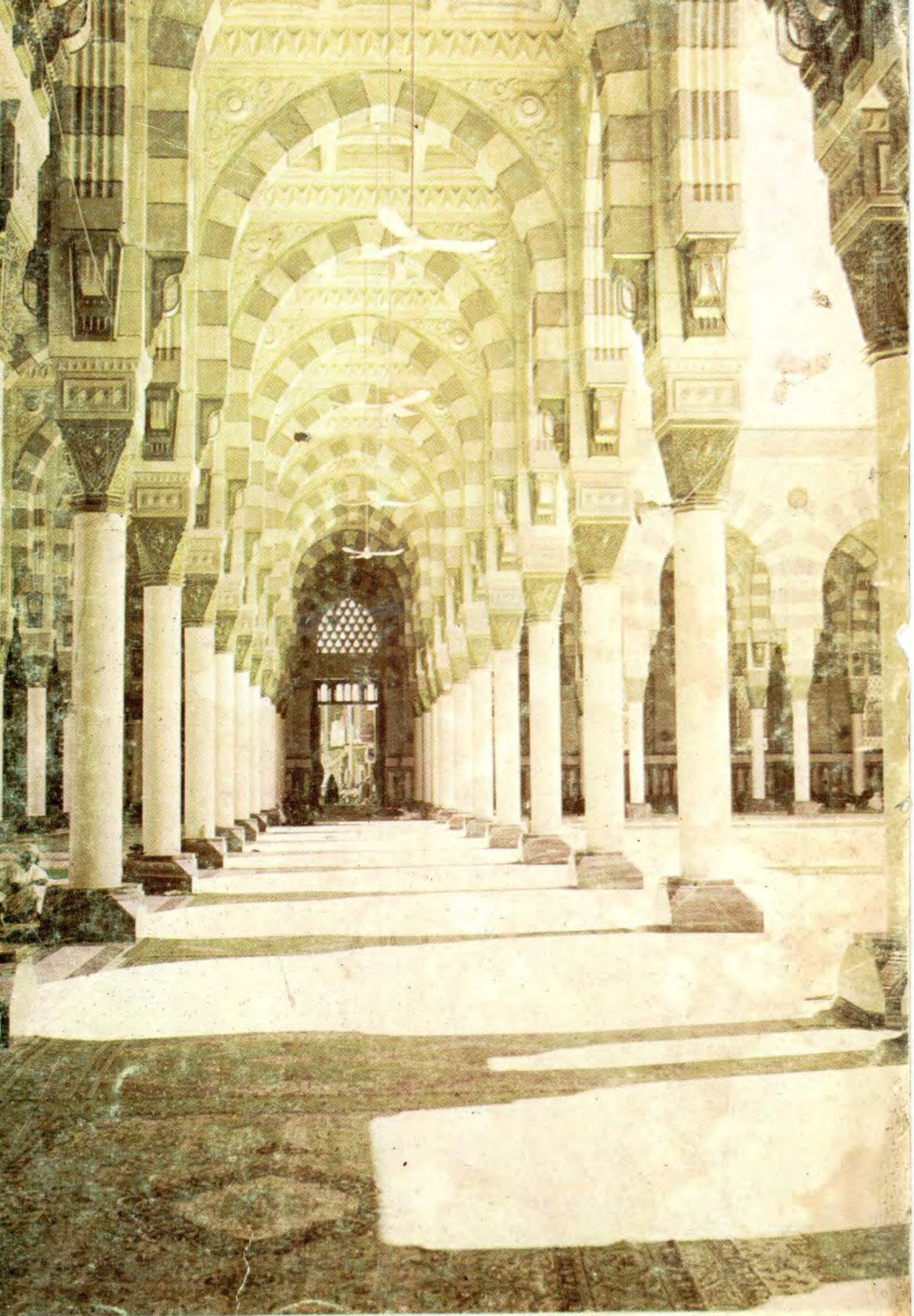
مراكـش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى

ليبـيا : طرابلس الغرب ص ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى

بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز

الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



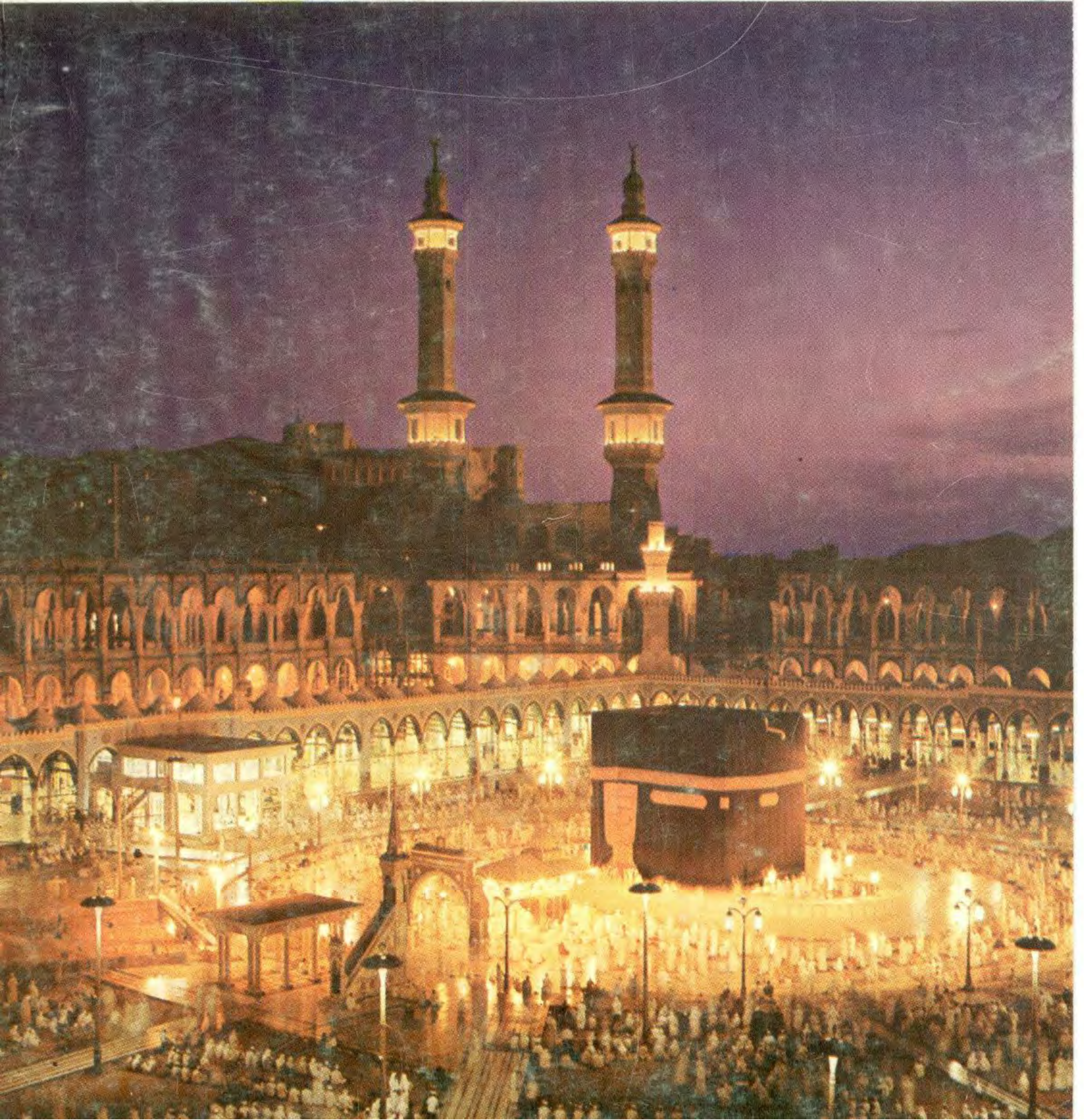
صورة لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم من الداخل ..

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية _ ال

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثالثة — العدد السادس والثلاثون — غرة ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ — فبراير سنة ١٩٦٨ م



سمو الامير المعظم وضيفه الكريم عظمة حاكم البحرين يتسلمان باقات الزهور في حفل الاستقبال الذي اقيم لعظمته لدى وصوله الكويت .

صورة الغلاف



منظر فريد للمسجد الحرام يكسوه البهاء والنور وتتوسطه الكعبة المشرفة وتبدو فيه المئذنتان تسطع منهما اشعة الهدى والخير .

تصوير : عظمت شيخ

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد السادس والثلاثون

— السنة الثالثة —

غرة ذى الحجة سنة ١٣٨٧ هـ

فبراير سنة ١٩٦٨ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	فرنك وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخليج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨
الكويت

أخي القارئ

أخى حاج بيت الله الحرام ..

سيخفق قلبك وانت تودع الأهل والاحباب .. وستظل فى كل لحظة تمضى عليك بعد ذلك ، وانت سعيد القلب قرير العين ، بما ستراه ، بعد أن عشت سنين من عمرك تحلم به وتتخيله ، وتسمع عنه حديث الذين رأوه ..

وسيخفق قلبك كثيرا وانت تقترب من الديار المقدسة .. وانت ترى مبانى مكة والمدينة .

وسيغمرك الفرح ، وانت تجد نفسك فى المسجد الحرام ، تطوف بالكعبة التى طالما توجهت اليها في صلاتك دون أن تراها ، وانت تتنقل بين مكة ومنى وعرفات .. تؤدى فريضة الله .

وسيطير قلبك الى المدينة قبل أن تراها .. وحين تدخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، تسارع الى الروضة وتزاحم الناس من اجل الصلاة فيها ، وتحاول أن تصلى فى القبلة تتحرى المكان الذى كان يصلى فيه الرسول .. وستقف وقفات خاشعة بجوار القبر ، تسلم عليه هو وصاحبيه وتناجيه وتدعو بما شئت أن تدعو ..

وستجد مئات الآلاف حولك ، يحجون مثلك ، يتلاقى قلبك مع قلوبهم ، ويرتفع دعاؤك مع دعائهم . ويتسق شعورك مع شعورهم ، بل تتشابه ملابسك مع ملابسهم ، وستفيض يداك بما أعطاك الله من مال ، وتنفق بسخاء . وانت فى ضيافة الرحمن ، ثم تعود ، وقد قرت عيناك بما اديت وانفقت .. تعود وانت تحسن الظن بالله ، أن يتقبل منك حجك ، ويضاعف لك من حسناتك ..

أخى الحاج ..

هلا ذكرت فى كل خطواتك هذه وسكناتك ، المسجد الأقصى ، وما يرزأ تحته من قيود ، وما يفيض على جوانبه من مآس وكوارث ؟!

حين تدخل مكة المكرمة هل تذكر مدينة القدس ؟

وحين تضع قدمك على عتبات المسجد الحرام هل تذكر بيت المقدس ؟

هل تذكر ــ وانت تمشى آمنا فى الرحاب الآمنة ــ اخوانا لك حول المسجد الأقصى مروعين ، تهدم بيوتهم ، وتكمم أفواههم ، ويعيشون فى رعب تحت سلطة الأراذل السفاكين ؟!!

هل تفكر وانت تدخل مدينة الرسول ، وانت سعيد بتحقيق أمنية العمر ، هل تفكر أن تلك البقعة العزيزة على قلوبنا ، يطمع فيها هؤلاء الأراذل ، ليعيدوا بها سيرتهم الأولى . سيرة أسلافهم الخونة من بنى قريظة والنضير ؟ ..

وهل تذكر مع ذلك ، ما قاله أحد قوادهم يوم دخل القدس ، واستقر فيها ، وشتت شمل أهلها ، الآن انتقمنا لأجدادنا فى خيبر ؟!

هل تذكرون يا حجاج بيت الله أنتم وكل من يهفو قلبه الى هذه الأماكن المقدسة ، هل تذكرون هـذا وغيره من المخـاطر التى نزلت وتنزل ببلادكم الاسلامية ، وتتعرض لها مقدساتكم الباقية فى أيديكم ؟

وماذا تحدثون أنفسكم به من أجل المستقبل وأخطاره .. وماذا أعددتم له ؟

ان عدوكم **يخطط** لأغراضه ومطامعه **خطـوة خطـوة** .. وكل يهودى فى العالم يعتبر نفسه جنديا فى خدمة دولة اسرائيل .. مهما يكن حاملا لجنسية من الجنسيات .. فكيف حالكم أنتم ؟

فى أشهر الحج تدفقتم الى الأماكن المقدسة ، لتؤدوا ما فرضه الله عليكم من عبادة ، مضـحين بالمال ، والجهد ، وفراق الأهل والأوطان ؟ وفى كل عام يأتى سيكون كذلك ..

فماذا فعلتم أو ماذا أنتم فاعلون .. وداعى الجهـاد يدوى نفيره : أن انقذوا مسجدكم الأقصى ، وحرروا أرضكم من أيدى غاصبيها ؟ وادرءوا الأخطار عما لا يزال فى أيديكم ؟

لا شك فى أن قلوبكم أو قلوب الأكثرين منكم يغمرها الألم والحزن مما نحن فيه .. وأن عاطفتكم الاسلامية لا تزال بحمد الله تعمر قلوبكم .. ولكن ماذا فعل الألم أو فعلت العاطفة ؟!!

مئات الآلاف يتقاطرون من كل مكان ليجتمعوا حول المسـجد الحرام ، ويتقربوا الى الله .. وهم فرحون بما بذلوا قريروا العين بما ضحوا .

والجهاد لحراسة المسجد الأقصى ، وصيانته ، وتطهيره ، واسترداده مع ما بارك الله فيه من أراض حوله . هل يقل ذلك قربى الى الله ؟ ..

واليهود الذين طاروا أو هبوا من كل مكان فى الدنيا ، ليشـتركوا فى الحرب ، ويدعموا مكان أمتهم فى الأرض التى اغتصـبوها .. هل رأينا من تدفعهم عاطفتهم الاسـلامية ، أو يهزهم ايمانهم ، ليضعوا خبرتهم وقوتهم فى حراسة مقدساتهم الاسلامية كما فعل هؤلاء ؟!

دعانا الله للحج ، فلبى مئات الآلاف فى كل عام ، ومن كل مكان ، مقبلين على الله ، ملتمسين لرضاه ، يقولون : لبيك اللهم لبيك .

ودعانا الله كذلك للجهاد ، وزين للمجاهدين أبواب الجنات . فمن لبى ومن اقبل ؟!

وهل المسجد الأقصى للعرب المسلمين وحدهم ؟

وماذا فعل المسلمون غير العرب ؟ لئن كانت الأرض أرض العرب ، للمسجد الأقصى للمسـلمين جميعا ، والأرض أيضا أرضـهم ، والدار ، دارهم ــ دار الاسلام .

وتقول لى وماذا فعل المسلمون العرب ؟ أليسوا هم الذين هيئوا بما فعلوا أو بما قصروا . لما يئن منه الجميع الآن ويشكو ؟!

وأقول لك : نعم .. ومعك الحجة فى هذا الذى تقوله . ولكن هل يعفى ذلك مئات الملايين من المسلمين غير العرب من الواجب الدينى الملقى عليهم ؟ .

لقد حال اليهود بين عشرات الآلاف من المسلمين وبين الحج هذا العام ! .

فهل نأمن أن يتفاقم هذا الأمر فيما سيأتى من أعوام ، ونحن على ما ترى من حال ؟ .

وفى العيد فى كل مكان يعيش فيه مسلمون ، وفى الحرم الأمين سيقدم الملايين أضحياتهم أو هديهم .. فهل تذكرنا قبل أن تمتد أيدينا ، لنذبح أضحياتنا ، أو هدينا ، أو فديتنا ، اننا نحن المسلمين فى كل مكان ، قد ساهمنا ــ بتقصيرنا ــ فى تقديم أضحيات من اخواننا ــ الرجال والنســـــاء والولدان ــ ليذبحهم اليهود ، وينكلوا بهم ، بعد أن نكلوا بسمعتنا وكرامتنا ؟

وهل يقبل الله منا تقربا بذبح الحيوان .. بعد أن ضحينا بأخينا المســـلم الانسان ؟!

كم من ملايين الجنيهات سينفقها المســـــلمون فى الأضحية ؟؟ الا ليتهم يحولونها الى أسلحة ومعدات تطهر مسجدهم وتحرر أرضهم ؟

كم من المسلمين سارعوا الى الحج ؟
مئات الآلاف .. وهنيئا لهم ..
وكم ينفقون ؟
عشرات الملايين من الجنيهات بل مئات ، وتقبل اللهم منهم واثابهم .
ولكن كم من المسلمين سارعوا للجهاد ؟
....
وكم أنفقوا ؟
....

الا ليتنا نعطى الجهاد من أنفسنا ومن أموالنا ، ما نعطيه الحج من أموالنا وجهودنا . وهذا فرض ، وذاك فرض .

وفى الجهاد حراسة وصيانة للعقيدة والفروض ، وعزة وكرامة للاسلام

وداع العام الثالث ..

بهذا العدد ــ أخى القارىء ــ تتم المجلة السنة الثالثة من عمرها المديد الحافل ان شاء الله بعد أن خطت خطوات واسعة فى طريق الازدهار والانتشار كانت عندنا أشبه بحلم لذيذ عند بدء صدورها ، وذلك بفضل روحك الطيبة التى تحتضن كل عمل جاد مخلص وترعاه وبفضل الجهود المخلصة التى تبذلها وزارة الاوقاف وهيئة التحرير مع الاساتذة الكتاب .

ونحن اذ نودع العام الثالث بهذا العدد نستمد من الله العلى القدير المزيد من عونه وتوفيقه لنواصل السير فى الطريق الجاد المخلص الذى اخترناه لأنفسنا برغم ما يحف به من أشواك ومتاعب . وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير .. والمسلمين ..

عبد المنعم النمر

مدير ادارة الدعوة

من هدى السنة

لوموا أنفسكم

عن عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : يسب ابن آدم الدهر ، وأنا الدهر ، بيدى الليل والنهار » ..

(رواه البخارى)

الشيخ : على عبد المنعم

المستشار الثقافى لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

١ ــ الدهر : مر الأيام وكر الليالى(١) وهما ظرفان تقع فيهما الأحداث ، حلوها ومرها خيرها وشرها . وقال بعض شراح الحديث من السابقين رحمهم الله : « زعم قوم أن مرور الأيام والليالى هو المؤثر فى هلاك العباد ، وأنكروا ملك الموت ، وأضافوا كل حادثة الى الدهر ، وأخبارهم ملأى بشكوى الزمان ، وبهذا كذبوا الرسل وعادوهم وركبوا متن هواهم ، فضلوا الصراط المستقيم ، وجنحوا الى الاثم المبين » . وقد روى عن الامام أحمد رضى الله عنه بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه : « لا تسبوا الدهر ، فان الله تعالى قال : أنا الدهر الأيام والليالى أجددها وأبليها ، وآتى بملوك بعد ملوك » فاذا سب ابن آدم الدهر على أنه متصرف فاعل لهذه الأمور عاد السب الى الله تعالى لأنه هو المؤثر الفاعل المختار سبحانه وتعالى ، قال القاضى عياض رحمه الله « زعم من لا تحقيق له أن الدهر من أسماء الله تعالى ، وهو خطأ بين فان الدهر عبارة عن زمان الدنيا » ومعنى أن الله هو الدهر : أنه خالق الدهر أى موجد الأيام والليالى ومدبر الأمور فيهما قال تعالى : « يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم »(٢) .

---

(١) يشير الى هذا المعنى قول الله تعالى « .. ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » .

(٢) الأيتان من سورة السجدة : رقم ٥ و ٦ .

٢ ــ والمتأمل فى وقائع الحياة الدنيا واحداثها يرى سيرها سيرا منطقيا معقولا فى الأغلب الأعم ، فكل نتائجها مبنية على مقدمات صحيحة ، ووقائع الحال ثمرة عمل سابق ، ومكنون الغد مبنى على ما يجرى اليوم ، ومن حكمة الله تعالى ، ان جعل لكل شىء سببا ، ولكن داب الناس وخاصة الاتكاليين منهم ، الذين اهملوا امورا وسدت اليهم ، وافسدوا اعمالا نيطت بهم ، واتجهوا اتجاها مضادا لما يجب أن تكون عليه الخطة المثلى الناجحة ، اقول : هؤلاء دأبوا على محاولة التفلت من المسئوليات بالقاء تبعات نتائجها على غيرهم ، فطورا يسبون ايامهم ، ويشكون لياليهم ، ويلعنون وجودهم وتارة أخرى يقولون : هذا عذر فلان ، وتلك اساءة علان ، واهمال ثالث ، ومما يجرى على الألسنة المرة : لعن الله الأيام التى عشناها مع هذا ، والليالى التى جمعتنا بذاك ، ومعلوم من تكرار المثل على مسرح الحياة أن مثل هذا لا يجدى فى الواقع المؤلم فتيلا ، فلا يشفى علة ، ولا يطفىء غلة ، ولا يرأب صدعا ، ولا يلم شعثا ، ولا يجمع متفرقا ، ولا يقوى واهيا ، بل يزيد الطين بلة ، والخرق اتساعا ، فتتفاقم الأمور ، وتدلهم الخطوب وتتجمع سحب الكوارث ، ويصبح العارض مستقبل أوديتهم ريحا صرصرا فيها عذاب اليم ، فلا الصديق أبقوا ، ولا من الهلاك نجوا .

٣ ــ والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يوجه الأمة فى هذا الحديث الى درس الأمور دراسة عميقة فاحصة واعية ، والالمام بها الماما كاملاشاملا دقيقا ، والوصول الى اعماقها وترقب نتائجها كأنها واقعة فعلا ، والاعداد لكل شىء بما يناسبه ان اقتضى قوة فليسعوا اليها ، وان استلزم علما فليسبقوا الى ساحاته وان اجتماعا فليأتوا بالحكمة على عوامل التفرق ، وان وحدة فليسلكوا الطريق السوى اليها ، وان مكرا فليمكروا ، والحرب خدعة ، مع دأب مستمر وعمل متواصل وتعقل واحكام وحزم ، ومما يقوى هذا وينميه دراسة التاريخ وفتح العيون لا بل العقول على أحوال الأمم المعاصرة ، والاستفادة من الشر أكثر من الخير ، وعدم الاستهانة بالعدو مهما كان ضعيفا واهيا فى نظرهم « فلربما قتل البعوض الفيلا » . « ولربما تموت الأفاعى من سموم العقارب » . وليقتدوا برسل الله عليهم الصلاة والسلام ، فقد هزأ قوم نوح برسولهم وقالوا كفرا وعنادا : انظروا نبيكم بعد أن كان رسولا صار مجنونا يصنع سفينة ليركبها فى الصحراء لتجرى على الرمال ، وهكذا يضيع زمانه فيما لا جدوى فيه ولا فائدة ترتجى من ورائه لأنهم لم يصدقوه رسولا ولم يؤمنوا به نبيا فلم ترق أفكارهم عن الحضيض الذى اركسوا فيه ولم يدركوا أنه صادق وأنه غير عابث لأنه ينفذ اوامر من لا يعبث ولا يضل ولا يغلب ، وكان جوابه دائما (ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون . فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) (١) واستمر عاملا مجدا مثابر يواصل ليله بنهاره حتى اذا جاء أمر الله قضى قضاؤه ولا راد لما قضى ، هذا مثل ، وتلك الأمثال يضربها الله لقوم يعقلون .

---

(١) الآيتان (٣٨ ــ ٣٩) من سورة هود .

٤ ـــ وحين يقول الله (يسب ابن آدم الدهر) فانما يصور الانسان التافه الحقير الذى يحاول أن يفر من واقعه الذى تردى فيه ، يضرب ذات اليمين وذات الشمال يريد أن يصم أذنيه عن حقيقة أمره المؤلم الذى كان هو العامل الأول فى ظهوره على صورة مزرية ، والا فما هو الدهر !! هو أيام وليال ، زمان ، أوعية خيالية غير ممتلئة تطلب من يترعها بالعرق والدم ، تريد المستهين بالشدائد ، الهازىء بالعقبات مع السعى الجاد لازاحتها عن طريق مسيرته ، ماضيا قدما الى الصدارة بجدارة ، فان وصل فهو المجلى الذى يفتح له التاريخ صدره ، ويحفظ أعماله بين حنايا ضلوعه ، ويثبتها فى طيات أوراقه واضابيره ، تلوى اليه الأعناق ، وتشـــد الرحال الى واديـــه ، وينتجع الفضل حيث هو لا يبرح ، وان كبا بعد الجهد المبذول ، وزل بعد العمل المتواصل ، بل ان هلك فسيهلك عن بينة ، يعذره معاصروه ، ويقرع التاريخ خصومه ، وصاحت الدنيا تردد وان لم يقل : لنا الصدر دون العالمين او القبر .

ويدفعنى هذا الى التفكير في المحيط الذى أعيش فيه ، فى المحيط العلمى البحت ، البعيد عن المهاوى المادية ، والمهالك المردية ، فأرى قوما فى جهالـــة فكر ، وقصر باع ، وعجز دون الغاية ، مع أنهم ذوو مجد تليد ولكن لا طريف(١) لهم ، مجدهم ذكريات . لا . بل وقائع حقيقية مســـجلة دروب علوم آبائهم ، تسجيلا يشهد بطول الباع ، وغزارة المادة ، واستهانة بالموت بالفناء المادى فى سبيل الحصول على نتيجة علمية وحقيقة كونية واحدة ، وكان لهم دعوب فتن غير أبنائهم وشغف غير أحفادهم ، فأخذ بألبابهم واستولى على جماع أفكارهم ، تفرغوا له يبحثون عن درره ، ويغوصون على لآلئه .. وكان لهم نتـــاج وأى نتاج .

وماذا كان موقف الوارث ذى الدم ، كان موقف الابن العاق ، كان ما نراه فى لقاءات فجة سخيفة متهالكة متداعية . وأقول ذلك ـــ لا ملقيا للقول على عواهنه ـــ وانما بالبرهان أستطيع ايضاح الحقائق التى تكمن وراء ما أرى ، وماذا أرى وأى شىء أسمع ، تترامى الى سمعى كلمات لا تخرج الا من ضيق عطن ، وظلام أفق ، كلمات تحمل سبابا لباحث مدقق وعالم محقق ، لأن المتحدث لن يبلغ شأو المتحدث عنه ، ويكفى أن أقول (لم) لأن علم ما بعد لن عند علام الغيوب وحده ! .. والذى أريده أن نعاود النظر فى أمرنا فلا نحاول النيل من الآخرين فندعى أنهم يحاولون تشويه آثار آبائنا ، ويسرقون تراث أجدادنا ، مع أن الواقع الذى لمسته ، والحقيقة التى أدركتها على الطبيعة أن فى هذا الوادى(٢) رجالا يعرضون الحقائق ، حقائق تراث آبائنا ، بل ويتعرضون لحضارتنا المعاصرة الآنية (٣) ويعرضون الكل بطريقة لا ضريب لها عند اضرابهم (٤) عندنا ، ولا هى

---

(١) وفى لغة : طارف أى جديد .
(٢) ليس وادى المنبت أو المنشأ أو العمل انما هو وادآخر بعيد .
(٣) بتشديد الياء ، نسبة الى الآن
(٤) جمع ضريب .

عند تلاميذهم الذين تربوا على أيديهم ثم عقوهم ، ولقد وجدت أحدهم وهـــو أعلمهم بالحقيقة حقيقة تراثنا بعد سبر غور حاضرنا ، لا يرضى أن ينسب الى الباحثين فى علوم المشرق تحت الاسم المصطلح عليه بل يربأ بنفســـه عن ذلك الاسم ، ويقول : انا عالم وعالم فقط ، لا واستغفر الله بل انا باحث وباحث فقط ، وطالب معرفة ولا أزيد (١) ، يصدر منه القول فى تواضع عجيب ، وخلق سمح رضى ، ويجمع حوله الأبناء ذوى الدم الوارث ليطلعهم على مرائى عجيبة ، ومجالى بديعة غريبة من أسرار علوم ومعارف آبائهم فيبهرهم ما يسمعون لأنهم من قبل لم يسمعوه وفى منبته الأصل لم يشاهدوه .

فى مشهد من مشاهد مرورنا بالحياة ، قدم صديق الى ذلك العالم زميلا تحت عنوان انتسابه الى المادة ، البحتة ، فرد عليه الشـــيخ فى حزم وخلق متعانقين ، ودماثة طبع ورقة حاشية متناسبين : لقومك لآبائك تراث يعدل ملء الأرض ذهبا ، وحبذا لو غصتم عليه كما غاص من يمثلهم هذا الزميل على درر البحر ولآلئه فانتزعوها منه انتزاعا وأخذوها غلابا ، وأثروا قبل وجود فيض المادة الحديث ، لا أكتم قارئى العزيز أنى أعجبت بالرجل كعالم وكمحقق وكمحق أيضا ، وباحث منصف ، ومع ذلك غبطته على تواضعه الذى يشعر محدثه أنه جاء يعطيه المعرفة لا ليأخذها عنه فيذكرنى هذا الموقف الكريم بقول القائل :

تلقاه اذا ما جيتـــه متهللا   كأنك تعطيه الذى أنت سائله

وأعود الى نفسى والى أترابى والى الجيل الصاعد من بعدنا ، فأقول : الى متى نظل نسب دهرنا ، ونجتر طعام غيرنا ، ونعيب سوانا جهلا ، ونتطاول على زماننا وما لزماننا عيب سوانا ، وأدعو الله مع العمل ، أن يرحمنا ويسلك بنا الطريق الذى يقيل عثارنا ويرأب صدعنا ، ويوجهنا الوجهة المثلى . فاللهم اغرس فى نفوسنا الوفاء لأصحاب الحقوق علينا وفقهنا فى دينك الذى ارتضيته لعبادك ، وحقق السلام علـــى الأرض فى هـــذا العصر المادى المجحف بالقيم الانسانية ، وارو الجبوب بالماء الفرات السائغ ، بعد أن لوث الانسان الظالم وجهها بالدم المراق فى كل مكان .

ومن عجب أن الأرض لا تشرب الدم ، ولا تسمح له أن يغوص الى أعماقها ، وما ذلك الا ليبقى على وجهها شاهد صدق على ظلم الانسان لأخيه الانسان . . غفرانك ربنا واليك المصير ، آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، كما آمن الرسول والمؤمنون .

---

(١) يذكرنى هذا العالم بشيخ فلاسفة اليونان (سقراط) حين سمع أن كاهنة معبد دلفى تنعته بـ (الحكيم) وأنه أحكم من أظلتهم سماء أثينا ومن أقلتهم أرضها ، حيث قال قولته التى صارت علما على الحقيقة من بعده : قال : أنا لست حكيما وانما أنا طالب حكمة وترجمت الى لغتنا الشريفة تحت كلمة (فيلسوف) ومعناها محب الحقيقة من حيث هى أو باحث عنها !!

القرآن وحرية الارادة

تعقيب على محاضرة للدكتورة بنت الشاطئ

فى القرآن وحرية الارادة

الأستاذ : مصطفى الزرقا

خبير الموسوعة الفقهية بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

نشرت جمعية الاصلاح الاجتماعى فى الكويت فى الحلقة التاسعة من رسائلها محاضرة للكاتبة الكبيرة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) بعنوان : (القرآن وحرية الارادة) كانت ألقتها فى الكويت بدعوة من الجمعية . وقد نقلت هذه المحاضرة أيضا مجلة « حضارة الاسلام » فى العدد الأول من السنة (٨) الصادر فى شهر ربيع الأول من العام الهجرى الحالى ١٣٨٧ هـ .

قدمت الدكتورة المحاضرة محاضرتها القيمة بكلمة بينت فيها انصرافها منذ سنوات الى تدبر آيات القرآن الكريم والتخصص فى خدمته ودراسته من حيث هو كتاب العربية الأكبر ، ومعجزتها البيانية الباهرة . وتطرقت الى ما داخل فهم كتاب ديننا العظيم من مدسوس الاسرائيليات ، وبدع التأويلات ، مما حجب عنا كثيرا من نور هداه ، لما يؤوله كل بحسب هواه ، بانتزاع آيات منه يبترها المؤول من سياقها لتساير مذهبه وتخدم مصالحه !!

ثم تناولت الدكتورة الكريمة موقف القرآن من قضية حرية الارادة فى افعال الانسان ، وهى القضية الشهيرة فى علم العقيدة والكلام ، الخطيرة فى اثرها فى سلوكنا همة وتوكلا ، أو قعودا وتواكلا ، وما ترتب عليها من قول بالجبر أو الاختيار . ثم رسمت الطريق الصحيحة التى ستسلكها فى بحثها ، وهى (استقراء جميع آيات الارادة وما يتعلق بها فى القرآن ثم تدبر دلالات الفاظها وحكم سياقها دون التزام بأى قول سابق فى القضية ولو بدا من المسلمات البديهية) .

وانى لا أكتم سرورى وتقديرى لأن تنصرف الدكتورة بنت الشاطىء الكاتبة الكبيرة الى القرآن دراسة وبحثا وتأملا واستقراء واستنطاقا واستخراجا بهذه الطريقة النيرة الحرة ، والنفس المتطلعة . اذن لعادت جولاتها فى آفاق القرآن بالنتائج الثمينة على قراء العربية ، وعلى بنى الاسلام وبناته ، من رواد الثقافة المتطلعين الى الحقائق ، والمتشوقين الى المعرفة الصحيحة النقية من الشوائب ، فى مناهج الحياة الانسانية وخط السلوك القويم .

ومن صميم هذا التقدير والاعجاب وجدت حاجة الى تعليق ملاحظتين ثنتين على بعض ما جاء فى محاضرة الدكتورة الاديبة الكبيرة ، احداهما تصحيحية ، والثانية تكميلية :

الجبرية لا القدرية

أ — فأما ملاحظتى التصحيحية فهى انه فى أوائل المحاضرة حين اشارت الى ما طرأ على الأمة الاسلامية من تعطل وشلل وفهم خاطىء للتوكل ، ومن توزع المسلمين فرقا شتى فى قضية الجبر والاختيار قالت الدكتورة الكاتبة ما يلى :

« قالت **القدرية** بالجبر المطلق ، وان ليس للانسان من أمره من شىء ، وانما هو مسير بقضاء الله وقدره لا مفر ولا مهرب » .

والصواب أن الذين يقولون بذلك هم الجبرية لا القدرية . فأما القدرية فهم نفاة القدر بهذا المعنى . يقولون : ان الانسان يتصرف فى أعماله بمحض حريته واختياره ، وليس خاضعا فيها لقدر الهى سابق . والا لما أمكن توجيه مسؤوليته عن أعماله . ومن ثم سمى المعتزلة بالقدرية . لأن هذا هو مذهبهم فى عدم القول بالقدر ، وعكسهم الجبرية الذين يقولون ان الانسان مجبر بقدر الهى سابق يسيره ، دون أن يكون له اى اختيار فى شىء من افعاله .

جاء فى المعجم الوسيط (مادة : قدر) ما نصه :

« والقدرية قوم ينكرون القدر ويقولون ان كل انسان خالق لفعله » .

ولننظر أيضا كتب الفرق وعقائدها كالملل والنحل لابن حزم وللشهرستانى ، وكتاب كشاف مصطلحات الفنون للتهانوى باب القاف فصل الراء فى كلمة : (قدر) .

ب — وأما ملاحظتى التكميلية فهى ان الدكتورة بنت الشاطىء — حفظها الله — لأجل تحديد مفهوم الارادة المقصودة فى كتاب الله ، استقرات جميع الآيات التى ورد فيها التعبير بمادة الارادة ومشتقاتها ، لأن هذه الآيات هى مستند جميع الاتجاهات المتضادة فى الاعتقاد ، بين مذهب الجبر المطلق ومذهب الاختيار المطلق (القديمة) وما بينهما من حدود . فانتهت من تتبع هذه الآيات وسياقاتها الى انه : حيث ورد التعبير بأحد مشتقات الارادة فى القرآن مسندا

الى البشر المخلوقين ، فالمراد به : معناها اللغوى الأصلى ، وهو المشيئة التى من لوازمها العزم والرغبة .

وحيثما ورد التعبير بأحد مشتقات الارادة مسندا الى الله تعالى الخالق الحاكم ، جل شأنه ، فالمراد به معنى الأمر النافذ ، والحكم المبرم الذى لا راد له (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) . وكثيرا ما تأتى فى مقام بيان سنة الكون ، التى هى من حكم الله وأمره المبرم فى أن يترتب على مسالك الناس من مستقيمة ومنحرفة نتائجها الحتمية من خير وشر . فليس فى ارادة الله تعالى معنى اجبار الناس وسلب اختيارهم فى أفعـــالهم ، وانما هى حكم حتمى عليهم ، بأن تلزمهم نتائج افعالهم ومسالكهم التى اختاروا ســـلوكها من طاعة أو معصية .

وقد استعرضت الدكتورة بنت الشاطىء كثيرا من الآيات القرآنية الواردة فى شتى المناسبات ، واوضحت تنزيلها على هـــذه المفاهيم ، التى تختلف فيها طبيعة الارادة المضافة الى المخلوقين ، عن طبيعة الارادة المضافة الى الله تعالى الحاكم عليهم بنتائج أعمالهم جل شأنه .

لكنى وجدت أنها لمست بقلمها لمسا خفيفا جدا ، بعض آيات كريمة من شواهد الجبرية التى يتعثر فيها ذلك التأويل ، فبقيت هذه الآيات محل تساؤل لدى القارىء : كيف يمكن توفيقها مع هذا التأويل الجديد للدكتورة بنت الشاطىء بصورة يزول منها أشكال الجبرية :

١ ــ فمن ذلك قوله تعالى على لسان نوح : (ولا ينفعكم نصحى ان أردت ان أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون) فقد اكتفت الدكتورة فى تأويل هذه الآية وتنزيلها على المفهوم الذى شرحته بأن تقول :

هذه الآية التى طالما احتج بها القائلون بالجبر انما نزلت فى الملأ الذين كفروا من قوم نوح وقد نصح لهم فضاقوا بنصحه .

وواضح للقارىء أن هذا غير كاف لقطع حجة الجبرية فى ظاهر هـــذه الآية ، لأن مناط احتجاجهم انما هو فى تســـــليط الارادة الالهية على الاغواء وتعلقها به . فلو كان متعلقها غير الاغواء من عذاب أو سوء عاقبة لصح للسيدة بنت الشاطىء تأويلها ، كما لو كانت الآية مثلا : « ان أراد الله أن يعذبكم » اذ يقال بحسب تأويل الدكتورة : ان ارادة الله تعذيبهم بعد تكذيبهم لنبيهم نوح عليه السلام وتحديهم له هى حكم من الله عليهم عادل جزاء لما صنعوا .

أما والمتعلق هو الاغواء فيبقى الاشكال ، وهو أن التكذيب نفسه لرسولهم انما هو نتيجة لارادة الله أن يغويهم ، بأى معنى فسرنا هذه الارادة ، ما دامت نافذة لا مرد لها .

٢ ــ وكذلك آية يس : (أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شـــــيئا ولا ينقذون) ، فقد اقتصرت الدكتورة فى تأويلها على قولها :

(الآية أبطلت شفاعة آلهة تتخذ من دون الله أربابا ، وهيهات تنقذ من حكم الرحمن) .

وهذا أيضا ، كما ترى ، غير كاف فى دفع ما يتمسك به الجبرية من مدلول هذه الآية بحسب سياقها ، ووجه الاشـــكال فيها انها حوار بين الرجل المؤمن والمشركين المحكى عنهم : يبين لهم أن العبادة انما يســـتحقها الاله القادر على النفع والضرر بارادته المطلقة ، فلو أراد أن يوقع به ضررا لكان قادرا عليه ، وكانت تلك الآلهة المزعومة الزائفة عاجزة عن دفعه عنه ، وليس السياق سياق جزاء على سيئة ليمكن القول بأن الارادة هنا حكم مبرم جزاء على السيئة . بل

السياق فيها هو موازنة بين قدرة قادر وارادته المطلقة ، وعجز العاجزين ، استدلالا بأن القادر هو الاله الحق ، فيبقى فى ظاهر الآية متمسك للجبرية فى أن ما يقع للناس من خير وشر ونفع وضر انما هو بارادة الله تعالى التى لا محيص لهم عنها .

هاتان الآيتان وأمثالهما مما جاء فيه اسناد وقوع المكاره الى الارادة الالهية فى غير مقام التعبير عن جزاء الانحراف واقتراف السيئات تبقى ثغرة فى التأويل الذى ذهبت اليه السيدة بنت الشاطىء .

والذى أراه فى تأويلها بصورة واضحة مقبولة ومزيلة لكل اشكال هو ما يلى :

ان هذه الآيات جاءت كلها فى مقام التعبير عن قدرة الله تعالى المطلقة فى ذاتها وليست تعبيرا عن واقع . ولذا جاءت فى صورة الشرط : (ان يردن الرحمن بضر) (ان كان الله يريد أن يغويكم) الخ .. فالمراد بيان أن قدرته وارادته تعالى لا يستطيع أحد أو شىء أن يحد من سلطانهما ، حتى أنه لو أراد الله أن يغوى أحدا أو يضره أو يظلمه لما استطاع أن يدفع عن نفسه ما يريده الله به ، لأن قدرته وارادته مطلقتان كما أن علمه محيط . وهذا لا يدل على أن الله تعالى يظلم فعلا ، أو يلحق بأحد ضررا دون استحقاق . فهو تعالى قادر على العدل والظلم ولكنه لا يظلم ، ولو أراد اغواءنا وتضليلنا لفعل ، ولكنه لا يغوى ، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يسوقهم اليه (وما الله يريد ظلما للعالمين) (ولا يظلم ربك أحدا) بل يبين لهم طريق الخير والشر ليختاروا ويحملوا مسؤولياتهم . وذلك كما تقول : (ان فلانا يستطيع أن يفعل كذا وكذا من خير أو شر . ولو أراد أن يقتل فلانا لفعل) ولا يفهم أحد من ذلك أنه فعل أو يفعل ما يستطيعه .

فالمقصود بيان شمول القدرة والارادة الالهيتين ، وسلطانهما المطلق ، وهو اسلوب مألوف فى اللسان العربى وبيانه ، وليس فيه دلالة على ما يريد الجبرية تحميله اياه من دلالات ليست هى المقصودة بهذا الأسلوب من البيان .

هذه ملاحظة تكميلية لسد بعض الثغرات التى لا يكفى تأويل السيدة الدكتورة بنت الشاطى لتغطيتها .

وتبقى فجوات

يبقى بعد ذلك فجوات فى قضية حرية الارادة لا يكفى راى السيدة بنت الشاطىء ولا هذه الملاحظة التكميلية منى لدفع الاشكال الذى يتراءى فيها ، وهو الاشكال الذى يتراءى من خلال بعض آيات أخرى فى القرآن الكريم يتمسك بظاهرها الجبرية الذين يؤدى قولهم الى تعطيل التكليف ، من مثل قوله تعالى :

١ — «كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم» (الأنعام — ١٠٨) .
٢ — « ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم » (النحل — ٤) .
٣ — « ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله » (الانعام — ١١١) .
٤ — « ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من أناب » (الرعد — ٢٧) .

فهذه الآيات مما لم تأت فيه ارادة الله تعالى ومشيئته حكما لقوم أو على قوم بأعمالهم (جزاء وفاقا) ليس فيها تعليق على ارادة الله . مثل (ان كان الله يريد أن يغويكم) لكى تفسر بأنها تصوير لدى القدرة الالهية المطلقة ، فلا

تدل على ان الله تعالى يغويهم فعلا ، وان كان قادرا عليه ، ولا راد لارادته لو اراده ـــ هذه الآيات وأمثالها القليلة قد أسند فيها أصل السلوك الصالح أو الخاطىء من هداية أو ضلال الى فعل الله تعالى ومشيئته (زينا لهم أعمالهم) (يضل من يشاء ويهدى) فمن ثم كانت مشكلة على التأويلين جميعا .

والذى أرى أن أمثال هذه الآيات أيضا اذا تأمل الناظر فى سياق كل منها لا تستعصى على التأويل الذى ينسجم مع المألوف من طريقة البيان العربى ، ولا ينافى حرية الارادة لدى المكلفين ، ولا ما تقرره النصوص الأخرى للقدرة والارادة الالهيتين من سلطان مطلق :

معنى التزيين

أ ـــ فتزيين الأعمال يمكن فهمه بمعنى تحويطها بما يجذب اليها من متع وملذات ومنافع عاجلة ، وانفلات من القيود الملجمة فى مقابل ما وضع الله فى الانسان من قوة العقل والتمييز والتبصر فى العواقب مما يفرض عليه التقيد وعدم مجاراة الهوى ، وذلك لكى تستحق طاعة أوامر الله تعالى فى الايمان ، وما يستلزمه من أعمال ثوابا ، كما يستحق عصيانه عقابا ، لأن الطاعة اذا كانت غريزية لا مقاومة فيها ولا مشقة فلا مبرر عندئذ للثواب ، كما أن المعصية اذا كانت محتمة على الشخص لا مفر له منها ، فلا مسوغ معها للعقاب .

معنى المشيئة

ب ـــ وكذلك هدى الله تعالى من يشاء ، واضلاله من يشاء ، وعدم امكان ايمان أحد دون مشيئة الله سبحانه يتوقف فهم المقصود به على تحديد معنى المشيئة . والمشيئة يمكن أن تأخذ معانى تختلف حدودها فى كل مقام ، بحسب متعلقها الذى تدل عليه القرائن والسياق ، وينسجم مع آيات أخرى ، ومقررات قطعية تقررها الشريعة القرآنية نفسها . فمتعلق المشيئة هنا هو عدم الحيلولة بينهم وبين الايمان ، واتباع طريق الهدى المدعو اليه . فقوله تعالى : (ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله) يكون معناه المقبول لغة والمنسجم مع القرائن الأخرى والمقررات القطعية : ما كانوا ليؤمنوا الا اذا شاء الله ايمانهم ، ومشيئته هذه تتحقق بأن لا يريد الله تعالى استعمال قدرته فى صرفهم عن الايمان والحيلولة بينهم وبينه ، وان كان قادرا على ذلك . فهذا القـــدر من التخلية بين المكلف والمنطلقات التى أمامه فى الخير أو الشر يدخل فى حدود المشيئة متى كان صاحب هذه المشيئة قادرا على الحيلولة .

وعلى أساس هذا الفهم يمكن تنزيل النصـــوص ذات العـــلاقة بهذا الموضوع ، بصـــورة تجمع وتوفق بين ضرورة الحفاظ على مبدأ حرية ارادة المكلف لتصحيح التكليف خروجا من الجبرية ، وبين عقيدة السلطان المطلق لارادة الله تعالى وقدرته وسيطرته على العباد وأفعالهم فى ضوء النصوص القرآنية ودلالاتها .

هذا ما أراه مكملا للموضوع اجمالا ، وسادا للثغرات التى تلوح للقارىء فى محاضرة السيدة الكريمة الدكتورة بنت الشاطىء ، وأرجو أن أكون وفقت فيه الى صواب ، والله سبحانه أعلم بمراده : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) و « ولله المثل الأعلى » وهو الحكيم الخبير .

الحج

الشيخ : حسن خالد
مفتى الجمهورية اللبنانية

الحج فى اللغة القصد الى عظيم . ثم خص بالقصد الى مكة المشرفة للنسك . ويقال حججت بيت الله بمعنى قصدته لافعال النسك . ويقال نسك وتنسك أى تعبد . ونسك نساكة صار ناسكا . والنسك الذبيحة المتقرب بها . ثم توسع بها فصار اسما للعبادة والطاعة . ومناسك الحج مواضع متعبداته .

والحج الى بيت الله الحرام فرض عين اجماعا ، على كل مسلم حر بالغ عاقل مستطيع ذكرا أو انثى . وهو أحد الأركان الخمسة فى الاسلام لقوله تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » ولما يروى عنه صلى الله عليه وسلم قوله : « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله الى قوله وحج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

والحج فرض على المسلم والمسلمة فى العمر مرة وما زاد فهو نفل بدليل ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا . فقال رجل : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو قلت نعم لوجبت . ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها . الحج مرة فمن زاد فهو تطوع » .

والمراد بالبيت المسجد الحرام بدليل قوله تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » .

وهو أول بيت وضع للعبادة على الاطلاق وباجماع العلماء بدليل النص القطعى . فهو سابق على المسجد الاقصى بعدة قرون . وهو كما قال المفسرون أقدم بيت وضع للعبادة . وليس ثمة أقدم منه .

وتحدثنا روايات عن وجود البيت من قبل آدم . ولكنا نمر عليها لنتحدث عما تحدث عنه القرآن الكريم من بناء سيدنا ابراهيم له بمؤازرة ولده اسماعيل عليهما الصلاة والسلام « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم » .

وقد اختلف العلماء فى وقت ابتداء افتراض الحج والجمهور على أنه كان سنة ست للهجرة لأنه فيها نزل قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله) ولا يعقل أن يأمر الله باتمام شىء لم يكن مفروضا . ويؤيد هذا ما ورد فى قصة ضمام بن ثعلبة من ذكر الحج . وقد كان قدومه على ما ذكره الواقدى سنة خمس للهجرة . .

ونقل النووى انها كانت سنة تسع . وقد رجح هذا القول بعض العلماء .

ولا يكون الحج فرضا على المسلم الا مع الاستطاعة بدليل قوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .

وقد ذهب الامام مالك الى اعتبار الاستطاعة بالبدن ، وأوجب الحج على من قدر على المشى والكسب فى الطريق .

وذهب الامام الشافعى الى اعتبار الاستطاعة بالمال . ولذلك فقد أوجب الاستنابة على المريض الذى لا يرجى برؤه اذا وجد أجرة من ينوب عنه ، معتمدا فى ذلك على جواب الرسول صلى الله عليه وسلم على من سأله عن السبيل بقوله : (الزاد والراحة) .

وذهب الامام أبو حنيفة الى اعتبار الاستطاعة بالصحة والمال معا يؤيده فى ذلك ما رواه عن ابن عباس انه قال : السبيل أن يصح بدن العبد ، ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به .

ويؤول الامام أبو حنيفة ما وقع فى الحديث الذى اعتمد عليه الامام الشافعى بأن ما وقع فيه بيان لبعض شروط الاستطاعة بدليل انه لو فقد أمن الطريق لم يجب الحج عليه . والظاهر أنه صلى الله عليه وسلم لم يتعرض لصحة البدن فى الحديث كأحد مقومات الاستطاعة لظهور الامر . يؤيد هذا أنه قد ورد فى بعض الروايات عن الامام على كرم الله وجهه أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن السبيل ، فقال : أن تجد ظهر بعير . ولم يذكر الزاد .

الاستطاعة للمرأة ..

ومن معانى الاستطاعة بالنسبة للمرأة ان يكون معها رحم محرم أو زوج . والأئمة الاربعة متفقون على عدم اعتبار المرأة مستطيعة ما لم يكن معها زوج أو رحم محرم . غير أن الامام مالك يزيد بأنه يجوز للمرأة أن تحج وتعتبر مستطيعة اذا كان لها رفقة مأمونون . كما ان الامام الشافعى يعتبرها ايضا مستطيعة ويوجب عليها الحج اذا كان معها نسوة موثوق بهن . أما ان وجدت امرأة واحدة فقط . أو لم تجد ، وكانت الطريق مأمونة ، فالحج غير واجب عليها ولا تعتبر مستطيعة . غير أنها اذا حجت جاز منها ذلك .

كل هذا فى الحج الذى هو فريضة ، أما حج النفل فلا يجوز من المرأة مطلقا الا اذا كان معها رحم محرم أو زوج .

وسبب هذا التصعيب فى حق المرأة الاخبار الصحيحة الواردة بمنع المرأة من السفر منفردة والاختلاء بأجنبى . فقد ورد أن ابن عباس سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : (لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم . ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم . فقام رجل فقال : يا رسول الله ان امرأتى خرجت حاجة وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا فقال فانطلق فحج مع امرأتك) ومنها ما وقع عند الامام الدارقطنى بلفظ « لا تحجن امرأة الا ومعها زوج » .

سفر المرأة للخارج !!

ومن استعراض رأى الفقهاء هذا والاخبار الواردة فى الموضوع نجد مقدار تشدد الاسلام فى موضوع سفر المرأة ، وبالأخص اذا كان مسافة ثلاثة أيام مشيا . ونرى بالضرورة أنه ينبغى أن يلتفت نظرنا الى ما يقع كثيرا من نسائنا وفتياتنا من سفرهن خارج البلاد ، ومكثهن السنوات الطوال بين أحضان الغرباء بل المخالفين لنا فى الدين والعقيدة ، كما نرى بالضرورة وجوب اسداء النصيحة الى النساء اللواتى يحججن الى بيت الله الحرام حجة النفل

منفردات ، دونما محرم أو زوج بعدم السفر الى الحج ، وبالاستعاضة عنه بعمل صالح آخر من صدقة أو سواها .

هل تجوز الانابة فى الحج ..

وقد يحول المرض أو الموت أو سواهما بين كثير من الناس وبين الحج ، مع توفر الاستطاعة لديهم بمفهومها المالى أو البدنى أو بمفهوميهما ، فهل يجوز لهم الاستنابة ؟؟

وقبل الاجابة على هذا السؤال نقول ان العبادات تنقسم الى ثلاثة أقسام : بدنية محضة كالصلاة والصوم . ومالية محضة كالزكاة والصدقة ، ومزيج منهما كالحج . ولا يقبل القسم الأول النيابة مطلقا بينما يقبله القسم الثانى دونما خلاف . اما القسم الثالث فقد اختلف فيه العلماء .

فذهب الامام مالك الى القول بعدم جواز الانابة فى الحج . وذهب الأئمة الثلاثة الباقون الى جواز ذلك شرط العجز المستمر .

والذين قالوا بالجواز اعتمدوا الأحاديث الكثيرة الواردة فى هذا الباب :

فقد روى عن أبى عباس رضى الله عنهما أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان أبى أدركته فريضة الله فى الحج شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستوى على ظهر بعيره . قال : (فحجى عنه) .

كما روى أيضا عن ابن عباس قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال : ان أبى مات وعليه حجة الاسلام أفأحج عنه ؟ قال : ارأيت لو ان أباك ترك دينا عليه أقضيته عنه ؟ قال نعم . قال : (فاحجج عن ابيك) .

وأما الامام مالك رضى الله عنه فقد أخذ بظواهر النصوص الواردة فى القرآن الكريم كقوله تعالى : (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى . الا تزر وازرة وزر اخرى . وان ليس للانسان الا ما سعى) ولذلك فقد ذهب الى القول بأن من مات ولم يحج ، وهو قادر ، ثم استأجر له ورثته من يحج عنه لم تكن حجة الاجير لتسقط الفرض عن كاهل المحجوج عنه . .

ولما كان الأئمة الاربعة فى هذا الموضوع بالذات مجتهدين وكان اجتهاد كل منهم عرضة للخطأ كما يمكن أن يكون صوابا .

ولما كان الامام مالك رضى الله تعالى عنه قد ارتأى عدم جواز الاستنابة فى الحج ، فان من واجبنا أن نستخلص أن على المرء المسلم القادر على الحج المبادرة اليه لأدائه بنفسه ، خشية أن يكون رأى الامام هو الصحيح ، فيكون موته قبل الحج مع القدرة عليه سبب مؤاخذة شديدة جدا خصوصا وان العلماء غير متفقين فيما اذا كان يجوز تأخير الحج مع القدرة أم لا ؟!

فقد ذهب صاحب نيل الاوطار الى القول بوجوب الحج على الفور بعد الاستطاعة ، وان التأخير معها يورثه اثما كبيرا .

والى هذا القول ذهب الامام مالك رضى الله تعالى عنه وابو حنيفة وأحمد وبعض أصحاب الامام الشافعى كما ذهب الى هذا الرأى من اهل البيت الامام زيد بن على .

بينما ذهب الأئمة الشافعى والأوزاعى وأبو يوسف ومحمد من الاحناف الى أن الحج واجب على التراخى ، وان التأخير مع الاستطاعة لا يجعل المؤخر آثما اذا لم يكن خائفا من فوات الحج بالفقر والعجز .

ولا يكون الحج صحيحا الا اذا كان الاحرام به فى وقت خاص عملا بقوله تعالى : (الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) وهذه الاشهر هى شوال وذو القعدة وذو الحجة اى انه يمكن

الاحرام بالحج من أول شـــوال وتنتهى أركانه وواجباته فى آخرها وهو ذو الحجة ..

وقد اختلف العلماء فى هذا ، فقال بعضهم أن الاشـــهر المعلومات هى الثلاثة من أولها الى آخرها . وهو ما ذهب اليه ابن مسعود وابن عمر والامام مالك رضى الله عنهم اجمعين . وقال بعضهم انها الشـــهران وعشر من ذى الحجة . وهو ما ذهب اليه أبو حنيفة والشافعى واحمد .

اركان الحج ..

ولا يتم الحج الا بالقيام بالأركان التالية :

١ ــ الاحرام ..

٢ ــ طواف الزيارة ويسمى طواف الافاضة .

٣ ــ السعى بين الصفا والمروة ..

٤ ــ الوقوف بعرفة ..

ولو نقص واحد منها بطل الحج باتفاق الشافعية والحنابلة والمالكية .

أما الاحناف فهم يرون ان أركان الحج اثنان فقط ، هما : الوقوف بعرفة ، واربعة اشواط من طواف الزيارة . وما تبقى فهى واجبات لا يبطل تركها الحج بل يجب جبره بتقريب الدم . وهو ذبح شاة أو سواها حسب الواجب المتروك .

والاحرام يكون من المواقيت المـــكانية المحددة لـــكل بلد والمبينة فى كتب الفقه . ولا يجوز مجاوزتها ولا محاذاتها دون احرام فمن جاوزها دونما احرام يلزمه الدم ، اللهم الا اذا كان ثمة ميقات آخر يمكن أن يمر عليه ، فعلى قاصد الحج عند الوصول اليه الاحرام .

ما يحرم على المحرم ..

ويحرم على من احرم عقد النكاح عند الشـــافعى ومالك واحمد خلافا للأحناف ، كمـــا يحرم عليه الجماع ودواعيه كالقبلة والمباشرة . ويحرم عليه المخاصمة مع الرفقاء عملا بقوله تعالى : (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) .

ويحرم عليه التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح أو الاشارة اليه أو الدلالة عليه . وأما صيد البحر فحلال وذلك لقوله تعالى : (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) .

ويحرم عليه اســـتعمال الطيب ، وتقليم الاظافر ، ولبس المخيط ان كان رجلا أو محيطا ببدنه أو ببعضه بما تعود لبسه فى غير أيام الحج .

ويحرم عليه أيضا قص شعر رأسه أو حلقه أو غيرهما . كما يحرم عليه ازالة شعر غير الرأس ، اللهم الا اذا كان متأذيا به فيجوز له أن يزيله وعليه الفدية .

ويحرم على المحـــرم التعرض لشـــجر الحـــرم بقطع أو قلع أو اتلاف الا الاذخر .

هذا ويسن للمحرم بعض الاجراءات ويكره له البعض الآخر . وبالامكان الرجوع الى المظان الفقهية للاطلاع عليها فى هذا الباب(١) .

---

(١) أصدرنا رسالة فى الحج فيها بيان وتفصيل لاحكامه فى جميع المذاهب ، وقد وزعت هدية مع العدد الماضى من المجلة .

وطواف الزيارة . هو ركن كما قلنا . واذا لم يقم به الحاج فيبطل حجه . وهو سبعة اشواط وعند ابى حنيفة أربعة اشواط والباقى من السبعة واجب .

ووقته من فجر يوم النحر الى آخر العمر عند الاحناف ، ولا يكاد يخالفهم فى هذا الشافعية والحنابلة . أما المالكية فهم يرون أن نهاية وقته آخر ذى الحجة .

وهناك طواف الوداع وهو واجب ، وطواف القدوم وهو سنة . .

ويطلب فى الطواف شروط أهمها الطهارة من الحدث والنجس ، وستر العورة والبدء بالحجر الاسود محاذيا له أو لجزئه ، وجعل البيت عن اليسار . وله سنن وواجبات وهى كثيرة وبالامكان الاطلاع عليها فى مظانها الفقهية أيضا لعدم تيسر ذكرها جميعها فى هذه الكلمة .

أما السعى بين الصفا والمروة فيشترط فيه أن يكون سبعة أشواط وأن يبدأ بالصفا والموالاة . وأن يكون بعد الطواف مع خلافات يسيرة بين الأئمة فيها وله مندوبات كثيرة . .

أما الوقوف بعرفة فيطلب فيه أن يكون المحرم بالحج موجودا على أرض عرفة على أية حالة . يقظان أو نائما ، قاعدا أو قائما ، بشروط أولها أن يكون من زوال شمس اليوم التاسع من ذى الحجة الى فجر يوم النحر عند الشافعية ويكفى الحضور فى هذا الوقت ولو لحظة تجمع بين النهار والليل ، ويشترط فى الواقف أن يكون أهلا للعبادة . فلا يقبل الوقوف من مجنون ولا سكران .

أما الاحناف فيرون جواز هذا الوقوف من أى انسان مسلم . على أى حال كان ولو مجنونا أو زائل العقل وسواء كان ناويا أو لم يكن كذلك .

ويجب امتداد الوقوف حتى غروب الشمس ان وقف نهارا وان نزل قبل الغروب وجب عليه دم .

واجبات الحج . .

يجب فى الحج واجبات منها الوجود بمزدلفة ، والمبيت بمنى ورمى الجمار والحلق والتقصير .

والوجود بمزدلفة يكون ولو بلحظة بعد نصف الليل ، أما المبيت بمنى فيشترط فيه أن يكون بمعظم الليل من ليالى التشريق لمن لم يتعجل . أما من أراد التعجل والخروج من منى الى مكة فى اليوم الثانى من أيام التشريق أى ثالث أيام العيد فلا بأس لقوله تعالى : (فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه) بشرط أن يخرج منها قبل الغروب من اليوم التالى وأن ينوى ذلك ويجوز لمن به عذر أن لا يبيت فيها . . كل هذا فى رأى الشافعية .

أما الأحناف فيطلب عندهم من الحاج الوقوف بمزدلفة ، ولو لوقت قصير بعد طلوع الفجر بقليل . فاذا لم يقف لغير عذر وجب عليه الدم . ثم ينزل الى منى قبل طلوع الشمس ويرمى جمرة العقبة بكيفية مخصوصة . ثم يقطع التلبية ويذبح ويحلق أو يقصر ، ثم يحل له كل شىء من محظورات الاحرام ما عدا النساء . وبعد الفجر من يوم النحر يمكنه أن يذهب الى مكة ليطوف طواف الزيارة . ويسعى بين الصفا والمروة ، وبعد الانتهاء منهما يحل له كل شىء حتى النساء . . ومن ثم يعود الى منى ليرمى الجمار الثلاث ثانى يوم النحر وثالثه ورابعه ولو بات خارج منى لم يجب عليه شىء ، وان أراد التعجل فى يومين أيضا فلا اثم عليه عملا بالنص الحكيم . .

ويفسد الحج بترك أحد هذه الاركان عند من اعتبرها أركانا ، كما يفسد بالجماع ، على تفصيل بين المذاهب فى الوقت الذى يكون فيه مفسدا للحج . .

اما اذا ترك شيئا من الواجبات ، او فعل شـــــيئا مما يحرم عليه فعله حالة الاحرام ، حبس المخيط المعتاد ، أو التطيب أو تقليم الاظافر أو تغطية الرأس أو الوجه فعليه الفدية . وهى على التخيير اما اسالة دم ، أو اطعام ستة مساكين أو صوم ثلاثة أيام .

بقى علينا أن نتكلم فى كيفية حج النبى صلى الله عليه وسلم . هل حج مفردا أو قارنا أو متمتعا وأيها أفضل ؟

وبين يدى الجواب نقول ان **الافراد** بالحج هو أن ينوى المحرم الحـــج فقط . **والاقران** هو أن ينوى الحج والعمرة معـــا ويلبى بهما ، **والتمتع** هو ان ينوى العمرة متمتعا بها الى الحج .

وسواء كان الحاج قارنا أو متمتعا فان عليه الدم . اما الأول فلما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم ذبح عن نسائه البقر يوم النحر وكن قارنات . وأما الثانى فلقوله تعالى : (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى) .

وقد وردت بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج قارنا . وقد أكد هذه الاخبار ووثقها ابن القيم فى كتابه زاد المعاد ، واسهب فى التدليل على صحتها ، وابطال نسبة سواه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

غير أن بعض الرواة نقل انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا ، وبعضهم نقل انه حج متمتعا .

ويرى الشافعى ان الافراد فى الحج افضل . بينما يرى الاحناف ان القران افضل . أما مالك فيرى ان التمتع افضل .

وانى لأرى أن ذلك متروك لظروف الحاج ووقته فيختار ايها أنسب له من ناحية الوقت وغيره .

كيفية الحج ..

هذا ولو شئنا وضع خطة يسيرة مختصرة لأعمال الحج ، فانا نستطيع ايرادها كما يلى :

لو أراد أحدنا الحج فان عليه ان ينوى الاحرام بعد أن يغتسل ثم يأتزر بازار ويرتدى برداء غير مخيطين . ويتطيب ويصلى ركعتين ثم يقول اللهم انى أريد الحج فيسره لى وتقبله منى . ثم يلبى عقب الصـــلاة بقوله : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

وبهذه التلبية مع النية بعد تلك الاجراءات ، يصبح محرما . ويكون هذا كله عند الميقات .

وبالاحرام يحظر على المحرم ، الرفث والفسوق والجدال ، وقتل الصيد ولبس القمصان والسراويل والبنطلونات والجاكيتات والعمائم والاحذية الكاملة التى تغطى كامل القدم . وتغطية الرأس والوجه ومس الطيب ، وحلق الرأس وشعر البدن ، ويطلب منه أن يكثر من التلبية . وبمجرد دخوله مكة يتجه الى المسجد الحرام ثم يستقبل الحجر الاسود ، ويكبر ويهلل ، ويضعه عن يساره ، ويطوف بالبيت سبعة أشواط ، ثم يأتى المقام أو حيث يتيسر له من المســـــجد فيصلى ركعتين . ثم يخرج الى الصفا ، فيستقبل البيت ، ويكبر ويصلى على النبى ، ويرفع يديه بالدعاء ثم يسعى بين الصفا والمروة ســـبعة أشواط . ثم يقصر أو يحلق ، ويتحلل من الاحرام ويذبح شاة لهذا التمتع .

فاذا كان يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة ، احرم للحج وخرج الى عرفات . فاذا زالت الشمس من اليوم التاسع صلى ان كان اماما بالناس الظهر والعصر من وقت الظهر بآذان واقامتين ولا يتطوع بينهما .

وان كان منفردا صلى الظهر حيث هو ثم عاد فصلى العصر فى وقته أيضا حيث هو .

ثم يتجه الى الموقف . وعرفات كلها موقف الا بطن عرنه . ويلبى ساعة بعد ساعة . حتى اذا غربت الشمس أفاض الى مزدلفة ، حيث يصلى الامام بالناس المغرب والعشاء جمعا بآذان واقامة . والمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر ثم يصلى الفجر . وعند الاسفار يفيض الى منى ، ويبتدىء بجمرة العقبة ، فيرميها بسبع حصيات مكبرا مع كل حصاة . ثم يذبح ان أحب ، ويقصر او يحلق . ويحل له كل المحظورات ما عدا النساء . ثم يأتى مكة من يومه . أو من غده ، أو من بعد غده ، ويطوف بالبيت طواف الزيارة . ثم يسعى . ثم يعود الى منى فيقيم بها حتى اذا زالت الشمس من اليوم الثانى من أيام النحر رمى الجمار الثلاث ، ويكرر عمله فى اليوم الثالث . ثم فى الرابع ، وان أراد التعجل نفر الى مكة فى اليوم الثالث قبل طلوع فجر اليوم الرابع . وان بقى حتى اليوم الرابع جاز له أن يقدم الرمى قبل الزوال وبعد الفجر .. ثم ينزل الى مكة ، ويطوف طواف الصدر ، وهو ما يسمى طواف الوداع . وبذلك يتم الحج .

ولا ريب أن فى هذا الذى سقناه من أعمال الحج ومناسكه مخالفات كثيرة لما عليه المذهب الشافعى وسواه ولكن هى طريقة اتبعها فى غالبها الاحناف فلا بأس من اتباعها .

هذا وان العمرة كالحج سواء بسواء الا أنها تختلف عنه بأنه يمكن القيام بها طيلة أشهر السنة ولا يطلب فيها الوقوف بعرفة ولا المبيت بمزدلفة أو منى ولا رمى الحجار ..

ان الحج الى بيت الله الحرام عمل عام ، جرى عليه العرب قديما فى الجاهلية والاسلام ، ولا يزالون ، وذلك لتعظيم هذا البيت الكريم . وأى تعظيم اكبر من افتراض حج الناس اليه على مدى الاجيال والقرون وتقلب الاوضاع والعهود ؟

انه أفضل الاعمال بعد الايمان والجهاد . فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال ايمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟ قال جهاد فى سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور . والحج المبرور هو المقبول لأنه لم يخالطه اثم والذى قد وفيت أحكامه ، بل انه جعل الحج بالنسبة للنساء كالجهاد ويقوم مقامه . فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يا رسول الله هل على النساء من جهاد ؟ قال نعم عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة . . »

وقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما . والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة .

أيها الاخوة : فى الحج منافع كثيرة أشار الله تعالى اليها بقوله « ليشهدوا منافع لهم » ومنافع الحج أكثر من أن نستوعبها فى هذه الكلمة . ولكن يكفى أن نقول ان فى الحج تذكيرا للحاج بأحوال الآخرة والموت ، لأنه عندما يقبل عليه يكثر من التوبة ، ويحاول ما استطاع اخراج نفسه من المظالم التى سبق له أن وقع فيها ، ويرد الحقوق الى أصحابها ، ويلبس ثياب الاحرام مشابها بذلك حال الميت عند قيامه من القبر مجردا حاسرا شبه عريان ، مقبلا على الله أشعث أغبر ، ثم يقف فى عرفات وقفة شبيهة بوقفة يوم العرض على الله .

فما أحلى أن يتذكر الانسان دعاوى الخير ، وما أجمل ان يعتبر من هذه التذكرات ، فيصلح يومه وغده وحاله ومآله ..

٧

علم الفلك والقرآن

الدكتور: جمال الدين الفندي

رئيس قسم الفلك بكلية العلوم ــ جامعة القاهرة

« ألم تر ان الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » آية ٤٣ سورة النور ..

آثر صديقى أن أكتب هذه المرة ، وأعلق على تلك المعانى العلمية الرائعة ، والحقائق المعجزة الأخاذة التى تضمنتها هذه الآية الكريمة ..

ولقد سبق لى أن أشرت الى هذه المعانى ضمن برامج (نور على نور) فى العام الماضى (١) ، وكم يحلو لى أن أكتب عنها فى مجلة (الوعى الاسلامى) مخاطبا تلك العقول الواعية ، والقلوب المتفتحة والنفوس المطمئنة ، لتزداد ايمانا على ايمانها ، ولتلمس الاعجاز العلمى للقرآن وسبقه للركب ، عن طريق تلك القضايا العلمية العامة التى طالما أشرنا اليها ، ولكن باعطاء نص كامل دقيق لخطوات تولد السحب الركامية النامية التى تجود بالبرد ، وتولد عواصف الرعد .

قلت لطلبة (دبلوم الارصاد الجوية) خلال محاضراتى عن السحب الركامية منذ سنوات : انه من باب الأمانة العلمية ، يجدر أن نذكر هذه الآية ضمن المراجع العلمية ، بوصفها أول ما عرفنا من حقائق ، تتعلق بتلك السحب ، ويجب أن نوضح ذلك لعلماء الغرب ، ممن درسوا موضوع السحب وبحثوه ، وألفوا فيه الكتب ، حتى يتبين لهم السبق العلمى للقرآن الكريم .

والسحب الركامية هى التى تنمو فى الاتجاه الراسى . وربما سميت ركامية نظرا لتراكمها فى طبقات بعضها فوق بعض . ويطلق عليها الفرنجة كذلك اسم (كيوميولس) من (كيوميولت) أى يتراكم .

(١) استمعت للدكتور حديثه عن هذه الآية فى تليفزيون الكويت فأعجبت به ، وكتبت اليه ليقدمها لقراء « الوعى » فاستجاب مشكورا

وهناك نوع آخر من السحب ينتشر عادة فى الاتجـــاه الأفقى ، فيغطى السماء بأكملها بطبقة متصلة من **السحاب الطبقى** .

ومن مزايا السّحب الركامية أنها قد تمتد راســـيا الى علو خمسة عشر كيلو مترا او اكثر ، وبذلك تظهر لمن ينظر اليها عن بعد كالجبال الشامخة (٢) ، وعندئذ يمكن أن تميز داخلها طبقات ثلاث هى :

الطبقة العليا : وهى تتكون من بلورات من الثلج الناصع البياض .

الطبقة الوسطى : وهى خليط من نقط الماء فوق المبرد (أى الذى تنخفض درجة حرارته تحت الصفر المئوى بسبب شدة برودة تلك الطبقات من الجو) ، وبلورات الثلج المتساقطة من أعلى تحت تأثير جذب الأرض لها .

المنطقة السفلى : واغلبها نقط نامية من المـــاء او بلورات الثلج على اهبة السقوط الى الأرض على هيئة زخات من المطر . ولون هذه الطبقة معتم بسبب عدم نفاذ الضوء خلالها .

وتتيح فرصة النمو فى الاتجاه الراسى نشوء السحب الركامية عبر طبقات من الجـــو ، تختلف درجات حرارتها اختلافا كبيرا ، فتنشــــأ بذلك الدوامات الراسية ، ويتولد البرد ، ولهذا فان الســـحب الركامية هى وحدها التى تجود بالبرد . وهذه الحقيقة فى ذاتها تفسر لنا قوله تعالى : « وينزل من السماء من جبال فيها من برد » .

وتتلخص قصة تولد البرد داخل هذه الجبال فى ان بلورات الثلج النامية تتساقط من الطبقة العليا من السحابة ، وسريعا ما تهبط بفعل الجاذبية ، وتدخل المنطقة الوسطى ، حيث تتصادم مع نقط الماء فوق المبرد . ومن خصائص هذه النقط انها غير مستقرة ، بمعنى أنها قابلة للتجمد أو التحول الى جليد ــ كلها أو بعضها ــ حسب درجة حرارتها ، بمجرد تصادمها مع جسم صلب مثل بلورات الثلج المتساقطة من أعلى الســـــحب الركامية . وهـــكذا تجمع تلك البلورات بالتصادم والتجمد كميات وفيرة من الثلج ، فتنمو مكونة البرد المعروف ، وفى بعض العواصف عندما تشتد تيارات الحمل الصـــاعدة تنمو حبات البرد حتى تصبح فى مثل حجم البرتقال !!

وعندما استخدم العلماء الرادار فى تصوير مراحل تكون السحب الركامية فى أعقاب الحرب العالمية الماضية ، تبين لهم أن السحابة انما تبدأ على هيئة عدة خلايا ، أو وحدات من السّحب التى تثيرها تيارات الهواء الصاعد ، ويعقب ذلك ان **تتحد كل خليتين أو أكثر** (حسب الظروف) مكونة السحابة الركامية المطرة .

ورغم أن الانســـان لم يتوصل الى هـــذه الحقيقة العلمية الرائعة الا منذ

---

(٢) رأيت هذه الظاهرة من نافذة الطائرة وهى تحلق فى سماء لبنان فظننتها أولا جبالا أرضية تكسوها الثلوج وحين عرفت الحقيقة تذكرت قوله تعالى « وينزل من السماء من جبال فيها من برد »

عشرات السنين فقط ، نجد أن القرآن يقررها فى بســـاطة من غير ما جلبة أو ضوضاء اذ يقول : «ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم **يؤلف بينه** ثم يجعله ركاما» .

ويمر المســـلمون عليها مر الـــكرام ، وبدلا من البحث عما فيها من الحقائق العلمية (١) اكتفوا بتفسير معنى الألفاظ ، دون أن يدركوا ما فيها من اعجاز علمي رائع . .

وهكذا يقرر لنا الجزء الأول من الآية مراحل تكون السحب الركامية ، ثم يخصصها (بالنمو الرأسى حتى تصـــير كالجبال وعنـــدئذ تجود دون غيرها من السحب بالبرد . وليس من اللازم أن يتساقط البرد من السحابة بمجرد تكونه ، اذ ربما يحول تيار الهواء الصاعد دون نزوله فى مكان معين ، حتى اذا ما ضعف هـــذا التيـــار هوى البرد على هيئة زخات لا هوادة فيها ، وكأنما قد انفجرت السحابة ، مما يفسر لنا المراد بقوله تعالى : (فيصيب به من يشاء ويصرفه **عن** من يشاء) .

ومن أعم صفات هطول البرد حدوث الرعد . ومرة أخرى نجد ان السحب الركامية النامية هى وحدها التى يمكن ان تتولد فيها عواصف الرعد . وعندما ننظر الى الآية الكريمة نجدها تقول : « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » . أى ســنا برق البرد ، لأن البرد هو أقرب مذكور للضـــمير . والبرق هو التفريغ الـــكهربى المعروف الذى يولد الرعد . ومنذ فجر عصر النهضـــة العلمية راح العلماء يبحثون عن سر شحن الســـحب الركامية بالكهربائية ، وظهرت عدة نظريات مثل نظريات (ولسون) ، ونظرية (سمسون) ، ونظرية الأشـــعة الكونية ، ثم أخيرا ثبت فى المعمل أن نمو وذوبان البرد بعد أن يبلغ حجما معينا تصحبه حتما انفصال شحنات كهربائية عظمى . واليك التفصيل :

تحدث عواصف الرعد فى كافة أرجاء الأرض ما عـــدا المناطق القطبية ، ويكثر حدوثها فى المناطق الاستوائية ، حيث يسبقها سكون الجو ، وقد ثبت أنها تلازم نمو وذوبان البرد عند حجم معين داخل السحب الركامية . وينشأ الرعد عن تولد شحنات كهربية هائلة فى الســـحب ثم تفريغها . ويتم تولد هـــذه الشحنات عن طريق تجمع الشحنات الموجبة والشحنات السالبة كل على حدة . وقد وجد بالحساب أن عدد عواصف الرعد التى تحدث فى جو الأرض فى اليوم الواحد يبلغ اكثر من ٤٠ الفا ، أى بمتوسط قدره (١٨٠٠) عاصفة فى الساعة الواحدة . وتستهلك العاصفة فى المتوسط نحو ٢ر٥ مليون كيلووات ساعة .

والأصل فى الرعد تفريغات كهربية بين أجزاء السحابة المختلفة . أو بين بعض السحب وبعض ، أو بين السحب والأرض وهى الصاعقة ، ويصحب هذه التفريغات انبعاث شرارات هى البرق . ويسبب البرق تسخينا شديدا فجائيا فى مناطق الهواء التى ينبعث فيها ، فيتمدد فجأة ويزداد حجمه ، وبذلك تتولد

---

(١) أعتقد أن التقدم العلمى واختراع الالات التى ساعدت عليه مما ساعدنا الآن على ادراك ما فى الآية من اعجاز علمى ، ولم يكن فى زمن المفسرين شيء من هذه الآلات الحديثة ، انما الذى يمكن أن نقوله مع هذا : ان القرآن الكريم بمثل هذه الآيات الكونية يلقى على عاتق العلماء المسلمين واجب السبق فى الميدان العلمى .

سلسلة من أمواج التضاغط والتخلخل فى الجو المحلى ، هى الرعد . وتعزى جلجلة الرعد المعروفة أو هديره الى ما يعترى سلسلة الموجات الصوتية هذه من عدة انعكاسات من قواعد السحب ومن المرتفعات ونحوها .

وعادة تنشأ الشحنات الكهربية فوق مستوى الصفر المئوى داخل السحب . وتثبت التجارب المعملية أن المكونات الثلجية (البرد) عندما تنمو تكتسب شحنات سالبة ، وقد قيست هذه الشحنات ، واستخدمت تلك القياسات فى حساب معدل تولد الشحنات الكهربية فى منطقة فوق التبريد ، ثم منطقة بلورات الثلج ، ووجد أنه يمكن أن تتولد شحنات مثل الف مليون وحدة خلال ١١ دقيقة فقط . وتحمل هذه الشحنات الى أسفل مع مكونات السحابة الهابطة ، بينما تنفصل شحنات اخرى موجبة بنفس المعدل ، مما يفسر ظاهرة حدوث التفريغ كل عدة دقائق .

ويتوقف معدل تولد الشحنات السالبة بنمو البرد على عوامل عديدة منها :

١ ـ سرعة تصادم الأجزاء فى منطقة فوق التبريد .

٢ ـ حجم البرد ويتولد الجزء الأعظم من الشحنات الكهربية عندما تقارب اقطار حبات البرد ٢ ملليمتر فقط .

وكذلك تنفصل شحنات سالبة أكبر من السابقة عندما يتبخر البرد . ولكن عندما تتميع حبات البرد تنفصل شحنات عظمى موجبة ، خصوصا عند تصادمها مع نقط الماء فوق المبرد ، ويصحب الحالتين تناثر أجزاء دقيقة يحملها الهواء . وتكون محملة بالكهربية المضادة . وتتمحى الشحنة اذا ما تكون الثلج الشفاف . بدلا من البرد المتميع ، مما يفسر اختفاء عواصف الرعد فى المناطق القطبية الباردة حيث يتساقط الثلج بدلا من البرد . .

هكذا ترى أيها القارىء الكريم أن القرآن اتى بجانب من التفاصيل العلمية التى لم يتوصل اليها الناس الا فى عصر الذرة . وهناك بطبيعة الحال ، العديد من الآيات التى لا زلنا نمر عليها مر الكرام ، أو نحاول تفسيرها بطرق افتراضية عقيمة . ولكن سوف يأتى الوقت الذى تظهر فيه تلك المعانى واضحة جلية ، ليثبت بحق أن القرآن معجزة خالدة ، وأنه لا يقف اعجازه عند حد معين ولا عند ثقافة بالذات .

هذا ومن أظهر أضرار البرق الاصابة بالعمى المؤقت ، ولعل أكثر الناس تعرضا لذلك الطيارون ، خصوصا عند تحليقهم داخل السحب الركامية فى المناطق الحارة ، فقد يحدث البرق بمعدل يصل الى ٤٠ تفريغا فى الدقيقة الواحدة !! .

وعندما يصاب الطيار **بالعمى المؤقت** الذى يعبر عنه القرآن الكريم احسن

تعبير اذ يقول : (**يكاد** سنا برقه يذهب بالأبصار) ، يفقد سيطرته على الطائرة ، وعند ذلك يشتد الخطر . ونحن قد لا نتأثر كثيرا بالبرق لبعده عنا ، حتى اننا قد نرى الضوء الذى ينتقل بسرعة ٣٠٠ الف كيلو مترا فى الثانية الواحدة ، ولا نسمع الصوت الذى ينتقل فى طبقات الجو بسرعة تهمل بالنسبة الى سرعة الضوء كما هو معروف .

هذا ما عن لنا أن نكتبه اليوم تعليقا على الآية الشريفة ، ولقد أورد القرآن العديد من آيات الاعجاز العلمى فى هذا المجال وراح يطالبنا بالتفكير والدراسة فيما وجه أنظارنا اليه ، فقال مثلا فى سورة البقرة !

(.. وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) ..

وأن تصريف الرياح والسحاب هو مجمل علم الرصد الجوى ، وتكون دراسات تصريفهما هذا أكبر مشكلة تواجه العلماء لأنها لم تكتمل جلها بعد ، ولكن الركب يسير (١) .

وبهذه المناسبة نتحدث فى المرة القادمة ان شاء الله تعالى عن الآية :

(وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) لأنها بدورها تتضمن العديد من حقائق علم الرصد الجوى بعيدا عن فكرة تلقيح الرياح للنباتات التى نادى بها الأقدمون . والتى لا نرى الوقوف عند حدها فى عصرنا هذا .

أما الصواعق فقد ورد ذكرها فى القرآن فى مثل قوله تعالى فى سورة البقرة :

« يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » .

ويجىء ذكر الصواعق ايضا فى سورة الرعد ، التى تحمل اسم هذه الظاهرة الطبيعية الجبارة ، التى أخافت الناس منذ القدم ، وكان الاغريق يتصورونها صوت مطرقة الاله (زيوس) عندما يدق بها السندان غضبا . وتقول الآية :

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) .

وعادة يتم التفريغ الكهربى فى حالات الصواعق بين السحب والأجسام المرتفعة . ولهذا السبب يتعرض الشجر وخاصة الجوز والبلوط ، للصواعق كما تتعرض لها السفن فى البحار والمحيطات . واذا أصيب شخص بمس من صاعقة وجبت المبادرة الى اجراء التنفس الصناعى له مدة طويلة لا تقل عن ساعة ، فقد تعود اليه الحياة ، والله أعلم .

---

(١) القرآن كذلك هو أول كتاب ربط اثارة السحب بارسال الرياح لتتجمع فى صعيد واحد ، وكان الأقدمون يظنون أن المطر انما ينهمر من ماء مخزون فى السماء عندما تفتح الآلهة الابواب . ولم يكن أحد يعرف أن الهواء هو الذى يحمل بخار الماء الذى يتكاثف فى السحب الى مطر أو برد .

ويمكن أن تتخذ الرياح كدليل على تقلبات الجو المنتظر ، فمنها ما ينذر بالجو الحار المترب أو المضب ، ومنها ما يبشر بالمطر ، ومنها ما يدل على اقتراب عواصف الرعد ، الخ .. وقد ألف الأقدمون هذه الظواهر ، لاسيما الملاحون والرعاة ممن كانت طبيعة أعمالهم تعتمد على الجو وتقلباته . وفى مثل هذه المعانى يقول القرآن مثلا :

ا — فى سورة الأعراف : (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) .

ب — فى سورة الروم : (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون) .

وتشمل دراسات الطبيعة الجوية اليوم تحليل الهواء الى كتب معينة ، وقياس ما تحمل من شوائب وأتربة ، بالاضافة الى رصد عناصرها العادية للتعرف على أماكن تولدها ، ووسائل التنبؤ بها ، وطرق مقاومتها أو الحد من أضرارها ، الى آخر ذلك من الدراسات والموضوعات الحيوية التى تتصل بالانسان وكيانه ونشاطه وحياته وحياة ماشيته .

مواكب الحجيج

من نساء العرب والاسلام

الأستاذ : محمد عبد الغني حسن

لا شك ان اودية مكة وشعابها واباطحها قد سالت بها اعناق المطى فى مواسم الحج كل عام ، منذ السنة التى فرض الله فيها الحج على المسلمين رجالا ونساء على السواء .

وقد كان للرجال من ذوى القدر والجاه فى الأمة الاسلامية مواكبهم الى بيت الله الحرام منذ اللحظة التى حج فيها أبو بكر الصديق — وهو خليفة — سنة اثنتى عشرة من الهجرة .

وتختلف مواكب الرجال الى بيت الله الحرام بين البساطة التامة ، والفخامة الزائدة ، تبعا للرجل من ناحية ، وتبعا لظروف العصر وغناه من ناحية أخرى . فقد كان موكب الخلفاء الراشدين الى البيت الذى بارك الله حوله بسيطا متواضعا ، لا يوحى بعظمة المواكب ، ولا بجلال المراكب .. على حين كان الخليفة العباسى هارون الرشيد فى حجاته الكثيرة المتعددة يطرح له الرمل حول البيت الحرام بعرض ذراعين ، ويرش بالماء ، ويقوم الحرس الكثير بينه وبين الناس ، كما كان موكب الظاهر بيبرس والسلطان الناصر قلاوون من المواكب الرائعة العظيمة التى لم تشهد مكة مثلها الا قليلا .

واذا كان التاريخ قد سجل بعض مشاهد الأبهة والجلال لعشرات من الرجال فى موكبهم الى مكة المكرمة ، فان بعض النساء من المسلمات لم تقل مواكبهن فى هذا الميدان أبهة ولا فخامة ولا روعة عن مواكب الرجال .

ومن عجب انه أتت على موسم الحج فترة فى تاريخ الاسلام استغلها بعض شعراء الغزل للتشبيب بشهيرات النساء اللواتى يقدمن الى مكة وهن فى مشاعر الحج .. وأعجب من هذا أن يحدث ذلك فى عصر قريب جدا من صدر الاسلام . وما حديث الشاعر الغزل عمر بن ابى ربيعة مع عائشة بنت طلحة

ببعيد عن المتتبعين لتطور الشعر الغزلى فى العصر الأموى . فقد كانت نظراته تكاد تخترق مواكبها المترفة وهى بين رفيقاتها فى الطواف .. وما تكاد تلمحه حتى تعلم انها لن تفلت من تشبيبه بها ، فتبعث اليه جاريتها تقول له : اتق الله ولا تقل هجرا .. ! ويشفق الشاعر على عائشة فيقول للجارية : قولى لها : ان ابن عمك لا يقول الا خيرا .. !

ولم يكن ابن ابى ربيعة هو الشاعر الغزل الوحيد الذى اجترأ على مواكب النســاء فى الحج ، ومراقبتهن وهن فى الطواف . فقد كان له شركاء فى هذا العمل الذى لا يليق بمســلم متحرج ذى حياء .. ومنهم الحــارث بن خالد المخزومى ، وابو دهبل الجمحى ، والأحوص بالمدينة .

ولا ريب أن هذه الظاهرة المستهترة كانت موضع سخط واســتنكار من المسلمين جميعا ، على الرغم مما أغرت به بعض الشباب العابث ، كما أغرت أكثر النسوة المشبب بهن ، لأن الغوانى ــ كما يقول شاعرنا أحمد شوقى ــ يغرهن الثناء ..

واول موكب من مواكب النساء الحاجات يصادفنا فى التاريخ بصــفة جماعية كبيرة هو موكب المغنية (جميلة السلمية) من احذق المغنيات فى العصر الأموى ومن العالمات بأصول الغناء . فقد اخذ عنها معبد ، وابن عائشــة ، وحبابة ، وسلامة وغيرهم . ولقد قصدت « جميلة » السلمية هذه الحج يوما ، فخرج معها عدد من المغنين والقيان يؤلف موكبا من أهل الفن لم تشهده مكة فى يوم من أيامها ! ورافق موكبها عدد من الشعراء واشراف الحجاز منهم ابن ابى عتيق ، وكثير صاحب عزة ، والأحوص ونصيب ، والحقت بموكبها خمسين من مواليها حملتهن الابل على الهوادج والقباب ، وقامت جميلة بأعباء نفقتهن ، لم تكلف واحدة منهن درهما واحدا ..

وكان الرجال والنســاء فى موكبها على غاية من التأنق فى اتخاذ انواع اللباس العجيب الظريف ، كما تأنقت صاحبتنا فى انتقاء الهوادج والقباب .. ولما شارف موكبها مكة ، خرج أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون الى هذا الموكب العجيب ، ويشاهدون حسن هيئته ..

الخيزران

وفى العصر العباسى نرى .. « الخيزران » زوجة المهدى وام ولديه : الهادى وهارون الرشيد وقد قصدت الحج يوما ، فخرجت الى مكة فى موكب كبير يليق بمقــامها ، وهنا لا تفوتنا طريفة تاريخية حدثت لها وهى على اهبة الخروج فى موكبها ، فقد صاح بها الشاعر الظريف « ابو دلامة » فقالت لمن حولها : ســلوه ما أمره ؟ فقالوا له : ما أمرك ؟ فقال : ادنونى من محملها : قالت ادنوه ، فأدنوه ، فقال : يا ســيدتى : انى شيخ كبير . واجرك عظيم : قالت : مه ؟ .. قال : تهبين لى جارية من جواريك تؤنســنى ، وترفق بى ، وتريحنى من عجوز عندى ــ يعنى زوجته ــ قد اكلت رفدى ، واطالت كدى :

فقد عاف جلدى جلدها ، وتمنيت بعدها ، وتشوقت فقدها : فضحكت الخيزران ووعدته بالوفاء بما سأل بعد تمام حجها .. وهذه الخيزران التى تستهدى منها الجوارى فتهديها ، كانت هى نفسها جارية اشـــتراها الخليفة المهدى من احد النخاسين وأعتقها ثم تزوجها .

زبيدة

على أن مواكب الحج الاسلامية لم تشهد على خلال العصور موكبا نسائيا يدانى موكب زبيدة بنت جعفر ، أم الخليفة الأمين ، فى الجلال والنفقة وكثرة النفع للمسلمين . فقد عمرت طريق موكبها من بغداد الى مكة بالآبار والبرك والمنازل والمصانع ، التى لفتت نظر الرحالة الأندلسى ابن جبير من رجال القرن السادس الهجرى ، فكتب يقول :

وهذه المصانع والبرك والآبار والمنازل التى من بغداد الى مكة هى آثار زبيدة ابنة جعفر بن أبى جعفر المنصور ، زوج هارون الرشـــيد وابنة عمه . انتدبت لذلك مدة حيـــاتها : فأبقت فى هذا الطريق مرافق ومنافع تعم وفد الله تعالى كل سنة ، من لدن وفاتها الى الآن . ولولا آثارها الـسكريمة فى ذلك ما سلكت هذه الطريق . والله كفيل بمجازاتها والرضا عنها ..)

عين زبيدة

ولم تبال السيدة زبيدة بما ينفق من المال فى سبيل مرافقها هذه الى بيت الله الحرام . فقـــد روى المؤرخ ابن الجوزى وعنه نقل المؤرخ ابن خلكان فى « وفيات الأعيان » انها — بمشروع المياه الذى عملته — سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار . وانها اسالت الماء عشرة أميال بحط الجبـــال ونحت الصخر ، حتى نقلته من الحل الى الحرم .. ولـــما شرعت فى عمل .. « عقبة البستان » .. قال لها وكيلها : يلزمك نفقة كثيرة .. فقالت : اعملها ولو كانت ضربة فأس بدينار ..

ويروى لنا اليافعى صاحب كتاب (مرآة الجنان) — وهو من رجال القرن الثامن — أن آثار عين زبيدة باقية الى عهده ومشتملة على عمارة عظيمة عجيبة مما يتنزه برؤيتها ، على يمين الذاهب الى منى من مكة ، ذات بنيان محكم فى الجبال تقصر العبارة عن وصف حسنه .

ويروى لنا الرحالة المصرى محمد لبيب البتنونى — من أهل عصرنا — قصة هذه العين وتطوراتها ، وما طرأ عليها من طم للمجرى ، وتهدم البنيان ، وانقطاع المياه ، حتى أهملت تماما فى العصر العثمانى ، لولا أن ادركتها عناية من السلطان سليمان وكريمته الأميرة (مهرماه) التى أمرت بأن تكون نفقات الاصـــلاح من خاص مالها ..

ويمكننا أن نتصور جلال مواكب السيدة زبيدة الى البيت الحرام ، وفخامتها واتساع نفقاتها ، اذا عرفنا أن نفقات هذه السيدة المحسنة الجليلة بلغت فى احدى حجاتها الف الف دينار . ولما رفع اليها وكيلها حساب النفقة نهته عن ذلك قائلة : ثواب الله بغير حساب ..

علية بنت المهدى

واذا كانت زبيدة هذه هى زوج الرشيد العباسى ، فان أخته (علية بنت المهدى) قد كان لها موكب الى الحج فى ايام خلافة أخيها الرشيد على أنها قد كادت تفسد حجتها بما صنعته من انصرافها عقب الحج مباشرة — وهى فى طريق العودة — الى المقام بموضع « طيزناباذ »[1] المشهور بخمره . فلما علم الرشيد أخوها بذلك غضب عليها ، فما كان منها الا أن صنعت شعرا فى الاعتذار اليه تقول فيه :

اى ذنب اذنبته ؟ اى ذنب اى ذنب لولا رجائى لربى ؟
بمقامى بطيزناباذ يوما بعد ليلة على غير شرب !

ام المتوكل

ولامهات الخلفاء فى العصر العباسى نصيب لا بأس به من مواكب الحج . فقد كانت (شجاع) ام الخليفة المتوكل ذات مال عظيم ، وكانت كثيرة الصدقات فى غير معالنة بها . فلما حجت سنة ٢٣٦ هـ شيع ابنها الخليفة (المتوكل) موكبها الى النجف . فلما بلغت الكوفة أمرت لكل رجل من الطالبيين والعباسيين بألف درهم ، ولكل من أبناء المهاجرين بخمسمائة درهم ، وبمثل هذا القدر لكل امراة من الهاشميات .

وقد كان لبنات الأمراء نصيب من هذه المواكب الى مكة . ففى عام ٣٦٦ هـ خرجت الأميرة (جميلة الموصلية) بنت ناصر الدولة الحمدانى الى الحج . ويصف لنا الأديب الكبير الثعالبى فى كتابه (ثمار القلوب) كيف أنها أبانت فى موكبها من المروءة ، وفرقت من الأموال ، وأظهرت من المحاسن ، ونشرت من المكارم ما لا يوصف بعضه عن (زبيدة) وعن غيرهن ممن حججن من بنات الخلفاء والملوك .

ويروى الثعالبى أن الناس ضربوا المثل فى زمانه (بعام جميلة) ، ويؤكد لنا كذلك أن الثقات أخبروه انها سقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر الطبرزذ والثلج . وكانت قد استصحبت البقول المزروعة فى[2] مراكن الخزف على الجمال ، وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين من رحالة الحج . ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ، ولم تستصبح فيها الا بشموع العنبر ! واعتقت ثلثمائة عبد ، ومائتى جارية ، وأغنت الفقراء والمجاورين بالصلات الجزيلة ، فصارت حجتها تاريخا مذكورا ، ومثلا مشهورا . (البقية ص ٤٣)

---

(١) طيزناباذ موضع بين الكوفة والقادسية على جادة الطريق الى مكة ، وقد قال فيه الشاعر ابو نواس مشيرا الى الخوف من فتنة خمره :

قالوا تنسك بعد الحج ، قلت لهم أرجو الاله واخشى طيزناباذا

(٢) المراكن جمع مركن ، وهو وعاء كالحوض تغسل فيه الثياب . والسكر الطبرزذ بالدال أو الذال المعجمة : هو نوع من السكر قريب مما يسمى بالسكر البلاط الذى كان منتشرا الى عهد غير بعيد ..

حجة الوداع

آن للحق ان يشب عن الطوق ويحدو مسيرة الظافرينا
ويشع الهدى على مفرق الدهر نديا يفيض حزما رصينا
وغدا المسلمون فى الأرض ركنا يتسامون عزة ، ويقينا
وأقام الرسول بعد جهاد شق عهدا موثقا ، مأمونا
فأضاءت ربى الجزيرة آيات كرام شعاعها لن يبينا
تبهر النفس روعة ورواء والحجى منطقا ، وتجلو العيونا
بعد أن كان ظلها من ظلام قاتم اللون ، والهتاف أنينا
وانطوت صفحة الضياع وكانت وصمة تملأ النفوس شجونا
وهوى الشرك خاسئا يتوارى وارتدى الكفر ثوب ذل مهينا
وإذا الليل قد تبدل فجرا والسموات ترجم الماردينا
والورى يبصرون بعد عماء كالحيارى محجة السالكينا
ونظام الاسلام ينشر عدلا فى ربوع الحياة ، دنيا ودينا



وأراد النبى أن تسمع الدنيا بهذا الدوى يطوى السنينا
فتنادى الزحوف . لبيك يارب حجيجا ، يبادرون الأمينا
عرفات ميعادهم وهو صرح شامخ كفتاه ترعى المئينا
وفدت سفحه ، تردد صدقا برجاء ، طوائف الوافدينا
وهناك ارتقى عليه السلام المنبر الفرد ، قائما مأذونا
وأحاطت جموعهم فى حماه وهو يلقى الخطاب فصلا مبينا

الاستاذ: أحمد مصطفى السفاريني

أيها الناس . انكم في حرام ... آمن يستجد حينا فحينا
ايها الناس . انكم لأبيكم ... ((آدم)) اجمعين ، منه بنينا
انما الظلم فى الحياة حرام ... والربا ، والفساد . هل تنتهونا ؟
قاتلوا الباطل الزهوق بعزم ... واستبينوا السلام . حربا ولينا
لا تكونوا اذلة تخدعون الله والحق ، بل اقيموا المتونا
وافاض الرسول بالناس يمضى ... من هدى الوحى يرشد الناسكينا
وهو يبدو مع النفير رضيا ... باسم الثغر ، يستبين حنينا
انها حجة الوداع رمز المعانى ... وحى حق ، تذكر المتقينا
كمل اليوم دينكم مستقيما ... ووفى الله نعمة الشاكرينا
واستوى الأمر بانفساح الأمانى ... وسبيل الله المبين الشئونا



هى ذكرى تمر فى كل عام ... هل تراها تثير أشياء فينا !!
هل وعينا عن الرسول هداه ... واهتدينا بشرعه ورضينا ؟
هل اقمنا الجهاد دعوة حق ... نحمل الفكر ، يقرع المشركينا ؟
هل اعدنا الحقوق من سالبيها ... فى فلسطين ، مقدس المسلمينا ؟



لتكن حجة الوداع نذيرا ... تبعث العزم فى النفوس مكينا
ولنردد مع الحجيج دعاء ... ان نرى المسلمين حصنا حصينا

فى رحاب الكعبة

اين منى بيت رب متعال ؟   أين منى كعبة ذات جلال ؟
يد اسماعيل أعلت صرحها   وبابراهيم قرت كالجبال
وعلى الجدران منها حجر   وضعته خير كف فى الرجال
فى رباها تم ميلاد الهدى   يسكب النور على ليل الضلال

قد دعاهم ربهم شان مليك   راح يدعو عنده خير فريق
واحسوا أنهم قد كرموا   فتباروا لرضاه فى الطريق
حاسرى الرأس ملبين الندا   قاصدين النور فى البيت العتيق
ليس فى اضلاعهم غير قلوب   صافيات كشقيق لشقيق
وانتشى الفج بركب هائم   يا لركب هام فى الفج العميق

يا الهى ما الذى ابصر من   حسنات قد محون السيئات
يا لسعى وطواف واعتكاف   وانسياب فى رحاب الصلوات !
وتجلى الله فى عليائه   فوق حشد زاره فى عرفات
وتعالت من نفوس دعوات   تنشد الله ، وترمى الجمرات
روضة فيها ثمار حلوة   ان من يزرع يجنى الثمرات

الاستاذ: محمد الهادي إسماعيل

الكويت

أين منى جرعة من زمزم — تنقع الروح ، وتشفى الاحنا ؟
أين منى سجدة فى مسجد — ومعى الطير به قد امنا ؟
ومعى الأخوة فى الله سواء — وصفاء فيه انسى المحنا
والضراعات لربى صاعدات — ان أرى الخلد لقومى سكنا
رب فامنحنا كآبائى خلودا — نحن لن نرضى سوى الخلد لنا

أين منى من حجيج مؤتمر — فيه للاسلام عز منتظر ؟
يبحث العرب به فى صحوة — ما توافيهم به كف القدر
واذا ما هز أركان عداتى — فى فلسطين ـ يولون الدبر
تغتدى أرواحنا فيه على — مذبح الحق تنادى بالظفر
مثل اسماعيل نادى : يا أبى — أطع الله ، ونفذ ما أمر

أيها الشرق جدير بك أن — تجمع الشمل ، فتخطو للأمام
وترى عينى بهامات الذرا — امة العرب الميامين الكرام
وأمامى الأرض تغدو حرما — آمنا للناس كالبيت الحرام
فهى للانس والجن حلال — وعلى الأعداء فى الدنيا حرام
رب هيىء رشد الأرض ، وأطلق — فى السماوات حمامات السلام

البوذية والهندوكية

الأستاذ : أحمد حسين

استعرضنا بشىء من التفصيل النسبى اليهودية ، والمسيحية ، وقد حان الوقت لنختم هذا البحث فى الأديان المقـــارنة بذكر بعض الأديان الأخرى التى توصف بالوثنية أو بالأحرى انها ليست ديانات سماوية .

ويوجد فى العالم اليوم ٣٥٠ مليونا يدينون بالكونفشيوسية (دين الصين) وهنـــاك (٣٩٥) مليونا يدينون بالهندوكية (دين الهنـــد) وهنـــاك ٦٧ مليونا يدينون بالشـــنتوية (دين اليـــابان ومئـــات الملايين ممن يدينون بشتى المعتقدات ، أولا يدينون بشىء . على ان كل هذه الأديان التى ذكرناها ، على الرغم من كثرة عدد معتنقيها ، فهى لا تخرج عن أن تكون ديانات محلية تتصل بتقاليد وتاريخ كل مجتمع ، وتكاد تكون خصوصية لهذا المجتمع تعكس طبيعته ومزاج سكانه وأساطيرهم وتاريخهم ، ولذلك فان هذه الديانات غيـــر صالحة بطبيعتها لمن لا ينتمى لهذا المجتمع الخاص . فهى أديان كما يقولون غير معدة للتصدير .

واذا كانت البوذية قد فقدت سلطانها فى الهند موطنهـــا الأصلى ، فهى لا تزال الدين الرسمى لسيلان وبورما وتايلاند وفيتنام كما هو مشهور ومعروف ، وهى الديانة السائدة فى اليابان الى جوار الشنتوية ، وهى فى الصين تقوم الى جوار الكونفشيوسية وهى فى اندونيسيا وفى الفلبين ، بل ولها معتنقون فى أمريكا الشمالية والجنوبية ، وان كانوا يعدون بمئات الألوف . ولقد جاء فى آخر الاحصاءات الأمريكية التى نقلنا منها الأرقام السابقة ، ان عدد البوذيين فى العالم يقدر ب ١٦١ مليون نسمة ، وهو رقم متواضع جدا لا يمكن أن يدل على الحقيقة(١) ، ولا بد أنه أخرج معتنقى هـــذه الديانة فى الصـــين من حسابه .

فللبوذية طابع عالمى وهذه مسألة مقررة ، ومن هنا فلا مناص للباحث فى الأديان المقارنة أن يعرض لها بالدرس والتحليل ولكن يحسن بنا قبل أن نخوض هذا البحث أن نستعرض الديانة الهندوكية أو الهندوسية باعتبارها البذرة التى انبثقت منها التعاليم البوذية ، والأساس الذى شاد عليه بوذا تعاليمه .

---

(١) تذكر بعض المراجع أن البوذيين يؤلفون ربع سكان الأرض ، وهو رقم مبالغ فيه كذلك .

الديانة الهندوكية :

لا يطمع القارىء فى أن يكون بقدرتنا أو قدرة غيرنا أن يعطيه صورة واضحة محددة عن الديانة الهندوكية كما فعلنا على سبيل المثال بالديانـــة اليهودية أو المسيحية ، وكما سنفعل بالنسبة للتعاليم البوذية ، ذلك ان الديانة الهندوكية ليست من تعاليم شخص ، وليس لهـــا كتاب واحد أو أكثر من واحد يحـــدد جوهرهـــا .

وكل الذين كتبوا عن الديانة الهندية ،ينتهون الى أن الديانة الهندوكية هى حياة الهند نفسها ، هذه القارة المغلقة التى عزلت عن الدنيا فى القديم بالجبال الشامخة التى تفصلها عن بقية آسيا فى الشمال ، والأعاصير فى البحار التى تحيط بها ، بكل ما فى هذه القارة من متناقضات ، فحيث يغمر الفيضان بعض الأراضى حتى ليميت سكانها غرقا ، فان الأراضى تجف حتى ليموت سكانهـــا جوعا وظمأ .

وحيث الثلوج تغطى جبال الهملايا طول العام ، والحر يزهق الأنفاس فى ساحل الملبار ، وحيث الجنس الآرى قد خلف آثاره فى الهند وخاصة فى الشمال ، بالقامات الطويلة والأجساد الفارعة واللون الأبيض ، بينما هناك قصار القامة وسمر الوجوه ، بل هناك سود الوجوه فى الجنوب .

وحيث تقدس البقرة وتعبد ، كما يعبد عشرات ومئات من تماثيل الآلهة وصورها التى تمثل عناصر الطبيعة ، وتقام لها الاحتفالات المغرقة فى الوثنية ، فهناك التوحيد ، بل أروع صور التوحيد للاله الخالق ، وأرفع ما وصل اليه العقل الانسانى من فكر وفلسفة وحكمة .

فلا عجب وهذا شأن القارة الهندية ، أن يكون فيها مائتا لغة و ٣٠٠ لهجة ، ومع ذلك فثمة جامع يسود هذا الخليط وهذه المتناقضات ، قد جعل من الهند هندا ، وذلك هو الهندوكية التى ليست شيئا سوى الحياة الهندية بكل تعقيداتها وكل تقاليدها ورواسبها وتاريخها وأساطيرها .

كتب الهند المقدسة :

واذا لم يكن للديانة الهندوكية كتاب ، فان لها عديدا من الكتب التى تعتبر كلها مقدسة ، وقد جرى الباحثون على تقسيم هذه الكتب الى ثلاثة أقسام ، كل منها يمثل مرحلة من مراحل التاريخ الهندى .

وأقدم هذه الكتب هو مجموعة الويدا (فيداس) المكتوبة باللغة السنسكريتية والتى تمثل المعتقدات الآرية فى طورهـــا الأول ، واشهر هذه المجموعة كتاب (ريج فيدا) ويضم حشدا من الترانيم التى توجه الى آلهة الطبيعة العديدة وعلى رأسها (اندر) الـــه الرعد (وقارونا) الـــه السماء (واجنى) الـــه النـــار (واودرا) اله العواصف .. الخ .

وتتضـــمن كتب الفيدا الأخرى الرقى والتعاويذ ، وانواع القرابين وكيفية تقديمها وضروب السحر الخ .

وكتب الفيدا عند الهنود كتب الهية كتبتها الآلهة وهى من صنعها .

كتب الملاحم :

وثمة كتابان آخران يتسرب الشك الى أصلهما ومع ذلك فلهما اكبر الأثر فى حياة الهنود التعبدية ، والكتابان من نوع الملاحم الشعرية ويدعى أول الكتابين « رامايانا » أو مغامرات « راما » . والأمير « راما » ليس الا التجسد السابع للاله « فشنو » الذى جاء ينقذ العالم من الشرور ، وتبلغ مقطوعات هذه الملحمة أربعة وعشرين الف مقطوعة .

اما الملحمة الثانية وهى الأكبر فتحتوى على (١١٠٫٠٠٠) رباعية وهى المعروفة باسم « مهابهارتا » وتقص هذه الملحمة وقائع تجسد آخر للاله فشنو الذى جاء هذه المرة بصفة (كرشنا) الذى نشأ راعيا للبقر أسهم فى عدد عديد من الوقائع ، والمآثر البطولية ، قبل ان يقتل خطأ من قبل صياد ليعود الى بحر اللبن مثواه السماوى .

مرحلة الكتب البرهمية :

وحوالى القرن التاسع قبل الميلاد دخلت الهندوكية مرحلة جديدة حيث تصدى فيها الكهان من البراهمة الى التعليق على كتب الفيدا بالشرح والتبسيط ، ومن ثم التوجه التدريجى من عبادة الطبيعة الى معرفة الله ، والانتهاء الى جمع الآلهة فى اله واحد (براهما) فهو الذى اخرج العالم من ذاتــه ، وهو الذى يحفظه باعتباره (فشنو) وهو الذى يهلكه باعتباره (شيفا) .

وهكذا انتهى الهنود الى نوع من التثليث لحقيقة واحدة وهى براهما من حيث الخلق وفشنو من حيث الحفظ ، وشيفا من حيث الافناء ، سابقين بذلك التثليث المسيحى . وليس يعنى هذا التلخيص والتحديد للالوهية الهندية ، ان كان لذلك أثر فى التقليل من عدد الآلهة الأخرى ، حيث ظل كل قوم وكل جماعة ، وكل أهل مدينة يتعبدون لالهتهم ويقيمون الاحتفالات لها .

كتب الاوبانيشاد :

ثم جاءت مرحلة ثالثة فى أطوار الديانة الهندوكية ، حيث ظهرت مجموعة جديدة من الكتب أطلق عليها اسم (اوبانيشاد) ومعناها الحرفى التلمذة على يد أستاذ ، أو كما يطلق الصوفية كلمة المريد لمن يتلقى عن الشيخ ، وقد تألفت مادة هذه الكتب فى بادىء الأمر شفويا بمعرفة الكهان ، ثم اعتبرت مادتهــا مقدسة لا يجوز ترديدها بحضور الطبقات الدنيا ، ثم كتبت بعــد ذلك ، وهى تأملات غامضة ذات طابع صوفى أحيانا ، وطابع مغرق فى الفلسفة احيانا أخرى . وتعتبر الاوبانيشاد ، أساس الفلسفة العصرية الهندوكية .

خصائص عامة للديانة الهندوكية :

لعل هذه الاشارة الى الكتب المختلفة والمراحل المتعددة التى تطورت فيها ، قد بينت لك لماذا كان من الصعب تحديد الديانة الهندوكية ، ومع ذلك فان من يلقى نظرة على حياة الهنود ومعتقداتهم على اختلاف هوياتهم ، سيصادفه مظهر اجتماعى ينبثق من عقيدة دينية ، وذلك هو نظام الطبقات .

كما ستصادفه مجموعة من العقائد الأساسية التى هى محل تسليم الجميع، وهى الكارما أو قانون الجزاء ، والتناسخ أو تجدد الميلاد ، والانطلاق ، وقبل ذلك وبعد ذلك وحدة الوجود فنحاول أن نقول كلمة سريعة عن كل من هـــذه المعتقدات .

نظام الطبقات :

يقول قانون مانو الذى كتب فى القرن الثالث والذى جدد شباب الديانـــة الهندوكية خلق براهما البرهمى من فمه (وهؤلاء هم الكهنة) ، والكاشتريا من ذراعه (وهؤلاء هم الملوك والفرسان) ، والويشا من فخذه (وهؤلاء هم التجار والزراع) ، والشودرا من رجله (وهؤلاء هم العمال وأصحاب المهن الحقيرة) ، ولكل من هذه الطبقات منزلته على هذا النحو ، ومن عدا ذلك من غير هـــذه الطبقات الأربع البراهمة والكاشتريا والويشا والشـــودرا ، فهم ليســـوا من خلق الله ، بل هم من خلق شـــيطانى وهؤلاء هم المنبوذون أو الأنجاس(١) . وهؤلاء المنبوذون لا ينتمون الى الديانة الهندوكية ولا يعبدون آلهتها لأنه لا يجوز لهم ذلك * .

ولا شك ان الأصل فى هذا التقنيم هو محاولة الشعوب الآرية أن تحتفظ لنفسها بحق السيادة على شعوب الهند الأصلية المغلوبة .

ثم تشعب التقسيم وظل يتشعب الى أن أخذ هذه الصورة المتحجرة كما رسمها قانون مانو ، وجعل من أكبر الجرائم التى يمكن أن يرتكبها انسان ، هو أن يتطلع المنتمى الى أى من الطبقات الأربع الى الزواج ممن ليس من طبقته ، فضلا عن أن يرنو من هو فى طبقة أدنى الى أن يصبح فى طبقة أعلا (٢)

---

١ ــ قرر الاستاذ عبد المنعم النمر فى كتابه تاريخ الاســـــلام فى الهند (ص ٢٨) ان المنبوذين هم الطبقة الرابعة (الشودرا) وقد اقام الاستاذ النمر طويلا فى الهند ، فهو يعتبر حجة فيما يقول حيث ضم الملاحظة الشخصية الى المطالعة والبحث ، ومع ذلك فقد خرجنا من كل مطالعتنا بأن المنبوذين هم عناصر من غير الطبقات الاربع .

* « الوعى الاسلامى » أحب أن يلاحظ القارىء أن كلمة « شودرا » فى اللغة المستعملة فى الهند تؤدى معنى المتروك أو المنبوذ وهو الاسم الذى أطلق على الطبقة المنبوذة التى هى الطبقة الرابعة الدنيا فى مدرج الطبقات وقد تكونت هذه الطبقات نتيجة للأعمال التى كان يزاولها كل منهم على مر السنين والطبقة الرابعة هى التى توارثت الأعمال الحقيرة ولا تزال حتى الآن . وقد أراد « غاندى » أن يرفع عار هذا الاسم (الشودرا) عن هذه الطبقة فاطلق عليهم اسم « هريجان » اى عباد الله . .

هذا شىء والشىء الثانى أن هذه الطبقة الدنيا تنتمى للديانة الهندوكية أصلا لكنها لم تمكن من ممارسة طقوسها مع الطبقات العليا فى المعابد كما لم تمكن من قراءة الكتب المقدسة ولاسماعها . فظلت منسوبة محسوبة على الهندوسية . . ولهذا وجدنا زعماءهم حين لم يستجب الزعماء الهندوسيون ولا الكهنة لمطالبهم ومنها مباشرة طقوسهم فى المعابد . وجدنا زعماء المنبوذين ينذرون بخروجهم من الهندوسية واعتناقهم دينا آخر ونشط رجال الأديان الأخرى لجذبهم اليهم ، وسافرت بعثة من الأزهر للهند لبحث هذا الامر سنة ١٩٣٦ مما جعل غاندى ينشط فى دعوته لانصـــاف المنبوذين واعطائهم حقوقهم واباحة دخولهم المعابد خوفا من أن تفقد الهندوسية ٦٠ مليونا فى ذلك الوقت . . ولقد نجح غاندى بعض الشىء وسار من جاءوا بعده على خطته فى انصاف هؤلاء وفتح المجالات أمامهم وكانت نتيجة ذلك بقاء ولائهم للهندوسية .

٢ ــ يرى البعض ان المنبوذين هم نتاج هذا النوع من الزواج الملعون .

طبقة الشودرى اى العمال :

فلا يجوز للشودرى على سبيل المثال وهم طبقة العمال وأصحاب الحــرف الحقيرة وأدنى الطبقات : أن يجمع ثروات زائدة ولو كان على ذلك من القادرين لأن الشودرى فى هذه الحالة يؤذى البراهمة بقحته ويعاقب ابن الطبقة الدنيا الذى يحاول أو تحدثه نفسه بأن يساوى رجلا من طبقة أعلى ، بأن ينفى من الأرض بعد أن يوسم تحت الورك . واذا علا شخص من طبقة بيده أو بعصاه على من هو أعلى منه طبقة أو رفسه برجله تقطع يده أو رجله حسب الظروف ، واذا دعاه باسمه أو اسم طائفته بدون تقدير ادخل الى فمه خنجر محمى مثلوث النصل طوله عشرة قراريط . اما اذا بلغ أحد من الوقاحة فأبدى رايا للبراهمة فى أمر من أمور وظائفهم ، فان الملك يأمــر بصب الزيت الحــار فى فمــه واذنيــه .

طبقــة البراهمة :

اما طبقة البراهمة وهم الذين يدرسون اشعار الفيدا ويعلمونها ويباركون تقديم القرابين التى لا تقدم للالهة الا عن طريقهم . فهؤلاء عندما يولد الواحد منهم فانه :

- يوضع فى الصف الأول من صفوف الدنيا .
- ويصبح كل ما فى العالم ملك له ، فله الحق فى كل موجود .
- ولن يدنس البرهمى بذنب حتى ولو قتل العوالم الثلاثة .
- وعلى الملك الا يقطع أمرا مهما كان دون استشارة البراهمة (١) .

هذا هو نظام الطبقات الذى عجزت الوف السنين عن أن تنال منه ، وقد اندحرت البوذية فى الهند بعد انتشارها لأنها حاولت أن لا تعترف به (٢) .

وقد قتل غاندى قديس الهند وصاحب استقلالها فى العصر الحديث لانه بدوره حاول فى حياته أن ينال من هذا النظام (٣) .

---

١ ـ انظر كتاب أديان الهند الكبرى ـ للدكتور احمد شلبى .

٢ ـ قارن هذه الفكرة الخاطئة التى تقوم عليها الديانة الهندوكية ، بعظمة التشريع الاسلامى فى هذه الناحية ، حيث يجعل بنى البشر أجمعين قد خلقوا من ذكر وأنثى على سبيل المساواة ، وان لا تفاضل بينهم الا بالعمل الصالح « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

٣ ـ لعل من اكبر أسباب انحسار البوذية عن الهند أيضا أنها اقتصرت على مجرد تعاليم خلقية لأهميتها دون أن تتعرض لقضية الألوهية حتى قيل عن بوذا بسبب ذلك أنه لم يكن يؤمن باله . والناس لا تعيش بدون فكرة عن الاله وبدون الذهاب للمعبد ، ولهذا كان البوذيون لا ينخلعون من الهندوسية تماما بل يظلون مع محافظتهم على تعاليم بوذا متعلقين بآلتهم . وبهذا دخلت الهندوسية أو ظلت فى حياة البوذيين وشيئا فشيئا طغت الهندوسية بطقوسها على البوذية الأخلاقية وازاحتها عن الهند .

اما مقتل غاندى فسببه المهم والمباشر بالاضافة الى ما ذكره الكاتب الفاضل هو موقفه المعتدل أثناء حوادث التقسيم وما نزل بالمسلمين فى دلهى ودفاعه عن المعذبين مما دفع بعضو من جماعة هندوكية متعصبة الى قتله ويمكن مراجعة ذلك بتوسع فى كتاب « كفاح المسلمين فى تحرير الهند » ص ٢٦١ وما بعدها .

« الوعى الاسلامى »

وسنرى ما الذى ستستطيعه الديمقراطية الحديثة بكل محاولتها فى القضاء على نظام الطبقات .

الكارما او قانون الجزاء :

يأتى بعد ذلك فى الدرجة الأولى فى دنيا المعتقدات الهندوكية الكارما أو ما يمكن أن نسميه قانون الجزاء . وفحواه ان كل عمل لا بد أن يلقى جزاءه ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . ومن ناحية أخرى فلا بد لكل رغبة انسانية أن تتحقق ، ولما كان المشاهد والملحوظ ان الانسان قد يموت قبل أن يحقق رغباته ، وقبل أن يلقى الجزاء الأوفى على ما قدمت يداه من خير أو من شر ، ولذلك فان الروح الانسانية بعد الوفاة ، تتقمص جسدا جديدا ، لتستوفى فيه تحقيق رغباتها من ناحية ، ولكى تعذب أو تكافأ على أعمالها السابقة ، فاذا ظلت الرغبات الانسانية بغير تحقيق ، واذا اتى الانسان اعمالا خيرة أو شريرة فلا بد ان تلقى جزاءها . فاذا مات الانسان ، فلا مناص له من تجدد المولد وهكذا دواليك ، وبذلك يقضى الكارما أو قانون الجزاء [1] .

التناسخ او تجدد الميلاد :

استلزم القول بالكارما وقانون الجزاء على هذه الأرض ، فكرة التناسخ او التقمص أو تجدد الميلاد ، فمن كان عمله صالحا انسانا أو حيوانا ، تقمصت روحه درجة أعلى من الانسانية أو الحيوانية ومن كان عمله شريرا تقمصت روحه صورة أدنى من صور الحياة . ولما كانت الروح فى جسدها الجديد لا بد سترتكب اعمالا خيرة أو شريرة ، فقد أصبح لا مناص من تجدد الميلاد لاستيفاء قانون الكارما .

---

١ — تلتقى الهندوكية فى قانون الجزاء مع الدين الاسلامى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ولكن حيث يجعل الاسلام الجزاء وتحقق الميول والرغبات فى عالم آخر له قوانينه الخاصة التى تختلف عن قوانين الطبيعة الأرضية ، تجعل الهندوكية العقاب والثواب على الأرض ، وتخترع من أجل ذلك فكرة التناسخ التى لا تحل المشكلة لأن الانسان فى حياته الجديدة ، تنشأ له ميول ورغبات ، ويقوم بأعمال صالحة وأخرى طالحة ، فيصبح لا مناص من تجدد المولد ، وهكذا الى ما لا نهاية .

الانطــلاق :

وجد المفكرون الهنود انفسهم فى مشكلة الكارما وقانــون الجزاء ، فان عملية التناسخ وتقمص أجساد جديدة ، ستظل الى مالا نهاية ، وهو ما يجعل الوجود لعنة أبدية . وكان لا بد من سبيل لايقاف عملية التناسخ ، فقالوا انه ما دام تجدد المولد ينشأ عن عدم تحقق رغبات الانسان وميوله ، ولإقدامه على الأعمال الخيرة أو الشريرة ، فلو ان الانسان أوقف ميوله ورغباته وشهواته ، وكف عن الأتيان بأى عمل صالح أو شرير ، فلن تكون هناك حاجة لتكرار الميلاد من جديد ، فيمتزج الانسان ببراهما كما تندمج قطرة الماء بالمحيط ، واطلق على هذه الحالة كلمة الانطلاق ــ حيث يتحرر الانسان من الاهواء ، وتطمئن نفسه الى نفسه ولا يعود يرغب فى شىء أو يعود الى حواسه وانما يتحد ببراهما ويصبح الفانى باقيا .

وحدة الوجود :

واتحاد الانسان ببراهما وتحول الفانى الى باق يصل بنا الى لباب العقيدة الهندوكية وهى وحدة الوجود ، فليس هناك اله خالق وكون مخلوق ، وانما هناك وجود واحد هو كل ما تراه حولك فقد فاض كل شىء من ذات اللــه ، فالعارف الذى يعبد الله يرى الكثرة فى الوحدة ، والوحدة فى الكثرة ، وأينما يتولى يرى الله ، انه تعالى فى كل شىء (١) .

وقد سرى هذا التفكير الهندى فى وحدة الوجود الذى هو ذروة ما وصل اليه الهنود من تصوف وفلسفة ، الى الفكر الانسانى ، فهذه الفكرة تصادفنا عند بعض متصوفى الأديان المختلفة كما تصادفنا عند بعض الفلاسفة ، وكما تصادفنا عند العلماء الماديين الذين يرون وحدة الوجود فى المادة وكل ما فيه أجزاء منها .

اصول البوذية :

هذا هو الجو والمناخ الذى نشأت فى ظله البوذية ، وهذه هى المعتقدات التى تلقاها جوتاما فى صباه وشبابه ، وسار على هداها ردحا من الزمان ، فلنر الآن الى اى حد تأثر بها فى تعاليمه ، وما الذى أخذ به منها ، وما الذى طوره وحوره ، وما الذى ثار عليه ؟ فالى مقالنا التالى .

---

١ ــ تدلنا المشاهدة وتجربة حياتنا اليومية على أن الأشياء تحدث حيث لم تكن من قبل ، وان كل حادث لا بد له من محدث ، فدل ذلك على أن الكون من مجموعه لا يمكن الا أن يــكون حادثا من خلق قوة أعلى منه وأسمى ، مما فصلناه فى حديثنا من قبل عن الألوهية ، وسنعود اليه عند حديثنا عن الاعتقاد فى الاسلام .

ويشيد الرحالة ابن جبير مرة أخرى فى رحلته بأميرة مسلمة هى (خاتون) بنت الأمير مسعود[1] السلجوقى ، ويصـــورها بأنها كان لها أعمال كثيرة فى طريق الحج : منها سقى الماء للسبيل . وقد عينت لذلك نحو الثلاثين ناضحة ، ومثلها للزاد . واستجلبت من الكسوة والأزودة وغير ذلك نحو المائة بعير . ومن عجب أنها حجت وهى فى سن الخامسة والعشرين !

وتصادفنا فى القرن السادس كذلك الأميرة (زمرد) أخت الملك « دقاق » صاحب دمشق ، وزوجة تاج الملوك (بورى) وأم ولديه : اسماعيل ومحمود . ويذكر لها التاريخ انها لما رأت ولدها شـمس الملوك اســماعيل يتواطأ مع الصليبيين على بلاد المسلمين أمرت غلمانها أن يقتلوه ، فقتلوه سنة ٥٢٩ هـ ، وبهذا رفعت حق الدين والوطن فوق اعتبارات الأمومة وعواطفها .. ولقد كان ركبها الى مكة متواضعا لأنها قصدت الحج بعد أن تقلبت بها الأحوال . وفى خلال مجاورتها بالمدينة المنورة ـ لا بمكة كما فى بعض المراجع ـ قل ما بيدها من المال ، فكانت تغربل القمح والشعير ، وتطحن للناس ، وتتقوت بأجرة ذلك العمل !! ..

ولقد شهد النصف الثانى من القرن الحادى عشر الهجرى موكب الأميرة عزيزة بنت أحمد عثمان داى تونس الى بيت الله الحرام ، وكان معها فى الركب خدمها ومواليها . وكانت خيراتها وصدقاتها فى أرض الحجاز لا تقل عن صدقاتها فى وطنها تونس ، كما يروى العالم المحقق الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب .

أما القرن الثالث عشر الهجـــرى فقد شـــهد موكب الأميرة الهندية (سكندر بيكم)[2] الى الأرض المقدسة . وقد كانت سكندر ملكة على بهوبال بالهند حين قصدت الحج الى المشعر الحرام . وكان ذلك فى سنة ١٨٦٣ م حين خرجت فى موكبها مع كثير من أعضاء أسرتها الحاكمة وحاشيتها وخدمها . ولم تكتف هذه السلطانة المسلمة بما أدته من فريضة الحج ، بل الفت فى ذلك كتابا وصفت فيه رحلتها وما شـــهدته خلالها ، كما تذكر مجلة المقتطف فى مجلدها السابع والخمسين .

وآخر موكب نسائى الى بيت الله الحرام هو موكب أم الخديوى عباس الثانى فى القرن الرابع عشر الهجرى . فقد أدت فريضة الحج فى العام نفسه الذى أداها فيه ولدها . وكان ذلك سنة ١٣٢٨ هـ وسنة ١٩٠٩ م . وقد ترك لنا الرحالة محمد لبيب البتنونى وصـــفا دقيقا لهذا الموكب فى كتابه الممتع : (الرحلة الحجازية) .

ولقد كانت هذه المواكب الســـابقة كلها سارة مفرحة متهللة الى البيت الحرام ، الا موكبا واحدا للسيدة (قبيحة)[3] أم الخليفة العباسى المعتز بالله الذى قتله الأتراك . فقد كان موكبا يجلله الحزن والذل والتضرع والانكسار .. لقد سارت المسكينة الى مكة مع بعض خواصها لتؤدى فريضة الحج ، وسمعت وهى تدعو بصوت عال على (صالح بن وصيف) الذى كان سبب نكبتها ونكبة ولدها المعتز بالله . ويقضى الله لها ـ بعد حجها ـ أن يجبر خاطرها الكسير ، فتعود ـ أو تعاد ـ من مكة الى سامرا مكرمة معززة ..

---

(١) هو مسعود بن قليج أرسلان السلجوقى من كبار حكام المسلمين فى القرن السادس .

(٢) أو سكندر بيجوم كما ننطقها نحن اليوم ونكتبها بالجيم .

(٣) كانت آية فى الجمال وسميت قبيحة على سبيل التضاد .

من
أسس
قضية
المرأة

٥

حول مبررات عمل المرأة

الأستاذ : البهي الخولي

لا بد أن يعمل الرجل والمرأة :

وأما قولهم ان مجد الأمة فى كثـرة الأيدى العاملـة ، وان المرأة نصف المجتمع ، وليس مما يتحقق به هذا المجد أن يكون نصف المجتمع عاطلا ، فهو — أيضا حق .. فان مقومات الأمم ضربان : ضرب روحى يتمثل فى قوة عقائدها ، واعتزازها بثروتها من القيم والمثل العليا .. وضرب حسى يتمثل فى قوة جيشها ، ونظامها ، واقتصادها .. وكلما كان حظ الأمة من كل من هذين الضربين أوفر كان حظها من مجد الحياة — أى بطولة النفس ، وشرف الغاية ، والقدرة على التوجيه والقيادة — أبين وأعلى .

ولا غنى للأمة بوجه من الوجوه عن قيام كلا الضربين بها .. وقد جاء الاسلام بوجوب تحقيقهما معا ، اذ أمر ببذل الاستطاعة فى الأولى بقوله : «فاتقوا الله ما استطعتم» وببذل الاستطاعة فى الثانية بقوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » وبذل الاستطاعة معناه بلوغ الغاية فى استفراغ الوسع والجهد فيما أمـر بـه .

ميدان كل منهما :

وذلك موكول بطبيعية الحال الى كل من الرجل والمرأة ، فاذا تساويا فى أسهم العمل فى ميدان — الاصلاح الاجتماعى والسياسى ، ومسئولية كل منهما عن تحقيق خصائص تقوى الله فى نفسه ، افترق كل منهما عن الآخر فى تحقيق غايات لا غنى عنها ، أو لا بد منها : الرجل الى الانتاج وتنمية الثروة ، وكسب الرزق .. والمرأة الى الأسرة .. الى عمل أشق وأقوم ، بل أقدس ثمرة مما

قدمنا فى المقال السابق أن الذين يؤيدون خروج المرأة للتكسب فى الأسواق ، والشركات والدواوين وسائر مجالات العمل ، يسوغون تأييدهم بان عمل المرأة يوسع آفاقها ، ويقيها ضمور الشخصية « وبأن مجد الأمة فى كثرة الأيدى العاملة ، والمرأة نصف المجتمع ، فلا يجوز أن يكون نصف الأمة عاطلا » وبأن المرأة قد تحتاج الى أن تساعد من يعولها ، وقد تكون لا عائل لها فتعول نفسها بالعمل الى آخر ما قدمنا لهم من ذلك .

وقد ناقشنا احتجاجهم بان الخروج للتكسب يوسع آفاقها ويقيها الملل وضمور الشخصية ، وابطلنا هذا الاحتجاج بما يسلمه كل منطق عادل .

يعمل الرجل : تحمل الجنين .. وتلد .. وترضع .. وتربى .. وترعى الزوج .. وتمرض وتدبر ، وتبذل من ذات نفسها وجهدها الحسى ما تبذل ، لتوفر لقانونى الزوجية والأمومة ظروف عملهما الملائمة .

وهذا الافتراق الذى هو مقتضى ما اهل به كل منهما ، هو عين التقاء ارادتيهما وجهديهما على الاسهام بأوفى ما يكون فى بناء الأمة الاقتصادى والروحى .. فاذا ادى كل منهما ما وجب عليه ، استقامت مصلحة الأمة على اكمل وجه .. واذا اهمل احدهما ، أو كلاهما ، أو فقد صلاحيته لواجبه . فلا قيام للمجتمع ، ولا مجد للأمة بالمعنى الحق الذى بينا ، اذ يكون نصف المجتمع او كله عاطلا بالجهل ، أو بالاستهتار والتحلل .

ذلك ايجاز ما يقال فى توجيه أو توضيح منطوق المبرر الثانى الخاص بمجد الأمة ، والأيدى العاملة .. ولكنهم يقولونه ويعنون به أن المرأة عندنا — وهى نصف المجتمع — عاطلة ، وأن جهدها ومكانها من بناء الأسرة يعتبر لا شىء .. وانها لا تكون عاملة الا اذا اتخذت سبيلها الى المصنع ، والديوان ، والبنك ونحوه من انواع العمل الذى تؤجر عليه فى الخارج ..

وقد يكون هذا الاتجاه متأثرا بنظرة اعجاب ، ورغبة تقليد لما فى الغرب وقد لا يكون ، ولكن مما لا شك فيه أن جهل المرأة عندنا .. جهلها بالحياة .. وبنفسها .. وحقيقة مهمتها .. أو أميتها القلمية ، والذهنية ، والقلبية ، وأثر ذلك نحوها ونحو بنيها ، وبيتها ، وعلاقتها بزوجها الخ ، قد يحمل بعضنا على أن يظن للوهلة الأولى أن عمل المرأة فى البيت فى ذاته يعتبر لا شىء أى أن رأى المنادين بعملها فى الخارج قد يكون متأثرا بسوء أثرها فى البيت أو على الأقل بقلة .. جدواه فهى — فى نظرهم — عاطل ، ومن الحسن أن تعمل ..

هل المرأة فى البيت عاطل ؟

فاذا ذهبنا نناقش ذلك الفينا أنفسنا أمام النتائج الآتية :

أولا : أن المرأة اذا تعلمت ، وتثقفتثقافتها التى فرضها لها وعليها الاسلام ، وفهمت حقيقة نفسها ، ومهمتها ، وأدت ذلك خير أداء ، وحققت ثمره فى بيتها

وبنيها وزوجها والمجتمع على أتم وجه ، لا تعتبر عاطلة .. وقد بينا أن عملها الحسى والروحى فى ذلك هو قسيم عمل الرجل فى الانتاج ، وتنمية الثروة ، وكسب الرزق .. وأن افتراقهما فى نوع العمل بتوجيه الفطرة ، وبحسب ما أهل به كل منهما هو عين التقاء ارادتيهما ، وجهديهمـــا على الاسهام بأوفى ما يكون فى بناء الأمة الاقتصادى والروحى .. ومن كان عاملا فى ذلك لا يعتبر عاطلا على أى وجه .. على أننا مع ذلك اذا نظرنا الى المشقة ، فعملها أشق .. واذا نظرنا الى فضل القيم ، ففى عملها ما هو أفضل وأقدس ..

ثانيا : أما اذا أريد بأن مكان المرأة فى بناء الأسرة ، ونسج روابطها على الحب ، والرحمة ، والسكن الروحى وامداد الولد ــ جنينا وغير جنين بخصائص التعظيم التى يحفد بها والديه ، ويعرف حق الله وفضله فى نعمة الحياة .. اذا أريد أن ذلك لا شىء ، وأن المشتغل به مشتغل بقيم أفلاطونية فى عالم غيبى لا حقيقة له ، فهو لذلك عاطل يجب أن يخرج ليعمل !! فان ذلك تخريب ووثنية سافرة لا نحسب ذهن أو ضمير القائلين بمجد الأمة والأيدى العاملة قد ذهب الى شىء منه .. ونعيذ أنفسنا ، بل نعيذ الانسانية قاطبة أن يكون فيها من يعدل الحب ، والرحمة وعبادة الله ، وتمجيد الأبوين وبرهما بأية قيمة حسية دنيوية، فضلا عن أن يجعل تلك القيمة راجحة .

التوفيق بين البيت والخارج :

ولنا أن نفترض أنهم قدروا أن المرأة تستطيع أن تخرج للعمل ، على أن نوفق بينه وبين عملها فى البيت أى يكون لهـــا عملان : عمل فى الخارج تحمل فيه ما يحمـــل الرجل .. وعمل آخر تحمله فوق ما يحمـــل الرجل هو الحمل والولادة ، والرضاع الى آخر المعروف من عملها الحسى والروحى فى البيت .. فاذا صرفنا النظر عما فى ذلك من الارهاق والظلم ، بقى معنا أمران :

الأول : أن فى قولهم أن المرأة يمكنها التوفيق بين واجبها فى البيت ، وعملها فى الخارج ، اعترافا بأنها عاملة فى البيت غير عاطلة ، فيزول بذلك شق من مقومات هذا المبرر ..

والثانى : أن امكان التوفيق بين العملين دعوى من لم يكلف نفسه جـــد النظر فى الأمر ، فان أهم عمل المرأة فى البيت ليس من الأمور الحسيـــة التى يمكن ضبطها ، وتقسيم الوقت بين بعضها وبعض ، فالمسكن مثلا ــ وما يثمر من مودة ورحمة ليس كالطبخ وترتيب البيت يمكن تأجيله لوقت معين ، فيقال فيه للمرأة مثلا ــ دعيه الى ما بعد الظهر ثم زاوليه ما شئت .. وكذا لا يقال للطفل أن يكف عن التقاط تصرفات الخدم على مستواها من الاهمال ، وتفاهة الفكر ، وضعف التقدير لغايات الحياة وقيمها !!

لا يقال له أن يكف عن ذلك الى أن تحضر أمه من الخارج ، فهو قـــول لا يستحق الوقوف عنده .

فاذا سلمنا ــ جدلا ــ بامكان تقسيم الوقت بين العملين ، فمعنى التوفيق بينهما امكان اداء كل منهما على وجهـــه ، وتحقيق ثمره على أتمه بطاقاتهـــا المحدودة التى لا تزيد على طاقة الرجل ، وذلك فى بدائه العقول غير مسلم ..

فاذا انتفى التوفيق ، ورضينا بما يكون من تقصير ونقص ، فمعناه أن الخسارة فى المقومات المعنوية والثمر الروحى للأسرة لا تعتبر خسارة اذا كان لنا منها بديل اقتصادى ، وهو النظر الذى تتنزه عنه العقول المدركة للحقائق ، فان اية قيمة مادية بالغة ما بلغت تغدو لغوا باطلا اذا وزنت بشىء مما يلتئم عليه شمل الأسرة من ثمر الروح .

وما أعجب ما تقول الكاتبة الأمريكية فى مقالها الذى ألمعنا اليه فى المقال الماضى « واذا قيل لنا على نحو تعسفى . ان من واجبنا أن نعمل فى اى مكان آخر غير المنزل ، فهذا لغو زائف ، فانه لا يوجد عمل يستحق أن يمزق شمل الأسرة من أجله » .. واذا بطلت دعوى التوفيق ، فقد زال شق ثان من مقومات هذا المبرر .

اهمية العمل فى البيت :

على أننا حين ننظر فى جد لنوازن بين عمل الرجل وعمل المرأة من حيث الجدوى على الحياة ، ومجد الدولة نرى المرأة قد ذهبت باللب ، أما الرجل فقد قام من ذلك اللب منذ الأزل بدور لا نقول انه دور ثانوى ولكنه ليس فى صميم اللب . ولننظر ماذا تكون الحراسة وجلب القوت اذا قرنت بدور المرأة فى شركة الحياة بينها وبين الرجل .. أى الدورين تعترف به الحياة ؟.. وايهما ينظر اليه مجد الأمة على أنه بالنسبة له فى المقام الأول ؟.. الدور الذى ينجب الذرية ويحفظ تسلسل الحياة ؟ أم الدور الذى يقوم من ذلك مقام الحاشية والقشر ؟..

ولننظر اى الدورين يكون صاحبه عاملا ، وايهما يكون صاحبه عاطلا ، او فى حكم المتعطل اذا كان مقياس العمل والتعطل هو الانتاج للحياة ؟ ..

ذلك من اصالة الحقائق ، وصميم الأمور التى يجب أن تكون ميزانا للحكم فيما نحن بصدده من شأن المرأة .. أما أن يكون عمل الرجل هو كل شىء ، وعمل المرأة لا شىء فذلك حكم السطحية الذى لا يقام له وزن .

ولقد التفت برناردشو الى دقائق فى هذا المعنى ، فقال بأسلوبه الرقيق اللاذع : (أما العمل الذى تنهض به النساء .. العمل الذى لا يمكن الاستغناء عنه .. العمل الذى لا يمكن الاستعاضة عنه بشىء آخر ، فهو حمل الأجنة ، وولادتهم وارضاعهم ، وتدبير البيوت من أجلها .. ولكنهن لا يؤجرن عليه بأموال نقدية .. وهذا ما جعل الكثير من الحمقى ينسون أنه عمل على الاطلاق .. فاذا تحدثوا عن العمل جاء ذكر الرجل على لسانهم ، وانه هو الكادح وراء الرزق .. الساعى المجد وراء لقمة العيش .. وما الى ذلك من الأوصاف التى يخلعونها عليه فى جهل وافتراء .. الا ان المرأة تعمل فى البيت !! وكان عملها فى البيت منذ الأزل — عملا ضروريا وحيويا لبقاء المجتمع ووجوده ، بينما يشتغل ملايين الرجال انفسهم ، ويبددون أعمارهم فى كثير من الأعمال التافهة .. ولعل عذر الرجال الوحيد من قيامهم بتلك الأعمال أنهم يعولون بها زوجاتهم اللاتى لا يمكن الاستغناء عنهن .. ومع ذلك فالرجال مغرورون .. لا يريدون أن يفهموا (1) ..

---

1 — مجلة الهلال : عدد مارس ١٩٦٥ « المرأة .. الى أين تتجه » .

وهذا كلام عميق حق ، لا يمارى منصف فى صدق كلمة منه .. ولعل هذا المبرر — مبرر عمل المرأة بحجة مجد الدولة .. الخ .. لم يعد له محـــل بازاء مـا قدمنـــا .

مبرر آخـــر :

وإما انها تعمل لتساعد من يعولها .. وقد تكون بلا عائل فتعول نفسها بالعمل .. وقد يتوفى عنها زوجها ويترك لها أطفالا عاجزين عن الكسب ولا شيء لهم ، فتجد فى العمل عصمة لها ولأولادها من الضياع وهى مع ذلك « انسان » ومن كرامتها أن تشتغل بطلب عيشها فلا تكون عبئا على سواها فان الادعاء بأن المرأة انما تعمل لأنها انسان ، وأن كرامتها أن تعول نفسها فلا تكون عبئا على احد يناقش من ناحيتين :

الأولى : ناحية اتصاله بواقعنا وصلاحيته لتعليل خروج المرأة عندنا للعمل .. فهو من هذه الناحية بعيد عن واقعنا كل البعد .. واقعنا الريفى والحضرى . القديم والحديث .. وما جيلنا الحالى الا امتداد لأجيال مضت من بعد أجيال ، لم يكن من عرف واحد منها أن البنت ، أو الزوجة ، أو الأم تأنف أن تعيش فى كنف أبيهـــا ، أو زوجها ، أو ابنهـــــا .. بل ان عكس ذلك كان هو واقع تلك المجتمعات — وما يزال — فانهن يعتبرن الاقامة فى رعاية هؤلاء هى الكرامة الطبيعية لهن . ويعتبرن من أفدح المحن ان تصاب احداهن فى تلك الرعاية بما يضطرها الى الخروج لخدمة او عمل .

ونحن نعرف أن تأذى كرامة المرأة او استنكافها ان تكون بلا عمل ، عرف غربى .. لا عربى ولا اسلامى فاذا كان من « عز » البنت عندنـــا أن تكون فى رعاية أبيها . فمن المهانة هناك أن تظل بعد سن معينة فى تلك — الرعاية .. ولســـنا بصــــدد الموازنة بين العرفين : أيهما أدل على الأريحية[1] والحمية للعـــرض . ولا بصدد مناقشة الجهود التى تبذل لاستعارة وجدان القوم هناك لاحلاله مكان وجداننا هنا فتستبـــدل المرأة عندنا آدابـــا بآداب . فذلك يفرع الحديث الى قضية أو قضايا أخر . لها مجال آخر .. وحسبنا ما تقدم بوضوح من أن ادعاء الكرامة لا يصلح تعليلا لخروج المرأة عندنا للعمل . لأنه لا يصور واقعنا ، بل التقاليد والعرف عندنا بخلافه .

والناحية الأخرى : ناحية اتصاله بعرف الآخرين ، وهى ناحية ترينا الأثر الذى يبلغه تحكم المادية فى مجتمع ما ، اذ يصاب التجاوب الفياض بين الأب وابنته بآفة من الجمود ، فيها أنانية تضيق ينابيعه وتحد من فيضه ، وفيها آلية تؤقت أملها فيه ، وقبولها أياها بوقت معين .. ونشير الى ذلك مجرد اشارة ولا نجعله موضع مناقشة .

---

١ — الاريحية : صفة من كرم النفس ، تجعل الانسان يرتاح الى الافعـــال الحميدة والبذل .. والاريحى الواسع الخلق والهمة ..

وننظر فى العرف الذى يرتب كرامة المرأة على استقلالها فى كسب قوتها عند زوجها وأبيها ، فهو عرف يقوم على اعتبار وظائف المرأة فى الحمل ، والولادة ، والرضاعة ، وعمل البيت لا شىء .. واعتبار المرأة اذا اقتصرت على ذلك عاطلة .. وقد قررنا أن ذلك نظر سطحى محجوب عن تبين الحقائق ، « فاننا حين ننظر فى جد لنوازن بين عمل المرأة وعمل الرجل من حيث الجدوى على الحياة ومجد الدولة . نرى المرأة قد ذهبت باللب والرجل قد قام من ذلك اللب منذ الأزل بدور — لا نقول إنه دور ثانوى — ولكنه ليس فى صميم اللب » الى أن سألنا : « أى الدورين يكون صاحبه عاطلا أو فى حكم المتعطل اذا كان مقياس العمل والتعطل هو الانتاج للحياة ؟ » ولننظر فى جد : إذا كان من شأن الحياة أن تأجر كلا منهما بقيمة ثمره ، ماذا يكون أجر المرأة وأجر الرجل ؟!

ماذا يكون اجر من تكون ثمرتها طفلا وأجر من تكون ثمرته جلب حزمة حطب أو بضع ثمرات من شجرة قريبة ؟!! ولكن الحياة لا تجزى ذلك الأجر النقدى ، فان ثمر المرأة ومقامها أجل من أن يقدر بعرض ، فتركت ذلك الى بديهة تقدر العظيم ، وتنظر الى حساب وراء حساب : « أنا وأنت » حساب قوامه الود والرحمة ، واستعداد كل منهما لأن يذهب فى وقاية صاحبه الى ابعد مدى ..

فاذا غدت بديهة الانسان لا تقدر العمل العظيم ، وقد نضب ضميره الا من حساب « أنا وأنت » فتلك هى المادية التى تمسخ فى الانسان بديهته وانسانيته وتجعل حكمه فى مثل هذا الأمر غير جدير بالنظر .. واذا استبعدنا ما لا يسلم به بعضهم فى ذلك من اعتبار القيم المعنوية ، فان ما يبقى من اعتبار الانتاج المحض — الحمل والإرضاع — الذى لا يعرف الا حسابها وحسابه يجعلها ذات الرصيد الضخم والحساب الراجح ، ولا يدع مجالا لاعتبارها عاطلة على أى وجه ..

فاذا ظل — بمنطق النظر السطحى — يراها عاطلة غير عاملة ، فهو منطق لا يعبر عن الحقيقة على ما قدمنا ، ولا يصلح لأن تقام به دعوى صادقة .

يدل على فساد :

وأما تبريرهم خروج المرأة للعمل بأنها قد تساعد عائلها الفقير ، وتعصم أطفالها اليتامى من الضيعة .. الخ .. فيتضمن الدلالة على أمرين :

الأول : تقصير المجتمع أو تصوره عن فهم واجبه فى رعاية الفقير والعاجز ، ومحدود الدخل .

والثانى : خمود العقل الانسانى نحو المرأة التى تضطرها الضيعة الى العمل لتعول أيتامها .. وواضح من تبريرهم انه لولا اضطرارها للمساعدة وعيالة الصغار لما عملت .. أو لولا جمود العامل الانسانى وتقصير المجتمع فى واجبه لما كان ثمت داعية للعمل .. ومعلوم ان ذلك من فساد المجتمع ، وأن منطق العلاج فى كل اصلاح هو ازالة الفساد نفسه — أى أصل العلة — لا أن تجعل أوضاعه هى المتحكمة فى توجيه التفكير وأملاء الحلول ، فتخرج البنت لتعول أباها ، والأرملة لتعول أيتامها .

فالتدبير على ما يذهبون اليه يحمل تسليمات بالعلة أو استسلاما لها ، واكتفاء بعلاج أثرها لا علاجها هى .. وهو واضح البطلان . (البقية ص ٥٩)

مائدة القارئ

اعدها : ابو نزار

بستان أبى الدحداح

لما نزل قول الله تبارك وتعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضـا حسنا فيضاعفه له » قال ابو الدحداح الانصارى : يا رسول الله . وان الله ليريد منا ان نقرضه ؟! قال : نعم يا ابا الدحداح . قال : ارنى يدك يا رسول الله ، فناوله يده ، فقال ابو الدحداح : اشـهد يا رسـول الله انى قد اقرضت ربى حائطى (بستانى) وكان له بستان فيه ستمائة نخلة ، وفى البستان زوجته ام الدحداح وأولاده يسكنونه ، ثم جاء الى البستان ، فنادى زوجته : يا أم الدحداح ، قالت : لبيك . قال : اخرجى انت واولادك ، فقد اقرضت الله بستانى .. فما اعولت زوجته ولا عنفته ، ولا صرخت فى وجهه ، ولكنها استبشرت ، وقالت : ربح بيعك يا ابا الدحداح ، ثم نقلت متاعها وصبيانها ..!!

المستبد لن يكون عادلا

كتب عدى بن ارطاه والى البصرة الى عمر بن عبد العزيز يقول له : ان قبلى اناسا من العمال قد اقتطعوا من مال الله عز وجل مالا عظيما ، لست ارجو استخراجه من ايديهم الا ان امسهم بشىء من العذاب ، فان راى امير المؤمنين ان يأذن لى فى ذلك فعلت .

فكتب اليه عمر يقول : العجب كل العجب من استئذانك اياى فى عذاب البشر كأنى لك جنة من عذاب الله ، وكأن رضائى عنك ينجيك من سخط الله عز وجل ، فانظر من قامت عليه بينة عدول فخذه بما قامت عليه به البينة ، ومن اقر لك بشىء فخذه بما اقر به .. وايم الله لأن يلقوا الله عز وجل بخيـاناتهم احب الى من القى الله بدمائهم .

من أدب النصيحة

كان من ادب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى انكار المنكر ــ انه اذا بلغه عن جماعة ما ينكر فعله لم يذكر أسماءهم علنا ، وانما كان يقول (ما بال أقوام يفعلون كذا) فيفهم من يعنيه الامر .

وقال رجل لعلى كرم الله وجهه أمام جمهور من الناس : يا امير المؤمنين : انك اخطأت فى كذا وكذا ، وانصحك بكذا وكذا .. فقال على : اذا نصحتنى فانصحنى بينى وبينك ، فانى لا آمن عليك ولا على نفسى حين تنصحنى علنا بين الناس .

وقيل لمسعر : أتحب من يخبرك بعيوبك ؟ فقـال : ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعم ، وان قرعنى بين الملأ فلا .

وقال الشافعى : من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه .

النقــد الهــدام

لو صدق حكم كل صحيفة على من تهــاجمه ، وقول كل فريق فى الآخر **واتهام كل حزب لمن يعاديه .. لكان معنى ذلك أن امتنا كلها باحزابها وزعمائها ورجالها وعلمائها خائنــة مأجورة مفسدة لا تستحق الحيــاة ولا احترام اهل الحياة ..**

حتى يشبع المسلمون

اصاب المسلمين مجاعة فى عهد عمر بن الخطاب ، وحدث ان جاءته قافلة تحمل اللحم والسمن والطعام والكساء ، فوزعها بنفسه على الناس ، وابى ان يأكل منها شيئا ، وقال لرئيس القافلة : ستأكل معى فى البيت ، ومنى الرجل نفسه بطعام شهى .. وجاء الى البيت وانهكهما الجوع والتعب ، ونادى عمر فحضر الطعام .. وكان ما اذهل الرجل وادهشه : أن طعام امير المؤمنين لم يكن لحما وسمنا ، ولا شواء وحلوى ، وانما كان كسرات من الخبز الاسود اليابس مع صحن من الزيت ، وعجب الرجل من صنع امير المؤمنين ، وقال له : لماذا منعتنى من ان آكل مع الناس لحما وسمنا وقدمت لى هذا الطعام الذى لا يساغ .

قال عمر : ما أطعمك الا مما أطعم نفسى .

قال الرجل : وما يمنعك ان تأكل مما يأكل منه الناس وقد وزعت عليهم اللحم والطعام ؟

قال عمر : لقد آليت على نفسى الا اذوق السمن واللحم حتى يشبع منهما المسلمون جميعا .

من أوقاف المسلمين

وقف لإطعام الخيل العاجزة عن العمل — والمرج الاخضر فى دمشق وقف على الحيوانات المسنة تأكل حتى تموت دون ان يضطر اصحابها لقتلها تخلصا من نفقاتها .

ووقف على تمريض القطط والكلاب والحيوانات المريضة .

ووقف لتزويج الشباب والفتيات العاجزين عن نفقات الزواج .

ووقف لاستئجار مبصرين ليقودوا العميان ، فكان لكل أعمى قائد يقوده .

وتحدث الرحالة ابن بطوطة عن وقف الزبادى فى دمشق ، فقد حدث أن رأى بعينيه صبيا كانت بيده زبدية فانكسرت ، فبكى خوفا من بطش اهله به ، فأخذه الناس الى ناظر وقف الزبادى فأعطاه زبدية مثلها ، فعاد الى أهله دون ان يشعر اهله بما كسر .

ويروى أن فى طرابلس وقفا لاستئجار اثنين يذهبان كل يوم الى المستشفى فيقفان بجانب المريض يتحدثان بكلام خافت يسمعه المريض من حيث يوهمــانه انهما يتكلمان سرا عنه فيقول احدهما للآخر : ما رايك فى هذا المريض اليوم ؟ فيقول الآخر : انى اراه اليوم احسن منه بالامس . فوجهه مشرق وعيونه متألقة ، ثم ينصرفان وقد سمع المريض كلامهما بعد أن أوحيا اليه ما يعتقد فى نفسه التقدم نحو الشفاء .

مَوقف الإسلام من الفنون

الاستاذ: عبد المجيد وافي المدرس بالأزهر

فى عصر الذرة ، والصورة تنقل لنا ملامح مجتمعات البشر من قارة الى قارة عبر اقمار الفضاء بواسطة التلفزيون ، بل أصبحت تنقل ملامح الفضاء عن طريق الاجهزة التى يحملها ملاحو الفضاء وتعكسها الشاشة الصغيرة متحركة وساكنة .

فى هذا العصر لا يمكن أن نوقف المجتمع الاسلامى عن التطور الحضارى والتقدم العلمى والفنى ، وأمة الاسلام بعلمائها ومن وحى قرآنها قد فتحت آفاق العلم والتحضر والتطور على اوروبا من الشرق والغرب ، وأخرجت أهلها من الظلمات الى النور .

فى هذا الخضم المتطاحن بالعلم لا يمكن أن ننسب الى الاسلام تحريم فن ، او نتوعد بالعذاب قوما تأسوا بمـــا أمر الله (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهـــار لآيات لاولى الالباب) (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) (قل سيروا فى الارض ثم انظروا) ما لم يكن هناك نص قطعى بالحرمة .

واذا كان سادتنا الفقهاء قد أفتى بعضهم بالحل فقد افتى الآخرون بالحرمة غاية الامر ان ننظر لانفسنا نظرة فى ديننا مستمدين سماحته ومتوسمين رجاحة أحكامه لا متعنتين مضيقين على الناس ، وقديما كان المسلمون ينظرون الى خلاف الفقهاء على أنه رحمة ، فلا يجب أن نجعل اجتهادهم وفتاواهم على العالم نقمة .

من خلال هذا الباب نظرات الى الفن وماذا يرى فيه المسلمون منذ نبيهم عليه افضل الصلوات واتم السلام ، الى علماء الامة المعاصرين ممن فهموا بشارات النبى والقرآن بالعلم وفتوحاته .

وقد يقرأ الانسان من حين الى حين رأيا يلم بالموضوع الملمة ، ولا يطيل الوقوف ليعطى القارىء راغب المعرفة فرصة امساك الحجة ومعرفة الرأى .

ولكن ذلك ان أغنى ساعة فلن يغنى أكثر ، ولذلك يممت شطر الموضوع بعدما قرأت لأخ فاضل فى عدد « جمادى الاولى » راجيا أن يفتح الله بما اطمأنت اليه نفسى .

مع الديانات السابقة

واذا كان للديانات السابقة على الاسلام مواقف من العمل الفنى ، فيجب ان يستقى خبرها من مصدر مجمع عليه بيننا نحن المسلمين ، وليست التوراة المطبوعة بين ايدينا بمرجع ثبت ثقة بعد ان بدل أهلها كلام الله .

واذا كان الله تعالى يقول عن سليمان عليه السلام (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب) .. (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور) فهو لا بد عمل قصد به



مناظر صيد من قصر خربة المفجر ببادية الاردن
— من العصر الاموى حوالى ٧٢ — ٨٢ هـ

هكذا كانت البيئة بين يدى البعثة المحمدية ، فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التوحيد ، لم يكن من أهدافه أن يمحو فنا ، بل كان يهدف الى ارساء قواعد التشريع الاجتماعى ويعمل على سلامة العقيدة من كل شوائب الشرك ، وكان القوم قريبى عهد بوثنية ، فحطم الاصنام يوم الفتح ، حتى لا يبقى لها ما كان من تعظيم فى الجاهلية .

كما لم يكن من أهدافه أن يقيم فنا جديدا ، فذلك أثر من آثار انتشار الدعوة الجديدة وحضارتها يتم على مر الايام كما حدث فى تطور الفنون الاسلامية بالفعل .

وتحطيم الاصنام لم يكن عداء للفن ، بقدر ما كان يهدف الى تحطيم ما يعبد من دون الله ، وحفظ العقيدة الناشئة من ميل النفوس وهوى القوم الى ما كانوا يقدسونه فى زمن مضى .

ويدل على ذلك فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيته ، حيث كان يمزق الستور التى عليها شعارات لعبادة غير الله كالصلبان ونحوها .

ولحق الرسول بالرفيق الاعلى ، وتعاقب من بعده الخلفاء ، فلم يشتهر عن أحدهم شىء يتصل بالصور أو ما شاكلها ، الا ما كان من سك عمر بن الخطاب رضى الله عنه للدراهم والدنانير وعليها الرسوم الكسروية أو البيزنطية (١) .

آراء الفقهاء

واذا رجعنا الى آراء الفقهاء ، فاننا نرى الامام النووى مثلا يتشدد فى حكم تصوير الحيوان سواء كان رقما فى ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو اناء أو حائط أو غير ذلك (٢) ..

ونراه يعنى بتوضيح موقف ملائكة الرحمة من دخول بيت فيه تصاوير ، ويأبى أن يفرق بين ماله ظل ، وما لا ظل له ، ويرفض أن يسلم بما رواه بنفسه عن بعض السلف ممن يفرقون بين التماثيل والصور ، ويحكم ببطلان هذا الرأى .

ونرى من الفقهاء من يتوسع ويترخص شيئا ما — كالقاضى عياض من المالكية — الذى يقرر جواز اتخاذ لعب البنات « العرائس » تتخذ من الحلوى أو الجبس أو القطن ونحوه — فى عصره ، والبلاستيك واللدائن فى عصرنا — استنادا الى ما ورد من أن عائشة عندما تزوجها النبى صلى الله

(١) سيأتى تفصيل لذلك .

(٢) ذكر المقريزى فى رسالة النقود . أن عمر بن الخطاب سك عملة من الدراهم والدنانير وعليها الصور الكسروية والبيزنطية ، ولم يغير فى رسم العملة شيئا ، وان كان قد أضاف الى بعضها « لا اله الا الله وحده ، الله أحد ، محمد رسول الله » ولعل الامام النووى لم يعلم بذلك والا كان عدل بعض رأيه أخذا من سلوك عمر وفقهه ، والا اعتبر عمر رضى الله عنه ممن ترك الامة تتعامل بأمر محرم .

عليه وسلم ، كانت صغيرة ، وكانت لها لعب من هذا النوع ، وكان لها صواحب يلعبن معها .

ويعلق الامام القرطبى على ذلك قائلا : قال العلماء وذلك للضرورة الى ذلك ، وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن ــ ص ٧٥ جـ ١٤ من تفسيره ــ ولم يقل من هم هؤلاء العلماء .

ويذهب مكى بن أبى طالب المفسر القارىء النحوى ــ ٣٥٥ هـ ــ الى جواز التماثيل عامة فضلا عن الصور والرسوم ، استنادا الى ما جاء فى قوله تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب » .

قال : ان التماثيل هو كل ما صور على صورة الحيوان أو الانسان ، وكان لسليمان عليه السلام أنواع من التماثيل من زجاج ونحاس ورخام ، وأن بعضها كان يمثل صور أنبياء تقدموا أو علماء أو صلحاء ، وبعضها كان يمثل حيوانات أخرى .

كما يروى أنه كان يجلس على كرسى يقوم على أسدين فى أسفله ونسرين فوقه ، فاذا اراد ان يصعد بسط له الاسدان ذراعيهما ، واذا قعد أطلق النسران أجنحتهما .

ذكر مكى ذلك الرأى فى البداية « تفسير » ، وذكره النحاس قبله (١) .

وكما استدلوا لذلك بفعل سليمان استدلوا له أيضا بفعل المسيح عليه السلام ، الذى حكاه عنه القرآن فى قوله تعالى (انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) .

وقد روى القرطبى هذه الآراء فى تفسيره ص ٢٧٢ جـ ١٤ .

ولأبى على الفارسى (٢) رأى فى الموضوع ذكره عند الكلام على عبادة بنى اسرائيل للعجل ، يقول فى كتابه « الحجة » (٣) .

فأما قوله تعالى « ثم اتخذوا العجل » وقوله « باتخاذكم العجل » ، « اتخذوه وكانوا ظالمين » « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا » .

فالتقدير فى ذلك كله اتخذوه الها ، فحذف المفعول الثانى .

والدليل على ذلك أن الكلام لا يخلو من أن يكون على ظاهره ، مثل قوله « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » ، أو يكون على ارادة المفعول .

فلا يجوز أن يكون على ظاهره دون ارادة المفعول الثانى لقوله عز وجل « ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا » .

ومن صاغ عجلا أو نجره أو عمله بضرب من الاعمال لم يستحق الغضب من الله عز وجل والوعيد عند المسلمين ، فاذا كان كذلك علم أنه على ما وصفنا من ارادة المفعول الثانى المحذوف فى هذه الآى .

فان قال قائل : قد جاء فى الحديث يعذب المصورون يوم القيامة ، وفى بعض الحديث ويقال لهم أحيوا ما خلقتم ، قيل يعذب المصورون يكون على من صور الله تصوير الاجسام ، وأما الزيادة فمن أخبار الآحاد التى لا توجب العلم ، فلا يقدح ذلك على ما ذكرناه .

وكأنى بالفارسى يقرر هنا امكان صناعة العجل أو نحوه دون مذمة تقرير المسلمات لان صناعة التمثال فى ذاتها لا تكون سببا فى استحقاق غضب الله .

أما الذى يستحق الغضب والعذاب فهم من يصورون الله تصوير الاجساد ، ويتوجهون لهذه الاجساد بالعبادة .

الشيخ جاويش والامام محمد عبده

واذا كان للشيخ عبد العزيز جاويش رأى بالاباحة ورفع الحرج عن الفنون ، فان للامام محمد عبده رأيا نقله السيد رشيد رضا فى تاريخ الامام (٤) تناول فيه الفنون تصويرا أو نحتا لذاتها ، وذكر

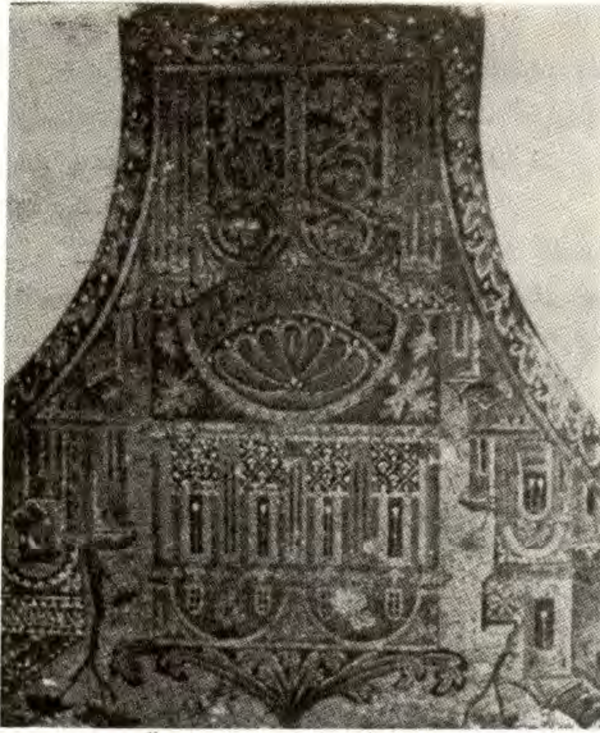
---

(١) ابن النحاس هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس النحوى المرادى المصرى توفى ٣٣٨ هـ نحوى قارىء مفسر .

(٢) الفارسى ٠ الحسن بن على بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسى ــ ٢٨٨ هـ ــ ٣٧٧ هـ مفسر نحوى قارىء محدث .

(٣) مخطوط بدار الكتب تحت رقم «٤٦٢» مصور جزء ١ ص ٣٥٦ .

(٤) تاريخ الامام محمد عبده للسيد رشيد رضا ص ٤٩٨ جـ ١ « بتصرف وتلخيص » .



ب ــ مناظر معمــــارية من الفسيفساء على جدران المسجد الاموى فى دمشــــق من عمل الفنانين الســـــوريين حوالى ٧٢ ــ ٧٤ هـ



ا ــ مناظر طبيعية بالفسيفساء على جدران مسجد بنى أمية فى دمشق حوالى ٧٢ ــ ٧٤ هـ

حرص الامم الغربية على العناية بها ، وهو يعلل ذلك بانها سجل حياة هذه الامم كما أن الشعر سجل حضارة العرب .

بل انه يعد الرسم ضرب من ضروب الشعر يرى ولا يسمع ، كما أن الشعر رسم يسمع ولا يرى .

ثم يقول ملفتا النظر الى دقة الفارق بين المعانى اللغوية ، يدركها الفنان ويسجلها بريشته : « ولكن تنظر فى الرسوم المختلفة فتجد الفرق ظاهرا باهرا يصورنه مثلا فى حالة الجزع والفزع والخوف والخشية .. ولكنك ربما تعتصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما .. ولا يسهل عليك أن تعرف متى يكون الفزع ومتى يكون الجزع ، وما الهيئة التى يكون عليها الشخص فى هذه الحال أو تلك .

وأما اذا نظرت الى الرسم وهو ذلك الشعر الساكت فانك تجد الحقيقة بارزة لك تتمتع بها نفسك ، كما يتلذذ بالنظر اليها حسك » .

ولم يعد الفن فى رأيه لهوا أو تعبدا لصورة صالح أو عظيم ، لأن الاول يبغضه الدين والثانى جاء الاسلام لمحوه ، فاذا زال هذان العارضان ، كان رسم الانســـان أو الحيوان بمنزلة تصوير النبات والشجر .

وقد صنع ذلك فى حواشى بعض المصاحف وأوائل السور ، ولم يمنعه أحد من العلماء مع أن الفائدة فى نقش المصاحف موضع نزاع ، وفائدة الصور ــ فى رأيه ــ مما لا نزاع فيه على الوجه الذى ذكره .

ويعلق على دخول الملائكة أو امتناعها عن الدخول فى بيت حوى الصور ، فيلذع ساخرا من تحدثه نفسه بارتكاب المعاصى محتميا بوجود الصور من تسجيل الملائكة عليه وقد امتنعوا عن الدخول فيقول « فان الله رقيب عليك ، وناظر اليك . حتى فى البيت الذى فيه صور ، ولا أظن أن الملك يتأخر عن مرافقتك اذا تعمدت دخول البيت لأن فيه صورا » .

ويختم رأيه قائلا « وبالجملة انه يغلب على ظنى أن الشريعة الاسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة

من افضل وسائل العلم ، بعد تحقق انه لا خطر فيها على الدين لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل .

أما الفنون الاسلامية فلم تقف مع خلافات الفقهاء ، بل سارت وتطورت ، واستقرت قواعدها واساليبها على هيئة لم تتح لفن حضارات أخرى سبقت الاسلام أو لحقته ، وذلك كما قلت فى أول المقال طبيعة الدعوات والحضارات ، تبدأ فكرا وعقائد ثم ينعكس أثرها على المجتمعات حضارة وعلوما وفنونا .

وصار التشكيل التصويرى فى تطوره اللونى والتكوينى والموضوعى ، الى جانب التشكيل الهندسى ذى السطح الواحد أو التفريغ النباتى أو التشكيل بالكتابة العربية .

وبلغ الفن فى الاسلام مبلغا من الفنى والرقى فى فروع مختلفة ، كما لو كان كل فرع فنا وحده تطور وتبلور .

بل ان هذا الخلاف الفقهى وشبهاته كان عاملا اساسيا فى ظاهرتين مهمتين ..

الظاهرة الاولى : تطور التشكيل النباتى وتفريعه ، ثم الهندسى وتعدد أشكاله واتساعه تطورا لم يشتهر بين فنون الامم الاخرى ، كما وجدت آثار فنية ، عالية المستوى ، راقية الاداء ، جمعت بين العنصرين فى التشكيل ، أو فارقت بينهما ، دون أن يهدم هذا الجمع التركيب الفنى .

كما أن الخلاف كان عاملا أساسيا فى تطور شكل الحروف العربية ، وأصبحت الكتابة العربية على الجدران وفى القصور ، على العمارة ، أو فى الكتب ، فنا تعبيريا مستقلا ، أو متداخلا مع التشكيلات النباتية والهندسية ، وصارت الكلمة بما لها من مضمون ، وما لها من شكل ، عاملا فنيا لم يشتهر لغير العربية .

وصار لكل هذه الفروع مدارس ومذاهب أغنت التاريخ الحضارى الاسلامى بالعديد المتنوع من التشكيلات ، منفذة على كل المواد الممكنة للفنان ، من خشب وزجاج وحجر ورخام ونحاس وفضة وذهب وجلد وغير ذلك .

وبرع الفنان المسلم فى صياغة فنه وتشكيله فى أضيق الحدود كصفحة الكتاب ، وأبدع وأغرب فى تلوينها وتذهيبها .

كما برع فى صياغة هذه التشكيلات على أوسع مستوى ، كواجهات المساجد والقصور وسقوفها وأرضها ، ولانت فى يده صلاب المواد ، فشكل منها وأبدع الصنائع .

الظاهرة الثانية : أن الخلاف كان عاملا على ظهور ميزة للتصوير الاسلامى عن غيره من فنون التصوير المعاصرة له ، أو المتأخرة عنه ، ذلك هو انعدام البعد الثالث .

وقد أرجعه بعض المشتغلين بالدراسات الاثرية الى ضعف فنى فى التعبير ، كما أرجعه البعض الآخر الى مذمة الفقهاء لأهل الفنون واحتقارهم .

وكيف يكون ذلك صحيحا ، وقد أصبح هذا العيب مثالا يحتذى عند اصحاب المذاهب الحديثة فى الفنون الغربية ، كلفوا بها وشغلوا بتقليدها الى وقتنا هذا ؟ (1) .

وليس بصحيح أن جرأة الخلفاء على الحرمات ، كانت من عوامل انتشار هذه الامور ، فالتصوير كغيره من الفنون تطور فى حضرة الاتقياء وغيرهم من الخلفاء ، وقد رأينا رسوم الفسيفساء فى المسجد الاموى ، وقبة الصخرة ، والمسجد الاقصى ، ولم نسمع عن ثورة العلماء على ذلك ، كما ثار المنذر بن سعيد الاندلسى على عبد الرحمن الناصر لبذخه فى بناء مدينة الزهراء .

والمصورون أنفسهم لم يسلموا من الهمز . فقيل : انهم مسيحيو الاصل ، والله يعلم ان كثيرا من المشتغلين بالحديث والفقه والتفسير كان لهم اشتغال بهذه المسائل ، وذكر المرحوم تيمور باشا بعض أخبارهم فى كتابه التصوير العربى .

وهذا باب لا يطوى طيا ، ولكن يحسن أن يتناول وحده ، حتى يعلم الناس أن أسلافهم — وفيهم الفقهاء — كانوا ذوى حس وذوق وفن .

---

(1) بدأ تقليدها فى نهاية القرن الثامن عشر بالفنان « أنجر » و « ديلاكروا » والتاسع عشر من فنانى المدرسة التأثيرية وفتن بها فى بداية هذا القرن « ماتيس » و « سيزان » ، وعدها « بولكلى » و « موندريان » من أسس التجريد الحديث .

عدالة الاسلام :

ومما يذكر بهذا الصدد ان عدالة الاسلام جعلت حقا فى بيت المال لمحدود الدخل يغطى نفقة من يعول وذلك قوله تعالى « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » (١) فقد قال العلماء : ان المحروم هو الذى لا يكسب ما يكفيه .. ويجعل من لا عائل لها صغيرة كانت أم كبيرة فى كفالة ولى الأمر ببيت المال ، لأن صفة الأنوثة فى الاسلام من صفات العجز عن الكسب .. أى ان مجرد الأنوثة عجز (٢) .. ويجعل اليتيم الذى لا مال له فى كفالة ولى الأمر أيضا بصفته قيم بيت المال الى أن يستغنى بالعمل ، وذلك قوله عليه السلام ـ « ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة ، اقرءوا ان شئتم « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن ترك مالا فلورثته وان ترك دينا أو ضياعا ، فليأتنى فأنا مولاه » (٣) والضياع هم العاجزون عن الكسب .

وكان النظام فى العصر الأول أن يقسم الفىء على كل بيت بحسب عدد الأنفس فيه ، قال أبو عبيد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه فىء قسمه من يومه ، فأعطى الآهل حظين واعطى العزب حظا واحدا (٤) .. « وكان عمر رضى الله عنه لا يثبت الرضيع فى دفاتر المستحقين لعطاء الفىء ، ثم ترك ذلك وفرض لكل مولود (٥) .. وكان كل من عثمان وعلى رضى الله عنهما ـ يفرض لكل مولود مائة كل عام .. وروى أبو عبيد عن أبى اسحاق « ان جده الخبار مر على عثمان فقال له : كم معك من عيال يا شيخ ؟ فقال : معى كذا .. فقال فرضنا لك كذا .. ولعيالك مائة ، مائة (٦) .. » أى لكل فرد .

واذا كان ذلك هو سنة المجتمعات النظرية ، وعلامة الصحة فيها فأولى فى منطق الاصلاح أن يرد المجتمع الى سنته ، لا أن يبقى الفساد ثم يسام الضعفاء حمل آثاره .

« الوعى الاسلامى » قد يسىء بعض الناس فهم اعتبار الاسلام ان الأنوثة عجز . ويتساءل ، ويرفع صوته . وقد تاخذ العزة بعض القارئات فيقلن : وكيف ؟ مستنكرين ذلك . والواقع فى هذا أن الاسلام يحرص على أن يوفر للمرأة الجو الذى يجعلها تقوم بمهمتها الكبرى ، ويصونها من التبذل والعمل لكسب القوت ومن أجل ذلك جعل فى بيت المال ما يكفيها الحاجة التى تضطرها للعمل . وليس هناك أسمى من هذه النظرة للمرأة فهى نظرة تقوم على التكريم أولا وأخيرا . ولقد قرأنا كثيرا اعترافات من المرأة الغربية بحاجتها الى مثل هذه الرعاية وهذه النظرة التى تجعلها وكأنها جوهرة يحافظ عليها ، وتجعلها محل تقدير وصيانة وغيرة من رجلها ومن المجتمع ، وذلك بعد ما أحست بالضياع فى عملها وأنها أصبحت فى نظر الرجل والمجتمع كآلة تدور تتناولها الأيدى التى تديرها دون رحمة أو عناية حتى قالت احدى الكاتبات الغربيات : ان النساء فى الغرب يحسدن المرأة فى المجتمع المسلم لما تجده من رعاية الرجل وغيرته عليها ..

---

(١) الذاريات : ١٩ ..

(٢) أحمد ابراهيم : ١٤٣ ـ الاحكام الشرعية للاحوال الشخصية .

(٣) رواه البخارى ..

(٤) الاموال لابى عبيد : ٢٤٢ ..

(٥) المصدر السابق : ٢٢٧ ..

(٦) المصدر السابق : ٢٣٨ ..

الانتماء إلى الجماعة في سيرة القائد الأعظم
صلى الله عليه وسلم

المقدم : حسن فتح الباب

مدير البحوث الفنية والقانونية بـوزارة الداخلية / القاهرة

ان فيصل القول فى وظيفة القيادة الناجحة انها القيام بتلك الأعمال التى تعين أعضاء الجماعة على تحقيق هدف مشترك يقتنعون بأهميته . فيتفاعلون بطريقة تضمن تماسكهم وتحركهم فى الاتجاه الملائم . ومن ثم فان الانتماء الى الجماعة يقع فى المقام الأول من الأهمية بين مقومات القيادة الاصيلة . لأنه يصل القائد بقومه برباط نفسى وفكرى وثيق ويجمع بينهما فى سبيل واحد لتحقيق غاية مشتركة .

ولقد اكتمل هذا العنصر القيادى فى القائد الأعظم للأمة الاسلامية . بحكم المنبت والتنشئة الاجتماعية ، فكان — عليه السلام — أكثر العرب تمثيلا للخصائص العربية فى جوانبها المشرقة . وأقدرهم على فهم مشاعر قومه وأفكارهم ودوافعهم وأهدافهم .

فلما نزل عليه الوحى كان مهيئا للدعوة معدا وقادرا على النهوض بمسئولياتها . ولقد اقتضته سعة الرسالة وبعد مراميها أن يعمل — بوحى من الله — على دعم هذا العنصر القيادى وهو الانتماء الى الجماعة وتعميقه وتوسيع آفاقه حتى يخرج لفظ « الجماعة » من معناه الضيق الذى ينصرف الى أقرباء الرسول ، ممن تربطهم به صلة الدم الى معنى أوسع وهو قبيلة قريش بأجمعها ، ثم الى معنى أعم وهو المجتمع العربى فى سائر جوانب الجزيرة العربية ، ثم ينطلق بعد ذلك الى المعنى العام الشامل . وهو مجتمع العالم القائم حينئذ بأسره ، ثم يستقر أخيرا الى معنى المجتمع البشرى فى كل عصر وكل أوان .

ولكى يرتفع عنصر الانتماء الى مستوى قبيلة قريش بأجمعها . فلا يقتصر على بيت منها هو بيت عبد المطلب الذى نبع فيه الرسول ، سعى عليه السلام الى توثيق صلاته بسائر بيوت قريش ، وعزز هذه الصلات باختيار بعض زوجاته منها . حتى تقوم رابطة المصاهرة مقام رابطة الدم والقربى ، وكلتاهما وشيجة قوية من وشائج انتماء القائد الى الجماعة . فكانت الرغبة فى خلق هذه

الآصرة الاجتماعية هى احدى أسباب تعدد أزواج النبى . لقد كان فى حاجة الى انصار يؤمنون بالدعوة من البيوت والقبائل والعشائر جميعهـا ، وليس ثمـة وسيلة لتحقيق هذا المطلب أصلح من تعزيز روابط الانتماء بالجميع ، وليس أقوى ولا أبقى من روابط الدم والنسب والمصاهرة فى مجتمع قبلى ، يعتز بالانساب ويقوى بالأصهار ، فكيف اذ كان النسيب أطهر القوم وأجلهم مكانة .

ولقد أشار الى هذا المعنى المرحوم عباس العقاد فى كتابه « عبقرية محمد » اذ يقـول :

« أما سائر زوجاته عليه السلام فما من واحدة منهن ـ رضى الله عنهن ـ الا **كان لزواجه بها سبب من المصلحة العامة** أو من المروءة والنخوة » .

ومن الواضح أن الرغبة فى تعزيز الانتماء الى سائر بيوت قريش تدخل فى باب المصلحة العامة . والدليل على ذلك قـول العقاد ـ رحمه الله ـ فى السياق ذاته .

« ورملة بنت أبى سفيان تركت أباها لتسـلم وتركت وطنها لتهاجر مع زوجها الى الحبشة ، ثم تنصر زوجها ، وفارقها وهى غريبة هناك بغير عائل . فأرسل النبى الى النجاشى فى طلبها لينقذها من ضياع الغربة وضياع الأهل وضياع القرين . فكانت النجدة الانسانية باعث هذا الزواج ، ولم يكن له باعث من المتعة والاستزادة من النساء ، **وكان للنبى مقصد جليل من وراء هذا الزواج الذى لم يفكر فيه حتى الجأته النجدة الى التفكير فيه ، وهو أن يصل بينه وبين أبى سفيان بآصرة النسب** ، عسى أن يهديه ذلك الى الدين ، بما يعطف من قلبه ويرضى من كبريائه » .

ومثلما عزز الرسول انتماءه الى جماعة قريش بالزواج من بعض نسائها . عزز هذه الرابطة ايضا بتزويج بناته من صحابيين جليلين هما على بن أبى طالب وعثمان بن عفان ، لأن توثيق الصلة بهما ، أكثر مما كانت ، هو فى نفس الوقت تنمية للعلاقات ـ الحميدة مـع البيوت العربية الأصيلة وتدعيم للانتمـاء الى الجماعـة .

ولقد اكد المرحوم محمد حسين هيكل أن تقوية انتماء الرسول الى قومـه كانت من مقاصد زواجـه عليه السلام ، بقوله فى الفصل الثامن من كتابـه « حياة محمد » :

« زاد عناد هذه القبائل محمدا عزلة ، كما زاده امعـان قريش فى أذى أصحابه ألما وهما . وانقضى زمن الحداد على خديجة . ففكر فى أن يتزوج ، لعله يجد فى زوجه من العزاء ما كانت خديجـة تأسو به جراحه . على أنـه **رأى أن يزيد الأواصر بينه وبين السابقين الى الاسلام متانة وقربى** فخطب الى أبى بكر ابنته عائشة . ولما ـ كانت لا تزال طفلة فى السابعة من عمرها عقد عليها ولم يبن بها الا بعد سنتين حين بلغت التاسعة (١) . »

وبقوله فى الحديث عن زواج النبى من حفصة بنت عمر :

« وكذلك كان هؤلاء الأعراب فى فزع من محمد وفى قلق على مصيرهم بعد تزايد بأس المسلمين اثر الهجرة الى المدينة .. وقريش لها سيادة العرب ، وهى لا يمكن أن تنى عن الأخذ بثأرها ... وما كان شىء من هذا ليغيب عن محمد وبعد نظره وسلامة سياسته . فلا بد له اذا من أن يزيد المسلمين به تعلقا وارتباطا . **ومهما يكن الاسلام قد شد من عزائمهم وجعلهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه**

---

(١) يرجح المحققون انها رضى الله عنها كانت حينذاك فوق هذه السن (الوعى)

بعضا ، فان حسن رعايتهم تزيد عزائمهم شدة وتضامنهم قوة . ومن حسن رعايتهم أن يزيد محمد رابطته بهم . لهذا تزوج من حفصة بنت عمر بن الخطاب كما تزوج من عائشة من قبل » .

ونستبين من هذين النصين أن من أولى مقاصد الرسول من الزواج زيادة الأواصر بينه وبين السابقين فى الاسلام متانة وقربى ، وحسن رعاية المسلمين حتى يزيدوا به تعلقا وارتباطا . وكلا المقصدين يدوران فى الحقيقة حول معنى واحد وهو تعزيز القائد انتماءه الى الجماعة .

ويستطرد المرحوم محمد حسين هيكل فى بيان العلاقة بين زواج الرسول وبين أهداف الدعوة وما تنبىء عنه هذه العلاقة من مقصد تعزيز الانتماء الى الجماعـــة :

« وكما تزوج من حفصة فزاد ابن الخطاب به تعلقا ، زوج ابنته فاطمة من ابن عمه على أشد الناس محبة للنبى واخلاصا له منذ طفولته . ولما كانت رقية ابنته قد اختارها الله الى جواره ، فقد زوج عثمان بن عفان بعدها ابنتـــه أم كلثوم . **وكذلك جمع حوله برابطة المصاهرة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا ، وجمع بذلك أربعة من أقوى المسلمين الذين** كانوا معه ، بل أقواهم ان شئت . **بهـــذا كفل للمسلمين مزيدا من القوة ،** كما كفل لهم بما غنموا فى مغازيهم اقداما على الحرب يجمع فيها الرجل بين الجهاد فى سبيل الله والمغنم من المشركين » .

فالانتماء الى الجماعة اذا مقوم أساسى من مقومات القائد . لأن القربى والمصاهرة وما اليها من أسباب التقارب والوحدة تكفل للجماعة مزيدا من القوة قوة معنوية لا تقل عن القوة التى يكفلها الانتصار فى الحرب وحيازة المغانـــم . وبغير هذه القوة لن يستطيع القائد أن يشق طريق النجاح فى مسيرة تضم كل أعضاء الجماعة ، ومن ثم فان الانتماء هو احدى الدعائم التى تقوم عليها القيادة الحقة .

ومن الأمثلة الدالة على أهمية انتماء القائد الى الجماعة زواج الرسول مـــن ميمونة أخت أم الفضل زوج العباس ابن عبد المطلب عم النبى ، وخالة خالد بن الوليد . فقد رأت ما رأت من أمر المسلمين فى عمرة القضاء فهوت الى الاسلام نفسها ، فخاطب العباس ابن أخيه فى أمرها ، وعرض عليه أن يتزوجها ، وكان موكلا عنها بذلك وقبل الرسول . وكانت ثلاثة الأيام التى نص عهد الحديبية عليها قد انقضت ، ولكنه عليه السلام **أراد أن يتخذ من زواجه ميمونة وسيلة لزيادة فى التفاهم بينه وبين قريش .** فلما جاءه ســـهيل بن عمرو وحويطب بن عبـــد الفرس من قبل قريش يقولون لمحمد : « انه قد انقضى أجلك فاخرج عنا » قال لهم : « ما عليكم لو تركتمـــونى فاعرست بيـــن أظهركم وصنعنـــا لكم طعامـــا فحضرتموه » .

وتتسع دائرة انتماء القائد الأعظم الى الأمة العربيـــة حتى تشمل يهـــود خيبر وســائر اليهود ، بوصفهم من أهل شبه الجزيرة الذين بعث الرسول لهدايتهم الى الدين الحق ، مهما أبدوا من عداوة ، فيتزوج الرسول من احدى نسائهـــم وهى صفية ابنة حيى بن أخطب النضيرية ، وكانت احدى السبايا اللآتى أخـــذ المسلمون من حصون خيبر ، وقد قيل للنبى فى شأنها : « صفية ســـيدة بنى قريظة والنضير لا تصلح الا لك » فاعتقها وتزوجها . ويعلق على ذلك الأستاذ محمد حسين هيكل ـــ رحمه الله ـــ بقوله : « ان هذا الزواج من تقاليد العظماء الفاتحين الذين كانوا يتزوجون من بنات عظماء الممالك التى يفتحونها ليخففوا من مصابهم ويحفظوا من كرامتهم » . ونحن نضيف الى هذا الغرض غرضا آخر لا

يقل عنه وضوحا وهو توثيق الصلات وتدعيم الانتماء توحيدا للصف وتحقيقا للهدف . غير أن اليهود خانوا عهدهم مع الرسول وخرجوا بذلك على الأمة الاسلامية فكانوا من أعدائها .

ويطرد اتساع دائرة الانتماء حتى تتجاوز الجزيرة العربية الى ما حولها من البلاد ، **فيتخذ النبى من جارية مصرية أم ولد له وهى مارية القبطية** التى بعثها المقوقس عظيم القبط فى مصر مع هدايا أخرى الى الرسول ، ردا على الرسالة التى بعثها اليه يدعوه فيها الى الاسلام فتلد له ابراهيم الذى فرح الرسول بميلاده وحزن كثيرا لوفاته . **ومن الواضح أن هذا يمثل مصاهرة بين النبى وبين أهل مصر ،** ولهذا جاء فى الأثر استوصوا بأهل مصر خيرا فان لهم ذمة ورحما تلك المصاهرة التى تعد احدى الوسائل الهامة لتحقيق رابطة الانتماء . ولقد أثبت التاريخ ذلك التأييد المعنوى الذى أبداه المصريون للمسلمين الفاتحين بقيادة عمرو بن العاص ، والذى كان من عوامل انتصارهم . ولسنا نعدو الحقيقة اذا قررنا أن تلك المصاهرة كانت من أسباب هذا التأييد ، لأن المصريين الذى عانوا طويلا من عبودية الرومان وجدوا فى المسلمين الذين يحملون ــ رسالة الحرية والعدل والرحمة ــ عونا لهم على التخلص من جور الرومان الدخلاء ، ولم يجدوا فيهم غزاة من الأجانب لأن العرب والمصريين القدماء ينحدرون من جنس واحد . وقد جدد هذه القربى وعمقها فى نفوسهم رابطة المصاهرة بينهم وبين النبى العربى ، فكانوا عونا على دخول الاسلام وانتشاره فى بلادهم .

ويجدر بنا أن نشير فى هذا المقام الى أن توثيق الانتماء الى الجماعة لم يكن المقصد الوحيد من تعدد زوجات الرسول ، ولا كان المقصد الأساسى فى جميع الأحوال اذ كان اختيار الرسول لزوجاته على حسب حاجتهن الى الايواء الشريف وعلى حسب المصلحة الكبرى التى تقضى باتصال الرحم بينه وبين سادات العرب وأساطين الجزيرة من أصدقائه وأعدائه على السواء . بيد أننا اذا تعمقنا دراسة الحالات التى كانت الرحمة والمروءة والنخوة هى الدوافع الأساسية لها ، وجدنا أن توثيق الانتماء يقف كعامل غير مباشر خلف هذه الحالات ، وبخاصة اذا لاحظنا أن هذه الدوافع تحقق انتماء روحيا عميقا بأعضاء الجماعة سواء الأقربين منهم الى الأصهار أو البعيدين منهم ، لأن الحاجة الى التأليف أو الرعاية وتبادل العطف والمودة هى حاجة انسانية أساسية لا تقتصر على القريب دون البعيد بل هى مشاع بين الأسرة الانسانية جميعها ، ولا شك أن التألف والرعاية هى القاعدة التى تقوم عليها رابطة الانتماء الى الجماعة .

وتتزايد حلقات الدائرة ــ دائرة الانتماء ــ حتى تضم الصعيد الانسانى كله لتجمع بين القاصى والدانى والأبيض والأسود والغنى والفقير على قاعدة الاخاء والمساواة . وان لم تتوافر وشائج انتماء القائد الأعظم المبعوث من عند الله الى الناس كافة عن طريق الدم والمصاهرة لاستحالة هذا الأمر ، فليكن مد اليد اليهم حيثما يوجدون بالسلام ومناشدة التعاون فى سبيل نصرة المظلوم ، وارساء القيم الفاضلة والمبادىء القويمة ، بديلا من هذه الوشائج ، بديلا معنويا لا يقل عنها قوة واصالة ان لم يزد عليها . بديلا لا غنى عنه ولا يقوم مقامه مثيل فى سبيل انجاز أهداف الرسالة الاسلامية وهى رسالة عالمية بطبيعتها وأهدافها .

ذلك هو التفسير المنطقى للحكمة التى كان يستهدفها النبى من وصاياه الى جنده وولاته على الأقاليم والأمصار التى فتحوها ، وصايا بحسن المعاملة

والتمسك بالمثل العليا فيما يصدر عنهم نحو أبناء هذه البلاد من أقوال وأفعال . وكان يضرب لهم المثل على ذلك بسلوكه مع الناس ، فهو الكريم السمح العافى عند المقدرة مما زاد المسلمين به تعلقا ، ويرون فيه الى جانب ذلك أبا لهم جميعا. وليس أقوى ولا أوثق من هذه الأبوة الروحية فى التمكن لرابطة انتماء القائد الى الجماعة فكان للحكام المسلمين فى رسول الله أسوة حسنة ، وليذكروا نصائحه وتعاليمه ، وهم يتعاملون مع أهل البلاد المفتوحة حتى تضيق مسافات الخلف بينهم وتقوم مقامها وشائج الانتماء بالمشاعر الودية والتجاوب الصادق والعمل المشترك فى سبيل تحقيق أهداف سليمة يلتقى عليها الجميع حكاما ومحكومين .

ولقد أثمرت هذه التعاليم الرشيدة فى نفوس المسلمين ، وأدرك أولو الأمر من صحابة الرسول ما تنطوى عليه من حكمة سامية . فسعوا الى توثيق رابطة الانتماء بينهم وبين سائر المسلمين فى الجزيرة العربية من أقصاها الى أقصاها ، ثم سعى من شغل منهم وظائف القيادة والحكم الى خلق هذه الرابطة بينهم وبين الشعوب المجاورة التى تحققلهم النصر على حكامها المستبدين المستغلين ، فدانت لهم تلك الشعوب بالولاء والطاعة واستجابوا لمبادىء دعوتهم — وعملوا معهم جنبا الى جنب لارساء قواعدها وتدعيم بنيانها .

ولقد اقتدى القادة والحكام المسلمون بنبيهم فى خلق أواصر الانتماء بالجماعات التى تختلف فيما بينها سلالة ولغة وعادات وتقاليد ونظما اجتماعية وسياسية وتتفق فى انطوائها جميعا تحت راية الدين الجديد . فكانت وسيلتهم لتحقيق هذا المقصد هى نفس الوسيلة التى اتبعها الرسول ونعنى بها المصاهرة والمعاملة الحسنة بوصفها أداة — لخلق الانتماء الروحى اذا لم تتيسر السبل الى المصاهرة ، وأداة لتعزيز الانتماء عن طريق النسب اذا توافرت هذه — الرابطة .

ومن ثم فقد اختلط المسلمون بأبناء البلاد التى دخلوها اختلاطا يقوم على المودة والتراحم والعدالة وتبادل المنافع المشتركة والتعاون فى سبيل المصلحة العامة . وأدى ذلك كله الى عقد أواصر المصاهرة بين كثير من الجنود المسلمين وأهل تلك البلاد ، مما أنشأ ووثق روابط الانتماء بين الجانبين . وأزال من نفوس المحكومين عقدة كراهية الحاكم ومقاومته بشتى وسائل المقاومة . ذلك لأن العرب الفاتحين أصبحوا أخوة لهم بالمصاهرة والمعاملة الكريمة . وكان من نتائج هذا كله أن تحققت الوحدة القومية فى العالم الاسلامى ، فأصبح العرب وأهل الأقاليم التى دخلوها يكونون أمة واحدة ، تظلها راية العقيدة الاسلامية . وتقويها وشائج الانتماء بمختلف صورها . واندثرت القيم والعقائد القديمة البالية ، واحتلت مكانها قيم المجتمع الاسلامى الجديد ، بل لقد اندثرت لغات كثير من هذه البلاد وحلت محلها اللغة العربية وهى لغة القرآن ، وأصبح لا فرق بين عربى وأعجمى الا بالتقوى .

ونخلص مما تقدم الى أن الانتماء الى الجماعة من أهم مقومات القيادة فى الاسلام ، اذ كان عاملا أساسيا فى نجاح القادة فى تحقيق أهداف العقيدة الاسلامية . فلقد شعرت القاعدة المحكومة أن القيادة مُنبثقة منها ، وليست مفروضة عليها ، فتجاوبت معها نفسيا وفكريا واجتماعيا ، وارتفعت معنوياتها . فتسابقت الى التعاون مع القادة والبذل والتضحية فى سبيل التمكين للعقيدة ، ورفع ألوية الحضارة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وارتياد آفاق جديدة لم يسبق اليها أحد فى تاريخ البشرية .



لا يا اخوانى :

يكتبها : عبد المنعم النمر

حين اجتاحت العاصفة البلاد العربية بما صحبها من مطر وبـــرد أصاب اخواننا النازحين ما أصابهم ، وعانوا فوق ما يعانونه فى هذا الشتاء القارس .. وعلق مسئول كبير على هذا تعليقا طيبا قال فيـــه : لعل فى هذا ما يهـــز الضمير العالمى نحو مشكلتهم ..

ونحن وكل انسان يرجو معه أن يهتز الضـــــمير العالمى ويتحرك نحو هؤلاء ، ونحو المشكلـــة كلهـــا التى تمثل انهيـــــار العدل أمام ضربات القوى الغاشمـــة ..

ومع ذلك فقد وجدتنى أقـــول : والضمير العربى .. أيضا .. والشهامة الاســـلامية العربية التى تجعلنا نتناسى كل شىء من أجل هؤلاء ، بل من أجل عزتنا وكرامتنا وتاريخنا ..

لقد قرأت ــ مع الأسف الشديد ــ أن بعض الذين فقـــدوا هذا الضمير انتهزوا فرصـــة ما فعلته العواصف والبرد بالنازحين ، فباعوا لهم البطاطين والطعام بأثمان مرتفعة تفوق أثمانها المعتادة !!

صورة جانبية .. ولكنها تمثل ــ ان صحت ــ مدى ما وصل اليه الضمير الاسلامى عند بعض العرب !!

وفى أيام النكسة ، وما حل بالضفة الغربية ، سمعت أحد الفلسطينيين يعلق على هذه الحوادث وكأنه يشمت فى أهلها .. فدهشت مما يقول .. فقال : لا تلمنى .. فقد صادفنا حين أرغمنا على ترك بيوتنا ، ولجأنا اليهم مالا تتصوره .. كانوا يعاملوننا بقسوة واهانة . لم يرحموا حالنا ، ولم يحسنوا لقاءنا حتى ترك ذلك فى نفسى ــ مع الأسف ــ ما تسمع آثاره الآن منى .. بعد مرور عشرين سنة . ولكنى هونت عليه الأمر بأن ما رآه قـــد يكون حادثا فرديا ، بجانب الصور اللامعة الطيبة لكثيرين كان لهم ضمير ، وفيهم مروءة ..

والآن .. تعود الى ذهنى هذه الصورة القاتمة ، وأنا اقرأ حالة مشابهة لما شكى منه الأخ الفلسطينى من قبل .. وأسمع كذلك حالات مشابهة فى بلاد أخرى ، يتجرد فيها بعض الناس من مروءتهم وشهامتهم وضميرهم ، ويستغلون ما حل باخوانهم !! كأنهم الغربـــان تتجمع لتعيش علـــى ضـــحايا الكوارث والنكبـــات !!

لا .. يا اخوانى .. لا الاسلام ، ولا المروءة ، ولا الشهامة ، ولا الضمير ، ولا مصلحتكم الدائمة الباقية ، ترضى بما تفعلون .. ولقد هب اخوانكم من كل مكان ، فتبرعوا لهؤلاء النازحين بما يقيهم شر هذه الظروف .. فلا تكونوا ــ

وانتم الأهل والجيران ــ أقل تقديرا لظروف هؤلاء فى أى مكان يضمهم معكم .. والله مع الجميع ..

شباك التذاكر أم الأخلاق ؟

هل تجد غرابة فى أن أحدثك هنا عن الأفلام والسينما والتمثيليات ؟

لا .. لا تستغرب فالأفلام والتمثيليات أصبح لها دورها الفعال فى التأثير على العقول والأفكار ، وعلى توجيه الشبان والشابات بخاصة .. الى حد يمكن أن نعتبر معه دور السينما والمسارح من أقوى المدارس الفكرية والخلقية .. القادرة على التوجيه ، ذات اليمين ، وذات الشمال ، وعلى تحويل الأفكار والاتجاهات وصبغها بصبغة خيرة أو شريرة .. فهى مدارس مرغوب فيها ، يندفع كل انسان اليها ، ويدفع نقودا نظير قضاء ساعات فيها .. ومن هنا تكون قوة فعاليتها وتأثيرها وتوجيهها .

ولقد لعبت اسرائيل والصهيونية دورا خطيرا لصالحها ضد العرب عن طريق الأفلام التاريخية وغير التاريخية ، واستطاعت أن تؤثر على الرأى العام عن هذا الطريق ، بجوار ما لها من طرق أخرى .. ومن هنا كان من الممكن لأية أمة لها هدف ترمى اليه ، وخطط محكمة للوصول الى هذا الهدف أن تستغل السينما والمسرح لتحقيق ما تريد ..

ان الأفلام تستطيع أن تؤدى من التأثير والتوجيه ما لا تؤديه الخطب الرنانة أو المقالات المسهبة .. ولا سيما بعد اشتراك التلفزيون فى عرضها . واجتماع كل أسرة حوله .. ولهذا كان من الواجب على كل أمة ألا تغفل عن الأفلام : موضوعا واخراجا ، حتى يأتى ذلك كله محققا للغاية التى تتفق مع صالح هذه الأمة . فلا يعرض على أبنائها ما يتعارض وأهدافها ، أو يهدم مخططها . أو يعرقل مسيرتها .

كل أمة تستطيع ذلك سواء أكانت هى التى تتولى الانفاق على هذه الأفلام أو كانت فقط تشرف على عرضها ، وتتحكم فيما يعرض وما لا يعرض منها .

واذا كانت كل دولة تهتم اهتماما خاصا بالمادة الدراسية التى تقدم لطلابها ، بحيث لا يكون فيها ما يتعارض ــ وتقاليدها وأهدافها ، أو ما يقلل من شأن الغايات التى تعمل لها .. وتجتهد فى أن تكون قاعة الدرس بيئة صالحة للتوجيه الصالح حرصا على أبنائها من الانحراف ..

فان السينما ــ وهى أقوى تأثيرا على النفوس من قاعة الدرس ــ يجب أن تعطى من العناية ما يتناسب وقوة تأثيرها وتوجيهها .. سواء فى ذلك موضوع القصة أو تمثيلها أو عرضها ..

ونحن لا نريد بذلك أن يكون الفيلم درسا جافا فى الوعظ ، ولكنا نريد ان يكون حتى للتمثيل الفكاهى غاية نبيلة ، وألا يكون فى الحوار أو الأداء ما يخدش تقاليدنا أو مثلنا وقيمنا ..

قد يقال : لا بد فى الفيلم أحيانا من أشياء مخالفة للآداب وللذوق ، وذلك حسب الموضوع الذى يعالجه ، وأنا لا أمانع فى هذا اذا كان الغرض من عرضها اظهار النهاية الأليمة لكل من يسلك مثل هذا السلوك ، على ألا يكون هناك اسراف فى مثل هذه المظاهر المخلة بقصد اثارة الجنس ، وجر المراهقين والمراهقات الى شباك التذاكر .

اننا نرى فى الأفلام أحيانا هزؤا وسخرية من لغتنا العربية !! لا لشىء الا لمجرد اثارة الضحك !! ونرى كذلك مظاهر من شأنها اثارة الاستهزاء والسخرية بالدين ومن يمثلونه !!

وهذا لا يتفق أبدا مع المفروض فينا من عناية واعتزاز بديننا ولغتنا القومية ..

ونرى فى بعض الأفلام اثارة متعمدة ومتكررة للجنس ، دون أن تكون هناك نهاية سيئة للذين يسلكون فى حياتهم مثل هذا السلوك . كأن المقصود فقط هو اثارة غرائز المشاهدين والمشاهدات !!

وهذا اذا كان محتملا فى أمة بلغت شأوها من النهضة والتقدم — مع خطره عليها — فانه لا يحتمل ، ولا يجوز أبدا فى أمة تقارع أعداءها . وتخطو من كبوتها ، تحاول النهوض من عثرتها .

تقول ما الذى جعلك تختار هذا الموضوع ؟

وأقول لك : لقد لفت نظرى حوار صحفى دار حول فيلم من الأفلام الحديثة قال عنه النقاد ان مخرجه تعمد أن يسلط كل الأضواء على ممثلة جميلة تتكسر وتتثنى ، وتغرى ، وتبالغ فى اثارة الجنس ، مهملا جوانب أخرى فى القصة : وطنية وقومية جادة .. حتى قال النقاد عن هذا الفيلم ان الاسم المناسب له هو (قصر الجنس) !! وهو فيلم تحتضنه وتنفق عليه مؤسسة حكومية ، وهذا هو الغريب !!

والأغرب منه أن يتجه النقاد للمخرج فيسألوه : ولم هذه الاثارة ؟ فيقول : اننى اهتم بشباك التذاكر أكثر مما اهتم بشىء آخر !! يعنى أنه يهتم بدخل الفيلم ، وتزاحم الناس على الشباك أكثر من عنايته بالهدف النبيل !!

ومن أجل هذا عمد الى الاثارة الجنسية التى تغرى بالاقبال على مشاهدة الفيلم ، وكأنه لا هدف الا التجارة والمكسب من أى طريق !!

والجمهور ؟ والقيم ؟ .. والظروف الحرجة التى نجتازها ؟ كل ذلك ليس فى الدرجة الأولى عنده ، ولا عند الذين أجازوا عرض الفيلم بعد ما توقف رقيب الأفلام فى عرضه !

جيشنا الذى نبنيه الآن من شبابنا ؟ العدو الرابض على قلبنا ؟ روح التماسك والفداء والتضحية التى نعمل على تقويتها فى أبنائنا وبناتنا ؟ كل ذلك لا اعتبار له أمام شباك التذاكر !

هل هذا كلام ؟ هل هذه خطة ؟

كيف نترك المخرج وهواه يختار الطريقة التى يريدها دون رعاية لحالة الأمة وموقفها ولا سيما اذا كان يعمل فى مؤسسة حكومية ؟!!

اقرأ معى ما يقوله الناقد « وهدف « فلان » المخرج من قديم : الشباك والجنس !! وقد نجح فى هذا الهدف .. وقتل جانبا هاما رائعا من رواية (فلان) اهمل مصر سياسيا وصراعا وأحزابا . وركز عدسة الكاميرا خلال الفيلم كله على جسد الممثلة (....) !! حتى أصبح من الأوفق أن يطلق عليه اسم « قصر الجنس » .. والأمر لله » !!!

ويتوقف الرقيب ، وتأتى لجنة فتعيب عليه توقفه ، وتسفه رأيه ! ويعرض الفيلم !! ويتزاحم المراهقون والمراهقات والرجال والنساء على شباك التذاكر ، ليرووا ظمأهم من الجنس .. وجنودنا البواسل يعيشون على الحدود فى الخنادق وأيديهم على المدافع أمام عدو كاسر غادر !!

ويلف هذا الفيلم العالم العربى كله .. ويفعل فعله فى النفوس فى هذا الوقت الحرج !!

وهل فى ذلك من بأس ما دام المهم هو شباك التذاكر ؟!!

نعم ولتمرغ سمعة الأمة فى الوحل ، وليهدم من معنوياتها ما يرجوه العدو الرابض على قلبها !

ومع ذلك فنحن نجتهد ونعمل لازالة آثار العدوان !!!

واطلع على مجلة يأتى بها أحد القراء الى ، ونطاق توزيعها ـ بحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه ـ ضيق ، لكنها على أية حال مجلة تطبع ليقرأها الناس هنا ، فأجد فى بعض الكلمات والتعليقات نقدا لبعض الخطباء لأنهم ينمقون عباراتهم ! ونقدا لمناهج التربية الدينية للصغار لأنها تذكر لهم آيات النار ! وقلت : مهما تكن درجة هذا النقد من صحة فان كاتبه يبدو أنه معنى بالتوجيه الدينى ، حريص عليه ، وعلى استفادة الجمهور والمتعلمين منه .. وهذا اتجاه من المجلة محمود على أية حال . لأنه يدل على وعى بالأحداث وبطريقة من طرق العلاج ..

ولكن بعد أن قلبت صفحات المجلة وجدت صورا لراقصة بيروتية شبه عارية فى أوضاع مختلفة ومثيرة .. ووجدت حديثا صحفيا معها ـ أى والله ـ حديثا فى كل شىء ، حتى عن قضية فلسطين !! « التى يجب أن يتبناها الرقص أيضا » !!

وما لنا هنا ولراقصة فى بيروت تقول عن المينى جوب : « انه كله حشمة » !! طبعا حشمة .. البنت راقصة تظهر للناس وليس عليها الا ورقة التوت .. كما يقولون !!

ما لقراء المجلة هنا ولهذه الراقصة ؟ دعاية لها .. والصيف مقبل ؟ أم ماذا ؟

وهل يتفق هذا مع العناية التى اظهرتها المجلة بالخطب والبرامج الدينية ؟

شىء يحير !!

ويظهر اننا نسينا ما نحن فيه أو ربما استمرأناه !! من يدرى ؟ فنحن شعب يقال عنه انه سريع النسيان ! ولكن هل ينسى العذاب وهو فيه ؟!

ما معنى أن نجد بعض صحفنا العربية ترجع الى التوافه والسقطات التى كانت تزاولها من قبل ، كأنها تعيش الآن فى رَخاء ، وتكتب لشعب غير منكوب ؟! .. ما للقراء ولكلير بباوى المتهمة بالقتل ، حتى تشغل بصورها وقصتها مع عشيقها أو صديقها أو زوجها صفحات من صحيفة كبيرة توزع على نطاق العالم العربى كله ولعدة أيام ؟!! فى الوقت الذى نرى هذه الصحيفة تهتم بالتربية الروحية ، وتكتب عنها ، وتدعو اليها ، فنفرح بها وباتجاهها وننقل عنها بعض ما كتب فيها !!

بماذا تفسر هذا كله ؟

لا تفسير له عندى الا انه لا يوجد لدينا تخطيط نلتزم به جميعا من اجل عودة الروح الى هذه الأمة المعذبة التائهة !!

ولكن .. الى متى ؟

أرض البطولات هنا وهناك

تهتز قلوبنا لأرض البطولات فى فيتنام ، وتشتاق لأن يستعيد الفلسطينيون ذكرى أرضهم أرض البطولات القديمة .. ويجددون لهذه الأرض شبابها ، ويروون بدمائهم نبتها ، ويهزون قلوب العالم ببطولاتهم من اجلها .

نعم .. ولم لا يكون ؟ كانوا مسلمين ونحن مسلمون .. كانوا يدافعون عن عقيدة وأرض ، ونحن ندافع عن عقيدة وأرض ، والعقيدة واحدة والأرض

واحدة .. فلم لا يكون ؟ ..

وأرض البطولات فى فيتنام .. لم لا تكون فلسطين زميلة لها الآن أرض البطولات كذلك ؟

أليس هناك شعب وهنا شعب . وهناك أناس يدافعون عن حقهم ، وهنا أناس يدافعون عن حقهم ؟ ..

هناك يردون الاعتـــداء وهنا يرفعون الاعتـــداء .. هناك يطلب منهم أن يســـكتوا ويستجيبوا للسلم والمفاوضة وهم فى وطنهم ، فيأبون الا أن يرحل الغرباء عن أرض الشرق كلها .. وهنا طرد الأهل وعذبوا ..

فلم لا يكون الذين هنا كرماء على أنفسهم ، أشداء على أعدائهم ؟ ..

لقد اقتحم الفيتناميون دار السفارة الامريكية فى « سايجون » العاصمة واحتلوها وقاتلوا بشراسة من داخلها وطردوا حراسها .. هل نكون أقل منهم ونحن نؤمن بالله وبثواب الشهداء عنده ؟

نعم لقد فتح باب الخلود لهذا الشعب المطرود المعذب .. فمن يتأخر ؟

لقد قلت من قبل لكم : الأرض أرضكم ، والشرف شرفكم ، ولا يحس أحد ما تحسونه من ذكريات مرة ، وواقع أشد مرارة .. فمن يكون مثلكم حماســا واقبالا على القتال والاستشهاد ؟

وأقول لكم : لم تعد الدنيا تنصت كثيرا للكلام ولكنها تصغى تماما لدوى القنابل ، وزمجرة المدافع .. وقد تعلقت القلوب وأرهفت الآذان الآن مع كل اذاعة وصحيفة تنتظر أخباركم أيها الفدائيون ، وتعلقت الآمال بخطواتكم وأنفاسكم .. حولتم كل الأنظار اليكم .. تطلب المزيد من بطولاتكم وتشد من أزركم .. وترفض رائحة الخلاف حولكم ..

وأنت أيها الشباب الفلســطينى الذى لا زلت بعيدا عن أرضك .. طالما أكثرت من الكلام والجدل وبعثرة الآمال هنا وهناك .. الآن لا مجال للكلام ولا للجدل ولا داعى لانتظار المائدة تقدم اليك ..

هـــذا هو طريقك الى أرضك ووطنك وشرفك . طريق البطولة . طريق الجنة قد فتح فلم الانتظار طويلا ؟

اخوانك هناك فلم تقعد أنت هنا ؟ شرفك هناك فلا تبحث عنه هنا .. مجدك هناك على أرضك ، وعبثا تحاول أن تجده فى أى مكان آخر . انه هناك .. هناك فى انتظارك فلا تغب عنه طويلا ..

ان الموتة الطبيعية لكم هناك على ثرى الأرض الحبيبة شهداء ..

قال لى :

قال لى : ما رأيك فيما تســـمعه من أخبار فيتنام الرائعة وما أعلنه قائد أمريكى من أن هجوم الفيتناميين يتسم بطابع الاستهانة بالحياة .

قلت : هم قوم يطلبون الحياة .

قال : كيف ؟

قلت : ألم تقرأ : اطلبوا الموت توهب لكم الحياة ؟ أليست هذه حقيقة ؟

قال : بلى ، ولكن ، ماذا عنا ؟

قلت : لقد فضحنا هؤلاء بشجاعتهم هناك ، بينما نحن نبكى هنا !!

المسلمون في اليابان

أول مسجد وأول مسلم

يترجم القرآن في صومعة راهب بوذي

الأستاذ : محمد صلاح الدين الحسيني

ـ اليابان ـ

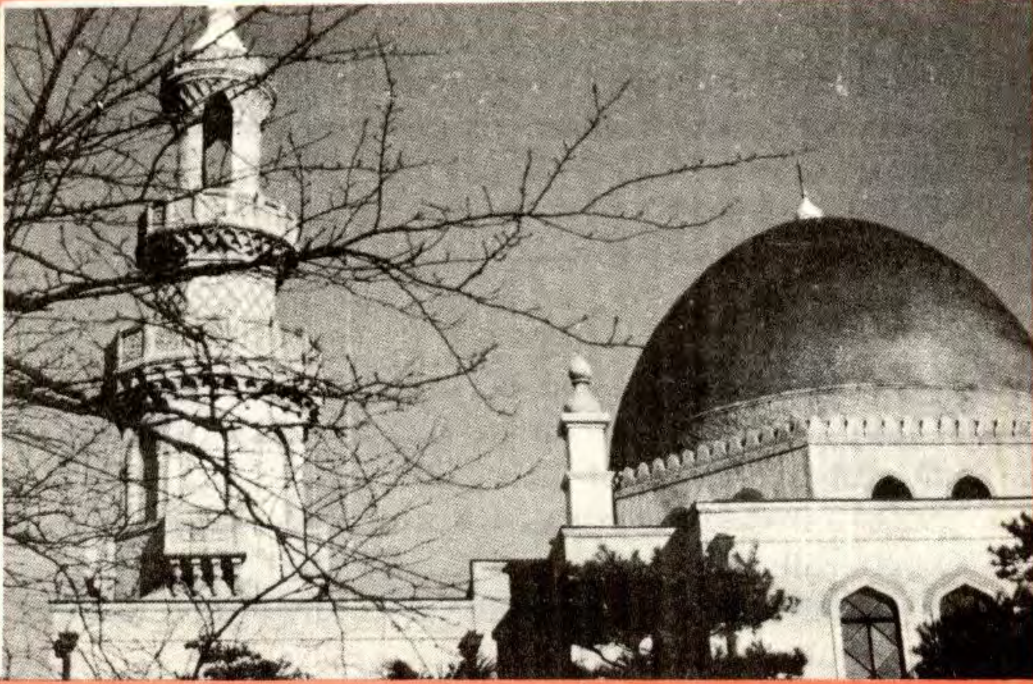
مسجد طوكيو

منذ ثلاثين عاما ، عندما تم انشاء مسجد طوكيو ، لم يعرف من اليابانين سوى مسلم يابانى واحد ، على أنه كان فى اليابان مسلمون .. كانوا طائفة من مسلمى تركستان الذين هاجروا من ديارهم ، فرارا بدينهم من اضطهاد الشيوعية ، وتفرقوا فى الأمصار ، حيث حطت فئة منهم رحالها فى عاصمة اليابان .

ومرت سنوات والجالية التركستانية الاسلامية تحاول أن تلتقط انفاسها ، وتترقب أن تصلح أحوالها ، وأن تعود المياه الى مجاريها ، فيعود المشردون الى بلادهم . .ولكن تأخرت الآمال وهم يقيمون صلواتهم فى منازلهم الصغيرة ، حتى استقر رأيهم على بناء مسجد لهم . فلما أخذوا يجمعون الأموال للمشروع ، اتصل النبأ بمسامع مضيفيهم اليابانيين ، وسرعان ما انهالت عليهم التبرعات والمساعدات من أفراد وشركات ومؤسسات .. حتى قام مسجد طوكيو فى أوائل عام ١٩٣٨ م زاهيا بهيا .

اول مسلم

فى ذلك الحين كان هناك من اليابانيين باحثون ودارسون للاسلام ، فقد كانت الامبراطورية اليابانية فى اوج عهدها الذهبى الملىء بالطموح والآمال ،



وخاصة بالنسبة لعلاقاتها مع الشرق الاسلامى . على أنه لم يعتنق الاسلام من اليابانيين وقتئذ سوى (عمر ياماوكا) الذى كان أول يابانى مسلم ، وأول يابانى حج الى بيت الله الحرام ..

كان ياماوكا من أوائل الذين التحقوا بجامعة الدراسات الأجنبية اليابانية غداة افتتاحها ، وأهلته دراسته للغة العربية ، ولتاريخ الاسلام الى مزيد من البحث والتفقه ، مما ملأه اعجابا بهذا الدين ، فاعتنقه باخلاص وحماس ، وكرس حياته للتأليف والكتابة عن الاسلام والدعوة اليه ، حتى وافاه الأجل منذ سنوات قليلة .

وكان انفكاك اليابان من عزلتها فى مطلع القرن العشرين ، وانطلاقها الى العالم المحيط بها ــ وخاصة فى آسيا ــ فرصة لكثير من الشباب اليابانى للاحتكاك بالاسلام ، والاطلاع على طراز جديد من طرز الحياة لم يألفوه . فهذا الشاب اليابانى (ميتا) خرج من جزيرته الى الصين ، منذ خمسين سنة ، طلبا للرزق والتجارة ، حتى حط رحاله فى مقاطعة هونان الصينية ، وكغريب فقير يبحث عن ملجأ ، وجد الأبواب موصدة أمامه ، حتى اذا مر أمام دار كبيرة فخمة ، مفتحة الأبواب ، دخلها فوجد الترحيب والاكرام والعناية ، فلما سأل دار من هذه ؟ قيل له هى المسجد بيت الله مفتوح لكل قاصد . ومن هنا سمع الشاب اليابانى (ميتا) اسم الاسلام لأول مرة ، وكانت الصدفة وحدها هى التى أتاحت له التعرف الى مقاصد الاسلام وسماحته ومزاياه .

واليوم ، فى صومعة أثرية قديمة ، من بقايا المعابد البوذية ، قائمة فى أطراف طوكيو ، يقبع شيخ نحيل ، طاعن فى السن ، على حصير ، أمام منضدة عتيقة منخفضة ، ، تكاد تكون هى كل ما فى الصومعة .. وامامه أكوام من الكتب والأوراق ، لا يرفع رأسه عنها الا اذا كررت ابنته عليه النداء ، لينهض الى طعام أو شراب ، فلا يأخذ منه كسرة أو رشفة ، حتى ينتفض عائدا الى منضدته ، منهمكا فى قراءته وكتابته .

ولو أتيح للداخل الى الصومعة أن يطلع على الكتاب الذى يعلو كل هذه الكتب والأوراق لأخذته الدهشة .. انه القرآن الكريم . وهذا الرجل الطاعن هو الشاب (ميتا) المعروف اليوم باسم الحاج عمر ميتا الذى انشأ الجمعية الاسلامية اليابانية ، ورأسها فترة ، حاملا لواء الدعوة الى الاسلام بين مواطنيه اليابانيين ، الى أن اعتزل المنصب ، حتى يتفرغ للعمل الذى يقوم به الآن ، وهو ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، ذلك المشروع الذى بذل حياته من أجله ، ويراه حلمه الذى يعيش له ، والخيط الوحيد الذى يمسكه بالحياة .

وهو المشروع الذى تقف من ورائه رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة التى تبنت القصد النبيل منه . وترجمة معانى القرآن الكريم التى يضع الشيخ ميتا الآن لمساتها الأخيرة ، يعتبرها الشيخ أجل خدمة يقدمها لأبناء وطنه ، الذى يدرك هو أكثر من غيره حاجتهم الى دين حى يملأ فراغهم الروحى ، ويضيف معنى للانهماك المادى وراء الكسب والمتعة فى حياة الانسان .

والصومعة التى يعيش فيها الشيخ ويعمل ، هى مثال على تسامح اليابانين واعجابهم بالدين الاسلامى ، بالاضافة الى شخصية الشيخ التى اكسبته كل احترام ، ودفعت الراهب البوذى ، متولى تلك الصومعة الى وضعها تحت تصرف الشيخ المسلم ، حتى يساعده على اتمام مشروعه الجليل فى راحة وهدوء .

وزائر مسجد طوكيو يوم الجمعة يلاحظ تعدد جنسيات المصلين واجناسهم والوانهم . واذا لم يكن فى هذا الأمر غرابة على كل جماعة اسلامية ، فأن كثيرين لا يتمالكون من الدهشة عندما يتعرفون بعد الصلاة على كاهن بوذى وزوجته اعتنقا الاسلام وآمنا به أعمق الايمان ، عندما وجدا انه هو الضالة التى كانا ينشدانها فى محاولاتهما الروحية السابقة .

والطلائع اليابانية الأولى للاسلام تكاد تكون كلها من هذا الطراز . امثلة على الطريقة التى تعرفوا بها على الاسلام . لم يحمله اليهم أحد ، بل هم الذين بحثوا عنه ، ووجدوه أو صادفوه فى تجاربهم ، فوجدوا فيه ضالتهم المنشودة ومستقرهم الروحى .

فهذا جندى من جنود الغزو اليابانى فى الصين ، وذاك موظف فى ادارة الاحتلال اليابانى فى أندونيسيا ، وثالث دبلوماسى فى مفوضية يابانية فى بلد اسلامى . .تعرفوا على الاسلام فى مصادره المتعددة فأضاءت أنواره جوانب



حياتهم ، فحملوا المشعل عائدين به الى بلادهم ، يحاولون أن يضيئوا به قلوبا تبحث عن الهدى والاطمئنان .

واذا كان المسلمون اليابانيون لم يبلغوا كثرة عددية ــ فهم لا يزيدون على بضع مئات ــ فأن منهم من ضرب المثل على صدق الايمان والعزيمة الاسلامية .

فهذا الحاج الدكتور عبد الكريم سايتو ، رئيس الجمعية الاسلامية اليابانية والأستاذ فى احدى الجامعات ، أرسل أكبر ولديه لدراسة الاسلام والعربية فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ليعود معلما داعيا لأبناء وطنه ، ولما أوشك الشاب المؤمن الصالح على التخرج ، واقترب موعد العودة اختطفه المنون فى حادثة عجيبة من حوادث القضاء والقدر ، أمام عينى والده الذى أصيب هو نفسه فى الحادث ، ولكن كتب الله له النجاة . ورغم فجيعة الوالد فى ولده لم يمنعه ذلك من الاصرار على ارسال ابنه الثانى الذى صار وحيده ، لدراسة الاسلام فى الجامعة نفسها من جديد .

واليوم ، وبعد مرور ثلاثين سنة على انشاء مسجد طوكيو ، يوشك المسجد الأنيق الجميل أن يحنى ظهره للزمن وتؤثر عليه الأمطار والاعاصير والزلازل ، فتتصدع قبته العالية ، وتسقط جوانب من مئذنته ، وتتسرب مياه الأمطار الى داخله وتنساب الى سجاده ، فتبادر سفارات اسلامية وعربية الى اشعار حكوماتها بهذا الخطر ، وتكون الكويت والمملكة العربية السعودية وأخوات لها أول المبادرين المنجدين بأموال وجهود ، لتبقى معانى التوادد والتراحم الاسلامى حية نابضة لتشعر كل ذى حس بأن الاسلام ما زال كما كان نابضا فى القلوب وسيبقى أبدا رسالة التضامن والحياة ، دين النهوض والخلود .

من دروس النكسة

بوادر تحوّل جديد في الصحافة العربيّة

رب ضارة نافعة .. ولقد قلنا من قبل : كم فى هذه النكسة من دروس ينبغى أن نعيها تماما ، ولقد تفتحت قلوب المسلمين وعيونهم فى وقت الشدة . تبحث عن الشيء الذى فقدوه أو كادوا .. وعرفوا وتيقنوا .. ان اختلال القيم الروحية الدينية فى نفوسهم كان من أكبر عوامل الهزيمة .. وبدأ الناس — كل الناس — يتحدثون عن هذا ويتلاومون ويقولون « نسوا الله فنسيهم » ..

ولقد كان هذا الوعى بادرة خير وسط الشرور التى رزئنا بها .. والحق ان كل شيء يهون ويمكن تعويضه الا ضياع الروح .. وفقدان الايمان .. البعد عن الثقة بالله ، والعيش فى رحاب تعاليمه القويمة .. وقد نشط العلماء فى المساجد والنوادى والكتاب الاسلاميون فى كتاباتهم يغذون هذا الوعى ويزيدون من طاقاته .. وربما كان ذلك عند بعض الناس أمرا لا غرابة فيه .. لأن ذلك هو شأن العلماء والكتاب الاسلاميين وهذا واجبهم .. وقد كان يساورنى القلق كلما رأيت الدائرة لا تزال ضيقة ، لأننى كنت أطمع فى أن تتولى الصحف العامة الواسعة الانتشار — والتى لها تأثيرها بذلك على القراء — هذه المهمة كذلك وتحتضنها كواجب قومى كذلك ، كما كنت أطمع فى أن يخطو المسئولون خطوة توجيهية تتبعها خطوات عملية فى هذا المجال . ليقوى الرأى العام ويستيقظ ، ونسير جميعا فى هذا الاتجاه السليم .

والحق أن الشعوب الاسلامية لها حساسيتها القوية نحو دينها .. ما يحول بينها وبين ذلك شيء ، وان كان يعطل مسيرتها بعض العوائق التى يضعها بعض الناس الذين لا يهمهمّ الا التشدق بالكلام ، غير فاهمين ولا مدركين لحقيقة النهضة . والا بعض المعطلين الذين يشبهون جمود « الروتين الحكومى » فى قضائه على المصالح ومناقضاته أحيانا للبدهيات من الامور .

ولقد كنت أخشى دائما أن يحدث الانفصام الكامل بين الشعوب الاسلامية وحكوماتها ما لم تتدارك الامر ، وتستمد وحيها فى حكمها من روح شعوبها ..

اختلال القيم الروحية كان من اكبر عوامل الهزيمة
ضرورة اعادة النظر في دراسة التربية الدينية في جميع مراحل التعليم
على الصحفيين والكتاب أن يؤدوا الأمانة التي في أعناقهم

ولهذا كله سرنى كثيرا أن تنتقل العناية بهذا الامر الى الصحافة العامة والى المسئولين .. وأجد فى أسبوع واحد وفى صحيفة واحدة « هى صحيفة الاخبار القاهرية » حملة قوية للعناية الحقيقية بالروح الدينية ، وغرسها فى نفوس الشباب .. باعتبار أن ذلك واجب أصيل لا مفر منه فى تربية أمة قوية تستطيع النهوض والوقوف أمام التيارات العنيفة التى تهب عليها تريد اقتلاعها وابتلاعها ..

وكان ما سرنى اكثر ، ان ينزل الى الميدان كاتب مسيحى معروف فيشهر قلمه فى تلك الصحيفة كالجندى الذى يسدد سلاحه ويصرخ « لا بد من الرجوع للدين وتربية الشباب تربية دينية » .

ولا أريد هنا أن أكتفى بهذا التعليق ، بل أرى أن أضع أمامك بعض ما قاله هؤلاء ليرى كل انسان أن الامر جد لا هزل فيه .. ولأدعو بذلك الصحفيين الآخرين فى كل بلد وصحيفة أن يتحملوا مسئوليتهم ، ويؤدوا الامانة التى فى أعناقهم نحو هذه الامة وفى هذه الظروف التى تمر بها ، وكفانا ما مر من ميوعة وانحلال .

تدريس الدين

وقد قدمت جريدة الأخبار القاهرية لهذه الحملة بما يأتى :

ان الوقت المخصص لتدريس مادة الدين فى مدارس المرحلة الاولى والاعدادى والثانوى وما فى مستواها ، يقل عن الوقت المخصص للمواد الاخرى كالالعاب والموسيقى والهوايات وغيرها من المواد الدراسية الاخرى (!!) .

ويقول الذين يقومون بتدريس مادة الدين فى المدارس أنهم لا يجدون الوقت الكافى لتدريس هذه المادة .. فقد خصصت للدين فى المنهج الدراسى حصتان اسبوعيا .. ويجب أن يزيد عدد الدروس ومدتها على ذلك !!

ويضاف الى ذلك أن الطلبة والطالبات يدرسون الدين فى كل السنوات ويؤدون فيه الامتحان فى سنوات النقل فقط ، أما فى الشـهادات العامة مثل المرحلة الاولى والاعدادية والثانوية فان الطلبة يدرسون الدين ولا يمتحنون فيه .. بل ان المدرسين فى تلك السنوات ينتهزون فرصـة دروس الدين لمراجعة المواد الاخرى المقررة بدلا من حصص الدين !!

وقد أخذ مندوب الصحيفة رأى كثير من كبار المسـئولين عن التعليم ، فأجمعوا على ضرورة العناية بالتربية الدينية .. نذكر لك من آراء هؤلاء رأى المسئول الاول عن التربية وهو الوزير الاستاذ عبد العزيز السيد قال :

ان الدين عقيدة وعلم وسلوك ينبع من ضمير الانسان وتساعد على نموه عوامل ثلاثة هى المدرسة والبيت والمجتمع . انى لا أريد تخريج جيل متواكل ، ولا أريد للدين أن يكون مادة تحفيظ يمتحن الطلاب فيها آخر كل عام .. لا أريد أن يكون هم الطلاب الاول والاخير بالنسـبة للدين هو زيادة فى عدد الدرجات ومجموعها ، ليمكنهم بعد ذلك الإلتحاق بمدرسة ثانوية أو جامعة . لا أريد ذلك أبدا ، فالدين ليس مادة كالحساب أو الهندسة .. ان الدين أوسع وأعمق من ذلك بكثير ، انه عقيدة وعلم وسلوك .

وقال الوزير — ان العقيدة تنبع من ضمير الانسان ، ولكى نصـل الى غرس القيم الروحية وتمكين العقيدة الدينية من نفوس الشباب يجب أن يؤدى كل معلم فى المدرسة واجبه كاملا ، ويجب أن تكون تصرفات المعلم نابعة من الدين ، ومتمشية مع الفضائل التى تدعو اليها جميع الأديان .. ويأتى بعد ذلك دور الاسرة الذى يكمل رسالة المدرسة فى تعليم الدين .

والدين — ليس وسـيلة لخلق روح التواكل ، ولكنه يدعو الى العمل والتفكير مع العبادة لا العبادة وحدها ، وقال — ان أول عمل اشجعه وادعمه هو غرس تعاليم الدين فى النشء وربط الحياة بالدين ..

ان المدرسة يجب أن تكون أول مجتمع يوجه الاشعاع نحو تعاليم الدين وبهذا نخلق القيم الروحية التى تتمشى مع عقيدتنا وتعاليمها السماوية ..

ويأتى بعد ذلك دور الكتاب . فيكتب الاستاذ حامد دنيا الكاتب المعروف فى يومياته فى اليوم نفسه تحت عنوان .

وماذا بعد رمضان ؟!

اتجهنا الى الله كثيرا فى رمضـان .. فماذا نحن فاعلون وقد انتهى رمضان .. هل نتوقف ؟ .. هل نتكاسل ؟ .. هل نعود كما كنا قبل رمضان ؟ .. بالطبع لا .. فانتهاء رمضان ليس انتهاء لشكلتنا .

فقد شهد رمضان هذا العام برنامجا دينيا ضخما .. لم تشهده لياليه منذ بضع سنين . انتشر رجال الدين وكبار المسئولين فى الدولة . وعقدوا ندوات دينية وسياسية للتوعية بالدين والتمسك به وشرح دور المواطن فى هـذه المرحلة الحاسمة التى تمر بها بلادنا .. وذلك بعـد أن نادى كل عربى وكل

مسلم فى شتى أنحاء الدنيا ، بعد كارثة النكسة مباشرة .. **بضرورة العودة الى الله والاتجاه الى طريق الدين السليم الذى لا مخرج لنا من محنتنا الا الله ، ولن يتحقق لنا النصر اذا كنا ننساه .**

والحق .. اننا فى مسيس الحاجة الآن الى الاستمرار فى نشر الدعوة والاهتمام بها وتعميقها فى قلوب المواطنين .. **وبلا اجتهاد لن نجد أسمى من دعوة الله ، ولا غير دين الله ما يلتف حوله أبنـــاء الوطن وهم يدافعون عن مقدساتهم وحرماتهم وحرياتهم وأراضيهم ..**

ونحمد الله أن ديننا يحارب اليأس ، ويدفع الانسان دفعا الى الجهاد فى سبيل دينه وأرضه وعرضه .

وكم نحن فى حاجة الى قلوب المؤمنين لانقاذ هذا الوطن .. فالايمان على مر العصور ـ هو دائما أقوى الاسلحة وأشـــدها فتكا بالاعداء .. والرجل المؤمن دائما يحمل قلبا أقوى من القنبلة الذرية ، وعندما يحارب يدافع بعناد ، ويهاجم بعزيمة لا يصيبها الوهن ، ولا يتسرب اليها الضـــعف لحظة واحدة . فخلال المعركة المقدسة تكون الجنة هدفه . والنصر هو طريقه اليها .. ومن أجل ذلك فهو يصنع المعجزات .

وكما نحن فى حاجة الى قلوب الرجال المؤمنة . فنحن أيضا فى حاجة الى قلوب النساء المؤمنات . فان الرجل لا يســتمد قوته من ذاته فحسب ، ولكنه يستمدها أيضا ممن حوله ، من الذين يؤمنون معه بعدالة قضـــيته ، فالأم المؤمنة ، والزوجة المؤمنة ، والابنة المؤمنة لا تبكى ورجلها فى الطـــريق الى الجهاد . ولا تجزع بل تسعد وتفرح عندما ينقل اليها خبر استشهاده .. وليس أدل على ذلك من مواقف الشاعرة العربية العظيمة الخنساء كصـــورة وضاءة لسيدات الاسلام المؤمنات بالجهاد والاستشهاد فى سبيل الله .. كلنا نعلم كم بكت الخنساء على أخيها صخر الذى مات فى الجاهلية .. وكم نظمت من أبيات الشعر فى رثائه وكم أصابها الجزع لفراقه ، ولقد نالت شهرتها الكبيرة كشاعرة رثاء . وفاقت جميع الشعراء فى هذا اللون من الشعر أيام الجاهلية .. ولكن الخنساء نفسها عندما دخلت دين الله وأســلمت وعمر قلبها بالايمان .. تغير حالها .. فلقد اشترك أبناؤها الاربعة فى معركة القادسية التى شنها القائد العربى والصحابى الجليل سعد بن أبى وقاص ضد الفرس .. وكان الفرس والروم وقتئذ هما أقوى دولتين فى العالم ، وكانت قوتهم بالنسبة للعرب ، تماما كقوة أمريكا والاتحاد السوفياتى الآن .. ولكن العرب بايمانهم دحروهم .. ولما عاد المجاهدون الابطال من المعركة المقدسة ، سألت الخنساء أحدهم عن نتيجة المعركة أولا .. ولم تسأله كأم عن مصير أولادها الاربعة .. ولما أخبرها الرجل بالنصر فرحت كثيرا .. ثم لما أنبأها باستشهاد أبنائها الاربعة قالت « الحمد لله الذى شرفنى بهم » .

موقف عجيب من الخنساء ملكة البكاء والنحيب .. تغير مفاجىء .. كيف تبكى أخاها طوال عشرات السنين وتنتحب من أجله ، ثم تعود وتحمد الله أن استشهد لها كل أبنائها الاربعة ؟ .. ما سر ذلك ؟ هل أجريت للخنساء عملية جراحية ؟ .. هل نقل اليها قلب آخر ؟ .. هل تجزع لفراق أخيها ولا تجزع لموت أربعة شبان هم كل أولادها ؟ .. ما هذا السحر الذى غير الخنساء ؟ .. لا شك أنه الايمان بالله ..

من أجل هذا .. لا بد أن تظل هذه الندوات السياسية الدينية مستمرة طوال العام وحتى تزول آثار العدوان ، لا بد أن يوضع البرنامج التنفيذى الذى يضمن استمرار هذه الندوات الدينية .. **ولا بد أن نعيد النظر فى دراسة التربية الدينية بجميع مراحل التعليم ــ والحمد لله أن الدكتور عبد العزيز السيد وزير التربية والتعليم يضع فى هذه الايام أسس دراسة التربية الدينية ، حتى تعرض على مؤتمر التربية والتعليم الثانى .. وبذلك يمكن أن نخلق جيلا قادرا على الجهاد ، جيلا نظيفا جادا فى عمله ، جيلا ينتج ولا يعبث ، جيلا يبنى ولا يخرب جيلا يقدس العمل ويبذل العرق والجهد ليزيد الانتاج . تحقيقا لرسالة ديننا العظيم رسالة الحق والعدل والخير والمساواة .**

قضية هامة

ويأتى بعد ذلك دور الكاتب المعروف أيضا الاستاذ موسى صبرى ، فيشن حملة هو الآخر على الاهمال فى التربية الدينية ويتحدث عن اليهود ، وكيف انبعث كل نشاط لهم من اتجاههم الدينى الذى استحوذ على نفوسهم ، وكيف حققوا ما حققوه لأنهم أثاروا مشاعر مواطنيهم بالفكرة الدينية ، فكان مما قال :

أثارت **جريدة (الجمعة)** فى أول أعدادها التى صدرت مع (الاخبار) يوم الجمعة الماضى .. قضية هامة أرجو أن تستمر مناقشتها يوم الجمعة المقبل .. وما بعده من جمع نظرا لخطورتها .

القضية تتساءل عن تعليم الدين فى المدارس .. ولماذا لا يمتحن فيه الطالب مثل الحساب والجغرافيا واللغات ؟ ..

النتيجة الحتمية لذلك ، هى أن المدرسين يهملون فى تعليم الدين .. كما أن الطلبة لا يهتمون بمادة لا يؤدون فيها امتحانا .. وبذلك أصبح تدريس الدين مجرد مظهر عابر فى حياة أبنائنا .

ومنذ أيام كان معنا فى نادى مؤسسة (أخبار اليوم) الاستاذ احمد كامل ، أمين منظمة الشباب .. وقال ان دراسات المنظمة لقيادات الشباب لا تشمل فروض الدين ، فهذه مهمة المدارس .. ولكنها تنمى فى قلوب الشباب القيم الروحية والفضائل التى يدعو اليها الدين ..

وصرح الدكتور عبد العزيز السيد وزير التربية لجريدة الجمعة انه لا يريد للدين أن يكون مادة تحفيظ يمتحن الطلاب فيها آخر كل عام .. ولا يريد أن يكون هم الطلاب الاول والاخير بالنسبة للدين هو زيادة فى عدد الدرجات ومجموعها ليمكنهم بعد ذلك الالتحاق بمدرسة ثانوية أو جامعة . وزير التربية لا يريد ذلك ابدا .. لأن الدين ليس مادة كالحساب أو الهندسة .. ان الدين اوسع واعمق من ذلك بكثير .. انه عقيدة وعلم وسلوك .. ولذلك فهو يرى الفائدة فى ان تكون تصرفات العلم نابعة من الدين ومتمشية مع الفضائل التى تدعو اليها جميع الاديان .. ويأتى بعد ذلك دور الاسرة الذى يكمل رسالة المدرسة فى تعليم الدين .

وهذا كلام هام من وزير التربية والتعليم .. جدير بمناقشة طويلة .. خاصة فى هذه المرحلة بالذات ، التى تهددنا فيها دولة قامت على أساس دعوة دينية .. وبررت وجودها على زعم دينى .. وهى تردد أنها تنشىء حضارة عبرية .. الى آخر ما هو معروف للعامة والخاصة .

يجب أن نعترف أن قادة الصهيونية استطاعوا أن يجمعوا المهاجرين من أوروبا ، ويدربوهم فى معسكرات خاصة قبل ترحيلهم الى اسرائيل .

واستطاعوا أن يلهبوا مشاعر مواطنيهم فى قيام ما سموه بالوطن القومى .. وتحقيق أطماعهم التوسعية .. وطرد العرب من ديارهم وقيام عصاباتهم التى بدأت بمذبحة دير ياسين المشهورة .. كل هذا حققوه ، لأنهم أثاروا مشاعر مواطنيهم بفكرة دينية .

ولا يعنى هذا أن الفكرة الدينية وحدها هى التى حققت لهم ما أرادوا .. ولكنهم بدأوا منذ اليوم الاول لدعوة الوطن القومى اليهودى ، فى استخدام التطور العلمى والتكنولوجى لخدمة فكرتهم .. ان وايزمان حصل على وعد بلفور بعد أن قدم اختراعا جديدا استخدمته بريطانيا فى الحرب الاولى .. وقد بدأ اليهود فى تثبيت أقدامهم فى فلسطين بالحصول على امتياز مشروعى الكهرباء والبوتاس ، وشغلوا عشرات المصانع الاستهلاكية خلال الحرب الاخيرة للتصدير لجيوش الحلفاء ..

وهكذا فان التجميع الروحى .. سار جنبا الى جنب مع الاعتماد على التطور العلمى والتكنولوجى .. ومهما كان الرأى فيما زعموه . ومهما كان الرأى فى سلوكهم الاجرامى والعنصرى لقيام دولتهم واغتصاب أرضها وحدودها .. فاننا يجب ألا نغفل أن الفكرة الدينية هى التى عاونتهم على تجميع أنفسهم والالتفاف حول شعار دولة اسرائيل الكبرى .. من النيل الى الفرات . أما نحن فمنظمة شبابنا تقول ان تدريس الدين وفرائضه من اختصاص وزارة التربية .. ووزير التربية يقول أنه لا يقبل أن تكون مادة الدين مثل الحساب والهندسة .. ويترك هذه الرسالة للاسرة . هذا كلام يجذب الى حوار طويل ..

واننى لأتساءل .. كيف يمكن الفصل بين تثبيت القيم الروحية التى تدعو اليها الاديان دون دراسة الاديان ، ان النتيجة التى نلحظها الآن أن الشاب المصرى فى المدرسة يعرف من الحساب والهندسة أكثر مما يعرف عن فروض دينه وقيمه وفضائله ، وهنا خسارة ضخمة فهذا المجتمع الذى يأوينا فى حاجة الى طبيب واحد مؤمن برسالته كانسان .. أكثر من عشرة أطباء يجيدون الجراحة وتشخيص الداء .. الطبيب المؤمن .. لا يتردد فى انقاذ مريض مهما كلفه الامر .. والطبيب الشاطر غير المؤمن يمد يده ليقبض قبل أن يسكن آلام ضحيته وأمثلة ذلك تصرخ حولنا ليل نهار .. لا فى الطب .. ولكن فى كل شئون مجتمعنا . وقد فتحت النكسة عيوننا على انحرافات مخجلة ، فى أهم وأخطر أجهزة الدولة ..

ان ملاحقة التطور العلمى التكنولوجى وتعديل برامج التعليم بما يتابع هذا التطور ركن أساسى فى تطورنا .. ولكنه لا يعنى أبدا اغفال الغاية الكاملة بتدريس الدين .. وليس المهم اذن مجرد تدريس الدين كما يقول وزير التربية .. ولكن العلاج لن يكون أبدا بعدم اعتبار الدين مادة يمتحن فيها الطالب .. اننا لا نريد من الدين مجرد الفروض الشكلية أو المظاهر اليومية .. ولكننا نريد أن نربط فى قلوب شبابنا بين فروض الشعائر .. وجوهر هذه الشعائر . وكثير من المدارس الغربية تبدأ يومها بالصلاة .. والجامعات الامريكية التى زرتها وجدت فيها المستشار الدينى المثقف الذى يهتم بسلامة القيم الروحية فى قلوب الطلبة .. والدول الشيوعية التى أنكرت الدين استبدلت الفلسفة المادية الجدلية

(البقية ص ٨٥)



قصّــة

هبّي ريح الجنّة

لأستاذة : ابتسام الكيلاني

خطوات سريعة قوية .. وهم كبير قد ملأ القلب .. وايمـان قوى قـد ربط النفس بخالقها فلا ينسى لحظة أنه عبد الله .. وذلك هو خالد بطل قصتنا .. ها هـو يحث الخطى الى مركز توزيع الأسلحـة ... بينمـا تحرك لسـانه بأبيـات من الشـعر تجاوبت اصداء روحه :

يا فـؤادى أما تحن الى طوبى
اذا الريـح حركت اغصانـا
مثل الأوليـاء فى جنة الخلـد
اذا مـا تقابلـوا اخوانـا
قد تعالـوا على اسـرة در
لابسين الحرير والأرجوانـا

ها هو يدلف الى المركز ، وقد كثر الداخلون ــ اقترب الخطر ، وانتهى عهد الكلام فلينطق السلاح ..

ها هو يخرج وقد أمسك البندقية بكلتا يديه ... وأخيرا أصبح يملـك



بندقية .. انها اغلى ما يملـــك ... وراح يحرك زنادها معتزا فرحا وكانه ملك الدنيا ... ان أمه ستزغرد وأباه الشيخ سيقص عليه قصة جديدة من قصص الشهداء الأول .. فليسرع الى البيت ان وقته من ذهب ... وسرت فى المدينة روح جديدة من الحماسة والحركة ، أصبحت المعركة قريبة ، وجو المعركة يصبغ كل شىء ، لا لهو ولا غناء .. لا لغو ولا تاثيم .. ليتهم كانوا كذلك من قبل ... وراح يحدث نفسه « لقد خذلتنا الدول . من قال لهم اننا نعتمد عليهم ؟.. ان الله معنا .. اننـــا نتكـل عليـــه .. ثم على استعدادنا .. ترى هـــل قمنا بمـــا يجب ؟ وهل ندرك ما يجب ؟ وتذكر حديثا دار بينه وبيـــن بعض زملائــــه بالأمس .. قال أحدهـــم : ــ غـــدا نشرب ــ الخمر ونقيم الليالى الحمراء احتفالا بالنصر .

وقال الآخر : ــ اخشى ان تطول المعركة ويطول معها هذا الجو الخانق الخشن .

وقال هو : ــ لا تتكلموا هكذا ان كلامكم يملؤنى يأسا ومرارة .. يبدو أننا أضعنا طريق النصر ... ان الله تعالى يقول : « الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكـــاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكـــر ولله عاقبة الأمور » هذا هو طريق النصر بالنسبة لنا نحن المسلمين ..

هزوا رؤوسهم . وقالوا : شيخ كأبيه ... وانتبه هو من ذكرياته على صوت رجل يحييه .. فرد التحيـــة وعرف أنه أبو أحمد جارهـــم الطيب يحمل بندقيته أيضا :

ــ اسرع يا خالد لقد سبقنا شيخنـــا الى المعركة ... اننى سالحق بكم بعد قليل .. وفكر .. « أبوه المسن ! كيف

فاته ان اباه سيكون فى المقدمة ؟ ... انها فرصة العمر .. شهيد ؟ ان الشهادة تعنى كثيرا عند المؤمن .. وتذكر دروس ابيه الأسبوعية .. كم كان يحدثهم عن الجهاد والمجاهدة .. لم يخل درس من دروس الشيخ من ذكر الجهاد . جهاد النفس .. جهاد الشيطان .. جهاد الطغاة .. جهاد الكفرة ..

ومر فى خاطره درس البارحة العجيب الذى الهب حماس الحاضرين ... كلمات قليلة قالها ابوه بلهجة جديدة : (ان الله وعدنا احدى الحسنيين ، النصر او الجنة .. وانها فرصة لا تسنح دائما .. معهم دول ... ومعنا الله .. معنا الله .. وراح ابوه يكرر تلك العبارة .. وقد سرت مع كلماته روح غريبة ملأت الجو بالخشوع والحماس ... وامتزج الصمت بنشيج مكبوت عبرت به أفئدة عما بها وهى تدرك ضخامة المسئولية .. وشعر هو بروحه تسمو وتنطلق معاهدة خالقها على الفناء فى سبيله .. بينما اخذت الدموع طريقها الى كثير من الأعين ..

واخرجه من افكاره مراى البيت واستقبال امه له وهى تضغط على مشاعرها ... فى صوتها تصميم وهدوء ... ومن خلفها وقفت سلمى خطيبته . وقالت امه : ليكن الله معكم . اما نحن فلا نطلب منكم الا الثبات والتضحية .. النصر او الشهادة .. فاذا استشهدتم فالله حى لا يموت .

وتناهى اليه صوت يقول : ابنك وزوجك ايتها المراة ... رويدك . وردت أمه بحزم مرددة صدى الماضى: وماذا فى ذلك ؟ اذا ذهب الأكالون بقى الرزاق ، وأنا ايضا ، وأنت ، كل منا يجب أن يشارك .. انها فرصة لا تسنح دائما فى بيتى ستضمد الجراح .. ومن هنا سنخرج لنسقى ونطعم المجاهدين .. اذهب يا بنى وكن طالبا للجنة ..

غادر خالد البيت يعدو .. ثم وقف يلهث .. وبدا له الأمر هائلا للوهلة الأولى .. وانتابته رجفة شديدة — سرت فى جميع بدنه .. هذا الأزيز الفظيع .. واستلقى على الأرض متهيئا مرددا .. (فى سبيلك يا رب فى سبيلك) وتحولت الأصوات المزعجة فى سمعه الى تكبيرات قوية .. ان الكون باسره فى قبضة الخالق العظيم .. وراح يكبر مشاركا الدنيا فى تكبيرها .. وقد شعر انه تغير ، الدنيا لا تساوى ذبابة فى نظره ، الجنة الجنة .. وراح ينشد : هبى ريح الجنة هبى ...

ونظر فوقه .. ان السماء قد امتلأت ، والأرض قد اهتزت .. وشعر بالنار تجتاح جسده وتخيل سلمى ... عينيها الجميلتين — لا .. لا .. لن يدنس الأنذال ارضى

الطاهرة ... وشرفى الغالى .. لا ... لا ..

انه كتلة من بارود .. لن يدعهم يمشون على أرضه — سيمزقهم قبل ان يصلوا الأرض ... سيصيدهم من السماء كما كان يفعل بالعصافير وهو صغير .. وضغط الزناد وهو يتمتم : ((اعلاء لكلمتك يا رب)) ... لقد اصاب احدهم ورآه يرتمى على الأرض بلا حراك ، وعدا نحوه حتى وقف بجانب الجثة .. ثم ركلها بقدمه متمتما : الى الجحيم .. لقد قتلت واحدا ..

لقد ازداد عددهم فى السماء ، وراحت بندقيته تعمل بلا توقف ، وهو ينشد : هبى ريح الجنة هبى ... وفجاة راى احدهم يقف على الأرض فى المنخفض القريب .. واحس شعورا غريبا وهو يرقب اليهودى .. يا لله ما أشد خوفه .. من اراد ان يرى الخوف مجسدا فلينظر لهذا اليهودى .. واحس جراته تزداد .. انهم جبناء .. انه يستطيع ان — يخنقه بيديه .

وتحرك اليهودى متقدما فى حذر وقد وضع يده على سلاح فى وسطه ... وضغطت يد خالد على الزناد ، فترنح اليهودى وهوى الى الأرض .. وتلفت خالد حوله يبحث عن عدو جديد .. لا شىء لقد توقف المطر البشرى ... ترى اين هم الآن ؟ أولئك الذين جاءوا لتدنيس ارضه ... وتذكر اباه .. امه .. سلمى وخفق قلبه بشدة .. لا شك ان كلا منهم يقوم بواجبه الآن ...

وبدات الأرض تهتز تحت قدميه .. المدرعات تقترب .. من هنا ستمر .. ونظر حوله لقد كان وحيدا فى المكان ... هل يعود الى القرية ليرى ماذا حل باهله واخوانه ؟ وتذكر كلمات امه .. النصر او الشهادة . انها فرصة العمر .. وعاد الى نشيده .. ((هبى ريح الجنة هبى)) .. بينما راح ذهنه يهيىء خطة للعمل .. وارتاح الى فكرة خطرت له .. فصعد شجرة ، وعلق بندقيته بين اغصانها ، وأخفاها بالأوراق .. ثم هبط الى الأرض ، وتوجه الى اليهودى يبحث عن القنبلة التى كان ممسكا بها . وذهب الى الآخر واخذ قنبلته ايضا ، ثم صنع من سترته كيسا لها ، وعلقها فى رقبته بتؤدة .. ثم عاد يتسلق الشجرة بحذر شديد ، حتى وصل الى مكان ارتاح له ... فغطى نفسه بالأغصان .. ثم تمتم : الحمد لله . هكذا لن يرونى ... وتذكر اباه .. ترى أين هو الآن وماذا يفعل ؟ وامه وسلمى . ماذا يحدث لو قتل هو وقتل ابوه ؟ وتذكر كلمات امه : ان الله حى لا يموت اذا ذهب الأكالون بقى الرزاق ... فالتهب حماسا ، وعاد الى نشيده ..

ها هى ذى الدبابات تقترب .. انه يستطيع ان يراها ... النجمة القذرة .. وأمسك احدى القنابل بيده .. انها لحظة حاسمة : انه يسمع قلبه يدق بعنف ... وبدا له ان الوقت اصبح مناسبا .. واختار احدى الدبابات ، وبسرعة البرق رمى القنبلة

وهو يتمتم : فى سبيلك يا رب .. ثم اتبعها باخرى .. واندلعت النيران .. وتوقف رتل الدبابات لمجاة .. ونزل بعضهم يتفقد المكان بينما شعر هو ان الشظايا قد اصابت جسده ... ولكن سره جدا ان يرى خطته البسيطة تنجح .. وانه قد عطب دبابتين للأعداء .. وابتسم ليت رفيقه احمد يراه .. احمد الذى اشتهر ببطولته فى التسلل الى الأراضى المحتلة ، وارهاب اليهود وترويعهم .. ليته يرى الآن ما فعل خالد .. وسمع خالد صوتا ينطلق من داخل نفسه يقول : ان الله يراك ...

شعر خالد ان قواه بدات تضعف .. وان الدماء تسيل من اكثر من مكان فى جسده .. وتمسك بالغصن لئلا يهوى على الأرض ... بينما عاد اليهود الى دباباتهم .. وراحت بعض الأشجار تتهاوى تحتها .. وحدس ان دور شجرته سياتى .. لا لن يمروا فوقه ... واقتربت احدى الخنافس .. انها ليست اكثر من خنافس فى نظره ..

لقد هان كل شىء فى عالمه .. لا عظيم الا الله .. وتبدد كل اثر للخوف فى نفسه .. وتحسس الخنجر يطمئن على وجوده ... واقتربت الدبابة اكثر ... واحس كان اطرافه قد تجمدت ... ان الشظايا قد اصابت اماكن كثيرة فى جسده .. ان جراحه تنزف .. وشعر انه سيهوى الى الأرض ، ولكن لا .. ليس الآن .. لتقترب الدبابة اكثر .. ان يده اليمنى لا تزال سليمة .. الدماء تنزف بغزارة ... وخيل اليه انه يسمع صوت أبيه .. الشهادة او النصر يا ولدى .. وتمتم انها الشهادة ان ريح الجنة التى كان يطلبها تهب عليه .. الا ما أطيبها من ريح ..

وتذكر سلمى .. سيلتقى بها هناك .. كل احبابه سيلتقى بهم هناك ... وابتسم فى اطمئنان .. وتنبه ، ان الدبابة تحته الآن .. واستجمع قواه .. ورمى نفسه فوقها .. وانطلقت قذيفة من مكان ما ولكنها اخطاته .. وطاش صواب قائد الدبابة فراح يدور بها بلا وعى .. وافترت شفتا خالد عن ابتسامة راضية ... وانفتحت فوهة الدبابة .. واخرج اليهودى راسه وتلفت فى حذر .. وارتفعت اليد المؤمنة لتهوى على صدر اليهودى بالسلاح الأخير . بالخنجر .. بينما كانت الروح المؤمنة الطيبة تغادر الجسد الى الأبد .. .. ترى كم عدد الذين فتحت لهم ابواب الجنة اليوم ؟ كم عدد الذين خرجوا للجهاد طلبا للجنة يا ترى ؟ ..

وفى الطرف الآخر كانت الأم تتسلل من مكان الى آخر حاملة الطعام والشراب ، .. عما قريب ستصعد روحها الى السماء ... أما الشيخ فقد استسلمت روحه الطاهرة لأكف الملائكة بعد جهاد امتد طوال حياته .. اما سلمى فقد بقيت .. تحمل ذكرى لن تموت ابدا .. ومن يدرى ؟ ربما انعم الله عليها بالشهادة كذلك .. فى معارك لا بد أنها ستاتى .. ويوم القيامة « يبعثون جميعا تشخب جروحهم دما : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك » .

طوبى لهم . انه لفوز عظيم .

بتعاليم الخالق .. فانها قدمت لمواطنيها عقيدة جديدة مهما كان رأينا فيها .. فهى عقيدة تتجمع حولها العقول والافكار والعواطف .

والفضيلة وهى تنبع من تعاليم الدين .. تنمو فى النفوس اذا أصبحت عادة ، ولذلك فان الاهتمام الكامل بتدريس الدين .. وامتحان الطلبة فيه .. واشتراط ذلك فى الشهادات العامة والجامعات .. يعادل فى يقينى الاهتمام الكامل بملاحقة التطور العلمى والثورة التكنولوجية .. كل شاب تمر به مرحلة الشك .. وهو فى هذه المرحلة يجد نفسه مضيعا بين مدرسة لا تعطى الدين الاهتمام الايجابى الاساسى ، وأسرة غارقة فى مشكلاتها وقد لا يوجد فيها من يستطيع أن يبصره بأمور دينية .. ولذلك رأينا عددا من شبابنا المتفوقين فى معاهدهم ، قد وجدوا المخرج من هذا الضياع فى تعصب متطرف حبب اليهم الدم والجريمة .. ولهذا فاننا نقول أن الامر يحتاج الى مناقشة واسعة شاملة عميقة وانني أدعو زملائى محررى جريدة (الجمعة) .. الى اثارة هذه المناقشة على أوسع نطاق .. **فنحن فى مرحلة بناء جديدة .. أخطر ما فيها أن أعداءنا من الخارج .. وأعداءنا من أنفسنا .. يهددون مصيرنا .. بأن نكون أو لا نكون . ا هـ**

هذا ما كتبه اخوان لنا يحسون الفجيعة والحقيقة معا ومن احساسهم هذا انبعثت دعوتهم التى نرجو أن يكون لها صداها وآثارها ونحن فى أيام فاصلة من تاريخنا فليس هناك طوق للنجاة الا هذا الطوق .. وليكن مفهوما لدى كل انسان أننا حين ندعو ويدعو معنا هؤلاء الكتاب وغيرهم الى طوق النجاة هذا ، لا نريد الا تكوين الفرد المسلم على أساس صحيح يجعل منه انسانا متكاملا يخلص لله عمله فى كل مجال يكون فيه ، وحين يذهب للميدان يكون شعاره الذى يغنى فيه : ((اطلبوا الموت توهب لكم الحياة)) .

اننى أحيى هذه الروح الجديدة ، وأحيى كل قلم يحمل شعلتها فى أى ركن من أركان العالم الاسلامى ، وأرى نفسى مضطرا لابداء أسفى الشديد للرأى الذى أبداه بعض رجال الجامعات ضد فكرة تدريس الدين وتعميق روحه فى طلاب الجامعة . هذا الموقف الذى يشبه موقفا قديما كان بعض الناس يقفه من تدريس الدين فى المدارس . ان طلاب الجامعة فى مرحلة نضج مع قلق تحتم ضرورة تعميق الايمان فى نفوسهم ، وهذا هو الذى أخذت به جامعة الكويت الحديثة حيث قررت تدريس الثقافة الاسلامية فى جميع كلياتها وعلى جميع السنوات . وهو ما نرجو أن يكون قدوة حسنة لكل الجامعات فى البلاد الاسلامية .. ((ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)) .

ع.ن

السنة الرابعة

تبدأ المجلة سنتها الرابعة فى أول المحرم وبهذه المناسبة سيكون عدد المحرم عددا ممتازا ..

الفتاوى

الولد يتبع خير الأبوين دينا

السـؤال :

سيدة مسيحية تزوجت من غير مسلم ، وتم الزواج بينهمـا بالكنيسـة الكاثوليكية بالمراسيم المتبعة فيها ، ورزقت منه بطفلين أكبرهمـا فى العاشرة وتريد اعتناق الاسلام ، فما مصير الطفلين ؟

ع٠ ح

الاجابـة :

المقرر شرعا أن الصغار يتبعون خير الأبوين دينـا « والدين عنـد اللـه الاسلام » . فاذا اعتنقت هذه السيدة الاسـلام فعلا ، فان الصغار يتبعونهـا ويكونون تحت رعايتها ، كما أنه من الواجب التفريق بين الزوجين باسلامها حيث لا يجوز الزواج أصلا بين مسلمة وغير مسلم .

قراءة القرآن

السـؤال :

اقتنيت مصحفا أقرأ فيه أحيانا ، غير أن قراءتى فيها أخطاء كثيرة ، وقـد لاحظت ذلك عندما أقرأ بحضرة من يعرف أحكام القـراءة .. فهل أستمـر فى القراءة مع الخطأ غير المتعمد ؟

مسلم سالم / الكويت

الاجابـة :

الواجب على كل من يقرأ القرآن أن يقرأه سليما من الخطأ قـال تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » وقال العلماء : ان القرآن الذى يقرأ خطأ لا يسمى قرآنا ولا ثواب لقارئه بل فيه اثم وحرام بالاجماع ان تعمد الخطأ .

فاذا أردت أن تقرأ القرآن فاقرأ ما تجيد قراءته فقـط ، والدين يسر ولا يكلفك الله بما لا تستطيع تأديته على وجه سليم . واسترشد بمن يصحح لـك القراءة .

في النكاح

السـؤال :

رجل تزوج امرأة ولها بنت كبيرة بالغة ، وبعد اتمام عقد الزواج وقبـل الدخول يريد أن يطلق الأم ويأخذ البنت . فهل يجوز ذلك شرعا .

محمد خالد محمود

الاجابـــة :

المقرر شرعا أن الدخول بالأمهات يحرم البنات والعقد على البنات يحـــرم الأمهات وعلى ذلك يحرم على الرجل فروع زوجته اذا دخل بها ، وفى حكـــم الدخول بها خلوة شرعية ولا يحرم فى حالة عدم الدخول بالأم ولا الخلوة بهـــا العقد على البنت ، بينما تحرم الأم بمجرد العقد على البنت ، وبما أن السائل لم يدخل بالأم ولم يختل بها ، فلا مانع من أن يتزوج بنتها اذ لا تحرم البنت شرعا الا بالدخول أو الخلوة بالأم .

في الطلاق

الســؤال :

قلت : ان طلبت زوجتى الطلاق وأعادت لى ما نقص من الفضة وابراتنى من المهر فهى طالق — وهى لم تفعل شيئا من ذلك — لكنها تزوجت بآخـــر على هذا القول .فماحكم الشريعة ؟

(محمد جمعه من المهرة)

الاجابـــة :

القول المذكور من قبيل الطلاق المعلق ، وحكمه الوقوع عند حصول المعلق عليه وبما أن السائل قرر أن زوجته لم تفعل شيئا من المعلق عليه ، فلا يقـــع طلاقه ، لأنه علق طلاقه على الابراء من المهر ورد ما نقص من الفضة ولم يحدث من ذلك شىء ، ومن ثم فتعتبر الزوجية بينه وبينها قائمة ، ويكون زواجها بغيره باطلا اذ يشترط لصحة عقد الزواج أن تكون الزوجة خالية من الموانع الشرعيـــة وهى ليست كذلك لأنها فى عصمة زوجها الأول .

في الميراث

الســؤال :

١ — توفى المرحوم سالم عن بنته نوير — وابنه راشد .
٢ — ثم توفى راشد عن ابنه زايد .
٣ — ثم توفيت نوير عن ولديها اصفير ومناحى .
٤ — ثم توفى مناحى عن أخيه شقيقه اصفير واخيه لأبيه عبد الله .
فما حكم نصيب كل ؟

(عبد الله بن ناشى)

الاجابـــة :

أولا : بوفاة سالم عن بنته نوير وابنه راشد ، اذا لم يكن ورثة سواهمـــا تكون تركته لهما للذكر ضعـــف الأنثى .

ثانيا : بوفاة راشد عن ابنه زايد تكون تركته جميعها لابنه المذكور اذا لم يكن وارث سواه .

ثالثا : بوفاة نوير عن ولديها اصفير ومناحى ، تكون تركتها لهما مناصفة ما لم يكن ورثة سواهما .

رابعا : بوفاة مناحى عن أخيه الشقيق اصفير — واخيه لأبيه عبـــد الله تكون تركته لأخيه الشقيق اصفير ولا شىء لأخيه لأبيه عبد الله .

وعلى ذلك فيرث اصفير كل ما ورثته أمه من والدها لأنه بوفاتها يستحق النصف ويستحق النصف الآخر اخـــوه مناحى — وبوفاة أخيه شقيقـــه مناحى يستحق كل تركته ولا شىء لأخيه من أبيه .

آيات القرآن وسوره

على أى أساس قام تحديد الآية من القرآن الكريم بدءا ونهاية ، وتحديد أول السورة وآخرها ، وترتيب الآيات فى السورة الواحدة ، وتسلسل السور على النحو الموجود فى المصاحف المتداولة بيننا اليوم ، وهل كان ذلك بوحى من الله عز وجل ، أو باجتهاد من النبى صلى الله عليه وسلم أو برأى الصحابة رضى الله عنهم .

(عبد الرشيد ـ بغداد)

قبل الاجابة على هذه الأسئلة يحسن أن نبين معنى الآية والسورة فى اصطلاح العارفين بعلوم القرآن . أما معنى الآية عندهم فهو طائفة من الحروف ذات مطلع ومقطع مندرجة فى سورة من القرآن الكريم ، والآيات تختلف طولا وقصرا ، فأطولها آية الدين فى سورة البقرة ، وأقصرها كلمة يس فى صدر سورة (يس) . وأما معنى السورة فهو طائفة مستقلة من آيات القرآن ، والسور تختلف أيضا طولا وقصرا ، فأطول سورة هى سورة البقرة ، وأقصر سورة هى سورة الكوثر .

أما تحديد أول الآية ونهايتها فيرى جمهور العلماء أن ذلك كان بتوقيف وتعليم من النبى صلى الله عليه وسلم نقلا عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل ، فلا مدخل للعقل ولا للاجتهاد فى هذا التحديد ، ويؤيدون هذا القول بأن (المص) عدت آية ، (والمر) نظيرتها لم تعد آية و (يس) حسبت آية ، ونظيرتها (طس) لم تحسب آية ، و (حمعسق) عدت آيتين ، و (كهيعص) عدت آية واحدة ، فلو كان للرأى والعقل مدخل فى التحديد لكان حكم المثلين (حمعسق) و (كهيعص) واحدا ولكنه لم يجىء كذلك ، بل هما مختلفان ، وهذا يعنى أن التحديد خارج عن نطاق عقل البشر .

وذهب فريق آخر من العلماء الى أن بعض الآيات كان تحديدها بتوقيف وتعليم من النبى ، وبعض الآيات كان تحديدها بالقياس ، لا بالسماع والتوقيف ، ويقولون : « ما ثبت » أن النبى وقف عليه دائما تحققنا انه فاصلة . نهاية آية ، وما وصله دائما تحققنا أنه ليس فاصلة ، وما وقف عليه مرة ، ووصله مرة أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة ، واحتمل الوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها وفى هذا مجال للقياس ـ وسواء أكان تحديد الآيات كلها توقيفيا ، أو كان تحديد بعضها توقيفيا وتحديد بعضها بالقياس فان هذا الخلاف لا يؤدى الى محظور . لا الى زيادة ، ولا نقصان فى القرآن الكريم ، وانما غايته تعيين محل الفصل والوصل .

وأما ترتيب الآيات فى السورة فقد انعقد الاجماع على أن هذا الترتيب كان بأمر وتوقيف من النبى ، وأنه لا مجال للرأى ، ولا للاجتهاد فيه ، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويدله على مكان كل آية من سورتها ، ثم يقرؤها النبى على أصحابه ، ويأمر كتاب الوحى بكتابتها ، ويحدد لهم سورتها وموضعها من السورة ، فليس لبشر كائنا من كان أى تصرف فى ترتيب شىء من آيات القرآن الكريم ، ويؤيد هذا ما رواه الامام أحمد عن عثمان عن أبى العاص قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ شخص ببصره ، ثم صوبه ، ثم قال : أتانى جبريل فأمرنى أن أضع هذه الآية فى هذا الموضع من السورة (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى . .) الآية .

وتحديد أول السورة وآخرها كان بتوقيف من النبى ، وثبت ذلك من قراءته صلى الله عليه وسلم ، ومما قرأه سورة الأعراف فى صلاة المغرب ، وسورة (قد أفلح المؤمنون) وسورة الروم فى صلاة الصبح ، وسورة السجدة وسورة (هل أتى على الانسان) فى صبح الجمعة ، وسورة الجمعة والمنافقين فى صلاة الجمعة وسورة ق فى الخطبة وسورتى اقتربت و ق فى صلاة العيد .

أما تسلسل السور فى المصحف وترتيبها هـــذا الترتيب الموجـــود فى المصاحف الآن فللعلماء فيه ثلاثة أقوال :

الأول : ان هذا الترتيب لم يكن بتوقيف من النبى . انما كان باجتهـــاد من الصحابة .

الثانى : ان هذا الترتيب كان بتوقيف من النبى كترتيب الآيات ، وانه لم توضع سورة فى مكانها الا بأمر من النبى .

الثالث : ان بعض السور رتبت بتوقيف من النبى ، ورتب البعض الآخر باجتهاد من الصحابة . .

وبقى بعد هذا القول بأن احترام الترتيب الموجود الآن واجب على المسلمين لأنه كان عن اجماع من الصحابة .

المعصوم من الناس

سمعت أن أعداء الاسلام حاولوا فى القديم سرقة جثمان الرسول الطاهر صلى الله عليه وسلم فهل حدث هذا حقا ؟

(درويش الفرا ــ الاردن)

ان الله تبارك وتعالى تكفل بعصمة رسوله من جميع الخلق ، وقد حقق الله وعده لرسوله فنجاه من عدة مؤامرات دبرت لاغتيال حياته كمؤامرة قريش ليلة الهجرة ، ومؤامرة اليهود فى المدينة بالقاء حجر ضخم عليه عند استناده الى أحد الجدران ، وتروى كتب التاريخ ان هناك مؤامرة دبرت لسرقة جســـده الشريف من قبره فى المدينة المنورة ، ولكن الله الحافظ عصمه من الناس بعد وفاته كما عصمه فى حياته .

فقد روى انه بينما كان نور الدين بن زنكى مشغولا بحرب الصليبيين فى أواسط القرن السادس للهجرة اذ رأى فى منامه ذات ليلة رؤيا أفزعته ــ رأى

النبى صلى الله عليه وسلم يشير الى رجلين اشقرين وهو يقول : انقذنى من هذين .

راى هذه الرؤيا ثلاث مرات فى ليلته تلك ، فأرسل فى طلب وزيره جمال الدين الموصلى وكان من أهل التقوى والصلاح . فلما حضر قص عليه رؤياه ، فأشار عليه الوزير بالتوجه بنفسه الى المدينة المنورة لاستجلاء حقيقة الأمر ، فتوجه نور الدين الى المدينة ، وقصد من فوره الى المسجد النبوى ، وصلى فى الروضة . ثم استدعى أهل المدينة ، فوزع عليهم الأموال والأغذية والألبسة ، ثم استفسر عمن بقى من الناس ليأخذ حظه ، فقالوا : لم يبق الا رجلان من اهل الأندلس صالحان ، وهما فى غنى لا يأخذان من احد شيئا ، ويكثران الصدقة على الفقراء ، فقال : على بهما . وجىء بالرجلين ، فوجدهما يشبهان اللذين رآهما فى المنام ، فتوجه الى دراهما ، فرأى عندهما أموالا طائلة ، وأخذ يتردد فى الدار ، ثم رفع حصيرا كانت مفروشة فى احدى الغرف ، فاذا تحتها سرداب يتجه صوب الحجرة النبوية !

واضطربت المدينة حين بلغها النبأ ، وثار اهلها وكادوا يقتلون الرجلين فاستغاثا بنور الدين على أن يعترفا له بالحقيقة ، وهى انهما مؤجران من قبل الصليبيين ، لسرقة جثمان الرسول ، فأمر نور الدين فضربت عنقاهما ، ثم قصد الى الحجرة النبوية الشريفة فحفر حولها خندقا عظيما حتى بلغ منابع الماء . ثم صب الرصاص حتى امتلأ الخندق وصار منه سور متين لا تنفذ اليه يد آثمة وصدق الله والله يعصمك من الناس .

الملتزم ..

حججت أكثر من مرة ولم أسمع عن الملتزم الا هذه الأيام ، وأنا عازم بمشيئة الله تعالى على الحج فى هذا العام ، فما هو الملتزم وماذا يصنع الحاج عنده ؟
سهيل الريحان ــ الكويت

الملتزم هو المكان الذى يلتزمه ويلتصق به الطائفون بالبيت الحرام وهو حائط الكعبة المشرفة من الجهة الشرقية يقع بين بابها والحجر الأسود ، والتزامه سنة مأثورة عن النبى ، روى أبو داود وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : طفت مع عبد الله ، فمضى حتى استلم الحجر ، وأقام بين الركن والباب ، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه هكذا ، وبسطهما بسطا ، ثم قال هكذا رأيت رسول الله يفعله .

وعن عبد الرحمن بن صفوان قال : لما فتحت مكة قلت لألبسن ثيابى ، فلأنظرن كيف يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلقت ، فرأيته قد خرج من الكعبة هو وأصحابه ، واستلموا البيت (الكعبة) من الباب الى الحطيم ، وقد وضعوا خدودهم على البيت ورسول الله وسطهم .

هذا يا سيدى هو الملتزم ، وهذا ما يسن الحاج فعله عنده ، ولا تنسنا من الدعاء لنا وللمسلمين بخير .

بأقـــلام القـــرّاء

الاسلام قاعدة الحياة

كتب الاخ مجيد حميد الثامر من البصرة تحت هذا العنوان يقول :

انطلقت الدعوة الاسلامية المباركة كالعملاق تصنع التأريخ ، وتفتح للبشرية صفحة حياة حرة كريمة ، ويتمخض الصراع العنيف باقامة الكيان السياسى للاسلام والمسلمين فى المدينة المنورة ، ويبنى صرح الدولة الاسلامية الشامخ ، ويتولى الرسول القائد صلى الله عليه وسلم أعنة السياسة ، وينطلق ليجسد الاسلام فى واقع الحياة فيطبقه فى الداخل ، وينشره فى الخارج ، وهذه من اولى مهمات الدولة الاسلامية .

وحمل دعاة الاسلام رسالتهم الخالدة الى الشعوب بأسرها مبشرين بالاسلام قاعدة فكرية تشاد الحياة على أساسها ليسترد الانسان انسانيته ، وتحترم حقوقه ، ويصان عرضه ، ويحقن دمه ، ويختفى من وجوده شبح الفقر والجهل .

وثبتوا بيارقهم الخالدة المظفرة فى قلب الصين شرقا،وطغى المد الاسلامى فى الغرب ، فجال فرسان أمتنا الاسلامية فى سهول بواتيه وضواحى باريس ، وأمتد الاسلام حتى بلغ سيبريا شمالا ، وانحدر جنوبا حتى بلغ زنجبار .

هذه الأمجاد .. هذه البطولات .. تذكرنا بالحياة التى أشادها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أساس الاسلام ، فكانت حياة تفيض بالعدل والرحمة ، خلد فيها الناس الى الهدوء والطمأنينة ، ورفرفت على ربوعهم حمامات السعادة ، وخفقت على رؤوسهم بنود النصر ، وشمخت فوق جباههم أكاليل الغار ، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

ومرت على أمتنا الاسلامية المحن والويلات جراء ابعاد الاسلام عن مجاله القيادى ، وفسح المجال أمام قوانين وأحكام الجبت والطاغوت تعمل عملها فى بلاد المسلمين ، هذا والمسلمون يدعون الاسلام ، ولا يشعرون بانحرافهم عن خطه وصراطه المستقيم ، والسبب فى ذلك واضح بين ، وهو الغزو الاستعمارى الخبيث الذى استعمر العقول والأفكار ، فحولها الى قواعد فكرية استعمارية « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » .

وطريق العودة الى الاسلام واضح لا لبس عليه ولا غموض وذلك بالرجوع الى الاسلام وفهمه واستقرائه من مصادرهالأصيلة ، وتغيير الروح وبلورتها بروح الاسلام وأخذه من حملته علماء الأمة الأبرار ، وتجنيد النفس للعمل للاسلام والذب عن حياضه والتضحية فى سبيل الحفاظ على نقائه وصفائه ، وتحويل هذا الفكر وهذا الايمان الى سلوك متجسد فى واقع الحياة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمـــل » .

هذا هو الايمان الواقعى الذى لا يمكن أن تزعزعه النوازل .. الايمان الذى يقف صاحبه كالطود الأشم ساخرا من جحافل الكفر والضلال مطمئنا الى نصر الله تعالي داعيا الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالاسلام رمـــز

عزتنا .. وأساس نهضتنا .. وهو وحده الكفيل باسعادنا والانسانية جمعاء وتوفير الحياة الحرة الكريمة للانسان الخاضع لحكمه وعدله ..

التربية الاسلامية

ومن مقال بهذا العنوان يتحدث فيه الأستاذ محمد صالح بربندى عضو الادارة القانونية بالرياض عن مميزات التربية الاسلامية وفضائلها وأهدافها وضرورة الاهتمام بها ـ نقتطف منه ما يلى :

وفى التربية الاسلامية نجد تلقى العلم وتهذيب الأطفال واجبا دينيا ، او فريضة على المسلمين ، وبتأثير تلك العقيدة امتلأت النفوس حماسة لانشاء الكتاتيب والمدارس ، ودور الكتب ، دون تدخل من جانب الدولة بمؤازرة أولى الأمر .

وفى العصر الحاضر نحن بحاجة شديدة الى ناحية المسئولية الفردية والنشاط التلقائى من جانب الأفراد فى نشر العلم وتحصيله ، دون الاعتماد الكلى على جهود الحكومات ، ليتسنى بذلك اقامة الجامعات والكليات العلمية ودور العلم والمكتبات الأهلية بجهود الأشخاص والجمعيات على نحو ما يجرى فى بعض الدول ، وقد اتخذ هذا التعاون فى ميادين العلم ظاهرة تقدمية كبرى فى العصر الحاضر ، وقد سبقنا اليه أجدادنا منذ عصور عديدة ، وكرسوا له جهودهم ، وانفقوا فى سبيله نفائس الأموال .

والمدارس الاسلامية كانت شديدة الاتصال بالحياة والناس ، فلم تغلق الأبواب دونهم ، وهى مفتوحة للأغنياء والفقراء يدخلونها على قدم المساواة ، بينما يجد الفقراء كل وسائل المعونة متوفرة لمتابعة الدرس .

ومناهج التربية الاسلامية القديمة تتفق والعادات العربية والاسلامية ، وتلائم بيئتها السابقة ، فيقول المفضل بن يزيد انه رأى ابن اعرابية فأعجبه منظره ، فسألها عنه فقالت :

« اذا أتم خمس سنوات أسلمته الى المؤدب ، فحفظ القرآن فتلاه ، وعرف الشعر فرواه ، ورغب فى مفاخرة قومه ، وطلب مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحمل حملته على أعناق الخيل ، فتمرس وتفرس ، ولبس السلاح ، ومشى بين بيوت الحى ، وأصغى الى صوت الصارخ » .

دعاء

وفى حالة الاشراق الروحى والصفاء النفسى تنفعل نفس الأستاذ عبد المجيد محمد طه المدرس بمدرسة رقى المعارف الاعدادية بطما ج ٠ ع ٠ م فتفيض على لسانه هذه الأبيات :

وقفنا أمام الله صفا وكلنا ... يكبر .. احراما .. وتصعد كفاه
نسوى صفوفا والخطى فى قيودها ... وكل فؤاد .. قد تعلق مولاه
تلوت دعائى : ايه يا رب فاهدنى ... فأنت عليم بالفؤاد .. ونجواه
وتمتم جارى فى ضراعة عاشق ... فكف لسانى يسمع الأذن نجواه
فتابع قولا ينشر النور والشذى ... وسار لسانى فى خطاه قصاراه
ولكننى لم الحق الركب فانثنى ... لسانى يرنو .. حائرا .. فوق مجراه
تجلدت حتى ما انتهى من دعائه ... وأثلج صدرى واستضاءت حناياه
رفعت يدى لله والبشر هزنى ... وقلت : أنا يا رب أدعو واياه
فهبنى أجرا مثلما أنت واهب ... له ــ ان تشأ ــ أو ان أقل فأرضاه

قالت صحف العالم

قولوا .. يهود
لا بنو اسرائيل

نشرت صحيفة الدعوة السعودية تحت هذا العنوان تقول :

نحن نؤكد ويجب علينا أن نؤكد أن اليهود الذين يحتلون فلسطين اليوم ليسوا أصحاب عرق سلالى تاريخى فى هذا الوطن العربى الاسلامى المغتصب .. بل هم سلالات قوميات متعددة وأبناء أمم متشعبة لا يجمعهم جامع سوى الديانة اليهودية وحدها .. ونحن على صفحات هذه الصحيفة (الدعوة) نتحدى أولئك الذين يسمون أنفسهم (دولة اسرائيل) أن يسلسلوا انسابهم أو يضبطوا طوائفهم — تاريخيا — حتى يصلوا بها الى ما يثبت صحة دعواهم بأنهم (بنو اسرائيل الحقيقيون) علما بأن العرب كانوا يسكنون فلسطين قبل بنى اسرائيل بآلاف السنين .. وليس ابتداء من الفتح الاسلامى لفلسطين فى زمن عمر ابن الخطاب — رضى الله عنه — فهذا الفتح كان لدخول الاسلام الى فلسطين وليس لدخول العرب اليها الذين كانوا فيها قبل الاسلام بعشرات القرون .. هذه حقائق تاريخية يجب أن يعيها العرب والمسلمون ويضربوا منها على الأوتار الحساسة فى المجالات العالمية تنويرا للرأى العام الذى غسلت أدمغته اليهودية المجرمة وشوهت حقائق التاريخ الانسانى بما يلائم اهواءها وأغراضها الخبيثة .

ان واجب العالم الاسلامى اليوم وهم يواجهون محنة .. قاسية .. واجبهم عربا وغير عرب أن يشهروا كل سلاح فى وجه اليهودية التى تحالفت — بالدم والروح والفكر — مع الصليبية ضد الاسلام فى الدرجة الأولى .. وضد العرب والمسلمين بالتبع .

سكينة النفس

من الحلقة الثانية التى نشرتها مجلة (حضارة الاسلام) الدمشقية تحت هذا العنوان نقتطف ما يلى :

والفطرة ليست تفكيرا خالطا ، ولا شعورا محضا ، انها مزيج من التفكير والشعور . والدين قد جاء يخاطب الفطرة كلها . يخاطب التفكير والشعور معا . يخاطب العقل والقلب جميعا . والذين يعتمدون على سلطان العقل وحده فى الوصول الى عقيدة سليمة راسخة ،وفكرة كلية واضحة ،تفسر هذا الوجود ، وتحل الغازه ، قد جاوزوا بالعقل حدوده واختصاصه ، وأهملوا جانبا هاما فى الفطرة الانسانية هو جانب الشعور والوجدان ، جانب القلب . كما أغلقوا على أنفسهم بابا واسعا ما كان أحوجهم اليه ، وما أضل سعيهم بغيره . هو باب الوحى .

ان العقل ــ مهما أوتى من الذكاء والقدرة على التجربة والقياس والاستنتاج محدود بحدود الطاقة البشرية ، مقيد بقيود المكان والزمان والوراثة والبيئة ، فلا غنى له أبدا عن سند ومعين ، يسدده اذا أخطأ ، ويهديه اذا ضل ، ويرده الى الصواب اذا شرد ، وهذا السند هو الوحى ، الذى هو أساس الدين .

ان الوحى قد أراح الانسان من عناء البحث فيما يبدد طاقته دون الظفر بما يشبع ويغنى ، وأعفاه من تجشم رحلات طويلة وشاقة ، والسير فى دروب معتمة وملتوية ، لا يدرى الام تنتهى به ؟ وقدم لـه ما ينبغى أن يعلمه ــ وما يستطيعه ــ عن مبدأ الوجود ومنتهاه ، وعلته وأسراره ، قدمها اليه خالصة سائغة ، سالمة من جدل المجادلين وتعمقات المتفلسفين ، وتخرصات المتكلفين .

وليت شعرى ما الذى يستطيع أن يعلمه الانسان عن وجوده هو ، وعن وجود العالم الكبير من حوله ، وعن صاحب هذا الملك الكبير ــ سبحانه ــ لو مشى فى الطريق وحده دون دليل من وحى الله ؟

انه سيضرب فى بيداء لا يعرف فيها طريقا ، ولا يجد فيها غير السراب يحسبه ماء ، حتى اذا جاءه لم يجد شيئا ، ويسبح فى بحار من الظلمات لا يهتدى فيها الى بر ولا قرار ، كالتى حدثنا الله عنها فى كتابه : « كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور » .

مكانة الجهاد فى الاسلام

ومن مقال فى هذا الموضوع نشرته مجلة التربية الاسلامية العراقية تناول الكاتب فيه حكم الجهاد واستدل بالآيات والأحاديث التى تستنفر المسلمين ، وتفرض عليهم حشد كل طاقاتهم للدفاع عن حرماتهم نقتطف هذه الفقرة :

من أجل الحفاظ على الدين الحنيف ومثله العليا ومبادئه السامية السمحاء من أجل هذا وذاك يأمرنا الاسلام أن نستعد للقتال والنزال ونخوض المعارك وكلنا ثقة بالله وأمل وانتصار دون أن نهتم بالموت أو نحسب له حسابا حيث الجبانة لا تطيل الآجال ولا الشجاعة تدنى الآجال : واليك أيها القارىء الكريم ما قاله البطل خالد بن الوليد رضى الله عنه وهو على فراش الموت (شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح ولم أمت وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) ومن جملة ما أوصى به أبو بكر رضى الله عنه خالد ، حين أمره على الجيش (احرص على الموت توهب لك الحياة) .

اذا كانت الحياة لا تبقى لحى ــ كل نفس ذائقة الموت ــ فان جريمة الحياة العظمى هى الهوان والموت ذليلا ولقد أجاد المتنبى اذ قال :

غيـــر أن الفتــى يلاقى المنايــا — كالحــات ولا يلاقى الهــوانا
ولو أن الحيـــاة تبقــى لحــى — لعددنا أضــلنا الشــجعانا
واذا لم يكــن من المــوت بــد — فمــن العجــز ان تكــون جبانــا

وان على المسلمين أن ينهضوا عن بكرة أبيهم للذود عن حياض الدين وعن بلاد المسلمين وأن يتذرعوا بالصبر والثبات ويتسلحوا بصدق العزيمـة وقوة الشكيمة لدحر قوى الظلم والطغيان وندعو الله العلى القدير أن يوفقنا لما فيه خير الدنيا والدين وينصرنا على القوم الكافرين المجرمين الذين (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) .

مكتبة المجلة

اعداد : عبد الستار محمد فيض

جنة الحيوان فى عهود الأنبياء

صفحات موجزة عن سيرة بعض الأنبياء والمرسلين فى صورة حوار بين فتى وشيخ . وقد نهج المؤلف فى هذه الصفحات الأسلوب الحوارى الذى يرسم الموقف ويصور الحدث ويعطى الحقيقة التاريخية ذلك الاطار الفنى الجميل الى جانب اعتماده المطلق على النص القرآنى الكريم فى تفسير المواقف وشرحها .

وكتاب جنة الحيوان فى مائتى صفحة ، تتضمن أربعة عشر قسما وكل قسم من هذه الأقسام يعالج حياة نبى من الأنبياء المشاهير وقد طبع هذا الكتاب فى مطبعة التدريب المهنى بدمنهــــور (ج . ع . م) .

أحاسيس

مجموعة قصائد اجتماعية وانسانية ووطنية للشاعر الشاب أحمد عبد الهادى ، والديــوان يقع فى (١٤٢) صفحة وقامت بطبعه مطبعة دار الجهاد ١٤ شارع الجمهورية ــ القاهرة .

وهذا الديوان فيض أحاسيس الشاعر وصور عواطفه ، وبعض قصائده تشوبها روح القصص والتأمل الواعى ، وتعاطفه مع الزمن والحياة والناس واضح فى تسجيله للحوادث .

تقويم جامعة الكويت

لقد حققت دولة الكويت خلال فترة وجيزة من الزمان تقدما عظيما فى شتى الميادين وكان أهم حدث فى هذه الدولة هو انشاء جامعة الكويت التى كان هدفها رفع مستوى التعليم وتطوير الحياة الثقافية .. وقد أصدرت جامعة الكويت هذا التقويم ليكون مرجعا تاريخيا عن نشأة الجامعــة وتكوينها وقواعد الدراسة فيها وخطط المناهج ونظم الامتحانات والنشاط الطلابى وغير ذلك ..

والتقويم يقع فى (١٢٢) صفحة ، وقامت بطبعه مطبعة حكومة الكويت .

الحركة الفكرية فى عصر الخلفاء الراشدين

بحث فى الحركة الفكرية فى عصر الخلفاء الراشدين فى ثمانية فصول تشمل ابتداء نشــر الأدب شعره ونثره بين المسلمين وتأثير القرآن الكريم والحديث الشريف على الحركة الأدبية وقد ألف هذا الكتاب الدكتور كمال الدين فريق ، وترجمه الى العربية الاســـتاذ سليم طه التكريتى وقامت بطبعه ونشره دار الثقافة الاسلامية فى بغداد ضمن سلسلتها الثقافية .

أخبار العالم الإسلامي



الكويت :

◎ **زار البلاد عظمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين وقد أجرى مع سمو أمير البلاد المعظم مباحثات هامة استهدفت العمل على تأكيد عروبة البحرين ووسائل تدعيم العلاقة بين البلدين**

◎ **أهدى سمو أمير البلاد المعظم ثلاث طائرات مدنية للأردن .**

◎ قام سعادة الشيخ صباح الاحمد وزير الخارجية بجولة هامة فى امارات الخليج العربى بغية العمل على تنظيم التعاون بين الكويت وامارات الخليج كما قام بزيارة للرياض .

◎ قام سعادة الشيخ سعد العبد الله السالم وزير الداخلية والدفاع بزيارة كل من فرنسا وبريطانيا وقد صرح سعادته بأنه قام بدراسة الوضع الراهن فى الشرق الاوسط مع الرئيس الفرنسى ديجول كما سلمه رسالة من سمو أمير البلاد المعظم .

◎ **بحث مؤتمر وزراء التربية العرب الذى انعقد فى ١٧ — ٢٢ فبراير حوالى ٢٢ موضوعا تربويا من أهمها : وضع قانون أخلاقى موحد لمهنة التعليم وتطوير التعليم فى الجنوب والخليج العربى ووضع المصطلحات العربية فى العلوم والرياضة .**

◎ اشتركت الكويت فى احتفال باكستان بذكرى مرور ١٤٠٠ سنة على نزول القرآن وقد مثلها سعادة السيد يوسف السيد هاشم الرفاعى وزير الدولة .

◎ **بدأت وزارة الاوقاف موسمها الثقافى حيث ألقى الاستاذ البهى الخولى محاضرتين ازدحم على الاستماع اليهما جم غفير من مختلف المستويات . وسيليه الاستاذان عمر بهاء الاميرى ، ثم الدكتور كامل الباقر مدير جامعة أم درمان الاسلامية .**

الجمهورية العربية المتحدة :

◎ **عقد السيد حسين الشافعى نائب الرئيس عدة اجتماعات مع المحافظين لبحث مشروع الانفاق على الدعوة الاسلامية بالمحافظات من ايرادات الاوقاف الخيرية .**

◎ عقد فى القاهرة المؤتمر الثانى للصحفيين العرب فى العاشر من فبراير .

◎ **اشتركت الجمهورية فى احتفال الباكستان بذكرى مرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم وقد مثلها الاستاذ الباقورى مدير جامعة الازهر والدكتور حب الله أمين مجمع البحوث .**

◎ أجرت وزارة الشئون الاجتماعية مع الازهر تقييما عاما لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم لتطوير أهدافها وتحديد علاقتها بالازهر والوزارة .

◎ **تدرس وزارة الاوقاف مشروعا لانشاء متحف دائم للمخطوطات الاسلامية يضم الوثائق المختلفة من أنحاء العالم الاسلامى .**

◎ يعد مجمع البحوث قوائم ترشيح كبار العلماء الصالحين لشغل الاماكن الخالية فى عضوية المجمع

السعودية :

◎ **أبلغت الجمهورية العربية المتحدة جلالة الملك فيصل انها تؤيد جلالته تاييدا كاملا فى أى خطوة يتخذها للحفاظ على استقلال وعروبة امارات الخليج كما أصدرت السعودية بيانا تستنكر فيه موقف اسرائيل من اخراج السفن المحتجزة وتؤيد حق مصر الكامل فى القناة .**

◎ زار البلاد عظمة حاكم البحرين وتباحث مع جلالة الملك فيصل فى الامور الهامة التى تتصل بالبحرين وامارات الخليج .

◎ **ألغى شاه ايران زيارته للسعودية قبل موعدها المقرر بـ ٤٨ ساعة .**

◎ زار الامير سلطان وزير الدفاع فرنسا وسيزور بعدها بلجيكا بدعوة رسمية .

◎ **طلبت المملكة السعودية من فرنسا تزويدها بالسيارات المصفحة وبعض الاسلحة الأخرى .**

العــــراق :

◎ **قام الرئيس عارف بزيارة لفرنسا بدعوة من الرئيس ديجول حيث جرت مباحثات حول أزمة الشرق الاوسط ، وامكانية تزويد العراق بطائرات ميراج واستغلال فرنسا لنفط العراق وقد زار الرئيس عارف القاهرة فى طريق عودته .**

◎ قدمت العراق معونة جديدة للاجئين العرب فى الاردن وتبلغ حمولتها ١٢ سيارة من الدقيق والاغذية والملابس .

◎ **احتفلت البلاد بذكرى ثورة ٨ فبراير التى قام بها المرحوم الرئيس عبد السلام عارف فى ٨ فبراير ١٩٦٣ .**

◎ سيزور عظمة حاكم البحرين العراق بدعوة مسبقة من الرئيس العراقى .

الاردن :

◎ **قام جلالة الملك حسين بزيارة لباكستان وقد بحث جلالته مع الرئيس ايوب خان مختلف جوانب القضية الفلسطينية ووسائل ازالة آثار العدوان وسيزور أفغانستان قريبا .**

◎ جددت اسرائيل عدوانها الآثم على مخيم الكرامة للاجئين .

◎ **اعرب يوثانت عن قلقه الشديد لمعاملة اسرائيل للعرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة .**

◎ احتجت أمانة القدس على مصادرة اسرائيل لمساحات واسعة من الاراضى العربية لاقامة مساكن للأسر اليهودية عليها .

◎ **ادى اضطهاد اسرائيل للعرب فى الاراضى المحتلة الى اجبار ما يزيد على ٣٠٠ الف على مغادرة ديارهم منذ وقف اطلاق النار .**

لبنـــان :

◎ **استقالت وزارة الرئيس كرامى وشكل السيد عبد الله اليافى الوزارة الجديدة لاجراء الانتخابات .**

◎ اعتقلت الحكومة بعض أشخاص كانوا يحاولون اعادة نشاط الحزب القومى السورى المنحل .

ليبيـــا :

◎ **قام الرئيس التركى جودت صوناى بزيارة لجلالة ملك ليبيا وصدر بيان رسمى يطالب بانسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة .**

◎ سيقوم السيد عبد الحميد البكوش رئيس الوزارة بجولة فى الدول العربية لبحث وسائل تدعيم العلاقات بين الدول العربية فى المجالات الاقتصادية والتجارية والسياسية .

المغـــرب :

◎ منح جلالة الملك الحسن وسام الكفاءة الثقافية لكل العلماء الذين اشتركوا فى الاحتفال بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن .

الســـودان :

◎ **الغى الرئيس اسماعيل الازهرى زيارته للقاهرة نظرا للاحداث السياسية بين الحكومة والمعارضة.**

◎ قرر مجلس السيادة حل الجمعية التأسيسية واصدار قانون الانتخابات التى حدد لها يوم ٢٦ أبريل القادم .

و « الوعى الاسلامى » ترجو أن يجنب الله السودان الشقيق شرور الاختلاف وتدعوهم الى توحيد الكلمة وضم الجهود .

الجــزائر :

◎ تسلم الجيش الوطنى الجزائرى قاعدة المرسى الكبير بعد أن تم جلاء القوات الفرنسية نهائيا عن القاعدة .

باكســتان :

◎ افتتح الرئيس أيوب خان الاحتفال الرسمى بمرور ١٤ قرنا على نزول القرآن الكريم . اشتركت فيه وفود رسمية من الدول الاسلامية . بدأ يوم السبت ١٢ ذى القعدة واستمر ثلاثة أيام .

ايــران :

◎ تدرس الحكومة الايرانية حاليا تخصيص (٣٠٠) مليون جنيه استرلينى لشراء الاسلحة وتدعيم الاسطول البحرى .

اقرأ في هذا العدد

فهرس عام للمجلة

في عامها الثالث

١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

أخي القارئ

للشيخ عبد المنعم النمر

تربية واجتماع

عقيدة

قصائد

تتمة قصائد

فقه وتشريع واقتصاد

تتمة فقه وتشريع واقتصاد

أعـــلام

دراسات قرآنية

علـــوم

من هدي السنة

للشيخ على عبد المنعم عبد الحميد

بَريد الوعي الإسلامي

باشراف الشيخ رضوان رجب البيلي

مَكتبة المجلة

اعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

أدب

كلمات وأحاديث

كتاب الشهر

خطر اليهودية العالمية للأستاذ عبد الله التل	الاستاذ بسام الاسطوانى	٧٨/٣٢
دراسة فى فكر منحل للأستاذ محمد جلال كشك	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٧٩/٢٩
قادة فتح المغرب العربى للواء محمود شيت خطاب	الاستاذ سعيد زايد	٧٣/٣٥

قصة

آخر المطرودين	الاستاذ محمد صبيح	٧٤/٢٩
الأسير الكريم	الاستاذ على أحمد باكثير	١١٤/٢٥
خروجا بغير رجعة	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	٨١/٣٣
زوجتان صالحتان	الاستاذ على أحمد باكثير	٨٣/٣٠
صراع	الاستاذ عبد الحميد غرابة	٧٠/٣٢
الظن والعذاب	الاستاذ محمد لبيب البوهى	٨٠/٣١
عبيد الظلام	الاستاذ عزت العزيزى	٧٨/٢٦ ، ٧٨/٢٧
لا لا .. خديجة	الاستاذ محمد صبيح	٨٠/٣٤ ، ٨٢/٣٥
ماذا فعل كعب !	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	٧٨/٢٨
هبى ريح الجنة	السيدة ابتسام الكيلانى	٨٠/٣٦

بأقلام القراء

المقـــال	الكاتب	العدد والصفحة
أثر القرآن فى صيانة اللغة	الاستاذ عبـــد الخـــالق عبد الرحمن	٩٣/٣٤
الاسلام رسالة عالمية	الاستاذ محمد التقى	٩٢/٢٨
الاسلام عقيدة وعمل	الاستاذ منصور نسيم	٩٥/٢٩
الاسلام قاعدة الحياة	الاستاذ مجيد حميد الثامر	٩١/٣٦
أغنياء العقل وأغنياء المال	الاستاذ سيف الدولة عباس	٩٤/٢٩
الاقتصاد التعاونى فى الاسلام	الاستاذ عبد الحميد الحلبى	٩٢/٣٥

تتمة باقلام القراء

فتاوى

خواطر

للشيخ عبد المنعم النمر

تاريخ وحضارة

قالت صحف العالم

اعداد : الشيخ رضوان البيلى

الموضوع	الصحيفة	العدد والصفحة
استمرار المعركة ليس فى مصلحة الاستعمار	الأهرام	٩٤/٢٨
الاسراء الجديد	مجلة الشبان المسلمين	٩١/٣٣
الاسلام فى تايوان	مجلة نداء الاسلام	١٢٥/٢٥
الى الاسلام .. دين الحياة	مجلة حضارة الاسلام	٩٣/٢٦
الايثار والتضحية	الأهرام	٩٥/٣٤
الثرثارون	صحيفة الشعب	٩٥/٢٨
الحرب النفسية	صحيفة أخبار اليوم	٩٢/٢٩
دور الصحافة العربية فى المرحلة الحاضرة	مجلة الطليعة	٩٥/٣٠
الدين	مجلة الشباب	٩٣/٣٢
الزكاة على الاموال المدخرة	صحيفة الجمهورية	١٢٥/٢٥
سكينة النفس	مجلة حضارة الاسلام	٩٤/٣٦
سلاح البترول فى المعركة	مجلة الطليعة	٩٤/٢٧
شعب ارتيريا الشقيقة	مجلة الرسالة	٩٤/٢٦
الشيطان الأعور	مجلة الحوادث	٩١/٢٦
عيدنا الوطنى. منطق جديد للسير	مجلة الكويت	١٢٤/٢٥
الفدائيون	صحيفة الاخبار	٩٤/٣٢
فلتكن حربا تزيل اسرائيل	صحيفة الرأى العام	٩٣/٢٧
فلسطين والأمة العربية	نشرة فلسطين	٩٣/٢٦
فى منطق الوعى	مجلة حضارة الاسلام	٩٠/٣٣
القدس تتحدى دولة العصابات	مجلة الهدف	٩٤/٣٠
القرآن وأحداث الساعة	مجلة رابطة العالم الاسلامى	٩٤/٣٤
كلمتان	مجلة رابطة العالم الاسلامى	٩٣/٣٦
لقد صمم شعبنا	صحيفة الرأى العام	٩١/٢٦
متى الجولة الثانية ؟	مجلة السياسة	٩٣/٢٨
معوقات انتشار الاسلام فى أفريقيا	مجلة حضارة الاسلام	٩٤/٣٤
المقاومة فى الارض المحتلة	صحيفة فتى العرب	٩٥/٣٥
مكانة الجهاد فى الاسلام	مجلة التربية الاسلامية	٩٣/٣٦
المؤسسات الاجنبية أوكاره للتجسس والاستخبارات	مجلة الرسالة	٩٢/٢٩
نريد وحدة تبنى على العقل	صحيفة الرأى العام	٩٤/٢٨
نعمل ونبنى والله معنا	مجلة الشبان المسلمين	٩٤/٣٠
نماذج من التفسير النبوى	مجلة رابطة العالم الاسلامى	١٢٤/٢٥
نهج وعمل	مجلة الرسالة	٩٠/٣٣
هكذا يفعلون بالاسلام والمسلمين	صحيفة (شن بات ياو)	٩٣/٢٦
ورابطوا واتقوا الله	مجلة حضارة الاسلام	٩٣/٣١
يجب مراجعة الحساب	مجلة السياسة	٩٣/٣٢
اليهود .. اليهود	مجلة لواء الاسلام	٩٢/٣١

صور ورسوم

الصور والرسوم

تابع الصور والرسوم

مَائدة القارئ

اعداد : أبى نزار

الاعداد والصفحات :

الكتاب

تابع فهرس الكتاب

تابع فهرس الكتاب

تابع فهرس الكتاب



مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ــ الكويت

((الى راغبى الاشتراك))

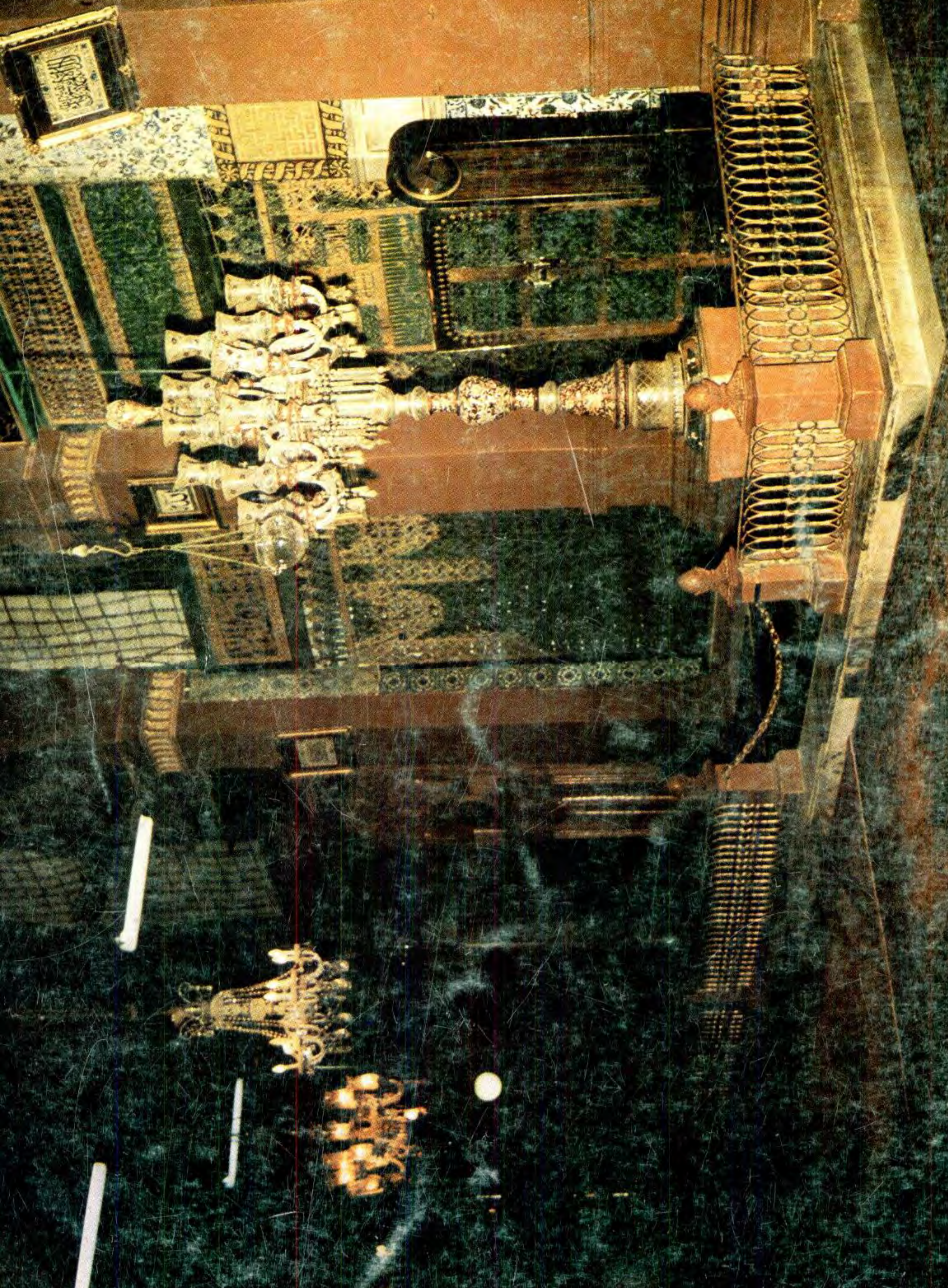
تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منـا فى تسـهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضيـاع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبـول الاشتراكات عندنا من الان ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسـا مع متعهد التوزيع عنـدهم ، وهـذا بيـان بالمتعهديـن ،

القاهرة : شركة توزيع الاخبـار ــ ٧ شارع الصحافـة
مكة المكرمـة : مكتبة الثقافة للصحافة . ص‌ب ١٤٦
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين ضياء
الريـاض : مكتبة المدينة ــ ص‌ب ١٩ ــ السيد احمد باصريح
الطائـف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ عمارة ابن الملوح ــ ص‌ب ٢٢
جـدة : الدار السعودية للنشر ــ ص. ب : ٢٠٤٣
بغـداد : مكتبة المثنى ــ السيد قاسم محمد الرجب
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص‌ب ٧٦ ــ السيد محمد سعيد بابيضان
البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها ــ المنامة ــ السيد فاروق ابراهيم عبيد
قطـر : مكتبة العروبة ص.ب : ٥٢
عـدن : وكالة الاهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد
المـكلا : ص ب ٢٨ ــ حضرموت ــ مكتبة الشعب المحـدودة
دبـى : ساحل عمان ــ ص‌ب ٢٦١ ــ السيد عبد الله حسن الرستمانى
مسـقط : المكتبة الاهلية ص ب ١٥٧
عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنيـة ــ السيد رجا العيسـى
دمشـق : الشركة العامة للمطبوعات ص‌ب : ٢٣٦٦
بيروت : الشركة العربية للتوزيع ص ب ٤٢٢٨

الخرطوم : مكتبـة بحـرى ص.ب ٥

مراكـش : الدار البيضاء ــ مكتبة الوحدة العربية ــ السيد احمد عيسى
ليبـيا : طرابلس الغرب ص‌ب ١٣٢ ــ السيد محمد بشير الفرجانى
بنغـازى : مكتبة الوحدة العربية ص‌ب ٢٨٠ ــ السيد الشعالى الخراز
الكويت : مكتب منار للتوزيع ٢١ شارع فهد السالم ص‌ب : ١٥٧١

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الان نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



منظر للحجره النبويه الشريفه من الشمال مثوى الرسول الاعظم وصاحبيه
بكر وعمر ..

تصوير : عظمت شيخ